

تفسير الجلالين

ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين

عبد الرحمن بن أبي بكر السبكي

(٥٨٤٩ - ٥٩١١ هـ)

جلال الدين

محمد بن أحمد بن محمد المحلي

(٥٧٩١ - ٥٨٦٤ هـ)

والحاشية

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

مراجعة وتقديمه

فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراوي

مشيخ غنم المقارئ المصرية ورئيس لجنة المحققين بالأزهر الشريف

مكة المكرمة للنشر

رفع

عبد الرحمن الحمدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تفسير الجلالين
ومعه حاشية هداية الموحدين

حقوق الطبع
محفوظة

طبعة عام ٢٠١٥

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م



دار الوطن للنشر

المملكة العربية السعودية - الرياض

المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨

ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) - ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦

الموقع الإلكتروني: www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني: pop@madaralwatan.com
madaralwatan@hotmail.com

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٠٨/٢٢٤٧٧

تفسير الجلالين

ومعه حاشية هداية الموحدين

التفسير للإمامين

جلال الدين

عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي

(٨٤٩هـ - ٩١١هـ)

جلال الدين

محمد بن أحمد بن محمد الحلي

(٧٩١هـ - ٨٦٤هـ)

والحاشية

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

راجعه وقدم له

فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم القارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف



دار النشر
دار الكتب والوثائق القومية



تقرير فضيلة الشيخ الدكتور / احمد عيسى المعصراوي

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ عِوَجًا ۖ فَيَمَّا يَنْزِيلُ لَكُمْ الْوَحْيَ يُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١-٢]

أما بعد: فإن للقرآن الكريم أكبر شأن في أمر الإسلام، فهو هديهم في شريعتهم، وهو المنار الذي يستضاء به في أساليب البلاغة العربية، بل هو المنبع الصافي الذي ينهلون منه فلسفتهم الروحية والخلقية، وكما جعل المولى ﷺ النبوة نبينا ﷺ مختمة، وجعل شرائع غير المسلمين بشرية الإسلام من وجه منتسخة، ومن وجه آخر مكمل ومتممة، حيث قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَضْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] فقد جعل المولى ﷺ كتابه المنزل على نبيه ﷺ متضمنا ثمرة كتبه التي أولاها أوائل الأمم؛ فقال سبحانه: ﴿رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾ [١] فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿[البينة: ٢-٣].

وجعل معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم، فهو متضمن للمعنى الجم، وأنه لا يخلو الناظر فيه من نور ما يريه، ونفع ما يوليه، فهو كما قال الشاعر:

كَالْبَدْرِ مِنْ حَيْثُ التَّفَتُّ رَأَيْتُهُ يُهْدِي إِلَى عَيْنَيْكَ نُورًا ثَاقِبًا
كَالشَّمْسِ فِي كَبَدِ السَّمَاءِ وَضَوْوُهَا يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

ومع ذلك فإن محاسن أنواره لا تدرکها إلا البصائر الجليلة، وأطاب ثمرة لا تقطفها إلا الأيدي الزكية، ومنافع شفافه لا تنالها إلا النفوس النقية، فهو كما قال سبحانه: ﴿إِنَّكُمْ لَقَرَنَ كَرِيمًا﴾ [٧٧] فِي كِتَابٍ مَّكُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿[الواقعة: ٧٧-٧٩]

ولذلك يعد علم التفسير هو من أجل العلوم التي توضح ما في القرآن من معنى ومبنى، وعلم التفسير في غنى أن يشاد بجلالته، وشدة اعتناء الأمة به، فإنه يستحق ذلك وأكثر، لجلالة ما يضاف إليه في هذا المحل، ويعد من أجل القربات التي يتقرب بها العبد إلى ربه تبارك وتعالى هو تعلم كتابه وتعليمه الناس ذلك حيث قال سبحانه: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ نِعْمَ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] وقال ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»^(١)، فالخيرية تنأت بتعلم القرآن وتعليمه مع العمل به، ولذلك كانت معرفة تفسير آيات القرآن من أجل المعارف.

وبين أيدينا تفسير من تفاسير القرآن التي اشتهرت بين أهل العلم؛ ألا وهو تفسير الجلالين الذي كان ولا يزال موضع اهتمام العلماء وحفاوتهم، وذلك لسهولة تعبيره ودقة عرضه، والتي عبر عنها الإمام السيوطي بقوله: (وهو ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يحتاج إليه، وتنبه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز، وترك

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، عن عثمان بن عفان حديث رقم (٥٠٢٧).

التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعريب محلها كتب العربية).

فالكتاب على ذلك موجز اقتصر فيه على ما هو ضروري لفهم النص إجمالاً مع بعض الاستطرادات في العربية أو القراءات، ومن ثم رآه العلماء في حاجة إلى تلك الحواشي لشرحه وتوضيحه.

وقد بلغ هذا التفسير من الإيجاز حدًا دفع بعض علماء اليمن إلى أن يعد حروفه، فوجدها مساوية لحروف القرآن إلى سورة المزمل، ولقد عبر الداوودي عن أهمية هذا التفسير بقوله عن الجلال المحلي: (وأجلّ كتبه التي لم تكمل: تفسير القرآن العظيم، كتب من أول سورة الكهف إلى آخر القرآن)^(١). ويؤكد الإمام السيوطي هذا الكلام بقوله في مفتتح تأليفه للجزء الباقي، حيث قال: (هذا ما اشتدت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وتتميم ما فاتته، وهو من أول سورة البقرة إلى آخر سورة الإسراء بتممة على نمطه).

ولقد طبع هذا التفسير طبعات كثيرة على مر العصور، ومن هذه الطبقات الطبعة التي بين أيدينا، والتي بذل فيها محققها فضيلة الشيخ هشام برغش، جهدًا كبيرًا استطاع أن يُخرج إلينا نسخة محققة وموثقة تساعد القارئ على فهم النصوص وتوثيقها من مصادرها الأساسية، وتخرّيج جميع الأحاديث، مما يعطي للقارئ الثقة فيما بين يديه، إضافة إلى تلافيتها للأخطاء الواقعة في الطبقات السابقة إن شاء الله.

والله أسأل أن ينفعنا بهذا العمل، وأن يكون في ميزان حسنات كل من قام به، وأن يسخرنا لخدمة كتابه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه

الأستاذ الدكتور

أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم المقارئ المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف
وأستاذ الحديث وعلمه بجامعة الأزهر



رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، أحمدده سبحانه حمدًا يوافي نعمه، ويكافئ مزيده، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن هذا التفسير «تفسير الجلالين» من أوجز التفاسير وأدقها عبارة، وأكثرها انتشارًا؛ لما تميز به من سهولة العبارة ودقتها، مع الاهتمام بأرجح الأقوال، والبعد - في الجملة - عن الأقوال الشاذة.

إضافة إلى ما يحويه التفسير من أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، ووجوه القراءات المشهورة والإعراب، وشرح الغريب، مع إشارات مفيدة إلى آيات الأحكام؛ حتى بات هذا التفسير خلاصة من خلاصات العلوم.

ولا عجب أن يقول عنه صاحب «كشف الظنون»: «وهو - مع كونه صغير الحجم - كبير المعنى؛ لأنه لب لباب التفاسير».

ولا يدرك قيمته ويعرف منزلته إلا من طالع ودرس كتب التفسير بمدارسها المختلفة، وإلا العلماء الأفاضل وطلبة العلم النابهون.

ولذا كان هذا التفسير موضع اهتمام الشارحين والدارسين، وألفت فيه حواشٍ وشرح كثيرة.

وقد انتشر هذا التفسير انتشارًا واسعًا، ومما ساعد على ذلك طباعته على هوامش المصحف الشريف.

غير أن هذا التفسير رغم مكانته هذه لم يخل من مؤاخذات، ولم يحظ بما يستحقه من عناية كافية وتنبيه على ما فيه من مؤاخذات وأخطاء، وأهم هذه المؤاخذات على تفسير الجلالين هي:

١- الوقوع في تأويل الصفات.

٢- اشتماله على بعض الأحاديث الضعيفة والموضوعة وروايات لا أصل لها.

٣- وجود بعض الإسرائيليات.

٤- بعض الاختيارات المرجوحة في تفسير بعض الآيات.

وقد تتبع العلماء والمفسرون جملة من هذه الأخطاء وقاموا بالتنبيه عليها، ومنهم القاضي محمد كنعان في طبعة المكتب الإسلامي ببيروت (قرة العينين على تفسير الجلالين)، إلا أن الكتاب لم يستوعب جملة من الأخطاء التي وقع فيها مفسرا الجلالين، إضافة إلى بعض الأخطاء التي وقع فيها القاضي كنعان نفسه في التعليق، كما ذكر الشيخ محمد جميل زينو في

كتابه: «تنبيهات مهمة على قرّة العينين وتفسير الجلالين».

وكذا هناك تعليقات وتعقيبات نفيسة للدكتور محمد عبد الرحمن الخميس في رسالة صغيرة بعنوان «أنوار الهالين في التعقبات على الجلالين».

كما قام الشيخ صفى الرحمن المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ بالتعليق على التفسير المذكور في طبعة لدار السلام تعقب فيها الجلالين في تأويلهما لبعض الصفات... إلا أنه لم يستوعب ما وقع في الجلالين من تأويل.

وقد شرح الله صدري لاقتراح أحد الفضلاء - جزاه الله خيرًا - عليّ؛ أن أضع تعليقًا مختصرًا على ما وقع في هذا التفسير من تأويل لآيات الصفات؛ أين فيه عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهجهم، فانشرح صدري لذلك، فاشتغلت به على عجزى آملًا أن أنضم لهذه الكوكبة من أهل العلم والفضل، في بيان ما وقع فيه صاحب التفسير من تأويل لآيات الصفات، وعرض مذهب السلف الصالح فيها، مع التحذير مما وقع فيه من إسرائيليات وأقوال مردودة، مع كشف لبعض غوامض هذا التفسير وعباراته المبهمة، مع ضبط النص ومقابلته على أكثر من نسخة مطبوعة.

ومن هذه الطبعات:

- ١- طبعة دار إحياء الكتب العربية، البابي الحلبي مع حاشية الصاوي.
 - ٢- طبعة المكتبة التجارية مع حاشية الجمل.
 - ٣- طبعة دار المعرفة - بيروت ١٤١٦ هـ.
 - ٤- طبعة دار البشائر الإسلامية - دمشق ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.
 - ٥- طبعة دار السلام - الرياض، الطبعة الثانية ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م.
 - ٦- طبعة دار البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة السادسة ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م، المسمى (قرّة العينين على تفسير الجلالين) للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان.
- وقد جعلت طبعة دار إحياء الكتب العربية مع حاشية الصاوي هي الأصل المعتمد لدقتها وقلة أخطائها، وإذا حدث اختلاف في النسخ أعتمد الأقرب منها الأوفق للسياق والمعنى، وأشير إلى ذلك في الحاشية.

التعريف بالتفسير والمفسرين

أما التفسير:

فلم يضع الجلالان رحمهما الله تعالى لهذا التفسير اسمًا، بل عُرف بين العلماء بـ«تفسير الجلالين» وبـ«الجلالين» - اختصارًا - نسبة إليهما، وسماه بعضهم: «كتاب الجلالين في تفسير القرآن العظيم».

وقد اعتمد الجلالان في تفسيرهما هذا على عدد من التفاسير، أشار إليها الجلال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه: «بُغْيَةُ الوَعَاةِ فِي تَرَاجُمِ اللُّغَوِيْنَ وَالتَّحَاةِ» عند ترجمته للإمام مَوْفَى الدين: «أحمد بن يوسف الكواشي» الموصلي المفسر، المتوفى عام ستين وثمانمائة (٨٦٠هـ، الموافق ١٤٥٥م) حيث قال:

«وله التفسير الكبير والصغير، جَوَّدَ فِيهِ الإِعْرَابَ وَحَرَّرَ أَنْوَاعَ الْوُقُوفِ^(١)، وَأَرْسَلَ مِنْهُ نَسْخَةً إِلَى مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْقُدُسِ، قَلَّتْ^(٢): وَعَلَيْهِ اعْتَمَدَ الشَّيْخُ جَلَالُ الدِّينِ الْحَلِي فِي تَفْسِيرِهِ، وَاعْتَمَدَتْ عَلَيْهِ أَنَا فِي تَكْمِلَتِهِ مَعَ الْوَجِيزِ^(٣)، وَتَفْسِيرِ الْبِيضَاوِيِّ، وَابْنِ كَثِيرٍ».

ولم يكتب الجلال المحلي مقدمة ولا خاتمة للقسم الذي فسر، أما الجلال السيوطي فقد كتب مقدمة مختصرة في أول سورة «البقرة»، وكتب خاتمة للقسم الذي فسر، في آخر تفسير سورة «الإسراء».

وأما المفسران:

فقد أُلِفَ هَذَا التفسير عالمان جليلان؛ لقب كل منهما: «جلال الدين»، وهما:
الأول هو: أبو عبد الله: «محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد المحلي»، نسبة إلى «المحلة الكبرى» - مدينة في مصر - المتوفى عام أربعة وستين وثمانمائة (٨٦٤هـ، الموافق ١٤٥٩م). وهو الذي فسر: «فاتحة الكتاب» ومن أول سورة «الكهف» حتى آخر سورة «الناس».

والثاني هو: أبو الفضل: «عبد الرحمن بن كمال الدين - أبي بكر - الأسيوطي، أو: الشُّيُوطِي» - نسبة إلى «أسيوط أو شُيُوط» بضم الهمزة والسين - على خلاف بين العلماء -

(١) قوله: «وحرر أنواع الوقوف» أي: بيّن مواضع الوقف في القرآن الكريم وأنواعها؛ كالوقف التام والحسن والقيح... إلخ.

(٢) قوله: «قلّت» أي: الجلال السيوطي رَحِمَهُ اللهُ.

(٣) قوله: «مع الوجيز»: هو تفسير مختصر للشيخ أبي الحسن: علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، المتوفى عام ٤٦٨هـ.

إحدى مدن الجنوب في مصر، وتعرف الآن بـ«أسيوط» بفتح الهمزة، المتوفى عام أحد عشر وتسعمائة (٩١١هـ، الموافق ١٥٠٥م).

وهو الذي فسّر التمة، أي: من أول سورة «البقرة» إلى آخر سورة «الإسراء»، - وقد وهّم صاحب «كشف الظنون» في نسبة هذا القسم إلى الجلال المحلي.. وكان عمره إذ ذاك اثنتين وعشرين سنة أو أقلّ منها بشهور، وكان ذلك بعد وفاة الجلال المحلي بست سنين.

مكانة هذا التفسير بين العلماء وعنايتهم به:

لما كان كتاب الجلالين من أجل كتب التفسير، فقد أجمع على الاعتناء به جم غفير من أهل البصائر والتنوير، وتوجهت همهم لخدمته، فكان موضع اهتمام الشارحين والدارسين، وألفت فيه حواشٍ وشرح كثيرة؛ توضح مجمله، وتزيل غامضه، وتبين دقائقه، ومن أهمها:

١- حاشية للشيخ محمد بن عبدالرحمن العلقمي، المتوفى (٩٦٩هـ) سماها: «قَبَسُ النَّبِيرَيْنِ على تفسير الجلالين» فرغ من تأليفها عام (٩٥٢هـ). ولا تزال مخطوطة في المكتبة الظاهرية بدمشق.

٢- حاشية للشيخ محمد بن محمد الكرخي المتوفى، عام (١٠٠٦هـ) سماها: «مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ وَمَطْلَعُ الْبَدْرَيْنِ على الجلالين» في أربعة مجلدات، وله حاشية أخرى صغرى عليه في مجلدين. (غير مطبوعتين).

٣- حاشية للشيخ الحافظ الملا علي بن محمد القاري، المتوفى عام (١٠١٠هـ) سماها: «حاشية الجمالين على الجلالين» فرغ من تأليفها عام (١٠٠٤هـ) طُبِعَ جزءٌ منها.

٤- حاشية للشيخ سليمان بن عمر العجيلي الأزهري المعروف بـ«الجمال»، المتوفى عام (١٢٠٤هـ) سماها: «الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية» وهي في أربعة مجلدات، مطبوعة معروفة.

٥- حاشية لتلميذ الشيخ الجمل معروفة بـ«حاشية الصاوي على الجلالين»، ألفها الشيخ: أحمد ابن محمد الخلوتي الصاوي، نسبة إلى بلدة «صاء الحجر» في إقليم الغربية بمصر، المتوفى عام (١٢٤١هـ).

وهاتان الحاشيتان هما المشهورتان، المتداولتان من شروح «تفسير الجلالين».

٦- حاشية للشيخ سلام الله الدهلوي سماها: «حاشية الكمالين على الجلالين» طبعت عام (١٢٨١هـ).

٧- حاشية للشيخ محمد بن صالح أبي السعود السباعي الحفناوي المصري، المتوفى عام (١٢٦٨هـ) في ثلاثة مجلدات - مخطوطة..

٨- حاشية للشيخ سعد الله بن غلام القندهاري، سماها: «كشف المحجوبين عن خَدَي تفسير الجلالين» أو: «على تفسير الجلالين».

- ٩- حاشية للشيخ مصطفى الدّومي، المعروف بالدّوماني، ثم الصالحاني، المتوفّى في أوائل القرن الثالث عشر الهجري، في مجلدين سماها: «ضوء الثّيرين لفهم تفسير الجلالين».
- ١٠- حاشية للشيخ علي بن محمد عفيف الدين العقيلي الأنصاري الشافعي محدث الديار اليمنية، المتوفّى عام (١١٠١هـ).
- ١١- شرح على الجلالين للشيخ إسماعيل بن عبد الباقي اليازجي، المتوفّى عام (١١٢١هـ).
- ١٢- حاشية للشيخ عطية الله بن عطية البرهاني الأجهوري، المتوفّى عام (١١٩٠هـ)، وسماها: «كتاب الكوكبين الثّيرين في حلّ ألفاظ الجلالين».
- ١٣- حاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد التّطواني الحائك، المتوفّى عام (١٢٣٧هـ).
- ١٤- حاشية للشيخ عبد الله بن محمد الثّراوي المصري، المتوفّى عام (١٢٧٥هـ)، سماها: «قرة العين ونزهة الفؤاد» في أربعة مجلدات لا تزال بخطه محفوظة في المكتبة الأزهرية.
- ١٥- حاشية للشيخ أحمد بن عبد الكريم الثّرمانيني - نسبة إلى «ثّرمانين» إحدى قرى حلب - المتوفّى عام (١٢٩٣هـ).
- ١٦- حاشية للشيخ محمد بن عبد الله الحسيني الزّواك الحديدي الزّيدي، المتوفّى عام (١٣١١هـ).
- ١٧- حاشية للشيخ عبد الرحمن بن محمد القصري الفاسي، المتوفّى عام (١٠٣٦هـ).
- ١٨- «مَسْرُة العينين على تفسير الجلالين» للشيخ محمد بن خليل القاوقجي الطرابلسي، المتوفّى عام (١٣٠٥هـ)^(١).
- ١٩- «قَرّة العينين على تفسير الجلالين» للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان.
- ٢٠- هذا المختصر الذي سمّيته: «حاشية هداية الموحدين على تفسير الجلالين»،

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

منهج العمل في الكتاب

- ١- قمت بضبط النص وتصحيحه ومقابلته على النسخ المطبوعة المعتمدة، وجعلت طبعة «دار إحياء الكتب العربية مع حاشية الصاوي» هي الأصل المعتمد؛ لدقتها وقلة أخطائها، وعدم وجود سقط بها، ثم نسخة القاضي كنعان؛ «قرة العينين على تفسير الجلالين»، ثم نسخة الشيخ صفى الرحمن، وعند وجود اختلاف جوهري، أو سقط، أعتمد ما جاء في نسخة حاشية الصاوي إلا ما ظهر لي خطؤه، وهو نادر جدًا - مع الإشارة إلى الاختلاف أو السقط في نسخة القاضي خاصة، ووجه ذلك.
- ٢- تتبع ما وقع في الجلالين من تأويل لآيات الصفات، وبينت وجه مخالفتها لعقيدة السلف، وبينت عقيدة أهل السنة في تفسير هذه الآيات، في كل موضع وقف فيه على شيء من ذلك، ولم أكتف بتناول بعضها والإحالة عليه.
- وكان هذا الأمر هو مقصود الكتاب الأول عند بدء العمل فيه، وقد استفدت في هذا الباب مما كتبه المفسرون الذين اعتمدوا طريقة السلف ونصروا عقيدة أهل السنة والجماعة؛ كابن جرير، وابن كثير، والبغوي، وابن سعدي.
- كما استفدت كثيرًا مما كتبه بعض المتأخرين من أهل العلم ممن عرف بسلامة اعتقاده، ونصرتهم لعقيدة أهل السنة والجماعة في باب الأسماء والصفات؛ ممن تعقب بعض ما في الجلالين من تأويل، ومن ذلك:
- أ- «أنوار الهلالين في التعقبات على الجلالين» للدكتور محمد بن عبد الرحمن آل خميس.
- ب - «تنبيهات مهمة على قرة العينين وتفسير الجلالين» للشيخ محمد بن جميل زينو.
- ج - تعليقات الشيخ عبدالرزاق عفيفي رَحِمَهُ اللهُ عَلَى تَفْسِيرِ الْجَلَالِينَ؛ من سورة غافر إلى سورة الناس.
- د - «المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات» للشيخ محمد بن عبد الرحمن المغراوي.
- إضافة إلى بعض الكتب والرسائل المتفرقة في هذا الباب؛ كالعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية وشروحها.
- ٣ - بينت ما وقع في الجلالين من إسرائيليات؛ مما لا يجوز نسبته إلى أنبياء الله الكرام أو الملائكة، وذكرت أقوال السلف وكلام أهل التفسير في كل ذلك.
- ٤ - قمت بضبط وشكل الكلمات التي قد يُشكل على القارئ فهمها أو نطقها النطق الصحيح.
- ٥ - كما اجتهدت في وضع علامات الترقيم بما يحقق توضيح المعنى وفهم العبارة، وإزالة ما قد يعثر بها من لبس أو غموض.

- ٦- كما بينت ما وقع في الجلالين من عبارات غامضة أو كلمات مشككة. وقد جعلت الآيات التي يتناولها المفسران بالتفسير بلون مغاير لغيرها من الآيات التي يذكرها المفسران في ثنايا الشرح؛ للتسهيل على القارئ في الوصول إلى الآيات موضع الشرح، وحتى لا تلبس عليه بغيرها من الآيات؛ حيث إنني اعتمدت رسم المصحف في الآيات كلها، وليس فيما يفسره المفسران أصالة في كل سورة.
- ٧- بينت أوجه القراءات المختلفة التي تعرض لها المفسران، وعزوتها لأصحابها، مع بيان السببي منها من الشاذ. وذلك بالرجوع إلى كتب هذا الفن ومتخصصيه.
- ٨- تعقبت ما اعتمده المفسران من أقوال مرجوحة، وذكرت قول جماهير المفسرين في هذه المواضع، وما اختاره محققوهم كالطبري وابن كثير.
- ٩- قمت بعزو الآيات التي وردت في أثناء التفسير، كما قمت بتخريج الأحاديث تخريجاً مختصراً، مع بيان درجتها من الصحة والضعف.. إذا كانت في غير الصحيحين أو أحدهما؛ بالرجوع إلى علماء هذا الفن، وكان جلُّ اعتمادي على كلام الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ، وما لم أقف له فيه على قول؛ فكنت أرجع فيه لكلام الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ أو الشيخ الأرناؤوط رَحِمَهُ اللهُ. وإلا فكنت أرجع إلى كلام المتقدمين في ذلك كالهيثمي وابن حجر وغيرهما.
- ١٠- أثبت في الحاشية الأولى ما جاء من صحيح أسباب النزول، مكتفياً بما جاء في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.
- واقصرت فيه على الصحيح فقط؛ معتمداً في ذلك على ما صححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في كتبه، وأما ما لم أقف فيه على كلام الشيخ الألباني كما في مسند الإمام أحمد - غالباً - فقد رجعت فيه إلى كلام الشيخ أحمد شاكر رَحِمَهُ اللهُ في الجزء الذي أتمه من المسند، وكذا رجعت لتعليقات الشيخ شعيب الأرناؤوط رَحِمَهُ اللهُ في المسند.
- واكتفيت في أسباب النزول - في هذه الحاشية - بما صح في هذه الكتب فقط.
- وأما ما جاء في أسباب النزول - مما تعرض له المفسران - مما لم يصح في هذه الكتب الستة ومسند الإمام أحمد فقد جعلته في الحاشية الثانية.
- وكذلك ما ذكره المفسران في أسباب النزول في غير الكتب الستة ومسند أحمد - سواء أكانت صحيحة أم لا - فقد علقت عليها بالعزو والتصحيح أو التضعيف، في الحاشية الثانية.
- جعلت في هذه الحاشية بعض الفوائد المتعلقة ببعض السور أو الآيات من خلال الأحاديث الصحيحة في الكتب الستة ومسند الإمام أحمد.
- ١١- اعتمدت مصحف المدينة لانتشاره ولجمال خطّه، واجتهدت قدر الإمكان أن أجعل التفسير وحواشيه متوافقة مع صفحات المصحف الشريف، إلا في مواضع قليلة اضطرت

إليها لضيق المجال المتاح.

١٢- حيث إن «الجلالين» لم يتقيدا في تفسيرهما بقراءة أو رواية واحدة، ولم يلتزما بتقديم قراءة بعينها، مع ارتباط تفسيرهما بالقراءة أو الرواية التي اعتمداها؛ فقد تعذر اعتماد رواية بعينها مثل حفص عن عاصم، أو ورش أو غيرهما؛ ومن ثم فقد اعتمدت ما اعتمدها من قراءات أو روايات، وما خالف قراءة حفص جعلته بين معقوفين؛ هكذا [] .

وقد استغرق العمل في هذا الكتاب المبارك قرابة عشر سنوات كاملة، حرصت خلالها على عرضه على كثير من أهل العلم ممن لهم عناية خاصة بالتفسير والقرآن وعلومه، واستفدت من توجيهاتهم ونصائحهم، وقد حاز الكتاب والحمد لله إعجابهم وحظي بشنائهم، وشجعوا على إتمامه وإخراجه، حتى يسر الله ﷻ إخراجه على هذه الصورة الطيبة، فله سبحانه الحمد أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

وأسأل الله ﷻ أن يتقبل مني هذا العمل بأحسن قبول؛ فهو سبحانه أكرم مسئول، وأرجى مأمول، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، نافعا لعباده الموحدين. اللهم أنس به في القبر وحشتي، وفرج به يوم القيامة كربتي، ويمن به يوم النشور صحتي، وثبت به على الصراط محبتي...

وصلّى الله وسلم وبارك على خاتم النبيين والمرسلين وسيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين

وكتبه

أبو عبد الرحمن

هشام محمد سعيد برغش

الإسكندرية

ليلة الجمعة/ غرة جمادي الأولى ١٤٢٨ هـ

dr_hesham_barghash@hotmail.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

تَفْسِيرُ الْجَلِيلِ
وَمَعَهُ حَاشِيَةٌ هِدَايَةُ الْمُؤَحِّدِينَ

التفسير للإمامين

جَلَّالُ الدِّينِ
عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ السَّيُوطِي
(٨٤٩هـ - ٩١١هـ)

جلال الدین
محمد بن أحمد بن محمد المحلی
(۷۹۱ھ - ۸۶۴ھ)

وَالْحَاشِيَةُ

أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ هُشَيْبُ بْنُ مُحَمَّدٍ سَعِيدِ بْنِ بَرِ عَشْرَةَ

رَاجَعَهُ وَقَدَّمَ لَهُ

فضيلة الأستاذ الدكتور / أحمد عيسى المعصراني

شيخ عموم القاريء المصرية ورئيس لجنة المصحف بالأزهر الشريف

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

[مَكِّيَّةٌ، سَنِعُ آيَاتِ الْبِسْمَلَةِ إِنْ كَانَتْ مِنْهَا، وَالسَّابِعَةُ ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ﴾ إِلَى آخِرِهَا. وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مِنْهَا؛ فَالسَّابِعَةُ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ﴾ إِلَى آخِرِهَا، وَيُقَدَّرُ فِي أَوَّلِهَا: «قُولُوا»؛ لِيَكُونَ مَا قَبْلَ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ مَنَاسِبًا لَهُ بِكَوْنِهَا مِنْ قَوْلِ الْعِبَادِ] (*) (١)

[١] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[٢] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ جملة خبرية فُصِّدَ بها الثناء على الله بمضمونها على أنه - تعالى -: مالكٌ لجميع الحمد من الخلق، أو مستحقٌّ لأنَّ يحمدوه، (والله) عَلَّمَ على المعبود يَحَقُّ ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي: مالكٌ جميع الخلق؛ من الإنس والجن والملائكة والدواب وغيرهم، وكل منها يُطْلَقُ عليه عالم؛ يقال: عالم الإنس وعالم الجن إلى غير ذلك، وَغُلِبَ في جمعه بالياء والنون أولي (٢) العلم على غيرهم، وهو (٣) من العلامة؛ لأنه علامة على موجدِه.

[٣] ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي: ذي الرحمة، وهي: إرادة الخير لأهله (٤). [٤] ﴿يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٥) يَوْمِ الدِّينِ أي: الجزاء؛ وهو: يوم القيامة، وَخُصَّ بالذكر؛ لأنه لا ملك ظاهراً فيه أحد إلا لله - تعالى -: بديلين ﴿لِمَنِ الْأُمُورُ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ (٦)، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿مَلِكٍ﴾ فَمَعْنَاهُ: مالك الأمر كله في يوم القيامة، أو هو موصوفٌ بذلك دائماً؛ كـ ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ﴾ (٧)؛ فَصَغُ وَقُوْعُهُ صِفَةٌ لمعرفة.

[٥] ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أي: نخضع بالعبادة من توحيد وغيره، ونطلب المعونة على العبادة وغيرها.

[٦] ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ أي: أرشدنا إليه، وَيُجَدَّلُ مِنْهُ (٨):

[٧] ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ بالهداية، وَيُجَدَّلُ مِنْ ﴿الَّذِينَ﴾ بِصَلَاتِهِ (٩): ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ وهم: اليهود ﴿وَلَا﴾

وغير ﴿الضَّالِّينَ﴾ (١٠) وهم: النصارى. وَنَكْتُهُ البديل إفادة أن المهتدين ليسوا يهوداً ولا نصارى. والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا دائماً أبداً، وحسبنا الله

ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك. قال هذا ملك نزل إلى الأرض لم ينزل قط إلا اليوم فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. مسلم - كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٤٣) فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، وأخرج النسائي عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله ﷻ في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن، وهي السبع المثاني». النسائي - كتاب الافتتاح (١١) باب (٢٦)، وأخرجه الترمذي مطولاً، وفيه: «والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلاً». كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (١). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٣٠٧).

(١) في الأصل - من حيث وضع نسخ الجلال (أي السيوطي) - أورد تفسير سورة الفاتحة بعد سورة الناس؛ حيث إن المحلي هو الذي فسرها بعد سورة الناس؛ فجعلها السيوطي خاتمة وآخر التفسير؛ ليكون تفسير المحلي منضماً بعضه إلى بعض.

(٢) في بعض النسخ: «أولوه» على تقدير نائب فاعل لأغلب.

(٣) أي: العالم.

(٤) وهذا التأويل هو مذهب الثائرين من أشعرية ومعتزلة وغيرهما، ومذهب لسلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما ثبت بالكتاب والسنة على الوجه اللائق به - شيخائهم - ومن لوازمها إرادة الخير والإحسان والإنعام بن رحمه.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عمر وحزمة، وقرأ عاصم والكسائي: ﴿مَلِكٍ﴾ (٦) غافر: ١٦. (٧) غافر: ٣. (٨) أي: بدل كل من كل، وهو قوله بعدها: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾، وفائدته التوكيد وانتصيص على أن صراط المسلمين هو المشهور عليه بالاستقامة على أكيد وجه وأبغ.

(٩) أي: إن ﴿غَيْرِ﴾ بدل من ﴿الَّذِينَ﴾، وقيل: هي نعت للذين.

(١٠) فائدة: خبر الفاتحة قوله - تعالى -: ﴿وَلَا الضَّالِّينَ﴾، وأما لفظ «آمين» فليس منها ولا من القرآن مطلقاً، بل هو شئ، وهو اسمٌ فقلي؛ بمعنى: «اللهم استجب».

بذكر أفعال غير مرضية وأعاريب محلها كتب العربية، والله أسأل النفع به في الدنيا وأحسن الجزاء عليه في العقبى بمه وكرمه.

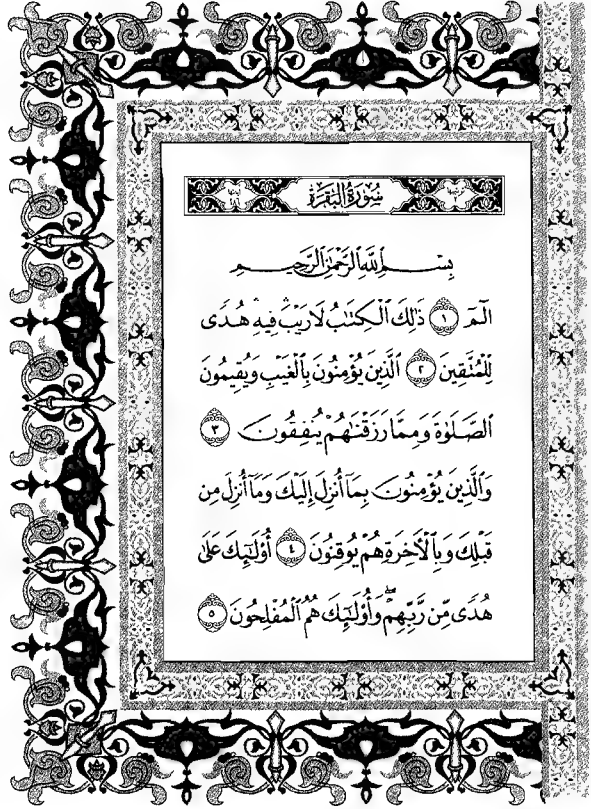
[١] ﴿الْعَرَبُ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: هذا ﴿الْكِتَابُ﴾ الذي يقرؤه محمد ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ أنه من عند الله، وجملة النفي خير مبتدؤه ﴿ذَلِكَ﴾، والإشارة به للتعظيم ﴿هُدًى﴾ خبر ثانٍ؛ أي: هادٍ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ الصائرين إلى التقوى بامتنال الأوامر واجتناب النواهي لاتقانهم بذلك النار.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون ﴿بِالْغَيْبِ﴾ بما غاب عنهم من البعث والجنة والنار ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ أي: يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُقِفُّونَ﴾ في طاعة الله.

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ أي: التوراة والإنجيل وغيرهما ﴿وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يعلمون^(١).

[٥] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ اغاثزون بالجنة الناجون من النار.



سُورَةُ الْبَقَرَةِ

[مدنية، مائتان وست أو: سبع وثمانون آية]*

مقدمة السيوطي رَحِمَهُ اللهُ:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الحمد لله حمداً موافقاً لنعمه مكافئاً لمزيد، والصلاة والسلام على محمد وآله وصحبه وجنوده. هذا ما اشتملت إليه حاجة الراغبين في تكملة تفسير القرآن الكريم الذي ألفه الإمام العلامة المحقق جلال الدين محمد بن أحمد المحلي الشافعي رَحِمَهُ اللهُ وتتميم ما فاتته وهو من أول سورة البقرة إلى آخر الإسراء. بتتمة على نمط من ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعرا ب ما يحتاج إليه، وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز وترك التطويل

(م) فائدة: أخرج البخاري عن يوسف بن ماهر قال: إني عند عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللهُ عَنْهَا إذ جاءها عراقي فقال: أي الكفن خير؟ قالت: ويحك، وما يضرك! قال: يا أم المؤمنين، أريني مصحفك، قالت: لم؟ قال: لعلني أؤلف القرآن عليه؛ فإنه يقرأ غير مؤلف، قالت: وما يضرك أي؟ قرأت قبل؟ إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر اخنة والنار، حتى إذا تاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب: ﴿بَلِ الشَّكَاةُ تُوقِعُهُمْ وَالْكَاشَةُ أَحْيِيهِمْ وَأَمْزُ﴾، وم نزلت سورة البقرة ونساء إلا وأنا عنده، قال: فأخرجت له المصحف، فأملت عليه آي السور. البخاري كتاب فضائل القرآن (٦٦) باب (٦) تأليف القرآن.

(١) من هنا إلى آخر سورة الإسراء من وضع السيوطي، وكان المحلي قد بدأ في تفسير البقرة، وبعد أن مضى في تفسير آيات يسيرة توفاه الله، وليس لدينا علم عن كم ما فسر المحلي من آيات. (٢) أي: علما قطعاً لا شك فيه.

[٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كأي جهل وأبي لهب ونحوهما ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه^(١)، ﴿أَمْ لَمْ نُؤْمِنْمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لعلم الله منهم ذلك، فلا تطمع في إيمانهم، والإنذار إعلام مع تخويف.

[٧] ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ طبع عليها واستوثق؛ فلا بدخلها خير ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ أي: مواضعها؛ فلا ينفقون بما يسمعون من الحق ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاةٌ﴾ غطاء؛ فلا يبصرون الحق ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قوي دائم.

[٨] ونزل في المنافقين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: يوم القيامة؛ لأنه آخر الأيام ﴿وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ زوعي فيه معنى ﴿مَنْ﴾، وفي ضمير ﴿يَقُولُ﴾ لفظها.

[٩] ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ بإظهار خلاف ما يبطنونه من الكفر؛ ليدفعوا عنهم أحكامه الدينية، ﴿وَمَا يُخَادِعُونَ﴾^(٢) إلاً أنفسهم ﴿لأن وتال﴾ خداعهم راجع إليهم؛ فيفتضحون في الدنيا بإطلاع الله نبيّه على ما أبطنوه، ويُعاقبون في الآخرة ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يعلمون أن خداعهم لأنفسهم، والمخادعة هنا من واحد؛ كـ «عاقبت اللص»، وذكر الله فيها تحسين^(٣)، وفي قراءة: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾.

[١٠] ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَّرْسٌ﴾ شك ونفاق، فهو يمرض قلوبهم أي: يضعفها ﴿فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ بما أنزله من القرآن لكفرهم به ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿يَمَّا كَانُوا﴾ [يَكُونُونَ] بالتشديد أي: نبي الله، وبالتخفيف أي: قولهم: ﴿وَأَمَّا﴾^(٤).

[١١] ﴿وَلِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: لهؤلاء: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والتعويق عن الإيمان ﴿قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ وليس ما نحن فيه بفساد. قال الله - تعالى - ردّاً عليهم: [١٢] ﴿أَلَا لِلنَّبِيِّ هُمْ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[١٣] ﴿وَلِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاتُوا مِثْلَ مَاتِ النَّاسِ﴾ أصحاب النبي ﷺ، ﴿قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ الجاهل؛ أي: لا نفعل كفعولهم. قال - تعالى - ردّاً عليهم: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[١٤] ﴿وَلِذَا لَقُوا﴾ أصله «القبوا»؛ حذف الضمة؛ للاستئفال ثم الباء؛ لاتِّفَاقِها ساكنة مع الواو ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا﴾ منهم ورجعوا ﴿إِلَى شَطِيطِينَ﴾ رؤسائهم ﴿قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ﴾ في الدين ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ بهم بإظهار الإيمان.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَةَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاتُوا مِثْلَ مَاتِ النَّاسِ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَوُا أُنْسَهُمْ بِإِلَهِيهِمْ فَمَا رَاحَتِ رُوحُكُمْ عَنْهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٥﴾

[١٥] ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ يجازيهم باستهزائهم^(٥)، ﴿وَيَسْتَكْذِبُ﴾ يجهلهم ﴿فِي طُعْنَتِهِمْ﴾ بتجاوزهم الحد في الكفر ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون تحييراً، حال^(٦).

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَوُا أُنْسَهُمْ بِإِلَهِيهِمْ﴾ أي: استبدلوا به ﴿فَمَا رَاحَتِ رُوحُكُمْ عَنْهُمْ﴾ أي: ما ربحوا فيها؛ بل خسروا لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ فيما فعلوا.

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وقالوا وهشام ورش إبدالها ألفاً خالصة والمدة قدر ألف، فإذا كان بعدها ساكن مد للساكين. وفصل أبو عمرو وقالوا وهشام من طريق الخليلي بين الهمزتين بالألف. وهكذا في جميع النظائر من كل همزتين مجتمعين في كلمة، إلا ما يأتي النص على خلافه ويأنه إن شاء الله. وأجمعوا على عدم الفصل في قوله - تعالى -: ﴿أَلَيْسَ كَقَرْبِ﴾ وسهل همزتها الثانية نفع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر.

(٢) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرا الباقون ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ﴾. (٣) أي: لكلام، وكأنه إجابة سؤال تقديره: كيف يَخَادِعُ الله: أي: يبتال عليه وهو يعلم الضمائر؟! فيجيب عنه بما ذكر.

(٤) والتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، والتخفيف قراءة الباقين. (٥) وهذا تأويل، والصواب في هذا ونحوه إيلائه على ما يبيح لجلال الله وعظمته من غير أن يشق له اسم أو صفة؛ فلا يقال: ماكر ولا مخادع ولا مستهزئ. تعالى الله عن ذلك. قال ابن القيم: «وقد قيل: إن تسمية ذلك مكراً وكيداً واستهزاءً وخداعاً من باب الاستعارة ومجاز المقالة... وقيل - وهو أصوب -: بل تسمية ذلك حقيقة على بابه...» [إعلام الموقعين (٣/ ٢١٨، ٢١٩)]. ومن ذلك ما أخبر - شيخنا - أنه يفعله بالنافقين في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ تَوَكُّبِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَارْتَعِبُوا قُلُوبُهُمْ فَلَا يَشْعُرُ مِنْهُمْ شَيْئاً﴾ [٢١٨، ٢١٩].

(٦) أي: إن جملة ﴿يَعْمَهُونَ﴾ في محل نصب على الحال، إما من الضمير في ﴿وَيَسْتَكْذِبُ﴾ أو من الضمير في ﴿طُعْنَتِهِمْ﴾.

السحاب^(٤) ﴿ظَلُمْتُ﴾ متكاثفة ﴿وَرَعَدُ﴾ هو الملك الموكل به، وقيل: صوته ﴿وَرَقِقَ﴾ لمان سوطيه الذي يزجره به ﴿يَجْعَلُونَ﴾ أي: أصحاب الصيب ﴿أَصْبَعَهُمْ﴾ أي: أناملهم ﴿فِي مَآذِنِهِمْ مِنْ﴾ أجل ﴿الْقَوَائِمِ﴾ شدة صوت الرعد؛ لئلا يسمعوها ﴿حَذَرَ﴾ خوف ﴿الْمَوْتِ﴾ من سماعها؛ كذلك هؤلاء إذا نزل القرآن، وفيه ذِكْرُ الكفر المشبه بالظلمات، والوعيد عليه المشبه بالرعد، والحجج البينة المشبهة بالبرق يسدون أذانهم؛ لئلا يسمعه فيميلوا إلى الإيمان وترك دينهم وهو عندهم موت ﴿وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ علماً وقدره؛ فلا يفوتونه.

[٢٠] ﴿يَكَادُ﴾ يقرب ﴿الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾ يأخذها بسرعة ﴿كَلَّمَا أَصَاءَ لَهُمْ مَتَنَوًّا فِيهِ﴾ أي: في ضوئه ﴿وَإِذَا أَقْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾ وقفوا، تمثيل لإزعاج ما في القرآن من الحجج قلوبهم، وتصديقهم لما سمعوا فيه مما يحبون، ووقوفهم عما يكرهون. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ﴾ بمعنى أسماعهم ﴿وَأَبْصَرَهُمْ﴾ الظاهرة كما ذهب بالباطنة ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَءُوفٌ قَدِيرٌ﴾ ومنه إذهاب ما ذُكِرَ.

[٢١] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ﴾ أي: أهل مكة ﴿أَعْبَادُهَا﴾ وحُدودها ﴿وَرَبِّكَمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أنشأكم ولم تكونوا شيئاً ﴿وَوَجَّهَ خَلْقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لِمَ تَكُونُ لَكُمْ تَقْنُونَ﴾ بعبادته عباده، ولعل في الأصل للترجي، وفي كلامه - تعالى - للتحقيق. [٢٢] ﴿الَّذِي جَعَلَ خَلْقَ لَكُمْ الْأَرْضَ رِشَاءً﴾ حال^(٥)، بساطاً يُفْتَرَشُ، لا غاية في الصلاة أو الليونة فلا يمكن الاستقرار عليها ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَاءً﴾ سقفا ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسور من مثله. وأدعوا شُهَدَاءَكُمْ من دون الله إن كنتم صديقين ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾

[٢٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ محمد من القرآن أنه من عند الله ﴿فَاتَّقُوا يَسُورَ رَبِّكُمْ﴾ أي: المنزل، (ومن) للبيان؛ أي: هي مثله في البلاغة وحسن النظم والإخبار عن الغيب. «والسورة قطعة لها أول وآخر، أفلها ثلاث آيات»^(٦)، ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ﴾ ألهمكم التي تعبدونها ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: من غيره لتعينكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن محمداً قاله من عند نفسه فافعلوا ذلك، فإنكم عربون فصحاء مثله. ولما عجزوا عن ذلك قال - تعالى - [٢٤] ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ ما ذُكِرَ لمعجزهم ﴿وَكُنْ تَفْعَلُوا﴾ ذلك أبداً؛ لظهور إعجازه، اعتراض^(٧)، ﴿فَاتَّقُوا﴾ بالإيمان بالله، وأنه^(٨) ليس من كلام البشر ﴿الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ كآصنامهم منها؛ يعني: أنها مفرطة الحرارة تنقد بما ذُكِرَ، لا كنار الدنيا تنقد بالحطب ونحوه ﴿أُعِدَّتْ﴾ هُيئَتْ ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ يُعَذِّبُونَ بها، جملة مستأنفة^(٩) أو حال لازمة^(١٠).

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٧﴾ صُمُّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرُّ يُجْعَلُونَ أَصْلِعُهُمْ فِيءَ أَذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كَلَّمَا أَصَاءَ لَهُمْ مَشْوَافِهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرَهُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَعْبَادُ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾

[١٧] ﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم في نفاقهم ﴿كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْفَدَ﴾ أوقد ﴿نَارًا﴾ في ظلمة ﴿فَلَمَّا أَضَاءَتْ﴾ أنارت ﴿فَمَا حَوْلَهُ﴾ فأبصر واستدفأ وأمن من يخافه ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ أطفاله، وجميع الضمير مراعاة لمعنى ﴿الَّذِي﴾^(١)، ﴿وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ما حولهم، متحيرين عن الطريق، خائفين؛ فكذلك هؤلاء أمثوا بإظهار كلمة الإيمان؛ فإذا ماتوا جاءهم الحشر والعذاب.

[١٨] هم ﴿عُمْيٌ﴾ عن الحق فلا يسمعون سماع قبول ﴿بِكُمْ﴾ خرس عن الخير فلا يقولونه^(٢) ﴿عُمْيٌ﴾ عن طريق الهدى فلا يرونه^(٣) ﴿فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ عن الضلالة.

[١٩] ﴿أَوْ﴾ مَثَلُهُمْ ﴿كَصَيْبٍ﴾ أي: كأصحاب مطر، وأصله صوب من صاب يصوب أي: يزل ﴿مِنْ السَّمَاءِ﴾ السحاب ﴿فِيهِ﴾ أي:

(١) وهو جعلها بمعنى: الذين.

(٢) وظاهر النظم، وكلام كثير من المفسرين أن الضمير راجع للصب.

(٣) أي: من الأرض، وهذا بناء على ما جرى عليه من أن ﴿جَعَلَ﴾ بمعنى: «خَلَقَ» التعددي لواحد وهو الأرض، وجرى غيره على أنه بمعنى: «صَنَعَ»، وأن ﴿وَرَبَّكَ﴾ المفعول الثاني.

(٤) بيان خذلها من الواقع؛ فإن أقصر سورة ثلاث آيات، وليس من التعريف، ولو فرض أنها آيات لمعجزوا أيضاً.

(٥) أي جملة: ﴿وَكُنْ تَفْعَلُوا﴾ معترضة بين الشرط وجوابه، ومعنى الاعتراض في الغالب التوكيد.

(٦) أي: وبأنه.

(٧) أي: لا ارتباط لها بما قبلها، وقعت في جواب سؤال مقدر، تقديره: هذه النار التي وقودها الناس والحجارة لمن؟

(٨) أي: والتقدير: فاتقوا النار حال كونها معدة ومهيأة للكافرين، ودفع بقوله: «لازمة» ما قيل: إنها معدة للكافرين اتقوا أم لم يتقوا. «حاشية الصاوي».

(٩) أي: رؤية نافعة.

(١٠) أي: قولاً مطابقاً للواقع؛ لما سبق أنهم مؤمنون بظاهرها.

[٢٥] وَيَتَذَكَّرُ الَّذِينَ آمَنُوا صدقوا بالله وعملوا الصالحات من الفروض والنوافل [أن] أي: بأن [لهم جنات] حدائق ذات أشجار ومساكن [تجري من تحتها أي: تجري من تحت أشجارها وقصورها] [الأنهار] أي: المياه فيها، والنفث الموضع الذي يجري فيه الماء؛ لأن الماء ينثثر أي: يحفره، وإسناد الجري إليه مجاز [كأنهم زرقوا فيها] أعطعروا من تلك الجنات [من كثر زرقا قالوا هذا الذي] أي: مثل ما [زرعنا من قبل] أي: قبله في الجنة^(١)، لتشابه ثمارها، بقرينة [وأنا يومئذ] أي: حينئذ بالزرق [نشتكيها] يشبه بعضه بعضاً لونا ويختلف طعماً [ولهم فيها أزواج مطهرة من الحور وغيرها] مطهرة من الحيض وكل قذر^(٢) [وهم فيها خالدون] ما يكون أبداً، لا يفنون^(٣)، ولا يخرجون. وتزل^(٤) رؤا لقول اليهود لما ضرب الله المثل بالذباب في قوله: [ولن يسئلهم الذناب شيئا] والعنكبوت في قوله: [كمنثل العنكبوت] أي: [إن الله لا يستحي] يذكر هذه الأشياء الخسيسة؟ فأنزل الله: [٢٦] [إن الله لا يستحي] أن يضرب به **مثلاً** مفعول أول [مما] نكرة موصوفة بما بعدها، مفعول ثان: أي: أي مثل كان، أو زائدة لتأكيد الخسيسة^(٥)، فما بعدها المفعول الثاني [بعوضة مفرد البعوض] وهو صغار البق [فما فوقها] أي: أكبر منها؛ أي: لا يترك بيانه لما فيه من الحكم [فأنا الذين آمنوا يفعلون] أي: المثل [الحق] الثابت الواقع موقعه [بين ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا] تمييز^(٦)؛ أي: بهذا المثل، وما استفهام إنكار مبتدأ، وذا بمعنى الذي يصلته خبره؛ أي: أي فائدة فيه؟ قال - تعالى - في جوابهم: [يؤسف يومئذ] أي: بهذا المثل [كثيرا] عن الحق لكفرهم به [ويهدى يومئذ كثيرا] من المؤمنين لتصديقهم به [وما يؤسف يومئذ إلا المنافقين والخارجين عن طاعته].

[٢٧] [الذين] نعت [يتفنون عهد الله] ما عهده إليهم في الكتب من الإيمان بمحمد ﷺ [ومن يبدى مشيئة] توكيده عليهم [ويقتلون ما أمر الله يومئذ أن يؤصل] من الإيمان بالنبي والرحم وغير ذلك، [وأن] بدل من ضمير «به» [وتفنون في الآزمنة] بالمعاصي والتعويق عن الإيمان [أولئك] الموصوفون بما ذكر [هم الخاسرون] لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم. [٢٨] [كيف تكفرون] يا أهل مكة [والله و] قد [كنتم أمواتا] نطقاً في الأصلاب [فأنحيكم] في الأرحام والدنيا بنفخ الروح فيكم، والاستفهام للتعجب من كفرهم مع قيام البرهان أو للتوبيخ [فم يمينكم] عند انتهاء آجالكم [فم يحييكم] بالبعث [ثم إليه]

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كَمَا زُرْقُوا مِنْهَا مِنْ شَمْرِ رِزْقًا فَالَوْ هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُوبَ بِهِ مُتَشَبِّهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَّا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٨﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٩﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٠﴾

تُرْمَتُونَ تردون بعد البعث فيجازيكم بأعمالكم. وقال دليلاً على البعث لما أنكروه: [٢٩] [هو الذي خلق لكم ما في الأرض] أي: الأرض وما فيها [جميعاً] تنتفعوا به وتعتبروا [ثم استوى] بعد خلق الأرض أي: قصد^(١) [إلى السماء فسوَّهنَّ] الضمير يرجع إلى السماء؛ لأنها في معنى الجملة الآيلة إليه؛ أي: صيرها؛ كما في آية أخرى: [ففضَّهنَّ] أي: سَمَوَاتٍ وهو بكل شيء عليم مجعلاً ومفصلاً، أفلا تعتبرون أن القادر على خلق ذلك ابتداءً. وهو أعظم منكم. قادر على إعادتكم!؟

(١) أشار بذلك إلى رد ما قيل: إن المراد بقوله: [من قبل] في الدنيا، وقوله: [وأنا يومئذ] أي: يشبه لمر الدنيا في الصورة.

(٢) أي ساء الدنيا، وهن يكر أحمل من الحور العين - كما جاء به الحديث.

(٣) كالنفاس والمخاط والصفاق.

(٤) أي: أي: ولا يمرضون.

(٥) أي: قوله - تعالى -: [إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها] [البقرة: ٢٦].

(٦) الحج: ٧٣.

(٨) ومعنى [لا يستحي] أي: لا يستكف، وقيل: لا يخشى.

(٩) فليست زيادة محضة، وكذا أي زائد في القرآن عند من يقول به. (١٠) أي: من اسم الإشارة تمييز نسبة، وهي نسبة التعجب والإنكار إلى المشار إليه.

(١١) وكذا فسره ابن كثير هنا، فقال: أي قصد إلى السماء، والاستواء هنا مضمن معنى القصد والإقبال؛ لأنه عدي بالآلة. اهـ. وهذا التفسير مخالف لما رواه البخاري في صحيحه؛ حيث نقل عن مجاهد وأبي العالية: معنى [استوى] أي: علا وارتفع، واختاره الطبري. وقال ابن عثيمين: [إلى أهل السنة في تفسيرها قولين: أحدهما: أنها بمعنى ارتفع إلى السماء... القول الثاني: أن الاستواء هنا بمعنى القصد التام، وإلى هذا القول ذهب ابن كثير في تفسير سورة البقرة، والبيوي في تفسير سورة فصلت... وهذا الكلام ليس صرفاً للكلام عن ظاهره؛ وذلك لأن الفعل «استوى» اقترن بحرف يدل على الغاية والانتهاج؛ فننقل إلى معنى يناسب الحرف المقترن به... القواعد المتلى لابن عثيمين ص ٥٧، ٥٨.

(١٢) فصلت: ١٢.

أي: وجهها؛ بأن قبض منها قبضة من جميع ألوانها، وَجِئَتْ بالمياه المختلفة، وَسَوَّاهُ، ونفخ فيه الروح؛ فصار حيواناً حساساً بعد أن كان جماداً.

[٣١] ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ﴾ أي: أسماء السميات ﴿كُلُّهَا﴾ حتى القصعة والفصيلة، والفسوة والفسيحة والبغرفة^(٨)، بأن ألقى في قلبه علمها ﴿فَنُمَّ عَرَضَهُمْ﴾ أي: السميات، وفيه تغليب العقلاء^(٩) ﴿وَعَلَى الْمَلَكِ فَقَالَ لَهُمْ تَبَكُّوا﴾: أُنَبِّئُونِي، أخبروني بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ، السميات، إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، في أنني لا أخلقُ أُعَلِّمُ منكم، أو أنكم أحق بالخلافة، وجواب الشرط دَلَّ عَلَيْهِ ما قبله. [٣٢] ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ﴾ تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك ﴿لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾ إِيَّاهُ ﴿إِنَّكَ أَنْتَ تَكْنِى لِلْكَافِ الْعَلِيمِ الْحَكِيمِ﴾ الذي لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. [٣٣] ﴿قَالَ تَعَالَى﴾: يَتَكَادَمُ أَفْنُهُمْ، أي: الملائكة يَتَكَادَمُونَ، السميات؛ فسعى كُلُّ شَيْءٍ باسمه، وَذَكَرَ حكمته التي خلُقَ لها ﴿فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَتَمِّهِمْ قَالَ﴾ - تعالى - لهم مُؤَبَّحًا: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَكَلْتُ مِنْ لَدُنْهُ عِشْيَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ ما غَابَ فيهما ﴿وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ﴾ ما تظهرون من قولكم: ﴿أَتَجْمَلُ فِيهَا﴾ إلخ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ تُبْشِرُونَ من قولكم: لن يخلق أكرم عليه منا ولا أعلم.

[٣٤] ﴿وَقَدْ أَذَكَّرْ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء^(١٠) ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ هو أبو الجن، كان بين الملائكة ﴿أَبَى﴾ امتنع من السجود ﴿وَأَسْتَكْبَرُ﴾ تَكَبَّرَ عنه، وقال: أنا خير منه، ﴿وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ في علم الله. [٣٥] ﴿وَقُلْنَا يَتَكَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ﴾ تأكيد للضمير المستتر؛ ليغفط عليه ﴿وَزَوْجُكَ﴾ حواء - يَلِدُ - وكان خلقها من ضعه الأيسر ﴿الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا﴾ أكلًا ﴿وَرَعَدًا﴾ واسعاً لا حجر فيه ﴿حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

وَأَذَقْنَا لِرَبِّكَ لِلْمَلَكِ كَيْفَ إِنْ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَكِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ قَالَ يَتَكَادَمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ قَالُوا أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَكَلْتُ مِنْ لَدُنْهُ عِشْيَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ وَأَذَقْنَا لِرَبِّكَ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ وَقُلْنَا يَتَكَادَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ

[٣٠] ﴿وَقَدْ أَذَكَّرْ﴾ يا محمد ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِ كَيْفَ إِنْ جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ يخلفني في تنفيذ أحكامي فيها وهو آدم^(١١) ﴿قَالُوا أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا بِالْعَاصِي﴾ وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ، يريقها بالقتل؛ كما قُتِلَ بَنُو الْجَانِّ، وكانوا فيها، فلما أفسدوا أرسل الله عليهم الملائكة فطردوهم إلى الجزائر والجبال ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ﴾ متلبسين ﴿بِحَمْدِكَ﴾ أي: نقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ننزهك عما لا يليق بك، فاللام زائدة^(١٢)، والجملة حال^(١٣)؛ أي: فنحن أحق بالاستخلاف^(١٤) ﴿قَالَ تَعَالَى﴾: إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ، من المصلحة في استخلاف آدم، وأن ذريته فيهم الطيبين والعاصي؛ فيظهر العدل بينهم، فقالوا^(١٥): لن يخلق ربنا خلقاً أكرم عليه منا ولا أعلم؛ لسبقنا له^(١٦)، ورؤيتنا ما لم يره^(١٧)؛ فخلق الله - تعالى - آدم من أديم الأرض؛

(١) قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً قرناً بعد قرن وجيلاً بعد جيل، كما قال - تعالى -: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلِيفَةَ فِي الْأَرْضِ﴾ وقال: ﴿وَيَجْعَلُ لَكُمْ خَلِيفَةً...﴾ وليس المراد هنا بالخليفة آدم (عليه السلام) فقط؛ كما يقوله طائفة من المفسرين... إذ لو كان ذلك لما حسن قول الملائكة: ﴿أَتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾. اهـ.

(٢) أي: لتأكيد التخصيص، ويحتمل أنها للندبة والتعليل؛ أي: ننزهك لك، لا طمناً ولا خوفاً؛ وإنما بديانك فقط. (٣) أي: جملة قوله: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾.

(٤) ليس المقصود من ذلك الاعتراض على الله، ولا احتقار آدم، وإنما ذلك لطلب جواب يريحهم من الغناء؛ حيث وقعت المشورة من الله لهم.

(٥) أي: سؤاً. (٦) فنحس أكرم.

(٨) سقط من الأصل: (حتى القصعة والفصيلة، والفسوة والفسيحة والمعرفة). والنبث من نسخة حاشية الصاوي عني الجلالين، وفي هذا إشارة إلى كونه تعلم جميع الأسماء؛ شريفة وخسيسة، وحكمتها أيضاً.

(٩) أي: في الضمير في: ﴿عَرَضَهُمْ﴾ تغليب «العقلاء»؛ وهم: الجن والإنس والملائكة على غير العقلاء والجمادات؛ حيث لم يقل: «عرضه».

(١٠) وحكي القرطبي عن الجمهور: أن المراد هنا هو السجود بوضع الجبهة على الأرض؛ كالسجود المعتاد في الصلاة؛ لأنه الظاهر من السجود في العرف والشرع.

(١١) الأولى أَلَا تَعْلَمُونَ من غير دليل قاطع. (١٢) لحمزة.

(١٣) (١٤) الأعراف: ٢٣. (١٥) لابن كثير.

[٣٨] ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا﴾ من الجنة ﴿جَمِيعًا﴾ كَرُورُهُ؛ لِيُعْطِفَ عَلَيْهِ ﴿فَإِمَّا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِنْ﴾ الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾ كتاب ورسول ﴿فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ﴾ فَمَنْ بِي وعمل بطاعتي ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة؛ بَأَن يَدْخُلُوا الجنة.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ كتبنا ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ فيها خَالِدُونَ؛ ما يكون أبدًا، لا يفنون ولا يخرجون. [٤٠] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أولاد يعقوب ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على آباءكم من الإنجاء من فرعون، وفق البحر، وتظليل الغمام، وغير ذلك بَأَن تَشْكُرُوهَا بطاعتي ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي عهدته إليكم من الإيمان بمحمد ﴿أَوْفُوا بِعَهْدِي﴾ الذي عهدت إليكم من الثواب عليه بدخول الجنة ﴿وَأَيُّ قَارِعُهُنَّ﴾ خافون في ترك الوفاء به دون غيري. [٤١] ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ﴾ من القرآن ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ من التوراة بموافقتها له في التوحيد والنبوة ﴿وَلَا تَكُونُوا أَزْوَاجًا ظَالِمِينَ﴾ من أهل الكتاب؛ لَأَن خَلَفَكُمْ تَبِعَ لَكُمْ؛ فإثمهم عليكم ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ تستبدلوا ﴿يَاتِيَنِي﴾ التي في كتابكم من نعت محمد ﷺ ﴿نَسَبًا﴾ قِيلًا؛ غَرَضًا يَسِيرُ من الدنيا؛ أي: لا تكتسبوا خوف قَوَاتٍ ما تأخذونه من سفليكم^(١) ﴿وَأَيُّ قَاتِلُونَ﴾ خافون في ذلك دون غيري. [٤٢] ﴿وَلَا تَلْسَبُوا﴾ تخططوا ﴿الْحَقَّ﴾ الذي أنزلت عليكم ﴿بِالْبُطْلِ﴾ الذي تَقْرَأُونَ ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ أنه الحق.

[٤٣] ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ صلوا مع المصلين محمد وأصحابه. وَنَزَلَ في علمائهم - وكانوا يقولون لأقربائهم المسلمين: اثبتوا على دين محمد؛ فإنه حقٌّ :: [٤٤] ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ﴾ بالإيمان بمحمد وَنَسَبُونَ أَنْفُسَكُمْ تتركونها فلا تأمرونها به وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ التوراة، وفيها الوعيد على مخالفة القول العمل ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ سوء فليكنم فترجعون، فجملة النسيان محل الاستفهام الإنكاري.

[٤٥] ﴿وَأَسْتَعِينُوا﴾ اطبوا المعونة على أموركم ﴿بِالصَّبْرِ﴾ الحس للنفس على ما تكرر ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ أَفْرَدَهَا بِالذِّكْرِ؛ تعظيمًا لشأنها، وفي الحديث: «كان ﷺ إذا حزبه أمر، بآذَر إلى الصلاة»^(٢). وقيل: الخطاب لليهود لَمَّا غَافُوا عن الإيمان الشَّهْرَ وَحُبِّ الرِّيَاسَةِ فَأَمَرُوا بِالصَّبْرِ وهو الصوم؛ لَأَنَّهُ يَكْسِرُ الشَّهْوَةَ، والصلاة؛ لَأَنَّهُا تُورِثُ الْحُشُوعَ وَتَنْفِي الْكِبْرَ وَرِئَاسَتَهَا؛ أي: الصلاة «لِكِبَرِهِ» ثِقَلُهُ «إِلَّا عَلَى الْتَّائِبِينَ» الساكنين إلى الطاعة.

[٤٦] ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مُّلتَقَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ بالبعث وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ^(٣) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ^(٤) يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفُوا بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ^(٥) وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ^(٦) وَلَا تَشْرَوْا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتَّقُونِ^(٧) وَلَا تَلْسَبُوا الْحَقَّ بِالْبُطْلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ^(٨) وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ^(٩) وَتَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ^(١٠) الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُّلتَقَوْنَ رَبَّهُمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ^(١١) يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ^(١٢) وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ^(١٣)

رَجِعُونَ في الآخرة؛ فيجازيهم.

[٤٧] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ بالشكر عليها بطاعتي ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ﴾ أي: آباءكم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم.

[٤٨] ﴿وَأَتَّقُوا﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ فيه ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ وهو يوم القيامة ﴿وَلَا تُقْبَلُ﴾ بالناء^(١٤) والباء ﴿مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾ أي: ليس لها شفاعة فتقبض ﴿فَمَا لَنَا مِن شَفِيعِينَ﴾^(١٥) ﴿وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾ فداء ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يُنْتَعُونَ من عذاب الله.

(١) أي: عامتكم.

(٢) رواه أحمد (٢٢٧٨٨)، وأبو داود (١٣١٩)، وهو في صحيح الجامع (٤٧٠٣).

(٣) لابن كثير وأبي عمرو.

(٤) الشعراء: ١٠٠.

ذَلِكُمْ ﴿الْعَذَابُ أَوْ الْإِنْجَاءُ﴾ (١) ﴿بَلَاءٌ﴾ (٢) أَوْ إِنْعَامٌ (٣) ﴿مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾.

[٥٠] ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ فَرَقْنَا فَلَقْنَا بَيْنَكُمْ﴾ بسببكم ﴿الْبَحْرَ﴾ حتى دخلتموه هارين من عدوكم ﴿فَأَنفَجَكُنَّ﴾ من العرق ﴿وَأَغْرَقْنَا﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ ﴿قَوْمَهُ﴾ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ ﴿إِلَى انْطِاقِ الْبَحْرِ عَلَيْهِمْ﴾.

[٥١] ﴿وَإِذْ وَعَدْنَا بِأَلْفِ دُونِهَا﴾ (٤) ﴿مُوسَى أَزْبَعِينَ لَيْلَةً﴾ نعطيه - عند انقضائها - التوراة؛ لتعملوا بها ﴿ثُمَّ أَخَذْنَاهُ الْعِجْلَ﴾ الذي صَاحَهُ لَكُمْ الشَّامِرِيُّ إِلَهاً ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذهم؛ لوضعكم العبادة في غير محلها.

[٥٢] ﴿ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ﴾ مَحْوُنَا ذُنُوبَكُمْ ﴿مَنْ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الانخاذ ﴿لَلَّذِينَ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا عليكم.

[٥٣] ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْفُرْقَانَ﴾ عطف تفسير؛ أي: الفارق بين الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ به من الضلال.

[٥٤] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ الذين عبدوا العجل: ﴿يَتَقَوْمُ إِلَٰهِكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فَاتَّخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إِلَهاً ﴿فَتَوَلَّوْا إِلَىٰ بَارِيكُمْ﴾ خالفكم من عبادته ﴿فَأَقْبَلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: ليقتل البريء منكم المحرم ﴿ذَلِكُمْ﴾ القتل ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ﴾ فوقكم لفعل ذلك، وأرسل عليكم سحابة سوداء؛ لئلا يبصر بعضكم بعضاً فيرحمه؛ حتى قتل منكم نحو سبعين ألفاً ﴿فَنَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبِلَ تَوْبَتَكُمْ ﴿إِنَّهُ هُوَ الْوَّابُ الرَّجِيمُ﴾.

[٥٥] ﴿وَإِذْ قُلْنَا﴾ وقد خرجتم مع موسى؛ لتعتزلوا إلى الله من عبادة العجل، وسمعتم كلامه: ﴿يَتُوبُونَ لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ رَأَىٰ اللَّهُ جَهَنَّمَ﴾ عباناً ﴿فَأَخَذْنَاكَ الصُّدُوقَةَ﴾ الصبيحة؛ فَمُتُّمْ ﴿وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ﴾ ما حلَّ بكم.

[٥٦] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ﴾ أحييناكم ﴿مَنْ بَعْدَ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمتنا بذلك.

[٥٧] ﴿وَوَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ اللَّعَامَ﴾ سترناكم بالسحاب الرقيق من حرِّ الشمس في الظية ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ﴾ فيه ﴿الْمَنَّ وَالسَّلَوَىٰ﴾ هما التريغيبين (٥) والظير السمانى بتخفيف الميم والقصر، وقلنا: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ ولا تَدْخِرُوا. فكفروا النعمة وادخروا؛ فقطع عنهم ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ بذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لَأَن وَتَالَهُ عَلَيْهِمْ.

وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بَيْنَكُمْ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٥﴾ وَإِذْ وَعَدْنَا مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ أَخَذْنَا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٨﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمُ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتَوَلَّوْا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْبَلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَىٰ لَنْ نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهَنَّمَ فَاخَذْنَاكَ الصَّعِيقَةَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢١﴾ وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ اللَّعَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلَوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٢٢﴾

[٤٩] ﴿وَأَذْكُرُوا﴾ إِذْ نَجَّيْنَاكُمْ ﴿أَي: أَبَاءَكُمْ، وَالْخَطَابَ بِهِ وَبِمَا بَعْدَهُ لِلْمُجُودِينَ فِي زَمَنِ نَبِينَا بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَىٰ آبَائِهِمْ؛ تَذَكُّرًا لَهُمْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ - تَعَالَى - لِيُؤْمِنُوا﴾ وَمِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ يُذَبِّحُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ أَشَدَّهُ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ ﴿نَجَّيْنَاكُمْ﴾ يَدَبِّحُونَ ﴿يَا أَيُّهَا قَبْلَهُ﴾ أَبْنَاءَكُمْ ﴿الْمَوْلُودِينَ﴾ وَيَسْتَحْيُونَ يَسْتَيْقِنُونَ ﴿نِسَاءَكُمْ﴾ لِقَوْلِ بَعْضِ الْكُهَنَةِ لَهُ: إِنْ مَوْلُودًا يُؤَلَّدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبَبًا لِّذَهَابِ مَلِكِكَ ﴿وَفِي

(١) أي: من حيث عدم الشكر عليه؛ فصار بلاء

(٢) راجع للعذاب.

(٣) راجع للإِنْجَاء.

(٤) بدون ألف لأي عمرو.

(٥) مادة صغيفة حلوة؛ كالعمل يسقط على الشجر؛ كما يسقط الفل.

[٥٨] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَهُمْ بَعْدَ خُرُوجِهِمْ مِنَ الْيَمِّ: ﴿أَتَعْبُدُونَ إِلَّا مَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَوْ أَرِيحًا﴾ ﴿تَعْبُدُونَ مِنْهَا شَيْئًا زَيْدًا﴾. واسعا لا حجر فيه ﴿وَأَتَعْبُدُونَ إِلَّا الْآلِهَ﴾ أي: بابها ﴿سُجَّدًا﴾ مُتَخَيِّضِينَ ﴿وَقُولُوا لَهُمْ: ﴿مَسْأَلَتُنَا﴾ ﴿جَنَّةٌ﴾ أي: أن نعط عنا خطايانا ﴿نَغْفِرَ﴾ وفي قراءة بالياء^(١) والياء^(٢) مبنيا للمفعول فيهما ﴿لَكُمُ خَلِيدَتَكُمْ وَسَزِيدُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالطاعة ثوابا.

[٥٩] ﴿فَبَدَّلَ الْآلِهَ طَلَمُوا﴾ منهم ﴿قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فقالوا: حبة في شجرة. ودخلوا يزحفون على أستاههم^(٣) ﴿فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر؛ مبالغة في توبيخ شأنهم ﴿وَجَزَا عَذَابًا طَاعُونًا﴾ ﴿بَيْنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ بسبب فسقهم؛ أي: خروجهم عن الطاعة؛ فهلك منهم في ساعة سبعون ألفا أو أقل.

[٦٠] ﴿وَإِذْ أَذْكُرُ﴾ وذكر ﴿إِذْ أَتَسْتَقِنُ مُوسَى﴾ أي: طلب الشفعا لقومه. وقد عطشوا في النجى ﴿فَقُلْنَا أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ وهو الذي فؤ بوبه، خفيف مربع كراس الرجل رخام، أو كذا^(٤)، فضربه^(٥) ﴿فَانفَجَرَتْ﴾ انشقت وسالت ﴿وَمِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ بعدد الأسباط ﴿قَدْ عَزَى كُلُّ أُنَاسٍ﴾ سبط منهم ﴿مُفْرَقَتُهُمْ﴾ موضع شربهم؛ فلا يشركهم فيه غيرهم. وقنا لهم: ﴿كُلُوا وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها^(٦)، من عني بكسر المثلثة: أفسد.

[٦١] ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ﴾ أي: نوع منه ﴿وَجِدْ﴾ وهو لمن والسوى ﴿فَأَنزَلْنَا لَنَا رِزْقًا يَخْرِجُ لَنَا﴾ ميثاقا ﴿مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنَ﴾ اللَّيْلَانِ ﴿بِقِلَافٍ وَفَقَالُوا﴾ ﴿وَقِيلَ لَهَا حَطْنَهَا وَوَعَدَيْهَا وَبَصِلَهَا﴾ قال لهم موسى: ﴿أَتَسْتَبِيلُونَ﴾ الذي هو أدنى أحسن ﴿بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ أشرف؛ أتأخذونه ببدلة؟ والهجرة للإبكار، فأبوا أن يرجعوا فدعا الله - تعالى - فقال - تعالى -: ﴿أَهْطُوا﴾ انزلوا ﴿وَيُضْرَكُ﴾ من الأمصار ﴿فَإِنْ لَكُمْ﴾ فيه ﴿مِمَّا سَأَلْتُمْ﴾ من النبات ﴿وَوُضِعَتْ﴾ جعلت ﴿عَلَيْهِمْ﴾ الذِّلَّةُ^(٧) الذل والهوان ﴿وَاللَّسْكَنةُ﴾ أي: أثر الفقر؛ من السكون والخزي؛ فهي لازمة لهم - وإن كانوا أغنياء - لزوم الدرهم المضروب لسكنه^(٨) ﴿وَيَكُونُ﴾ رجعوا ﴿بِقَضْبٍ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ﴾ أي: الضرب والغضب ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم

وَإِذْ قُلْنَا أَذْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرَ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَيَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ أَتَسْتَقِنُ مُوسَى لِقَوْمِهِ فَعَطَشُوا فَنَزَلْنَا مُوسَى بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ كَلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقَلَيْهَا وَقَتَايَهَا وَقَوْمَهَا وَعَدْسَهَا وَبَصِلَهَا قَالِ الَّذِي هُوَ أَذْنُ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَهْطُوا مَضْرًا فَإِنْ لَكُمْ مِمَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءَ وَبَغَضَ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾

﴿كَانُوا يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ﴾ كتركبوا ويحى ﴿يَعْتَدُونَ﴾ ألقى؛ أي: ظلما ﴿ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون الحد في المعاصي، وكثرة^(٩) للاعتداء.

(١) لباغ.

(٢) لابن عامر.

(٣) جمع سته؛ وهو: الدر؛ أي: أذربارهم.

(٤) الحجر اللين.

(٥) يحكى كثير من المفسرين ومنهم: ابن كثير - ها أقوالا كثيرة وغريبة في وصف الحجر، ومن أين جاء به، وكلها لا دليل عليها، وتعارضها يُدَلُّ على عدم صحته، والظاهر أنها من الإسرائيليات، ثم لا حاجة لنا في العلم بذلك، بل نعمل القول الأرجح ما ذكره الزمخشري - وحكاها عنه ابن كثير - بقوله: ... ويحتمل أن تكون اللام للجنس لا للمعد؛ أي: اضرب الشيء الذي يقال له: الحجر. وعن الحسن: لم يأمره أن يضرب حجرا بعينه، قال: وهذا أظهر في المعجزة، وأبين في القدرة.

(٦) أي: أثر الفقر؛ من السكون والخزي؛ فهي لازمة لهم.

(٧) وعلى ذرياتهم ومن ثَمَّ نَحْنُ نَحْنُهم إلى يوم القيامة.

(٨) الكلام على القلب؛ أي: لزوم السكة للدرهم؛ المراد بالسكة: أثرها؛ لأن السكة اسم للحديدة المقوشة يضرب عليها الدراهم، فكل ذلك لا يخلو يهودي من آثار الفقر.

(٩) أي: اسم الإشارة؛ وهو لفظ: ﴿ذَلِكَ﴾.

بشريعته ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ أي: ثواب أعمالهم ﴿عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ روعي في ضمير ﴿ءامن﴾ و﴿عمل﴾ لفظ ﴿من﴾ وفيما بعده معناه.

[٦٣] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ عهدكم بالعمل بما في التوراة ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ قَوْلُكُمْ اطُّورُ﴾ الجبل اقتلغناه من أصله عليكم لما أبيتم قبولها، وقُلْنَا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بالعمل به ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ النار أو المعاصي.

[٦٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم ﴿مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق عن الطاعة ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ لكم بالتوبة أو تأخير العذاب ﴿لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الهالكين.

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلَيْتُمْ﴾ عرضم ﴿الَّذِينَ أَخَذْنَا﴾ تجاوزوا الحد ﴿مِنْكُمْ فِي النَّبَاتِ﴾ بصيد السمك، وقد نهيناهم عنه، وهم أهل أيلة ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا فِرْدَةً حٰدِيَةً﴾ مبعدين؛ فكانوا وهلكوا بعد ثلاثة أيام.

[٦٦] ﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا﴾ أي: تلك العقوبة ﴿نَكَالًا﴾ عبرة مانعة من ارتكاب مثل ما عملوا ﴿لَسَا يَن يَدَيَا وَمَا خَلَقَهَا﴾ أي: للألم التي في زمانها وبعدها ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الله، وخُصُّوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بخلاف غيرها.

[٦٧] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ﴾ - وقد قيل لهم قتل لا يُدرى قاتله، وسأله أن يدعوا الله أن يبيته لهم؛ فدعاه: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ قالوا أَلَيْسَ لَنَا بُرَّةٌ ﴿مَنْزُورَةً﴾ حيث نجينا بمثل ذلك ﴿قَالَ أَعُودُ﴾ أمنت ﴿بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ المستهزئين. فلما علموا أنه عزم

[٦٨] ﴿قَالُوا أَنْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا بَيَّنَّ﴾ أي: ما سيئها ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الله ﴿يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصَ﴾ مُسَيَّئَةٌ ﴿وَلَا يَكُرُّ﴾ صغيرة ﴿عَوَانًا﴾ نصف ﴿يَبَسَ﴾ ذلك المذكور من السنين ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ به من ذبحها.

[٦٩] ﴿قَالُوا أَنْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَأَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا﴾ شديد الصفرة ﴿تُسَرُّ النَّظِيرِينَ﴾ إليها بحسنها؛ أي: تعجبهم.

إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّدِيقِينَ مِنَ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلُوا صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ مَا فَىهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ أَخَذُوا مِيثَاقَكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا فِرْدَةً حٰدِيَةً ﴿٦٦﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا أَنْعُ لَنَا مَا بَيَّنَّ قَالَتْهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِصَ وَلَا يَكُرُّ عَوَانًا يَبَسَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَنْعُ لَنَا رَبِّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْهَأَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تُسَرُّ النَّظِيرِينَ ﴿٧٠﴾

[٦٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالأنبياء من قبل ^(١) ﴿وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿وَالنَّصَارَى وَالصَّدِيقِينَ﴾ طائفة من اليهود أو النصارى ^(٢) ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ في زمن نبينا ﴿وَعَمِلُوا صَالِحًا﴾

(١) أي: قبل بعثة محمد ﷺ، وأما من آمن بميسى وأدرك محمدًا ﷺ ولم يؤمن به فإنه كافر خالط مخلد في النار. كما في سورتي المائدة والنبأ، وكما صرح بذلك الأحاديث.

(٢) وقال مجاهد: الصابئون قوم بين الجوس واليهود والنصارى. (الطبري ١/٦٦٢). وقيل: قوم يعبدون الملائكة. وقيل: قوم يعبدون الكواكب. وغير قول ذلك. وقال ابن كثير: وأظهر الأقوال والله أعلم، قول مجاهد ومتابعيه... أنهم قوم ليسوا على دين اليهود ولا النصارى ولا الجوس ولا المشركين، وإنما هم قوم باقون على فطرتهم ولا دين مقرر لهم يتبعونه ويفتقرونه. اهـ. تفسير ابن كثير (١/١٠٠).

[٧٠] ﴿قَالُوا أَتُوعَدُنَا رَبُّكَ بِبَيِّنَاتٍ لَّمَّا بِهِ آسَافَةٌ أَمْ غَافِلَةٌ﴾ أي: جنسه المنعوت بما ذكر ﴿تَشْبَهَ عَلَيْنَا﴾ لكثرة؛ فلم نهتد إلى المقصودة ﴿رَبَّنَا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ إليها، وفي الحديث: «لو لم يستنوا لما بينت لهم لآخر الأبد»^(١).

[٧١] ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ﴾ غير مذلة بالعمل ﴿ثِيَرُ الْأَرْضِ﴾ نقبها للزراعة، والجملة صفة ﴿ذَلُولَ﴾ داخلة في النفي^(٢) ﴿وَلَا تَسْقِي الْمَرْثَ﴾ الأرض المهية للزراعة ﴿مُسْلَمَةً﴾ من العيوب وأثار العمل ﴿لَا شِبْهَ﴾ لون ﴿فِيهَا﴾ غير لونها ﴿قَالُوا أَتَنْبِئُكَ بِمَا هِيَ﴾ نطق بالبيان التام، فطلبوها؛ فوجدوها عند الفتى التار بأمه؛ فاشتروها بملء مسكها^(٣) ذهبا ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ لغلاء ثمنها، وفي الحديث: «لو ذبحوا أي بقرة كانت، لأجزأتهم، ولكن شددوا على أنفسهم؛ فشدد الله عليهم»^(٤).

[٧٢] ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَآذَرْتُمْ﴾ فيه إدغام الدال في التاء؛ أي: تخاصمتم وتدافعتم ﴿وَيَبَيَّنَّا لِلَّهِ مِزَاجَ﴾ مظهر ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ من أمرها، وهذا اعتراض^(٥) وهو أول القصة^(٦).

[٧٣] ﴿فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ﴾ أي: القتل ﴿بِعَصَبٍ﴾ فضرب بلسانها أو عجب ذنبها؛ فحيا، وقال: قتلني فلان وفلان لا تبي عمه، ومات؛ فخرمنا الميراث وقيل، قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ﴾ الإحياء ﴿يُعَيِّنُ اللَّهُ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ أي: يبين قدرته ﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ تدبرون؛ فتعلمون أن القادر على إحياء نفس واحدة قادر على إحياء نفوس كثيرة؛ فقومون.

[٧٤] ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ أيها اليهود؛ صلبت عن قبول الحق ﴿وَمِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ المذكور من إحياء القتل، وما قبله من الآيات ﴿نَهَى﴾ كالحجارة ﴿فِي الْقِسْوَةِ﴾ أو أشد قسوة منها ﴿وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ﴾ وإن منها لما يشقق فيه إدغام التاء في الأصل في الشين ﴿فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ﴾ وإن منها لما يهبط ينزل من علو إلى أسفل ﴿مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ﴾ وقلوبكم لا تأثر ولا تلين ولا تخشع ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيرٍ﴾ يعني عما تعملون ﴿وَلَمَّا يُؤْخَرُكُمْ لَوْفَكُمْ﴾ وفي قراءة^(٧) بالتحانية، وفيه التفات عن الخطاب.

[٧٥] ﴿أَفَتَطْمَعُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿أَنْ يُؤْتِيَا لَكُمْ﴾ أي: اليهود ﴿وَقَدْ كَانَ قَرِيبَ﴾ طائفة ﴿مِنْهُمْ﴾ أحبارهم ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ في التوراة ﴿ثُمَّ يُخْرِفُوتَهُ﴾ يغيرونه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ فهموه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم مفترون، والهمزة للإنكار؛ أي: لا تطمعوا؛ فلهم سابقة بالكفر.

قَالُوا أَتُوعَدُنَا رَبُّكَ بِبَيِّنَاتٍ لَمَّا بِهِ آسَافَةٌ أَمْ غَافِلَةٌ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ
تُشِيرُ إِلَّا لِلْأَرْضِ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسْلَمَةً لَا شِبْهَ فِيهَا قَالُوا
أَتَنْبِئُكَ بِمَا هِيَ قَالُوا أَتَنْبِئُكَ بِمَا هِيَ قَالُوا أَتَنْبِئُكَ بِمَا هِيَ قَالُوا
أَتَنْبِئُكَ بِمَا هِيَ قَالُوا أَتَنْبِئُكَ بِمَا هِيَ قَالُوا أَتَنْبِئُكَ بِمَا هِيَ قَالُوا
فَقَتَلْنَاهَا نَفْسًا فَآذَرْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾
فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ
آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ
مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ
مِنْهَا لَمَّا يَنْهَيطُ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٣﴾
﴿٧٤﴾ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْتِيَا لَكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ قَرِيبٌ مِنْهُمْ
يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُخْرِفُوتَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ
يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِذَا
خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ
عَلَيْكُمْ لِيُحَاوِرَكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾

[٧٦] ﴿وَإِذَا لَقُوا﴾ أي: منافقو اليهود ﴿الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا﴾ بأن محمداً ﷺ نبي، وهو المبشر به في كتابنا ﴿وَإِذَا خَلَا﴾ رجع ﴿بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا﴾ أي: رؤسأهم الذين لم ينافقوا لمن نأفق ﴿أَتُحَدِّثُونَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ أي: غزفكم في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿لِيُحَاوِرَكُمْ﴾ ليخاصمكم، واللام للضرورة ﴿بِهِ﴾ عند ربكم في الآخرة، وقيموا عليكم الحجة في ترك اتباعه مع علمكم بصدقه ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أنهم يحاجونكم إذا حدثتموهم فشتتوهم؟! .

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره، قال: قال ابن جريج: قال رسول الله ﷺ: «لَمَّا أُبْرِأُوا بِأَدْنَى بَقَرَةٍ، وَلَكِنَّهُمْ لَمَّا شَدَّدُوا اللَّهُ عَلَيْهِمْ، وَابْتَدَأَ اللَّهُ لَوْ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَنُوا لَمْ يَبَيِّنْ لَهُمْ آيَاتِهِ أَه. فالحديث فيه انقطاع.

(٢) أي: ليست مذلة لعمل ولا مثيرة للأرض.

(٣) الجلد.

(٤) ذكره ابن كثير كما تقدم وضعفه.

(٥) أي: جملة معترضة بين المعطوف؛ وهو: ﴿فَقُلْنَا أَصْرَبُوهُ﴾ الآية (البقرة: ٧٢)، والمعطوف عليه؛ وهو: ﴿فَذَبَحُوهَا﴾ (البقرة: ٧١).

(٦) ولما أقرء ليوصل قبائح بني إسرائيل بعضها بعض.

(٧) لابن كثير.

﴿أَمَانِي﴾ أَكَاذِيبُ تَلْقَوْنَهَا مِنْ رُؤْسَائِهِمْ فَاعْتَمِدُوهَا ﴿وَإِنْ﴾ مَا ﴿هُمْ﴾ فِي جَحْدِ نُبُوَةِ النَّبِيِّ وَغَيْرِهِ مَا يَخْتَلِقُونَهُ ﴿إِلَّا يَطْنُونَ﴾ ظَنًّا وَلَا عِلْمَ لَهُمْ.

[٧٩] ﴿فَوَيْلٌ﴾ شِدَّةُ عَذَابٍ ﴿لِلَّذِينَ يَكْنُتُونَ﴾ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴿أَي:﴾ مُخْتَلِفًا مِنْ عِنْدِهِمْ ﴿ثُمَّ يَقُولُونَ﴾ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ تَمَتُّةٌ قَلِيلًا ﴿مِنَ الدُّنْيَا﴾ وَهُمْ الْيَهُودُ غَفَرُوا صِفَةَ النَّبِيِّ فِي التَّوْرَةِ آيَةَ الرَّجْمِ وَغَيْرَهُمَا، وَكُتِبَ عَلَيْهَا خِلَافُ مَا أُنْزِلَ ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ مِمَّا كُتِبَتْ بِأَيْدِيهِمْ مِنَ الْخِطَاءِ ﴿وَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ مِمَّا يَكْنُتُونَ ﴿مِنَ الرِّشَاءِ﴾^(١).

[٨٠] ﴿وَقَالُوا﴾ لَمَّا وَعَدْتُهُمُ النَّبِيُّ النَّارَ: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا﴾ تَصْنِيبًا ﴿النَّارُ﴾ إِلَّا أَنْيَا مَقْدُودَةٌ ﴿قَلِيلَةً﴾ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، مَدَّةُ عِبَادَةِ آبَائِهِمُ الْعَجَلِ ثُمَّ تَرُولُ ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿أَتُخَذْتُمْ﴾ خِذْفٌ مِنْهُ هِمزة الوصل استغناء بهمزة الاستفهام ﴿عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا﴾ مِثَاقًا مِنْهُ بِذَلِكَ ﴿فَلَنْ يُخْلَفَ﴾ اللَّهُ عَهْدَهُ ﴿بِهِ؟﴾ لَا ﴿أَمْ﴾ بَلْ ﴿فَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٨١] ﴿بَلَى﴾ تَمَسَّكُمْ وَتَخْلُدُونَ فِيهَا ﴿مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً﴾ شَرَكًا ﴿وَأُحْطِطَ بِهِ﴾ خَطِيئَتُهُ ﴿بِالْأَفْرَادِ﴾^(٢) وَالْجَمْعِ؛ أَي: اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ وَأَحْدَقَتْ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ بَأَن مَاتَ مُشْرِكًا ﴿فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿زُوعِيَ فِيهِ مَعْنَى﴾ «مَنْ» [٨٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.

[٨٣] ﴿وَ﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فِي التَّوْرَةِ وَقُلْنَا: ﴿لَا تَعْبُدُونَ﴾ بِالْبَاءِ وَالْيَاءِ^(٣) ﴿إِلَّا اللَّهَ﴾ خَيْرٌ بِمَعْنَى النَّهْيِ، وَقُرِئَ^(٤): ﴿لَا تَعْبُدُوا﴾ أَحْسَنُوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ يَرَا ﴿وَزَى الْقُرْبَى﴾ الْقَرَابَةَ عَطَفَ عَلَى الْوَالِدَيْنِ ﴿وَالْيَتَامَى وَالسَّكِينِ﴾ وَقُولُوا لِلنَّاسِ قَوْلًا ﴿إِحْسَانًا﴾ مِنْ الْأَمْرِ بِالْعُرْفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالصَّدَقِ فِي شَأْنِ مُحَمَّدٍ، وَالرَّفَقِ بِهِمْ، وَفِي قِرَاءَةِ^(٥) بَضْمِ الْحَاءِ وَسُكُونِ السِّينِ مُصَدَّرٌ وَصَفٌ بِهِ مَبَالِغَةٌ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ فَقَبِلْتُمْ ذَلِكَ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أَعْرَضْتُمْ عَنِ الْوَفَاءِ بِهِ، فِيهِ التَّفَاتُ^(٦) عَنِ الْغَيْبَةِ؛ وَالْمُرَادُ آبَاؤُهُمْ ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ﴾ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ عَنْهُ؛ كَأَبَائِكُمْ.

أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾
وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنَّهُمْ
إِلَّا يَطْنُونَ ﴿٧٩﴾ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْنُتُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ
ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ تَمَتُّةٌ قَلِيلًا
فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كُتِبَتْ عَلَيْهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْنُتُونَ
﴿٧٦﴾ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ
أَتُخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَأَمْرُ
تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً
وَأُحْطِطَ بِهِ خَطِئْتُهُ دَفْأًا وَلِئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا وَزَى الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا
لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ
تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٧﴾

قال - تعالى -: [٧٧] ﴿أَوْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الاستفهام للتقرير^(١)، والواو الداخل^(٢) عليها للعطف ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ما يخفون وما يظهرون من ذلك وغيره؛ فَيَزَعُوا^(٣) عن ذلك؟! [٧٨] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أَي: الْيَهُودُ ﴿أُمِّيُونَ﴾ عَوَامٌ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ الْكِتَابَ التَّوْرَةَ ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ

(١) أَي: عَلَى سَبِيلِ التَّوْبِيخِ؛ حَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّ النَّاسَ يُوَاحِدُونَ الْكَافِرَ الْأَصْلِيَّ لَا حِجَةَ عَلَيْهِ، وَلَهُ عَذَرٌ قَائِمٌ عِنْدَ رَبِّهِ.

(٢) الْوَائِدُ الدَّخَالُ الْاسْتِفْهَامُ عَلَيْهَا لِلْعَطْفِ عَلَى مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: أَلَيْسَ مِنْهُمْ عَلَى التَّحْدِثِ بِمَا ذَكَرْتُ، وَلَا يَعْلَمُونَ... الخ.

(٣) أَي: يَنْكُفُّوا وَيَتَزَجَّرُوا.

(٤) بِكسر الراء وضمة؛ جَمْعُ رَشْوَةٍ؛ بِتِلْثِ الرَّاءِ.

(٥) بِالْأَفْرَادِ؛ أَي: بِاعتبار ذات الشُّرْكِ. وَالْجَمْعُ؛ أَي: بِاعتبار أفرادِهِ، وَقَرَأَهَا نَافِعٌ بِالْجَمْعِ (خَطِيئَاتِهِ) وَالْبَاقُونَ بِالْأَفْرَادِ (خَطِيئَةٍ).

(٦) بِالياء لِحْزَةٍ وَالْكَسَائِي وَابْنُ كَثِيرٍ.

(٧) قِرَاءَةُ شَاذَةٌ، وَقَاعِدَةُ التَّفْسِيرِ غَالِبًا أَنَّهُ يُشِيرُ لِلشَّادَةِ بِقَوْلِهِ: قُرِئَ، وَالسَّبْعِيَّةُ بِقَوْلِهِ: فِي قِرَاءَةٍ.

(٨) بفتح الحاء والسِّينِ لِحْزَةٍ وَالْكَسَائِي، جَعَلَهَا صِفَةً لِمَصْدَرٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: وَقُولُوا لِلنَّاسِ قَوْلًا حَسَنًا.

(٩) وَحُكْمَتِ الْاسْتِزْدَادِ لِلسَّمْعِ وَعَدَمِ الْمَلَلِ مِنْهُ، وَهُوَ مِنَ الْخُسُفَاتِ.

وَأَذِّنَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ
 أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ ثُمَّ أَقَرَّرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
 ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا
 مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ
 وَإِن يَأْتُواكُمْ أُسْرَىٰ تَقْدُواهُمْ وَهُمْ مُّحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ
 إخراجهم أفتوهمون ببعض الكتب وتكفرون ببعض
 فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا الآخرة في الحياة
 الدنيا ويوم القيمة يردون إلى أشد العذاب وما الله
 بغافل عما تعملون ﴿٨٥﴾ أولئك الذين اشتروا الحياة
 الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون
 ﴿٨٦﴾ ولقد آتينا موسى الكتاب وفريقا من بعده
 بالرسول وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح
 القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم
 استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون ﴿٨٧﴾ وقالوا لو
 غلب بل لنعنه الله يكفرهم فقليل ما يؤمنون ﴿٨٨﴾

[٨٤] ﴿وَأَذِّنَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ قلنا: ﴿لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ﴾ تريقونها
 بقتل بعضهم بعضا ﴿وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾ لا يخرج بعضهم
 بعضا من داره ﴿ثُمَّ أَقَرَّرْتُمْ﴾ قِيلَ لَكُمْ ذَلِكَ الْمِثَاقُ ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ على
 أنفسكم. [٨٥] ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾ بقتل
 بعضهم بعضا ﴿وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِينِهِمْ﴾ [تظاهرون] ﴿٨٥﴾ فيه
 إدغام التاء في الأصل في الظاء، وفي قراءة بالتخفيف على حذفها ﴿٢﴾؛
 تتعاونون ﴿عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ﴾ بالمعصية ﴿وَالْعُدْوَانِ﴾ الظلم ﴿وَلِئِنْ يَأْتُواكُمْ
 أُسْرَىٰ﴾ وفي قراءة ﴿٣﴾: ﴿أُسْرَىٰ﴾: ﴿تَقْدُواهُمْ﴾ ﴿٤﴾، وفي قراءة:
 ﴿تَقْدُرُوهُمْ﴾ تنقلدوهم من الأسر بالمال أو غيره، وهو مما عهد إليهم
 ﴿وَهُمْ﴾ أي: الشأن ﴿٥﴾ ﴿مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إخراجهم﴾ متصل بقوله:
 ﴿تُخْرِجُونَ﴾، والجملة بينهما ﴿٦﴾ اعتراض؛ أي: كما حُرِّم ترك الفداء،
 وكانت قُرَيْظَةُ خَالِفُوا الْأَوْسَ، والنضير الخروج؛ فكان كل فريق يقاتل مع
 حلفائه، ويخرب ديارهم، ويخرجهم، فإذا أُبْرِئُوا فلوهم، وكانوا إذا شِيلُوا: لَمْ
 تَقَاتِلُوهُمْ وَتَقْدُرُوهُمْ؟! قالوا: أُبْرِئُوا بِالْفِدَاءِ. قِيلَ: قَاتِلُوا قَاتِلِيَهُمْ؟! فيقولون:
 حَيَاءُ أَنْ يَشْتَدَلَ حَلْفَاؤُنَا، قال - تعالى -: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ﴾
 وهو الفداء ﴿وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضِ﴾ وهو ترك القتل، والإخراج، والمظاهرة
 ﴿فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ﴾ هوان وذل ﴿فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا﴾ وقد خزوا بقتل قريظة، ونفي النضير إلى الشام، وضرب الجزية
 ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾
 والتاء ﴿٧﴾.

[٨٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾ بأن اتزوها عليها
 ﴿فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ يُنْتَفُونَ منه.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَفَقَيْنَا مِنْ بَعْدِهِ
 بِالرُّسُلِ﴾ أي: أتبعناهم رسولاً في إثر رسول ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
 الْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات؛ كإحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص ﴿وَأَيَّدْنَاهُ
 قُوَيْنَا﴾ بِرُوحِ الْقُدُسِ من إضافة الموصوف إلى الصفة؛ أي: الروح المقدسة
 «جبريل» لظهارته يسير معه حيث سار، فلم تستقيموا ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ
 بِمَا لَا تَهْوَىٰ تُحِبُّ﴾ أنفسكم ﴿من الحق﴾ استكبرتم ﴿تَكْبَرْتُمْ عَنْ اتِّبَاعِهِ﴾
 جواب كلما، وهو محل الاستفهام، والمرد به التوبيخ ﴿فَفَرِّقْنَا﴾ منهم
 ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ كعيسى ﴿وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية؛
 أي: قتلتم؛ كزكريا ويحيى.

[٨٨] ﴿وَقَالُوا لَنَبِيِّ اسْتِهْزَاءَ﴾ قُلُوبُنَا غُلْفٌ جمع أغلف؛ أي: مغشاة

بأغطية؛ فلا نعي ما تقول. قال - تعالى -: ﴿بَلْ لِلْإِثْرَابِ﴾ (٨) ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾
 أبعدهم من رحمته وخذلهم عن القبول ﴿يَكْفُرْهُمْ﴾ وليس عدم قبولهم لخلل
 في قلوبهم (٩) ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ «ما» زائدة؛ لتأكيد القلة؛ أي: إيمانهم قليل
 جداً.

- (١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.
- (٢) أي: بحذف التاء الثانية التي ليست للمضارع، وهي قراءة عاصم وحزمة والكسائي.
- (٣) لحزمة.
- (٤) لحزمة وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ نافع وعاصم والكسائي (تقادوهم)، والحاصل أن القراءات خمس: ﴿أُسْرَىٰ﴾ بالإمالة مع ﴿تَقْدُرُوهُمْ﴾ فقط، و﴿أُسْرَىٰ﴾ بالإمالة مع غيره.
- (٥) ويقال: ضمير القصة يفسره ما بعده. قال ابن هشام: ويختص بخمسة أشياء: كونه مفردة. ولو كان مرجعه مثنى أو مجموعاً، وتأخير مرجعه، وكونه جملة، ولا يعمل فيه إلا الابتداء والناسخ، ولا يتبع.
- (٦) الجملة هي قوله: ﴿وَلِئِنْ يَأْتُواكُمْ أُسْرَىٰ تَقْدُرُوهُمْ﴾ وقوله: «بينهما»؛ أي: بين المطلق؛ وهو قوله: ﴿وَهُوَ مُحَرَّمٌ﴾ الآية، والمعطوف عليه؛ وهو جملة: ﴿تَقْدُرُوهُمْ﴾؛ لأنها حال.
- (٧) بالياء لنافع وابن كثير وشعبة. وقرأ الباقون (تعملون).
- (٨) أي: الإبطالي.
- (٩) أي: كما ادعوا من أنها مغطاة، فهذا هو الخلل.

حسدًا وخوفًا على الرياسة، وجواب «لَا» الأولى دَلَّ عليه جواب الثانية ﴿فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٩٠] ﴿يَسْمَا أَشْتَرَا﴾ باعوا ﴿بِهِ أَنْفُسَهُمْ﴾ أي حظها من الثواب، و«ما» نكرة؛ بمعنى: شيئًا؛ تمييز لفاعل «بَسَّ». والخصوص بالذم «أَنْ يَكْفُرُوا» أي كفرهم ﴿يَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من القرآن ﴿تَبَيَّنَّا﴾ مفعول له ﴿لَهُ يَكْفُرُوا﴾ أي: حسدًا على ﴿أَنْ يُنْزَلَ﴾ بالتحفيف والتشديد^(١) ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ الوحي ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ للرسالة ﴿مِنْ عِبَادَةٍ فَبَاءُ﴾ رجعوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ من الله بكفرهم بما أنزل الله، والتذكير للتعظيم ﴿عَلَى غَضَبٍ﴾ استحقوه من قبل بتضييع النوراة والكفر بعيسى ﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[٩١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ القرآن وغيره ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا﴾ أي النوراة، قال - تعالى -: ﴿رَبِّكُمُورُونَ﴾ الواو للحال ﴿يَمَّا وَرَاءَهُمْ﴾ سواء أو بعده من القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ﴾ حال ﴿مُصَدِّقًا﴾ حال ثانية مؤكدة ﴿لِمَا مَعَهُمْ قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿قُلْ تَقْتُلُونَ﴾ أي قتلتم ﴿أَنْبِيََاءَ اللَّهِ﴾ من قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بالنوراة، وقد بُيِّنْتُمْ فيها عن قتلهم، والخطاب للموجودين من زمن نبينا بما فعل آبائهم لرضاهم به.

[٩٢] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات؛ كالعصا، واليد، وفلق البحر ﴿ثُمَّ أَخَذْتُمُ الْعِجْلَ﴾ إِلَهَا ﴿مِنْ بَعْدِ ذَهَابِهِ﴾ من بعد ذهابه إلى المقات ﴿وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ باتخاذها.

[٩٣] ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ على العمل بما في النوراة ﴿وَقَدْ رَفَعْنَا فَوْقَكُمْ أَطُورَ الْجَبَلِ حِينَ امْتَنَعْتُمْ مِنْ قَبُولِهَا﴾ ليسقط عليكم، وقلنا: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما تؤمرون به سماع قبول. ﴿قَالُوا سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمْ الْعِجْلَ﴾ أي خالطوا حُبَّهُ قُلُوبَهُمْ؛ كما يخالط الشراب ﴿يَكْفُرُهُمْ﴾^(٢) قُلْ لَهُمْ: ﴿يَسْمَا﴾ شيئًا ﴿يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِسْنَتُكُمْ﴾ بالنوراة عبادة العجل ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بها كما زعمتم؛ المعنى: لستم بمؤمنين؛ لأن الإيمان لا يأمر بعبادة العجل، والمراد: آبائهم؛ أي: فكذلك أنتم لستم بمؤمنين بالنوراة وقد كذبتم محمدًا، والإيمان بها لا يأمر بتكذيبه.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿يَسْمَا أَشْتَرَا بِهٖ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَعِيًّا أَنْ يَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءَ وَبِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيََاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ ﴿وَإِذَا أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمْ أَطُورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَسْمِعُوا قُلُوبَكُمْ سَمِعًا وَعَصِيًّا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ يَكْفُرُهُمْ قُلْ يَسْمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِسْنَتُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[٨٩] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ من النوراة؛ هو: القرآن ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قبل مجيئه ﴿يَسْتَفْتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يقولون: اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث آخر الزمان، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا﴾ من الحق؛ وهو: بعثة النبي ﴿كَفَرُوا بِهِ﴾

(١) بالتحفيف فراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ الباقون بالتشديد.

(٢) أي: بسبب كفرهم.

قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ دَارُ الْآخِرَةِ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١﴾ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿١٢﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ مِنَ الَّذِينَ أُشْرَكُوا يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحِّزٍ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلْجِبْرِيلِ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ أُنزِلْنَا إِلَيْكَ إِذْ نَبَيْتُ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ أَوْ كَلَّمَآ عَاهِدُوا عَهْدًا ابْتَدَاهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾

عِنْدَ اللَّهِ ﴿١١﴾ مُحَمَّد ﷺ ﴿١٢﴾ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ ﴿١٣﴾ أي: التوراة ﴿١٤﴾ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴿١٥﴾ أي: لم يعملوا بما فيها من الإيمان بالرسول وغيره ﴿١٦﴾ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٧﴾ ما فيها من أنه نبي حق أو أنها كتاب الله.

[٩٤] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: إِنْ كَانَتْ لَكُمْ دَارُ الْآخِرَةِ ﴿٩٥﴾ أي: الجنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً﴾: خاصَّة ﴿مِّنْ دُونِ النَّاسِ﴾: كما زعمتم ﴿فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ﴾: إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٦﴾ تعلق بتمنيه^(١) الشيطان، على أن الأول قيد في الثاني^(٢)؛ أي: إِنْ صَدَقْتُمْ فِي زَعْمِكُمْ أَنَّهُ لَكُمْ، وَمِنْ كَانَتْ لَهُ يَوْثَرُهَا، وَالْمُوصِلُ إِلَيْهَا الْمَوْتُ، فَتَمَنَّوْهُ. [٩٥] ﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾: مِنْ كُفْرِهِمْ بِالنَّبِيِّ الْمُسْتَرَامِ لِكُذِبِهِمْ ﴿٩٦﴾ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾: الْكَافِرِينَ فِيجَازِيهِمْ. [٩٦] ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ﴾: لَمْ يَفْزَحُوا ﴿النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ﴾: أَحْرَصَ ﴿مِنَ الَّذِينَ أُشْرَكُوا﴾: الْمُنْكَرِينَ لِلْبَعثِ عَلَيْهَا؛ لَعَلَّهُمْ بِأَنْ مَصِيرِهِمُ النَّارُ دُونَ الْمُشْرِكِينَ لِإِنْكَارِهِمْ لَهُ ﴿يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾: «لَوْ» مُصَدَّرِيَّةٌ بِمَعْنَى: «أَلَمْ»؛ وَهِيَ بَصَلَتُهَا فِي تَأْوِيلِ مُصَدَّرِ مَفْعُولٍ «يُودُ» وَمَا هُوَ إِلَّا أَحَدُهُمْ «يُزَحِّزُهُ» مَبْعُودٌ ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾: النَّارِ ﴿أَن يُعَمَّرَ﴾: فَاعِلٌ «مُزَحِّزُهُ»؛ أَي: تَعْمِيرُهُ ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾: بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ^(٣)؛ فِيجَازِيهِمْ. وَسَأَلَ ابْنُ صَوْرَةَ^(٤) النَّبِيَّ أَوْ عَمَرَ عَنْ يَأْتِي بِالْوَحْيِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ؟ فَقَالَ: «جِبْرِيلُ»؛ فَقَالَ: هُوَ عَدُوْنَا، يَأْتِي بِالْعَذَابِ، وَلَوْ كَانَ مِيكَائِيلَ لَأَتَانَا؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي بِالْحُصْبِ وَالسَّلَامِ^(٥). فَقِيلَ: [٩٧] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَلَيْمَتْ غِيظًا ﴿فَلَيْمَتْ زُلُمٌ﴾: أَي: الْقُرْآنُ ﴿عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾: بِأَمْرِ ﴿اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦). [٩٨] ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾: بِكُفْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَفُضَحِهَا، بَلَا هَمَزَ وَبَاءَ وَدُونَهَا^(٧) ﴿وَمِيكَالَ﴾: عَطَفَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ، مِنْ عَطَفِ الْخَاصِ عَلَى الْعَامِ^(٨)، وَفِي قِرَاءَةِ: «مِيكَائِيلَ» بِهَمْزَةٍ وَبَاءٍ^(٩)، وَفِي أُخْرَى بَلَا يَاءٍ^(١٠) ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾: أَوْعَقَهُ مَوْقِعُ «لَهُمْ» بَيَانًا لِلْحَالِهِمْ. [٩٩] ﴿وَلَقَدْ أُنزِلْنَا إِلَيْكَ﴾: يَا مُحَمَّد ﴿إِذْ نَبَيْتُ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾: ابْنُ صَوْرَةَ لِلنَّبِيِّ: مَا جِئْنَا بِشَيْءٍ^(١١) ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾: كَفَرُوا بِهَا. [١٠٠] ﴿أَوْ كَلَّمَآ عَاهِدُوا﴾: اللَّهُ ﴿عَهْدًا﴾: عَلَى الْإِيمَانِ بِالنَّبِيِّ إِنْ خَرَجَ، أَوْ النَّبِيُّ أَنْ لَا يَعَاوِنُوا عَلَيْهِ الْمُشْرِكِينَ ﴿نَبَذَهُمْ﴾: طَرَحَهُ ﴿فَرِيقٌ مِّنْهُمْ﴾: بِنَقْضِهِ، جَوَابُ «كَلَّمَآ»، وَهُوَ مُحَلٌّ لِّلِاسْتِفْهَامِ الْإِنْكَارِيِّ؟! ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. [١٠١] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾: مَا فِيهَا مِنْ أَنَّهُ نَبِيٌّ حَقٌّ أَوْ أَنَّهَا كِتَابُ اللَّهِ.

(٥) ما حاء في نزول الآية (٩٧) وما بعدها: أخرج أحمد عن ابن عباس قال: حضرت عصاة من اليهود نبي الله ﷺ يوما فقالوا: يا أبا القاسم، حدثنا عن خلال نسألك عنهم لا يعلمون إلا نبي. . . الحديث وفي آخره: قالوا: وأنت الآن تحدثنا؟ من رليك من الملائكة فعندنا نجتمعك أو نفارقك.

قال: «فإن وليي جبريل عليه السلام، ولم يبعث الله نبيا قط إلا وهو وليه». قالوا: فعندنا نفارقك؛ لو كان وليك سواه من الملائكة لتابعك وصدقك. قال: «فما يمنعكم من أن تصدقوه؟» قالوا: إنه عدونا. قال: «فعند ذلك قال الله ﷻ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. إِلَى قَوْلِهِ ﷻ: ﴿كَتَبَ اللَّهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾. فعند ذلك ﴿يَأْتُوا بِمِصْبَاحٍ عَلَى غُصَصٍ﴾ الآية. المسند (٢٧٨/١). (إسناده صحيح) شاكر (٢٥١٤).

(١) في العبارة قلب، والأصل تعلق بتمنيه بالشرطين؛ لأن «كَلَّمَآ» هو جواب، وهو متعلق بالشرطين.

(٢) خالصه: أنه إذا اجتمع شرطان وتوسط بينهما جواب كان الأول قيده في الثاني؛ بمعنى: أنه من تمام معناه.

(٣) ظاهره أنهما سبيتان، وليس كذلك، بل الناء عشرية قرأ بها يعقوب، واحتلف فيما زاد عن السبعة؛ هل يلحق بها فتجوز القراءة والصلاة بها، أم بالشواذ فيمتنعان؟ والمعمد الأول.

(٤) واسمه عبد الله، وكان من أحبار اليهود.

(٥) انظر: مسند أحمد (٢٥١٠). وروى البخاري في كتاب التفسير (٤٤٨٠) عن أنس نحو هذا في عبد الله بن سلام قبيل إسلامه وليس فيه أنه سبب نزل الآية..

(٦) جبريل وجبريل وجبريل، لأن كثير، ثم شعبة ثم حمزة والكسائي على الترتيب، جبريل نافع وأبي عمرو وابن عامر وحفص.

(٧) والكنة: شرفها وعظمتها، وكون النزاع فيها.

(٨) حمزة والكسائي وشعبة وابن كثير وابن عامر.

(٩) لنافع.

(١٠) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس [الدر المنثور (١٨١/١)].

يعمل السحر؛ لأنه كفر ﴿وَلَكِنَّ﴾ بالشديد والتخفيف ^(٣) ﴿الْشَّيْطَانُ﴾ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرُ الجملة حال من ضمير «كفروا» ﴿وَمَا﴾ يعلمونهم ﴿مَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ﴾ أي: ألهاماً من السحر ^(٤)، وفُرى بكسر اللام ^(٥)، الكائنين ﴿بِبَابِلَ﴾ بلد في سواد العراق ﴿هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ بدل أو عطف بيان للملكين، قال ابن عباس: هما ساحران، كانا يعلمان السحر، وقيل: ملكان أنزلا؛ لتعليمه ابتلاء من الله للناس ﴿وَمَا يَعْلَمَانِ مِنَ﴾ زائدة ﴿أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا﴾ له نصحا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فَتْنَةٌ﴾ بليّة من الله إلى الناس؛ ليمتحنهم بتعليمه؛ فمن تعلّمه كفر، ومن تركه فهو مؤمن ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ بتعليمه. فإن أتى إلا التعليم علماًه ﴿فَيَتَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا يَفْقَهُونَ﴾ به بين الأمر والوجوب، بأن يفيض كل إلى الآخر ﴿وَمَا هُمْ﴾ أي السحرة ﴿بِضَارِينَ﴾ به، بالسحر ﴿وَمَنْ﴾ زائدة ﴿أَحَدٌ إِلَّا يَأْذِنَ اللَّهُ﴾ بإرادته ﴿وَيَتَعْلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ﴾ في الآخرة ﴿وَلَا يَنْفَعُهُمْ﴾ وهو السحر ﴿وَلَقَدْ﴾ لام قسم ﴿عَلِمُوا﴾ أي اليهود ﴿لَمَنِ﴾ لام ابتداء معلقة لما قبلها ﴿وَمَنْ﴾ موصولة ﴿أَشْرَنَهُ﴾ اختاره أو استبدله بكتاب الله ﴿مَا لَمْ فِي﴾ الآخرة من علق في الجنة ﴿وَلَيْسَ﴾ ما شياً ﴿شَكْرًا﴾ باعوا ﴿بِهِ﴾ أنفسهم، أي: الشارين؛ أي: حظها من الآخرة إن تعلموه؛ حيث أوجب لهم النار ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة ما يصيرون إليه من العذاب، ما تعلموه.

[١٠٣] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ﴾ أي اليهود ﴿ءَامَنُوا﴾ بالنبى والقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾ عقاب الله بترك معاصيه؛ كالسحر، وجواب «لو» محذوف؛ أي: لأثيبوا؛ دل عليه ﴿لَمَنُوبَةٌ﴾ ثواب، وهو مبتدأ، واللام فيه للقسام ﴿مَنْ عِنْدَ اللَّهِ حَافِظٌ﴾ خيره، مما شروا به أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنه خير لما آثروه عليه. [١٠٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا﴾ للنبى: ﴿رِعَاكَ﴾ أمر من المراجعة، وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سب من الرعوناة ^(٦)، فشرّوا بذلك، وخاطبوا بها النبى؛ فنهى المؤمنين عنها ﴿وَقُولُوا﴾ بدلها: ﴿انظُرْنَا﴾ أي: انظر إلينا ﴿وَأَسْمِعُوا﴾ ما تومرون به سماع قبول ﴿وَلْيَكُنْ عَذَابُ آلِهَةٍ﴾ مؤلم هو النار.

[١٠٥] ﴿مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾ من العرب، عطف على أهل الكتاب، و«من» للبيان ﴿أَنْ يُزِيلَ عَلَيْكُمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿حَرِّ﴾ وحي ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ حسداً لكم ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾ نبوته ﴿مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا الشَّيْطَانُ عَلَى مُلْكٍ سَائِمِنَ وَمَا كَفَرَ سَائِمِنَ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السَّحَرُ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فَتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعْلَمُونَ مِنْهَا مَا يَفْقَهُونَ بِهِ بَيْنَ الْأَمْرِ وَرَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعْلَمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَيْسَ مَا شَرَوْهُ بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَنُوبَةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعَيْتَ وَقُولُوا انْظُرْنَا وَاسْمِعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٥﴾ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُزِيلَ عَلَيْهِمْ مِنْ خَيْرٍ مِّنْ رَبِّكَ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

[١٠٢] ﴿وَاتَّبِعُوا﴾ عطف على «بذل» ^(١) ﴿مَا تَنَزَّلُوا﴾ أي: نزلت الشَّيْطَانُ عَلَى عَهْدِ ﴿مُلْكٍ سَائِمِنَ﴾ من السحر، وكانت ذفنته تحت كرسيه لما نزع منكبه، أو كانت تسترق السمع، وتضم إليه أكاذيب، وتلقيه إلى الكهنة؛ فيدونونه، وفشا ذلك، وشاع أن الجن تغلم الغيب؛ فجمع سليمان الكتب ودفعها، فلما مات دلت الشياطين عليها الناس؛ فاستخرجوها، فوجدوا فيها السحر، فقالوا: إنما ملككم بهذا فتعلموه. فرفضوا كتب أنبيائهم ^(٢). قال - تعالى - تبرئة لسليمان ورداً على اليهود في قولهم: انظروا إلى محمد يذكر سليمان في الأنبياء، وما كان إلا ساحراً: ﴿وَمَا كَفَرَ سَائِمِنُ﴾ أي: لم

(١) استشكل بأن المعطوف على الجواب جواب، وقوله: ﴿اتَّبِعُوا﴾ لا يصلح أن يكون جواباً؛ لعدم ترتبه على الشرط؛ لأنه سابق على بعثة الرسول ﷺ، فالأحسن عطفه على جملة: ﴿وَلَوْ كُنَّا جَاهِلِينَ﴾.

(٢) هذه لتفاصيل من قصته مع الجن والكتب وما وجبوه منها من سحر ونحوه طارها من الإسرائيليات، التي تخالف مناصب الأنبياء وعصمتهم وشأنهم ولا يمكن التصديق بصحتها.

(٣) بتخفيف نون ﴿لَكِنَّ﴾ ورفع ﴿الْشَّيْطَانُ﴾ قراءة حمزة والكسائي وابن عامر.

(٤) وقيل: «نافية» أي: لم ينزل على الملكين. قال ابن الأثيري: وهذا الوجه ضعيف جداً؛ لأنه خلاف الظاهر والمعنى.

(٥) وهي قراءة شاذة.

(٦) أي: الحق، والجهل، وقلة العقل، وهي بهذا المعنى عربية، وقيل: هي عبرانية، أو سريانية. ومعناها: اسمع لا سمعت.

(٧) وفيها إثبات صفة الرحمة على الوجه اللاتى بجلاله - سبحانه -، ومن آثار رحمته الشرع الذي شرعه لنبيه ﷺ ولأمته. وأما تفسيره الرحمة بالنبوة بخلاف الظاهر.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصْرَى
لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ
قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَاسْتَعَى فِي خَرَابِهَا
أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي
الدُّنْيَا خِزْيٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ
وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَشَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾
وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ قُنُوتٌ ﴿١١٦﴾ يَدْبَعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَلِذَا قُضِيَ أَمْرٌ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ
كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ
قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ
بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُشْغَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾

﴿١١٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ النَّصْرَى عَلَى شَيْءٍ مُعْتَذِرِينَ بِهِ، وكفرت
بعيسى ﴿١١٤﴾ وَقَالَتِ النَّصْرَى لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مُعْتَذِرِينَ بِهِ، وكفرت بموسى
﴿١١٥﴾ وَهُمْ أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ يَتْلُونَ الْكِتَابَ الْمُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ، وفي كتاب اليهود
تصديق عيسى، وفي كتاب النصارى تصديق موسى، والجملة حال
﴿١١٦﴾ كَذَلِكَ كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ ﴿١١٧﴾ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ أَيُّ الْمَشْرُوكِينَ مِنْ

العرب وغيرهم ﴿١١٨﴾ مِثْلَ قَوْلِهِمْ بَيَانٌ لِمَعْنَى ذَلِكَ أَيُّ: قَالُوا لِكُلِّ ذِي دِينٍ:
لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ ﴿١١٩﴾ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ
مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، فَيَدْخُلُ الْحَقُّ الْجَنَّةَ وَالْقَبِيلَ النَّارَ: ﴿١١٤﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ أَيُّ:
لَا أَحَدٌ أَظْلَمُ ﴿١١٥﴾ وَمَنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ
﴿١١٦﴾ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا بِالْهَدْمِ أَوْ التَّعْطِيلِ، نَزَلَتْ إِخْبَارًا عَنْ الرُّومِ الَّذِينَ خَرَبُوا
بَيْتَ الْمَقْدِسِ، أَوْ فِي الْمَشْرُوكِينَ مَا صَدَّوْا النَّبِيَّ ﷺ عَامَ الْحَدِيدَةِ عَنْ الْبَيْتِ
﴿١١٧﴾ أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ: خَيْرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ أَيُّ:
أَخِيفُهُمْ بِالْجِهَادِ، فَلَا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ آمِنًا ﴿١١٨﴾ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ: هَوَانٌ بِالْقَتْلِ
وَالسَّبْيِ وَالْجُرْيَةِ ﴿١١٩﴾ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ: هُوَ النَّارُ. وَنَزَلَ لِمَا طَعَنَ الْيَهُودُ
فِي نَسْخِ الْقِبْلَةِ أَوْ فِي صَلَاةِ النَّافِلَةِ عَلَى الرَّاحِلَةِ فِي السَّفَرِ حَيْثُ مَا تَوَجَّهَتْ: ﴿١١٥﴾
﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ ﴿١١٦﴾ أَيُّ: الْأَرْضُ كُلُّهَا، لِأَنَّهَا تَأْتِيهَا هَا هُنَا فَأَيْنَمَا تُولُوا
وَجُوهَكُمْ فِي الصَّلَاةِ بَأَمْرِهِ ﴿١١٧﴾ فَذَمُّ: هُنَاكَ ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾ ﴿١١٨﴾ قَبْلَتُهُ الَّتِي رَضِيَهَا ﴿١١٩﴾
﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ﴾ يَسِعُ فَضْلُهُ كُلَّ شَيْءٍ ﴿عَلِيمٌ﴾ بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ ﴿١١٦﴾
﴿وَقَالُوا﴾ بَوَاوُ وَبَدُونَهَا ﴿١١٧﴾ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ
الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ: ﴿اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾. قَالَ: تَعَالَى: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تَنْزِيهًا
لَهُ عَنْهُ ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مَلَكًا وَخَلْقًا وَعِبَادًا، وَالْمَلَائِكَةُ تَنَافَى
الْوِلَادَةِ، وَعَبَّرَ بِ«مَا» تَعْلِيْقًا لِمَا لَا يَعْقِلُ ﴿كُلُّ لَّهُ قُنُوتٌ﴾ مَطْبُوعُونَ، كُلُّ بَمَا يُرَادُ
مِنْهُ، وَفِيهِ تَغْلِيْبُ الْعَاقِلِ. ﴿١١٧﴾ ﴿يَدْبَعُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُوجِدُهُمْ لَا
عَلَى مِثَالِ سَيْفٍ ﴿وَلِذَا قُضِيَ أَمْرٌ﴾ أَرَادَ ﴿أَمْرًا﴾ أَيُّ: إِيجَادُهُ ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ
فَيَكُونُ﴾ أَيُّ: فَهُوَ يَكُونُ، وَفِي قِرَاءَةٍ ﴿فَيَكُونُ﴾ بِالضَّمِّ جَوَابًا لِلْأَمْرِ.

﴿١١٨﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَيُّ: كُفَّارُ مَكَّةَ ﴿لِلنَّبِيِّ ﷺ﴾ ﴿لَوْلَا﴾
هَلَا ﴿يُكَلِّمُنَا اللَّهُ﴾ بِأَنْكٍ رَسُولَهُ ﴿أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾ مِمَّا اقْتَرَحَاهُ عَلَى
صَدَقَتِكَ ﴿كَذَلِكَ﴾ كَمَا قَالَ هَؤُلَاءِ ﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ مِنْ كُفَّارِ الْأُمَمِ
الْمُضَابِيَةِ لِأَنْبِيَائِهِمْ ﴿مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ مِنَ التَّعَنُّتِ وَطَلَبِ الْآيَاتِ ﴿تَشَابَهَتْ
قُلُوبُهُمْ﴾ فِي الْكُفْرِ وَالْعِنَادِ، فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ﴿قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
يُوقِنُونَ﴾ يَعْلَمُونَ أَنَّهَا آيَاتُ فَيُؤْمِنُونَ، فَاقْتَرَحَ آيَةً مَعَهَا تَعَتُّ. ﴿١١٩﴾
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿بِالْحَقِّ﴾ بِالْهُدَى ﴿بَشِيرًا﴾ مَنْ أَحَابَ إِلَيْهِ
بِالْجَنَّةِ ﴿وَنَذِيرًا﴾ مَنْ لَمْ يَجِبْ إِلَيْهِ النَّارُ ﴿وَلَا تُشْغَلْ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ النَّارُ
أَيُّ: الْكُفَّارُ مَا لَهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا؟ إِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَفِي قِرَاءَةٍ بِجَزْمٍ «تَسْأَلُ» نَهْيًا ﴿١١٩﴾.

(٥) مَا حَافِيَ فِي نَزُولِ الْآيَةِ (١١٥): أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ ابْنِ عَمْرِو قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصْلِي وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ حَيْثُ كَانَ وَجْهَهُ قَالَ: وَفِيهِ نَزَلَتْ: ﴿فَإِنَّمَا تُولُوا قِبْلَتَكُمْ وَجْهَ اللَّهِ﴾ مُسْلِمٌ - كِتَابُ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ وَقَصْرُهَا (٦) بَابُ (٤) جَوَازُ صَلَاةِ النَّافِلَةِ عَلَى الدَّابَّةِ فِي السَّفَرِ حَيْثُ تَوَجَّهَتْ. وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ بْنِ رِبْعَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرِهِ فِي لَيْلَةٍ فَلَمْ نَرِ أَبْنَ الْقِبْلَةِ، فَصَلَّى كُلُّ رَجُلٍ مِنَّْا عَلَى حَيْالِهِ، فَلَمَّا أَصْبَحْنَا ذَكَرْنَا ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَنَزَلَتْ: ﴿فَإِنَّمَا تُولُوا قِبْلَتَكُمْ وَجْهَ اللَّهِ﴾ التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٣) سُورَةُ الْبَقَرَةِ. (حَسَنٌ) صَحِيحُ التِّرْمِذِيِّ (٥٨٤، ٢٣٥٧).

(١) اخْتَارَ الْقُرْطُبِيُّ أَنَّهَا عَامَةٌ فِي كُلِّ مَسْجِدٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ اللَّفْظَ عَامٌ وَرَدَ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ، فَتَضَيَّقُهَا ضَعِيفٌ. (٢) انْظُرِ الْحَدِيثَ وَتَخْرِيجَهُ فِي أَسْبَابِ النَّزُولِ.

(٣) وَفِيهِ إِثْبَاتُ لُجَّةِ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ - تَعَالَى - وَأَنَّ لَهُ وَجْهًا لَا تُشَبِّهُهُ الْوُجُوهُ.

(٤) وَهَذَا قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَتَبِعَهُ الشَّافِعِيُّ. قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: إِنَّهُ لَا يَحِلُّ إِطْلَاقَ وَجْهِ اللَّهِ عَلَى الْقِبْلَةِ لَعَنَ وَلَا شَرْعًا وَلَا عَرَفًا... بَلِ الْقِبْلَةُ لَهَا اسْمٌ بِخُصَّصَ، وَالْوَجْهُ لَهُ اسْمٌ بِخُصَّصَ... وَأَيْضًا فَهِنَّ الْمَعْلُومُ أَنَّ قِبْلَةَ اللَّهِ الَّتِي نَصَّبَهَا لِعِبَادِهِ هِيَ قِبْلَةُ وَاحِدَةٍ... فَكَيْفَ يَقَالُ: أَيُّ وَجْهِ وَجْهَتُوهَا وَاسْتَقْبَلْتُمُوهَا فِيهِ قِبْلَةُ اللَّهِ؟... وَحَسَلُ الْآيَةِ عَلَى اسْتِقْبَالِ الْمَسَافِرِ فِي التَّنْفِلِ، وَعَنِ الرَّاحِلَةِ، وَعَنِ حَالِ الْغَيْمِ وَنَحْوِهِ جَدًّا عَنْ ظَاهِرِ الْآيَةِ وَاطِّلَافِهَا وَعَوْمُهَا وَمَا قَصَدَ بِهَا... وَالْآيَةُ لَا تَعْرِضُ فِيهَا لِلتَّلَقُّ وَلَا لِلْحُكْمِ الْإِسْتِقْبَالِ، بَلِ سِيَاقُهَا لِمَعْنَى آخَرٍ: وَهُوَ: بَيَانُ عِظَمَةِ الرَّبِّ - تَعَالَى - وَسِعَتِهِ، وَأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَأَعْظَمُ مِنْهُ، وَأَنَّهُ مُحِيطٌ بِالْعَالَمِ الْعُلَوِيِّ وَالسَّافِلِيِّ، فَذَكَرَ فِي أَوَّلِ الْآيَةِ إِسْطِطَاعَةَ مُلْكِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ الْكَثَرِيُّ وَالْقَرِيبُ﴾ (البقرة: ١١٥)، فَبَيَّنَّا بِذَلِكَ عِظَمَ مُلْكِهِ مَا لَيْسَ بِهِمَا، ثُمَّ ذَكَرَ عِظَمَهُ - سُبْحَانَهُ - وَأَنَّهُ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ: فَأَيُّمَا وَلَّى الْمَلِكُ وَجْهَهُ فَجْهَ اللَّهِ، ثُمَّ خَتَمَ بِاسْمَيْنِ دَالَيْنِ عَلَى السَّعَةِ وَالْإِحْسَانَةِ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ١١٥)، وَأَيْضًا هَذِهِ الْآيَةُ ذَكَرَتْ مَعَ مَا بَعْدَهَا لِبَيَانِ عِظَمَةِ الرَّبِّ، وَالرَّادُّ عَلَى مَنْ جَعَلَ لَهُ وَلَدًا، فَقَالَ - تَعَالَى - بَعْدَهَا: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (البقرة: ١١٦)، فَهَذَا السِّيَاقُ لَا تَعْرِضُ فِيهِ لِلتَّلَقُّ، وَلَا سَبْقَ الْكَلَامِ لِأَجْلَاهُ... مَالِقُامُ مَقَامَ تَقْرِيرِ الْأَصُولِ التَّوْحِيدِ وَالْإِيمَانِ وَالرَّادُّ عَلَى الْمَشْرُوكِينَ لَا يَبَانُ فَرَعٌ مِنْ جُزْئِي. نَقَلًا عَنْ: [المفسرون بين الإثبات والتأويل (١/ ٣٦٤ - ٣٦٧)] تصريف. فَتفسير الوجه بآلية فيه تعطيل لصفة الوجه. (٥) بِذَوْنِ الْوَاوِ لَا بِنِ الْوَاوِ. (٦) لَا بِنِ الْوَاوِ. (٧) بِإِنَاءَةٍ مُضْمَرَةٍ بَعْدَ فَاءِ السَّبِيْعَةِ.

(٨) تَقَدَّمَ الْإِشْكَالُ بِأَنَّ السُّورَةَ مَدَنِيَّةٌ وَأَنَّ السَّائِلَ لَهْ يَهُودَ الْمَدِينَةِ، وَهِيَ: وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ كُفَّارُ مَكَّةَ أَرْسَلُوا ذَلِكَ السَّوْأَلَ لَهُ وَهُوَ بِالْمَدِينَةِ.

(٩) مَعَ فَتْحِ التَّاءِ النَّافِعِ.

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنَّ آتِيتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢١﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَنْبَغِي إِسْرَءِيلَ أَنْذَكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٢٣﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا وَلِتَذُكَّرُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٢٧﴾

[١٢٠] ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ﴾ دِينَهُمْ ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾ أي الإسلام ﴿وَمَا عَادَهُمْ ضَلَالٌ﴾ وَلَئِنَّ ﴿آتِيتَهُمْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي يدعونك إليها فَوْضًا ^(١) ﴿بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ الوحي من الله ﴿مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظك ﴿وَلَا نَصِيرٍ﴾ يمتنع منه.

[١٢١] ﴿الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ مبتدأ ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾ أي؛ يقرءونه كما أنزل، والجملة حال، و«حق» نصب على المصدر، والخبر: ﴿أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ نزلت في جماعة قدموا من الحبشة وأسلموا ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ أي؛ بالكتاب المؤتى بأن يحرفه ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[١٢٢] ﴿يَنْبَغِي إِسْرَءِيلَ أَنْذَكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ تقدم مثله.

[١٢٣] ﴿وَاتَّقُوا﴾ خافوا ﴿يَوْمًا لَا تَجْزِي﴾ تغني ﴿نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ﴾ فيه ﴿شَيْئًا﴾ وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ فداء ﴿وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَعَةٌ﴾ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿يُتَّقُونَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾.

[١٢٤] ﴿وَإِذْ ابْتَلَى﴾ اخْتَبَر ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ وفي قراءة: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ [إبراهيم] ^(٢) ﴿رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ بأوامر وتَوَاتُرَ كلفه بها؛ قيل: هي مناسك الحج. وقيل: المضمضة، والاستنشاق، والسواك، وقص الشارب، ورفق الشعر، وقلم الإظفار، وتنف الإبط، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أَذَاهُنَّ تَامَتْ ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ قدوة في الدين ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾ أولادي: اجعل أئمة ﴿قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي﴾ بالإمامة ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين منهم؛ ذل على أنه ينال غير الظالم [١٢٥] ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ﴾ الكعبة ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ مرجعًا يشوبون إليه من كل جانب ﴿وَأَمْنَا﴾ مَأْمَنًا لهم من الظلم والإغارات الواقعة في غيره؛ كان

الرجل يلقي قاتل أبيه فيه فلا يهجمه ﴿وَأَعِيدُوا﴾ أيها الناس ﴿مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ﴾ هو الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت ﴿مُصَلًّى﴾ مكان صلاة بأن تصلوا خلفه ركعتي الطواف، وفي قراءة بفتح الحاء خبر ^(٣) ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ أمرناهما ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿طَهِّرَا بَيْتِيَ﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ المقيمين فيه ﴿وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾ جمع راكم وساجد، المصلين.

[١٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾ ذا أمن، وقد أجاب الله دعاءه؛ فجعله حرماً، لا يسفك فيه دم إنسان، ولا يُظلم فيه

أحد، ولا يُصاد صيده، ولا يُختلى خلاءه ^(٤) ﴿وَأَرْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾ وقد فعل بنقل الطائف من الشام إليه، وكان أقفر لا زرع فيه ولا ماء ﴿وَمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ بدل من أهله، وخصهم بالدعاء لهم موافقة لقوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾. ﴿قَالَ﴾ - تعالى -: ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ بالتشديد والتخفيف ^(٥) في الدنيا بالرزق ﴿قَلِيلًا﴾ مدة حياته ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُ﴾ ألجئه في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابِ النَّارِ﴾ فلا يجد عنها محيصاً ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي.

(١) أي: على فرض وقوعه.

(٢) لابن عامر، سوى النقاش عن الأحفش. وذلك في ثلاثة وثلاثين موضعاً منها خمسة عشر في هذه السورة.

(٣) أي: اتخذوا، لنافع وابن عامر.

(٤) أي: حشيشه.

(٥) بالتخفيف قراءة ابن عامر.

لتقدم قوله: ﴿لَا يَتَّالِ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَأَرَأَيْتُمْ﴾ علمنا ﴿مَنَاسِكَكُمْ﴾ شرائع عبادتنا أو حجنا ﴿وَتُبَّ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ سألاه التوبة مع عصيتهما تواضعاً وتعليقاً لذريتهما.

[١٢٩] ﴿رَبَّنَا وَأَنْعِثْ فِيهِمْ﴾ أي: أهل البيت ﴿رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ من أنفسهم، وقد أجاب الله دعاءه محمد ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِكَ﴾ القرآن ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ أي: ما فيه من الأحكام ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم من الشرك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْقَرِيرُ﴾ الغالب ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه^(١).

[١٣٠] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا ﴿يَرْغَبْ عَنْ اللَّهِ﴾ فتركها ﴿إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ جهل أنها مخلوقة لله، يجب عليها عبادته، أو استخف بها وامتنعها ﴿وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ﴾ اخترناه ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالسَّالَةِ وَالْخَلَّةِ ﴿وَأَيُّهُ﴾ في الآخِرَةِ ﴿لِمَنْ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

[١٣١] ﴿وَأَذْكُرْ﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ﴿انْقَضَ لَهُ دِينُكَ﴾ قَالَ أَشَكَنْتُ رَبِّي الْعَالَمِينَ.

[١٣٢] ﴿وَوَصَّى﴾ وفي قراءة^(٢): ﴿أَوْصَى﴾ ﴿بِهَآءٍ﴾ بالملءة ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ نَبِيَّهِ وَيَعْقُوبَ﴾ نَبِيَّهِ قَالَ: ﴿يَنْبَغِي لِي أَنْ أَسْأَلَكَ لَكُمْ الدِّينَ﴾ دين الإسلام ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ نَهَى عَنْ تَرْكِ الْإِسْلَامِ، وَأَمَرَ بِالْقِيَامِ عَلَيْهِ إِلَى مَصَادِفَةِ الْمَوْتِ.

وَلَمَّا قَالَ الْيَهُودُ لِلنَّبِيِّ: أَلَسْتَ تَعْلَمُ أَنَّ يَعْقُوبَ يَوْمَ مَاتَ أَوْصَى نَبِيَّهِ بِالْيَهُودِيَّةِ؛ نَزَلَ: [١٣٣] ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ﴾ إِذْ بَدَلَ مِنْ «إِذْ» قِيلَ^(٣) ﴿قَالَ لِسَيِّدِهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي﴾ بعد موتي ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ﴾ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ عَدُوَّ إِسْمَاعِيلَ مِنَ الْآبَاءِ تَغْلِيظُ، وَلِأَنَّ الْعَمَّ بِمَنْزِلَةِ الْأَبِّ ﴿إِلَهًا وَجِدًا﴾ بَدَلَ مِنَ الْهَلِكِ ﴿وَنَحْنُ لَمْ مُسْلِمُونَ﴾، وَ«أَمْ» بِمَعْنَى هَمَزَةِ الْإِنْكَارِ^(٤)؛ أَي: لَمْ تَحْضُرُوهُ وَقَدْ مَاتَ فَكَيْفَ تَنْسُبُونَ إِلَيْهِ مَا لَا يَلِيقُ بِهِ؟.

[١٣٤] ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ، والإشارة إلى إبراهيم ويعقوب ونبيهما، وأنت؛ لتأنيث خبره ﴿أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾ سَلَفَتْ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ مِنَ الْعَمَلِ؛ أَي: جَزَاؤُهُ، اسْتِنَافٌ ﴿وَلَكُمْ﴾ الْخُطَابُ لِلْيَهُودِ ﴿مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ كَمَا لَا يُسْأَلُونَ عَنْ عَمَلِكُمْ، وَالْجُمْلَةُ تَأْكِيدٌ لِمَا قَبْلُهَا.

وَأَذْكُرْ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلَ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٩﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٣٠﴾ رَبَّنَا وَأَنْعِثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٣١﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَتَسْمُنِي رَبِّي الْعَالَمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِي إِنْ أَسْأَلَكَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٤﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَجِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٦﴾

[١٢٧] ﴿وَذِكْرُ﴾ إِذْ رَفَعَ إِبْرَاهِيمَ الْقَوَاعِدَ الْأَسَاسَ أَوِ الْجِدَارَ ﴿مِنْ آلِ بَيْتِهِ﴾ بَنِيهِ، مُتَعَلِّقٌ بِ«رَفَعَ» ﴿وَإِسْمَاعِيلَ﴾ عَطَفَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا﴾ بِنَاؤُنَا ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ بِالْفِعْلِ.

[١٢٨] ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ﴾ مُتَقَادِينَ ﴿وَلَكَ﴾ وَاجْعَلْ ﴿مِنْ ذُرِّيَّتِنَا﴾ أَوْلَادَنَا ﴿أُمَّةً﴾ جَمَاعَةً ﴿مُسْلِمَةً لَكَ﴾ «وَمِنْ» لِلتَّبَعِضِ، وَأَتَى بِهِ؛

(١) الأولى: التعميم في تَقَبَّلْ الْحِكْمَةَ؛ فيقال: الحكيم في كل شأن من شؤنه؟ من صنعه، وقدره، وتشريع، وجزائه، وإرساله رسله، وإنزاله كيبه، ... إلخ. وكذا يقال في كل موضع قصرا فيه الصنفان الحكمة على صنعه سبحانه وتعالى فقط.

(٢) ثنايف وابن عامر.

(٣) أي: بدل اشتمال.

(٤) أي: فتارة تفسر بها وحدها، وتارة تفسر بها وب«إل»، وتارة تفسر ب«إل» وحدها.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا أَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ آيَاتُ الْبُرْهَانِ
خَافًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُلُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا
أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ
رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
فَإِنَّمَا يُعْمِلُ مَاءَ آمَنَتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا
فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾
صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ
عَبِيدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَاجُّونَنِي فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ
وَلَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾
أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ
اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ
بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أَمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

[١٣٥] ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾ «أو» للتفصيل، وقالوا
الأول يهود المدينة، والثاني نصارى نجران ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلْ نَبْعَ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ حال من إبراهيم، مائلا عن الأديان كلها إلى الدين القيم
﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٣٦] ﴿قُلُوا﴾ خطاب للمؤمنين: ﴿ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ من
القرآن ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ من الصحف العشر ﴿وَلِإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى﴾ من التوراة ﴿وَعِيسَى﴾ من
الإنجيل ﴿وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ من الكتب والآيات ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ
أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض؛ كاليهود والنصارى ﴿وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ﴾.

[١٣٧] ﴿فَإِنَّمَا يُعْمِلُ مَاءَ آمَنَتُمْ﴾ أي: اليهود والنصارى ﴿يُعْمِلُ﴾ «مثل» زائدة
﴿مَاءَ آمَنَتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان به ﴿فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾
خلاف معكم ﴿نَسْتَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ﴾ يا محمد شِقَاقُهُمْ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ﴾ بأحوالهم، وقد كفاه إياهم بقتل قريظة، ونفي الضير
وضرب الجزية عليهم.

[١٣٨] ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لـ ﴿آمَنَّا﴾ ونصبه بفعل مقدر؛ أي:
صَبَغَنَا اللَّهُ؛ والمراد بها: دينه الذي فطر الناس عليه؛ لظهور أثره على صاحبه؛
كالصبغ في الثوب ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ تمييز
﴿وَنَحْنُ لَهُ عِبِيدُونَ﴾. قال اليهود للمسلمين: نحن أهل الكتاب الأول،
وقبلتنا أقدم، ولم تكن الأنبياء من العرب، ولو كان محمد نبيا، لكان منا.
فَنَزَلَ: [١٣٩] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَتُحَاجُّونَنِي﴾ تخاصموننا ﴿فِي اللَّهِ﴾ أن
اصطفى نبيا من العرب ﴿وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ﴾ فله أن يصطفى مَنْ يشاء
﴿وَلَكَّا أُمَّتُنَا﴾ نَجَازَى بها ﴿وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾ نَجَازُونَ بها؛ فلا يبعد أن
يكون في أعمالنا ما نستحق به الإكرام ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ﴾ الدين والعمل
دونكم؛ فنحن أولى بالاصطفاء، والهمزة للإنكار، والجمل الثلاث أحوال.

[١٤٠] ﴿أَمْ﴾ بل أَمْ تَقُولُونَ ﴿بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ﴾^(١): ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ
وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ﴾ لهم: ﴿ءَأَنْتُمْ
أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ أي: الله أعلم، وقد بُرِّئَا منهما إبراهيم بقوله: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ
يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾^(٢) والمذكورون معه تبع له ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ﴾
أخفى على الناس ﴿شَهَادَةً عِنْدَهُ﴾ كائنة ﴿بِرَبِّهِ﴾ أي: لا أحد أظلم
منه؛ وهم: اليهود؛ كَتَمُوا شهادة الله في التوراة لإبراهيم بالحنيفية^(٣) ﴿وَمَا
اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم.

[١٤١] ﴿تِلْكَ أَمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ
عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ تقدم مثله.

(١) فائدة: أخرج مسلم عن عبد الله بن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما: ﴿قُلُوا ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا﴾ التي في البقرة، وفي الآخرة منهما: ﴿ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ
وَأَنَّهُ هُوَ يَأْتَاكُمْ مُسْلِمُونَ﴾. مسلم. كتاب صلاة المسافرين وقصرها (٦) باب (٣٨) القراءة في ركعتي الفجر.

(١) بالياء نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٢) آل عمران: ٦٧.

(٣) أي: ولمحمد ﷺ بالرسالة؛ حيث ذكر الله أوصافه وأخلاقه في كتبهم فغيروها وبدلوها.

يا أمة محمد ﴿أَمَّا وَسَطًا﴾ خيارًا عدولاً ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ يوم القيامة: أن رسلم بلغنهم ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ أنه بلغكم ﴿وَمَا جَعَلْنَا صَئِرًا لَكَ الْآنَ﴾ ﴿الْقِبْلَةَ﴾ الجهة ﴿الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ أولاً؛ وهي: الكعبة، وكان ﷺ يصلي إليها، فلما هاجر، أمر باستقبال بيت المقدس؛ تألفاً لليهود؛ فصلى إليه ستة أو سبعة عشر شهراً، ثم تحول ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ﴾ فيصده ﴿مِمَّنْ يَتَّقِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ أي: يرجع إلى الكفر؛ شكاً في الدين، وظناً أن النبي ﷺ في حيرة من أمره، وقد ارتد لذلك جماعة ﴿وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: وإنما كانت أي: التولية إليها ﴿لِكِبْرَةٍ﴾ شاقة على الناس ﴿إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَكَى اللَّهُ﴾ منهم ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ أي: صلاتكم إلى بيت المقدس ^(١)؛ بل يبيحكم عليه؛ لأن سبب نزولها السؤال عن مات قبل التحول ^(٢) ﴿إِنَّكَ اللَّهُ يَالْكَائِبِينَ﴾ المؤمنين ﴿لَزَوْا وَفُتِّجُوا﴾ في عدم إضاعة أعمالهم، والرافة شدة الرحمة، وقُدِّم الأبلغ للفاصلة ^(٣).

[١٤٤] ﴿فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ ^(٤) ولين آتيت الدين أولوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولين اتبع أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم إنك إذا لمن الظالمين ^(٥)

[١٤٥] ﴿وَلَيْنَ﴾ لام القسم ﴿آتيت الدين أولوا الكتاب بكل آية﴾ على صدقك في أمر القبلة ﴿مَا تَتَّبِعُونَ﴾ أي: [لا] تبعون ﴿فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ﴾ عناداً ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ فَلَئِنَّكُمْ﴾ قَطَعَ لطمعه في إسلامهم وطمعهم في عوده إليها ﴿وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ﴾ أي: اليهود قبله النصارى، وبالعكس ﴿وَلَيْنَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ التي يدعونك إليها ﴿وَلَيْنَ بَدَىٰ مَا جَاءَكَ مِنْ أَلْسِنَةٍ﴾ الوحي ﴿إِذَا﴾ إن اتبعتم فوضاً ﴿لَيْنَ الظَّالِمِينَ﴾

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٤﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ قَدْ تَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُؤَيِّنَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٦﴾ وَلَيْنَ آتَيْتَ الدِّينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتِهِمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَيْنَ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٧﴾

[١٤٢] ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ﴾ الجهال ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ اليهود والمشركين: ﴿مَا وَلَّاهُمْ﴾ أي شئ صرف النبي ﷺ والمؤمنين ﴿عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ على استقبالها في الصلاة؛ وهي: بيت المقدس؛ والإتيان بالسبب الدالة على الاستقبال من الإخبار بالغيب ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ أي: الجهات كلها؛ فَيُأْمَرُ بالتوجه إلى أي جهة شاء لا اعتراض عليه ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام أي: ومنهم أنتم ^(١)؛ ذل على هذا: [١٤٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما هديناكم إليه ﴿جَعَلْنَاكُمْ﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (١٤٤): أخرجه البخاري عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس ستة عشر - أو سبعة عشر - شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يوجه إلى الكعبة، فأنزل الله: ﴿قَدْ تَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ﴾ فتوجه نحو الكعبة... البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - (٢) سورة البقرة باب (٢).

(١) أي: من المهتدين أمة محمد ﷺ.

(٢) عبر بالإيمان عن الصلاة؛ لأنها أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين.

(٣) هو عند البخاري وغيره، وأخرجه البخاري في تفسيره من حديث البراء (٤٨٦).

(٤) أي: مع أن العادة العكس؛ ليكون للأبلغ بعد غيره فائدة؛ فيقال: عالم تحرير، ولا يقال: تحرير عالم. والفاصلة هي الكلمة آخر الآية، كخافية الشعر وقرينة السجع.

(٥) وقيل: للتكثير. وهي بالنظر لفعل النبي ﷺ لا رؤية الله، وهو خطاب تودد.

(٦) لابن عامر، وحزمه، والكسائي، وقرأ الباقون بالياء.

الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ
وَأَنَّ قَرِيبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وَجْهَةٍ
هُوَ مُوَلِّيًا فَاسْتَفِقُوا الْحَيَاتِ إِنَّ مَا تَكُونُوا يَاتِيكُمْ اللَّهُ
جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ
فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَلَهُ وَالْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ
وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ
وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا
وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ
ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَتَّبِعُوا نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو
عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ
وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَأَذْكُرُوا لِي آذِكْرُكُمْ
وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

﴿١٤٦﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يَعْرِفُونَهُ أَي: محمداً ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ
أَبْنَاءَهُمْ﴾ بنعته في كتبهم؛ قال ابن سلام: لقد عرفته حين رأيته؛ كما أعرف
ابني، ومعرفتي لحمد أشد ﴿وَأَنَّ قَرِيبًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ نعته ﴿وَهُمْ
يَعْلَمُونَ﴾ هذا الذي أنت عليه ﴿١٤٧﴾ الْحَقُّ كائنًا ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ فلا
تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ الشاكين فيه؛ أي: من هذا النوع، فهو أبلغ من: لا تمتز.
﴿١٤٨﴾ وَلِكُلِّ مِنَ الْأُمِّ وَجْهَةٌ قِبَلَهُ ﴿هُوَ مُوَلِّيًا﴾ وجهه في
صلاته، وفي فراءة^(١): ﴿مُؤَلَّاهًا﴾ فَاسْتَفِقُوا الْحَيَاتِ بادروا إلى الطاعات
وقبولها ﴿إِنَّ مَا تَكُونُوا يَاتِي بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا﴾ يجمعكم يوم القيامة؛
فيجازيكم بأعمالكم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ لِسْفَرٍ ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ
الْحَرَامِ وَإِلَيْهِ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ بالتاء والياء^(٢)،
تقدم مثله، وكرره؛ لبيان تساوي حكم السفر وغيره.

﴿١٥٠﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا
كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ كره؛ للتأكيد^(٣) ﴿لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ﴾
اليهود أو المشركين ﴿عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ أي: مجادلة في التولي إلى غيره؛ لستفي
مجادلتهم لكم من قول اليهود: يبعد ديننا ويتبع قبلتنا. وقول المشركين:
يدعي ملة إبراهيم ويخالف قبلته، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بالنعاد؛ فإنهم
يقولون: ما تحول إليه إلا ميلاً إلى دين آباءه. والاستثناء متصل؛ والمعنى: لا
يكون لأحد عليكم كلام إلا كلام هؤلاء ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ﴾ تخافوا جدالهم في
التولي إليها ﴿وَاخْشَوْنِي﴾ بامثال أمري ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا نِعْمَتِي﴾ عطف على ﴿لِيَلَّا
يَكُونَ﴾ يَمْنِي عَلَيْكُمْ بالهداية إلى معالم دينكم ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾
إلى الحق.

﴿١٥١﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا مَتَلَقٍ بِأَنَّهُمْ؛ أي: إتمام كإتمامها بإرسالها
﴿فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ﴾ محمداً ﷺ ﴿يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا﴾ القرآن
﴿وَيُزَكِّيكُمْ﴾ يطهركم من الشرك ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن
﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾.

﴿١٥٢﴾ فَأَذْكُرُوا لِي بِالصَّلَاةِ وَالتَّسْبِيحِ وَنَحْوِهِ ﴿أَذْكُرْكُمْ﴾ قيل: مغفلة
أجازكم. وفي الحديث عن الله: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَمَنْ
ذَكَرَنِي فِي مَالٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَالِي خَيْرٌ مِنْ مَلِيَّةٍ»^(٤) ﴿وَأَشْكُرُوا لِي﴾ نعمتي
بالطاعة ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ بالعصية.

﴿١٥٣﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا عَلَى الْآخِرَةِ بِالصَّبْرِ عَلَى
الطاعة والبلاء ﴿وَالصَّلَاةِ﴾ خُصَّهَا بِالذِّكْرِ، لتكررها وَعَظَمَهَا ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ
الصَّابِرِينَ﴾ بالعون.

(١) لابن عامر.

(٢) ظاهره فرضاً ونقلاً؛ ولكن السنة حصصت ذلك بالفريضة، وأما النافلة فتجوز في السفر لغير القبلة بشروط.

(٣) بالياء لأبي عمرو.

(٤) لغزاة الحكم حينئذ؛ لأنه أول ما ورد من النسخ.

(٥) البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥).

يَقُولُ: «مَلَكًا وَعَبِيدًا، يَفْعَلُ بِنَا مَا يَشَاءُ» وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٤﴾ فِي الْآخِرَةِ؛ فَيَجَازِينَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ اسْتَرْجَعَ عِنْدَ الْمُصِيبَةِ أَجْرَهُ اللَّهُ فِيهَا وَأَخْلَفَ اللَّهُ عَلَيْهِ خَيْرًا» (١)، وَفِيهِ أَنْ مُصَابِحَ النَّبِيِّ ﷺ طُفِقَ؛ فَاسْتَرْجَعَ؛ فَقَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّمَا هَذَا مُصَابِحٌ!! فَقَالَ: «كُلُّ مَا أَسَاءَ الْمُؤْمِنُ فَهُوَ مُصِيبَةٌ» (٢) [رواه أبو داود في مراسيله].
 ﴿١٥٥﴾ وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴿١٥٦﴾ نِعْمَةٌ ﴿١٥٧﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَكُونَ ﴿١٥٨﴾ إِلَى الصَّوَابِ.

﴿١٥٨﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ جَبَلَانِ بِمَكَّةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ أَعْلَامُ دِينِهِ، جَمَعَ شَعِيرَةً ﴿١٥٩﴾ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ: أَيُّ تَلَقَّيَسَ بِالْحَجِّ أَوْ الْعَمَرَةِ، وَأَصْلُهُمَا الْقَصْدُ وَالزِّيَارَةُ ﴿١٦٠﴾ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ إِذَا كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ فِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الطَّاءِ ﴿١٦١﴾ بِهَمْزٍ، بَأَنْ يَسْعَى بَيْنَهُمَا سَبْعًا، نَزَلَتْ لِمَا كَرِهَ الْمُسْلِمُونَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَاهِلِيَّةِ كَانُوا يَطُوفُونَ بِهِمَا، وَعَلَيْهِمَا صِمَامٌ يَمَسُّحُونَهُمَا، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ السَّعْيَ غَيْرُ فَرَضٍ؛ لِمَا أَفَادَهُ رَفْعُ الْإِثْمِ مِنَ التَّخْيِيرِ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَغَيْرُهُ: رُكْنٌ، وَتَحْتَ ﷺ فَرِيضَتُهُ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الشَّعْيَ» (٣) [رواه البيهقي وغيره]، وَقَالَ: «إِذَا عَادَ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» (٤) يَغْيِي الصَّفَا [رواه مسلم] ﴿١٦٢﴾ وَمَنْ طَفَعَ: وَفِي قِرَاءَةٍ: «بِالتَّحْنِةِ وَتَشْدِيدِ الطَّاءِ مَجْزُومًا، وَفِيهِ إِدْغَامُ النَّاءِ فِيهَا ﴿١٦٣﴾ حَجًّا: أَيُّ بِخَيْرٍ؛ أَيُّ عَمَلٍ مَا لَمْ يَجِبْ عَلَيْهِ مِنْ طَوَافٍ وَغَيْرِهِ ﴿١٦٤﴾ فَإِنَّ اللَّهَ شَاكَرٌ لِعَمَلِهِ بِالْإِثَابَةِ عَلَيْهِ ﴿١٦٥﴾ عَلَيْهِ: بِهِ» (٥).

وَنَزَلَ فِي الْيَهُودِ: ﴿١٦٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ النَّاسَ مَا أَرْزَلْنَا مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ وَأَلْفَدْنَاهُ كَاتِبَةَ الرَّجْمِ وَنَعْتَ مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ التَّوْرَةَ ﴿١٦٧﴾ وَأُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ يَبْعِدُهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴿١٦٨﴾ وَاللَّعْنَةُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالْمُؤْمِنُونَ أَوْ كُلِّ شَيْءٍ بِالِدَعَاءِ عَلَيْهِمُ بِاللَّعْنَةِ.

﴿١٦٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا رَجَعُوا عَنْ ذَلِكَ ﴿١٧٠﴾ وَأَسْلَمُوا وَعَمَلُهُمْ وَبَيَّنَّا مَا كَتَبُوا ﴿١٧١﴾ فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴿١٧٢﴾ أَقْبَلَ تَوْبَتِهِمْ ﴿١٧٣﴾ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٤﴾ بِالْمُؤْمِنِينَ. ﴿١٧٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ ﴿١٧٦﴾ حَالِ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٧﴾ أَيُّ هُمْ مُسْتَحَقُونَ ذَلِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، ﴿١٧٨﴾ وَالنَّاسِ: قِيلَ: غَائِمٌ. وَقِيلَ: الْمُؤْمِنُونَ. ﴿١٧٩﴾ خَالِدِينَ فِيهَا: أَيُّ اللَّعْنَةُ وَالنَّارُ الْمَدْلُولُ بِهَا عَلَيْهَا ﴿١٨٠﴾ لَا يَصْفَقُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ طَرَفَةَ عَيْنٍ ﴿١٨١﴾ وَلَا هُمْ يُطْفَرُونَ ﴿١٨٢﴾ يُفْهَلُونَ نَفْوَةً أَوْ لَعْنَةً. وَنَزَلَ: قَالُوا: صِفْ لَنَا رُكْنًا: (٦) ﴿١٨٣﴾ وَاللَّهُكَرُ: الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِبَادَةِ مِنْكُمْ ﴿١٨٤﴾ وَجِدَّ: لَا نَظِيرَ لَهُ؛ لَا فِي ذَاتِهِ وَلَا فِي صِفَاتِهِ ﴿١٨٥﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴿١٨٦﴾ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. وَطَلَبُوا آيَةً عَلَى ذَلِكَ؛ فَتَزَلَّ:

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٥﴾ وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بَشِيرٌ وَمِنْ الْأَخْوَافِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالتَّمَرَّتْ وَيَشْرِي الصَّابِرِينَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَهْتَكُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ سَاكِرٌ عَلَيْهِمْ ﴿١٥٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أُنْزِلَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٦٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦٢﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُّ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿١٦٣﴾ وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٤﴾

﴿١٥٤﴾ «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُمْ أَمُوتَ بَلْ أَحْيَاءٌ هُمْ أَحْيَاءٌ» أَرْوَاهُ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضِرَ تَشْرُفُ فِي الْحِجَةِ حَيْثُ شَاءَتْ؛ لِحَدِيثٍ بِذَلِكَ (١) «وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ» تَعْلَمُونَ مَا هُمْ فِيهِ. ﴿١٥٥﴾ «وَلَتَبْلُوَنَّكُمْ بَشِيرٌ وَمِنْ الْأَخْوَافِ» لِلْعَدُوِّ «وَالْجُوعِ» الْقَحْطُ «وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ» بِالْهَلَاكِ «وَالْأَنْفُسِ» بِالْقَتْلِ وَالْمَوْتِ وَالْأَمْرَاضِ «وَالْتَّمَرَّتْ» بِالْجَوَاحِشِ؛ أَيُّ لِنَحْتَبِرْكُمْ؛ فَتَنْظُرُ أَنْ تَنْصَبِرُونَ أَمْ لَا؟ «وَيَشْرِي الصَّابِرِينَ» عَلَى الْبِلَاءِ بِالْحِجَةِ. هُمُ ﴿١٥٦﴾ «الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ» بِلَاءٌ «قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ»

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ آيَةِ (١٥٨): أَخْرَجَ الْبَخَارِيُّ قَالَ لَزَهْرِي قَالَ عُرْوَةُ: سَأَلَتْ عَائِشَةَ ﷺ فَقَالَتْ لَهَا: أَرَأَيْتَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطُوفَ بِهِمَا﴾ فَوَاللَّهِ مَا عَلَى أَحَدٍ جُنَاحَ أَنْ لَا يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ؟ قَالَتْ: بَشٍ مَا قُلْتُ يَا ابْنَ أَخْتِي، إِنْ هَذَا لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوْلَتْهَا عَلَيْهِ كَانَتْ لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَطُوفَ بِهِمَا، وَلَكِنَّا أُنْزِلَتْ فِي الْأَصْحَارِ، كَانُوا قَبْلَ أَنْ يَسْلُمُوا يَهْلُونَ لِمَنَا الطَّاعِيَةَ الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ الشُّتُلِ، فَكَانَ مِنْ أَهْلِ يَحْرَجُ أَنْ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَلَمَّا أَسْلَمُوا سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنْ كُنَّا تَجَرَّحُ أَنْ نَطُوفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، آيَةً، قَالَتْ عَائِشَةُ ﷺ: وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّوْفَ بَيْنَهُمَا، فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرَكَ الطَّوْفَ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ أَخْبَرْتُ أَبَا بَكْرٍ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فَقَالَ: إِنْ هَذَا لَعَلِمَ مَا كُنْتُ سَمِعْتُهُ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ يَذْكُرُونَ أَنَّ النَّاسَ -إِلَّا مَنْ ذَكَرْتُ عَائِشَةَ مِنْ كَانِ يَهْلُ بِمَنَاةَ- كَانُوا يَطُوفُونَ كُلَّهُمَا بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، فَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الطَّوْفَ بِالْبَيْتِ وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ فِي الْقُرْآنِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَمَا نَطُوفُ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الطَّوْفَ بِالْبَيْتِ وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا، فَهَلْ عَلَيْنَا مِنْ حَرَجٍ أَنْ نَطُوفَ بِالصَّفَا وَالْمَرْوَةِ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾، آيَةً. قَالَ أَبُو بَكْرٍ: فَانْصَحْ هَذِهِ آيَةَ نَزَلَتْ فِي الْفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا. الْبَخَارِيُّ - كِتَابُ الْحَجِّ (٢٥) بَابُ (٧٩) وَجُوبُ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ.

(١) وَهُوَ قَوْلُهُ ﷺ: «أَرْوَاهُ الشَّهَدَاءُ فِي أَخْوَافِ طُيُورٍ خُضِرَ تَرُدُّ أَنْهَارُ الْحَقِّ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِيَابِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْقُرْشِ». مُسْلِمٌ (١٨٨٧) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ سَعْدٍ.
 (٢) مُسْلِمٌ (٩١٨) بِحَوْثٍ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ. (٣) ضَعُفَ الْأَبَانِيُّ فِي ضَعِيفِ الْجَامِعِ (٤٢٣٣). (٤) وَهَذَا تَأْوِيلٌ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ فِي الصَّفَاتِ، وَالصَّوَابُ إِنْثَابُ هَذِهِ الصَّفَةِ وَغَيْرِهَا. الثَّابِتُ بِالْكَتَابِ وَالسَّنَةِ. لِلَّهِ عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِي بِهِ شَيْخَانَهُ، وَمِنْ لَازِمِهِ إِتْعَامُهُ عَلَى مَنْ يَرْجِمُ. (٥) وَرَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (٢٧٤٧٤) مِنْ حَدِيثِ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي جَرَّافٍ، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٩٦٨). (٦) ضَعِيفٌ بِهَذَا اللَّفْظُ بَصِغَةُ الْأَمْرِ، وَصَحَّحَ لَفْظُ «نَبْدًا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» وَبَلَفْظُ «أَبْدًا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ» عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ (مُسْلِمٌ ١٢١٨).
 (٧) حِمْرَةٌ وَكَسْبَانِي. (٨) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي الْوَسِيطِ (٢٤٥/١) مِنْ رَوَايَةِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِي صَالِحٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَهُوَ مَوْضُوعٌ كَمَا ذَكَرَ صَاحِبُ الِاسْتِيعَابِ فِي بَيَانِ الْأَسْبَابِ (٩٠/١).

[١٦٤] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيها من العجائب ﴿وَأَخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بالذهاب والجيء، والزيادة والنقصان ﴿وَالْفُلْكِ﴾ السفن ﴿الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ ولا ترسب موقرة ﴿يَبَا يَنْعُ﴾ النَّاسُ من التجارات والحمل ﴿وَمَا أَرْزَلَهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ﴾ مطر ﴿فَأَنسَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يَبْسُهَا ﴿وَبَنَى﴾ فَوْقَ وَنَشَرَ بِهِ ﴿فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاكِبٍ﴾ لأنهم يبنون بالخصب الكائن عنه ﴿وَنَصْرَفَ﴾ أَلْتَبَعَ تَقْلِبُهَا جنوباً وشمالاً، حارةً وباردةً ﴿وَالسَّحَابِ﴾ الغيم ﴿الْمُسْحَرِ﴾ المذلل بأمر الله - تعالى - يسير إلى حيث شاء الله ﴿يَبَنَى﴾ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ بلا علاقة ﴿لَا يَكْتِبُ﴾ دالات على وحدانيته - تعالى - ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون.

[١٦٥] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿أنداداً﴾ أصناماً ﴿يُحِبُّونَهُمْ﴾ بالتعظيم والخضوع ﴿كُحِبَّ﴾ الله ﴿أَي: كَحِبِّهِمْ لَهُ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ من حُبِّهِمُ لِلْأنداد؛ لأنهم لا يعدلون عنه بحال ما، والكفار يعدلون في الشدة إلى الله ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ﴾ (١) تبصر يا محمد ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ باتخاذ الأنداد ﴿إِذْ يَرُونَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول (٢)؛ يَبْصُرُونَ ﴿الْعَذَابَ﴾ لرأيت أمراً عظيماً، ﴿إِذْ﴾ بمعنى إذا ﴿أَنْ﴾ أي: لأن ﴿الْقُوَّةَ﴾ القدرة والغلبة ﴿بِلَهُمْ جَمِيعاً﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ وفي قراءة: ﴿يَرَى﴾ بالتحانية، والفاعل ضمير السامع (٣)، وقيل: «الذين ظلموا»؛ فهي بمعنى يعلم، وأن (٤) وما بعدها (٥) سدت مسد المفعولين (٦)، وجواب «لو» محذوف، والمعنى: لو علموا في الدنيا شدة عذاب الله وأن القدرة لله وحده وقت معابنتهم له وهو يوم القيامة، لما اتخذوا من دونه أنداداً.

[١٦٦] ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿نَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي: الرؤساء ﴿وَمِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ أي: أنكروا إضلالهم ﴿وَوَقَدْ﴾ قد ﴿رَأَوْا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ﴾ عطف على ﴿نَبَرَأَ﴾ يَهْمُ ﴿عَنْهُمْ﴾ الْأَسْبَابُ الوُضُل التي كانت بينهم في الدنيا من الأرحام والمودة.

[١٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّنَا كُنَّا كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَبَرَأَ مِنْهُمْ﴾ أي: المتبوعين ﴿كَمَا تَبَرَّأُوا مِنَّا﴾ اليوم، «لو» للتمني، «ونَبَرَأَ» جوابه ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما أراهم شدة عذابه، وتبرأ بعضهم من بعض ﴿يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾ السيففة ﴿حَسَرَتِ﴾ حال، ﴿نَدَامَاتٍ﴾ (٨) عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ بعد دخولها.

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَنَصْرَفَ الرِّيحَ وَالسَّحَابِ الْمُسْحَرِينَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ لَا يَكُنَّ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ إِذْ تَبَرَأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَأَوَّاءُ الْعَذَابِ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّأْنَا رَبَّهٖ وَآلِهٖ مَا كَانَ كَذَلِكَ يَبْرَهُمُ اللَّهُ أَعْمَلَهُمْ حَسَرَتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ يَأْتِيهَا النَّاسُ كُفُولاً وَمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالٌ طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ

ونزل فيمن حرم السوابب ونحوها: [١٦٨] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ كُفُولاً وَمَا فِي الْأَرْضِ حَلَالٌ طَيِّبًا﴾ حال ﴿طَيِّبًا﴾ صفة مؤكدة؛ أي: مُشْتَبِلًا ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزيينه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين العداوة.

[١٦٩] ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ﴾ الإثم ﴿وَالْفَحْشَاءِ﴾ القبيح شرعاً ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر. وقرأ الباقون: (يرى).

(٢) أي: بضم الباء، لابن عامر. وقرأ الباقون: (يَرُونَ) بالبناء للفاعل.

(٣) على القراءة الأولى: يَبْصُرُونَ، وعلى الثانية: يَبْصُرُونَ.

(٤) لو قال: ضمير الرائي؛ لكان أظهر.

(٥) أي: الأولى مع معموليها.

(٦) وهو وأن الثانية مع معموليها.

(٧) أي: فلذلك وجب فتحها، وإن لم يصح تأويلها بالمفرد؛ لأن وجوب الفتح مداره على أحد أمرين: إما تأويلها بالمصدر، وإما وقوعها موقع المفعولين لعلهم - كما هنا - مع عدم التعليق باللام.

(٨) جمع ندامة.

وَذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَشْبِعُ مَا الْقَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمُّ بِكُمْ عَمَىٰ فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ آمَنُوا كَلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ رِيبًا تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أَهْلَ بِهِ لغيرِ اللَّهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَسْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

[١٧٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ أي: الكفار: ﴿اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ من التوحيد وتحليل الطيبات ﴿قَالُوا﴾: لا ﴿بَلْ نَشْبِعُ مَا الْقَيْنَا﴾ وجدنا ﴿عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ من عبادة الأصنام وتحريم السوابب والباحاث.
قال - تعالى -: ﴿أَفَلَا يَتَّبِعُونَ﴾ ﴿وَلَوْ كَانَتْ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ من أمر الدين ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى الحق! والهمزة للإنكار.
[١٧١] ﴿وَمَثَلُ﴾ صفة ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومن يدعوهم إلى الهدى ﴿كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعُقُ﴾ بصوت ﴿يَا﴾ ﴿لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ أي: صوتاً،

ولا يفهم معناه؛ أي: في سماع الموعظة وعدم تدبرها؛ كالبهايم؛ تسمع صوت راعيها ولا تفهمه^(١)، هم ﴿صُمُّ بِكُمْ عَمَىٰ فَهَمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الموعظة.

[١٧٢] ﴿بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ آمَنُوا﴾ على ما أحل لكم ﴿إِن كُنتُمْ رِيبًا تَعْبُدُونَ﴾.

[١٧٣] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ﴾ أي: أكلها؛ إذ الكلام فيه، وكذا

ما بعدها؛ وهي: ما لكم بُدَّكَ شَرْعًا، وألحق بها بالسنة ما أئين من حي؛ وخص منها السمك والجراد ﴿وَالدَّمَ﴾ أي: المسفوح؛ كما في الأنعام ﴿وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ﴾ شُصَّ اللحم؛ لأنه معظم المقصود، وغيره بُدَّكَ له ﴿وَمَا أَهْلَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: دُيخ على اسم غيره، والإهلال رفع الصوت، وكانوا يرفعونه

عند الذبح لأنهم ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي: أكله؛ ضرورة إلى أكل شيء مما ذكر، فأكله ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ خارج على المسلمين ﴿وَلَا عَادٍ﴾ مُتَعَدٍّ عليهم

بقطع الطريق^(٢) ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في أكله ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ لأوليائه ﴿رَّحِيمٌ﴾ بأهل طاعته؛ حيث وسع لهم في ذلك، وخرج الباغي والعادي،

ويلحق بهما كل عاص بسفره؛ كالأبي والمكاس^(٣)؛ فلا يحل لهم أكل شيء من ذلك ما لم يتوبوا، وعليه الشافعي.

[١٧٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ﴾ المشتغل

على نعت محمد ﷺ؛ وهم: اليهود ﴿وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا، يأخذونه بدل من سفلتهم، فلا يظهرونه؛ خوف فوته عليهم ﴿أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ﴾ لأنها مألهم ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ غضباً عليهم ﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يظهرهم من دنس الذنوب ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم من النار.

[١٧٥] ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَسْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾ أخذوها بدل في الدنيا ﴿وَالْعَذَابِ بِالْمَغْفِرَةِ﴾ المعدة لهم في الآخرة لو لم يكتموا ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ﴾ أي: ما أشد صبرهم!! وهو تعجب للمؤمنين من ارتكابهم

موجباتها من غير مبالاة، وإلا فأي صبر لهم.

[١٧٦] ﴿ذَلِكَ﴾ الذي ذكر من أكلهم النار، وما بعده ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ بسبب

أن ﴿اللَّهُ سَرَّلَ لَكُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق ب﴿سَرَّلَ﴾؛ فاختلَفُوا فيه؛ حيث آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه بكنمه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ﴾ بذلك

- وهم اليهود، وقيل: المشركون في القرآن؛ حيث قال بعضهم: شعر.

وبعضهم: سحر. وبعضهم: كهانة - ﴿لَفِي شِقَاقٍ﴾ خلاف ﴿بَعِيدٍ﴾ عن الحق.

(١) الباء بمعنى: على.

(٢) وقيل في تفسيره - أيضاً -: لثل مضروب لتشبيه الكافر في دعائه للأصنام بالعاق على البهايم. وقيل غير ذلك.

(٣) وقيل: ﴿غَيْرَ بَاغٍ﴾ أي: في الميتة. أي: غير طالب للمحرم مع قدرته على الحلال، أو مع عدم جوعه ﴿وَلَا عَادٍ﴾ أي: متجاوز الحد في تناول ما ليس له اضطرازا؛ أي: لا يشبع منها.

(٤) الآتي: العبد الهارب من سيده، و «المكاس»: «التكس»: بفتح الميم: الخيانة، والمراد به: الذي يأخذ الضريبة طملاً.

فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بِنَهْمِهِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

[١٨٢] ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوسٍ﴾ مُخَفَّفًا وَمُثَلَّلًا (١) ﴿جَنَفًا﴾ ميلًا عن الحق خطأ ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ بأن تعمد ذلك بالزيادة على الثلث أو تخصيص غني مثلاً ﴿فَأَصْلَحَ بِنَهْمِهِ﴾ بين الموصي والموصى له بالأمر بالعدل ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ في ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٨٣] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ﴾ فُرِضَ ﴿عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من الأمم ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي؛ فإنه يكسر الشهوة التي هي مبدؤها.

[١٨٤] ﴿أَيَّامًا﴾ نصب بالصيام، أو بصوموا مقدارًا ﴿تَعْدُودَاتٍ﴾ أي: قلائل أو موقتات بعدد معلوم؛ وهي: رمضان، كما سيأتي، وَقَلَّةٌ تسهيلًا على المكلفين ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ﴾ حين شهوده ﴿سَفَرٍ﴾ أي: مسافرًا سفر القصر، وأجهد الصوم في الحالين؛ فأفطر ﴿فَعِدَّةٌ﴾ فعليه عدة ما أفطر ﴿مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ يصومها بدلَه ﴿وَعَلَى الَّذِينَ لَا يُطِيقُونَهُ﴾ لكبر أو مرض لا يُؤْتِي برؤهُ ﴿فِدْيَةٌ﴾ هي: ﴿طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ أي: قدر ما يأكله في يومه؛ وهو: مُدٌّ من غالب قوت البلد لكل يوم، وفي قراءة بإضافة ﴿فِدْيَةٌ﴾ (٢) وهي للبيان - وقيل: (لا) غير مقدرة (٣)، وكانوا مخيرين في صدر الإسلام بين الصوم والفدية، ثم نُسِخَ بتعيين الصوم بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمْ أَشْهَرُ فَلْيَصُمْهُ﴾ قال ابن عباس: إلا الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفًا على الولد؛ فإنها باقية بلا نسخ في حقهما ﴿فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا﴾ بالزيادة على القدر المذكور في الفدية ﴿فَهُوَ﴾ أي: التطوع ﴿خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا﴾ مبتدأ خبره: ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾ من الإفطار والفدية ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أنه خير لكم فافعلوه.

تلك الأيام [١٨٥] ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة القدر منه ﴿هُدًى﴾ حال، هاديًا من الضلالة ﴿لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ﴾ آيات واضحة ﴿وَالْفُرْقَانِ﴾ مما يفرق بين الحق والباطل ﴿فَمَنْ شَهِدَ﴾ حضر ﴿بِنَهْمٍ أَشْهَرُ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ تقدم مثله، وكرر؛ لئلا يتوهم نسخه بتعميم من شهد (٤) ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ ولذا أباح لكم الفطر في المرض والسفر؛ ولكون ذلك في معنى العلة أيضًا؛ للأمر بالصوم (٥) عطف عليه: ﴿وَلِتُكْمِلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد (٦) ﴿الْعِدَّةَ﴾ أي: عدة صوم رمضان ﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ﴾ عند إكمالها ﴿عَلَى مَا هَدَيْنَاكُمْ﴾ أرشدكم لمعالم دينه ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

وسأل جماعة النبي ﷺ: أَقْرَبُ رُتْنَا فَتَنَّا جِهَةً أَمْ بَعِيدُ فَتَنَّا دِينَهُ؟ فَتَزَلَّ:

[١٨٦] ﴿وَرَدَّآ سَأَلْتُكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ (٧) منهم بعسي فأخبرهم بذلك ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ بإنالته ما سأل ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ دعائي بالطاعة ﴿وَلْيُؤْمِنُوا﴾ يداوموا على الإيمان ﴿بِلَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ يهتدون.

(١) بفتح الواو وتشديد الصاد الحزمة والكسائي وشعبة.

(٢) لتافع وابن دكوان، ومع جمع ﴿مِسْكِينٍ﴾ تنافع وابن عامر.

(٣) أي: لفظه دالة غير مقدرة في قوله: ﴿يُطِيقُونَهُ﴾، وعلى التفسير الأول بتقدير هـ لا تكون الآية محكمة، وعند عدم التقدير تكون منسوخة.

(٤) فإنه يعم المسافرين وغيره والمرضى وغيره.

(٥) أي: صوم القضاء يعني: من غير تعيد بتتابع أو غيره.

(٦) أي: بتشديد الميم مع فتح الكاف لشعبة.

(٧) أخرجه ابن جرير واليعقوبي في معجمه وابن أبي حاتم وغيرهم من طريق الثعلبي بن حكيم عن أبيه عن جده. وفي الدر المنثور: عن طريق الثعلبي بن حكيم عن رجل من الأنصار عن أبيه عن جده

(١/٣٥٢)، وضعفه أحمد شاكر في تعليقه على جامع البيان (٣/٤٨١).

أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونَهُنَّ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسْجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَالِنَاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحُجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَأَتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

﴿وَأَتَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون.

وَمَا ضَدَّ ﷺ عن البيت عام الحدية، وضالَّح الكفار على أن يعود العام القابض ويُحِلُّوا له مكة ثلاثة أيام، وتَجَهَّزَ لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي قريش ويقاتلوهم، وكَرِهَ المسلمون قتالهم في الحرم والإحرام والشهر الحرام، نَزَلَ: [١٩٠] ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾ الكفار ﴿وَلَا تَعْتَدُوا﴾ عليهم بالابتداء بالقتال ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين ما حَدَّ لَهُمْ، وهذا منسوخ بآية براءة^(١)، أو بقوله:

[١٨٧] ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ﴾ بمعنى الإفشاء ﴿إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ بالجماع، ونزل نسخًا لما كان في صدر الإسلام على تحريمه وتحريم الأكل والشرب بعد العشاء^(٢) ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ كناية عن تعافيهما أو احتياج كل منهما إلى صاحبه ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونَهُنَّ﴾ تخونون ﴿أَنْفُسَكُمْ﴾ بالجماع ليلة الصيام، وقع ذلك لعمر وغيره^(٣)، واعتذروا إلى النبي ﷺ ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ قَبِلَ تَوْبَتَكُمْ ﴿وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ فَالْآنَ إِذْ أَحِلَّ لَكُمْ ﴿بَشِّرُوهُنَّ﴾ جامعوهن ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا ﴿مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ أي: أباحه من الجماع أو قَدَرَهُ مِنَ الْوَلَدِ ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ اللَّيْلَ كُلَّهُ ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ أي: الصادق؛ بيان للخط الأبيض، وبيان الأسود محذوف؛ أي: من الليل؛ شَيْءٌ مَا يَدُو مِنَ الْبَيَاضِ وَمَا يَمْتَدُّ مَعَهُ مِنَ الْغَبَشِ^(٤)

بخطين أبيض وأسود في الامتداد ﴿فَتَرَى أَقْنَمُوا الصِّيَامَ﴾ من الفجر ﴿إِلَى اللَّيْلِ﴾ أي: إلى دخوله بغروب الشمس ﴿وَلَا تُبَشِّرُوهُنَّ﴾ أي: نساءكم ﴿وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ﴾ مقيمون بنية الاعتكاف ﴿فِي الْمَسْجِدِ﴾ متعلق بـ ﴿عَاكِفُونَ﴾، نهي لمن كان يخرج وهو معتكف فيجامع امرأته ويعود ﴿تِلْكَ﴾ الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ حَدَّهَا لِعِبَادِهِ لِيَقْفُوا عِنْدَهَا ﴿فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾ أبلغ من «لا تعتدوها» المعبر به في آية أخرى^(٥) ﴿كَذَلِكَ﴾ كما يَنْبَغُ لَكُمْ مَا ذَكَرَ ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَالِنَاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ محارمة^(٦) [١٨٨] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ﴾ أي: يأكل بعضكم مال بعض ﴿بِالْبَاطِلِ﴾ الحرام شرعًا؛ كالسرقة والغصب ﴿وَلَا تَدْلُوا﴾ تَلْقُوا^(٧) ﴿بِهَا﴾ أي: بحكمتهما^(٨) أو بالأموال رشوة ﴿إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا﴾ بالتحاكم ﴿فَرِيقًا﴾ طائفة ﴿مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ﴾ متلبسين ﴿بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنكم مبطون.

[١٨٩] ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ جمع هلال؛ لِمَ تَبْدُو دَقِيقَةً، ثم تزيد حتى تمتلئ نورًا، ثم تعود كما بَدَتْ، ولا تكون على حالة واحدة؛ كالشمس^(٩)؟! ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هِيَ مَوَاقِيتُ﴾ جمع ميقات ﴿لِلنَّاسِ﴾ يعلمون بها أوقات زرعهم، ومناجرهم، وعَدَدَ نِسَائِهِمْ، وصيامهم، وإفطارهم ﴿وَالْحُجِّ﴾ عَطَّفَ عَلَى النَّاسِ؛ أي: يُعْلَمُ بِهَا وَقْتُهَا، فَلَوْ اسْتَمَرَّتْ عَلَى حَالَةٍ، لَمْ يُعْرِفْ ذَلِكَ ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾ في الإحرام؛ بَأَن تَقْبُوا فِيهَا نَقْبًا تَدْخُلُونَ مِنْهُ وَتَخْرُجُونَ، وَتَتَرَكُوا الْبَابَ، وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ وَيَزْعَمُونَ بِرًا ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ﴾ أي: ذا البر ﴿مَنِ اتَّقَى﴾ اللَّهُ بَرَّكَ مَخَالَفَتَهُ ﴿وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ في الإحرام

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٧): أخرجه البخاري عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء ﷺ: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَلُونَهُنَّ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ﴾ البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة البقرة: (٢) باب (٢٧). وأخرج أيضًا عن البراء ﷺ قال: «كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائمًا فحضر الإفطار قبل أن يفرط لم يأكل ليته ولا يومه حتى يسبي، وإن قيس بن حزيمة الأصباري كان صائمًا، فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: أعديك طعامًا؟ قالت: لا، ولكن أطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فقبله عينه، فجاءت امرأته، فلما رأتها قالت: حيلة لك، فلما اتصف النهار غشي عليه. فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ ففرحوا بها فرحًا شديدًا، ونزلت: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ﴾ البخاري - كتاب الصوم (٣٠) باب (١٥).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٩): أخرجه البخاري عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء ﷺ يقول: «نزلت هذه الآية فينا؛ كانت الأنصار إذا حجوا فجاءوا لم يدخلوا من قبل أبواب بيوتهم، ولكن = (١) أي: دخول وقتها أو بعد النوم ولو قبلها، كما حصل لقيس بن حزيمة؛ فغشي عليه نصف الثمار من الجوع، رواه البخاري (١٩١٥) وسيأتي في أسباب النزول. (٢) لم يقل: «تخونون»؛ لأنه لم تكن منهم الخيانة، بل كان منهم الاختيار؛ وهو: تحرك الإنسان للوقوع في الخيانة. (٣) رواه أحمد في المسند (١٥٣٦٨) من حديث كعب بن مالك، وأبو داود في مسنده (٢٣١٣) من حديث ابن عباس بنحوه، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٠٢٨).

(٤) بقية الليل أو ظلمة آخر الليل، والمراد باستداده معه اتصاله به على سبيل التعاقب. (٥) هي الآية ٢٢٩ من هذه السورة. (٦) إشارة إلى أن ﴿تَدْلُوا﴾ مجزوم عطفاً على النهي، ويؤيده قراءة أبي: ﴿وَلَا تَدْلُوا﴾ بإعادة «لا» الناهية. (٧) أي: تسرعوا وتبادروا؛ أي: لا تسرعوا بالخصوصية على الأموال إلى الحكام؛ ليعنوكم على إبطال حق أو تحقيق باطل. (٨) أي بإقامة الدعوى بها باطلا. (٩) وهذه صيغة سؤاله. (١٠) وهي قوله - تعالى -: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَلْفَةً﴾ [براءة: ٣٦]، قال ابن كثير بعد أن حكى هذا القول: «وفي هذا نظر، لأن قوله: ﴿الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ﴾ إنما هو -

الْخُحَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ مِّنْ قَرَضٍ فِيهِ رِبٌّ الْحُحَّ فَلَا رِفْتَ وَلَا فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُحِّ وَمَا تَعَلَّوْا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ ﴿١٧٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِّنْ عَرَفَتٍ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ وَإِن كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٧٨﴾ ثُمَّ أَفِضُوا مِّنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَفْوًَّا رَّحِيمًا ﴿١٧٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ إِشَادَ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٨٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٨١﴾

التفات عن الغيبة^(١)، **يَتْلُكَ عَشْرٌ كَامِلَةٌ** جملة تأكيد لما قبلها **ذَلِكَ** الحكم المذكور من وجوب الهدي أو الصيام على من تمتع **لِّئِنْ لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُ** صانعي المسجد الحرام^(٢)، بأن لم يكونوا على دون مرحلتين من الحرم عند الشافعي، فإن كان فلا دم عليه ولا صيام وإن تمتع، وفي ذكر أهل إشعار باشرط الاستيطان؛ فهو أقام قبل أشهر الحج ولم يستوطن فعليه ذلك، وهو أحد وجهين عند الشافعي، والثاني؛ لا، وأهل كناية عن النفس^(٣)، وألحق بالمتمتع - فيما ذكر بالسنة - القارن؛ وهو: من أحرم بالعمرة والحج معاً أو يُذخِلُ الحج عليها قبل الطواف^(٤)، **وَاتَّقُوا اللَّهَ** فيما يأمركم به وينهاكم عنه **وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** لئِنْ خَالَفَهُ.

[١٩٧] **﴿الْحُحَّ﴾** وقته **﴿أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾** شوال وذو القعدة وعشر ليل من ذي الحجة، وقيل: كله **﴿مِّنْ قَرَضٍ﴾** على نفسه **﴿فِيهِ رِبٌّ﴾** بالحرام به **﴿فَلَا رِفْتَ﴾**^(٥)، جماع فيه **﴿وَلَا فُسُوفَ﴾**^(٦)، مناص **﴿وَلَا جِدَالَ﴾** خصام **﴿فِي الْحُحِّ﴾** وفي قراءة: بفتح الأولين^(٧)، والمراد في الثلاثة النهي **﴿وَمَا تَعَلَّوْا مِنْ خَيْرٍ﴾** كصدقة **﴿يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾** فيجازيكم به. ونزل في أهل اليمن - وكانوا يحجون بلا زاد؛ فيكونون كلًا على الناس^(٨) - **﴿وَتَزَوَّدُوا﴾** ما يبلغكم لسفركم **﴿فَلَا رِبَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾** ما يبقى به سؤال الناس وغيره **﴿وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ﴾** ذوي العقول [١٩٨] **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾** في **﴿أَن تَبْتَغُوا﴾** طلبوا **﴿فَضْلًا﴾** رزقًا **﴿وَمِن رَّبِّكُمْ﴾** بالتجارة في الحج، نزل رزقًا لكرهتهم ذلك^(٩) **﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ﴾** دفعتم **﴿وَمِن عَرَفَتٍ﴾** بعد الوقوف بها **﴿فَإِذَا ذُكِّرُوا اللَّهَ﴾** بعد المبيت بمزدلفة بالتلبية والتلهيل والدعاء **﴿عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ﴾** هو جبل في آخر المزدلفة يقال له: فُوح^(١٠)، وفي الحديث: **﴿اللَّهُ يَلْقَىٰ بِهِ، يَذْكُرُ اللَّهُ وَيَذْعُو؛ حَتَّى أَشْفَرُ جَذَاءً﴾** [رواه مسلم] **﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ﴾** لمعالم دينه ومناسك حجه، والكاف للتعليل **﴿وَإِن مِّنْ مِّنْكُمْ﴾** من قبله. قبل مدها **﴿لِّمَنِ الْعَسَاكِينِ﴾** [١٩٩] **﴿ثُمَّ أَفِضُوا﴾** يافريش **﴿وَمِن حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾** أي: من عرفه؛ بأن تقفوا بها معهم، وكانوا يبقون بالمزدلفة؛ ترفعان الوقوف معهم، و**﴿ثُمَّ﴾** للترتيب في الذكر **﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ﴾** من ذنوبكم **﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** للمؤمنين **﴿رَّحِيمٌ﴾** بهم^(١١) [٢٠٠] **﴿فَإِذَا قَضَيْتُمْ أَدْبَابَكُمْ﴾** مناسككم عبادات حجاجكم؛ بأن زممت جمره العقبة وطفئتم واشتقروتم يعني **﴿فَإِذَا ذُكِّرُوا اللَّهَ﴾** بالكبير والثناء **﴿كَذِكْرُ آبَائِكُمْ﴾** كما كنتم تذكرونهم عند فراغ حجاجكم بالمفاخرة^(١٢) **﴿أَوْ أَشَادَ ذِكْرًا﴾** من ذكركم إياهم، ونصب **﴿أَشَادَ﴾** على الحال من ذكر المنصوب **﴿أَذْكُرُوا﴾**؛

= وأخرج البخاري عن حذيفة: **﴿وَأَتَقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تَقْرُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى الْفَلَاحِ﴾** قال: نزلت في النفقة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣١).

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٧): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان أهل اليمن يحجون ولا يتزودون، ويقولون: نحن المتوكلون، فإذا قدموا مكة سألوهم الناس، فأمر الله تعالى: **﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾**. البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٦) قول الله تعالى: **﴿وَتَزَوَّدُوا﴾**...

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٨): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كانت عكاظ ومجنته وذو الحجاز أسواقاً في الجاهلية، فلما كان الإسلام، كأنهم تأثموا، فنزلت: **﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾**». البخاري - كتاب البيوع (٣٤) باب (١).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٩٩): أخرج البخاري عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها: «كانت فريش ومن دان ديها يبقون بالمزدلفة، وكانوا يسمون الحمس، وكان سائر العرب -

(١) حيث روعي معنى ضمير الجمع **﴿مِّنْ﴾**، ولو روعي اللفظ لقيل: إذا رجع، بضمير الغيبة.

(٢) وهو معنى بعيد، والأولى ما قاله غيره: من أن المراد بالأهل: الزوجة والأولاد دون الآباء والإخوة، ومعدوم الأهل المتوطن بنفسه كذلك، وإنما عبر بالأهل لكون شأن الوطن يكون بذلك. (٣) أي: قبل الشروع في طوافها. (٤)، (٥) قرأ ابن كثير وأبو عمرو: **﴿فَلَا رِفْتَ وَلَا فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ﴾** بنون ورفع «رفث» و «فسوف». وقرأ بقية السبعة: **﴿فَلَا رِفْتَ وَلَا فُسُوفَ وَلَا جِدَالَ﴾**.

(٦) أي: «رفث» و«فُسُوف» وهي قراءة بقية السبعة كما تقدم. (٧) وزن عمر.

(٩) عن ابن عباس **﴿يَلْقَىٰ﴾** قال: كان أهل الجاهلية يبقون في الموسم، يقول الرجل منهم: كان أبي يطعم ويحمل الحملات، ويحمل الديبات، ليس لهم ذكر غير فعال آبائهم؛ فأمر الله: **﴿فَإِذَا ذُكِّرُوا اللَّهَ﴾**.

(٨) مسلم (١٢١٨).

أَتَقَىٰ اللَّهُ فِي حُجَّةٍ لَهُ الْحَاجُّ فِي الْحَقِيقَةِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْمَلُوا أَنْتُمْ لِيَّهِ تَحْشُرُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازيكم بأعمالكم.

[٢٠٤] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولا يعجبك في الآخرة؛ لخالفته لاعتقاده ﴿وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ﴾ أنه موافق لقوله ﴿وَهُوَ الَّذِي الْخَضَاعُ﴾ شديد الخصومة لك ولأتباعك؛ لعداوته لك؛ وهو: الأخنس بن شريق؛ كان منافقاً حلوا الكلام للنبي ﷺ، يحلف أنه مؤمن به ومحِبُّ له؛ فيدني مجلسه؛ فأكذبه الله في ذلك، ومَرَّ بِرِزْقٍ وَخُبْرٍ لِبَعْضِ الْمُسْلِمِينَ فَأَحْرَقَهُ وَعَقَرَهَا لِيْلًا^(٢)؛ كما قال - تعالى -: [٢٠٥] ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ﴾ انصرف عنك ﴿سَعَىٰ﴾ مشى ﴿فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾ من جملة الفساد ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ﴾ أي لا يرضى به^(٣). [٢٠٦] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ﴾ في فعلك ﴿أَخَذَتِ الْعُرَّةُ﴾ حملته الأفة والحمية على العمل ﴿بِالْإِيمِ﴾ الذي أمر بأتباعه ﴿فَحَسَبُوا﴾ كافيه ﴿جَهَنَّمَ وَلَيْسَ الْيَمَادُ﴾ الفراش هي. [٢٠٧] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي﴾ يبيع ﴿نَفْسَهُ﴾ أي: يذلها في طاعة الله ﴿بِآيَاتِهِ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ رضاه؛ وهو: صهيب لما آذاه المشركون هاجر إلى المدينة وترك لهم ماله^(٤) ﴿وَاللَّهُ زَوَّفٌ بِالْمَكَادِ﴾ حيث أرشدهم لما فيه رضاه. ونَزَلَ فِي عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ لَمَّا عَظَمُوا السَّبْتَ^(٥) وكرهوا الإبل^(٦) بعد الإسلام: [٢٠٨] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذَلُّوا فِي [السَّلَمِ]﴾ بفتح السين وكسرها^(٧)؛ الإسلام ﴿كَأَنَّهُ﴾ حال من ﴿[السَّلَمِ]﴾؛ أي: في جميع شراعه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ﴾ طرق ﴿الشَّيْطَانِ﴾ أي: تزيينه بالتفريق ﴿وَكُلُّ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ بين العداوة.

[٢٠٩] ﴿كَانَ رَكْنُهُ﴾ ملتزم عن الدخول في جميعه ﴿وَمَنْ يَمَسَّ مَا جَاءَكُمْ مِنَ الْآيَاتِ﴾ الحجج الظاهرة على أنه حق ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء عن انتقامه منكم ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

[٢١٠] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر التاركون الدخول فيه ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أمره^(٨)؛ كقوله: ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَّيَكُ﴾^(٩) أي: عذابه ﴿فِي ظُلْمٍ﴾ جمع ظلة ﴿وَمِنَ الْقَصَادِ﴾ السحاب ﴿وَالْمَلَكُ﴾ وقضى الأمر^(١٠) ثُمَّ أَمَرَ هَلَاكَهُمْ ﴿وَزَلَّىٰ اللَّهُ رُجُوعَ الْأُمُورِ﴾ - بالبناء للمفعول والفاعل^(١١) - في الآخرة؛ فيجازي كلًا بعمله.

﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾^(١٢) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ الَّذِي الْخَضَاعُ^(١٣) وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ^(١٤) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتِ الْعُرَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسَبُهُ وَجْهَهُمْ وَلَيْسَ الْمَهَادُ^(١٥) وَمِنَ النَّاسِ مَن يُشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ^(١٦) يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذَلُّوا فِي السَّلَامِ كَأَنَّهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ^(١٧) فَإِنْ زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فاعلموا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ^(١٨) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ^(١٩)

بذلك^(٢٠).

[٢٠٣] ﴿وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ﴾ بالتكبير عند رمي الجمرات ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ أي: أيام التشريق الثلاثة ﴿فَمَن تَعَجَّلَ﴾ أي: استعجل بالنفر من مِنًى ﴿فِي يَوْمَيْنِ﴾ أي: في ثاني أيام التشريق بعد رمي جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بالتعجيل ﴿وَمَن تَأَخَّرَ﴾ بها حتى بات ليلة الثالث ورمى جماره ﴿فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ بذلك أي: هم مخبرون في ذلك ونفي الإثم ﴿لِمَنِ﴾

- يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله ﷻ أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يقض منها، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَكَّاشَ النَّاسُ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) باب (٣٥)، وفي رواية قال: «أخبرني أبي عن عائشة رضي الله عنها أن هذه الآية نزلت في الحمن: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَكَّاشَ النَّاسُ﴾ قال: كانوا يفيضون من جمع إلى عرفات» البخاري - كتاب الحج (٢٥) باب (٩١) الوقوف بعرفة.

= كَوَكَّرُوا عَلَيْهِمْ أَوْ أَكَّسَدُوا... أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣٥٥/٢) رقم (١٨٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٥٥٧/١). وحسنه صاحب الاستيعاب (١٤٢/١، ١٤٣).
(١) لقد منها الحلال السيوطي كَقَوْلِهِ فِي وصفه نصف انهار بأنه من أيام الدنيا، والصحيح أنه نصف يوم مقداره خمسون ألف سنة، كما جاء في حديث ابن حبان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يقوم الناس رب العالمين مقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة...» وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ في عقاب مانعي الزكاة في الجحر - قوله ﷺ: «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد... البخاري (١٣١٤)، ومسلم (١٦٤٧)، وقد تكرر هذا السهو في السيوطي كَقَوْلِهِ فِي ثلاثة مواضع غير هذا، وهي في تفسيره لقوله تعالى: ﴿إِذْ كَانَ اللَّهُ سَرِيعَ الْحِسَابِ﴾ آية ١٩٩ من آل عمران، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ٥١ من سورة إبراهيم، وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ أَسْرِعُ تَلْقِي́ينَ﴾ آية ٦٢ من سورة الأنعام. ووقع مثله من الجلال المحلي في تفسيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ آية ١٧ من سورة غافر، وقد نيه على ذلك القاضي كسان في فقرة العتئين على تفسير الجلالين.
(٢) أخرجه الطبري (٣٢٤/٢) في تفسيره عن السدي مرسلًا، وضعفه حدًا في الاستيعاب (١٤٤/١، ١٤٥). وهذا من تأويل صفة الحية التي يبيتها أهل السنة لله ﷻ على الوجه اللائق به، فهذا من تأويل الصفة ببعض لوازمها، وسبق بيان ذلك. (٤) جاء ذلك من عدة طرق كلها ضعيفة كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٦/١، ١٤٨).
(٥) أي: اغتزوهم بحرهم الصيد فيه كما كان في شرع موسى. والأثر أخرجه الطبري (١٨٩/٢) من طريق ابن جريج عن عكرمة به. وهو مرسى ضعيف كما في الاستيعاب (١٤٨/١).
(٦) حيث حرموا أكل لحومها وشرب ألبانها. (٧) بالفتح قراءة نافع وابن كثير والكسائي، وقرأ الباقر بالكسر. (٨) وهذا تأويل تأنيدي للنصوص وكلام السلف، وهو مذهب المتدعة، أما الذي عليه السلف أهل السنة والجماعة: أن الإثبات والنجي صفتان من صفات الفعل له. شَيْخَانَهُ. وهما من أفعاله الاختيارية التي يبتون لها له. شَيْخَانَهُ. على الوجه اللائق بجلاله وعظمته منزها عن جميع التشبيه الذي يحظر في عقول المعطلة. [المفسرون بين الإثبات والتأويل (٣٧٩/٢)]. (٩) النحل: ٣٣. (١٠) قوله: (بالبناء للمفعول) يعني من الرجوع وهو الرد. وقوله: (والفاعل) يعني من -

سَلَّ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَرَّاءَاتِهِمْ مِنْ ءَالِيهِمْ بَيْنَهُ وَمَنْ يَبْدُلْ نِعْمَةً
 اللَّهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زَيْنَ
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْحَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ
 اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
 ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ
 وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ
 فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ
 مَا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا
 يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ
 وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ
 اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ
 مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِلْيَسَارِ وَالْمَسْكِينِ
 وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

شامل للقليل والكثير، وفيه بيان التفقي الذي هو أحد شقي السؤال، وأجاب
 عن المصرف الذي هو الشق الآخر بقوله: ﴿فَلِلَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَاللَّيْسَ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أي: هم أولى به ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ إيفاق أو
 غيره ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فمجاز عليه.

[٢١١] ﴿سَلَّ﴾ يا محمد ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ نبيك: ﴿كَرَّاءَاتِهِمْ﴾ كم
 استفهامية معلقة^(١) ﴿سَلَّ﴾ عن المفعول الثاني، وهي ثاني مفعولي ﴿آتيتهم﴾^(٢)،
 ومبمزا^(٣): ﴿مِنْ ءَالِيهِمْ بَيْنَهُمْ﴾ ظاهرة؛ كقلق البحر وإنزال المن والسلوى،
 فبدلوا كفراً ﴿وَمَنْ يَبْدُلْ نِعْمَةَ اللَّهِ﴾ أي: ما أنعم به عليه من الآيات، لأنها
 سبب الهداية ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَتْهُ﴾ كفراً ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[٢١٢] ﴿زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ بالتمويه^(٤)؛
 فأحبوها ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ هُمُ ﴿يَسْحَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ لفقهم؛ كبلال وعمار
 وصهيب؛ أي: يستهترون بهم ويعالون عليهم بالمال ﴿وَالَّذِينَ اتَّقَوْا﴾
 الشرك؛ وهم هؤلاء ﴿فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ
 أي: رزقاً واسعاً في الآخرة أو الدنيا؛ بأن يملك المسخور منهم أموال الساخرين
 وراقهم.

[٢١٣] ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الإيمان فاختلفوا؛ بأن آمن بعض
 وكفر بعض ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ﴾ إليهم ﴿مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة
 ﴿وَمُنذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب
 ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ ﴿أَنْزَلَ﴾، ﴿لِيَحْكُمَ﴾ به ﴿بَيْنَ النَّاسِ﴾ فيما اختلفوا
 فيه ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ﴾ أي: الدين ﴿إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ أي:
 الكتاب؛ فآمن بعض وكفر بعض ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج
 الظاهرة على التوحيد، و﴿مِنْ﴾ متعلقة بـ ﴿اخْتَلَفَ﴾، وهي وما بعدها مقدم
 على الاستثناء في المعنى ﴿بَغْيًا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ﴾ لإرادته ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ
 يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ طريق الحق. ونزل في جهد أصاب
 المسلمين: [٢١٤] ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَمْ ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا﴾ لَمْ
 ﴿يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ من المؤمنين من الحن؛
 فنصبروا كما صبروا ﴿مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ﴾ حيلة مستأنفة مبنية ما قبلها ﴿الْبَأْسَاءُ﴾
 شدة الفقر ﴿وَالضَّرَاءُ﴾ المرض ﴿وَزُلْزِلُوا﴾ أزعجوا بأنواع البلاء ﴿حَتَّى
 يَقُولَ﴾ بالنصب والرفع^(٥)؛ أي: قال ﴿الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ﴾ استبطاء
 للنصر؛ لتناهي الشدة عليهم: ﴿مَتَى﴾ يأتي ﴿نَصْرُ اللَّهِ﴾ الذي وعدناه؛
 فأجيئنا من قِبَلِ اللَّهِ: ﴿أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ إتيانه

[٢١٥] ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: الذي ينفقونه،
 والسائل عمرو بن الجموح، وكان شيخاً ذا مال، فسأل ﷺ عما ينفق
 وعلى مَنْ ينفق؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ﴾ بيان لـ ﴿مَا﴾،

= الرجوع؛ فرجع يستعمل لارثاً ومتعدداً، وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي بالياء للفاع والياقون بالياء للمفعول.

(١) التعليق: هو إبطال العمل لفظاً لا محلاً، وإلغاء لفظاً ومحلاً، فكون جملة: ﴿كَمْ ءَاتَيْنَهُمْ﴾ في المعنى في محل المفعول الثاني لـ ﴿سَلَّ﴾. والتعليق مختص بأفعال القلوب، والسؤال وإن
 لم يكن من أفعال القلوب، إلا أنه سبب للعلم، والعلم منها، فأعطي حكمها من نصب المفعولين وصحة التعليق.

(٢) أي: إن ﴿كَمْ﴾ هي المفعول الثاني لـ ﴿آتيتهم﴾، ومفعول ﴿آتيتهم﴾ الأول هو: الهاء من الضمير «هم»، وهذا مذهب الجمهور.

(٣) إما يردت؛ ليعلم بها أن مدخولها وهو قوله: ﴿مِنْ ءَالِيهِمْ بَيْنَهُمْ﴾، يميز لا مفعول ثانٍ لـ ﴿آتيتهم﴾.

(٤) لباء سببية؛ أي: بسبب التمويه؛ أي: الزخرفة والبهجة.

(٥) بالرفع قراءة نافع، والنصب بـ (أَنْ) مضمره، و﴿حَتَّى﴾ بمعنى: إلى، وهي تنصب المضمر بعدها إذا كان مستقبل، والرفع باعتبار ما بعدها حالاً مقارناً لما قبلها، أو أن الفعل بعده ماضٍ؛ بمعنى: أن
 القول والزلزال قد مضى.

(٦) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٠، وابن الجوزي في زاد المسير (٢٣٣/١)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس به. والكلبي وأبو صالح متهمان بالكذب؛ فهو موضوع، وذكر
 السيوطي في الدر المنثور (٥٨٥/١) نحوه، دون تسمية السائل، وعزه لعبد بن حميد.

خبر لكم ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَشْكُرُونَ﴾ ذلك، فبادروا إلى ما يأمركم به.
وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ سِرَايَاهُ وَعَلَيْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَحْشٍ^(١)؛ فَقَاتَلُوا الْمُشْرِكِينَ
وَقَتَلُوا ابْنَ الْحَضْرَمِيِّ أَجْرَ يَوْمٍ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ، وَالتَّبَسَّعَ عَلَيْهِمْ بِرَجَبٍ؛
فَقَبِضَهُمُ الْكَفَّارُ بِاسْتِحْلَاحِهِ؛ فَنَزَلَ^(٢): [٢١٧] ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ النَّهْرِ
الْحَرَامِ﴾ الحريم ﴿وَقَاتِلْ فِيهِ﴾ بدل اشتمال^(٣) ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿وَقَاتِلْ فِيهِ
كَبِيرٌ﴾ عظيم وزر^(٤)، مبتدأ وخبر ﴿وَصَدُّ﴾ مبتدأ^(٥)، منع للناس ﴿عَنِ
سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَكُفْرٌ بِهِ﴾ بالله ﴿وَقَدْ صَدَّ عَنْ سَبِيلِ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: مكة ﴿وَأَخْرَجَ أَهْلَهُ مِنْهُ﴾ وهم النبي ﷺ
والمؤمنون، وخبر المبتدأ^(٦): ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم وزراً ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ من القتال فيه
﴿وَالْفِتْنَةُ﴾ الشرك منكم ﴿أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ لكم فيه ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ أي:
الكفار ﴿يَقْتُلُونَكَ﴾ أيها المؤمنون ﴿حَتَّى﴾ كي ﴿يُرْذَوْكُمْ عَنْ دِينِكُمْ﴾
إلى الكفر ﴿إِنْ أَسْتَظْهَمُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قُبِيتَ وَهُوَ
كَأَنَّ قَاتِلَكَ حَبِطَ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمُ﴾ الصالحة ﴿فِي الْأَدْنَى
وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها ولا ثواب عليها، والتقييد بالموت عليه يفيد أنه لو
رجع إلى الإسلام لم يطل عمله؛ فيناب عليه، ولا يعيده كالخج مثلاً، وعليه
الشافعي ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. ولما ظن السريّة
أنهم إن سلموا من الإثم فلا يحصل لهم أجر؛ نَزَلَ^(٧): [٢١٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ فَارْتَفَعُوا أَوطَانَهُمْ ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء
دينه ﴿وَأُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ﴾ ثوابه ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ للمؤمنين
﴿رَحِيمٌ﴾ بهم. [٢١٩] ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ القمار، ما
حكمهما؟ ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿فِيهِمَا﴾ أي: في تعاطيهما ﴿إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾
عظيم، وفي قراءة: بالفتنة^(٨)، لما يحصل بسببهما من الخاصة والمشاغبة وقول
الفحش ﴿وَمَنْعٌ لِلنَّاسِ﴾ بالذلة والفرح في الخمر، وإصابة المال بلا كد في
الميسر ﴿وَأِثْمُهُمَا﴾ أي: ما ينشأ عنهما من المفساد ﴿أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِنْ
نَفْعِهِمَا﴾ ولما نزلت شربها قَوْمٌ وامتنع عنها آخرون إلى أن حرمتها آية المائدة^(٩)
﴿يَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ أي ما قدره؟ ﴿قُلْ﴾: انفقوا ﴿الْمَعْرُوفُ﴾ أي:
الفاضل عن الحاجة، ولا تنفقوا ما تحتاجون إليه وتضيعوا أنفسكم، وفي قراءة:
بالرفع^(١٠) بتقدير «هو» ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كما تَبَيَّنَ لكم ما ذَكَرَ ﴿يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾^(١١).

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا
شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ
لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ
الْحَرَامِ قَاتِلْ فِيهِ قُلْ قَاتِلْ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدُّ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ
أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ
يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدَّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَظْهَمُوا وَمَنْ
يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ قُبِيتَ وَهُوَ كَأَنَّ قَاتِلَكَ
حَبِطَ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ
النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ
هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ
اللَّهِ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٩﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ
مِنْ نَفْعِهِمَا وَيَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ اللَّهُ كَذَلِكَ
يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٢٠﴾

[٢١٦] ﴿كُتِبَ﴾ فرض ﴿عَلَيْكُمْ﴾ أَلْفَتْحَالٌ للكفار ﴿وَهُوَ كُرْهُ﴾
مكروه ﴿لَكُمْ﴾ طبعاً لمشقتة ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾
وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ ﴿لَمِيلِ النَّفْسِ إِلَى الشَّهَوَاتِ الْمَوْجِبَةِ
لِهَلَاكِهَا، وَتَفَوُّرِهَا عَنِ التَّكْلِيفَاتِ الْمَوْجِبَةِ لِسَعَادَتِهَا؛ فَعَلَّكُمْ لَكُمْ فِي الْقِتَالِ - وَإِنْ
كَرِهْتُمُوهُ - خَيْرٌ؛ لِأَنَّ فِيهِ إِمَّا الظَّفَرَ وَالْغَنِيمَةَ، أَوْ الشَّهَادَةَ وَالْأَجْرَ، وَفِي تَرْكِهِ
وَلَنْ أَحْبَبْتُمُوهُ - شَرٌّ؛ لِأَنَّ فِيهِ الدَّلَّ وَالْفَقْرَ وَحِرْمَانَ الْأَجْرِ﴾ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا هُوَ

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢١٩): أخرجه أبو داود عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: اللهم زين لنا في الخمر بياناً شفاءً، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ الآية. أبو داود - كتاب الأشربة (٢٠) باب (١) في تحريم الخمر. صحيح سنن أبي داود (٣١١٧)، وسيأتي الحديث بتمامه في سورة النساء الآية (٤٣)، والمائدة الآية (٦).

(١) لم تكن سرية عبد الله بن جحش أول السرايا؛ بل كانت خامستها وثامنة التحركات العسكرية، وقد ذكر أهل السير أنهم قتلوا ابن الحضرمي في آخر يوم من رجب والتبس عليهم بأول يوم من شعبان.

(٢) أخرجه نحوه البيهقي في السنن الكبرى (١٢/٩)، وفي دلائل النبوة (١٧/٣) من حديث عروة بن الزبير، وهو مرسل. وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٢٧٢٩/٥) رقم (٦٥١٣) من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٤٥/١)، وأخرجه ابن جرير في تفسيره (٢٠٤/٢) عن قتادة مرسلًا، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٦٠٢/١).

(٣) أي من الشهرة؛ إذ هو مشتعل على القتال لوقوعه فيه. (٤) أي: إن كان عمدًا، فإن كان خطأ فقتل السرية؛ فلا إثم به.

(٥) مع ما عطف عليه، وجعلناه أربعة فأخبر عنها بقوله: ﴿أَكْبَرُ﴾ لأنه أفعّل تفضيل، وهو يستوي فيه الواحد والأكثر إذا كان مجرداً من (أل) والإضافة.

(٦) إشارة إلى أن ﴿الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ معطوف على ﴿سَبِيلِ اللَّهِ﴾. (٧) أي: وما عطف عليه - كما سبق.

(٨) أخرجه بنحوه ابن إسحاق في السيرة (٢٣٩/٢)، (٢٤٠) من طريق عروة بن الزبير مرسلًا، والبيهقي في دلائل النبوة (١٨/٣)، والطبري في تفسيره (٢٠٧/٢). وهو ضعيف لإرساله كما ذكر صاحب الاستيعاب (١٥٤/١).

(٩) أي: كبير، وهي قراءة حمزة والكسائي. (١٠) أي: عمرو، خبر مخلوف تقديره: هو.

[٢٢٠] ﴿فِي﴾ أمر ﴿الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾. فأتخذون بالأصلح لكم فيها ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى﴾ وما يلقونه من الحرج في شأنهم؛ فإن أكلوهم يأثموا، وإن عزلوا ما لهم من أموالهم وصنعوا لهم طعاماً وحدهم فحرج ﴿قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ﴾ في أموالهم؛ بتبنيها، ومداخلتكم ﴿خَيْرٌ﴾ من ترك ذلك ﴿وَأَنْ تَحَالُطُوهُمْ﴾ أي: تخلطوا نفقتكم بنفقتهم ﴿فَإِخْوَانُكُمْ﴾ أي: فهم إخوانكم في الدين، ومن شأن الأخ أن يخالط أخاه؛ أي: فلكم ذلك ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ﴾ لأموالهم بمخالطته ﴿وَمِنَ الْمُصْلِحِ﴾ بها؛ فيجازي كلًّا منهما ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكُمْ﴾ لَصَيَّقَ عليكم بتحريم المخالطة ﴿إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه^(٥). [٢٢١] ﴿وَلَا تَنْكِحُوا﴾ تزوجوا أيها المسلمون ﴿الشَّرِكَاتِ﴾ أي: الكافرات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَآئِمَةً مُّؤْمِنَةً خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ﴾ حرة؛ لأن سبب نزولها العيب^(٦) على من تزوج أمة، وترغيبه في نكاح حرة مشركة ﴿وَلَوْ أَنعَجَبْتُمْ﴾ لجمالها ومالها، وهذا مخصوص بغير الكتابيات بآية: ﴿وَالْفَضْلَتِ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وَلَا تَنْكِحُوا تَزُوجُوا ﴿الشَّرِكَاتِ﴾ أي: الكفار المؤمنات ﴿حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَدَّ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ لِماله وجسماله ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: أهل الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى الْفَارِ﴾ بدعاهم إلى العمل الموجب لها؛ فلا تليق مُتَاكِفُهُمْ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوهُ﴾ على لسان رسله ﴿إِلَى الْيَتَمٰ وَ الْمَغْفِرَةِ﴾ أي: العمل الموجب لهما ﴿بِذُرِّيَّتِهِ﴾ بإرادته؛ فتجب إجابته بتزويج أوائله ﴿وَبَيْنَ أَيْتَمِيهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون. [٢٢٢] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ أي: الحيض أو مكانه، ماذا يفعل بالنساء فيه؟ ﴿قُلْ هُوَ أَذَىٰ﴾ قدر أو محله ﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ﴾ اتركوا وطاهن ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ أي: وقته أو مكانه^(٧)، ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿حَتَّىٰ يَظْهَرَنَّ﴾ بسكون الطاء وتشديدها والهاء، وفيه إدغام اثناء في الأصل في الطاء^(٨)؛ أي: يتسلسل بعد انقطاعه ﴿فَإِذَا ظَهَرَنَ فَأُتُوهُنَّ﴾ بالجماع ﴿مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ﴾ بتجنبه في الحيض؛ وهو: القُبْلُ، ولا تعدوه إلى غيره ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ﴾ ييب ويكرم^(٩) ﴿التَّوَّابِينَ﴾ من الذنوب ﴿وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ﴾ من الأثام^(١٠). [٢٢٣] ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ أي: محل زرعكم الولد ﴿فَأُتُوا حَرْثَكُمْ﴾ أي: محله؛ وهو: القُبْلُ ﴿أَتَىٰ﴾ كيف ﴿شَقَّتُمْ﴾ من قيام وقعود واضطجاع وإقبال وإدبار، ونَزَلَ رَدًّا لقول اليهود: ﴿من أتى امرأته في قُبْلِها؛ أي: من جهة دُبُرِها جاء الولد أَحْمُولًا﴾^(١١) ﴿وَقَدِّمُوا لِأَشْكَائِكُمُ الْعَمَلُ الصَّالِحُ﴾ كالنسيئة عند الجماع

فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُحَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدِينَ الْمُصْلِحِينَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَغْنَيْنَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَآئِمَةً مُّؤْمِنَةً خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُمْ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا وَلَعَدَّ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَظْهَرَنَّ فَإِذَا ظَهَرَنَ فَأُتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ نَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأُتُوا حَرْثَكُمْ إِنِّي شَيْئٌ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّكْفَوُونَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في أمره ونهيه ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّكْفَوُونَ﴾ بالبعث؛ فيجازيكم بأعمالكم ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين اتقوه بالجنة. [٢٢٤] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ﴾ أي: الحلف به ﴿عُرْضَةً﴾ عِلَّةً مَانِعَةً ﴿لِأَيْمَانِكُمْ﴾ أي: نُظْمًا^(١٢) لها بأن تكفروا بالحلف^(١٣) به ﴿أَنْ﴾ لا تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا فَكُفَرُوا اليمين على ذلك، ويسن فيه الحنث، ويكفر بخلافها على فعل البر ونحوه، فهي طاعة ﴿وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ﴾ المعنى: لا تمنعوا من

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٠): أخرج أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أنزل الله ﷻ: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّذِي حَرَمَ اللَّهُ﴾ [الأمان: ١٥٢] ﴿وَالَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ كُلُومًا﴾ الآية [النساء: ١٠]، انطلق من كان عنده نعيم فعزل طعامه من طعامه وشرا به من شرا به، مما يفضل من طعامه فيجبر له حتى يأكله أو يبعده، فاشتد ذلك عليهم، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فأذن الله ﷻ: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُحَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ﴾ فخلطوا طعامهم بطعامه، وشرا به بشرا به. أبو داود - كتاب الوصايا (١٢) باب (٧) مخالطة اليتيم في الطعام ...

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٢): أخرج مسلم: عن أنس ﷺ: أن اليهود كانوا إذا حاصت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيوت، فسأل أصحاب النبي ﷺ فأذن الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ ...﴾ إلى آخر الآية. فقال رسول الله ﷻ: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»، فبلغ ذلك اليهود فقالوا: ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه. مسلم - كتاب الحيض (٣) باب (٢) جواز غسل الحائض رأس زوجها وترجيله.

(٥٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٣): أخرج البخاري عن ابن المنكدر قال: سمعت جابرًا ﷺ قال: «كانت اليهود تقول: إذا جامعنا من ورثها جاء الولد أحمول، فنزلت: ﴿يَسْأَلُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأُتُوا﴾

(١) أي: التعيب من المسلمين. (٢) يشير إلى ما أخرجه الواحدي في أسباب النزول ص ٤٥ عن ابن عباس أن الآية نزلت في عبد الله بن رواحة ﷺ؛ كانت عنده أمة سوداء فأعتقها وتزوجها؛ فأبوا عليه ذلك وعابوه؛ فأذن الله: ﴿وَلَكُمْ مِّنْهُنَّ مَبْرَأَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبْتُمْ﴾. وضعف إسناده في الاستيعاب (١٦٨/١)؛ قال: فيه أسباط من نصر؛ ضعفه النسائي وأبو زرعة وأبو نعيم وغيرهم. (٣) فهو مصدر مبني يصلح للحدث والزمان والمكان. (٤) بتشديد الطاء وفحشا وفتح الهاء، قراءة حمزة والكسائي وشعبة. (٥) وهذا تأويل لصفة الحجة ببعض لوازمها، وسبق بيان المذهب الحق في ذلك وإثباته وغيرها من الصفات الثابتة بالكتاب والسنة على الوجه اللائق به - شيخنا. (٦) الحسية والمعنوية. (٧) البخاري (٤٥٢٨)، ومسلم (١٤٣٥) من حديث جابر. وانظر ما جاء في نزول الآية. (٨) المعنى: لا تجعلوا الحلف بالله سببا مانعا لكم من البر والتقوى؛ يُدعى أحدكم إلى بر أو صلة رحم فيقول: قد حلفت بالله لا أفعله؛ فيعتل بيمينه في ترك البر والإصلاح. (٩) أي: غرضًا مانعًا من فعل البر. (١٠) هذا تفسير آخر للآية؛ أي: لا تكفروا بالحلف إلا فيه من اجتهد الله - تعالى - في كل شيء، وكان المناسب أن يقول: «أو أن» =

سَمِعُ ﴿١﴾ لِقَوْلِهِمْ ﴿٢﴾ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ، المعنى: ليس لهم بعد تريض ما دُكِرَ ﴿١﴾ إلا الفئقة أو الطلاق.

[٢٢٨] ﴿وَالطَّلَاقُ بَرَبَعٌ﴾: أي: ليتنظر ﴿يَأْتِسُهُنَّ﴾: عن النكاح ﴿ثَلَاثَةُ قُرُوءٍ﴾: (٥٥) تضمي من حين الطلاق، جمع قرء؛ بفتح القاف (٢)؛ وهو: الطهر (٣)، أو الحيض (٤)، قولان، وهذا في المذحول بهن، أما غيرهن؛ فلا عدة عليهن؛ لقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدْوٍ﴾ (٥) وفي غير الآيسة والصغيرة: ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ﴾، والحوامل: فعدهن قرءان بالسنه ﴿وَلَا يَحِلُّ لهنَّ أَنْ يَكُنَّ مَا خَلَقَ اللهُ فِي أَرْسَالِهِنَّ﴾ من الولد والحيض ﴿إِنْ كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُيُوتِهِنَّ﴾ أزواجهن ﴿أَتَتْهُنَّ رِيحٌ﴾: مبراجعتن، ولو أتيت (في ذلك) أي: في زمن التريص ﴿إِنْ أَرَادَا إِصْلَاحًا﴾ بينهما؛ لإضرار المرأة (٦)، وهو تخريض على قصده لا شرط لجواز الرجعة، وهذا في الطلاق الرجعي، ﴿أَتَتْهُ﴾ لا تفضيل فيه؛ إذ لا حق لغيرهم من نكاحهن (٨) في العدة ﴿وَلَهُنَّ﴾ على الأزواج ﴿وَمِثْلَ الَّذِي﴾ لهم ﴿عَلَيْهِنَّ﴾ من الحقوق ﴿بِالْمَقْرُونِ﴾ شرعاً؛ من حسن العشرة وترك الإضرار ونحو ذلك ﴿وَاللَّيْجَالِ عَلَيْهِنَّ ذِمَّةٌ﴾: فضيلة في الحق؛ من وجوب طاعتهن لهم ما سافوه من المهر والإنفاق ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ فيما دبره لخلقه.

[٢٢٩] ﴿أَطْلُقَ﴾: أي: التطلق الذي يُرَاجِعُ بَعْدَهُ ﴿مَرَّتَيْنِ﴾: أي: اثنتان ﴿فَإِنْ سَأَلْتَهُ﴾: أي: فعليكم إيساكنه بعده بأن تراجعوه ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾: من غير ضرر ﴿أَوْ تَصْرِيحٍ﴾: أي: إرسالهن ﴿بِإِحْسَنِ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ﴾: أيها الأزواج ﴿أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا عَاقَبْتُمُوهُنَّ﴾: من المهور ﴿شَيْئًا﴾: إذا طلقتوهن^(٩) ﴿إِلَّا أَنْ يَخَافَا﴾: أي: الزوجان ﴿أَنْ لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: أي: أن لا يأتيأ بما خُذَهُ لهما من الحقوق، وفي قراءة: ﴿يَخَافَا﴾^(١٠) بالبناء للمفعول، ف﴿إِلَّا يُقِيمَا﴾: بدل اشتمال من الضمير فيه، وقرئ: بالفوقانية في الفعلين^(١١) ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَمْ نَ﴾: ﴿لَا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾: فلا جَنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ^(١٢) نفسها من المال ليطلعهما؛ أي: لا حرج على الزوج في أخذه ولا الزوجة في بذله ﴿يَتَلَفُ﴾: الأحكام المذكورة ﴿حُدُودَ اللَّهِ﴾: فلا تَعَدُّوهُنَّ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٢٣٠] **﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾** الزوج بعد التَّيْنِينِ **﴿فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ﴾** بعد الطَّلَاقِ الثالثة **﴿حَتَّى تَنْكِحَ﴾** تنزوج **﴿زَوْجًا غَيْرَهُ﴾** وبطأها؛ كما في الحديث الذي رواه الشيخان ^(١٧) **﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا﴾** أي: الزوج الثاني **﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْنَا﴾** أي: الزوجة والزوج الأول **﴿أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾** إلى النكاح بعد انقضاء العدة **﴿وَإِنْ طَلَّقَا أَنْ يَتَرَاجَعَا﴾** **﴿وَلِلَّهِ الْمَذْكُورَاتُ﴾** **﴿حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** يتدبرون.

لَا يُؤْخَذُكُمْ اللَّهُ بِاللَّعُوفِ أَفَئِمَّنَكُمْ وَلَكِنْ يُؤْخَذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ فَلَوْ كُفِّرُوا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرِيصٌ أَزْوَاجُهُمْ أَشْهَرٌ فَإِنِ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَإِنِ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَتُ يَتَرِيصُ بِأَنْفُسِهَا ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَعْلَمُتُهُنَّ مُحَرَّرٌ مِنْهُنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ الطَّلَاقُ مَرَّتَيْنِ فَمَا مَسَّكِ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسَرَّحَ بِإِحْسَنٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمَّ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ إِنَّكُم مَّا تَأْخُذُونَ بَلَاءٌ إِنَّكُم تُؤْخَذُونَ بِمَا لَكُمْ فِي الدِّينِ أَلَّا تَعْلَمُوا ﴿٢٩﴾ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٠﴾ فَإِنْ طَلَقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ أَنْ يَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ طَلَّأَا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾

يَقُلْ مَا دُكِّرَ مِنَ الْبَرِّ وَنَحْوَهُ إِذَا حَلَقْتُمْ عَلَيْهِ، بَلِ اتَّبَعُوا كُفْرًا؛ لِأَن سَبَبَ نَزُولِهَا الْامْتِنَاعُ مِنْ ذَلِكَ ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ لِأَقْوَالِكُمْ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بِأَحْوَالِكُمْ.

﴿٢٢٥﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُغُو كَالَّذِينَ فِي آيَاتِكُمْ ۖ وَهُوَ مَا يَسْبِقُ إِلَيْهِ
 للسان من غير قصد الحلف: نحو: والله، وبس، والله، فلا إثم عليه، ولا
 كفارة (١) وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبْتُمْ فَوَلُّوْكُمْ ۖ أَي: قصده من الأيمان إذا
 حنثتم. وَاللَّهُ عَفْوٌ ۖ لَمَّا كَانَ مِنَ الْفُغُو حَلِيمٌ ۖ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

﴿٢٢٦﴾ ﴿لَّذِينَ يُؤْذِنُونَ فَيَنبَأُهُمُ ۖ أَي: يحلفون أن لا يجامعوهن
 تَرْتَضِينَ ۚ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ قَبْلَ مَا رُو ۖ رَجَعُوا فِيهَا أَوْ بَعْدَها عَنِ اليمين
 إلى الوطء ۖ فَإِنَّ اللَّهَ عَفْوٌ ۖ لَهُمْ مَا أَنْوَهُ مِنْ ضَرَرِ الْمَرْأَةِ بِالْحَلْفِ رَجِيمٌ ۖ بهم.

﴿٢٢٧﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ ۖ أَي: عليه؛ بَأَنْ لَا يَفِيضُوا؛ فَيُوقِعُوهُ ۖ فَإِنَّ اللَّهَ

... مَرَّكُمْ أَنِّي شَيْئٌ ۝ البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (٣٩).

(*) ما جاء في نزول الآية (٢٢٥): أخرجه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِالْفُحْشِ﴾: أنزلت في قوله: لا والله، وبلى والله. البخاري - كتاب الأيمان والنذور (٨٣) باب (١٤).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٢٢٨): أخرج أبو داود: عن أسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية رضي الله عنها أنها طلقت على عهد رسول الله ﷺ، ولم يكن للمطلقة عدة، فأقرن الله ﷻ حين طلقت أسماء بالعدة للطلاق، وكانت أول من أنزلت فيها العدة للمطهقات. أبو داود - كتاب الطلاق (٧) باب (٣٦) (في عدة المطلقة) حسن. صحيح سنن أبي داود (١٩٩٦).

= تكتروا... بدلاً من قوله: «يأت تكتروا» (١) أي: الأربعة أشهر. (٢) إنما ضبطه المفسر بالفتح قطعاً عنه أنه يصح فيه الوجهان بالضم والفتح لأجل جمعه في الآية على «قروء»؛ مفردوها: «قروء» أما «قروء» فجمعها «أقرواء». (٣) وهو مذهب الجمهور. (٤) وهو مذهب أبي حنيفة وأحمد في رواية، وهو الراجح بأدلة كثيرة جمعها ابن القيم في «زاد المعاد (٢٢٥/٤)».

(٥) لأحزاب: ٤٩. (٦) الطلاق: ٤. (٧) فتمرحم الرجعة إذا ذك. (٨) سواءه أن يقر: فلا حق لغيرهم في ردهن ورجعتن كما عبر به غيره. (٩) أي: وأما إن كانت في عصمته ووبعت له صداقها أو بعضه فلا بأس بذلك. (١٠) لحزمة. (١١) وهي قراءة شاذة. (١٢) البخاري (٢٦٣٩)، ومسلم (١٤٣٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

[٢٣١] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَعَثْنِ الْجَاهِلُنَ فَمَتَّسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سِرِّهِنَّ﴾ بَأَنْ تَرَجِعُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ مِنْ غَيْرِ نَضْرٍ ﴿أَوْ سِرِّهِنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ أَتَرَكَوهُنَّ حَتَّى تَنْقُضِي عِدَّتَهُنَّ ﴿وَلَا تُنْسِكُوهُنَّ﴾ بِالرَّجْعَةِ ﴿يُنْزِلُكَ﴾ مَقْعُولٌ لِأَجْلِهِ ﴿لِيَسْتَدُوا﴾ عَلَيْهِنَ بِالْإِلْجَاءِ إِلَى الْإِفْتِدَاءِ، وَالتَّطْلِيقِ، وَتَطْوِيلِ الْحَبْسِ ^(١) ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ بِعَرِضِهَا إِلَى عَذَابِ اللَّهِ ﴿وَلَا تَنْجِدُوا﴾ أَيَّتَ اللَّهُ هُرُوا ﴿مَهْرُوعًا بِهَا بِمَخَالَفَتِهَا ^(٢)﴾ وَأَذْكُرُوا بِعَمَتِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِالْإِسْلَامِ ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿وَالْحِكْمَةِ﴾ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ ﴿يُعْطِيكُمْ بِهِ﴾ بَأَنْ تَشْكُرُوهُا بِالْعَمَلِ بِهِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ.

[٢٣٢] ﴿وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَعَثْنِ الْجَاهِلُنَ﴾ انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ ﴿فَلَا تَعْمَلُوهُنَّ﴾ خُطَابٌ لِلْأُولِيَاءِ؛ أَيِ: تَتَمَعَّوْنَهُنَّ مِنْ أَنَّ يَنْكِحَنَّ أَرْوَاجَهُنَّ الْمُطْلَقِينَ لَهُنَّ؛ لِأَنَّ سَبَبَ نَزُولِهَا: أَنَّ أُخْتِ مَعْقِلَ بْنِ يَسَارٍ طَلَقَهَا زَوْجَهَا، فَأَرَادَ أَنْ يَرَا جَمْعًا؛ فَضَمَّهَا مَعْقِلَ بْنِ يَسَارٍ؛ كَمَا رَوَاهُ الْحَاكِمُ ^(٣) ﴿إِذَا رَزَّضُوا﴾ أَيِ: الْأَرْوَاجَ وَالنِّسَاءَ بِبَيْتِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ شَرْعًا ﴿ذَلِكَ﴾ النَّهْيُ عَنِ الْعَضْلِ ﴿يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ لِأَنَّهُ الْمُنْتَفِعُ بِهِ ﴿ذَلِكَ﴾ أَيِ: تَرَكَ الْعَضْلَ ﴿أَذْكُرْ خَيْرٌ﴾ لَكُمْ وَأَطْهَرُ لَكُمْ وَلَهُمْ لَمَّا يَخْشَى عَلَى الزَّوْجَيْنِ مِنَ الرِّبَا سَبَبُ الْعَلَاقَةِ بَيْنَهُمَا ﴿وَاللَّهُ يَسْتَكْمِلُ﴾ مَا فِيهِ الْمَصْلَحَةُ ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذَلِكَ فَاتَّبِعُوا أَوَامِرَهُ.

[٢٣٣] ﴿وَالْوِلْدَاتُ يَرْضَعْنَ﴾ أَيِ: لِيَرْضَعْنَ ﴿أُولَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ عَامَيْنِ ﴿كَامِلَيْنِ﴾ صِفَةُ مَوْكِدَةٍ ^(٤)، ذَلِكَ ﴿لَعِنَ أَرَادَ أَنْ يَمَّ الرِّضَاعَةَ﴾ وَلَا زِيَادَةَ عَلَيْهِ ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ﴾ أَيِ: الْأَبُ ﴿رِضْعَتَيْنِ﴾ إِطْعَامُ الْوِلْدَاتِ ﴿وَكِسْوَتَيْنِ﴾ عَلَى الْإِرْضَاعِ إِذَا كُنَّ مُطْلَقَاتٍ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِقَدْرِ طَاقَتِهِ ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طَاقَتُهَا ﴿لَا تُضَاكِرُ وَلَدَهُ﴾ يُولَدُهَا أَيِ: بِسَبَبِهِ بَأَنْ تُكْرَهَ عَلَى إِرْضَاعِهِ إِذَا امْتَنَعَتْ ﴿وَلَا﴾ يَضَارُّ ﴿مَوْلُودٌ لَمْ يُولَدْ﴾ أَيِ: بِسَبَبِهِ بَأَنْ يَكْلَفَ فَوْقَ طَاقَتِهِ، وَإِضَافَةُ الْوَلَدِ إِلَى كُلِّ مِنْهُمَا فِي الْمَوْضِعِ لِلِاسْتِعْطَافِ ^(٥) ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ﴾ أَيِ: وَارِثِ الْأَبِ؛ وَهُوَ: الصَّبِيُّ؛ أَيِ: عَلَى وَلِيِّهِ فِي مَالِهِ ﴿وَمِثْلُ ذَلِكَ﴾ الَّذِي عَلَى الْأَبِ لِلْوِلَادَةِ مِنَ الرِّزْقِ وَالْكِسْوَةِ ﴿فَإِنْ أَرَادَا﴾ أَيِ: الْوَالِدَانِ ﴿فِيصَالًا﴾ فِطْرًا لَهُ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ، صَادَرًا ﴿عَنْ تَرَاثُي﴾ اتِّفَاقٍ ﴿بَيْنَهُمَا وَتَشَاوُرٍ﴾ بَيْنَهُمَا؛ لِتُظْهَرَ مَصْلَحَةُ الصَّبِيِّ فِيهِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا﴾ فِي ذَلِكَ ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ﴾ خُطَابٌ لِلْأَبَاءِ ﴿أَنْ تَسْرِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ مَرَاضِعَ غَيْرِ الْوِلْدَاتِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهِ﴾ إِذَا سَلَّمْتُمْ إِلَيْهِنَّ ﴿مَخَّاءَائِيَّتُمْ﴾ أَيِ: أَرَدْتُمْ إِتْنَاهُ لَهُنَّ مِنَ الْأَجْرَةِ ﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾ بِالْجَمِيلِ؛ كَطِيبِ النَّفْسِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ.

(١) مَا حَايَ فِي نَزْلِ الْآيَةِ (٢٣٢): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: ﴿فَلَا تَعْمَلُوهُنَّ﴾ قَالَ: حَدَّثَنِي مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِيهِ؛ قَالَ: زَوْجَتِ أُخْتِ لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَقَهَا حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ بِخَطْبَتِهَا فَقُلْتُ لَهُ: زَوْجَتُكَ وَأَنْتَ شَرُّكَ وَأَكْرَمُكَ فَطَلَقْتُهَا، ثُمَّ جِئْتُ تَخْطِبُهَا ١٩ لَا وَاللَّهِ لَا تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا، وَكَانَ رَجُلًا لَا بَأْسَ بِهِ، وَكَانَتِ الْمَرْأَةُ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَأَتَوَلَّى اللَّهُ: ﴿فَلَا تَعْمَلُوهُنَّ﴾، فَقُلْتُ: الْآنَ أَقْبَلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ. الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الطَّلَاقِ (٢٧)، بَابُ (٧٥) نَسَخِ الْمَرَاغَةِ بَعْدَ التَّطْلِيقَاتِ الثَّلَاثِ.

(١) أَيِ: الْعِدَّةُ.

(٢) أَطْلُقُ الْاسْتِهْزَاءَ وَأَرَادَ الْمَخَالَفَةَ.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ (٤٥٢٩)، وَاحَاكَمَ (٢٨٠/٢).

(٤) وَقَالَتْهَا إِعْتِبَارُ الْحَوْلَيْنِ مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ.

(٥) وَتَبَيَّنَ عَلَى أَنَّهُ حَقِيقٌ بِأَنْ يَتَّفِقَا عَلَى اسْتِصْلَاحِهِ وَالْإِشْفَاقِ عَلَيْهِ؛ فَلَا يَبْنِي أَنْ يُخْضِرَا بِهِ أَوْ يُضَاكِرَا بِهِ.

أَجَلَهُنَّ ﴿٢٣٥﴾ انقضت مدة تربصهن ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ أيها الأولياء ﴿فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ﴾ من التزين والعرض للخطاب ﴿يَا مَعْزُومِي﴾ شرعا ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره.

﴿٢٣٥﴾ ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ لَوْعَتُمْ﴾ أي من خطبة أَيْلَةٍ المتوفى عنهن أزواجهن في العدة، كقول الإنسان - مثلا -: «إني لك جميلة، ومن يجد مثلك، وزُت راعب فيك» ﴿أَوْ أَكْتَشَفْتُمْ﴾ أضمرتم ﴿فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من قصد نكاحهن ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَكَرْتُمْ﴾ بالخطبة ولا تصبرون عنهن؛ فأباح لكم التعريض ﴿وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾ أي: نكاحا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: ما عرف شرعا من التعريض، فلكم ذلك ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ﴾ أي: على عقده ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ﴾ أي: المكتوب من العدة ﴿أَجَلَهُ﴾ بأن ينتهي ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من العزم وغيره ﴿فَاحْذَرُوهُ﴾ أن يعاقبكم إذا عزمتم ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ غَلِيظٌ﴾ لمن يحذرهم ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن مستحقها.

﴿٢٣٦﴾ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وفي قراءة (١): ﴿تَمَسَّوَهُنَّ﴾ أي: تجمعوهن ﴿أَوْ﴾ لم ﴿تَقْرَضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً﴾ مهرا، ومصدرية ظرفية؛ أي: لا تبعة عليكم في الطلاق زمن عدم المسيس والفرض يائمه ولا مهر فطلقوهن ﴿وَمَتَّعُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يتمتعن به ﴿وَعَلَى الْمُوسِيعِ﴾ الغني منكم ﴿قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ﴾ الضعيف الرزق ﴿قَدَرُهُ﴾ يفيد أنه لا نظر إلى قدر الروجة ﴿مَتْنَعًا﴾ تمتعا ﴿يَا مَعْزُومِي﴾ شرعا، صفة ﴿مَتْنَعًا﴾ ﴿حَقًّا﴾ صفة ثانية، أو مصدر مؤكد (٢) ﴿عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ المطيعين.

﴿٢٣٧﴾ ﴿وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيَصِفْ مَا فَرَضْتُمْ﴾ يجب لهن ويرجع لكم النصف ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ يَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: أن يتفضل بعضكم على بعض ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٥﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْتَشَفْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عِلْمَ اللَّهِ أَنْ كُمْ سَتَدَّ كُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا وَلَا تَعْزِمُوا عَقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٦﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَقْرَضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتْنَعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٧﴾ وَإِنْ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَيَصِفْ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُوا أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ يَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٨﴾

﴿٢٣٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ﴾ يموتون ﴿مِنْكُمْ﴾ منكم وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ: أي: ليربصن ﴿بِأَنْفُسِهِنَّ﴾ بتدبرهم عن النكاح ﴿أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ من الليالي، وهذا في غير الحوامل، أما الحوامل: فعدتهن ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ بآية الطلاق، والأمة على النصف من ذلك بالشبهة (١) ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ

(١) أي عدة الأمة المطلقة؛ كما في حديث عائشة مرفوعا: «طلاق الأمة تطليقتان وعدتها حضنتان». رواه الترمذي (١٨٢) وضعفه، وأبو داود (٢١٨٩)، وابن ماجه (٢٠٨٠)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (١١٩٩). ورواه الدارقطني عن ابن عمر مرفوعا ومرفوعا وصحح الموقوف كما في التلخيص الجدير (٢١٣/٢).

(٢) الحزمة والكسائي.

(٣) في النسخة المطبوعة: «مؤكدة»، والمثبت من الصاوي.

[٢٣٨] ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ الخمس بأدائها في أوقاتها **﴿وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾** ^(١) هي العصر أو الصبح أو الظهر أو غيرها، أقوال، وأفرادها بالذكور؛ لِقَضَائِهَا **﴿وَقُومُوا لِلَّهِ﴾** في الصلاة **﴿فَلْيَتَنَزَّلِ﴾** قيل: مطيعين لقوله ﷺ: «كُلُّ قُتُوبٍ فِي الْقُرْآنِ فَهُوَ طَاعَةٌ» ^(٢) [رواه أحمد وغيره]؛ وقيل: ساكتين؛ لحديث زيد بن أرقم: «كُنَّا تَتَكَلَّمُ فِي الصَّلَاةِ حَتَّى نَزَلَتْ؛ فَأَمْرًا بِالسُّكُوتِ، وَثُبَيْنًا عَنِ الْكَلَامِ» ^(٣) [رواه الشيخان]. [٢٣٩] ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ﴾ من عدو أو سيل أو سبع **﴿وَفِي السَّالَةِ﴾** جمع راجل؛ أي: مشاة، صلوا **﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾** جمع راكب؛ أي: كيف أمكن؛ مستقبلي القبلة أو غيرها، ويومئ بالركوع والسجود **﴿فَإِذَا أَمِنْتُمْ﴾** من الخوف **﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾** أي: صلوا **﴿كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾** قيل تعليمه؛ من فرائضها وحقوقها، والكاف بمعنى: مثل، و**﴿مَّا﴾** مصدرية أو موصولة.

[٢٤٠] ﴿وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾ فليوصوا **﴿وَصِيَّةً﴾** وفي قراءة: بالرفع ^(٤)؛ أي: عليهم **﴿لَا زَوْجَهُمْ﴾** وليعطوهم **﴿مَتْنَعًا﴾** ما يتمتع به من النفقة والكسوة **﴿إِلَى﴾** تمام **﴿الْحَوْلِ﴾** من موتهم، الواجب عليهن تربصه **﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾** حال؛ أي: غير مخرجات من مسكنهن **﴿فَإِنْ خَرَجْنَ﴾** بأنفسهن **﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾** يا أولياء الميت **﴿فِي مَا قَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ﴾** شرعاً؛ كالترين، وترك الإحداد، وقطع النفقة عنها **﴿وَاللَّهُ غَفِيرٌ﴾** في ملكه **﴿حَكِيمٌ﴾** في شئيه، والوصية المذكورة منسوخة بآية الميراث، وترصص الحول بآية أربعة أشهر وعشرا السابقة المتأخرة في النزول، والسكنى ثابتة لها عند الشافعي ^(٥) - رحمه الله ..

[٢٤١] ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتْنَعٌ﴾ يُعْطِيَنَّ **﴿بِالْمَعْرُوفِ﴾** بقدر الإمكان **﴿حَقًّا﴾** نصب بفعله المقدر ^(٦) **﴿عَلَى الْكُفَّينِ﴾** الله - تعالى -، كرره ليغم المسوسة أيضاً؛ إذ الآية السابقة في غيرها.

[٢٤٢] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما بين لكم ما ذكر **﴿ثُبَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ عَائِتِيَّوْهُ لَمَلَكُمْ تَعْلَمُونَ﴾** تتدبرون.

[٢٤٣] ﴿لَمْ تَكُنْ﴾ استفهام تعجب ^(٧) وتشويق ^(٨) إلى استماع ما بعده؛ أي: ينته علمك ^(٩) **﴿إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ﴾** أربعة أو ثمانية أو عشر أو ثلاثون أو أربعون أو سبعون ألفاً ^(١٠) **﴿حَدَرَ الْمَوْتِ﴾** مفعول له، وهم قوم من بني إسرائيل وقع الطاعون ببلادهم؛ ففروا **﴿فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا﴾** فماتوا **﴿ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾** بعد ثمانية أيام أو أكثر؛ بدعاء نبهم «جزيقيل» - بكسر المهملة والقاف وسكون الزاي -؛ فعاشوا دهوراً عليهم أثر

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتْنَعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا قَعَلْتُمْ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ مَتْنَعٌ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقِيلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيضْعِفُهُ لَهْ أضعافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

الموت لا يلبسون ثوباً إلا عَادَ كالكن، واستمرت في أسباطهم **﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾** ومنه إحياء هؤلاء **﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾** وهم الكفار **﴿لَا يَتَذَكَّرُونَ﴾** والقصد من ذكر خبر هؤلاء تشجيع المؤمنين على القتال، ولذا عطف عليه: [٢٤٤] **﴿وَقِيلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** أي: لإعلاء دينه **﴿وَعَلَّمُوا أَنَّهُ تَمِيعٌ﴾** لأفوالكم **﴿عَلَيْكُمْ﴾** بأحوالكم فمجازيكم. [٢٤٥] **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَقْرِضُ اللَّهَ﴾** بإتفاق ماله في سبيل الله **﴿قَرْضًا حَسَنًا﴾** بأن ينفعه لله **﴿يَكُنَّ﴾** عن طيب قلب **﴿فَيَضْعِفُهُ﴾** وفي قراءة ^(١):

(١) ما جاء في نزول الآية (٢٣٨): أخرج أبو داود عن عروة بن الزبير عن زيد بن ثابت قال: كان رسول الله ﷺ يصلي الظهر بالهجرة. ولم يكن يصلي صلاة أشد على أصحاب رسول الله ﷺ منها، فنزلت: **﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾** وقال: «إن قبلها صلاتين وبعدها صلاتين؛ أبو داود. كتاب الصلاة (٢) باب (٥) في وقت صلاة العصر (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٣٩٧). وأخرج مسلم عن شقيق بن عتبة عن البراء بن عازب قال: نزلت هذه الآية: **﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾** فقراها ما شاء الله ثم نسخها الله فنزلت: **﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾** فقال رجل كان جالساً عند شريق له: هي إذن صلاة العصر؟ فقال البراء: قد أخبرتك كيف نزلت وكيف نسخها الله. والله أعلم. مسلم كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب (٣٦) (الدليل من قال: الصلاة الوسطى صلاة العصر).

وأخرج مسلم عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة، يكلم الرجل صاحبه وهو إلى جنبه في الصلاة حتى نزلت: **﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾** فأمرنا بالسكوت، ونهينا عن الكلام. مسلم. المساجد ومواضع الصلاة (٥) باب (٧) تحريم الكلام في الصلاة.

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٧٥/٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٢٢٥). (٢) البخاري (١٢٠٠)، ومسلم (٥٣٩). (٣) لنافع وابن كثير والكسائي وشعبة. (٤) أي: أربعة أشهر وعشرا. (٥) وتقديره: أحقه. (٦) أي: إلقاء للمخاطب في العجب، ويستفاد من الآية أن المخاطب لم يسبق له علم بتلك القصة قبل نزول الآية. (٧) أي: إلقاها في الشوق؛ لأن ما سبق بعد الطلب أُلْهِمَ بما سبق لا تعب، وعطف التشويق على العجب من عطف المسبب على السبب. (٨) فيه إشارة إلى أن الرؤية علمية، وضمن الفعل معنى الانتهاء؛ ليصح تعديته **﴿بِإِلَى﴾** أي: ألم ينته علمك إلى كذا. (٩) ذكر المفسر سنة أقوال، أصحابها الثلاثة الأخيرة؛ لأن ألوفاً جمع كثر، ومبدؤه بعد العشرات. (١٠) لابن كثير. بالتشديد. مع الرفع، ولابن عامر - بالتشديد. مع النصب، ولحمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو بالرفع مع التخفيف ومع إثبات الألف، ولعاصم بالنصب مع التحفيف وإثبات الألف.

شَمُولٍ ﴿أَفَتَرَى إِلَىٰ آلِمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ ائْتِنَا مَلِكًا نَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأُتِنَا فُلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ؟ لِأَنَّهُ لَيْسَ مِنَّا سَبْطُ الْمَمْلَكَةِ وَلَا نُبُوَّةُ، وَكَانَ دُبَاغًا أَوْ رَاعِيًا ﴿وَلَمْ يَكُنْ يَدْعُو الْكَلَامَ﴾ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَىٰ إِقَامَةِ الْمُلْكِ ﴿قَالَ﴾ النَّبِيُّ لَهُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ: ﴿إِنَّ دَآيَةَ الْمُصِيبَةِ أَنَّ يَأْتِيَكُمُ النَّابُوتُ﴾ الصَّدُوقُ، كَانَ فِيهِ صُورُ الْأَنْبِيَاءِ، أَنْزَلَهُ عَلَىٰ آدَمَ وَاسْتَمَرَ إِلَيْهِمْ؛ فَغَلِبَهُمُ الْعِمَالِقَةُ عَلَيْهِ وَأَخَذُوهُ، وَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِهِ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ، وَيَقْدُمُونَهُ فِي الْقِتَالِ، وَيَسْكُونُ إِلَيْهِ ﴿٢٤٩﴾ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿فِيهِ سَكِينَةٌ لِّطَمَآنِيَةِ لِقُلُوبِكُمْ وَيُنَازِلُكُمْ فِيهَا بَاقِيَةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾ وَهِيَ نَفْلًا مُّوسَىٰ وَعَصَاهُ وَعِمَامَةُ هَارُونَ، وَفَقِيزٌ مِنَ الْمَلِكِ الَّذِي كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ، وَرَضَاضٌ ﴿٢٥٠﴾ مِنَ الْأَلْوَابِ ﴿تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ حَالٌ مِنْ فاعِلٍ ﴿يَأْتِيَكُمُ﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُم﴾ عَلَىٰ مَلِكِهِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ فَحَمَلَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ حَتَّىٰ وَضَعَتْهُ عِنْدَ طَالُوتَ؛ فَأَقْرَأُوا مَلِكَهُ وَتَسَارَعُوا إِلَى الْجِهَادِ؛ فَاخْتَارَ مِنْ شَبَابِهِمْ سَبْعِينَ أَلْفًا.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ ائْتِنَا مَلِكًا نَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِينِنَا وَأُتِنَا فُلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مَلِكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٨﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٩﴾

﴿فِيَضَعُهُ﴾ بالتشديد ﴿لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ من عشر إلى أكثر من سبعمائة - كما سيأتي - ﴿وَاللَّهُ يَفْقَهُ﴾ يَمْسِكُ الرِّزْقَ عَمَّنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً ﴿وَيَضَعُكَ﴾ يوسعه لمن يشاء امتحاناً ﴿وَلِآيَةٍ تَرْجَعُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ بِالْبَيْتِ؛ فَيَجَازِبُكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ﴿٢٥٠﴾

﴿٢٤٦﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلِكِ﴾ الجماعة ﴿وَمِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنْ بَعْدِ﴾ موت ﴿مُوسَى﴾ أَي: إِلَى قِصَّتِهِمْ وَخَبَرِهِمْ ﴿إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ لَهُمْ﴾ هُوَ:

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿إِنْ تَنَادَوْا آلِيَ اللَّهِ حَتَّىٰ تَضَعُوا أَيْدِيَكُمْ﴾ وَ﴿مَنْ كَذَبَ فَإِنَّ آلِي اللَّهِ يُعَذِّبُهُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ قَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَحَاطَنِي الَّذِي كَانَ يَمُكِّنُ كُنَا وَكَذَا، وَاللَّهُ وَاسْطَعَتْ أَنْ أَسْرَهَا لَمْ أَعْلَمْهَا، قَالَ: «جَاءَهُمْ فِي قِرَاءَةِ أَمْلِكُ أَحْمَدُ - الْمُسْنَدُ (٤١/٣) وَأَصْلُهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ مَطْوَلًا، وَسَيَّئِي فِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ، آيَةِ (٩٢)، وَانْظُرْ رَوَايَةَ التِّرْمِذِيِّ عِنْدَ آيَةِ (١١) مِنْ سُورَةِ الْحَدِيدِ.

(١) أَيِ بَفْتَحَ السِّينَ وَكَسَرَهَا، وَالْكَسْرُ قِرَاءَةُ نَافِعٍ.

(٢) أَيِ اسْمِي الْمَذْكُورِ فِي آيَةِ السَّابِقَةِ.

(٣) الْكَلَامُ عَنِ التَّابُوتِ وَهَيْئَتِهِ وَتَوَارِثِهِ... إلخ لَمْ يَنْبِت فِيهِ شَيْءٌ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، وَإِنَّمَا هَذِهِ مِنْ أَخْبَارِ بَنِي إِسْرَءِيلَ الَّتِي نَقَلَهَا إِلَيْنَا مُسْلِمَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَحَمَلَهَا عَنْهُمْ بَعْضُ انْصِحَابَةِ النَّاسِ، وَمَرْجِعُهَا إِلَى وَهْبِ بْنِ مَنِئٍ، وَكُتِبَ الْأَحْبَارُ، وَأَمَّا هَلُمَّا، وَالْإِسْرَائِيلِيَّاتُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: الْأَوَّلُ: مَا عَلِمَ صَحُّهُ بِالنَّقْلِ الصَّحِيحِ، أَوْ كَانَ لَهُ شَاهِدٌ مِنَ الشَّرْعِ يُؤَيِّدُهُ؛ فَهَذَا صَحِيحٌ مُّقْبُولٌ، الثَّانِي: مَا عَلِمَ كُذُوبُهُ مِنْ شَرْعِنَا أَوْ كَانَ لَا يَتَّفِقُ مَعَ الْعَقْلِ؛ فَهَذَا لَا يَصَحُّ قَبُولُهُ وَلَا رَوَايَتُهُ، الثَّالِثُ: مَا سَكَتَ عَنْهُ؛ لَا هُوَ مِنْ قَبْلِ الْأَوَّلِ، وَلَا قَبْلَ الثَّانِي؛ فَهَذَا تَتَوَقَّفُ فِيهِ لَا يَكْذِبُهُ وَلَا تَصَدِّقُهُ.

(٤) وَضَاضٌ (بِضَمِّ الرَّاءِ): أَيِ فَنَاتٍ.

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
 بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ
 فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ
 إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ
 قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلتَقُوا اللَّهَ كَمَنْ فَعَرَ
 قَلِيلَةً عَلَيَّ فَتَةً كَثِيرَةً يَا ذِئْبُ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ
 الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا
 رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
 عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ
 وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ
 وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ
 بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو
 فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا
 عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

[٢٤٩] ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ﴾ من بيت المقدس، وكان حراً شديداً وطلبوا منه الماء ﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ﴾ مختبركم ﴿بِنَهَرٍ﴾ ليظهر المطيع منكم والعاصي؛ وهو: بين الأردن وفلسطين ﴿فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ﴾ أي: من مائه ﴿فَلَيْسَ مِنِّي﴾ أي: من أتباعي ﴿وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ﴾ يذقه ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً﴾ بالفتح والضم (١) ﴿بِيَدِهِ﴾ فاشتفى بها ولم يرد عليها؛ فإنه مني ﴿فَشَرِبُوا مِنْهُ﴾ لما وافوه بكثرة ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾ فاقصروا على الغرقة، روي أنها كفتهم بشرهم ودوابهم، وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً ﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ وهم الذين اقتصروا على الغرقة ﴿قَالُوا﴾ أي الذين شربوا (٢) ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: بقتالهم، وجنوا ولم يجاوزوه ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ﴾ يوقنون ﴿أَنَّهُمْ مُّلتَقُوا اللَّهَ﴾ بالبعث؛ وهم: الذين جاوزوه: ﴿كَمَنْ فَعَرَ قَلِيلَةً عَلَيَّ فَتَةً كَثِيرَةً﴾ خبرية؛ بمعنى: كثير ﴿وَمِنْ فَتَةٍ﴾ جماعة ﴿قِيلَ عَلَيَّ فَتَةً كَثِيرَةً﴾ بِإِذْنِ اللَّهِ بِإِرادته ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بالعون والنصر.

[٢٥٠] ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ﴾ أي: ظهوروا لقتالهم وتصافوا ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾ بتقوية قلوبنا على الجهاد ﴿وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٥١] ﴿فَهَزَمُوهُمْ كَسَرُوهُمْ﴾ بِإِذْنِ اللَّهِ بِإِرادته ﴿وَقَتَلَ دَاوُدُ﴾ وكان في عسكر طالوت ﴿جَالُوتَ وَءَاتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ النبوة بعد موت شمويل وطالوت، ولم يجتمعا لأحد قبله ﴿وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ كصناعة الدروع، ومنطق الطير ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾ بدل، بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ﴾ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴿بَغْلَبَةِ الْمُشْرِكِينَ وَقَتْلِ الْمُسْلِمِينَ وَتَخْرِيبِ الْمَسَاجِدِ﴾ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿فَدَفَعَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ﴾.

[٢٥٢] ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿وَأَنْتَ اللَّهُ تَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿يَا الْحَقُّ﴾ بالصدق ﴿وَأَنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ التأكيد «إن» وغيرهارد لقول الكفار له: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ (٣).

(١) أي: فتح العين وضمها، والفتح قراءة لن دفع وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ الباقون بالضم.

(٢) أي: العصاة، وعلى هذا التفسير يكون قولهم تبرؤوا لنكولهم، وأكثر المفسرين على أنهم قالوا هذا القول بعدما عبروا النهر مع طالوت ورأوا جالوت وجنوده، وبعض المفسرين - ومنهم المصنف - أن العصاة لم يعبروا النهر، بل وقفوا بساحله وقالوا معتذرين عن التضلل منادين ومسمعين لطالوت والمؤمنين معه: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ﴾ الآية؛ ولذا قال المصنف: ... وجنوا ولم يجاوزوه. ويحتمل أن يكون القائلون هم طائفة ممن عبروا مع طالوت ولم يشربوا من النهر، ولكن حصل معهم نوع استضعاف لأنفسهم فجمعهم على الثبات والإقدام أهل الإيمان الكامل واليقين الراسخ.

(٣) الرعد: ٤٣.

﴿تِلْكَ أَرْسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلُوا وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْتَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ وَلَا سَفْعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾

[٢٥٣] ﴿تِلْكَ﴾ مبتدأ ﴿أَرْسُلُ﴾ نعت أو عطف بيان^(١)، والحبر: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيصه بمنقية ليست لغريه ﴿يَنْهَمُ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾ كموسى ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ﴾ أي: محمداً ﴿دَرَجَاتٍ﴾ على غيره؛ بعموم الدعوة، وختم النبوة، وتفضيل أمته على سائر الأمم، والمعجزات المتكررات، والخصائص العديدة ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ﴾

قوبناه ﴿بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ جبريل يسير معه حيث سار ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هدى الناس جميعاً ﴿مَا أَقْتُلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ بعد الرسل؛ أي: أمهم ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ لاختلافهم وتضليل بعضهم بعضاً ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا﴾ لمشيئته ذلك ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ ءَامَنَ﴾ ثبت على إيمانه ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾ كالنصارى بعد المسيح ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتُلُوا﴾ تأكيد ﴿وَلَكِنْ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ من توفيق من شاء، وخذلان من شاء.

[٢٥٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْتَكُمْ﴾ زكاته ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلَّةٌ﴾ صدقة تنفع ﴿وَلَا سَفْعَةٌ﴾ بغير إذنه؛ وهو: يوم القيامة، وفي قراءة: برفع الثلاثة^(٢) ﴿وَالْكَافِرُونَ﴾ بالله، أو بما فرض عليهم ﴿هُمْ الظَّالِمُونَ﴾ لوضعهم أمر الله في غير محله.

[٢٥٥] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي: لا معبود بحق في الوجود ﴿إِلَّا هُوَ الْحَيُّ﴾ الدائم بالبقاء ﴿الْقَيُّومُ﴾ المبالغ في القيام بتدبير خلقه ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ﴾ نعاس ﴿وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبيداً ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ له فيها ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: الخلق ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: من أمر الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ﴾ أي: لا يعلمون شيئاً من معلوماته ﴿إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ أن يعلمهم به منها؛ بإخبار الرسل ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قيل: أحاط علمه بهما، وقيل: الكرسي نفسه مشتمل عليهما لعظمته^(٣)، الحديث: ﴿مَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَذَرَاهِمَ سَبْعَةِ أَفْقِيتٍ فِي ثُبٍّ﴾^(٤) ﴿وَلَا يَئُودُهُ﴾ يثقله ﴿حِفْظُهُمَا﴾ أي: السماوات والأرض ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر^(٥) ﴿الْعَظِيمُ﴾ الكبير.

[٢٥٦] ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ على الدخول فيه ﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ أي: ظهر بالآيات البينات أن الإيمان رُشْدٌ والكفر غيٌّ، نزلت فيمن كان له من الأنصار أولاد أراد أن يكرهم على الإسلام^(٦) ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ الشيطان أو الأصنام، وهو يطلق على المفرد والجمع^(٧) ﴿وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِتَمَسِّكٍ﴾ ﴿بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ بالعقد المحكم ﴿لَا انْفِصَامَ﴾ انقطاع ﴿لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لما يقال ﴿عَلِيمٌ﴾ بما يفعل.

(١) ما حاه في نزول الآية (٢٥٦): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوده، فلما أحبلت بنو النضر كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فانزل الله ﷻ ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. المقلاة: التي لا يعيش لها ولد. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٢٦) في الأسير يكره على الإسلام. وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢٣٣٣).

(١) أو بدل، لأن المحلى به الال بعد اسم الإشارة يجوز فيه الثلاثة.

(٢) والقراءة المشفرة بالفتح من غير تنوين لابس كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون برفع الثلاثة.

(٣) الصحيح أن الكرسي موضع القدمين الشريفتين كما صحت بذلك الآثار عن ابن عباس وغيره، وأما تفسيره بالعلم فهو قول ضعيف وينسب إلى ابن عباس، والمخفوظ عنه ما تقدم.

(٤) رواه ابن جرير (١٠/٣) عن ابن زيد عن أبيه مرفوعاً به. وإن زهدوه عمر بن محمد بن زيد بن عبد الله بن عمر بن الخطاب وهو ثقة من رجال الشيخين، يروي عنه ابن وهب وغيره. وأبو محمد بن زيد ثقة مثله روى عن العبدلة الأربعة. فالحديث منقطع. وجاء نحوه عن أبي ذر مرفوعاً بلفظ: «ما السماوات السبع في الكرسي إلا كحلقفة ملقاة بأرض فلاة، وفصل العرش على الكرسي كفضل تلك الفلاة على تلك الحلقة»، وهو في الصحيحة (١٠٩).

(٥) والواجب إثبات علو الله - سبحانه - بأقسامه الثلاثة، وهي علوه بذاته فوق عرشه، وعلوه بالقهر والغلبة فوق خلقه، وعلو شأنه بتعاليه عن جميع القانص والعيوب.

(٦) روي عن ابن عباس أنه: الحصين بن بني سالم بن عوف، كان له ابنان فتنصرا فبن بيعت النبي ﷺ، فأحب أن يكرهما على الإسلام فأخذهما إلى النبي ﷺ فنزلت. ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (١٠/٣)، وهو ضعيف جداً؛ كما في الاستيعاب في بيان الأسباب (١٩٦/١).

(٧) وقد حده ابن القيم حكماً بجائزاً، فقال: «الطاغوت: كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع؛ فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه غير الله على بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله». فإذا تأملت هذا التعريف عرفت أن حكم القانون من الطاغوت، وأن الحكم القانوني طاغوت؛ لأنه يحكم بنشرع وضعي لا يستند إلى القرآن أو السنة أو إجماع الأمة. وتطهير الجبان والأركان عن درن الشرك والكفران (ص ١٠).

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُهُم مِّنَ
النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ
أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّیْ أَلَّذِی یُحِی
ویمیت قَالَ أَنَا أُحِیْ وَأَمِیت قَالَ إِبْرَاهیمُ فَإِنَّ اللَّهَ یَأْتِ
بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِی
كَفَرَ وَاللَّهُ لَا یَهْدِی الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ ﴿٢٥٨﴾ أَوَلَمْ یَكُنْ
مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِیةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى یُحِی
هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ
وَقَالَ كَمْ لَیْسَتْ قَالَ لَیْسَتْ یَوْمًا أَوْ بَعْضَ یَوْمٍ قَالَ بَل
لَیْسَتْ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ یَسْنَخْهُ
وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آیَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى
الْعِطَامِ كَیْفَ نُشْرُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا الْحَمَامَ فَمَا
تَبَيَّنَ لَهُ وَقَالَ أَعْمَى أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَی كُلَّ شَیْءٍ عَظِیمٍ ﴿٢٥٩﴾

لغتان^(١٦)، وفي قراءة: بضمها، والزاي^(١٧): نحرهما ونرفعها^(١٨) ﴿٢٥٨﴾
نَكْسُوهَا الْحَمَامَ ﴿٢٥٩﴾ فنظر إليه وقد تركت وكسيت لحماً ونفخ فيه الروح ونهق
﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ﴾ ذلك بالمشاهدة ﴿قَالَ أَعْلَمُ﴾ علم مشاهدة ﴿أَنَّ اللَّهَ
عَلَى كُلِّ شَیْءٍ قَدِيرٌ﴾ وفي قراءة: ﴿أَعْلَمُ﴾^(١٩) أمر من الله هـ.

[٢٥٧] ﴿اللَّهُ وَلِيُّ﴾ ناصر ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾
الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾
يُخْرِجُهُم مِّنَ النَّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ﴿ذكر الإخراج؛ إما في مقابلة قوله:
﴿يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾، أو في كلٍّ من آمن بالنبي قُتِلَ بعثته من اليهود ثم
كَفَر به^(١) ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٥٨] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ﴾ جادل ﴿إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ لا^(٢) ﴿أَن
آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ أي: حملة بظرة بنعمة الله على ذلك؛ وهو: النمرود
﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿حَاجَّ﴾^(٣) ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ لما قال له: مَنْ رَبُّكَ الَّذِي
تَدْعُونَا إِلَيْهِ؟ ﴿رَبِّیْ الَّذِی یُحِیْ وَیمِیتُ﴾ أي: يخلق الحياة والموت في
الأجساد ﴿قَالَ هُوَ﴾: أَنَا أَنَا. ﴿وَأَمِیتُ﴾ بالقتل والعفو عنه؛ ودعا
برجلين، فقتل أحدهما، وترك الآخر، فلما رآه يحيي^(٤) ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ﴾ منتقلاً
إلى حجة أوضح منها: ﴿فَلَمَّا قَالَ اللَّهُ يَأْتِی بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا﴾
أنت ﴿مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِی كَفَرَ﴾ تَحَيَّرَ وَدُهَشَ ﴿وَاللَّهُ لَا یَهْدِی
الْقَوْمَ الظَّالِمِینَ﴾ بالكفر إلى محجة الاحتجاج.

[٢٥٩] ﴿أَوَلَمْ یَكُنْ﴾ رأيت^(٥) ﴿كَالَّذِی﴾ الكاف زائدة ﴿مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾
هي بيت المقدس^(٦)، راكباً على حمار، ومعه سلة تين وقدح عصير؛ وهو:
عزير^(٧) ﴿وَهِيَ خَاوِیةٌ﴾ ساقطة ﴿عَلَى عُرُوشِهَا﴾ سقوطها لما غرت بها
﴿بِخَنَصٍ﴾^(٨) ﴿قَالَ أَنَّى﴾ كيف^(٩) ﴿يُحِیْ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا؟﴾
استعطافاً لقصرته - تعالى^(١٠) - ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ﴾ وألبسته ﴿مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾
أحياء ليريه كيفية ذلك ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿كَمْ لَیْسَتْ﴾ مكنت هنا؟
﴿قَالَ لَیْسَتْ یَوْمًا أَوْ بَعْضَ یَوْمٍ﴾ لأنه نام أول النهار؛ فقبض، وأحيى عند
الغروب؛ فظن أنه يوم النوم ﴿قَالَ بَل لَیْسَتْ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى
طَعَامِكَ﴾ التين ﴿وَشَرَابِكَ﴾ العصير ﴿لَمْ یَسْنَخْهُ﴾ لم يتغير مع طول
الزمان، والهاء؛ قيل: أصل من «سَانَخْتُ»^(١١)، وقيل للسكت من
«سَانَيْتُ»^(١٢)، وفي قراءة: بحذفها^(١٣) ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾ كيف هو؛
فراه ميتاً وعظامه بيض تلوح! فقلنا ذلك لتعلم ﴿وَلِنَجْعَلَكَ آیَةً﴾ على
البعث ﴿لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِطَامِ﴾ من حمارك ﴿كَیْفَ
نُشْرُهَا﴾^(١٤) نحبيها^(١٥) ﴿بِضْمِ النَّونِ، وَقرئ: بفتحها﴾^(١٦) من «أنشر، ونشر»

(١) قوله: «ذكر الإخراج... إلخ» جواب عن سؤال مقدر حاصله: أن الكفار لم يكونوا في نور حتى يخرجوا منه إلى الظلمات، فكيف ذلك؟ أجاب المفسر بجوابين، الأول: أنه مشاكلة لما قبله، والمراد
منهم من أصل النور، والثاني: أنه إخراج حقيقي، وهو في كل من آمن بالنبي ﷺ قبل موته ثم ارتد بعد ذلك. (٢) أي: إن قوله: ﴿أَن آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ مفعول لأجله، وهو سحرور
باللام لفقد أحد شروطه؛ وهو: عدم اتحاد الفاعل؛ لأن فاعل الحاجة هو النمرود، وفاعل إتياء الملك هو الله، وإنما حذف اللام لأن حذفها مطرد مع «أَن» و«إِذ». (٣) أي: بدل اشمال.
(٤) حيث لم يفهم معنى الكلام؛ لأن معنى: ﴿يُحِیْ وَیمِیتُ﴾: يخلق الحياة والموت، وما أجاب به اللعين ليس فيه خلق لهما كما هو ظاهر؛ ومن ثم فلم يلق عليه إبراهيم في ذلك وانتقل إلى حجة
أخرى أظهر.

(٥) أشار بهذا إلى أن ﴿كَالَّذِی﴾ معمول لحذوف يدل عليه السياق، وبه قال بعضهم، لكن من قال به يجعل الكاف اسماً بمعنى «مثل» لا زائدة. أما من جعلها زائدة جعل مدحولها مفعولاً على
الموصول ولا يكون في الكلام حذف عامر، فلحق الشارح بين القولين على وجه أوجب صعوبة الفهم. (٦) وقيل: هي القرية التي خرج منها الألو فحذر الموت. وقيل: غيرها.
(٧) وهذا هو القول المشهور، وقيل: غير ذلك، وصحح البعض أنه رجل شاك في البعث، كما هو ظاهر الآية... ولعله الأقرب من هذه الحادثة والتي قبلها كدليلين عظيمين على قدرة الله، وعلى
البعث، ولا فائدة في الاشتغال بتعيين ما أبهمه الله في كتابه، والله أعلم.

(٨) «بخت»: معناه: ابن، و«نخر»: اسم للضم؛ سمي بذلك لأن أمه لما ولدته وضعت عنده، فلما وجدته قالوا: بختنصر. أي: ابن اضم، وكان كافراً ملك الأرض مشرقاً ومغرباً.

(٩) وقيل: بمعنى: متى. (١٠) أي: لا يقدر على ذلك إلا صاحب القدرة العظيمة.

(١١) أي: فهي لام الكلمة، والفعل مجزوم بسكون الهاء، فأصل سنة: سنهه، وهي ثابته وصلاً ووقفاً.

(١٢) أي: فهي زائدة، والام الكلمة واو، والفعل مجزوم بحذف حرف العلة، وثبت الهاء في الوقف لا في الوصل، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(١٣) أي: وصلاً، وظاهره أنها قراءة مستقلة وليس كذلك؛ وإنما هي بقية قراءة حمزة والكسائي، فهي عندهما ثبتت وفقاً وتحذف وصلاً.

(١٤) هذا التفسير لا يلزم مع قومه بعدها: ﴿ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾، فإن الإحياء قبله لا بعده، ويمكن أن يراد بالإحياء جمعها وضم بعضها إلى بعض، وهو معنى قراءة الزاي المعجمة.

(١٥) وهي قراءة شاذة. (١٦) لف ونشر مرتب؛ أي: نُشْرُها من أنشر، ونُشْرُها من نشر. (١٧) وبها قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي، والباقون بالراء.

(١٨) أي: نرفعها من الأرض وتردها إلى مكانها من الجسد وتركب بعضها على بعض. (١٩) حمزة والكسائي.

وضمها^(١)؛ أمهلن^(٢) إليك وقطعن واخلط لحمهن وريشهن ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ أَرْضِكَ ﴿مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْخِلْنَّ﴾ إليك ﴿يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾ سريعًا ﴿وَأَعْلَمَنَّ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنيعه؛ فأخذ طاووسًا ونسرا وغرابًا وديكًا^(٣) وفعل بهن ما ذكر، وأمسك رعو سهن عنده ودعاهن؛ فطارت الأجزاء إلى بعضها حتى تكاملت، ثم أقبلت إلى رعو سهن.

[٢٦١] ﴿مَثَلُ﴾ ﴿صَفَةِ نَفَقَاتٍ﴾ ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبًّا﴾ فكذلك نفقاتهم تضاعف لسبعائة ضعف ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ﴾ أكثر من ذلك ﴿لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾^(٤) فضله ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يستحق المضاعفة.

[٢٦٢] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا﴾ على المنفق عليه؛ بقولهم - مثلاً -: «قد أحسننا إليه وحجرت حاله» ﴿وَلَا أَذَى﴾ له يذكر ذلك إلى من لا يحب وقوفه عليه ونحوه ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثواب إنفاقهم ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٢٦٣] ﴿قَوْلٍ مَعْرُوفٍ﴾ كلام حسن، ورَدَّ على السائل جميل ﴿وَمَغْفِرَةٍ﴾ له في إلحاحه ﴿خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ بالمر وتغيير له بالسؤال ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ عن صدقة العباد ﴿حَلِيمٌ﴾ بتأخير العقوبة عن المأذ والمؤذي.

[٢٦٤] ﴿يَتْلَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ﴾ أي: أجورها ﴿بِالْمَنِّ وَالْأَذَى﴾ إبطالاً ﴿كَالَّذِي﴾ أي: كإبطال نفقة الذي ﴿يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ﴾ مراثيا لهم ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ هو المنافق ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ حجر أملس ﴿عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابُهُ وَابِلٌ﴾ مطر شديد ﴿فَفَرَّكُمُ صُلْدًا﴾ صلباً أملس لا شيء عليه ﴿لَا يَقْدِرُونَ﴾ استئناف^(٥)

ليبين مثلي المنافق المنفي رثاء الناس؛ وجمع الصمير باعتبار معنى «الذي» ﴿عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا﴾ عملوا؛ أي: لا يجدون له ثواباً في الآخرة؛ كما لا يوجد على الصفوان شيء من التراب الذي كان عليه لإذهاب المطر له ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْجِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِ هُمْ تُؤْمِنُونَ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦١﴾ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَنَابِلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةٌ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٢﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٣﴾ قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَلِيمٌ ﴿٢٦٤﴾ يَتْلَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُبْطِلُوا صَدَقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي كَانَتْ يَنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ وَمَا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٥﴾

[٢٦٥] ﴿وَر﴾ اذْكُرْ ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُنْجِي الْمَوْتَى﴾ قال - تعالى - له: ﴿أُولَئِ هُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ بقدرتي على الإحياء؛ سأله مع علمه بإيمانه بذلك؛ ليجيبه بما سأل؛ فيعلم السامعون غرضه ﴿قَالَ بَلَى﴾ آمنت ﴿وَلَكِنْ﴾ سألتك ﴿لِيَطْمَئِنَّ﴾ يسكن ﴿قُلُوبِي﴾ بالمعينة المضمومة إلى الاستدلال ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ﴾ إليك ﴿بِكسر الصاد

(١) بالكسر قراءة حمزة وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٢) تفسير للفعل على كل من القراءتين، وأمره بإماليهن إليه؛ أي: تقريرهن منه ليتحقق أوصافهن، حتى يعلم بعد الإحياء أنه لم ينتقل جزء منها عن موضعه الأول أصلاً.

(٣) ولم يرد تحديدهن وتعيينهن في شيء من الأخبار الصحيحة الثابتة، فالأولى الاقتصار على إطلاق القرآن دون تعيين.

(٤) لابد من تقدير مضاف في أحد الجانبين؛ أي: مثل نفقتهم كمثل حبة، أو مثلهم كمثل باذر حبة، والشارح سلك الأول.

(٥) غني يعطي عن سعة.

(٦) الجملة استئناف مبني على السؤال؛ كأنه قيل: فماذا يكون مآلهم حينئذ؟ فقيل: لا يقدرون... إلخ.

﴿أَيُّ نَعْمَ شَيْئًا إِبَادُوهُ﴾ وَإِنْ تُخَفُّوهَُا تسروها ﴿وَتُؤْتُوهُمَا الْفُقَرَاءَ فَيُؤْخِرُ لَكُمْ﴾ من إيدائها وإيتائها الأغنياء، أما صدقة الفرض فالأفضل إظهارها؛ ليقبَل به، ولئلا يهينهم، وإيتاؤها الفقراء متعين ﴿وَيُكَفِّرُ﴾ بالياء والنون^(١)؛ مجزوماً بالعطف على محل ﴿فَيُؤْخِرُ﴾^(٢) ومرفوعاً على الاستئناف ﴿عَنْكُمْ مِنْ﴾ بعض ﴿سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾ عالم بباطنه كظاهره لا يخفى عليه شيء منه. ولما منع ﴿لَكُمْ﴾ من التصديق على المشركين ليسلموا، نزل: [٢٧٢] ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدًى﴾ أي: الناس إلى الدخول في الإسلام، إنما عليك البلاغ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته إلى الدخول فيه ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ مَالٍ ﴿فَلَا تُؤْخِرُكُمْ﴾ لأن ثوابه لها ﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ أي: ثوابه^(٣) لا غيره من أغراض الدنيا، خير بمعنى النهي^(٤) ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ تنقصون منه شيئاً، والجملة^(٥) تأكيد للآولي^(٦).

[٢٧٣] ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الصدقات ﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: حبسوا أنفسهم على الجهاد، نزلت في أهل الضَّغَّةِ وهم: أربعمائة من المهاجرين أُرْضِدُوا لِتَعْلَمَ الْقُرْآنَ والخروج مع السرايا ﴿لَا يَسْأَلُونَ صَرْبًا﴾ سفرًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ للتجارة والمعاش لشغلهم عنه بالجهاد ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ﴾ بحالهم ﴿أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ أي: لتعففهم عن السؤال وتركه ﴿تَعْرِفُهُمْ﴾ يا مخاطباً^(٧) ﴿يَسْأَلُهُمْ﴾ علامتهم من التواضع وأثر الجهد ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ﴾ شيئاً فيحشون ﴿إِلْحَافًا﴾ أي: لا سؤال لهم أصلاً؛ فلا يقع منهم إلحاف، وهو: الإلحاح ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فمجاز عليه.

[٢٧٤] ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ يَأْتِلُ وَاللَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٤﴾ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهُمَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٧٥﴾ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدًى وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا تُفْسِدُكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٦﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ يَأْتِلُ وَاللَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٧٨﴾

[٢٧٥] ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَوَقِّتُمْ بِهِ﴾ فَإِنَّ اللَّهَ يَلْمُكُمْ فيجازيكم عليه ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ بمنع الزكاة والنذر، أو بوضع الإنفاق في غير محله من معاصي الله ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾ مانعين لهم من عذابه.

[٢٧٦] ﴿إِنْ تُبْدُوا﴾ تظهروا ﴿الصَّدَقَاتِ﴾ أي: النوافل ﴿فَنِعِمَّا

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة واللقمتان، وإنما المسكين الذي يتعفف، اقرءوا إن شئتم. يعني قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة البقرة (٢) باب (٤٨). وأخرجه مسلم - كتاب الزكاة (١٢) باب (٣٤) المسكين الذي لا يجد غنى، ولا يفتن له، فيتصدق عليه.

(١) بالنون مع الجزم قراءة نافع وحزمة والكسائي، والنون مع الرفع قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ ابن عامر وحفص بالياء ورفع الراء.

(٢) أي: مع تحره ومحلله جزم لوقوعه جواب الشرط.

(٣) وفيها إثبات صفة الوجه لله - سبحانه - على الوجه اللاتقي به.

(٤) قال ابن القيم: إن حمله - أي الوجه - على الثواب المنفصل من أبطل الباطل؛ فإن اللغة لا تحمل ذلك، ولا يعرف أن الجزاء يسمى وجهاً للمجازي، كما أن الثواب مخلوق، فقد صح عنه ﷺ أنه استعاذ بوجه الله فقال: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تُضِلَّنِي...» [رواه أبو داود وغيره]، ولا يظن برسول الله ﷺ أن يستعبد بمخلوق... [المسرون بين الإثبات والتأويل (٢/ ٣٥٩، ٣٦٠)] تصرف.

(٥) أي: لا تنفقوا إلا ابتغاء وجه الله.

(٦) أي: قوله: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾، وقوله: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

(٧) أي: للشرطية الأولى، وهي: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَوُضِّعَتْكُمْ﴾.

(٨) نكرة غير مقصودة للإشارة إلى أن حالهم ظهر لكل أحد.

(٩) مفعول مطلق عامله محذوف كما قدره المفسر، ويصح أن يكون مفعولاً لأجله؛ أي: لا يسألون لأجل الإلحاف، ويصح أن يكون حالاً؛ أي: مصدراً من موضع الحال تقديره: لا يسألون ملحقين.

الكاتب ﴿الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ الدُّنْيُ لأنه المشهود عليه، فيقر ليعلم ما عليه ﴿وَرَبِّيَ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ في إملائه ﴿وَلَا يَبْحَسُ﴾ ينقص ﴿بَيْنَهُ﴾ أي: الحق ﴿سَهْلاً﴾ فإن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَهْلاً مبدراً ﴿أَوْ ضَعِيفاً﴾ عن الإملاء ليضعف أو يكثر ﴿أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْلِلَ هُوَ﴾ لجزس أو جهل باللغة أو نحو ذلك ﴿فَلْيُعْلِلْ وَلْيُؤْمَرْ﴾ متولي أمره من الولد ووصي وقِيم ومُتَزَجِم ﴿يَالْعَدْلُ﴾ واستشهدوا ﴿أشهدوا على الدين﴾ شهدين ﴿شاهدين﴾ من رجالكم ﴿أي: بالي المسلمين الأحرار﴾ فإن لَمْ يَكُونَا ﴿أي: الشاهدان﴾ رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَأَمْرَانِ ﴿يشهدون﴾ وَمَنْ رَضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ ﴿ليدينه وعدائيه؛ وتعدد النساء لأجل﴾ أَنْ تَضِلَّ ﴿تنسى﴾ إِحْدَهُمَا ﴿الشهادة لنقص عقلهن وضبطهن﴾ ﴿فَقَدْ كَرِهَ﴾ بالتخفيف والتشديد ^(١) ﴿إِحْدَهُمَا﴾ الذكورة ﴿الْأُخْرَى﴾ النسية، وجملة الإذكار محل العلة؛ أي: لتذكر إن ضلت ودخلت على الضلال؛ لأنه سببه ^(٢)، وفي قراءة: بكسر ^(٣) ﴿أَنْ﴾ شرطية، ورفع ﴿تذكر﴾ ^(٤) استئناف ^(٥)، جوابه: ﴿وَلَا يَأْتِ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا زَالَتْ دُعَاؤُكُمْ﴾ إلى تحمل الشهادة وأدائها ﴿وَلَا تَسْمَعُوا﴾ تملوا من ﴿أَنْ تَكْذِبُوا﴾ أي: ما شهدتم عليه من الحق لكثرة وقوع ذلك ﴿سَهْلاً﴾ كان ﴿أَوْ كَبِيراً﴾ قليلاً أو كثيراً ﴿إِلَّا أَجْلِي﴾ وقت حلوله، حال من الهاء في ﴿تَكْذِبُوا﴾ ^(٦) ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الكُتُبُ أَفْسَطُ أَعْدَلُ ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي: أعون على إقامتها؛ لأنه يذكرها ﴿وَأَدَقُّ﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ﴾ ن ﴿لَا تَرْتَابُوا﴾ تشكوا في قدر الحق والأجل ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونُوا﴾ تقع ﴿بِجَزْءٍ خَاصَّةٍ﴾ ^(٧) في قراءة: بالنصب، فـ ﴿تَكُونُوا﴾ ناقصة، واسمها ضمير «التجارة» ^(٨) ﴿تُحْبِرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ أي: تقبضونها ولا أجل فيها ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾ عليه؛ فإنه أدفع للاختلاف، وهذا وما قبله أمر نذير ﴿وَلَا يُضَارُّكُمْ كِتَابُ اللَّهِ وَلَا شَهِيدٌ وَلَا تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ اللَّهُ مَا اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ^(٩)

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بَيْنِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَآكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْحَسْ مِنْهُ شَيْئاً فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُعْلِلَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلْيُؤْمَرْ بِالْعَدْلِ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّهَادَةِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشَّهَادَةُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْمَعُوا أَنْ تَكْذِبُوا صَغِيرٌ أَوْ كَبِيرٌ إِلَى أَجَلِهِمْ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارُّكُمْ كِتَابُ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيَعْلَمَ اللَّهُ مَا اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

[٢٨٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾ تعاملتم ﴿بَيْنِي﴾ كُتِلْمَ وقرض ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ معلوم ﴿فَآكْتُبُوهُ﴾ استئنافاً، ودفعاً للنزاع ^(١) ﴿وَلْيَكْتُبْ﴾ كِتَابَ الدِّينِ ﴿بَيْنَكُمْ﴾ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ﴿بالق في كتابته لا يَرِيدُ فِي الْمَالِ وَالْأَجْلِ وَلَا يَبْخَسُ﴾ ولا يَأْبَ ﴿يَمْنَعُ﴾ كَاتِبٌ ﴿مِنْ﴾ أَنْ يَكْتُبَ إِذَا دُعِيَ إِلَيْهَا ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾ أي: فَضْلَهُ بِالْكِتَابَةِ؛ فلا يَخِلْ بها، و«الكاف» متعلقة بـ ﴿يَأْبَ﴾ ^(٢) ﴿فَلْيَكْتُبْ﴾ تأكيد ﴿وَلْيُمْلِلْ﴾ يُعْلِلُ

(١) أشار بذلك إلى أن الأمر في الآية للإرشاد لا للوجوب، وهو مذهب الجمهور.

(٢) عبارة غير المفسر: متعلقة بـ ﴿وَلَا يَأْبَ﴾ وهي الصواب؛ لأن التعلق المذكور على وجه التعليل للهي عن الإباء؛ أي يحرم عليه الإباء المذكور؛ أي الامتناع من الكتابة؛ لأجل تعليم الله - تعالى - إياها؛ فيجب عليه أن يذللها كما أمره الله - تعالى - ولا يحل بها؛ فالكاف للتعليل، و«ما» مصدرية، والهاء للكتاب.

(٣) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو، ولازمة سكون المذال، فتكون: ﴿فَقَدْ كَرِهَ﴾، قال البعض: من «الذكر» الذي هو ضد الأنثى؛ والمعنى: إن المرأة الثانية إذا شهدت مع الأولى ذكرتها؛ أي: جعلتها كالذكر؛ أي: كالجعل الذي لا يحتاج إلى غيره في الشهادة.

(٤) أي: لأن الضلال سبب الإذكار، والإذكار مسبب عنه؛ فنزل منزله؛ ومن شأن العرب إذا كان لليلة علة قدموا ذكر علة العلة، وجعلوا العلة معطوفة عليها بالفاء؛ لنحصل الدلائل مع عبارة واحدة، وهذا مما يعول فيه على المعنى ويهجر فيه جانب اللفظ، فلا يرد كيف جعل ﴿أَنْ تَضِلَّ﴾ علة لاستشهاد المرتين بدل رجل مع أن علة إما هي التذكير. [تفسير أبي السعود].

(٥) لحزمة.

(٦) أي: مع التشديد فقط.

(٧) أي: إن أداة الشرط لم تعمل في لفظه، وجملة «فَقَدْ كَرِهَ» خير لبتداء محذوف؛ أي: «فهي تذكر» والجملة في محل جزم جواب الشرط.

(٨) أي: لا تمهلوا الأجل في الكتابة، وإنما تقولون: ثبت كذا مؤحلاً بكذا.

(٩) أي: اسمها مضمر فيها وتقديره: إلا أن تكون المعاملة أو المياعة أو استجارة.

(١٠) مثل أن يأمر بكتابة ما لم يطلع عليه، أو يمنع من إعطائه أجرته له.

(١١) والأولى الإقتصار عليه؛ لأن جملة حالاً بخلاف القاصرة التحرية: أن الحملة المضاربة المثنية إذا وقعت حالاً فإن الصمير يلزمها وتخلو من الواو، ولا يصح أيضاً عطفها على جملة: ﴿وَأَتَشَفَّوْا أَلْفَهُ﴾؛ لأنه يلزم منه عطف الخبر على الإنشاء.

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَهُ﴾^(١) فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمْنَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آسِفٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَفْخَفُوهُ يُجَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣﴾ أَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ مِنْ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٥﴾

الزكاة، وقَوْض موضع النجاسة ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قوة ﴿لَنَا بِهِ﴾ من التكليف والبلاء ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾ ائِثْ ذُنُوبَنَا ﴿وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ في الرحمة زيادة على المغفرة ﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ سيدنا ومتولي أمورنا ﴿فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ إقامة الحجة والغلبة في قتالهم؛ فإن من شأن المولى أن ينصر مواليه على الأعداء، وفي الحديث: «لما نزلت هذه الآية فقرأها ﷺ قيل له عقب كل كلمة: قد فعلت»^(١) (١١).

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٢٨٤ - ٢٨٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله، كلنا من الأعمال ما نطيق، الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزلت عليك هذه الآية ولا نطيعها. قال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، س قولوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير». قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فلما اقترأها القوم ذلت بها أنفسهم فأثرت الله في إرهابها: ﴿أَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ =

[٢٨٣] ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين وتدابيتهم ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ ﴿فَرِهْنَ﴾^(١) وفي قراءة: ﴿فَرِهَان﴾ جمع رهن^(٢) ﴿مَقْبُوضَهُ﴾ تستوثقون بها، وَيَتَبَيَّنُ الشُّكُّ جواز الرهن في الحضر ووجود الكاتب، فالتقييد بما ذكر؛ لأن التوثيق فيه أشد^(٣)، وأفاد قوله: ﴿مَقْبُوضَهُ﴾ اشتراط القبض في الرهن والاكتفاء به من المرتهن ووكيله ﴿إِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: الدائن المدين على حقه فلم يترهن ﴿فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ﴾ أي: المدين ﴿أَمْنَتَهُ﴾ دينه ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾ في أدائه ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ﴾ إذا دعيت لإقامتها ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آسِفٌ قَلْبُهُ﴾ خَصَّ بِالذِّكْرِ؛ لأنه محل الشهادة، ولأنه إذا أثم تبعه غيره^(٤)؛ فيعاقب عليه معاقبة الآثمين ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ لا يخفى عليه شيء منه. [٢٨٤] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ تظهروا ﴿مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ من سوء العزم عليه ﴿أَوْ تَخَفُوهُ﴾ تسروه ﴿يُجَاسِبُكُمْ﴾ يخبركم^(٥) ﴿بِهِ﴾ الله ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له ﴿وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ تعذيبه، والفعلان بالجزم عطف على جواب الشرط، والرفع^(٦) أي: فهو ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه محاسبتكم وجزاؤكم. [٢٨٥] ﴿أَمَّا الرُّسُلُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ من القرآن ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ عطف عليه^(٧) ﴿كُلٌّ﴾ تنوينه عوض^(٨) من المضاف إليه ﴿أَمَّا بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ﴾ بالجمع والإفراد^(٩) ﴿وَرُسُلِهِ﴾ يقولون: ﴿لَا تَفِرُّ مِنْ أَحَدٍ مِنْ رَسُولِهِ﴾ فنؤمن ببعض ونكفر ببعض، كما فعل اليهود والنصارى ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا﴾ أي: ما أمرنا به سماع قبول ﴿وَأَطَعْنَا﴾ نسألك ﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع بالبعث. ولما نزلت الآية التي قبلها شكوا المؤمنون من الوسوسة، وشق عليهم المحاسبة بها؛ فنزل: [٢٨٦] ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ أي: ما تسعه قدرتها ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾ من الخير؛ أي: ثوابه ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ من الشر؛ أي: وزره، ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد، ولا بما لم يكسبه مما وسوست به نفسه، قولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا﴾ بالعقاب ﴿إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ تركنا الصواب لا عن عمد؛ كما أخذت به من قبلنا، وقد رفع الله ذلك عن هذه الأمة؛ كما ورد في الحديث^(١٠)، فسأله اعتراف بنعمة الله ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْ عَلَيْنَا إَصْرًا﴾ أمرا يثقل علينا حمله ﴿كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ أي: بني إسرائيل؛ من قتل النفس في التوبة، وإخراج رُئع المال في

(١) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة ﴿فرهان﴾. (٢) أي: كل من ﴿فرهن﴾ و﴿رهان﴾ جمع ﴿رهن﴾، مثل شَقَف وشَقْف، وكَفَف وكِعَاب. (٣) لأهل العلب في السفر عدم وجود الكاتب ونسيان الدين والعرض للموت، وبيت السنة جواز الرهن في الحضر كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ اشترى طعاما من يهودي ورتقه درهما من حديد. البخاري (٢٠٦٨)، ومسلم (١٦٠٣). (٤) أي: في الإثم، لأنه ملك الأعضاء، إذا ضلَّ صُلِحَ الجسد كله، وإذا قُتِلَ فسد الجسد كله كما في حديث العمان بن بشير في الصحيحين؛ البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩). (٥) قوله: «يخبركم»؛ جواب عن سؤال وهو: أنه كيف قال في الإخفاء بحاسبكم به الله، مع أن حديث النفس لا إثم فيه ما لم يقع؛ للحديث المشهور فيه؛ فأجاب: بأن المراد بالخاصية سجد الإخبار به لا المعاقبة عليه، ولا حامل على هذا التقدير؛ إذ إن المواخذة إما أن تكون منسوخة بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ كما في حديث مسلم. أو أن تكون المواخذة على ما أخفوه من العزم القاطع والاعتقاد الجازم، وليس مجرد حديث النفس والوسوسة. (٦) أي: على الاستعفاف، والجزم قراءة نافع وابن كثير وحزمة والكسائي وأبي عمرو. (٧) وهو أحد الوجهين، والوجه الثاني: أن يكون ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾ مبتدأ، و﴿كُلٌّ﴾ مبتدأ ثان خبره ﴿أَمَّا﴾. (٨) أي: عن ﴿الرُّسُلِ﴾ و﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾. (٩) بالافراد قراءة حمزة والكسائي. (١٠) وهي قوله ﷺ: «رُفِعَ عَنْ أَهْلِ الْخَطَا وَالْشَّيْثَانِ وَمَا اشْتَكَوْهُمَا عَلَيْهِ»، رواه ابن ماجه من حديث أبي ذر الغفاري مرفوعا به، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٣١). (١١) مسلم (١٢٦)، وانظر الحديث وتخريجه في أسباب النزول.

سورة آل عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلِ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتقامٍ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَقْوَالُ الْأَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ ۝ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ۝

سورة آل عمران

[مدنية، مائتان أو: إلا آية، نزلت بعد الأنفال]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] الرَّحْمَنُ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِذَلِكَ. [٢] اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ. [٣] نَزَلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ۝ أَلِكِتَابِ ۝ الْقُرْآنِ مُلْتَبِسًا ۝ بِالْحَقِّ ۝ فِي أَحْبَارِهِ ۝ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۝ قَبْلَهُ مِنَ الْكِتَابِ

﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾ [٤] ﴿مِنْ قَبْلِ هُدًى﴾ أي: قبل تنزيله ﴿هُدًى﴾ حال (١)؛ بمعنى: هاديين من الضلالة ﴿لِلنَّاسِ﴾ من تبعهما، وعبر فيها بـ﴿أَنزَلَ﴾ وفي القرآن بـ﴿نَزَلَ﴾ المقضي للتكرير؛ لأنيهما أُنزِلَا دفعة واحدة بخلافه (٢) ﴿وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ بمعنى: الكتب الفارقة بين الحق والباطل، وذكره بعد ذكر التلاوة؛ ليعلم ما عاها (٣) ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن وغيره ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ﴿عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره؛ فلا يتعنه شيء من إنجازه وعده ووعيده ﴿ذُو انتقامٍ﴾ عقوبة شديدة من عصاه، لا يقدر على مثلها أحد. [٥] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ كائن ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ لعلمه بما يقع في العالم من كلي وجزي، وخصصهما بالذكر؛ لأن المحس لا يتجاوزهما. [٦] ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من ذكورة وأنوثة، وبياض وسواد، وغير ذلك ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه. [٧] ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ واضحات الدلالة ﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ أصله المعتمد عليه في الأحكام ﴿مُتَشَابِهَاتٌ﴾ لا تفهم معانيها؛ كأوائل السور، وجعله كله مُحْكَمًا في قوله: ﴿أُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ (١) بمعنى: أنه ليس فيه غيب، ومُتَشَابِهَاتٌ في قوله: ﴿كَيْتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ (٢) بمعنى: أنه يشبه بعضه بعضًا في الحسن والصدق ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ مثل عن الحق ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ﴾ طلب ﴿الْفِتْنَةِ﴾ لجهايلهم بوقوعهم في الشبهات واللبس ﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ تفسيره ﴿وَمَا يَسْلَمُ تَأْوِيلُهُ﴾ تفسيره ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وحده (٣) ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ الثابتون المتمكنون (٤) ﴿فِي الْأَلْبَابِ﴾ مبتدأ خيرة؛ ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ أي: بالمشابهة؛ أنه من عند الله، ولا نعلم معناه ﴿كُلٌّ﴾ من المحكم والمشابهة ﴿بَيْنَ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذْكُرُ﴾ يادغم التاء في الأصل في الدال؛ أي: يعظم ﴿إِلَّا أَقْوَالُ الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول. ويقولون أيضًا إذا رَأَوْا مَنْ يُغْفَرُ (٥) [٨] ﴿رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا﴾ تملأها عن الحق باتباع تأويله الذي لا يليق بنا؛ كما أزغت قلوب أولئك ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ أرشدتنا إليه ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾ من عندك ﴿رَحْمَةً﴾ تنبينا (١) ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [٩] يَا رَبَّنَا جَامِعُ النَّاسِ ۝ تجمعهم ﴿لِيَوْمٍ﴾ أي: في يوم ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿وَيَوْمَ﴾ هو يوم القيامة؛ فتجازيهم بأعمالهم؛ كما وعدت بذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ مواعده بالبعث، فيه الثقات (٢) عن الخطاب، ويحتمل أن يكون من كلامه - تعالى (٣) - والغرض من الدعاء بذلك بيان أن هَهُمُ أُمُّ الْآخَرَةِ؛ ولذلك سألوا الثبات على الهداية؛ لينالوا ثوابها؛ روى الشيخان عن

= وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَرَوْا بِسَاحَةِ رُسُلِهِمْ وَكَانُوا سَوِيًّا وَلَكِنَّ غَرْبًا لَكَ رَحْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ ۝ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ عَهْدَ إِتِّفَاقِهِمْ﴾ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ سَأَلْنَاكَ أَوْ نَسِيتَا أَوْ نَحْشَاكَ أَوْ أَخْلَاكَ قَالَ: نَعَمْ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحِشِلْ عَلَيْنَا إِنْسَانًا﴾ إِسْرًا كَمَا كَسَبْتُمْ عَلَى الْيُوسُفَ مِنْ قَبْلِنَا قَالَ: نَعَمْ، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا أَوَّلَ ظَلَمَةٍ كُنَّا بِهَا بِدْعًا﴾ قَالَ: نَعَمْ، ﴿وَأَنْتُمْ عَنَّا وَكَفَى لَنَا وَارْتَبْتَ أَنْتَ مُؤَلَّفَةً فَاغْتَرِبْ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ: نَعَمْ. مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٥٧) بيان مجاوز الله عن حديث النفس. **قائده:** وأخرج مسلم أيضًا: عن ابن عباس قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضًا من فوق، فرفع رأسه فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم

- (١) أشار به إلى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ متعلق بمحذوف؛ فيكون في محل نصب على الحال.
- (٢) أي: قبل تنزيل الكتاب الذي هو القرآن. (٣) أي: من التوراة والإنجيل.
- (٤) قال الشيخ صفي الرحمن المباركفوري في تعليقه على تفسير الجلالين ص ٥٩: «هذا التوجيه اللين الفرق بين الإنزال والتنزيل غير صحيح، وقد حرى على هذا الخطأ كثير من أهل العلم؛ فقد وقع التعبير عن نزول القرآن بالإزال ومشتقاه بنحو مائة مرة، أما التعبير بالتنزيل ومشتقاه فقد وقع ما بين ثلاثين وأربعين مرة فقطه.
- (٥) فهو من عطف العام على الخاص؛ فالمراد بـ﴿الْفُرْقَانِ﴾ هنا: الفرق بين الحق والباطل لا خصوص القرآن؛ فافرقان كما يعلق على القرآن يطلق على غيره من الكتب.
- (٦) هود: ١. (٧) الزمر: ٢٣. (٨) أشار به إلى أن الوقف على ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ وهو مذهب الأكثرين، وهو أفسى بالقرية وأشبه بظاهر الآية. (٩) قال مالك: الراسخ في العلم من جمع أربع خصال: الحشية فيما بينه وبين الله، والتواضع فيما بينه وبين الناس، والزهدي فيما بينه وبين الدنيا، والمجاهدة فيما بينه وبين نفسه. (١٠) أي: يتبع المشابهة بالعلم بظواهرها؛ أو بتأويله تأويلًا لا يليق.
- (١١) تفسيره الرحمة بالتبنيط جرتا على مذهبه في تأويل الرحمة، وسبق بيان المذهب الحق، والتبنيط من لازم الرحمة كما قال ابن كثير: ﴿وَرَحْمَةً﴾ تثبت بها قلوبنا ونجمع بها شملنا وتزبدنا بها إيمانًا وإيقانًا. (إبن كثير ١/ ٣٢٩).
- (١٢) هذا على أنه من كلام الراسخين؛ فيه الثقات من الخطاب في قولهم: ﴿إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ﴾ إلى الغيبة في قولهم: ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.
- (١٣) فلا يكون فيه الثقات على مذهب الجمهور، وفيه الثقات عن التكلم على مذهب السكاكي.

عائشة رضي الله عنها قالت: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية **﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾** إلى آخرها، وقال: «فإذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه؛ فأولئك الذين سقى الله، فأخذواهم»^(١)، وروى الطبراني في «الكبير» عن أبي موسى الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «ما أخاف على أمتي إلا ثلاث جلال...» وذكر منها: «أن يفتتح لهم الكتاب؛ فيأخذ المؤمن يتتبع تأويله، وليس يعلم تأويله إلا الله، **﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾**»^(٢) الحديث.

[١٠] **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَؤْتِيَهُمْ مِنْ أَفْءٍ﴾** أي: عذابه **﴿سَيَبْقَى وَرَأْسُكُمْ هُمْ وَقَدْ كُفَرُوا﴾** بفتح الواو^(٣)؛ ما تؤخذ به. [١١] **﴿ذُلُّهُمْ﴾** كعذاب. كعادة **﴿آلِ وَرَعَوَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** من الأمم؛ كعاد وثمود **﴿كَذَبُوا بِآيَاتِنَا فَآتَيْنَاهُمْ آلَهُمْ﴾** أهلهم **﴿يَذُوبُونَ﴾** والجملة^(٤) مفسرة لما قبلها^(٥) **﴿وَاللَّهُ شَوِيدٌ آفِيْقَابٍ﴾** ونزل - لما أمر النبي ﷺ اليهود بالإسلام مرجعة من بدر؛ فقالوا: لا يغرنك أن قلت نفرا من قريش أعمارا لا يعرفون القتال -: [١٢] **﴿قُلْ﴾** يا محمد **﴿يَذُوبُونَ﴾** كفروا من اليهود: **﴿سَقَطُوا﴾** بالياء والياء^(٦)، في الدنيا بالقتل والأسر وضرب الجزية، وقد وقع ذلك **﴿وَيُشْرِكُونَ﴾** بالوجهين^(٧)، في الآخرة **﴿إِلَّا جَهَنَّمَ﴾** فتدخلونها **﴿وَيُشْرِكُونَ﴾** الفرائض هي^(٨).

[١٣] **﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ﴾** عبرة، وذكر الفيل^(٩) لفضل **﴿فِي يَتَنِينَ﴾** فرتين **﴿الَّتَقَتَا﴾** يوم بدر للقتال **﴿فَقَدْ تَغَيَّرَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾** أي: طاعته؛ هم: النبي وأصحابه، وكانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، معهم فرسان وست أدرع وثمانية سيوف، وأكثرهم رجالة **﴿وَأُخْرَى كَافَّةٌ يَرَوْنَهُمْ﴾** أي: الكفار **﴿وَيُشْرِكُونَ﴾** أي: المسلمين؛ أي: أكثر منهم، وكانوا نحو ألف **﴿رَأَى الْقَتْلَ﴾** أي: رؤية ظاهرة معانية، وقد نصرهم الله مع قتلهم **﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَقْوَى يَتَصَرُّوْنَ مِنْ بَيْنِكُمْ﴾** إن في ذلك **﴿لَذِكْرٌ لِبَنِي إِدْرِيْسَ﴾** لذي البصائر؛ ألا تعتبرون بذلك فتؤمنون؟! [١٤] **﴿رَبِّ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾** ما تشتهيه النفس وتدعو إليه، زينها الله^(١٠) ابتلاء أو الشيطان^(١١) **﴿مِنْ الْبَيْنِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنَاطِيرِ الْأَوْثَالِ﴾** الكثيرة **﴿الْمُقَنْطَرَةِ﴾** الجمعة **﴿مِنْ الْأَذْهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَبْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾** الحسن **﴿وَالْأَنْعَامِ﴾** أي: الإبل والبقر والغنم **﴿وَالْحَرْثِ﴾** الزرع **﴿وَالْحَرْثِ﴾** المذكور **﴿مِنْ الْحَيَوَاتِ الدُّنْيَا﴾** يتمتع به فيها ثم يفنى **﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْبُ الْأَمْثَالِ﴾** المرجع؛ وهو: الجنة؛ فينبغي الرغبة فيه دون غيره. [١٥] **﴿قُلْ﴾** يا

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أُولَئِهِمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ **﴿كَذَابٌ عَالٍ﴾** فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ **﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾** قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ **﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَةِ الْأَنْفُسِ﴾** فَتَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْأُخْرَى كَافَّةً يَرَوْنَهُمْ مَشَاهِيرَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ **﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ﴾** مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ **﴿رَبِّ النَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْبَيْنِ وَالْبَيْنِ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الْأَذْهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَبْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْحَرْثِ﴾** ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا **﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمُنَاقَبِ﴾** قُلْ أُوْنِيْتُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ **﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾**

محمد لقولكم: **﴿أُوْنِيْتُمْ﴾** أخبركم **﴿يُخَيَّرُ مِنْ ذَلِكَ﴾** المذكور من الشهوات، استفهام تقرير^(١٢) **﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾** الشرك **﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾** خير مبتدؤه **﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾** أي: مقدرين الخلود^(١٣) فيها. إذا دخلوها **﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾** من الحيض وغيره ما يشتد **﴿وَرِضْوَانٌ﴾** بكسر أوله وضمه لغتان^(١٤)؛ أي: رضا^(١٥) كثير **﴿وَرَبِّ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾** عالم^(١٦) **﴿وَالْعِبَادِ﴾** فيجازي كلاً منهم بعمله.

- لم يفتح قط إلا اليوم، فزول منه ملك. قال: هذا ملك نزل إلى الأرض لم يزل قط إلا اليوم. فسلم وقال: أشعر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منهما إلا أعطيته. سبق تخريجه في تفسير سورة الفاتحة. وأخرج الترمذي عن النعمان بن بشير عن النبي ﷺ قال: «إن الله كتب كتاباً قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، وأُنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة، ولأقرآن في دار ثلاث ليال فيقربها شيطان». الترمذي. كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٤) ما جاء في آخر سورة البقرة. صحيح سنن الترمذي (٢٣١١).

- (١) البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).
- (٢) الحديث أخرجه الطبراني في «الكبير» وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٨٠).
- (٣) وهي قراءة العشرة، وقرأ الحسن بضم الواو مصدر بمعنى: الإيقاد.
- (٤) أي حملة: **﴿كَذِبُوا...﴾** الآية. (٥) وهي قوله: **﴿كَذَابٌ عَالٍ وَرَعَوَ﴾** الآية [آل عمران: ١١].
- (٦) بالياء قراءة حمزة والكسائي.
- (٧) أي: بئاء والياء، بالياء قراءة حمزة والكسائي.
- (٨) أخرجه أبو داود عن ابن عباس، وضعفه الألباني في «ضعيف سنن أبي داود» (٦٤٧). وحسنه في الاستيعاب مجموع طرقه. الاستيعاب في بيان الأسباب (١/ ٢٣٢، ٢٣٣).
- (٩) وهو **﴿كَانَ﴾** ذكر للفصل والجر والجرور، وهو قوله: **﴿لَكُمْ﴾** (١٠) كما في قول عمر: «اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَنَا عَلَى مَا رَزَقَنَا إِلَّا بِكَ» [رواه البخاري معلقاً في الرقاق باب قول النبي ﷺ: «هذا المال خضر حلو»].
- (١١) أي: بالوسوسة.
- (١٢) وليس المراد به هنا طلب الإقرار والاعتراف من المخاطبين كما هو معنى الاستفهام التقريري في الأصل، بل المراد به التحقيق والتثبت في نفوس المخاطبين.
- (١٣) أي: ففي حال مقدرة.
- (١٤) وهما قراءتان، والصم قراءة شعبة.
- (١٥) أنشأ بذلك إلى أن كلاً من المكسور والمصموم مصدر «رضي» فهما بمعنى واحد، وإن كان الثاني سماعاً والأول قياساً.
- (١٦) وهذا تأويل، وصفة البصر من الصفات الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة على الوجه اللاتق به دون أن يقتضي ذلك نقضاً أو تمثيلاً له بالخلق كما قال - شيخنا -: «لَيْسَ كَيْفُهُمْ شَيْءٌ وَفَوْهُ أَلَيْسَ بِشَيْءٍ» [الشورى: ١١].

معبود في الوجود يَحَقُّ ﴿إِلَّا هُوَ﴾. شهد بذلك ﴿الْمَلَكُ﴾ بالإقرار ﴿وَأُولُوا الْأَلْفِ﴾ من الأنبياء والمؤمنين بالاعتقاد واللفظ ﴿قَائِمًا﴾ بتدبير مصنوعاته، ونَصَبَهُ على الحال^(١)، وعاَمل فيها معنى لجمعة؛ أي: تَقَرَّدَ ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ كرره تأكيداً ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[١٩] ﴿إِنَّ الْذِينَ﴾ المرضي ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ هو ﴿الْإِسْلَامُ﴾ أي: الشرع المبعوث به الرسل، المبني على التوحيد، وفي قراءة ففتح ﴿إِنَّ﴾ بدل من «أنه... إلخ»، بدل اشتمال^(٢) ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا﴾ الكُتُبَ اليهود والنصارى في الدين؛ بأن وَحَّدَ بعض وكَفَّرَ بعض ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾ بالتوحيد ﴿بَنِيًّا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرُ يَتَّخِذَ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ أي: المجازاة له.

[٢٠] ﴿فَإِنَّ حَاجُونَكَ﴾ خاصمك الكفار يا محمد في الدين ﴿فَقُلْ لَهُمْ: أَسَلْتُ وَجْهِي لِلَّهِ﴾ انْقَذْتُ لَهُ أَنَا ﴿وَمَنْ أَتَّبِعُ﴾ وخص الوجه بالذكر؛ لشرفه؛ فغيره أولى ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ﴾ اليهود والنصارى ﴿وَالَّذِينَ﴾ مشركي العرب: ﴿ءَسَلْتُكُمْ﴾ أي: أسألهم ﴿فَإِنْ أَسَلْتُمْوَا فَقَدْ أَهْتَدُوا﴾ من الضلال ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن الإسلام ﴿فَكَيْفَا عَيْتُكَ الْبَلَّغُ﴾ أي: التبليغ للرسالة ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ فيجازيهم بأعمالهم، وهذا قبل الأمر بالقتال^(٣).

[٢١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَتَّخِذُوا اللَّهَ وَيَقْتُلُونَ﴾ وفي قراءة: ﴿يَقْتُلُونَ﴾^(٤) ﴿الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ يَتَّخِذُونَ ﴿وَيَقْتُلُونَ﴾^(٥) الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْقِسْطِ بالعدل ﴿مِنَ النَّاسِ﴾ وهم: اليهود؛ روي أنهم قتلوا ثلاثة وأربعين نبياً، فنهاهم مائة وسبعون من غيادهم؛ فقتلهم من يومهم ﴿فَيَكْفُرُوا﴾ أعلمهم ﴿بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ مؤلم، وذكر البشارة تهكم بهم، ودخلت الفاء في خبر «إن»؛ لشيبه اسمها الموصول بالشرط^(٦).

[٢٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ ما عملوا من خير؛ كصدقة وصلة رحم ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ فلا اعتداد بها؛ لعدم شرطها ﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ تَعْمِيرٍ﴾ مانعين من العذاب.

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا آمَنًا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفَتَا عَذَابِ النَّارِ ﴿١٩﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَنِتَّةِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿٢٠﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأَسْلَمُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ يَتَّخِذَ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٢﴾ فَإِنْ حَاجُونَكَ فَقُلْ أَسَلْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ أَتَّبِعُ وَقُلْ لِلَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيَّةَ أَسَلْتُكُمْ فَإِنْ أَسَلْتُمْوَا فَقَدْ أَهْتَدُوا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَّغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَتَّخِذُوا اللَّهَ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ يَغْيِرُ حَقَّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَيَشْرَهُمْ بِعَذَابِ اللَّهِ ﴿٢٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنَ تَعْمِيرٍ ﴿٢٥﴾

[١٦] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت أو بدل من «الذين» قبله ﴿يَقُولُونَ﴾: يا رَبَّنَا آمَنَّا آمَنًا صدقنا بك وبرسولك ﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَفَتَا عَذَابِ النَّارِ﴾.

[١٧] ﴿الْمُسْتَعْفِرِينَ﴾ على الطاعة وعن المعصية، نعت ﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾ في الإيمان^(١) ﴿وَالْقَنِتَّةِينَ﴾ المطيعين لله ﴿وَالصَّادِقِينَ﴾ المتصدقين ﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ﴾ الله؛ بأن يقولوا: اللهم اغفر لنا ﴿وَالْأَسْحَارِ﴾ أواخر الليل، نُحِطُّ بالذكر؛ لأنها وقت الغفلة ولذة النوم.

[١٨] ﴿شَهِدَ اللَّهُ﴾ يَشْرُحُ لخلقها بالدلائل والآيات ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾

(١) بالتصديق بالقلب واللسان، والانقياد بالقلب واللسان والجوارح.

(٢) إم من لفظ الجلالة، أو من الضمير المتفصل ﴿هُوَ﴾ بعد ﴿إِلَّا هُوَ﴾، والثانية: أنه قائم بالقسط، ومتعلق الأولى تنزيه ذاته، ومتعلق الثانية تنزيه صفاته.

(٣) وهي قراءة الكسائي، والتقدير: شهد الله أنه لا إله إلا هو، وشهد أن الدين...

(٤) وهذا بناء على تفسيره الإسلام بأنه الشرع؛ لأن وحدانية الله اشتمل عليها الإسلام، أما إذا فُسر بالإيمان أو التوحيد كان بدل كل من كل. وذكر الرضي: أن بدل الاشتغال أن يكون المخاطب منتظراً للبدل عند سماع البدل ومنه ما ليس كذلك.

(٥) أي: فهو منسوخ.

(٦) الصوابُ ذَكَرَ هذه العبارة بعد قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ الآية [آل عمران: ٢١]؛ لأن القراءتين إما هما في الثانية، أما الأولى فهي ﴿يَقْتُلُونَ﴾ لا غير؛ فذَكَرَهَا هُنَا شَقَّ قَلَمٍ مِنْ الشَّارِحِ.

(٧) في قراءة حمزة: ﴿يَقْتُلُونَ﴾.

(٨) واسمها الموصول هو ﴿الَّذِينَ﴾ وهو في الأصل مبتدأ، والمبتدأ متى وقع اسم موصول ولو منسوخاً قرن خبره بالفاء، إلا إذا نسخ به ليت، ولعل، وكأنه؛ فتمتنع الفاء عند الجميع لتغير المعنى لانتهاء معنى الخبرية؛ فلا يبقى الكلام محتلاً للصدق والكذب بخلافه بعد دخول «إن».

[٢٣] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَبِيًّا﴾ خطأ ﴿وَمِنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة ﴿يُذَوِّنُ﴾ حال ﴿إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فُرْقَانَهُمْ﴾ وهم مُعْرِضُونَ عن قبول حكمه؛ نزلت في اليهود؛ زنى منهم اثنان؛ فتحاكموا إلى النبي ﷺ؛ فحكم عليهما بالرجم، فأبوا، فجيء بالتوراة، فوجد فيها؛ فرجما؛ فغضبوا.

[٢٤] ﴿ذَلِكَ﴾ التولي والإعراض ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا﴾ أي: بسبب قولهم: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ أربعين يوما مدة عبادة آبائهم العجل ثم نزول عنهم ﴿وَعَزَّاهُمْ فِي دِينِهِمْ﴾ متعلق بقوله: ﴿مَا كُنَّا بِفِتْرَةٍ﴾ من قولهم ذلك.

[٢٥] ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا جُمِعْتُمْ لِيَوْمٍ﴾ أي: في يوم ﴿لَا رَيْبَ﴾ لا شك ﴿فِيهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ﴾ من أهل الكتاب وغيرهم جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت من خير وشر ﴿وَهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يَظْلَمُونَ﴾ بنقص حسنة أو زيادة سيئة. ونزلت - لما وعد ﷺ أمته ملك فارس والروم؛ فقال المنافقون: هيهات -: [٢٦] ﴿قُلِ اللَّهُمَّ يَا اللَّهُ﴾ ملك ﴿الَّذِي يُؤْتِي﴾ تعطي ﴿الْمَلَأَتِ مِنْ نَشَاءٍ﴾ من خلقك ﴿وَيَنْزِعُ﴾ و﴿الْمَلَأَتِ مِنْ نَشَاءٍ﴾ و﴿شَرُّ مَنْ نَشَاءُ﴾ بإيائه ﴿وَيُذِلُّ مَنْ نَشَاءُ﴾ بزرعه منه ﴿يَبْدَأُ﴾ بقدرك^(١) ﴿الْخَيْرِ﴾ أي: والشر ﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢٧] ﴿تُولِجُ﴾ تدخل ﴿الْأَيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ﴾ تدخله ﴿فِي الْإَيْلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَتُخْرِجُ الْإِيمَ مِنَ الْإِيمَتِ﴾ كالإنسان والطائر من النطفة والبيضة ﴿وَتُفْرِجُ الْإِيمَتِ﴾ كالنطفة والبيضة ﴿وَمِنَ الْإِيمَتِ وَنَزَلَتْ مِنْ نَشَاءٍ بِتَغْيِيرِ حِسَابٍ﴾ أي: رزقا واسعا.

[٢٨] ﴿لَا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ﴾ بوالونهم ﴿مِنْ دُونِ﴾ أي: غير ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: بوالهم ﴿فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ﴾ دين ﴿اللَّهُ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَسْقُوا مِنْهُمُ نَفَقَةً﴾ مصدر نَفَقَته؛ أي: تخافوا مخافة، فلكم مولانهم باللسان دون القلب، وهذا قبل عزة الإسلام، ويجري فيمن هو في بلد ليس قويا فيها ﴿وَيُذَرِّكُمُ﴾ يخوفكم ﴿اللَّهُ نَفْسُكُمْ﴾ أن يغضب عليكم^(٢) إن واليتموهم ﴿وَالِىَ اللَّهُ الْمَصِيرُ﴾ المرجع؛ فيجازيكم.

[٢٩] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من موالانهم ﴿أَوْ تُبْذَرُوهُ﴾ تظهروه ﴿يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَهُوَ﴾ هو ﴿يَقْلُمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب من والاهم.

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَبِيًّا مِّنَ الْكِتَابِ يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ فَيُتَوَلَّى فُرْقَانَهُمْ مِنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً وَعَرَهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كُنَّا بِفِتْرَةٍ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٤﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥﴾ تُولِجُ الْإَيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي الْإَيْلِ وَتُخْرِجُ الْإِيمَ مِنَ الْإِيمَتِ وَتُفْرِجُ الْإِيمَتِ مِنَ الْإِيمَتِ وَتَنْزِلُ مِنَ النَّشَاءِ بِتَغْيِيرِ حِسَابٍ ﴿٢٦﴾ لَّا يَتَّخِذُ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَسْقُوا مِنْهُمُ نَفَقَةً وَيُحِذِّرْكُمْ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ الْمَصِيرُ ﴿٢٧﴾ إِنْ تُحِبُّوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْذَرُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨﴾

(١) وهذا تأويل كالح، ومعنى ركبك، ومذهب السلف الصالح إثبات ما أثبت الله لنفسه وأثبت به رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تكيف ولا تمثيل ولا تعطيل، ثم ما يقول هؤلاء في قوله ﷺ في الحديث المتفق عليه: ﴿يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَبِغُضُهَا نَفَقَةٌ﴾ وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي فيها إثبات صفة اليد والأصبع وغيرها على الوجه الذي يليق بربنا جلَّ وعَلا؛ ثم إن يد القدرة والنعمة لا يعرف استعمالها ألبتة إلا في حق من له يد حقيقية.

(٢) يشير بذلك أن المراد بقوله - تعالى -: ﴿نَفْسُكُمْ﴾ أي: غضب نفسه، وهذا مذهب المؤولة، وأما السلف فيثبتون النفس لله ﷻ، ولكنهم اختلفوا أهي صفة ذات أم هي الذات نفسها؟ وإلى الأول ذهب ابن خزيمة؛ حيث ترجم في صحيحه: باب ذكر البيان من خير النبي ﷺ في إثبات النفس لله، أما ابن تيمية فقد رجح أنها بمعنى الذات، ونسب لجمهور العلماء. [الجموع (٩/ ٢٩٢)].

[٣٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ خِثْرًا وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ مِنْ دُونِهَا وَمِنْ أَلْفِ مِائَةٍ مِنْ ثَمَرَةٍ مُّغْتَذًى﴾ يعني: أنفسهم ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١) يجعل الأنبياء من نسلهم.

[٣٤] ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ دُورِهَا﴾ ولِدَ ﴿بَعْضُهَا مِنْهُمْ﴾ ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[٣٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَتْ أُمُّ آدَمَ إِنَّهُ عَلَّمَهُ﴾ ﴿حَقَّهُ﴾ لَمَّا أَسْنَتْ واشتاق للولد؛

فدعت الله، وأحسست بالحمل: يا رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ أَنْ أَجْعَلَ ﴿لَكَ مَا فِي

بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ عتيقًا خالصًا من شواغل الدنيا لخدمة بيتك المقدس ﴿فَقَبَّلَ مِنِّي﴾

﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ﴾ للدعاء ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالثبات، وهلك عمران وهي حامل.

[٣٦] ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا﴾ ولدتها جارية، وكانت ترجو أن يكون غلامًا؛ إذ لم

يكن يحرر إلا الغلمان ﴿قَالَتْ﴾ معنرة: يا رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ

أَعْلَمُ أَي: عالم ﴿بِمَا وَضَعْتُ﴾ جملة اعتراض من كلامه - تعالى - وفي

قراءة: بضم التاء^(٢)، ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ الَّذِي طَلَبْتُ﴾ ﴿كَالْأُنْثَىٰ﴾ التي وُهِبَتْ؛

لأنه يُقَصَّدُ للخدمة، وهي لا تصلح؛ لضعفها وعورتها وما يعتريها من الخيض

ونحوه ﴿وَلَئِنْ سَمَّيْتَهُا مَرِيَّةً وَلَئِنْ أَحْيَيْتَهَا يَكُ ذُرِّيَّتَهَا﴾ أولادها ﴿وَمِنْ

الْأَشْيَاطِ الْخَبِيرِ﴾ المطرود، في الحديث: ﴿مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُوَلَّدُ إِلَّا مَسَّهُ الشَّيْطَانُ

جِنُّ يُولَدُ؛ فَيَسْتَهْلِكُ صَارِحًا إِلَّا مَرْيَمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾^(٣) [رواه الشيخان].

[٣٧] ﴿فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا﴾ أَي: قَبِلَ مريمَ مِنْ أُمِّهَا ﴿بِقَبُولِي حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا

نَبَاتًا حَسَنًا﴾ أنشأها بخلق حسن؛ فكانت تنبت في اليوم؛ كما نبت المولود

في العام، وأنت بها أمُّها الأجير سدة بيت المقدس؛ فقالت: دونكم هذه

النذيرة. فننفسوا فيها؛ لأنها بنت إمامهم؛ فقال زكريا: أنا أحقُّ بها؛ لأن

خالتيها عندي. فقالوا: لا حتى نفترع. فانطلقوا وهم تسعة وعشرون إلى نهر

الأردن، وألقوا أقلامهم على أن من ثبت قلمه في الماء وصعد أولى بها، فثبت

قلم زكريا؛ فأخذها وتبى لها غرفة في المسجد بشلم لا يصعد إليها غيره،

وكان يأتيها بأكلمها وشربها ودهنها، فيجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء

وفاكهة الشتاء في الصيف؛ كما قال - تعالى -: ﴿وَوَكَّلْنَاهَا زَكْرِيَّا﴾ ﴿صَهَّهَا

إِلَيْهِ، وَفِي قِرَاءَةٍ: بالتشديد^(٤)، ونصب ﴿زَكْرِيَّا﴾ ممدودًا ومقصورًا^(٥)، والفاعل

﴿اللَّهُ﴾ ﴿كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا زَكْرِيَّا الْمِحْرَابَ﴾ الغرفة، وهي أشرف المجالس

﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنَزَّلُ مِنَ الْمَنِّ﴾ من أين ﴿لَسِبَ هَذَا كَلِمًا﴾ وهي

صغيرة: ﴿هُوَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ﴾ يأتيني به من الجنة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُرِزُّ مَنْ يُشَاءُ﴾ بِمَنْ

حِسَابٍ ﴿رِزْقًا وَسِعًا بِلَا تَعْدَةٍ﴾.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَاعَمِلَتْ
مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ
نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴿١﴾ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ
فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿٢﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْكَافِرِينَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ
وَعَالِ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥﴾ إِذْ قَالَتْ أُمُّ آدَمَ إِنَّهُ عَلَّمَهُ ﴿حَقَّهُ﴾ لَمَّا
أَسْنَتْ مُحَرَّرًا فَقَبَّلَ مِنِّي ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ﴿٦﴾
فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ
وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَلَئِنْ سَمَّيْتَهُا مَرِيمةً وَلَئِنْ أَحْيَيْتَهَا يَكُ
ذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٧﴾ فَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ
حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كَلَّمَآ دَخَلَ عَلَيْهَا
زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَنَزَّلُ مِنَ الْمَنِّ لَكَ هَذَا
قَالَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرِزُّ مَنْ يُشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٨﴾

[٣٠] اذكر ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَاعَمِلَتْ﴾ ١ ﴿مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَاعَمِلَتْ
مِنْ سُوءٍ﴾ مبدأ خبره: ﴿تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾
غاية في نهاية البعد فلا يصل إليها ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ كرر للتأكيد
﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. ونزل - لما قالوا: ما نعبد الأصنام إلا حبالاً لله؛
ليقرّبونا إليه^(١) -: [٣١] ﴿قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي
يُحِبِّكُمْ اللَّهُ﴾ بمعنى: يتبعكم^(٢)، ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ﴾ لِمَنْ اتَّبَعَنِي
مَا سَلَفَ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ ﴿رَحِيمٌ﴾ به.

[٣٢] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ فيما يأمركم به من التوحيد
﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الطاعة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر
مقام المضمر؛ أي: لا يحبهم؛ بمعنى: أنه يعاقبهم^(٣).

(١) يشير إلى ما أخرجه الواحدي بنحوه عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس به، وقال الحافظ في العجايب (٢/٦٧٨): «وهذا من منكرات جوير؛ فإن آل عمران مدنية، وهذه القصة إنما كانت

بمكة قبل الهجرة، ولعل الذي نزل فيها في أوائل الزمر»، وضعفه جُدًا في الاستيعاب (١/٢٤٢).

(٢) وهذا تأويل لصفة الحق التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ بيض لوائهما، وسبق بيان مذهب السلف في ذلك وأنهم يثبتونها على الوجه الذي يليق به - شيخانته.

(٣) وهذا تأويل مخالف لظاهر اللفظ ومذهب السلف، وسبق بيان ذلك مرارًا، ومن لازم عدم محبته - شيخانته - لهم أنه يعاقبهم.

(٤) اراد: عالم زمانهم.

(٥) لآل عمران وشعبة، وعلى هذه القراءة يكون ذلك من كلامها اعتذارًا.

(٦) البخاري (٣٤٣١)، ومسلم (٢٣٦٦) من حديث أبي هريرة.

(٧) والقراءة المفضلة بالتخفيف لئلا يربك وأبي عمرو وابن عامر.

(٨) بالمد؛ أي: زكرياء، لمن سبق ومعهم شعبة.

هَذَاكَ دَعَاكَ يَا رَبِّهِ، قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آتِيكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَتَحِبُّ بِالْعِشْيِ وَالْإِبْكَرِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ لِمَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْ نَمْنَمْهُمْ إِبْرَاهِيمَ كَفُلْ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

[٣٨] ﴿هَذَاكَ﴾ أي: لما رأى زكريا ذلك، وعلم أن القادر على الإنثيان بالشيء في غير حينه قادرٌ على الإنثيان بالولد على الكبر، وكان أهل بيته انقروا ﴿دَعَا رَبَّهُ﴾ لما دخل المحراب (١) للصلاة جوف الليل ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾ ولذا ضاحيًا ﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

[٣٩] ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي: جبريل (٢) ﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ أي: المسجد ﴿أَنَّ﴾ أي: بأن، وفي قراءة: بالكسر (٣) بتقدير القول ﴿اللَّهُ يُبَشِّرُكَ﴾ متفلاً ومخفلاً (٤) ﴿يَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ﴾ كائنة ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ أي: بعيسى أنه روح الله، وسُمِّيَ كلمة؛ لأنه خلق بكلمة: ﴿كُنْ﴾ ﴿وَسَيِّدًا﴾ متبوعاً ﴿وَحَصُورًا﴾ ممنوعاً من النساء ﴿وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ روي أنه لم يعمل خطيئة ولم يهْم بها.

[٤٠] ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ ولَدٌ ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾ أي: بلغت نهاية السن مائة وعشرين سنة ﴿وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾ بلغت ثمانين وتسعين ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق الله غلاماً منكماً ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ لا يعجزه عنه شيء، ولإظهار هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال، ليُجاب بها. ولما تأقت نفسه إلى سرعة المُبَشِّرِ به.

[٤١] ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً﴾ أي: علامة على حمل امرأتي ﴿قَالَ عَائِشَةُ﴾ عليه ﴿أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: تمتنع من كلامهم بخلاف ذكر الله - تعالى - ﴿ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ أي: ليلاتها ﴿إِلَّا رَمْرًا﴾ إشارة ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَتَحِبُّ﴾ صلِّ ﴿بِالْعِشْيِ وَالْإِبْكَرِ﴾ أواخر النهار وأوائله.

[٤٢] ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي جبريل: ﴿لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ﴾ اختارك ﴿وَطَهَّرَكِ﴾ من مسيس الرجال (٥) ﴿وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ أي: أهل زمانك.

[٤٣] ﴿لِمَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾ أطيعيه ﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ أي: ضلِّي مع المصلين.

[٤٤] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر زكريا ومريم ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَمْ نَمْنَمْهُمْ﴾ في الماء يفترون، ليظهر لهم ﴿أَنَّهُمْ يَكْفُلُ﴾ يرعى ﴿مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ في كفالتها؛ فنعرف ذلك؛ فتخبر به، وإنما عرفته من جهة الوحي.

(١) أي: المسجد.

(٢) فيه إثبات صفة السمع لله ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه ..

(٣) فهو من تسمية الحصى باسم العام تعظيماً له.

(٤) لجمرة وابن عامر.

(٥) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي، ويكون بفتح الياء وسكون الاء وضم الشين.

(٦) ولعل الحكمة في أن الله لم يذكر في القرآن امرأة باسمها إلا هي الإشارة بطرف خفي إلى رد ما قاله الكفار من أنها زوجته، فإن العظيم عالي الهمة يأنف من ذكر اسم زوجته بين الناس؛ فكان الله يقول: لو كانت زوجة لي لما صرحت باسمها. (حاشية الصاوي على الجلالين).

(٧) أي: ومن الحيض والنفاس وكل قدر.

[٤٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾ أي جبريل: ﴿لِمَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾ أي: ولد ﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ خاطبها بنسبتها إليها تنبيهاً على أنها تلده بلا أب؛ إذ عادة الرجال نسبتهم إلى آبائهم ﴿وَجِيهًا﴾ ذا جلال ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ بالنبوة ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالشفاعة والدرجات العلى ﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ عند الله.

[٤٩] ﴿وَمَا يَجْعَلُهُ رَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ في الصبا أو بعد البلوغ؛ فنفخ جبريل في جيب درعها؛ فحملت، وكان من أمرها ما ذكر في سورة مريم، فلما بعثه الله إلى بني إسرائيل، قال لهم: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ ﴿أَلَيْسَ﴾ أي: بأبي ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ﴾ علامة على صدقي ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هي: ﴿آيَةٌ﴾ وفي قراءة^(١): بالكسر؛ استئنافاً ﴿أَخْلَقُ﴾ أصور ﴿لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ مثل صورته؛ فالكاف اسم مفعول ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ﴾ الضمير للكاف^(٢) ﴿فَيَكُونُ طَيْرًا﴾ وفي قراءة^(٣): ﴿طَائِرًا﴾ ﴿يَذُنُ اللَّهُ يَارَادَتْهُ﴾ فخلق لهم الخفاش؛ لأنه أكمل الطير خلقاً؛ فكان يطير وهم ينظرونه، فإذا غاب عن أعينهم سقط ميتاً ﴿وَأُتْرِي﴾ أُنْفِي ﴿الْأَكْصَمَةَ﴾ الذي ولد أعمى ﴿وَالْأَنْبَرَمَ﴾ وَخَصَّصَ بالذكر؛ لأنهما ذاء إعياء^(٤)، وكان بعثه في زمن الطب؛ فأبرأ في يوم خمسين ألف بالدعاء بشرط الإيمان ﴿وَأُتِي أَلْمَوْنُ يَذُنُ اللَّهُ﴾ كرهه؛ لنفي توهم الألوهية فيه؛ فأحيا «عازر» - صديقاً له - وابن العجور، وابنة العاشر؛ فعاشوا وولد لهم، و«سام بن نوح» ومات في الحال ﴿وَأُتْبِئْتُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَنْشُرُونَ﴾ تخبون ﴿فِي بُيُوتِكُمْ﴾ مما لم أعياه؛ فكان يخبر الشخص بما أكل وبما يأكل بعد ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَايَةً لَّكُمْ﴾ إن كنتم مؤمنين.

[٥٠] ﴿وَمَا جِئْتُكُمْ بِمُضْطَفٍّ لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ قَبْلِي﴾ من التوراة ولأجل لكم بمن الذي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ فيها؛ فأحل لهم من السمك والطير ما لا صبيصة له^(٥)، وقيل: أحل الجميع؛ فبعض بمعنى «كل» ﴿فَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ كرهه تأكيداً ولبيني عليه ﴿فَأَنْفُخُوا اللَّهُ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمركم به من توحيد الله وطاعته. [٥١] ﴿إِنَّ اللَّهَ رَكَّبَ وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا﴾ الذي أمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ فكدوه ولم يؤمنوا به.

[٥٢] ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ﴾ علم ﴿عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾ وأرادوا قتله ﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي﴾ أعواني ذاهباً^(٦) ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ لأنصر دينه ﴿قَالَ الْخَوَارِئُوتُ﴾ نحن أنصار الله ﴿أَعوان دينه﴾ وهم: أصفياء عيسى، أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً من الحور؛ وهو: البياض الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب؛ أي: يبيضونها ﴿أَمَّا﴾ صدقنا ﴿وَاللَّهُ وَأَشْهَدُ﴾ يا عيسى ﴿يَا نَسًا مُسْلِمُونَ﴾.

وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي أَلْمَهْدِ وَكَهَلًا وَمَنْ أَلْصَلِحِيتَ ﴿٤٩﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٠﴾ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٥١﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطَّيْرِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُ الْأَكْصَمَةَ وَالْأَنْبَرَصَ وَأُنْخِ الْمَوْنُ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٢﴾ وَمُضْطَفًّا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلِأَجْلِ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٣﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمْ أَنَّكُمْ قَالْتُمْ أَنَّنِي أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِئُوتُ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَمَّا بَالَهُ وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٥﴾

[٤٦] ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي أَلْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً قبل وقت الكلام ﴿وَكَهَلًا﴾^(١) وَمَنْ أَلْصَلِحِيتَ.

[٤٧] ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ بنزوح ولا غيره ﴿قَالَ﴾ الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق ولد منك بلا أب ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا﴾ أراد خلقه ﴿فَلَمَّا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون.

[٤٨] ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بالنون والياء^(٢) ﴿الْكِتَابَ﴾ الخط^(٣) ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾^(٤) وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ.

(١) أي: ويكلمهم بأن يدعوهم إلى دين الله حال كونه كهلاً، والكهل: ما بين الغلام والشيوخ، وقيل: من له ثلاث وثلاثون سنة، وقيل: من ناهز الأربعين، وقيل: في الآية إشارة إلى نزوله - عَلَيْهِ السَّلَام - في آخر الزمان؛ ففيها إخبار عن معجزتين وحيتين.

(٢) بالنون قراءة السبعة عما عاصم ونافع.

(٣) أي: الكتابة، وقيل: المراد جنس الكتب الإلهية.

(٤) قيل: المراد بها العلم، وقيل: تهذيب الأخلاق. وقيل: قوة الفهم وحسن التدبير للأمور بوضعها في مواضعها.

(٥) لنافع.

(٦) ويصح أن يعود على الطين، وحكمة المغيرة بن ماها وما يأتي في آخر المائدة أن التكلم هنا عيسى، وهناك الله ﷻ.

(٧) لنافع.

(٨) أي: أغنيا الأطباء الذين كانوا في زمنه.

(٩) أي: شوكه يؤذي بها، وأما ما أنه صبيصة فهو باق على حلمه لم يحرم.

(١٠) حَذَّلَهُ الْمَقْدُرُ عَلَى أَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِمَحْذُوفٍ، عَلَى أَنَّهُ هَلْ مِنَ الْيَاءِ فِي «أَنْصَارِي» أي: من أنصاري حال كوني ذاهباً إلى الله؛ أي: مُتَجِّئاً إِلَى اللَّهِ وَشَارِعاً فِي نَصْرَةِ دِينِهِ، وَقَالَ السَّيِّدِي وَابْنُ جَرِيرٍ: «مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ» [آل عمران: ٥٢]: مع الله. وقال الحسن وأبو عبيدة: «إِنْ» بمعنى: «فِي»؛ أي: من أعواني في الله؛ أي: في ذات الله وسبيله.

[٥٣] ﴿رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ مِنَ الْإِنجِيلِ وَآتَبَعْنَا الرَّسُولَ﴾ عيسى ﴿فَاكْتَنَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ لك بالوحدة والرسولك بالصدق. قال - تعالى :-

[٥٤] ﴿وَمَكْرُوهٌ أَيْ: كُفْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعِيسَى؛ إِذْ وَكَّلُوا بِهِ مِنْ يَقْتُلَهُ غِيلَةً﴾ وَمَكْرَؤُهُ اللَّهُ بِهِمْ؛ بَأَن أَلْقَى شِبْهَ عِيسَى عَلَى مِنْ قَصْدِ قَتْلِهِ فَقَتَلُوهُ^(١) ورفع عيسى إلى السماء ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ﴾ أعلمهم به.

[٥٥] اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك ﴿وَرَأَيْكَ﴾ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ مَوْتٍ ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ مبعذك ﴿وَمِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ صدقوا بنوتك من المسلمين والنصارى ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بك؛ وهم: اليهود؛ يعلنونهم بالحجة والسيف ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فَمَنْ يَبْتَغِيكُمْ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ فِيهِ تَحْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين.

[٥٦] ﴿فَلَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعْزِبْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الَّذِينَ كَانُوا بِالْقَتْلِ وَالسَّبِي وَالْجَزْيَةِ﴾ وَالْآخِرَةِ بِالنَّارِ ﴿وَمَا لَهُمْ بَيْنَ نَصْرِيكَ﴾ مانعين منه.

[٥٧] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَصَلُّوا الصَّلَاةَ فَبِقِيَمِهِ﴾ بالياء وانون^(٢) ﴿أَجُورُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أَيْ: بِعَاقِبِهِمْ^(٣)؛ روي أن الله - تعالى - أرسل إليه سحابة فرفعت؛ ففعلت به أمه وثبتت؛ فقال لها: إن القيامة تجمعنا. وكان ذلك ليلة القدر بيت المقدس، وله ثلاث وثلاثون سنة، وعاشت أمه بعده ست سنين^(٤). وروي الشيخان حديث: «إنه ينزل قرب الساعة، ويحكم بشريعة نبينا، ويقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية^(٥)». وفي حديث مسلم: «إنه يمكث سبع سنين^(٦)». وفي حديث عند أبي داود الطيالسي: أربعين سنة، ويتوفى ويصلى عليه^(٧). فيحتمل أن المراد مجموع ليله في الأرض قبل الرفع وبعده.

[٥٨] ﴿وَذَلِكَ﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿تَنَلُّوهُ﴾ نقصه ﴿عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّد ﴿وَمِنَ الْآيَاتِ﴾ حال من الهاء في ﴿تَنَلُّوهُ﴾، وعامله ما في ﴿وَذَلِكَ﴾ من معنى الإشارة^(٨) ﴿وَالَّذِي أَحْكِمَكَ﴾ المحكم؛ أَيْ: القرآن.

[٥٩] ﴿إِنِّي مَكَّلَ عِيسَى شَأْنَهُ الْغَرِيبَ﴾ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ مَادَمَ كَشَأْنَهُ فِي خَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ آبٍ، وَهُوَ مِنْ تَشْبِيهِ الْغَرِيبِ بِالْأَرْبَابِ؛ لِيَكُونَ أَقْطَعُ لِلْخَصْمِ وَأَوْقَعُ فِي النَّفْسِ ﴿خَلَقْتُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ بِشَرِّا ﴿فَيَكُونُ﴾ أَيْ: فَكَانَ؛ وَكَذَلِكَ عِيسَى قَالَ لَهُ: «كن» من غير آب؛ فَكَانَ.

[٦٠] ﴿أَلَحُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أَيْ: أَمْرُ عِيسَى ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ الشاكين فيه.

[٦١] ﴿فَمَنْ حَاكَمَكَ﴾ جادلَكَ مِنَ النَّصَارَى ﴿فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بِأَمْرِهِ ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾ ﴿فَعَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ﴾

(١) وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: إن الذي صلب شاب من تلاميذ المسيح، ويقتل مكانه ليكون رفيقه في الجنة. الدر المنثور [٢/٢٧٢].

(٢) بالنون، للسبعة عدا حفص.

(٣) وهذا تأويل سبق التنبيه والرد عليه وإثبات صفة الحب لله ﷻ على الوجه الذي يليق به سبحانه، ومن لازم عدم محبته سبحانه لهم أنه يعاقبهم.

(٤) وهذا تأويل سابق به سنة صحيحة وهو أشبه بالإسرائيليات التي يتوقف في القول بها.

(٥) البخاري (٣٤٤٨)، ومسلم (١٥٥).

(٦) مسلم (٢٩٤٠).

(٧) وأخرجه أحمد وأبو داود (٤٣٢٤)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٦٣٥)، والصحيحة (٢١٨٢)، من حديث أبي هريرة، وفيه: «وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ».

(٨) لأنه مضمن معنى «أشيرة»، واعتراض ذلك بأل العامل في الحال هو العامل في صاحبها، وصاحبها هو الهاء في: ﴿تَنَلُّوهُ﴾؛ فالعامل هو: ﴿تَنَلُّوهُ﴾. قال بعضهم معتدرا عن المفسر: بأنه خلط إعرابا بآخر.

(٩) أخرجه أبو نعيم في الدلائل كما في الدر المنثور (٢٣٢/٣) وأصله عند مسلم (٢٤٠٤).

رَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَآتَبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتَنَبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُوهٌ أَيْ: كُفْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعِيسَى؛ إِذْ وَكَّلُوا بِهِ مِنْ يَقْتُلَهُ غِيلَةً ﴿٥٤﴾ وَمَكْرَؤُهُ اللَّهُ بِهِمْ؛ بَأَن أَلْقَى شِبْهَ عِيسَى عَلَى مِنْ قَصْدِ قَتْلِهِ فَقَتَلُوهُ^(١) ورفع عيسى إلى السماء ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ﴾ أعلمهم به. ﴿٥٥﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ لِيُوسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ قابضك ﴿وَرَأَيْكَ﴾ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا مِنْ غَيْرِ مَوْتٍ ﴿وَمُطَهِّرُكَ﴾ مبعذك ﴿وَمِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾ صدقوا بنوتك من المسلمين والنصارى ﴿فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بك؛ وهم: اليهود؛ يعلنونهم بالحجة والسيف ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فَمَنْ يَبْتَغِيكُمْ فَمَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ فِيهِ تَحْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين. ﴿٥٦﴾ ﴿فَلَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَاعْزِبْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الَّذِينَ كَانُوا بِالْقَتْلِ وَالسَّبِي وَالْجَزْيَةِ﴾ بِالنَّارِ ﴿وَمَا لَهُمْ بَيْنَ نَصْرِيكَ﴾ مانعين منه. ﴿٥٧﴾ ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَصَلُّوا الصَّلَاةَ فَبِقِيَمِهِ﴾ بالياء وانون^(٢) ﴿أَجُورُهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ أَيْ: بِعَاقِبِهِمْ^(٣)؛ روي أن الله - تعالى - أرسل إليه سحابة فرفعت؛ ففعلت به أمه وثبتت؛ فقال لها: إن القيامة تجمعنا. وكان ذلك ليلة القدر بيت المقدس، وله ثلاث وثلاثون سنة، وعاشت أمه بعده ست سنين^(٤). وروي الشيخان حديث: «إنه ينزل قرب الساعة، ويحكم بشريعة نبينا، ويقتل الدجال والخنزير، ويكسر الصليب، ويضع الجزية^(٥)». وفي حديث مسلم: «إنه يمكث سبع سنين^(٦)». وفي حديث عند أبي داود الطيالسي: أربعين سنة، ويتوفى ويصلى عليه^(٧). فيحتمل أن المراد مجموع ليله في الأرض قبل الرفع وبعده. ﴿٥٨﴾ ﴿وَذَلِكَ﴾ المذكور من أمر عيسى ﴿تَنَلُّوهُ﴾ نقصه ﴿عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّد ﴿وَمِنَ الْآيَاتِ﴾ حال من الهاء في ﴿تَنَلُّوهُ﴾، وعامله ما في ﴿وَذَلِكَ﴾ من معنى الإشارة^(٨) ﴿وَالَّذِي أَحْكِمَكَ﴾ المحكم؛ أَيْ: القرآن. ﴿٥٩﴾ ﴿إِنِّي مَكَّلَ عِيسَى شَأْنَهُ الْغَرِيبَ﴾ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ مَادَمَ كَشَأْنَهُ فِي خَلْقِهِ مِنْ غَيْرِ آبٍ، وَهُوَ مِنْ تَشْبِيهِ الْغَرِيبِ بِالْأَرْبَابِ؛ لِيَكُونَ أَقْطَعُ لِلْخَصْمِ وَأَوْقَعُ فِي النَّفْسِ ﴿خَلَقْتُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ﴾ بِشَرِّا ﴿فَيَكُونُ﴾ أَيْ: فَكَانَ؛ وَكَذَلِكَ عِيسَى قَالَ لَهُ: «كن» من غير آب؛ فَكَانَ. ﴿٦٠﴾ ﴿أَلَحُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أَيْ: أَمْرُ عِيسَى ﴿فَلَا تَكُنْ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ الشاكين فيه. ﴿٦١﴾ ﴿فَمَنْ حَاكَمَكَ﴾ جادلَكَ مِنَ النَّصَارَى ﴿فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾ بِأَمْرِهِ ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾ ﴿فَعَالُوا نَدْعُ أَبْنَاءَكُمْ وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ وَنِسَاءَكُمْ﴾

وَأَنْفُسَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ﴾ فجمعهم ﴿ثُمَّ تَبَيَّنَ﴾ تنضرع في الدعاء ﴿فَتَجَعَلَ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ بَأَن نقول: اللَّهُمَّ الْعَنِ الْكَاذِبَ فِي شَأْنِ عِيسَى. وقد دعا ﷺ وفد نجران لذلك لما حاجوه به؛ فقالوا: حتى ننظر في أمرنا ثم نأتيك. فقال ذوو رأيهم: لقد عرفتم نبوته وأنه ما تأهل قوم نبيا إلا هلكوا فوادعوا الرجل وانصرفوا. فأتوا الرسول ﷺ وقد خرج ومعه الحسن والحسين، وفاطمة وعلي، وقال لهم: «إِذَا دَعَوْتُ فَأَمْنُوا»، فأبوا أن يلاعنا وصالحوه على الجزية^(٩). [رواه أبو نعيم]. وعن ابن عباس قال: لو خرج الذين يياهلون، لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلا. وروي: لو خرجوا لاحترقوا.

فيجازيهم، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر.

[٦٤] ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى: ﴿تَمَتَّلُوا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَّيَةٍ﴾ مصدر، بمعنى: مستو أمرها ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ هي: ﴿أَنْ﴾ ن ﴿لَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ كما اتخذتم الأحرار والرهبان ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن التوحيد ﴿فَقُولُوا﴾ أنتم لهم: ﴿أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ موحدون. ونَزَّلَ - لما قال اليهود: إبراهيم يهودي ونحن على دينه. وقالت النصارى كذلك -: [٦٥] ﴿يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ﴾ تخاصمون ﴿فِي إِبْرَاهِيمَ﴾ بزعمكم أنه على دينكم ^(١) ﴿وَمَا أُنزِلَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ﴾ بزمان طويل، وبعد نزولهما حدثت اليهودية والنصرانية ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بطلان قولكم؟! [٦٦] ﴿هَٰؤُلَاءِ لِلنَّبِيِّ﴾ أنتم ﴿مَبْتَدَأُ﴾ يا ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ والخبر: ﴿حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ مِنْ أَنْتُمْ﴾ مبتدأ، يا ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ مِنْ أَنْتُمْ ﴿وَمِنْ شَأْنِ إِبْرَاهِيمَ﴾ وألله يعلم شأنه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[٦٧] قال - تعالى - تبرئة لإبراهيم: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا﴾ مائلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿مُسْلِمًا﴾ موحداً ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[٦٨] ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ﴾ أحقهم ﴿بِإِبْرَاهِيمَ﴾ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي زَمَانِهِ ﴿وَهَٰذَا النَّبِيُّ﴾ محمد، لموافقته له في أكثر شرعه ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ من أمته؛ فهم الذين ينبغي أن يقولوا: نحن على دينه. لا أنتم ﴿وَاللَّهُ وَفِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٢) ناصرهم وحافظهم. ونَزَّلَ - لما دعا اليهود مُعَاذًا وحذيفة وعماراً إلى دينهم :-

[٦٩] ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ لأن إثم إضلالهم عليهم، والمؤمنون لا يطيعونهم فيه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[٧٠] ﴿يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن المشتمل على نعت محمد ﷺ ﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾ تعلمون أنه الحق؟! ^(٣)

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ^(١) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ ^(٢) قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ^(٣) يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ^(٤) هَٰؤُلَاءِ نَحْنُ هَٰؤُلَاءِ حَاجَّجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ^(٥) مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ^(٦) إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ^(٧) وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّوكُمْ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ^(٨) يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ^(٩)

[٦٢] ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ المذكور ﴿لَهُوَ الْقَصَصُ﴾ الخبر ﴿الْحَقُّ﴾ الذي لا شك فيه ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَلَيْكَ اللَّهُ لَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعته.

[٦٣] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ أعرضوا عن الإيمان ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾

(٥) فائدة: أشرح الترمذي عن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل نبي ولادة من البين، وإن وليي أبي وعلي ربي». ثم قرأ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ﴾ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤) سورة آل عمران. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٣٩٤).

(١) أخرجه ابن إسحاق في السيرة (١٨١، ١٨٠/٢)، ومن طريقه ابن جرير في تفسيره (٢١٦/٣)، والبيهقي في الدلائل (٣٨٤/٥) عن ابن عباس، وضعفه في الاستيعاب (٢٥٩/١، ٢٦٠).

[٧١] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ بالتحرير والتزوير ﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ﴾ أي: نعت النبي ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه حق!^(١)

[٧٢] ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ اليهود لبعضهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أَنْزَلَ عَلَى الْبَرِّينَ ءَامَنُوا﴾ أي: القرآن ﴿وَتَجِبَ الْكَهَارُ﴾ أوله ﴿وَكَفَرُوا﴾ به ﴿يَا أَيُّهَا الْعَالَمُونَ﴾ أي: المؤمنون ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عن دينهم؛ إذ يقولون: ما رجع هؤلاء عنه بعد دخولهم فيه وهم أولو علم إلا لعلمهم بطلانه. وقالوا أيضًا: [٧٣] ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا﴾ تصدقوا ﴿إِلَّا لِمَن﴾ اللام زائدة^(٢) ﴿تَبِعَ﴾ وافق ﴿دِينَكُمْ﴾ قال - تعالى -: ﴿قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد: إِنَّ إِلَهِي هَذَا إِلَهُ اللَّهِ﴾ الذي هو الإسلام، وما عداه ضلال، والحيلة اعتراض^(٣) ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿يُؤَيِّدَ أَكْثَرُ نَفْسٍ مَّا أَوْفَيْتُمْ﴾ من الكتاب والحكمة والفضائل، و﴿أَنْ﴾ مفعول «تؤمنوا»، والمستثنى منه «أحد»^(٤) قدم عليه المستثنى؛ المعنى: لا تقروا^(٥) بأن أحدًا يؤتى ذلك إلا لمن اتبع دينكم ﴿أَوْ﴾ بأن ﴿يُحَاجُّوكُمْ﴾ أي: المؤمنون يغلبوكم ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾ يوم القيامة؛ لأنكم أصبح دينًا، وفي قراءة: ﴿أَنْ﴾^(٦) بهزة التوسيع^(٧) أي: أيًا^(٨) أحد مثله تَقْرُونَ به؟ قال - تعالى -: ﴿قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ فمن أين لكم أنه لا يؤتى أحد مثل ما أوتيتهم ﴿وَاللَّهُ وَسِعَ﴾ كثير الفضل ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بمن هو أهله.

[٧٤] ﴿يَخْتَصِرُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [٧٥] ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن﴾ إن تأمنه يقطار^(٩) أي: بمال كبير ﴿يُؤَدُّ إِلَيْكَ﴾ لأمانته؛ كعبد الله بن سلام أودعه رجل ألفًا ومائتي أوقية ذهبًا فأداها إليه ﴿وَمِنْهُمْ مَن﴾ إن تأمنه يدينار^(١٠) لا يؤدُّه إليك^(١١) لخيانته ﴿إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ لا تفارقه، فمضى فارقه أنكره؛ كعبد بن الأشرف استودعه قرشي دينارًا ففجده ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: ترك الأداء ﴿يَأْتُهُمْ قَالُوا مَا سَبَّبَ قَوْلُهُمْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْنِ﴾ أي: العرب ﴿سَبِيلٌ﴾ أي: إنهم لاستحلالهم ظلم مَن خَالَفَ دينهم، ونسبوه إليه - تعالى -، قال - تعالى -: ﴿وَيَقُولُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبُ﴾ في نسبة ذلك إليه ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم كاذبون.

[٧٦] ﴿بَلْ﴾^(١٢) عليهم فيهم سبيل ﴿مَن أَوْفَى بِعَهْدِهِ﴾ الذي عاهد عليه، أو بعهد الله إليه من أداء الأمانة وغيره ﴿وَأَتَّقِ﴾ الله بترك المعاصي وعمل الطاعات ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر^(١٣) أي: يحبهم؛ بمعنى: يشيهم^(١٤) ونزل في اليهود لما بدلوا نعت

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامَنُوا بِالَّذِي أَنْزَلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجِبَ الْكَهَارُ أُولَٰئِكَ أَكْثَرُ نَفْسٍ مَّا أَوْفَيْتُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْإِلَهَ هَذَا إِلَهُ اللَّهِ أَن يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيْتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنْ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمْ يَخْتَصِرُ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٧٣﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِن تَأْمَنَّهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَن إِن تَأْمَنَّهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْنِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ بَلْ مَن أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَاحِقٌ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يَكْفِيهِمُ اللَّهُ وَلَا يَنْتَظِرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

النبي ﷺ وعهد الله إليهم في التوراة^(١٥)، وفيمن حلف كاذبًا في دعوى أو في بيع سلعة: [٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ﴾ يستبدلون ﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ إليهم في الإيمان بالنبي وأداء الأمانة ﴿وَأَيْمَانِهِمْ﴾ حلفهم به - تعالى - كاذبين ﴿فَمَنَّا قَلِيلًا﴾ من الدنيا ﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ﴾ نصيب ﴿لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكْفِيهِمُ اللَّهُ﴾ غضبًا^(١٦) ﴿وَلَا يَنْتَظِرُ إِلَيْهِمْ﴾ يرحمهم^(١٧) ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ﴾ يطهرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم^(١٨).

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٧٧): أخرج البخاري عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه أن رجلًا أقام سلعة وهو في السوق فحلف بالله لقد أعصى بها ما لم يعط، فوقع فيها رجلًا من المسلمين، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ البخاري - كتاب البيوع (٣٤) باب (٢٧) ما يكره من الحلف في البيع.

(١) الأولى أن يضمن الإيمان هنا معنى الاتقياء والتسليم والإقرار، فيكون المراد: فصلده واتباعه متفادًا لما جاء به، كما هو معناه الشرعي؛ فلا تكون اللام زائدة، ونظير ذلك قوله - تعالى -: ﴿فَقَامَ لَمْ يُؤْتِ﴾. والله أعلم. (٢) أي: بين العامل والمفعول. (٣) هذا باعتبار أن اللام في قوله: ﴿لِمَن﴾ زائدة، أما على عدم تقدير زيادتها فالمستثنى منه محذوف تقديره: ولا تؤمنوا؛ أي: تقروا وتعرفوا وتصرحوا لأحد من الناس بأن أحدًا يؤتى مثل ما أوتيتهم من الفضائل واليكالات إلا لشخص اتبع دينكم. (٤) ضخم المفسر ﴿تُؤَيِّدُ﴾ معنى: تقروا؛ لتكون اللام في قوله: ﴿لِمَن﴾ أصلية. (٥) لاين كبير، وعلى هذه القراءة يكون هذا الكلام مستأنفًا. (٦) أي: بهزة الاستفهام الذي هو للتوبيخ مع الإنكار.

(٧) أشار بذلك إلى أن قوله: ﴿أَنْ يُؤَيِّدَ أَكْثَرُ نَفْسٍ مَّا أَوْفَيْتُمْ﴾ في تأويل مصدر مبتدأ خبره محذوف تقديره: تقروا به. (٨) إضراب إبطائي، وهو ممن عن جملة قدرها المفسر بقوله: «عليهم فيهم سبيل». (٩) وكان مقتضى الظاهر أن يقول: «فإن الله يحبه»، وهذا للاعتناء بشأن المؤمنين، وإشارة إلى عمومته لكل مؤمن. (١٠) وهذا تأويل غير جائز لهذه الصفة، وسبق بيان فساده، وبيان مذهب السلف في صفات الله تعالى مرارًا. (١١) ذكره ابن حجر في المحاب (٧٠٢/٢) عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، وقال في الفتح (٢١٣/٨): «وقص الكلبي في تفسيره في ذلك قصة طويلة، وهي محتملة أيضًا، لكن المعتقد في ذلك ما ثبت في الصحيح». والكلبي وأبو صالح متهمان بالكذب؛ فالحديث موضوع. (١٢) أي: لا يكلمهم كلامًا ينفعهم ويسرهم، ولكن يمكن أن يكلمهم كلامًا يسوؤهم كما في قوله - سبحانه - لهم: ﴿أَنْتُمْ فِيهَا لَا تَكْمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]، وفي هذه الآية وغيرها إثبات صفة الكلام لله - سبحانه - على الوجه اللائق به كما هو مذهب السلف. (١٣) أي: لا ينظر إليهم بظن رحمة وإحسان، ومن لازمها: إثبات أنه ينظر للمؤمنين بنظر رحمة، وفي هذا إثبات صفة البصر له على الوجه اللائق به كما جاء صريحًا في غير آية.

وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرَاقًا يُلَوِّنُ الْإِسْمَ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَلَخَذْتُمْ عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

[٧٨] ﴿وَأَنَّ مِنْهُمْ لَفِرَاقًا يُلَوِّنُ الْإِسْمَ بِالْكِتَابِ﴾ طائفة؛ ككعب بن الأشرف ﴿يُلَوِّنُ الْإِسْمَ بِالْكِتَابِ﴾ أي: يعطونها بقرآته عن المنزل إلى ما حرفوه من نعت النبي ﷺ ونحوه ﴿لِتَحْسَبُوهُ﴾ أي: الحرف ﴿وَالْكِتَابِ﴾ الذي أنزله الله ﴿وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أنهم

كاذبون. ونزل. لما قال نصارى نجران: إن عيسى أمرهم أن يتخذوه ربًا. أو لما طلب بعض المسلمين السجود له ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ سَجِدْ لَكَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ أي: الفهم للشرعية ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ ثم يقول للناس كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّيْنَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ علماء عاملين منسوبين إلى الرب بزيادة ألف ونون تفخيماً ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ بالضعيف والتشديد ﴿وَالْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ بسبب ذلك؛ فإن فائدته أن تعملوا. [٨٠] ﴿وَلَا يَأْمُرُكُمْ﴾ بالرفع ﴿أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾ كما اتخذت الصابئة الملائكة، واليهود عزيرًا، والنصارى عيسى ﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ لا ينبغي له هذا^(٧).

[٨١] ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ عهدهم ﴿لَمَّا﴾ بفتح اللام؛ للابتداء وتوكيد معنى القسم^(٨) الذي في أخذ الميثاق، وكسرهما متعلقة بـ«أخذ»^(٩)، و«ما» موصولة على الوجهين؛ أي: للذي ﴿آتَيْنَاكُمْ﴾ إياه، وفي قراءة: ﴿آتَيْنَاكُمْ﴾^(١٠) ﴿وَمِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾ من الكتاب والحكمة؛ وهو: محمد ﷺ ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ جواب القسم: إن أدركنموه، وأتممهم تبع لهم في ذلك ﴿قَالَ تَعَالَى لَهُمْ: أَأَقْرَضْتُمْ﴾ بذلك ﴿وَأَخَذْتُمْ﴾ قبلتم ﴿عَلَى ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ عهدي؟ ﴿قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا﴾ على أنفسكم وأتباعكم بذلك ﴿وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ عليكم وعليهم.

[٨٢] ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ أعرض ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾ الميثاق ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٨٣] ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾ بالياء والتاء^(١١)؛ أي: المتولون ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ﴾ انقاد ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا﴾ بلا إباء ﴿وَكَرْهًا﴾ بالسيف ومعابنة ما يلجئ إليه ﴿وَالْيَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالياء^(١٢)، والهمزة في أول الآية للإنكار.

(١) ذكره ابن جرير في تفسيره (٣/٣٢٥)، وعزاه في الدر المنثور للبيهقي في الدلائل عن ابن عباس عن أبي رافع القرظي. وضعفه في الاستيعاب (١/٢٦٨).

(٢) أخرجه عبد بن حميد عن الحسن كما في الدر المنثور (٣/٢٥٠). وهو ضعيف مرسل كما في الاستيعاب (١/٢٦٩).

(٣) بالتحفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، ويكون مع فتح التاء وسكون العين. وقرأ بقية السبعة: ﴿تَعْلَمُونَ﴾ بالتشديد مع ضم التاء وفتح العين.

(٤) أي: بضم الراء، قراءة نافع وابن كثير والكسائي. وقرأ أبو عمرو وبخلف عن الدوري: ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ بسكون الراء، وبقية السبعة: ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ بالفتح.

(٥) أشار بذلك إلى أن فاعل ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ - بالرفع - ضمير مستتر عائد على «الله».

(٦) أي: على هذا التقدير يكون فاعل ﴿يَأْمُرُكُمْ﴾ - بالنصب - ضميرًا مستترًا عائدًا على «بشر».

(٧) أشد بهذا إلى أن الاستفهام إنكاري تعجب.

(٨) أي: مؤكدة لليقين المأخوذ من الميثاق؛ فإنه تقدم أن معنى الميثاق عهد مؤكد يمين.

(٩) أي: على أنها للتعليل ﴿لَمَّا﴾؛ أي: لرعاية وحفظ ما أتيتكم، وهي قراءة حمزة.

(١٠) لنافع.

(١١) بالياء لأبي عمرو وحفص، وبالياء للباقيين.

(١٢) بالياء قراءة حفص، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ
وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ
وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٥﴾ وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ
الْخَاسِرِينَ ﴿٨٦﴾ كَيْفَ يُهْدَىٰ اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ
وَشَهِدُوا بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّهُ
الرَّسُولُ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمُ لعنةُ اللَّهِ
وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٨﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخَفُ
عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ
بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ
وَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّاكُونَ ﴿٩١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ
كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ لَأَرْضٍ ذَهَبًا وَلَوِ
افْتَدَىٰ بِهِ ۖ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩٢﴾

[٨٤] ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾ أولاده ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ بالصدق والتكذيب ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^(٥) مخلصون في العبادة. ونزل فيمن ارتد ولحق بالكفار:

[٨٥] ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ نصيره إلى النار المؤبدة عليه.

[٨٦] ﴿كَيْفَ﴾ أي: لا ﴿يُهْدَىٰ اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّهُ الرَّسُولُ حَقٌّ وَ﴾ قد ﴿جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ الحجج الطاهرات على صدق النبي ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين.

[٨٧] ﴿أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لعنةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[٨٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: اللعنة أو النار المدلول بها عليها ﴿لَا يَخَفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ يجهلون.

[٨٩] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾^(٦) بهم. ونزل في اليهود:

[٩٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعيسى ﴿بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ بـ موسى ﴿ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾ إذا غرغروا أو ماتوا كفاراً ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الصَّاكُونَ﴾.

[٩١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلَّةٌ لَأَرْضٍ﴾ مقدار ما يملؤها ﴿ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِوَهْ﴾ أدخل الفاء في خبر ﴿إِنَّ﴾؛ لشبهه «الذي»^(٧) بالشرط وإيداناً بنسب عدم القبول عن الموت على الكفر ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ مانعين منه.

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقرأ في ركعتي الفجر: ﴿قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ في الركعة الأولى، وفي الركعة الأخرى بهذه الآية: ﴿وَرَبَّنَا ءَامَنَّا بِمَا أُرْسِلَ وَأَنْتَكَ أَرْسُولُكَ فَتَجَنَّبَا مَعَ النَّبِيِّينَ﴾ أو ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾. أبو داود - كتاب الصلاة (٢) باب (٢٩٢) في تخفيفها. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١١٢٢).

(٦) ما جاء في نزول الآيت (٨٦ - ٨٩): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان رجل من الأنصار أسلم ثم ارتد ولحق بالشرك ثم تدم، فأرسل إلى قومه: سلوا لي رسول الله ﷺ، هل لي من نوبة؟ فجاء قومه إلى رسول الله ﷺ فقالوا: إن فلاناً قد تدم، وإنه أمرنا أن نسألك: هل له من نوبة؟ فنزلت: ﴿كَيْفَ يَهْدَىٰ اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. فأرسل إليه فأسلم. النسائي - كتاب تحريم الدم (٣٧)، باب (١٥) نوبة المرتد، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (٣٧٩٢). واسم هذا الأنصاري: احارث بن سويد كما في المطالب العالية لابن حجر (٣١٤/٣).

(٧) فيه حكاية بالمعنى؛ إذ المذكور في الآية ﴿الَّذِينَ﴾ لكن حكمهما واحد.

لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبِعُونَهَا عَوجًا وَأَسْتَشْهَدُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ طَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أَوْفُوا بِالْكِتَابِ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾

تكن على عهده حرامًا كما زعموا ﴿٩٢﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿قَاتِلُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا﴾ ليعين صدق قولكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؛ فبهتوا ولم يأثروا بها. قال - تعالى: ﴿٩٤﴾ ﴿فَمَنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: ظهور الحجة بأن التحريم إنما كان من جهة يعقوب لا على عهد إبراهيم ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ المتجاوزون الحق إلى الباطل. ﴿٩٥﴾ ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ﴾ في هذا؛ كجميع ما أخبر به ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ﴾ التي أنا عليها ﴿حَنِيفًا﴾ مائلًا عن كل دين إلى الإسلام ﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. ونزل - لما قالوا: قبلتنا قبل قبلكم: ﴿٩٦﴾ ﴿إِنْ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ﴾ متبعًا ﴿لِلنَّاسِ﴾ في الأرض ﴿لِلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ بآباءه، لغة في «مكة»، سميت بذلك؛ لأنها تلك أعناق الجبارة؛ أي: تدفقها، بناه الملائكة قبل خلق آدم، ووضع بعده الأقصى، وبينهما أربعون سنة؛ كما في حديث الصحيحين^(١)، وفي الحديث: «أنه أول ما ظهر على وجه الماء عند خلق السماوات والأرض زبدته يضاء؛ فحدث الأرض من تحتها»^(٢). ﴿مُبَارَكًا﴾ حال من «الذي»؛ أي: ذا بركة ﴿وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ لأنه قبلتهم. ﴿٩٧﴾ ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ﴾ منها^(٣): ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: الحجر الذي قام عليه عند بناء البيت؛ فأتى قدامه فيه وبقي إلى الآن مع تطاول الزمان وتداول الأيدي عليه، ومنها: تضعيف الحسنات فيه، وأن الطير لا يعوله^(٤) ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ لا يتعرض إليه بقتل أو ظلم أو غير ذلك ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ﴾ واجب، بكسر الحاء وفتحها^(٥) لغنان في مصدر حج؛ بمعنى: قصد، ويدل من^(٦) «الناس»: ﴿مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ طريقًا؛ فشره ﴿بِالزَّادِ وَالزَّاجِلَةِ﴾^(٧). [رواه الحاكم وغيره] ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ بالله أو بما فرضه من الحج ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة وعن عبادتهم. ﴿٩٨﴾ ﴿قُلْ يَكْفُلُ الْكِتَابُ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم عليه. ﴿٩٩﴾ ﴿قُلْ يَكْفُلُ الْكِتَابُ لِمَ تَصَدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ بتكديكم النبي وكنتم نفعه ﴿تَبِعُونَهَا﴾ أي: تطلبون السبيل ﴿عَوجًا﴾ مصدر؛ بمعنى: معوجة؛ أي: مائلة عن الحق ﴿وَأَنْتُمْ شَهِدَاةٌ﴾ عالمون بأن الدين المرضي القيم هو دين الإسلام؛ كما في كتابكم ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب، وإنما يؤخركم إلى وقتكم؛ ليجازيكم. ونزل - لما مر بعض اليهود^(٨) على الأوس والخزرج، وغاظهم تألفهم؛ فذكروهم بما كان بينهم في الجاهلية من الفتن؛ ففشا جروا وكادوا يقتلوا: ﴿١٠٠﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ طَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أَوْفُوا بِالْكِتَابِ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ﴾.

﴿٩٢﴾ ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ أي: ثوابه؛ وهو: الجنة ﴿حَتَّى تُنْفِقُوا﴾ تصدقوا ﴿وَمِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ من أموالكم ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ فيجازي عليه^(١). ونزل - لما قال اليهود: إنك تزعم أنك على ملة إبراهيم وكان لا يأكل لحوم الإبل وألبانها^(٢): ﴿٩٣﴾ ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا﴾ حلالًا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَءِيلُ﴾ يعقوب ﴿عَلَى نَفْسِهِ﴾ وهو الإبل لما حصل له عرق الشما - بالفتح والقصر؛ فندر إن شفي لا يأكلها فحرم عليه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ﴾ وذلك بعد إبراهيم، ولم

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أنس بن مالك قال: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نحلًا، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد. وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها، طيب قال: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿قُلْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا حُبَبْتُمْ﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحاء. وإنما صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعاها يا رسول الله حيث أراك الله. قال رسول الله ﷺ: «خير». ذلك مال رابع، وإني سمعت ما قلت. وإني أرى أن يجعلها في الأقرين» قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. قسمها أبو طلحة في أقاربه وني عمه، البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة آل عمران (٣) باب (٥).

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٧٥)، (٧٦)، والحاظ في العجاف (٧١٦/٢)، عن الكلبي وأبي ورق، وهو موضوع كما في الاستيعاب (٢٧٤/١)، (٢٧٥).

(٢) البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠) من حديث أبي ذر وليس فيه أن الذي بناه الملائكة.

(٣) ذكره الطبري في تفسيره من طريق عبد الله بن عمرو ومجاهد موقوفًا عليهما. وعزه في الدر المنثور للطبراني والبيهقي في شعبه عن عبد الله بن عمرو [الدر المنثور (٢٦٥/٤)].

(٤) أشار الشارح بذلك أن آياته لا تنحصر في هذين المائتين؛ ﴿مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ﴾، ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾، وإنما خصهما بالذكر؛ لعظمتهما، وأنها تقوم بهما الحجة على الكفار؛ إذ هم مبركون لهما بحواسمهم.

(٥) ليس على هذا دليل والواقع على خلافه إذ إن الطير يعوله ويجلس على سقفه كما هو مشاهد.

(٦) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة. (٧) أي: بدل بعض من كل، ولعلنا محذوف تقديره: منهم.

(٨) الحاكم في المستدرک (٤٤٢/١)، وابن ماجه (٢٨٩٦)، والترمذي (٨١٣) من حديث ابن عمر، والدارقطني من حديث أنس، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٣٣٥).

(٩) أخرجه ابن إسحاق في الغاري (١٨٥/٢) عن زيد بن أسلم، ومن طريقه الطبري في تفسيره (١٧، ١٦/٤)، وضعفه الحاكم إسناده في الإصابة (٨٧/١)، وهذا اليهودي قيل اسمه: شاس بن

وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٩﴾ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى وَلَنْ يَفْتَلُوَكُمْ يُؤَلُّوْكُمْ إِلَّا دَبَارَ شَرٍّ لَا يُصْرُونَ ﴿٢١﴾ ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْدِّيلَةَ أَيْنَ مَا تُقْفَوْا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبَغَضَ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِمَّنْ أَهْلُ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَاتَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿٢٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿٢٥﴾

أُخْرِجَتْ ﴿١٩﴾ أَظْهَرَتْ ﴿٢٠﴾ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٢١﴾ كعبد الله بن سلام ﷺ وأصحابه ﴿٢٢﴾ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٣﴾ الكافرون.

[١١١] ﴿لَنْ يَضُرَّكُمْ﴾ أي: اليهود يا معشر المسلمين بشيء ﴿إِلَّا أَذًى﴾ باللسان من سب ووعيد ﴿وَلَنْ يَفْتَلُوَكُمْ﴾ يُلَوِّكُمُ الْأَدْبَارَ ﴿مِنْهُمْ﴾ ثم لا يُصْرُونَ ﴿٢٠﴾ عليكم؛ بل لكم النصر عليهم.

[١١٢] ﴿ضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الدِّيلَةَ﴾ كاتين ﴿وَحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ (١) المؤمنين؛ ولا اعتصام ﴿إِلَّا﴾ كاتين ﴿وَحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾ (١) المؤمنين؛ وهو: عهدهم إليهم بالأمان على أداء الجزية؛ أي: لا عصمة لهم غير ذلك (٢) ﴿وَبَاءَ وَبَغَضَ﴾ رجعوا ﴿يَضْرِبُ مِنَ اللَّهِ وَضَرَبْتَ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةَ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ ﴿أَي: بسبب أنهم﴾ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ ﴿بِمَا عَصَوْا﴾ أَمَرَ اللَّهُ ﴿وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ يتجاوزون الحلال إلى الحرام.

[١١٣] ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ أي: أهل الكتاب ﴿سَوَاءً﴾ مستويين ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ﴾ مستقيمة ثابتة على الحق؛ كعبد الله بن سلام ﷺ وأصحابه ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ ءَاتَاءَ اللَّيْلِ﴾ أي: في ساعاته ﴿وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ يصلون، حال.

[١١٤] ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ في الْمُتَزَيِّتِ وَأُولَئِكَ ﴿الموصوفون بما ذكر الله﴾ مِنَ الصَّالِحِينَ ومنهم من ليسوا كذلك، وليسوا من الصالحين.

[١١٥] ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ بالناء (٣)؛ أيها الأمة، والباء؛ أي: الأمة القائمة ﴿مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾ بالوجهين (٤)؛ أي: تعدوا ثوابه؛ بل تجازون عليه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ (٥).

[١٠٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَعَيْدًا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ﴾ تصير ﴿الْأُمُورُ﴾.

[١١٠] ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ يا أمة محمد في علم الله - تعالى - ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ﷺ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام. البخاري - كتاب التفسير

(٦٥) - سورة آل عمران (٣) باب (٧) ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾.

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (١١٣-١١٥) أخرج أحمد عن ابن مسعود قال: أخر رسول الله ﷺ صلاة العشاء ثم حرج إلى المسجد إذا الناس ينتظرون الصلاة.

قال: أما إنه ليس من أهل الأديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم. قال: وأزل هؤلاء الآيات: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِمَّنْ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ حتى بلغ: ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾

أحمد - المسند (٣٩٦/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٣٧٦٠).

(١) يعني: إلا بمعهد من الله، وهو أن يسلموا.

(٢) لكن إن كان اعتصامهم بحبل من الله بأن يسلموا ارتفع عنهم الذل وعصموا نفوسهم وأموالهم، وإن كان من الناس فقد عصموا نفوسهم وعاشوا في ذل.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٤) أي: الباء والتاء، بالناء لمن سبق ذكرهم.

[١١٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَدُهُمْ مِنَ اللَّهِ أَي: من عذبه ﴿سَيِّئًا﴾ وخصهما بالذكر؛ لأن الإنسان يدفع عن نفسه نارة بفداء المال، وثارة بالاستعانة بالأولاد ﴿وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١١٧] ﴿مَثَلُ﴾ صفة ﴿مَا يُنْفِقُونَ﴾ أي: الكفار ﴿فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ في عداوة النبي أو صدقة ونحوها^(١) ﴿كَمَثَلٍ يَبِيعُ فِيهَا صِرًّا﴾ حر أو برد شديد ﴿أَصَابَتْ حَرْتَ﴾ زرع ﴿قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر والعصية ﴿فَأَهْلَكْنَاهُ﴾ فلم ينتفعوا به؛ وكذلك نفقاتهم ذاهبة لا ينتفعون بها ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بضياغ نفقاتهم ﴿وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكفر الموجب لضيعاعها.

[١١٨] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً﴾ أصفياء تطلعونهم على سرهم ﴿مِنْ دُونِكُمْ﴾ أي: غيركم من اليهود والنصارى والمنافقين ﴿لَا يَأُولِيكُمْ حَبَالًا﴾ نصب بنزع الحافض؛ أي: لا يقصرون لكم في الفساد ﴿وَدُّوا﴾ تمنا ﴿وَمَا عَيْنُهُمْ﴾ أي: عتقكم؛ وهو: شدة الضرر ﴿فَقَدْ بَدَتْ﴾ ظهرت ﴿الْبَغْضَاءُ﴾ العداوة لكم ﴿مِنْ أَقْوَاهُمْ﴾ بالوقعة فيكم وإطلاع المشركين على سرهم ﴿وَمَا تُخْفِي بُدُورُهُمْ﴾ من العداوة ﴿أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ على عداوتهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ﴾ ذلك فلا توالوهم.

[١١٩] ﴿هَا﴾ للتبعية ﴿أَنْتُمْ﴾ يا ﴿أَوْلَادُ﴾ المؤمنين ﴿يُحِبُّوهُمْ﴾ لغرائبهم منكم وصدقاتهم ﴿وَلَا يُحِبُّوكُمْ﴾ لخلفتهم لكم في الدين ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ﴾ أي: بالكتب كلها، ولا يؤمنون بكتابكم ﴿وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَىكُمْ أَلْسِنَافَهُمْ﴾ أطراف الأصابع ﴿مِنْ الْفَيْضِ﴾ شدة الغضب؛ لما يرون من اختلافكم، ويعبر عن شدة الغضب بعض الأنايل مجازًا، وإن لم يكن ثم غرض ﴿فَلَمْ يُولَوْا يَعْظِمُكُمْ﴾ أي: افقوا عليه إلى الموت^(٢)؛ فلن تروا ما يسركم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، ومنه ما يضمرة هؤلاء.

[١٢٠] ﴿إِنْ تَسْتَكْبِرُوا﴾ تصبكم ﴿حَسَنَةً﴾ نعمة؛ كنصر وغنيمة ﴿تَسُوْهُمْ﴾ تخزيهم ﴿وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ﴾ كهزيمة وجذب ﴿يَقْرَحُوا بِهَا﴾ وجملة الشرط متصلة بالشرط قبل، وما بينهما اعتراض؛ والمعنى: أنهم متناهون في عداوتكم؛ فلم توالوهم؟! فاجتنبوهم ﴿وَإِنْ تُصَبِّرُوا﴾ على أذاهم ﴿وَتَقْوُوا﴾ الله في موالائهم وغيرها ﴿[يَضْرِبُوا]﴾ بكسر الضاد، وسكون الراء^(٣) وضمها وتشديدها^(٤) ﴿كَيْدَهُمْ سَيِّئًا﴾ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿بَالِيَاءٌ﴾ والناء^(٥) ﴿يُحِيطُ﴾ عالم^(٦)؛ فيجازيهم به.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُنْفِكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَدُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾
مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلٍ يَبِيعُ فِيهَا صِرًّا أَصَابَتْ حَرْتَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكْنَاهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ لَا يَأُولُونَكُمْ حَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتْ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَقْوَاهُمْ وَمَا تُخْفِي بُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٨﴾ هَآؤُنَا أَوْلَادُ يُحِبُّوهُمْ وَلَا يُحِبُّوكُمْ وَتَوَمَّنُوا بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَىكُمْ أَلْسِنَافَهُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ لَكُمُ الْآيَاتِ عَلَى عَدَاوتِهِمْ إِنْ كُنْتُمْ تَقُولُونَ ذَلِكَ فَلَا تَوَالُوهُمْ ﴿١١٩﴾ هَآؤُنَا أَنْتُمْ لِلتَّبِيعَةِ يَا أَوْلَادُ الْمُؤْمِنِينَ يُحِبُّوهُمْ لِقَرَابَتِهِمْ مِنْكُمْ وَصَدَقَاتِهِمْ وَلَا يُحِبُّوكُمْ لَخَلْفَتِهِمْ لَكُمْ فِي الدِّينِ وَيُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ أَي: بِالْكِتَابِ كُلِّهِ لَا يُؤْمِنُونَ بِكِتَابِكُمْ وَإِذَا لَقَوْكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُوا عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ شِدَّةُ الْغَضَبِ لِمَا يَرَوْنَ مِنْ اخْتِلَافِكُمْ وَيَعْبُرُ عَنْ شِدَّةِ الْغَضَبِ بَعْضُ الْأَنْبَالِ مُجَازًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ غَرَضٌ فَلَمْ يُولَوْا يَعْظِمُكُمْ أَي: افقُوا عَلَيْهِ إِلَى الْمَوْتِ^(٢) فَلَنْ تَرَوْا مَا يَسْرُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ بِمَا فِي الْقُلُوبِ وَمِنْهُ مَا يَضْمُرُهُ هَؤُلَاءِ.

[١٢١] ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ من المدينة ﴿تَبَوَّءَ﴾ تنزل ﴿الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ﴾ مراكز يقفون فيها ﴿لِلْقِتَالِ﴾ وَاللَّهُ سَمِيعٌ ﴿لِقَوَائِمِكُمْ﴾ بأحوالكم؛ وهو يوم أحد؛ خرج النبي ﷺ بألف أو إلى خمسين رجلا، والمشركون ثلاثة آلاف، ونزل بالشعب يوم السبت سابع شوال سنة ثلاث من الهجرة، وجعل ظهره وعسكره إلى أحد، وسوى صفوفهم، وأجلس جيشًا من الرماة، وأمر عليهم عبد الله بن جبير بسفح الجبل، وقال: «انصحبوا غنًا بالثبلي، لا يأتون من ورائنا، ولا تبرزوا غلبتنا أو نصربنا»^(٧).

(١) كصلة الرحم ومواساة الفقراء.

(٢) دعاء عليهم بدوام الغيظ وزيادته بتضاعف قوة الإسلام وأهله إلى أن يهلكوا به، أو باشتداده إلى أن يهلكهم.

(٣) من صار يضير، وهذه القراءة لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) أي: تشديد الراء مع ضم الضاد من ضرب يضرب، وهي قراءة بقية السبعة.

(٥) قراءة المشرة بالياء، والقراءة بالناء شاذة، وقد سها السيوطي عن التبعية إلى ذلك كما جرت عادته بأن يقول عن القراءة الشاذة: وقرئ.

(٦) فهو - سبحانه - محيط بهم وأعمالهم ومكائدهم، حافظ له، لا يعزب عنه شيء منه.

(٧) لم أعر عليه بهذا اللفظ لكن أخرجه البخاري (٣٧٣٧) من حديث البراء بن عازب نحوه.

فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٣﴾ لِيُثْقِلُوا بِهِ دُونَ غَيْرِهِ. وَتَزَلَّ. لَمَا هَزَمُوا تَذَكُّرًا لِّهِمْ
بِنِعْمَةِ اللَّهِ. [١٢٣] ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ﴾ مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ
﴿وَأَنْتُمْ أَوْلَىٰ﴾ بِقِلَّةِ الْعُدَّةِ وَالسَّلَاحِ ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ﴾ نِعْمَهُ.
[١٢٤] ﴿إِذْ﴾ طَرَفٌ لِّانْصِرَافِكُمْ ﴿نَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ تَوَدَّعُهُمْ تَطْمِينًا:
﴿أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُثَبِّدَ﴾ يَعِينَكُمْ ﴿رِجَالٌ مِّنَ النَّفِثَةِ﴾ الْغَيْبِ مِّنَ الْمَلَكِيَّةِ
مُنْزَلِينَ ﴿بِالتَّخْفِيفِ وَالشَّدِيدِ﴾ (٩).

[١٢٥] ﴿بَلَىٰ﴾ يَكْفِيكُمْ ذَلِكَ، وَفِي الْأَفْصَالِ ﴿بِالْفِثَّةِ﴾؛ لِأَنَّهُ أَمَدُهُمْ أَوَّلًا
بِهَا، ثُمَّ صَارَتْ ثَلَاثَةً، ثُمَّ صَارَتْ خَمْسَةً؛ كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿إِنْ نَصَبُوا﴾ عَلَى
لِقَاءِ الْعَدُوِّ ﴿وَنَتَّقُوا﴾ اللَّهَ فِي الْحَالِفَةِ ﴿وَيَأْتُواكُمْ﴾ أَيِ: الْمُشْرُكُونَ ﴿مِنْ قُورِهِمْ﴾
وَقَتْمِهِ هَذَا بِتَوَدُّدِكُمْ رِجَالٌ مِّنَ النَّفِثَةِ مَسُومِينَ بِكَسْرِ الْوَاوِ
وَفَتْحِهَا (١٠)؛ أَيِ: مُعْلَيْنَ، وَقَدْ صَبَرُوا وَأَنْجَرَ اللَّهُ وَعَدَهُ، بَأَن قَاتَلَتْ مَعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ
عَلَى خَيْلٍ بَلَقَ، عَلَيْهِمْ عِمَامَتٌ صَفَرُ (١١) أَوْ بَيْضُ (١٢)، أَرْسَلُوها بَيْنَ أَكْفَاهِمُ.

[١٢٦] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أَيِ: الْإِمْدَادُ ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ﴾ بِالنَّصْرِ
﴿وَلِطَمَيْنَ﴾ تَسْكُنُ ﴿قُلُوبُكُمْ بِهِ﴾. فَلَا تَجْزَعُ مِنْ كَثْرَةِ الْعَدُوِّ وَقِلَّتِكُمْ ﴿وَمَا
أَنْصَرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْكَرِيمِ﴾ يُوْتِيهِ مِنْ يَشَاءُ، وَلَيْسَ بِكَرَّةِ الْجُنْدِ.

[١٢٧] ﴿يَقْطَعُ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ«نَصْرِكُمْ»؛ أَيِ: لِيَهْلِكَ ﴿حَطَفًا مِّنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا﴾ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ ﴿أَوْ يَكْبِتُهُمْ﴾ يَذْلُهُمُ بِالْهَرِيعَةِ ﴿فَيَنْقَلِبُوا﴾ يَرْجِعُوا
﴿حَآبِيَيْنَ﴾ لَمْ يَبَالُوا مَا رَامُوهُ. وَتَزَلَّتْ. كَمَا كَثُرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ ﷺ، وَشَجَّ وَخَجَّهُ
يَوْمَ أُحُدٍ، وَقَالَ: «كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ خَضَعُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ بِالْذَّمِّ؟» (١٣) (١٤).
[١٢٨] ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ بَلِ الْأَمْرُ لِلَّهِ فَاصْبِرْ ﴿أَوْ﴾ بِمَعْنَى: «إِلَى»
أَن ﴿يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ بِالْإِسْلَامِ ﴿أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ بِالْكَفْرِ.

[١٢٩] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مُلْكًا وَخَلْقًا وَغَيْدًا
﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾ الْغُفْرَةُ لَهُ ﴿وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ تَعْذِيهِ ﴿وَاللَّهُ
عَفُورٌ﴾ لِأَوْلِيَائِهِ ﴿رَحِيمٌ﴾ بِأَهْلِ طَاعَتِهِ.

[١٣٠] ﴿يَتَأْتِيَكَ الْأَيُّهُمُ أَمَانًا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً﴾
بِأَلْفٍ وَدُونِهَا (١٥)؛ بَأَن تَرِيدُوا فِي الْمَالِ عِنْدَ حُلُولِ الْأَجَلِ وَتَوْخَرُوا الطَّلَبَ
﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بِتَرْكِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَلْحَقُونَ﴾ تَفْزِزُونَ. [١٣١] ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ
الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ أَن تَعْدُوا بِهَا. [١٣٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَارْتَبِعُوا رَسُولَ
لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ﴾.

إِذْ هَمَّتْ طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ
فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٣﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ
فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُشْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ إِذْ نَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ
أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُثَبِّدَ لَكُمْ رِجَالٌ مِّنَ النَّفِثَةِ الْغَيْبِ مِّنَ الْمَلَكِيَّةِ
مُنْزَلِينَ ﴿١٢٥﴾ بَلَىٰ إِنْ نَصَبُوا وَتَتَّقُوا وَإِن تَوَكَّلْتُمْ مِنْ قُورِهِمْ
هَذَا يُثَبِّدُ لَكُمْ رِجَالٌ بِخَمْسَةِ الْغَيْبِ مِّنَ الْمَلَكِيَّةِ مَسُومِينَ
﴿١٢٦﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِطَمَيْنَ قُلُوبُكُمْ بِهِ
وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْكَرِيمِ ﴿١٢٧﴾ لِيَقْطَعُ طَرَفًا
مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَآبِيَيْنَ ﴿١٢٨﴾
لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ
ظَالِمُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن
يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٣٠﴾ يَتَأْتِيَ
الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً
وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ
لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣٢﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَارْتَبِعُوا رَسُولَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿١٣٣﴾

[١٢٢] ﴿إِذْ﴾ بَدَلٌ مِنْ «إِذْ» قَبْلَهُ ﴿هَمَّتْ﴾ بَنُو سُلَيْمَةَ وَبَنُو حَارِثَةَ جَنَاحَا
الْعَسْكَرِ ﴿طَلِيفَتَانِ مِنْكُمْ﴾ أَنْ تَفْشَلَا تَجَبُّنَا عَنِ الْقِتَالِ وَتَرْجِعَا لَمَا رَجَعَ
عِبَادُ اللَّهِ مِنْ أُنْبَى الْمَنَاقِبِ وَأَصْحَابِهِ، وَقَالَ: غَلَامٌ نَقَلَتْ أَنْفُسُنَا وَأَوْلَادُنَا؟ وَقَالَ -
لَأَبِي جَابِرٍ السَّلْمِيِّ الْقَاتِلِ لَهُ: أَسْتَنْدِكُمُ اللَّهَ فِي نَبِيِّكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ. - لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا
لَاتَّبَعْنَاهُمَا. فَتَبَتْنَاهُمَا اللَّهُ وَلَمْ يَنْصُرْفَا ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ نَاصِرُهُمَا ﴿وَعَلَى اللَّهِ

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزُولِ آيَةِ (١٢٨): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ عَمْرِو أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرُّكْعَةِ الْآخِرَةِ مِنَ الصَّلَاةِ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ الْعَنِ فُلَانًا وَفُلَانًا وَفُلَانًا»، بَعْدَمَا يَقُولُ:
«سَمِعَ اللَّهُ لِمَن حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ»؛ فَانْزَلَ اللَّهُ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: «ظَالِمُونَ». الْبُخَارِيُّ كِتَابُ التَّفْسِيرِ (٦٥). سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ (٣) بَابُ (٩).
وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَسَرَتْ رِبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشَجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجُمِلَ بِسَلْتِ الدَّمِ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ؟!»
فَانْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾. مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيرِ (٦٤) بَابُ (٣٧) غَزْوَةُ أُحُدٍ.
قَالَ الْحَافِظُ فِي الْفَتْحِ (٧٥/٨): «طَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو أَنَّهُ ﷺ دَعَا عَلَى الْمَذْكُورِينَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي صَلَاتِهِ؛ فَتَزَلَّتْ آيَةُ فِي الْأَمْرِينِ مَعًا؛ فِيمَا وَقَعَ مِنَ الْأَمْرِ الْمَذْكُورِ، وَفِيمَا نَشَأَ
عَنْهُ مِنَ الدَّعَاءِ عَلَيْهِمْ. وَذَلِكَ فِي أَحَدِهِ...».

(١) بِالشَّدِيدِ، وَمَعَهُ فَتْحُ الْوَاوِ، قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ.
(٢) قِرَاءَتَانِ سَبْعَتَانِ، وَهِيَ بِالْكَسْرِ: اسْمُ فَاعِلٍ؛ وَالْمَعْنَى: مُعَلِّمِينَ أَنْفُسَهُمْ آدَابَ الْحَرْبِ، وَبِالْفَتْحِ: اسْمُ مَفْعُولٍ؛ بِمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُمْ آدَابَهُ، وَبِالْفَتْحِ قِرَاءَةُ حِمْرَةٍ وَالْكَسَاءِ وَنَافِعٍ وَابْنِ عَمَرَ.
(٣) هَذَا مَا رَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي «فَضَائِلِهِ» عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ: «كَانَتْ غَسَاتُهُ جَبْرِيلَ يَوْمَ بَدْرٍ صَفْرَاءَ؛ فَتَزَلَّتِ الْمَلَكِيَّةُ كَذَلِكَ».
(٤) هَذَا، مَا رَوَاهُ إِسْحَاقُ وَطَبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَتْ سَبْعَةً الْمَلَكِيَّةُ يَوْمَ بَدْرٍ غَسَاتُهُمْ بَيْضَاءَ، مُعْلَيْنَ بِالصُّوفِ الْأَبْيَضِ فِي تَوَاجِيهِ الدُّوَابِّ وَأَذْنَائِهِمَا»، وَجَمَعَ بَيْنَ الرَّوَاتِبَيْنِ بِأَن جَبْرِيلَ كَانَتْ
عِمَامَتُهُ صَفْرَاءَ، وَغَيْرُهُ كَانَتْ عِمَامَتُهُ بَيْضَاءَ.
(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَةَ (٤٠١٧) وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ، وَأَحْمَدُ (١٢٣٦٦، ١٢٦٦٣) مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ (٢٣٤٦) بِالْفَتْحِ «كَيْفَ يَفْلَحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رِبَاعِيَّتَهُ...».
(٦) أَيِ: «مُضْغَفَةً» وَهِيَ قِرَاءَةُ: بَيْنَ كَثِيرٍ وَابْنِ عَامِرٍ، وَمَعْنَاهَا كَمَا ذَكَرَ الْمُبَرِّدُ: كَانَ الطَّلَبُ يَقُولُ: أَتَقْضِي أَمْ تَرِي؟ فَرُبَّمَا فَعَلَ ذَلِكَ مَرَّةً فَيُزِيدُ الدِّينَ أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً. وَ«مُضْغَفَةً»: إِشَارَةٌ إِلَى
تَكَرُّرِ التَّضْعِيفِ عَمَّا بَعْدَ عَامٍ كَمَا كَانُوا يَضْعِفُونَ، وَهَذَا تَوْحِيدٌ لَا تَقْيِيدٌ أَوْ بِحَسَبِ الْوَاقِعَةِ.

وَلِيْمَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَلَقَدْ كُتِبَ تَمَتُّوتِ أَلْمَوْتِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٥﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبَ مُوَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٨﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٩﴾ فَتَاتَهُمُ اللَّهُ تَوَابًا وَالدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابٍ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٠﴾

﴿١٤٣﴾ وَلِيْمَحْصَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَمَحَقَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٤﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَتْ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبَ مُوَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٨﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٩﴾ فَتَاتَهُمُ اللَّهُ تَوَابًا وَالدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابٍ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٠﴾

﴿١٤٣﴾ وَلَقَدْ كُتِبَ تَمَتُّوتِ أَلْمَوْتِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ﴿١٤٤﴾ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَلَقَدْ كُتِبَ تَمَتُّوتِ أَلْمَوْتِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٨﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٩﴾ فَتَاتَهُمُ اللَّهُ تَوَابًا وَالدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابٍ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٠﴾

﴿١٤٤﴾ وَلَقَدْ كُتِبَ تَمَتُّوتِ أَلْمَوْتِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ﴿١٤٥﴾ وَلَقَدْ كُتِبَ تَمَتُّوتِ أَلْمَوْتِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٨﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٩﴾ فَتَاتَهُمُ اللَّهُ تَوَابًا وَالدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابٍ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٠﴾

﴿١٤٥﴾ وَلَقَدْ كُتِبَ تَمَتُّوتِ أَلْمَوْتِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ ﴿١٤٦﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٨﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٩﴾ فَتَاتَهُمُ اللَّهُ تَوَابًا وَالدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابٍ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٠﴾

﴿١٤٦﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٨﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٩﴾ فَتَاتَهُمُ اللَّهُ تَوَابًا وَالدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابٍ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٠﴾

﴿١٤٧﴾ وَكَانَ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيتُونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٨﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٩﴾ فَتَاتَهُمُ اللَّهُ تَوَابًا وَالدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابٍ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٠﴾

﴿١٤٨﴾ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبَّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٩﴾ فَتَاتَهُمُ اللَّهُ تَوَابًا وَالدُّنْيَا وَحُسْنُ ثَوَابٍ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥٠﴾

(١) ﴿أَمْ﴾ منقطعة، فلذا فسرها المفسر بـ«هل» التي للإشرب الانتقالي.

(٢) المهمة المقدرة للاستفهام الإنكاري.

(٣) أخرجه ابن جرير عن الضحاك (٧٤/٤) من طريق جوير عنه به، وجوير ضعيف جداً كما في التقريب (١٣٦/١) وهو مرسل أيضاً، وضعفه حدداً في الاستيعاب (٣٠٥/١).

(٤) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿فَات﴾.

(٥) يعود إلى النبي، ويحتمل أن يكون الفاعل «ريون»، وعلى القراءة الأولى: (قُلْ) يكون نائب الفاعل: «ريون»، أو ضميراً مستتراً يعود إلى «ني».

(٦) هذا تأويل سبق الرد عليه مراراً وبيان مذهب السلف من إثبات الصفات على الوجه اللائق به - سبحانه - ومن لازم محبته سبحانه للصابرين أن يشيهم ويكرهمهم.

[١٤٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فيما يأمرونكم به ﴿رُدُّوكُمْ إِلَى الْكُفْرِ﴾ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴿قُلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾ فأطيعوه دونهم.

[١٥١] ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ بسكون العين وضماً^(١)؛ الخوف، وقد عزموا بعد ارتحالهم من أخذ على العود واستئصال المسلمين، فزعوا وهم يرجعون^(٢) ﴿يَمَّا أَشْرَكُوا﴾ بسبب إشراكهم ﴿بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ حجة^(٣) على عبادته؛ وهو: الأصنام ﴿وَمَا أُولَئِكَ بِالنَّاصِرِينَ﴾ ما أوى ﴿الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين هي.

[١٥٢] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ إياكم بالنصر ﴿إِذَا تَحْسَنْتُمْ﴾ تقاتلونهم ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿حَتَّى إِذَا فَتِلْتُمْ﴾ جبنتم عن القتال ﴿وَتَنَزَّعْتُمْ﴾ اختفتم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: أمر النبي ﷺ بالمقام في سفح الجبل للرمي؛ فقال بعضهم: نذهب؛ فقد نصبر أصحابنا. وبعضكم: لا نخالف أمر النبي ﷺ ﴿وَعَصَيْتُمْ﴾ أمره؛ فتركتم المركز؛ لطلب الغنيمة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ اللَّهُ﴾ مَّا جَبْتُمْ^(٤) من النصر، وجواب «إذا» ذلَّ عليه ما قبله؛ أي: منعكم نصره ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ فترك المركز للغنيمة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾ فثبت به حتى قتل كعب الله بن جبير وأصحابه^(٥) ﴿ثُمَّ مَكَنَّاكُمْ﴾ عطف على جواب «إذا» المقدر: رَدُّكُمْ بِالْهَزِيمَةِ عَنْهُمْ^(٦) أي: الكفار ﴿لِيَتْلِيَكُمْ﴾ ليمتحنكم؛ فيظهر المخلص من غيره ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ﴾ ما ارتكبتموه ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالعفو.

[١٥٣] اذْكُرُوا ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ تبعدون في الأرض هارين ﴿وَلَا تَلُوتُ﴾ تُعْرَجُونَ ﴿عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجَكُمْ﴾ أي: من وراءكم؛ يقول: ﴿إِنِّي عِبَادُ اللَّهِ﴾^(٧) ﴿فَأَتَيْنَكُمْ﴾ فجازاكم^(٨) ﴿عَمَّا﴾ الهزيمة ﴿يَعْمَ﴾ بسبب غمكم للرسول بالخلفة، وقيل: الباء بمعنى: على؛ أي: مضاعفاً على غم فُوت الغنيمة ﴿لِكَيْلَا﴾ متعلق بـ«عفا»، أو بـ«أتيناكم»؛ فلا زائدة^(٩) ﴿تَحْذَرُوا عَلَ مَا قَاتَكُمُ﴾ من الغنيمة ﴿وَلَا مَا أَصَبَكُمْ﴾ من القتل والهزيمة ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ يَمَّا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا أُولَئِكَ بِالنَّاصِرِينَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحْسِنْتُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَتِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرْسَلَكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلُوتُ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أَخْرَجَكُمْ فَأَتَيْنَكُمْ عَمَّا يَكِيدُونَ لِكَيْلَا تَحْذَرُوا عَلَى مَا قَاتَكُمُ وَلَا مَا أَصَبَكُمْ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

(١) بالضم لابن عامر والكسائي.

(٢) أخرجه ابن جرير عن السدي (٨١/٤) وضعفه جداً في الاستيعاب (٣٠٧/١).

(٣) سميت سلطاناً؛ لوضوحها وإثارتها، أو لقوتها ونفوذها.

(٤) أخرجه البخاري (٣٠٣٩).

(٥) أخرجه الطبري عن السدي (٨٠٥٠).

(٦) جعل الإنابة بمعنى: العقاب، وأصلها في الحسنات؛ لأنه وضعها موضع الثواب؛ ومعناه: جعل مكان الثواب الذي كنتم ترجون ﴿عَمَّا يَكِيدُونَ﴾.

(٧) قوله: «ولا زائدة» راجع إلى تعليق «كلام» بـ«أتيناكم» فقط؛ والمعنى: فجازاكم بالغم لأجل أن تحزنوا، أما إذا كانت متعلقة بـ«عفا» فلا تكون زائدة؛ أي: عفا عنكم لأجل أن ينتفي حزركم.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَشْعِي طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخَفِّفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَقُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُرَى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مِتُّمْ لَمَعَفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾

[١٥٤] ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً﴾ أمناً^(١) ﴿نُّعَاسًا﴾ بدل^(٢) ﴿يَشْعِي﴾ بالياء والناء^(٣) ﴿طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ وهم المؤمنون؛ فكانوا يبدون^(٤) تحت الحجب^(٥) وتسقط السيوف منهم ﴿وَلَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ أي: حملتهم على الهيم؛ فلا رغبة لهم إلا بنجاتها دون النبي وأصحابه؛ فلم يناموا؛ وهم المناقرون ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ ظَنًّا غَيْرَ الظَّنِّ

﴿الْحَقِّ ظَنًّا﴾ أي: كظنَّ ﴿الْجَاهِلِيَّةِ﴾ حيث اعتقدوا أن النبي قُبِلَ^(٦) أو لا يُضَرُّ ﴿يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ﴾ أي: النصر الذي وعدناه ﴿مِنْ زَائِدَةٍ غَيْرِ قُلُوبِهِمْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ﴾ بالنصب تأكيد، أو الرفع مبتدأ خبره: ﴿لِلَّهِ﴾ أي: القضاء له، يفعل ما يشاء ﴿يُخَفِّفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يَبْدُونَ﴾ يظهرون ﴿لَكَ﴾ بقرائن، بيان لما قبله ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾ أي: لو كان الاختيار إلينا، لم نخرج؛ فلم نقل، لكن أخرجنا كرهنا ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ وفيكم من كَتَبَ اللَّهُ عليه القتل ﴿لَبَرَزَ﴾ خرج ﴿الَّذِينَ كُتِبَ﴾ قضِيَ ﴿عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ﴾ منكم ﴿إِنْ مَضَاجِعِهِمْ﴾ مصارعهم؛ فيقتلوا، ولم ينجم قعودهم؛ لأن قضاء - تعالى - كائن لا محالة ﴿وَلَوْ﴾ فعل ما فعل بأخيه ﴿لِيَبْتَلِيَ﴾ يختبر ﴿اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ قلوبكم من الإخلاص والنفاق ﴿وَلِيُمَحَّصَ﴾ يميز ﴿مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب، لا يخفى عليه شيء؛ وإنما يبتلي؛ ليظهر للناس.

[١٥٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ﴾ عن القتال ﴿يَوْمَ أَلْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ جفغ المسلمون وجفغ الكفار بأخيه؛ وهم: المسلمون إلا اثني عشر رجلاً ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمْ﴾ أزلهم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ بوسوسه ﴿بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ من الذنوب وهو مخالفة أمر النبي ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ للمؤمنين ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يتعجل على العصاة.

[١٥٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: المناققين ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾ أي: في شأنهم ﴿إِذَا ضَرَبُوا﴾ سافروا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ فماتوا ﴿أَوْ كَانُوا غُرَى﴾ جفغ غار؛ فيقتلوا: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ أي: لا تقولوا قتلهم ﴿لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ﴾ القول في عاقبة أمرهم ﴿حَسْرَةً﴾ في قلوبهم ﴿وَاللَّهُ يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ﴾ فلا يمنع عن الموت قعود ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالناء والياء^(١) ﴿بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١٥٧] ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الجهاد ﴿أَوْ مِتُّمْ﴾ بضم الميم وكسر هاء^(٢)؛ من مات يموت^(٣) ويمُتُّ^(٤) أي: أُنَاكَم الموت فيه ﴿لَمَعَفِرَةٌ﴾ كائنة ﴿بِرَبِّكَ﴾ لذنوبكم ﴿وَرَحْمَةٌ﴾ منه لكم على ذلك، واللام ومدخلها جواب القسم^(٥)، وهو في موضع الفعل، مبتدأ خبره: ﴿خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ من الدنيا بالياء والياء^(٦).

(١) أشار بذلك إلى أن الأمانة والأمن بمعنى واحد، وهو الطمأنينة سواء زال الخوف أم لا؟ وقيل: إن الأمن هو الطمأنينة مع رواي سبب الخوف، والأمانة هي الطمأنينة مع وجود أسبابه.

(٢) أي: بدل كل من كل وهو ظاهر، لأن الأمانة هي التعاس بهيئها، وقيل: بدل اشتغال؛ لأن الأمانة لها اشتغال بالعباس وهو له اشتغال بها؛ لأنه لا يحصل التعاس إلا للأمن.

(٣) بالناء قراءة حمزة والكسائي، وعلى الباء الضمير عائد على التعاس، وعلى الناء الضمير عائد على الأمانة.

(٤) أي: ييولون.

(٥) جمع حجة: اسم للترس والدرقة.

(٦) أي: ولن يظهر دبه ولا يتم ما دعا إليه.

(٧) أشار به إلى أنه استفهام إنكاري معناه النفي.

(٨) وجملة ﴿كُلُّ شَيْءٍ خَيْرٌ مِنْ﴾، والرفع قراءة أبي عمرو.

(٩) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(١٠) بالكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(١١) قوله: (مَنْ مَاتَ يَمُوتُ)، راجع إلى قراءة الضم، من باب: قال يقول، وأصله: يموت؛ بسكون الميم وضم الواو، نقلت حركة الواو إلى الساكن قبلها.

(١٢) قوله: (وَيَمُوتُ)، راجع إلى قراءة الكسر؛ وهي من باب: خاف يخاف، وأصله: من مات يموت؛ بسكون الميم وفتح الواو، نقلت فتحة الواو إلى الساكن قبلها، ثم تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلت ألقا.

(١٣) وجوب الشرط محذوف دل عليه جواب القسم؛ لقول ابن مالك: واحذف لدى اجتماع شرط وقسم * جواب ما أعرت فهو ملزم

(١٤) بالناء قراءة السبعة عدا حفص.

[١٥٨] ﴿وَلَيْنَ لَمِ قَسَمٌ مِّمَّنْ﴾ بالوجهين^(١) ﴿أَوْ قِيلَتْ﴾ في الجهاد وغيره ﴿لِإِلَهِ اللَّهِ﴾ لا إلى غيره ﴿تُحْشَرُونَ﴾ في الآخرة؛ فيجازيكم.

[١٥٩] ﴿فِيمَا رَحِمَ مِنْ اللَّهِ لَيْتَ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ﴾ أي: سهلت أخلاقك إذ خالفوك ﴿وَوَكُنْتُ فَطًّا﴾ سَجَى الخلق ﴿عَلَيْتُ الْقَلْبَ﴾ جافيتا فأغلظت لهم ﴿لَا تَقْضُوا﴾ تفرقوا ﴿مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ﴾ تجاوز ﴿عَنْهُمْ﴾ ما أتوه ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ ذنوبهم حتى أغفر لهم ﴿وَشَاوَرَهُمْ﴾ استخرج آراءهم ﴿فِي الْأَمْرِ﴾ أي: شأنك من الحرب وغيره؛ تطييبا لقلوبهم، وليستئذ بك، وكان ﷺ كثير المشاورة بهم ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ﴾ على إمضاء ما تريد بعد المشاورة ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثوبه لا بالمشاورة ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ عليه.

[١٦٠] ﴿إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ﴾ يُعِنِّكُمْ على عدوكم؛ كيوم بدر ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ يترك نصركم؛ كيوم أُحُد ﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصَرِكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد خذلانه؛ أي: لا ناصر لكم ﴿وَعَلَى اللَّهِ﴾ لا غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾. ونزلت - لما فقدت قطيفة حمراء يوم أُحُد؛ فقال بعض الناس: لعل النبي أخذها -: [١٦١] ﴿وَمَا كَانَ﴾ ما ينبغي ﴿لِيَنْبِيَ أَنْ يُدَلَّ﴾ يخون في الغنمة؛ فلا تظنوا به ذلك، وفي قراءة بالبناء للسمْعول^(٢)؛ أي: أنْ يُنْسَبَ إلى الغلول ﴿وَمَنْ يَفْلِتْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ حاملًا له على عنقه ﴿ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ الغلَّ وغيره جزاء ﴿مَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿وَهُمْ لَا يُلْطَوْنَ﴾ شيئًا^(٣).

[١٦٢] ﴿أَقْمِنِ أَتَّبِعَ رِضْوَانُ اللَّهِ﴾ فأطاع ولم يغل ﴿كَمَنْ يَلَهُ﴾ رجع ﴿يَسْخَطُ مِنْ اللَّهِ﴾ لمصيته وغلوه ﴿وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي؛ لا^(٤). [١٦٣] ﴿هُمْ دَرَجَتٌ﴾ أي: أصحاب درجات ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي: مختلفو المنازل؛ فليكن أتبغ رضوانه الثواب، وليز ثبأه يسخطه العقاب ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ﴾ بما يعملون ﴿فيجازيهم به. [١٦٤]﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ أي: عربيًا مثلهم؛ ليفهموا عنه ويشرفوا به، لا ملكًا ولا عجميًا ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ﴾ القرآن ﴿وَوَرِّضَهُمْ﴾ يظهريهم من الذنوب ﴿وَوَعَّظَهُمْ﴾ الكِتَابَ ﴿الْقُرْآنَ﴾ والحِكْمَةَ السنة ﴿وَوَانَ﴾ مخففة؛ أي: إنهم ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل بعثه ﴿لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بَيِّن.

[١٦٥] ﴿أَوْ لَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ يأخذ بقتل سبعين منكم ﴿قَدْ أَصَابَكُمْ مُثْلَهَا﴾ بيد بقتل سبعين وأسر سبعين منهم ﴿فَلْتَرْجِعْ﴾ متعجين: ﴿أَنْتَ﴾ من أين لنا ﴿هَذَا﴾ الخذلان ونحن مسلمون ورسول الله فينا؟! والجملة الأخيرة^(٥) محل الاستفهام الإنكاري^(٦) ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ لأنكم تركتم المركز؛ فخذلتم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه النصر ومنعه، وقد جازاكم بخلافكم.

وَلَيْنَ مَثَرُ أَوْ قِيلَتْ لِي لِي اللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَيْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتُ فَطًّا غَلِظَ الْقَلْبَ لَا نَقْضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَنْصَرِكُمْ اللَّهُ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ثُمَّ تَوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ أَقْمِنِ أَتَّبِعَ رِضْوَانُ اللَّهِ كَمَنْ يَلَهُ اللَّهُ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطِ مِنَ اللَّهِ وَمَا وَنَهُ جَهَنَّمَ وَيَسَّ الْمَصِيرُ ﴿١٦١﴾ هُمْ دَرَجَتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٢﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٦٣﴾ أَوْلَمَّا أَصَابَكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبَتْكُمْ مِثْلَهَا قُلْتُمْ أَنْ هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٦١): أخرج أبو داود عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِيَنْبِيَ أَنْ يُدَلَّ﴾ في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعل رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ لِيَنْبِيَ أَنْ يُدَلَّ﴾ إلى آخر الآية. أبو داود - كتاب الحروف والقراءات (٢٤) رقم (٣٩٧١). وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣٦٠).

(١) أي: ضم الميم وكسرهما، والكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(٢) رواه أبو داود (٣٩٧١)، والترمذي (٣٠٠٩)، وانظر ما جاء في نزول الآية، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٣٦٠).

(٣) لحمزة والكسائي ونافع وابن عامر.

(٤) قوله: (لا)، جواب الاستفهام.

(٥) وهي قوله: ﴿فَلْتَرْجِعْ﴾.

(٦) أي: فهو بمعنى النفي؛ والمعنى: لا تقولوا ذلك حين أصابكم مصيبة؛ لأنه من عند أنفسكم؛ فسيه ظاهر لا يتعجب منه.

للمؤمنين، وكانوا قبل أقرب إلى الإيمان من حيث الظاهر ﴿يَقُولُونَ﴾
بأفوههم مآ لئس في قلوبهم ﴿ولو علموا قتلاً لم يتبعوكم﴾ والله أعلم
بما يكتمون من النفاق.

[١٦٨] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله^(١)، أو نعت ﴿قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾
في الدين ﴿وَقَدْ قَاتَلُوا﴾ عن الجهاد: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا﴾ أي: شهداء أخيه
أو إخواننا في القعود ﴿مَا قُتِلُوا قُلٌّ﴾ لهم: ﴿فَادْرَوْا﴾ ادفعوا ﴿وَعَنْ﴾
أنفسكم الموت إن كنتم صديقين ﴿في أن القعود ينجي منه﴾.
[١٦٩] ونزل في الشهداء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ بالتخفيف
والتشديد^(٢) ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لأجل دينه ﴿أَمْوَاتًا بَلْ﴾ هم ﴿أَحْيَاءُ﴾
عند ربهم ﴿أرواحهم في حواصل طيور تحضر تسرح في الجنة حيث شاءت؛
كما ورد في الحديث^(٣) ﴿يَرْزُقُونَ﴾ يأكلون من ثمار الجنة^(٤).

[١٧٠] ﴿وَرَحِيمٍ﴾ حال من ضمير «يرزقون» ﴿يَسَاءَ عَاتَتْهُمُ اللَّهُ مِنْ﴾
فضله ﴿وَمِنْ﴾ هم ﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾ يفرحون ﴿بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ﴾
من إخوانهم المؤمنين، ويبدل من «الذين» ﴿وَأَنْ﴾ بآن ﴿لَا خَوْفٌ﴾
عليهم ﴿أَي: الذين لم يلحقوا بهم﴾ ولا هم يحزنون ﴿في الآخرة﴾ المعنى:
يفرحون بأمنهم وفرحهم.

[١٧١] ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ﴾ ثواب ﴿مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ زيادة عليه
﴿وَأَنَّ﴾ بالفتح عطفًا على «نعمة» وبالكسر استئنافًا^(٥) ﴿اللَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَ﴾
المؤمنين ﴿بل يأجرهم﴾.

[١٧٢] ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ دعاء بالخروج
للقاتل؛ لما أراد أبو سفيان وأصحابه العودة^(٦)، تواعدوا مع النبي ﷺ سوق بدر
العام المقبل من يوم أُحُد ﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ بأُحُد^(٨)، وخبر
المبتدأ: ﴿بِالَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَأَتَوْا﴾ مخالفتهم ﴿أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾
هو الجنة.

[١٧٣] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل من «الذين» قبله، أو نعت ﴿قَالَ لَهُمُ النَّاسُ﴾
أي: نعيم بن مسعود الأشجعي: ﴿إِنَّ النَّاسَ﴾ أبا سفيان وأصحابه ﴿قَدْ﴾
جَبَعُوا كَتَمَ: الجموع؛ ليسأصلوكم ﴿فَأَخَذْتَهُمْ﴾ ولا تأتوهم ﴿فَزَادَهُمْ﴾
ذلك القول ﴿إِيْنَانًا﴾ تصديقًا بالله وبقيناه ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ كافيًا
أمرهم ﴿وَيَعْتَمِدُ الْوَكِيلُ﴾ المفوض إليه الأمر هو، وخرجوا مع النبي ﷺ؛
فوافوا سوق بدر، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه؛ فلم يأتوا،
وكان معهم تجارات فباعوا وريحوا^(٩). قال الله - تعالى -:

وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فِإِذَنْ اللَّهُ وَلِعَلَّ الْمُؤْمِنِينَ
وَلِعَلَّ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا فَيَقْتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَوْ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبَعَتْكُمْ هُمُ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ
أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا
لَوْ أَطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا قُلٌّ فَادْرَوْا وَعَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتُ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزُقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ
مِنْ خَلْفِهِمْ أَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ يَسْتَبْشِرُونَ
بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ
الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرَ عَظِيمٍ
الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ
فَزَادَهُمْ إِيْمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

[١٦٦] ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾ بأُحُد ﴿فِإِذَنْ اللَّهُ﴾ بإرادته
﴿وَلِعَلَّ﴾ علم ظهور^(١) ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ حقًا.

[١٦٧] ﴿وَلِعَلَّ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ الذين ﴿قِيلَ لَهُمْ﴾ لما انصرفوا عن
القتال؛ وهم: عبد الله بن أبي وأصحابه: ﴿تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾
أعداءه ﴿أَوْ ادْفَعُوا﴾ عنا القوم بتكثير سوادكم إن لم تقاتلوا ﴿قَالُوا لَوْ﴾
نَعْلَمُ نُحِبُّنَ^(٢) ﴿وَقِتَالًا لَا تَبَعَتْكُمْ﴾ قال - تعالى - تكذبت ألسنتهم:
﴿هُمْ لِلْكَفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ بما أظهروا من خذلانهم

(١) ما جاء في نزول الآية (١٦٩): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد حمل الله أرواحهم في جوف طير تحضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أننا أحياء في الجنة نرزق، فلا يرهبوا في الجهاد ولا يتكلموا عند الحرب؟ فقال الله سبحانه: أنا أعلمهم عنكم. قال: فأنزل الله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ إلى آخر الآية. أبو داود كتاب الجهاد (٩) باب (٢٧) في فضل الشهادة. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٢١٩٩).

(١) أي: بالنسبة للخلق.

(٢) وفي الآية قول آخر لعله الأقرب، وهو أن المعنى: لو تعلم أنه سيكون قتال لقاتلنا معكم. وفي الإتيان (١٢٧/٢) قال الشيخ السيوطي رحمه الله في كلامه على الحذف: «نحو ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَا تَبَعَتْكُمْ﴾ أي: مكان قتال، والمراد مكانًا صالحًا للقتال، وإنما كان كذلك لأنهم كانوا أخير الناس بالقتال، ويتفكرون بأن يتفوهوا بأنهم لا يعرفونه، فالعادة تمنع أن يريدوا: لو تعلم حقيقة القتال، فلذلك قدره مجاهد: مكان قتال». (٣) وهو قوله: ﴿الَّذِينَ نَافَقُوا﴾. (٤) بالتشديد قراءة ابن عامر. (٥) رواه مسلم من حديث ابن مسعود (١٨٨٧)، وسبق ذكره وتخريجه عند الآية (١٥٤) من سورة البقرة. (٦) بالكسر قراءة الكسائي. (٧) أخرج نحوه النسائي في التفسير (٣٤٣/١)، والطبراني في الكبير عن ابن عباس (١١/١١٣٢)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢١/٦): «ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن منصور الجواز، وهو ثقة، وصححه السيوطي في الدر المنثور (٢٨٥/١)». وقال الحافظ في الفتح (٢٢٨/٨-٢٢٩): «الحفظ لإرساله عن عكرمة ليس فيه ابن عباس... وضعفه في الاستيعاب (٣٣٤/١)». (٨) فيه أن الذين استجابوا لله والرسول ﷺ هم الذين حضروا أحدًا، ونزلت في أهل أحد حين داهم للقتال ثانية، وقال: «لا يخرج نفعًا إلا من شهد القتال»، واستجاب له المسلمون على ما بهم من الجرح الشديد والخوف المريد، وسار ﷺ والمسلمون معه حتى بلعوا حجارة الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة، فالآية ليست في غزوة بدر الموعدة كما ذهب لبعضهم. وقول المفسر: لما أراد أبو سفيان وأصحابه... إلخ غير صحيح؛ إذ إن خروجه ﷺ والصحابه لم يكن نتيجة إرادة أبي سفيان وأصحابه العود كما ذكر.

(٩) ذكره الواقدي في مغاريه (٢٨٤/١)، وأكثر أهل السير أن هذه الحادثة كانت بعد أحد في حمره الأسد، ويؤيده ما أخرجه في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت لعروة: يا ابن أخي كان أبوك، منهم الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون: خاف أن يرجعوا، قال: «من ذهب في إثرهم ... الحديث» البخاري (٤٠٧٧)، ومسلم (١٨٨١).

[١٧٤] ﴿فَأَنقَلَبُوا﴾ رجعوا من بدر ﴿بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾ بسلامة وريح ﴿لَمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ﴾ من قتل أو جرح ﴿وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾ بطاعته واطاعة رسوله في الخروج ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ على أهل طاعته.

[١٧٥] ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ﴾ أي: القاتل لكم: إن الناس... إلخ ﴿الشَّيْطَانُ يَوْفَىٰ﴾ كُمْ ﴿أُولَآئِهِمُ﴾ الكفار ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُون﴾ في ترك أمري ﴿إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ حقًا.

[١٧٦] ﴿وَلَا يَخْزِيكَ﴾ بضم الباء وكسر الزاي^(١)، ويفتحها وضم الزاي: من «خزته» لغة في «أخزته»^(٢) ﴿الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ﴾ يقعون فيه سريعًا بنصرته؛ وهم: أهل مكة أو المنافقون؛ أي: لا نهتم لكفرهم ﴿إِنَّهُمْ لَن يَصْرِوْاَ اللَّهَ شَيْئًا﴾ بفتحهم؛ وإنما يضرون أنفسهم ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا﴾ نصيبًا ﴿فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة؛ فلذلك خذلهم الله ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في النار.

[١٧٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ أَشْرَكُوا بِالْإِيمَانِ ﴿أَي: أَخَذُوهُ بِدَلَّةٍ﴾ لَن يَصْرِوْاَ اللَّهُ بكفرهم ﴿شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[١٧٨] ﴿وَلَا يَحْسِنَنَّ﴾ بالياء والتاء^(٣) ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّي﴾ أي: إملأنا ﴿لَهُمْ﴾ بتطويل الأعمار وتأخيرهم ﴿خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ وأن «و» معمولها سدت مسد المفعولين في قراءة التحتانية، ومسد الثاني في الأخرى ﴿إِنَّمَا نُثَلِّي﴾ نعمل ﴿لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا﴾ بكثره المعاصي ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ ذو إهانة في الآخرة.

[١٧٩] ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ﴾ ليعترك ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ﴾ أيها الناس ﴿عَلَيْهِ﴾ من اختلاط المخلص بغيره ﴿حَتَّىٰ يَمِيزَ﴾ بالتخفيف والتشديد؛ يفصل ﴿الْخَبِيثَ﴾ المنافق ﴿مِنَ الطَّيِّبِ﴾ المؤمن بالتكاليف الشاقة المبينة لذلك؛ ففعل ذلك يوم أُحُد ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾ فتعرفوا المنافق من غيره قبل التمييز ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي﴾ يختار ﴿مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ﴾ فيطبعه على غيبه؛ كما أطلع النبي ﷺ على حال المنافقين ﴿فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ النفاق ﴿فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلَا يَحْسِنَنَّ﴾ بالياء والتاء^(٤) ﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: بركاته ﴿هُوَ﴾ أي: بخلهم ﴿خَيْرٌ لَّهُمْ﴾ مفعول ثان، والضمير للفصل، والأول^(٥) «بخلهم» مقدراً قبل الموصول على الفوقانية^(٦)، وقبل الضمير على التحتانية^(٧) ﴿بَلْ هُوَ مَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ﴾ أي: بركاته من المال ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ بأن يجعل حية في عنقه تنهشه؛ كما ورد في الحديث^(٨) ﴿وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ يرثهما بعد فناء أهلها ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالباء والياء^(٩) ﴿خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

(١) وهي قراءة نافع.

(٢) قوله: «من «خزته»... إلخ» راجع إلى القراءة الثانية بفتح الباء وضم الزاي.

(٣) قرأتان سيجتان، وبإتاء قراءة حمزة. وعلى قراءة التاء وهي قراءة حمزة: الخطاب للنبي ﷺ، وقوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مفعول أول ل (تحسين)، وقوله: ﴿أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ﴾ في محل المفعول الثاني. وعلى قراءة الياء - وهي قراءة الباقيين - : يكون قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل (تحسين) وقوله: ﴿أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ خَيْرٌ...﴾ سد مسد مفعوليها كما ذكر المفسر.

(٤) التاء: قراءة حمزة، وبالياء قرأ الباقون.

(٥) أي المفعول الأول.

(٦) أي فتقديره: (ولا تحسن الذين يبخلون... إلخ) خبراً لهم؛ فقول المفسر: «بخلهم» فيه تسامح؛ لأن المقدّر قبل الموصول يكون مضافاً له لا للضمير، وإنما المضاف إلى الضمير هو ما قدر قبله.

(٧) أي فتقديره: (ولا يحسن الذين يبخلون... إلخ) بخلهم خبراً لهم.

(٨) وهو قوله ﷺ: «مثل مال مانع الزكاة شجاع أقرع له زبيبتان، يأخذ بلمرئيه ويقول: أنا كنزك، أنا مالك، ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسِنَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ﴾... الآية. البخاري (٤٥٦٥)، ومسلم (٩٨٨).

(٩) بالياء قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وبالتاء قرأ الباقون.

فَأَنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّهِنَّ سُوءٌ وَأَتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أُولَآئِهِ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَخْزِيكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَصْرِوْاَ اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَشْرَكُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَن يَصْرِوْاَ اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسِنَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُثَلِّي لَهُمْ لِيَزَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ فَتَأْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحْسِنَنَّ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

نَكَبَ ﴿وَقَتْلَهُمْ﴾ بالنصب والرفع^(١) ﴿الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ﴾
 بالنون والياء^(٢)؛ أي: الله لهم في الآخرة على لسان الملائكة: ﴿ذُوقُوا
 عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ النار. ويقال لهم إذا ألقوا فيها: [١٨٢] ﴿ذَلِكَ﴾
 العذاب ﴿بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها عن الإنسان؛ لأن أكثر الأفعال تُزاولُ
 بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي: بذي ظلم^(٣) ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ فيعذبهم بغير
 ذنب. [١٨٣] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت للذين قبله ﴿قَالُوا﴾ محمد: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾
 قد ﴿عٰهَدَ إِلَيْنَا﴾ في التوراة ﴿أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ﴾ نصده عنه ﴿حَتَّىٰ يَأْتِيََنَا﴾
 بِقُرْآنٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ فلا نُؤْمِنُ لك حتى تأتينا به؛ وهو ما يُتَّقَوَّبُ به إلى
 الله من نعم وغيره، فإن قيل جاءت نار بيضاء من السماء فأحرقتهم، وإلا بقي
 مكانه، وعُهد إلى بني إسرائيل ذلك إلا في المسيح ومحمد، قال - تعالى -:
 ﴿فَلَمَّا﴾ لهم توبيخاً: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ بالمعجزات
 ﴿وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ﴾ إن كنتم صديقين^(٤) ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنكم تؤمنون عند الإنيان به^(٥). [١٨٤] ﴿فَإِنْ﴾
 كَذَّبْتُمْ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكُمْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ﴿وَالَّذِينَ﴾
 كصحف إبراهيم ﴿وَالَّذِينَ﴾ وفي قراءة: ياتيات الباء فيها^(٦) ﴿الْمُنِيرِ﴾
 الواضح؛ هو: التوراة والإنجيل؛ فاصبر كما صبروا.

[١٨٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِلَّمَّا تُوَفِّيَتْ أَجُورُكُمْ﴾ جزاء
 أعمالكم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ﴾ بعد ﴿عَنِ الْكُنَّارِ﴾ وأدخل الجنة
 فَقَدْ قَارَىٰ نَالَ غَايَةَ مَطْلُوبِهِ^(٧) ﴿وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ أي: العيش فيها ﴿إِلَّا﴾
 مَتْنَعٌ الْمُرُورِ الباطل؛ يتمتع بها قليلاً ثم يفتنى.

[١٨٦] ﴿تُسَبِّحُونَ﴾ حذف منه نون الرفع؛ لتوالي النونات، والواو
 ضمير الجمع؛ لانتفاء الساكنين؛ لُحْثِيُونَ ﴿فِي أَمْوَالِكُمْ﴾ بالفرائض فيها
 والحوالح ﴿وَأَنْفُسِكُمْ﴾ بالعادات والبداء ﴿وَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الَّذِينَ أَوْتُوا
 الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ اليهود والنصارى^(٨) ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ من
 العرب ﴿أَذْكَىٰ كَثِيرًا﴾ من السب والطعن والتشبيب^(٩) بنسائكم
 ﴿وَأِنْ تَصْبِرُوا﴾ على ذلك ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الله ﴿فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ﴾
 الْأُمُورِ أي: من معزوماتها التي يحرم عليها؛ لوجوبها.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ
 سَنَكُفُّ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْآبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ
 ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨٦﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ
 وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٨٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ
 عٰهَدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِيََنَا بِقُرْآنٍ
 تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِ يَأْتِيَنَّكُمْ
 وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلَمَّ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
 ﴿١٨٨﴾ فَإِنْ كَذَّبُوكُمْ فَقَدْ كُذِّبَ رَسُولٌ مِنْ قَبْلِكُمْ جَاءَكُمْ
 بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٩﴾ كُلُّ نَفْسٍ
 ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَلَمَّا تُوَفِّيَتْ أَجُورُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَارَىٰ وَمَا
 الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتْنَعُ الْغُرُورِ ﴿١٩٠﴾ تَسْبَحُونَ فِي
 أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا
 الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذْيَ كَثِيرٍ
 وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٩١﴾

[١٨١] ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾
 وهم اليهود قالوه لما نزل: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ وقالوا: لو
 كان غنياً ما استقرضنا^(١). ﴿سَنَكُفُّ﴾ نأمر بكتب ﴿مَا قَالُوا﴾ في
 صحائف أعمالهم؛ ليجازوا عليه، وفي قراءة: بالياء مبنياً للمفعول^(٢) ﴿وَوَقُلْ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٦): أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن أبيه - وكان أحد الثلاثة الذين تب عليهم - وكان كعب بن الأشرف يهجو النبي ﷺ ويحرض عليه كفار قريش وكان النبي ﷺ حين قدم المدينة وأهلها أخلاط، منهم المسلمون، ومنهم المشركون يعبدون الأوثان، واليهود. وكانوا يؤذون النبي ﷺ وأصحابه. فأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بالصبر والعفو، ففهم أنزل الله: ﴿وَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ الآية. فلما أبى كعب بن الأشرف أن ينزع عن أذى النبي ﷺ أمر النبي ﷺ سعد بن معاذ أن يبعث رجلاً يقتلونه، فبعث محمد بن مسلمة - وذكر قصة قتله، فلما قتلوه فرغت اليهود والمشركون، فعدوا على النبي ﷺ، فقالوا: طرق صاحبنا قتل. فذكر لهم النبي ﷺ الذي كان يقول. ودعاهم النبي ﷺ إلى أن يكف عنه وبينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه. فكف النبي ﷺ عنه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة.

أبو داود - كتاب الخراج والإمارة (١٤) باب (٢٢) كيف كان إخراج اليهود من المدينة. (صحيح الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٢٠٩٤).

(٢) أي: (سُكِبَ) وهي قراة حمزة.

(١) أخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٤٦٠/٢). عن ابن عباس بسند حسن.

(٣) لف ونشر مرتب؛ والنصب (وقتلهم): على قراءة (شون) وهي قراءة حمزة، والرفع (وقتلهم): على قراءة الباء للبيان.

(٤) على التفصيل في الهامش السابق.

(٦) قرأ هشام: (وبالزبر وبالكتاب)، وقرأ ابن ذكوان: (وبالزبر والكتاب).

(٧) هذا التفسير يورث عدم إثبات رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة، وهو مذهب المعتزلة - الذي هو أعظم نعيم وغاية مطلوب، كما قال البلقيني: استخرجته من الكشف اعتزلاً بالناقض من تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ الْكُنَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ قَارَىٰ﴾. قال: أي فوز أعظم من دخول الجنة، أشار به إلى عدم الرؤية. والمصنف مذهبه إثبات الرؤية كما في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَا تَذَرِكُمْ إِلَّا الْأُمَمَ...﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: أي لا تراه، وهذا مخصوص؛ لرؤية المؤمنين له في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْبُيُوتُ كَالْعِزَّةِ﴾ [البقرة: ٢٢، ٢٣]، وحديث الشيخين: ﴿إنكم سترون ربكم...﴾.

(٨) أي بذكر محاسنهن وأوصافهن بالفصائد، وتناشدها بينهم، وكان يفعل ذلك كعب بن الأشرف، لعنه الله.

[١٨٧] ﴿وَذَكَرْ﴾ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ: أَي: العهد عليهم في التوراة ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُ﴾ أَي: الكتاب ﴿لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ أَي: الكتاب، والباء والتاء في الفعلين^(١) ﴿فَتَبَيَّنَهُ﴾ طرحو الميثاق ﴿وَرَأَى ظُهُورَهُمْ﴾ فلم يعملوا به ﴿وَأَشْتَرَوْا بِهِ﴾ أَخَذُوا بَدْلَهُ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا من سفلتهم برياستهم في العلم، فكتموه خوف فوته عليهم ﴿يَتَسَاءَلُونَ﴾ شراؤهم هذا.

[١٨٨] ﴿لَا يَتَحَسَّبُ﴾ بالباء والتاء^(٢) ﴿الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُوا﴾ فعلوا في إضلال الناس ﴿وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ من التمسك بالحق وهم على ضلال ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ في الوجهين^(٣) تأكيد ﴿بِمَقَادِرِهِ﴾ بمكان ينجون فيه ﴿وَمِنَ الْعَذَابِ﴾ في الآخرة؛ بل هم في مكان يعذبون فيه؛ وهو: جهنم ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم فيها^(٤)، ومفعولا «بحسب» الأولى ذل عليها مفعولا الثانية على قراءة التحتانية^(٥)، وعلى الفوقانية حذف الثاني فقط^(٦). [١٨٩] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خزائن المطر والرزق والنبات وغيرها ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه تعذيب الكافرين وإلجاء المؤمنين.

[١٩٠] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وما فيها من العجائب ﴿وَأَخْتِلَافِ أَلْبُلِّ وَالنَّهَارِ﴾ بالجيء والذهاب، والزيادة والنقصان ﴿لَا تَكُنَّ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لِأُولَى الْأَلْبَتِ﴾ لدوي العقول. [١٩١] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت لما قبله، أو بدل ﴿يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ مضطجعين؛ أي: في كل حال، وعن ابن عباس: يصلون كذلك حسب الطاقة ﴿وَيَتَذَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ليستدلوا به على قدرة صانعهما، يقولون: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا﴾ خلق الذي نراه ﴿بَطَلًا﴾ حال، عبثا؛ بل دليلا على كمال قدرتك ﴿سُبْحَانَكَ﴾ تنزيها لك عن العبث ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

[١٩٢] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ﴾ للخلود فيها ﴿فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ﴾ أَهْنَتْهُ ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ الكافرين، فيه وُضِعَ الظاهر موضع المضمي^(٧)؛ إشعارا بتخصيص الخزي بهم ﴿وَمِنْ زَائِدَةٍ﴾ أَنْصَارٍ يمنعونهم من عذاب الله - تعالى.

[١٩٣] ﴿رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي﴾ يدعو الناس ﴿لِلْإِيمَانِ﴾ أي: إليه؛ وهو: محمد، أو إقرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾ به ﴿رَبَّنَا فَاعْفُ رَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ غَطًّا﴾ غَطًّا^(٨) عَنَّا سَيِّئَاتِنَا فلا تظهرها

وَأَذْأَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَيَتَسَاءَلُونَ مَا يَحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطَلًا سُبْحَانَكَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تَدْخِلُ النَّارَ فَقَدْ أَخْرَجْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّافًا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ ﴿١٩٤﴾

بالعقاب عليها ﴿وَتَوَقَّافًا﴾ اقبض أرواحنا ﴿مَعَ﴾ في جملة ﴿الْأَبْرَارِ﴾ الأنبياء والصالحين. [١٩٤] ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا﴾ أعطنا ﴿مَا وَعَدْتَنَا﴾ به ﴿عَلَىٰ أَلْسِنَةِ رُسُلِكَ﴾ من الرحمة والفضل، وشؤالهم ذلك - وإن كان وعده - تعالى - لا يُخْلَفُ - سؤال أن يجعلهم من مستحقه؛ لأنهم لم يتقنوا استحقاقهم له، وتكرير «ربنا» مبالغة في التضرع ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْوَعْدَ﴾ الوعد بالبعث والجزاء.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٨٨): أنسخر البخاري عن أبي سعيد الخدري ؓ إن رجلاً من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخشعوا عنه وفرحوا بمقدمهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتدوا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ...﴾ الآية. البخاري كتاب التفسير (٦٥). سورة آل عمران (٣) باب (١٦).

(١) أي وهما: «بيبينه» و«لا يكتمون»، وقراءة الباء لابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ الباقون بالتاء في الموضعين.

(٢) قرأ بالياء: نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر، والباقيون بالتاء.

(٣) أي على القراءةين بالياء والتاء.

(٤) والتقدير: أنفسهم ناجين.

(٥) وتشدده: ناجين من عذاب الله.

(٦) حيث قال: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾ ولم يقل: ﴿وما لهم﴾.

(٧) للتوكيد.

(٨) في نسخة: «خط»، والمثبت هو الموافق لما بعده في قوله: «فلا تظهرها... إلخ».

إِلَى الْمَدِينَةِ ﴿وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِ﴾ دِينِي ﴿وَقَاتِلُوا﴾ الْكُفَّارَ ﴿وَقَاتِلُوا﴾ بِالْخَفِيفِ وَالشَّدِيدِ^(١)، وَفِي قِرَاءَةٍ بِتَقْدِيمِهِ^(٢) ﴿لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ أَسْتَرَهَا بِالْمَغْفِرَةِ ﴿وَلَا تُخْلِلْهُمْ جَنَّتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قُورَابًا﴾ مُصَدَّرٌ مِنْ مَعْنَى «لَا كُفْرَانَ» مُؤَكَّدٌ لَهُ ﴿وَمَنْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ فِيهِ التَّفَاتُ عَنْ التَّكْلُمِ^(٣) ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾ الْحِزَاءُ.

[١٩٦] وَنَزَلَ - لِمَا قَالَ الْمُسْلِمُونَ: أَعْدَا اللَّهُ فِيْمَا نَرَى مِنَ الْخَيْرِ، وَنَحْنُ فِي الْجَهْدِ -: ﴿لَا يَغْنَبُكَ قَلْبُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^(٤) تَصْرِفُهُمْ ﴿فِي الْيَلَدِ﴾ بِالْجَارَةِ وَالْكَسْبِ.

[١٩٧] هُوَ ﴿مَتَّعٌ قَلِيلٌ﴾ يَمْتَحِنُونَ بِهِ يَسِيرًا فِي الدُّنْيَا وَيَفْنَى ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ لِلْهَادِ الْفَرَّاشَ﴾ هِيَ.

[١٩٨] وَلَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لِيَجْزِ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ أَيُّ مُقَدَّرِينَ الْخُلُودِ ﴿فِيهَا نُزُلًا﴾ وَهُوَ مَا يُعَدُّ لِلضَّيْفِ، وَنُصِبَهُ عَلَى الْحَالِ مِنْ «جَنَاتٍ»، وَالْعَامِلُ فِيهَا مَعْنَى الظَّرْفِ ﴿وَمَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ﴾ خَيْرٌ لِلْآثَرِ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا.

[١٩٩] ﴿وَمَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمْ يَأْمُرْ بِاللَّهِ﴾ كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَصْحَابِهِ، وَالنَّجَاشِيِّ^(٥) ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أَيُّ: الْقُرْآنَ ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ أَيُّ: التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿حَشِيشِينَ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ «يُؤْمِنُ» مُرَاعَى فِيهِ مَعْنَى «مَنْ» أَيُّ: مُتَوَاضِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ أَمَّا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنْ بَعَثِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا بَأَن يَكْتُمُوهَُا؛ خَوْفًا عَلَى الرِّيَاسَةِ؛ كَقَعْلِ غَيْرِهِمْ مِنَ الْيَهُودِ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ ثَوَابُ أَعْمَالِهِمْ ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يُؤْتُوْنَهُ مَرَّتَيْنِ؛ كَمَا فِي الْقَصَصِ^(٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يَحَاسِبُ الْخَلْقَ فِي قَدَرِ نَصْفِ نَهَارٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا^(٧).

[٢٠٠] ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا﴾ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْمَصَائِبِ، وَعَنِ الْمَعَاصِي ﴿وَصَابِرُوا﴾ الْكُفَّارَ؛ فَلَا يَكُونُوا أَشَدَّ صَبْرًا مِنْكُمْ ﴿وَرَابِطُوا﴾ أَقْبِمُوا عَلَى الْجِهَادِ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكُمْ ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تَفُوزُونَ بِالْجَنَّةِ وَتَنْجُونَ مِنَ النَّارِ.

فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَيْ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَى بِبَعْضِكُمْ مِنْ بَعْضٍ قَالَتِ هَاجِرُوا وَأَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَوْدُوا فِي سَبِيلِ وَقَاتِلُوا وَقَاتِلُوا لَا كُفْرَانَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا تُخْلِلْهُمْ جَنَّتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ قُورَابًا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ لَا يَغْنَبُكَ قَلْبُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْيَلَدِ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَهَادِ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لِيَجْزِ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَلِيلِينَ فِيهَا نُزُلًا مَنْ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْآثَرِ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمْ يَأْمُرْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ يَأْيُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ

سُورَةُ النِّسَاءِ

[١٩٥] ﴿فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ دَعَاؤَهُمْ ﴿إِنَّ﴾ أَيُّ: بَأَنِّي ﴿لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَى بِبَعْضِكُمْ﴾ كَأَنَّ «بَيْنَ بَعْضٍ» أَيُّ: الذَّكَورِ مِنَ الْإِنَاثِ وَبِالْعَكْسِ، وَالْجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ لِمَا قَبْلُهَا؛ أَيُّ: هُمْ سَوَاءٌ فِي الْمَجَازَةِ بِالْأَعْمَالِ وَتَرَكَ تَضْيِيعَهَا، نَزَلَتْ لَمَّا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي لَا أَسْمَعُ ذِكْرَ النِّسَاءِ فِي الْهَجْرَةِ بِنِسَاءِ^(١)، ﴿قَالَتِ هَاجِرُوا﴾ مِنْ مَكَّةِ

(٥) مَا جَاءَ فِي سَبَبِ نَزُولِ آيَةِ (١٩٥): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَا أَسْمَعُ ذِكْرَ النِّسَاءِ فِي الْهَجْرَةِ! فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مَنْ ذَكَرَ أَوْ أَتَى بِبَعْضِكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) سُورَةُ النِّسَاءِ (صَحِيحٌ بِمَا قِيلَ) صَحِيحٌ سَنَ التِّرْمِذِيُّ (٢٤٢٠).

(٥٥) مَا جَاءَ فِي سَبَبِ نَزُولِ آيَةِ (١٩٩): أَخْرَجَ النَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٣٥٦/١) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا جَاءَ نَعِيُّ النَّجَاشِيِّ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَلُّوا عَلَيْهِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَصَلِّي عَلَى عَبْدِ حَشِيٍّ؟ فَأَنزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿وَمَنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمْ يَأْمُرْ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ﴾، قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ (٣٨/٣): «رَوَاهُ الرَّارُ وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرَجَالُ الصُّبْرَانِيِّ ثَقَاتٌ» اهـ.

وَذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ. وَصَحَّحَ إِسْنَادَهُ فِي الْإِسْتِيعَابِ فِي بَيَانِ الْأَسْبَابِ (٣٥٢/١).

(١) بِالشَّدِيدِ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ وَابْنِ عَامِرٍ.

(٢) أَيُّ: يَتَقَدَّمُ الْمَبْنِيُّ لِلْمَفْعُولِ، لَكِنْ بِالْخَفِيفِ، وَتَكُونُ الْوَاوُ عَلَى هَذِهِ الْقِرَاءَةِ بِمَعْنَى: مَعَ؛ أَيُّ: مَعَ كَوْنِهِمْ قَاتِلُوا فَلَمْ يَفْرُوا، بَلْ قَاتِلُوا فِي حَالِ مَقَاتِلَتِهِمُ الْأَعْدَاءَ، وَهِيَ قِرَاءَةُ حَمْزَةِ وَالْكَسَاةِ.

(٣) أَيُّ: وَكَانَ مَقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنَّهُ يَقُولُ: «ثَوَابًا مِنْ عِنْدِي»، وَإِنَّمَا أَظْهَرَ مَحْسُورَ الْإِضْمَارِ تَشْرِيقًا لَهُمْ.

(٤) ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي أَسْبَابِ النُّزُولِ، وَذَكَرَهُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (١٥٤/٢).

(٥) الْآيَاتُ مِنْ ٥٠ حَتَّى ٥٥ مِنَ السُّورَةِ.

(٦) سَبَقَ بَيَانُ أَنَّ هَذَا سَهْوٌ مِنْ إِبْرَاهِيمَ السَّيُوطِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَفْسِيرِ آيَةِ الْبَقَرَةِ رَقْمَ (٢٠٢) - وَالصَّحِيحُ أَنَّ اللَّهَ يَحَاسِبُ الْخَلْقَ فِي قَدَرِ نَصْفِ نَهَارٍ مُقَدَّرُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَاعَةٍ؛ كَمَا فِي صَحِيحِ ابْنِ حِبَانَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مُقَدَّرُ نَصْفِ يَوْمٍ مِنْ خَمْسِينَ أَلْفَ سَاعَةٍ»، وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي عِقَابِ مَانِعِي الزَّكَاةِ فِي الْحَشْرِ - قَوْلُهُ ﷺ: «فِي يَوْمٍ كَادَ مُقَدَّرُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَاعَةٍ حَتَّى يَقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ...» الْبُخَارِيُّ (١٣١٤)، وَمُسْلِمٌ (١٦٤٧).

تهاون الناس في تركه؛ وعليه فهو نذير، وعن ابن عباس: واجب.

[٩] ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لِيُخَفَّ عَلَى الْيَتَامَى﴾ الآية أي: ليخفف على اليتامى ﴿الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا﴾ أي: قاربوا أن يتركوا ﴿مِنْ خَلْفِهِمْ﴾ أي: من بعد موتهم ﴿ذُرِّيَّةً ضِعَفًا﴾ أولادًا صغارًا ﴿خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾ الضَّعَافُ ﴿فَلْيَسْعُوا اللَّهَ﴾ في أمر اليتامى، وليأتوا إليهم ما يحبون أن يُفْعَلَ بذريعتهم من بعدهم ﴿وَلْيَقُولُوا لِلنَّبِيِّ﴾ أي: قولاً سيدياً صواباً بأن يأمرهم أن يتصدق بدون ثلثه، ويُذَّع الباقي لورثته، ولا يتركهم عائلة.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى﴾ الآية أي: يأكلون في بطونهم أي: ملاًهاً نازلاً لأنه يقول إليها ﴿وَسَيَمْلَأُكُمْ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول (١) يدخلون ﴿سَيِّئًا﴾ نازراً شديدة يحترقون فيها.

[١١] ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ أي: يأمركم ﴿اللَّهُ فِي﴾ شأن ﴿الْوَالِدَيْنِ﴾ بما يُذَكَّرُ ﴿لِلذِّكْرِ﴾ منهم ﴿وَمِثْلَ حَظِّ﴾ نصيب ﴿الْأُنثَى﴾ إذا اجتمعتا معه فله نصيب نصف المال ولهما النصف، فإن كان معه واحدة فلها الثلث وله الثلثان، وإن انفرد حاز المال ﴿وَإِنْ كُنَّ﴾ أي: الأولاد ﴿نِسَاءً﴾ فقط ﴿فَوَقَّ﴾ أي: اتَّخَذْنَ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مَا تَرَكَ﴾ أي: المثلث، وكذا الانثيان لأنه للأختين بقوله: ﴿فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ﴾ فيما أولى؛ ولأن البنت تستحق الثلث مع الذكر؛ فمع الأنثى أولى، ﴿وَقَوْفٌ﴾ قيل: صلة، وقيل: لدفع توهم زيادة النصيب بزيادة العدد، لما فهم استحقاق البنين الثلثين من جعل الثلث لواحدة مع الذكر ﴿وَلِنْ كَانَتْ﴾ المولودة ﴿وَحِيدَةً﴾ وفي قراءة: بالرفع (٢) «فكان»: تامة ﴿فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأُخَوَّيْهِ﴾ أي: للثلاث، ويبدل منهما ﴿لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا﴾ السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ الْوَرِثَةُ وَأَبَوَاهُ فَلَهُمَا الثُّلُثُ إِنْ كَانَ لَهُ وَإِخْوَةٌ فَلَهُمَا السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْدِينَ أَبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (٣)

وتقديم الوصية على الدين وإن كانت مؤخره عنه في الوفاء للاهتمام بها، ﴿عَالِيَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾ مبتدأ خبره: ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا﴾ في الدنيا والآخرة؛ فظان أن ابنه أنفع له؛ فيعطيه الميراث؛ فيكون الأب أنفع، وبالعكس، وإنما العالم بذلك هو الله؛ ففرض لكم الميراث ﴿فَرِيضَةً﴾ أي: الله إِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً بخلقه ﴿حَكِيماً﴾ فيما دبره لهم؛ أي: لم يزل مُقَصِّطاً بذلك.

لِرَجَالٍ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (٧) وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَأَرْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا (٨) وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٩) إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ الَّتِي تَحْتُمِلُ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (١٠) يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي الْأَوْلَادِ لِلذَّكَرِ الْكَوْنِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثَىٰ إِنْ كَانَ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأُخَوَّيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتُهُ أَبَوَاهُ فَلَهُمَا الثُّلُثُ إِنْ كَانَ لَهُ وَإِخْوَةٌ فَلَهُمَا السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْدِينَ أَبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (١١)

[٧] ونزل - رداً لما كان عليه في الجاهلية من عدم توريث النساء والصغار (١) -: ﴿لِلرِّجَالِ﴾ الأولاد والأقرباء ﴿نَصِيبٌ﴾ حظٌّ ﴿مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ المتوفون ﴿وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرُ﴾ أي: المال ﴿أَوْ كَثُرُ﴾ جعله الله ﴿نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعاً بتسليمه إليهم.

[٨] ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةُ﴾ للميراث ﴿أُولُو الْقُرْبَىٰ﴾ ذُو الْقُرْبَى مِنْ لَارِثٍ ﴿وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينُ﴾ فَرَزَقُوهُمْ مِنْهُ شَيْقاً قبل القسمة ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ أي: قولاً معروفاً صغاراً ﴿فَوَقَّ﴾ أي: اتَّخَذْنَ فَلَهُنَّ ثُلُثًا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأُخَوَّيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّتِهِ يُوصِي بِهَا أَوْدِينَ أَبَاؤُهُمْ وَأَبْنَاؤُهُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنْ كَانَ اللَّهُ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً (١١)

في التفسير - البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١).

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١) أخرجه البخاري عن جابر رضي الله عنه قال: عادي النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل، فدعا بماء فوضأ منه ثم رش علي فأنفت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فقلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ الآية. (٤) سورة النساء (٤) باب (٤). وأخرج أبو داود عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى جئنا امرأة من الأنصار في الأسواق، فبجاعت المرأة بابتين لها، فقالت: يا رسول الله، هاتان بنتا ثابت بن قيس قتل معك يوم أحد، وقد استنفا عمهما مالهما وميراثهما كله فلم يدع لهما مالاً إلا أخذه فتمتري يا رسول الله؟ فوالله لا تكبحان أبداً إلا ولهما مال. فقال رسول الله ﷺ: «يقضي الله في ذلك». قال: ونزلت سورة ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي﴾ الآية. (٤) سورة النساء (٤) باب (٤). وأدعوا لي المرأة وصاحبها فقال لعمري: «أعطتهما الثلثين، وأعطتهما الثلثين، وما بقي فلن». أبو داود - كتاب الفرائض (١٣) باب (٤) ما جاء في ميراث الصلب. وقال عقبه: «أخطأ يثرب فيه، إنما هما ابنتا سعد بن الربيع. وثابت بن قيس قتل يوم البمامة، ثم ساق رواية أخرى على الصواب.

(١) أخرجه نحوه الطبري في جامع البيان (١٧٦/٤) عن قتادة، وهو مرسل صحيح الإسناد كما في الاستيعاب (٣٦٧/١).

(٢) أي: لمن حضرته الوفاة. (٣) بالبناء للمفعول لابن عامر وشعبة. (٤) لنافع. (٥) بالكسر حمزة والكسائي. (٦) راجع إلى الكسر.

(٧) أي: في قوله: ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ﴾، وقوله: ﴿وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾. (٨) بابنا للمفعول لابن كثير وابن عامر وشعبة.

[١٢] ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُمْ وَلَدٌ وَلَكُمْ مِنْكُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ ذَرِيَّةٌ وَالْحَقُّ بِالْوَلَدِ فِي ذَلِكَ وَلِلْأَبْنِ بِالْإِجْمَاعِ ﴿وَلَهُنَّ﴾ أي: الزوجات: تَعْدُدْنَ أَوْ لَا ﴿الرُّبْعُ﴾ وَمِمَّا تَرَكَنَّ إِن لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ وَلَكُمْ مِنْهُنَّ أَوْ مِنْ غَيْرِهِنَّ ﴿فَلَهُنَّ الثُّلُثُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوَصِّونَ بِهَا أَوْ ذَرِيَّةٌ﴾ وولد الابن في ذلك كالولد إجماعاً ﴿وَإِنْ كَانَتْ رَجُلٌ يُوْرَثُ﴾ صفة، والخبر^(١) ﴿كَكَلَّةٍ﴾ أي: لا والد له ولا ولد ﴿أَوْ أَمْرَأَةٌ﴾ تَوْرَثَتْ كَلَالَةً ﴿وَلَكُمْ﴾ أي: للموروث كَلَالَةً ﴿أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾ أي: مِنْ أُمِّ، وَقَرَأَ بِهِ ابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ^(٢) ﴿فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ مَا تَرَكَ ﴿فَإِنْ كَانُوا﴾ أي: الإخوة والأخوات من الأم ﴿أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ﴾ أي: من واحد ﴿فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ بِسْتَوِي فِيهِ ذَكَرُهُمْ وَأُنْثَاهُمْ ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ ذَرِيَّةٍ غَيْرِ مَضَارٍ﴾ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ «يُوصِي»؛ أي: غَيْرِ مَدْخُلِ الضَّرَرِ عَلَى الْوَرِثَةِ بَأَنْ يُوَصِّيَ بِأَكْثَرِ مِنَ الثَّلَاثِ ﴿وَصِيَّةٌ﴾ مُصَدَّرٌ مُؤَكَّدٌ لـ «يُوصِيكُمْ» ﴿مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا ذُبُرُهُ لِحَلْقِهِ مِنَ الْفَرَائِضِ ﴿حَلِيمٌ﴾ بِتَأْخِيرِ الْعُقُوبَةِ عَنْهُ خَالَفَهُ، وَخَصَّتِ الشُّعْنَةُ تَوْرِيثَ مَنْ ذَكَرَ مِنْ لَيْسَ فِيهِ مَانِعٌ مِنْ قَتْلِ، أَوْ اخْتِلَافِ دِينِ، أَوْ قَتْلِ.

[١٣] ﴿يَلِكُ﴾ الْأَعْكَامُ الْمَذْكُورَةُ - مِنْ أَمْرِ الْيَتَامَى وَمَا بَعْدَهُ - ﴿حُدُودُ اللَّهِ﴾ شَرَائِعُهُ أَمَّا حُدُودُهَا لِعِبَادَةِ، لِيَعْمَلُوا بِهَا، وَلَا يَتَعَدَّوْهَا ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ فِيمَا حَكَمَ بِهِ ﴿يُدْخِلْهُ﴾ بِالْبَيَاءِ وَالنُّونِ^(٣): الْفَتْحَ^(٤) ﴿جَنَّتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْقَفُورُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٤] ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ﴾ بِالْوَجْهِينِ^(٥) ﴿نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ﴾ فِيهَا ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذُو إِهَانَةٍ، رُوِيَ فِي الضَّمَاثِرِ فِي الْآيَتَيْنِ لَفْظُ «مَنْ»^(٦) وَفِي «خَالِدِينَ» مَعْنَاهَا.

﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ ذَرِيَّةٌ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِن لَّمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّلُثُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوَصِّونَ بِهَا أَوْ ذَرِيَّةٌ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُوْرَثُ كَلَالَةً أَوْ أَمْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوَصِّينَ بِهَا أَوْ ذَرِيَّةٍ غَيْرِ مَضَارٍ وَصِيَّةٌ مِنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْقَفُورُ الْعَظِيمُ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ

(١) أي: خبر ﴿كَانَ﴾، وهذا على أنها ناقصة، وأما باعتبارها تامة؛ فتكون ﴿كَكَلَّةٍ﴾ حالاً.

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) بالنون لنافع وابن عامر.

(٤) راجع للنون؛ وهو الفتحة من الغيبة للتكلم.

(٥) أي: بالياء والنون، والنون لنافع وابن عامر.

(٦) أي: فأفرد في قوله: ﴿يُدْخِلْهُ﴾ في الموضعين، وفي قوله: ﴿وَلَهُ﴾ أي: فجمع؛ مراعاة لعنى «مَنْ».

الفاحشة: الزنا أو اللواط^(١) ﴿مِنْكُمْ﴾ أي: الرجال ﴿فَتَأْذُوهُمَا﴾ بالسُّبِّ والضرب بالنعال ﴿فَإِنْ تَابَا﴾ منها ﴿وَأَصْلَحَا﴾ العمل ﴿فَاعْرِضْهُمَا﴾ عَنْهُمْ وَلَا تُوْذُوهُمَا ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا﴾ على من تاب ﴿حَسِيمًا﴾ به، وهذا منسوخ بالحد إن أُريد بها الزنا، وكذا إن أُريد بها اللواط عند الشافعي، لكن المفعول به لا يرجع عنده - وإن كان مُحْضًا - بل يجلد ويغرب، وإرادة اللواط أظهر؛ بدليل ثنية الضمير^(٢)، والأول قال: أراد الزاني والزانية، ويرده تبيينهما بـ«من» المتصلة بضمير الرجال^(٣)، واشتركا في الأذى. والتوبة والإعراض، وهو مخصوص بالرجال لما تَقَدَّمَ في النساء من الحس.

[١٧] ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ﴾ أي: التي كتب على نفسه قبولها بفضلها ﴿لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ أَسْوَءَ الْعَمَلِ﴾ المعصية ﴿يَجْعَلُ﴾ حال؛ أي: جاهلين إذا عصوا ربهم ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ﴾ زمن ﴿قَرِيبٍ﴾ قبل أن يُغْرَضُوا ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ يقبل توبتهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعهم بهم.

[١٨] ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾ الذنوب ﴿حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ وأخذ في النزاع ﴿قَالَ﴾ عند مشاهدته ما هو فيه: ﴿إِنِّي بُنْتُ الْكَفَّ﴾ فلا ينفعه ذلك، ولا يقبل منه ﴿وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾ إذا تابوا في الآخرة عند معاينة العذاب؛ لا تقبل منهم ﴿أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا أَغْدًا﴾ هُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿مُؤَلًّا﴾.

[١٩] ﴿يَتَأَيَّمُوا﴾ أي: يأتونها ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ﴾ أي: ذَاتَهُنَّ ﴿كَرِهًا﴾ بالفتح والضم، لغتان^(١)؛ أي: مُكْرِهِيَهُنَّ^(٢) على ذلك - كانوا في الجاهلية^(٣) يرثون نساء أقرانهم، فإن شاءوا تزوجوهن بلا صداقي، أو زُوْجُوهُنَّ وأخذوا صداقهن، أو عَصَلُوهُنَّ؛ حتى يفتدين بما ورثته، أو يَمْتَنُّنَ فَرِثُوهُنَّ، فَبُهِتُوا عن ذلك - ﴿وَلَا﴾ أَنْ ﴿تَمْسُلُوهُنَّ﴾ أي: تمنعن أزواجهن عن نكاح غيركم؛ بِإِسْأَكِهِنَّ ولا رغبة لكم فيهنَّ؛ ضِرَارًا ﴿لِتَذْهَبُوا بِمَعْرُوفٍ مَّا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ من المهر ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُبِينَةٍ﴾ بفتح الباء وكسرها^(٤)؛ أي: بَيِّنَةٍ^(٥)، أو هي بينة؛ أي: زنا أو نُشُوز^(٦)؛ فلکم أن تُضَارُوهُنَّ؛ حتى يَفْتَدِيَنَّ مِنْكُمْ وَيُخْلِفَنَّ ﴿وَعَايَرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ أي: بالإجمال في القول والنفقة والمبيت ﴿فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ﴾ فاصبروا ﴿فَمَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ وَيَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿وَلَعَلَّه يَجْعَلُ فِيهِمْ ذِكْرًا﴾ بآن يَرْزُقُكُمْ مِنْهُنَّ وَلَدًا صَالِحًا.

وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَحْشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَقَاذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٨﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّوْءَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي بُنْتُ الْكَفَّ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٠﴾ يَتَأَيَّمُوا لِكُمُ الْمَوْتُ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْنَهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحْشَةٍ مُّبِينَةٍ وَعَايَرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَمَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿٢١﴾

[١٥] ﴿وَالَّتِي يَأْتِيَنَّ الْفَحْشَةَ﴾ الزَّنا ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ أي: من رجالكم المسلمين ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾ عليهن بها ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ احبسوهن ﴿فِي الْبُيُوتِ﴾ وامنعوهن من مخالطة الناس ﴿حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ﴾ أي: ملائكته ﴿أَوْ﴾ إلى أَنْ ﴿يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ طريقًا إلى الخروج منها - أمروا بذلك أول الإسلام ثم جعل لهن سبيلًا؛ يجلد البكر مائة وتغريها عامًا؛ ورجم المحصنة، وفي الحديث: لَمَّا بَيَّنَّ الْحَدَّ - قال: «خُذُوا عَنِّي خُذُوا عَنِّي قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا» [رواه مسلم]^(١). [١٦] ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا مِنْكُمْ فَقَاذُوهُمَا﴾ بتشديد هاء^(٢) ﴿يَأْتِيَنِهَا﴾ أي:

(١) مسلم (١٦٩٠). وقامه: «التي بُنْتُ نُؤْجَمُ، وَالْبُيُوتُ تُجْعَلُ».

(٢) بالشديد مع المد اللام لاين كثير.

(٣) قولان للمفسرين، ورجح المصنف الثاني بقوله: «إرادة اللواط أظهر... إلخ».

(٤) أي: في قوله: ﴿وَالَّذَانِ يَأْتِيَنِهَا﴾، وقد يقال: إنه فيه تغليب الذكر على الأنثى.

(٥) وهو قوله: ﴿مِنْكُمْ﴾.

(٦) وهما قرأتان، والضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧) وفي بعض النسخ: «مكرهين» جمع مكره: اسم فاعل، ومفعوله محذوف؛ أي: مكرهين لهن.

(٨) أي: وفي صدر الإسلام.

(٩) بالفتح لاين كثير وشعبة.

(١٠) أي: بينها من يدعيها وأوضحها وأظهرها.

(١١) خروج عن طاعة الزوج.

وَأَنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ رَوْحٍ مَكَانَ رَوْحٍ وَءَاتَيْتُمْ
إِحْدَاهُنَّ قِطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ
بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مَيْبِنَا ۝ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى
بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنِ مِنْكُمْ مِيثَاقًا عَلَيْهِ
لَا تَأْخُذُوا مِنْكُمْ مِيثَاقًا وَإِنَّمَا مَيْبِنَا ۝ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ
سَبِيلًا ۝ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ
الْأَخِ وَبنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرِّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ
وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ
الَّتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَيَنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ
أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَتَّخِذُوا بَنَاتِ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا
مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ۝

[٢٠] «وَلَنْ أَرَدْتُمْ أَسْبَدَالَ رَوْحٍ مَكَانَ رَوْحٍ» أي: أَخَذَهَا بَدَلَهَا
بأن طَلَقْتُمُوهَا «وَلَنْ» قد «ءَاتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ» أي: الرُّوحَاتِ «فَقِطَارًا»
مَالًا كَثِيرًا؛ ضِدًّا «فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا» ظَلَمْنَا
«وَلَمَّا مَيْبِنًا» بَيِّنًا، ونَصَبُهَا عَلَى الْحَالِ، والاستفهام للتوبيخ وللإنكار في
قوله: [٢١] «وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ» أي: بَأَيِّ وَحَةٍ «وَقَدْ أَفْضَى» وَضَلَ
«بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ» بِالْجَمَاعِ الْمُتَوَرِّدِ لِلْمُتَعَرِّفِ «وَأَخَذْتُمْ مِنْكُمْ
مِيثَاقًا» عَهْدًا «عَلَيْهَا» شَدِيدًا؛ وهو: مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ إِفْسَاحِهِمْ بِمَعْرِفِ
أَوْ تَشْرِيجِهِمْ بِإِحْسَانٍ.

[٢٢] «وَلَا تَنْكِحُوا مَا» بمعنى: مَنْ «نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ
إِلَّا» لَكِنْ «مَا قَدْ سَلَفَ» مِنْ فَعْلَمَكُمْ ذَلِكَ؛ فَإِنَّهُ مُغْفَرٌ عَنْهُ «إِنَّهُ» أي:
يُكَافِرُهُمْ «كَانَ فَحِشَةً» فِجْأً «وَمَقْتًا» سَبًّا لِلْمَقْتِ مِنَ اللَّهِ - وَهُوَ
أَشَدُّ الْبَغْضِ - «وَسَاءَ» بِس «سَبِيلًا» طَرِيقًا ذَلِكَ.

[٢٣] «حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ» أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ، وشملت الْحَدَّاتِ
مَنْ يَنْبُلُ الْأَبَ أَوْ الْأُمَّ «وَبَنَاتُكُمْ» وشملت بَنَاتِ الْأَوْلَادِ وَأَنْ سَقَلْنَ
«وَأَخَوَاتُكُمْ» مِنْ جِهَةِ الْأَبِ أَوْ الْأُمِّ «وَعَمَّاتُكُمْ» أي: أَخَوَاتِ آبَائِكُمْ
وَأَجْدَادِكُمْ «وَوَحَلَائِلُكُمْ» أي: أَخَوَاتِ أُمَّهَاتِكُمْ وَجَدَاتِكُمْ «وَبَنَاتُ الْأَخِ
وَبَنَاتُ الْأُخْتِ» ويدخل فِيهِنَّ أَوْلَادُهُمْ «وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ» قِيلَ
استكمالَ الْحَوْلَيْنِ عَشْرَ رَضَعَاتٍ^(١) - كَمَا بَيَّنَّهَ الْحَدِيثُ - «وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ
الرِّضْعَةِ» ويلحق بِذَلِكَ - بِالشَّيْءِ - الْبَنَاتِ مِنْهَا؛ وَهُنَّ مَنْ أَرْضَعْنَهُمْ مَوْطُوَاتَهُ،
وَالْعَمَّاتِ وَالْخَالَاتِ وَبَنَاتِ الْأَخِ وَبَنَاتِ الْأُخْتِ مِنْهَا؛ لِحَدِيثِ «يَخْرُجُ مِنَ
الرِّضَاعِ مَا يَخْرُجُ مِنَ النَّسَبِ» [رواه البخاري ومسلم]^(٢).

«وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمْ» جمع «رَبِيبَةٍ»؛ وَهِيَ بِنْتُ الزَّوْجَةِ مِنْ
غَيْرِ «الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ» تَرْبُونَهُنَّ، صِفَةُ مُوَافَقَةٍ لِلْغَالِبِ؛ فَلَا مَفْهُومَ لَهَا
«وَمِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ» أي: جَامِعَتُمُوهُنَّ «فَيَنْ لَمْ تَكُونُوا
دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» فِي نِكَاحِ بَنَاتِهِنَّ إِذَا فَارَقْتُمُوهُنَّ
«وَوَحَلَائِلُكُمْ» أَزْوَاجُ «أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ» بِخِلَافِ مَنْ
تَبَيَّنَتْهُمْ؛ فَلَكُمْ نِكَاحُ حَلَائِلِهِمْ «وَأَنْ تَتَّخِذُوا بَنَاتِ الْأَخْتَيْنِ» مِنْ
نَسَبٍ أَوْ رِضَاعٍ؛ بِالنِّكَاحِ، وَيُلْحَقُ بِهِمَا - بِالشَّيْءِ - الْجَمْعُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ عَمَّتِهَا، أَوْ
خَالَاتِهَا^(٣)، وَيَجُوزُ نِكَاحُ كُلِّ وَاحِدَةٍ عَلَى الْإِنْفِرَادِ، وَمِلْكُهُمَا مَعًا، وَبَطْأً وَاحِدَةً
«إِلَّا» لَكِنْ «مَا قَدْ سَلَفَ» فِي الْجَاهِلِيَّةِ - مِنْ نِكَاحِهِمْ بَعْضُ مَا ذُكِرَ - فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيهِ «إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا» لَمَّا سَلَفَ مِنْكُمْ قَبْلَ النَّهْيِ
«رَحِيمًا» بِكُمْ فِي ذَلِكَ.

(١) وَهُوَ مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدُ وَهُوَ الرَّاجِحُ؛ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «كَانَ فِينَا أَتْرَلٌ مِنَ الْقُرْآنِ: عَشْرُ رَضَعَاتٍ مَعْلُومَاتٍ يُخْرَجُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ نُحِبُّنَ بِحَقِّنَ مَعْلُومَاتٍ، فَذُفِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُنَّ فِينَا يُقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ».

(٢) الْبُخَارِيُّ (٢٦٤٥)، وَمُسْلِمٌ (١٤٤٧).

(٣) الْبُخَارِيُّ (٥١٠٨)، وَمُسْلِمٌ (١٤٠٨).

مُتَزَوِّجِينَ^(٥) «عَبْرَ مُسْلِمِينَ» زانين «فَمَا» فَمَنْ «أَسْتَمْتَعْتُمْ» تَمَتَّعْتُمْ «بِهِ» مِنْهُنَّ «مَنْ تَزَوَّجْتُمْ بِالْوَطْءِ» فَتَأْوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُهُرُهُنَّ الَّتِي فَرَضْتُمْ لَهُنَّ «فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَوْنَ» أَنْتُمْ وَهِنَّ «بِهِ» مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ «مِنْ حَطِّهَا أَوْ بَغْضِهَا أَوْ زِيَادَةِ عَلَيْهَا» إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا بِخَلْقِهِ «حَكِيمًا» فِيمَا دَبَّرَهُ لَهُمْ.

[٢٥] «وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا» غِنَى لَهُ «أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ» الْحَرَائِرَ «الْمُؤْمِنَاتِ» وَهُوَ جَزْئِي عَلَى الْغَايِبِ؛ فَلَا مَفْهُومَ لَهُ^(٦) «فَمَنْ تَمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» يَنْكِحُ «وَمِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ» فَانْكَحُوا بظاهره، وَكَلُوا الشَّرَائِعَ إِلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ الْعَالِمُ بِتَفْصِيلِهَا، وَرُبَّ أُمَّةٍ تَفْضُلُ حُرَّةً فِيهِ، وَهَذَا تَأْنِيسٌ بِنِكَاحِ الْإِمَاءِ «بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ» أَي: أَنْتُمْ وَهِنَّ سِوَاهُ فِي الدُّنْيَا؛ فَلَا تَسْتَنْكِفُوا مِنْ نِكَاحِهِنَّ «فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ» مَوَالِيَهُنَّ «وَأَتَوْهُنَّ» أَعْطَوْهُنَّ «أَجُورَهُنَّ» مُهُرَهُنَّ «بِالْمَعْرُوفِ» مِنْ غَيْرِ مَطْلٍ وَنَقْصٍ «مُحْصَنَاتٍ» غَفَائِفُ، حَالُ «عَبْرَ مُسْلِمِينَ» زَانِيَاتٍ جَهْرًا «وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ» أَيْ: لَا يَزْنُونَ بِهِنَّ سِرًّا «فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ زُوجَهُنَّ» وَفِي قِرَاءَةِ الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ^(٧) تَزَوَّجْنَ «فَلَنْ أَتِيَنَّ بِتَحِيَّةٍ» زَنَا «فَعَلَيْتُمْ نِصْفَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ» الْحَرَائِرَ الْأَبْكَارَ إِذَا زَانَيْنَ «وَمِنْ الْعَذَابِ» الْحَدِّ؛ فَيُجْلَدُ خَمْسِينَ وَيَعْرُضُ نِصْفَ سَنَةٍ، وَيُقَاسُ عَلَيْهِنَ الْعَبِيدُ، وَلَمْ يُجْعَلِ الْإِحْصَانُ شَرْطًا لَوْجُوبِ الْحَدِّ؛ بَلْ لِإِفَادَةِ أَنَّهُ لَا رَجْمَ عَلَيْهِنَ أَصْلًا «ذَلِكَ» أَي: نِكَاحُ الْمَمْلُوكَاتِ عِنْدَ عَدَمِ الطَّوْلِ «لِيَمُنَّ خَشْيَتُ» خَافَ «الْعَتَّةَ» الزَّانَا، وَأَصْلُهُ الْمَشَقَّةُ؛ سَمِيَ بِهِ الزَّانَا؛ لِأَنَّهُ سَبَّهَا بِالْحَدِّ فِي الدُّنْيَا وَالْعُقُوبَةِ فِي الْآخِرَةِ «مِنْكُمْ» بِخِلَافِ مَنْ لَا يَخَافُهُ مِنَ الْأَحْرَارِ؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ نِكَاحُهَا، وَكَذَا مِنْ اسْتَطَاعَ طَوْلَ حُرَّةٍ؛ وَعَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ، وَخَرَجَ بِقَوْلِهِ: «وَمِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ» الْكَافِرَاتِ؛ فَلَا يَحِلُّ لَهُ نِكَاحُهَا - وَلَوْ عَدِمَ^(٨) وَخَافَ - «وَأَنْ تَصْبِرُوا» عَنْ نِكَاحِ الْمَمْلُوكَاتِ «حَتَّى لَكُمْ» لَعَلَّ بَصِيرَ الْوَلَدِ رَقِيقًا «وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ» بِالتَّوَسُّعِ فِي ذَلِكَ.

[٢٦] «يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ» شَرَائِعَ دِينِكُمْ وَمَصَالِحَ أَمْرِكُمْ «وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلًا» طَرِيقًا «الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» مِنَ الْأَنْبِيَاءِ؛ فِي التَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ فَتَتَّبِعُوهُمْ «وَيُؤْتِبُ عَلَيْكُمْ» يَرْجِعُ بِكُمْ عَنْ مَعْصِيَةِ الَّتِي كُنْتُمْ عَلَيْهَا إِلَى طَاعَتِهِ «وَاللَّهُ عَلِيمٌ» بِكُمْ «حَكِيمٌ» فِيمَا دَبَّرَهُ لَكُمْ.

وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَإِلَّاءَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصَنِينَ غَيْرَ مُسْلِمِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَتَأْوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرْضَوْنَ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا^(٩) وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسْفِهَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أَحْصَيْتُمْ أَنْ تَتَيْنَ بِفَحْشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ^(١٠) يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذَيِّبَ لَكُمْ سُبُلَ الْبَرِّ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سَبِيلَ النَّجَاتِ مِنَ قَبْلِكُمْ وَيُؤْتِبُ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ^(١١)

[٢٤] «وَمَنْ حُزِمَتْ عَلَيْكُمْ» الْمُحْصَنَاتُ «أَي: ذَوَاتُ الْأَرْوَاجِ مِنْ أَلْسِنَةٍ» أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ قَبْلَ مَفَارَقَةِ أَرْوَاجِهِنَّ - حَرَائِرَ مُسْلِمَاتٍ كُنَّ أَوْ لَا - «إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(١٢) مِنَ الْإِمَاءِ بِالسُّبْحِيِّ؛ فَلَكُمْ وَطْأُهُنَّ - وَإِنْ كَانَ لَهُنَّ أَرْوَاجٌ فِي دَارِ الْحَرْبِ بَعْدَ اسْتِبْرَاءِ «كَتَبَ اللَّهُ» نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ^(١٣) «أَي: كَتَبَ ذَلِكَ» عَلَيْكُمْ «وَأَحْلَلْ» بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ، وَالْمَفْعُولُ^(١٤) «لَكُمْ» تَأْ وَرَاءَ ذَلِكَ «أَي: سِوَى مَا حُزِمَ عَلَيْكُمْ مِنَ النِّسَاءِ» أَنْ تَبْتَغُوا تَطْلُبُوا النِّسَاءَ «بِأَمْوَالِكُمْ» بِصَدَاقِ^(١٥) أَوْ تَمَنِ^(١٦) «مُحْصَنِينَ»

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ آيَةِ (٢٤): أُخْرِجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حَتِّينَ نَهَتْ جَيْشًا إِلَى أَوطَاسٍ فَلَقُوا عَدُوًّا فَقَاتَلُوهُمْ، فَظَهَرُوا عَلَيْهِمْ وَأَصَابُوا لَهُمْ سَبَايَا، فَكَانَ نَاشًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَمَرَحُوا مِنْ غَشْيَانِهِمْ مِنْ أَجْلِ أَرْوَاجِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَنزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي ذَلِكَ: «وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ» أَي: فَهِنَّ لَكُمْ حَلَالٌ إِذَا انْقَضَتْ عَدَّتُهُنَّ. مُسْلِمٌ - كِتَابُ الرِّضَا (١٧) بَابُ (٩) جَوَازِ وَطْءِ الْمَسِيئَةِ بَعْدَ اسْتِبْرَاءِ.

(١١) أَي: الْمَوْكِدُ لِعَامِلِهِ الْعَنُوتِ، الْمُسْتَفَادُ مِنْ قَوْلِهِ: «حُزِمَتْ»؛ فَإِنَّ التَّحْرِيمَ وَالْفَرْضَ وَالْكَسْبَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

(١٢) بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَشُعْبَةُ.

(١٣) أَي: بِالتَّزْوِيجِ.

(١٤) أَي: بِالْمَالِكِ.

(١٥) أَوْ مُتَمَلِّكِينَ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: «أَوْ تَمَنِ».

(١٦) وَعَلَى هَذَا الْقَوْلِ فَإِنَّهُ إِنْ قَدَرَ عَلَى طَوْلٍ حَرَّةً كَتَابَةِ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ أُمَّةً مُسْلِمَةً، وَاخْتَارَهُ الْقُرْطُبِيُّ. وَالْقَوْلُ الثَّانِي: إِنَّ لَهُ ذَلِكَ، وَالْأُمَّةُ الْمُؤْمِنَةُ خَيْرٌ مِنَ الْحَرَّةِ الْكَتَابَةِ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ الْعَرَبِيِّ. وَهُوَ الْأَوَّلَى وَالْأَظْهَرُ بِنَصِّ هَذِهِ آيَةِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١٧) وَهِيَ قِرَاءَةُ حَمْزَةٍ وَالْكَسَاةِ وَشُعْبَةُ.

(١٨) أَي: عَدِمَ الطَّوْلَ، وَخَافَ الْعَنَتَ.

[٢٧] ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾ كَوْرُهُ لِبَنِي عِيهِ ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ﴾ اليهود والنصارى، أو الجوس، أو الزناة ﴿أَنْ تَقِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا﴾ تعدلوا عن الحق؛ بارتكاب ما حرم عليكم فتكونوا مثلهم.

[٢٨] ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾ يُهَيِّلْ عَلَيْكُمْ أَحْكَامَ الشَّرْعِ ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ لَا يَصْبِرُ عَنِ النَّسَاءِ وَالشَّهَوَاتِ.

[٢٩] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ بِالْحَرَامِ فِي الشَّرْعِ، كَالرِّبَا وَالْفِصْبِ ﴿إِلَّا﴾ لَكِنْ ^(١) ﴿أَنْ تَكُونَ﴾ تَقَعُ ﴿بِتَجَارَةٍ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ النَّصَبِ ^(٢)، أَنْ تَكُونَ الْأَمْوَالُ أَمْوَالُ تِجَارَةٍ صَادِرَةٌ عَنْ تَرَاضٍ بَيْنَكُمْ وَطِيبَ نَفْسٍ، فَلَكُمْ أَنْ تَأْكُلُوهَا وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ بِارْتِكَابِ مَا يُوْدِي إِلَى هَلَاكِهَا. أَمَا كَانَ فِي الدُّنْيَا أَوِ الْآخِرَةِ.

- بَقَرِيَّة: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ فِي مَنَعِهِ لَكُمْ مِنْ ذَلِكَ.

[٣٠] ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أَي: مَا نَهَى عَنْهُ ﴿عُدُوًّا﴾ تَجَاوَزًا لِلْحَالِ، حَالٍ ﴿وَطُلُفًا﴾ تَأْكِيْدٌ ﴿فَسَوْفَ نُضَيِّقُهُ﴾ نَدَخْلُهُ ﴿ثَارًا﴾ يَحْتَرِقُ فِيهَا ﴿وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ هَيْئًا.

[٣١] ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَارَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ﴾ وَهِيَ مَا وَرَدَ عَلَيْهَا وَعِيدٌ؛ كَالْقَتْلِ وَالزَّوْنِ وَالسَّرَقَةِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: هِيَ إِلَى السَّبْعَةِ أَقْرَبُ ^(٣) ﴿تُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾ الصَّغَارُ؛ بِالطَّاعَاتِ ﴿وَنُدْخِلَكُمْ مَدْخَلًا﴾ بضم الميم وَفَتْحِهَا ^(٤)، أَي: إِدْخَالًا، أَوْ مَوْضِعًا ^(٥) ﴿كَرِيمًا﴾ هُوَ الْجَنَّةُ.

[٣٢] ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ مِنْ جِهَةِ الدُّنْيَا أَوِ الدِّينِ، لِفَلَا يُوْدِي إِلَى التَّحَاشِدِ وَالتَّبَاعُضِ ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ بِسَبَبِ مَا عَمِلُوا مِنَ الْجِهَادِ وَغَيْرِهِ ﴿وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ﴾ مِنْ طَاعَةِ أَزْوَاجِهِنَّ، وَحِفْظِ فُرُوجِهِنَّ - نَزَلَتْ لَمَّا قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: لَيْتَنَا كُنَّا رِجَالًا فَجَاهَدْنَا، وَكَانَ لَنَا مِثْلُ أَجْرِ الرِّجَالِ ^(٦) - ﴿وَسُئِلُوا﴾ بِهَمْزَةٍ، وَدُونَهَا ^(٧) ﴿وَاللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ مَا اخْتَجَمْتُ إِلَيْهِ يُفْطِكُمْ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ يَكُلُّ شَيْءًا عَظِيمًا﴾ ^(٨) وَمِنْهُ مَحَلُّ الْفَضْلِ وَسُؤَالِ الْكَمِّ.

[٣٣] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ ﴿جَعَلْنَا مَوْلَىٰ عَصِيَّةٍ﴾ عَصِيَّةٌ يَعْطُونَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ ﴿لَهُمْ مِنْ الْمَالِ﴾ وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ بِالْف، وَدُونَهَا ^(٩) ﴿أَيْمَنُكُمْ﴾ جَمْعُ «يَمِين» بِمَعْنَى الْقِسْمِ، أَوِ الْيَدِ، أَي: الْخِلْفَاءُ الَّذِينَ عَاهَدْتُمُوهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَلَى النُّصْرَةِ وَالْإِثْرِ ﴿فَتَأْتُوهُمْ﴾ الْآنَ

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مِيلًا عَظِيمًا ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُوًّا وَطُلُفًا فَسَوْفَ نُضَيِّقُهُ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ إِنْ تَجْتَنِبُوا كِبَارَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ وَسُئِلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ اللَّهَ كَانَ يَكُلُّ شَيْءًا عَظِيمًا ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوْلَىٰ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ﴾ وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَتَأْتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنْ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا

﴿نُضَيِّقُهُمْ﴾ حَظْوْظُهُمْ مِنَ الْمِيرَاثِ، وَهُوَ: السُّدُسُ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ مُطْلَعًا، وَمِنْهُ حَالِكُمْ، وَهَذَا مَنْسُوخٌ ^(١) يَقُولُهُ: ﴿وَأُولُوا الْأَرْكَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ ^(٢).

(٥) مَا جَاءَ فِي رِوَايَةِ (٣٢): أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا يَغْزُو النِّسَاءُ، وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾. ائِرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) سُورَةُ النَّسَاءِ. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٥) (صَحِيحُ الْإِسْنَادِ) صَحِيحُ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٤١٩).

(١) أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى أَنَّ الْاِسْتِثْنَاءَ مَنْقُطِعٌ؛ لِأَنَّ التِّجَارَةَ لَيْسَتْ مِنْ جِنْسِ الْأَمْوَالِ الْمَأْكُولَةِ بِالْبَاطِلِ، وَخَصَّ التِّجَارَةَ بِالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِهَا كَالْهَبَةِ وَالصَّدَقَةِ وَالْوَصِيَّةِ؛ لِأَنَّ غَالِبَ التَّصَرُّفِ فِي الْأَمْوَالِ بِهَا.

(٢) وَالْقِرَاءَةُ لِمُفْرَدَةٍ بِالضَّمِّ، نَافِعٌ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ.

(٣) أَي: مِنْهَا لِلْمُسْلِمِينَ الَّتِي قَبِلَ بِهَا.

(٤) وَالْفَتْحُ قِرَاءَةُ نَافِعٍ.

(٥) لَفٌ وَنَشْرٌ مُرْتَبٍ، فَاذْخَالًا عَلَى قِرَاءَةِ ﴿مَدْخَلًا﴾، وَمَوْضِعًا عَلَى قِرَاءَةِ: ﴿مَدْخَلًا﴾. فَيَكُونُ اسْمُ كَانَ.

(٦) أَخْرَجَ نَحْوَهُ الطَّرِيقِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ (٩٢٣٩، ٩٢٤٠) وَنَحْوَهُ أَضْأًا عَنْ عَطَاءٍ (٩٢٤٥) وَنَحْوَهُ عَنْ شَيْخٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ (٩٢٤٢) وَلَكِنَّهَا مَبْهَمَةٌ فِي النَّسَاءِ وَيَسَّرَ فِيهَا تَعْيِينَ أُمِّ سَلَمَةَ فِي هَذَا الْمَقُولِ. وَلَكِنْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ (٢٩٤٨) وَغَيْرُهُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ يَغْزُو الرِّجَالُ وَلَا يَغْزُو النِّسَاءُ وَإِنَّمَا لَنَا نِصْفُ الْمِيرَاثِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ وَأَنْزَلَ فِيهَا: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ وَصَحَّحَهُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٧) بِدُونِهَا قِرَاءَةُ الْكَسَائِيِّ وَابْنِ كَثِيرٍ.

(٨) بِالْأَلْفِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ.

(٩) أَي: يَقُولُهُ: ﴿وَالَّذِينَ عَاقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ﴾ [النِّسَاءُ: ٣٣].

(١٠) الْأَحْزَابُ: ٦.

أَمْوَالِهِمْ فَأَصْلَحْتُ مِنْهُمْ ﴿٣٥﴾ قَنِتْتُ ﴿٣٦﴾ مطيعات لأزواجهن ﴿٣٧﴾ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ ﴿٣٨﴾ أي: لفروجهن وغيرها في غيبة أزواجهن ﴿٣٩﴾ بِمَا حَفِظْتُ ﴿٤٠﴾ من ﴿٤١﴾ أَنَّهُ ﴿٤٢﴾ حيث أوصى عليهن الأزواج ﴿٤٣﴾ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ ﴿٤٤﴾ عصبانهن لكم؛ بأن ظهرت أمارته ﴿٤٥﴾ فَيُطْرَهُنَّ ﴿٤٦﴾ فَخَوْفُوهُنَّ اللَّهَ ﴿٤٧﴾ وَأَخْضِرُّوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ ﴿٤٨﴾ اعتزلوا إلى فراش آخر؛ إن أظهرن النشور ﴿٤٩﴾ وَأَخْضِرُّوهُنَّ ﴿٥٠﴾ ضَرْبًا غَيْرَ مَبْرَحٍ؛ إن لم يرجعن بالهجران ﴿٥١﴾ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ ﴿٥٢﴾ فيما يراد منهن ﴿٥٣﴾ فَلَا تَبْغُوا ﴿٥٤﴾ تطلبوا ﴿٥٥﴾ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ﴿٥٦﴾ طريقًا إلى ضربهن ظلمًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٥٨﴾ فاحذروه أن يعاقبكم إن ظلمتموهن.

[٣٥] ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ﴾ علمتم ﴿شِقَاقَ﴾ خلاف ﴿بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين، والإضافة للاتساع؛ أي: شقاقًا بينهما ﴿فَابْعَثُوا﴾ إليهما برضاهما ﴿حَكَمًا﴾ رجلاً عدلاً ﴿وَمِنْ أَهْلِيهِ﴾ أقاربه ﴿وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ ويؤكد ﴿الرُّؤُوحَ حَكَمَةً﴾ في الصلح وقبول عوض عليه، وتؤكد هي حكمة في الاختلاع؛ فيجتهدان وبأمران الظالم بالرجوع، أو يفرقان؛ إن رأياه، قال - تعالى -: ﴿وَإِنْ يُرِيدَا﴾ أي: الحكمان ﴿إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾ بين الزوجين ﴿٥٩﴾؛ أي: يُقَدِّرُهُمَا عَلَى مَا هُوَ الطاعة من إصلاح أو فراق ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرًا﴾ بالباطن كالظواهر.

[٣٦] ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وَخُدُّوهُ ﴿وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ﴾ شَيْئًا ﴿وَكُنُوا أَحْسَنًا﴾ بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴿وَالَّذِينَ جَانِبَ﴾ وَيُذِي الْقُرْبَىٰ ﴿الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة ﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ ﴿الْقُرْبَىٰ﴾ القريب منك في الجوار أو النسب ﴿وَالْجَارِ الْبَعِيدِ﴾ البعيد عنك في الجوار أو النسب ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ الرفيق في سفر أو صناعة، وقيل: الزوجة ﴿وَأَتَى السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ من الأرقاء ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا﴾ مُتَكَبِّرًا ﴿فَخُورًا﴾ على الناس بما أوتي.

[٣٧] ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَتَخَلَّوْنَ﴾ بما تجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا أَنَا لَهُمْ مِنَ فَضْلِهِ﴾ من العلم والمال؛ وهم: اليهود، وخبر المبتدأ: لهم وعيد شديد ﴿٦٠﴾ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ ﴿بذلك وبغيره﴾ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٦١﴾ ذا إهانة.

الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَأَصْلَحْتُ قَنِتْتُ حَفِظْتُ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُورَهُنَّ فَعُطُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَخْضِرُّوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٥﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٦﴾ وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَاتِّبَانِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٧﴾ الَّذِينَ يَتَخَلَّوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا أَنَا لَهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٨﴾

[٣٤] ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ﴾ مسيطرون ﴿عَلَى النِّسَاءِ﴾ يؤدبونهن ويأخذون على أيديهن ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ أي: بتفضيله لهم عليهن بالعلم والعقل والولاية وغير ذلك ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا﴾ عليهن

(١) أشار المصنف إلى أن «ما» اسم موصول، أو نكرة موصوفة، والعائد محذوف قدره بقوله: «هن».

(٢) وقيل: جفظ الله لهم؛ أي: توفيق الله لهم. وقيل: بهيئتهم عن المخالفة.

(٣) اشتراط التوكيل هو مذهب الأحناف والشافعية، لانحصار مهمة الحكام عندهم في الإصلاح، ولا يحق لهما التفرق بين الزوجين إلا بتفويض منهما، بخلاف المذهب المالكي الذي يعطي الحكام حق الحكم بالتفريق من غير توكيل منهما.

(٤) ويحتمل أن يعود الضمير على الزوجين؛ والمعنى: إن يرد الزوجان إصلاحًا؛ معاشرته بالمعروف وترك ما يسيء، تحصل الموافقة بينهما.

(٥) ويحتمل أن يعود الضمير على الحكام؛ والمعنى: لا يحصل اختلاف بين الحكام؛ بن تحصل الموافقة بينهما.

(٦) أي: محذوف، وهذا تقديره.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ عَظَّمَ عَلَى الَّذِينَ قَبْلِهِمْ أَنْ يَقُولُوا أَمْوَالُهُمْ رِشَاءٌ لِلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كالمنافقين وأهل مكة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ أَكْثَرُنَ النَّاسِ قُرْبَانًا﴾ صاحبًا يعمل بأمره: كهؤلاء ﴿فَسَاءَ مَا يَحْكُمُ الْقُرْآنُ﴾ هو.

[٣٩] ﴿وَمَاذَا عَلَيْنَا أَنْ نَسْأَلَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْتُمْ مِمَّنْ رَفَعَهُمُ اللَّهُ﴾ أي: أي ضرر عليهم في ذلك، والاستفهام للإنكار، ولو: مصدرية^(٨)، أي: لا ضرر فيه، وإنما الضرر فيما هم عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ فيجازيهم بما عملوا.

[٤٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ﴾ أَخَذًا ﴿يُشْقَالُ﴾ وزن ﴿ذَرُّوْهُ﴾ أصغر غلة؛ بأن ينقصها من حسنته أو يزيدا في سيئته ﴿وَإِنْ تَكُ الدَّرَّةُ حَسَنَةً﴾ من مؤمن، وفي قراءة: بالرفع^(٩)؛ فدكانه: تامة ﴿يُضْعِفُهَا﴾ من عشر إلى أكثر من سبعائة، وفي قراءة: ﴿يُضْعِفُهَا﴾ بالتشديد^(١٠) ﴿وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ﴾ من عنده مع المضاعفة ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ لا يقدره أحد.

[٤١] ﴿فَكَيْفَ﴾ حال الكفار ﴿إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ يشهد عليها بعملها؛ وهو: نبيا ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد ﴿وَعَلَى هَذِهِ شَهِيدًا﴾.

[٤٢] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم الجزيء ﴿يُؤْذِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ﴾ أي: أن ﴿شَوَى﴾ بالبناء للمفعول والفاعل مع حذف إحدى التاءين في الأصل، ومع إدغامها في السين^(١١)؛ أي: تنسوى ﴿بِهِمُ الْأَرْضُ﴾ بأن يكونوا تراثًا مثلها؛ لعظم هولها - كما في آية أخرى ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَلْبَسُنِي كُتٌّ ثَرَابًا﴾^(١٢) - ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ عما عملوه، وفي وقت آخر يكتمونه، ويقولون: ﴿وَاللَّهُ رَيْبًا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾^(١٣).

[٤٣] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ﴾ أي: لا تصلوا ﴿وَأَنْتُمْ شُكْرَى﴾ من الشُّرَابِ؛ لأن سبب نزولها صلاة جماعة في حال سكر ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ بأن تضحوا^(١٤) ﴿وَلَا جُنْبًا﴾ بإبلاج أو إنزال، ونصبه على الحال، وهو يطلق على المفرد وغيره ﴿إِلَّا عَابِرِي﴾ مجتازي ﴿سَبِيلٍ﴾ طريق؛ أي: مسافرين ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا﴾ فلكم أن تصلوا، واستثناء المسافر؛ لأن له حكمًا آخر سيأتي، وقيل: المراد النهي عن قربان مواضع الصلاة؛ أي: المساجد، إلا عبورها من غير مكث ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْتَجِينَ﴾ مرضًا يضره الماء ﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾ أي: مسافرين، وأنتم جنب أو محدثون ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ هو المكان المَعْدُ لقضاء الحاجة؛ أي: أحدث ﴿أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ وفي قراءة: بلا ألف^(١٥)، وكلاهما بمعنى: اللئس؛ وهو: الجنس باليد، قاله ابن عمر - وعليه الشافعي - وألحق به الجنس بباقي البشرية، وعن ابن عباس؛

وَالَّذِينَ يُفْقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِشَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكْفُرْ أَكْثَرُ النَّاسِ قُرْبَانًا فَسَاءَ قُرْبَانًا وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا يَوْمَئِذٍ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا الرَّسُولَ لَوْ نَسَوْنَ بِهِمُ الْأَرْضَ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْتَجِينَ أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا نُصُبًا مِنْ الْأَكْثَبِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ

هو: الجماع^(١٦) ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً﴾ تطهرون به للصلاة بعد الطلب والتفتيش، وهو راجع إلى ما عدا المرضى ﴿فَتَيَمَّمُوا﴾ أفصدوا بعد دخول الوقت ﴿صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ تراثًا طاهرًا، فاضربوا به ضربتين ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾ مع المؤقتين منه^(١٧)، ودمسح يتعدى بنفسه^(١٨) وبالخرف^(١٩) ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا﴾.

[٤٤] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا نُصُبًا﴾ خطأ ﴿مِنْ الْأَكْثَبِ﴾ وهم اليهود ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾ بالهدى ﴿وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ تخطئوا الطريق الحق؛ لتكونوا مثلهم.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٤٣): أخرجه أبو داود عن علي بن أبي طالب أن رجلاً من الأنصار دعاه وعبد الرحمن بن عوف فسقاها قبل أن تحرم الخمر، فأمرهم علي في المغرب فقرا: ﴿فَلْيَكُنَّ الْكَافِرُونَ﴾ فخلط بها، فنزلت: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾. وأخرج أيضاً: عن عمر بن الخطاب قال: لما نزل تحريم الخمر قال عمر: =

(١) أي: والكلام على تقدير حرف الجر «في» الدخول على المصدر المقدّر: أي: وماذا عليهم في إيمانهم؟! (٢) لافع وابن كثير. (٣) لابن كثير وابن عامر.

(٤) قرأها ﴿نَشَوَى﴾ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم، وقرأها ﴿نَشَوَى﴾ حمزة والكسائي، وقرأها ﴿نَشَوَى﴾ نافع وابن عامر. (٥) سورة الباء: آية ٤٠. (٦) سورة الأنعام: آية ٢٣. (٧) حمزة والكسائي. (٨) وهذا هو الصحيح في تفسير الآية - إن شاء الله - ولا ينفق الضمير مجرد من المرأة ولو بشهوة... لأن الأصل عدم النقص حتى يقوم دليل صحيح صريح على ذلك، ولما روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ «وَقَدْ نَفَسَ نِسَائِهِ ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلَاةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ»، كما أن تفسير ابن عباس عليه السلام هو المناسب لسياق الآية كما بيّنه أهل العلم، وإن كانوا قد اختلفوا في صحة الحديث المذكور والذي أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي، فقد

صححه ابن عبد البر كما في «البلل»، وأما ما ورد عن ابن عباس فقد قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: إن ذلك صَحَّ عنه وهو الذي دعا له النبي ﷺ أن يعلمه التأويل، وهو أولى من يؤخذ قوته في التفسير إلا أن يعارضه من هو أرجح منه. انظر: [الشرح الممتع (١/ ٢٣٩)].

(٩) أي: من الصعيد الطيب، وهو مذهب الشافعي في الجديد، واستدل بحديث ضعيف، والراجح أن التيمم يكون بمسح الوجه واليدين إلى الكفين فقط، ويكون بضرية واحدة.

(١٠) فتكون الباء زائدة. (١١) وتكون الباء للتعدي.

قَالُوا مَعَنَا وَأَطَعْنَا ﴿٤٧﴾ وَعَصَيْنَا ﴿٤٨﴾ وَاسْمِعْ ﴿٤٩﴾ وَانْظُرْنَا ﴿٥٠﴾ انظر إلينا بدل ﴿رَعَيْتَا﴾ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ مما قالوه ﴿وَأَقْرَبُ﴾ أعدل منه ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿يَكْفُرُ بِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم، كعبد الله بن سلام وأصحابه.

[٤٧] ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكَيْدَ﴾ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا ﴿مِنَ الْقُرْآنِ﴾ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴿مِنَ التَّوْرَةِ﴾ ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا﴾ نَحْو مَا فِيهَا مِنَ الْعَيْنِ وَالْأَنْفِ وَالْحَاجِبِ ﴿فَرَدَّهَا عَلَيَّ آدَابَهَا﴾ فنجعلها كالأقفاء لولحاً واحداً ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾ نَسْخِمْ قَرْدَ ﴿كَأَلَمْنَا﴾ سَخْنَا ﴿أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾ منهم ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ قضاؤه ﴿مَفْعُولًا﴾، ولما نزلت أسلم عبد الله بن سلام (١)؛ فقيل: كان وعيداً بشرط؛ فلما أسلم بعضهم رُفِعَ، وقيل: يكون طمس ومسح قبل قيام الساعة.

[٤٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ﴾ أي: الإشراك ﴿بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ﴾ سِوَى ﴿ذَلِكَ﴾ من الذنوب ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ المغفرة له؛ بأن يدخله الجنة بلا عذاب، ومن شاء عذبه من المؤمنين بذنوبه ثم يدخله الجنة ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ فَقَدْ أَفْرَأى إِثْمًا ﴿ذُنْبًا عَظِيمًا﴾ كبيراً.

[٤٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ وهم اليهود؛ حيث قالوا: ﴿عَنَّا ابْتِغَاؤُ اللَّهِ وَاجْتِبَاؤُهُ﴾ (٢) أي: ليس الأمر بتزكيتهم أنفسهم ﴿بَلِ اللَّهُ يُرِيكَ﴾ يُطَهِّرُ ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ بِالْإِيمَانِ ﴿وَلَا يَظْلُمُونَ﴾ يُنْقِضُونَ من أعمالهم ﴿قَلِيلًا﴾ قَدْرُ قِشْرَةٍ (٣) النواة.

[٥٠] ﴿انْظُرْ﴾ مُتَعَجِّبًا ﴿كَيْفَ يَقْعُدُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ﴾ بذلك ﴿وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾ بَيِّنًا. ونزل في كعب بن الأشرف ونحوه من علماء اليهود لما قَدِمُوا مَكَّةَ، وشاهدوا قتلى بدر؛ وحرصوا المشركين على الأخذ بثأرهم ومحاربة النبي ﷺ.

[٥١] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْطَّلُوتِ (٤) صنمان لقريش ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: سفيان (٥) وأصحابه؛ حين قالوا لهم: أنحن أهدى سبيلاً ونحن ولاد البيت؛ نسقي الحاج ونقري الضيف، ونفك العاني، ونفعل... أم محمد؛ وقد خالف دين أبائه، وقطع الرحم، وفارق الحرم؟ ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي: أنتم ﴿أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا﴾ أقوم طريقاً.

اللهم بين لنا في الحمر بياناً شفاءً، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿يَتَذَكَّرُكَ عَرَبُ الْحَمَرِ وَالْمَنَسِيرُ قُلْ فِيهِمَا إِنَّكُمْ كَعَرَبٍ﴾ الآية. قال: فدعا عمر، فقرئت عليه. قال: اللهم بين لنا في الحمر بياناً شفاءً، فنزلت الآية التي في النساء: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَأُوا الصَّلَاةَ وَاشْتَرَوْا سُكْرَيْنَ﴾ فكان منادي رسول الله ﷺ إذا أقمت لصلاة ينادي: ألا لا يقرب الصلاة سكران. فدعي عمر فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الحمر بياناً شفاءً، فنزلت هذه الآية: ﴿قُلْ أَنْتُمْ تُشْهِونَ﴾ قال عمر: انتهينا. وضححه الألباني وسبق تخريجه عند الآية (٢١٩) من سورة البقرة.

(١) لم أجد أن عبد الله بن سلام أسلم لما نزلت، وإن كان القرطبي قد ذكره في تفسيره بلا إسناد، ولكن ورد إسلام كعب الأحمري لما سمع هذه الآية فيما أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي إدريس الخولاني، وابن جرير عن عيسى بن المغيرة وإسناده ضعيف [الدر المنثور (٣٠١/٢)].

(٢) المائدة: ١٨. (٣) قشرة النواة هي القطمير، وأما الفيل فهو الحيط الذي في شق النواة.

وقيل: الفيل هو ما يخرج بين أصبعيك أو كفك من الوسخ إذا فلتتهما، وقيل فيه غير ذلك. انظر: [الدر المنثور (٣٠٥/٢)] وغيره.

(٤) أخرجه نحوه عبد الرزاق وابن جرير عن عكرمة مرسلاً بدون ذكر قتلى بدر [الدر المنثور (٣٠١/٢)]، وأخرجه أحمد كما في تفسير القرآن العظيم (٥٢٥/١)، والطبري في جامعه (٨٥/٥)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٩٧٣/٣)، وابن حبان في صحيحه (٦٥٧٢) عن عكرمة عن ابن عباس، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح صحيح على شرط الصحيح.

(٥) وذلك قبل إسلامه ﷺ.

وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِالسِّنِينَ هُمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلَّوْا نَهْمُ قَالُوا أَسْمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمِعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْرَبُ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٣﴾ يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى آدَابِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٥٤﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٥٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُرِيكَ مِنْ شَاءٍ وَلَا يَظْلُمُونَ قَلِيلًا ﴿٥٦﴾ انْظُرْ كَيْفَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا ﴿٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْفُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجَنَّةِ وَالْطَّلُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا ﴿٥٨﴾

[٤٥] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾ منكم؛ فيخبركم بهم لتجنبوهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا﴾ حافظاً لكم منهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ مانعاً لكم من كيدهم.

[٤٦] ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ قَوْمٌ ﴿يُحَرِّفُونَ﴾ يغيرون ﴿الْكَلِمَ﴾ الذي أنزل الله في التوراة من نعت محمد ﷺ ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضع عليها ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للنبي ﷺ إذا أمرهم بشيء: ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أملك ﴿وَاسْمِعْ غَيْرَ مَسْمُوعٍ﴾ حال؛ بمعنى: الدعاء؛ أي: لا سمعت ﴿وَرَاعِنَا﴾ وقد نهى عن خطابه بها؛ وهي كلمة سب بلغتهم تحريفاً ﴿بِالسِّنِينَ﴾ طعناً قديماً ﴿فِي الَّذِينَ﴾ الإسلام ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ

[٥٢] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ مانعاً من عذابه.

[٥٣] ﴿أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا﴾ أي ليس لهم شيء منه ولو كان ﴿فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا﴾ أي شيئاً تافهاً قدّر النقرة في ظهر النواة؛ لفرط بخلهم.

[٥٤] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَحْسُدُونَ النَّاسَ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ من النبوة وكثرة النساء؛ أي: يمتصون زواله عنه، ويقولون: لو كان شيئاً لاشتغل عن النساء^(١) ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ جدّه؛ كموسى^(٢) وداود وسليمان ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ والنبوة ﴿وَوَاتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا﴾ فكان داود تسع وتسعون امرأة، وسليمان ألف؛ ما بين حرة ورسولة^(٣).

[٥٥] ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِ﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِ﴾ فلم يؤمن ﴿وَكُنْ يَوْمَهُمْ كَيْفَ كُنْتُمْ﴾ عذاباً لمن لا يؤمن.

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْتَظِرُونَ﴾ نَصِيحَتِهِمْ نَدخلهم ﴿نَارًا﴾ يحترقون فيها ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ﴾ احترقت ﴿جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ بأن تعاد إلى حالها الأول، غير محترقة ﴿يَلْبِثُونَ فِيهَا﴾ ليقاسوا شدته ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا﴾ لا يعجزه شيء ﴿حَكِيمًا﴾ في خلقه.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَرْعٌ مَطْهَرَةٌ﴾ من الحضيض وكل قدر ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ دائماً لا تتسخه شمس؛ هو: ظل الجنة.

[٥٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ﴾ أي: ما أؤتمن عليه من الحقوق ﴿إِلَى أَهْلِهَا﴾ نزلت لما أخذ علي ﷺ مفتاح الكعبة من عثمان بن طلحة الحنفي سادنها قسراً، لما قدّم النبي ﷺ مكة عام الفتح ومنعه؛ وقال: لو علمت أنه رسول الله لم آمنه. فأمر رسول الله ﷺ برده إليه؛ وقال: «هاك خالدةً تالدة»^(٤)، فعجب من ذلك؛ فقرأ له عليّ الآية؛ فأسلم، وأعطاه عند موته لأخيه شيبه بقي في ولده والآية. وإن وردت على سبب خاص - فعمومها مغتبر بقرينة الجمع ﴿وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ أَنْفُسِكُمْ﴾ يأمركم ﴿أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَهْدِي لَكُمْ صِرَاطًا ﴿فِيهِ إِدْغَامٌ مِمَّ﴾ «نغم» في «ما» النكرة الموصوفة؛ أي: نعم شيئاً ﴿يُطْعَمُونَ يَوْمَهُ﴾ تأدية الأمانة والحكم بالعدل ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿يَصِيرًا﴾ بما يفعل.

[٥٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾
أَمْرُهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَصِيرًا ﴿٥٣﴾
يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مَلَكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَعْنَهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْتَظِرُونَ نَصِيلَهُمْ نَارًا كَمَا فَضَحَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَكُنْ فِيهَا زَرْعٌ مَطْهَرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حُكِمْتُمْ بَيْنَ أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

﴿الْأَمْرُ﴾ أي: الولاية ﴿يُنْكَرُ﴾ إذا أمروكم بطاعة الله ورسوله^(١) ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ﴾ اختلفتم ﴿فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى كتابه ﴿وَالرَّسُولِ﴾ مدة حياته، وبعده إلى شئبه؛ أي: اكشفوا عليه منهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ ذلك؛ أي: الرد إليهما ﴿خَيْرٌ﴾ لكم من التنازع والقول بالرأي ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً.

(١) ما جاء في نزول الآية (٥٩): أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ قال: نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعث النبي ﷺ في سرية البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١١).

وأخرج أيضاً عن علي ﷺ قال: بعث النبي ﷺ سرية فاستعمل رجلاً من الأنصار وأمرهم أن يطعموه. ففضب، فقال: أليس أمركم النبي ﷺ أن تطعموني؟ قالوا: بلى. قال: فاجمعوا لي حطب. فجمعوا. فقال: أقودوا نازاً، فأوقدوا. فقال: ادخلوها. فهجروا، وجعل بعضهم يسلك بعضاً ويقولون: فرنا إلى النبي ﷺ من النار. فمأزوا حتى خمدت النار فسكن غضبه. فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة إنما الطاعة في المعروف» البخاري - كتاب المغازي (٦٤) باب (٥٩).

(٢) والظاهر أن المراد بالناس هنا: الرسول والمؤمنون، والفضل: النبوة والكتاب والعز والنصر والتمكين، حسدتهم أي يهود على ذلك، كما اختاره طائفة من المفسرين؛ كالقاسمي والسدي. ولا وجه لظاهر إقحام ذكر النساء، كما لا نقل صحيح. والله أعلم.

(٣) المعنى: فقد جمعنا أسلافكم من ديرة إبراهيم بين الملك والنبوة، فلا شيء تخصون محمداً ﷺ بأخس دون غيره من أنعم الله عليه. وأما تخصيص المفسر الملك العظيم بتعدد الزوجات ففيه نظر، والصواب الإطلاق. والله أعلم.

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول بدون ذكر جملة (هاك...)، وأخرج الطبراني عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم»، يعني حجابة الكعبة [الدر المنثور (٣١٢/٢)]. وإسنادهما ضعيف كما في الاستيعاب (٤١٤/١)، وأخرج ابن إسحاق بسند صحيح في السيرة (٤١١/٢)، ونقله ابن كثير في تفسيره (٥٢٨/١) عن صفية بنت شيبه: أن رسول الله ﷺ لما نزل بمكة واطمأن الناس، خرج حتى جاء البيت؛ فطاف به سبعمائة على راحلته... فلما فرغ من طوافه؛ دعا عثمان بن أبي طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة؛ ففتحت له فدخلها... ثم جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقام إليه علي بن أبي طالب ومفتاح الكعبة في يده، فقال يا رسول الله، اجمع لنا الحجابة مع السقاية؛ فقال رسول الله ﷺ: «أليس عثمان بن أبي طلحة؟» فدعي له، فقال: «هاك مفتاحك يا عثمان؛ اليوم يوم وفاء وبره».

وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ ﴿٦١﴾ الكثير الطغيان؛ وهو: كعب بن الأشرف ﴿وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ ولا يوالوه ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[٦١] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الْحُكْمِ وَإِلَى الرَّسُولِ لِيَحْكُمَ بَيْنَكُمْ﴾ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ ﴿يَعْرِضُونَ عَنْكَ﴾ إلى غيرك ﴿صُدُّوا﴾.

[٦٢] ﴿فَكَفَّ﴾ يصنعون ﴿وَإِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ﴾ عِقوبة ﴿يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي؛ أي: يقفرون على لإعراض والفرار منها؛ لا ﴿ثُمَّ جَاءُوكَ﴾ معطوف على: ﴿يَصُدُّونَ﴾ ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ مَا أَرَدْنَا﴾ بالحكمة إلى غيرك ﴿إِلَّا إِحْسَانًا﴾ صلحا ﴿وَتَوَقُّعًا﴾ تأليفاً بين الخصمين؛ بالتقريب في الحكم دون الحمل على مؤ الحن.

[٦٣] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق وكذبهم في عذرهم ﴿فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ﴾ بالصفح ﴿وَعَظَّمَهُمْ﴾ خوفهم الله ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي شَأْنِ أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ مؤثرا فيهم؛ أي: ازجرهم ليرجعوا عن كفرهم.

[٦٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ﴾ فيما يأمر به ويحكم ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمره؛ لا ليعصى ويخالف ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتحاكمهم إلى الطاغوت ﴿جَاءُوكَ﴾ تائبين ﴿فَأَسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾ فيه التفات عن الخطأ؛ تفخيما لشأنه ﴿لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا﴾ عليهم ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

[٦٥] ﴿فَلَا وَرَبِّكَ﴾ (١) لا: زائدة (٢) ﴿لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ﴾ فيما شَجَرَ ﴿اخْتَلَفَ﴾ بينهم ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا ﴿ضَيْقًا أَوْ شَكًّا﴾ وَمَا قَضَيْتَ بِهِ ﴿وَيَسْلُبُوا﴾ ينقادوا لحكمك ﴿سَلِيلًا﴾ من غير مُعَاوَضَةٍ (٣).

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتُ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُّوا وَإِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ يَمَّا قَدَّمْتْ أَيْدِيَهُمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَعَظَّمَهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوْجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُبُوا سَلِيلًا

[٦٠] ونزل لما اختصم يهودي ومنافق؛ فدعا المنافق إلى كعب بن الأشرف ليحكم بينهما، ودعا اليهودي إلى النبي ﷺ فأثابه فقبض لليهودي؛ فلم يرض المنافق، وأثا عزم؛ فذكر اليهودي ذلك، فقال للمنافق: أكذاك؟ قال: نعم؛ فقتله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

(١) ما حاء في نزول الآية (٦٥): أخرجه البخاري عن عروة قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريح من الحرق، فقال النبي ﷺ: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك» فقل الأنصاري: يا رسول الله، أن كان «بن عمتك» فقلون وجهه، ثم قال: «اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجذر ثم أرسل الماء إلى جارك». واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري. وكان أشار عليهما بأمر لهما فيه معة. قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾. البخاري. كتاب التفسير (١٢) سورة النساء (٤) باب (١٢).

(١) أخرجه التلمبي عن ابن عباس [الدر المنثور (٣٢٠/٢)]، وقال الحافظ في الفتح (٣٨/٥): «وهذا الإسناد وإن كان ضعيفاً؛ لكن تقوى بطريق مجاهد، ولا يضره الاختلاف لإمكان التعدد». وتُعَبَّ بأن في إسنادها الكلبي وأبا صالح وهما كذابان. (الاستيعاب ٤٢٤/١) وأخرج الطبراني في الكبير (١٢٠٤٥/٢٩٥/١١) وابن أبي حاتم في تفسيره بسند صحيح عن ابن عباس قال:

• كان أبو بردة الأسلمي كاهناً يقضي بين اليهود فيما يتنافرون إليه؛ فضاغر إليه أناس من أسلم؛ فأنزل الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾. فكان أبو بردة يفتيهم فيهم نزلت،... وقالت طائفة: نزلت في الزبير مع الأنصاري، وكانت الحصومة في سقي بستان... وذكر القصة.

(٣) وهو اختيار الرمخشري، وقال الطبري: قوله: ﴿فَلَا﴾ رد على ما تقدم ذكره، تقديره: فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك. ثم استأنف القسم بقوله: ﴿وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكُمْ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْلُبُوا سَلِيلًا﴾.

وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اقْتُلُوا مَنْ
يَرْضَاكُمْ مِمَّا فَعَلْتُمْ لَا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ
بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَنبِيئًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا أَلَّاتِيَتْهُمْ
مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْتُهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا
﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ
وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى
بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ بَيَّأْنًا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ
فَإَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ تَنْفِرُوا جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ
فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا فَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ
مَعَهُمْ شُهَدَاءَ ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولُنَّ كَأَن
لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ
فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ
يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يَقْتُلْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيَهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٧٤﴾

[٧٤] قال تعالى: ﴿فَلْيَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ لإعلاء دينه ﴿الَّذِينَ
يَشْرُونَ﴾ يبيعون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يَقْتُلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
فَيُقْتَلْ﴾ يُشْتَشْهُدُ ﴿أَوْ يَغْلِبْ﴾ يَغْلِبُ بِغُلُوِّهِ ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾
ثوابًا جزيلاً.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ﴾ مُفَسَّرَةٌ (١) ﴿اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ
اقْتُلُوا مَنْ يَرْضَاكُمْ﴾ كما كتبنا على بني إسرائيل ﴿مِمَّا فَعَلْتُمْ﴾ أي: المكتوب
عليهم ﴿لَا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾ بالرفع: على البدل، والنصب: على الاستثناء (٢) ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ
فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ﴾ من طاعة الرسول ﷺ ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
وَأَشَدَّ تَنبِيئًا﴾ تحقيقًا لإيمانهم.

[٦٧] ﴿وَإِذَا﴾ أي: لو تَنَبَّأُوا ﴿لَا تَنَبَّأُهُمْ مِّنْ لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿أَجْرًا
عَظِيمًا﴾ هو: الجنة [٦٨] ﴿وَلَهَدَيْتُهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.

[٦٩] قال بعض الصحابة للنبي ﷺ: كيف نراك في الجنة وأنت في
الدرجات العلى ونحن أسفل منك؟ فنزل: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ (٣) ﴿فِيمَا
أَمَرَ بِهِ﴾ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ أَفْضَلُ
أصحاب الأنبياء؛ لمبايعتهم في الصدق والتصدق ﴿وَالشُّهَدَاءَ﴾ القتلى في
سبيل الله ﴿وَالصَّالِحِينَ﴾ غير من ذكر ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ رفقاء في
الجنة؛ بأن يستمتع فيها برويتهم وزيارتهم والحضور معهم - وإن كان مفرهم
في الدرجات العالية بالنسبة إلى غيرهم ..

[٧٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: كونهم مع من ذكر، مبتدأ خبره: ﴿الْفَضْلُ مِنَ
اللَّهِ﴾ تفصل به عليهم، لا أنهم نالوه بطاعتهم ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ بواب
الآخرة؛ أي: ففوقوا بما أخبركم به ﴿وَلَا يَبْنِيكَ مِثْلَ خَبِيرٍ﴾ (٤).

[٧١] ﴿يَبَّأْنًا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ من عدوكم؛ أي: احتذروا
منه وتيقظوا له ﴿فَإَنْفِرُوا﴾ انهضوا إلى قتاله ﴿ثُبَاتٍ﴾ (٥) منفردين؛ سرية بعد
أخرى ﴿أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين.

[٧٢] ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾ لَيُتَأَخَّرَنَّ عن القتال؛ كعبد الله بن أبي
المنافق وأصحابه، وجعلهم منهم من حيث الظاهر (٦)، واللام في الفعل: للقسمة
﴿فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ﴾ كقتل وهزيمة ﴿قَالُوا فَمَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا إِذْ لَمْ أَكُنْ
مَعَهُمْ شُهَدَاءَ﴾ حاضروا فأصاب.

[٧٣] ﴿وَلَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ﴾ كفتح وغنيمة
﴿لَيَقُولُنَّ﴾ نأدينا ﴿كَأَن﴾ مُحَقَّقَةٌ، واسمها: محذوف؛ أي: كأنه ﴿لَمْ
يَكُنْ﴾ بالياء والتاء (٧) ﴿بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ﴾ معرفة وضادقة، وهذا راجع إلى
قوله: ﴿فَدَأْتَهُمُ اللَّهُ عَلَى﴾ واغترض به بين القول ومقوله؛ وهو: ﴿يَا﴾ للتنبيه
﴿لَيَلَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ أخذ خطأ وافوزا من الغنيمة.

(١) أي: بمعنى: أي، وضابطها أن يتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه.

(٢) أي: ﴿إِلَّا كَيْفًا﴾، وهي قراءة ابن عامر.

(٣) أخرجه نحوه بإسناد حسن مجموع طرقه الطبراني في الصغير (٢٦/١)، والأوسط (١٥٢/١)، رقم ١٥٣ (٤٧٧) من حديث عائشة. قال الحافظ ابن حجر في «العجاب» (٩١٤/٢): «رجال
موثقون». وأخرج ابن شعبة في مصنفه (٥٠١/١) رقم ١١٨٢٣، والطبري في جامعه (١٠٤/٥) عن مسروق مرسلاً، ويشهد له رواية الطبراني عن عائشة.

(٤) سورة فاطر: آية ١٤.

(٥) مفرداً؛ ثبة؛ وهي: الجماعة من الرجال فوق العشرة إلى المائة.

(٦) أي: إنه ليس منهم في حقيقة الأمر، بل هو عدو لهم.

(٧) بالياء قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير.

دُعَاءُهُمْ: فَيَسِّرْ لِبَعْضِهِمُ الْخُرُوجَ، وَبَقِيَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنْ فُتِحَتْ مَكَّةُ، وَوَلَّى ﷺ
عَتَابُ بْنُ أُسَيْدٍ^(١)؛ فَأَنْصَفَ مَظْلُومَهُمْ مِنْ ظَالِمِهِمْ.

[٧٦] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الظَّالِمِينَ﴾ الشيطان ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّاطِلِينَ﴾ أنصار دينه؛ تغلبوهم؛ لقرونكم بالله. إِنَّ كَيْدَ الشَّاطِلِينَ بِالْمُؤْمِنِينَ كَانَ ضَعِيفًا واهيًا؛ لا يُقَاوِمُ كَيْدَ اللَّهِ بِالْكَافِرِينَ.

[٧٧] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ عَنْ قِتَالِ الْكُفَارِ - مَا لَكُمْ طُلُوبُهُ بِمَكَّةَ لِأَدَّى الْكُفَارَ لَهُمْ - وَهُمْ: مَعَامَةُ مِنَ الصَّحَابَةِ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ﴾ فَرَضَ ﴿عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فُتِنَ مِنْهُمْ بِخَيْفُونَ﴾ يَخَافُونَ ﴿الْأَنَاسَ﴾ الْكُفَارَ: أَي: عَذَابُهُم بِالْقَتْلِ ﴿كَخَشِيْتُمْ﴾ هُمْ عَذَابَ ﴿اللَّهِ أَوْ أَتَدَّ خَشْيَتُهُ﴾ مِنْ خَشْيَتِهِمْ لَهُ، وَنَضَبَ ﴿أَتَدَّ﴾ عَلَى الْحَالِ، وَجَوَابَ ﴿لَمَّا﴾ دَلَّ عَلَيْهِ ﴿إِذَا﴾ وَمَا بَعْدَهَا: أَي: فَاجْتَنَبُوا الْخَشْيَةَ ﴿وَقَالُوا﴾ جَزَعًا مِنَ الْمَوْتِ: ﴿رَسْنَا لَمْ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿أَكْرَمْنَا إِلَى أَمَلٍ قَرِيبٍ﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿مَنْعَ الدُّنْيَا﴾ مَا يَتَّبَعُ بِهِ فِيهَا، أَوْ الِاسْتِمَاعَ بِهَا ﴿قِيلَ﴾ أَيْلَ إِلَى الْفَنَاءِ ﴿وَالْآخِرَةُ﴾ أَي: الْجَنَّةَ ﴿لَمَنِ اتَّقَى﴾ عِقَابَ اللَّهِ: بَرِكَ مَعْصِيَتَهُ ﴿وَلَا تَطْلُمُونُ﴾ بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ^(١) تَتَّقُصُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ ﴿فَيَبِيلَا﴾ قَدَرُ قَشْرَةِ النَّوَا^(٢) فَيَجَاهِدُوا^(٣).)

[٧٨] ﴿أَيَسَاءَ تَعْمَلُونَ﴾ يَدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ ﴿خُضُوبٍ﴾ ﴿شُعَيْرَةٍ﴾ مُزْتَعِمَةٍ؛ فَلَا تَخْشَوْنَ الْقِتَالَ خَوْفَ الْمَوْتِ ﴿وَلَا تَنْصِبُهُمْ﴾ أَي: الْيَهُودَ ﴿حَسَنَةً﴾ خَضِبَ وَسِغَةً ﴿يَقُولُوا هَٰؤُلَاءِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِنْ نَحْنُ فِي سَبِيلِهِ﴾ جَذَبَ وَتَلَاةٌ كَمَا حَصَلَ لَهُمْ عِنْدَ قُدُومِ النَّبِيِّ ﷺ الْمَدِينَةَ ﴿يَقُولُوا هَٰؤُلَاءِ مِنْ عِندِكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ أَي: بِشَوْلِكَ ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿كُلٌّ مِنْ الْحَسَنَةِ وَالسَّيِّئَةِ﴾ ﴿يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ مِنْ قِبَلِهِ ﴿قَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمُ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ﴾ أَي: لَا يَقَارِبُونَ أَنْ يَفْهَمُوا ﴿حَدِيثًا﴾ يُلْقَى إِلَيْهِمْ، وَ«مَا»: اسْتَفْهَمَ تَعْجِيبٍ مِنْ فَرَطِ جَهْلِهِمْ، وَنَفَى مُقَابِرَةَ الْفِعْلِ أَشَدَّ مِنْ نَفْيِهِ.

[illegible]

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ
وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ
الْقَاطِلِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا
(٧٥) الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي
سَبِيلِ الظَّالِمِينَ فَفَتِنَا أُولَئِكَ الشَّيْطَانُ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ
كَانَ ضَعِيفًا (٧٦) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ
يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ
عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ
وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧٧) إِنَّمَا تَكُونُوا
يُذْرِكُكُمْ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّسَيَّدَةٍ وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ
يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ
عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَفْقَهُونَ
حَدِيثًا (٧٨) مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ
فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا (٧٩)

[٧٥] ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ﴾ استفهام توبيخ؛ أي: لا مانع لكم من القتال ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وفي تخلص ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الذين حَبَسَهُمُ الْكُفْرُ عَنْ الْهَجْرَةِ وَأَذَوْهُمْ - قال ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أنا وأمي منهم - ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ داعين: يا ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ مَكَّةَ ﴿الَّتِي أَهْلُهَا بِالْكَفْرِ وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وَرِثَةً﴾ يتولى أمورنا ﴿وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾ يَمْنَعُنَا مِنْهُمْ، وقد استجاب الله

(٥) ما جاء في نزول الآية (٧٧): أخرج النسائي عن ابن عباس أن عبد الرحمن بن عوف وأصحابه لما أتوا النبي ﷺ بمكة؛ فقالوا: يا رسول الله، إننا كنا في عزمٍ ومشرٍ نكون؛ فلما آمنا صرنا أدلة. فقال: «إني أمرت بالهفو، فلا تقاتلوهم». فلما حولنا الله إلى المدينة أمرنا بالقتال كفؤاً، فأقول الله: **﴿هَازِمْ إِلَى الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ كُرْهُ إِلَيْكُمْ وَأَقْبُوا الصَّلَاةَ﴾**. أخرجه النسائي - كتاب الجهاد (٢٥)

(١) استخلاف الرسول عليه الصلاة والسلام لعناب بن أسيد على مكة المذكور في المغازي للواقدي وفي سيرة ابن هشام وحسنه الألباني في [فقه السيرة (ص ٥٠)] ((وجعل عتاب بن أسيد أميراً على مكة)).

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(٣) تقدم قريتنا عند الآية (٤٩)، أن الفتيل هو الذي في شق النواة طولاً، وليس هو قشر النواة.

مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا ۖ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَأُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرِءَانُ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ۖ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٢﴾ فَقَتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَأَنكَفَ الْأَنْفُسُ وَهَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ اللَّهِ أَنْ يَكْفَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٣﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا ۖ وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٤﴾

تَقِيءُ مُقِيَّتًا ۖ مُقِيدًا ۖ فَيَجَازِي كُلَّ أَحَدٍ بِمَا عَمِلَ.

[٨٦] ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ﴾ كَأَنَّ قِيلَ لَكُمْ: سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ﴿فَحَيُّوا﴾ الْحَيَّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا ۖ بَأْنِ يَقُولُوا لَهُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ ﴿أَوْ رُدُّوها﴾ بَأْنِ يَقُولُوا لَهُ: كَمَا قَالَ: أَيُّ الْوَاجِبِ أَخَذْتُمَا، وَالْأَوَّلُ أَفْضَلُ ﴿لَئِنْ اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ مُحَابِيَتًا ۖ فَيَجَازِي عَلَيْهِ، وَمِنْهُ رَدُّ السَّلَامِ، وَخَصَّتِ السَّنَةَ الْكَافِرَ وَالْمُبْتَدِعَ وَالْفَاسِقَ وَالْمُسْلِمَ عَلَى قَاضِي الْحَاجَةِ وَمَنْ فِي الْحَقِّ وَالْأَكْلِ؛ فَلَا يَجِبُ الرُّدُّ عَلَيْهِمْ؛ بَلْ يُكْرَهُ فِي غَيْرِ الْأَحْيَاءِ؛ وَيُقَالُ لِلْكَافِرِ: «وَعَلَيْكَ».

[٨٠] ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى﴾ أَعْرَضَ عَنْ طَاعَتِكَ فَلَا يُهْمُّكَ ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ حَافِظًا لأَعْمَالِهِمْ بَلْ نَذِيرًا، وَالْيَنَاءُ أَسْرَهُمْ؛ فَنَجَازِيهِمْ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ.

[٨١] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أَيُّ: الْمُنَافِقُونَ. إِذَا جَاءَكَ. : أَمَرْنَا ﴿طَاعَةٌ﴾ لَكَ ﴿فَإِذَا بَرَأُوا﴾ خَرَجُوا ﴿مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي الطَّاءِ وَتَرْكِهِ (١)؛ أَيُّ: أَضْمَرْتُ ﴿غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ﴾ لَكَ فِي حَضْرِكَ مِنَ الطَّاعَةِ؛ أَيُّ: عَصِيَانِكَ ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ﴾ بِأَمْرِ يَكْتُبُ (٢) ﴿مَا يُبَيِّتُونَ﴾ فِي صَحَافَتِهِمْ؛ لِيَجَازُوا عَلَيْهِ ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ بِالصَّفْحِ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يُقَى بِهِ؛ فَإِنَّهُ كَافٍ ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ مُقَوِّضًا إِلَيْهِ.

[٨٢] ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ يَتَأَمَّلُونَ ﴿الْفَرِءَانُ﴾ وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَعَانِي الْبَدِيْعَةِ ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ تَنَافُضًا فِي مَعَانِيهِ وَتَبَاطُؤًا فِي نَظْمِهِ.

[٨٣] ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ﴾ عَنِ سَرَايَا النَّبِيِّ ﷺ بِمَا حَصَلَ لَهُمْ ﴿مِنْ الْأَمْنِ﴾ بِالنَّصْرِ ﴿أَوِ الْخَوْفِ﴾ بِالْهَزِيمَةِ ﴿أَذَاعُوا بِهِ﴾ أَفْشَوْهُ؛ نَزَلَ فِي جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ، أَوْ فِي ضِعْفَاءِ الْمُؤْمِنِينَ كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ تَضَعُفُ قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَتَأَذَى النَّبِيُّ ﷺ (٣) ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ﴾ أَيُّ: الْخَبَرُ ﴿إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ﴾ أَيُّ: ذَوِي الرَّأْيِ مِنْ أَكْبَارِ الصَّحَابَةِ؛ أَيُّ: لَوْ سَكَنُوا عَنْهُ حَتَّى يُخْبِرُوا بِهِ ﴿لَعَلِمَهُ﴾ هَلْ هُوَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَذَاعَ أَوْ لَا ﴿الَّذِينَ يَسْتَنَيطُونَهُ﴾ يَتَّبِعُونَهُ وَيَطْلُبُونَ عِلْمَهُ؛ وَهُمْ: الْمَذْبُوعُونَ ﴿مِنْهُمْ﴾ مِنَ الرَّسُولِ وَأُولَى الْأَمْرِ ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بِالْإِسْلَامِ ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾ لَكُمْ؛ بِالْفَرَانِ ﴿لَأَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾ فِيمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ مِنَ الْفَوَاحِشِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[٨٤] ﴿فَقَتِلَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تَكُفَّ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ فَلَا تَهْتَمُ بِتَخْلُفِهِمْ عَنْكَ، الْمَعْنَى: قَاتِلْ - وَلَوْ وَحْدَكَ - فَإِنَّكَ مَوْعُودٌ بِالنَّصْرِ ﴿وَهَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ حَثَّنُهُمْ عَلَى الْقِتَالِ، وَرَغَّبَهُمْ فِيهِ ﴿عَنِ اللَّهِ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ﴾ حَرْبِ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا﴾ مِنْهُمْ ﴿وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ تَعَذُّبًا مِنْهُمْ؛ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ؛ لَأُخْرِجَنَّ وَلَوْ وَخْهَدِي﴾ (٤) فَخَرَجَ بِسَبْعِينَ (٥) رَاكِبًا إِلَى بَدْرِ الصُّغْرَى؛ فَكَفَّ اللَّهُ بَأْسَ الْكَافِرِ؛ بِإِلْقَاءِ الرَّعْبِ فِي قُلُوبِهِمْ، وَمَنْعَ أُنْبِيَّ سَفِيَانٍ عَنِ الْخُرُوجِ - كَمَا تَقَدَّمَ فِي آلِ عِمْرَانَ..

[٨٥] ﴿مَنْ يَشْفَعْ﴾ بَيْنَ النَّاسِ ﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾ مُوَافِقَةً لِلشَّرْعِ ﴿يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ﴾ مِنَ الْأَجْرِ ﴿مِنْهَا﴾ بِسَبَبِهَا ﴿وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾ مُخَالِفَةً لَهُ ﴿يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ﴾ نَصِيبٌ مِنَ الْوُزْرِ ﴿مِنْهَا﴾ بِسَبَبِهَا ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾.

(١) بِالْإِدْغَامِ حَمَزَةً وَأُنْبِيَّ عَمْرُو.

(٢) وَصِفَةُ الْكِتَابَةِ ثَابِتَةً لِلَّهِ - سَبْحَانَهُ - عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ، كَمَا هُوَ ظَاهِرُ هَذِهِ آيَةِ، وَالَّتِي قَبْلَهَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى نَفْسِهِ: أَنْ رِغَضْتَنِي غَلَبْتُ نَفْسِي». وَفِي حَدِيثِ احْتِجَاجِ آدَمَ وَمُوسَى: «قَالَ آدَمُ: يَا مُوسَى اسْمِعْكَ اللَّهُ بِكَلَامِي وَنَحْطُ لَكَ الثُّورَةَ بِيَدِي» [متفق عليهما].

(٣) أَخْرَجَ نَحْوَهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ ابْنِ زَيْدٍ [الدر المنثور (٢/٣٣٤)].

(٤) ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ مُجَاهِدٍ وَعُكْرَمَةَ (١٣٧/٢)، وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلَالِ الْبَرَةِ.

(٥) قَالَ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَهْلِ السِّيَرِ: الصَّحِيحُ أَنَّهُ خَرَجَ فِي أَلْفٍ وَخَمْسِمِائَةٍ فِي السَّنَةِ الْمُرَاجَعَةِ لِلْهَجْرَةِ.

[٨٨] ولما رجع ناس من أحد اختلف الناس فيهم؛ فقال فريق: اقتلهم، وقال فريق: لا، فنزل: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ من الكفر والمعاصي ﴿أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ؟﴾ أي: تفتدوهم من جملة المهتدين، والاستفهام في الموضعين للإيثار ﴿وَمَنْ يُضِلِلْهُ﴾ أي: الله فلن يهديه لكم سبيلاً ﴿طريقاً إلى الهدى﴾.

[٨٩] ﴿وَرُدُّوهُ﴾ تَمَتُّوا ﴿لَوْ تَكَفَّرُونَ﴾ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا أَنْتُمْ وَهُمْ ﴿سَوَاءً﴾ في الكفر ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ توالوهم - وإن أظهروا الإيمان - ﴿حَتَّىٰ يَخْشَوُا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ هجرة صحيحة تُعَقِّقُ إيمانهم ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وأقاموا على ما هم عليه ﴿فَعَذَابُكُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ توالونه ﴿وَلَا تَصِيرُوا﴾ تنصرون به على عدوكم.

[٩٠] ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ بلجئون ﴿إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ﴾ عهد بالأمان لهم ولمن وصل إليهم؛ كما عاهد النبي ﷺ هلال بن عوير الأسلمي^(١) ﴿أَوَّلَ﴾ الذين ﴿جَاءَكُمْ﴾ وقد ﴿حَصَرْتُمْ﴾ ضاقت ﴿صُدُّوهُمْ﴾ عن ﴿أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ﴾ مع قومهم ﴿أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ﴾ معكم؛ أي: تمسكين عن قتالكم وقاتلهم؛ فلا تعرضوا إليهم بأخذ ولا قتل - وهذا وما بعده منسوخ بآية السيف - ﴿وَلَوْ سَاءَ أَلْفُ اللَّهِ﴾ تسليطهم عليكم ﴿كَسَلَتْهُمْ﴾ عَنَّا ﴿بِأَنْ يَقْوِي قُلُوبَهُمْ﴾ فَلَقَاتِلُوكُمْ ولكن لم يشأ؛ فآلئ في قلوبهم الرعب ﴿فَإِنْ أَعَزَّ لَكُمْ قَلْبُكُمْ﴾ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْفُوا إِلَيْكُمْ أَلَسْتُمْ بِالصَّالِحِينَ؛ أي: اتقادوا ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالأخذ والقتل.

[٩١] ﴿سَتَجِدُونَ مَخْرَجَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ﴾ يظهرون الإيمان عندكم ﴿وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ﴾ بالكفر إذا رجعوا إليهم؛ وهم: أسد وغطفان ﴿كُلُّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ﴾ دعا إلى الشرك ﴿أَرْكَسُوا فِيهَا﴾ وقعوا أشد وقوع ﴿فَإِنْ لَّمْ يَعْزِلُوا﴾ يترك قتالكم ﴿وَلَوْ﴾ لَمْ يَلْقُوا إِلَيْكُمْ أَلَسْتُمْ بِالصَّالِحِينَ؟ لَمْ يَكْفُوا أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ ﴿فَعَذَابُكُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقَفْتُمُوهُمْ﴾ وجدتموهم ﴿وَأَوَّلِيكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ برهاناً بيناً ظاهرًا على قتلهم وسبيهم؛ لغدرهم.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٨﴾ ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾ أُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٩﴾ ﴿وَرُدُّوهُ﴾ تَمَتُّوا ﴿لَوْ تَكَفَّرُونَ﴾ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُوا أَنْتُمْ وَهُمْ ﴿سَوَاءً﴾ فِي الْكُفْرِ ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ تَوَالُوهُمْ وَإِنْ أَظْهَرُوا الْإِيمَانَ - وَهِيَ هِجْرَةٌ صَحِيحَةٌ تُعَقِّقُ إِيْمَانَهُمْ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ وَأَقَامُوا عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ ﴿فَعَذَابُكُمْ﴾ بِالْأَسْرِ ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا﴾ تَوَالُوهُمْ ﴿وَلَا تَصِيرُوا﴾ تَنْصُرُونَهُمْ بِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ ﴿٩٠﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾ يَلْجَأُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ عَهْدٌ بِالْأَمَانِ لَهُمْ وَلِمَنْ وَصَلَ إِلَيْهِمْ؛ كَمَا عَاهَدَ النَّبِيُّ ﷺ هَلَالَ بْنَ عُوَيْرِ الْأَسْلَمِيِّ^(١) ﴿أَوَّلَ﴾ الَّذِينَ جَاءَكُمْ وَقَدْ حَصَرْتُمْ ضَاقتْ صُدُّوهُمْ عَنْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ مَعَ قَوْمِهِمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ مَعَكُمْ؛ أَيْ: تُمْسِكِينَ عَنْ قِتَالِكُمْ وَقَاتِلَهُمْ؛ فَلَا تُعْرَضُوا إِلَيْهِمْ بِأَخْذٍ وَلَا قِتَالٍ - وَهَذَا وَمَا بَعْدَهُ مِنْسُوخٌ بِآيَةِ السَّيْفِ - ﴿وَلَوْ سَاءَ أَلْفُ اللَّهِ﴾ تَسْلِيْطُهُمْ عَلَيْكُمْ ﴿كَسَلَتْهُمْ﴾ عَنْ قِيَا قُلُوبَهُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ وَلَكِنْ لَمْ يَشَأْ؛ فَآلَأُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبُ ﴿فَإِنْ أَعَزَّ لَكُمْ قَلْبُكُمْ﴾ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْفُوا إِلَيْكُمْ أَلَسْتُمْ بِالصَّالِحِينَ؛ أَيْ: اتَّقَادُوا ﴿فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ طَرِيقًا بِالأَخْذِ وَالْقِتْلِ.

[٨٧] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ وَاللَّهُ^(١) ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ مِنْ قُبُورِكُمْ ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ﴾ لَا شَكَّ فِيهِ وَمَنْ أَأَدَقُّ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا قَوْلًا.

(١) ما جاء في نزول الآية (٨٨): أخرج البخاري عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: لما خرج النبي ﷺ إلى أحد رجع ناس من أصحابه، فقالت فرقة: نقتلهم. وقالت فرقة: لا نقتلهم، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةً وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾. وقال النبي ﷺ: «إنها تنفي الرجال كما تنفي النار خبث الحديد» البخاري - كتاب فضائل المدينة (٢٩) باب (١٠) مدينة تنفي الخبث.

(١) أشار بذلك إلى أن اللام في قوله: ﴿لِيَجْمَعَنَّكُمْ﴾ موطقة لقسم محذوف.

(٢) روى ابن أبي حاتم عن طريق مجاهد أنها نزلت في هلال بن عوير الأسلمي وكان بينه وبين المسلمين عهد، وقصد ناس من قومه فكره أن يقاتل المسلمين وكره أن يقاتل قومه [فتح الباري (١٠/٨)].

[٩٢] ﴿وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا﴾ أي: ما ينبغي أن يصدر منه قتل له ﴿إِلَّا خَطَاً﴾ مخطئاً في قتله من غير قصد ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً﴾ بأن قصد رمي غيره؛ كصيد أو شجرة، فأصابه أو ضربه بما لا يقتل غالباً^(١) ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ نسمة ﴿مُؤْمِنَةٍ﴾ عليه ﴿وَوَدِيَّةٌ مَسْلُومَةٌ﴾ مودة ﴿إِلَى أَهْلِيهِ﴾ أي: ورثة المقتول ﴿إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ يتصدقوا عليه بها؛ بأن يصفوا عنها - وبينت الشئ أنها مائة من الإبل؛ عشرون^(٢) بنت مخاض، وكذا بنت لبون وبنت لبون، وحقاق وجذاع، وأنها على عاقلة القاتل^(٣)؛ وهم: عصبته في الأصل والفرع، موزعة عليهم على ثلاث سنين؛ على الغني منهم نصف دينار، والمتوسط ربع كل سنة^(٤)، فإن لم يفوا فبئس بيت المال، فإن تعذر فعلى الجاني ﴿فَإِنْ كَانَ﴾ المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ﴾ حرب ﴿لَكُمْ﴾ وهو مؤمن ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ مؤمنَةٍ عليه قاتله كفارة، ولا دية تسلم إلى أهله؛ لحرابتهم ﴿وَإِنْ كَانَ﴾ المقتول ﴿مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ عهد؛ كأهل الذمة ﴿فَدْيَةٌ﴾ له ﴿مَسْلُومَةٌ﴾ إلى أهله، وهي ثلث دية المؤمن إن كان يهودياً أو نصرانياً^(٥)، وثلثا عشرها إن كان مجوسياً^(٦) ﴿وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ مؤمنَةٍ عليه قاتله ﴿فَإِنْ لَمْ يَجِدْ﴾ الرقبة؛ بأن فقدوها وما يخلصها بها ﴿فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ﴾ عليه كفارة، ولم يذكر الله - تعالى - الانتقال إلى الطعام كالظهار، وبه أخذ الشافعي في أصح قوليه^(٧) ﴿تَوَكُّبٌ مِنَ اللَّهِ﴾ مصدرٌ منصوبٌ بفعله المقدر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلقه ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبره لهم.

[٩٣] ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا﴾ بأن يقصد قتله بما يقتل غالباً بإيمانه ﴿فَجَزَاءُ مِنْ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا﴾ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ أَبَعَدَهُ من رحمته ﴿وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ في النار، وهذا مؤول بمن يستحله، أو بأن هذا جزاؤه إن جوزي، ولا بدع في خلف الوعيد لقوله: ﴿وَيَعْرِفُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٨)، وعن ابن عباس: أنها على ظاهرها وأنها ناسخة لغيرها من آيات المغفرة. وَيَشَاءُ آيَةُ الْبَقَرَةِ: أن قاتل العَقْد يقتل به، وأن عليه الدية إن عُفِيَ عنه - وسبق قدرها^(٩)، وَيَشَاءُ السَّنة أن بين العَقْد والخطأ قتلاً يسمى شبه العمد^(١٠) وهو: أن يقتله بما لا يقتل غالباً؛ فلا قصاص فيه، بل دية كالعمد في الصفة^(١١) والخطأ في التأجيل والحمل^(١٢)، وهو العمد أولى بالكفارة من الخطأ^(١٣).

[٩٤] ونزل: لما مرَّ نَفَرٌ من الصحابة بِرَجُلٍ من بني سليم وهو يسوق غنماً، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا تَقِيَّةً فقتلوه واساقوا غنمه^(١٤): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا حُرِّسَتْ سَافِرَتُمْ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَقَاتِلُوا﴾ وفي قراءة^(١٥): ﴿فَتَقَاتِلُوا﴾ في الموضوعين^(١٦) ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَحَ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ﴾ بألف أو دونها^(١٧)، أي: التحية أو الانقياد بكلمة الشهادة التي هي أمانة على الإسلام

(٥) ما حاء في نزول الآية (٩٤): أخرج البخاري ومسلم عن ابن عباس: كان رجل في غنيمه فله حقه المسلمون. فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله: =

(١) وهذا الأخير هو قتل شبه العمد، والذي يقول به جمهور الفقهاء، والمشهور عن مالك أنه لا في الابن مع أبيه، والصحيح قول الجمهور باعتباره. قال الشافعي: شبه العمد ما كان عمداً في الضرب خطأ في القتل، والخطأ ما كان خطأ فيها جميعاً، والعمد ما كان عمداً فيها جميعاً. [بداية المجتهد (٢/ ٣٩٧)]. (٢) أخرجه أحمد (٤٠٧٦)، وأبو داود (٣٩٣٩)، والترمذي (١٣٠٧)، والنسائي (٤٧٢٠) عن ابن مسعود، وضعفه الألباني (صحيح وضعيف الجامع ٤٠١٢)، السلسلة الضعيفة (٤٠٢٠، ٢٦٢١)، وابن ماجه وابن المنذر [الدر المنثور (٣٤٦/٢)]، لكن حسن الألباني أحاديث أخر ورد فيها تفصيل المدة: ثلاثون بنت مخاض وثلاثون بنت لبون وثلاثون حقة وعشرة بني لبون (صحيح وضعيف الجامع ٦٤٤٣)، وكذلك حسن الألباني أحاديث فيها ذكر المدة بدون تفصيل في الإرواء (٢٢٠٤) و«بنت المخاض»: هي أنثى الإبل التي أتمت السنة الأولى. و«اللبون»: التي أتمت الثانية. والحققة: التي أتمت الثالثة. والحققة: التي أتمت الرابعة. (٣) أخرجه البخاري (٢٧٧٣)، ومسلم (١٦٨٢) من حديث أبي هريرة. (٤) ذكره البيهقي عن عمر وعلي رضي الله عنهما، ورواه ابن أبي شيبة من طريق إبراهيم النخعي عن عمر، وكذا رواه عبد الرزاق من طريقه عن عمر (تحفة الأحوذني، شرح الحديث رقم ١٣٠٧)، وضعفه الألباني في الإرواء (٢٣٠٨). (٥) لم أجده في السنة صريحاً. (٦) هذا مذهب الشافعي، وأما عند مالك فهو على النصف من الحر المسلم؛ كائناً الحر المسلم. وكذلك قول أحمد إلا أنه ضعف الدية على المسلم إذا قتل ذمياً أو مستمناً عمداً، وأما عند الحنفية فدينته كدية المسلم، وراجع قول الإمام مالك للحديث الوارد في ذلك. (٧) وهذا باتفاق بين مالك والشافعي، وأثابته على الضعف منه. (٨) سورة النساء: آية ٤٨. (٩) في الصفحة السابقة. (١٠) أخرجه النسائي (٤٧٠٩)، وأبو داود (٣٩٤١)، وابن ماجه (٢٦١٧)، وأحمد (٦٧٩١)، والدارمي (٢٢٧٧) عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً، وصححه الألباني في الإرواء (٢١٩٧). (١١) أي: كونها من ثلاثة أنواع. (١٢) أي: كون العاقبة تحملها. (١٣) وهذا واضح في شبه العمد؛ لأنه يجري مجرى الخطأ في نفي القصاص، وحمل العقلة دية، وتأجيلها في ثلاث سنين، مجرى مجراه في وجوب الكفارة، وهذا مذهب الحنفية والشافعية والحنابلة، أما في العمد فالأقرب عدم وجوب الكفارة كما هو ظاهر هذه الآيات، وهو قول الإمام مالك والحنفية والمشهور من مذهب الحنابلة، وأرجحها الشافعي بأن حاجته إلى تكفير ذنبه أعظم. (١٤) رواه البخاري (٤٥٩١) ومسلم (٣٠٢٥) وغيرهما. (١٥) لمحة والكسائي. (١٦) أي: هنا، وقوله فيما يأتي: ﴿فَتَكُفِّرُ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ فَيَتَبَيَّنُ، ويحتمل أنه يقصد ما هنا بشقيه، وآية الحجرات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ تَائِبٌ بِشَيْءٍ فَتَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، وهذا كذلك. (١٧) بدونها قراءة نافع وحزمة وابن عمر.

وَمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلُوا مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مَسْلُومَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُمْ مُؤْمِنُونَ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدْيَةٌ مَسْلُومَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوَكُّبٌ مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٣﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءُ مِنْ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا حُرِّسَتْ سَبِيلُ اللَّهِ فَتَقَاتِلُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَحَ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَتَّبِعُونَ عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَافِرٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ كُمْ تَقَبَّلُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٥﴾

﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ وإنما قلت هذا تقية لنفسك ومالك، فقتلوه ﴿تَتَّبِعُونَ﴾ تطلبون لذلك ﴿عَرَصَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ متاعها من الغنيمه ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَافِرٌ كَثِيرَةٌ﴾ تغنيكم عن قتل مثله ماله ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ﴾ تُغَضِّمُ دماؤكم وأموالكم بمجرد قولكم الشهادة ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْهِ كُمْ﴾ بالاستشهار بالإيمان والاستقامة ﴿تَقَبَّلُوا﴾ أن تقتلوا مؤمناً، وافعلوا بالداخل في الإسلام كما فعل بكم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به^(٥).

لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَسَنَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ٩٥ دَرَجَتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٩٦ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ٩٧ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ٩٨ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ٩٩ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا كَثِيرًا وَسِعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ١٠٠ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا ١٠١

[٩٥] لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ بالرفع صفة، والنصب (١) استثناء؛ من زمانة أو عَمَى ونحوه. وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ

لضرر (دَرَجَةً) فضيلة لاستوائهما في النية وزيادة المجاهدين بالمباشرة ﴿وَلَا﴾ من الفريقين ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْخَسَنَ﴾ الخسة ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ﴾ لغير ضرر ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ ويبدل منه (٢) (٩٦)

[٩٦] ﴿دَرَجَتٍ مِنْهُ﴾ منازل بعضها فوق بعض من الكرامة ﴿وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً﴾ منصوبان بفعلهما المقدّر ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لأوليائه ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

[٩٧] ونزل في جماعة أسلموا ولم يهاجروا فقتلوا يوم بدر مع الكفار. إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾ بالمقام مع الكفار وترك الهجرة ﴿قَالُوا﴾ لهم موبخين: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾ أي: في أي شيء كنتم في أمر دينكم ﴿قَالُوا﴾ معذرين: ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ﴾ عاجزين عن إقامة الدين ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿قَالُوا﴾ لهم توبيخا: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ من أرض الكفر إلى بلد آخر كما فعل غيركم، قال الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ هي (٣).

[٩٨] ﴿إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ﴾ الذين لا يستطيعون حيلة لا قوة لهم على الهجرة ولا نفقة ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ طريقا إلى أرض الهجرة.

[٩٩] ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

[١٠٠] ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْعًا﴾ مهاجرا ﴿كَثِيرًا وَسِعَةً﴾ في الرزق ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْوُفْدُ﴾ في الطريق؛ كما وقع لجندع بن صُمْرَةَ الليثي (٤) ﴿فَقَدْ وَقَعَ﴾ ثبت ﴿أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾

[١٠١] ﴿وَلِذَا ضَرَبْتُمْ﴾ سافرت ﴿فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ في أن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ بأن تردوها من أربع إلى اثنين ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمْ﴾ أي: يبالكم بمكروه ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بيان للواقع إذ ذاك (٥) فلا مفهوم له، وبينت السنة أن المراد بالسفر: الطويل؛ وهو: أربع برد؛ وهي مرحلتان، ويؤخذ من قوله: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾ أنه رخصة لا واجب، وعليه الشافعي (٦) ﴿إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ يبيّن العداوة.

= ﴿عَرَضَ الْحَبَشَةُ الْأَذْيَا﴾: تلك الغنمية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٧)، ومسلم - كتاب التفسير (٥٤) رقم (٣٠٢٥). وفي رواية لأحمد عن ابن عباس (٧٢٩/١): مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب رسول الله ﷺ وهو يسوق غنثا له، فسلم عليهم، فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعدونا. فمدوا إليه قتلوه، وأثرا بغمته النبي ﷺ فنزلت هذه الآية... (٨).

(٩) ما جاء في نزول الآية (٩٥): أخرج البخاري عن زيد بن ثابت أن رسول الله ﷺ أملى عليه ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فجاء ابن أم مكتوم وهو يلها على قال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت - وكان أعمى. فأنزل الله على رسول الله ﷺ وفخذه على فخذي، فقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي ثم شوي عه، فأنزل الله: ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٨).

(١٠) ما جاء في نزول الآية (٩٧): أخرج البخاري عن محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود قال: قطع على أهل المدينة بعث فاكثبت فيه، فلفت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاه عن ذلك أشد النبي، ثم قال: أخبرني ابن عباس أن ناشا من المسلمين كانوا مع المشركين يكترون سواد المشركين على رسول الله ﷺ يأتي السهم يرمي به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾. الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (١٩).

(١) بالنصب قراءة نافع والكسائي وابن عامر.

(٢) أي: غفر لهم مغفرة، ورحمهم رحمة.

(٣) ذكره الطبري مرسلًا عن قتادة في جامع البيان (١٥١/٥)، وكان شيخنا مريبك كثيرًا، فلما سمع الآية قال: والله ما أنا ممن استثنى الله؛ فإني لأجد حيلة ولي من المال ما يليني وأبعد منها، والله لا أبيت بمكة، أخرجنوني. فخرجوا به على سرير حتى أتوا به التَّجْعُ فأكبره الموت... وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠٥٠/٣) وأبو نعيم في معرفة الصحابة (٩٥٣/٢، ٩٥٤) بسند حسن عن الزبير بن العوام قال: هاجر خالد بن حزام إلى أرض الحبشة؛ فنهشته حية في الطريق؛ فمات ففوت فيه: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْوُفْدُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾... الآية.

(٤) أي: قرله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ الآية، إلخ.

(٦) وعليه أيضًا جمهور أهل العلم خلافاً للحنفية القائلين بوجوبه على المسافر.

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مِّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٣﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْمِنُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْتُمُونَكُمْ تَأْمِنُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٥﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْمَكْتُوبَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٦﴾

[١٠٢] ﴿وَلِذَا كُنْتُ﴾ يا محمد حاضرًا ﴿فِيهِمْ﴾ وأنتم تخافون العدو ﴿فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾ وهذا جري على عادة القرآن في الخطاب، فلا مفهوم له ﴿فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ﴾ وتأخر طائفة ﴿وَلْيَأْخُذُوا﴾ أي: الطائفة التي قامت معك ﴿أَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم ﴿فَإِذَا سَجَدُوا﴾ أي: صلوا ﴿فَلْيَكُونُوا﴾ أي: الطائفة الأخرى ﴿مِن وَرَائِكُمْ﴾ يحرسون إلى أن تقضوا الصلاة، وتذهب هذه الطائفة تحرس ﴿وَلِتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ معهم إلى أن تقضوا الصلاة، وقد فعل النبي ﷺ كذلك بطن نخل. [رواه الشيخان] ﴿وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ﴾ إذا قمت إلى الصلاة ﴿عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾ بأن يحملوا عليكم، فيأخذوك، وهذا علة الأمر بأخذ السلاح ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مِّطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ﴾ فلا تحملوها، وهذا يفيد إيجاب حملها عند عدم العذر، وهو أحد قولين للشافعي، والثاني: أنه سنة، ورجع ﴿وَحُذُّوا حِذْرَكُمْ﴾ من العدو، أي: احذروا منه ما استطعتم ﴿إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة^(١).

[١٠٣] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ فرغتم منها ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ بالتهليل والتسبيح ﴿قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين، أي: في كل حال ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ أمنتُم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أدوها بحقوقها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ أي: مفروضًا ﴿مَوْقُوتًا﴾ أي: مقدارًا وقها، فلا تؤخر عنه.

[١٠٤] ﴿لَا يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ أي: لا يأتواكم ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ أي: فرغتم منها ﴿فَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ أي: بالتهليل والتسبيح ﴿قِيَمًا وَقُعودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ مضطجعين، أي: في كل حال ﴿فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ﴾ أمنتُم ﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أدوها بحقوقها ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا﴾ أي: مفروضًا ﴿مَوْقُوتًا﴾ أي: مقدارًا وقها، فلا تؤخر عنه.

[١٠٥] وسرق طُعْمَةُ بن أبيرق دِرْعًا وَخَنَافًا عند يهودي، فوجدت عنده،

فرماه طعمة بها، وحلف أنه ما سرقها، فسأل قَوْمُهُ النبي ﷺ أن يجادل عنه ويرثه، فنزل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾^(٢) القرآن ﴿وَالْحَقُّ﴾ متعلق بـ﴿أَنْزَلْ﴾ ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ﴾ أعلمك ﴿اللَّهُ﴾ فيه ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ﴾ كطعمة ﴿خَصِيمًا﴾ مخاصمًا عنه.

(١) ما جاء في نزول الآية (١٠٢): أخرج أحمد عن مجاهد عن أبي عبيد الله الزرقي قال: كنا مع رسول الله ﷺ بعسفان فاستقبلنا المشركون عليهم خالد بن الوليد، وهم بيننا وبين القلعة. فصلينا بنا رسول الله ﷺ الظهر، فقالوا: قد كانوا على حال لو أصبنا عرتهم. ثم قالوا: تأتي عليهم الآن صلاة هي أحب إليهم من أبياتهم وأنفسهم قال: فنزل جبريل ﷺ بهذه الآيات بين الظهر والعصر: ﴿وَلِذَا كُنْتُ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ﴾. قال: فحضرت، فأمرهم رسول الله ﷺ فأخذوا السلاح. قال: فصفتنا خلفه صفين... إلخ. أحمد. المسند (٥٩٤/٦٠). وأخرجه أبو داود دون التصريح بلفظ الآية. وفيه نزلت آية القصر. كتاب الصلاة (٢) باب (٢٨١) صلاة الخوف. وصحيح سنن أبي داود (١٠٩٦).

(١) البخاري (٤١٣٧)، ومسلم (٨٤٠) من حديث جابر بن عبد الله. (٢) وهم جميع من حضر أحدًا من المؤمنين الناحين، وكانوا ستمائة وثلاثين.

(٣) في «حاشية الصاوي»: «يجنبوا»، وقال في «الشرح»: «الماسب «يجنبون» بالنون إلا أن يقال: حذفت تخفيفًا.

(٤) ذكره البيهقي في تفسيره (٢٨٢/٢).

(٥) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة نحوه [الدر المنثور (٣٨٤/٢)]، ورواه الكلبي عن ابن عباس كما في تفسير البيهقي (٢٨٣/٢)، ورواه الطبري برقم (١٠٤١٤) عن ابن زيد أيضًا (١٨٤/٩).

لأن وبال حياتهم عليهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا﴾ كثير الخيانة ﴿أَيُّهَا﴾ أي: بعاقبه^(١).

[١٠٨] ﴿يَسْتَخْفُونَ﴾ أي: طعمة وقومه حياءً ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ﴾ بعلمه ﴿إِذْ يَبْتَغُونَ﴾ يضمرون ﴿مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ﴾ من عزمهم على الحلف على نفي السرقة ورمي اليهودي بها ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ علماً.

[١٠٩] ﴿هَآؤُنْتُمْ﴾ يا ﴿هَؤُلَاءِ﴾ خطاب لقوم طعمة ﴿جَدَلْتُمْ﴾ خاصمتهم ﴿عَنْهُمْ﴾ أي: عن طعمة وذويه، وقرئ: ﴿عَنْهُمْ﴾ (٢) وفي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّلْ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِذَا عَذِبُهُمْ أَمَّ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا يتولى أمرهم، ويدب عنهم؛ أي: لا أحد يفعل ذلك^(٣).

[١١٠] ﴿وَمَنْ يَمَلَّ سَوَاءً﴾ ذنباً بسوء به غيره؛ كرمي طعمة اليهودي ﴿أَوْ يَطْلُبْ نَفْسَهُ﴾ يعمل ذنباً قاصراً^(٤) عليه ﴿ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ منه؛ أي: يَتُبُّ يَجِدُ اللَّهَ عَفْوَكَ لَهُ ﴿رَحِيمًا﴾ به.

[١١١] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا﴾ ذنباً ﴿فَلْيَمَّا يَكْسِبُهُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ لأنَّ وَبَالَه عَلَيْهَا وَلَا يَضُرُّ غَيْرَهُ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ في صنعه.

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً﴾ ذنباً صغيراً ﴿أَوْ إِثْمًا﴾ ذنباً كبيراً ﴿ثُمَّ يَرَوْهُ بَرِيًّا﴾ منه ﴿فَقَدْ أَحْتَمَلَ﴾ تحمل ﴿ثِيئَتَنَا﴾ برميهِ ﴿وَإِثْمَانَا﴾ بئساً بكسبه.

[١١٣] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿وَرَحْمَتُهُ﴾^(٥) بالعصمة ﴿هَلَّتْ﴾ أضمرت ﴿طَائِفَةٌ مِنْهُمْ﴾ من قوم طعمة ﴿أَنْ يُضْلُوكَ﴾ عن القضاء بالحق بتلبيسهم عليك ﴿وَمَا يُضْلُوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ ما فيه من الأحكام ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ من الأحكام والغيب ﴿وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ﴾ بذلك وغيره ﴿عَظِيمًا﴾.

وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا هَآؤُنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَدِّلِ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَمَّنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا وَمَنْ يَعْمَلْ سَوَاءً أَوْ يَطْلُبْ نَفْسَهُ وَثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ عَفُورًا رَحِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ وَعَلَى نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَوْهُ بَرِيًّا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا وَلَا تَلُوكَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ وَلَهْمَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضْلُوكَ وَمَا يُضْلُوكَ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا

[١٠٦] ﴿وَأَسْتَغْفِرِ اللَّهَ﴾ ما هممت به ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَلُونَ أَنْفُسَهُمْ﴾ يخونونها بالمعاصي؛

(١) وهذا تأويل من المصنف رحمه الله لصفة عدم المحبة من الله بلامها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات وغيرها على ما يليق بجلال الله تعالى.

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) أشار بذلك إلى أن الاستغفار إنكارى بمعنى النفي.

(٤) في حاشية الصاوي: «يعمل ذنب قاصره».

(٥) وفيها إثبات صفة الرحمة لله - سبحانه.

﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (١١٤) وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (١١٥) إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَن يَشْرِكْ بِهِ ۚ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١١٦) إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا (١١٧) لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا (١١٨) وَلَا ضَلَّتْهُمْ وَلَا مُنِيتَهُمْ وَلَا مَرَّتْهُمْ فَلَيْتَ كُنَّ أَذَانًا أَلْفَعُمُ وَلَا تَعْمُرُهُمْ فَلْيَعِزَّنِي خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (١١٩) يَعْدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا عُرْوًا (١٢٠) وَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا (١٢١)

لا تَهْتِكُوا وَلَا جَزَاءَ ﴿وَمَا يَعْدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿إِلَّا عُرْوًا﴾ باطلًا. [١٢١] ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ معدلاً.

﴿١١٤﴾ ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ﴾ أي: الناس؛ أي: ما يتناجون فيه ويتحدثون ﴿إِلَّا﴾ نَجْوَى ﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ﴾ عمل بَرٍّ ﴿أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿ابْتِغَاءَ﴾ طلب ﴿مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ لا غيره من أمور الدنيا ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾ بالنون والياء (١)، أي: الله ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

﴿١١٥﴾ ﴿وَمَن يُشَاقِقِ﴾ يخالف ﴿الرَّسُولَ﴾ فيما جاء به من الحق ﴿وَمِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ﴾ ظهر له الحق بالمعجزات ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ أي: طريقهم الذي هم عليه من الدين؛ بأن يكفر ﴿نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾ نجعله واليًا لما تولاها من الضلال؛ بأن نخلي بينه وبينه في الدنيا ونُصْلِهِ ﴿جَهَنَّمَ﴾ ندخله في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ﴾ فيحترق فيها ﴿وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ مرجعاً هي.

﴿١١٦﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَن يَشْرِكْ بِهِ﴾ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق (٢).

﴿١١٧﴾ ﴿إِن يَدْعُونَ﴾ يعبد المشركون ﴿مِن دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره ﴿إِلَّا إِنَاثًا﴾ أصناماً مؤنثة؛ كاللات والعزى ومناة ﴿وَلِإِن يَدْعُونَ﴾ يعبدون بعبادتها ﴿إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾ خارجاً عن الطاعة لطاعتهم له فيها؛ وهو: إبليس.

﴿١١٨﴾ ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ أبعدته عن رحمته ﴿وَقَالَ﴾ أي: الشيطان ﴿لَأَتَّخِذَنَّ﴾ لأجعلن لي ﴿مِن عِبَادِكَ نَصِيبًا﴾ حَقًّا ﴿مَّفْرُوضًا﴾ مقطوعاً أَدْعُوهم إلى طاعتي.

﴿١١٩﴾ ﴿لَا ضَلَّتْهُمْ﴾ عن الحق بالسوسة ﴿وَلَا مُنِيتَهُمْ﴾ أَلْقَى فِي قُلُوبِهِمْ طُولَ الْحَيَاةِ، وَأَنْ لَا تَهْتَ وَلَا تَهْتَ وَلَا حِسَابَ ﴿وَلَا مَرَّتْهُمْ﴾ فَلْيَبْتَكَنَّ يَقْطَعْنَ ﴿أَذَانًا أَلْفَعُمُ﴾ وقد فعل ذلك بِالْبُخَائِرِ (٣) ﴿وَلَا مَرَّتْهُمْ﴾ فَلْيَبْتَكَنَّ خَلْقَ اللَّهِ دِينَهُ (٤) بِالْكَفْرِ، وَإِحْلَالِ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَتَحْرِيمِ مَا أَحَلَّ ﴿وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا﴾ يتولاه ويطيعه ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا﴾ يَبْتَا نصيره إلى النار المؤبدة عليه.

﴿١٢٠﴾ ﴿يَعْدُهُمْ﴾ طول العمر ﴿وَيُمَنِّيهِمْ﴾ نيل الآمال في الدنيا، وَأَنْ

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٠٥ - ١١٦): أخرج الترمذي عن قتادة بن النعمان قال: كان أهل بيت مَثًا يقال لهم بنو أبيرق يَشْرُ، وبَشِير، ومبشر، وكان بشير رجلاً منافقاً يقول الشعر بهجو به أصحاب رسول الله ﷺ ثم ينحله بعض العرب ثم يقول: قال فلان كذا وكذا، قال فلان كذا وكذا، فإذا سمع أصحاب رسول الله ﷺ ذلك الشعر قالوا: والله ما يقول هذا الشعر إلا هذا الحديث أو كما قال الرجل، وقالوا ابن أبيرق قالها ... فقدمت صافضة من الشام فباتع عمي رفاعه بن زيد حملاً من الدرهم فحمله في مشرة له، وفي المشرة سلاح ودرع وسيف، فعدي عليه من تحت البيت فنفتت المشرة، وأخذ الطعام والسلاح، فلما أصبح أتاني عمي رفاعه، فقال: يا ابن أخي إنه قد عدي علينا في ليلتنا هذه فنفتت مشرتنا فذهب بطعامنا وسلاحنا. قال: فتحنسنا في الدار وسألنا، فقبل لنا: قد ربنا بني أبيرق استوفدوا في هذه الليلة ولا نرى فيما نرى إلا على بعض طعامكم. قال: وكان بنو أبيرق قالوا: ونحن نسأل في الدار. والله ما نرى صاحبكم إلا ليبد بن سهيل - رجل منا له صلاح وإسلام - فلما سمع ليبد اختط سيفه وقال: أنا أسرق؟ فوالله ليخالطكم هذا السيف أو لنبيتن هذه السرفة. قالوا: إليك عنها أيها الرجل مما أنت بصاحبها، فسألنا في الدار حتى لم نشك أنهم أصحابها. فقال لي عمي: يا ابن أخي، لو أتيت رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له.

قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إن أهل بيت منا أهل جفاء عمدوا إلى عمي رفاعه بن زيد فنقبوا مشرته له وأخذوا سلاحه وطعامه، فليردوا علينا سلاحنا، فأما الطعام فلا حاجة لنا فيه، فقال النبي ﷺ: (سأمر في ذلك) فلما سمع بنو أبيرق أنوا رجلاً منهم يقال له أسير بن عروة فكلوه في ذلك، فاجتمع في ذلك ناس من أهل الدار فقالوا: يا رسول الله، إن قتادة بن النعمان وعمه عمدوا إلى أهل بيت منا أهل إسلام وصلاح يرمونهم بالسرفة من غير بينة ولا ثبت. قال قتادة: فأتيت رسول الله ﷺ فكلته، فقال: عمدت إلى أهل بيت ذك منهم إسلام وصلاح ترميهم بالسرفة على غير ثبت ولا بينة. قال: فرجعت، ولوددت أنني خرجت من بعض مالي ولم أكلهم رسول الله ﷺ في ذلك فأتاني عمي رفاعه فقال: يا ابن أخي، ما صنعت؟ فأخبرته بما قال لي رسول الله ﷺ، فقال: الله المستعان.

فلم يلبث أن نزل القرآن: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَبَكَ اللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلظَالِمِينَ حَصِيصًا﴾ بنو أبيرق ﴿وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ﴾ أي ما قلت لقتادة ﴿إِنَّمَا اللَّهُ =

(١) بالياء قراءة حمزة وأبي عمرو.

(٢) جمع بحيرة، وهي أن تلد الناقة أربعة بطون وتأتي في الخامس يذكّر، فكانوا لا يحملون عليها ولا يأخذون نتاجها ويجعلون لها للظوغيث. ويشقون آذانها علامة على ذلك.

(٣) وقيل: المراد بهلما التغير الوشم. وقيل: المراد خصاء الدواب. والأقرب كما اختاره بعض المفسرين: أنه يشمل تغير الخلقة الظاهرة؛ بالوشم والوشم والثقص والتفليج للحمس، ونحو ذلك، كما يشمل الخلقة الباطنة؛ حيث إنه - سبحانه - خلق عباده حنفاء مقطوعين على الحق، فأجتثلتهم عن هذا الخلق الجميل، وزينت لهم الشر والشرك والكفر والفسق والعصيان.

وَعَدًا وَحَقًّا حَقًّا^(١) ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ أي: قولاً.

[١٢٣] وَنَزَلَ - لما افتخر المسلمون وأهل الكتاب :: ﴿لَيْسَ﴾ الأمر منوطاً ﴿بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ﴾^(٢) بل بالعمل الصالح ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾، إما في الآخرة^(٣) أو في الدنيا بالبلاء والنحن - كما ورد في الحديث^(٤) - ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي غيره ﴿وَلِيًّا﴾ يحفظه ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾^(٥) يمنع منه.

[١٢٤] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ شَيْئًا﴾ من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأُولَئِكَ يُدْخِلُونَ بالبناء للمفعول والفاعل^(٦) ﴿الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ قدر نقرة النواة.

[١٢٥] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد^(٧) ﴿أَحْسَنُ دِينًا وَمَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ﴾ أي: انقاد وأخلص عمله ﴿لِلَّهِ﴾ وهو محسن ﴿مُؤْتَحِدًا﴾ واتّبع ملة إبراهيم ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ الموافقة لملة الإسلام ﴿حَنِيفًا﴾ حال؛ أي: مثلاً عن الأديان كلها إلى الدين القيم ﴿وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ صديقاً لخالص المحبة له.

[١٢٦] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وَكُنَّ﴾ الله بكل شيء محيطاً ﴿عِلْمًا وَقُدْرَةً﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[١٢٧] ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾ يطلبون منك الفتوى ﴿فِي﴾ شأن ﴿النِّسَاءِ﴾

وميراثهن ﴿قُلْ﴾ لهم ﴿اللَّهُ يُفَتِّيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُنْزِلُ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ﴾ القرآن من آية الميراث، وفتيكم أيضاً ﴿فِي بَيْنِ النِّسَاءِ﴾ التي لا تؤتونهنَّ ما كتبَ ﴿لَهُنَّ﴾ من الميراث ﴿وَتَرَعُونَ﴾ أيها الأولياء

عن^(٨) ﴿أَنْ تَنكِحُوهُنَّ﴾ لدمامتهن، وتعصلوهن^(٩) أن يتزوجن طمعاً في ميراثهن؛ أي: يفتيكم أن لا تفعلوا ذلك ﴿وَوَيْ﴾ في ﴿الْمُسْتَضْعَفِينَ﴾ الصغار

﴿مِنَ الْوُلَدِ﴾ أن تعطوهم حقوقهم^(١٠) ﴿وَوَيْ﴾ يأمركم ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل في الميراث والمهر ﴿وَمَا تَقْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ﴾ فإن الله

كان به عليمًا ﴿فِيحَازِبِكُمْ﴾ به^(١١).

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿لَيْسَ بِأَمَانَتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفَتِّيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُنْزِلُ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتِمَّى النِّسَاءِ الَّتِي لَا تُوْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْعَوْنَ أَنْ تَنكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلَدِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾

[١٢٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا﴾ أي: وعدهم الله ذلك

كَانَ عَقُورًا رَجِيمًا وَلَا يُجَادِلُ... إلى قوله: ﴿عَقُورًا رَجِيمًا﴾ أي لو استغفروا الله لغفر لهم، ﴿وَمَنْ يَكْتَسِبْ إِثْمًا﴾ إلى قوله: ﴿إِثْمًا ثَبِيثًا﴾ قوله للبيد: ﴿وَلَا فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ﴾ إلى قوله: ﴿مُسَوِّفٌ تُوْتِيهِ أَمْرًا عَظِيمًا﴾.

فلما نزل القرآن أتى رسول الله ﷺ بالسلح فرده إلى رفاعه، فقال قتادة: لما أتيت عمي بالسلح، وكان شيئاً قد عسى أو عشي في الجاهلية، وكنت أرى إسلامه مدخولاً، فلما أتته بالسلح قال: يا ابن أخي، هو في سبيل الله، فعرفت أن إسلامه كان صحيحاً، فلما نزل القرآن لحق بشير بالمشركين، فنزل على سلافة بنت سعد بن سمية، فأنزل الله: ﴿وَمَنْ يُنَاقِ الرُّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُ الْهُدًى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُسْلِمِينَ قُلُوبُهُمْ مَأْتُولٌ وَتُصَلِّوْهُمُ جَهَنَّمَ وَمَا كُنْتُمْ بِمُصِيرًا﴾ إلى أن الله لا يقوِّر أن يقوِّر أبوه، ويُنَوِّرُ ما دُونَ ذلك لِمَنْ يَكْفُرُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ سَبِيلًا بَعِيدًا.

فلما نزل على سلافة رماها حسان بن ثابت بأهات من شعره، فأخذت رحله فوضعت على رأسها، ثم خرجت به فرمت به في الأبطح، ثم قالت: أهديت لي شعر حسان؟ ما كنت تأتيني بخير. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (حسن). صحيح سنن الترمذي (٢٤٣٢).

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ بلغت من المسلمين مبلغاً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: ﴿قَابُوا وَسَدُّوا﴾ ففي كل ما يصاب به المسلم كفارة حتى النكبة ينكبها أو الشوكة يشاكها. مسلم - كتاب البر والصلة (٤٥) باب (١٤) ثواب المؤمن فيما يصيبه من مرض أو حزن.

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (١٢٧): أخرج البخاري عن عروة بن الزبير أنه سأل عائشة ؓ عن قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ إلى ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ قالت: يا ابن أخي، هي التهمة تكون في حجر وليها =

(١) أشار بذلك إلى أن وعداً وحقاً منصوبان بغلبن محذوفين من لفظهما، ويصح أن يكون «حقاً» صفة لدوعداء. (٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر من طريق جوير عن الضحاك كما في الدر المنثور (٣٩٩/٢).

(٤) يشير إلى ما أخرجه عبد بن حميد في مسنده، والترمذي في سننه وضعفه، في نزول الآية أن أبا بكر قال: يا رسول الله، وأنتا لم تعمل السوء؟ وأنا تجزئ بكل سوء عملناه؟ فقال ﷺ: وَأَمَّا أَنْتَ وَأَضْحَاكَ الْوَلَدُ فَتَجُزُّونَ بِذَلِكَ فِي الدُّنْيَا حَتَّى تَلْقُوا اللَّهَ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ دُونُ، وَأَمَّا الْأَخْوَارُ فَتَجْتَمِعُ لَهُمْ ذَلِكَ، حَتَّى يُجَاوِزُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَضَعَفَ الْأَبَانِي إِسْنَادُهُ فِي ضَعِيفِ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٣٢٤٣).

(٥) بالبناء للمفعول قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة. (٦) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري.

(٧) هذا على أحد وجهي التفسير، وأن الرغبة بمعنى: الزهد، والبعض قدر «في» إشارة إلى أن الرغبة بمعنى: الحب، ويؤيده ما رواه مسلم في صحيحه عن عائشة ؓ قالت: «هَذِهِ التِّيمَةُ تَكُونُ فِي جِوَرٍ وَلَهَا؛ فَرِغَتْ فِي جَعَالِهَا وَنَالَهَا، وَتُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ صَافِقُهَا، فَهَلَا عَنْ يَكَايَهِمْ إِلَّا أَنْ يُقْسَطُوا لَهَا فِي إِكْمَالِ الصَّدَقَةِ... الحديث. (٨) أي: تمنعوه.

(٩) وكانوا في الجاهلية لا يورثون الصبيان مطلقاً ولا النساء.

[١٢٨] ﴿وَإِنْ أَمْرًا﴾ مرفوع بفعل^(١) يفسره ﴿خَافَتْ﴾ تَوَقَّعَتْ ﴿مِنْ بَعْلِهَا﴾ زوجها ﴿شُورًا﴾ تَرْفَعًا عليها بترك مضاجعتها، والتفسير في نفقتها، لبعضها وطموح عينه إلى أجمل منها ﴿أَوْ إِعْرَاصًا﴾ عنها بوجهه ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُفَصِّلَا﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي قراءة: ﴿يُضِلِّحَا﴾^(٢) من أصلح ﴿بَيْنَهُمَا صُلْحًا﴾ في القسم والنفقة؛ بأن ترك له شيئًا طيبًا لبقاء الصحة؛ فإن رضيت بذلك، وإلا فعلى الزوج أن يوفيهما حقها أو يفارقهما ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ من الفقرة والنشور والإعراض، قال - تعالى - في بيان ما يجبل عليه الإنسان: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ شدة البخل؛ أي: مجبِلَتْ عليه؛ فكأنها حاضرت له لا تعيب عنه؛ المعنى: أن المرأة لا تكاد تسمح بنصفها من زوجها، والرجل لا يكاد يسمح عليها بنفسه إذا أحب غيرها ﴿وَإِنْ تَحْسَبُوا عَشْرَةَ النِّسَاءِ﴾ وَتَتَّقُوا الجور عليهن ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ فيجازيكم به^(٣).

[١٢٩] ﴿وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا﴾ تسووا ﴿بَيْنَ النِّسَاءِ﴾ في المحبة ﴿وَلَوْ حَرَصْتُمْ﴾ على ذلك ﴿فَلَا تَبِيلُوا﴾ كَلَّ الْمِيلَ إلى التي تحبون في القسم والنفقة ﴿فَتَذَرُوهَا﴾ أي: تتركوا المال عنها ﴿كَالْمُعَلَّقَةِ﴾ التي لا هي أمي ولا هي ذات ثقل ﴿وَإِنْ تُصِلِحُوا﴾ بالعدل بالقسم ﴿وَتَتَّقُوا﴾ الجور ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا﴾ لما في قلبكم من الميل ﴿رَحِيمًا﴾ بكم في ذلك.

[١٣٠] ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا﴾ أي: الزوجان بالطلاق ﴿يَتَيْنِ اللَّهُ كَلًّا﴾ عن صاحبه ﴿مِنْ سَعَتِهِ﴾ أي: فضله؛ بأن يرزقها زوجها غيره ويرزقه غيرها ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا﴾ خلقه في الفضل ﴿حَكِيمًا﴾ فيما دبر لهم.

[١٣١] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِمَعْنَى الْكِتَابِ﴾ من قبلكم ﴿أَي: اليهود والنصارى﴾ ﴿وَيَاكُمْ﴾ يا أهل القرآن ﴿أَنْ﴾ أي بأن ﴿أَتَقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه؛ بأن تطيعوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ وَلَكُمْ:﴾ ﴿إِنْ تَكْفُرُوا﴾ بما وصَّيتم به ﴿فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقا وملكا وعبدا؛ فلا يضركم كفركم ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿حَكِيمًا﴾ محمودا في صنعه بهم.

[١٣٢] ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ كرره تأكيداً لتقرير موجب التقوى ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ شهيداً؛ بأن ما فيهما له.

[١٣٣] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ﴾ يا ﴿أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِغَيْرِكُمْ﴾ بَدَلِكُمْ ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾.

وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يَتَيْنِ اللَّهُ كَلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَكِيمًا وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا إِنْ يَسْأَلْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِغَيْرِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا

[١٣٤] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ لمن أراده لا عند غيره، فلم يطلب أحدكم^(٤) الأخس وملا طلب الأعلى بإخلاصه له؛ حيث كان مطلبه لا يوجد إلا عنده ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾

- تشاركه في ماله فيعجبه مالها وجمالها، فريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها فيعطيهما مثل ما يعطيهما غيره. فنهوا أن ينكحوا إلا أن يقسطوا لهن ويملوا بهن أعلى ستهن من الصداق ... قالت عائشة: ثم إن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية، فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَشِيرُكَ فِي النِّسَاءِ﴾، والذي ذكر الله أنه ينلي عليكم في الكتاب الآية الأولى التي قال فيها: ﴿وَإِنْ جُنِفَ إِلَّا تَقْبَلُوا فِي الْبَيْنِ فَاكْبَحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾، وقول الله في الآية الأخرى: ﴿وَيَسْتَشِيرُكُمْ أَنْ تُنْكِحُوا﴾ يعني هي رغبة أحدكم لبيته التي تكون في حجره حين تكون قليلة المال والجمال، فنهوا أن ينكحوا ما رغبوا في مالها من يتامى النساء إلا بالقسط من أجل رغبتهن عنهن. البخاري - كتاب الشركة (٤٧) باب (٧) شركة اليم وأهل الميراث.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٢٨): أخرج البخاري عن عائشة رضي الله عنها: ﴿وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُورًا أَوْ إِعْرَاصًا﴾، قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها، يريد أن يفارقه، فنزلت: أجملك من شأني في حل، فنزلت هذه الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النساء (٤) باب (٢٤).

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: خشيت سودة أن يطلقها النبي ﷺ فقالت: لا تطلقني وأمسكني، واجعل يومي لعائشة. ففعل، فنزلت: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾. فما اصطلحا عليه من شيء فهو جائز. كأنه من قول ابن عباس. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥) سورة النساء (صحيح). صحيح سنن الترمذي (٢٤٣٤).

(١) ولا يصح جعله مبتدأ؛ لأن أداة الشرط لا يليها إلا الفعل ولو تقدرا.

(٢) وهي قراءة عاصم وحزمة والكسائي، وقرأ بقية السبعة ﴿يُضِلِّحَا﴾.

(٣) في حاشية الصاوي: وأحدهم.

وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ المشهود عليه ﴿عَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا﴾ قَالَهُ أَوْلَىٰ بِهَا منكم، وأعلم بمصالحهما ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ﴾ في شهادتكم، بأن ثأبوا الغني لرضاه، أو الفقير رحمة له ﴿لَنْ﴾ لا ﴿تَعْدِلُوا﴾ عن الحق ﴿وَلَنْ تَلُودُوا﴾ تحرفوا الشهادة، وفي قراءة^(١) بحذف الواو الأولى تخفيفاً ﴿أَوْ تَعْرِضُوا﴾ عن أداها ﴿فَلَنْ﴾ كَأَنَّ اللَّهَ كَانَتْ يَمَا تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴿يَأَيُّهَا﴾ به.

[١٣٦] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا﴾ داوموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﴿مُحَمَّدٍ ﷺ﴾؛ وهو: القرآن ﴿وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ﴾ على الرسل؛ بمعنى: الكتب، وفي قراءة بالبناء للفاعل في الفعلين^(٢) ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ عن الحق.

[١٣٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بوسى؛ وهم: اليهود ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبادتهم العجل ﴿ثُمَّ ءَامَنُوا﴾ بعده ﴿ثُمَّ كَفَرُوا﴾ بعبسى ﴿ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا﴾ بمحمد ﴿لَنْ يَكُنَ اللَّهُ لِيُغْفِرَ لَهُمْ﴾ ما أقاموا عليه ﴿وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الحق.

[١٣٨] ﴿بَشِّرْ﴾ أخبر يا محمد ﴿الْمُنَافِقِينَ﴾ بِأَنَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿مَوْلَعًا﴾ هو: عذاب النار.

[١٣٩] ﴿الَّذِينَ﴾ بدل أو نعت للمنافقين ﴿يَجِدُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لما يتوهمون فيهم من القوة ﴿أَيُّبُنُفُونَ﴾ يطلبون ﴿عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ﴾؟ استفهام إنكاري؛ أي: لا يجدون عندهم ﴿فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ في الدنيا والآخرة، ولا ينالها إلا أولياؤه.

[١٤٠] ﴿وَقَدْ نَزَّلَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول^(٣) ﴿عَلَيْكُمْ﴾ في الْكِتَابِ ﴿الْقُرْآنَ﴾ في سورة الأنعام^(٤) ﴿أَنْ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾ فلا تَعْدُوا معها^(٥) أي: الكافرين والمستهزئين ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ﴾ إِذْكَ إِذَاً إن قعدتم معهم ﴿يَسْتَهْزِئُوا﴾ في الإنم^(٥) ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ كما اجتمعوا في الدنيا على الكفر والاستهزاء.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ﴾ شهداء لله و﴿لَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾ إِنْ يَكُنْ عَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا قَالَهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدُوا أَوْ لَوْ أَنَّ تَلُودُوا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَكِيَّتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّهُمْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْتَبَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ إِذْكَ إِذَا مَثَلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾

[١٣٥] ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ﴾ قائمين ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿شُهِدَاءَ﴾ بالحق ﴿وَلَوْ﴾ كانت الشهادة ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ فاشهدوا عليها؛ بأن تقروا بالحق ولا تكتموه ﴿أَوْ﴾ على ﴿الْوَالِدِينَ﴾

(١) لحمزة وابن عامر.

(٢) أي: ﴿نَزَّلَ﴾ و﴿أُنْزِلَ﴾ وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) بالبناء للمفعول قراءة السبعة عدا عاصم.

(٤) وهو قوله - تعالى -: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي مَآكِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَرِيبٍ﴾ [الأنعام: ٦٨].

(٥) أي: كفروا أو غيره؛ فالراضي بالكفر كافر، والراضي بالهمج عاصي.

ويدعو عليه ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا﴾ لما يقال ﴿عَلِيمًا﴾ بما يفعل.

[١٤٩] ﴿إِنْ تَبَدُّوا﴾ تظهروا ﴿خَيْرًا﴾ من أعمال البر ﴿أَوْ تَخْفَوْا﴾ تعلموه سرًّا ﴿أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ﴾ ظلم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾.

[١٥٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقْرِفُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴿بَأَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ دُونَهُمْ﴾ وَيَقُولُونَ قَوْلًا يَبْغِي بَعْضُهُمْ مِنْ الرِّسَالِ ﴿وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ مِنْهُمْ﴾ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ ﴿وَالْإِيمَانِ﴾ سَبِيلًا ﴿طَرِيقًا يَذْهَبُونَ إِلَيْهِ﴾.

[١٥١] ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ مصدر مؤكد (٢) لمضمون الجملة قبله ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ ذا إهانة؛ وهو: عذاب النار.

[١٥٢] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ كلهم ﴿وَلَمْ يُقْرِفُوا بَيْنَ أَلْحَرِ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمُ﴾ بِالْبَاءِ وَالنُّونِ (٣) ﴿أُجُورُهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ لَأُولِيائِهِ ﴿رَحِيمًا﴾ بأهل طاعته.

[١٥٣] ﴿يَسْأَلُكَ﴾ يا محمد ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود ﴿أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ﴾ جملة كما أنزل على موسى نعمتنا؛ فإن استكبرت ذلك ﴿فَقَدْ سَأَلُوا﴾ أي: أبأؤهم ﴿مُوسَى أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَى أَنْ اللَّهُ جَهْرَةً﴾ عيانًا ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّلَافَةَ﴾ الموت عقابًا لهم ﴿يُظْلِمُهُمْ﴾ حيث تَعَثَّوْا في السؤال ﴿ثُمَّ أَخَذُوا الْعِجْلَ﴾ إِلَهًا ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ المعجرات على وحدانية الله ﴿فَعَقَبْنَا عَنْ ذَلِكَ﴾ ولم نستأصلهم ﴿وَوَاتَيْنَا مُوسَى شَارِعًا مُبِينًا﴾ تسلطًا بَيِّنًا ظاهرًا عليهم؛ حيث أمرهم بقتل أنفسهم توبة فأطاعوه.

[١٥٤] ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ﴾ الجبل ﴿بِمِيقَاتِهِمْ﴾ بسبب أخذ الميثاق عليهم؛ لِيَخَافُوا فقبِلوه ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ﴾ وهو مُظِلُّ عليهم: ﴿ادْخُلُوا الْبَابَ﴾ باب القرية ﴿سُجَّدًا﴾ سجدوا انحناء ﴿وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا﴾ وفي قراءة بفتح العين وتشديد الدال (٤)، وفيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛ أي: لا تعتدوا ﴿فِي السَّبْتِ﴾ باصطياد الحيتان فيه ﴿وَكَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾ على ذلك فنقضوه.

﴿لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا (٥) ﴿إِنْ تَبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تَخْفَوْا أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُقْرِفُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ (٧) ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ (٨) ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُقْرِفُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمُ أُجُورُهُمْ﴾ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا (٩) ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَى أَنْ اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَقَبْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ (١٠) ﴿وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَاتِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمْ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَقًا غَلِيظًا﴾ (١١)

[١٤٨] ﴿لَا يَحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ من أحد؛ أي: يعاقبه عليه (١) ﴿إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ فلا يؤاخذه بالجهر به؛ بأن يخبر عن ظلم ظالمه

(١) وهذا تأويل لصفة المحبة التي أثبتها لنفسه ببعض لوازمها، وسبق بيان مذهب السلف في ذلك وإثباتها على ما يليق بجلاله - سبحانه ..

(٢) أي: وعامه محذوف ويقدر مؤخرًا عن الجملة المؤكدة لها، وتقديره: أحق حَقًّا.

(٣) بالنون قراءة السبعة عدا حمص.

(٤) لنافع، واجلس قالون حركة العين.

[١٥٥] ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ﴾ «ما» زائدة، «والباء» للسببية متعلقة بمحذوف؛ أي: لعناهم بسبب نقضهم ﴿وَيُشَقِّقُهُمْ وَيَكْفُرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ فُلُونَا غُلْفًا بَلْ طَعِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بِكُفْرِهِمْ﴾ فلا تعي وغطا ﴿فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قِيلًا﴾ منهم؛ كعبدالله بن سلام وأصحابه.

[١٥٦] ﴿وَيَكْفُرُهُمْ﴾ ثاني بعيسى، وكرر الباء للفصل بينه وبين ما عطف عليه ﴿وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ هَتَّأْنَا عَظِيمًا﴾ حيث رموها بالزنا.

[١٥٧] ﴿وَقَوْلِهِمْ﴾ مفتخرين ﴿إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾ في زعمهم^(١)؛ أي: مجموع ذلك عذبناهم، قال - تعالى - تكذبا لهم في قتله: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾ المقتول والمصلوب - وهو صاحبهم - بعيسى؛ أي: ألقى الله عليه شبهه فظنوه إياه ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: في عيسى ﴿لَفِي شَكٍّ مِنْهُ﴾ من قتله؛ حيث قال بعضهم - لما رأوا المقتول؛ الوجه وجه عيسى والجسد ليس بجسده -: فليس به، وقال آخرون: بل هو هو ﴿مَا هُمْ بِهِ﴾ بقتله ﴿مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ﴾ استثناء منقطع^(٢)؛ أي: لكن يتبعون فيه الظن الذي تخيلوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ حال مؤكدة لنفي القتل [١٥٨] ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه.

[١٥٩] ﴿وَإِنَّ﴾ ما ﴿مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾ أحد ﴿إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ بعيسى ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: الكتابي حين يعاين ملائكة الموت؛ فلا ينفعه إيمانه، أو قبل موت عيسى^(٣) لما ينزل قرب الساعة - كما ورد في حديث^(٤) - ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكُونُ﴾ عيسى ﴿عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ بما فعلوه، لما بعث إليهم.

[١٦٠] ﴿فَظَلِمَ﴾ أي: فبسبب ظلم ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أَجَلَتْ لَهُمْ﴾ هي التي في قوله - تعالى -: ﴿حَرَمَتْ كُلُّ ذِي ظُلْفٍ﴾^(٥) الآية ﴿وَبَصَدَّهِمُ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه صفا ﴿كَثِيرًا﴾.

[١٦١] ﴿وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ﴾ في التوراة ﴿وَأَكْبَهُمُ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبُطْلِ﴾ بالرشا في الحكم ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلما.

[١٦٢] ﴿لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ﴾ الثابتون ﴿فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾ كعبدالله بن سلام ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ﴾ يؤمنونك بما أنزل إليك وما أنزل من

فِيمَا نَقُصُّهُمْ مَبْتَدَأٌ وَكُفْرُهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ فُلُونَا غُلْفًا بَلْ طَعِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قِيلًا وَيَكْفُرُهُمْ وَكُفْرُهُمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ هَتَّأْنَا عَظِيمًا وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعُ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَوَعَدْنا الْقِيَمَةَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا فَيُظْلَمُونَ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أَجَلَتْ لَهُمْ وَبَصَدَّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ هُمُوا عَنْهُ وَأَكْبَهُمُ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا

قَبْلَكَ من الكتب ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّلَاةَ﴾ نصب على المدح^(٥)، وفري بالرفع^(٦) ﴿وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ﴾ بالنون والياء^(٧) ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾ هو الجنة.

(٥) ثالثة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو هريرة: وقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَوَعَدْنا الْقِيَمَةَ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾. البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٤٩) نزول عيسى ابن مريم، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧١) نزول عيسى ابن مريم حاكما بشريعة نبينا محمد ﷺ.

(١) متعلق بقوله: ﴿فَقِيلَ﴾، وفي نسخة «في زعمهم» بالإفراد؛ ويكون متعلقا بقوله: ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾.

(٢) لأن اتباع الظن ليس من جنس العلم.

(٣) وهذا وجه آخر في التفسير.

(٤) الأنعام: ١٤٦.

(٥) وذلك تعظيما لشأنهم.

(٦) وهي قراءة شاذة.

(٧) بالياء قراءة حمزة.

﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُكُورًا ۗ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ۚ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۚ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۚ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ۚ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۚ ﴾

[١٦٣] ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ ۚ وَكَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ۚ ﴾ ابن إسحاق ﴿ وَالْأَسْبَاطِ ۚ أَوْلَادُهُ ۚ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ۚ ﴾

وَأَتَيْنَا ﴿ دَاوُدَ زُكُورًا ۚ ﴾ بالفتح؛ اسم للكتاب المؤتى، والضم (١)؛ مصدر بمعنى: مزبورا؛ أي: مكتوبا.

[١٦٤] ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ ﴾ روي أنه - تعالى - بعث ثمانية آلاف نبي؛ أربعة آلاف من إسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس، قاله الشيخ (٢) في سورة غافر (٣) ﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى ۚ ﴾ بلا واسطة ﴿ تَكْلِيمًا ۚ ﴾.

[١٦٥] ﴿ رُسُلًا ۚ ﴾ بدل من ﴿ رُسُلًا ۚ ﴾ قوله ﴿ مُبَشِّرِينَ ۚ ﴾ بالثواب من آمن ﴿ وَمُنْذِرِينَ ۚ ﴾ بالعقاب من كفر، أرسلناهم ﴿ لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ ۚ ﴾ يقال ﴿ بَعْدَ ۚ ﴾ إرسال ﴿ الرُّسُلِ ۚ ﴾ إليهم فيقولوا: ﴿ رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتَبِّحَ مَا بَيْنَكَ وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ ﴾ (٤) فيعناهم لقطع عذرهم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا ۚ ﴾ في ملكه ﴿ حَكِيمًا ۚ ﴾ في صنعته.

[١٦٦] ﴿ وَنَزَلَ ۚ ﴾ لما شغل اليهود عن نبوته ﷺ فأَنكَرُوهُ ۚ: ﴿ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ ۚ ﴾ (٥) بين نبوتك ﴿ يَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ ۚ ﴾ من القرآن المعجز ﴿ أَنْزَلَهُ ۚ ﴾ ملتبسا ﴿ بِعِلْمِهِ ۚ ﴾ أي: علما به، أو وفيه علمه ﴿ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ ۚ ﴾ لك أيضا ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ۚ ﴾ على ذلك.

[١٦٧] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ ﴾ بالله ﴿ وَصَدُّوا ۚ ﴾ الناس ﴿ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ﴾ دين الإسلام بكنيهم نعت محمد ﷺ، وهم: اليهود ﴿ قَدْ ضَلُّوا ۚ ﴾ ضَلَالًا بَعِيدًا، عن الحق.

[١٦٨] ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ ﴾ بالله ﴿ وَظَلَمُوا ۚ ﴾ نبيه بكتمان نعتهم ﴿ لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۚ ﴾ من الطرق.

[١٦٩] ﴿ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ ۚ ﴾ أي: الطريق المؤدي إليها ﴿ خَالِدِينَ ۚ ﴾ مقدرين الخلود ﴿ فِيهَا ۚ ﴾ إذا دخلوها ﴿ أَبَدًا ۚ ﴾ وكان ذلك على الله يسيرا. هَيْتَا.

[١٧٠] ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ بِالْحَقِّ ۚ ﴾ أي: أهل مكة ﴿ قَدْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ ۚ ﴾ محمد ﷺ ﴿ بِالْحَقِّ ۚ ﴾ مِنْ رَبِّكُمْ فَتَأْمِنُوا ۚ به، واقصدوا ﴿ خَيْرًا لَكُمْ ۚ ﴾ بما أنتم فيه ﴿ وَإِنْ تَكْفُرُوا ۚ ﴾ به ﴿ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ ﴾ ملكا وخلقًا وعبدا؛ فلا يضره كفركم ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ۚ ﴾ بخلقهم ﴿ حَكِيمًا ۚ ﴾ في صنوعهم بهم.

(١) وهي قراءة حمزة.

(٢) أي: الجلال المحلي.

(٣) أي: عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۚ ﴾ [عافر: ٧٨].

(٤) القصص: ٤٧.

(٥) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس [الدر المنثور (٤٣٩/٦)]. وإسناده ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٥٢٠/١).

[١٧١] ﴿يَتَأَمَّلِ الْكِتَابَ﴾ الإنجيل ﴿لَا تَقُولُوا﴾ تتجاوزوا الحدَّ ﴿فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْقَوْلَ﴾ الْحَقُّ ﴿من تنزيهه عن الشريك والولد﴾ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَذَّبْتَهُ أَفَلَنهَا أَوْصَلَهَا اللَّهُ ﴿إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٍ﴾ أي: ذو روح ﴿مِنْهُ﴾ أضيف إليه - تعالى - تشريفًا له، وليس كما زعمتم ابن الله، أو إلها معه، أو ثالث ثلاثة؛ لأن ذا الروح مركب، والإله منزّه عن التركيب وعن نسبة المركب إليه ^(١) ﴿فَقَامُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ. وَلَا تَقُولُوا لِلْأَلْهَةِ ثَلَاثَةٌ﴾ اللَّهُ وَعِيسَى وَأُمُّهُ ﴿أَنْتَهُوا﴾ عن ذلك وأنتم ﴿خَيْرًا لَكُمْ﴾ منه؛ وهو: التوحيد ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ سُبْحَنَهُ﴾ تنزيهًا له عن ﴿أَنْ يَكُونَ لَكُمْ وَلَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَلَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ خلقًا وملكًا وعبيدًا، والملكية تنافي النبوة ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ شهيدًا على ذلك.

[١٧٢] ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ﴾ يتكبر ويأنف ﴿الْمَسِيحُ﴾ الذي زعمتم أنه إله عن ﴿أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ عند الله لا يستنكفون أن يكونوا عبيدًا، وهذا من أحسن الاستطراد، ذُكر للرد على من زعم أنها آلهة أو بنات الله، كما رد بما قتله على النصارى الزاعمين - ذلك المقصود - خطأيهم ﴿وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ. وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمُ إِلَهُو جَمِيعًا﴾ في الآخرة.

[١٧٣] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن عبادته ﴿فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلمًا؛ هو: عذاب النار ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ غَيْرَهُ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيًّا﴾ يدفعه عنهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يمنعهم منه. [١٧٤] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مُخْتَصِمٌ﴾ بين ربيكم ﴿عليكم؛ وهو: النبي ﷺ﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴿بيّنًا؛ وهو: القرآن. [١٧٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مَنَّهُ﴾

يَتَأَمَّلِ الْكِتَابَ لَا تَقُولُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَذَّبْتَهُ أَفَلَنهَا أَوْصَلَهَا اللَّهُ إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٍ مِنْهُ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَحْدٌ سُبْحَنَهُ أَنْ يَكُونَ لَكُمْ وَلَدٌ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يَلَمْ يَأْتِ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا أَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرْهُمُ إِلَهُو جَمِيعًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أَجْرَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا يَتَأْتِيَ النَّاسَ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةِ مَنَّهُ وَفَضْلٍ وَهَدْيِهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا

وَفَضْلٍ وَهَدْيِهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا ﴿طريقًا﴾ مُسْتَقِيمًا ﴿هو دين الإسلام.﴾

(١) وهذه الألفاظ محدثة ومهمة، فإن كان يقصد منها نفي الصفات التي أنبتها الله لنفسه أو أنبتها له رسوله ﷺ من اليد والقدم وغيرها؛ فهو باطل، وإن كان يقصد منها نفي صفات النقص عنه - سبحانه - فهو حق، ولكن التعبير عن ذلك بعبارات السلف أسلم وأولى.

﴿إِنْ كَانَتْ﴾ أي الأختان ﴿أُثْنَتَيْنِ﴾ أي: فصاعداً؛ لأنها نزلت في جابر وقد مات عن أخوات^(١) ﴿فَلَهُمَا الثَّانِي مِمَّا تَرَكَ﴾ الأخ ﴿وَلِنْ كَانُوا﴾ أي: الورثة ﴿إِخْوَةً رَجَالاً وَنِسَاءً فَلَهُمَا مِمَّا تَرَكَ﴾ منهم ﴿وَمِنْ حَظِّ الْأُثْنَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ شرائع دينكم ﴿لَنْ﴾ لا ﴿تَصِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ومنه الميراث، روى الشيخان عن البراء: أنها آخر آية نزلت؛ أي: من الفرائض^(٢).

سورة المائدة

[مدنية، وآياتها مائة وعشرون آية^(٣)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ العهد المؤكدة التي بينكم وبين الله والناس ﴿أَحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَمْثَرِ﴾ الإبل والبقر والغنم أكلاً بعد الذبح^(٤) ﴿إِلَّا مَا يَمْلِكُ عَلَيْكُمْ﴾ تحريره في ﴿حُرْمَتِ عَلَيْكُمْ﴾ الثَّيْمَةِ^(٥) الآية، فالاستثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحرير لما غرض من الموت^(٦) ونحوه ﴿غَيْرَ مُجْلِ الْقَيْدِ وَأَنْتُمْ حُرٌّ﴾ أي: مُخْرَجُونَ، ونصب ﴿غَيْرَ﴾ على الحال من ضمير ﴿لَكُمْ﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُرِيدُ﴾ من التحليل وغيره لا اعتراض عليه.

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ﴾ جمع شَعِيرَةٍ أي: معالم دينه؛ بالصيد في الإحرام ﴿وَلَا الثَّهْرَ الْحَرَامَ﴾ بالقتال فيه ﴿وَلَا الْمَدَى﴾ ما أهدي إلى الحرم من الثَّغْم بالعرض له ﴿وَلَا الْقَلْبِدَ﴾ جمع قلادة؛ وهي: ما كان يقلده من شجر الحرم ليأمن؛ أي: لا تعرضوا لها ولا لأصحابها ﴿وَلَا تَحْلُوا﴾ تحلوا ﴿مَائِينَ﴾ قاصدين ﴿الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ بأن تقاتلوه^(٧) ﴿يَنْتَعُونَ﴾ قَصَلاً رزقاً ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ بالنجارة ﴿وَرِضُونَا﴾ منه بقصده بزعمهم الفاسد، وهذا منسوخ بآية براءة^(٨) ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ﴾ من الإحرام ﴿فَاصْطَادُوا﴾ أمر بإباحة ﴿وَلَا يَجُوزُ عَلَيْكُمْ﴾ يكسبكم ﴿شَتَانٌ﴾ بفتح النون وسكونها^(٩)، بعض ﴿فَوْرٍ﴾ لأجل ﴿أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْبُدُوا﴾ عليهم بالقتل وغيره ﴿وَتَمَازُونَا عَلَى الْبَرِّ﴾ بفعل ما أمرتم به ﴿وَالْتَقَوْا﴾ بترك ما نهيتهم عنه ﴿وَلَا تَمَازُونَا﴾ فيه حذف إحدى التاءين في الأصل ﴿وَعَلَى الْإِثْمِ﴾ المعاصي ﴿وَالْمُدُونِ﴾ التعدي في حدود الله ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ خافوا عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفَيِّسُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنْ أَمَرُوا هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مِمَّا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ إِنْ كَانَتْ أُثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّانِي مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رَجَالاً وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

سورة المائدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةُ الْأَنْعَمِ إِلَّا مَا يُكَلِّ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُجْلِ الْقَيْدِ وَأَنْتُمْ حُرٌّ إِنْ اللَّهُ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا شَعِيرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلْبِدَ وَلَا أَقِيمِنَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ يَنْتَعُونَ قَصَلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضُونَا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجُزُ مِنْكُمْ شَتَانٌ قَوْمٌ أَنْ صَدُّوا عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْبُدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾

[١٧٦] ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ في الكَلَالَةِ^(١) ﴿قُلِ اللَّهُ يُفَيِّسُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ إِنْ أَمَرُوا هَلْكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتُ فَلَهَا نِصْفُ مِمَّا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ إِنْ كَانَتْ أُثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثَّانِي مِمَّا تَرَكَ وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رَجَالاً وَنِسَاءً فَلِلَّذَكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٧٦): أخرج مسلم عن جابر بن عبد الله قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ وأبو بكر يهوداني ماشيين فأغمي عليّ، فوضأ ثم صب عليّ من وضوئه فأقمت. قلت: يا رسول الله كيف أقضي في مالي؟ فلم يرُدْ عليّ شيئاً حتى نزلت آية الميراث: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفَيِّسُكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾ مسلم - كتاب الفرائض (٢٣) - باب (٢) ميراث الكلاله.

(١) اختلف في المراد بالكلاله؛ وأصح الأقوال فيها هي أن يموت الميت وليس له فرع ولا أصل.

(٢) لأن الجملة الشرطية لا يليها إلا الفعل ولو تقديرًا.

(٣) البخاري (١٩٤) س حديث جابر، وأخرج نحوه مسلم (١٦١٦).

(٤) البخاري (٤٦٠٥)، ومسلم (١٦١٨).

(٥) في نسخة: مدنية، مائة وعشرون أو: وثلاث أو: ثلاث آية.

(٦) لو قال: «بعد التذكية» لكان أحسن؛ يشمل النحر - أيضًا.

(٧) وهي عشرة أشياء مطعومة كما جاءت في الآية: أولها الميتة وأخرها ما ذبح على النصب.

(٨) لأن ما قبل ﴿وَلَا﴾ فيما أحل. وما بعدها فيما حرم؛ أي: ما بعدها مغاير لما قبلها في الحكم والاتصال إذا كانا متفقين في الحكم، ويلزم من ذلك أن كل استثناء منقطع؛ لأن ما بعد ﴿وَلَا﴾ دائماً مخالف لما قبلها منقطعاً كان أو متصلاً. وأهل اللغة على أن الاستثناء المتصل أن يكون المستثنى من جنس المستثنى منه، والمنقطع أن يكون من غير جنسه.

(٩) وإن حمل على غير القتال؛ كالظلم، فليس بمنسوخ.

(١٠) أي: قوله: ﴿وَلَا الثَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْمَدَى وَلَا الْقَلْبِدَ وَلَا مَائِينَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ﴾ [المائدة: ٢]، وليس في المائدة منسوخ غير هذه الآية.

(١١) بالسكون قراءة شعبة وابن عامر.

ألقوا المسح بها من غير إمالة ماء، وهو اسم جنس فيكفي أقل ما يصدق عليه؛ وهو: مسح بعض شفره^(٣)، وعليه الشافعي **﴿وَأَرْجُلُكُمْ﴾** بالنصب، عطفًا على **﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾**، وبالجر على الجوار^(٤) **﴿إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾** أي: معها - كما يثبت الشئ^(٥) ١. وهما: العظامان الناتقان في كل رجل عند مفصل الساق والقدم، والفصل بين الأيدي والأرجل المغسولة بالرأس المسحوف يغيب وجوب الترتيب في طهارة هذه الأعضاء، وعليه الشافعي، ويؤخذ من السنة وجوب النية فيه كغيره من العبادات **﴿وَأَنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْفِئُوا﴾** فاعتسلوا **﴿وَأَنْ كُنْتُمْ مَرْتَجِينَ﴾** مرضًا يضره الماء **﴿أَوْ عَلَى سَفَرٍ﴾** أي: مسافرين **﴿أَوْ جَسَدًا أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾** أي: أخذت **﴿أَوْ لَنَسَمْتُمُ النِّسَاءَ﴾** سبق مثله في آية النساء **﴿فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً﴾** بعد طلبه **﴿فَتَيَمَّمُوا﴾** أقصدوا **﴿صَدِيدًا طَيِّبًا﴾** ترابًا طاهرًا **﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾** مع المرفقين **﴿وَبَنَةً﴾** بضريرتين^(٦)، والباء للإلصاق، وَبَنَتِ الشَّئَ أَنْ المراد استيعاب العضوين بالمسح^(٧) **﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ﴾** ضيق بما فرض عليكم من الوضوء والغسل والتيمم **﴿وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ﴾** من الأحداث والذنوب **﴿وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾** بالإسلام؛ ببيان شرائع الدين **﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾** نعمة^(٨).

[٧] **﴿وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾** بالإسلام **﴿وَمِنْ نِعْمَتِهِ﴾** عهده **﴿الَّذِي وَافَقَكُمْ بِهِ﴾** عاهدكم عليه **﴿إِذْ قُلْتُمْ﴾** للنبي ﷺ حين بايعتموه: **﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾** في كل ما تأمر به وتنهى؛ بما نحب ونكره **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾** في ميثاقه أَنْ تنقضوه **﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾** بما في القلوب، فيغيره أولى.

[٨] **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُرُومًا قَوْمِينَ﴾** قائمين **﴿لِلَّهِ﴾** بحقوقه **﴿شُهَدَاءَ يَأْتِ بِالنِّسَاءِ بِالْعَدْلِ﴾** ولا يجرمكم **﴿يَحْمِلَنَّكُمْ﴾** سَنَانُ **﴿بُغْضٍ قَوِيٍّ﴾** أي: الكفار **﴿عَلَىٰ أَلَّا تَعْدُوا﴾** فتنالوا منهم؛ لعداوتهم **﴿تَعْدُوا﴾** في العدو والولي **﴿هُوَ﴾** أي: العدل **﴿أَقْرَبُ لِلْقَوِيِّ وَأَتَقْوَىٰ﴾** **﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾** فيجازيكم به.

[٩] **﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾** وعدًا حسنًا **﴿لَهُمْ مَقْرَرٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾** هو الجنة.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَأَطْفِئُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَنَسَمْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٦ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَاقَهُ الَّذِي وَاثَقَكُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ٧ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُرُومًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ يَأْتِ بِالنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدُوا أَعْدَاؤُهُمْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ٨ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَقَرٌّ مَقَرٌّ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ٩

[٦] **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ﴾** أي: أردتم القيام **﴿إِلَى الصَّلَاةِ﴾** وأنتم محدثون **﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾** أي: معها - كما يثبت الشئ^(١) - **﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾** الباء للإلصاق^(٢)؛ أي:

(٥) ما جاء في نزول الآية (٦): أخرجه البخاري عن عائشة **﴿سَقَطَتْ قِلَادَةٌ لِي بِالْيَدِ﴾** ونحن داخلون المدينة - فأناب النبي ﷺ ونزل، فنتى رأسه في حجري رافدًا. أقبل أبو بكر فلكرني لكزة شديدة وقال: حبست الناس في قِلَادَةٍ؟ في الموت لكان رسول الله ﷺ وقد أوجعني، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح فالتمس الماء فلم يوجد؛ فنزلت: **﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ﴾** الآية. قال أسيد بن حصير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم. البخاري - التفسير (٦٥) - سورة المائدة (٥) باب (٣).

(١) من حديث وائل بن حجر الحضرمي أن النبي ﷺ غسل في وضوئه يمينه ويساره، حتى جاوز المرفق ثلاثًا، وغسل رجله حتى حاوز الكعبين. أخرجه الدارقطني من حديث عثمان، وأخرجه الدارقطني والبيهقي عن جابر، وأخرجه الزبair والطبراني من حديث وائل بن حجر، وأخرجه الطحاوي والطبراني من حديث ثعلبة بن عباد عن أبيه مرفوعًا [فتح الباري (٣٥٠/١)]. وانظر: صحيح الجامع (٤٦٩٨)، والسلسلة الصحيحة (٩٩/٥).

(٢) وقيل: للتبعض. وهو قول مرجوح.
(٣) وقال أبو حنيفة: يجب مسح الجميع كما يجب مسح الوجه في التيمم. وهو الصحيح.
(٤) قراءة الجرا لآين كثير وأبي عمرو وحزمة وشعبة، وقوله: «على الجوار»؛ أي: فهو في المعنى منصوب بفتحة مقدرة على آخره، واعترض على هذا بأنه لم يرد الجرا بالمجاورة إلا في النعت، والأولى أن يقال: إنه مجرور بفتحة، ومعطوف على الرؤوس، والمسح مسلط عليه ويحمل على حالة ليس الخف.
(٥) كما تقدم قربنا في حديث وائل بن حجر.
(٦) حديث الضربين ضعيف، والصحيح أن التيمم ضربة واحدة كما في حديث عمار عند البخاري مرفوعًا: «إنما كان يكفكف هكذا»، ونفع فيهما ثم مسح بهما وجهه وكفيه. البخاري (٣٤٧).
(٧) حديث زوي عن ابن عمر عند الدارقطني (١٨٠/١) مرفوعًا، وصحح الأئمة وقفه على ابن عمر.

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

[١١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هُمْ قَرِيشٌ وَأَنْ يَسْطُوا﴾. يدوا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هُمْ قَرِيشٌ وَأَنْ يَسْطُوا﴾. ليفتكوا بكم ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾ وعصمكم مما أرادوا بكم ﴿وَأَتَقُوا اللَّهَ﴾ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ^(١)

[١٢] ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بما يذكر بعد^(٢) ﴿وَبَعَثْنَا﴾. فيه التفات عن الغيبة - أقمنا ﴿مِنْهُمْ أَنْتَ عَشْرَ نَفْسًا﴾ من كل سبط نقيب يكون كفيلاً على قومه؛ بالوفاء بالعهد توثقة عليهم ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ ﴿اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ﴾ بالعون والصرة ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿أَقَمْتُمْ الصَّلَاةَ﴾ وَأَتَيْتُمُ الزَّكَاةَ ﴿وَأَمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾ وَعَزَّزْتُمُوهُمْ ﴿نَصَرْتُمُوهُمْ﴾ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴿بِالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ﴾ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴿فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمِيثَاقِ﴾ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿أَخْطَأَ طَرِيقَ الْحَقِّ وَالسَّوَاءِ فِي الْأَصْلِ: الْوَسْطُ، فَتَقْضُوا الْمِيثَاقَ.

[١٣] قال الله - تعالى -: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ﴾ «ما» زائدة ﴿مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ﴾ أبعدناهم عن رحمتنا ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ لا تلين لقبول الإيمان ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ﴾ الذي في التوراة من نعت محمد ﷺ وغيره ﴿عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ التي وضعه الله عليها؛ أي: يبدلونه ﴿وَنَسُوا﴾ تركوا ﴿حَظًّا﴾ نصيباً ﴿فِيمَا ذُكِّرُوا﴾ أمروا ﴿بِهِ﴾ في التوراة من اتباع محمد ﷺ ﴿وَلَا تَزَالُ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَطَّلِعُ﴾ تظهر ﴿عَلَى خَائِبَةٍ﴾ أي: خيانة ﴿وَمِنْهُمْ﴾ بنقض العهد وغيره ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ﴾ من أسلم ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ وهذا منسوخ بآية السيف^(٣).

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ هُمْ قَرِيشٌ وَأَنْ يَسْطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّزْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فِيمَا نَقُضُهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِبَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

(١) فائدة: قال الألوسي: «والآية إشارة إلى ما أخرجه مسلم وغيره من حديث جابر أن المشركين رأوا أن رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله تعالى عنهم بمسفات قاموا إلى الظهر مقاء، فلما صلوا ندبوا ألا كانوا أكبروا عليهم، وهما أن يوقعوا بهم إذا قاموا إلى صلاة العصر؛ فرد الله تعالى كيدهم بأن أنزل صلاة الخوف...».

وقبل غير ذلك. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (١٢٤/٦، ١٢٥).

(٢) أي: من قوله: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ﴾ الآية [التائدة: ١٢].

(٣) وهي الآية الخامسة من سورة التوبة.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ مَجْزِي السَّالِمِينَ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾

[١٤] ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي﴾ متعلق بقوله: ﴿أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ﴾ كما أخذنا على بني إسرائيل العهد، ﴿فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ في الإنجيل؛ من الإيمان وغيره، ونقضوا الميثاق ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بتفرقهم واختلاف أهوائهم، فكل فرقة تكفر الأخرى ﴿وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

[١٥] ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ اليهود والنصارى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ محمد ﴿يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ﴾ تكتمون ﴿وَمِنَ الْكِتَابِ﴾ التوراة والإنجيل؛ آية الرجم وصفته ^(١) ﴿وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ من ذلك؛ فلا يبينه إذا لم يكن فيه مصلحة إلا إفضاحكم. ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ قرآن ﴿مُبِينٌ﴾ بينٌ ظاهر.

[١٦] ﴿يَهْدِي بِهِ﴾ أي: بالكتاب ﴿اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ﴾ بأن آمن ﴿سُئِلَ السَّالِمِينَ﴾ طرق السلامة ﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بإرادته ﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.

[١٧] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ حيث جعلوه إلهاً، وهم العقويّة - فرقة من النصارى ^(٢) - ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ أي: يدفع ﴿وَمِنَ الْعَذَابِ﴾ عذاب ﴿اللَّهُ سَيِّئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ أي: لا أحد يملك ذلك، ولو كان المسيح إلهاً؛ لقدّر عليه ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَاءٌ ^(٣)﴾ ﴿قَدِيرٌ﴾

(١) فائدة: أخرج الحاكم (٤/ ٤٠٠) وغيره عن ابن عباس ؓ قال: (من كفر بالرجم، فقد كفر بالقرآن من حيث لا يحسب. وذلك قول الله ﷻ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا﴾ قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٢٧٦/١٠) وصححه الأرنؤوط. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٤٤٢٠).

(٢) بل هذا هو معتقد عامتهم.

(٣) والأولى الإطلاق وعدم التقييد. كما أطلق الله ﷻ، ورسوله ﷺ، كما أنه أكمل في الصفة، والله أعلم.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ تعالى له: ﴿فَاتَّخَذَهَا﴾ أي: الأرض المقدسة ﴿مَحْرَمَةً﴾ عليهم أن يدخلوها ﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ﴾ بتحiron ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ وهي تسعة فراعين، قاله ابن عباس ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى الْقَوْرِ الْفَيْسِقِينَ﴾ روي أنهم كانوا يسيرون الليل جادين فإذا أصبحوا إذا هم^(١) في الموضع الذي ابتدءوا منه، ويسرون النهار كذلك حتى انقضوا كلهم إلا من لم يبلغ العشرين، قيل: وكانوا ستمائة ألف، ومات هارون وموسى في الشَّبه، وكان رحمة لهما وعدايب لأولئك، وسأل موسى ربه عند موته أن يدينه من الأرض المقدسة رمية بحجر؛ فأدناه - كما في الحديث^(٢) -، وثني يوشع بعد الأربعين، وأمر بقتال الجبارين؛ فصار بمن بقي معه وقتلهم، وكان يوم الجمعة، ووقفت له الشمس ساعة حتى فرغ من قتالهم، وروى أحمد في مسنده حديث: «إِنَّ الشَّمْسَ لَمْ تُحْسِرْ عَلَى بَشَرٍ إِلَّا يُوشَعَ^(٣) لَيَالِي سَارَ إِلَى يَتِيبِ الْمَقْدِسِ^(٤)».

[٢٧] ﴿وَأَتْلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على قومك ﴿نَبَأٌ﴾ خبر ﴿أَبْنَى مَادَمَ﴾ هابل وقابل ﴿يَالْحَقَّ﴾ متعلق بـ ﴿أَتْلُ﴾ ﴿إِذْ قَرَأَ قُرْآنًا﴾ إلى الله؛ وهو: كيش لهابل وزرع لقابل ﴿فَقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا﴾ وهو هابل؛ بأن نزلت نار من السماء فاكلت قربانه ﴿وَلَمْ يُقْبَلْ مِنَ الْآخَرِ﴾ وهو قابل؛ فغضب وأضمر الحسد في نفسه إلى أن حج آدم ﴿قَالَ﴾ له: ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ قال: لم؟ قال: لتقبل قربانك دوني ﴿قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿لَئِنْ﴾ لام قسم ﴿بَسَطْتَ﴾ مددت ﴿إِلَيْكَ يَدَكَ لَيَقْتُلَنَّكَ مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِي إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ في تلك^(٥). [٢٩] ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبْنِيَا﴾ ترجع ﴿بَيْنِي﴾ يائم قلبي ﴿وَأَيْنِكَ﴾ الذي ارتكبته من قبل ﴿فَتَكُونُ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ ولا أريد أن أبوء يائمتك إذا قتلتك؛ فأكون منهم، قال - تعالى -: ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ﴾.

[٣٠] ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ زينت ﴿لَمْ نَفْسُهُ قَتَلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ﴾ فصار ﴿مِنَ الْفَاسِقِينَ﴾ بقتله، ولم يدر ما يصنع به؛ لأنه أول ميت على وجه الأرض من بني آدم، فحمله على ظهره.

[٣١] ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ﴾ يَبْحَثُ التراب بمنقاره ويرجله ويثيره على غراب ميت حتى وازاه ﴿لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤْزِرُ﴾ يشتر ﴿سَوْءَةَ﴾ جيفة ﴿أَخِيهِ قَالِ يَتَوَلَّى عَجْرَتْ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا﴾ الغراب فأوزر سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ على حمله، وحفر له وواراه.

قَالُوا يَمْوَسِيْنَا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحْرَمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٨﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَأَ قُرْآنًا فَقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٩﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبْنِيَا بَيْنِي وَأَيْنِكَ وَتَكُونَ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٢﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُؤْزِرُ سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالِ يَتَوَلَّى عَجْرَتْ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأَوْزَرِي سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴿٣٣﴾

[٢٤] ﴿قَالُوا يَمْوَسِيْنَا لَن نَدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلَا﴾ هم ﴿إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ عن القتال.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾ موسى حينئذ: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ﴾ إلا ﴿أَخِي﴾ ولا أملك غيرهما؛ فاجبرهم على الطاعة ﴿فَافْرِقْ﴾ فافصل ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ في هذا الحديث، قال: قلت يا رسول الله، أرايت إن دخل على بيتي وبسط يده ليقبلي؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: «كن كابي آدم»، وتلا يزيد - هو يزيد بن خالد الرملي شيخ أبي داود -: ﴿لَوْ بَسَطْتَ إِلَيْكَ يَدَكَ لَيَقْتُلَنَّكَ مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ الآية.

أبو دود - كتاب الفتن والملاحم (٢٩) باب (٢) في النهي عن السعي في الفتنة. وأشار محققه في هامشه (٤٥٦/٤) أنه وقع في نسخة: «كن كخبر ابني آدم». وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٥٨١).

وقوله: «في هذا الحديث» يعني حديث أبي بكر مرفوعاً: «إنها ستكون فتنة، يكون المضطجع فيها غيراً من الجالس...» وهو عند مسلم في كتاب الفتن (٥٢) باب (٣) نزول الفتن كموافق القطر.

وفي آخر الحديث عند مسلم: «فقال رجن: يا رسول الله أرايت إن أكرهت حتى ينطقي بي إلى أحد الصغين - أو إحدى الفتنين - فضررتي رجل بسيفه، أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: يوء يائمه وإئتمك، ويكون من أصحاب النار».

(١) أخرج نحوه ابن جرير عن مجاهد وعن الربيع بن أنس [الدر المنثور (٤٨٢/٢)].

(٢) البحاري (٣٤٠٧)، ومسلم (٢٣٧٢).

(٣) أي: قبل يوشع، ولا لقد حبست لنبينا ﷺ مرتين؛ يوم الخندق، وصبيحة ليلة الإسراء.

(٤) رواه أحمد (٧٩٦٤) عن أبي هريرة مرفوعاً باللفظ: «إن الشمس لم تحبس لبشر...»، وانظر: صحيح الجامع (٥٦١٢).

[٤٢] هُمْ ﴿سَمِعُوا لَكَذِبَ أَنْكَلُونَ﴾ [للسُّخْبِ] ﴿بِضْمِ الْحَاءِ وَسُكُونِهَا﴾^(١)؛ أَي: الحرام؛ كالرشا ﴿فَإِنْ جَاءَوكَ﴾ لِحُكْمِ بَيْنَهُمْ ﴿فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ هذا التخيير منسوخ بقوله - تعالى -: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ﴾ الآية، فيجب الحكم بينهم إذا توافعا إلينا، وهو أصح قولي الشافعي^(٢)، فلو توافعا إلينا مع مسلم وجب إجماعاً ﴿وَإِنْ تَقَرَّضْ عَنْهُمْ فَكَنْ يَضْرُوكَ سَيْئًا﴾ وَإِنْ حَكَمْتَ بَيْنَهُمْ ﴿فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بِالْعَدْلِ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين في الحكم؛ أَي: بينهم^(٣).

[٤٣] ﴿وَكَيْفَ يُحْكِمُوكَ﴾ وَعِنْدَهُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ بِالرَّجْمِ، اسْتِفْهَامٌ تَعَجِيبٌ؛ أَي: لم يقصدوا بذلك معرفة الحق، بل ما هو أهون عليهم^(٤) ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ﴾ يعرضون عن حكمك بالرجم الموافق لكتابهم ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ التحكيم ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٤٤] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَنُورٌ﴾ يان للأحكام ﴿يُحْكَمْ بِهَا التَّيُّوتُ﴾ من بني إسرائيل ﴿الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾ انقادوا لله ﴿لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ﴾ العلماء منه ﴿وَالْأَحْبَارُ﴾ الفقهاء ﴿بِمَا﴾ أَي: بسبب الذي ﴿أَسْتَحْفَظُوا﴾ استودعوه؛ أَي: استحفظهم الله إياه ﴿مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ أَنْ يبدلوه ﴿وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ﴾ أَنَّهُ حَقٌّ ﴿فَلَا تَخْشَوْا النَّكَاسَ﴾ أيها اليهود في إظهار ما عندكم من نعت محمد ﷺ والرجم وغيرها ﴿وَأَخْشَوْا﴾ في كتمانها ﴿وَلَا تَنْفَرُوا﴾ تستبدلوا ﴿بِإِيتَائِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ من الدنيا تأخذونه على كتمانها ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ به.

[٤٥] ﴿وَكُنَّا﴾ فرضنا ﴿عَلَيْهِمْ فِيهَا﴾ أَي: التوراة ﴿أَنَّ النَّفْسَ﴾ تقتل ﴿بِالنَّفْسِ﴾ إذا قتلها ﴿وَالْعَيْنَ﴾ نَفَقًا ﴿بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ﴾ يُجْدَعُ ﴿بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنِ﴾ تقطع ﴿بِالْأُذُنِ وَاللِّسَنِ﴾ تقلع ﴿بِاللِّسَنِ﴾ وفي قراءة بالرفع في الأربعة^(٥) ﴿وَالْجُرُوحَ﴾ بالوجهين^(٦) ﴿قِصَاصٌ﴾ أَي: يقتض فيها إذا أمكن؛ كاليد والرجل ونحو ذلك، وما لا يمكن فيه الحكومة، وهذا الحكم وإن كتب عليهم فهو مقرر في شرعنا ﴿فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ﴾

سَمِعُوا لَكَذِبَ أَنْكَلُونَ لَلْسُخْبِ فَإِنْ جَاءَوكَ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تَقَرَّضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضْرُوكَ سَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيفَ يُحْكِمُوكَ عِنْدَهُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يُحْكَمْ بِهَا التَّيُّوتُ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبِّيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا أَسْتَحْفَظُوا مِنَ النَّاسِ كَتَبَ اللَّهُ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوْا النَّاسَ وَأَخْشَوْا وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَلِيلٍ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَاللِّسَنَ بِاللِّسَنِ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾

أَي: بالقصاص؛ بَأَنْ مَكَّنَ مِنْ نَفْسِهِ ﴿فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ﴾ لِمَا أَتَاهُ ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ فِي الْقِصَاصِ وَغَيْرِهِ ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٤٥): أخرجه الترمذي عن عمران بن حصين أن رجلاً عض يد رجل، فزعه يده، فوقعت ثنيته، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فقال: «بعض أحدكم أخاه كما بعض الفحل!! لا دية لك». فأنزل الله: ﴿وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾. الترمذي - كتاب الديات (١٤) باب (٢٠) ما جاء في القصاص. وقال: حسن صحيح. والحديث في صحيح مسلم بلفظ ذكر نزول الآية، وكذلك في صحيح البخاري لكن من حديث يعلى بن أمية.

(١) بالضم قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) ومشهور مذهب مالك أن التخيير باق وليس بمنسوخ، وبه قال أحمد وهو الراجح، واختاره السعدي مغللاً بأنهم لا قصد لهم في الحكم الشرعي إلا أن يكون موافقاً لأهوائهم، وكذلك القاسمي وزاد: لأنه لا ماعاة بين الآيتين، فالأولى فيها التخيير، والأخرى فيها كيفية الحكم إذا حكم بينهم.

(٣) وهذا تأويل يلزم للصفة، وسبق بيان مذهب السلف من إثبات هذه الصفة وغيرها على الوجه اللائق به - سبحانه.

(٤) وهو الجدل.

(٥) للكسائي.

(٦) بالرفع والنصب، والرفع قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ. قُلْ هِيَ التَّوْرَةُ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى مِنَ الضَّلَالَةِ ﴿٢٠﴾ وَيُؤْتِيهِمُ الْكِتَابَ وَمَا يُنْزِلُ اللَّهُ مِنْ هُدًى وَتُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢١﴾

﴿٢٠﴾ قُلْنَا: ﴿لِيُحْكَمْ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ مِنَ الْأَحْكَامِ، وَفِي قِرَاءَةٍ (١) بِنَصْبِ «يُحْكَم» وَكَسْرِ لَامِهِ، عَطْفًا عَلَى مَعْمُولِ «آتَيْنَاهُ» وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٢).

﴿٢١﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ الْكِتَابَ الْقُرْآنَ بِالْحَقِّ وَمَتَّلَقَ بِأَنْزِلَانِهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْ هِيَ الْكِتَابُ وَمُحِيطًا شَاهِدًا عَلَى الْعَالَمِ وَالْكِتَابُ بِمَعْنَى الْكِتَابِ (٣) فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ إِذَا تَرَاوَعُوا إِلَيْكَ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَادِلًا وَعَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ آيَةً فِيهَا الْأُمُّ شَرِيعَةٌ شَرِيعَةٌ وَبَيْنَهُمَا جَاءَ طَرِيقًا وَاضِحًا فِي الدِّينِ يَمْشُونَ عَلَيْهِ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ عَلَى شَرِيعَةٍ وَاحِدَةٍ وَلَكِنْ فَرَقَكُمْ فِرْقًا ﴿لِيَبْلُوكُمْ﴾ لِخَبِيرَتِهِمْ فِي مَا آتَيْنَاهُمْ مِنَ الشَّرَائِعِ الْخَفِيَّةِ؛ لِنَبْظِ الطَّامِعِ مِنْكُمْ وَالْعَاصِيِ ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخَافُونَ﴾ سَارِعُوا إِلَيْهَا إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا بِالْبُعْثِ ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَخَافُونَ﴾ فِيهِ كَثْرَةُ تَخَلُّفُونَ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ، وَيَجْزِي كَلَامُ مَنْكُمُ بَعْمَلَهُ.

﴿٢٢﴾ وَأَنِّي أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاعْتَدِرْهُمْ لِيُؤْنَسَ لَا يَفْتَرُونَكَ يَضْلُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا عَنْ الْحُكْمِ الْمَثَلِ وَأَرَادُوا غَيْرَهُ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا وَبَعْضُ دُورِهِمْ الَّتِي أَنْوَاهَا وَمَهَا: التَّوَلَّى، وَيَجَازِيهِمْ عَلَى جَمِيعِهَا فِي الْآخِرَةِ ﴿وَأَنِّي كَبِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَفَتَقُونَ﴾.

[٥٠] ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا يَنُوحُونَ﴾ بِالْبَاءِ وَالنَّوْءِ (٤) يَطْلُبُونَ مِنَ الْمَدَاهِنَةِ وَالْمِيلِ إِذَا تَوَلَّوْا اسْتَفْهَامَ انْكَارِيٍّ وَمَنْ أَيُّ لَا أَحَدَ ﴿أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومُونَ﴾ عِنْدَ قَوْمٍ يُوقُونَ بِهِ خُصَا بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ يَتَذَكَّرُونَ.

وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَتُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢٢﴾ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُحِيطًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرِيعَةً وَمِنْهُاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَا آتَيْنَاهُمْ فَاسْتَقِيمُوا الْخَبَرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيَتَّبِعُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٢٤﴾ وَإِنِّي أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنْزِلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ دُورِهِمْ وَأَنِّي كَبِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَفَتَقُونَ ﴿٢٥﴾ فَخُذْكُمْ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْعُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا يَقُومُونَ ﴿٢٦﴾

﴿٢٦﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَرِهِمْ أَيُّ النَّبِيِّينَ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ

(٥) مَا جَاءَ فِي نزول الآيات (٤١ - ٤٧): أخرج مسلم عن البراء بن عازب قال: مرُّ على النبي ﷺ يهودي محملاً مجلولاً فدعاهم ﷺ فقال: «هكذا تحدون حد الزاني في كتابكم؟» قالوا: نعم. فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: «أنتم بك الله الذي أنزل التوراة على موسى، أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟» قال: لا، ولولا أنك نشدتنني بهذا لم أخبرك. فجده الرجم، ولكنه كثير في أشرافنا، فكان إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا: تعالوا فلنجتمع على شيء نقيم على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد مكان الرجم، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أتممته». فأمر به فرجم، فأمر الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكُمُ الَّذِينَ يُكْفِرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿إِنْ أُوْتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ﴾ يقول: اتوا محملاً فإن أمركم بالتحميم والجلد فخذوه وإن أقامكم بالرجم فاحذروا، فأمر الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. مسلم. كتاب الخلود (٢٩) باب (٦) رجم اليهود أهل الذمة في الزنى.

وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: إن الله ﷻ أنزل: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ. وأولئك هُمُ الْفَاسِقُونَ، أنزلها الله في لطائف من اليهود، وكانت إحداهما قد فُهِتْ الأخرى في الجاهلية، حتى ارتضوا، أو اصطَلَحُوا. على أن كل قبيل قُتِلَ العزيرة من الذليلة فدبته حمسون وسقاً، وكل قبيل قُتِلَ الذليلة من العزيرة فدبته مائة وسق. فكانوا على ذلك حتى قدم النبي ﷺ المدينة فذلت الطائفتان كلتاهاما لمقدم رسول الله ﷺ ويومئذ لم يظهر ولم يوطئهما عليه وهو في الصلح.

فقتلت الذليلة من العزيرة قبلاً، فأرسلت العزيرة إلى الذليلة أن: «بعوا إني غائبة وسق»، فقالت الذليلة: وهل كان هذا في حين فط، دينهما واحد، ونسبهما واحد، وبلدهما واحد، دية بعضهما نصف دية بعض. إنا إنما أعطيناكم هذا شيئاً منكم لنا وفرقاً منكم، فأما إذا قدم محمد فلا نعطيك ذلك، فكادت الحرب تهيج بينهما، ثم ارتضوا على أن يجعلوا رسول الله ﷺ بينهم، ثم ذكرت العزيرة فقالت: والله ما محمد يعطيك منكم منكم، ولقد صدقوا ما أعطونا هذا إلا شيئاً منا وقهراً لهم، فدشوا إلى محمد من يخبر لكم رأيه، إن أعطاكم ما تريدون حكمتموه، وإن لم يعطكم حذرتم فلم تحكموه.

فدشوا إلى رسول الله ﷺ ناشوا من المنافقين ليخبروا بهم رأي رسول الله ﷺ فلما جاء رسول الله ﷺ أخبر الله ﷻ رسوله بأمرهم كله، وأرادوا، فأمر الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ لَا يَحْزَنْكُمُ الَّذِينَ يُكْفِرُونَ﴾ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. ثم قال: فيها - والله - نزلت، وإياها عن الله ﷻ. أحمد. المسند (٢٤٦/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢٢١٢).

وأخرج أبو داود عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَإِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْلِزْهُمْ﴾ الآية. قال: كان بنو النضير إذا قتلوا من بني فريضة أدوا نصف الدية، وإذا قتل بنو قريظة من بني النضير أدوا إليهم الدية كاملة. فسؤى رسول الله ﷺ بينهم. أبو داود. كتاب الأفضية (١٨) باب (١٠). الحكم بين أهل الذمة. (حسن صحيح الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٣٠٦٢).

(١) أي في «العين» وما بعدها، وهي قراءة لحمة. (٢) أي: فذالة للجنس. (٣) بالباء قراءة ابن عامر.

[٥١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ تَوَلَّوْنَهُمْ وَهُمْ يُبْغِضُونَكُم بِبَعْضِ أَوْلِيَائِهِمْ بَعْضٌ ۚ لَاتُحَادِدُكُمْ فِي الْكُفْرِ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّكُمْ يَنْكُرْ فَأَنُتْمُ مِنْ جَمَلَتِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۚ﴾ [٥٢] ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَزٌ ۚ ضَعْفُ اعْتِقَادٍ؛ كَبِدُ اللَّهِ بِنِ أَيْ الْمُنَاقِ ۚ يَسْتَرْغُونَ فِيهِمْ ۚ فِي مَوَالِيهِمْ ۚ يَقُولُونَ ۚ مُعْتَدِرِينَ عَنْهَا: ۚ تَخْشَى أَنْ تُصِيبَ دَابَّةٌ ۚ يَدُورُ بِهَا الدَّهْرُ عَلَيْنَا؛ مِنْ جَدْبٍ أَوْ غَلْبَةٍ، وَلَا يَتِمُّ أَمْرُ مُحَمَّدٍ؛ فَلَا يَمِيرُونَا ۚ قَالَ - تَعَالَى -: ﴿فَعَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ ۚ بِالنَّصْرِ لِنَبِيِّهِ يُظَاهِرُ دِينَهُ ۚ أَوْ أَمْرٌ مِّنْ عِندِهِ ۚ بَهْكَ سِتْرِ الْمُنَاقِينَ وَافْتِضَاحِهِمْ ۚ فَيَصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ۚ مِنَ الشَّكِّ وَمَوَالِدِ الْكُفَرِ ۚ تَدْبِيرٌ ۚ﴾.

[٥٣] ﴿وَيَقُولُ ۚ بِالرَّفْعِ اسْتِنَافًا - بَوَاوُ وَدُونَهَا ١٠ ۚ وَبِالنَّصْبِ ١١ ۚ﴾ عَطْفًا عَلَى ﴿يَأْتِي ۚ﴾ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ لِبَعْضِهِمْ إِذَا هُنَاكَ سَتَرَهُمْ تَعْجِلاً: ﴿أَهْوَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ۚ غَايَةُ اجْتِهَادِهِمْ فِيهَا ۚ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ فِي الدِّينِ قَالَ - تَعَالَى -: ﴿حِطَّتْ ۚ بَطَلَتْ ۚ أَعْمَلَتْهُمْ ۚ الصَّالِحَةُ ١٢ ۚ﴾ فَاصْبَحُوا ۚ صَارُوا ۚ خَيْرِينَ ۚ الدُّنْيَا بِالْفَضِيحَةِ وَالْآخِرَةُ بِالْعَقَابِ.

[٥٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ ۚ بِالْفُكِّ وَالْإِدْعَامِ ١٣ ۚ يَرْجِعْ ۚ وَمِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ ۚ إِلَى الْكُفَرِ، إِخْبَارٌ بِمَا عَلَّمَ اللَّهُ وَقُوعَهُ، وَقَدْ ارْتَدَّ جَمَاعَةٌ بَعْدَ مَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ ۚ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِدِلِّهِمْ ۚ يَقْوِي بِهِمْ وَيُجِيبُهُمْ ۚ قَالَ ﷺ: ﴿هُمُ قَوْمٌ هَذَا، وَأَشَارَ إِلَى أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ١٤ ۚ﴾ [رواه الحاكم في صحيحه] ﴿أَذَلَّةٌ ۚ عَاطِفِينَ ۚ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ ۚ أَشْدَاءُ ۚ عَلَى الْكُفَرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ تَوَمُّةَ لَا يَمُرُّ ۚ فِيهِ؛ كَمَا يَخَافُ الْمُنَاقُونَ لَوْمَ الْكُفَرِ ۚ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ وَاسِعٌ ١٥ ۚ﴾ كَثِيرُ الْفَضْلِ ۚ عَلَيْهِ ۚ مَن هُوَ أَهْلُهُ. [٥٥] وَنَزَلَ - لَمَّا قَالَ ابْنُ سَلَامٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ قَوْمَنَا هَجَرُوا ۚ: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ١٦ ۚ﴾ خَاشِعُونَ، أَوْ يَصَلُونَ صَلَاةَ النُّطُولِ.

[٥٦] ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ۚ فَعِثْمُهُمْ وَيَنْصُرُهُمْ ۚ وَإِنَّا لَنُحِبُّهُمُ اللَّهُ هُمُ الْفَائِزُونَ ۚ لَنْصُرَهُمْ إِيَّاهُمْ؛ أَوْقَعَهُ مَوْقِعٌ: ﴿فَانْهَمُ ۚ بَيَانًا لَّأَنَّهُمْ مِنْ حِزْبِهِ؛ أَيْ: أَتْبَاعِهِ.

[٥٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا ۚ مَهْزُوعًا بِهِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۚ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِن قَوْمٍ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۚ﴾ فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَزٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَ دَابَّةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ تَدْبِيرٌ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهْوَلَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَيْرِينَ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُجِيبُونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ عَلَى الْكُفَرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَا يَمُرُّ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۚ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ۚ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافَرِ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كَثْرَ الْمُؤْمِنِينَ ۚ﴾

﴿وَلَعِبًا مِّنَ الْبَيَانِ ۚ﴾ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافَرِ ۚ الْمَشْرِكِينَ؛ بِالْجَرِّ وَالنَّصْبِ ١٨ ۚ ﴿أَوْلِيَاءَ ۚ وَتَقَوُّوا اللَّهَ ۚ بِتَرَكِ مَوَالِيهِمْ ۚ﴾ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۚ صَادِقِينَ فِي إِيمَانِكُمْ.

- وأخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان قريظة بالنضير، وكان النضير أشرف من قريظة، وكان إذا قتل رجل من قريظة رجلاً من النضير قتل به، وإذا قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة أدى مائة وسق من تمر، فلما بعث النبي ﷺ قتل رجل من النضير رجلاً من قريظة، فقالوا: ادفعوا إلينا نقتله، فقالوا: بيننا وبينكم النبي ﷺ، فأقره، فنزلت: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ تَحِبُّونَهُمْ فَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ والقسط: النفس بالنفس، ثم نزلت: ﴿أَفَحُكُّمَ لَكُمْ يَوْمَئِذٍ يَتُوبُونَ ۚ﴾. النسائي - كتاب القسامة (٤٥) باب (٩، ٨).

(١) بدونها قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.

(٢) أي: مع إنبات الواو قراءة أبي عمرو.

(٣) أي: بحسب الظاهر.

(٤) بالفتحة؛ أي: «يُتَرَكُونَ»، وهي قراءة نافع وابن عامر.

(٥) أخرجه ابن سعد وابن أبي شيبة في مسنده وعبد بن حميد والحكيم الترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الدلائل من حديث عياض الأشعري، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٦٨/٧) [الدر المنثور (١٨٨/٢)].

(٦) قال ابن جرير: يسع خلقه كلهم بالكفاية والإفضال والجلود والتدبير. وقال مثله ابن كثير.

(٧) أخرجه ابن مردويه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس نحوه [الدر المنثور (٥٢٠/٢)] وهو موضوع كما ذكر صاحب الاستيعاب (٦٧/٢).

(٨) بالجر قراءة الكسائي وأبي عمرو.

على «أَنْ آمَنَّا» المعنى: ما تذكرون إلا إيماننا، ومخالفتمكم في عدم قبوله المعبر عنه بالفسق اللازم عنه، وليس هذا مما ينكر^(١).

[٦٠] «قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ» أخبركم «بِشَيْءٍ مِّنْ أَهْلِ «ذَلِكَ» الذي تنقمونه «مُتَوَبِّهٌ» ثواباً بمعنى جزاء^(٢) «عِنْدَ اللَّهِ» هو «مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ» أبعدته عن رحمته «وَعَصِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ» والخنازير «بِالْمَسْخِ» «وَمِنَ «عَبْدِ الطُّغُوتِ» الشيطان بطاعته، وروعي في «مِنْهُمْ» معنى «مِنْ»، وفيما قبله: لفظها؛ وهم: اليهود، وفي قراءة^(٣) بضم باء «عَبْدٌ» وإضافته إلى ما بعد اسم جمع لـ «عَبْدٌ»، ونصبه بالعطف على «الفردة» «أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا» تمييز؛ لأن ماوأهم النار «وَأَصْلُ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ» طريق الحق، وأصل السواء الوسط، وذكر «شَرٌّ» «وَأَصْلُ» في مقابلة قولهم: لا نعلم ديناً شراً من دينكم.

[٦١] «وَإِذَا جَاءَكُمْ» أي: منافقو اليهود «قَالُوا آمَنَّا وَقَدْ دَخَلُوا» إليكم متلبسين «بِالْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا» من عندكم متلبسين «بِالْهُدَى» ولم يؤمنوا «وَاللَّهُ أَغْلَىٰ مِمَّا كَانُوا يَكْتُمُونَ» هـ من النفاق.

[٦٢] «وَرَرَىٰ كَثِيرٌ مِنْهُمْ» أي: اليهود «يُسْرِعُونَ» يقعون سريعاً «فِي الْآثَرِ» الكذب «وَالْعُدُولَ» الظلم «وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ» الحرام؛ كالرش «لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» هـ عملهم هذا [٦٣] «لَوْلَا» هلا «يَهْتَمُّ» الرِّيَاسَةُ وَالْأَخْبَارُ منهم «عَنْ قَوْلِهِ الْإِثْمُ» الكذب «وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» هـ ترك نهيهم.

[٦٤] «وَقَالَتِ الْيَهُودُ» لما ضيق عليهم بتكذيبهم النبي ﷺ بعد أن كانوا أكثر الناس مالاً: «يَدَّ اللَّهُ مَعُولَةً» مقبوضة عن إردار الرزق علينا؛ كنؤا به عن البخل - تعالى الله عن ذلك - قال - تعالى -: «غُلَّتْ» أمسكت «الْأَيْدِي» عن فعل الخيرات دعاء عليهم «وَلِيُمَيِّزَنَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ» مبالغة في الوصف بالجود، وتثني اليد؛ لإفادة الكثرة^(٤)؛ إذ غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطي يديه «يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ» من توسيع وتضييق لا اعتراض عليه «وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّمَّا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ» من القرآن «طُغَيْنَا وَكُفَرْنَا» لكفرهم به «وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدُوةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ» فكل فرقة منهم تخالف الأخرى «كَلِمًا أَوْ قُدْرًا نَارًا لِلْحَرْبِ» أي: لحرب النبي ﷺ «أَطْفَأَهَا اللَّهُ» أي: كلما أرادوه ردُّهم «وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا» أي: مفسدين بالمعاصي «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» بمعنى: أنه يعاقبهم^(٥).

وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوا هَاهُنَا وَلِئِبَاءَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ وَمَا آتَاكُمْ اللَّهُ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْتَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ ﴿٦١﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَيْءٍ مِّنْ ذَلِكَ مُتَوَبِّهٌ عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْفِرَّةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ قَوْلُ اللَّهِ آمَنُوا وَقَدْ دَخَلُوا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْتُمُونَ ﴿٦٣﴾ وَرَرَىٰ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَسْرِعُونَ فِي الْآثَرِ وَالْعُدُولِ وَلَكُلِّهِمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْلَا يَهْتَمُّهُمْ الرِّبَا يَتَّبِعُونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمُ وَأَكْثِلَهُمُ الشُّحْتُ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَعُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعْنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُفِيقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغَيْنَا وَكُفَرْنَا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعُدُوةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعُونَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٦﴾

[٥٨] «وَمِنَ الَّذِينَ» «وَإِذَا نَادَيْتُمْ» دعوتهم «إِلَى الصَّلَاةِ» بالأذان «اتَّخَذُوا» أي: الصلاة «هَاهُنَا وَلِئِبَاءَ» بأن يستهزئوا بها ويتضحكوا «ذَلِكَ» الاتخاذ «يَأْتُهُمْ» أي: بسبب أنهم «قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ».

[٥٩] «وَنَزَلَ» لما قال اليهود للنبي ﷺ: «مَنْ يَمُنُّ مِنَ الرِّسْلِ» فقال: «يَاللَّهُ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْتَا» الآية، فلما ذكر عيسى قالوا: لا نعلم ديناً شراً من دينكم: «قُلْ يَأْهَلُ الْكِتَابِ هَلْ تَتَّقُونَ»^(١) تذكرون «وَمَا آتَاكُمْ اللَّهُ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْتَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ» إلى الأنبياء «وَأَنْ أَكْثَرُكُمْ فَاسِقُونَ» عطف

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٧٤/٣)، والواحدي في أسباب النزول (ص ٦١٥)، وأخرج نحوه ابن إسحاق وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس وفيه: «فلما ذكر عيسى جحدوا نبوته وقالوا: لا نؤمن بعيسى» [الدر المنثور (٥٢٢/٢)]، وإسناده ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٧١/٢).

(٢) فالاستثناء منقطع.

(٣) أي: بالقلب، وهو تهكم بهم.

(٤) لجمرة.

(٥) وله - سبحانه - يدان حقيقة، ومذهب السلف بالإجماع إثبات الصفات لله على الوجه اللائق به من غير تكيف ولا تحريف ولا تمثيل ولا تعطيل.

(٦) وهذا تأويل بلازم للصفة وهو خلاف مذهب السلف، وسبق بيان إثبات هذه الصفة ونحوها لله على الوجه اللائق به - سبحانه - «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» وهو السميع البصير [الشورى: ١١].

[٦٥] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا﴾ بمحمد ﷺ ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الكفر ﴿لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَلَآ كُنْتُمْ جَنَّةٍ مِنَ النَّارِ﴾.

[٦٦] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْبَةَ وَالْإِيمَانَ﴾ بالعمل بما فيها؛ ومنه الإيمان بالنبي ﷺ ﴿وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ من الكتب ﴿مِّنْ رَبِّهِمْ لَأَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ بأن يوسع عليهم الرزق ويفيض من كل جهة ﴿مِنْهُمْ أُمَّةٌ﴾ جماعة ﴿مُقْتَصِدَةٌ﴾ تعمل به؛ وهم: من آمن بالنبي ﷺ؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ﴾ بس ﴿مَا﴾ شيئاً ﴿يَعْمَلُونَ﴾ به.

[٦٧] ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَنُ﴾ جميع ﴿مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ ولا تكتم شيئاً منه؛ خوفاً أن تنال بمكره ﴿وَأَنْ لَّكَ تَقَعْلٌ﴾ أي: لم تبلغ جميع ما أنزل إليك ﴿فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ بالإنفراد والجمع^(١)، لأن كتمان بعضها كتمان كلها ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أن يقتلوك، وكان ﷺ يحرس حتى نزلت، فقال: «انصبروا فقد غصمتي الله»^(٢) [رواه الحاكم] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٨] ﴿قُلْ يَأْهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾ من الدين معتد به ﴿حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْبَةَ وَالْإِيمَانَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^(٣) بأن تعملوا بما فيه؛ ومنه الإيمان بي ﴿وَلِيَزِيدَنَّ كَيْدًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ من القرآن ﴿تَلَفَّتْنَا وَكُفِّرُوا﴾ لكفرهم به ﴿فَلَا تَأْسَ﴾ تحزن ﴿عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ إن لم يؤمنوا بك؛ أي: لا تهتم بهم.

[٦٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود، مبتدأ ﴿وَالصَّابِقُونَ﴾^(٤) فرقة منهم ﴿وَالضَّالُّونَ﴾ ويبدل من المبتدأ ﴿مَنْ ءَامَنَ﴾ منهم ﴿بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة، خبر المبتدأ^(٥)، ودال على خبر إن.

[٧٠] ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ على الإيمان بالله ورسله ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا﴾ كلما جاءهم رسولٌ ﴿مِنْهُمْ﴾ بما لا تهوون أنفسهم من الحق كذبوه ﴿فَرِيقًا﴾ منهم ﴿كَذَّبُوا وَفَرَيقًا﴾ منهم ﴿يَقْتُلُونَ﴾ كزكريا، والتعبير به^(٦) دون (قتلوا) حكاية للحال الماضية^(٧) لفافصلة^(٨).

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سِيَئَاتِهِمْ وَلَآ كُنْتُمْ جَنَّةٍ مِنَ النَّارِ
وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنَ رَبِّهِمْ لَأَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ
يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَنُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَبْلُغْ جَمِيعَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ
قُلْ يَأْهَلِ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْبَةَ وَالْإِيمَانَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلِيَزِيدَنَّ كَيْدًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالصَّابِقُونَ مَن ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا كُلَّمَا جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن سفيان قال: ما في القرآن آية أشد علي من ﴿لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تَقِيمُوا التَّوْبَةَ وَالْإِيمَانَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ﴾. البخاري - كتاب الرقاق (٨١) باب (١٩) الرجاء مع الخوف.

قال المحافظ في الفتح: «يعني أن من لم يعمل بما أنزل الله في كتابه فليس على شيء، ومقتضاه أن من أحل ببعض الفرائض فقد أحل بالجميع، ولأجل ذلك أطلق كونها أشد من غيرها...». انفتح (١٩/٨).

(١) بالجمع قراءة نافع وابن عامر وشعبة.

(٢) الحاكم (٣١٣/٢)، ورواه الترمذي في تفسير القرآن، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٤٠)، وروى ابن حبان في صحيحه (١٧٣٩ - موارد) عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل منزلاً نظروا أعظم شجرة يرونها فجعلوها للنبي ﷺ فينزل تحتها، وينزل أصحابه بعد ذلك في ظل الشجرة. فبينما هو نازل تحت شجرة - وقد علق السيف عليها - إذ جاء أعرابي فأخذ السيف من الشجرة، لم دانه من النبي ﷺ وهو نائم فأيقظه، فقال: يا محمد من يمنعك مني الليلة؟ فقال النبي ﷺ: «الله»، فأمر الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْعَنُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَّمْ تَقَعْلَ مَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْلَمُكَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٤٨٩).

(٣) رُفِعَ عَلَى الْإِبْدَاءِ، وبغيره محذوف، كأنه قيل: إن الذين آمنوا والذي هادوا والنصارى حكمهم كذا، والصابغون كذلك. «القاسمي».

(٤) أي: قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٦٩].

(٥) أي: بالمضارع.

(٦) أي: كأنها حصلت الآن.

(٧) أي: ومراعاة لفافصلة، وهي المحافظة على رعوس الآي.

[٧٤] ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ مما قالوا، استفهام توبيخ ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لمن تاب ﴿رَحِيمٌ﴾ به.

[٧٥] ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ فهو بمضي مثلهم وليس ياله كما زعموا، وإلا لما مضى ﴿وَأَنْتُمْ صَادِقَةٌ﴾ مبالغة في الصدق ﴿كَأَنَّا يَخْلُكُنَ الْأَعْْيُنُ﴾ كثيرهما من الناس؛ ومن كان كذلك لا يكون إلها؛ لتركيبه وضعفه وما ينشأ منه من البول والغائط ﴿أَنْظُرْ﴾ متعجبا ﴿كَيْفَ بُنِيتَ لَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ﴾ على وحدانيتنا ﴿ثُمَّ أَنْظِرْ أَنْ﴾ كيف ﴿يُؤَفَّكُونَ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام البرهان.

[٧٦] ﴿قُلْ أَشْهَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأحوالكم، والاستفهام للإنكار.

[٧٧] ﴿قُلْ يَهْدِي إِلَيْكُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى﴾ ﴿لَا تَعْلَمُوا﴾ تجاوزوا الحد ﴿فِي دِينِكُمْ﴾ علوا ﴿غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بأن تضعوا عيسى أو ترفعه فوق حقه ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ﴾ بغلوهم؛ وهم: أسلافهم ﴿وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ من الناس ﴿وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ عن طريق الحق، والسواء في الأصل: الوسط.

وَحَسِبُوا إِلَّا تَكُونُ فِتْنَةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي إِسْرَءِيلَ يَلْعَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا لَا بَدَأَ الْطَّعَامَ أَنْظِرْ كَيْفَ بُنِيتَ لَهُمُ الْأَنْبِيَاءُ ثُمَّ أَنْظِرْ أُنْظِرْ أَتُؤَفَّكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ يَهْدِي إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ لِتَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾

[٧١] ﴿وَحَسِبُوا﴾ ظنوا ﴿أَنَّ﴾ ﴿لَا تَكُونُ﴾ بالرفع ^(١)؛ فَأَنْ مَخْفَفَةٌ، والنصب؛ فهي ناصبة؛ أي: تقع ﴿فِتْنَةً﴾ عذاب بهم على تكذيب الرسل وقتلهم ﴿فَعَمُوا﴾ عن الحق؛ فلم يصبروه ﴿وَصَمُوا﴾ عن استماعه ﴿ثُمَّ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لما تابوا ﴿ثُمَّ عَمُوا وَصَمُوا﴾ ثانيا ﴿كَثِيرٌ مِنْهُمْ﴾ بَدَلٌ مِنَ الضمير ^(٢) ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به.

[٧٢] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ سبق مثله ^(٣) ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ ﴿الْمَسِيحُ يَبْنِي لِي إِسْرَءِيلَ يَلْعَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ فإني عبد ولست ياله ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ﴾ في العبادة غيره ﴿فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ منعه أن يدخلها ﴿وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ رَأَيْدَةٌ ﴿أَنْصَارٍ﴾ يمعونهم من عذاب الله.

[٧٣] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ أي: أحدها، والآخرا: عيسى وأمه؛ وهم: فرقة من النصارى ﴿وَمِمَّنْ إِلَهٌ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ﴾ من التثليث ويؤخذوا ﴿لَيَمَسَّنَّ أَلِيمٌ﴾ كَفَرُوا أي: ثبتوا على الكفر ﴿مِنْهُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ مؤلم؛ وهو: النار.

(١) قراءة أبي عمرو وحمة والكسائي.

(٢) أي: في قوله: ﴿فَعَمُوا وَصَمُوا﴾ [المائدة: ٧١]، والضمير هو الفاعل.

(٣) في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ نَقَضَ اللَّهُ مِنْهَا مَعَهُ﴾ [النساء: ١٧١].

لَهُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ
 دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا
 يَعْتَدُونَ ﴿٨٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ
 لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ
 يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ
 أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ
 خَالِدُونَ ﴿٩٠﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا
 أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا هَؤُلَاءِ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ
 فَسِقُونَ ﴿٩١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً
 لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ
 أَقْرَبَهُمْ قَوْمًا لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي
 ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ مِنْهُمْ فَيَقْسِيصُونَ وَهُمْ نَائِبُوا عَنْهُمْ
 لَا يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى
 الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا
 مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آفَاكَتُمْ بِأَعْيُنِنَا وَالشَّهِيدَ

[٧٨] ﴿لَهُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ﴾ بَأَن
 دَعَا عَلَيْهِمْ؛ فَفَسَخُوا قُرْآنَهُ؛ وَهُمْ: أَصْحَابُ آيَةِ ﴿وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ بَأَن
 دَعَا عَلَيْهِمْ؛ فَفَسَخُوا خُتَابَهُ؛ وَهُمْ: أَصْحَابُ الْمَائِدَةِ ﴿ذَلِكَ﴾ اللَّعْنُ ﴿بِمَا
 عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.

[٧٩] ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ أَي: لَا يَنْهَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَنْ
 مَعَاوِدَةِ ﴿مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ فَعَلَهُمْ هَذَا.

[٨٠] ﴿تَرَى﴾ يَا مُحَمَّد ﴿كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾
 كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ مُغْضًا لَكَ ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ مِنْ
 الْعَمَلِ لِمَعَادِهِمُ الْمَوْجِبَ لَهُمْ ﴿أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ
 خَالِدُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ﴾ مُحَمَّد ﴿وَمَا أُنْزِلَ
 إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوا هَؤُلَاءِ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ﴾
 خَارِجُونَ عَنِ الْإِيمَانِ.

[٨٢] ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ يَا مُحَمَّد ﴿أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا
 الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ؛ لِتَضَاعَفَ كُفْرُهُمْ وَجَهْلُهُمْ
 وَانْهَمَاكُهُمْ فِي اتِّبَاعِ الْهَوَىٰ ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ قَوْمًا لِلَّذِينَ آمَنُوا
 الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِي ذَلِكَ﴾ أَي: قَرِبَ مَوَدَّتُهُ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿يَأْتِيهِمْ
 مِنْهُمْ قَسِيصٌ﴾ عِلْمَاءُ ﴿وَرُفْعَانَا﴾ عُشَاةٌ ﴿وَأَنْهَهُمْ لَا
 يَتَوَكَّلُونَ﴾ عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ كَمَا يَسْتَكْبِرُ الْيَهُودُ وَأَهْلُ مَكَّةَ. نَزَلَتْ فِي وَفْدِ
 النَّجَاشِيِّ الْقَادِمِينَ عَلَيْهِ مِنَ الْحِشْيَةِ قَرَأَ ﴿سُورَةُ يَس﴾ فَبَكَوْا وَأَسْلَمُوا؛ وَقَالُوا:
 مَا أَشْبَهَ هَذَا بِمَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَى عِيسَى ^(١).

[٨٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ﴾ مِنَ الْقُرْآنِ ﴿تَرَى
 أَعْيُنَهُمْ تَفِضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا﴾ صَدَقْنَا
 بَنِيكَ وَكُتَابَكَ ﴿فَاكْتُمْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾ الْمُقَرَّبِينَ بِتَصَدِيقِهِمْ.

(١) أَخْرَجَ نَعْوَةَ عَبْدِ بْنِ حَمِيدٍ وَابْنِ الْمُنْذَرِ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ وَأَبُو الشَّيْخِ وَابْنُ مَرْدَوَيْهِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ [الدر المنثور (٥٣٧/٢)].

والمشهور في كتب السير والتفاسير أنها نزلت في النجاشي وأصحابه، بعدما سمعوا سورة «مریم» من جعفر بن أبي طالب عليه السلام، لما قدم مع المسلمين في الهجرة الأولى للحبيشة، ففاضت أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق، ثم أسلم النجاشي. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (٣٤٩/١٤)، وابن أبي حاتم في التفسير (١١٨٠٥/٤)، وأبو نعيم في الحلية (١١٧/١) عن عروة بن الزبير، وهو مرسل صحيح الإسناد كما في الاستيعاب (٨٠/٢).

قال القاضي كنعان معلقاً على ذلك في قرة العين على تفسير الجلالين ص ١٥٣: «وما بحب التنبيه إليه؛ أن هذه الآيات لا تشمل جميع النصارى كما يتوهم البعض؛ فإن عداوتهم للمسلمين ظاهرة، ووقائع التاريخ في الأندلس والحروب الصليبية، حتى عصرنا، تشهد على ذلك، بل تشير الآيات إلى جماعة موصوفة منهم، سمعوا القرآن؛ ففاضت أعينهم من الدمع لمعرفة الحق، ثم آمنوا؛ ففي هؤلاء نزلت الآيات...» اهـ.

قلت: ويؤكد ذلك ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤٩/٦ رقم ٦١٢١) بسند صحيح عن سلمان قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة صنعت طعناً، فبحث به النبي ﷺ فقال: «ما هذا يا سلمان؟» قلت: صدقة. فقال لأصحابه: «كلوا» ولم يأكل، ثم إنني رجعت حتى جمعت طعناً، فأتيته به، فقال: «ما هذا يا سلمان؟» قلت: هدية، فضرب يده فأكل، وقال لأصحابه: «كلوا». قلت: يا رسول الله، أخبرني عن النصارى؟ قال: «لا خير فيهم ولا فيمن أحبهم»، فقتت وأنا مثقل، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ حتى بلغ: ﴿يَقِصُّ مِنْكَ الدَّمْعَ﴾؛ فأرسل إلي رسول الله ﷺ فقال: «يا سلمان، إن أصحابك هؤلاء الذين ذكر الله». قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٣/٩): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير سلامة العجلي وقد وثقه ابن حبان» وصححه في الاستيعاب (٨٢/٢).

[٨٧] ونزل - لما هم قومه من الصحابة أن يلازموا الصوم والقيام، ولا يقربوا النساء والطيب، ولا يأكلوا اللحم، ولا يناموا على الفراش -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَيِّبَتْ مَا أَعْمَلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسَدُّوْا﴾ (١) تتجاوزوا أمر الله ﴿إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْسِرِينَ﴾.

[٨٨] ﴿وَكُلُوا وَمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ مفعول، والجار والمجرور قبله حال متعلق به ﴿وَأَقْبُوا اللَّهَ الَّذِي أَنشَأَ بِهِ مَوْمِنُونَ﴾ (٢).

[٨٩] ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ الْكَائِنِ﴾ الكائن في أَيْمَنِكُمْ هو: ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الحلف؛ كقول الإنسان: لا والله، وبلى والله، ولكن يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمْ، بالتخفيف والتشديد، وفي قراءة: ﴿عَاقَدْتُمْ﴾ (٣) ﴿الْأَيْمَنُ﴾ عليه؛ بأن حلفتكم عن قصد ﴿فَكَفَّرْتُمُوهُ﴾ أي: اليمين؛ إذا خنتكم فيه ﴿إِلَّا بِطَعَامٍ عَشْرَةَ مَسْكِينٍ﴾ لكل مسكين مُدٌّ ﴿وَمِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْبَعُونَ﴾ منه ﴿أَهْلِيكُمْ﴾ أي: أفضديه وأغلبه؛ لا أعلاه ولا أدناه ﴿أَوْ كَسَوْتُمْهُمَا﴾ بما يسمى كسوة؛ قميص وعمامة وإزار، ولا يكفي دفع ما ذكر إلى مسكين واحد، وعليه الشافعي (٤) ﴿أَوْ تَحْرِيرَ﴾ عتق ﴿رَقَبَةٍ﴾ أي: مؤمنة كما في كفارة القتل والظهار حلاً للمطلق على المقيد (٥) ﴿فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ﴾ واحداً مما ذكر ﴿فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾ كفارته، وظاهره أنه لا يشترط التتابع؛ وعليه الشافعي ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَفَّرةُ أَيْمَنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾ وحننتم ﴿وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ﴾ أن تنكثوها ما لم تكن على فعل يؤول إلى إصلاح بين الناس - كما في سورة البقرة - ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ما بين لكم ما ذكر ﴿يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (٦) على ذلك (٧).

[٩٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا لَقِيتُمُ الْمُسْكِرَ الَّذِي يَخَامِرُ الْعَقْلَ﴾ ﴿وَالْمُتَبَرِّجَ﴾ القمار ﴿وَالْأَنصَابَ﴾ الأضنام ﴿وَالْأَزْلَمَ﴾ قدام الاستقسام ﴿وَجَسَّسَ﴾ خبث مستفذر ﴿مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ﴾ الذي يزينه ﴿فَاجْتَنِبُوهُ﴾ أي: الرجس المعبر عن هذه الأشياء أن تفعلوه ﴿لَعَلَّكُمْ تَقِيحُونَ﴾.

وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا أَجَنَّتْ تَجَرِّي مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَنْهَرُ خَلِيدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَيِّبَتْ مَا أَعْمَلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (٩) وَكُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَقْبُوا اللَّهَ الَّذِي أَنشَأَ بِهِ مَوْمِنُونَ ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ الْكَائِنِ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَنَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ فَطَعَامٌ عَشْرَةَ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْبَعُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسَوْتُمْهُمَا أَوْ تَحْرِيرَ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّرةُ أَيْمَنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَأَحْفَظُوا أَيْمَنَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٠) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْحُمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١﴾

[٨٤] ﴿و﴾ قالوا في جواب من عيّرهم بالإسلام من اليهود: ﴿مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ﴾ القرآن؛ أي: لا مانع لنا من الإيمان مع وجوب مقتضيه ﴿وَنَطْمَعُ﴾ عطف على: ﴿نُؤْمِنُ﴾ ﴿أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾ المؤمنين الجنة.

[٨٥] قال تعالى: ﴿فَأَنبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتْ تَجَرِّي مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَنْهَرُ خَلِيدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالإيمان.

[٨٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨٧)، (٨٨): أخرج الترمذي عن ابن عباس أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني إذا أصبت اللحم انتشرت إلى النساء وأخذتني شهوتي، فحرمت علي اللحم. فأمر الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَحْزَنُوا طَيِّبَتْ مَا أَعْمَلَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَسَدُّوْا إِنَّكَ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْسِرِينَ﴾ وَكُلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب

(٦) سورة المائدة (صحيح). صحيح سنن الترمذي (٢٤٤١).

(٧) ما جاء في نزول الآية (٨٩): أخرج ابن ماجه عن ابن عباس قال: كان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه سعة، وكان الرجل يقوت أهله قوتاً فيه شدة، فنزلت: ﴿وَمِنْ أَوْسَطِ مَا تَطْبَعُونَ أَهْلِيكُمْ﴾. ابن ماجه - كتاب الكفارات (١١) باب (١٠)، وسكت عليه الألباني.

فائدة: أخرج البخاري عن عائشة أن أباها كان لا يبحث في بين حتى أنزل الله كفارة اليمين. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥).

(١) أخرج نحوه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عكرمة وليس فيه ذكر الطيب والقيام، وأخرج ابن جرير عن إبراهيم النخعي (قال: كانوا حرموا الطيب واللحم فأمر الله هذا فيهم)، وفي البخاري (٤٦٧٥) ومسلم (٢٤٨٧) عن عائشة قصة نحو ذلك بدون ذكر أنها سبب لنزول الآية، وليس فيها ذكر الطيب [الدر المنثور (٥٤٤/٦)].

وأخرج الطبري عن السدي... فحرم بعضهم أكل اللحم والودك وأن يأكل بالنهار وحرم بعضهم النوم وحرم بعضهم النساء... (١٢٣٤٥).

(٢) لابن ذكوان، وبالتخفيف بدون ألف قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) والجمهور، وهو الزجاج.

(٤) وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة: لا يحمل المطلق على المقيد إلا إذا اتحد السبب، وهنا اختلف فلا حمل، ويكفي في اليمين والظهار عنده عتق الكافرة.

إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ
فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ
الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنتَهُونَ ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا
الْبَلْعُ الْمُمِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
ثُمَّ اتَّقَوْا ءَامَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَكُمُ اللَّهُ بِشَيْءٍ
مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالَهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَخَافُهُ
بِالْغَيْبِ فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَن قَتَلَهُ
مِنْكُمْ فَتَعَمَّدَا فَعَزَّاءٌ مِّثْلَ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا
عَدْلٍ مِنْكُمْ هَذِي بِاتْلُغِ الْكَبَّةَ أَوْ كَفَرَةُ طَعَامِ مَسْكِينٍ
أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا يَدُوقُ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللَّهُ عَمَّا
سَلَفَ وَمَن عَادَ فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

﴿وَمَنْ عَادَ﴾ إِلَيْهِ ﴿فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ ﴿ذُو
الْإِنْتِقَامِ﴾ مِمَّنْ عَصَاهُ، وَالْحَقُّ بِقَتْلِهِ مُتَعَمِّدًا فِيمَا ذَكَرَ الْخَطَأُ.

[٩١] ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ
وَالْمَيْسِرِ﴾ إِذَا اتَّيَمُّوهُمَا؛ لِمَا يَحْصُلُ فِيهِمَا مِنَ الشَّرِّ وَالْفِتَنِ ﴿وَيَصُدَّكُمْ﴾
بِالْإِشْغَالِ بِهِمَا ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ خَصَّصَهَا بِالذِّكْرِ تَعْظِيمًا لَهَا ﴿فَهَلْ
أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ عَنْ إِيَّتَاهُمَا؛ أَي: انْتَهَوْا.

[٩٢] ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا﴾ الْمَعَاصِيَ ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عَنْ
الطَّاعَةِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَلَى رَسُولِنَا الْبَلْعُ الْمُمِينُ﴾ الْإِبْلَاقُ الْبَيْنُ، وَجَزَاؤُكُمْ عَلَيْنَا.
[٩٣] ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعُمُوا﴾
أَكَلُوا مِنَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قَبْلَ التَّحْرِيمِ ﴿إِذَا مَا اتَّقَوْا﴾ الْخُرْمَاتِ ﴿وَعَمَلُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَعَمَلُوا﴾ ثَبَتُوا عَلَى التَّقْوَى وَالْإِيمَانِ ﴿ثُمَّ اتَّقَوْا
وَأَحْسَنُوا﴾ الْعَمَلَ ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ بِمَعْنَى: أَنَّهُ يَشِيهِمْ ^(١) ^(٢).

[٩٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُوَكُمُ اللَّهُ﴾ لِيُخَبِّرَكُمْ ﴿اللَّهُ بِشَيْءٍ﴾ يَرْسِلُهُ لَكُمْ ﴿وَمِنْ
الصَّيْدِ تَنَالَهُ﴾ أَي: الصَّغَارُ مِنْهُ ﴿أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ﴾ الْكِبَارُ مِنْهُ، وَكَانَ ذَلِكَ
بِالْحَدِيثَةِ وَهُمْ مُخْرِمُونَ ^(١)؛ فَكَانَتْ الْوَحْشُ وَالطَّيْرُ تَغْشَاهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴿لِيَعْلَمَ
اللَّهُ﴾ عِلْمَ ظُهُورٍ ﴿مَنْ يَخَافُهُ بِالْغَيْبِ﴾ حَالٌ؛ أَي: غَائِبًا لَمْ يَرَهُ؛ فَيَجْتَنِبُ الصَّيْدَ
﴿فَمَن أَعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ النَّهْيُ عَنْهُ؛ فَاصْطَادَهُ ﴿فَعَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩٥] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ﴾ مُخْرِمُونَ بِحُجٍّ أَوْ
عَمْرَةٍ ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَعَزَّاءٌ﴾ بِالتَّوْبِينِ وَرَفْعِ مَا بَعْدَهَا؛ أَي: فَعَلِيهِ جَزَاءٌ
هُوَ: ﴿مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ أَي: شَبِيهِ فِي الْخَلْقَةِ، وَفِي قِرَاءَةِ ^(٢)؛ بِإِضَافَةِ
«جَزَاءٍ»، ﴿يَحْكُمُ بِهِ﴾ أَي: بِاللَّهِ رِجَالًا ﴿ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ لَهَا قِطْعَةُ يُمِيزَانِ
بِهَا أَشْبَهَ الْأَشْيَاءَ بِهِ، وَقَدْ حَكَّمَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ ^(٣) فِي النِّعَامَةِ بِذَنْبَةٍ،
وَابْنُ عَبَّاسٍ وَأَبُو عُبَيْدَةَ فِي بَقْرِ الْوَحْشِ وَحِمَارِهِ بِبِقْرَةٍ، وَابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَوْفٍ فِي
الظُّبْيِ بِشَاةٍ، وَحَكَّمَ بِهَا ^(٤) ابْنُ عَبَّاسٍ وَعُمَرُ وَغَيْرُهُمَا فِي الْحِمَامِ؛ لِأَنَّهُ يَشَبِيهِهَا فِي
الْعَبِّ ^(٥) ﴿هَذِي بِاتْلُغِ الْكَبَّةَ﴾ أَي: يَبْلُغُ بِهِ الْحَرْمَ؛ فَيَذْبَحُ
فِيهِ، وَيَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى مَسَاكِينِهِ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَذْبَحَ حَيْثُ كَانَ، وَنَصَبَهُ نَعْمًا لِمَا
قَبْلَهُ. وَإِنْ أَضْيَفَ؛ لِأَنَّ إِضَافَتَهُ لَفْظِيَّةٍ؛ لَا تَقْبِدُ تَعْرِيفًا؛ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلصَّيْدِ مِثْلُ
مِنَ النَّعَمِ كَالْعَصْفُورِ وَالْجَرَادِ فَعَلِيهِ قِيَمَتُهُ ﴿أَوْ﴾ عَلَيْهِ ﴿كَفَّارَةٌ﴾ غَيْرُ الْجَزَاءِ.
وَإِنْ وَجَدَهُ - هِيَ: ﴿طَعَامُ مَسْكِينٍ﴾ مِنْ غَالِبِ قُوَّةِ الْبَلَدِ مَا يَسَاوِي قِيَمَةَ
الْجِزَاءِ لِكُلِّ مَسْكِينٍ مِثْلًا، وَفِي قِرَاءَةِ ^(٦)؛ بِإِضَافَةِ ﴿كَفَّارَةٌ﴾ لِمَا بَعْدَهُ، وَهِيَ
لِلْبَيَانِ ﴿أَوْ﴾ عَلَيْهِ ﴿عَدْلٌ﴾ مِثْلُ ﴿ذَلِكَ﴾ الطَّعَامِ ﴿صِيَامًا﴾ بِصَوْمِهِ؛ عَنْ
كُلِّ مِثْلٍ يَوْمٍ، وَإِنْ وَجَدَهُ وَجِبَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ﴿لِيَذُوقَ وَبَالَ﴾ ثَقُلَ جَزَاءُ
﴿أَمْرِهِ﴾ الَّذِي فَعَلَهُ ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْ سَلَفٍ﴾ مِنْ قَتْلِ الصَّيْدِ قَبْلَ تَحْرِيمِهِ

(٥) مَا جَاءَ فِي زُيْلِ الْآيَتَيْنِ (٩٠، ٩١). أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ أَنَّهُ نَزَلَتْ فِيهِ آيَاتُ مِنَ الْقُرْآنِ. قَالَ: ... وَآتَيْتُ عَلَى نَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، فَقَالُوا: تَعَالِ نَطْعُوكَ وَنَسْقِيكَ خَمْرًا - وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَحْرِمَ الْخَمْرَ. قَالَ: فَاتَّيَبْتُ فِي حِشٍّ - وَالْحِشِّ: الْبَسْتَانُ - فِإِذَا رَأْسُ جَزُورٍ مَشْرُوبٍ عَنْدهُمْ وَزِقٌ مِنْ خَمْرِ. قَالَ: فَأَكَلْتُ وَشَرَبْتُ مَعَهُمْ. قَالَ: فَذَكَرْتُ الْأَنْصَارَ وَالْمُهَاجِرِينَ عَنْدهُمْ، فَقُلْتُ: الْمُهَاجِرُونَ خَيْرٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَ: فَأَخَذَ رَجُلٌ أَحَدَ لَحْيِي الرَّأْسِ فَضَرَبَنِي بِهِ، فَجَرَحَ بَأَنفِي، فَآتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبِرْتُهُ، فَأَنزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي - بِعَيْنِي نَفْسِهِ - شَأْنَ الْخَمْرِ ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَكْثَامُ﴾. مُسْلِمٌ كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ (٤٤) بَابُ (٥) فَضْلُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ: اللَّهُمَّ يَبِّ لَافِي الْخَمْرِ يَابْنَ شِفَاءَ، فَزَلَّتْ لِي فِي الْبَقْرِ: ﴿يَسْتَلُوكَ غَرَبَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ الْآيَةِ. فَدَعَا عُمَرَ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ يَبِّ لَافِي الْخَمْرِ يَابْنَ شِفَاءَ، فَزَلَّتْ لِي فِي الْمَالِدَةِ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾. فَدَعَا عُمَرَ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: انْتَهَيْتُ انْتِهَيْنَا. التِّرْمِذِيُّ - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ (٤٨) بَابُ (٦) سُورَةُ الْمَالِدَةِ. وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: حَرَّمَ الْخَمْرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: قَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْمَدِينَةِ وَهُمْ يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ وَيَأْكُلُونَ الْمَيْسِرَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْهَا فَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّ: ﴿يَسْتَلُوكَ غَرَبَ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ. فَقَالَ النَّاسُ: مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا، إِنَّمَا قَالَ: ﴿فِيهَا إِتْمَ كَبِيرٌ﴾، وَكَانُوا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمٌ مِنَ الْأَيَّامِ صَلَّى رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، أَمْ أَصْحَابُهُ فِي الْمَغْرِبِ خَلَطَ فِي قِرَاءَةِ، فَأَنزَلَ اللَّهُ فِيهَا آيَةً أَغْلَظَ مِنْهَا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَأُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ﴾. فَدَعَا عُمَرَ فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ فَقَالَ: انْتَهَيْتُ انْتِهَيْنَا. سَبَقَ تَحْرِيمُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ الْآيَةِ (٢١٩).

ثُمَّ أُنزِلَتْ آيَةٌ أَغْلَظُ مِنْ ذَلِكَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا أَكْثَرَ النَّاسِ وَاسْتِيسَارًا وَأَلْأَكْثَرُ يَمْسُ وَيَنْ عَدْلٌ لَّيْلِيَّةٌ فَاجْتَنِبُوا لَكُمْ تَقِيَّةً﴾. فَقَالُوا: انْتَهَيْنَا. سَبَقَ تَحْرِيمُهُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ الْآيَةِ (٢١٩).
(٥٥) مَا جَاءَ فِي زُيْلِ الْآيَةِ (٩٣): أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَتَبَ سَلَفِي الْقَوْمِ فِي مِثْلِ أَبِي طَلْحَةَ - وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الْقُضَيْخَ - فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُنَادًا بِنَادِي: أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ.

(١) وَهَذَا تَأْوِيلٌ لِلصَّفَةِ بِأَعْرَاضِهَا، وَمَذْهَبُ السَّلَفِ إِثْبَاتُ الْإِيمَانِ بِهَا عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ - سَبْحَانَهُ - وَسَبَّحَ ذَلِكَ مَرَّاتًا. (٢) أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مِقَاتٍ بْنِ حِيَّانٍ [الْمَدَنِيُّ] (٥٧٦/٢).

(٣) لِلنَّافِعِ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبُو عُمَرَ وَابْنُ عَامَرٍ. (٤) أَي: بِالْمَدِينَةِ. (٥) أَي: شَرِبَ الْمَاءَ بِلا قَصْفٍ. (٦) لِلنَّافِعِ وَابْنِ عَامَرٍ.

نمرات كل شيء إليه، وفي قراءة^(٢): ﴿فِيمَا﴾ بلا ألف؛ مصدر قام غير مُغَلٍّ
 وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ بمعنى: الأشهر الحرم. ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب.
 قياماً لهم؛ بأمنهم من القتال فيها ﴿وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدَ﴾ قياماً لهم؛ بأمن صاحبيهما
 من التعرض له ﴿ذَلِكَ﴾ الجعل المذكور ﴿يَتَعَلَّمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾
 وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ فَإِنْ جَعَلَهُ ذَلِكَ لِحُبِّ الْمَصَالِحِ لَكُمْ
 ودفع المضار عنكم قبل وقوعها دليل على علمه بما هو في الوجود وما هو كائن.
 [٩٨] ﴿أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لأعدائه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
 لَأَوْلِيائِهِ﴾ رَجِيمٌ بهم.

[٩٩] ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ تظهرون
 من العمل ﴿وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ تخفون منه؛ فيجازيكم به.

[١٠٠] ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ الْحَرَامُ وَالطَّيِّبُ الْحَلَالُ وَنَوَى
 أَصْحَابِكَ﴾ أي: شرك ﴿كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في تركه ﴿يَتَأُولَى
 الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَفْقَهُونَ﴾ تفوزون.

[١٠١] ﴿وَنَزَلَ﴾ لما أكرموا سؤاله ﷺ: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ
 أَشْيَاءَ إِن بُدِّئَتْ﴾ تظهر ﴿لَكُمْ سُبُوحٌ﴾ لما فيها من المشقة ﴿وَإِن سَأَلْتُمَا
 عَنَّا جِئَ سُبُورُ الْفَرَّءَانِ﴾ في زمن النبي ﷺ ﴿بُدِّئَتْ لَكُمْ﴾ المعنى: إذا سألتكم
 عن أشياء في زمنه ينزل القرآن بإدائها، ومتى أبداها ساءتكم؛ فلا تسألوا عنها؛
 قد عفا الله عنها عن مسألتكم؛ فلا تعودوا ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾^(٣).

[١٠٢] ﴿قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ أَن تَبَدَّلَ لَهُمْ آيَاتُهَا وَنَبَذَ فِي السَّمَاءِ
 أَنبِيَاءَهُمْ فَأَتَاهَا بِهَا لَعْنَةُ اللَّهِ إِنَّهَا لَكَافِرَةٌ﴾ بتركهم
 العمل بها.

[١٠٣] ﴿مَا جَعَلَ﴾ شرع ﴿اللَّهُ مِنْ بَيِّنَةٍ وَلَا سَلِيمَةٍ وَلَا وَبِيلَةٍ وَلَا
 حَكْمٍ﴾ كما كان أهل الجاهلية يفعلونه، روى البخاري عن سعيد بن المسيب
 قال: البهيرة: التي يمنح درها للطواغيت؛ فلا يحلبها أحد من الناس،
 والسالبة: التي كانوا يسيبونها لأنهم؛ فلا يحمل عليها شيء، والوصيلة:
 الناقة البكرة تكرر في أول نتاج الإبل بأثنى، ثم تنثني بغد بأثنى، وكانوا
 يسيبونها لطواغيتهم؛ إن وصلت إحداها بأحرى، ليس بينهما ذكر، والحام:
 فحل الإبل يضرب الضراب المعداد؛ فإذا قضى ضرابه ودغوه للطواغيت
 وأعفوه من أن يحمل عليه شيء وشوه الحامي ﴿وَلَكِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى
 اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ في ذلك وفي نسبته إليه ﴿وَأَكْذَبَهُمْ لَا يَقُولُونَ﴾ في ذلك
 افتراء؛ لأنهم قلدوا فيه آباءهم.

أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَّعَالِكُمْ وَلِلْسَيَّارَةِ
 وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
 إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ
 فِيمَا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ
 شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ أَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ
 غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا
 تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ
 وَلَوْ أَجْعَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَتَأُولَى الْأَلْبَابِ
 لَعَلَّكُمْ تَفْقَهُونَ ﴿١٠٠﴾ يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ
 أَشْيَاءَ إِن بُدِّئَتْ لَكُمْ سُبُورُ الْفَرَّءَانِ وَإِن تَسْأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ
 الْفَرَّءَانُ تَبَدَّلَ لَكُمْ آيَاتُهَا وَنَبَذَ فِي السَّمَاءِ أَنبِيَاءَهُمْ
 قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ أَن تَبَدَّلَ لَهُمْ آيَاتُهَا وَنَبَذَ فِي السَّمَاءِ
 أَنبِيَاءَهُمْ فَأَتَاهَا بِهَا لَعْنَةُ اللَّهِ إِنَّهَا لَكَافِرَةٌ ﴿١٠١﴾ مَا جَعَلَ
 اللَّهُ مِنْ بَيِّنَةٍ وَلَا سَلِيمَةٍ وَلَا وَبِيلَةٍ وَلَا حَكْمٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ
 كَفَرُوا يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَأَكْذَبَهُمْ لَا يَقُولُونَ ﴿١٠٢﴾

[٩٦] ﴿أَحِلَّ لَكُمْ﴾ أيها الناس - خلافاً لكم أو مخرجين - ﴿صَيْدُ الْبَحْرِ﴾
 أن تأكلوه؛ وهو: ما لا يعيش إلا فيه؛ كالسمك، بخلاف ما يعيش فيه وفي البر؛
 كالسرطان ﴿وَطَعَامُهُ﴾ ما يقذفه ميتاً ﴿مَتَّعَالِكُمْ﴾ تمتيعاً ﴿لَكُمْ﴾ تأكلونه
 ﴿وَالسَيَّارَةِ﴾ المسافرين منكم؛ يتزودونه ﴿وَحَرَّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدَ الْبَرِّ﴾ وهو: ما
 يعيش فيه من الوحش المأكول؛ أن تصيدهوه ﴿مَا دُمْتُمْ حُرُمًا﴾ فلو صاده خللاً
 فللمحرم أكله. كما بينته السنة^(١). ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[٩٧] ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ الْحَرَمَ ﴿فِيمَا لِلنَّاسِ﴾
 يقوم به أمر دينهم؛ بالحج إليه، وديناهم؛ بأمن داخله، وعدم التعرض له، وجبي

= قال: فقال لي أبو طلحة: أخرج أهرقها، فخرجت فهرقها، فجرت في سلك المدينة. فقال بعض القوم: قد قتل قوم وهي في بطونهم، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾ الآية. البخاري - كتاب المظالم (٤٦) باب (٢١) صب الحمر في الطريق.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠١): أخرج البخاري عن موسى بن أسن عن أسن ﷺ قال: حطبت رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلاً قط. قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلاً ولبكيتم كثيراً». قال: فغضب أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين، فقال رجل: من أي؟ قال: «أبوك فلان». فنزلت هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدِّئَتْ لَكُمْ سُبُوحٌ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة باب (١٢).

وأخرج أيضاً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء، فيقول الرجل من أي؟ ويقول الرجل تفضل ناقتي: أين ناقتي؟ فأقول الله فيهم هذه الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن بُدِّئَتْ لَكُمْ سُبُوحٌ﴾ حتى فرغ من الآية كلها. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المائدة (٥) باب (١٢).

(١) روى البخاري (٢٣٨٢) ومسلم (٢٠٦٣) واللفظ له عن أبي قتادة السلماني أنه كان مع رسول الله ﷺ حتى إذا كان ببعض طريق مكة تخلف مع أصحاب له محرمين وهو غير محرم فرأى حملاً وحشياً فاستوى على فرسه فسأل أصحابه أن يناولوه سوطه فأبوا عليه فسألهم رمحه فأبوا عليه فأخذته ثم شد على الحمار فقتله، فأكل منه بعض أصحاب النبي ﷺ وأبى بعضهم، فأدركوا رسول الله ﷺ فسألوه عن ذلك فقال: «إنما هي طعمة أطعمكموها الله». (٢) لابن عامر. (٣) أخرج نحوه الطبري عن أسن بن مالك وفيه (سألوه حتى أجفوه بالمسألة...) (١٢٩٧)، وعن قتادة وفيه «حتى أكلوا عليه...» (١٢٨٠)، وأخرج البخاري (٤٢٥٦) عن ابن عباس قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء فيقول الرجل: من أي؟ ويقول الرجل تفضل ناقتي: أين ناقتي؟

[١٠٤] «وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ» أي: إلى حكمه من تحليل ما حرمهم ﴿فَقَالُوا حَسْبُنَا﴾ كافياً ﴿مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ مَنَافِعَ﴾ من الدين والشرعة، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ مِنْ أَنْزِلْنَا إِلَيْهِمْ﴾ إلى الحق، والاستفهام للإنكار. [١٠٥] ﴿يَتْلُوهُنَّ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: احفظوها، وقوموا بصلاحها ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ قيل: المراد: لا يضركم من ضل من أهل الكتاب، وقيل: المراد غيرهم؛ لحديث أبي ثعلبة الحشني: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: «اتَّبِعُوا بِالْغُرُوبِ، وَتَنَاهَا عَنْ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ شَيْخًا طَاعًا وَهُوَ مُتَّبَعٌ وَذُنُوبُهُ وَغِيَابُ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ؛ فَعَلَيْكَ نَفْسُكَ»^(١) [رواه الحاكم وغيره] «إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فيجازيكم به.

[١٠٦] ﴿يَتْلُوهُنَّ الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةً بَيْنَهُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ﴾ أي: أسبابه ﴿حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتَيْنَ دَوَّاعِلَ مِنْكُمْ﴾ خبر بمعنى الأمر؛ أي: ليشهد، وإضافة ﴿شَهَادَةً﴾ لـ «دين» على الاتساع^(٢) و﴿يَعْنِي﴾ بدل من ﴿إِذَا﴾ أو ظرف لـ ﴿حَضَرَ﴾ «أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ» أي: غير ملتكم ﴿إِنْ أَنْتُمْ صَرِيحُونَ﴾ سافرون ﴿فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا﴾ توقفونهما، صفة «آخَرَانِ» ﴿وَمِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ أي: صلاة العصر ﴿فَيَقْسِمَانِ﴾ يحلفان ﴿بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ﴾ شككتكم ويقولان: ﴿لَا نَشْتَرِي بِدِينِ اللَّهِ﴾ كَيْتًا عِوَضًا نَأْخُذَ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا بَآنٍ نَحْلِفُ بِهِ أَوْ نَشْهَدُ كَذِبًا لِأَجْلِهِ ﴿وَلَوْ كَانُ الْقَسْمُ لَهُ أَوْ الشَّهَادَةُ لَهُ﴾ ذَا قُرْبَى قَرَابَةٍ مَنَا ﴿وَلَا نَكُنُّ شُهَدَاءَ اللَّهِ﴾ التي أمرنا بها ﴿إِنَّا إِذَا﴾ إِذْ كَتَمْنَاهَا ﴿لَيْنَ الْأَلْيَمِينَ﴾.

[١٠٧] ﴿إِنْ غَيْرُكُمْ أَطْلَعَ بَعْدَ حَلْفِهِمَا﴾ عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ أي: فعلا ما يوجب؛ من خيانة أو كذب في الشهادة؛ بَأَن وَجَدَ عِنْدَهُمَا مِثْلًا مَا أَثْمَمًا بِهِ وَادْعَايَا أَنَّهُمَا ابْتِغَاءَ مِنَ الْمِيتِ أَوْ وَصَى لِهَمَا بِهِ ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا﴾ في توجه اليمين عليهما ﴿مَنْ مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ﴾ الوصية؛ وهم: الورثة، ويبدل من «آخَرَانِ» ﴿الْأُولَئِينَ﴾ بالميت؛ أي: الأقربان إليه، وفي قراءة^(٣) ﴿الْأُولَئِينَ﴾ جمع أول؛ صفة أو بدل من ﴿الَّذِينَ﴾ ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾ على خيانة الشاهدين؛ ويقولان: ﴿لَنَشْهَدَنَّ﴾ يميننا ﴿أَنَّهُ﴾ أَصْدَقُ ﴿مِنْ شَهَادَتِهِمَا﴾ يمينهما ﴿وَمَا أَهْتَدَيْنَا﴾ تجاوزنا الحق في اليمين ﴿إِنَّا إِذَا لَيْنَ الظُّلُمَاتِ﴾ المعنى: ليشهد المحتضر على وصيته اثنين، أو يوصي إليهما من أهل دينه أو غيرهم؛ إن فقدهم لسفر ونحوه، فإن ارتاب الورثة فيهما؛ فَادَّعَا أَنَّهُمَا خَانَا بِأَحَدٍ شَيْءٍ أَوْ دَفَعَهُ إِلَى شَخْصٍ زَعَمَا أَنَّ الْمِيتَ أَوْصَى لَهُ بِهِ؛ فليحلفا إلى آخره، فإن أطلع على أمارة تكذيبهما فَادَّعِيَا دَفْعًا لَهُ؛ حلف أقرب الورثة على كذبهما وصدق ما ادَّعاه، والحكم ثابت في الوصيين، منسوخ في الشاهدين^(٤)، وكذا شهادة غير أهل الملة منسوخة، واعتبار صلاة العصر؛ للتغليظ، وتخصيص الحلف في الآية باثنين من أقرب الورثة؛ لخصوص الواقعة التي نزلت لها؛ وهي: ما رواه البخاري^(٥) أن رجلاً من بني سهم خرج مع تميم الداري وعدي بن بداء - أي: وهما نصرانيان -

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ عَابَةً أَوَّلَوْ كَانُوا أَبَاؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿يَتْلُوهُنَّ الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿يَتْلُوهُنَّ الَّذِينَ آمَنُوا شَهَادَةً بَيْنَهُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ أَتَيْنَ دَوَّاعِلَ مِنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرِيحُونَ﴾ ﴿فِي الْأَرْضِ فَاصْبِرْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسِبُونَهُمَا مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ إِنْ أَرَبْتُمْ لَا نَشْتَرِي بِهِ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَلَا نَكُنُّ شُهَدَاءَ اللَّهِ إِنَّا إِذَا لَيْنَ الْأَلْيَمِينَ﴾ ﴿إِنْ غَيْرُكُمْ أَطْلَعَ بَعْدَ حَلْفِهِمَا﴾ ﴿عَلَى أَنَّهُمَا اسْتَحَقَّا إِثْمًا﴾ ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَقْلَبِينَ﴾ ﴿فَيَقْسِمَانِ بِاللَّهِ لَشَهَادَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهَادَتِهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لَيْنَ الظُّلُمَاتِ﴾ ﴿ذَلِكَ أَذَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهَيْهَا وَيُخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ آيَتِهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاسْمَعُوا اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾

فمات السهمي بأرض ليس فيها مسلم، فلما قدما بتركته فقدوا جثامًا من فضة مَخُوضًا بالذهب؛ فرعوا إلى النبي ﷺ فنزلت؛ فاحلفهما، ثم وَجَدَ الْجَامُ بِمَكَّةَ؛ فقالوا: ابتعنا من تميم وعدي؛ فنزلت الآية الثانية؛ فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا، وفي رواية الترمذي^(١)؛ فقام عمرو بن العاص ورجل آخر منهم فحلفا وكانا أقرب إليه، وفي رواية؛ فمرض؛ فأوصى إليهما، وأمرهما أن يُبْلِغَا مَا تَرَكَ أَهْلُهُ، فلما مات أخذَا الْجَامَ وَدَفَعَا إِلَى أَهْلِهِ مَا بَقِيَ.

[١٠٨] ﴿ذَلِكَ﴾ الحكم المذكور؛ من رَدِّ اليمين على الورثة ﴿أَذَى﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ يَأْتُوا﴾ أي: الشهود أو الأوصياء ﴿بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْهَيْهَا﴾ الذي تحملوها عليه من غير تحريف ولا خيانة ﴿أَوْ﴾ أقرب إلى أَنْ ﴿يُخَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَنُ بَعْدَ آيَتِهِمْ﴾ على الورثة المدعين؛ فيحلفون على خيانتهم وكذبهم؛ فيفتضحون ويغرمون؛ فلا يكذبوا ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ بترك الخيانة والكذب ﴿وَاسْمَعُوا﴾ ما تُمَرُّونَ بِهِ سَمَاعَ قَبُولٍ ﴿وَأَنَّه لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ الخارجين عن طاعته إلى سبيل الخير^(٢).

(٥) ما جاء في رول الآيات (١٠٦ - ١٠٨): أخرج البخاري عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَالَ: خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ مَعَ تَمِيمِ الدَّارِيِّ وَعَدِيِّ بْنِ بَدَاءَ، فَمَاتَ السَّهْمِيُّ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِهَا مُسْلِمٌ، فَلَمَّا قَدَمَا =

(١) لم أجده عند الحاكم، ورواه الترمذي (٢٩٨٤) وأبو داود (٣٧٧٨) وابن ماجه (٤٠٠٤) وضعفه الألباني لكن بعضه صحيح. صحيح وضعيف الجامع (٢٣٤٤)، ضعيف الترغيب والترهيب (١٨٤٦).

(٢) أي: التسمع والتجوز، وأضيفت إلى «البين» ولم تنصف إلى «الأموال»؛ لأن الشهادة على الأموال تمنع فساد البين، والأصل فيه شهادة بينهم؛ أي: ففرض عليكم أن يشهد الوصية بينهم اثنان؛ فحذف المفعول به، وأضيفت الشهادة إلى الظرف، وهو المسمى عند النحويين بالمفعول على السعة. (٣) لحزة وشعبة. (٤) أي: عند من يشترط في الشهود الإسلام ولو عند فقد المسلمين، وأما من لم يشترط فلا نسخ عنه. (٥) البخاري (٢٧٨٠). (٦) أخرجه الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٦) سورة المائدة. [ضعيف الإسناد جليلًا] [ضعيف سنن الترمذي (٥٨٦)].

لهم توبيخاً لقومهم: ﴿مَآذًا﴾ أي: الذي ﴿أَجْبَسْتُمْ﴾ به حين دعوتهم إلى التوحيد ﴿قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا﴾ بذلك ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ ما غاب عن العباد، وذهب عنهم علمه؛ لشدة هول يوم القيامة؛ وفرغهم، ثم يشهدون على أمهم لما يسكنون.

[١١٠] اذكر ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَيْكَ﴾ بشكرها ﴿إِذْ آتَيْنَاكَ﴾ قُوَّتُكَ ﴿يُوحِ الْأَقْدُسُ﴾ جبريل ﴿تَكِيدُ النَّاسَ﴾ حال من الكاف في ﴿آتَيْنَاكَ﴾ ﴿فِي الْمَهْدِ﴾ أي: طفلاً ﴿وَكَهَلًا﴾ يفيد نزوله قبل الساعة؛ لأنه رفع قبل الكهولة. كما سبق في آل عمران .. ﴿وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالزُّرْنَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيِّئَةٍ﴾ كصورة ﴿الطِّيرِ﴾ والكاف اسم بمعنى: مثل، مفعول ﴿يَاذَنِي فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يٰآذَنِي﴾ بإرادتي ﴿وَنُفِثُ الْأَكْصَمَ وَالْأَنْزَمَ﴾ يٰآذَنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ من قبورهم أحياء ﴿يٰآذَنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ﴾ حين هَمُّوا بقتلك ﴿إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ وفي قراءة: ﴿سَاجِرٌ﴾^(١) أي: عيسى.

[١١١] ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ﴾ أمرتهم على لسانه ﴿أَنْ أَقُولُوا بِأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ﴾ يٰرَسُولِي ﴿عِيسَى﴾ قَالُوا ءَامَنَّا بِهِمَا ﴿وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

[١١٢] اذكر ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ يُفْرِغَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ﴾ قال لهم عيسى: ﴿أَتَقْوُوا اللَّهَ﴾ في اقتراح الآيات ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٣] ﴿قَالُوا نُؤَيِّدُكَ﴾ سؤالها من أجل ﴿أَنْ تَأْكُلَ مِنْهَا وَتُطْمِئِنَّ﴾ تسكن ﴿فَلَوْنَا﴾ بزيادة اليقين ﴿وَتَعْلَمَ﴾ نرداد علماً ﴿أَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنك ﴿قَدْ صَدَقْتَنَا﴾ في ادعاء النبوة ﴿وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾^(٢) إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَيْكَ إِذْ آتَيْنَاكَ يَرُوحَ الْأَقْدُسُ تَكِيدُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهَلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالزُّرْنَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيِّئَةِ الطَّيْرِ يٰآذَنِي فَتَنْفِخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا يٰآذَنِي وَنُفِثُ الْأَكْصَمَ وَالْأَنْزَمَ يٰآذَنِي فَتَخْرِجُ الْمَوْتَىٰ يٰآذَنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَنْكَ إِذْ جِئْتَهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ أَقُولُوا بِأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ يٰرَسُولِي قَالُوا ءَامَنَّا وَأَشْهَدُ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُفْرِغَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالُوا أَتَقْوُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتُطْمِئِنَّا وَتَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَتَكُونُ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ

[١٠٩] اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ﴾ هو: يوم القيامة ﴿فَيَقُولُ﴾

= بتركتهم فقدوا جاماً من فضة مخوَّضاً من ذهب، فأحضرهما رسول الله ﷺ ثم وجد الجماع بمكة، فقالوا: اجننا من تميم وعدي، فقام رجلان من أولياء السهمي فحلفا: لشهادتنا أحق من شهادتهما، وإن الجماع لصاحبهم. قال: وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿يُنَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا شَهِدُوا بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ﴾. البخاري كتاب الوصايا (٥٥) باب (٣٥).

(١) لحمة والكسائي.

(٢) أي: ﴿تَشْفِطُغُ رَبُّكَ﴾ وهي قراءة الكسائي.

قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ
خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَرْسَلُهَا عَلَيْكَ مِنْ سَمَاءٍ
مِنْكَ فَيَأْتِي أَعْدِيَّهُ وَعَدَابًا لِأَعْدَائِهِ وَآيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾
وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُوا مِنِّي
وَأَقْبَى إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ
مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ فُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي
وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ
إِلَّا مَا أُمَرْتُ بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ
شَهِيدًا مَادُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ
وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن
تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ
الْصِّدْقِينَ صِدَقْتُمْ لَهُمْ جَزَاءُ تَحَنُّنٍ مِنَ تَحَنُّنِ الْأَنْهَارِ خَلِيدِينَ
فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْقَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ
مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٢٠﴾

﴿١١٤﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
تَكُونُ لَنَا عِيدًا: أي: يوم نزولها ﴿عِيدًا﴾: نِعْمته ونشرفه ﴿لَا كُنَّا﴾: بدل من
﴿لَنَا﴾؛ بإعادة الجاء ﴿وَمَا خَرْنَا﴾: من يأتي بعدنا ﴿وَأَيَّةٌ مِنْكَ﴾: على
قدرتك ونبوتي ﴿وَارْزُقْنَا﴾: إياها ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿١١٥﴾ قَالَ اللَّهُ: مستحيبًا له: ﴿إِنِّي مُنْزِلُهَا﴾: بالتخفيف
والتشديد ﴿عَلَيْكُمْ﴾: فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدَ: أي: بعد نزولها ﴿مِنْكُمْ﴾: فَإِنِّي أَعَذِّبُهُ
عَدَابًا لَا أَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿فَنَزَلَتِ الْمَلَائِكَةُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ﴾: عليها
سبعة أرغفة وسبعة أحوات، فأكلوا منها حتى شبعوا^(١). قاله ابن عباس، وفي
حديث: ﴿أَنْزِلَتِ الْمَائِدَةُ مِنَ السَّمَاءِ خُبْرًا وَلَحْمًا فَأَمْرُوا أَنْ لَا يَحْمِلُوا وَلَا يَدْجِرُوا
لَعْدًا فَحَاتُوا وَادَّخَرُوا فَمَسَحُوا قِرْدَةً وَخَنَازِيرًا﴾^(٢).

﴿١١٦﴾ وَهُوَ: اذكر ﴿إِذْ قَالَ﴾: أي: يقول ﴿اللَّهُ﴾: لعيسى؛ في القيامة
توبيخًا لقومه: ﴿لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾: أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَقْبَى إِلَهَيْنِ مِنْ
دُونِ اللَّهِ قَالَ: عيسى؛ وقد أَرَعَدَ: ﴿سُبْحَانَكَ﴾: تنزيها لك عما لا يليق بك
من شريك وغيره ﴿مَا يَكُونُ﴾: ما ينبغي ﴿لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾: خبر
﴿لَيْسَ﴾: و﴿لِي﴾: للثنين ﴿إِنْ كُنْتُ فُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا﴾: أخفيه ﴿فِي
نَفْسِي﴾: وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ: أي: ما تخفيه من معلوماتك^(٣) ﴿إِنَّكَ أَنْتَ
عَالِمُ الْغُيُوبِ﴾^(٤).

﴿١١٧﴾ ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أُمَرْتُ بِهِ﴾: وهو: ﴿أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾: رقيبًا؛ أمعنهم ما يقولون ﴿مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا
تَوَفَّيْتَنِي﴾: قبضتني؛ بالرفع إلى السماء ﴿كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبُ عَلَيْهِمْ﴾: الحفيظ
لأعمالهم ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: من قولي لهم، وقولهم بعدي، وغير ذلك
﴿شَهِيدٌ﴾: مطلع، عالم به.

﴿١١٨﴾ ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ﴾: أي: من أقام على الكفر منهم ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾
وَأَنْتَ مَالِكُهُمْ؛ تتصرف فيهم كيف شئت، لا اعتراض عليك ﴿وَإِنْ تَغْفِرْ
لَهُمْ﴾: أي: لمن آمن منهم ﴿فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ﴾: على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾: في
صنعه.

﴿١١٩﴾ ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا﴾: أي: يوم القيامة ﴿يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ﴾: في الدنيا؛
كميسى ﴿صِدْقُهُمْ﴾: لأنه يوم الجزاء ﴿هُمْ جَزَاءُ تَحَنُّنٍ مِنَ تَحَنُّنِ الْأَنْهَارِ﴾
خَلِيدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴿بَطَاعَةً﴾^(٥) ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾: بشوابه^(٦) ﴿ذَلِكَ
الْقَوْرُ الْعَظِيمُ﴾: ولا ينفع الكاذبين في الدنيا صدقهم فيه؛ كالكفار لما يؤمنون
عند رؤية العذاب.

﴿١٢٠﴾ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: خزائن المطر والنبات والرزق

وغيرها ﴿وَمَا فِيْن﴾: أتى به «ما» تغليبا لغیر العاقل ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
ومنه إثابة الصادق وتعذيب الكاذب. وخص العقل ذاته فليس عليها بقادر^(٧).

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلقى عيسى حجه، ولقاه الله في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾: أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَقْبَى إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَالَ عِيسَى: فَلَقَاهُ اللَّهُ: ﴿سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾: الآية كلها. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦) سورة المائدة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٥٠).

(١) بالتخفيف؛ أي: للزاي، ولازمه سكن النون، قراءة حمزة والكسائي وإن كثير وأبي عمرو.

(٢) ذكره البغوي عن ابن عباس (١١٩/٣)، وأخرج قريبا منه ابن جرير عن إسحاق بن عبد الله [الدر المنثور (٦١٣/٢)].

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٨٢) وابن جرير وابن أبي حاتم وابن الأباري في كتاب الأضداد وأبو الشيخ وابن مردويه عن عمار بن ياسر مرفوعا [الدر المنثور (٦١٢/٢)]، وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٥٨٧).

(٤) ومذهب السلف إثبات صفة النفس لله ﷻ على الوجه اللاتق به، وهل هي الذات أم صفة للذات؟ قولان للسلف، والجهميون أنها هي الذات.

(٥) وهذا تأويل بصفة رضاه ﷻ ومذهب السلف إثباتها لله ﷻ على الوجه اللاتق به بلا تأويل أو تعطيل أو تكيف أو تمثيل، وسبق مرارا التنبيه على ذلك.

(٦) هذا تأويل لصفة الرضا ببعض لوازمها من الثواب ونحوه، وسبق مرارا التنبيه على ذلك.

(٧) ومثل هذا الإطلاق الأولي الإمساك عنه، ولم يقل به أحد من السلف.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ
تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَنْتُمْ مِنْ
عَائِدَةٍ إِلَيْهِمْ إِلَّا أَعْوَابُهَا مُغْرَضِينَ ﴿٤﴾ فَفَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا يَستَهْزِئُونَ ﴿٥﴾
أَلَمْ يَرَوْا كَرَاهِيَتَنَا بِهَدْيِهِمْ وَكَرِهَتَنَا مَا تَدْرَأُ وَجَعَلْنَا الْآفَاقَ
نَجْرًا مِنْ تَحْتِهِمْ فَاهْلِكْهُمْ فِي بُدُونِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا
آخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ
لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا آسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا أَوَلَا أَنْزَلَ
عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْآمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴿٨﴾

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

[مكية^(*)]: إلا: ﴿وَمَا تَدْرَأُ اللَّهُ﴾ الآيات الثلاث، وإلا: ﴿قُلْ تَسَاءَلُوا﴾

الآيات الثلاث، وهي: مائة وخمس، أو: وست وستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ﴾: وهو: الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ وهل المراد

الإعلام بذلك للإيمان به أو الشاء به أو هما؟ احتمالات، أفيد بها الثالث، قاله

الشيخ^(١) في سورة الكهف ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ خصهما
بالذكر؛ لأنهما أعظم المخلوقات للناظرين ﴿وَجَعَلَ﴾ خلق ﴿الظُّلُمَاتِ
وَالنُّورَ﴾ أي: كل ظلمة ونور، وجمعها^(٢)، دونه؛ لكثرة أسبابها، وهذا من
دلائل وحدانيته ﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مع قيام هذا الدليل ﴿بِرَبِّهِمْ
يَعْدِلُونَ﴾ يسوون غيره في العبادة.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ﴾ بخلق أبيكم آدم منه ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا﴾
لكم تموتون عند انتهائه ﴿وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ مضروب ﴿عِنْدَهُ﴾ بعنكم ﴿ثُمَّ
أَنْتُمْ﴾ أيها الكفار ﴿تَمْتَرُونَ﴾ تشكون في البعث بعد علمكم أنه ابتداء
خلقكم، ومن قدر على الابتداء فهدى على الإعادة أقدر.

[٣] ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ مستحق للعبادة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ
وَجَهْرَكُمْ﴾ ما تسرون وما تجهرون به بينكم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ تعملون من
خير وشر.

[٤] ﴿وَمَا أَنْتُمْ مِنْ عَائِدَةٍ إِلَيْهِمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿مِنْ﴾ صلة ﴿عَائِدَةٍ مِنْ عَائِدَاتِ
رَبِّهِمْ﴾ من القرآن ﴿إِلَّا كَأَنَّهُمْ عَلَيْهَا مُغْرَضُونَ﴾.

[٥] ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ﴾ بالقرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ﴾
عواقب ﴿مَا كَانُوا يَستَهْزِئُونَ﴾.

[٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ في أسفارهم إلى الشام وغيرها ﴿كَمْ﴾ خبرية؛ بمعنى:
كثيرة ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْمٍ﴾ أمم من الأمم الماضية ﴿مَكَانَهُمْ﴾
أعطيناهم مكانًا ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ بالقوة والسعة ﴿مَا لَوْ كُنْكُمْ﴾ نعت ﴿لَكُمْ﴾
فيه، التفات عن الغيبة ﴿وَأَنْزَلْنَا السَّمَاءَ﴾ المطر ﴿عَلَيْهِمْ مَذْرَاقًا﴾ متتابعًا
﴿وَجَعَلْنَا الْآفَاقَ نَجْرًا مِنْ تَحْتِهِمْ﴾ تحت مساكنهم ﴿فَأَهْلَكْتَهُمْ بَدُونِهِمْ﴾
بتكديهم الأنبياء ﴿وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمًا آخَرِينَ﴾.

[٧] ﴿لَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا﴾ مكتوبًا ﴿فِي قُرْطَاسٍ﴾ رق؛ كما اقترحوه
﴿فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أبلغ من «عابوه»؛ لأنه أنقى للشك ﴿لَقَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ ثقتنا وعنادنا.

[٨] ﴿وَقَالُوا أَوَلَا﴾ هلا ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﷺ ﴿مَلَكٌ﴾ يصدقه
﴿لَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَ﴾ كما اقترحوه؛ فلم يؤمنوا ﴿فَلَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ بهلاكهم ﴿ثُمَّ
لَا يُنْظَرُونَ﴾ يهللون لتوبة أو معذرة، كعادة الله فيمن قبلهم؛ من إهلاكهم
عند وجود مقترحهم إذا لم يؤمنوا.

(*) قائمة: تقسيم السور إلى مكية ومدنية، وتكون السورة كلها مكية أو مدنية إما هو الأغلب الأعظم في سور القرآن، ذلك أنه قد وردت آيات مدنية في سور مكية والعكس على وجه القلة، وسبب ذلك ما تقدم بأن ترتيب الآيات توقيفي بالإجماع كما تقدم، قال ابن حجر رحمه الله: وقد اعتنى بعض الأئمة ببيان ما نزل من الآيات بالمدنية في السور المكية... إلى أن قال: وأما عكس ذلك وهو نزول شيء من سورة مدنية، تأخر نزول تلك السورة إلى المدينة فلم أره إلا نادرا. والاستثناء المذكور مشهور في تحبب القراء ومثبت في المصاحف، وثبوت وقوعه دللت عليه الأدلة، لكن هل يقبل كل ما يذكر من الاستثناء أم لا بد من النظر فيه؟ ذهب المحققون من أهل التفسير إلى أنه لا يصح الاستثناء إلا بتدليل لأنه خلاف الأصل. ولا يجوز القول عن هذا الأصل إلا بتدليل صحيح صريح. قال ابن الحصار في نظرية للسور المكية والمدنية:

وذا الذي احتفظ فيه الزوالة له
وما سوى ذلك مكى صرله
فلنسى كل غلاب جاء غفيرة
إلا خلاف له حظ من النظر

وقد تنبغ السوطي رحمه الله ما قبل باستثناءه وذكر الأدلة على ذلك مختصرا في كتابه الإنقاذ.

(١) أي: الحلال المحلي.

(٢) أي: الظلمة.

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ ﴿١﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٣﴾ قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُفْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾ قُلْ أَعَزَّ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٧﴾ مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفُورُ الْأُمِينُ ﴿٨﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَهُوَ الْغَايُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٠﴾

قَدِيرٌ ومنه مَشَكَّ به؛ ولا يقدر على رده عنك غيره.

[١٨] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ الْقَادِرُ﴾؛ الذي لا يعجزه شيء مستعلاً^(٥) ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الْخَبِيرُ﴾ ببواطنهم؛ كظواهرهم.

[٩] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: المنزل إليهم ﴿مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ﴾ أي: الملك ﴿رَجُلًا﴾ أي: على صورته؛ ليمكنوا من رؤيته؛ إذ لا قوة للبشر على رؤية الملك ﴿وَلَوْ﴾ لو أنزلناه وجعلناه رجلاً ﴿لَلْبَسْنَا﴾ لَلْبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ على أنفسهم؛ بأن يقولوا: ما هذا إلا بشر مثلكم.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وهو: العذاب؛ فكذا يحق بمن استهزأ بك.

[١١] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ الرسل؛ من هلاكهم بالعذاب؛ ليعتبروا.

[١٢] ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ﴾ إن لم يقولوه؛ لا جواب غيره ﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(١) قضى على نفسه ﴿الرَّحْمَةَ﴾ فضلاً منه، وفيه تلميح في دعائهم إلى الإيمان ﴿لِيَجْمَعَ كُفْرُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ ليجازيكم بأعمالكم ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ الْيَوْمِ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بتعرضها للعذاب، مبتدأ، خبره: ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَلَهُ﴾ - تعالى - ﴿مَا سَكَنَ﴾ حل ﴿فِي الْأَيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي: كل شيء؛ فهو ربه وخالقه ومالكه ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يفعل.

[١٤] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَعَزَّ اللَّهُ اتَّخَذَ وَلِيًّا﴾ أعبدوه ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مبدعهما ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ﴾ يَرْزُقُ ﴿وَلَا يَطْعَمُ﴾ يَرْزُقُ ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ لله من هذه الأمة ﴿وَقُلْ لِي﴾ لا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ به.

[١٥] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ هو: يوم القيامة.

[١٦] ﴿مَنْ يُصْرِفْ﴾ بالبناء للمفعول؛ أي: العذاب، وللفاعل^(٢)؛ أي: الله، والعائد: محذوف ﴿عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾ - تعالى؛ أي: أراد له الخير^(٣) ﴿وَذَلِكَ الْفُورُ الْأُمِينُ﴾ النجاة الظاهرة.

[١٧] ﴿وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بلاء كمرض وقهر ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ بِخَيْرٍ﴾ كصحة وغنى ﴿فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(١) وفيها إثبات صفة الكتابة له - سبحانه - كما سبق التنبيه عليه.

(٢) قراءة حمزة والكسائي وشعبة.

(٣) هذا تأويل للصفة بلازمها، ومذهب السلف إثبات ما أثبت الله لنفسه على ما يليق به سبحانه.

(٤) قال ابن جرير: ﴿الْقَادِرُ﴾: الدَّلِيلُ الشَّاعِرُ خَلْقَهُ الْعَالِي عَلَيْهِمْ. وقال ابن كثير: هو الذي خضعت له الجبابرة، وغشيت له الوجوه، وفُتِحَ كل شيء.

(٥) وهذا تأويل لصفة الفوقية، وهو مذهب المولدة الذين يفنون عن الله علو الذات، وهو - سبحانه - له علو الذات وعلو الشأن وعلو القهر.

الأصنام.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَرُ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةٍ قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ أُذَكِّرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْكُمْ لَكُمْ شَهِدُونَ أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ قُلِ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ

[٢١] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿إِنَّهُ﴾ أي: الشأن ﴿لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ﴾ بذلك. ﴿وَمَنْ﴾ ذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَاعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ توبيخا: ﴿إِن شِرْكَاءَكُمْ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ أنهم شركاء الله.

[٢٢] ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُنْ﴾ بالباء والياء ^(١) ﴿فَتَنْتَقِمُ﴾ بالنصب والرفع ^(٢)؛ أي: معذرتهم ﴿إِلَّا أَنْ قَالُوا﴾ أي: قولهم ﴿وَاللَّهُ رِئَاسًا﴾ بالجر: نعم، والنصب ^(٣) نداء ^(٤) ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ^(٥).

[٢٣] قال - تعالى -: ﴿أَنْظِرْ﴾ يا محمد ﴿كَيْفَ كَذَّبُوا عَنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ بنفي الشرك عنهم ﴿وَوَصَّلْ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ﴾ ثَمَّا كَانُوا يَقْتَرُونَ ﴿هُ عَلَى اللَّهِ مِنْ شَرِّكَاءَ﴾.

[٢٤] ﴿وَمِنْهُمْ مَن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أغطية ^(١) لئلا ﴿يَفْقَهُوهُ﴾ يفهموا القرآن ﴿وَوَفَّىٰ آذَانَهُمْ وَقَوًّا﴾ صمما؛ فلا يسمعون سماع قبول ﴿وَإِنْ يَرَوْا كَلًّا﴾ أي: لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلوك يقول الذين كفروا إن ﴿مَا هَذَا﴾ القرآن ﴿إِلَّا آسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ كالأصاحب والأعاجيب، جمع أسطورة، بالضم.

[٢٥] ﴿وَمِنْهُمْ يَهْتَوُونَ﴾ الناس ﴿عَنْهُ﴾ عن اتباع النبي ﷺ ﴿وَيَتَّبِعُونَ﴾ يتابعون ﴿عَنْهُ﴾ فلا يؤمنون به، وقيل: نزلت في أبي طالب كان ينهى عن أذاه ولا يؤمن به ^(١).

[٢٦] ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿يَهْلِكُونَ﴾ بالنأي عنه ﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ لأن ضرره عليهم ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[٢٧] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ يُفْقَرُونَ﴾ عرضوا ﴿عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَلنَّارِ لَنْ نَذْهَبَ بِهَا أَبَدًا﴾ إلى الدنيا ﴿وَلَا نَكْذِبُ بِآيَاتِكَ رِئَاسًا وَتَكُونُ مِنَّا كُتُوبًا﴾ برفع الفعلين استئنافا، ونصبهما في جواب التمني، ورفع الأول ونصب الثاني ^(١)، وجواب «لو» لرأيت أمرا عظيمًا.

(١) فائدة: أخرجه البخاري عن سعيد قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليّ، قال: ... ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ عِيَّتًا﴾، ﴿وَاللَّهُ رِئَاسًا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ فقد كتموا في هذه الآية... فقال: ... أما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ عِيَّتًا﴾ فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالوا نقول: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾، فحتم على أفواههم، فتنتطق أيديهم؛ فندخل عرف أن الله لا يكتم حديثا، وعنده ﴿يَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصُوا أَرْسُولَ لَوْ كُنْتُمْ إِيمًا أَكْثَرُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ عِيَّتًا﴾ الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة فصلت (٤١) الترجمة.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول عن الكلبي، والكلبي كذاب.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) بالنصب قراءة نافع وحمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالنصب قراءة حمزة والكسائي.

(٥) أخرجه نحوه الغرياني وعبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه والحاكم والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس، وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي». وحسه صاحب الاستيعاب بمجموع طرقه (١٣٢/٢)، وأخرجه نحوه أيضا ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن القاسم بن مخيمرة [الدر المنثور (١/٥)].

(٦) بالرفع ثم النصب قراءة ابن عامر، وبالرفع في الفعلين قراءة نافع والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

[١٩] وَتَزَلَّ - لما قالوا للنبي ﷺ: اثنا من يشهد لك بالنبوة؛ فإن أهل الكتاب أنكروك ^(١) :: ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةٍ تَمَيِّزٌ مَحْوَلٌ عَنِ الْمُبْتَدَأِ ﴿قُلِ اللَّهُ﴾ إن لم يقولوه؛ لا جواب غيره؛ هو ﴿شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُذَكِّرَكُمْ﴾ أخوفكم يا أهل مكة ﴿بِهِ﴾ وَمَنْ يَبْلُغْ عَطَفٌ عَلَى ضَمِيرٍ ﴿أَنْذَرَكُمْ﴾؛ أي: بلغه القرآن من الإنس والجن ﴿أَيُّكُمْ لَنْ تَشْهَدُونَ أَنَّهُ مَعَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرُ﴾ استفهام إنكاري ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لَا أَشْهَدُ﴾ بذلك ﴿قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ معه من

[٢٨] قال - تعالى -: ﴿بَلِّغْ لِلْإِضْرَابِ^(١) عَنْ إِرَادَةِ الْإِيمَانِ الْمَقْهُومِ مِنَ التَّمْنِي ﴿بِدَا﴾ ظَهَرَ ﴿لَهُمْ مَا كَانُوا يَحْتَفُونَ مِنْ قَبْلِ﴾ يَكْتُمُونَ بِقَوْلِهِمْ: ﴿وَاللَّهُ رَيْبًا مَا كُنَّا مُتَرَكِّينَ﴾ بِشَهَادَةِ جَوَارِحِهِمْ؛ فَضَمُّوا ذَلِكَ ﴿وَلَوْ رُذُّوا﴾ إِلَى الدُّنْيَا فَرْضًا ﴿لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ مِنَ الشُّرْكِ ﴿وَلَيْتُمْ لَكَيْدُونَ﴾ فِي وَعْدِهِمْ بِالْإِيمَانِ.

[٢٩] ﴿وَقَالُوا﴾ أَي: مَنَكرو البعث: ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿هِيَ﴾ أَي: الْحَيَاةُ ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

[٣٠] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُفُّوا﴾ عَرْضُوا ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ لَرَأَيْتَ أَمْرًا عَظِيمًا ﴿قَالَ﴾ لَهُمْ عَنِ لِسَانِ الْمَلَائِكَةِ تَوْبِيحًا: ﴿أَلَيْسَ هَذَا﴾ الْبَيْتُ هَذَا؟ وَالْحِسَابُ ﴿بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَّ وَرَبَّنَا﴾ إِنَّهُ لِحَقٌّ ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿بِهِ فِي الدُّنْيَا﴾.

[٣١] ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ اللَّهِ﴾ بِالْبَيْتِ ﴿حَقِّ﴾ غَايَةً لِلتَّكْذِيبِ ﴿إِذَا جَاءَتْهُمُ النَّسَاءُ﴾ الْقِيَامَةُ ﴿بِقَتْلِهِ﴾ فَجَاءَهُ ﴿قَالُوا يَحْسَرُنَا﴾ هِيَ شِدَّةُ النَّالِمِ، وَنَدَاوَاهَا مَجَازٌ؛ أَي: هَذَا أَوَانُكَ فَاحْضِرِي ﴿عَلَىٰ مَا قَرَّطْنَا﴾ قَطْرُنَا ﴿فِيهَا﴾ أَي: الدُّنْيَا ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ﴾ بِأَنْ تَأْتِيَهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ فِي أَقْبَحِ شَيْءٍ صَوْرَةٍ، وَأَنْتَهُ رَيْحًا؛ فَتَرْكِبُهُمْ ﴿أَلَا سَاءَ﴾ بِسَ ﴿مَا يَرْزُونَ﴾ يَحْمِلُونَهُ حَمْلَهُمْ ذَلِكَ.

[٣٢] ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ أَي: الْإِشْغَالُ بِهَا ﴿إِلَّا لُوبٌ وَلَهْوٌ﴾ وَأَمَّا الطَّاعَةُ وَمَا يَبِينُ عَلَيْهَا مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ ﴿وَلِلَّذِينَ الْآخِرَةُ﴾ وَفِي قِرَاءَةٍ^(٢): ﴿وَلِلَّذِينَ الْآخِرَةُ﴾ أَي: الْجَنَّةِ ﴿خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنْفُونَ﴾ الشُّرْكَ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ^(٣)، ذَلِكَ فَيُؤْمِنُونَ.

[٣٣] ﴿قَدْ﴾ لِلتَّحْقِيقِ^(٤) ﴿تَعْلَمُ إِنَّهُمْ﴾ أَي: الشَّأْنَ ﴿لِيَحْزَنَنَّكَ﴾ الَّذِي يَقُولُونَ ﴿لَكَ مِنَ التَّكْذِيبِ﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْتُمُونَكَ فِي السَّرِّ لَعَلَّهُمْ أَنْكَ صَادِقٌ، وَفِي قِرَاءَةٍ بِالْخَفِيفِ^(٥)؛ أَي: لَا يَنْسِبُونَكَ إِلَى الْكُذْبِ ﴿وَلَكِنَّ أَفْطَالِينَ﴾ وَضَعَهُ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ ﴿بَيَّاتٍ﴾ اللَّهُ الْفَرَانِ ﴿يَحْجَدُونَ﴾ يَكْذِبُونَ.

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ فِيهِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ ﴿فَصَبِرُوا عَلَىٰ مَا كُنْتُمْ يُوعَدُونَ﴾ وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا بِإِهْلَاكِ قَوْمِهِمْ؛ فَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَأْتِيَكِ النَّصْرُ بِإِهْلَاكِ قَوْمِكَ ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ مَوَاعِيدِهِ^(٦) ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ﴾ مَا يَسْكُنُ بِهِ قَلْبُكَ.

بَلِّغْ لَهُمْ مَا كَانُوا يَحْتَفُونَ مِنْ قَبْلِ وَوَرْدُ وَالْعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَأَنَّهُمْ لَكَايُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُفُّوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَّ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِإِلْقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ النَّسَاءُ بَعَثَهُ قَالُوا يَحْسَرُنَا عَلَىٰ مَا قَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَرْزُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لُوبٌ وَلَهْوٌ وَلِلَّذِينَ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَنْفُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ تَعْلَمُ إِنَّهُ لِيَحْزَنَنَّكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْتُمُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَاصْبِرُوا عَلَىٰ مَا كُنْتُمْ يُوعَدُونَ وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَنَّهُمْ نَصَرْنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّئِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ كَانَ كِبَرُكَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَهَدَيْنَاهُمْ عَلَىٰ سَبِيلٍ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ جَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾

[٣٥] ﴿وَإِنْ كَانَ كِبَرٌ عَظِيمٌ﴾ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ عَنْ الْإِسْلَامِ؛ لِحَرَصِكَ عَلَيْهِمْ ﴿فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا سِرًّا﴾ فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا مَّصْعَدًا ﴿فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ﴾ مِمَّا اقْتَرَحُوا فاعْمَلْ؛ الْمَعْنَى: أَنْكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؛ فَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ﴾ هَدَيْنَاهُمْ ﴿لَجَمَعْنَاهُمْ عَلَىٰ الْهُدَىٰ﴾ وَلَكِنْ لَمْ يَشَأْ ذَلِكَ؛ فَلَمْ يُؤْمِنُوا ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بِذَلِكَ.

(٥) فائدة: دخول «قد» على الفعل المضارع من «علم» جاء في ستة مواضع في القرآن الكريم؛ قال ابن هشام في كتابه «معنى اللبيب عن كتب الأعريب»: «... المعنى الثالث من معاني «قد»: التثليل، وهو ضريان: تثليل وقوع الفعل نحو: «قد يصدق الكذوب»، وقد يجرد البخل، وتثليل متعلقه نحو قوله تعالى: «قَدْ تَعْلَمُ مَا أَشَدُّ عَلَيْهِ» أَي: مَا أَتَمَّ عَلَيْهِ هُوَ أَقْلُ مَعْلُومَاتِهِ سَبْحَانَهُ، وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهَا فِي هَذِهِ الْأَمْثَلَةِ لِلتَّحْقِيقِ إِه. وَقَدْ أَخَذَ الْجَلَالَانِ الْخَلِي وَالسُّيُوطِيُّ بِقَوْلِ هَذَا الْبَعْضِ: إِنَّهَا لِلتَّحْقِيقِ لَا لِتَثْلِيلٍ فِي هَذِهِ الْمَوَاضِعِ عَلَى خِلَافِ الْقَاعِدَةِ.

(١) أَي: الْإِبْطَالِي؛ وَالْمَعْنَى: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا قَالُوا: مِنْ أَنَّهُمْ لَوْ رُذُّوا لَأَمْسُوا.

(٢) لِابْنِ عَامِرٍ.

(٣) بِأَيِّ، بِأَيِّ، قِرَاءَةُ حِمَزَةٍ وَالْكَسَائِيُّ وَابْنُ كَثِيرٍ وَأَبُو عَمْرٍو وَشُعْبَةُ.

(٤) لِلنَّافِعِ وَالْكَسَائِيِّ.

(٥) الْمُرَادُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ هُنَا مَا كَتَبَهُ بِالنَّصْرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَعَدَهُ إِيَّاهُمْ بِذَلِكَ. وَمِنْ لَوَازِمِ ذَلِكَ إثبات صفة الكلام لله ﷻ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ.

بالتشديد والتخفيف^(١) ﴿أَيَّةٌ﴾ مما اقترحوا ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن نزولها بلائاً عليهم؛ لوجوب هلاكهم إن جحدوها.

[٣٨] ﴿وَمَا وَمَ﴾ زائدة ﴿وَدَاخِلَ﴾ قمشي ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلَمَ يَطِيرُ﴾ في الهواء ﴿يَجْتَابِعُوهُ إِلَّا أُمَمٌ أَسْأَلُكُمْ﴾ في تدبير خلقها ورزقها وأحوالها ﴿مَا فَطَرْنَا﴾ تركنا ﴿فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ﴾ فلم نكتبه ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ فيقضي بينهم، ويقصص للجهنم من القرآن، ثم يقول لهم: كونوا تراثاً.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا﴾ القرآن ﴿سُوءٌ﴾ عن سماعها سماع قبول ﴿وَبِكُمْ﴾ عن النطق بالحق ﴿فِي الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿مَنْ يَسْأَلُ اللَّهَ﴾ إضلاله ﴿يُضِلَّهُ وَمَنْ يَسْأَلْهُ﴾ هدايته ﴿يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَوِيرٍ﴾ دين الإسلام.

[٤٠] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَيْتُكُمْ عَذَابُ اللَّهِ﴾ في الدنيا ﴿أَوْ أَتَيْتُكُمْ السَّاعَةُ﴾ القيامة المشتملة عليه بغتة ﴿أَغْيَرُ اللَّهُ تَدْعُونَ﴾ لا ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أن الأصنام تنفعكم فادعوها.

[٤١] ﴿بَلْ إِيَّاهُ﴾ لا غيره ﴿تَدْعُونَ﴾ في الشدائد ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ﴾ أن يكشفه عنكم من الضر ونحوه ﴿إِنْ شَاءَ﴾ كَشَفَهُ ﴿وَنَسُونَ﴾ تتركون ﴿مَا كُنْتُمْ كُونَ﴾ معه من الأصنام؛ فلا تدعونه.

[٤٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّنْ زَايِدَةٍ﴾ زائدة ﴿فَبَلَكَ﴾ رسلاً فكذبوهم ﴿فَأَخَذْتَهُمُ بِالْأَسْأَةِ﴾ شدة الفقر ﴿وَالضَّرَاءِ﴾ المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرُّعُونَ﴾ يتذللون فيؤمنون.

[٤٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ فُهَلَّا ﴿إِذْ جَاءَهُمُ بَأْسُنَا﴾ عذابنا ﴿تَضَرَّعُوا﴾ أي: لم يفعلوا ذلك مع قيام المفتضي له ﴿وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فلم تزل للإيمان ﴿وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من المعاصي؛ فأصروا عليها.

[٤٤] ﴿فَلَمَّا شَاؤْنَا﴾ تركوا ﴿مَا دُكِّرُوا﴾ وعظوا ونحووا ﴿وَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ من البأساء والضراء؛ فلم يعظوا ﴿فَتَحَنَّنَّا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢) ﴿عَلَيْهِمْ أَبَوَّكَ كَلَّ شَيْءٍ﴾ من النعم استدراجاً لهم ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا﴾ فرح بطير ﴿أَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ﴾ بغتة ﴿فَجَاءَهُمْ مُّسْبِتُونَ﴾ أي: من كل خير^(٣).

﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ فَرًّا إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا ظَلَمٍ يَطِيرُ يَجْتَابِعُ إِلَّا أُمَّةٌ آمَنَّا لَكُم مَّا قَرَّبْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا صُمُّوهُمْ وَبِكُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يُجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَيْتُكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَيْتُكُمْ السَّاعَةَ أَغْيَرُ اللَّهُ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَنَسُونَ مَا كُنْتُمْ كُونَ﴾ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَّ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا دُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

[٣٦] ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ﴾ دعاءك إلى الإيمان ﴿الَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم واعتبار ﴿وَالْمَوْتَىٰ﴾ أي: الكفار، شبههم به في عدم السماع ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ في الآخرة ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُرْجَعُونَ﴾ يردون؛ فيجازيهم بأعمالهم.

[٣٧] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هلا ﴿نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ﴾ كالناقة والعصا والمائدة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنِّي اللَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْزِلَ﴾

(١) فائدة: أخرج أحمد عن عفيّة بن عامر، عن النبي ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مِنَ الدُّنْيَا عَلَىٰ مَعْصِيَةٍ مَا يَحِبُّ فَإِنَّمَا هُوَ اسْتِدْرَاجٌ»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا شَاؤْنَا مَا دُكِّرُوا بِوَيْهِمْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾. مسند أحمد (١٤٥/٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦١).

(٢) بالتخفيف، ولازمه سكون النون، قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالتشديد قراءة ابن عامر.

[٤٥] ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: آخرهم؛ بأن استوصلوا ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصر الرسل وإهلاك الكافرين.

[٤٦] ﴿قُلْ لِأَهْلِ مَكَّةَ: ﴿أَرَيْتُمْ﴾ أَصْحَابِي﴾ أَخْبَرُونِي ﴿إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمَكَكُمْ﴾ أَصْصَكُمْ ﴿وَأَصْبَحْتُمْ﴾ أَغْمَاسًا ﴿وَسَمَكٌ﴾ طَبْعٌ ﴿عَلَى قُلُوبِكُمْ﴾ فَلَا تَعْرِفُونَ شَيْئًا ﴿مَنْ إِلَهُ عِندَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهُ﴾ بِمَا أَخَذَهُ مِنْكُمْ، بِزَعْمِكُمْ ﴿اتَّقِ اللَّهَ﴾ كَيْفَ تَعْرِفُونَ ﴿يُنِيبُ﴾ إِلَى الْآيَاتِ ﴿الدَّلَالَاتِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِنَا﴾ ثُمَّ هُمْ يَصْذِقُونَ ﴿يَعْرِضُونَ عَنْهَا﴾ فَلَا يَزِيدُونَ.

[٤٧] ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَقَعَتْ أَوْ جَهَنَّمَ ﴿لَيْلًا أَوْ نَهَارًا﴾ هَذَا يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿الْكَافِرُونَ﴾ أَي: مَا يَهْلِكُ إِلَّا هُمْ.

[٤٨] ﴿وَمَا تُرْسِلَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ﴾ من آمن بالجنة ﴿وَمُنْذِرِينَ﴾ من كفر بالنار ﴿فَمَنْ آمَنَ﴾ بهم ﴿وَأَصْلَحَ﴾ عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٤٩] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُسَمُّهُمْ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾
يخرجون عن الطاعة.

[٥٠] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿كَذَٰلِكَ أَقُولُ لَكُمْ﴾ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ﴾ الَّذِي مِنْهَا يُوزَنُ ﴿وَلَا﴾ إِنِّي ﴿أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ مَا غَاب عَنِّي وَلَمْ يُوْحِ إِلَيَّ﴾ ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ﴾ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ ﴿الْكَافِرُ﴾ وَالْبَصِيرُ ﴿الْمُؤْمِنُ﴾؟ لَا ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ فِي ذَلِكَ نَفْثُ مَوْنُونَ.

[٥١] وَأَنْذِرْ خَوْفٌ يَدُكُ أَي: الْقُرْآنُ الَّذِي يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِّنْ دُونِهِ أَي: غَيْرُهُ رُوِيَ بِصَرِّهِمْ وَلَا شَيْعُهُمْ بِشَفْعِ لَهُمْ، وَجُمْلَةُ النَّفْيِ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ «يُحْشَرُونَ»، وَهِيَ مَحَلُّ الْخَوْفِ، وَالْمُرَادُ بِهِمُ: الْمُؤْمِنُونَ الْعَاصُونَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ اللَّهَ، يَاقِلَاعِهِمْ عَمَّا هُمْ فِيهِ، وَعَمَلُ الطَّاعَاتِ.

[٥٢] ﴿وَلَا تَقْرُؤْ لَآئِنَ يَدْعُونَ بِهِمُ الْفُلُكُوفُ وَالشَّيْءُ يُرِيدُونَ﴾ عبادتهم ﴿رَبَّهُمْ﴾ . تعالى . لا شيئاً من أعراض الدنيا؛ وهم: الفقراء، وكان المشركون طعنوا فيهم وطلبوا أن يطردوهم؛ ليجالسوه، وأراد النبي ﷺ ذلك؛

فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾
قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ
مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ أَنْظُرْ كَيْفَ نَصْرَفُ الْأَيَاتِ
ثُمَّ هُمْ يَصْدُرُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ
بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا
تُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ
فَلَخَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
يَسْهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ
عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبِ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا وَحَّى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ
أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُخْشَوْا إِلَى
رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
﴿٢٢﴾ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ
وَجْهَهُ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمِمَّا يَحْسَبُونَ
عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٣﴾

طعنا في إسلامهم^(١) ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ إن كان باطنهم غير مريض ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ﴾ جواب النفي ﴿فَتَكُونِ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ إن فعلت ذلك.

(١) أخرج نحو ذلك مسلم (٢٤١٣) عن سعد بن أبي وقاص.

اللَّهُ يَأْعَلَمُ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٤٠﴾ له؛ فيهديهم؟ بلى.

[٥٤] ﴿وَإِذْ جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ قُضِيَ ﴿رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ﴾ إِنَّهُ: أَي: الشَّانُ، وفي قراءة: بالفتح (١)؛ بَدَلُ من ﴿الرَّحْمَةُ﴾: ﴿مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا مِثْلَ بَعْضِكُمْ مِّنَ الْآخَرِ﴾ حيث ارتكبه. ثُمَّ تَابَ ﴿رَجِعْ مِنْ بَعْدِهِ﴾: بعد عمله عنه. وَأَصْلَحَ ﴿عَمِلَ﴾ فَإِنَّهُ: أَي: الله ﴿عَفُوٌّ﴾ له ﴿رَحِيمٌ﴾ به، وفي قراءة: بالفتح (٢)؛ أَي: فالغفرة له.

[٥٥] وَكَذَلِكَ ﴿٥٥﴾ كَمَا بَيْنَا مَا ذُكِرَ **فَفَصِّلْ** نَيْنِ **الْآيَاتِ** الْقُرْآنِ ﴿٥٦﴾ لِيُظْهِرَ الْحَقَّ؛ **فَفَعِّلْ** بِهِ **وَلِتَسْتَبِينَ** نَظَرُ **سَبِيلِ** طَرِيقِ **الْمُحَرِّمِينَ** ﴿٥٧﴾ **فَفَتْحَتْ**، وَفِي قِرَاءَةٍ **بِالْمُتَحَابَّةِ** (٣)، وَفِي أُخْرَى: **بِالْفَوَاقِيَةِ** وَنَصَبَ **سَبِيلِ** (٤)؛ **خُطَابَ** لِلنَّبِيِّ ﷺ.

[٥٦] قُلْ إِنِّي نَبِيٌّ أَنَا أَعْبُدُ الذِّكْرَ تَعْبُدُونَ ﴿١﴾ مِن دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَنِيعَ آفَاقُهُمْ ﴿٢﴾ فِي عِبَادَتِهَا قَدْ ضَلُّتُمْ إِذَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴿٤﴾ وَإِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴿٥﴾ وَإِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴿٦﴾ وَإِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴿٧﴾ وَإِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴿٨﴾ وَإِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴿٩﴾ وَإِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴿١٠﴾

[٥٧] ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ﴾: أي: قد كذبتم بيده؛ بريي؛ حيث أشرحكم ما عندي ما تستعجلون بيده من العذاب ﴿إِنِّي مَا أَلْحِكُمْ﴾: في ذلك وغيره ﴿إِلَّا يَدُ بَعْضِ الْقَضَاءِ﴾: الحق وهو خير الفصل: الحاكيم، وفي قراءة: **بَعْضُ** ^(٥) أي: يقول.

[٥٨] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا سَأَلْتُمُوْنَ بِهِ، لَقُلَّى الْأَمْرُ بِبَنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ بَأَن أَعْجِجَهُ لَكُمْ، وَأُسْتَرِجِ، وَلَكِنَّهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴿وَأَنَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ﴾ مَتَى يَعْقِبُهُمْ﴾^(٥).

[٩١] ﴿وَعِنْدَهُ﴾ - تعالى - ﴿مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ﴾ خزائنه أو الطرق الموصلة إلى علمه ﴿لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وهي: الخمسة التي في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية^(١)، كما رواه البخاري^(٢) ﴿وَيَسْمَعُ مَا يَحْدُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ الْفَيَاقَرُ ﴿وَالْبَحْرِ﴾ القرى التي على الأنهار ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنَ زَايِدَةٍ﴾ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظِلْمَةٍ إِلَّا يَدْرُسُهَا وَلَا يَابِسَ عِطْفٌ عَلَى: ﴿وَرَقَةٍ﴾ ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ هو: اللوح المحفوظ، والاستثناء: بدل اشتمال^(٣) من الاستثناء قبله.

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِثْلُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٩﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذَا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٦٠﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِهِ مَا عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنَّ الْخُصَمَ إِلَّا اللَّهُ يَقْضِ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴿٦١﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِيَ الْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٦٢﴾ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يُعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا سُفِّطَ مِنْ رَفَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حِجَابَ فِي ظُلُمَاتٍ لِأَرْضٍ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَاسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦٣﴾

[٥٣] ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا الْبَاقِيَ﴾ بِعَدَمِهِمْ بِعَقِيصٍ ﴿أَي: الشَّرِيفَ بِالْوَضِيعِ، وَالْعَنِي بِالْفَقْرِ؛ بَأَن قَدَمَانِهِمَا بَالِسْقِ إِلَى الْإِيمَانِ ﴿لَيَقُولُوا﴾ أَي: الشُّرَفَاءُ وَالْأَعْيَانُ؛ مُنْكَرِينَ: ﴿أَهْلَؤَلَهُ﴾ الْفُقَرَاءُ ﴿مَرَّكَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنَتِهِ﴾ بِالْهَدَايَةِ؛ أَي: لَوْ كَانَ مَا هُمْ عَلَيْهِ هُدًى مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿أَلَيْسَ

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٥١ - ٥٨): أخرج مسلم عن سعد قال: كنا عند النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: احرد هؤلاء لا يجتزون علينا. قال: ركت أنا، وابن مسعود، ورجل من هذيل، وبلال، ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأقول الله ﷻ: ﴿لَا تَقْرُؤُا الَّذِينَ يَدْعُونَ بِهِمُ الْيَلْتَفِتُوا وَلَئِنْ يَرَوْهُ يُدْعُوا بِحَبَشَةٍ﴾. مسلم - كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٥) في فضائل سعد بن أبي وقاص.

وأخرج ابن ماجه عن خباب في قوله تعالى: **وَلَا تَقْرَأُ الْكِتَابَ بِحَدِّ مَنْ يُحِبُّ الْفَرَارِ** إلى قوله: **فَتُحَكِّمُ مِنَ الظَّالِمِينَ** قال: جاء الأعراب بن حابس الضمعي، وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدوا رسول الله ﷺ مع سهيب وبلال وعمار وخباب قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين. فلما أروهم حول النبي ﷺ حرقوهم. فأوتوه فخلوا به وقالوا: إنا نريد أن نجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلًا، وإن وفود العرب تأتيك فستحكي أن أتاها العرب مع هذه الأعداء. فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فأقمهم إن شئت.

قال: «نعم». قالوا: فكتب لنا عليك كتاباً. قال: فدعا بصفيحة، ودعا علياً ليكتب، ومن تعود في ناحية، فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: ﴿لَا تَقْرَأُ الَّذِينَ يُدْعُونَ بِرَبِّهِمْ بِالْعَنَاءِ وَيَذَرُونَهُمْ مَا عَلَيْهِمْ مَأْثَرُهُمْ إِنَّهُمْ كَافِرُونَ﴾ ثم ذكر الأفرع بن حابس وعيينة بن حصن فقال: ﴿وَصَلَّاتُكَ فَتَنًا بَعْضُهُمْ يَفْتِنُ لِقَوْلِهِمْ أَهْوَاءُ مَنْ أَتَى اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنَاتٍ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمُفْسِدِيهِ﴾ ثم قال: فدونوا منه حتى وضعنا ركبنا على ركبته، وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا. ابن ماجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٧) مجالسة الفراء (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٢٣٢٩). وسنن أبيه فيته عند الآية (٢٨) من سورة الكهف.

وأخرج أحمد عن ابن مسعود قال: مر اللذان من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب وصهيب وبلال وعمرار، فقالوا: أرضيت بهذا؟ فنزل فيهم القرآن: ﴿وَأَكْبَرُ بِهِ الَّذِينَ يَتَخَفُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَمَّا أَسْلَمُ النَّبَلِيُّ﴾.

(١) قرأ نافع بفتح ﴿أَنَّه﴾ وكسر ﴿فَإِنَّهُ﴾، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو بالكسر في الموضعين.

(٢) قرأ نافع بفتح **قَاتِلَهُ** وكسر **قَاتِلَهُ**، وقرأ حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو بالكسر في الموضعين. (٣) الحزمة والكسائي وشعبة. (٤) نافع. (٥) والقراءة المفسدة لحزمة والكسائي وأبي عمرو وابن عامر. (٦) لقمان: ٣٤. (٧) البخاري (١٠٣٩) عن عبد الله بن عمر مرفوعاً. (٨) وذلك أن دائرة العلم أوسع من دائرة اللوح، وهذا على أن المراد بالكتاب اللوح، وكما أفاده المفسر، وأما إن أريد بالكتاب علم الله كان بدل كل من كل لزيادة التأكيد والإيضاح.

وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾ وَهُوَ الْغَايُ تُفَوِّقُ عِبَادَهُ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّهُهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنَ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُوهُ وَتَضَرَّعَا وَخُفْيَةً لِّإِن أَنْجَيْنَا مِنْ هَٰذَا مَن لَّيَكُن مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهُ يَنْجِيكُم مِّنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ مُّشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا آتِيًا فَوْقَ كُلِّ أُومٍ تَحْتَ آرَجِكُمْ أَوْ تَلْسِكُمْ سُيُوفًا مِّنْ دُونِهَا يُرْسِلُهَا أَتَىٰ قَوْمًا بِآسَافٍ فَكَفُّوا عَنْهَا قُلْ إِيَّاكُمْ لَئِيْلَ الْغَافِلِينَ ﴿١٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ قُلْ لَسْتُ بِكَافِلٍ لَّكُمْ سَيَأْتِيكُمْ رَسُولٌ مِّنْ لَّدُنِّي فَيُخَوِّضُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ يُخَرِّجُكُمْ بِغَضَبٍ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا فَلَهُمْ فِي ذٰلِكَ بَٰرِعَاتٌ مِّنَ الْحِكْمِ لِيُخَوِّضَهُم فِيهِ وَلِيُخْرِجَهُم مِّنْهَا قَوْمًا مُّسْتَخِرِينَ ﴿١٧﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا فَلَهُمْ فِي ذٰلِكَ بَٰرِعَاتٌ مِّنَ الْحِكْمِ لِيُخَوِّضَهُم فِيهِ وَلِيُخْرِجَهُم مِّنْهَا قَوْمًا مُّسْتَخِرِينَ ﴿١٨﴾

[٦٨] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن؛ بالاستهزاء ﴿فَاعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ ولا تجالسهم ﴿حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ وإِذَا فيه إدغام نون ﴿إِنَّ﴾ الشرطية في ﴿مَا﴾ المزيدة ﴿يُنِيبُكَ﴾ بسكون النون والتخفيف، وفتحها والتشديد^(٤) ﴿الْأَبْطُلُ﴾ فقعدت معهم ﴿لَا تَقْعُدْ بَعْدَ الْبُكَرَى﴾ أي: تذكره مِمَّا الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ فيه وضع الظاهر موضع المضمهر.

[٦٠] ﴿هُوَ الَّذِي يُؤْتِكُمْ يَاقُلُ﴾ يقض أرواحكم عند النوم ﴿وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم﴾ كسبتم ﴿بِالْأَنفَارِ ثُمَّ يَعْتَكُمُ فِيهَا﴾ أي: النهار؛ يرد أرواحكم ﴿لِيُقَيِّضَ أَجَلَ مُسَمًّى﴾ هو: أجل الحياة ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ﴾ بالبعث ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

٦١ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ﴾ مستعلا^(١) ﴿فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ ملائكة؛ تحصى أعمالكم ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ﴾ وفي قراءة: ﴿تَوَفَّاهُ﴾^(٢) ﴿رُسُلَنَا﴾ الملائكة الموكلون بقبض الأرواح ﴿وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ يقصرون فيما يؤمرون به.

[٦٢] ﴿يُمْ رَدُّوهُ﴾ أَي: الْخَلْقَ ﴿إِلَى اللَّهِ مَوْلَهُمْ﴾ مَالِكُهُمْ ﴿الْحَقِّي﴾
الثَّابِتَ الْعَدْلَ لِحُجَازِهِمْ ﴿أَلَا لَهُ الْحُكْمُ﴾ الْقَضَاءُ النَّافِذُ فِيهِمْ ﴿وَهُوَ أَسْرِعُ
الْخَبِيرِينَ﴾ بِحَاسِبِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ فِي قَدَرِ نِصْفِ نَهَارٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا؛
الْحَدِيثُ (٣) بِذَلِكَ.

[٦٣] ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِأَهْلِ مَكَّةَ: ﴿مَنْ يُضَيِّعْكُمْ مِنْ طُلُوتِ آلِيكَ﴾^(١) وَأَيُّكُمْ أَهْلُهَا فِي أَصْفَارِكُمْ حِينَ تَدْعُونَهُ نَصْرًا عَلَانِيَةً وَفَقِيَةً سِرًّا يَقُولُونَ: لَكَيْنِ لَا مَقْسَمَ أَجْمَعًا﴾ وفي قراءة: ﴿أَجْمَعًا﴾^(٢) أَي: اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الظُّلُمَاتِ وَالشَّدَائِدِ تَكُونُ مِنَ الْمُتَضَكِّينَ الْمُؤْمِنِينَ.

[٦٤] قُلْ لَهُمْ: اللَّهُ يُجْجِكُمْ ﴿٥﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿٥﴾ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ عَمَّ سِوَاهَا ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ بِهِ.

[٦٥] ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ قَوْكُمْ﴾ من السماء؛ كالجارية والصبيحة ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ﴾. الخلفس ﴿أَوْ يَلِيَّكُمْ﴾ يُلْخِطُكُمْ ﴿يُسَاعِدُ﴾ فِرْقًا مختلفة الأهواء ﴿وَيُلِيَّكُمْ بَعْضُكُم بِأَسْ بَعْضٍ﴾ بالقتال، قال ﷺ لما نزلت: ﴿هَذَا أَهْوَاؤُكُمْ وَأَنْتُمْ﴾، ولما نزل ما قبله: ﴿أَعُوذُ بِوَجْهِكَ﴾ [رواه البخاري] ^(١)، وروى مسلم حديث: «سَأَلْتُ رَبِّي أَلَا يَجْعَلُ بَأْسَ أُمَّتِي بَيْنَهُمْ؟ فَجَعَلْنَاهَا» ^(٢)، وفي حديث: لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ: «أَمَّا إِنَّهَا كَأَيُّهُ وَلَمْ يَأْتِ تَأْوِيلُهَا بَعْدُ» ^(٣) ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ نَصَرْتُ﴾ نيين لهم ﴿وَأَلَا كَيْتُ﴾ الدلالات على قدرتنا ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُوْنَ﴾ يعلمون أن ما هم عليه باطل.

[٦٦] ﴿كَذَّبَ بِهِ﴾ بِالْقُرْآنِ ﴿قَوْمَكَ وَهُوَ الْحَقُّ﴾ الصَّدَقَ ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فَأُجَارِبُكُمْ، إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ، وَأَمْرُكُمْ إِلَى اللَّهِ.. وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ..

[٦٧] ﴿لِكُلِّ نَذِيرٍ﴾ خبر ﴿مُسَقَّرٌ﴾ وقت يقع فيه ويستقر، ومنه عذابكم ﴿وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد لهم.

(١) سبق الرد على ما ذهب إليه المفسر من تأويل هذه الصفة وبيان مذهب السلف فيها.

(٢) حمزة.

(٣) سبق بيان أن هذا سبق قلم من السيوطي رحمه الله ، وأن الحساب يقع في قدر نصف نهار مقداره خمسون ألف سنة وليس أيام الدنيا. راجع تفسير اية (٢٠٢) من سورة البقرة.

(۴) لُنافع وابن کثیر وأبي عمرو وابن عامر.

(٥) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن ذكوان.

(٦) البخاري (٤٦٢٨) عن جابر بن عبد الله مرفوعًا.

(٧) مسلم (٢٨٩٠) عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً.

(٨) رواه الترمذی (٢٩٩٢) وأحمد (١٣٨٧) ونعيم بن حماد في الفتن وابن أبي حاتم وابن مردويه عن سعد بن أبي وقاص مرفوعاً [الدر المنثور (٣/٣٢)] وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن

الترمذی (۵۹۲).

(۹) نفتحها قراءة ابن عامر.

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذِكْرِي لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ إِنَّ بُسُلَ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعِدْ كُلَّ عَدْلٍ لَأُؤْخَذَ مِنْهَا أَوْلَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ أَنْ تَقَابِلَ بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاكُمْ اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ وَأَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى انْتَظِرْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٧١﴾ وَإِنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُنْ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾

[٦٩] وقال المسلمون: إن قمنا كلما خاضوا لم نستطع أن نجلس في المسجد وأن نطوف؛ فنزل: ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ (١) الله ﴿مِنْ حِسَابِهِمْ﴾ أي: الخافضين ﴿مِنْ زَائِدَةٍ﴾ شيء. إذا جالسوهم ﴿وَلَكِنْ﴾

عليهم ﴿ذِكْرِي﴾ تذكرة لهم وموعظة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الخوض. [٧٠] ﴿وَذَرِ﴾ اترك ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ﴾ الذي كلفوه ﴿لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ باستهزائهم به ﴿وَعَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ فلا تتعرض لهم - وهذا قبل الأمر بالقتال - ﴿وَذَكِّرْ﴾ عظم ﴿بِهِ﴾ بالقرآن الناس لـ ﴿أَنْ﴾ لا ﴿تُبْسِلَ نَفْسٌ﴾ تسلم إلى الهلاك ﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾ عملت ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيٌّ﴾ ناصر ﴿وَلَا شَفِيعٌ﴾ يمنع عنها العذاب ﴿وَإِنْ تَعِدْ كُلَّ عَدْلٍ﴾ تقدي كل فداء ﴿لَأُؤْخَذَ مِنْهَا﴾ ما تقدي به ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ ماء بالغ نهاية الحرارة ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم ﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ بكفرهم.

[٧١] ﴿قُلْ أَدْعُوا﴾ أعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ بتركها؛ وهو: الأصنام ﴿وَرُدُّكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ رجع مشركين ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَاكُمْ﴾ إلى الإسلام ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ أَصْلَتُهُ﴾ الشَّيَاطِينُ في الأرض حيران متحيرا؛ لا يدري أين يذهب، حال من: الهاء (٢) ﴿لَهُ﴾ أصحاب ﴿رُفَقَةٌ﴾ يدعونهم إلى الهدى؛ أي: ليهدهو الطريق؛ يقولون له: ﴿انْتَظِرْ﴾ فلا يجيبهم؛ فيهلك، والاستفهام (٣): للإنكار، وجملة التشبيه: حال من ضمير ﴿تُرَدُّكُمْ﴾ ﴿قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ﴾ الذي هو الإسلام ﴿هُوَ﴾ الهدى وما عداه ضلال ﴿وَأَمْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ أي: بأن نسلم ﴿لِرَبِّ الْغُلَامِ﴾.

[٧٢] ﴿وَأَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْهُ﴾ - تعالى - ﴿وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ تجمعون يوم القيامة؛ للحساب.

[٧٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: مُحَقًّا. ﴿وَذَكَرَ﴾ يوم يقول للشيء: ﴿كُنْ فَيَكُنْ﴾ هو: يوم القيامة؛ يقول للخلق: قوموا؛ فيقوموا. ﴿قَوْلُهُ الْحَقُّ﴾ الصديق الواقع لا محالة ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾ القرن؛ النفخة الثانية من إسرائيل، لا مُلْك فيه لغيره ﴿لَئِنْ أَسْأَلْتُكَ الْيَوْمَ لِلَّهِ﴾ (٤) ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شوهد ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في خلقه ﴿الْخَبِيرُ﴾ بباطن الأشياء كظواهرها.

(١) ذكر البغوي عن ابن عباس نحوه (١٥٥/٣).

(٢) أي: الضمير في: ﴿اسْتَهْوَتْهُ﴾.

(٣) في قوله: ﴿انْتَظِرْ﴾.

(٤) غافر: ١٦.

[٧٤] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرٌ ۖ هُوَ لَقِيهِ وَاسْمُهُ تَارِحٌ^(١)﴾ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ تَعْبُدُهَا ۖ اسْتَفْهَامٌ تَوْبِيخٌ ﴿إِنِّي أَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُ سِنِينَ ۖ فِي ضَلَالٍ عَنِ الْحَقِّ ۖ مُبِينٌ﴾ تَبَيَّنَ.

[٧٥] ﴿وَكَذَلِكَ ۖ كَمَا أَرَيْنَاهُ إِضْلَالَ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ ۖ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ مُلْكٍ ۖ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَيْسَتِلْ بِهِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِنَا ۖ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بها، وجملة ﴿وَكَذَلِكَ﴾ وما بعدها: اعتراض وعطف على ﴿قَالَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَزَّ أَظْلَمُ ۖ عَلَيْهِ أَلِيلٌ رَمًا كَوَّكَبًا﴾ قيل: هو الزُّهْرَةُ ﴿قَالَ﴾ لقومهم - وكانوا نجَّامين -: ﴿هَذَا رَبِّي﴾ في زعمكم ﴿فَلَمَّا أَفَلَ﴾ غاب ﴿قَالَ لَا أُحِبُّ إِلَّا طَالِيتَ﴾ أن أتخذهم أرباباً؛ لأن الرب لا يجوز عليه التغير والانتقال^(٢)؛ لأنهما من شأن الحوادث؛ فلم ينجع فيهم ذلك.

[٧٧] ﴿فَلَمَّا رَمَا الْقَمَرَ بَارِغًا﴾ طالعا ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ﴾ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِي رَبِّي ۖ يَبْتَغِي عَلَى الْهَدَىٰ ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ تعريض لقومهم؛ بأنهم على ضلال؛ فلم ينجع^(٣) فيهم ذلك.

[٧٨] ﴿فَلَمَّا رَمَا الشَّمْسُ بَارِغَةً قَالَ هَذَا ۖ ذَكَرُهُ ۖ لَنذَكِّرَهُ خَيْرُهُ^(٤)﴾ رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ۖ مِنَ الْكُوكَبِ وَالْقَمَرِ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ ۖ وَقَوِيَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ ۖ وَلَمْ يَرْجِعُوا ۖ قَالَ يَتَقَوَّمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ۖ بِاللَّهِ - مِنَ الْأَصْنَامِ وَالْأَجْرَامِ الْمُحْدَثَةِ الْحَتَّاجَةِ إِلَى مُخَيِّدٍ ..

[٧٩] فقالوا له: ما تعبد؟ قال: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ ۖ قَصَدْتُ بَعَادَتِي ۖ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: الله ﴿حَنِيفًا ۖ مِثْلًا إِلَى الدِّينِ الْقَدِيمِ ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ به.

[٨٠] ﴿وَسَاجِدٌ قَوْمُهُ ۖ جَادَلُوهُ فِي دِينِهِ ۖ وَهَدَّوهُ بِالْأَصْنَامِ ۖ أَنْ تَصْبِيهِ بِسَوْءٍ إِنْ تَرَكَهَا ۖ قَالَ أَتُحْجِجُونِي ۖ بِتَشْدِيدِ النُّونِ ۖ وَتَخْفِيفِهَا ۖ بِحَذْفِ إِحْدَى النُّونَيْنِ^(٥) ۖ وَهِيَ: نُونُ الرَّفْعِ عِنْدَ النُّوحَةِ ۖ وَنُونُ الْوَقَايَةِ عِنْدَ الْقَرَاءَةِ - أَتُجَادِلُونَنِي فِي ۖ وَحِدَانِيَةِ ۖ اَللَّهِ وَقَدْ هَدَّنِي ۖ - تَعَالَى - إِلَيْهَا ۖ وَلَا أَتَأَنَّفُ مَا تَشْرِكُونَ ۖ هُ ۖ بِاللَّهِ ۖ مِنَ الْأَصْنَامِ ۖ أَنْ تَصْبِيَنِي بِسَوْءٍ ۖ لَعَلَّ قُدْرَتَهَا عَلَى شَيْءٍ ۖ إِلَّا ۖ لَكِنَّ ۖ أَنْ يَسَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۖ مِنَ الْمَكْرُوهِ يَصِيبُنِي ۖ فَيَكُونُ ۖ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۖ أَي: وَسِعَ عِلْمُهُ كُلَّ شَيْءٍ ۖ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۖ هَذَا فَتُؤْمِنُونَ؟ ۖ

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ عَازِرٌ ۖ هُوَ لَقِيهِ وَاسْمُهُ تَارِحٌ ۖ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً ۖ تَعْبُدُهَا ۖ اسْتَفْهَامٌ تَوْبِيخٌ﴾ وَكَذَلِكَ ۖ كَمَا أَرَيْنَاهُ إِضْلَالَ أَبِيهِ وَقَوْمِهِ ۖ نَرَىٰ إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ مُلْكٍ ۖ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَيْسَتِلْ بِهِ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِنَا ۖ وَلَيْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿فَلَمَّا جَزَّ أَظْلَمُ ۖ عَلَيْهِ أَلِيلٌ رَمًا كَوَّكَبًا﴾ قَالَ لَا أُحِبُّ إِلَّا طَالِيتَ ﴿فَلَمَّا رَمَا الْقَمَرَ بَارِغًا﴾ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنَ لَمْ يَهْدِي رَبِّي ۖ يَبْتَغِي عَلَى الْهَدَىٰ ﴿لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ﴾ فَلَمَّا رَمَا الشَّمْسُ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ۖ مِنَ الْكُوكَبِ وَالْقَمَرِ ۖ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَتَقَوَّمُ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وَحَاجَّةُ قَوْمُهُ ۖ قَالَ أَتُحْجِجُونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَّنِي ۖ وَلَا أَخَافُ مَا تَشْرِكُونَ بِهِ ۖ إِلَّا أَنْ يَسَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۖ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

[٨١] ﴿وَكَيْفَ أَتَأَنَّفُ مَا أَشْرَكْتُمْ ۖ بِاللَّهِ - وَهِيَ لَا تَنْصُرُ وَلَا تَنْفَعُ - وَلَا تَخَافُونَ ۖ أَنْتُمْ مِنَ اللَّهِ ۖ أَتَنْكُرُونَ أَشْرَكَتُمْ بِاللَّهِ ۖ فِي الْعِبَادَةِ ۖ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ ۖ بَعَادَتِهِ ۖ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا ۖ حُجَّةً وَبَرَهَانًا - وَهُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ - فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ۖ أَنَحْنُ أَمْ أَنْتُمْ؟ ۖ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۖ مَنْ الْأَحَقُّ بِهِ؟ أَي: وَهُوَ: نَحْنُ؛ فَاتَّبِعُوهُ.

(١) ويقرأ بالحاء المعجمة، والحاء المهملة، وقيل: إن أَرَزَ اشْتُهُ، وتَارَحُ تَقَبُّهُ.

(٢) وهذه العبارة مجملة، ولم ترد في كلام السلف، فإن أراد بها نفي صفات الفعل من الجهي والزلزال الإلهي وغيرها من الصفات التي أثبتها الله لنفسه وأثبتها له رسوله ﷺ، فهذا تأويل وتعطيل وهو خلاف مذهب السلف، وإن أراد بها نفي التغير الذي يقتضي نقضا فيكون المعنى صحيحا، ولكن هذه الألفاظ لم ترد في كلام السلف، فالأولى اجتنابها.

(٣) أي: يؤثر ويؤيد.

(٤) وهو قوله: ﴿رَبِّي﴾.

(٥) بالتخفيف والحذف قراءة نافع وابن ذكوان.

على وحدانية الله - من أقول الكوكب وما بعده - والخبز: ﴿عَاتِقَتَهَا إِبْرَاهِيمَ﴾ أرشدناه لها؛ لحجة ﴿عَلَى قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ شَأْنِهِ﴾ بالإضافة والتثنية^(٢)؛ في العلم والحكمة ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلَيْهِ﴾ بخلقه.

[٨٤] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ ابنه ﴿وَكُلًّا﴾ منهما ﴿هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل إبراهيم ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ﴾ أي: نوح ﴿دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ﴾ ابنه ﴿وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ﴾ ابن يعقوب ﴿وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿نَجَّيْنَا الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٨٥] ﴿وَذَكَرْنَا وَيْحَى﴾ ابنه ﴿وَعِيسَى﴾ ابن مريم؛ فيد أن الذرية تتناول أولاد البنت ﴿وَالْيَاسَ﴾ ابن أخي^(٣) هارون؛ أخي موسى ﴿كُلٌّ﴾ منهم ﴿مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾.

[٨٦] ﴿وَأَسْمَاعِيلَ﴾ ابن إبراهيم ﴿وَالْيَسَعَ﴾ اللام زائدة ﴿وَيُوشَعَ وَطُوطًا﴾ ابن هارون؛ أخي إبراهيم ﴿وَكُلًّا﴾ منهم ﴿فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ بالنبوة.

[٨٧] ﴿وَمِنَ آيَاتِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾ عطف على «كُلًّا» أو «نُوحًا»، و«مِنْ»: للتبعية؛ لأن بعضهم لم يكن له ولد، وبعضهم كان في ولده كفر ﴿وَأَجْنِبْتَهُمْ﴾ اختارناهم ﴿وَهَدَيْنَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٨٨] ﴿ذَلِكَ﴾ الدين الذي هدوا إليه ﴿هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنَ عِبَادِهِ﴾ وكو أشركوا؛ فرضا ﴿لَحِيطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٨٩] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب ﴿وَاللَّكَّاءَ﴾ الحكمة ﴿وَالنُّبُوَّةَ﴾ فإن يكفر بها؛ أي: بهذه الثلاثة ﴿هَؤُلَاءِ﴾ أي: أهل مكة ﴿وَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا﴾ أرصدنا لها ﴿قَوْمًا لِّيُؤْثِرُوا بِهَا الْكُفْرَ﴾ هم: المهاجرون والأنصار.

[٩٠] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ﴾ هم ﴿اللَّهُ فَبُهِدْتَهُمُ﴾ طريقهم من التوحيد والصبر ﴿أَقْنَدَهُ﴾ بهاء السكت وقفاً وصلوا، وفي قراءة^(٤): بحذفها وصلوا ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿أَجْرًا﴾ تعطينه ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنسان والجن.

الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٨٨﴾ وَبِذَلِكَ حُجِّتُنَا عَنْ رَبِّهِمْ عَلَى قَوْمِهِ تَرْفَعُ دَرَجَتٍ مِّنْ شَأْنِهِ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ وَرَكَرَبْنَا وَيْحَى وَعِيسَى وَالْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٩١﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَطُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٩٢﴾ وَمِنَ آيَاتِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَأَجْنِبْتَهُمْ وَهَدَيْنَهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٩٣﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنَ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لِّيُؤْثِرُوا بِهَا الْكُفْرَ فِي الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبُهِدْتَهُمْ أَقْنَدَهُ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٥﴾

[٨٢] قال - تعالى -: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا﴾ يخلطوا ﴿إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي: شريك - كما فُسر بذلك في حديث الصحيحين^(١) - ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمَنُ﴾ من العذاب ﴿وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾.

[٨٣] ﴿وَبِذَلِكَ﴾ مبتدأ، ويُبدل منه: ﴿حُجِّتُنَا﴾ التي احتج بها إبراهيم

(١) وهو حديث ابن مسعود: لما نزلت ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الآية [الأنعام: ٨٢] شق ذلك على المسلمين وقالوا: أيما لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «فَبِذَلِكَ، إِنَّمَا هُوَ الشُّكُّ، أَنَّمْ تَشْفَعُوا قَوْلَ لَقَدْ كَانَ لَآئِه: «يَبْقَى لَا شَرِيكَ لَآئِهَ بِكَ أَفَتَرَىٰ لَطْفًا عَظِيمًا» [لقمان: ١٣]... الحديث. البخاري (٤٦٢٩)، ومسلم (١٢٤).

(٢) بالإضافة قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي كنعان: «ابن هارون» قال: وهو الصحيح؛ فيلبس من ذرية هارون.

(٤) حمزة والكسائي.

[٩١] ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا وَيَسْتَفْتُونَ بِهِ قُلْ كَثِيرٌ مِّنْ عِلْمِهِمْ مُّغْتَبَاهُ وَمَا لَمْ يَخْلُقْوا إِلَهُاتٌ وَلَا آباءُؤُكُمُ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِهِمْ وَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا بِاللَّهِ ثُمَّ قُلْ إِنَّ إِلَهُنَّ لَاحِدٌ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَتَنَزَّلُ فِي السَّمَوَاتِ فِي سَحَابٍ مُمِيزٍ ﴿٩٢﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ بِمَبَرِّكَ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾

[٩٣] ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ بَادِعَاءِ النَّبِيِّ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَهْلٌ يَنْبَغُ ۖ أَوْ قَالَ أَوْحَى إِلَيْهِ وَحْيٌ ۖ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ أَهْلٌ يَنْبَغُ ۖ نَزَلَتْ فِي مُنْبَغِهَا﴾

﴿وَمَنْ قَالَ سَأَزِلُّ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾ وهم المستهزون، قالوا: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَنُفَسِّنَا مِنْهُ هَذَا﴾ ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذَا الظَّالِمُونَ الْمَذْكُورُونَ فِي عَمْرَاتٍ سَكَرَاتٍ ۖ الْوَرَى وَالْمَلَكُوتُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ إِلَيْهِمْ بِالضَرْبِ وَالْعَنْدَبِ وَيَقُولُونَ لَهُمْ تَعْنِيفًا: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ إلينا؛ لنقبضها ﴿الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ الهوان ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ بدعوى النبوة والإيحاء كذبًا ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِنَا تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تكبرون عن الإيمان بها، وجواب «لَوْ»: رَأَيْتُمْ أَمْرًا فُظِيحًا.

[٩٤] ﴿وَقُلْ يُقَالُ لَهُمْ - إِذَا بَعَثُوا - لَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَىٰ مِنْفَرِدِينَ عَنِ الْأَهْلِ وَالْمَالِ وَالْوَلَدِ ۖ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ أي: حفاة عراة غرولاً ﴿وَرَكْنَكُمْ مَا حَوَّلْنَاكُمْ﴾ أعطيناكم من الأموال ﴿وَرَأَىٰ ظُهُورَكُمْ﴾ في الدنيا بغير اختياركم ﴿وَقُلْ يُقَالُ لَهُمْ تَوَيْحًا: ﴿مَا تَرَىٰ مِنْكُمْ شُفَعَاءَ﴾ الأصنام ﴿الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ﴾ أي: في استحقاق عبادتكم ﴿شُرَكَاءُ﴾ لله ﴿لَقَدْ

تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ ﴿وَضَلَّكُمْ﴾ أي: تشتت جمعكم، وفي قراءة: بالنصب^(١)؛ طرف؛ أي: وضلَّكم بيشكم ﴿وَضَلَّكُمْ﴾ ذهب ﴿عَنْكُمْ﴾ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ من شفاعتها.

(١) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أي: «يجعلون»، و«يدعون»، و«يجفون».

(٣) أخرجه العبري نحوه عن ابن عباس في جامع البيان (١٧٧/٢)، وابن أبي حاتم في تفسيره، وحسن صاحب الاستيعاب إسناده (١٤٥/٢).

(٤) بالياء قراءة شعبة.

(٥) أي: الآخرة.

(٦) أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن جريج، وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة، وأخرجه ابن جرير وأبو الشيخ عن عكرمة [الدر المنثور (٥٦/٢)]. وقال صاحب

الاستيعاب: «إسناده ضعيف جدًا» (٤٨/٢).

(٧) بالرفع قراءة حمزة وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة: هو فاعل «تَقَطَّعَ»، و«البي» بمعنى: الوصل، وهو المراد هنا، ويطلق ويراد به البعد، من باب تسمية الأضداد.

(٨) والفاعل في هذه القراءة: ضمير يعود على الوصل المفهوم من قوله: ﴿شُفَعَاءَكُمْ﴾ و«شُرَكَاءَكُمْ»؛ لأن بين الشفع والمشفوع له اتصال، و«بَيْنَكُمْ» ظرف له، والتقدير: تقطع الوصل فيما بينكم.

[١٠٢] ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ وَحُذِّرُهُ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿حَفِظَ﴾.

[١٠٣] ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ (١) أَي: لا تراه، وهذا مخصص؛ لرؤية المؤمنين له في الآخرة؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُنْظِرُ نَازِعَةُ﴾ (٢) إِلَى رَبِّهَا نَازِعَةً (٣) وحدث الشيخين ﴿إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ كَمَا تَتَرُونَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ الْبَدْرِ﴾ (٤) وقيل: المراد: لا تحيط به ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ أَي: يراها، ولا تراه، ولا يجوز في غيره أن يدرك البصر وهو لا يدركه أو يحيط به علماً ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ بأوليائه ﴿وَالْخَبِيرُ﴾ بهم.

[١٠٤] قل يا محمد لهم: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ﴾ حُجَجٌ ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ﴾ ها قَامَنَ ﴿فَلْيَفْصَحْ﴾ أبصر؛ لأن ثواب إبصاره له ﴿وَمَنْ عَمِيَ﴾ عنها؛ فضل ﴿فَعَلَيْهَا﴾ وبال إضلاله ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمِصْرِطٍ﴾ رقيب لأعمالكم، إنما أنا نذير.

[١٠٥] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بينا ما ذكر ﴿نُصْرَفُ﴾ نين ﴿الْآيَاتِ﴾ ليعتبروا ﴿وَيَقُولُوا﴾ أَي: الكفار في عاقبة الأمر: ﴿إِذَا زُرْتُمُوهَا﴾ (١) ذكرت أهل الكتاب، وفي قراءة: ﴿ذُرْتُمْ﴾ أَي: كتب الماضين؛ وجمت بهذا منها ﴿وَلْيُذَكِّرُوا الْقَوْمَ بِعَمَلِهِمْ﴾.

[١٠٦] ﴿أَتَجْعَلُ مَا يُرَىٰ إِلَيْكَ مِنْ ذِكْرٍ﴾ أَي: القرآن ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٧] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ رقيباً؛ فتجازيهم بأعمالهم ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ فتجبرهم على الإيمان - وهذا (٢) قبل الأمر بالقتال..

[١٠٨] ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَي: الأصنام ﴿فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا﴾ اعتداء وظلماً ﴿وَبَغْيًا عَلِيمًا﴾ أَي: جهلاً منهم بالله ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زينا لهؤلاء ما هم عليه ﴿رَبَّنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ﴾ من الخير والشر؛ فأثروهم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ﴾ في الآخرة ﴿فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ فيجازيهم به.

[١٠٩] ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أَي: كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ أَي: غاية اجتهدهم فيها ﴿وَلَكِنْ جَاءَهُمْ بِآيَةٍ﴾ مما اقترحوا ﴿يُؤْمِنُونَ بِهَا قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا الْأَيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزلها كما يشاء، وإنما أنا نذير ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ﴾ يدريكم بإيمانهم إذا جاءت؛ أَي: أنتم لا تدرون ذلك ﴿إِنَّمَا﴾ (١) إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿لَا مَسَاقِفَ فِي عِلْمِي﴾، وفي قراءة: بالناء (٢) خطاباً للكفار، وفي أخرى:

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلْيَفْصَحْ وَمَنْ عَمِيَ فَاعْلَمْ﴾ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظٍ ﴿وَكَذَلِكَ نُصْرِفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلْيُبَيِّنَ لَهُ الْقَوْمُ يَعْلَمُونَ﴾ أَسْبَغَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾

يفتح (أن)؛ بمعنى: لعل، أو معمولاً لما قبلها.

[١١٠] ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ﴾ نحول قلوبهم عن الحق؛ فلا يفهمونه ﴿وَأَبْصُرُهُمْ﴾ عنه؛ فلا يبصرونه؛ فلا يؤمنون ﴿كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ أَي: بما أنزل من الآيات ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ﴾ نتركهم ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ ضلالهم ﴿يَعْمَهُونَ﴾ يترددون متحيرين.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن مسروق قال: قلت لعائشة (رضي الله عنها) هل رأى محمد (ﷺ) ربه؟ فقالت: لقد قفْتُ شعري بما قلت، أين أنت من ثلاث؟ من حدثكهم فقد كذب؛ من حدثك أن محمداً (ﷺ) رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾... ولكن رأى جبريل (عليه السلام) في صورته مرتين. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة النجم (٥٣) باب (١)، وأخرجه مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٧٨) إثبات رؤية المؤمنين ربه في الآخرة.

(٢) القيامة: ٢٢، ٢٣.

(٣) أخرج نحوه البخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٣).

(٤) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ ابن عامر بفتح السين أيضاً ﴿ذُرْتُمْ﴾ بمعنى: التحدث.

(٥) أَي: الأمر بالإعراض عن المشركين، وليس الإخبار على الإيمان.

(٦) وهي قرلة ابن كثير وأبي عمرو، وشعبة بخلافه.

(٧) حمزة وابن عامر، ولا يقرأ بالناء إلا من يقرأ «هأن» [أنها] بالفتح. أما من يقرأ بكسر «إن» فينعي معها الياء في «لا يؤمنون».

﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ ذلك.

[١١٢] ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ كما جعلنا هؤلاء أعداءك، ويبدل منه: ﴿شَيْطَانٍ﴾ مرّة ﴿الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ﴾ موهبة من الباطل ﴿غُرُورًا﴾ أي: ليغروهم ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلَهُ﴾ أي: الإيهام المذكور ﴿فَذَرْنَهُمْ﴾ دع الكفار ﴿وَمَا يَفْعُرُونَ﴾ من الكفر وغيره مما زين لهم - وهذا قبل الأمر بالقتال ..

[١١٣] ﴿وَلْيَصْغُرْ﴾ عطف على ﴿غُرُورًا﴾ أي: تميل ﴿إِلَيْهِ﴾ أي: الزخرف ﴿أَفَعِدَّةٌ﴾ قلوب ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَعْرِضُوا﴾ يكسبوا ﴿مَا هُمْ مُقْتَرِفُونَ﴾ من الذنوب؛ فيعاقبوا عليه. ونزل - لما طلبوا من النبي ﷺ أَنْ يجعل بينه وبينهم حكماً -: [١١٤] قل: ﴿أَفَتَعْبَأُكُمْ اللَّهُ بِآيَاتِي﴾ ^(١) أطلب ﴿حُكْمًا﴾ قاضياً بيني وبينكم ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿مُفَصَّلًا﴾ مبيناً فيه الحق من الباطل ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿يَمْلِكُونَ أَنْتُمْ إِنْ تُرِيدُوا﴾ بالصغيف والتشديد ^(٢) ﴿مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ فلا تكونون من الممتنعين الشاكين فيه، والمراد بذلك: التقرير للكفار أنه حق.

[١١٥] ﴿وَوَسَّاتُ﴾ [كَلِمَاتُ] ^(٣) رَبِّكَ ﴿بِالْأَحْكَامِ وَالْمَوَاعِيدِ﴾ صدقاً وعدلاً ﴿تَمِيزُ﴾ لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ ﴿بِقِصِّ أَوْ حَلِيفٍ﴾ ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْعَلِيمُ﴾ ^(٤) بما يفعل.

[١١٦] ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: الكفار ﴿يُضِلُّوكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾ في مجادلهم لك في أمر الميتة؛ إذ قالوا: ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ يكذبون في ذلك.

[١١٧] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وهو أعلم ﴿بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فيجازي كلّ منهم.

[١١٨] ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ بِكُمْ﴾ أي: ذبح على اسمه ﴿إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ﴾

﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا وَكَانَ هُمُ الْمُتَوَقِّعُونَ﴾ وحشرنا عليهم كل شيء قبلًا ما كانوا يؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانٍ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْنَهُمْ وَمَا يَفْعُرُونَ﴾ وليصغُر إليهم أفيدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليعرضوا وليقتروا ما هم مقترفون ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونُونَ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ ووسَّاتُ كلمت ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلمته وهو السميع العليم ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وهو أعلم بالْمُهْتَدِينَ ﴿فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرَ أَسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِنَا مُؤْمِنِينَ﴾

[١١١] ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَكَيْنَا وَكَانَ هُمُ الْمُتَوَقِّعُونَ﴾ كما اقترحوا وحشرنا جمعنا عليهم كل شيء قبلًا بضمين؛ جمع ﴿قَبِيلٍ﴾ أي: فوجاً فوجاً، وبكسر القاف وفتح الباء ^(١)؛ أي: معانية؛ فشهدوا بصدقك ﴿مَا كَانُوا يُؤْمِنُونَ﴾ لما سبق في علم الله ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ إيمانهم؛ فيؤمنوا

(١) فائدة: أخرج النسائي عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال: لما أمر النبي ﷺ بحفر الخندق عرضت لهم صخرة حالت بينهم وبين الحفر، فقام رسول الله ﷺ وأخذ يقول ووضع رداءه ناحية الخندق، وقال: ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ فندر - أي سقط - ثلث الحجر، وسلمان الفارسي قائم ينظر، فبرق مع ضربة رسول الله ﷺ برقاً، ثم ضرب الثانية وقال: ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ وهو السميع العليم فندر الثلث الآخر، فبرقت برقاً فراها سلمان. ثم ضرب الثالثة وقال: ﴿وَوَسَّاتُ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مَبْدَلَ لِكَلِمَتِهِ﴾ فندر الثلث الباقي، وخرج رسول الله ﷺ فأخذ رداءه وجلس. النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (٤٢) غزوة الترك والحشنة، وحسنه الألباني في صحيح سنن النسائي (٢٩٧٦).

(١) بالكسر قراءة نافع وابن عامر.

(٢) لم أجده.

(٣) بالخفيف قراءة السبعة عدا ابن عامر وحفص.

(٤) قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

[١١٩] ﴿وَمَا لَكُمْ أَنْ﴾ ﴿لَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ من الذبائح ﴿وَقَدْ فَضَّلَ﴾ بالبناء للمفعول، وللفاعل في الفعلين^(١) ﴿لَكُمْ مَا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾^(٢) في آية ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أَيْسَتُهُ﴾ ﴿إِلَّا مَا أَضْطَرُّنَا إِلَيْهِ﴾ منه؛ فهو أيضاً حلال لكم؛ المعنى: لا مانع لكم من أكل ما ذكر، وقد بين لكم الحرام أكله؛ وهذا ليس منه ﴿وَإِنْ كَثِيرٌ لَيُضِلُّونَ﴾ بفتح الياء وضمها^(٣) ﴿يَأْهَوِيهِمْ﴾ بما نهوا أنفسهم؛ من تحليل الميتة وغيرها ﴿يَغَيِّرُ عَلَيْهِ﴾ يعتمدونه في ذلك ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ المتجاوزين.

[١٢٠] ﴿وَذَرُوا﴾ اتركوا ﴿ظَهَرَ الْآثَرُ وَبَاطِنُهُ﴾ علانيته وسره، و﴿الْإِثْمُ﴾ قيل: الرنا، وقيل: كل معصية ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ﴾ في الآخرة ﴿يَمَّا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ﴾ يكتسبون.

[١٢١] ﴿وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ بأن مات، أو ذبح على اسم غيره، وإلا فما ذبحه المسلم ولم يُسمَ فيه عمداً أو نسياناً؛ فهو حلال، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي^(٤) ﴿وَإِنَّهُ﴾ أي: الأكل منه^(٥) ﴿لَفِسْقٌ﴾ خروج عما يحل ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُفْسِدُ﴾ يوسوس ﴿إِلَى أَوْلِيَاءِهِمُ﴾ الكفار ﴿لِيُجْدِلَكُمْ﴾ في تحليل الميتة ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ﴾ فيه ﴿إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾^(٦).

[١٢٢] وَنَزَلَ فِي أُنْبِيَاءٍ جَهْلٍ وغيره: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا﴾ بالكفر ﴿فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ بالهدى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ﴾ في النَّاسِ يتبصر به الحق من غيره؛ وهو: الإيمان ﴿كَمَنْ مَثَلُهُ﴾ «مثل»: زائدة؛ أي: كمن هو ﴿فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ وهو: الكافر؟ لا ﴿كَذَلِكَ﴾ كما زين للمؤمنين الإيمان ﴿رُئِينَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والمعاصي.

[١٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا فُشَاق مكة أكابرها ﴿جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مَجْرِمِيهَا لِيَتَذَكَّرُوا فِيهَا﴾ بالصد عن الإيمان ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ لأن وباله عليهم ﴿وَمَا تَشْعُرُونَ﴾ بذلك.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿آيَةٌ﴾ على صدق النبي ﷺ ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهِ﴾ حَتَّىٰ نَوْقَ وَيُشَلَّ مَا أَوْفَىٰ رُسُلُ اللَّهِ ﷻ من الرسالة والوحي؛ إني؛ لأننا أكثر مالا، وأكبر سيئاً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾ بالجمع والأفراد^(٧)، و﴿حَيْثُ﴾ مفعول به لفعل دل عليه ﴿أَعْلَمُ﴾

وَمَا لَكُمْ أَنْ لَا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَضَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطَرُّنَا إِلَيْهِ وَإِنْ كَثُرَ يَظُنُّونَ بِأَهْوَابِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ وَذَرُوا ظَهَرَ الْآثَرِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرْ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَيُفْسِدُ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجْدِلَكُمْ وَأَنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ أَوْ مَنْ كَانَ مِنَّا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْثَرَ مَجْرِمِيهَا لِيَتَذَكَّرُوا فِيهَا وَمَا يَتَذَكَّرُونَ إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَا حَتَّىٰ نَوْقَ وَمِثْلَ مَا أَوْفَىٰ رُسُلُ اللَّهِ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ

أي: يعلم الموضع الصالح لوضعها فيه؛ فيضعها، وهؤلاء ليسوا أهلًا لها ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ بقولهم ذلك ﴿صَغَارٌ﴾ ذُلٌّ ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ بما كَانُوا يَمْكُرُونَ أي: بسبب مكرهم.

(٥) ما جاء في نزول الآيات: (١١٩ - ١٢١): أخرجه الترمذي عن عبد الله بن عباس قال: أتى ناس النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله، أتأكل ما تقتل، ولا تأكل ما يقتل الله؟ فأمر الله: ﴿تَذَكَّرُوا﴾ ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧) سورة الأنعام. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٥٤).

(١) بالبناء للمفعول قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، ووافقه في الثاني حمزة والكسائي وشعبة.

(٢) المائدة: ٣.

(٣) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) وعند مالك وأبي حنيفة ورواية عن أحمد: إن تركها عمداً لا تؤكل.

(٥) وقيل: إن الضمير يعود على ما ذكر اسم غير الله عليه عند الذبح، ويؤيده قوله تعالى: ﴿أَوْ يَشَأْ أُولَ الْغَيْرِ اللَّهُ يَدْرُ﴾.

(٦) بالجمع قراءة السبعة عدا ابن كثير وحفص.

أي: يسلمه ﴿عَلَّ الذِّبْنَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٢٦] ﴿وَهَذَا﴾ الذي أنت عليه يا محمد ﴿صِرْطُ﴾ طريق ﴿رَبِّكَ﴾ مستقيماً لا عوج فيه، ونصبه على الحال المؤكد للجملته، والعامل فيها معنى الإشارة ﴿فَدَفَضْنَا﴾ بِنَا ﴿الْأَيَّتْ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛ أي: يتعظرون، ونُحْصُوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون.

[١٢٧] ﴿لَهُمْ دَارُ السَّلَٰمِ﴾ أي: السلام؛ وهي الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهَا﴾ وما كانوا يعملون.

[١٢٨] ﴿وَإِذْ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون وانباء^(٦)؛ أي: الله الخلق ﴿جَمِيعًا﴾ ويقال لهم: ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ قَدِ اسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ﴾ يا عواظكم ﴿وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمُ﴾ الذين أطاعوهم ﴿مِنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ انتفع الإنس بتزوين الجن لهم الشهوات، والجن بطاعة الإنس لهم ﴿وَكَلَنَّا آبِلَانَا الَّذِي أَتَلَّتْ لَنَا﴾ وهو يوم القيامة، وهذا تحسر منهم ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم على لسان الملائكة^(٧): ﴿النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ﴾ مأواكم ﴿خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ من الأوقات التي يخرجون فيها لشرب الحميم^(٨)؛ فإنه خارجها؛ كما قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرِيجَهُمْ لَكُلِّ لَٰحِجٍ﴾^(٩) وعن ابن عباس: أنه فيمن علم الله أنهم يؤمنون ف«مأ» بمعنى: «من» ﴿إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[١٢٩] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض ﴿تُؤْتَى﴾ من الولاية ﴿بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا﴾ أي: على بعض ﴿وَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي.

[١٣٠] ﴿يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ أي: من مجموعكم؛ أي: بعضكم الصادق بالإنس، أو رسل الجن نُذِرُهُمُ الذين يسمعون كلام الرسل فيبلغون قومهم ﴿يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ عَائِنِي وَبَدَرْتُمْ بِإِقْرَارِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا﴾ أن قد بلغنا، قال - تعالى -: ﴿وَعَرَّضْنَاهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فلم يؤمنوا ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشَحْ صَدْرَهُ لِإِسْلَامِهِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٧﴾ وَهَذَا صِرْطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَضَلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٨﴾ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُمْ وَلِيُّهَا يُعَالِمُونَ ﴿١٢٩﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَمْعَشَرُ الْجِنُّ قَدْ اسْتَكْرَرْتُمْ مِنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَائُهُمْ مِنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَلْتِ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوًى لَكُمْ فَخَلَدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّنَا حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٠﴾ وَكَذَلِكَ نُفِي بَعْضُ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣١﴾ يَمْعَشَرُ الْجِنُّ وَالْإِنسُ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ عَائِنِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَعَرَّضْنَاهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٢﴾

[١٢٥] ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَمْشَحْ صَدْرَهُ لِإِسْلَامِهِ﴾ بأن يقذف في قلبه نوراً؛ فينفسح له ويقبله - كما ورد في حديث^(١) - ﴿وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢)؛ عن قبوله ﴿خَرَجًا﴾ شديد الضيق؛ بكسر الراء: صفة، وفتحها^(٣): مصدر؛ وصف فيه مبالغة ﴿كَأَنَّمَا يَصْعَدُ﴾ وفي قراءة: ﴿يَصْأَعِدُ﴾^(٤) وفيهما إدغام التاء في الأصل في الصاد، وفي أخرى بسكونها^(٥) ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ إذا كلف الإيمان لشدة عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ الجعل ﴿يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ﴾ العذاب أو الشيطان؛

(١) يشير إلى ما جاء في حديث: لما نزلت هذه الآية شيل رسول الله ﷺ عن صدره، فقال: «هُوَ نُورٌ يُقَدِّمُهُ اللَّهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ؛ فَيَنْشُرُ لَهُ وَيَنْفِخُ لَهُ...» الحديث. أخرجه الطبري في جامع البيان (٢٧/٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٢٥)، وإسناده ضعيف جداً؛ فيه عبد الله بن المسور وهو متروك كما قال الدارقطني.

(٢) بالكسر قراءة نافع وشعبة.

(٣) لابن كثير.

(٤) بالنون قراءة السبعة عدد حفص.

(٥) ظاهر الآية أن هذا الكلام من الله تعالى إليهم، وفيها إثبات صفة الكلام لله ﷻ كما هو مذهب السلف. وقول المصنف: على لسان الملائكة، صرف اللفظ عن ظاهره بغير دليل، وربما هذا فرار من إثبات صفة الكلام لله ﷻ. والله أعلم.

(٦) في معنى هذا الاستثناء أقوال عدة للمفسرين، فذهب بعضهم إلى أنها شاملة لعصاة الموحدين وللكفار، والمستثنى المعصاة؛ لأنهم لا يخلدون، ورؤى بأن السياق في بيان حال الكفار، وبأن استعمال ﴿مَّا﴾ للعقلاء قليل، وذهب بعضهم إلى أن المراد المدة التي كانوا فيها في الدنيا والبرخ ويوم القيامة قبل دخولهم النار، وذهب بعضهم إلى أن المراد الفل من النار إلى الزمهرير، وقيل: المراد المبالغة في الخلود؛ بمعنى: أنه لا ينتهي إلا وقت مشيئة الله، وهو مما لا يكون. وقيل: المراد بيان أن أمرهم موكول إلى الله، وأن ذلك ليس بأمر واجب عليه. وقيل: المراد إلا ما شاء من زيادة عذابهم، وقيل: استثنى قولاً سبق علمه أنهم يسلمون. وقيل غير ذلك، فאלله أعلم.

(٩) الصفات: ٦٨.

[١٣١] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إرسال الرسل ﴿أَنْ﴾ اللام مقدره، وهي مخففة؛ أي: لأنه ﴿لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقَرَىٰ بِظُلْمٍ﴾ منها ﴿أَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ لم يُوسِّل إليهم رسول بين لهم؟

[١٣٢] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من العالمين ﴿دَرَجَاتٌ﴾ جزاء ﴿وَمَا عَمِلُوا﴾ من خير وشر ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالباء والتاء^(١).

[١٣٣] ﴿وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ﴾ عن خلقه وعبادتهم ﴿ذُو الرَّحْمَةِ﴾ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ، يا أهل مكة بالإهلاك ﴿وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ﴾ من الخلق ﴿كَأَنَّمَا أَشْرَكْتُمْ مِنْ دُونِهِ قَوْمًا﴾ أذهبهم؛ ولكنه أبغاكم رحمة لكم.

[١٣٤] ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ﴾ من الساعة والعذاب ﴿لَآتٍ﴾ لا محالة ﴿وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ فائتين عذابنا.

[١٣٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتَوَكَّرَ﴾ اتَّعَلَوْا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ حالتكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ عسى حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ من موصولة؛ مفعول العلم ﴿تَكُونُ لَكُمْ عَقَبَةً﴾ الدَّارُ: أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، نحن أم أنتم ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ﴾ يسعد ﴿الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون.

[١٣٦] ﴿وَجَعَلُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿يَوْمَ مِمَّا ذُرًّا﴾ خلق ﴿مِنَ الْحَرِّ﴾ الزرع ﴿وَالْأَنْعَامَ نَصِيبًا﴾ يصرفونه إلى الضيغان والمساكين، ولشركائهم نصيبًا يصرفونه إلى سدنتها ﴿فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ﴾ بالفتح والضم^(٢) ﴿وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ فكانوا إذا سقط في نصيب الله شيء من نصيبها التقطوه، أو في نصيبها شيء من نصيبه تركوه؛ وقالوا: إن الله غني عن هذا. كما قال - تعالى -: ﴿كَانَ لِشُرَكِّيهِمْ قَلِيلٌ﴾ يصِلُ إِلَى اللَّهِ أي: لجهته^(٣) ﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ يَصِلُ إِلَيْكَ شُرَكَائِهِمْ﴾^(٤) ساءَ بئس ﴿مَا يَحْكُمُونَ﴾ حكمهم هذا.

[١٣٧] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما زين لهم ما ذُكِرَ ﴿ذُنُوبَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ﴾ بالوَأَدُ ﴿شُرَكَائِهِمْ﴾ من الجن؛ بالرفع: فاعل ﴿ذُنُوبَ﴾، وفي قراءة: بينائه للمفعول ورفع «قتل»، ونصب «الأولاد» به، وجر «شركائهم» بإضافته^(٥)، وفيه الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول - ولا يضر^(٦) - وإضافة القتل إلى الشركاء لأمرهم به ﴿يُزَادُهُمْ﴾ يهلكوهم ﴿وَلَيْسُوا بِدِينِهِمْ﴾ يخلطوا ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا قَدْرَهُمْ وَمَا يُفَرُّونَ﴾

ذَلِكَ أَنْ تَرَىٰ كُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقَرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الْغَفِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَشْرَكْتُمْ مِنْ دُونِهِ قَوْمًا أَخَذَهُمْ إِنْ مَانُوا وَعَدُونَ لَا تُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٣﴾ قُلْ يَتَوَكَّرَ اتَّعَلَوْا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ حَالَتُمْ إِنْ يَكُونُ لَكُمْ عَقَبَةً الدَّارُ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٤﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذُرًّا مِنَ الْحَرِّ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ بِرْغِمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ يُزَادُهُمْ وَلَيْسُوا بِدِينِهِمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوا قَدْرَهُمْ وَمَا يُفَرُّونَ ﴿١٣٦﴾

(١) بالتاء قراءة ابن عامر.

(٢) أي: للزاي، والضم للكسائي.

(٣) أي: إلى المضارفين التي شرع الله الصرف فيها؛ كالصدقة وصلة الرحم وقري الضيف.

(٤) أي: يجعلونه لأنهم يتفقونها في مصالحها.

(٥) لابن عامر.

(٦) يرد على من أنكر ذلك.

﴿وَأَنعَمْتَ حُرْمَتَ طُهُورِهَا﴾ فلا تركب؛ كالسوايب والحوامي ﴿وَأَنعَمْتَ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عند ذبحها، بل يذكرون اسم أصنامهم، ونسبوا ذلك إلى الله ﴿أَفَرَأَيْتَ عَلَيْهِ سَيِّجَرِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ عليه.

[١٣٩] ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ﴾ الحرمة؛ وهي: السوايب والباحث ﴿خَالِصَةً﴾ حلال ﴿لِنُكُونُوا وَنَحْمَدُ عَلَى أَرْوَاجِنَا﴾ أي: النساء ﴿وَإِنْ تَكُنْ فِتْنَةً﴾ بالرفع والنصب^(١) مع تأنيث الفعل وتذكيره^(٢) ﴿فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيِّجَرِيهِمْ﴾ الله ﴿وَصَفَّهُمْ﴾ ذلك بالتحليل والتحريم؛ أي: جزاءه ﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ﴾ في صنعه ﴿عَلِيمٌ﴾ بخلقه.

[١٤٠] ﴿قَدْ خَيْرَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٣) ﴿أَوْلَدَهُمْ﴾ بالوأة ﴿سَفَهًا﴾ جهلاً ﴿يَعْتَرِ عَلَيْهِمْ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ﴾ عما ذكر ﴿أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ فَضْلًا﴾ ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^(٤).

[١٤١] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ﴾ خلق ﴿جَنَّتَيْ﴾ بساتين ﴿مَعْرُوشَتَيْ﴾ مبسوطات على الأرض؛ كالبطيخ ﴿وَعَيْرَ مَعْرُوشَتَيْ﴾ بأن ارتفعت على ساق؛ كالنخل ﴿وَمَا أَنشَأَ﴾ أنشأ ﴿النَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُمْ﴾ ثمره وخلفه في الهيئة والطعم ﴿وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَاطَ مُتَشَبِهًا﴾ ورقهما، حال ﴿وَعَيْرَ مُتَشَبِهًا﴾ طعمهما ﴿كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ قبل النضج ﴿رَمَاتُوا حَقَّهُ﴾ زكاته ﴿يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ بالفتح والكسر^(٥)، من الغشْرِ^(٦) أو بضمه^(٧) ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾ بإعطاء كنه^(٨)؛ فلا يبقى لبعاليكم شيء ﴿إِنَّمَا لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين ما حُدَّ لهم.

[١٤٢] ﴿وَمَا أَنشَأَ﴾ من الأنعام حِمْلَةً؛ صالحة للحمل عليها؛ كالإبل الكبار ﴿وَمَنْشَأَ﴾ لا تصلح له؛ كالإبل الصغار والغنم؛ سُئِلَتْ فرساً؛ لأنها كالفرس للأرض؛ لدنوها منها ﴿كُلُوا وَمَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿طَرِيقَهُ﴾ من التحريم والتحليل ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين العداوة.

﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ جِزْرٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بَرَعِيهِمْ وَأَنعَمْتَ حُرْمَتَ طُهُورِهَا وَأَنعَمْتَ لَا يَذْكُرُونَ أَسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا أَفَتَرَى عَلَيْهِ سَيِّجَرِيهِمْ بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّدُكُونِنَا وَمَحَرَّمٌ عَلَى أَرْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيِّجَرِيهِمْ وَصَفَّهُمْ إِنَّهُ وَحَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ فَضْلًا قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّتَ مَعْرُوشَتٍ وَعَيْرَ مَعْرُوشَتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرِّمَاطَ مُتَشَبِهًا وَعَيْرَ مُتَشَبِهًا كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ وَوَرَمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حِمْلَةٌ وَفَرَسٌ كَلُوا وَمِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾

[١٣٨] ﴿وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْتُ جِزْرٌ حَرَامٌ لَا يَطْعُمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ﴾ من خدعة الأوثان وغيرهم ﴿بَرَعِيهِمْ﴾ أي: لا حجة لهم فيه

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: ﴿قَدْ خَيْرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ إلى قوله: ﴿قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾. البخاري كتاب المناقب (٦١) باب (١٢) قصة زمزم وجعل العرب.

(١) بالرفع لابن كثير وابن عامر.

(٢) بالتأنيث لابن عامر وشعبة.

(٣) بالتشديد لابن كثير وابن عامر.

(٤) أي: جاء «حصادة». بالكسر قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن كثير.

(٥) أي: فيما سقي بغير كلفة؛ كمطر ونحوه من غير آلة.

(٦) أي: فيما احتاج في سقيه إلى كلفة وآلة.

(٧) قوله: «إعطاء كنه فلا يبقى لبعاليكم شيء»؛ تفسيره الإسراف بهذا هو قول محمد بن مروان المعروف بالسدي الصغير، وهو قول غير قوي. واختار ابن جرير الطبري قول عطاء بن أبي رباح أنه نهى عن الإسراف في كل شيء، وظاهر سياق الآية النهي عن الإسراف في الأكل؛ لما فيه من مضرة العقل والبدن؛ كقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ [الأعراف: ٣١].

[١٤٣] ﴿تَمَيِّزَةَ أَرْوَاحٍ﴾ أضاف؛ بدل من ﴿حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ﴾ زوجين ﴿أَنْثَيْنِ﴾ ذكر وأنثى ﴿وَمِنَ الْمَعْزِ﴾ بالفتح والسكر (١) ﴿أَنْثَيْنِ قُلْ﴾ يا محمد - لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإنانها أخرى، ونسب ذلك إلى الله : ﴿لَا تَذَكَّرْنَ﴾ من الضأن والمعز ﴿حَرَّمَ﴾ الله عليكم ﴿أَيُّ الْأُنثَيْنِ﴾ منهما ﴿أَمَّا اسْتَحْلَمْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ﴾ ذكرا كان أو أنثى ﴿تَبْتَغِي بِعِلْمٍ﴾ عن كيفية تحريم ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؛ المعنى: من أين جاء التحريم؟ فإن كان من قبل الذكورة فجميع الذكور حرام، أو الأنوثة فجميع الإناث، أو اشتغال الرحم فالزوجان، فمن أين التخصص؟ والاستفهام للإنكار.

[١٤٤] ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ أَنْثَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أَنْثَيْنِ قُلْ لَّذَكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَيْ الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَحْلَمْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ﴾ بل ﴿كُنْتُمْ شُهَدَاءَ﴾ حضوراً ﴿إِذْ وَصَّيْنَاهُ اللَّهُ بِهَذَا﴾ التحريم، فاعتمدتم ذلك! لا بل أنتم كاذبون فيه ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَطْلَعُ مِنِّي أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بذلك ﴿يُضِلُّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

[١٤٥] ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ أي: ذبح على اسم غيره ﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ إِلَى شَيْءٍ مِمَّا ذُكِرَ فَأكَلَهُ﴾ ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ (٢) ﴿فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ﴾ له ما أكل ﴿رَجِيمٌ﴾ به، ويلحق بما ذكر بالشئ كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير.

[١٤٦] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود ﴿حَرَمَتَا كُلِّ ذِي ظُفْرٍ﴾ وهو ما لم تفرق أصابعه؛ كالإبل والنعام ﴿وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمَتَا عَلَيْهِمَا شُحُومُهُمَا﴾ (٣) الثروب (٤)، وشحم الكلى ﴿إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا﴾ أي: ما علق بها منه ﴿أَوْ﴾ حملته ﴿الْحَوَائِصَ﴾ الأمعاء، جمع حوايا، أو حواية ﴿أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِظُفْرٍ﴾ منه؛ وهو: شحم الإلية؛ فإنه أحسن لهم ﴿ذَلِكَ﴾ التحريم ﴿حَرَمْتُهُمَا﴾ به ﴿بِغَيْرِهِمَا﴾ بسبب ظلمهم - بما سبق في سورة النساء (٥) - ﴿رَبَّنَا اصْصِلُوا﴾ في أخبارنا ومواعدنا.

تَمَيِّزَةَ أَرْوَاحٍ مِنَ الضَّأْنِ أَنْثَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ أَنْثَيْنِ قُلْ لَّذَكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمَّا الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَحْلَمْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ نَبْغِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَمِنَ الْإِبِلِ أَنْثَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ أَنْثَيْنِ قُلْ لَّذَكَّرَيْنِ حَرَّمَ أَمَّا الْأُنثَيْنِ أَمَّا اسْتَحْلَمْتَ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَاهُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوْحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خَنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ عَفُورٌ رَجِيمٌ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمَتَا كُلِّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَمَتَا عَلَيْهِمَا شُحُومُهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَائِصَ أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِظُفْرٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِغَيْرِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ

(١) بالفتح لاين كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) بابتاء قراءة حمزة وابن كثير وابن عامر.

(٣) وهذا سبق قلم من المصنف كَقَوْلِهِ: فقراءة الرفع مع النوقانية وليس مع النوقانية كما ذكر المصنف، وهي لاين عامر.

(٤) راجع تفسير ﴿غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾ في سورة البقرة آية (١٧٣).

(٥) جمع «ثرب»: شحم رقيق يغشى الكرش والأمعاء، والمراد هنا الذي على الكرش فقط.

(٦) أي: قوه تعالى: ﴿فِيمَا تَفْضِيهِمْ يَشْفَعُهمْ وَكَفَرِهِمْ كَبِدَتْ أَلْوَانُهُ﴾ الآية [النساء: ١٥٥]، إلى قوله: ﴿يُظَلِّقُ مِنَ الْوَيْتِ عَادُوا حَرَمْنَا عَلَيْهِمْ طَيْبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٦٠].

رَحِمَهُ وَسِعَتْهُ ﴿١٤٨﴾ حيث لم يعاجلكم بالعقوبة، وفيه تلطف بدعائهم إلى الإيمان ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ﴾ عَذَابُهُ إِذَا جَاءَ ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[١٤٨] ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ نَحْنُ ﴿وَلَا أَبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ﴾ فَأَشْرَكْنَا وَتَحَرَّمْنَا بِمَشِيتِهِ، فَهُوَ رَاضٍ بِهِ، قَالَ - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ﴾ كَمَا كَذَبَ هَؤُلَاءِ ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رَسُلَهُمْ ﴿حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا﴾ عَذَابَنَا ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ بِأَنَّ اللَّهَ رَاضٍ بِذَلِكَ﴾ فَخَرَجُوهُ لَنَّا ﴿أَي: لَا عِلْمَ عِنْدَكُمْ﴾ إِنْ ﴿مَا﴾ ﴿تَدْعِيهِمْ﴾ فِي ذَلِكَ ﴿إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ﴾ مَا ﴿أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ تَكْذِيبُونَ فِيهِ.

[١٤٩] ﴿قُلْ: إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ حِجَّةٌ﴾ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴿الْقَامَةُ﴾ ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿قُلْ هَلَمْ شَهِدَ أَمْ كُمْ﴾

[١٥٠] ﴿قُلْ هَلَمْ﴾ أَحْضَرُوا ﴿شَهِدَاءَكُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا﴾ الَّذِي حَرَّمْتُمُوهُ ﴿إِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرْيَبُونَ بَعْدَ اللَّوْنِ﴾ يَشْرِكُونَ.

[١٥١] ﴿قُلْ تَسَالَوْا أَتَلَوْا﴾ أَمَّا ﴿مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ أَهْلُ نُ، فَفُسْرَةٌ ﴿لَا تَحْزَنْكُمْ بِهِ شَيْئًا﴾ وَحَسْبُوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ﴿بِالْوَادِ﴾ مِنْ أَجْلِ ﴿إِمْلَاقٍ﴾ فَقَرَّ تَخَافُونَهُ ﴿تَحْنُ تَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ الْكِبَارَ، كَالزُّنَا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أَي: عِلَانِيَتِهَا وَسِرَّهَا ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ كَالْقَوْدِ، وَحَدِّ الرَّذَّةِ، وَرَجَمِ الْمُحْصَنِ ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿وَصَنَّكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ^(١) تَتَدَبَّرُونَ.

فَإِنْ كَذَّبُوا فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٩﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٥٠﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْتُكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٥١﴾ قُلْ هَلَمْ شَهِدَ أَمْ كُمْ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرْيَبُونَ بَعْدَ اللَّوْنِ ﴿١٥٢﴾ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ تَحْنُ تَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥٣﴾

[١٤٧] ﴿فَإِنْ كَذَّبُوا﴾ فِيمَا جِئْتُ بِهِ ﴿فَقُلْ لَهُمْ: رَبُّكُمْ ذُو

(١) فائدة: أخرج الحاكم في مستدركه (٣٤٨/٢) عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّكُمْ يَبْعِي عَنِّي عَلَى ثَلَاثٍ؟» ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿قُلْ تَسَالَوْا أَتَلَوْا مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾ حَتَّى فَرَغَ مِنَ الْآيَاتِ - فَمَنْ وَفَّى فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ انْتَقَصَ مِنْهُ شَيْئًا فَأَذْرَكَهُ اللَّهُ بِهِ فِي الدُّنْيَا كَانَتْ عِقَابُهُ، وَمَنْ أَخْرَى إِلَى الْآخِرَةِ فَأَمَرَهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَابُهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَقَالَ الْحَاكِمُ: صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يَجْعَلْهُ. وَأَجْرُهُ أَيْضًا مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرِ فِي تَعْظِيمِ قَدْرِ إِصْلَاحِ (٦١٥/٢).

تنفعها توبتها؛ كما في الحديث ﴿قُلْ أَنْتَظِرُونَ﴾ أخذ هذه الأشياء ﴿إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ ذلك.

[١٥٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَرَأُوا دِيْنَهُمْ﴾ باختلافهم فيه؛ فأخذوا بعضه وتركوا بعضه ﴿وَكَانُوا يَشْكُرُونَ﴾ فرقا في ذلك، وفي قراءة: ﴿فَارْزُقُوا﴾^(١) أي: تركوا دينهم الذي أمروا به؛ وهم: اليهود والنصارى ﴿لَسْتَ فِي شَيْءٍ أَيْ: فلا تعرض لهم﴾ ﴿لَمَّا أَسْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ﴾ يتولاه ﴿وَمَنْ يَنْتَظِرْهُمْ﴾ في الآخرة ﴿يَمَّا كَانُوا يَقُولُونَ﴾ فيجازيهم به، وهذا منسوخ بآية السيف.

[١٦٠] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿فَلَمْ يَشْكُرْ مَثَلَهَا﴾ أي: جزاء عشر حسنات ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا﴾ أي: جزاءه ﴿وَمَنْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ينقصون من جزائهم شيئا.

[١٦١] ﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ويبدل من محله: ﴿وَبِنَا قِيمًا﴾ مستقيما^(٢) ﴿يَلَهُ إِزْهَمٌ حَيْفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٦٢] ﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي عِبَادَتِي مِنْ حَجٍّ وَغَيْرِهِ﴾ وبجائى حياتي ﴿وَمَسَاجِدِي﴾ موتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٦٣] ﴿لَا شَرِيكَ لَمْ﴾ في ذلك ﴿وَبِذَلِكَ﴾ أي: التوحيد ﴿أُفْرِزْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.

[١٦٤] ﴿قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِّي رَبِّي﴾ أي: لا أطلب غيره ﴿وَهُوَ رَبُّ الْمَالِكِ﴾ كل شيء ولا تكسب كل نفس ذنبا ﴿إِلَّا عَلَيْهِمَا وَلَا تَزُرُ﴾ تحمل نفس ﴿وَارِدَةً﴾ أمة ﴿وَزَرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكَ مَرْجِعُكُمْ فَيُنْشِرُكُمْ يَمَّا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ﴾.

[١٦٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ﴾ جمع خليفة؛ أي: يخلف بعضكم بعضا فيها ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ بالمال والجاه وغير ذلك ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم ﴿فِي مَآءَاتِكُمْ﴾ أعطاكم؛ ليظهر المطيع منكم والعاصي ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَإِنَّكُمْ لَعُودُونَ﴾ للمؤمنين ﴿رَجِيعٌ﴾ بهم.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِيْنَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ قَرِيبٌ يُنْصَرِفُهُمْ يَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ مَثَلٍ هَاتِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيْنًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغْنَى اللَّهُ عَنِّي رَبِّي وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنْشِرُكُمْ يَمَّا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَآءَاتِكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُمْ لَعُودُونَ رَجِيعًا ﴿١٦٥﴾

[١٥٨] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ما ينتظر المكذوبون ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ بالناء والباء^(١) ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره؛ بمعنى: عذابه^(٢) ﴿أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ أي: علاماته الدالة على الساعة ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ وهي طلوع الشمس من مغربها؛ كما في حديث الصحيحين^(٣) ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ الجملة صفة «النفس» ﴿أَوْ﴾ نفسا لم تكن ﴿كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾^(٤) طاعة؛ أي: لا

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرأها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾». البخاري. كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٠)، وأخرجه مسلم. كتاب الإيمان (١) باب (٧٢) بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان.

(٢) بالباء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهذا تأويل لهذه الصفة من صفات الفعل التي أتيها ربنا ﷻ لنفسه، ونحن نتبناها له ونؤمن بها على الوجه اللاتق به. شحناؤه. ولا يشبه إتيانه إتيان الخلقين، ﴿لَسْتَ كَيْتِلُورَ شَيْءٍ وَهُوَ أَلَسُوْمُ الْخَيْرِ﴾ [الشورى: ١١].

(٤) البخاري (٤٦٣٦)، ومسلم (١٥٧)، وعند مسلم من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه» (٢٧٠٣)، والأخبار في هذا المعنى كثيرة.

(٥) لحمة والكسائي.

(٥) وهذا التفسير على القراءة بالتشديد، وهي لنافع وابن كثير وأبي عمرو، وأما على قراءة باقي السبعة بدون تشديد فعلى أنه مصدر نعت به، وأصله «فَوْزَم» كدَوْعُزْ، فَعُلُوعٌ لإعلال فَعْلِيلٍ كالقيام.

سُورَةُ الْأَعْرَافِ

[مكية إلا ﴿وَسَتَلَهُمْ﴾ عَنْ الْقَرْيَةِ ﴿الْثَمَانِ أَوْ الْخَمْسِ آيَاتِ، مائتان وخمس أو : ست آيات، نزلت بعد (ص)﴾ (*)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْتَصَّ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بمراده بذلك.

[٢] هذا ﴿كُنْتُ أُنْزِلُ إِلَيْكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ﴾ ضيق ﴿وَمَنْهُ﴾ أَنْ تبلغه مخافة أَنْ تكذب ﴿لِيُنْذِرَ﴾ متعلق بـ ﴿أُنْزِلَ﴾ أي: للإنذار بـ ﴿وَذَكَرْتُ﴾ تذكرة ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

[٣] قل لهم: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلُ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ أي: القرآن ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا﴾ تتخذوا ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره ﴿أُولَئِكَ﴾ تطيعونهم في معصيته - تعالى - ﴿فَلَا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ بالثناء والياء^(١): تعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي قراءة: يسكونها^(٢)، و﴿مَا﴾ زائدة؛ لتأكيد القلة.

[٤] ﴿وَكَمْ﴾ خبرية، مفعول ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ أردنا إهلاكها ﴿فَجَاءَهَا بِأَسَافٍ﴾ عذابنا ﴿يَبُتًا﴾ ليلًا ﴿أَوْ هُمْ قَالُوا﴾ ناعمون بالظفيرة؛ والقيلولة: استراحة نصف النهار وإن لم يكن معها نوم؛ أي: مرة جاءها ليلًا، ومرة جاءها نهارًا. [٥] ﴿مَا كَانَ دَعْوَاهُمْ﴾ قولهم ﴿يَذْجَأْهُمْ بِأَسَافٍ﴾ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ.

[٦] ﴿فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ﴾ أي: الأمم عن إجابتهم الرسل، وعملهم فيما بلغهم ﴿وَلَنَسْأَلَنَّ الْقُرْسِيِّينَ﴾ عن الإبلاغ.

[٧] ﴿فَلَنَقْصُرَ عَنْهُمْ﴾ لنخبرهم عن علم بما فعلوه ﴿وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ﴾ عن إبلاغ الرسل والأمم الخالية فيما عوموا.

[٨] ﴿وَالْوَزْنَ﴾ للأعمال أو لصحافتها بميزان له لسان وكفتان - كما ورد في حديث^(٣) - كائن ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم السؤال المذكور؛ وهو: يوم القيامة ﴿الْحَقُّ﴾ العدل، صفة الوزن ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالחסنات ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[٩] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسيفات ﴿فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بتصويرها إلى النار ﴿يَمَّا كَانُوا يَكِيدُونَ بِظُلْمٍ﴾ بجحودون.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ﴾ يا بني آدم ﴿فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ﴾ بالياء^(٤)؛ أسبابًا تعيشون بها، جتمع معيشة ﴿فَلَا مَا﴾ لتأكيد القلة ﴿شَكَرْتُمْ﴾ على ذلك.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْمَص ﴿١﴾ كُنْتُ أُنْزِلُ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِيُنْذِرَ بِهِ وَذَكَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلُ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أُولَئِكَ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيِّنًا أَوْ هُمْ قَالُوا ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسَافٍ إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُرَ عَنْهُمْ بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ يَمَّا كَانُوا يَكِيدُونَ بِظُلْمٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾

[١١] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ﴾ أي: أباكم آدم ﴿فَمَّا صَوَّرْنَاكُمْ﴾ أي: صورناه وأنتم في ظهركم ﴿فَمَّا قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجدوا تحيةً بالانحناء ﴿سَجَدُوا﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أبا الجن؛ كان بين الملائكة ﴿لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن مروان بن الحكم قال: قال لي زيد بن ثابت: «ما لك تقرأ في المغرب بقصار؟» وقد سمعت النبي ﷺ يقرأ بطولي الطولين. البخاري - كتاب الأذان (١٠) باب (٩٨) القراءة في المغرب. وأخرج أبو داود وزاد: وقال - أي ابن أبي مليكة راوي الحديث - : قلت: وما طولي الطولين قال: - أي عروة بن الزبير الراوي عن مروان - : الأعراف، والأخرى الأعمام. أبو داود - كتاب الصلاة (٢) باب (١٢٢) قدر القراءة في المغرب، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٢٨).

(١) قوله: «بالتاء» أي: مع تشديد الذال بعدها، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقوله: «والياء» أي: قبل التاء مع تخفيف الذال، وهي قراءة ابن عامر. (٢) هكذا في النسخ المطبوعة التي بأيدينا، وهو سهو من المصنف رحمه الله، وصوابه: «بتخفيفها» أي: الذال، وحاصله: أن في «تذكرون» ثلاث قراءات سبعة هي: «تذكرون» بالتاء مع تشديد الذال وتخفيفها، و«تذكرون» بياء قبل التاء.

(٣) أخرج ابن المنذر واللائكالي عن عبد الملك بن أبي سليمان قال: ذكر الميزان عند الحسن فقال: له لسان وكفتان. وأخرج أبو الشيخ عن الكلبي في قوله: ﴿وَالْوَزْنَ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: ٨] قال: أخبرني أبو صالح عن ابن عباس أنه قال: له لسان وكفتان يوزن، فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم ومنالهم في الجنة بما كانوا ياتونهم يظلمون [الدر المنثور (٢/١٢٩)]، وأخرج البيهقي في الشعب عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «الميزان له لسان وكفتان، يوزن فيه الحسنات والسيئات»، ولم أقف على حديث مرفوع فيه ذكر الميزان.

(٤) أي: باتفاق القراء؛ لأن الياء أصلية.

[١٥] ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ وفي آية أخرى: ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾^(١) أي: يوم النفخة الأولى.

[١٦] ﴿قَالَ فِيمَا آغُوتِي﴾ أي: يا غواثك لي؛ و«الباء» للقسام وجوابه ﴿لَأَمْتَدَنَّ لَكُمْ﴾ أي: لبني آدم ﴿مِنْ رَبِّكَ الْمُسْتَقِيمِ﴾ أي: على الطريق الموصل إليك.

[١٧] ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ أي: من كل جهة؛ فأمنعهم عن سلوكه، قال ابن عباس: ولا يستطيع أن يأتي من فوقهم؛ لئلا يحول بين العبد وبين رحمة الله - تعالى. ﴿وَلَا تَحِذُ أَكْثَرَهُمْ شُرَكَاتٍ﴾ مؤمنين.

[١٨] ﴿قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا بِالْهَمزة؛ معيبًا أو مَقْمُومًا مَذْمُومًا﴾ مُبْعَدًا عن الرحمة ﴿لَنْ يَمَكَّ مِنْهُمْ﴾ من الناس؛ و«اللام» للابتداء، أو موطئة للقسام؛ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: منك بذريعتك ومن الناس، وفيه تغليب الحاضر على الغائب، وفي الجملة معنى جزاء «من» الشرطية؛ أي: من تبعك أعذبه.

[١٩] ﴿ذُكِرَ﴾ قال: ﴿تَقَادُمُ أَشْكُنَ أَتَ﴾ تأكيد للضمير في ﴿أَسْكُنَ﴾ ليعطف عليه ﴿وَرَوْحًا﴾ حواء، بالمد ﴿الْجَنَّةَ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْنَا وَلَا نَفْرًا﴾ هَذِهِ الشَّجَرَةُ ﴿بِالْأَكْلِ مِنْهَا﴾ وهي: الخنطة^(٢) ﴿فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾.

[٢٠] ﴿فَوَسَّوَسَ لَهَا الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿يَبْدِي﴾ يظهر ﴿لَهَا مَا وُورِيَ﴾ فُوعِلَ؛ من المواراة ﴿عَنْهَا مِنْ سَوَاءٍ تِهْمًا وَقَالَ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا﴾ كراهة ﴿أَنْ تَكُونَا مَلَائِكِينَ﴾ وقرئ بكسر اللام^(٣) ﴿أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ أي: وذلك لازم عن الأكل منها؛ كما في آية أخرى: ﴿هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةٍ تُقْلَدُ وَمَلِكٌ لَا يَبْلُغُ﴾^(٤).

[٢١] ﴿وَقَاسَمَهُمَا﴾ أي: أقسم لهما بالله ﴿إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في ذلك.

[٢٢] ﴿فَذَلَّلَهُمَا﴾ حَطَّطَهُمَا عن منزلتهما ﴿يُفْرِدُونَ﴾ منه ﴿فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ﴾ أي: أكلَا منها ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءُهُمَا﴾ أي: ظهر لكل منهما فُتْلُهُ وَقِيلَ الْآخَرُ وَذُبُرُهُ، وَشُمُيَ كُنْ مِنْهُمَا سَوَاءٌ؛ لَأَن انكشافه يسوء صاحبه ﴿وَطَوَّيْنَا بِخُصْفَانِ﴾ أَخَذَا يَلْزِقَانِ ﴿عَلْتِيْمَا مِنْ رَزْقِ الْجَنَّةِ﴾ ليسترا به ﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ يَسُّ الْعَدَاوَةِ، والاستفهام للتقرير.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿قَالَ فَأَهْطِ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ قَالَ فِيمَا آغُوتِي لَا أَقْدِرَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ قَالَ أَخْرَجْنَا مِنْهَا مَذْمُومًا وَمَا مَذْمُومًا لَمْ يَتَبَعَكَ مِنْهُمْ إِلَّا مَلَائِكَةُ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿وَقَدْ أَدْرَأْسُكُنَ أَنْتَ وَرَوْحُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَّا مِنْ حَيْثُ شِئْنَا وَلَا نَفْرًا هَذِهِ الشَّجَرَةُ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوَاءٍ تِهْمًا وَقَالَ مَا نَهَكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَائِكِينَ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ فَذَلَّلَهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوَاءُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ رَزْقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

[١٢] ﴿قَالَ﴾ - تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ إِذْ﴾ حين ﴿أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ فَأَهْطِ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ فَاخْرُجْ ﴿مِنْهَا﴾ ﴿إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ الدَّالِّينَ.

[١٤] ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي﴾ أخرني ﴿إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

(١) الحجر: ٣٨.

(٢) لم يرد ما يعتمد عليه في تعيين هذه الشجرة، ولا حاجة إلى ذلك؛ لأنه ليس المقصود معرفة عين تلك الشجرة، وما لا يكون مقصودًا لا ينبغي الانشغال به - كما ذكر أهل التحقيق.

(٣) وهي قراءة شاذة.

(٤) طه: ١٢٠.

[٢٣] ﴿قَالَ رَبِّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا بِمَعْصِيَتِنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٢٤] ﴿قَالَ أَهْطُوا﴾ أي: آدم وحواء؛ بما اشمئتما عليه من ذريتهما ﴿بَعْضُكُمْ﴾ بعض الذرية ﴿لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ من ظلم بعضهم بعضاً ﴿وَلَكَّرَ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا﴾ أي: مكان استقرار ﴿وَمَتَّعَ﴾ تمتع ﴿إِلَى حِينٍ﴾ تنقضي فيه أجالكم.

[٢٥] ﴿قَالَ فِيهَا﴾ أي: الأرض ﴿يَحْيَوْنَ﴾ وفيها تموتون وميتها ﴿تَخْرُجُونَ﴾ بالبعث، بالبناء للفاعل والمفعول^(١).

[٢٦] ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِسَانَ﴾ أي: خلقناه لكم^(٢) ﴿يُؤَدِّرُ﴾ يستر ﴿سَوَاءَ بَيْنِكُمْ وَرِيشًا﴾ وهو ما يتجمل به من الثياب ﴿وَلِبَاسٍ الْقَوِيُّ﴾ العمل الصالح والسمت الحسن، بالنصب^(٣) عطف على ﴿لِسَانَ﴾، والرفع مبتدأ، خبره: جملة ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ﴾ فيؤمنون، فيه التفات عن الخطاب.

[٢٧] ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ لَا يَفْقَهُكُمْ﴾ بضلكم ﴿الشَّيْطَانُ﴾ أي: لا تتبعوه؛ ففتنوا ﴿كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ﴾ بفتنته ﴿وَمِنَ الْجَنَّةِ بَيعَ﴾ حال ﴿عَنْهُمْ﴾ لِبَاسَهُمَا يُرِيهِمَا سَوَاءَ بَيْنَهُمَا إِنَّهُمُ: أي: الشيطان ﴿رَبِّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ﴾ جنوده ﴿وَمِنْ حَيْثُ لَا رَوْحَهُمْ﴾ للظافة أجسادهم، أو عدم ألوانهم ﴿إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ﴾ أعواناً وقرناء ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً﴾ كالشرك، وطوافهم بالبيت عراً قائلين: لا نطوف في ثياب عصينا الله فيها. فنهوا عنها ﴿قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا﴾ فاقصدنا بهم ﴿وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا﴾ أيضاً ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: إِنْ أَلَّ اللَّهُ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ؟ أنه قاله، استفهام إنكار.

[٢٩] ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَأَقِيمُوا﴾ معطوف على معنى ﴿بِالْقِسْطِ﴾ أي: قال: أقسطوا وأقيموا. أو قبله فاقبلوا، مقدراً ﴿وَجُوهَكُمْ﴾ لله ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ أي: أخلصوا له سجودكم ﴿وَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ﴾ خلقكم ولم تكونوا شيئاً ﴿تَعُودُونَ﴾ أي: يعيدكم أحياء يوم القيامة.

[٣٠] ﴿فَرِيقًا﴾ منكم ﴿هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾.

(١) بالبناء للفاعل وابن ذكوان.

(٢) وهذا أحد الأقوال، وهو كقولهم تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ نَمِيَّةً آتِيَةً﴾ أي: خلق، وقيل: المراد المطر الذي ينبت به القطن والكتان. فجعل المسبب بمنزلة السبب، وقيل: المعنى: ألهمناكم كيفية صنعه. وقيل: المعنى: قضينا وقسمنا لكم؛ حيث كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وقضاه - شيخانته - مما توصف بالنزول. وقيل: هو على ظاهر معناه المعروف، فإنه ينزل من ظهور الأنعام من أصولها وأوبارها وأشعارها، وهذا الأخير هو الأقرب. وفي الآية إثبات صفة علوية. جل وعلا. فوق خلقه، وهو ما يتحاشى المفسر - عفا الله عنه - إثباته موافقة لمذهب الأشعري. ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِنْهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾ وانظر مجموع الفتاوى (٢٤٦/١٢ - ٢٥٧).

(٣) وهي قراءة نافع والكسائي وابن عامر.

قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهْطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَّعَ إِلَى حِينٍ ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ يَبْنِيْ عَادَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِسَانَ يُؤَدِّرُ لَكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسَ الْقَوِيِّ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَبْنِيْ عَادَمَ لَا يَفْقَهُكُمْ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوَاءَ بَيْنَهُمَا إِنَّهُ رَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا رَوْحَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذَا فَعَلُوا فَحْشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا ءَابَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾

لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣٢﴾

[٣٢] ﴿قُلْ﴾ إنكاراً عليهم: ﴿مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ من اللباس ﴿وَالطَّيِّبَاتِ﴾ المستلذات ﴿وَمِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بالاستحقاق، وإن شاركهم فيها غيرهم ﴿خَالِصَةً﴾ خاصة بهم، بالرفع والنصب^(١)، حال ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ﴾ نبيئها مثل ذلك التفصيل ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يتدبرون؛ فإنهم المتفعلون بها.

[٣٣] ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ﴾ الكبائر؛ كالزنا ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ أي: جهرها وسرها ﴿وَالْإِثْمَ﴾ المعصية ﴿وَالَّذِينَ عَلَى النَّاسِ يُنْفِذُونَ أَمْرَهُمْ﴾ وهو الظلم ﴿وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَا يَرِئُهُ﴾ بإشراكه ﴿سُلْطَانًا﴾ حجة ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ من تحريم ما لم يحرم وغيره.

[٣٤] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ﴾ عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَنْقِذُونَ﴾ عليه.

[٣٥] ﴿يَبْنِيْءَ ءَادَمَ إِنَّمَا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِنَّ﴾ الشرطية في «ما» المريدة ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنْتَهَى عَنْهُ الشَّرْكَ﴾ وأصلح عمله ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ في الآخرة.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاشْتَبَذُوا﴾ تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٣٧] ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾ القرآن ﴿أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ عَنْهُمُ﴾ يصيبهم ﴿حُطَّتْهُمْ﴾ حُطَّتْهُمْ ﴿مِنْ الْكِتَابِ﴾ مما كتب لهم في اللوح المحفوظ من الرزق والأجل وغير ذلك ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا﴾ أي: الملائكة ﴿يَقُولُونَ لَهُمْ تَبَكُّوا﴾ لهم تبكيتاً: ﴿إِنِّي مَا كُنْتُ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنْهَا﴾ فلم نرهم ﴿وَسُيُودًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ عند الموت ﴿أَلْهَتُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾.

﴿يَبْنِيْءَ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عَنِ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ ﴿وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالَّذِينَ يَتَّبِعِيهِ الْغَيْرُ الْحَقُّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَنْقِذُونَ﴾ ﴿يَبْنِيْءَ ءَادَمَ إِنَّمَا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ مَا يَنْتَهَى عَنْهُ الشَّرْكَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنْهَكُمُ عَنْهُمُ رَبُّهُمْ مِنْ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَقَّعُوهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنْهُمْ وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾

[٣١] ﴿يَبْنِيْءَ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ﴾ ما يستر عورتكم^(٢) ﴿عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ عند الصلاة والطواف ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾ ما شئتم ﴿وَلَا تُسْرِفُوا﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (٣١): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانة فتقول: من يعبرني تطوافاً يجعله على فرجها؟ تقول: اليوم يلدو بعضه أو كله. فما بدا منه فلا أحله. فنزلت هذه الآية: ﴿خُذُوا زِينَتَكُمْ عَنِ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) باب (٢) رقم (٣٠٢٨).

(٢) بالرفع قراءة نافع.

[٣٨] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم يوم القيامة: ﴿ادْخُلُوا فِي﴾ جملة ﴿أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾ متعلق بـ ﴿ادْخُلُوا﴾. ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ النَّارَ﴾ أَلَمَتْ أَخْبَاءَ التي قبلها؛ لضلالها بها ﴿حَتَّى إِذَا أَذَارَكُوا﴾ تلاحقوا ﴿وَبِهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِجْنَهُمْ﴾ وهم الأباغ ﴿وَلَاؤُنْهُمْ﴾ أي: لأجلهم^(١)؛ وهم: المتبوعون: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلَاؤُنَا فَخَانَهُمْ عَذَابًا مُضَاعَفًا﴾ - تعالى -: ﴿لِكُلِّ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ﴾ - ضعف عذاب مُضَاعَفٌ - ولكن لا [يَعْلَمُونَ] - بالياء والناء^(٢)، ما لكل فريق. [٣٩] ﴿وَقَالَتْ أُولُنَّهُمْ لِأَخْرَجْنَهُمْ فَمَا كَانَتْ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ لأنكم لم تكفروا بسببنا؛ فنحن وأنتم سواء، قال - تعالى - لهم: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ يَمَّا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٤٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿عَنْهَا﴾ فلم يؤمنوا بها ﴿لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ إذا غرغ بأرواحهم إليها بعد الموت، يهبط بها إلى «سجين»، بخلاف المؤمن، تفتح له، ويصعد بروحه إلى السماء السابعة؛ كما ورد في حديث^(٣)، ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ﴾ يدخل ﴿الْمَلَكُ فِي سِرِّ الْخِيَاطِ﴾ ثقب الإبرة، وهو غير ممكن، فكذا دخولهم ﴿وَكَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزَى الْمُجْرِمِينَ﴾ بالكفر، [٤١] ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ فراش ﴿وَمِنْ قَوْعِهِمْ غَوَاشٍ﴾ أغطية من النار، جمع غاشية، وتوينه عوض من الياء المحذوفة ﴿وَكَذَلِكَ يَجْزَى الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ مبتدأ، وقوله: ﴿لَا تُكَلِّفُ نَفْسًا وِزْرًا﴾ طاقتهما من العمل اعراض بينه وبين خبره؛ وهو: ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ حقد كان بينهم في الدنيا ﴿يَجْزَى مِنْ تَجَنُّهِمْ﴾ تحت قصورهم ﴿الَّذِينَ هُمْ يُقَالُونَ﴾ عند الاستقرار في منازلهم ﴿الْحَسَدُ بَيْنَ الَّذِينَ هَدَّيْنَا لَهُنَا﴾ العمل الذي هذا جزاؤه ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَّيْنَا اللَّهُ﴾ حذف جواب ﴿لَوْلَا﴾ لدلالة ما قبله عليه.

﴿لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنه، أو مفسرة في المواضع الخمسة ﴿يَكُفِّرُ الْبَلَاءَ أَوْ تَشْمُوها يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٤).

قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كَلِمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أَخْبَاءَهَا حَتَّى إِذَا أَذَارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أَخْرِجْنَهُمْ وَلَاؤُنْهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَصْلَاؤُنَا فَخَانَهُمْ عَذَابًا مُضَاعَفًا مِنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ مِنْكُمْ وَمِنْهُمْ مُضَاعَفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْمَلُونَ وَقَالَتْ أُولُنَّهُمْ لِأَخْرِجْنَهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ يَمَّا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تَفْتَحْ لَهُمُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْخِيَاطُ وَكَذَلِكَ يَجْزَى الْمُجْرِمِينَ لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ قَوْعِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ يَجْزَى الظَّالِمِينَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا وِزْرًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَّيْنَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلٌ رَبَّنَا بِالْحَقِّ وَتُودُوا أَنْ تَكُفِّرُ الْبَلَاءَ أَوْ تَشْمُوها يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

(١) فائدة: أخرج مسلم عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي منادي: إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تعملوا فلا تبأسوا أبدًا، فذلك قول الله ﷻ: ﴿وَتُودُوا أَنْ تَكُفِّرُ الْبَلَاءَ أَوْ تَشْمُوها يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾». مسلم - كتاب الجنة (٥١) باب (٨) في دوام نعيم أهل الجنة.

(١) وفي نسخة «لأجلهم».

(٢) بالياء قراءة شعبة.

(٣) روى أحمد (٨٥٥١)، والنسائي (١٨٣٢)، وابن ماجه (٤٢٦٢) عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال: «الميت تحضره الملائكة؛ فإذا كان الرجل صالحًا، قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة، وأبشري بروح وريحان ورب غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تنتهي إلى السماء السابعة التي فيها الله ﷻ. وإذا كان الرجل سوء، قالوا: اخرجي أيتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث، اخرجي ذميمة، وأبشري بحميم وغساق وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يرجع بها إلى السماء فيستفتح لها فقال: من هذا؟ يقال: فلان، فقال: لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث. ارجعي ذميمة؛ فإنها لا تفتح لك أبواب السماء؛ فترسل من السماء ثم تصير إلى القبر. والحديث أصله في الصحيحين وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٤٣٧).

﴿أَنْ لَّمْ يَكُنْ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٥] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ النَّاسَ﴾ عن سبيل الله ﴿دِينَهُ﴾ وَيَعْتَوْنَ أَي: يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ﴾.

[٤٦] ﴿وَيَنْتَسِبُونَ﴾ أي: أصحاب الجنة والنار ﴿حِجَابًا﴾ حاجر، قيل: هو سور الأعراف ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ﴾ وهو سور الجنة ﴿رِجَالٌ﴾ استوت حسناتهم وسبائهم؛ كما في الحديث^(١) ﴿يَرْفَعُونَ كُلًّا﴾ من أهل الجنة والنار ﴿بِإِسْمِهِمْ﴾ بعلامتهم؛ وهي: بياض الوجوه للمؤمنين وسوادها للكافرين؛ لرؤيتهم لهم؛ إذ موضعهم عال ﴿وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا﴾ قال - تعالى -: ﴿ثُمَّ يَدْخُلُونَهَا﴾ أي: أصحاب الأعراف الجنة ﴿وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾ في دخولها. قال الحسن: لم يطمعهم إلا لكرامة يريد بها بهم. وروى الحاكم عن حذيفة قال: «بينما هم كذلك إذ طلع عليهم ربك فقال: قوموا ادخلوا الجنة؛ فقد غفرت لكم»^(٢).

[٤٧] ﴿وَلَمَّا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ﴾ أي: أصحاب الأعراف ﴿لِلْقَاءِ﴾ جهة ﴿أَصْحَابِ النَّارِ﴾ قالوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِي النَّارِ ﴿مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾.

[٤٨] ﴿وَمَنْ أَضْحَى الْأَعْرَافَ رِجَالًا﴾ من أصحاب النار ﴿يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ﴾ قالوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ^(٣) ﴿أَهْلُولَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ﴾ أي: واستكباركم عن الإيمان، ويقولون لهم مشيرين إلى ضعفاء المسلمين: ﴿أَهْلُولَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ﴾ لا ينالهم الله برحمته ﴿فَدَقِيلَ لَهُمْ﴾ ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ وقرئ: «أَدْخُلُوا» بالبناء للمفعول، و«دَخَلُوا»^(٤) فجملة النفي حال؛ أي: مقولاً لهم ذلك^(٥).

[٥٠] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَيْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ من الطعام ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا﴾ منعهما ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٥١] ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ فآلِئِمَ نَسْنَهُمْ ﴿تَرْكَهُمْ فِي النَّارِ﴾ كما نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا ﴿فَتَرَكُوا فِي النَّارِ﴾ كما كانوا يَتَكَلَّفُونَ بِحَدُوثٍ ﴿أَي: وكما جحدوا.

وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنَّ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ^(٦) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعْتَوْنَ عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ^(٧) وَيَنْتَسِبُونَ حِجَابًا وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَتِهِمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ^(٨) * وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(٩) وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا لَا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَتِهِمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ^(١٠) أَهْلُولَ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنْتَفِعُونَ لَيْسَ لَهُمْ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ^(١١) وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَيْضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ^(١٢) الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا قَالُوا نَسْنَهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا يَتَنَبَّأُونَ بِحَدُوثِ

[٤٤] ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ﴾ تقريراً أو تأكيداً: ﴿أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ من الثواب ﴿حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ﴾ كم ﴿رِزْقَكُمْ﴾ من العذاب ﴿حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ﴾ نادى مناد ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بين الفريقين أسمعهم:

(١) أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه وابن عساكر عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «توضع الميزان يوم القيامة فتوزن الحسنات والسيئات، فمن رجحت حسناته على سيئاته مثقال صوابه دخل الجنة، ومن رجحت سيئاته على حسناته مثقال صوابه دخل النار». قيل: يا رسول الله فمن استوت حسناته وسيئاته؟ قال: «أولئك أصحاب الأعراف» ﴿ثُمَّ يَدْخُلُونَهَا وَهُمْ يَلْمِزُونَ﴾.

والأحاديث والآثار في هذا المعنى كثيرة والدرر المنثور (١/١٦٢).

(٢) الحاكم (٢/٣٢٠)، وقال في التلخيص: على شرط البخاري ومسلم.

(٣) وهما قراءتان شاذتان، على عادة المصنف رحمه الله؛ حيث يغير في الشاذ في الغالب (بقرئ)، وفي السبعي بقوله: «وفي قراءة».

(٤) قال السمين الحلبي: «أَي وعلى هاتين القراءتين؛ فالجملة المنفية في محل نصب بقول مقدر، ذلك القول منصوب على الحال؛ أي مقولاً لهم: لا خوف...» اهـ.

[٥٢] ﴿وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِأَيٍّ أَهْلَ مَكَّةَ بِكِتَابٍ ﴿يَكْتَسِبُ﴾ قُرْآنَ ﴿فَصَلَّنَهُ عَلَىٰ هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بِتَأْوِيلِهِ ﴿هَدًى﴾ حَالٌ مِنَ الْهَاءِ ﴿وَرَحْمَةً﴾ لِيُفْرِمَ يُؤْمِنُونَ ﴿بِهِ﴾ .

[٥٣] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ مَا يَنْتَظِرُونَ ﴿إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ عَاقِبَةُ مَا فِيهِ ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿يَقُولُ الَّذِينَ شَكَّوْهُ مِنْ قَبْلُ﴾ تَرَكُوا الْإِيمَانَ بِهِ: ﴿قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ﴾ قَوْلُ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيُشْفَعُوا لَنَا أَوْ هَلْ تَرَوْهُ ﴿إِلَى الدُّنْيَا﴾ فَتَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴿نُوحِدُ اللَّهُ وَنَتْرَكُ الشِّرْكَ﴾ فَيَقَالُ لَهُمْ: لَا .

قال - تعالى :: ﴿قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ إِذْ صَارُوا إِلَى الْهَلَاكِ ﴿وَصَلَّى﴾ ذَهَبَ ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ مِنْ دَعْوَى الشَّرِكِينَ .

[٥٤] ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا؛ أَيْ: فِي قَدَرِهَا؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ شَمْسٌ، وَلَوْ شَاءَ خَلَقَهُنَّ فِي لَحْظَةٍ، وَالْعَدُولُ عَنْهُ لِعَلِمَ خَلْقَهُ التَّثَبُّتُ ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ عَلَى الْمَرْجِ﴾ هُوَ فِي اللُّغَةِ: سَرِيرُ الْمَلِكِ، اسْتَوَاءٌ يَلِيقُ بِهِ^(١) ﴿يُعْثِي الْبَلَّاءَ﴾ مُخَفِّقًا وَمُنْشِدًا^(٢)؛ أَيْ: يُطْغِي كُلًّا مِنْهُمَا بِالْآخِرِ ﴿يَطْلُبُ كُلَّ مَنْهَا بِالْآخِرِ طَلَبًا﴾ حَيْثُ كَانَ سَرِيعًا ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ﴾ بِالنَّصَبِ عَطْفًا عَلَى ﴿السَّمَوَاتِ﴾ وَالرُّفْعَ مُبْتَدَأً خَبَرَهُ: ﴿مُسْحَرَاتٍ﴾^(٣) مُذْلَلَاتٍ ﴿بِأَرْبَعَةٍ﴾ بِقُدْرَتِهِ^(٤) ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ﴾ جَمِيعًا ﴿وَالْأَكْمَارُ﴾ كُلَّهُ ﴿تَبَارَكَ﴾ تَعَاظَمَ ﴿اللَّهُ رَبُّ﴾ مَالِكِ ﴿الْعَالَمِينَ﴾ .

[٥٥] ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا﴾ حَالًا؛ تَذَلُّلًا وَخُفْيَةً ﴿سِرًّا﴾ إِنَّكُمْ لَا تُحِبُّونَ الْمُتَعَذِّبِينَ ﴿فِي الدُّعَاءِ﴾ بِالتَّشَدُّقِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ .

[٥٦] ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بِالشَّرْكِ وَالْمَعَاصِي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بَعَثَ الرُّسُلَ ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا﴾ مِنْ عِقَابِهِ ﴿وَطَمَعًا﴾ فِي رَحْمَتِهِ ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنِ الْمُحْسِنِينَ﴾ الْمُطِيعِينَ، وَتَذَكُّيرٌ ﴿فَقَرِيبٌ﴾ الْخَبَرُ بِهِ عَنْ ﴿رَحْمَتِ﴾ لِإِضَافَتِهِ إِلَى اللَّهِ .

[٥٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ﴾ [نُشْرًا]^(٥) بِإِثْنِ يَدَيْ رَحْمَتِهِ^(٦) أَيْ: مُتَفَرِّقَةً فُتَامَ الْمَطَرِ، وَفِي قِرَاءَةٍ: بِسُكُونِ الشَّيْنِ تَخْفِيفًا^(٧)، وَفِي أُخْرَى: بِسُكُونِهَا وَفَتْحِ النَّونِ مَعْدِلًا^(٨)، وَفِي أُخْرَى: بِسُكُونِهَا وَضَمِّ الْمُوَحَّدَةِ بَدَلِ النَّونِ^(٩)؛ أَيْ: مُبَشِّرًا، وَمُفَرِّدِ الْأَوَّلَى: «نُشُورٌ» كـ «رُسُولٌ»، وَالْآخِرَةُ^(١٠): «بَشِيرٌ» ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَحَ﴾ حَمَلَتْ الرِّيَّاحُ ﴿سَحَابًا يَقْرَءُ﴾ بِالْمَطَرِ

وَلَقَدْ جِئْنَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَلَّنَهُ عَلَىٰ هُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ شَكَّوْهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَعَاءَ فَيُشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْثِي الْبَلَّاءَ لَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ شَاءَ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِ رَبِّهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا لِيَدْنِيَ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَفْلَحَ سَحَابًا نَقَالَا سُقْنَاهُ إِلَى الْكَلْبِ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَاهُ أَلْمَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾

﴿سُقْنَاهُ﴾ أَيْ: السَّحَابَ، وَفِيهِ التَّفَاتُ عَنْ الْغَيْبَةِ ﴿إِلَيْكَ مَيِّتٍ﴾ لَا نَبَاتَ بِهِ؛ أَيْ: لِإِحْيَائِهَا ﴿فَأَنْزَلْنَاهُ﴾ بِالْبَلَدِ ﴿الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ﴾ بِالماء ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ كَذَلِكَ الْإِخْرَاجُ ﴿نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾ مِنْ قُبُورِهِم بِالْإِحْيَاءِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ هُنُوْمُونُ .

(١) إِنْ كَانَ الْمُصَنِّفُ يَرِيدُ بِذَلِكَ تَفْهِيمَ كَيْفِيَةِ اسْتِزْوَاجِ هَذَا حَقٍّ، كَمَا قَالَ مَالِكٌ: «... وَالْكَيفُ مَجْهُولٌ»، وَأَمَّا إِنْ كَانَ يَرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ مَعْنَى اسْتِزْوَاجِ نَفْسِهِ مَجْهُولٌ، فَيَكُونُ فِرَازًا مِنْ إِثْبَاتِ صِفَةِ الْعِلْمِ وَالْإِسْتِزْوَاجِ عَلَى الْعَرْشِ؛ إِذْ إِنَّ كَلَامَ السَّلَفِ فِي مَعْنَى اسْتِزْوَاجِ أَنَّهُ الْعِلْمُ وَالْإِرْفَاقُ وَالِاسْتِقْرَارُ .

(٢) بِتَشْدِيدِ الشَّيْنِ، وَلَا يَزِمُهُ فَتْحُ الْبَاءِ قِرَاءَةُ حِمَزَةِ وَالْكَسَاةِ وَشُعْبَةٍ .

(٣) بِالرُّفْعِ فِي الْأَرْبَعِ الْكَلِمَاتِ قِرَاءَةُ ابْنِ عَامِرٍ .

(٤) وَهَذَا صَرَفٌ لِلْفَتْحِ عَنْ ظَاهِرِهِ، وَتَطْوِيلٌ لَصِفَةِ الْأَمْرِ، وَالْمُرَادُ مِنْهُ كَلَامُ اللَّهِ وَحُكْمُهُ، وَهُوَ غَيْرُ الْقُدْرَةِ .

(٥) وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو .

(٦) لِابْنِ عَامِرٍ .

(٧) لِحِمَزَةِ وَالْكَسَاةِ .

(٨) وَهِيَ قِرَاءَةُ عَاصِمٍ .

(٩) فِي نَسْخَةِ مَطْبُوعَةٍ: «وَالْآخِرَةُ» .

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ وَيَأْذِنُ رَبُّهُ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يُخْرِجُ
إِلَّا زَكَاةً أَوْ كَذِبًا أَفْكَارًا لَا تُصَرَّفُ إِلَّا يَدَ يَدَيْ لِقَوْمٍ يَتَشَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ
مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾
قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي صَلَاتٍ مُبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ
لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَا كَيْفِي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾
أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ
مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْحَيْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ
عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾
فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ
كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ * وَإِلَى
عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ
غَيْرُهُ وَأَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ
إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾
قَالَ يَتَقَوَّمُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾

[٥٨] ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ﴾ العذب التراب ﴿يَخْرِجُ نَبَاتُهُ﴾ حسناً ﴿يَأْذِنُ﴾

رَبِّهِ ﴿هَذَا مَثَلٌ لِلْمُؤْمِنِ بِسَمْعِ الْمَوْعِظَةِ فَيَنْتَفِعُ بِهَا﴾ وَالَّذِي خَبَتْ ﴿تَرَابُهُ﴾ لَا
يَخْرِجُ ﴿نَبَاتُهُ﴾ إِلَّا زَكَاةً ﴿غَيْرًا بِمَشَقَّةٍ، وَهَذَا مَثَلٌ لِلْكَافِرِ﴾ كَذِبًا ﴿كَمَا
يَكُنُّ مَا ذُكِرَ﴾ تَصَرَّفُ ﴿يُبَيِّنُ﴾ إِلَّا يَدَ يَدَيْ لِقَوْمٍ يَتَشَكَّرُونَ ﴿اللَّهُ فَيُؤْمِنُونَ﴾
[٥٩] ﴿لَقَدْ﴾ جواب قسم محذوف ﴿أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾ فَقَالَ
يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿بالجر﴾ صفة ﴿لِلْإِلَهِ﴾ وبالرفع
بدل من محله ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾
هو يوم القيامة.

[٦٠] ﴿قَالَ الْمَلَأُ﴾ الأشراف ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي صَلَاتٍ مُبِينٍ ﴿تَبِينِ﴾

[٦١] ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾ هي أعم من الصلاة؛ فيها أبلغ
من فيه ﴿وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

[٦٢] ﴿أُبَلِّغُكُمْ﴾ [أُبَلِّغُكُمْ] ﴿بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ﴾ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأُنصَحُ
أُرِيدُ الْحِجْرَ ﴿لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

[٦٣] ﴿أُ﴾ كَذِبُهُ ﴿وَوَعَّيْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾
عَلَى لِسَانِ ﴿رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ﴾ العذاب إن لم تؤمنوا ﴿وَلِتَتَّقُوا﴾ اللَّهُ
﴿وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ بها.

[٦٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ مِنَ الْفُلْكِ ﴿فِي الْفُلْكِ﴾ السفينة
﴿وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بِالطُّوفَانِ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا
عَمِينَ﴾ عن الحق.

[٦٥] ﴿وَوُ﴾ أَرْسَلْنَا ﴿إِلَى عَادٍ﴾ الْأُولَى ﴿أَمَّا هُمْ هُودًا﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ
عِبَادُ اللَّهِ ﴿وَحُدُودُهُ﴾ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿تَخَافُونَهُ فَتُؤْمِنُونَ﴾ .

[٦٦] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ إِنَّا لَنَرْنِكَ فِي سَفَاهَةٍ
جَهَالَةٍ ﴿وَإِنَّا لَنُظَنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ في رسالتك.

[٦٧] ﴿قَالَ يَتَقَوَّمُ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

(١) وهي قراءة الكسائي.

(٢) بالتحفيف قراءة أبي عمرو.

(٣) وهم قوم نبي الله هود عليه السلام؛ كما جاء وصفهم بذلك في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿وَأَنْتُمْ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ [النجم: ٥٠] ، وأما عاد الآخرة، وهم المعنويون بـ «عاده» عند الإطلاق . فهم

«نمود» قوم بني الله صالح عليه السلام.

[٦٨] ﴿أَتُفْسِدُكُمْ وَسَخَّرْتُ لَكُمْ نَاصِحَ أَمِينٍ﴾ مَأْمُونٌ عَلَى الرِّسَالَةِ.
 [٦٩] ﴿أَوْ يَحْسَبُ أَنْ جَاءَهُ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكَ عَلَى لِسَانٍ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً قُوَّةً وَطَوْلًا، وَكَانَ طَوِيلُ يَوْمِهِمْ مِائَةَ ذِرَاعٍ وَقَصِيرُ يَوْمِهِمْ سِتِينَ^(١)﴾ فَاذْكُرُوا ءَالَ اللَّهِ اللَّهُ نِعْمَةً لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ تَفُوزُونَ.
 [٧٠] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِنَّا إِيمَاءٌ﴾ بِه مِنَ الْعَذَابِ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِي قَوْلِكَ.

[٧١] ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ﴾ وَجِبَ ﴿عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ عَذَابٌ وَعَظْبٌ أَتَجِدُلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَي: سَمَّيْتُمْ بِهَا أَتُسَمِّوْنَ وَءَابَاؤُكُمْ أَصْنَامًا تَعْبُدُونَهَا مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا أَي: بِعِبَادَتِهَا مِنْ سُلْطَانٍ حُجَّةً وَبِرْهَانٍ فَانْظُرُوا الْعَذَابَ إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ذَلِكَ بِكَذِبِكُمْ لِي؛ فَأَرْسَلْتُ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ.
 [٧٢] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ أَي: هُوَذَا وَالَّذِينَ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا أَي: اسْتَأْصَلْنَاهُمْ وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ عَطَفَ عَلَى كَذِبِهِمْ.

[٧٣] ﴿وَوَإِلَى شُعُوبٍ أُورْسَلْنَا إِلَى شُعُوبٍ بِتَرَكِ الصَّرْفِ^(٢)؛ مَرَادًا بِه الْقَبِيلَةَ أَهْلَهُمْ صَلِحًا قَالَ يَتَقَوَّرُ أَغْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بِحُجَّةٍ مُعْجَزَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى صِدْقِي هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ حَالٌ، عَامِلُهَا مَعْنَى الْإِشَارَةِ، وَكَانُوا سَأَلُوهُ أَنْ يَخْرِجَهَا لَهُمْ مِنْ صَخْرَةٍ غَشِيَتْهَا فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ بِعَفْرِ أَوْ ضَرْبٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ

أَتُفْسِدُكُمْ رَسَلَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْ يَحْسَبُ أَنْ جَاءَهُ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكَ عَلَى لِسَانِ رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَرَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً فَاذْكُرُوا ءَالَ اللَّهِ اللَّهُ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأِنَّا إِيمَاءٌ كُنْتُمْ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رَجْسٌ وَعَظْبٌ أَتَجِدُلُونِي فِي أَسْمَاءِ سَمَّيْتُمُوهَا أَتُسَمِّوْنَ وَءَابَاؤُكُمْ أَصْنَامًا تَعْبُدُونَ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا أَي: بِعِبَادَتِهَا مِنْ سُلْطَانٍ حُجَّةً وَبِرْهَانٍ فَانْظُرُوا الْعَذَابَ إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَى شُعُوبٍ أُورْسَلْنَا صَلِحًا قَالَ يَتَقَوَّرُ أَغْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بِحُجَّةٍ مُعْجَزَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى صِدْقِي هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةٌ حَالٌ، عَامِلُهَا مَعْنَى الْإِشَارَةِ، وَكَانُوا سَأَلُوهُ أَنْ يَخْرِجَهَا لَهُمْ مِنْ صَخْرَةٍ غَشِيَتْهَا فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا يُسُوءَ بِعَفْرِ أَوْ ضَرْبٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾

(١) تحديد طول أطولهم وأقصصرهم على هذا النحو مخالف لما جاء في الصحيح في وصف آدم عليه السلام؛ ففي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «خلق الله آدم وطوله ستون ذراعاً فلم يزل الخلق ينقص بعده حتى الآن». البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١). فهذا الحديث صريح في أنه ليس بعد آدم من هو أطول منه.

(٢) أي بالبيع من الصرف؛ للعلمية والثابت.

وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ
 فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْجُونَ
 الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي
 الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٦﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ
 قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ
 أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ
 مُؤْمِنُونَ ﴿٧٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي
 ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٨﴾ فَعَقَّبُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ
 أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَسْتَنَابِمْا تَعْدَنَ إِن كُنْتَ
 مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٩﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
 جَاشِمِينَ ﴿٨٠﴾ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ
 رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ
 ﴿٨١﴾ وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّا أَنْتَوْنَ أَلْفَ حِشَّةٍ مَا سَبَقَكُمْ
 بِهِ مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٢﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ
 شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨٣﴾

[٧٤] ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾ في الأرض ﴿مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾

وَبَوَّأَكُمْ ﴿أسكنكم﴾ في الأرض تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا ﴿تسكنونها في الصيف﴾ وَتَنْجُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا ﴿تسكنونها في الشتاء﴾ ونصبه على الحال المقدره ^(١) ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾.

[٧٥] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ تَكَبَّرُوا عن الإيمان به ﴿لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ أي: من قومه، بدل مما قبله لإعادة الجار ﴿أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ إليكم ﴿قَالُوا﴾: نعم ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ﴾.

[٧٦] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي ءَامَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ وكانت الناقة لها يوم في الماء ولهم يوم، فَمَلُوا ذَلِكَ.

[٧٧] ﴿فَعَقَّبُوا النَّاقَةَ﴾ عقرها ﴿فَدَاؤُهَا﴾ ^(٢) بأمرهم؛ بأن قتلها بالسيف ﴿وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصْلِحُ أَثْنَانَا﴾ يَمَّا نَعْدَنَّا ﴿به من العذاب على قتلها﴾ إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ.

[٧٨] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّحْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة من الأرض، والصيحة من السماء ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاشِمِينَ﴾ باركين على الرُّكَبِ ميتين.

[٧٩] ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّصِيحَ﴾.

[٨٠] ﴿وَإِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّا أَنْتَوْنَ أَلْفَ حِشَّةٍ﴾ اذكر ﴿لَوْطَا﴾ وَيُذِلُّ مِنْهُ ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّا أَنْتَوْنَ أَلْفَ حِشَّةٍ﴾ أي: أدبار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن.

[٨١] ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال الألف بينهما على الوجهين، وفي قراءة: ﴿إِنَّكُمْ﴾ ^(٣) ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿منجاوزون الحلال إلى الحرام﴾.

(١) أي تدحرجونها مقدّرين جعلها بيوتاً لكم.

(٢) ابن سالف.

(٣) قرأ السبعة علدا نافع وحفص بهزتين على لفظ الاستفهام، الذي في معناه التوبيخ، غير أن ابن كثير يسهل الهمزة الثانية بين الهمزة والياء، وكذلك أبو عمرو لكنه يدخل بين الهمزتين ألفاً فيمد، وهشاماً يدخل بين الهمزتين ألفاً مع تخفيفهما، بخلاف عنه، وهكذا في جميع النظائر من كل همزتين مجتمعتين في كلمة، الثانية منهما مكسورة، ومع موافقة نافع لابن كثير موافقة قالون لأي عمرو وهشام.

[٨٢] ﴿وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ﴾ أي: لو طأ وأتباعه ﴿وَمِنْ قَوْمِكُمْ إِتْمَنَ نَّاسٌ يَبْتَغُونَ﴾ من أديار الرجال.

[٨٣] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ مِنْ الْغَائِبِينَ﴾ الباقين في العذاب.

[٨٤] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ هو حجارة السجيل؛ فأهلكتهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابُهُ الْمُجْرِمِينَ﴾.

[٨٥] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أُرسلنا ﴿إِلَىٰ مَدِينَةٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْا عَبْدُوا اللَّهِ مَا لَكُمْ مِمَّنْ إِلَهُ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ﴾ معجزة ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ على صديقي ﴿فَأَوْفُوا﴾ أتموا ﴿الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا﴾ تنقصوا ﴿النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾ بالكفر والمعاصي ﴿بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ بيعت الرسل ﴿ذَلِكُمْ﴾ المذكور ﴿خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ مريدي الإيمان فبادروا إليه.

[٨٦] ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ طَرِيقٍ﴾ طريق ﴿تُوعِدُونَ﴾ تخوفون الناس بأخذ ثيابهم أو العكس^(١) منهم ﴿وَتَصُدُّونَ﴾ تصرفون ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿مَنْ ءَامَنَ بِهِ﴾ بتوعدكم إياه بالقتل ﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ تطلبون الطريق ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُفِّرْتُمْ﴾ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الْمُفْسِدِينَ قبلكم بتكذيب رسلهم؛ أي: آخر أمرهم من الهلاك.

[٨٧] ﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّا يُؤْمِنُوا بِهِ﴾ فَأَصْرِروا انتظروا ﴿حَتَّىٰ يَخُصَّ اللَّهُ بَيْنَنَا﴾ وبينكم بإنجاء الحق وإهلاك المبطل ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعدلهم.

وَمَا كَانَتْ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْتَغُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدِينَةٍ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَبْقَوْا عَبْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِمَّنْ إِلَهُ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴿٨٥﴾ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكُفِّرْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَتْ عِقَابَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٧﴾ وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِنْكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّا يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَخُصَّ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٨﴾

(١) المكس (يفتح الميم وسكون الكاف): الضريبة، والجباية والإتاوة التي تؤخذ بغير حق. وأصله في اللغة: الخيانة. و«المكاس»: هو أخذها.

وأخرج مسلم في صحيحه (١٦٩٥) في قصة رجم الغامدية: «... لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له...». وفي هذا دليل على عظم هذا الذنب وأن المكس من أقبح المعاصي والذنوب والموبقات؛ وذلك لكثرة مطالبات الناس له وظلامتهم عنده. كما ذكر النووي في شرحه على صحيح مسلم.

وأخرج أحمد في مسنده (١٦٨٤٣) وأبو داود في سننه (٢٩٣٧) من حديث عتبة بن عامر مرفوعاً: «لا يدخل الجنة صاحب مكس». وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٦٣١).

ملتهم قَطُّ، وعلى نحوه أجاب: ﴿قَالَ أَلَمْ نَعُودْ فِيهَا﴾ ﴿وَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ لها؟! استفهام إنكار.

[٨٩] ﴿فَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ﴾ ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا﴾ ذلك فيخذلنا ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ أي: وسع علمه كل شيء، ومنه حالي وحالكم ﴿عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ﴾ احكم ﴿بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ الحاكمين.

[٩٠] ﴿وَقَالَ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ أي: قال بعضهم لبعض: ﴿لَيْنَ﴾ لا قسم ﴿أَتُبْعُكُمْ شُعْبًا إِنْكُرُوا إِذَا لَخِيسِرُونَ﴾.

[٩١] ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَصَبَّحُوا فِي دَارِهِمْ جاثمين﴾ باركين على الرُّكَبِ ميتين ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا﴾ مبتدأ وخبره: ﴿كَانَ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنهم ﴿لَمْ يَنْتَوُوا﴾ يقيموا ﴿فِيهَا﴾ في ديارهم.

[٩٢] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا﴾ كانوا هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿التأكيد بإعادة الموصول وغيره للرد عليهم في قولهم السابق.

[٩٣] ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَتَيْتُكُمْ بِرِسَالَتٍ رَبي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ فلم تؤمنوا ﴿فَكَيْفَ ءاسى﴾ أحزن ﴿عَلَى قَوْمٍ كَفِرِينَ﴾ استفهام بمعنى النفي^(١).

[٩٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ﴾ فكذبوه ﴿إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ بشدة الفقر والسرَّاء المرض ﴿لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ يتذللون فيؤمنون.

[٩٥] ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا﴾ أعطيناهم ﴿مَكَانَ السَّيِّئَةِ﴾ العذاب ﴿الْحَسَنَةَ﴾ الغنى والصحة ﴿حَتَّىٰ عَفَّوْا﴾ كثروا ﴿وَقَالُوا﴾ كفروا للنعمة: ﴿قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ﴾ كما مسنا، وهذه عادة الدهر وليست بعقوبة من الله، فكونوا على ما أنتم عليه، قال - تعالى -: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ﴾ بالعذاب ﴿بِقَتَّةٍ﴾ فجأة ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت مجيئه قبله.

﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾ ﴿فَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جَعَلْنَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَيْنَ أَتُبْعُكُمْ شُعْبًا إِنْكُرُوا إِذَا لَخِيسِرُونَ﴾ ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَاصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جاثمين﴾ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا﴾ كان لَمْ يَنْتَوُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعْبًا كانوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءاسى عَلَى قَوْمٍ كَفِرِينَ﴾ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ ﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَّوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

[٨٨] ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ عن الإيمان ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ بِشُعْبٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾ ترجعن ﴿في مِلَّتِنَا﴾ ديننا، وغلبوا في الخطاب الجمع على الواحد؛ لأن شعبيًا لم يكن في

[٩٦] ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ﴾ المكذِبِينَ ﴿ءَامَنُوا﴾ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِمْ ﴿وَاتَّقَوْا﴾ الْكَفْرَ وَالْمَعَاصِيَ ﴿لَفَتَحْنَا﴾ بِالْخَفِيفِ وَالْتَشْدِيدِ^(١) ﴿عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ سَمَاءٍ﴾ بِالْمَطَرِ ﴿وَالْأَرْضِ﴾ بِالنَّبَاتِ ﴿وَلَكِنْ كَذَّبُوا﴾ الرِّسْلَ ﴿فَأَخَذْتَهُمْ﴾ عَاقِبَتَهُمْ ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٩٧] ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ الْمَكْدُونِ ﴿أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا﴾ عَذَابُنَا ﴿بَيْتًا﴾ لَيْلًا ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ غَافِلُونَ عَنْهُ.

[٩٨] ﴿أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ﴾ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا صُحَّىٰ ﴿نَهَارًا﴾ وَهُمْ يَلْعَبُونَ.

[٩٩] ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ اسْتِدْرَاجَهُ إِيَّاهُمْ بِالنِّعْمَةِ وَأَخَذَهُمْ بَغْتَةً^(٢) ﴿فَلَا يَأْتِيَنَّ مَكْرَهُ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ﴾ بَيْنَ ﴿لِلَّذِينَ يَرْتُوتِ الْأَرْضَ﴾ بِالسَّكَنِ ﴿وَمَنْ بَعْدَ﴾ هَلَاكِ ﴿أَهْلِهَا﴾ أَنْ ﴿فَاعِلٌ﴾، مَخْفِقَةٌ وَاسْمُهَا مَحْذُوفٌ؛ أَيْ: أَنَّهُ ﴿لَوْ نَشَاءُ﴾ أَصْبَنَهُمْ بِالْعَذَابِ ﴿يَذُوبُهُمْ﴾ كَمَا أَصْبَنَا مِنْ قَبْلِهِمْ، وَالهَمزة فِي الْمَوَاضِعِ الْأَرْبَعَةِ لِلتَّوْبِيخِ، وَالْفَاءُ وَالْوَاوُ الدَّاخِلَةُ عَلَيْهِمَا لِلْعُطْفِ، وَفِي قِرَاءَةِ: بِسُكُونِ الْوَاوِ فِي الْمَوْضِعِ الْأَوَّلِ^(٣) عَطْفًا بِ﴿أَوْ﴾ ﴿وَوَ﴾ نَحْنُ ﴿نَطْبَعُ﴾ نَخْتُمُ ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ الْمَوْعِظَةَ سَمَاعَ تَدْبِيرٍ.

[١٠١] ﴿تِلْكَ الْقُرَىٰ﴾ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿وَمِنْ أَنْبِيَائِهَا﴾ أَخْبَارَ أَهْلِهَا ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الْمَعْجَزَاتِ الظَّاهِرَاتِ ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾ عِنْدَ مَجِيئِهِمْ ﴿يَمَّا كَذَّبُوا﴾ كَفَرُوا بِهِ ﴿وَمِنْ قَبْلُ﴾ قَبْلَ مَجِيئِهِمْ، بَلِ اسْتَمَرُّوا عَلَى الْكُفْرِ ﴿كَذَلِكَ﴾ الطَّبْعُ ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٠٢] ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ﴾ أَيْ: النَّاسِ ﴿مِنْ عَهْدٍ﴾ أَيْ: فَوَاءَ بَعْدَهُمْ يَوْمَ اخْتِذِ الْمِيثَاقَ^(٤) ﴿وَأِنْ﴾ مَخْفِقَةٌ ﴿وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ أَيْ: الرِّسْلَ الْمَذْكُورِينَ ﴿مُوسَىٰ﴾ بِأَيَّتِنَا ﴿النَّسْعَ﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ﴿قَوْمَهُ﴾ فَظَلَمُوا ﴿كَفَرُوا﴾ بِهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ بِالْكَفْرِ مِنْ إِهْلَاكِهِمْ.

[١٠٤] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إِلَيْكَ.

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٧﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَّتًا وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿٩٨﴾ أَوْ آمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا صُحَّىٰ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٩﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْفُؤْمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرْتُوتِ الْأَرْضَ مَنْ بَعْدَ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصْبَنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبِيَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَىٰ بِأَيَّتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَأَنْظَرْنَا كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

(١) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٢) ومذهب السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه - ، وهي فيما سيق له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه ﷻ مجردة بدون ذكر متعلقها، وكذا لا يشتق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر ولا مخادع.

(٣) وهو قوله - تعالى -: ﴿أَوْ آمِنَ﴾، وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.

(٤) وهم في صلب أبيهم آدم ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَخَذْنَا رِبَك مِنْ نَحْوِ مَا دَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَنبَغْنَاهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكَ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

- [١٠٦] ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ﴾ على دعواك ﴿فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ فيها.
- [١٠٧] ﴿قَالَ لَنْ عَصَاةَ فَإِذَا هِيَ مَثْبُوتٌ مُّبِينٌ﴾ حية عظيمة.
- [١٠٨] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِیَضَاءَ﴾ ذات شعاع^(١) ﴿لِلنَّظَرِیْنَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة^(٢).
- [١٠٩] ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ فائق في علم السحر، وفي الشعراء: أنه من قول فرعون نفسه؛ فكانهم قالوه معه على سبيل التشاور.
- [١١٠] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَنْصَبِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾.
- [١١١] ﴿قَالُوا أَرَبِئَّةَ وَأُنْثَىٰ﴾ أخر أمرهما ﴿وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ﴾ جامعين.
- [١١٢] ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ﴾ وفي قراءة: ﴿سَحَارٍ﴾^(٣) ﴿عَلِيمٌ﴾ يفضّل موسى في علم السحر؛ فجمعوا.
- [١١٣] ﴿وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا أَأُتِىَ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(٤) ﴿لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ﴾.
- [١١٤] ﴿قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَیْنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.
- [١١٥] ﴿قَالُوا يَكُونُ مِنَّا أَنْ تُلْقَىٰ﴾ عصاك ﴿وَيَمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُنْفَكِينَ﴾ ما معنا.
- [١١٦] ﴿قَالَ أَلْقُوا﴾ أمر للإذن بتقديم إلقائهم توصلاً به إلى إظهار الحق ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ حيالهم وعصيهم ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ صرفوها عن حقيقة إدراكها ﴿وَأَسْرَبُوهُمْ﴾ خوفهم؛ حيث خيلوها حيات تسعى ﴿وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾.
- [١١٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ﴾ بحذف إحدى التاءين في الأصل^(٥)؛ تبتلع ﴿مَا يَدْفِكُونَ﴾ يقبلون بتمويههم.
- [١١٨] ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من السحر.
- [١١٩] ﴿فَغُلِبُوا﴾ أي: فرعون وقومه ﴿هَٰذَا لَكُمْ أَنْتَقَلَبُوا صَنِيعُكُمْ﴾ صاروا ذليلاًين.
- [١٢٠] ﴿وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ﴾.

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٦﴾ قَالَ إِنْ كُنْتُ جِئْتُ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ لَنْ عَصَاةَ فَإِذَا هِيَ تَعْبَانُ مُبِينٌ ﴿١٠٨﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءَ لِلنَّظَرِیْنَ ﴿١٠٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا السَّحَرُ عَلِيمٌ ﴿١١٠﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَنْصَبِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١١﴾ قَالُوا أَرَجَّةٌ وَأُنْثَىٰ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١٢﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَرٍ عَلِيمٌ ﴿١١٣﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَیْنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٥﴾ قَالُوا يَكُونُ مِنَّا أَنْ تُلْقَىٰ وَمِمَّا أَنْ تَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ الْفَوَاقِلَمَا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَأَسْرَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ ﴿١١٧﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٨﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٩﴾ فَغُلِبُوا هَٰذَا لَكُمْ أَنْتَقَلَبُوا صَنِيعُكُمْ ﴿١٢٠﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢١﴾

- [١٠٥] فكذبه فقال: أنا ﴿حَقِيقٌ﴾ جدير ﴿عَلَىٰ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ﴾ وفي قراءة: بتشديد الياء^(١)، فه ﴿حَقِيقٌ﴾ مبتدأ خبره: ﴿وَأَنْ﴾ وما بعده.
- ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ﴾ إلى الشام ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وكان استغفدهم.

(١) مع فتحها، أي: بياء ﴿عَلَىٰ﴾ من قوله: ﴿حَقِيقٌ عَلَيَّ﴾ وهي لنافع.

(٢) من غير برص ولا مرض.

(٣) أي: السمرة.

(٤) لحمرة والكسائي.

(٥) ظاهر كلام المصنف يفيد أن هنا قراءتين فقط، مع أنها أربع. فكان عليه أن يقول: وإدخال ألف بينهما وتركه، وبقيت خامسة وهي ﴿إِنَّ﴾ بهزئة واحدة، وهي قراءة نافع وابن كثير وحفص، أما قراءة الاستفهام فهي لباقي السبعة، على أصل كل واحد كما سبق ذكره في: ﴿إِنَّكُمْ لَأَتُونَ﴾.

(٦) أي: وأصلها: تتلف، وهي قراءة السبعة عدا حفص.

قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
 فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ
 مَكْرُتُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ
 ﴿١٢٣﴾ لَا فُطْنَ لَكُمْ وَارْتِلَاكُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ يُصَلِّبُكُمْ
 أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَقُصُّكُمْ
 إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَجَاءِ تَأْتِيَنَا أَوْعِيَّ عَلَى صَبْرٍ
 وَتَوَقَّ مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَنْتُمْ مُوسَى
 وَقَوْمُهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ
 أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾
 قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ
 لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾
 قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ
 عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ
 فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
 بِالْأَيْمِينِ وَنَقَصْنَا لَعْنَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿١٣٠﴾

﴿١٢١﴾ قَالُوا أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿١٢٢﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿﴾ لعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى
 بالسحر.

﴿١٢٣﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنْتُمْ بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَيْنِ وإبدال الثانية ألفاً ﴿﴾
 ﴿١٢٤﴾ بِمُوسَى ﴿﴾ قَبْلَ أَنْ آذَنَ ﴿﴾ أَنَا ﴿﴾ لَكُمُ الْإِنْفِ هَذَا ﴿﴾ الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ ﴿﴾ لَمَكْرٌ
 مَكْرُتُمْ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْمَلُونَ ﴿﴾ مَا يَالَكُمْ مَنِ.

﴿١٢٤﴾ لَا فُطْنَ لَكُمْ وَارْتِلَاكُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ يُصَلِّبُكُمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَي: يد كل واحد اليمنى
 ورجله اليسرى ﴿﴾ ثُمَّ لَا صُلْبَ لَكُمْ أَعْمَى ﴿﴾.

﴿١٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا ﴿﴾ بعد موتنا بأي وجه كان ﴿﴾ مُنْقَلِبُونَ ﴿﴾
 راجعون في الآخرة.

﴿١٢٦﴾ وَمَا نَقُصُّكُمْ ﴿﴾ تنكر ﴿﴾ وَمَا إِنَّا أَمْنًا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَجَاءِ تَأْتِيَنَا
 رَبَّنَا أَوْعِيَّ عَلَى صَبْرٍ ﴿﴾ عند فعل ما توعدنا به؛ لئلا نرجع كفاراً ﴿﴾ وَتَوَقَّ
 مُسْلِمِينَ ﴿﴾.

﴿١٢٧﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ ﴿﴾ له ﴿﴾ أَنْتُمْ ﴿﴾ تترك ﴿﴾ مُوسَى وَقَوْمَهُ
 لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ ﴿﴾ بالدعاء إلى مخالفتك ﴿﴾ وَيَذَرُكَ وَآلِهَتَكَ ﴿﴾ وكان
 صنع لهم أصناماً صغاراً يعبدونها، وقال: أنا ربكم وربها؛ ولذا قال: أَنَا
 رَبُّكُمْ الْأَخْلَى ﴿﴾ قَالَ سَنُقَتِّلُ ﴿﴾ بالتشديد والتخفيف ﴿﴾ أَبْنَاءَهُمْ ﴿﴾ المولودين
 ﴿﴾ وَنَسْتَحْيِي ﴿﴾ نستحيي ﴿﴾ نِسَاءَهُمْ ﴿﴾ كفعلنا بهم من قبل ﴿﴾ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ
 قَاهِرُونَ ﴿﴾ قادرون؛ ففعلوا بهم ذلك فشكوا بنو إسرائيل.

﴿١٢٨﴾ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ﴿﴾ على أذاهم
 ﴿﴾ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا ﴿﴾ يعطيها ﴿﴾ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ ﴿﴾
 المحمودة ﴿﴾ لِلْمُتَّقِينَ ﴿﴾ الله.

﴿١٢٩﴾ قَالُوا أَوْذَيْنَا مِنْ قَبْلُ أَنْ تَأْتِيَنَا وَمِنْ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَى
 رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ
 تَعْمَلُونَ ﴿﴾ فيها.

﴿١٣٠﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالْأَيْمِينِ ﴿﴾ بالقطط ﴿﴾ وَنَقَصْنَا مِنْ
 لَعْنَتِ لَعْنَهُمْ يَدَّ كُرُونِ ﴿﴾ يتعظون فيؤمنون.

(١) وهي قراءة نافع والنبري وأبي عمرو وابن عامر؛ حيث قرأوا بهجمة مخففة وبعدها همزة بين يين، وبعدها ألف بدل من الساكنة، وكذلك قرأ قبل إذا ابتأ بها، أما في الوصل فقرأوا بواو بدل من
 الهمزة الأولى؛ لانضمام ما قبلها وهي مفتوحة، وخفف الثانية بين يين إرادة التخفيف، وقرأ حفص بإسقاط الأولى وتحقيق الثانية وبعدها ألف، وقرأ حمزة والكسائي وشعبة بهجرتين محققتين
 بهما ألف، وكذلك في موضع طه والشعراء.

(٢) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير.

نستحقها ولم يشكروا عليها ﴿وَلَنْ نُصِيبَهُمْ سَيْئَةً﴾ جذب وبلاء ﴿يَظُنُّوٓا۟﴾ يتشاءموا ﴿يُمُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُٗ﴾ من المؤمنين ﴿أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ﴾ شؤمهم ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ يأتيهم به ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن ما يصيبهم من عنده.

[١٣٢] ﴿وَقَالُوا لِمُوسَىٰ: ﴿مَهْمَا تَأْتِيَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ فدعا عليهم.

[١٣٣] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ﴾ وهو ماء دخن بيوتهم ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام ﴿وَالْجُرَادَ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿وَالْقُمَّلَ﴾ السوس، أو نوع من القزاد^(١) فتبع ما تركه الجراد ﴿وَالضَّفَادِعَ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿وَالدَّمَ﴾ في مياههم ﴿آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ مبيات ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ﴾ العذاب ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ يما عهد عندك ﴿من كشف العذاب عنا إن آمنا﴾ ﴿لَئِنْ﴾ لا قسم ﴿كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرِيَنَّكَ مَلَكًا مِنْ رَبِّكَ﴾.

[١٣٥] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ يَلْفُوهٖ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

[١٣٦] ﴿فَلَنَقَمَنَّا مِنْهُمْ﴾ فاعرفنهم في آية ﴿الْبَحْرَ الْمَلِيحَ﴾ ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ بسبب أنهم ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ لا يتدبرونها.

[١٣٧] ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ﴾ بالاستعباد؛ وهم: بنو إسرائيل ﴿مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ بالماء والشجر صفة

للأرض؛ وهي: الشام ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ﴾ وهي قوله - تعالى -: ﴿وَرَبِّي أَن تَمَنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ﴾^(٢) إلخ ﴿عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمَّا صَبَرُوا﴾ على أذى عدوهم ﴿وَدَمَّرْنَا أَهْلَكُنَا﴾ ما كانت

يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ مِنَ الْعِمَارَةِ ﴿وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ بكسر

الراء وضمها^(٣)؛ يرفعون من البنيان.

فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُٗ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَلَيْتُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِيَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٣﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجُرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ۗ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٤﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَمُوسَىٰ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ ۖ إِنَّمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَنَا لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرِيَنَّكَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَءِيلَ ۖ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُمْ يَلْفُوهٖ إِذَا هُمْ يَنْكُتُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانْقَمْنَا مِنْهُمْ الْبَحْرَ الْمَلِيحَ ۖ يَأْتِيهِمْ مِنْهُمُ الْغَافِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ يَمَّا صَبَرُوا ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾

[١٣١] ﴿فَإِذَا جَاءَهُمُ الْحَسَنَةُ﴾ الحصب والغنى ﴿قَالُوا لَنَا هَذِهِ﴾ أي:

(١) وقيل: هو القمل المعروف.

(٢) القصص: ٥٠.

(٣) بالضم قراءة شعبة وابن عامر.

وَجَوْرًا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُمُونَ
عَلَى أَصْنَانٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا
لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَرٌ
مَّا هُمْ فِيهِ وَبِطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ
أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَبْحَمْتَ
مِّنَ الْفِرْعَوْنَ يَسْأَلُكَ سَوَاءَ الْعَذَابِ يَفْتَلُونَ
أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ وَوَعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً
وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِّمَّنْ رَّبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ
مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ أَخْلِفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ
سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ
رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرِنِي وَلَكِن
أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي فَلَمَّا
تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَبَقًا فَلَمَّا
أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

[١٣٨] ﴿وَجَوْرًا﴾ عِزًّا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا ﴿فَمَرُوا﴾ عَلَى قَوْمٍ يَمْكُمُونَ ﴿بِضَمِّ الْكَافِ وَكَسْرِهَا﴾ ﴿عَلَى أَصْنَانٍ لَهُمْ﴾ يَقِيمُونَ عَلَى عِبَادَتِهَا ﴿قَالُوا يَمُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا﴾ صَنَعًا نَعْبُدُهُ ﴿كَأَلِهَتِهِمْ﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ يَجْهَلُونَ ﴿حَيْثُ قَابِلْتُمْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِمَا قَلَّمْتُمْ﴾

[١٣٩] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَرٌ﴾ هَالِكٌ ﴿مَّا هُمْ فِيهِ وَبِطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

[١٤٠] ﴿قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا﴾ مَعْبُودًا، وَأَصْلُهُ: أَبْغَى لَكُمْ ﴿وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ فِي زَمَانِكُمْ بِمَا ذَكَرَهُ فِي قَوْلِهِ: [١٤١] ﴿وَإِذْ أَبْحَمْتَ﴾ إِذْ أَبْهَمْتُمْكُمْ ﴿وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿أَبْحَمْتُكُمْ﴾﴾ ﴿مِنَ الْفِرْعَوْنَ يَسْأَلُكَ سَوَاءَ الْعَذَابِ﴾ أَشَدُّهُ، وَهُوَ: ﴿يَفْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ يَسْتَبْقُونَ ﴿فِي ذَلِكُمْ﴾ الْإِنْجَاءَ وَالْعَذَابَ ﴿بَلَاءٌ﴾ إِنْجَاءٌ أَوْ ابْتِلَاءٌ ﴿مِن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ أَفَلَا تَتَعَلَّوْنَ فَتَنْتَهُوْا عَمَّا قَلَّمْتُمْ؟

[١٤٢] ﴿وَوَعَدْنَا﴾ بِالْفِ وَدُونَهَا ﴿ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً نُّكَلِّمُهُ عِنْدَ انْتِهَائِهَا بِأَنْ يَصُومَهَا، وَهِيَ: ذُو الْقَعْدَةِ، فَصَامَهَا، فَلَمَّا تَمَّتْ أَنْكَرَ تَخْلُوفَ قِيَمِهِ ﴿فَاسْتَأْذَنَ﴾ فَأَمَرَهُ اللَّهُ بِعَشْرَةِ أُخْرَى لِيُكَلِّمَهُ بِخُلُوفٍ قِيَمِهِ، كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ﴾ مِنْ ذِي الْحِجَةِ ﴿فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ﴾ وَقْتُ وَعْدِهِ بِكَلَامِهِ إِيَّاهُ ﴿أَرْبَعِينَ﴾ حَالٌ ﴿لَيْلَةً﴾ تَمَيِّزٌ ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ﴾ عِنْدَ ذَهَابِهِ إِلَى الْجَبَلِ لِلْمَنَاجَاةِ: ﴿أَخْلِفْنِي﴾ كُنْ خَلِيفَتِي ﴿فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ﴾ أَتْرُكُهُمْ ﴿وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بِمُوَاقِفَتِهِمْ عَلَى الْمَعَاصِي.

[١٤٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا﴾ أَي: لِلْوَقْتِ الَّذِي وَعَدْنَاهُ بِالْكَلامِ فِيهِ ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ بِلَا وَسْطَةٍ كَلَامًا سَمِعَهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِي﴾ نَفْسَكَ ﴿أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ قَالَ لَن تَرِنِي أَي: لَا تَقْدِرُ عَلَى رُؤْيِي، وَالتَّعْبِيرُ بِهِ دُونَ «لَن أَرَى» يُفِيدُ إِمْكَانَ رُؤْيِيهِ - تَعَالَى - ﴿وَلَكِن أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ﴾ الَّذِي هُوَ أَقْوَى مِنْكَ ﴿فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنِي﴾ أَي: تَتَبَّعَ رُؤْيِي، وَإِلَّا فَلَا طَاقَةَ لَكَ.

﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ﴾ أَي: ظَهَرَ مِنْ نُورِهِ قَدْرُ نِصْفِ أَثْمَلِيَةِ الْخَنْصَرِ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ صَحِيحِهِ الْحَاكِمِ ^(١) ﴿لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ بِالْقَصْرِ وَالْمَدِّ ^(٢)؛ أَي: مَدَكُوكَا مُسْتَوِيًا بِالْأَرْضِ ﴿وَخَرَّ مُوسَى صَبَقًا﴾ مَغْشِيًا عَلَيْهِ لَهَوْلُ مَا

رَأَى ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ﴾ تَزْيِيدًا لَكَ ﴿ثُبْتُ إِلَيْكَ﴾ مِنْ سَوَالِ مَا لَمْ أُمِرْ بِهِ ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فِي زَمَانِي.

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) لابن عامر.

(٣) بَدُونُ أَلْفِ قِرَاءَةِ أَبِي عَمْرٍو.

(٤) أَخْرَجَهُ الدَّبْلِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا. [الدر المنثور (٥٣٦/٣)].

(٥) وَهَذَا فَرَارٌ مِنَ الْمَقْصَرِ عَنْ إِثْبَاتِ الْجِهَةِ وَالْعُلُوِّ بِذَاتِهِ. شَيْعَانَةٌ، كَمَا هُوَ مَنِهَجُ الْأَشَاعِرَةِ، وَأَمَّا عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ: فَهَمَّ مَجْمُوعُونَ عَلَى إِثْبَاتِ هَذَا الْعُلُوِّ، وَمِنْهُمْ مَنْ بَيَّنَّ الْجِهَةَ لَكِنْ بِقَصْدِ ذَلِكَ إِثْبَاتِ الْعُلُوِّ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ فِي الْجِهَةِ وَالْمَكَانِ: لَا يَنْبَغِي إِثْبَاتُهُمَا وَلَا فَيَضُهُمَا مَطْلَقًا. يَعْنِي يَسْتَفْصِلُ الْقَائِلُ بِذَلِكَ عَنْ مَرَادِهِ؛ فَإِنْ أَرَادَ نَفْيَ الْعُلُوِّ أَوْ غَيْرَهُ مِنَ الْمَعْنَى الْبَاطِلَةِ رَدَّ قَوْلَهُ، وَإِنْ أَرَادَ ذَلِكَ إِثْبَاتَ الْعُلُوِّ، وَاقْفَاهُ، وَهَذَا هُوَ الصَّحِيحُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(٦) الْمُسْتَدْرَكُ (٣٢٠/٢) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. وَوَاقَفَهُ الذَّهَبِيُّ. وَرَوَى أَحْمَدُ (١١٨١٢) عَنْ أَنَسٍ مِنْ مَالِكٍ مَرْفُوعًا ذَكَرَ طَرَفَ الْخَنْصَرِ.

وَفِي سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٣٠٠٠) وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ ذَكَرَ أَثْمَلَةَ الْإِسْبَعِ، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي صَحِيحِ سَنَنِ التِّرْمِذِيِّ (٢٤٥٨).

وَفِي ظِلَالِ الْجَمَةِ (٤٨١) (أَنَّهُ أَخْرَجَ طَرَفَ الْخَنْصَرِ) وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ.

وَفِي ظِلَالِ الْجَمَةِ (٤٨٠) (وَضَعُ إِهَامَهُ عَلَى قَرِيبٍ مِنْ طَرَفِ أَثْمَلَتِهِ) وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ.

(٧) بِاللَّامِ قِرَاءَةُ حَمْزَةٍ وَالْكَسَائِيُّ.

[١٤٥] ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ﴾ أي: ألواح التوراة، وكانت من صدر الجنة، أو زبرجد، أو زمرد، سبعة أو عشرة^(١) ﴿مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ تبيينًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ بدل من الجار والمجرور ﴿قَبْلَهُ﴾ فنحنها ﴿قَبْلَهُ﴾ قلنا مقدارًا ﴿يَقُودُوا﴾ بجد واجتهاد ﴿وَأَمْرًا قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ فرعون وأتباعه؛ وهي: مصر؛ لتعبروا بهم.

[١٤٦] ﴿سَاصِرُفٌ عَنْ عَابِتِي﴾ دلائل قدرتي من المصنوعات وغيرها ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ فِي الْأَرْضِ يَغْتَرِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ بأن أخذناهم؛ فلا يتكبرون فيها ﴿وَلَا يَرْوُونَ﴾ كَلَّ عَابِتٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَلَا يَرْوُونَ سَبِيلَ ﴿طَرِيقَ الرَّشْدِ﴾ الهدى الذي جاء من عند الله ﴿لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ يسلكوه ﴿وَلَا يَرْوُونَ سَبِيلَ الْغَىِّ﴾ الضلال ﴿يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ﴾ الصِّفَافُ ﴿بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ﴾ تقدم مثله.

[١٤٧] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿حَسِبْتَ﴾ بطلت ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ ما عملوه في الدنيا من خير؛ كصلة رحم وصدقة؛ فلا ثواب لهم^(٢)؛ لعدم شرطه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَجْزِيكَ﴾ إلّا جزء ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ من التكذيب والمعاصي.

[١٤٨] ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد ذهابه إلى المناجاة ﴿مِنْ ثُلُثِيهِمْ﴾ الذي استعاروه من قوم فرعون بعلغة غوس^(٣)؛ فبقي عندهم ﴿عِجْلًا﴾ صاعه لهم منه السامري ﴿جَسَدًا﴾ بدل؛ لحمًا ودماغًا ﴿لَهُمْ خَوَارٌ﴾ أي: صوت يسمع؛ انقلب كذلك بوضع التراب الذي أخذه من حافر فرس جبريل في فمه؛ فإن أثره الحياة فيما يؤضغ فيه^(٤)، ومفعول ﴿أَتَّخَذَ﴾ الثاني محذوف؛ أي: إلها ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾ فكيف يتخذونها؟ ﴿أَتَّخَذُوهُ﴾ إلها ﴿وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ باتخاذ.

[١٤٩] ﴿وَلَمَّا سَظَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾ أي: ندموا على عبادته ﴿وَرَأَوْا﴾ علموا ﴿أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّوا﴾ بها، وذلك بعد رجوع موسى ﴿قَالُوا لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا﴾ بالياء والتاء فيهما^(٥) ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

قَالَ يَمْوَسَّىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمِي فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٦﴾ سَاصِرُفٌ عَنْ عَابِتِي الَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرَّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٧﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءَ الْآخِرَةِ حَسِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٨﴾ وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَسُوا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا سَظَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّوا قَالُوا لَيْنَ لَمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٥٠﴾

[١٤٤] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿يَمْوَسَّىٰ إِنِّي أَصْطَفَيْتُكَ﴾ اخترتك ﴿عَلَى النَّاسِ﴾ أهل زمانك ﴿بِرِسَالَتِي﴾ بالجمع والإفراد^(١) ﴿وَبِكَلِمِي﴾ أي: تكليمي إياك ﴿فَخُذْ مَا آتَيْنَاكَ﴾ من الفضل ﴿وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لأنعمي.

(١) بالإفراد قراءة نافع وابن كثير.

(٢) والصحيح عدم تحديد شيء من ذلك من غير دليل.

(٣) في الآخرة؛ لعدم إيمانهم، ولكنهم يجازون عليه في الدنيا حتى إذا أقضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزي بها. رواه مسلم (٢٨٠٨).

(٤) هذا قول أكثر المفسرين، وظاهر الآية يقتضي أن الحلي ملك لهم؛ وأن الإضافة في قوله: ﴿ثُلُثِيهِمْ﴾ هي إضافة الملك. لكن قولهم في آية طه: ﴿ثُمَّ لَمَّا أَوْرَازُكُم مِّنْ ذَهَبٍ فَأَوْرَازُكُم مِّنْ فِضَّةٍ ثُمَّ لَمَّا مَوْرَازُكُم مِّنْ حَدِيدٍ﴾ إضافة الموراز إلى غيرهم وهم القبط يعكر على ذلك. وأجيب بأن قولهم يحتمل أن يكون لظنهم الحرمة لجهلهم؛ وقيل غير ذلك. والله أعلم.

(٥) أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن مجاهد في قوله: ﴿وَأَتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ ثُلُثِيهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خَوَارٌ﴾ [الأعراف: ١٤٨]. قال: حين دفنوها ألقي عليها السامري قبضة من تراب من أثر فرس جبريل عليه السلام.

(٦) بالتاء قراءة حمزة والكسائي، وعلى قراءة الباء يكون ﴿وَرَأَوْا﴾ مرفوعًا على الفاعلية، وعلى قراءة التاء يكون منصوبًا على النداء.

وَأَكْتَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ
 إِنَّا هُنَا إِنَّا إِلَيْنَا قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي
 وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
 الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ
 فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
 عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ
 الْخَبِيثَاتِ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ
 عَلَيْهِمْ فَإِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا
 النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ تَأْوِيلُكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾
 قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي
 لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ
 فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنَ
 قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾

[١٥٦] ﴿وَأَكْتُبْنَا﴾ أَوْجَبُ (١) ﴿لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي

الْآخِرَةِ﴾ حَسَنَةً ﴿إِنَّا هُنَا﴾ ثَبَاتًا ﴿إِلَيْنَا قَالَ﴾ - تعالى :- ﴿عَذَابِي
 أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ﴾ تعذيبه ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ﴾ غَشَتْ ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾
 فِي الدُّنْيَا ﴿فَسَأَكْتُبُهَا﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ.

[١٥٧] ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ مُحَمَّدًا ﷺ ﴿الَّذِي
 يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ ﴿يَأْمُرُهُمْ
 بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ﴾ مَا حَرَّمَ فِي
 شَرْعِهِمْ ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبِيثَاتِ﴾ مِنَ الْمَيْتَةِ وَنَحْوِهَا ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ
 إِصْرَهُمْ﴾ ثَقْلَهُمْ ﴿وَالْأَغْلَالَ﴾ الشَّدَائِدَ ﴿الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ كَفَلِ
 النَّفْسَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَقَطَعَ أَثَرَ النِّجَاسَةِ ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ﴾ مِنْهُمْ
 ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ وَوَقَّعُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ ﴿أَيَّ:

الْقُرْآنَ ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. [١٥٨] ﴿قُلْ﴾ خُطَابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ
 إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي
 وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ﴾
 الْقُرْآنَ ﴿وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ تَرْشِدُونَ.

[١٥٩] ﴿وَمِنَ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ﴾ جَمَاعَةٌ ﴿يَهْدُونَ﴾ النَّاسَ ﴿بِالْحَقِّ
 وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ فِي الْحُكْمِ.

[١٦٠] ﴿وَقَطَعْنَاهُمْ أَشْجَارَ عَشْرَةٍ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ فِي الْبَيْتِ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ فَضْرَبَهُ ﴿فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ ثَلَاثُونَ عِشْرَةَ عِشْرَةً بِعَدَدِ الْأَسْبَاطِ﴾ ﴿فَقَدَّ عِدَّةٌ مِنْ أَتَابِسٍ سَبَطَ مِنْهُمْ﴾ ﴿مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ﴾ فِي الْبَيْتِ، مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ ﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَالسَّلَوى﴾ ﴿هُمَا التَّرْجَمَانِ﴾ (١) وَالطَّيْرُ السَّمَانِي - بِخَفِيفِ الْمِيمِ وَالْقَصْرِ - وَقُلْنَا لَهُمْ: ﴿كُونُوا مِنْ طَائِفَتِ مَا رَزَقْنَكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦١] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِرْيَةِ﴾ ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ يَتِ الْمَقْدِسَ ﴿وَكُنُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا: أَمْرًا﴾ ﴿حِطَّةً وَأَدْخُلُوا الْبَابَ﴾ أَي: بَابَ الْقَرْيَةِ ﴿سُجَّدًا﴾ سَجْدًا انْحَنَاءً ﴿تَغْفِرَ﴾ بِالنُّونِ وَالنَّاءِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ (٢) ﴿لَكُمْ خُطْبَتِيكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ بِالطَّاعَةِ ثَوَابًا.

[١٦٢] ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ فَقَالُوا: حِيَّةٌ فِي شَعْرَةٍ. وَدَخَلُوا يَرْحَفُونَ عَلَى أَسْتَاهُمْ (٣) ﴿فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْرًا﴾ عَذَابًا ﴿وَمِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

[١٦٣] ﴿وَسَأَلْنَاهُمْ يَا مُحَمَّدُ تَوْبِيحًا﴾ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ، مُجَاوِرَةً لِبَحْرِ الْقَزَامِ؛ وَهِيَ: «أَبْلَةُ»، مَا وَقَعَ بِأَهْلِهَا. إِذْ يَعْدُونَ ﴿فِي السَّبْتِ﴾ بِصَيْدِ السَّمَكِ الْمَأْمُورِينَ بِتَرْكِهِ فِيهِ ﴿إِذْ﴾ ظَرْفُ لـ ﴿يَعْدُونَ﴾ ﴿تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا﴾ ظَاهِرَةً عَلَى الْمَاءِ ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبُتُونَ﴾ لَا يَعْظُمُونَ السَّبْتَ؛ أَي: سَائِرَ الْأَيَّامِ ﴿لَا تَأْتِيهِمْ﴾ ابْتِلَاءٌ مِنَ اللَّهِ ﴿كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ وَلَمَّا صَادُوا السَّمَكَ افْتَرَقَتِ الْقَرْيَةُ ثَلَاثًا؛ ثَلَاثُ صَادُوا مَعَهُمْ، وَثَلَاثُ تَبْلُوهُمْ، وَثَلَاثُ أَمْسَكُوا عَنِ الصَّيْدِ وَالتَّهْمِي.

وَقَطَعْنَاهُمْ أَشْجَارَ عَشْرَةٍ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ ثَلَاثُونَ عِشْرَةَ عِشْرَةً بِعَدَدِ الْأَسْبَاطِ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَمَ وَالسَّلَوى كُونُوا مِنْ طَائِفَتِ مَا رَزَقْنَكُمْ وَمَا ظَلَمْتُمْ وَلَا تَحْسَبُوا أَنْفُسَكُمْ تَزِيلُونَ ﴿١٦١﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٦٢﴾ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْرًا مِنْ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٣﴾ وَسَأَلْنَاهُمْ عَنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِثَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَتَأْتِيهِمْ سَبْعُ ثَمَرَاتٍ يُصْطَفُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ تَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٤﴾

(هـ) فائدة: أخرج مسلم عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل عن النبي ﷺ أن: «الْكُفَاةُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ». مسلم - كتاب الأشربة (٣٦) باب (٢٨) فضل الكفاة ومداواة العين بها.

(هـ) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: قال لبي إسرائيلي: «وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةً» فدخلوا يرحفون على أستاههم، فبدلوا، وقالوا: حطة حية من شعيرة البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الأعراف (٧).

(١) وهو شيء حلل كان ينزل عليهم مثل التلج.

(٢) بالناء لابن عامر ونافع، لكن ابن عامر قرأ ﴿خُطْبَتِيكُمْ﴾، بالإفراد، وقرأ أبو عمرو بالنون كالباقين لكنه قرأ ﴿خُطْبَتِيكُمْ﴾ من غير تاء على الجمع المكسر لخطيئة، كالذي في سورة البقرة.

وَأَذَقْنَا أُمَّةً مِنْهُمْ لِمَ يَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَى رَبِّكَرُؤُوسُهُمْ يَتْفُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمْمًا مِّنْهُمْ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهَا يَأْخُذُوهَا أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِّمَّنْ يُوقُونَ الْكِتَابَ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالِدَارُ الْأُخْرَىٰ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصَلِّينَ ﴿١٧٠﴾

[١٦٤] ﴿وَإِذْ﴾ عطف على ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ﴾ لم تصد ولم تنه لمن نهى: ﴿لَمْ يَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا﴾: موعدتنا ﴿مَعَذَرَةٌ﴾ نعتذر بها ﴿إِلَى رَبِّكَرُؤُوسُهُمْ﴾ فلا ننسب إلى تقصير في ترك النهي ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الصيغ. [١٦٥] ﴿فَلَمَّا نَسُوا﴾ تركوا ﴿مَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بِهِ﴾ فلم

يرجعوا ﴿أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالاعتداء ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ شديد ﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

[١٦٦] ﴿قُلْنَا عَذَابًا﴾ نكثروا ﴿عَنْ﴾ ترك ﴿مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ صاغرين؛ فكانوها، وهذا تفصيل لما قبله، قال ابن عباس: ما أدري ما قيل بالفرقة الساكنة.

وقال عكرمة: لم تهلك، لأنها كرهت ما فعلوه، وقالت: ﴿لَمْ يَعْطُونَ﴾ الخ. وروى الحاكم عن ابن عباس: أنه رجع إليه وأعجبه^(١).

[١٦٧] ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ﴾ أعلم^(٢) ﴿رَبُّكَ لِيَبْعَثَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: اليهود ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ بالذلل وأخذ الجزية؛ فبعث عليهم «سليمان»، وبعده «بختنصر» فقتلهم وسبواهم وضرب عليهم الجزية؛ فكانوا يؤدونها إلى الجوس إلى أن بعث نبينا ﷺ؛ فضرها عليهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه ﴿وَلَهُ لَعَنُورٌ كَثِيرٌ﴾ لأهل طاعته ﴿رَجِعْ﴾ بهم.

[١٦٨] ﴿وَقَطَعْنَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَمْمًا﴾ فرقاهم ﴿فِي الْأَرْضِ أَمْمًا﴾ فرقا ﴿وَبَلَوْنَاهُمُ الصَّالِحِينَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ﴾ الكفار والفساقون ﴿وَبَلَوْنَاهُمُ بِالْحَسَنَاتِ﴾ بالنعيم ﴿وَالسَّيِّئَاتِ﴾ النقم ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن فسقهم.

[١٦٩] ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ التوراة عن آبائهم ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى﴾ أي: حطام هذا الشيء الدنيء؛ أي: الدنيا من حلال وحرام ﴿وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ ما فعلناه ﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهَا يَأْخُذُوهَا﴾ الجملة حال؛ أي: يرجون المغفرة وهم عائدون إلى ما فعلوه مصرون عليه، وليس في التوراة وعغد المغفرة مع الإصرار ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ﴾ استفهام تقرير ﴿عَلَيْهِمْ يَتَّقُونَ الْكِتَابَ﴾ الإضافة بمعنى: في ﴿أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا﴾ عطف على ﴿يُؤْخَذُ﴾ قرأوا ﴿مَا فِيهِ﴾ فلم كذبوا عليه بنسبة المغفرة إليه مع الإصرار؟! ﴿وَالِدَارُ الْأُخْرَىٰ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الحرام ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ بالياء والتاء^(٣)، أنها خير؛ فيؤثرونها على الدنيا.

[١٧٠] ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ﴾ بالتشديد والتخفيف^(٤) ﴿بِالْكِتَابِ﴾ منهم ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصَلِّينَ﴾ الجملة خبر «الذين»، وفيه وضع الظاهر موضع المضمر؛ أي: أجرهم.

(١) الحاكم (٣٥٢/٢)، وقال في التلخيص: صحيح، وأخرج نحوه عبد الرزاق وابن جرير وابن أبي حاتم والبيهقي في سننه عن عكرمة، وأخرج نحوه أيضا عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عكرمة [الدر المنثور (٢٥٠٢/٣)، (٢٥٣)].

(٢) مفعوله محذوف، والتقدير: أعلم ربك أسلافهم.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالتخفيف قراءة شعبة.

[١٧١] ﴿وَإِذْ نَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رَبِّهِ رُوحَنَا﴾ رَفَعْنَاهُ مِنْ أَصْلِهِ ﴿فَوَقَّهْمَ كَلَّهْمَ ظُلَّةً وَجَعَلْنَاهُمْ أَقْبَا﴾ أَقْبَا وَأَقْبَى بِهِمْ سَاقَطَ عَلَيْهِمْ؛ بَعَدَ اللَّهُ إِيَّاهُمْ بِوُقُوعِهِ إِنْ لَمْ يَقْبَلُوا أَحْكَامَ التَّوْرَةِ، وَكَانُوا أَنْوَغًا لِيَقْبَلُوهَا، وَقَبِلُوا، وَقَلْنَا لَهُمْ: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ بِجِدِّ وَاجْتِهَادٍ ﴿وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ بِالْعَمَلِ بِهِ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

[١٧٢] ﴿وَإِذْ﴾ حِينَ ﴿أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ بَدَلَ اشْتِمَالٍ مِمَّا قَبْلَهُ، بِإِعَادَةِ الْجَارِ ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بَأَن أُخْرِجَ بَعْضُهُمْ مِنْ صُلْبِ بَعْضٍ مِنْ صُلْبِ آدَمَ، نَسْلًا بَعْدَ نَسْلِ؛ كَنَحْنُو مَا يَتَوَالَدُونَ كَالَّذِي بَدَلْنَا نَعْمَانَ يَوْمَ عَرَفَةَ^(١)، وَنَصَبَ لَهُمْ دَلَالًا عَلَى رُبوبيته، وَرَكَّبَ فِيهِمْ عَقْلًا ﴿وَأَنشَدْنَاهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ قَالَ: ﴿الْأَسْتِ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ أَنْتَ رَبُّنَا ﴿شَهِدْنَا﴾ بِذَلِكَ؛ وَالْإِشْهَادُ لَمْ يَكُنْ لَمْ يَكُنْ لَا ﴿يَقُولُوا﴾ بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ^(٢) فِي الْمَوْضِعَيْنِ؛ أَيْ: الْكُفَارَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا ﴿وَعَقِيلِينَ﴾ لَا نَعْرِفُهُ.

[١٧٣] ﴿أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ﴾ قَبْلَنَا ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ فَاقْتَدَيْنَاهُمْ بِهَمْ ﴿أَفَنُكَلِّمُهُمْ﴾ نُكَلِّمُهُمْ ﴿عَمَّا قَعَلُ الْمُظْلِمُونَ﴾ مِنْ آبَائِنَا؛ بِتَأْسِيسِ الشُّرْكِ؛ الْمَعْنَى: لَا يُمْكِنُهُمُ الْاجْتِهَادُ بِذَلِكَ مَعَ إِشْهَادِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالتَّوْحِيدِ، وَالتَّذْكِيرُ بِهِ عَلَى لِسَانِ صَاحِبِ الْمُعْجَزَةِ قَائِمٌ ذِكْرُهُ فِي النَّفْسِ.

[١٧٤] ﴿وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَنْبِيَاءَ لِقَبِيلِهِمْ مِثْلَ مَا يَتَّبِعُ الْبَيِّنَاتِ لِيَتَذَكَّرُوا وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عَنْ كُفْرِهِمْ.

[١٧٥] ﴿وَأَتَى﴾ بِأَيِّ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَيْ: الْيَهُودَ ﴿نَبَأٌ﴾ خَبَرٌ ﴿الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرَ﴾ خَرَجَ بِكُفْرِهِ؛ كَمَا تَخْرُجُ الْحَيَّةُ مِنْ جِلْدِهَا؛ وَهُوَ: «بَلَعِمَ بِنَ بَاعُورَاءَ» مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ^(٣)، شَيْئٌ أَنْ يُدْعَى عَلَى مُوسَى وَأَهْدَى إِلَيْهِ شَيْءٌ؛ فَدَعَا فَانْقَلَبَ عَلَيْهِ^(٤)؛ وَانْدَلَعَ لِسَانُهُ عَلَى صَدْرِهِ^(٥) ﴿فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾ فَادْرَكَهُ فَصَارَ قَرِيبَهُ ﴿فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.

[١٧٦] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ إِلَى مَنَازِلِ الْعُلَمَاءِ﴾ بِهَا؛ بَأَن نُوَفِّقَهُ لِلْعَمَلِ ﴿وَلَنَكَلِّهَهُ أَهْلًا﴾ سَكَنَ ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ أَيْ: الدُّنْيَا، وَمَالَ إِلَيْهَا ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ فِي دَعَائِهِ إِلَيْهَا؛ فَوَضَعْنَاهُ ﴿فَمَسَّكُهُ﴾ صَبَقَهُ ﴿كَمَثَلِ الْكَافِرِ﴾ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ بِالطَّرْدِ وَالزَّجْرِ ﴿يَلْهَثُ﴾ يَذْلُغُ لِسَانَهُ ﴿أَوْ﴾ إِنْ تَنَزَّكَ يَلْهَثُ وَلَيْسَ غَيْرُهُ مِنَ الْخِيَوَانِ كَذَلِكَ؛ وَجَمَلْنَا الشَّرْطَ حَالًا؛ أَيْ: لَاهِنًا ذَلِيلًا بِكُلِّ حَالٍ، وَالْقَصْدُ التَّشْبِيهُ فِي الْمَوْضِعِ وَالْحَقِيقَةُ؛ بِقَرْنَةِ الْفَاءِ الْمَشْعُورَةِ بِتَرْتِيبٍ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا مِنَ الْمِيلِ إِلَى الدُّنْيَا وَاتِّبَاعِ الْهَوَى،

﴿وَإِذْ نَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رَبِّهِ رُوحَنَا﴾ طُلَّةً وَطَوْرًا أَنَّهُ وَقَّعَهُمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿وَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصِّلُ الْأَنْبِيَاءَ لِقَبِيلِهِمْ لِيَتَذَكَّرُوا وَأَلَّا يَكُونَ لَكُمْ آيَاتِنَا فَتُنْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَخَبَّرْهُ كَمَثَلِ الْكَافِرِ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَنَزَّكَ يَلْهَثُ ذَلِكَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَمُومِنُونَ ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا وَلِيَّكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾

وبقرينة قوله: ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَثَلُ ﴿مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ﴾ عَلَى الْيَهُودِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يَتَذَكَّرُونَ فِيهَا؛ فَيُؤْمِنُونَ. [١٧٧] ﴿سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمُ﴾ أَيْ: مِثْلُ الْقَوْمِ ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسُهُمْ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَمُومِنُونَ﴾ بِالتَّكْذِيبِ. [١٧٨] ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَا وَلِيَّكَ هُمْ الْخَاسِرُونَ﴾

(١) أَخْرَجَ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ (٢٧٢/١) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَخَذَ اللَّهُ الْبَيِّنَاتِ مِنْ ظُهُورِ آدَمَ بِتَعْدُنَ - بِعَنِي عَرَفَةَ - فَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ كُلَّ ذُرِّيَّةٍ فَرَأَاهَا، فَتَرَاهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ كَالَّذِي، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ قَبْلًا قَالَ: ﴿الْأَسْتِ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ». وَقَالَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ شَاكِرٌ فِي تَخْرِيجِهِ عَلَى الْمُسْنَدِ (٢٤٥٥): إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ، وَصَحَّحَ الْأَلْبَانِيُّ إِسْنَادَهُ فِي الْمَشْكَاةِ (١٢١)، وَفِي تَعْلِيْقِهِ عَلَى الطُّحَاوِيِّ (٢١٩) وَنَعْمَانَ بِالْفَتْحِ: وَادٍ فِي طَرِيقِ الطَّائِفِ يَخْرُجُ إِلَى عَرَفَاتِ.

(٢) بِالنَّاءِ قِرَاءَةُ أَنِّي عَمْرُو، وَالْمَوْضِعُ الثَّانِي الْمَشَارَ إِلَى هُوَ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿أَوْ يَقُولُوا إِنَّمَا﴾.

(٣) أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٥١/١)، وَالطَّبْرِيُّ فِي جَامِعِ الْبَيَّانِ (٨٢/٩)، وَالطَّبْرِيُّ فِي الْكَبِيرِ (٢١٩/٩)، وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ (٣٢٥/٢)، وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ (٢٥/٧): «هُوَ الْغُرَابِيُّ وَرَجُلُهُ رَجُلُ الصَّحِيحِ». وَذَكَرَهُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمُنِيرِ (٢٦٦/٣). وَفِي آيَةِ أَقْوَالٍ أُخْرَى، قَقِيلٌ: هُوَ أَمِيَّةٌ بِنُ أَبِي الصَّلْتِ، كَمَا أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ (٥٠٨/١) وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ (١٦٦/٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - بِسَنَدٍ صَحِيحٍ كَمَا قَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي مَجْمَعِ الزَّوَادِ (٢٥/٧). وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِكَ.

وَبَلْعَامُ هَذَا قِيلَ: هُوَ عَالِمٌ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقِيلَ: كَانَ نَبِيًّا فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ.

(٤) وَرَدَّ ذِكْرُ ذَلِكَ فِيْمَا رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَأَبُو الشَّيْخِ عَنْ الْمُعْتَمَرِ (يَحْيَى عَنْ سَيَّارٍ) (الدَّرِّ الْمُنِيرِ ٢٦٨/٣).

(٥) قَوْلُهُ: (وَإِذْ نَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رَبِّهِ رُوحَنَا) قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَمَسَّكُهُ كَمَثَلِ الْكَافِرِ﴾ إِنْ تَحَمَّلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَنَزَّكَ يَلْهَثُ [الأعراف: ١٧٦]: اِخْتَلَفَ الْمُسَرُّونَ فِي مَعْنَاهُ، وَعَلَى سِيَاقِ ابْنِ إِسْحَاقَ عَنْ سَالِمٍ عَنْ أَبِي النَّضْرِ أَنَّ بَلْعَامًا انْدَلَعَ لِسَانُهُ عَلَى صَدْرِهِ، فَتَشَبَّهَ بِالْكَافِرِ فِي لَهَيْتِهِ فِي كَلَّتَانِ حَالَتِهِ إِنْ زَجَرَ وَإِنْ تَرَكَ ظَاهِرًا، وَقِيلَ مَعْنَاهُ: فَصَارَ مِثْلُهُ فِي ضَلَالِهِ وَاسْتِمْرَارِهِ فِيهِ وَعَصْمِ اتِّفَاعِهِ بِالْإِيمَانِ وَعَدَمِ الدَّعَاءِ كَالْكَافِرِ فِي لَهَيْتِهِ فِي حَالَتِهِ؛ إِنْ حَمَلَتْ عَلَيْهِ وَإِنْ تَرَكَهُ هُوَ يَلْهَثُ فِي الْحَالَيْنِ، فَكَذَلِكَ هَذَا لَا يَنْتَفِعُ بِالْمَوْعِظَةِ وَالدَّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ وَلَا عَدَمِهَا... (تَفْسِيرُ ابْنِ كَثِيرٍ ٢٥٦/٢).

معاندة ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْفَاقُونَ﴾.

[١٨٠] ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ التسعة والتسعون الواردة بها الحديث^(١)، و﴿الْحُسْنَىٰ﴾ مؤنث «الأحسن» «قَادَعُوهُ» سَمُّهُ «يَهَا» وَدَرُوا، اتركوا ﴿الَّذِينَ يُلْجِدُونَ﴾ من ألحد ولحد^(٢)؛ يميلون عن الحق ﴿فِي أَسْمِيَةٍ﴾ حيث اشتقوا منها أسماء لأهلهم؛ كاللات من الله، والعزى من العزيز، ومناة من المنان «سَيَجْزُونَ» في الآخرة جزاء «مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ» وهذا قبل الأمر بالقتال.

[١٨١] ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ هم أمة محمد ﷺ؛ كما في حديث^(٣).

[١٨٢] ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَاقِبَتِنَا﴾ القرآن من أهل مكة «سَنَسْتَدْرِجُهُم» نأخذهم قليلاً قليلاً «وَمِنَ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ».

[١٨٣] ﴿وَأَمْلَىٰ لَهُمْ﴾ أمهلهم «إِنِّي كِيدِي مَبِيتٍ» شديد لا يطاق.

[١٨٤] ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا﴾ فيعلموا «مَا يَصَاحِبُهُمْ» محمد ﷺ «وَمِنَ حَيْثُ» جنون «إِنْ» ما «هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ» ينشئ الإنذار.

[١٨٥] ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ﴾ ملك «السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَفِي مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ» بيان له «مَا»؛ فيستدلوا به على قدرة صانعه ووحدانته ﴿وَفِي﴾ في «أَنْ» أي: أنه «عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَقْدَبُ قُرْبٍ» «الْجَهَنَّمَ» فيموتوا كفاراً؛ فيصبروا إلى النار؛ فيبادروا إلى الإيمان «فَيَأْتِي حَرِيصٌ بَعْدَهُ» أي: القرآن «يُؤْمِنُونَ».

[١٨٦] ﴿مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَكَأَنَّهُ هَادٍ لَّمْ يَدْرُهُمْ﴾ بالياء والنون، مع الرفع^(٤) استئنافاً، والجزم عطفاً على محل ما بعد الفاء «فِي طُعَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ» يترددون تحيزاً.

[١٨٧] ﴿يَسْتَلُونَكَ﴾ أي: أهل مكة «عَنِ السَّاعَةِ» القيامة «أَيَّانَ» متى «مُرْسَهَا قُلْ» لهم: «إِنَّمَا عَلَيْهَا» متى تكون «عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا» بظهرها «لَوْفَهَا» اللام بمعنى: في «إِلَّا هُوَ ثَلُثٌ» عظمت «فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ» على أهلها؛ لهرلها «لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَنَةٌ» فجاءه «يَسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَقٌّ» مبالغ في السؤال «عَنْهَا» حتى علمتها «قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ» تأكيد «وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» أن علمها عنده - تعالى -.

وَلَقَدْ دَرَأْنَا لِحَبْرَةٍ كَثِيرٍ آمِنَ الْغَيْنِ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَصْلٌ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ قَادَعُوهُمَا وَدَرُوا الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِي أَسْمِيَةٍ سَيَجْزُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَاقِبَتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ إِنْ كِيدِي مَبِيتٍ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا يَصَاحِبُهُمْ مِّنْ حَيْثُ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْتَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْفُهَا إِلَّا هُوَ ثَلُثٌ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَنَةٌ يُسْتَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَقٌّ عِنْدَ اللَّهِ قُلْ إِنَّمَا عَلَيْهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

[١٧٩] ﴿وَلَقَدْ دَرَأْنَا﴾ خَلَقْنَا «لِحَبْرَةٍ كَثِيرٍ آمِنَ الْغَيْنِ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا» الحق «وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا» دلائل قدرة الله؛ بصر اعتباري «وَلَهُمْ أَذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا» الآيات والمواعظ سماع تدبير واتعاظ «أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ» في عدم الفقه والبصر والاستماع «بَلْ هُمْ أَصْلٌ» من الأنعام؛ لأنها تَطْلُبُ مَنَافِعَهَا وَتَهْرَبُ مِنْ مَضَارِّهَا، وهؤلاء يقدمون على النار

(١) بل الأسماء أكثر من ذلك ولا يخصصها إلا الله ﷻ؛ كما في حديث: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَإِثْرُ عَبْدِكَ وَإِثْرُ أَمِيكَ...» وفيه: «وَأَسْأَلُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ تُسَمِّيُّ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ اسْتَأْذَنْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْقَبْرِ عِنْدَكَ...» الحديث [رواه أحمد برقم (٣٧٠٤ - ٤٣٠٦)]. وأما حصر الأسماء في التسعة وتسعين في الحديث الذي رواه الترمذي وغيره؛ فلم يصح.

(٢) يشير إلى الراءتين فيها، فيفتح الحاء قرأ حمزة، من «الحدة الثلاثي».

(٣) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ عن ابن جريج في قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٨١] قال: ذكر لنا أن النبي ﷺ قال: «هذه أمتي بالحق يحكمون ويقضون وأبعدون ويعطون».

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن قتادة في قوله: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٨١] قال: بلغنا أن نبي الله ﷺ كان يقول إذا قرأها: «هذه لكم وقد أعطي القوم بين أيديكم مثلها» «وَمِنَ قَوْرِ مَوْحٍ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَيَعْدِلُونَ» [الأعراف: ١٥٩]. [الدر المنثور (٢/٢٧٧)].

(٤) بانون مع الرفع قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وبالياء مع الجزم قراءة حمزة والكسائي.

[١٨٨] ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا﴾ أجليه ﴿وَلَا ضَرًّا أَدْفَعُهُ﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ مَا غَاب عَنِّي ﴿لَنَسْتَكْثِرُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسْنَى السُّوءِ﴾ من فقر وغيره؛ لاحترازي عنه باجتناب المضار ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ﴾ بالنار للكافرين وَبَشِيرٌ بالجنة ﴿لَقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨٩] ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ أي: آدم ﴿وَجَعَلَ خَلْقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ وبأنفها ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ جامعها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا﴾ هو النطفة ﴿فَحَمَرَتْ بِهِ﴾ ذهبت وجاءت؛ لحفته ﴿فَلَمَّا أَفَلَّتْ﴾ بكبر الولد في بطنها، وأشفقا أن يكون بهيمة^(١) ﴿دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا لَئِنْ آمَنَّا بِكَ﴾ ولذا ﴿صَلَحَا﴾ سويا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لك عليه.

[١٩٠] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا﴾ ولذا ﴿صَلَحَا جَعَلَا لَكُم شُرَكَاءَ﴾ وفي قراءة: بكسر الشين والتنون^(٢)؛ أي: شريكا ﴿فِيمَا آتَاهُمَا﴾ بتسميته عبد الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبداً إلا لله، وليس بإشراك في العبودية؛ لعصمة آدم^(٣).

وروى سمره عن النبي ﷺ قال: «لَمَّا وَلَدَتْ حَوَاءُ طَافَ بِهَا إِبْلِيسُ - وَكَانَ لَا يَعْشُقُ لَهَا وَلَدًا - فَقَالَ: سَمِيَهُ عَبْدَ الْحَارِثِ؛ فَإِنَّهُ يَعْشُقُ؛ فَسَمَّيْتُهُ؛ فَقَاسَ؛ فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ وَحْيِ الشَّيْطَانِ وَأَمْرُهُ»^(٤) إرواه الحاكم، وقال: صحيح. والترمذي وقال: حسن غريب. ﴿فَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: أهل مكة به من الأصنام، والجملة سببية عطف على ﴿خَلَقَكُمْ﴾ وما بينهما اعتراض.

[١٩١] ﴿يُشْرِكُونَ﴾ به في العبادة ﴿مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾. [١٩٢] ﴿وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ﴾ أي: لعابديهم ﴿نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرِفُونَ﴾ بمنعها من أراد بهم سوءاً من كسر أو غيره، والاستفهام للتوبيخ. [١٩٣] ﴿وَإِنْ دَعَوْهُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى الْمَدَى لَا يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٥) ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكَ أَدْعَوْتَهُمْ﴾ إليه ﴿أَمْ أَنْتَ صَكُوتٌ﴾ عن دعائهم، لا يتبعوه؛ لعدم سماعهم.

[١٩٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادًا﴾ مملوكة ﴿أَمْثَلُكُمْ قَادَعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾ دعاءكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنها آلهة.

[١٩٥] ثُمَّ بَيَّنَّ غَايَةَ عِزِّهِمْ وَفَضْلَ عَابِدِيهِمْ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ﴾ بل أ ﴿لَهُمْ أَيْدٍ جَمْعُ يَدٍ﴾ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ؟ بل أ ﴿لَهُمْ أَعْيُنٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ مَوَادِّتٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ استفهام إنكاري؛ أي: ليس لهم شيء من ذلك مما هو لكم، فكيف تعبدونهم وأنتم أتم حالاً منهم؟! ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ﴾ إلى هلاكهم ﴿ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُظْهِرُونِ﴾ تمهلون؛ فإني لا أبالي بكم.

(١) يشير إلى ما ورد في بعض الأحاديث والآثار والتي يفهم منها أن المراد بهذا السياق آدم وحواء، وهي وإهية الإسناد معلولة كما بينه الحافظ ابن كثير في تفسيره، ولا يعتمد عليها؛ إذ أصلها مأخوذ من أقاصيص مثبلة أهل الكتاب، ويُقَالُ لثمة من السلف لها، وذكر كثير من المفسرين لها لا يجدي في صحتها شيئاً كما أفاده أهل التحقيق.

(٢) لنافع وشعبة.

(٣) هذا الذي احتاره المفسر من أن الكلام في آدم وحواء، وفسروا الشرك بأنه تسمية الولد «عبدالحارث» لا في الصفة والرواية. وقال آخرون: إن ما في الآيتين لا يعني آدم وزوجته، بل يعم جنس الآدميين، وبين حال المشركين من ذريتهما، وهذا الذي يعمل عليه، فقله - تعالى -: ﴿جَعَلَا لَكُم﴾؛ يعني: الجنسين؛ أي: الذكر والأنثى الكافرين، دل على هنا قوله تعالى بعدها: ﴿فَتَكَلَّمَ اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ولم يقل: «الشركاء». قال القرطبي: هذا حسن. وروى ابن كثير في تفسيره عن قتادة قال: كان الحسن يقول: هم اليهود والنصارى زرقهم الله أولاداً فهدودوا ونصروا... قال ابن كثير: وأما نحن فعلى مذهب الحسن البصري - رجحه الله - في هذا، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء، وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته. ١. هـ.

(٤) الترمذي (٣٠٠٣) وأحمد (١٩٢٥٨) وضعه الألباني في ضعيف الجامع (٤٧٦٩).

(٥) بالتحفيف قراءة نافع.

إِنْ وَلَّىٰ اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ ۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَا آجِبْنَاهُمْ أَقُلْ إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي ۖ هَذَا بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا ۚ عَنِ الْكَلَامِ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ تِلْكَ فِي تِلْكَ الْكَلَامِ الْحَقِيقَةُ (٢)، وَعَبَّرَ عَنْهَا بِالْقُرْآنِ، لاشتغالها عليه، وقيل: في قراءة القرآن مطلقاً (٣).

[٢٠٥] ﴿وَأَذْكُرْ تِلْكَ فِي نَفْسِكَ﴾ أي: سرّاً ﴿فَصَرَعَا﴾ نذلاً ﴿وَخِيفَةً﴾ خوفاً منه ﴿وَفَوْقَ السَّرِّ﴾ دون الجهر من القول ﴿أي: فصلاً بينهما﴾ بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ، أوائل النهار وأواخره ﴿وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ عن ذكر الله.

[٢٠٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون ﴿عَنْ عِبَادَتِهِ﴾ وَيُسَبِّحُونَهُ، ينزهونه عما لا يليق به ﴿وَلَمْ يَسْجُدُوا﴾ أي: يخضعون بالخشوع والعبادة؛ فكونوا مثلهم.

[١٩٦] ﴿إِنَّ وَلِيَ اللَّهِ﴾ متولي أموري ﴿الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ بحفظه.

[١٩٧] ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصَرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَصْرُونَ﴾ فكيف أبالي بهم.

[١٩٨] ﴿وَإِنْ تَدْعُوهُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: الأصنام يا محمد ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ أي: يقابلونك كالناظر ﴿وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قدم عيينة بن حصص بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس - وكان من نفر الذين يدينهم عمر - وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولاً كانوا أو شباناً. فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي، لك وجه عند هذا الأمر، فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعينيه، فأذن له عمر. فلما دخل عليه قال: هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بالعدل، فغضب عمر حتى همّ به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وفقاً عند كتاب الله. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الأعراف (٧) باب (٥)، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾.

(١) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أخرج نحوه ابن مردويه عن ابن عباس، وأخرج نحوه أيضاً ابن أبي حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والبيهقي في سننه عن ابن عباس، ففي هذه الآثار ما يفيد أن الإنصات للقرآن في الصلاة وللخطبة على السواء. [الدر المنثور (٢٨٧/٣)]، وأخرجه ابن أبي شبة في المصنف (٤٨٧/٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٤٦/٥)، والطبري في جامعه (١١٠/٩). والبيهقي في الكبرى (١٥٥/٢) وغيرهم من طرق عن مجاهد. وهو صحيح بمجموعها عن مجاهد.

(٣) ويدخل في ذلك دخولاً أولياً، مؤكداً الاستماع والإنصات للإمام إذا قرأ في الصلاة الجهرية، وهذا القول بالعموم هو الأرجح، واختاره غير واحد من المفسرين.

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

[مدنية، أو: إلا ﴿وإذ يصر بك﴾ الآيات السبع؛ فمكية، خمس أو ست أو سبع وسبعون آية، نزلت بعد البقرة^(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لما اختلف المسلمون في غنائم بدر، فقال الشبان: هي لنا؛ لأننا باشرنا القتال.

وقال الشيوخ: كنا ردنا لكم تحت الرايات، ولو انكشفتهم لقتلنا؛ فلا تستأثروا بها.

[١] فنزل: ﴿يَسْأَلُونَكَ يَا مُحَمَّدٌ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ الغنائم لمن هي ﴿قُلْ لَهُمُ: ﴿الْأَنْفَالُ لِلَّهِ﴾ يجعلها حيث شاء ﴿وَالرَّسُولُ﴾ يقسمها بأمر الله^(٢)؛ فقسمها ﷺ بينهم على السواء [رواه الحاكم في المستدرک^(٣)] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ وأصلحوا ذات بينكم، أي: حقيقة ما بينكم، بالمودة وترك النزاع ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ إن كنتم مؤمنين ﴿حَقًّا﴾ [٢] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ﴾ الكاملون الإيمان ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ﴾ أي: وعيده ﴿وَجِلَتْ﴾ خافت ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ وإذا ثَلَّتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ رَأَدَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ تصديقًا ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ به يثقون، لا بغيره. [٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يأتون بها بحقوقها ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ أعطيناهم ﴿يُنْفِقُونَ﴾ في طاعة الله.

[٤] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بما ذكر ﴿هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ صدقًا بلا شك ﴿فَهُمْ دَرَجَاتٌ﴾ منازل في الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة. [٥] ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«أخرج» ﴿وَأَنْ فَرِّقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُرْهُوهُنَّ﴾ الخروج، والجملة حال من كاف ﴿أَخْرَجَكَ﴾ و﴿كَمَا﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذه الحال في كراهتهم لها مثل إخراجك في حال كراهتهم، وقد كان خيرًا لهم؛ فكذاك أيضًا، وذلك أن أبا سفيان قدم بغير من الشام، فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغتموها، فعلمت قريش، فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة؛ ليزبوا عنها؛ وهم: النفير، وأخذ أبو سفيان بالغير طريق الساحل؛ فنجت؛ فقبل لأبي جهل: ارجع. فأبى، وسار إلى بدر؛ فاشاور النبي ﷺ أصحابه، وقال: «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ؛ فَوَافَقَهُ عَلَى قِتَالِ النَّفِيرِ^(٤)»، وكره بعضهم ذلك، وقالوا: لم نستعد له. كما

سُورَةُ الْأَنْفَالِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِّقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُرْهُوهُنَّ ﴿٥﴾ يَجِدُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنْ غَدَّ ذَاتَ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ وَيَبْطِلَ الْأَبْطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧﴾ لِيُخَيِّقَ

قال - تعالى: [٦] ﴿يَجِدُونَكَ فِي الْحَقِّ﴾ القتال ﴿بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ﴾ ظهر لهم ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ إليه عيانًا في كراهتهم له. [٧] ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ﴾ العير أو النفير ﴿أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ﴾ تريدون ﴿أَنْ غَدَّ ذَاتَ الشَّوْكَةِ﴾ أي: البأس والسلاح؛ وهي: العير ﴿تَكُونُ لَكُمْ﴾ لقلعة عددها ومددها؛ بخلاف النفير ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّقَ الْحَقَّ﴾ يظهره ﴿يَكْنِيهِ﴾ السابقة بظهور الإسلام ﴿وَيَبْطِلَ دَاكِرَ الْكَافِرِينَ﴾ آخرهم؛ بالاستئصال؛ فأمركم بقتال النفير [٨] ﴿لِيُخَيِّقَ

(٥) ما جاء في نزول السورة: خرج البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس رضي الله عنه سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨).

وأخرج أحمد عن أبي أمامة الباهلي قال: سألت عباد بن الصامت عن الأنفال فقال: فيها معشر أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا في الفل وسأيت فيه أخلاقنا. أحمد - المسند (٣٢٢/٥). وأخرجه الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي (٣٢٦/٢). وأخرج أحمد أيضًا عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم بدر قتل أخي عمير، وقتل سعيد بن العاص وأخذت سيفه - وكان يسمى ذا الكتيبة - فأنبت به نبي الله ﷺ قال: «ذهب فاطرحه في القبض» قال: فرجعت وبني ما لا يعمه إلا الله من قتل أخي وأخذ سلسي. قال: فما جاوزت إلا يسيرًا حتى نزلت سورة الأنفال. فقال لي رسول الله ﷺ: «ذهب فخذ سيفك». أحمد. المسند (١٨٠/١). وأخرجه مسلم. كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (١٢) الأنفال وفيه هذه الآية: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولُ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٥): أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ يوم بدر: «من فعل كذا وكذا فعل من النفل كذا وكذا». قال: فقدم الفتيان ولزم المشيخة الرايات، فلم يرموها، فلما فتح الله عليهم قال المشيخة: كنا ردنا لكم، لو انهزمت لقتلنا، فلا تذهبوا بالمغنم وبقى، فأبى الفتيان وقالوا: جعله رسول الله ﷺ لنا، فأنازل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولُ﴾ إلى قوله: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِّقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُرْهُوهُنَّ﴾ يقول: فكان ذلك خيرًا لهم، فكذاك أيضًا فأطيعوني فإني أعلم بعاقبة هذا منكم، أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٥٦) في النفل (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٢٣٧٦).

وأخرج أحمد عن أبي أمامة عن عباد بن الصامت قال: خرجنا مع النبي ﷺ فشهدت معه بدراء، فالتقى الناس، فهزم الله تبارك وتعالى العدو، فانطلقت طائفة برسول الله ﷺ لا يصيب العدو منه غرة، حتى إذا كان الليل وفته الناس بعضهم إلى بعض قال الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها وجمعناها فليس لأحد فيها نصيب. وقال الذين خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق بها منا، نحن -

(١) المستدرک (٣٢٦/٢)، وروى نحوه أحمد (٢١٦٨٥، ٢١٦٩١) عن عباد بن الصامت، وكذلك ابن مردويه عن عائشة [الدر المنثور (٢٩٤/٣)] وصححه الألباني في فقه السيرة بلفظ: «قسمهما رسول الله ﷺ بين المسلمين».

(٢) أخرجه ابن إسحاق وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُّمَدِّدُكُمْ يَافِئٍ
مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا الْإِنشِرَافَ
وَلِتُظْمِنَ بِهِءُ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِن عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ
عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٧﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ
عَلَيْكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُفْرَهُمْ وَيَذْهَبَ عَنْكُمْ
رَجَزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ
﴿١٨﴾ إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ
ءَامَنُوا سَالِقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا
فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٩﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٠﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
عَذَابَ النَّارِ ﴿٢١﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ
كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْآدْبَارَ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ يُولِهِمْ يُؤْمِدْ
ذُبْرَهُ وَلَا يُؤْمِدْ فَالْقِتَالِ أَوْ مُتَحِدِّيًا إِلَىٰ فَعَةٍ فَقَدْ بَلَ
يَغْضَبُ مِنَ اللَّهِ وَمَا أُولَٰئِهِمْ وَبَشَاصُ الْمَصِيرِ ﴿٢٣﴾

الْحَقَّ وَيُبْطِلُ ﴿١٠﴾ يَمْحَقُ ﴿١١﴾ الْبَاطِلَ ﴿١٢﴾ الْكَفَرَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ كَرِهَ الْمُعْجِرُونَ ﴿١٤﴾ الْمَشْرُكُونَ
ذَلِكَ.

[٩] اذكر ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ تطلبون منه العوث بالنصر عليهم^(٥)

﴿فَاسْتَبَارَ لَكُمْ أَنِّي﴾ أي: بأبي ﴿مُيَدِّكُمْ﴾ معينكم ﴿يَأْتِيَنَّ مِنَ الْمَلَكَةِ مَرْبُورَةٌ﴾ متابعين يردف بعضهم بعضاً، وعدهم بها أولاً، ثم صارت ثلاثة آلاف ثم خمسة؛ كما في آل عمران، وقرئ: ﴿بِالْفَبِّ﴾ ^(١) كـ«أفلس» جمع. [١٠] ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ﴾ أي: الإمداد ﴿إِلَّا بُشْرَىٰ وَلَظْمَةً يَوْمَ فَلَوِثُمْ﴾ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ. [١١] اذكر ﴿إِذْ يُنَادِيكُمُ النَّاسُ أَمُّةٌ﴾ أمناً مما حصل لكم من الخوف ﴿وَمِنْهُ﴾ تعالى - ﴿وَيُرْزَلُ عَلَيْكُمُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءٌ يُطَهِّرُكُمْ يَوْمَ﴾ من الأحداث والجنابات ﴿وَيَذْهَبُ عَنْكُمُ رَجَزُ الْفَاطِكِينَ﴾ وسوسته إليكم؛ بأنكم لو كنتم على الحق ما كنتم ظمأى محدثين، والمشركون على الماء ﴿وَيُلَازِمُطَّ﴾ يجس ﴿عَلَىٰ فُلُوبِكُمْ﴾ باليقين والصبر ﴿وَيُكَيِّتُ يَوْمَ الْأَفْكَدِ﴾ أن تسوخ في الرمل.

﴿١٢﴾ ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكَةِ﴾ الذين أمد بهم المسلمين ﴿أَيُّ﴾
 أي: «عنكم» بالعون والنصر ﴿فَنَبِّئُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالإعانة والتبشير
 ﴿سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ﴾ الخوف ﴿وَأَضَرُّوا قُلُوبَ﴾
 الأختناق أي: الرؤوس ﴿وَأَضَرُّوا نَفْسَهُمْ كُلَّ يَوْمٍ﴾ أي: أطراف اليدين
 والرجلين؛ فكان الرجل يقصد ضرب رقبة الكافر؛ فتسقط قبل أن يصل إليه
 سيفه^(٢)، ورامهم ^{بِالْأَسْوَاقِ} بقبضة من الحصى؛ فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه
 منها شيء؛ ففزعوا^(٣) ﴿ذَلِكَ﴾ العذاب الواقع بهم ﴿وَيَأْتِيهِمْ سَأْوَأُ﴾
 خالفوا ﴿اللَّهُ رَسُولُهُ وَمَنْ شِئَاقِ اللَّهِ وَرَسُولُهُ فَكَلِمَ﴾ الله شديد العقاب له.

﴿١٤﴾ ﴿ذَلِكُمْ﴾ العذاب ﴿وَدُفِعُوهُ﴾ أيها الكفار في الدنيا ﴿وَأَنزَلْنَا لِلْكَافِرِينَ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابَ النَّارِ﴾. ﴿١٥﴾ ﴿بَنَاتُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُيَسَتْ أُولَئِكَ كَمَلَا رَحْمَةً﴾ أي: مجتمعين؛ كأنهم لكثرتهم يرحفون ﴿وَلَا تُولَدُهُمُ الْأَدْبَارُ﴾ منهزمين.

[١٦] وَمَنْ يُؤْمَرْ بِفَيْحَةٍ^(٥) أَى: يوم لقائهم ﷺ، إِلَّا مُحَرَّفًا مُنْعَطَفًا، لِقَائِهَا، بَأَن يريهن الفُتُوَّةَ مكيدةً، وهو يريد الكُرُوَّةَ ﴿أَوْ مُحَرَّرًا﴾ منمنمًا ﴿إِلَّا وَتَوَّ﴾ جماعة من المسلمين يستنجذ بها ﴿فَقَدْ بَكَتْ﴾ رجع ﴿يَضْحَبُ رَبُّكَ اللَّهُ وَمَا أُنْتِ مِنْهُمْ جِنَّتٌ وَيَكْسِي الْمَصِيرَ﴾ المرجع هي، وهذا مخصوص بما إذا لم يزد الكفار على الضّعْف.

= نفينا عنها العدو وهزمناهم. وقال الذين أحدقوا برسول الله ﷺ: لستم بأحب بنا، نحن أحدقنا برسول الله ﷺ وخفنا أن يصيب العدو منه غرة واشتغلنا به. فنزلت: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مَا مَقَاتُلُ اللَّهِ وَأَمْلِيخُوا دَاتَ يَتَيْكُمُ﴾. ففهمها رسول الله ﷺ على فراق بين المسلمين. قال: وكان رسول الله ﷺ إذا غار في أرض العدو نقل الربع، وإذا أقبل راجعا وكلّ الناس نفل الثلث. وكان يكره الأنفال. ويقول: «البرد قوي المؤمنين على ضعيفهم». أحمد. المسند (٣٢٤/٥)، وأخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (١٣٥/٢)، (١٣٦)، وصححه ابن حبان (الإحسان: ١٦٩٣).

(٥) ما حاء في نزول الآية (٩): أخرجه مسلم عن ابن عباس قال: حدثني عمر بن الخطاب قال: لما كان يوم بدر، نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً - فاستقبل نبي الله ﷺ القبلة، ثم مد يديه فجعل يهتف بربه: «اللَّهُمَّ أجز لي ما وعدتني. اللَّهُمَّ آت ما وعدتني. اللَّهُمَّ إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعدي في الأرض». فما زال يهتف بربه، ماذا يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه. فَأَتَاهُ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكَبِهِ، ثُمَّ التَزَمَهُ مِنْ وِزْرِهِ وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيَجِيءُ لَكَ مَا وَعَدَكَ. فَأَنزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ إِذْ قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَمَثَلَكُمْ كَفُورًا فَرَاغَ عَلَيْهِمْ وَعَبَدُوا آلَهُمْ وَإِنْ هُمْ إِلَّا عَائِدِينَ - فَانصَحْ آلَ لُقَيْمِ بْنِ عَادَ وَانصَحْ آلَ صَالِحَ بْنِ يَثْرِبَ﴾ فأمده الله بالملائكة.

قال ابن عباس: بينما رجل من المسلمين يومئذ يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه. وصوت الفارس يقول: أقدم حيزوم. فنظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقاً. فنظر إليه فإذا هو قد خطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فاحضر ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدث بذلك رسول الله ﷺ فقال: «صدقت، ذلك مدد السماء الثالثة» فقتلوا يومئذ سبعين وأسرُوا سبعين. مسلم - الجهاد والسير (٣٢) باب (١٨) الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (١٦): أخرج أبو داود عن أبي سعيد قال: نزلت في يوم بدر. . . ﴿وَمَنْ يُؤْلَمْ يُلَخِّنْهُ دُرُودُ﴾. أبو داود - كتاب الجهاد (٩) باب (١٠٦) في التولي يوم الزحف. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٢٣٠٦).

(١) وهي قراءة شاذة. (٢) أخرج ذلك أبو الشيخ وابن مردويه عن أبي أمامة بن سهل الأنصاري عن أبيه. [الدر المنثور (٣٣/٤)]، ويشهد له ما رواه مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «بينما رجل من المسلمين يرمي، يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، إذ سمع ضربة بالسوط فوقه، وصوت الفارس فوقه يقول: أقدم حيروم فنظر إليه؛ فإذا هو قد خطم أنفه وشُئ وجهه... الحديث» وتقدم تخريجه قريباً في أسباب النزول. (٣) روى ذلك الطبراني بإسناد حسن والواقدي وابن جرير الطبري وغيرهم. وعنده مسلم أنه ﷺ فعل ذلك وقاله يوم حنين؛ فيحتمل تكرار الأمر منه ﷺ في الغزوتين. (مسلم (١٧٧٧).

[١٧] ﴿فَلَمَّا تَفَتَّلُوهُمْ﴾ بيدر بقوتكم ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ قَلْبَهُمْ﴾ إياكم ﴿وَمَا رَمَيْتُمْ﴾ يا محمد أعين القوم ﴿إِذْ رَمَيْتُمْ﴾ بالحصى؛ لأن كَمَا من الحصى لا يملأ عيون الجيش الكثير برمية بَشَرٍ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ بإبصار ذلك إليهم؛ فعل ذلك ليقهر الكافرين ﴿وَلِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءٌ﴾ عطاء ﴿حَسَنًا﴾ هو الغنيمة ﴿إِنَّ اللَّهَ يَبْعُثُ﴾ لأقوالهم ﴿عَلَيْدٌ﴾ بأحوالهم.

[١٨] ﴿ذَلِكُمْ﴾ الإبلاء حق ﴿وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ﴾ مضعف ﴿مُضْعِفٌ﴾ لكافرين.

[١٩] ﴿إِنْ تَسْتَغِيثُوا﴾ أيها الكفار؛ إن تطلبوا الفتح؛ أي: القضاء؛ حيث قال أبو جهل منكم: «اللهم أينما كان أقطع للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة»^(١)؛ أي: أهلكه ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ القضاء بهلاك من هو كذلك؛ وهو: أبو جهل ومن قيل معه دون النبي ﷺ والمؤمنين ﴿وَأِنْ تَنْهَوْا﴾ عن الكفر والحرب ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا ﴿لِقَالِ النَّبِيِّ ﷺ﴾ ﴿تَعُدُّ﴾ لنصره عليكم ﴿وَأَنْ تَقْبَلُوا﴾ تدفع ﴿عَنْكُمْ﴾ فتكفكم ﴿جماعاتكم﴾ شيئاً ولو كَثُرَتْ وَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بكسر «إِنْ» استئنافاً، وفتحها على تقدير اللام^(٢).

[٢٠] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا﴾ تعرضوا ﴿عَنْهُ﴾ بمخالفة أمره ﴿وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ القرآن والمواظ.

[٢١] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واتعاض؛ وهم: المنافقون أو المشركون.

[٢٢] ﴿إِنَّ سَرَّ الْأَوَائِبِ عِنْدَ اللَّهِ الْهُمُّ﴾ عن سماع الحق ﴿أَلَيْكُمْ﴾ عن النطق به ﴿الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣).

[٢٣] ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ صلاحاً بسماع الحق ﴿لَأَسْمَعَهُمْ﴾ سماع تفهم ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ﴾ فرضاً، وقد علم أن لا خير فيهم ﴿لَتَوَلَّوْا﴾ عنه ﴿وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾ عن قبوله عناداً وجحوداً.

[٢٤] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ بالطاعة ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ من أمر الدين؛ لأنه سبب الحياة الأبدية ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ فلا يستطيع أن يؤمن أو يكفر إلا بإرادته ﴿وَأَنَّهُ

فَلَمَّا تَفَتَّلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَلْبَهُمْ وَمَا رَمَيْتُمْ إِذْ رَمَيْتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُثَبِّتَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءٌ حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَرِيهُنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ تَسْتَغِيثُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْهَوْا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدًا وَلَنْ تُغْنِي عَنْكُمْ فِتْنَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ سَرَّ الْأَوَائِبِ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمُتْخِرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ فيجاريكم بأعمالكم.

[٢٥] ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً﴾ إن أصابتكم ﴿لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ بن تَعْمُهم وغيرهم، واتفقوا يانكار موجبها من المنكر ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن خالفه.

(١) ما حاه في نزول الآية (١٩): أخرجه أحمد في المسند عن عبد الله بن ثعلبة بن ضمر - بهجمة مصغراً - أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم، وأتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة: فكان المستفتح. (المسند ٤/٣١١)، وأخرجه الحاكم في مستدركه (٢/٣٢٨)، وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه ابن إسحاق في المغازي (٢/٢٧٠) وفيه عنده زيادة: «... وكان ذلك استفتاحه، فأرسل الله تعالى: ﴿إِنْ تَسْتَغِيثُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾.

(٢) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو وابن كثير.

(٣) روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: هم نفر من بني عبد الدار. صحيح البخاري (٤/٤٦٤).

تَعُوذُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴿١﴾ لَا تَحْزَنُوا أَمَّا نَسِيحُكُمْ ﴿٢﴾ مَا أَتَمْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ وَغَيْرِهِ ﴿وَأَنْتُمْ تَكْمُلُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَلَكُمُ وَأَوْلَدَكُمُ فَتَنَةٌ﴾ لكم، ضادة عن أمور الآخرة ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوتوه؛ بمراعاة الأموال والأولاد والحيانة لأجلهم.

[٢٩] وَنَزَلَ فِي تَوْبَتِهِ ﴿٣﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَشَاءُوا اللَّهَ﴾ بالإجابة وغيرها ﴿يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾ بينكم وبين ما تخافون؛ فتجنون ﴿وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٣٠] ﴿وَذَكَرَ يَا مُحَمَّدٌ﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿وَقَدْ اجْتَمَعُوا لِلْمَشَاوِرَةِ فِي شَأْنِكَ بِدَارِ النَّدْوَةِ﴾ لِيُخَيِّطُوا بِكَ يَوْمَ تَكُونُ وَحِيسُوكَ ﴿أَوْ يَقْتُلُوكَ﴾ كُلُّهُمْ قَتْلَةً رَجُلٍ وَاحِدٍ ﴿أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ مِنْ مَكَّةَ ﴿وَيَمْكُرُونَ بِكَ﴾ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ﴿بِهِمْ﴾ بِتَدْيِيرِ أَمْرِكَ؛ بَأَن أَوْحَى إِلَيْكَ مَا دَبَّرَهُ وَأَمَرَ بِالْخُرُوجِ ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ﴾ أعلمهم به.

[٣١] وَإِذَا نُنَادَى عَلَيْهِمْ أَيْنَ أَنْتُمْ الْفَرَانُ ﴿قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ قاله النضر بن الحارث؛ لأنه كان يأتي الخيرة، يُخَيِّرُ؛ فيشتري كتب أخبار الأعاجم، ويحدث بها أهل مكة ﴿إِنْ﴾ مَا هَذَا الْفَرَانُ ﴿إِلَّا أَسْطِيرٌ﴾ أكاذيب ﴿الْأُولَيْنِ﴾.

[٣٢] وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ ﴿الَّذِي يَقْرؤهُ مُحَمَّدٌ﴾ هُوَ الْحَقُّ الْمُنْزَلُ ﴿مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْزِلْ عَلَيْنَا بَعْدَابُ الْأَيْمِ﴾ مؤلم على إنكاره، قاله النضر وغيره استهزاء وإيهاماً أنه على بصيرة، وجزم بطلانه. قال - تعالى - [٣٣] ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ﴾ بما سألوهم ﴿وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ لأن العذاب إذا نزل غم، ولم تعذب أمة إلا بعد خروج نبيا والمؤمنين منها ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ حيث يقولون في طوافهم: غفرانك غفرانك. وقيل: هم المؤمنون المستضعفون فيهم. كما قال - تعالى - : ﴿لَوْ نَزَّلْنَاهُ لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (٥).

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَفَتَكُمْ النَّاسُ فَوَافِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ بِصُرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَحْزَنُوا أَمَّا نَسِيحُكُمْ وَأَنْتُمْ تَعَامُونَ ﴿٧﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا آمَلَكُمُ وَأَوْلَدَكُمُ فَتَنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَشَاءُوا اللَّهُ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُخَيِّطُوا أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمُنْكَرِينَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا نُنَادَى عَلَيْهِمْ أَيْنَ أَنْتُمْ قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرٌ الْأُولِينَ ﴿١١﴾ وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْزِلْ عَلَيْنَا بَعْدَابُ الْأَيْمِ ﴿١٢﴾ وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٣﴾

[٢٦] ﴿وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مكة ﴿تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَفَتَكُمْ النَّاسُ﴾ يأخذكم الكفار بسرعة ﴿فَوَافِكُمْ﴾ إلى المدينة ﴿وَأَيْدِيكُمْ﴾ قواكم ﴿بِصُرِهِ﴾ يوم بدر بالملائكة ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الغنائم ﴿لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ نعمه. ونزل في أبي لبابة مروان ابن عبد المنذر وقد بعثه ﷺ إلى بني قريظة؛ لينزلوا على حكمه؛ فاستشاروه؛ فأشار إليهم أنه الذبيح؛ لأن عياله وماله فيهم. [٢٧] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا

(٥) ما جاء في زول الآيتين (٣٣، ٣٤): أخرجه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: ﴿اللَّهُمَّ إِن كَانَتْ هَذِهِ هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنْزِلْ عَلَيْنَا بَعْدَابُ الْأَيْمِ﴾ فنزلت: ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِنُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعُذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٣)، وباب (٤).

(١) أخرجه الطبري في جامع البيان (١٤٦/٩)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٦٨٤/٥) والسيوطي في الدر المنثور (٤٨/٤)، وإسناده ضعيف.

(٢) لم أجده.

(٣) ومذهب السلف في هذا النوع من الصفات إثباته لله ﷻ على الوجه اللائق به. شتيخائه، وهي فيما سبقت له مدح وكمال، ولكن لا تطلق عليه ﷻ مجردة بدون ذكر متعلقها؛ وكذا لا يشق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: ماكر، ولا مخادع.

(٤) أخرجه نحوه ابن جرير وابن أبي حاتم عن السدي. وليس فيه ذكر الانحياز بالكتب وإنما فيه سماعه لسجع أهلها وكلامهم - [الدر المنثور (٣٢٧/٣)]. وإسناده ضعيف جداً كما ذكر صاحب الاستيعاب (٢٣٣/٢).

(٥) الفتح: ٢٥.

[٣٤] ﴿وَمَا لَهُمْ أَهٌ نَّ﴾ لَا يَعْلَمُهُمُ اللَّهُ ﴿بِالسَّيْفِ بَعْدَ خُرُوجِكَ، والمستضعفين، وعلى القول الأول: هي ناسخة لما قبلها، وقد عذبهم الله بيدر وغيره ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ﴾ يَمْنَعُونَ النَّبِيَّ ﷺ والمسلمين ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أَنْ يَطُوفُوا بِهِ ﴿وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ﴾ كَمَا زَعَمُوا ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَفِقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنْ لَا وَلَايَةَ لَهُمْ عَلَيْهِ. [٣٥] ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً﴾ صَفِيرًا ﴿وَتَصْدِيَةً﴾ تَصَفِيفًا؛ أَي: جَعَلُوا ذَلِكَ مَوْضِعَ صَلَاتِهِمْ الَّتِي أَمَرُوا بِهَا^(١) ﴿فَدُفِّقُوا أَلْعَدَابَ﴾ بَدَرَ ﴿يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿إِنَّ الْبَيْتَ كَفَرُوا يُفْشِقُونَ أَمْرَهُمْ﴾ فِي حَرْبِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْشِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ﴾ فِي عَاقِبَةِ الْأَمْرِ ﴿عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ﴾ نَدَامَةً؛ لِفَوَاتِهَا وَفَوَاتِ مَا فَصَدُوهُ ﴿ثُمَّ يُقَالُونَ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِنْهُمْ ﴿إِلَى جَهَنَّمَ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿يُحْتَرُونَ﴾ يَسْأَلُونَ. [٣٧] ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ«تَكُونُ» بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ^(٢)؛ أَي: يَفْصِلُ ﴿الْخَبِيثَ﴾ الْكَافِرَ ﴿وَمِنَ الطَّيِّبِ﴾ الْمُؤْمِنَ ﴿وَيَجْعَلُ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جِمَاعًا﴾ يَجْمَعُهُ مَتْرَاكِمًا بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ ﴿فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلَئِكَ هُمُ الْخَبِيرُونَ﴾.

[٣٨] ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كَأَنِّي سَفِيَانٌ وَأَصْحَابِي: ﴿إِنْ يَنْتَهُوا﴾ عَنِ الْكُفْرِ وَقَتْلِ النَّبِيِّ ﷺ ﴿يَغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ مِنْ أَعْمَالِهِمْ ﴿وَإِنْ يَبُوءُوا﴾ إِلَى قِتَالِهِ ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ﴾ أَي: سُنَّتُنَا فِيهِمْ بِالْإِهْلَاكِ؛ فَكَذَا نَفْعَلُ بِهِمْ.

[٣٩] ﴿وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ﴾ تَوْجِدَ ﴿فِتْنَةً﴾ شَرَكٌ ﴿وَيَكُونُ﴾ الَّذِينَ كُتِبَ لَهُمْ وَحْدَهُ، وَلَا يَمِيدُ غَيْرُهُ ﴿فَإِنْ أَنْهَوْا﴾ عَنِ الْكُفْرِ ﴿قَارَبَ اللَّهُ يَمَا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ﴾ فَيَجَازِيهِمْ بِهِ.

[٤٠] ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ﴾ نَاصِرَكُمْ وَمُتَوَلِّي أُمُورِكُمْ ﴿يَعْمُ الْمَوْلَى﴾ هُوَ ﴿وَيَعْمُ النَّصِيرُ﴾ أَي: النَّاصِرُ لَكُمْ.

وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعِدُ بِهِمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ وَإِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنَفِقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَدُفِّقُوا أَلْعَدَابَ يَمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُفْشِقُونَ أَمْرَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيَفْشِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُعْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جِمَاعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أَوْلَئِكَ هُمُ الْخَبِيرُونَ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ وَقَتْلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونُ الَّذِينَ كُتِبَ لَهُمْ أَنْتَهُوا فَإِذَا قَارَبَ اللَّهُ يَمَا يَعْمَلُونَ بِصِيرٍ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ

(١) قال القرطبي: ... وفي معنى الآية رد على الجهال من المصوفة الذين يرقصون ويصفقون، وذلك كله منكر ينتزه عن مشه العفلاء، وينسبه فاعله بالمشركون فيما كانوا يفعلونه عند البيت اهـ.

(٢) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي، فتكون هكذا: ﴿يُحْشَرُونَ﴾.

المنقطع في سفره من المسلمين؛ أي: يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه، من أن لكل خمس الخمس، والأحماس الأربعة الباقية للغنائم **﴿إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ﴾** فاعلموا ذلك **﴿وَمَا﴾** عطف على **﴿بِاللَّهِ﴾** **﴿أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا﴾** محمد ﷺ من الملائكة والآيات **﴿يَوْمَ الْفُرْقَانِ﴾** أي: يوم بدر الفارق بين الحق والباطل **﴿يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ﴾** المسلمون والكفار **﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** ومنه نصركم مع قتلهم وكثرتهم.

[٤٢] **﴿إِذْ﴾** بدل من **﴿يَوْمَ﴾** **﴿أَنْتُمْ﴾** كاثون **﴿بِالْعُدُوِّ الَّذِينَ﴾** القرى من المدينة؛ وهي - بضم العين وكسرها^(١) - : جانب الوادي **﴿وَهُمْ بِالْعُدُوِّ الْفُصُوءِ﴾** البغدى منها **﴿وَالرَّكْبُ﴾** العير كاثون بمكان **﴿أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾** مما يلي البحر **﴿وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ أَنْتُمْ وَالنَّفِيرَ لِلْقِتَالِ﴾** لاختلفت في الميعاد ولكن جمعكم بغير ميعاد **﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا﴾** في علمه؛ وهو: نصر الإسلام ومحق الكفر، فعمل ذلك **﴿لِيَهْلِكَ﴾** يكفر **﴿مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾** أي: بعد حجة ظاهرة قامت عليه؛ وهي: نصر المؤمنين مع قتلهم على الجيش الكثير **﴿وَيُحْيِيَ﴾** يؤمن **﴿مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾**.

[٤٣] اذكر **﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ﴾** أي: نومك **﴿فَلَيْلًا﴾** فأخبرت به أصحابك؛ فسروا **﴿وَلَوْ أَرَادْتُمْ كَثِيرًا لَفُتِنْتُمْ﴾** جبشتم **﴿وَلَنَنزِعَنَّ﴾** اختلفتم **﴿فِي الْأَمْرِ﴾** أمر القتال **﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَمٌ﴾** كُم من الفشل والتنازع **﴿إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ يَذَاتُ الصُّدُورِ﴾** بما في القلوب.

[٤٤] **﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ﴾** أيها المؤمنون **﴿إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ فَلَيْلًا﴾** نحو سبعين، أو مائة، وهم ألف؛ لتقدموا عليهم **﴿وَيَقْلِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ﴾** ليقدموا ولا يرجعوا عن قتالكم، وهذا قبل التحام الحرب، فلما التحم أراهم إياهم مثلهم؛ كما في آل عمران **﴿لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾** نصير **﴿الْأُمُورُ﴾**.

[٤٥] **﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾** جماعة كافرة **﴿فَاتَّبَعُوا﴾** لقتالهم ولا تنهزموا **﴿وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾** ادعوه بالنصر **﴿لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾** تفوزون.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا عَنْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَلِالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ **﴿إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدُوِّ الَّذِينَ هُمْ بِالْعُدُوِّ الْفُصُوءِ وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنَّ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** **﴿إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاقِعَ فَلَيْلًا وَلَوْ أَرَادَكُمْ كَثِيرًا لَفُتِنْتُمْ وَلَنَنزِعَنَّ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَكَمٌ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ يَذَاتُ الصُّدُورِ﴾** **﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ اتَّقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ فَلَيْلًا وَيَقْلِلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لَيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَتْ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾** **﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاتَّبَعُوا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾**

[٤١] **﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ مَا عَنْتُمْ﴾** أخذتم من الكفار قهراً **﴿مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾** يأمر فيه بما يشاء **﴿وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ﴾** قرابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب **﴿وَالْيَتَامَىٰ﴾** أطفال المسلمين الذين هلك أبائهم وهم فقراء **﴿وَالْمَسْكِينِ﴾** ذوي الحاجة من المسلمين **﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾**

[٤٦] ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا﴾ تختلفوا فيما بينكم ﴿فَتَفْشَلُوا﴾ غلبوا ﴿وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ﴾ قوتكم ودولتكم ﴿وَأَصِيرُوا إِنْ اللَّهُ مَعَ الْفَاصِرِينَ﴾ بالنصر والعون.

[٤٧] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ﴾ ليمنعوا غيرهم ولم يرجعوا بعد نجاتها ﴿بَطْرًا وَرِيَاةَ النَّاسِ﴾ حيث قالوا: لا نرجع حتى نشرب الخمر، وننحر الجزور، وتضرب علينا القيان^(١) يدر فتسمع بذلك للناس ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ بالباء والتاء^(٢) ﴿يُحِيطُ﴾ علما فيجازيهم به.

[٤٨] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اذكر ﴿إِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ بأن شجعهم على لقاء المسلمين - لما خافوا الخروج من أعدائهم بني بكر - ﴿وَقَالَ﴾ لهم: ﴿لَا غَالِبَ لَكُمْ يَوْمَ يَوْمِ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ من كنانة، وكان أُناسهم في صورة سراقه بن مالك سيّد تلك الناحية ﴿فَلَمَّا تَرَأَتْهُ﴾ التفت ﴿الْفِتْنَتَانِ﴾ المسلمة والكافرة، ورأى الملائكة وكانت يده في يد الحارث بن هشام ﴿تَكْصُ﴾ رجع ﴿عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ هاربا ﴿وَقَالَ﴾ - لما قالوا له: أتخذلنا على هذه الحال؟! - ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ﴾ من جواركم ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ من الملائكة^(٣) ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾ أن يهلكني ﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[٤٩] ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ضعف اعتقاد: ﴿عَرَّ هَؤُلَاءِ﴾ أي: المسلمين ﴿دِينَهُمْ﴾ إذ خرجوا مع قتلهم يقاتلون الجمع الكثير توهمًا أنهم ينصرون بسببه، قال - تعالى - في جوابهم: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ يثق به، يغلب ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ حَكِيمٌ في صنعه.

[٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَى﴾ يا محمد ﴿إِذْ يَتَوَكَّى﴾ بالياء والتاء^(٤) ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرُفُونَ﴾ حال ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَذْنَهُمْ﴾ بمقامع من حديد ﴿وَيَقُولُونَ لَهُمْ﴾: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ أي: النار، وجواب ﴿لَوْ﴾ لرأيت أمرا عظيما.

[٥١] ﴿ذَلِكَ﴾ التعذيب ﴿يَمَّا قَتَمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ عبر بها دون غيرها؛ لأن أكثر الأفعال نزاول بها ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ﴾ أي: بذي ظلم ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

وَاطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصِيرُوا إِنْ اللَّهُ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطْرًا وَرِيَاةَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ يَوْمَ يَوْمِ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتْهُ الْفِتْنَتَانِ تَكْصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ عَرَّ هَؤُلَاءِ دِينَهُمْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَكَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةَ يَصْرُفُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْنَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ يَمَّا قَتَمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾ كَذَٰبٌ أَلْفَرَعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

[٥٢] ذَابَ هَؤُلَاءِ ﴿كَذَابٌ﴾ كعادة ﴿الْفَرَعُونَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ بالعقاب ﴿بِذُنُوبِهِمْ﴾ جملة ﴿كَفَرُوا﴾ وما بعدها: مفسرة لما قبلها ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ﴾ على ما يريد ﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

(١) جمع «فَيْن» و«الْقِيَةِ» هي الأمة المملوكة الغنية. وقيل: «لو كانت غير مغنية»، و«القين»: العبد.

(٢) ظهره أهما سبعيتان، وليس كذلك، بل التاء الفوقية لم يقرأ بها أحد من السبعة ولا العشرة، فذكرها سبق قلم.

(٣) أخرج نحوه الطبري مختصرا في جامع البيان (١/٤١٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره (١٧١/٥) دون ذكر سراقه والحارث. وحسن صاحب الاستيعاب إسناد (٢٤١/٢).

(٤) بالتاء قراءة ابن عامر.

[٥٤] ﴿كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿وَكُلٌّ﴾ من الأمم المكذبة ﴿كَانُوا ظَالِمِينَ﴾.
[٥٥] ﴿وَنَزَلَ فِي قِرْطَةَ^(١)﴾: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٦] ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ﴾ أن لا يعيثوا بالمشركين ﴿ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَاهِدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْفَقٍ﴾ عاهدوا فيها ﴿وَهُمْ لَا يَنْقُضُونَ﴾ الله في عهدهم.

[٥٧] ﴿فَلَمَّا﴾ فيه إدغام نون ﴿إِنْ﴾ الشرطية في ﴿مَا﴾ المزيدة ﴿تَنْقُضْتُمْ﴾ تجدهم ﴿فِي الْحَرْبِ فَتَرَدُّ﴾ فرق ﴿بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ﴾ من المحاربين؛ بالتسكيل بهم والعقوبة ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: الذين خلفهم ﴿يَذْكُرُونَ﴾ يتعطلون بهم.

[٥٨] ﴿وَأَمَّا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ﴾ عاهدوك ﴿خِيَانَةً﴾ في عهد بأمانة تلوح لك ﴿فَأُذِّنْ﴾ اطرح عهدهم ﴿إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾ حال؛ أي: مستويا أنت وهم في العلم بنقض العهد؛ بأن تعلمهم به؛ لئلا يتهموك بالغدر ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ﴾.

[٥٩] ﴿وَنَزَلَ فِيمَنْ أَفْلَتَ يَوْمَ بَدْرٍ^(٢)﴾: ﴿وَلَا تَحْصِينَ﴾^(٣) يا محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا سَبْقُوا﴾ الله؛ أي: فاتوه ﴿إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾ لا يفوتونه، وفي قراءة: بالتحثانية، فالفعول الأول محذوف؛ أي: أنفسهم، وفي أخرى: بفتح ﴿إِنْ﴾^(٤) على تقدير اللام.

[٦٠] ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ﴾ لقتالهم ﴿مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ قال ﷺ: ﴿هِيَ الرُّغْمِي﴾ [رواه مسلم]^(٥) ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ﴾ مصدر؛ بمعنى: حبسها في سبيل الله ﴿تَرْهَبُونَ﴾ تخوفون ﴿بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ أي: غيرهم؛ وهم: المنافقون، أو اليهود ﴿لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾ جزاؤه ﴿وَأَنْتُمْ لَا تُمْلِكُونَ﴾ تنقصون منه شيئا.

[٦١] ﴿وَأِنْ جَنَحُوا﴾ مالوا ﴿لِلْإِسْلَامِ﴾ بكسر السين وفتحها^(٦)؛ الصلح ﴿فَاجْتَنِبْهُمْ﴾ وعاهدكم، وقال ابن عباس: هذا منسوخ بآية السيف. وقال مجاهد: مخصوص بأهل الكتاب؛ إذ نزلت في بني قريظة^(٧) ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ ثنى به ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُعَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ^(٨) كَذَّابٌ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ^(٩) إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ^(١٠) الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرْفَقٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ^(١١) فَمَا تَتْلِفُ لَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَتَرَدِّ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ^(١٢) وَمَا تَخَافُ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٍ فَاذِّنْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ^(١٣) وَلَا يَحْصِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَسَبْقُوا إِلَيْهِمْ لَا يُعْجِزُونَ^(١٤) وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَظْلَمُونَ^(١٥) وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْتَنِبْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ^(١٦)

[٥٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: تعذيب الكفرة ﴿بِأَنَّ﴾ أي: بسبب أن ﴿اللَّهُ لَمْ يَكُ مُعَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ﴾ مبدلاً لها بالنقمة ﴿حَتَّى يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ يبدلوا نعمتهم كفراً؛ كتبديل كفار مكة إطاعتهم من جوع وأمنهم من خوف وَتَعَثَّ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِمْ بالكفر والصد عن سبيل الله وقتال المؤمنين ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ [الأنفال: ٥٦] [الدر المنثور (٣/٣٤٧)].

(٢) ذكر نحوه البغوي في تفسيره (٣/٣٦٩).

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) لأن عامر.

(٥) أخرجه نحوه مسلم (٣٥٤١) عن عتبة بن عامر مرفوعاً.

(٦) بالكسر لشعبة.

(٧) قال ابن كثير: وهذا فيه نظر؛ لأن السياق كله في وقعة بدر، وذكرها مكتنف لهذا كله. ثم قال معلقاً على القول بالنسخ: «وفيه نظر أيضاً؛ لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك، فأما إن كان العدو كثيراً فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة، وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية، فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص. والله أعلم». اهـ.

[٦٢] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنْ حَسِبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي إِلَيْكَ يَبْصُرُونَ﴾ كافيك ﴿اللَّهُ هُوَ الَّذِي إِلَيْكَ يَبْصُرُونَ﴾ وبالمؤمنين.

[٦٣] ﴿وَأَلْفٌ مِنْكُمْ﴾ جمع ﴿بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾ بعد الإحن ﴿لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتْ بِكَ قُلُوبُهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُمْ عَزِيزٌ﴾ غالب على أمره ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرج شيء عن حكمته.

[٦٤] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَحَسْبُكَ مِنَ الْمُتَّبِعِينَ﴾ من أتبعك من المؤمنين.

[٦٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضَ﴾ حثَّ ﴿الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾ للكفار ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾ بالياء والناء^(١) ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ وهذا خبر؛ بمعنى الأمر؛ أي: ليقاتل العشرون منكم المائتين، والمائة ألف ويقتلوا لهم، ثم يُخْبَرُ - لما كُتِبُوا - بقوله: [٦٦] ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ شُعْفًا﴾ بضم الضاد وفتحها^(٢)، عن قتال عشرة أمثالكم^(٣) ﴿وَإِنْ يَكُنْ﴾ بالياء والناء^(٤) ﴿مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ منهم ﴿وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته؛ وهو: خبر بمعنى الأمر؛ أي: ليقاتلوا مثليكم وتقتلوا لهم ﴿وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ بعونه.

[٦٧] ﴿وَنَزَلَ - لَمَّا أَخَذُوا الْفِدَاءَ مِنْ أَسْرَى بَدْرٍ^(٥)﴾: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ﴾ بالناء والياء^(٦) ﴿لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَذَ فِي الْأَرْضِينَ﴾ يبالغ في قتل الكفار ﴿تُرِيدُونَ﴾ أيها المؤمنون ﴿عَرَضَ الَّذِينَ﴾ حطامها يأخذ الفداء ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ﴾ لكم ﴿الْآخِرَةَ﴾ أي: ثوابها يقتلهم^(٧) ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ وهذا منسوخ بقوله: ﴿لَمَّا مَتَا بَعْدَ وَلَمَّا فِدَا^(٨)﴾.

[٦٨] ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ﴾ بإحلال الغنائم والأسرى لكم ﴿لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ﴾ من الفداء ﴿عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٦٩] ﴿لَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا لَيْسَ بِأَنْتُمْ وَاللَّهُ لَمَّا عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٦٥، ٦٦): أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت ﴿إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَبِيرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ﴾ شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف، فقال: ﴿أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ شُعْفًا﴾ فإن يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ. قال: فلما خفف الله عنهم العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأنفال (٨) باب (٧).

(٥٥) ما جاء في نزول الآيات (٦٧ - ٦٩). أخرجه مسلم عن ابن عباس قال: فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: «ما ترون في هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: يا بني الله، هم أبو بكر، ولكي أرى أن تمكنا فنضرب أعناقهم؛ فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان - نسيته لعمر فأضرب عنقه؛ فون هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر، ولم يهو ما قلت. فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدان يكيان. قلت: يا رسول الله، أخبرني من أي شيء أتت بكيتك، فإن وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تابكت ليكأنكما. فقال رسول الله ﷺ: «أبكي للذي عرض علي أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة». شجرة قريبة من بني الله ﷺ وأمر الله ﷺ: ﴿مَا كَانَتْ لِنَبِيِّ أَنْ تَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يَتَخَذَ فِي الْأَرْضِينَ﴾ إلى قوله: ﴿لَكُلُّوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا لَيْسَ بِأَنْتُمْ وَاللَّهُ لَمَّا عَفُوٌّ رَحِيمٌ﴾. كتاب الجهاد والسير (٢٣) باب (١٨) الإمداد باللائكة.

وأخرج الترمذي عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «لم تزل الغنائم لأحد سود الرؤوس من فلكم، كانت تنزل نار من السماء فتأكلها» قال سليمان الأعمش: فمن يقول هذا إلا أبو هريرة الآن، فلما كان يوم بدر وقعوا في الغنائم قبل أن تزل لهم؛ فأمر الله: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٩) سورة الأنفال. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٦٣).

(١) بالطاء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم.

(٣) بالطاء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٤) أخرجه مسلم (٣٣٠٩) عن عمر بن الخطاب.

(٥) بالطاء قراءة أبي عمرو.

(٦) القتال: ٤.

يَمَّا أَجَذَ مِنْكُمْ. من الفداء؛ بأن يضعفه لكم في الدنيا ويثبتكم في الآخرة
وَيَغْفِرَ لَكُمْ. ذنوبكم ﴿وَاللَّهُ عَفَّورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٧١] ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا﴾ أي: الأسرى ﴿يُخَانَتُكَ﴾ بما أظهروا من القول
﴿فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ﴾ قبل بدر بالكفر ﴿فَأَمَّا كُنْ مِنْهُمْ﴾ بدر؛ قتلاً
وأسراً؛ فليتوقعوا مثل ذلك إن عادوا ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في
صنعه.

[٧٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَهُمْ الْمُهَاجِرُونَ وَالَّذِينَ آوَوْا﴾ النبي ﷺ ﴿وَنَصَرُوا﴾ وهم الأنصار
﴿أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ في النصر والإرث ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا﴾
مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ ﴿بِكسر الواو وضحتها﴾ ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾ فلا إرث بينكم
وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة ﴿حَقٌّ يُهَاجِرُوا﴾ وهذا منسوخ بآخر
السورة ﴿وَلَنْ أَسْتَصِرَّكُمْ فِي الَّذِينَ قَعَلْتُمْ﴾ النصير ﴿لهم على الكفار﴾ إلا
على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد؛ فلا تصروهم عليهم وتنقضوا عهدهم
﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَعْضِ أَوْلِيَاءِ بَعْضٍ﴾ في النصر والإرث؛ فلا
إرث بينكم وبينهم ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ﴾ أي: تولى المسلمين وقمع الكفار ﴿تَكُنْ
فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ بقوة الكفر وضعف الإسلام.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا
وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة.

[٧٥] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ﴾ أي: بعد السابقين إلى الإيمان والهجرة
﴿وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مَعَكُمْ﴾ أيها المهاجرون والأنصار ﴿وَأُولُوا
الْأَرْثِ﴾ ذوو القربات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ في الإرث؛ من التوارث في
الإيمان والهجرة المذكورة في الآية السابقة ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ اللوح المحفوظ
﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٌ عَالِمٌ﴾ ومنه حكمة الميراث.

يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ
فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ
وَاللَّهُ عَفَّورٌ رَحِيمٌ ﴿وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ
مِنْ قَبْلُ فَأَمَّا كُنْ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ إِنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ
آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيَّتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا
وَإِنْ أَسْتَصِرَّكُمْ فِي الَّذِينَ قَعَلْتُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ قِسْقٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿وَالَّذِينَ
كَفَرُوا بِبَعْضِ أَوْلِيَاءِ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةً فِي
الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا
فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ
حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مَعَكُمْ وَأُولُوا الْأَرْثِ
بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾

[٧٠] ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ يَت﴾ [الأسارى] (١) وفي قراءة:
﴿الأسرى﴾ ﴿إِنْ يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا﴾ إيماناً وإخلاصاً ﴿يُؤْتِكُمْ خَيْرًا﴾

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ﴿وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَنُكُمْ فَكَأَنَّهُمْ رَجُلٌ﴾ [النساء: ٣٣] كان لرجل يحالف الرجل ليس بينهما نسب، فبرث أحدهما الآخر، فسح ذلك الأنفال، فقال تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْثِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾. أبو داود - كتاب الفرائض (١٣) باب (١٦) سح ميراث العقد بميراث الرحم، وقال الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٥٣٥): حسن صحيح.

(١) وهي قراءة أبي عمرو.

(٢) بالكسر حمزة.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

سُورَةُ التَّوْبَةِ

[مدنية، أو إلا الآيتين آخرها. مائة وثلاثون، أو: إلا آية، نزلت بعد المائة] (*)

ولم تكتب فيها بالبسملة؛ لأنه ﷺ لم يأمر بذلك؛ كما يؤخذ من حديث رواه الحاكم^(١). وأخرج في معناه عن علي: أن البسملة أمان، وهي نزلت لرفع الأمان بالسيف^(٢). وعن حذيفة: «إِنَّكُمْ تَسْتَوْنَهَا سُورَةُ التَّوْبَةِ وَهِيَ سُورَةُ الْعَذَابِ»^(٣)، وروى البخاري عن البراء: أنها آخر سورة نزلت^(٤).

[١] هذه ﴿سُرَّةُ﴾ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴿وَإِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ عهدًا مطلقًا أو دون أربعة أشهر أو فوقها، ونص العهد بما يذكر في قوله: [٢] ﴿فَيَسْجُورُ﴾ سبوا أمين أيًا المشركون ﴿فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ أولها شوال - بدليل ما سيأتي -، ولا أمان لكم بعدها ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَذْرُوحِي اللَّهِ﴾ أي: فأتيت عذابه ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَعَزَّى الْكَافِرِينَ﴾ مثليهم في الدنيا بالقتل والآخرة بالنار. [٣] ﴿وَأَذَانٌ﴾ إعلام ﴿مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ ﴿يَوْمَ انْصَحْ﴾ أي: بأن ﴿اللَّهُ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ وعهودهم ﴿وَرَسُولُهُ﴾ بَرِيءٌ أَيْضًا، «وقد بعث النبي ﷺ عليًا من الشقة؛ وهي: سنة تسع، فأذن يوم النحر بمنى بهذه الآيات، وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف في البيت عريان»^(٥) [رواه البخاري]. ﴿فَإِنْ تَبَيَّنَ مِنَ الْكُفْرِ﴾ وهو خبرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ عَنْ الْإِيمَانِ ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَذْرُوحِي اللَّهِ وَبَشِّرِ﴾ أَخِيرِ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَدَابِ اللَّهِ﴾ مؤلِّم؛ وهو: القتل والأسر في الدنيا والنار في الآخرة. [٤] ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا﴾ من شروط العهد ﴿وَلَمْ يَطْغَوْا﴾ يعاونوا ﴿عَلَيْكُمْ أَحَدًا﴾ من الكفار ﴿فَأَيَّدُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ﴾ انقضاء ﴿مَدَّتْهُمْ﴾ التي عاهدتم عليها^(٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ بإتمام العهد.

[٥] ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ﴾ خرج ﴿الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ وهي آخر مدة التأجيل^(٧) ﴿وَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ﴾ في جِلٍّ أَوْ حَرَمٍ ﴿وَوُضُّوهُمْ﴾ بالأسر ﴿وَأَحْضَرُوهُمْ﴾ في القلاع والحصون، حتى يضطروا إلى القتل أو الإسلام ﴿وَأَعْدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ طريق يسلكونه، ونصب ﴿كُلِّ﴾ على

بِرَاءَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿فَيَسْجُورُ﴾ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَذْرُوحِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ فَإِنْ تَبَيَّنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُمْ عَذْرُوحِي اللَّهِ وَبَشِّرِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابِ اللَّهِ ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مَدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُواهُمْ وَأَحْضَرُوهُمْ وَأَعِدُّوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ

نزع الحافض ﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ من الكفر ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ ولا تتعرضوا لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمن تاب.

[٦] ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ مرفوعٌ بفعل يفسره ﴿اسْتَجَارَكَ﴾ استأمنك من القتل ﴿فَأَجِرْهُ﴾ أَمْنُهُ ﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾ وهو دار قومه إن لم يؤمن؛ لينظر في أمره ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿وَأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ دين الله؛ فلا بد لهم من سماع القرآن؛ ليعلموا.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن البراء: آخر سورة نزلت براءة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة التوبة (٩) باب (١) والمراد معظمها، وإلا ففيها آيات كثيرة نزلت قبل سنة الوفاة النبوية، فأولها مثلاً رُل عقب فتح مكة في سنة تسع عام حج أبي بكر بالناس - كما سيأتي - وقد نزلت ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وهي من المائة في حجة الوداع سنة عشر بينما غالب سورة براءة نزل في غزوة تبوك سنة تسع، وقد أخرج النسائي عن ابن عباس أن سورة النصر آخر سورة نزلت من القرآن، فالجمع بينهما أن آخر سورة النصر نزولها كاملة، بخلاف براءة فالمراد معظمها. (راجع تفصيل ذلك في الفتح ٨/ ١٦٧، ٦٥٠، ٦٠٦).

(١) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٢) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٣) المستدرک (٣٣٠/٢).

(٤) البخاري (٤٦٥٤)، ومسلم (١٦١٨).

(٥) البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧) عن أبي هريرة.

(٦) قيل: هم: «بنو ضمرة» من قبائل «بنو بكر» من «كنانة» قال: لم ينقضوا عهدهم مع النبي ﷺ فأمر بإتمام عهدهم إلى مدتهم. وقيل: هم من لهم عهد مؤقت ولم ينقضوه.

(٧) قيل: هذا التأجيل خاص بالذين نقضوا العهد، وهم «قريش» الذين أعانوا حلفاءهم «بنو دُلَّان» من «بنو بكر» على «خزاعة» حلفاء النبي ﷺ. وقيل: هو لمن كان له عهد مطلق ليس بمؤقت؛ فضرر له هذا الأجل يسبح في الأرض؛ أي يذهب إليها لينجو بنفسه.

رَسُولِهِ ﴿وَهُمْ كَافِرُونَ بِهِمَا غَادِرُونَ﴾ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴿يَوْمَ الْحُدُوبَةِ﴾ وَهُمْ قَرِيشُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قَبْلِ (١) ﴿فَمَا اسْتَقْتَمُوا لَكُمْ﴾ أَقَامُوا عَلَى الْعَهْدِ وَلَمْ يَنْقُضُوهُ ﴿فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِ، وَ«مَا» شَرْطِيَّةٌ ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ وَقَدْ اسْتَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى عَهْدِهِمْ حَتَّى نَقَضُوا بِإِعَانَةِ بَنِي بَكْرٍ عَلَى خِزَاعَةٍ.

[٨] ﴿كَيْفَ﴾ يَكُونُ لَهُمْ عَهْدٌ ﴿وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ﴾ يَظْفَرُوا بِكُمْ ﴿لَا يَرْفِقُوا﴾ يَرَاوُوا ﴿فِيكُمْ﴾ إِلَّا قَرَابَةً ﴿وَلَا ذِمَّةً﴾ عَهْدًا، بَلْ يُؤْذِيكُمْ مَا اسْتَطَاعُوا، وَجُمْلَةُ الشَّرْطِ حَالٌ ﴿يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بِكَلَامِهِمُ الْحَسَنَ ﴿وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ﴾ الْوَفَاءَ بِهِ ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ﴾ نَاقِضُونَ لِلْعَهْدِ.

[٩] ﴿أَشْرَوْا بِعَاثِلَةِ اللَّهِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ مِنَ الدُّنْيَا؛ أَيْ: تَرَكَوْا اتِّبَاعَهَا لِلشَّهَوَاتِ وَالْهَوَىٰ ﴿فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دِينِهِ ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ﴾ بِسْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، هُ عَمِلَهُمْ هَذَا.

[١٠] ﴿لَا يَرْفِقُونَ فِي مَوَافِقٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ﴾.

[١١] ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَلِحْزَانِكُمْ﴾ أَيْ: فَهَمُ إِخْوَانِكُمْ ﴿فِي الدِّينِ وَتَفْصِلُ﴾ نَبِيٍّ ﴿الْأَلْبَتِ يَقُومُ يَسْكُنُونَ﴾ يَتَدَبَّرُونَ.

[١٢] ﴿وَإِنْ نَكَثُوا﴾ نَقَضُوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ مَوَافِقَهُمْ ﴿بَيْنَ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ﴾ عَابَوْهُ ﴿فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ﴾ رُؤْسَاءَهُ فِيهِ، وَضَعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمَضْمَرِ ﴿إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ﴾ عَهْدُ ﴿لَهُمْ﴾ وَفِي قِرَاءَةِ: بِالْكَسْرِ (٢) ﴿لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾ عَنِ الْكُفْرِ.

[١٣] ﴿آلَا﴾ لِلتَّحْذِيرِ ﴿فَقَدْ نَكَثُوا قَوْمًا نَكَثُوا﴾ نَقَضُوا ﴿أَيْمَانَهُمْ﴾ عَهْدَهُمْ ﴿وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ﴾ مِنْ مَكَّةَ - لِمَا تَشَاوَرُوا فِيهِ بَدَارِ الدُّوَّةِ - ﴿وَهُمْ بَدِئُوكُمْ﴾ بِالْفِتْنِ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿حَيْثُ قَاتَلُوا﴾ خِزَاعَةَ حُلَفَاءِكُمْ مَعَ بَنِي بَكْرٍ، فَمَا يَنْعَمُ أَنْ تَقَاتِلُوهُمْ؟! ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ أَمْ تَخْشَوْنَهُمْ؟! ﴿فَاللَّهُ أَعَزُّ أَنْ تَخْشَوْهُ﴾ فِي تَرْكِ قِتَالِهِمْ ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْفِقُوا فِيكُمْ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضَوْنَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْتِي قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَسِيقُونَ (٨) أَشْرَوْا بِعَاثِلَةِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لَا يَرْفِقُونَ فِي مَوَافِقٍ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْسِدُونَ (١٠) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَلِحْزَانِكُمْ فِي الدِّينِ وَتَفْصِلُ الْآلِ بَتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتَلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢) أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهُمْ يُبَايِعُ الرَّسُولَ وَهُمْ بَدِئُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣)

[٧] ﴿كَيْفَ﴾ أَيْ: لَا يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ

(١) وقيل: هم: «بنو ضمرة الذين دخلوا في عهد قريش».

(٢) أَيْ: «لَا إِيمَانَ لَهُمْ» وَهِيَ لَا بَيِّنَةٌ.

[١٤] ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ﴾ يقتلهم ﴿بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ﴾ يذلهم بالأسر والقهر ﴿وَيُضْرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ بما فعل بهم؛ وهم: بنو خراعة.

[١٥] ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ كَرَبَهَا ﴿وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ بالرجوع إلى الإسلام؛ كما في سفیان ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[١٦] ﴿أَمْ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَعْرِ اللَّهَ﴾ علم ظهور ﴿الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ﴾ بإخلاص ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ﴾ بطانة وأولياء؛ المعنى: ولم يظهر المخلصون؛ وهم: الموصوفون بما ذكر من غيرهم ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ﴾ بالافراد والجمع^(١)؛ بدخوله والقعود فيه ﴿شُهَدَاءَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ﴾ بطلت ﴿أَعْمَالُهُمْ﴾ لعدم شرطها ﴿وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾.

[١٨] ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَرَ أَحَدًا﴾ إلّا الله ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾.

[١٩] ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْقَرَامِ﴾ أي: أهل ذلك ﴿كَفَنَ مَآمِنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ في الفضل ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين، نزلت ردًا على من قال ذلك^(٢)؛ وهو: العباس أو غيره^(٣).

[٢٠] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً﴾ عند الله ﴿من غيرهم﴾ وأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿الظَّافِرُونَ بِالْخَيْرِ﴾.

قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْرِجُهُمْ وَيَضْرِكُهُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٦﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْرِ اللَّهَ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ بِإِخْلَاصٍ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَنَّةٍ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسْجِدَ اللَّهِ شُهَدَاءَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَحْشَرَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهُ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿١٩﴾ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢١﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (١٩): أخرج مسلم عن النعمان بن بشير قال: كنت عند منبر رسول الله ﷺ فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعطي الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملاً بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام. وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قُلتُم. فزجرهم عمر وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ. وهو يوم الجمعة. ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستقيت فيها احتلتهم فيه. فأنزل الله ﷻ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْقَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾ إلى آخرها. مسلم - كتاب الإمارة (٣٣) باب (٢٩) فض الشهاد في سبيل الله.

(٢) بالافراد قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب. ويكون المقصود: المسجد الحرام.

(٣) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن عباس (تروها في العباس) [الدر المنثور (٣٩٥/٣)]: وأخرجه مسلم (٣٤٩١) عن النعمان بن بشير (نزولها في رجل).

مُقِيمٌ دائِمٌ.

[٢٢] ﴿خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ. [٢٣] وَنَزَلَ فِيمَن تَرَكَ الْهَجْرَةَ لِأَجْلِ أَهْلِهِ وَتِجَارَتِهِ: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَبَنُونَكُمْ ءَوِيَّةً إِنْ أَسْتَجَبُوا﴾ اختاروا ﴿الْكَفَرُ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ يَكْفُرْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[٢٤] ﴿قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَإِبْنَاؤُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ أَقْرَبُ إِلَيْكُمْ مِنِّي﴾ وفي قراءة (١): ﴿عَشِيرَتُكُمْ﴾ وَأَمَّا قَوْلُ أَقْرَبُ فَمَعْنَاهَا ﴿اَكْتَسَبْتُهَا﴾ وَتَجَرُّهُ تَحْتَوْنُ كَسَادَهَا عدم نفاذها ﴿وَمَسْكُنٌ رَّضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ ففعدم لأجله عن الهجرة والجهاد ﴿فَرَضُوا﴾ انتظروا ﴿حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ﴾ تهديد لهم ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[٢٥] ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ﴾ للحرب ﴿كَثِيرَةٍ﴾ كبدِرٍ وقرينة والنضير ﴿وَوَإِذْ تَرَوْهُمُ حُنَيْنَ﴾ وَإِذْ بَيْنَ مَكَّةَ وَالطَّائِفِ؛ أَي: يَوْمَ قَتَلَكُمْ فِيهِ هَوَازِنَ، وَذَلِكَ فِي شَوَالِ سَنَةِ ثَمَانَ ﴿إِذْ﴾ بَدَلٌ مِنْ ﴿يَوْمٍ﴾ ﴿أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ فقلتم: لَنْ نَغْلِبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ. وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا، وَالْكَفَّارُ أَرْبَعَةَ أَلْفٍ ﴿فَلَمْ تَغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ «مَا» مصدرية؛ أَي: مَعَ رَحْبَاهَا؛ أَي: سَعَتِهَا؛ فَلَمْ تَجِدُوا مَكَانًا تَطْمَئِنُّونَ إِلَيْهِ؛ لَشِدَّةِ مَا لَحِقَكُمْ مِنَ الْخَوْفِ ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ مُنْهَزِينَ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَلَيْسَ مَعَهُ غَيْرُ الْعَبَّاسِ، وَأَبُو سَفْيَانَ أَخَذَ بِرِكَابِهِ [٢٦] ﴿ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ طَمَئِنْتَهُ عَنْ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فَرَدُّوا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ لَمَّا نَادَاهُمُ الْعَبَّاسُ بِإِذْنِهِ (٢)، وَقَاتَلُوا ﴿وَأُنْزِلَ جُودًا لِّزُرَّتْهَا﴾ مَلَائِكَةٌ ﴿وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بِالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ ﴿وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾.

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعِيمٌ مُّقِيمٌ (١) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ (٢) يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَأَحْوَانَكُمْ ءَوِيَّةً إِنْ أَسْتَجَبُوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٣) قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَأَحْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكِنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٤) لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٥) ثُمَّ أُنْزِلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٦)

[٢١] ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَعَلَتْ لَهُمْ فِيهَا نِعِيمٌ

(١) لشعة.

(٢) أي ياذن رسول الله ﷺ.

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ منهم بالإسلام ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٨] ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ﴾ فذر؛ لحب باطنهم ﴿فَلَا يَفْرَوْنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ أي: لا يدخلوا الحرم ﴿بَعْدَ عَابِهِمْ هَذَا﴾ غام يتسع من الهجرة ﴿وَلِنْ حَقَّقَتْ عَلَيْهِ فَقَرَأَ بِانْقِطَاعِ تَجَارَتِهِمْ عَنْكُمْ﴾ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ ﴿وَقَدْ أَغْنَاهُمْ بِالْفَتْوحِ وَالْحَزْبَةِ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ.

[٢٩] ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ والا لأنوا بالنبي ﷺ ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ كالحمر ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ﴾ الثابت الناسخ لغيره من الأديان؛ وهو: دين الإسلام ﴿وَمِنْ بَيَانِ لِلَّذِينَ﴾ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ أي: اليهود والنصارى ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾ الخراج المضروب عليهم كل عام ﴿عَنْ يَدٍ﴾ حال؛ أي: منقادين، أو بأيديهم لا يؤكلون بها ﴿وَهُمْ صَافِرُونَ﴾ أذلاء منقادون لحكم الإسلام.

[٣٠] ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ﴾ عيسى ﴿أَبْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ لا مستند لهم عليه بل ﴿يَضَعُونَ﴾ يشابهون به ﴿قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ﴾ من آبائهم تقليدا لهم ﴿فَتَنَلَّهُمْ﴾ لنعمهم ﴿اللَّهُ أَفْ﴾ كيف ﴿يُؤَفِّكُونَ﴾ يصرفون عن الحق مع قيام الدليل.

[٣١] ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ﴾ علماء اليهود ﴿وَرُهْبَنَهُمْ﴾ عُجَاةَ النصارى ﴿أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ حيث اتبعوهم في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله^(١) ﴿وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا﴾ في التوراة والإنجيل ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُوهُ﴾ أي: بأن يعبدوا ﴿إِلَّاهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نجسٌ فَلَا يَفْرَوْنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَابِهِمْ هَذَا وَإِنْ حَقَّقَتْ عَلَيْهِ فَقَرَأَ بِانْقِطَاعِ تَجَارَتِهِمْ عَنْكُمْ فَسَوْفَ يُغْنِيكُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَافِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يَضَعُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَتَلَهُمُ اللَّهُ إِنْ يَتُوفَّكُونَ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَاهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

(١) أخرج الترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال بعد أن قرأ هذه الآية: «أما إلههم لم يكونوا يعبدوهم، ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئا استحلوه، وإذا حرموا عليهم شيئا حرموه». كتاب

تفسير القرآن (٤٨) - باب (١٠) سورة براءة. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٧١).

[٣٣] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ﴾ يُظَاهِرُهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ ذلك.

[٣٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَاْكُفُّونَ﴾ يأخذون ﴿أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبُطْلِ﴾ كالرشا في الحكم ﴿وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿وَالَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَكْذِبُونَ﴾ الكذب ﴿الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُنَّهَا﴾ أي: الكنوز ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: لا يؤدون منها حق من الزكاة والخير ﴿فَيُبَشِّرُهُمْ﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٣٥] ﴿يَوْمَ يُخَيَّجُ عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ﴾ تحرق ﴿بِهَا﴾ جباههم وجؤنهم وظهورهم ﴿وَجُؤُهُمْ﴾ وتوسع جلودهم حتى توضع عليها كلها، ويقال لهم: ﴿هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَفْقَهُونَ فَاذْكُوا مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ﴾ (٣٥) أي: جزاءه.

[٣٦] ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ المعتد بها للسنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ في كتاب الله: اللوح المحفوظ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَنَبَأَ﴾ أي: الشهور ﴿أَرْبَعَةَ حُرُمٍ﴾ محرمات؛ ذو القعدة، وذو الحجة، وأحرم، وزجج ﴿ذَلِكَ﴾ أي: تحريمها ﴿الَّذِينَ الْقَيْمُ﴾ المستقيم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا﴾ فيهن ﴿أَيُّ الْأَشْهُرِ الْحَرَمِ﴾ بالمعاصي، فإنها فيها أعظم وزرا، وقيل: في الأشهر كلها ﴿وَقَتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كُلَّهُ﴾ جميعا في كل الشهور ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾ ككافة وأعلموا أن الله مع المتقين ﴿بِالنَّصْرِ﴾ (١).

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ تَوْحِيدُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَتَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَخْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَاْكُفُّونَ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبُطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُخَيَّجُ عَلَيْهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَيُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُؤُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَفْقَهُونَ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْذِبُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الَّذِينَ الَّذِينَ الْقَيْمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ وَقَتَلُوا الْمُشْرِكِينَ كُلَّهُ كَمَا يَقُولُونَ كَمَا كَفَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

[٣٢] ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ﴾ شَوْعُهُ وَبَرَاهِينُهُ ﴿بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ بأفواههم فيه ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ﴾ يظهر ﴿تَوْحِيدُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ذلك.

(٥) فائدة: 'خرج مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل وانهار حتى تعبد اللات والعزى». فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أن ذلك تاما. قال: «إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحا، فوفي كل من في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيقي من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم». مسلم. كتاب الفتن وأشرط الساعة (٥٢) باب (١٧) لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا احلصة.

(٥٥) فائدة: أخرج الترمذي عن ثوبان لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ﴾ قال: كما مع النبي ﷺ في بعض أسفاره فقال بعض أصحابه: أنزل في الذهب والفضة ما أنزل لو علمنا أي المال خير فتخذه؟ فقال: «أفضله: لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة مؤمنة تعينه على إيمانه». الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٠) سورة براءة. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٤٧٠).

(٥٥) فائدة: أخرج البخاري عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقال أعرابي: أخبرني عن قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَفْقَهُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾؟ قال ابن عمر رضي الله عنهما: من كفر فم يؤد زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله لظهور الأموال. البخاري. كتاب الزكاة (٢٤) باب (٤) ما أدى زكاته فليس بكفر.

(١) في الآية إثبات معية الله ﷻ الخاصة للمتقين، ومعية الله تعالى مع عبده نوحا؛ معية عامة، ومعية خاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وحقيقة المعية الصحية اللافقة، وقد أخبر سبحانه أنه مع خلقه، مع كونه مستويا على عرشه، وقرن بين الأمرين كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِيهِ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا يَحِيطُ بِهَا وَمَا يَشْعُرُ مِنْ شَيْءٍ وَمَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِ ثَمَرٌ مِّنْ شَيْءٍ مَّا ذُكِّرَ وَلَوْ أَنَّهُ يَرَىٰ ذِكْرًا مِّنْ عِندِ رَبِّكَ يُخَبِّرُكَ بِذَلِكَ فَهُوَ يَخْبِرُ﴾ [الحديد: ٤] فأخبر أنه استوى على عرشه، وأنه مع خلقه يصير أعمالهم من فوق عرشه، فعلمه لا ياقض معيته، ومعيته لا تبطل علوه.

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُجَلِّونَهُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُطِيعُوا عِذَّةَ مَا حَزَمَ اللَّهُ فَيَجِلُّوا مَا حَزَمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلِئْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَنْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٢٨﴾ أَلَا تَنْفِرُوا بَعَثَ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ إِلَّا تَضُرُّهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٠﴾

[٢٧] ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ﴾ أي: التأخير لحزمة شهر إلى آخر؛ كما كانت الجاهلية تفعله من تأخير مخزومة الحوم إذا هلّ وهم في القتال إلى صفر ﴿زِيَادَةٌ﴾ في الكفر ﴿يُضَلُّ بِهِ﴾ لكفرهم بحكم الله فيه ﴿يُضَلُّ﴾ بضم الياء وفتحها ^(١) ﴿يُجَلِّونَهُ﴾ كَفَرُوا يُجَلِّونَهُ أَي: النسِيءُ عَامًا وَيُخَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُطِيعُوا يوافقوا بتحليل شهر وتحريم آخر بذلك ﴿عِذَّةٌ﴾ عدد ﴿مَا حَزَمَ اللَّهُ﴾ من الأشهر؛ فلا يزيدوا على تحريم أربعة ولا ينقصوا، ولا ينظروا إلى أعيانها ﴿فَيَجِلُّوا مَا حَزَمَ اللَّهُ زَيْنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ فظنوه حسنا ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٢٨] ﴿لَا دَعَا النَّبِيَّ ﷺ النَّاسَ إِلَى غَزْوَةِ تَبُوكَ﴾ وكانوا في عسرة وشدة حوز، فشق عليهم: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتَلِئْتُمْ﴾ ^(٢) بإدغام التاء في الأصل في التلئة واجتلاب همزة الوصل؛ أي: تباطأتم وملتزم عن الجهاد ﴿إِلَى الْأَرْضِ﴾ والقعود فيها؟ والاستفهام للتوبيخ ﴿أَنْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ولذاتها ﴿وَمِنَ الْآخِرَةِ﴾ أي: بدل نعيمها ﴿فَمَا مَتَّعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب متاع ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ حقير.

[٢٩] ﴿وَاللَّهُ﴾ بإدغام ﴿لَا﴾ في نون ﴿إِنْ﴾ الشرطية في الموضعين ^(٣) ﴿تَنْفِرُوا﴾ تخرجوا مع النبي ﷺ للجهاد ﴿يَعِزُّبَكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً ﴿وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يأت بهم بدلکم ﴿وَلَا تَضُرُّهُ﴾ أي: الله، أو النبي ﷺ ﴿سَكِينَتًا﴾ بترك نصره؛ فإن الله ناصر دينه ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه نصر دينه وتأييده.

[٣٠] ﴿إِلَّا تَضُرُّهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ﴾ حين ﴿أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من مكة؛ أي: أُلْجِئُوهُ إِلَى الْخُرُوجِ لما أرادوا قتله أو حبسه أو نفيه بدار الندوة ﴿ثَانِي اثْنَيْنِ﴾ حال؛ أي: أحد اثنين، والآخر أبو بكر - المعنى: نصره الله في مثل تلك الحالة؛ فلا يخذله في غيرها - ﴿إِذْ﴾ بدل من ﴿إِذْ﴾ قبله ﴿هُمَا فِي الْغَارِ﴾ نقب في جبل ثور ﴿إِذْ﴾ بدل ثانٍ ﴿يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ أبي بكر - وقد قال له لما رأى أقدام المشركين: (لو نظر أحدكم تحت قدميه لأبصرنا) ^(٤) : ﴿لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ بنصره ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ﴾ طمأنينته ﴿عَلَيْهِ﴾ قيل: على النبي ﷺ. وقيل: على أبي بكر، ﴿وَأَيَّدَهُ﴾ أي: النبي ﷺ ﴿وَجُودٍ لَمْ تَرَوْهَا﴾

ملائكة في الغار، ومواطن قتاله ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: دعوة الشرك ﴿السُّفْلَى﴾ المقلوبة ﴿وَكَلِمَةَ اللَّهِ﴾ أي: كلمة الشهادة ﴿هُوَ الْعُلْيَا﴾ الظاهرة الغالبة ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعته.

(١) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أخرج نحوه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد. [الدر المنثور (٤٢٧/٣)]، وهو مرسل صحيح الإسناد كما قال صاحب الاستيعاب (٢٧٧/٢).

(٣) أي: هذا، وقوله: ﴿إِلَّا تَضُرُّهُ﴾.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

[٤٨] ﴿لَقَدْ أَسْعَوْا لَكُمْ﴾ أَلْفَتَةً مِنْ قَبْلِ ﴿أَوَّلِ مَا قَدِمَتْ الْمَدِينَةَ﴾
﴿وَسَأَلُوا لَكَ الْأُمُورَ﴾ أَي: أَحَالُوا الْفِكَرَ فِي كَيْدِكَ وَبِاطَالِ دَيْدِكَ ﴿حَتَّى﴾
﴿جَاءَ الْحَقُّ﴾ النَّصْر ﴿وَعَلَّهَزَ عَزْرُ﴾ أَسْرَأَ اللَّهُ دَيْدَهُ ﴿وَهُمْ كَذِبُونَ﴾
لَهُ؛ فَذَخَلُوا فِيهِ ظَاهِرًا.

[٤٩] «وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ أُنْذِرْنِي فِي التَّخْلُفِ وَلَا تَنْتَبِئْ» وَهُوَ الْجُدُّ بْنُ قَيْسٍ، قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «هَلْ لَكَ فِي جِلْدِ بَنِي الْأَصْفَرِ؟» فَقَالَ: إِنِّي مَغْرَمٌ لِلنِّسَاءِ، وَأَخْشَى إِنْ رَأَيْتُ نِسَاءَ بَنِي الْأَصْفَرِ أَنْ لَا أَصْبِرَ عَنْهُنَّ؛ فَأَنْتَبِئْ^(١). قَالَ - تَعَالَى -: «أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا» بِالتَّخْلُفِ، وَقُرِئَ: «سَقَطَ»^(٢) «وَأَبْرَأَ جَهَنَّمَ لِمُحِيطَةٍ بِالْكَافِرِينَ» لَا مُحِصٍ لَهُمْ عِنْدَهَا.

[٥٠] ﴿إِنْ نُصِيبَكَ حَسَنَةً﴾ كَصَرِّ وَغَنِيمَةٍ ﴿سَوْفُمْ وَإِنْ نُصِيبَكَ مُصِيبَةً﴾ شِدَّةٌ ﴿يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا بِالْجَزْمِ حِينَ تَخْفِئُنَا مِنْ قَبْلِ قَدَرِ هَذِهِ الْمُصِيبَةِ﴾ وَيَسْتَوَلُّوْا وَهُمْ فِي رَحْوٍ ﴿بِمَا أَصَابَنَا﴾

[٥١] ﴿قُلْ لَهُمْ: لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ إصابته ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾ ناصرنا، ومتولي أمورنا ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٢] ﴿قُلْ هَلْ تَرَوْصُونَ﴾ فيه حذف إحدى التاءين من الأصل؛ أي: تنتصرون أن يقع ﴿يَا آلَ إِحْدَى﴾ العاقبتين ﴿الْحُسَيْنَيْنِ﴾ تنبيه «حسنى» تأنيث «أحسن»: النصر أو الشهادة ﴿وَوَعْنُ تَرْيِصُ﴾ تنتظر ﴿يَكُمُ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ﴾ بقارة من السماء ﴿أَوْ يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ بأن يؤذن لنا في قتالكم ﴿فَقَرَّبُوا﴾ بنا ذلك ﴿إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرِصُونَ﴾ عاقبتكم.

[٥٣] ﴿ثُمَّ أَنْفَتُوا﴾ في طاعة الله ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّيُنْقَلَبَ مِنْكُمْ﴾ ما أفقتموه ﴿إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴾ والأمر هنا بمعنى الخبر.

[٥٤] وَمَا مَعَهُمْ أُنْثِيلٌ ۖ بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ (٣) مِنْهُمْ نَفَقَتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ فَاعِلٌ، (وَأَنْ يُثْقِلَ) مفعولٌ ﴿كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كَسَالَةٌ ﴿مُتَاعِلُونَ﴾ وَلَا يُقِيمُونَ إِلَّا وَهُمْ كَاهِنُونَ ﴿الْحَقُّ: لَهُمْ يَعْدُونَهَا مَقْرَمًا﴾.

لَقَدْ أَتَبَعُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى
جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَرِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَقُولُ أَعَذَّنَ لِي وَلَا تَنْفَعُنِي الْأَنْفُ الْفِتْنَةُ سَقَطُوا أُولَئِكَ
جَهَنَّمُ لِمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ
حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ
أَعَذَّنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فِي رُحُوتٍ ﴿٥٠﴾ قُلْ
لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى
اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرْتَضُونَ إِنَّا لَا
إِحْدَى الْحَسَنَيْنِ وَإِنَّا نَرْتَضِ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ
بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِي بَنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّا مَعَكُمْ
مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يَقْبَلَ
مِنْكُمْ إِنَّا نَكُفُّ عَنْكُمْ ثُمَّ قَوْمًا مُسَقِّينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا
مَنْعَهُمْ أَنْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ نَفَقَتَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَى وَلَا يَنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾

(١) أخرج نحوه ابن أبي حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله، وكذا ابن المنذر والطبراني وابن مردويه وأبو نعيم في المعرفة عن ابن عباس (الذيل للثور ٤٤٣/٣)، واختلف في تحسينه وتضعيفه؛ فحسه فريق بشواهدهم منهم صاحب الاستيعاب (٢٨١/٢ - ٢٨٣)، ومنهم من ضعفه كالنيسابوري وغيره كما في الجمع (٣٠/٧).

(٢) وهي قراءة شاذة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وخلف.

﴿أَوْ مَخْلَافًا﴾ موضعاً يدخلونه ﴿لَوْلَا إِلَيْنَا يَوْمَهُمَّ يَجْعَلُونَ﴾ يسرعون في دخوله والانصراف عنكم إسراراً لا يرده شيء؛ كالفرس الجموح.

[٥٨] ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَلُوكُكُ﴾ يعنيك ^(٥٨) ﴿فِي﴾ قسمة ﴿الْصَّدَقَاتِ﴾ إِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾.

[٥٩] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ من الغنائم ونحوها ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ﴾ من غنيمة أخرى ما يكفيها ﴿إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ﴾ أن يغنيننا وجواب (لوه): لكان خيراً لهم.

[٦٠] ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ﴾ الزكوات مصروفة ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ الذين لا يجدون ما يقع موقعاً من كفايتهم ﴿وَالْمَسْكِينِ﴾ الذين لا يجدون ما يكفيهم ﴿وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهِ﴾ أي: الصدقات؛ من جاب وقاسم وكاتب وخائبر ﴿وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ﴾ ليسلموا أو بنيت إسلامهم، أو يسلم نظراً لهم، أو يذبوا عن المسلمين، أقسام؛ الأول والأخير لا يعطيان اليوم عند الشافعي - رضي الله تعالى عنه - لعز الإسلام، بخلاف الآخرين يعطيان على الأصح ﴿وَفِي﴾ فَكٌ ﴿الرِّقَابِ﴾ أي: المكاتبين ﴿وَالْقَدِيرِينَ﴾ أهل الدين إن استدانوا غير معصية، أو تابوا وليس لهم وفاء، أو لإصلاح ذات البين ولو أغنياء ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: القائمين بالجهاد من لا فيء لهم ولو أغنياء ﴿وَأَيُّ السَّبِيلِ﴾ المنقطع في سفره ﴿فَرِيضَةً﴾ نصب يفعله المقدر ﴿وَيُنِىَ اللَّهُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه؛ فلا يجوز صرفها لغير هؤلاء، ولا يمنع صنف منهم ^(٦٠) إذا وجد، فيقسمها الإمام عليهم على السواء، وله تفضيل بعض أحاد الصنف على بعض، وأفادت (اللام) وجوب استغراق أفرادها ^(٦١)، لكن لا يجب على صاحب المال إذا قسم لعسره، بل يكفي إعطاء ثلاثة من كل صنف، ولا يكفي دونها. كما أفادته صيغة الجمع، وبينت الشئ أن شرط المعطى منها الإسلام، وأن لا يكون هاشمياً ولا مطلبياً.

[٦١] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: المنافقين ﴿الَّذِينَ يُوَدُّونَ النَّبِيَّ﴾ بغيره وينقل حديثه ﴿وَيَقُولُونَ﴾ - إذا نهوا عن ذلك؛ لئلا يبلغه -: ﴿هُوَ أَذُنٌ﴾ أي: يسمع كل قِيلَ وَيَقْبَلُهُ، فإذا حلفنا أنا لم نقل صدقاً ﴿قُلْ﴾: هو ﴿أَذُنٌ﴾ مُشْتَمِعٌ ﴿خَيْرَ لَكُمْ﴾ لا مُشْتَمِعٌ شَرٌّ ﴿يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ﴾ يصدق ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ فيما أخبروه به لا لغيرهم، و(اللام) زائدة للفرق بين إيمان التسليم وغيره ﴿وَرَحْمَةً﴾ بالرفع عطفاً على ﴿أَذُنٌ﴾ والجر ^(٦٢) عطفاً على ﴿خَيْرٌ﴾ ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُوَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَكُفْرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ بِكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْزُقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَخْتَدُونَ مَلَجًا أَوْ مَعْرَاطٍ أَوْ مَدَحَلًا لَوْلَا إِلَيْنَا يَوْمَهُمَّ يَجْمَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رِضًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةَ قُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْقَدِيرِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَيُّ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤَدُّونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أَذُنٌ قُلْ خَيْرٌ لَّكُمْ يَوْمُنُ بِلِلَّهِ وَيَوْمُنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةُ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤَدُّونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

[٥٥] ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ﴾ أي: لا تستحسن بغيرهم عليهم؛ فهي: استدراج ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ﴾ أي: أن يعذبهم ﴿بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بما يلقون في جمعها من المشقة، وفيها من المصائب ﴿وَتَرْهَقَ﴾ تخرج ﴿أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَكُفْرُونَ﴾ فيعذبهم في الآخرة أشد العذاب.

[٥٦] ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ﴾ أي: مؤمنون ﴿وَمَا هُمْ بِكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْزُقُونَ﴾ يخافون أن تفعلوا بهم كالمشركين؛ فيحلفون بغيرته. [٥٧] ﴿لَوْ يَخْتَدُونَ مَلَجًا﴾ يلجأون إليه ﴿أَوْ مَعْرَاطٍ﴾ سراديب

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٥٨): أخرجه البخاري عن أبي سعيد قال: بينما النبي ﷺ يقسم، جاء عبد الله بن ذي الحويصرة الميمى فقال: أعدل يا رسول الله. فقال: «وبلك! ومن يعدل إذا لم أعدل؟! قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه. قال: «دعه، فإن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يقرقون من الدين كما يقرق السهم من الرمية، ينظر في قلده فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نعليه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم. أيهم: رجل إحدى يديه. أو قال: ثنية - مثل ثدي المرأة. أو قال: مثل البضة تدر - يخرجون على حين فرقة من المسلمين. قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي ﷺ، وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه. جيء بالرجل على الثنت التي نعت النبي ﷺ قال: فترلت فيه: «وَمِنْهُمْ مَّن يَلُوكُكُ﴾ البخاري - كتاب استنباط المرتدين (٨٨) باب (٧) من ترك قال الخوارج للتأليف.

(١) ذكر الثوري عن الشافعي: أن الكفار إن جاز تأليفهم فإنما يعطون من سهم المصالح من النبي ونحوه، ولا يعطون من الزكاة. وقال جمهور الحنفية بنسخ سهم المؤلفة قلوبهم. وعند الحابلة والمالكية: أنه باق لم ينسخ، وهو الصحيح؛ لأن القول بالنسخ ليس عليه دليل صريح. والحاجة إلى تأليف القلوب لم تنقطع.

(٢) وهذا مذهب الشافعي، وعند الجمهور لا يلزم تعميم الأصناف؛ فالإمام في قوله - تعالى -: ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ لبيان المصرف، لا للاستحقاق، وهذا هو الأرجح، لكن قال مالك: الأمر عندنا في قسم الصدقات أن ذلك لا يكون إلا على وجه الاجتهاد من الوالي، فأبي الأصناف كانت الحاجة فيه والعدد أثر ذلك الصنف بقدر ما يرى الوالي... وهو أولى ما يؤخذ به في حال وجود الحاكم الشرعي، وإلا فالأقرب ما نقل عن النخعي وغيره: إذا كان المال كثيراً ففرقه في الأصناف، وإذا كان قليلاً فأعطه صفواً واحداً... مع مراعاة الأشد حاجة... والله أعلم.

(٣) بالجر قراءة حمزة.

[٦٢] ﴿يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ﴾ أيها المؤمنون فيما بلغكم عنهم من أذى الرسول أنهم ما أتوه ﴿لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ بالطاعة ﴿إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ حقاً، وتوحيد الضمير؛ لتلازم الرضاهين، أو خبر «الله» أو «رسوله» محذوف.

[٦٣] ﴿الَّذِينَ يَعْلَمُونَ﴾ أي: الشأن ﴿مَنْ يُعَادِدُ﴾ يشاقق ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنْتَ لَهُ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ جزء ﴿خَلِيداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦٤] ﴿يَخَذَرُ﴾ يخاف ﴿الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من النفاق، وهم مع ذلك يستهزئون ﴿وَقُلْ أَسْتَهْزِئُكُمْ﴾ أمر تهديد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مَظْهَرًا مِمَّا تَخَذَرُونَ﴾ لإخراجه من نفاقكم.

[٦٥] ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ عن استهزائهم بك والقرآن وهم سائرون معك إلى تبوك ﴿لِيَقُولُوا﴾ معتردين: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُكُمْ وَكَلْبُ﴾ في الحديث؛ لنقطع به الطريق، ولم نقصد ذلك ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَيُّ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾.

[٦٦] ﴿لَا تَعْذِرُوا﴾ عنه ﴿فَدَكَّرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ أي: ظهر كفركم بعد إظهار الإيمان ﴿إِنْ يُعْطِ﴾ بالياء مبنياً للمفعول، والنون مبنياً للفاعل ﴿عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ﴾ بإخلاصها وتوبتها؛ كمخشي بن حمير^(١) ﴿تُعَذِّبُ﴾ بالناء والنون^(٢) ﴿طَائِفَةً﴾^(٣) يَأْتُهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ مصربين على النفاق والاستهزاء.

[٦٧] ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ أي: متشابهون في الدين؛ كأبعض الشيء الواحد ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ الإيمان والطاعة ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ عن الإنفاق في الطاعة ﴿سُئِلَ اللَّهُ﴾ تركوا طاعته ﴿فَنَسِيَهُمْ﴾ تركهم من لطفه ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٦٨] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾

يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضَوْكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٣﴾ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ وَأَنَّهُ يُخَالِدِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِيداً فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ يَخَذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنَّ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ أَسْتَهْزِئُكُمْ إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مِمَّا تَخَذَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَحْوُكُمْ وَكَلْبُ قُلْ أَيْ اللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٦﴾ لَا تَعْذِرُوا عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذِّبُ طَائِفَةٌ بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٧﴾ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ سُئِلَ اللَّهُ فَتَسَبَّحَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٦٨﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتُ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٩﴾

هِيَ حَسْبُهُمْ جزاء وعقابا ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ أبعدهم عن رحمته ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائم، أنتم أيها المنافقون.

(١) في بعض النسخ: «جحش بن حمير».

(٢) بالياء للمفعول في الفعلين قراءة السبعة عدا عاصم؛ ﴿إِنْ يُعْطِ﴾ عن طائفة منكم تُعَذِّبُ طائفةً، وقرأ عاصم بالنون والبناء للفاعل فيها.

(٣) بالرفع والنصب؛ ففيها فراءتان سبجتان: الأولى: ﴿إِنْ يُعْطِ﴾ عن طائفة منكم تُعَذِّبُ طائفةً بالرفع، والثانية: ﴿إِنْ نَعْفُ﴾ عن طائفة منكم تُعَذِّبُ طائفةً بالنصب. وراجع الحاشية السابقة.

وَأُولَٰئِكَ فَاسْتَمْتَعُوا^(٦٩) تَتَمَعُوا بِخَلْقِهِمْ^(٧٠) نصيبهم من الدنيا ﴿فَاسْتَمْتَعُوا﴾
أَيُّهَا الْمُنَافِقُونَ ﴿يَخْلَقُكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الْذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ﴾
وَحُضِّنْتُمْ^(٧١) فِي الْبَاطِلِ وَالطَّعْنِ فِي النَّبِيِّ ﷺ ﴿كَالَّذِي حَاضُوا^(٧٢) أَيُّ:
كَخَوْضِهِمْ ﴿أُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ﴾.

[٧٠] ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ﴾ خَبَرُ ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَ
قَوْمُ هُودٍ وَكُودٍ﴾ قَوْمٌ صَالِحٌ ﴿وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قَوْمٌ
شَعِيبٌ ﴿وَالْمُؤْتَفِكِينَ﴾ فَرَى قَوْمٌ لَوْطٍ؛ أَيُّ: أَهْلَهَا ﴿أَنَّهُمْ رُسُلُهُمْ
يَأْتِيَنَّهُمْ﴾ بِالْمُعْجَزَاتِ؛ فَكَذَّبُوهُمْ؛ فَأَهْلَكُوا ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾
بِأَن يَعْذِبَهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بَارْتِكَابِ الذَّنْبِ.

[٧١] ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾^(٧٣) لَا يَعْزِزُهُ شَيْءٌ عَنْ إِجْزَارِ
وَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ لَا يَضَعُ شَيْئًا إِلَّا فِي مَحَلِّهِ.

[٧٢] ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ إِقَامَةٌ ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ
أَكْبَرُ﴾ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا
وَأُولَٰئِكَ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعَتْ بِخَلْقِكُمْ
كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضِنْتُمْ
كَالَّذِي حَاضُوا أُولَٰئِكَ حِطَّتْ أَعْمَلُهُمْ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٧١﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَكُودٍ وَقَوْمُ
إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ
بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا
أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٢﴾ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ
﴿٧٣﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٤﴾

[٦٩] ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا

(٦٩) فائدة: في قوله: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ مقبول قوله في المنافقين: ﴿بَعْضُهُمْ رِيءٌ بِبَعْضٍ﴾.

قال الصَّاهِرُ بْنُ عَاشُورٍ: وَغَيْرُ فِي جَانِبِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِأَنَّهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضُ لِلْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْأَلْحَمَةَ الْجَامِعَةَ بَيْنَهُمْ هِيَ وِلَايَةُ الْإِسْلَامِ؛ فَهَمَّ فِيهَا عَلَى السَّوَاءِ، لَيْسَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مُقَلِّدًا لِآخَرٍ وَلَا تَابِعًا لَهُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ؛ لَمَّا فِي مَعْنَى الْوِلَايَةِ مِنَ الْإِشْعَارِ بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّنَاصُرِ بِخِلَافِ الْمُنَافِقِينَ، مَكَانَ بَعْضُهُمْ نَاشِئٌ مِنْ بَعْضٍ فِي مَذَاهِبِهِمْ...، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ (٢٦٢/١١).

[٧٣] ﴿يَأْتِيَا النَّبِيَّ جَهْدَ الْكَفَّارِ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُنَافِقِينَ﴾ باللسان والحجة ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ بالانتهاز وَالْقِتْ ﴿وَمَا أَوْلَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ﴾ المرجع هي.

[٧٤] ﴿يُخَلِّفُونَ﴾ أي: المنافقون ﴿يَاللَّهُ مَا قَالُوا﴾ ما بلغك عنهم من الشبّ ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ﴾ أظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام ﴿وَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمَازٍ يَتْلُونَ﴾ مِنَ الْقِتْ بالني ليلة العقبة عند عودِهِ من تبوك - وهم بضعة عشر رجلاً؛ فضرب عمار بن ياسر وجماعة الرّواجل لما عَشَرُوا، فَرُؤُوا^(١) ﴿وَمَا تَقْضُوا﴾ أَنْتَكُمُ ﴿إِلَّا أَنْ أَغْنَيْهُمْ اللَّهُ وَيَسْأَلُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ بالغنائم بعد شدة حاجتهم؛ المعنى: لم يغلهم منه إلا هذا، وليس مما ينقم^(٢) ﴿فَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ عن النفاق ويؤمنوا بك ﴿بِكَ خَيْرٌ لَّهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا﴾ عن الإيمان ﴿يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الْآلَاةِ﴾ بالقتل ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالنار ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ دِينٍ﴾ يحفظهم منه ﴿وَلَا يَصِيرُ﴾ بمنعهم.

[٧٥] ﴿وَمَنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد ﴿وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ وهو ثعلبة بن حاطب؛ سأل النبي ﷺ أن يدعو له أن يرزقه الله مالا، ويؤدي منه إلى كل ذي حق حقه، فدعا له؛ فوسع عليه؛ فانقطع عن الجمعة والجماعة، ومنع الزكاة^(٣)؛ كما قال - تعالى -: [٧٦] ﴿فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ خَبِلُوا بِوَعْدِهِمْ﴾ عن طاعة الله ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَأَعْقَبَهُمْ﴾ أي: فصر عاقبتهم ﴿بِفَقَاقٍ﴾ ثابِتًا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ ﴿أي: الله؛ وهو: يوم القيامة﴾ ﴿بِمَا أَسْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُونَهُ﴾ وَمِمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿فيه، فجاء بعد ذلك إلى النبي ﷺ بركاته، فقال: إِنَّ اللَّهَ مُتَعَفِّئٌ أَنْ أَقْبَلَ مِنْكَ﴾؛ فجعل يحثو التراب على رأسه، ثم جاء بها إلى أبي بكر فلم يقبلها، ثم إلى عمر فلم يقبلها، ثم إلى عثمان فلم يقبلها، ومات في زمانه^(٤).

[٧٨] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا﴾ أي: المنافقون ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ﴾ مَا أَشْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿وَوَجَّهْنَهُمْ﴾ مَا تَجَاوَزَ بِهِنَّ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ﴾ مَا غَابَ عَنِ الْعِيَانِ. ولما نزلت آية الصدقة جاء رجل فنصدق بشيء كثير، فقال المنافقون: مُرَاءٍ. وجاء رجل فنصدق بصاع، فقالوا: إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا. فنزل: [٧٩] ﴿الَّذِينَ﴾ مبتدأ ﴿يَلْمِزُونَ﴾

يَتَأْتِيَا النَّبِيَّ جَهْدَ الْكَفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ وَمَا أَوْلَاهُمْ جَهَنَّمُ وَيَسَّرَ الْمَصِيرُ ﴿٧٤﴾ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ يَمَازٍ يَتْلُونَ وَإِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتَوَلَّوْا يَكْخِرْ لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ دِينٍ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٥﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهُ لَئِنْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٧﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمٍ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَمِمَّا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ﴿٧٩﴾ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨٠﴾

يعيبون^(٥) ﴿الْمُطَّوِّعِينَ﴾ المستقلين ﴿وَمِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾ طاقهم؛ فيأتون به ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ﴾ والخبر ﴿سَخَّرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ جازاهم على سخريتهم^(٦) ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٧٩): أخرجه البخاري عن أبي سعيد ؓ قال: لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل، فجاء رجل فنصدق بشيء كثير، فقالوا: مرأى، وجاء رجل فنصدق بصاع، فقالوا: إِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا. فنزلت: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ...﴾ الآية. البخاري - كتاب الزكاة (٢٤) باب (١٠) اتقوا النار ولو بشق تمرة.

(١) القصة أخرجه البيهقي في الدلائل عن عروة وعن حذيفة بن إيمان، وأخرجها ابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن الضحاك وليس في أي منها أن عمار بن ياسر ضرب وجوه الرّواجل وانظر: الدر المنثور (٤٦٤/٣ - ٤٦٦) وحسنه صاحب الاستيعاب بقوله: وهذا إسناد حسن؛ رجاله ثقات، إلا ابن إسحاق وهو صدوق حجة في «الغازي» الاستيعاب (٢٩١/٢).

(٢) أي يكره؛ فالاستثناء منقطع.

(٣) هذه القصة التي أشار إليها السيوطي وهي قصة متداولة على الألسن نقلها بعض المفسرين دون إنكار نسبتها إلى ثعلبة، وتعبها آخرون بالقد واستبعدوا نزولها في حق صحابي شهد معركة بدر، قال القرطبي: وثعلبة بديري، أنصاري، وعن شهد الله له ورسوله بالإيمان، فما روي عنه غير صحيح، والمراجع أنها نزلت في رجال من المنافقين كما قال الضحاك، والله أعلم.

(٤) أخرجه الحسن بن سفيان وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والعسكري في الأمثال والطبراني وابن منده والبارودي وأبو نعيم في معرفة الصحابة وابن مردويه والبيهقي في الدلائل وابن عسك عن أبي أمانة الباهلي كما في الدر المنثور (٤٦٧/٣). قال البيهقي في الشعب (٧٩/٤، ٨٠): «وفي إسناد هذا الحديث نظر، وهو مشهور فيما أهل التفسير، والله أعلم». وقال البيهقي في الجمع (٢٣٧/٧): «رواه الطبراني، وفيه علي بن يزيد الأنهاني، وهو متروك». ولزبد من البيان والتفصيل راجع كتاب «الشهاب الثاقب في الذب عن الصحابي ثعلب بن حاطب ؓ» لسليم الهلالي.

(٥) وهذا تأويل لهذه الصفة التي أثبتها الله ﷻ لنفسه، وهي فيما سبقت له مدح وكمال، ولكنها لا تطلق عليه - شُخْطَانَةٌ - مجردة بدون ذكر متعلقها، كما لا يشق له اسم أو صفة منها؛ فلا يقال: سخر... ومذهب السلف الإيمان بها على الوجه اللائق به - شُخْطَانَةٌ - من غير تأويل، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكيف.

بالسبعين المبالغة في كثرة الاستغفار. وفي البخاري حديث: «لَوْ عَلِمَ آتِي لَوْ زِدَتْ عَلَى الشَّيْعِينَ غَفْرًا لَزِدَتْ عَلَيْهِا»^(٢)، وقيل: المراد العدد المخصوص. لحديثه أيضا: «وَسَأَزِيدُ عَلَى الشَّيْعِينَ»^(٣)، فَيَنْ لَّهُمْ حَسَمُ الْمَغْفِرَةِ بآية: «سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ»^(٤) «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآلِهِ وَرَسُولِهِ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ».

[٨١] ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ﴾ عن تبوك ﴿بِمَقْعَدِهِمْ﴾ أي: بقعودهم ﴿خَلْفَ﴾ أي: بقعد ﴿رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾^(٥) ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٦) ﴿إِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَدْرَكَ لَمْ يُخْرِجْ قُلَّ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾^(٧) وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ قَاتٍ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَرْبَةٍ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَانُوا وَهُمْ فَلْيَسْفُوهْ^(٨) وَلَا تَعْجَبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ^(٩) وَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةَ أَنْ ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّلُوفِ مِنْهُمْ وَقَالُوا دَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَلْعِدِينَ^(١٠)

[٨٢] ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا﴾ في الدنيا ﴿وَلْيَبْكُوا﴾ في الآخرة ﴿كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ خبر عن حالهم بصيغة الأمر.

[٨٣] ﴿إِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ﴾ رَدَّكَ ﴿اللَّهُ﴾ من تبوك ﴿إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ﴾ من تخلف بالمدينة من المنافقين ﴿فَاسْتَدْرَكَ لَمْ يُخْرِجْ﴾ معك إلى غزوة أخرى ﴿قُلَّ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ المتخلفين عن الغزو من النساء والصبيان وغيرهم.

[٨٤] ﴿وَمَا صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ عَلَى ابْنِ أُتَيٍّ نَزَلَ﴾ ﴿وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَرْبَةٍ﴾^(١١) لدفن أو زيارة^(١٢) ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَانُوا وَهُمْ فَلْيَسْفُوهْ﴾ كافرون.

[٨٥] ﴿وَلَا تُفْجِكْ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾.

[٨٦] ﴿وَإِذَا أَنْزَلْتُ سُورَةَ﴾ أي: طائفة من القرآن ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذِنَكَ أُولُوا الطَّلُوفِ ﴿ذَوُو الْغُنَى﴾ ومنهم ﴿وَقَالُوا دَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَلْعِدِينَ﴾.

[٨٠] ﴿اسْتَغْفِرَ﴾ يا محمد ﴿لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ﴾ تخيير له في الاستغفار وتزكوة، قال ﷺ: «إِنِّي خِيْتُ فَاخِزْتُ»؛ يعني: الاستغفار. [رواه البخاري]^(١) ﴿إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ قيل: المراد

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٨٤): أخرجه البخاري عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: لما توفي عبدالله بن أبي جاه ابنه عبدالله إلى رسول الله ﷺ فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه. ثم سأله أن يصلي عليه فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه. فقام عمر فأخذ ثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أتصلي عليه وقد نهاك أن تصلي عليه؟ فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا خِيَرْتِي اللَّهُ فَقَالَ: «اسْتَغْفِرَ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً» وسأزيد على السبعين» قال: إنه منافق. قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ فأنازل الله: ﴿وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَرْبَةٍ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة براءة (٩) باب (١٢).

(١) البخاري (١٣٦٦) عن عمر بن الخطاب مرفوعا.

(٢) البخاري (١٣٦٦) ..

(٣) البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠) عن ابن عمر مرفوعا.

(٤) المنافقون: ٦.

(٥) البخاري (٤٦٧٠)، ومسلم (٢٤٠٠) عن عبد الله بن عمر مرفوعا.

[٨٧] ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ جمع «خالفه» أي: النساء اللاتي تخلفن في البيوت ﴿وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الحيز.

[٨٨] ﴿لَكِنَّكَ أَرْسِلْتَ رَسُولًا مَعَهُمْ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ﴾ في الدنيا والآخرة ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ أي: الفائزون.

[٨٩] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٩٠] ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾ بإدغام التاء في الأصل في النال؛ أي: المعتذرون؛ بمعنى: المعتذرين، وقرئ به^(١) ﴿يَتُوبُ الْأَعْرَابُ﴾ إلى النبي ﷺ ﴿لِيُؤْذَنَ لَهُمْ﴾ في القعود لعذرهم؛ فأذن لهم ﴿وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في ادعاء الإيمان من منافقي الأعراب عن الجيء للاعتذار ﴿سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[٩١] ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ﴾ كالسيوخ ﴿وَلَا عَلَى الْمَرْضَى﴾ كالعقبي والزمنى ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ﴾ في الجهاد ﴿حَرَجٌ﴾ إنهم في التخلف عنه ﴿إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ في حال قعودهم؛ بعدم الإرجاف والتشيط والطاعة ﴿مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ بذلك ﴿وَيَنْ سَبِيلُ﴾ طريق بالمواخذه ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم في التوسعة في ذلك.

[٩٢] ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَيَذْلَبُنَّهُمْ﴾ معك إلى الغزو؛ وهم: سبعة من الأنصار، وقيل: بنو مقرن ﴿قُلْتُ لَا أَجِدُ مَا أُخْلِكُكُمْ عَلَيْهِ﴾^(٢) حال ﴿تَوَلَّوْا﴾ جواب ﴿إِذَا﴾ أي: انصرفوا ﴿وَأَعْيَبُهُمْ فَيْضٌ﴾ تسيل ﴿وَيَنْ لِلْبَيَانِ﴾ الدَّمْعَ حَزَنًا ﴿لَأَجَلٍ﴾ ألا يجحدوا ما يُنْفِقُونَ في الجهاد.

[٩٣] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ فِي التَّخَلُّفِ﴾ في التخلف ﴿وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ تقدم مثله.

رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ^(٨٧) لَكِنَّكَ أَرْسِلْتَ رَسُولًا مَعَهُمْ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ^(٨٨) أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ^(٨٩) وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَسَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(٩٠) لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ^(٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا اتَّوَكَّلُوا لَيَذْلَبُنَّهُمْ قُلْتُ لَا أَجِدُ مَا أُخْلِكُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيَبُهُمْ فَيْضٌ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ^(٩٢) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ^(٩٣)

(ه) فائدة: أخرج البخاري عن أبي موسى ﷺ قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الخيلان لهم إذ هم معي في جيش العسرة - وهي غزوة تبوك - فقلت: يا نبي الله، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: «والله لا أحملكم على شيء»، ووافقته وهو غضبان ولا أشعر، ورجعت حزينا من منع النبي ﷺ ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه علي. فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ فلم ألبث إلا سبعة إذ سمعت بلالا ينادي: أي عبدالله بن قيس، فأجبتة. فقال: أجب رسول الله بدعوك. فلما أتته قال: «شذ هذين القرنين - لست أبرة اتباعهن حينئذ من سعد - فاطلق بهن إلى أصحابك...». البخاري - كتاب المغازي (٦٤) باب (٧٨) غزوة تبوك.

قُلْ لَهُمْ: لَا تَعْدُوا لَنْ تَزِيدَ لَكُمْ: نَصَدَقَكُمْ: قَدْ بَيَّنَّا اللَّهُ مِنْ أَنْبَاءِكُمْ: أَيْ: أَخْبَرْنَا بِأَحْوَالِكُمْ: وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَمَنْ تَرَدُّدُ: بِالْبَيْتِ إِلَى عَلَيْهِ الْعَيْنِ وَالشَّهَادَةِ: أَيْ: اللَّهُ قَسَمْتُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^(٥) فَيَجْازِيكُمْ عَلَيْهِ.

[٩٩] ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ كجهينة ومدينة ﴿وَنَتَّخِذُ مَا يُفْسِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴿فُرْقَانٌ﴾ نُفَرِّقُ بِهِ عَنِ اللَّهِ ﴿وَنُرْسِلُهُ إِلَى صُلُوبَاتٍ﴾ دَعَاوَاتِ الرُّسُلِ ﴿لَهُ الْآلَاءُ إِنَّا فِيهِ نَفْقَهُمْ ﴿فُزُونٌ﴾ بِضَمِّ الرَّاءِ وَسُكُونِهَا ﴿لَهُمْ عِنْدَهُ سَيِّدَاتُهُمْ﴾ اللَّهُ فِي سَمَوَاتِهِ جَبَّتِي ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزَّوَجَلَّ لَأَهْلُ طَاعَتِهِ رَاجِعٌ﴾ بِهِمْ.

[٩٤] ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ﴾ في التخلف ﴿إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو

(٣) وهذا تفسير باللازم، فإزاء من المفسر من إثبات الصفة كما هو منبج الأشاعرة، وسبق التنبيه على أن منبج أهل السنة إثبات الصفات على الوجه اللائق به - سُفْحَانَةٌ - من غير تكليف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل.

[١٠٠] ﴿وَالسَّيْفُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ وهم من شهد بدراً، أو جميع الصحابة ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ﴾ إلى يوم القيامة ﴿يُحْسِنُ﴾ في العمل ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ بطاعته ^(١) ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ بشوابه ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ وفي قراءة: بزيادة «من» ^(٢) ﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠١] ﴿وَمَنْ حَزَلَكُمْ﴾ يا أهل المدينة ﴿يَتَّبِعُوا الْأَعْرَابَ مُتَّبِقُونَ﴾ كأنسلم وأشجع وغفار ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ﴾ منافقون أيضاً ﴿مَرَدُّوا عَلَى الْيَفَاقِ﴾ لجأ فيه واشتدوا ﴿لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿تَحْنُ تَعْلَمُهُمْ سَعْدُهُمْ مَرَدُّنَ﴾ بالفضيحة، أو القتل في الدنيا، وعذاب القبر ﴿فَمَنْ يَرُدُّوكُمْ﴾ في الآخرة ﴿إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ هو النار.

[١٠٢] ﴿وَمَنْ قَوْمٌ﴾ ما خروبت ﴿مَبْتَدَأُ﴾ أعترفوا بذنوبهم ﴿من التخلّف، نعته، والخبر:﴾ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وهو جهادهم قبل ذلك، أو اعترافهم بذنوبهم أو غير ذلك ﴿وَأَخَّرَ سَيِّئًا﴾ وهو: تخلّفهم ﴿عَنِ اللَّهِ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿نزلت في أبي لبابة وجماعة أوثقوا أنفسهم في سواري المسجد - لما بلغهم ما نزل في المتخلّفين - وحلفوا لا يحلّهم إلا النبي ﷺ؛ فحلّهم لما نزلت ^(٣)﴾.

[١٠٣] ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا﴾ من ذنوبهم؛ فَأَخَذَ ثَلَاثَ أَمْوَالِهِمْ وَتَصَدَّقَ بِهَا ﴿وَصَلَّ عَلَيْهِمْ﴾ أي: ادْعُ لَهُمْ ﴿إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ رَحْمَةٌ﴾ قِيلَ: «طمأنينة بقبول توبتهم» ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

[١٠٤] ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ بِالصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ﴾ على عباديه بقبول توبتهم ﴿الرَّحِيمُ﴾ بهم؟! والاستفهام للتقرير، والقصد به هو تهيّجهم إلى التوبة والصّدقة.

[١٠٥] ﴿وَقِيلَ لَهُمْ، أَوِ لَنْسَا:﴾ أَتَعْلَمُونَ ﴿مَا شِئْتُمْ﴾ فَسَبَّحَ اللَّهُ عَزَّ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرَدُونَ ﴿بَالِغٌ﴾ إِلَى عَلِيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَدَةِ أَي: اللَّهُ ﴿فَيُتَيْبِقُكُمْ يَسَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ^(٤) فيجازيكم به.

[١٠٦] ﴿وَأَخْرَجُوا﴾ من المتخلّفين ﴿إِلَى مَوْجُودٍ﴾ بالهمز وتركه ^(٥): مؤخرون عن التوبة ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ فيهم بما يشاء ﴿إِنَّمَا يَعِدُّهُمْ﴾ بأن يمينهم بلا

وَالسَّيْفُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ وَمَنْ حَزَلَكُمْ يَتَّبِعُوا الْأَعْرَابَ مُتَّبِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَى الْيَفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ تَحْنُ تَعْلَمُهُمْ سَعْدُهُمْ مَرَدُّنَ إِلَى عَذَابٍ عَظِيمٍ وَأَخْرَجُوا مَعْرُوفًا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَأَخَّرَ سَيِّئًا عَنِ اللَّهِ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ اللَّهُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ وَقِيلَ أَعْمَلُوا فَسَبَّحَ اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَرَدُونَ إِلَى عَلِيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَدَةِ فَيُتَيْبِقُكُمْ يَسَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَأَخْرَجُوا إِلَى مَوْجُودٍ لَمْ يَلَهُ إِمَّا يَعِدُّهُمْ وَمَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ

توبة ﴿وَمَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بخلفه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم؛ وهم الثلاثة الآتون بعد: مُزَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَهَلَالُ بْنُ أُمَيَّةَ، تخلّفوا كسلاً وميلاً إلى الدّعة لا نفاقاً، ولم يعتدروا إلى النبي ﷺ كغيرهم، فوقف أمرهم خمسين ليلة وهَجَرَهُمُ النَّاسُ حتى نزلت توبتهم بعد.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: إذا أعجبك حسن عمل امرئ فقل: ﴿اَتَمَلَّأُوا فَسَبَّحَ اللَّهُ عَزَّ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ ولا يستخفّنك أحد. البخاري - كتاب التوحيد (٩٧) باب (٤٦)...

قال الخافظ في الفتح (٥١٤/١٣): وقال ابن التين عن الداودي: معناه: لا تغتر بمدح أحد وحاسب نفسك. والصواب ما قاله غيره: أن المعنى: لا تغرّك أحد بعمله فظن به الخير إلا إن رأيته واقعاً عند حدود الشريعة.

(١) حرى المصنف على طريقته في تأويل الصفات ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات الصفات لله ﷻ التي أثبتها لنفسه على الوجه اللائق به - شيخنا - ومنها صفة الرضا، ومن لازمها التوفيق للطاعات وقبولها والإثابة عليها.

(٢) لا بأس كثير.

(٣) وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس [الدر المنثور (٤٨٧/٣)] وكذا ابن المنذر والبيهقي في الدلائل وليس فيها التصريح بأن ذلك بسبب ما نزل في المتخلّفين. وحسنه صاحب الاستيعاب بشواهد. (الاستيعاب ٣/٣٢٥).

(٤) بالهمز قراءة ابن كثير وشعبة وأبي عمرو وابن عامر.

والحر، والنواسة على المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك، وكانوا سألو النبي ﷺ أن يصلي فيه؛ فنزل: [١٠٨] ﴿لَا تَقُمْ﴾ تصل ﴿وفيهِ أَبَدًا﴾ فأرسل جماعة هدموه وحرقوه وجعلوا مكانه كناسة ثلثي فيها الجيف ﴿لَتَسْجِدَ أُنَاسٌ﴾ نبئت قواعده ﴿عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ﴾ وضع يوم خلقت يذار الهجرة؛ وهو: مسجد قباء؛ كما في البخاري ^(١) ﴿أَحَقُّ﴾ منه ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿تَقُومَ﴾ تصلي ﴿وفيهِ فِيهِ رِجَالٌ﴾ هم الأنصار ﴿يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ أي يثيبهم ^(٢)، فيه إدغام التاء في الأصل في الطاء، روى ابن خزيمة في «صحيحه» عن عويمر ابن ساعدة: أنه ﷺ أتاهم في مسجد قباء، فقال: «إِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ أَحْسَنَ عَلَيْكُمْ الشَّاءَ فِي الطُّهُورِ فِي قِصَّةِ مَسْجِدِكُمْ، فَمَا هَذَا الطُّهُورُ الَّذِي تَطْهَرُونَ بِهِ؟»، قالوا: والله يا رسول الله، ما نعلم شيئاً إلا أنه كان لنا جيران من اليهود، وكانوا يغسلون أديبارهم من الغائط؛ فغسلنا كما غسلوا ^(٣). وفي حديث رواه البزار: فقالوا: تتبع الحجارة بالماء ^(٤). فقال: «هُوَ ذَاكَ، فَعَلَيْكُمْوه» ^(٥).

[١٠٩] ﴿أَمَنْ أَسْسَ بُيُوتَهُمْ عَلَى تَقْوَى﴾ مخافة ﴿بِرِكَ اللَّهِ وَ﴾ رجاء ﴿وَرُضُونِ﴾ منه ﴿حَتَّى أَمْ مَنْ أَسْسَ بُيُوتَهُ عَلَى شُكٍّ﴾ طرف ﴿جُرِّي﴾ بضم الراء وسكونها ^(٦)؛ جانب ﴿هَارٍ﴾ مشرف على السقوط ﴿فَأَنهَارٍ يَدٍ﴾ سقط مع ثانيه ﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ﴾ خير ^(٧)، تمثيل للثبات على ضد التقوى بما يؤول إليه، والاستفهام للتقرير؛ أي: الأول خير؛ وهو مثال: مسجد قباء، والثاني مثال: مسجد الضرار ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[١١٠] ﴿لَا يَزَالُ يُبَيِّنُهُمُ الَّذِي بَوَّأَ رَبُّهُ﴾ شُكًّا ﴿فِي قُلُوبِهِمْ﴾ لَآ أَن تَقَطَّعَ تنفصل ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ بأن يموتوا ﴿وَاللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بخلقه ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه بهم.

[١١١] ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ بأن يبذلوها في طاعته؛ كالجهاد ﴿وَأَنَّ لَهُمُ الْحِجَّةَ يَقْبَلُونَ﴾ في سبيل الله ﴿فَيَقْبَلُونَ وَيُسَلِّتُونَ﴾ جملة استئناف بيان للشراء، وفي قراءة: بتقديم النبي للمفعول ^(٨)؛ أي: فيقتل بعضهم ويقتل الباقي ﴿وَسَدَّ عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾ مصدران منصوبان بفعلهما المحذوف ﴿فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ أي: لا أحد أوفى منه ﴿فَاسْتَبَشِرُوا﴾ فيه النفات عن الغيبة ﴿يُنَبِّئُكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ﴾ وذلك ﴿الْبَيْعِ﴾ هو الْفَرُزُ الْعَظِيمُ الْمُبْتَلِ غَايَةُ الْمَطْلُوبِ.

وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْوَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٩﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا الْمَسْجِدُ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١١٠﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَسَّسَ بُيُوتَهُ عَلَى شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنهَارُ يَهِيءُ فِيهِ نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١١﴾ لَا يَزَالُ يُبَيِّنُهُمُ الَّذِي بَوَّأَ رَبُّهُ فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ حَكِيمٌ ﴿١١٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْحِجَّةَ يَقْبَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْبَلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَّا عَلَيْهِمْ حَقًّا فِي التَّوْبَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْفُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبَشِرُوا بِنِعْمِ اللَّهِ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَرُزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٣﴾

[١٠٧] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ﴿وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ﴾ ضِرَارًا مضارة لأهل مسجد قباء ﴿وَكُفْرًا﴾ لأنهم بَوَّأَ بامر أبي عامر الراهب؛ ليكون معقلًا له يقدم فيه من يأتي من عنده، وكان ذهب ليأتي بجنود من قيصر لقتال النبي ﷺ ﴿وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الذين يصلون بقاء؛ بصلابة بعضهم في مسجدهم ﴿وَإِرْصَادًا﴾ ترفقًا ﴿لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل نبائه؛ وهو: أبو عامر المذكور ﴿وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ﴾ ما ﴿أَرَدْنَا﴾ بينائه ﴿إِلَّا﴾ الفعللة ﴿الْحُسْوَ﴾ من الرفق بالمسكين في المطر

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠٨): أخرج أبو داود عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: نزلت هذه الآية في أهل قباء ﴿وفيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا﴾ قال: كانوا يستنجون بالماء، فنزلت فهم هذه الآية.

أبو داود - كتاب الطهارة (١) باب (٢٣) في الاستنجاء بالماء. (صحيح) صحيح سنن أبي داود (٣٤).

وأخرج ابن ماجه عن أبي أيوب الأنصاري، وجابر بن عبد الله، وأنس بن مالك: أن هذه الآية نزلت ﴿وفيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ﴾ قال رسول الله ﷺ: «يا معشر الأنصار، إن الله قد أثنى عليكم في الطهور، فما طهروكم؟» قالوا: نوضاً للصلاة، ونغسل من الجنابة، ونستنجي بالماء.

قال: «هو ذاك فعليكموه». ابن ماجه - كتاب الطهارة (١) باب (٢٨) الاستنجاء بالماء. (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٢٨٥).

(١) البخاري (٣٩٠٦) من حديث عائشة.

(٢) وهذا تأويل لفظة الهبة بأحد لوازمها وهو الإثابة، ومذهب السلف إثبات ما أثبتته الله ﷻ لنفسه ورسوله ﷺ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف ﴿لَيْسَ كَيْتَبُوه﴾ شَيْءٌ وَهُوَ الْبَيْعُ الْفَرُزُ الشورى: [١١].

(٣) أخرجه أحمد (١٤٩٣٨) وابن خزيمة والطبراني والحاكم وابن مردويه عن عويم بن ساعدة [الدر المنثور (٤٩٧/٣)]، وحسنه الألباني في الثمر المستطاب (٥٣٩/٢).

(٤) مختصر زوائد مسند البزار (١٥٠) والجمع بين الحجارة والماء كما قال النووي: باطل. ولا يصح الحديث بهذا اللفظ. وانظر: الضعيفة حديث رقم (١٠٣١).

(٥) بسكونها حمزة وشعبة وابن عامر. (٦) قدره؛ إشارة إلى أن خير ﴿مَنْ﴾ الثانية محذوف.

(٧) حمزة والكسائي.

[١١٢] ﴿التَّائِبِينَ﴾ رفع على المدح بتقدير مبتدأ^(١)؛ من الشرك والنفاق^(٢) ﴿الْمُحْسِنِينَ﴾ المخلصون العبادة لله ﴿الْمُتَّقِينَ﴾ له على كل حال ﴿السَّائِغُونَ﴾ الصائمون ﴿الْمُتَّقُونَ﴾ السَّائِغُونَ ﴿الْمُتَّقُونَ﴾ أي: المصلون ﴿الْمُتَّقُونَ﴾ بالتَّوْبَةِ وَالْكَافِرُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ لأحكامه بالعمل بها ﴿وَيُؤْتِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالجنة.

[١١٣] وَنَزَلَ فِي اسْتِغْفَارِهِ ﷺ لَعْنَهُ أَبِي طَالِبٍ، وَاسْتِغْفَارِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ لِأُيُوبِ الْمَشْرِكِينَ: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكُفْرِ﴾.

[١١٤] ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ﴾ بقوله: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾^(٣) رجاء أن يسلم ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ﴾ بموته على الكفر ﴿تَوَّابًا مِنْهُ﴾ وترك الاستغفار له ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَكْرَهُهُ﴾ كثير التضرع والدعاء ﴿حَلِيمٌ﴾ صبور على الأذى.

[١١٥] ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ لِلْإِسْلَامِ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ من العمل؛ فلا يتقوه؛ فيستحقوا الإضلال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٌ عَلَيْهِمْ﴾ ومنه مستحق الإضلال والهداية.

[١١٦] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمِيًّا وَيُسَيْتًا وَمَا لَكُمْ أَيْهَا النَّاسُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يحفظكم منه ﴿وَلَا نُصِيرُكُمْ عَنْ ضَرْبِهِ﴾.

[١١٧] ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ﴾ أي: آدم توبته ﴿عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ﴾ أي: وقفها؛ وهي: حالهم في غزوة تبوك، كان الرجلان يقتسمان تمرًا، والعشرة يعقبون البعير الواحد، واشتد الحر حتى شربوا القُرُوثَ ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ تَرِيحُهُ﴾ بالباء والياء^(٤) تميل ﴿فَلَوْ بَقِيَ مِنْهُمْ﴾ عن اتباعه إلى التخلف؛ لما هم فيه من الشدة ﴿تَمَّتْ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ بالباء ﴿إِنَّهُمْ يَهْمُ رَدُّوهُ رَجِيمٌ﴾.

التَّائِبُونَ الْعَالِمُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِغُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٣﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكُفْرِ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَوَّابًا مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَمَا كَانَتْ اللَّهُ يُضِلُّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَهُمْ حَتَّى يَبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لَكَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمِيًّا وَيُسَيْتًا وَمَا لَكُمْ أَيْهَا النَّاسُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٧﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١١٨﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١٣، ١١٤): أخرج البخاري عن سعيد بن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبد الله بن أمية. فقال النبي ﷺ: «أبي، قل: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله» فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك». فنزلت: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَى قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْكُفْرِ﴾. وأخرجه الترمذي عن علي بن أبي طالب قال: سمعت رجلاً يستغفر لأبيوه، وهما مشركان، فقلت له: تستغفر لأبيوك وهما مشركان؟ فقال: أوليس استغفر إبراهيم لأبيه وهو مشرك؟ فذكرت ذلك للنبي ﷺ فنزلت: ﴿مَا كَانَتْ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾.

لترمذي - تفسير القرآن (٤٨) باب (١٠) سورة براءة. (حسن) صحيح سنن الترمذي (٢٤٧٧).

ورواه النسائي - كتاب الجنايز (٢١) باب (١٠٢) النهي عن الاستغفار للمشركين - وفيه: فنزلت: ﴿وَمَا كَانَتْ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ﴾ الآية. ورواه أحمد - المسند (٩٩/١)، إني قوله: ﴿تَوَّابًا مِنْهُ﴾ - فالظاهر أن الآيتين نزلتا جميعاً، وأن الاختصار من تصرف الرواة.

(١) أي: هم التائبون.

(٢) متعلق بـ ﴿التَّائِبِينَ﴾.

(٣) مريم: ٤٧.

(٤) بالباء قراءة السبعة عدا حمزة وحفص.

﴿حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ أي: مع رَحْبِهَا أي: سعتها؛ فلا يجدون مكانًا يطمئنون إليه ﴿وَصَافَتْ عَلَيْهِمُ أَنْفُسُهُمْ﴾ قلوبهم للغم والوحشة؛ بتأخير توبتهم؛ فلا يسعها سرور ولا أنس ﴿وَوَلَّوْا﴾ أي: أقنوا ﴿أَن﴾ محففة ﴿لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ وفقهم للتوبة^(١) ﴿يَسْتَوِيُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَوَّابُ الرَّحِيمُ.

[١١٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ برك معاصيه ﴿كُونَوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في الإيمان والعهد، بأن تلمزوا الصدق.

[١٢٠] ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ لَمَلٌ مِنَ الدِّينِ وَمَنْ حَرَمَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَحَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ﴾ إذا غَرَا ﴿وَلَا يَرْعَوُوا بِأَفْسَاهُمْ عَنْ نَفْسِهِمْ﴾ بأن يصونها عَمَّا رَضِيَهُ لنفسه من الشدائد، وهو نهي بلفظ الخبر ﴿ذَلِكَ﴾ أي: النبي عن التحلف ﴿بِأَفْسَاهُمْ﴾ بسبب أنهم ﴿لَا يُصْبِحُهُمْ ظَمَأٌ﴾ عطش ﴿وَلَا نَصَبٌ﴾ تعب ﴿وَلَا حَمَصَةٌ﴾ جوع ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْلُوتُ مَوْطِنًا﴾ مصدر؛ بمعنى: وطأ ﴿يَغِيظُ﴾ يغضب ﴿الْكُفَّارَ وَلَا يَتَّخِذُونَ مِنْ عَدُوِّهِ لَهً﴾ قتلاً أو أسراً أو نهياً ﴿إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ﴾ ليجازوا عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: أحرجه من شيهم.

[١٢١] ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ فِيهِ﴾ وَتَفَقَّ صَوْبُهُ ﴿وَلَوْ تَمَرَةً﴾ وَلَا كِبِيرَةً وَلَا يَقْلُوتُوا وَادِيًا ﴿بِالسَّيْرِ﴾ إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ بِعَمَلِهِمْ جَزَاءً. ﴿يَسْتَوِيُوا﴾ أي: جزاهم.

[١٢٢] وَلَمَّا وَجَّهُوا عَلَى التَّحَلُّفِ، وَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ سِرِيَةً نَفَرُوا جَمِيعًا؛ فنزل: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا﴾ إلى الغزو ﴿كَأَنَّهُمْ قُلُوبٌ﴾ ﴿فَلَا تَنْفَرُ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ قبيلة ﴿بَيْنَهُمْ طَائِفَةٌ﴾ جماعة، ومكت الباقون ﴿لِيَنْفَعَهُوا﴾ أي: الماكنون ﴿فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ من الغزو؛ بتعليمهم ما تعلموه من الأحكام ﴿لَهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ عقاب الله؛ بامثال أمره ونهيه، قال ابن عباس: فهذه مخصصة بالسرايا^(٢) والتي قبلها بالنهي عن تحلف واحد فيما إذا خرج النبي ﷺ.

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّهُ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْعَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْلُوتُ مَوْطِنًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَتَّخِذُونَ مِنْ عَدُوِّهِمْ إِلَّا كَيْبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿وَلَا يُنْفِقُونَ تَفَقَّةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كَتَبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٣﴾

[١١٨] ﴿و﴾ تَابَ ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ عن التوبة عليهم بقرينة

(١) ما جاء في نزول الآيات (١١٧-١١٩): أخرج البخاري عن عبد الله بن كعب بن مالك: وكان قائد كعب بن نبيو حين غمي. قال: شيعت كعب بن مالك يحدث، حين تحلَّفَتْ عَنْ قِبَةِ ثِيْلَك... (وذكر قصة تحلُّفه حتى تَابَ الله عليه وقال في خبر نزول توبته): فَلَمَّا صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ، طُبِعَ خَمْسِينَ لِقَةً؛ وَأَنَا عَلَى طَهْرٍ تَبَّيْتُ مِنْ ثِيْبَتِي نَيْتًا، أَنَا جَالِسٌ عَلَى الْحَالِ أَنِّي ذَكَرْتُ أَنَّ اللَّهَ صَافَتْ عَلَيَّ نَفْسِي، وَصَافَتْ عَلَيَّ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، شَيْعَتْ صَوْتُ صَارِيخٍ أَوْفَى عَنِّي حَبْلٌ سَلِمَ بِأَعْلَى صَوْبِهِ، يَا كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ. أَتَيْتُهُ قَالَ فَخَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ، وَأَذَّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِتُوبَةِ اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ، جِئْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ، فَذَهَبَ الشَّامُ يُشْرِقُ وَنَا، وَذَهَبَ قَبْلُ صَاحِبِي مُنْشِرُونَ، وَرَكَضْتُ إِلَيْ وَجْهِ فَرَسِي وَشَعِي سَاعٍ مِنْ أَمَلْتُ فَأَوَّيْتُ عَلَى الْحَبْلِ، وَكَانَ الشُّوْطُ أَسْرَعَ مِنَ الْفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي شَيْعَتْ صَوْتُهُ لِيُشْرِي، نَزَعْتُ لَهُ نَوْبِي فَكَسَوْتُهُ إِثْمًا، وَبَشَرَاهُ وَاللَّهُ مَا أَفْلَحَ غِرْمُهُمَا يَوْمَئِذٍ وَاشْتَعَرْتُ تَوْبَتَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَتَلَقَّانِي الشَّامُ، فَوَجَا فَوَجَا، يَهْتَوِي بِالنَّوْبَةِ، يَقُولُونَ لِيَهْدِي تُوبَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ. قَالَ كَعْبُ: سَعَى دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، إِذَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ الشَّامُ، فَقَامَ إِلَيَّ طَلْعَةً مِنْ عِبِيدِ اللَّهِ يَهْزُولُ، حَتَّى صَافَحَنِي وَهَتَانِي، وَاللَّهُ مَا قَامَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، وَلَا أَتَسَاوَا لِمَلْعَةٍ، قَالَ كَعْبُ فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَهُوَ يُبْرِقُ وَجْهَهُ مِنَ الشَّوْرِ: «أَتَيْتُ بِخَيْرِ يَوْمٍ مَوْ عَلَيْكَ مِنْهُ وَلَذَلِكَ أَتَيْتُكَ»، قَالَ قُلْتُ أَمِنْ عِنْدَكَ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ. قَالَ: «لَا مِنْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا شَاءَ اسْتَنَارَ وَجْهَهُ، حَتَّى كَانَتْهُ قِطْعَةٌ قَمَرٍ. وَكُنَّا نَعْرِفُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ نَبَّيْتُ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَتَخَلَّعَ مِنْ مَالِي، وَصَدَقَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى رَسُولِ اللَّهِ، فَوَالِ اللَّهِ مَا أَغْلَمَ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَهْلَاةَ اللَّهِ فِي صِدْقِ الْحَدِيثِ مِنْهُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَمَّا أَهْلَانِي، مَا تَعَفَّدْتُ مِنْهُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى يَوْمِي هَذَا كَذِبًا، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَخْفَظَنِي اللَّهُ فِيمَا بَيْتُ، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ: ﴿لَمَّا تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ ﴿كُونَوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ فَوَالِ اللَّهِ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ نِعْمَةٍ قَطُّ بَعْدَ أَنْ هَدَانِي لِلْإِسْلَامِ أَكْثَمَ مِنْ نَفْسِي مِنْ صِدْقِي لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ لَا أَكُونُ كَذِبًا، فَأَهْلِيكَ كَمَا هَلَكَ الْبَيْتُ كَذِبًا، وَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِلْبَيْتِ كَذِبًا جِئْتُ أَرْزُلُ سُوءِي شَرًّا مَا قَالَ لِأَخِي فَقَالَ تَبَرَكَ وَتَعَالَى: ﴿سَيُطْلِقُونَ إِلَيْكَ لِكَيْتُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَلْيَرْجِعْ اللَّهُ لَا يَرْجِعْ عَنْ الْقَوْرِ النَّافِقِينَ﴾ قَالَ كَعْبُ وَكُنَّا تَحَلَّفْنَا أَيْهَا الثَّلَاثَةُ، عَنْ أَمْرِ أَوْلِيكَ الَّذِينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جِئْتُ خَلْفًا لَهُ، فَيَا بَعْثَهُمْ وَاشْتَفَرُوا لَهُمْ، وَأَرْجَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَفْرَأَا، حَتَّى قَضَى اللَّهُ فِيهِ فَبَذَلَ قَالَ اللَّهُ ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا﴾ وَلَيْسَ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ، بِنَا خَلْفًا فِي الْغَزْوِ، إِنَّمَا هُوَ تَخْلِيْفُهُ إِنَّا نَا وَاجِبًا أَفْرَأَا، عَفْنُ خَلْفَ لَهُ، وَاقْتَفَرُوا إِلَيْهِ قَبْلَ مِنْهُ. البخاري. كتاب الغزوي (٦٤) باب (٧٩) حديث كعب بن مالك.

(١) لم أجده بهذا اللفظ، لكن أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في المدخل عن ابن عباس في قوله: ﴿وَمَا كَانَتِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا﴾ كَأَنَّهُمْ قُلُوبٌ، يعني ما كان المؤمنون لينفروا جميعًا ويتركوا النبي ﷺ وحده ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ﴾ يعني عصبة؛ يعني السرايا، فلا يسرون إلا بإذنه، فإذا رجعت السرايا وقد نزل قرآن تعلمه القاعدون من النبي ﷺ قالوا: إِنَّ اللَّهَ قد أَنْزَلَ عَلَى نَبِيِّكَ قُرْآنًا وقد تعلمناه فصمتك السرايا يتعلمون ما أنزل الله على نبيهم ﷺ بعدهم ويبحث سرايا أخرى، فذلك قوله: ﴿لِيَنْفَعَهُوا فِي الدِّينِ﴾ يقول: يتعلمون ما أنزل الله على نبيه ويعلمونه السرايا إذا رجعت إليهم ﴿لَهُمْ يَحْذَرُونَ﴾. [الدر المنثور (٥٢١/٣)].

[١٢٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قِيلُوا لِلَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ: أَيُّ الْقُرْبِ فَأَلْقُرْبِ مِنْهُمْ﴾ وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴿شَدَّةٌ﴾ أَيُّ: أَغْلَظُوا عَلَيْهِمْ ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ بالعون والنصر.

[١٢٤] ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ من القرآن ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُنافِقِينَ﴾ وَمَنْ يَقُولُ: لِأَصْحَابِهِ اسْتَهْزَاءً: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا﴾ تصديقًا، قال - تعالى -: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ لتصديقهم بها ﴿وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بفرحون بها.

[١٢٥] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ ضَعُفُ اعتقاد ﴿فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ كَفَرُوا إِلَى كُفْرِهِمْ؛ لَكُفْرِهِمْ بِهَا ﴿وَسَاوُوا وَهُمْ كُفْرُونًا﴾.

[١٢٦] ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ﴾ بالباء؛ أَيُّ: الْمُنَافِقُونَ، وَالتَّاءُ: أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴿أَنَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ يَتَلَوْنَ ﴿فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ بِالْفِطْحِ وَالْأَمْوَاضِ ﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ﴾ مِنْ نِفَاقِهِمْ ﴿وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ﴾ يَتَعَفُّونَ.

[١٢٧] ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ﴾ فِيهَا ذِكْرُهُمْ وَقَرَأَهَا النَّبِيُّ ﷺ ﴿نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ يَرِيدُونَ الْهَرَبَ، يَقُولُونَ: ﴿هَذَا بَرَكَةٌ مِنْ أَحَدٍ﴾ إِذَا قَمِعْتُمْ؛ فَإِنْ لَمْ يَرَهُمْ أَحَدٌ قَامُوا، وَلَا تَبَتُّوا ﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا﴾ عَلَى كُفْرِهِمْ ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ عَنِ الْهُدَى ﴿يَأْتُهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الْحَقُّ؛ لَعَدَمِ تَدْبِيرِهِمْ.

[١٢٨] ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ أَيُّ: مِنْكُمْ؛ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿عَزِيزٌ شَدِيدٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أَيُّ: عَنَتَكُمْ؛ أَيُّ: مَشَقَّتْكُمْ وَلِقَاؤُكُمْ الْمَكْرُوهَ ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أَنْ تَهْتَدُوا ﴿يَا مُؤْمِنِينَ رَوْفٌ﴾ شَدِيدُ الرَّحْمَةِ رَحِيمٌ ﴿يُرِيدُ لَهُمُ الْخَيْرَ﴾.

[١٢٩] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عَنِ الْإِيمَانِ بِكَ ﴿فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ بِهِ وَتَقَشَّ لَا بَغْيَ لَهُ ﴿وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرْسِيِّ﴾ ﴿الْعَظِيمِ﴾ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ أَعْظَمُ الْمَخْلُوقَاتِ، وَرَوَى الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرَكِ، عَنْ أَنَسٍ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: آخِرُ آيَةِ نَزَلَتْ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ.^(١)

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قِيلُوا لِلَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ
وَلِيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ
وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ
هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَرَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَرَادَتْهُمْ
رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَا تَوَّأَوْهُمْ كُفْرُونَ أَوَلَا
يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ
ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ وَإِذَا مَا
أُنْزِلَتْ سُورَةٌ نَظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَوْكُمْ
مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
رَءُوفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ
إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ

سُورَةُ التَّوْبَةِ

(١) بالناء قراءة حمزة.

(٢) وهذا رأي الحسن البصري والصواب أن العرش غير الكرسي، فالكرسي موضع القدمين له - شيعته - أما العرش فهو سرير الملك، وهو الذي عليه استوى الرحمن - جل في علاه.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک (٣٣٨/٢)، وأخرجه أحمد في المسند (١١٧/٥)، وقد ورد أن آخر آية نزلت هي: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾، وورد أيضًا أنها: ﴿وَأَلْفُوا يَوْمًا تُرْجِمُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، وقد جمع الحافظ ابن حجر بين هذه الآثار، ورجح - وغيره من العلماء - آخريه آية البقرة لما فيها من الإشارة إلى معنى الوفاة المستمرة لخاتمة النزول [الفتح (٥٣/٨)].

الْكُتِبَ ﴿الْقُرْآنُ، وَالْإِضَافَةُ بِمَعْنَى «مِنْ»﴾ الْكَبِيرِ ﴿الْحَكِيمِ﴾. [٢] ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا﴾ أَي: أَهَلْ مَكَّةَ اسْتِفْهَامُ انْكَارٍ، وَالْجَارُ وَالْمَجْرُورُ حَالٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿عَجَبًا﴾ بِالنَّصْبِ خَيْرُ «كَانَ»، وَبِالرَّفْعِ اسْمُهَا (١)، وَالْخَبَرُ وَهُوَ اسْمُهَا عَلَى الْأَوَّلَى: ﴿أَنْ أَوْحَيْتَ﴾؛ أَي: إِبْحَاوْنَا ﴿إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ﴾ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿أَنْ﴾ مَفْسُورَةٌ ﴿أَنْذِرْ﴾ خَوْفٌ ﴿النَّاسِ﴾ الْكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ ﴿وَيَنْذِرُ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ﴾ أَي: بَأَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ سَلَفٌ ﴿صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ أَي: أَجْرًا حَسَنًا بِمَا قَدَمُوا مِنَ الْأَعْمَالِ ﴿قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الْمَشْتَمَلُ عَلَى ذَلِكَ﴾ [لِيَسْحَرُ] (٢) مُبِينٌ يَسِّرُ، وَفِي قِرَاءَةٍ: ﴿لَسِحْرٌ﴾، وَالْمَشَارُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

[٣] ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا أَي: فِي قَدَرِهَا، لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ ثَمَّ شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ، وَلَوْ شَاءَ لَخَلَقَهُنَّ فِي لَحْظَةٍ، وَالْعُدُولُ عَنْهُ لِتَعْلِيمِ خَلْقِهِ الثَّبَتِ ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْ يَهُدَى إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَلِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّنِ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ (١)

[٤] ﴿إِنَّهُ﴾ تَعَالَى ﴿مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ مُصَدِّرَانِ مَنْصُوبَانِ بِفَعْلِهِمَا الْمَقْدَرِ ﴿إِنَّهُ﴾ بِالْكَسْرِ اسْتِثْنَاءٌ، وَالْفَتْحُ (٢) عَلَى تَقْدِيرِ الْأَمْرِ ﴿يَبْدُو الْخَلْقَ﴾ أَي: بَدَأَهُ بِالْإِنْشَاءِ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بِالْبَعثِ ﴿لِيَجْزِيَ﴾ يَنْشِبُ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ﴾ مَاءٌ بَالِغُ نَهَايَةِ الْحَرَارَةِ ﴿وَعَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مُؤْلَمٌ ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ أَي: بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ.

[٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً﴾ ذَاتُ ضِيَاءٍ أَي: نُورٌ ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ﴾ مِنْ حَيْثُ سِيرُهُ ﴿مَنَازِلَ﴾ ثَمَانِيَةٌ وَعَشْرِينَ مَنْزِلًا فِي ثَمَانٍ وَعَشْرِينَ لَيْلَةً مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَيَسْتَرُ لَيْلَتَيْنِ إِنْ كَانَ الشَّهْرُ ثَلَاثِينَ يَوْمًا، أَوْ لَيْلَةً إِنْ كَانَ ثَمَانِيَةً وَعَشْرِينَ يَوْمًا ﴿لِتَعْلَمُوا﴾ بِذَلِكَ ﴿عَدَدَ السَّيِّنِ وَالْحِسَابَ﴾ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الْمَذْكُورَ إِلَّا بِالْحَقِّ لَا عَثَا، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ ﴿يُفَصِّلُ﴾ بِالْبَاءِ وَالنُّونِ (٣) بَيْنَ ﴿الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ يَتَذَكَّرُونَ.

[٦] ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بِالذَّهَابِ وَالْجِيءِ، وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ ﴿وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ مِنْ مَلَأَكَةٍ، وَشَمْسٍ، وَقَمَرٍ، وَنُجُومٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ﴾ فِي الْأَرْضِ مِنْ حَيَوَانٍ، وَجِبَالٍ، وَبَحَارٍ، وَأَنْهَارٍ، وَأَشْجَارٍ، وَغَيْرِهَا ﴿لَا يَكُتِبُ﴾ دَلَالَاتٌ عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فِيؤْمِنُونَ، خَصَّصَهُم بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُمُ الْمُتَنَفِّعُونَ بِهَا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْ يَهُدَى إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَلِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السَّيِّنِ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٥﴾

سُورَةُ يُونُسَ

[مكية إلا: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِنَ الْآيَاتِينَ، أَوْ: الثَّلَاثِ، أَوْ: وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ الْآيَةُ. مِائَةٌ وَتِسْعٌ، أَوْ: وَعَشْرَ آيَاتٍ، نَزَلَتْ بَعْدَ الْإِسْرَاءِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّ﴾ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِذَلِكَ. ﴿تِلْكَ﴾ أَي: هَذِهِ الْآيَاتُ ﴿يَكُتِبُ﴾

(١) وهي قراءة شاذة، ولم يجر المفسر على عادته في الإشارة إلى القراءة الشاذة بقوله: (وقرئ).

(٢) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) وهي قراءة نافع وأبي عمرو وابن عامر وفالون وأبي جعفر ويعقوب، وقرأ بنخفيف الدال (تَذَكَّرُونَ): حفص وحزمة والكسائي وحلف.

(٤) ظاهرها أنها بالفتح قراءة سبعية وليس كذلك، بل هي عسرية لأبي جعفر.

(٥) بالنون قراءة نافع وابن عامر وحزمة والكسائي وشعبة.

[٧] ﴿إِنَّ الْذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ بالبعث ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بدل الآخرة؛ لأنكارهم لها ﴿وَالْمَأْتُوا بِهَا﴾ سكنوا إليها ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ دلائل وحدانيتنا ﴿عَتَوْنَ﴾ تاركون النظر فيها.

[٨] ﴿أُولَئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الشرك والمعاصي.

[٩] ﴿إِنَّ الْذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ﴾ يرشدهم ﴿رَبُّهُمْ يَهْدِيهِمْ﴾ به بأن جعل لهم نوراً يهتدون به يوم القيامة ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ الْخَيْرِ﴾.

[١٠] ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا﴾ طلبهم لما يستهونون في الجنة أن يقولوا: ﴿سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ﴾ أي: يا الله، فإذا ما طلبوه وجدوه بين أيديهم ^(١) ﴿وَقَبَّلْنَاهُمْ﴾ فيما بينهم ﴿فِيهَا سَلَامٌ وَأُخْرُ دَعَوْنَهُمْ أَنْ﴾ مفسرة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١١] ونزل لما استعجل المشركون العذاب: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ﴾ أي: كاستعجالهم ﴿بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ﴾ بالبناء للمفعول وللفاعل ^(٢) ﴿إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ بالرفع والنصب ^(٣) بأن يهلكهم، ولكن يهلكهم ﴿فَتَذَرُكَ﴾ تترك ﴿الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي مُلْكِنَا﴾ يترددون متحيرين ^(٤).

[١٢] ﴿وَلَوْ سَأَلَ الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ الضَّرَّ﴾ المرض والفقر ﴿دَعَا لِحَبِيئِهِ﴾ أي: مضطجعاً أو قاعداً أو قائماً أي: في كل حال ﴿فَلَنَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضَرَّهُ مَرَّةً﴾ على كفره ﴿كَانَ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنه ﴿لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرِّ مَسْئَرٍ كَذَلِكَ﴾ كما زين له الدعاء عند الضرر والإعراض عند الرخاء ﴿وَزَيْنَ لِلْمُتَّسِرِينَ﴾ المشركين ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٣] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونُ الْأُولَى﴾ الأمم ﴿مِنْ قَبْلِكَ﴾ يا أهل مكة ﴿لَنَّا ظَلَمُوا﴾ بالشرك ﴿وَوَقَدْ﴾ قد ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الدلائل على صدقهم ﴿وَمَا كَانُوا يَنْصِتُونَ﴾ عطف على ﴿ظَلَمُوا﴾ ﴿كَذَلِكَ﴾ كما أهلكنا أولئك ﴿تَجْرَى الْقَوْمُ الْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ مَأْوَهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ الْخَيْرِ ﴿٩﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأُخْرُ دَعَوْنَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَبُذِّرَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا الْجَنَّةَ أَوقَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضَرَّهُ مَرَّكَانَ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضَرِّ مَسِّهِ كَذَلِكَ زَيَّنَ لِمُتَّسِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِكَ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُوا يَنْصِتُونَ كَذَلِكَ تَجْرَى الْقَوْمُ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

[١٤] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ﴾ يا أهل مكة ﴿خَلِيفَةً﴾ جمع خليفة ﴿فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ فيها، وهل تعتبرون بهم فنصدقوا رسلنا؟.

(١) هذا أحد الأقوال، والقول الآخر أن المعنى أن دعاءهم الذي يدعون به في الجنة هو تسبيح الله وتقديسه، وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح أن يقولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وهذا هو الأرجح.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة ابن عامر.

(٣) بالنصب قراءة ابن عامر.

(٤) أخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ﴾ قال: هو قول الإنسان لولده وماله إذا غضب عليه: اللَّهُمَّ لا تترك فيه ولعنه. ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ قال: لأهلك من دعا عليه وألماته. [الدر المنثور (٣٤٦/٥)]. وأخرجه البخاري في كتاب التفسير (٦٥) - سورة يونس (١٠).

باب (١) الترجمة.

يَكُونُ ﴿١٦﴾ بِنَعْيٍ ﴿١٦﴾ أَنْ أُسْذِلَهُ مِنْ تِلْقَائِي ﴿١٦﴾ قِيلَ ﴿١٦﴾ تَقْسِيْ إِنَّ مَا أَتَيْجُ إِلَّا مَا يُؤْتِي إِلَهِيَّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّيَّ بِبَدِيلِهِ ﴿١٦﴾ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾ هو يوم القيامة.

[١٦] ﴿١٦﴾ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ أَهْلَكُمْ بِهٖ، وَلَا نَافِيَةٌ عَظْفٌ عَلَى مَا قِيلَ، وَفِي قِرَاءَةٍ (١): بِلَامٍ جَوَابَ «لَوْ»؛ أَيْ: لِأَعْلَمَكُمْ بِهِ عَلَى لِسَانٍ غَيْرِي ﴿١٦﴾ فَقَدْ لَيْتُ ﴿١٦﴾ مَكَتَ ﴿١٦﴾ عُمَرَا ﴿١٦﴾ سَنِيًّا (٢) أَرْبَعِينَ ﴿١٦﴾ مِّنْ قَبْلِهِ ﴿١٦﴾ لَا أَحَدَ نَكَمَ بِشَيْءٍ ﴿١٦﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ أَنَّهُ لَيْسَ مِنِّي قَبْلِي.

[١٧] ﴿١٧﴾ وَمَنْ ﴿١٧﴾ أَيْ: لَا أَحَدٌ ﴿١٧﴾ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَدَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٧﴾ بِنَسْبَةِ الشَّرِيكِ إِلَيْهِ ﴿١٧﴾ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴿١٧﴾ الْقُرْآنَ ﴿١٧﴾ (بَنِي) أَيْ: الشَّأْنَ ﴿١٧﴾ لَا يُفْلِحُ ﴿١٧﴾ يَسْعَدُ ﴿١٧﴾ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ الْمُشْرِكُونَ.

[١٨] ﴿١٨﴾ وَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ؛ أَيْ: غَيْرِهِ ﴿١٨﴾ مَا لَا يَضُرُّهُمْ ﴿١٨﴾ إِنْ لَمْ يَعْبُدُوهُ ﴿١٨﴾ وَلَا يَنْفَعُهُمْ ﴿١٨﴾ إِنْ عْبُدُوهُ، وَهُوَ الْأَصْنَامُ ﴿١٨﴾ وَيَقُولُونَ ﴿١٨﴾ عَنْهَا: ﴿١٨﴾ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ ﴿١٨﴾ لَهُمْ: ﴿١٨﴾ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ تَخْبِرُونَهُ ﴿١٨﴾ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴿١٨﴾ اسْتَغْفَاهُمْ إِنْكَارًا؛ إِذْ لَوْ كَانَ لَهُ شَرِيكَ لَعَلِمَهُ؛ إِذْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ ﴿١٨﴾ سُبْحَنَهُ ﴿١٨﴾ تَنْزِيهَا لَهُ ﴿١٨﴾ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ مَعَهُ.

[١٩] ﴿١٩﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً ﴿١٩﴾ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْإِسْلَامُ، مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى نُوحٍ (٣)، وَقِيلَ: مِنْ عَهْدِ إِبْرَاهِيمَ إِلَى عَمْرِو بْنِ لُحْيٍ ﴿١٩﴾ فَاتَّخَذُوا ﴿١٩﴾ بَأْنَ ثَبِتَ بَعْضُ وَكَفَرَ بَعْضُ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ ﴿١٩﴾ بِتَأْخِيرِ الْجَزَاءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١٩﴾ لَفُتِّي بَيْنَهُمْ ﴿١٩﴾ أَيْ: النَّاسُ فِي الدُّنْيَا ﴿١٩﴾ وَبِمَا فِيهِمْ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ مِنَ الدِّينِ بِتَعَذُّبِ الْكَافِرِينَ.

[٢٠] ﴿٢٠﴾ وَيَقُولُونَ ﴿٢٠﴾ أَيْ: أَهْلُ مَكَّةَ: ﴿٢٠﴾ لَوْلَا ﴿٢٠﴾ هَلَا ﴿٢٠﴾ أُنْزِلَ عَلَيْهِ ﴿٢٠﴾ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿٢٠﴾ آيَةً مِّن رَّبِّهِ ﴿٢٠﴾ كَمَا كَانَ لِلْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْمُنَاقَةِ وَالْعَصَا وَالْإِذْنِ ﴿٢٠﴾ قُلْ ﴿٢٠﴾ لَهُمْ: ﴿٢٠﴾ إِنَّمَا الْغَيْبُ ﴿٢٠﴾ مَا غَابَ عَنِ الْعِبَادِ؛ أَيْ: أَمْرُهُ ﴿٢٠﴾ لِلَّهِ ﴿٢٠﴾ وَمِنَ الْآيَاتِ، فَلَا يَأْتِي بِهَا إِلَّا هُوَ، وَإِنَّمَا عَلَيَّ التَّبْلِيغُ ﴿٢٠﴾ فَانْظُرُوا ﴿٢٠﴾ الْعَذَابَ إِنْ لَمْ تَوْمِنُوا ﴿٢٠﴾ إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ.

وَإِذَا تُنْزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا نَبْهَتِ قَالِ الذِّبْرُ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَيْتُ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبْدِلَهُ مِنْ تِلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٦﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْهِمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَيْتُ فِيكُمْ عُمَرَاءَ مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٨﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَفُتِّي بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٠﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْظُرُوا إِلَيَّ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿٢١﴾

[١٥] ﴿١٥﴾ وَإِذَا تُنْزِلُ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا ﴿١٥﴾ الْقُرْآنَ ﴿١٥﴾ يَبْهَتُونَ ﴿١٥﴾ ظَاهِرَاتٍ، حَالِ ﴿١٥﴾ قَالِ الذِّبْرُ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ﴿١٥﴾ لَا يَخَافُونَ الْبَعْثَ: ﴿١٥﴾ أَتَيْتُ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا ﴿١٥﴾ لَيْسَ فِيهِ عِبٌّ أَهْلُنَا ﴿١٥﴾ أَوْ بَدَّلَهُ ﴿١٥﴾ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِكَ ﴿١٥﴾ قُلْ ﴿١٥﴾ لَهُمْ: ﴿١٥﴾ مَا

(١) لابن كثير، بحلف عن البري، وتكون اللام للتأكيد؛ أَيْ: وَلَافَرَاكُمْ.

(٢) وجري المفسر فيه على طريقة من يجعله مثل «حين» ومنه حديث: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ نَبِيًّا كُنَيْتَيْنِ يُوشِفُ» فِي إِحْدَى الرَّوَابِيتِ.

(٣) وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وهو الصحيح؛ فَإِنَّ قَوْمَ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانُوا هُمْ أَوَّلَ مَنْ كَفَرَ بِالرَّحْمَنِ وَعَبَدَ الْأَوْثَانَ مِنَ الْأُمَمِ.

[٢١] ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَكَّنَا لَأَقَلُّوا لَهَا وَيَكْفُرُونَ﴾ أي: كفار مكة ﴿رَحْمَةً﴾ مطرًا وخصبًا ﴿مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ﴾ بؤس وجذب ﴿مَسْتَهْمٌ﴾ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي عَمَائِنَا ﴿بِالاستِهْزَاءِ﴾ والتكذيب ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا﴾ مجازاة^(١) ﴿إِنْ رُسُلُنَا الْخَفِظَةُ﴾ يَكْتُمُونَ مَا تَكْذُرُونَ ﴿بِالنَّاءِ والياءِ﴾.

[٢٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُبْرِكُكُمْ﴾ وفي قراءة: ﴿يُنْشِرُكُمْ﴾^(٢) ﴿فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ الْسَفِينِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ فِيهِ الْتِفَاتٍ عَنِ الْخُطَابِ ﴿بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ لينة ﴿وَقَرِحُوا بِهَا جَاهَتَهَا رِيحٌ عَاصِفٌ﴾ شديدة الهبوب تكسر كل شيء ﴿وَمَا هُمْ أَلَمُوجٌ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ أي: أهلكوا ﴿دَعَا اللَّهُ مُؤَلِّصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ الدعاء ﴿لِيُنْ﴾ لام قسم ﴿أَنِّي نُنَكِّسُ هَٰذِهِ الْأَهْوَالَ﴾ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿الْمُوحِدِينَ﴾.

[٢٣] ﴿فَلَمَّا أَتَتْهُمْ إِذَا هُمْ يُبْعَثُونَ﴾ فِي الْأَرْضِ يَغْيِرُ الْعَقَىٰ بِالشَّرِكِ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْكُمْ﴾ ظلمكم ﴿عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ﴾ لَأَنْ إِلَهَهُ عَلَيْهِ هُوَ ﴿[مَنْعَكُمْ]﴾^(٤) السَّيْرَةَ الدُّنْيَا تَمْتَعُونَ فِيهَا قَلِيلًا ﴿فَدُّوا إِلَيْنَا رَحِمَتَكُمْ﴾ بعد الموت ﴿فَنَنْفِثْكُمْ يَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فنجازيكم عليه، وفي قراءة بنصب ﴿مَنْعَكُمْ﴾^(٥) أي: تَمْتَعُونَ.

[٢٤] ﴿إِنَّمَا مَثَلُ﴾ صفة ﴿الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا كَمَا﴾ مطر ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ بسببه ﴿بَثَّ الْأَرْضُ﴾ واشتبك بعضه ببعض ﴿يَمَا يَأْكُلُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْبَرِّ وَالشَّعِيرِ وَغَيْرِهِمَا﴾ وَالْأَنْفَعُ مِنَ الْكَلَامِ ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَغْذَى الْأَرْضُ زُرْعَهَا﴾ بهجتها من النبات ﴿وَأَزْيَّتْ﴾ بالزهر، وأصله: تربت أبليت التاء زايًا وأدغمت في الزاي ﴿وَطَرَسَ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدْ دُرُوسٌ عَلَيْهِ﴾ متمكون من تحصيل ثمارها ﴿أَتْلَاهَا أَمْرًا﴾ قضاؤنا أو عذابنا ﴿لِيَلَا أَوْ تَهَارَ فَجَعَلْنَاهَا﴾ أي: زرعها ﴿حَصِيدًا﴾ كالخضود بالمنجل ﴿كَانَ﴾ مخففة؛ أي: كأنها ﴿لَمْ تَنْفَ﴾ تكن ﴿بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نَقْصِلُ﴾ نُثِيرُ ﴿الْأَيْتَ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾.

[٢٥] ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ أي: السلامة وهي الجنة بالدعاء إلى الإيمان ﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ هدايته ﴿إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(٦) دين الإسلام.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن الواس بن سمعان الكلبي قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، عَلَى كَنَفِي - أَيِ جَانِبِي - الصِّرَاطِ زُورَان - أَيِ: حِدَارَان - لَهَا أَبْوَابٌ مُفْتَحَةٌ، عَلَى الْأَبْوَابِ سُورٌ وَدَاعٌ يَدْعُو عَلَى رَأْسِ الصِّرَاطِ، وَدَاعٌ يَدْعُو فَوْقَهُ ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

والأبواب التي على كنفِي الصِّرَاطِ حدود الله، فلا يقع أحد في حدود الله حتى يكشف الستر، والذي يدعو من فوقه واعظ ربه. الترمذي. كتاب الأمثال (٤٥) باب (١) ما جاء في مثل الله لعباده، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٢٩٥).

(١) وحقيقة المكر هو التدمير الحكيم في إزال العقوبة بالجزم من حيث لا يشعر، فهو أحص من مطلق المجازاة؛ فالمرء من الله سبحانه بدير لرد كيد الكائد في تحره وإنزال العقوبة به من حيث لا يشعر، ومجازاته بجنس عمله وسعيه وبيته، وسبق بيان مذهب السلف في هذا النوع من الصفات، وأنها فيما سبقت له مدح وكمال، ونشنتها لله ﷻ على ما يليق به. شيخنا - من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمس ولا تكيف.

(٢) ظاهره أنها بالياء قراءة سبعة وليس كذلك، بل هي عشرية لرؤح.

(٣) لابن عامر.

(٤) قراءة الرفع للبعة عدا حفص.

(٥) وهي قراءة حفص.

[٢٧] ﴿وَالَّذِينَ أَحْسَنُوا عَلَىٰ لِلَّيْنِ أَحْسَنُوا﴾؛ أي: وللذين ﴿كَسَبُوا الْفَوَاحِشَ﴾ عملوا الشر ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَنْفَعُ بِهَا لَهَا وَرَهْفُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ زَائِدَةٍ﴾ عاصروا مانع ﴿كَأَنَّمَا أَغْشَيْتُمْ﴾ البست ﴿وَجُوهَهُمْ قَطَعًا﴾ بفتح الطاء جمع قطعة، وإسكانها أي: جزءاً^(١) ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ أَنْظَلْنَا أَوَّلِيكَ أَصْحَبَ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٨] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ تَحْشَرُهُمْ﴾ أي: الخلق ﴿جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾ نُصِبَ بِهِ الزموا مقدراً ﴿أَنْتُمْ﴾ تأكيد للضمير المستتر في الفعل المقدر؛ يعطف عليه ﴿وَشُرَكَاءُكُمْ﴾ أي: الأصنام ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْفُرُونَ﴾ ﴿يَوْمَ يَكُونُ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا فِي يَدَيْهِمْ﴾ وبين المؤمنين كما في آية ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ الْيَوْمَ نَبَاً الْمُنَجِّمُونَ﴾^(٢) ﴿وَقَالَ لَهُمْ شُرَكَاءُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِذَا نَأْتِيَنَّكُمْ﴾ ﴿مَا﴾ نافية، وقدم المفعول، للفاصلة^(٣).

[٢٩] ﴿فَكُنْ لِلَّهِ شَهِيدًا﴾ ﴿يَوْمَ يَكُونُ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا فِي يَدَيْهِمْ﴾ مخففة؛ أي: إنا ﴿كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ﴾.

[٣٠] ﴿مَالِكِ﴾ أي: ذلك اليوم ﴿تَبْلُؤُوا﴾ من البلوى، وفي قراءة بناءين^(٤) من التلاوة ﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ قدمت من العمل ﴿وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ﴾ الثابت الدائم ﴿وَصَلَّ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ﴾ ثَمَّ كَانُوا يَقْرَءُونَ عليه من الشركاء.

[٣١] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بالمر ﴿وَالَّذِينَ﴾ بالنبات ﴿أَمَّنْ بِمَا لَكُمْ مِنَ السَّمْعِ﴾ بمعنى الأسماع؛ أي: خلقها ﴿وَالَّذِينَ﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ﴾ بين الخلائق ﴿فَسَيَقُولُونَ هُوَ اللَّهُ فَقُلْ لَهُمْ﴾ ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ فَيُؤْمِنُونَ.

[٣٢] ﴿فَذَلِكُمْ﴾ الفاعل لهذه الأشياء ﴿اللَّهُ رَزَقَكُمُ الْحَيَّ﴾ الثابت ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَيِّ إِلَّا الْفُتُلُ﴾ استفهام تقرير؛ أي: ليس بعده غيره، فمن أخطأ الحق وهو عبادة الله وقع في الضلال ﴿وَأَنَّ﴾ كيف ﴿تَضُرُّوْنَ﴾ عن الإيمان مع قيام البرهان؟!.

[٣٣] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما صرف هؤلاء عن الإيمان ﴿حَقَّتْ لَكُمْ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ كَفَرُوا، وهي ﴿لَا تَمْلِكُنَّ لَهُمْ﴾ الآية^(٥)، أو هي ﴿أَنْتُمْ لَا تُمْسِكُونَ﴾.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْخَيْرَ﴾ وبالإيمان ﴿الْحَسَنَى﴾ الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي النظر إليه - تعالى - كما في حديث مسلم^(١) ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ يعشى ﴿وَجُوهَهُمْ قَرَرٌ﴾ سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ كآبة ﴿أَوَّلِيكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٦] ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿الْحَسَنَى﴾ الجنة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ هي النظر إليه - تعالى - كما في حديث مسلم^(١) ﴿وَلَا يَرْهَقُ﴾ يعشى ﴿وَجُوهَهُمْ قَرَرٌ﴾ سواد ﴿وَلَا ذِلَّةٌ﴾ كآبة ﴿أَوَّلِيكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

(١) مسلم (١٨١) عن صهيب بن سنان عن النبي ﷺ قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ ثم تلا هذه الآية: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْمُسْتَقِيمِينَ﴾.

(٢) بالإسكان قراءة الكسائي وابن كثير.

(٣) يس: ٥٩.

(٤) أي لمرعاة ربوس الآيات.

(٥) حمزة والكسائي.

(٦) السجدة: ١٣.

[٣٤] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا لِلْحَقِّ مِمَّ يُدْعَى قُلْ اللَّهُ يَسْتَدْعُوا لِلْحَقِّ مِمَّ يُدْعَى قُلْ تَدْعُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ مَعَ قِيَامِ الدَّلِيلِ﴾.

[٣٥] ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ بِغَيْرِ الْهَدْيِ إِلَى الْحَقِّ﴾ بنصب الحجج وخلق الاهتداء ﴿قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ وهو الله ﴿أَحَقُّ أَنْ يَنْتَبِعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي﴾ يهدي ﴿إِلَّا أَنْ يَهْدِي﴾ أحق أن يتبع؟ استفهام تقرير وتوبيخ؛ أي: الأول أحق ﴿فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد من اتباع ما لا يحق اتباعه؟

[٣٦] ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ فِي عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ﴾ إلا غلًا حيث قلدوا فيه آباءهم ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ فيما المطلوب منه العلم ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فيجازيهم عليه.

[٣٧] ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى﴾ أي: افتراء ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلَكِنْ أَنْزَلَ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ﴾ تبين ما كتبه الله من الأحكام وغيرها ﴿لَا رَبَّ شَكَّ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾ متعلق بـ ﴿تَصْدِيقَ﴾ أو «أنزل» المحذوف، وقرئ^(١) برفع ﴿تَصْدِيقَ﴾ و﴿تَفْصِيلَ﴾ بتقدير هو.

[٣٨] ﴿أَمْ بَلْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ﴾ اختلقه محمد ﴿قُلْ فَأَنذَرُ بِسَوْرَةٍ يُنْذِرُ﴾ في الفصاحة والبلاغة على وجه الافتراء؛ فإنكم عريون فصحاء مثلي ﴿وَأَنذَرُوا﴾ للإعانة عليه ﴿مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي: غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افتراء فلم يقدروا^(٢) على ذلك.

[٣٩] قال - تعالى -: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِغَيْبِهِ﴾ أي: القرآن ولم يتدبروه ﴿وَلَمَّا﴾ لم ﴿يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ عاقبة ما فيه من الوعيد ﴿كَذَلِكَ﴾ التكذيب ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ رسلهم ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ بتكذيب الرسل أي آخر أمرهم من الهلاك فكذلك نهلك هؤلاء.

[٤٠] ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ علم الله ذلك منهم ﴿وَيَوْمَئِذٍ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ﴾ أبدا ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ﴾ تهديد لهم.

[٤١] ﴿وَإِنْ كَذَّبَكَ فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ﴾ أي: لكل جزاء عمله ﴿أَنْتُمْ رِبِّيُّونَ وَمَا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ وهذا منسوخ بآية السيف.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوا لِلْحَقِّ مِمَّ يُدْعَى قُلْ اللَّهُ يَدْعُوا لِلْحَقِّ مِمَّ يُدْعَى قُلْ تَدْعُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ مَعَ قِيَامِ الدَّلِيلِ

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ بِغَيْرِ الْهَدْيِ إِلَى الْحَقِّ

قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يَنْتَبِعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي

إِلَّا أَنْ يَهْدِي أَحَقُّ أَنْ يَنْتَبِعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ

لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْمَلَكِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأَنذَرُ بِسَوْرَةٍ يُنْذِرُ

وَأَنذَرُوا لِلْعَانَةِ عَلَيْهِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِغَيْبِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ

وَمِنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ

وَإِنْ كَذَّبَكَ فَقُلْ لَهُمْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ رِبِّيُّونَ وَمِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا تَعْمَلُونَ

وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ

[٤٢] ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾ إذا قرأت القرآن ﴿أَفَأَنْتَ تَسْمِعُ الصَّمَّ﴾ شبههم بهم في عدم الانتفاع بما يتلى عليهم ﴿وَلَوْ كَانُوا﴾ مع الصمم ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

(١) أي: شذوذاً.

(٢) وهي نسخة: «تقدروا» بالباء، والمثبت أظهر.

القبور ﴿لَا سَاعَةَ مِّنَ النَّهَارِ﴾ لهول ما رأوا، وجملة التشبيه حال من الضمير ﴿يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يعرف بعضهم بعضاً إذا بعثوا، ثم ينقطع التعارف؛ لشدة الأحوال، والجملة حال مقدرة^(١)، أو متعلق الظرف^(٢) ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.

[٤٦] ﴿وَمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» المريدة ﴿رَبُّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْلَمُ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف؛ أي: فذاك ﴿أَوْ نُرِيكَ﴾ قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ مُطْلِعٌ ﴿عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ من تكذيبهم وكفرهم فيعذبهم أشد العذاب.

[٤٧] ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾ من الأمم ﴿رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ﴾ إليهم فكذبوه ﴿فَضَىٰ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل، فيعذبون وينجي الرسول ومن صدقه ﴿وَهُمْ لَا يظْلُمُونَ﴾ بتعذيبهم بغير جرم فكذلك نفعل بهؤلاء.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَن هَٰذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه. [٤٩] ﴿قُلْ لَا أَتْلُوكُمْ﴾ لِنَفْسِي صَرَخاً أذفعه ﴿وَلَا نَقَعُ﴾ أجلبه ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن يقدرني عليه، فكيف أملك لكم حلول العذاب ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ مدة معلومة لهلاكهم ﴿إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ﴾ يتأخرون عنه ﴿سَاعَةً وَلَا يَسْتَنْصِرُونَ﴾ يتقدمون عليه.

[٥٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابٌ﴾؛ أي: الله ﴿يَسْتَأْذِنُ﴾ ليلاً ﴿أَوْ نَهَارًا مَاذَا﴾ أي شيء ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهِ﴾ أي: العذاب ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ المشركون، فيه وضع الظاهر موضع المضمَر، وجملة الاستفهام جواب الشرط؛ كقولك: إذا أتيتك ماذا تعطيني؟ والمراد به التهويل؛ أي: ما أعظم ما استعجلوه.

[٥١] ﴿أَنزَلْنَا مَا وَقَعَ﴾ خُلِّ بِكُمْ ﴿ءَامَنُتُمْ بِهِ﴾ أي: الله، أو العذاب عند نزوله، والهمزة لإنكار التأخير، فلا يقبل منكم، ويقال لكم: ﴿ءَالْتَنَ﴾ تؤمنون ﴿وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استهزاء.

[٥٢] ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا دُفَعُوا عَنَّا الْخُلْدُ﴾ أي: الذي تخلدون فيه ﴿هَلْ﴾ ما ﴿تَجَزُّونَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

[٥٣] ﴿وَسَنَسْخِرُونَكَ﴾ يستخبرونك ﴿أَحَقُّ هُوَ﴾ أي: ما وعدتنا به من العذاب والبعث ﴿قُلْ إِيَّايَ﴾ نعم ﴿وَرَبِّكَ إِنَّمَا لَحَقَّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بغائتين العذاب.

وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي أَلْمَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْسُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَقَّعَنَّكَ فَإِنَّا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٩﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥١﴾ قُلْ لَا أَتْلُوكُمْ لِنَفْسِي صَرَخًا وَلَا نَقَعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَجِرُّونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِرُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنِ اتَّكُمُ عَذَابُهُ بَيِّنَاتٍ أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٣﴾ أَتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ ءَالْتَنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥٤﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا دُفَعُوا عَنَّا الْخُلْدُ هَلْ تُجَزُّونَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِيَّايَ وَرَبِّي إِنَّهُ وَلِحَقٍّ وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٦﴾

[٤٣] ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي أَلْمَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ﴾ شبههم بهم في عدم الاهتمام، بل أعظم ﴿فَأَنهَا لَا تَعْمَىٰ أَلْبَصَرُ وَلَكِنَّ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(١).

[٤٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

[٤٥] ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ﴾^(٢) كان؛ أي: كأنهم ﴿لَّمْ يَلْسُوا﴾ في الدنيا أو

(١) الحج: ٤٦.

(٢) هي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص بالياء: ﴿يَحْشُرُهُمْ﴾.

(٣) أي: يوم نحشرهم متعارفين بينهم.

(٤) أي: «يوم»، وتقدير الكلام: يتعارفون بينهم يوم نحشرهم.

[٥٤] ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ﴾ كُفِرَتْ ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ جميعاً من الأموال ﴿لَافْتَدَتْ بِوَهٍّ﴾ من العذاب يوم القيامة ﴿وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ﴾ على ترك الإيمان ﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾ أخفاها رؤسائهم عن الضعفاء الذين أضلّوهم مخافة التعبير ﴿وَقُصِّيتْ بَيْنَهُمْ﴾ بين الخلاقين ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَهُمْ لَا يَتْلُمُونَ﴾ شيئاً.

[٥٥] ﴿أَلَا إِنَّ يَوْمَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالعبث والجزاء ﴿حَقٌّ﴾ ثابت ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ﴾ أي: الناس ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٥٦] ﴿هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ في الآخرة فيجازيكم بأعمالكم.

[٥٧] ﴿يَتْلِيهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَدَجَّ تَكُم مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ كتاب فيه ما لكم وما عليكم وهو القرآن ﴿وَشِفَاءٌ﴾ دواء ﴿لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ من العقائد الفاسدة والشكوك ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به.

[٥٨] ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ﴾ الإسلام ﴿وَرَحْمَتَهُ﴾ القرآن ﴿فِي ذَلِكَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ﴾ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿من الدنيا والباء والناء﴾^(١).

[٥٩] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ خلق^(٢) ﴿لَكُمْ مِنْ زَرْعٍ فَبَعَلْتُمْهُ مِنْهُ حَرَامًا وَسَلَكْتُمْ كَالْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ﴾^(٣) والميتة ﴿قُلْ ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ﴾ في ذلك بالتحليل والتحرير ﴿أَمْ عَلَى اللَّهِ نَفِثُوسٌ﴾ تكذبون بنسبة ذلك إليه.

[٦٠] ﴿وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ أي: أي شيء ظنهم به ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أَيْحْسِبُونَ أَنَّهُ لَا يَعْقِبُهُمْ؟! لا ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ بإمهالهم والإنعام عليهم ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾.

[٦١] ﴿وَمَا تَكُونُ﴾ يا محمد ﴿فِي شَأْنٍ﴾ أمر ﴿وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ﴾ أي: من الشأن أو الله ﴿مِنْ قُرْآنٍ﴾ أنزله عليكم ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ﴾ خاطبه وأُمّته ﴿مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ رقباء ﴿إِذْ تُفَيْصُونَ﴾ تأخذون ﴿فِيهِ﴾ أي: العمل ﴿وَمَا يَنْزُبُ﴾ يغيب ﴿عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِّثْقَالٍ﴾ وزن ﴿ذَرُّوْهُ﴾ أصغر غلّة

وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرَوْا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ هُوَ يَحْيِي وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ يَتْلِيهَا النَّاسُ فَدَجَّ تَكُم مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وَرَحْمَتَهُ فَيَذَلِّكَ فَيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مِمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زَرْعٍ فَبَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَّلَا قُلْ ءَاللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ نَفِثُوسٌ ﴿٦٠﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفَيْصُونَ فِيهِ ﴿٦٢﴾ وَأَصْغَرَ غَلَّةً

﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كَثَرِ ثَبِيرٍ﴾ بَيِّن هو اللوح المحفوظ.

(١) بالناء لابن عامر.

(٢) الأقرب . كما سبق في تكملة . أن يحمل الإنزال على معناه الظاهر ، ويكون في الآية إثبات علوه . تعالى . بذاته فوق خلقه ، كما هو مذهب السلف قاطبة ، وهو ما يحتاجه المفسر ذكره موافقة لمذهب الأشاعرة .

(٣) سبق بيان معنى البحيرة والسائبة عند تفسير الآية (١٠٣) من سورة المائدة .

[٦٤] ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فُشِّرَتْ فِي حَدِيثٍ صَحِيحِهِ الْحَاكِمُ بِالرُّوْيَا الصَّالِحَةِ يَرَاهَا الرَّجُلُ أَوْ تُرَى لَهُ^(١) ﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾ الْجَنَّةُ وَالْثَوَابُ ﴿لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَتِ اللَّهِ﴾ لَا تُلْغَى لِمَوَاعِيدِهِ ﴿ذَلِكَ﴾ الْمَذْكُورُ ﴿هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦٥] ﴿وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ﴾ لَكَ: لَسْتُ مُرْسَلًا وَغَيْرِهِ ﴿إِنْ﴾ اسْتَنَافَ ﴿الْمَرْءُ﴾ الْقُوَّةَ ﴿لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ هُوَ السَّمِيعُ ﴿لِلْقَوْلِ﴾ الْعَلِيمُ ﴿بِالْفِعْلِ﴾ فَيَجَازِيهِمْ وَيَنْصَرِكُ.

[٦٦] ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ عِبِيدًا وَمَلَكًا وَخَلْقًا﴾ وَمَا يَبْجَعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ ﴿يَعْبُدُونَ﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿أَي:﴾ غَيْرِهِ أَصْنَامًا ﴿شُرَكَاءَ﴾ لَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ، تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ ﴿إِنْ﴾ مَا يَدْعُونَ ﴿يَدْعُونَ﴾ فِي ذَلِكَ ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾ أَي: ظَنُّهُمْ أَنَّهَا إِلَهَةٌ تَشْفَعُ لَهُمْ ﴿وَأِنْ﴾ مَا هُمْ ﴿إِلَّا يَحْمُسُونَ﴾ يَكْذِبُونَ فِي ذَلِكَ.

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَهَارَ مُبْصِرًا﴾ إِسْنَادُ الْإِبْصَارِ إِلَيْهِ مُجَازٌ؛ لِأَنَّهُ يُبْصِرُ فِيهِ ﴿إِنْ﴾ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٌ دَلَالَاتٌ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ تَعَالَى ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سَمَاعٌ تَدْبِيرٌ وَاتِّعَاضٌ.

[٦٨] ﴿قَالُوا﴾ أَي: الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ: ﴿أَتَعْبُدُ اللَّهَ وَلَدًا﴾ قَالَ تَعَالَى لَهُمْ: ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تَنْزِيهًا لَهُ عَنِ الْوَلَدِ ﴿هُوَ الْعَلِيُّ﴾ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا يَطْلُبُ الْوَلَدَ مَنْ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ ﴿لَكُمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ مَلَكًا وَخَلْقًا وَعِبِيدًا ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ حُجَّةٌ ﴿بِهَذَا﴾ الَّذِي يَقُولُونَهُ ﴿أَنْقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخٌ.

[٦٩] ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بِنِسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ ﴿لَا يُفْلِحُونَ﴾ لَا يَسْعُدُونَ.

[٧٠] لَهُمْ ﴿مَتَاعٌ﴾ قَلِيلٌ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ يَتَمَتَّعُونَ بِهِ مَدَّةَ حَيَاتِهِمْ ﴿ثُمَّ﴾ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ بِالْمَوْتِ ﴿ثُمَّ﴾ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ ﴿بَعْدَ الْمَوْتِ﴾ ﴿يَمَّا﴾ كَانُوا يَكْفُرُونَ.

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ أَنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَشْعُرُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْمَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَهَارَ مُبْصِرًا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ قَالُوا أَتَأْتِخَذُ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ وَهُوَ الْعَلِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ

[٦٢] ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ فِي الْآخِرَةِ.

[٦٣] هُمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿اللَّهُ بِامْتِنَالِ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ.

(١) المستدرک (٣٤٠/٢). ورواه الترمذي (٢١٩٩) وأحمد (٢٦٢٥٠) عن أبي الدرداء مرفوعًا. ورواه الترمذي (٢٢٠١) وابن ماجه (٢٨٨٨) وأحمد (٢١٦٣٠) عن عباد بن الصامت مرفوعًا، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٨٥٤).

﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ إِنَّ كَانَ كِبَرٌ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ﴾ (٧١) فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ إِنَّ آجِرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَفًا وَآخَرْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ وَهُمْ بِالْبَيْتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَيْسَ خَرْمُيْتٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسِحْرُ هَذَا وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَكَ يَا إِبْرَاهِيمَ ابْنَهُ نَارًا وَتَكُونَ لَكُمْ الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾

الْكِبَرِيَاءُ ﴿٧٨﴾ الملك ﴿٧٩﴾ في الأرض ﴿٨٠﴾ أرض مصر ﴿٨١﴾ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨٢﴾ مصدقون.

[٧١] ﴿وَأَتْلُ﴾ يا محمد ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿نَبَأَ﴾ خبر ﴿نُوحٍ﴾ ويبدل منه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَقَوْمِ﴾ إن كَانَ كِبَرٌ ﴿عَلَيْكُمْ﴾ شق ﴿عَلَيْكُمْ مَقَامِي﴾ لبني فيكم ﴿وَتَذَكَّرِي﴾ وعظي لإياكم ﴿بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ نَمَلَى اللَّهُ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ ﴿اعزموا عسى أمر تفعلونه بي﴾ وَشُرَكَاءُكُمْ ﴿الوار بمعنى مع﴾ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ﴿مستورا بل أظهره وجاهروني به﴾ ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ ﴿امضوا فيما أردتموه﴾ وَلَا تُنْظِرُونِ ﴿تمهلون، فإني لست مباليا بكم﴾.

[٧٢] ﴿فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ عن تذكيري ﴿فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجَرٍ﴾ ثواب عليه ففعلوا ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿آجِرِيَ﴾ ثوابي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٣﴾.

[٧٣] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَجَبْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ﴾ السفينة ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: من معه ﴿خَلَفًا﴾ في الأرض ﴿وَآخَرْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالطوفان ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ من إهلاكهم فكذلك نفعل بمن كذب.

[٧٤] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: نوح ﴿رَسُولًا إِلَى قَوْمِهِمْ﴾ كإبراهيم وهود وصالح ﴿فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجرات ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل بعث الرسل إليهم ﴿كَذَلِكَ نَطْبَعُ﴾ نختم ﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾ فلا تقبل الإيمان كما طبعت على قلوب أولئك.

[٧٥] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَارُونَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ قومه ﴿بِآيَاتِنَا﴾ التسع ^(١) ﴿فَاسْتَكْبَرُوا﴾ عن الإيمان بها ﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾.

[٧٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَيْسَ خَرْمُيْتٌ﴾ يمين ظاهر.

[٧٧] ﴿قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ﴾ إنه لسحر ﴿أَسِحْرُ هَذَا﴾ وقد أفلح من أتى به وأبطل سحر السحرة؟ ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ﴾ والاستفهام في الموضوعين للإنكار.

[٧٨] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَكَ يَا إِبْرَاهِيمَ ابْنَهُ نَارًا وَتَكُونَ لَكُمْ الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾

(١) وهي: العصا، واليد، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والثمنون، ونقص الثمرات. وهذه الآيات كانت لفرعون وقومه ليؤمنوا، وهي بخلاف الآيات التي أوتيتها موسى عليه السلام لبني إسرائيل ليؤمنوا، وهي: فلق البحر، وإنزال المني والسلوى، وتقليل الغمام، وتضيير الماء من الحجر، ونطق الجبل، أي رفعه فوق رؤوسهم، ومسح الذين عتوا منهم، وإتيان الختان يوم سبئهم، والرجفة، والصاعقة، وإحياء الميت القليل بضربه ببعض البقرة التي أمروا بذبحها.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
 قَالَ لَهُمْ مُوسَى الْقَوْمَا أَنتُمْ مُلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ
 مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرَانِ اللَّهُ سَيَبْطِلُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَيُصْلِحُ
 عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُخَيِّقُ اللَّهُ الْحَقَّ يَكَلِّمُتَهُمْ وَلَوْ كَرِهَ
 الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَاءَ أَمْنٍ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً مِنْ قَوْمِهِ عَلَى
 خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ
 فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يَلْقَوْنِي
 كُنْتُمْ عَامِتُمْ بِاللَّهِ فَاعْلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾
 فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ
 ﴿٨٥﴾ وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى
 وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا الْقَوْمَ كَمَا يُبْصِرُ يَتِيمَا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ
 قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى
 رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ
 الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ
 وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

[٧٩] وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فائق في علم السحر.

[٨٠] فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمْ مُوسَى ﴿٨٠﴾ بعد ما قالوا له: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُلْقِيٌّ

وَلَيْمَّا أَنْ تَكُونَ تَحْتَ الْمُلُوكِ﴾^(١): ﴿أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ﴾.

[٨١] ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا﴾ جبالهم وعصيهم ﴿قَالَ مُوسَى مَا﴾ استفهامية مبتدأ خبره ﴿جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ﴾^(٢) بدل، وفي قراءة بهمة واحدة^(٣) إخبار^(٤)، فـ«ما»^(٥) اسم موصول مبتدأ^(٦) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ﴾ أي: سيمحقه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾.

[٨٢] ﴿وَيُخَيِّقُ﴾ يثبت ويظهر ﴿اللَّهُ الْحَقَّ يَكَلِّمُتَهُمْ﴾ بمواعيده ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَمَاءَ أَمْنٍ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةً﴾ طائفة ﴿مِنْ﴾ أولاد ﴿قَوْمِهِ﴾ أي: فرعون ﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ بصرفهم عن دينه بتعذيبه ﴿وَلَنْ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ﴾ متكبر ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَلَنْهُ لِيَنْ الْمُسْرِفِينَ﴾ المتجاوزين الحد بادعاء الربوبية.

[٨٤] ﴿وَقَالَ مُوسَى يَلْقَوْنِي إِنْ كُنْتُمْ عَامِتُمْ بِاللَّهِ فَاعْلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾.

[٨٥] ﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ لا تظهرهم علينا فيظنوا أنهم على الحق فيفتنوا بنا.

[٨٦] ﴿وَنَحْنُ بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

[٨٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا﴾ اتخذوا ﴿الْقَوْمَ كَمَا يُبْصِرُ يَتِيمَا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ فضلى تصلون فيه لتأمنوا من الخوف، وكان فرعون منعهم من الصلاة ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ أتموها ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والجنة.

[٨٨] ﴿وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا﴾ أنتهم ذلك ﴿لِيُضِلُّوا﴾ في عاقبته ﴿عَنْ سَبِيلِكَ﴾ دينك ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾ امسحها ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ اطبع عليها واستوثق ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ المؤلم، دعا عليه وأمرن هارون على دعائه.

(١) الأعراف: ١١٥.

(٢) قرأ أبو عمرو بالمد والهمز، وقوله: خبره؛ أي: ﴿جِئْتُمْ بِهِ﴾، وبدل؛ أي: ﴿السحر﴾.

(٣) أي همزة الوصل في «السحر».

(٤) أي فهو إخبار.

(٥) على هذه القراءة.

(٦) وخبره: جملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَيَبْطِلُهُ﴾.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمْ مَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ
فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُ
قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْقَنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ
خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾
وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ
الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ
مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ
قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٩٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾
وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٩٧] ﴿وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا ينفعهم
حينئذ.

[٨٩] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا﴾ فمسخت أموالهم
حجارة، ولم يؤمن فرعون حتى أدركه العرق ﴿فَاسْتَقِيمَا﴾ على الرسالة
والدعوة إلى أن يأتيهم العذاب ﴿وَلَا تَتَّبِعَان سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في
استعجال قضائي، روي أنه مكث بعدها أربعين سنة^(١).

[٩٠] ﴿وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَيْنَهُمْ﴾ لحقهم ﴿فِرْعَوْنُ
وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا﴾ مفعول له ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُ قَالَ ءَأَمَنْتُ
أَنَّهُ أَيُّ: بَأَنَّهُ، وفي قراءة بالكسر^(٢) استنفاً ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ-
بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ كره ليقبل منه فلم يقبل، ودس جبريل في فيه
من حمأة^(٣) البحر مخافة أن تناله الرحمة^(٤).

[٩١] وقال له: ﴿ءَأَلْقَنَ﴾ تؤمن ﴿وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ
الْمُفْسِدِينَ﴾ بضاللك وإضلالك عن الإيمان.

[٩٢] ﴿فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ﴾ نخرجك من البحر ﴿بِبَدَنِكَ﴾ جسدك الذي لا
روح فيه ﴿لَتَكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ﴾ بعدك ﴿ءَايَةً﴾ عبرة فيعرفوا عبوديتك ولا
يقدموا على مثل فعلك، وعن ابن عباس أن بعض بني إسرائيل شكوا في موته
فأخرج لهم لبروه^(٥) ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿عَنْ ءَايَتِنَا
لَغَافِلُونَ﴾ لا يعتبرون بها.

[٩٣] ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا﴾ أنزلنا ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ مَبْوَءَ صِدْقٍ﴾ منزل كرامة، وهو
الشام ومصر ﴿وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ بأن آمن بعض وكفر بعض
﴿حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾
من أمر الدين بإنجاء المؤمنين وتعذيب الكافرين.

[٩٤] ﴿فَإِنْ كُنْتَ﴾ يا محمد ﴿فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ من القصص
فرضاً^(٦) ﴿فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿مِّن قَبْلِكَ﴾ فإنه ثابت
عندهم يخبروك بصدقه، قال ﷺ: «لا أشك ولا أسأل»^(٧) ﴿لَقَدْ جَاءَكَ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ الشاكين فيه.

[٩٥] ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ
الْخَاسِرِينَ﴾.

[٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وجبت ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بالعذاب

(١) ما جاء في رول الآية (٩٤): أخرج أبو داود عن أبي زميل قال: سألت ابن عباس فقلت: ما شيء أجده في صدري؟ قال: ما هو؟ قلت: والله ما أتكلم به. قال: فقال لي: أشيء من شك؟ قال: وضحك، قال: ما نجا من ذلك أحد، قال: حتى أنزل الله ﷻ: ﴿فَإِنْ كُنْ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ قال: فقال لي: إذا وجدت في نفسك شيئاً نقل: ﴿مُّوَ الْأَوَّلَ وَالْآخِرَ وَالْأَطْلَقَ وَالْإِيجِلَ وَهُوَ يُحْيِي وَهُوَ يُمِيتُ﴾ أبو داود - كتاب الأدب (٣٥) باب (١١٨) في رد الموسومة. (حسن الإسناد) صحيح سنن أبي داود (٤٢٦٢).

(١) أخرجه الحكيم الترمذي عن مجاهد وهو قول ضعيف، كما ذكر القاضي كعان في قرة العين.

(٢) لحمة والكسائي.

(٣) أي طينه.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٠٣٢) وأحمد (٢٦٨١) عن ابن عباس مرفوعاً، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٠٦).

(٥) ذكر ابن كثير في تفسيره نحوه وكذلك في البداية والنهاية، وأخرج نحوه الطبري (١٧٨٧٤).

(٦) أخرجه عبد الرزق وابن جرير عن قتادة [الدر المنثور (٥٧١/٣)] وهو ضعيف لإرساله.

فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ
لَمَاءَ آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٩﴾ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ
كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ
﴿١٠٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَمِّنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَتَجْعَلُ الرِّجْسَ
عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَمَا تُعْنِي الْأَيُّتُ وَالَّذُرْعَن قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿١٠٢﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ
قُلْ فَأَنْظِرُوا إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ﴿١٠٣﴾ ثُمَّ نُنْجِي
رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾
قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ
تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَنْ أَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا
وَلَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا
يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مَرَبَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾

[٩٨] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿كَانَتْ قَرْيَةً﴾ أريد أهلها ﴿ءَامَنَتْ﴾ قبل نزول

العذاب بها ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا﴾ لكن ﴿قَوْمٌ يُوَسُّوْنَ لَمَاءَ آمَنُوا﴾ عند رؤية
أمارة العذاب ولم يؤمنوا إلى حلوله ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ انقضاء أجالهم.

[٩٩] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ
النَّاسَ﴾ بما لم يشأه الله منهم ﴿حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ لا.

[١٠٠] ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوَمِّنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بإرادته ﴿وَتَجْعَلُ
الرِّجْسَ﴾ العذاب ﴿عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون آيات الله.

[١٠١] ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿أَنْظِرُوا مَاذَا﴾ أي: الذي ﴿فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ﴾ من الآيات الدالة على وحدانية الله - تعالى - ﴿وَمَا تُعْنِي الْأَيُّتُ
وَالَّذُرْعَن﴾ جمع نذير؛ أي: الرسل ﴿عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ في علم الله؛ أي:
ما تنفعهم.

[١٠٢] ﴿فَهَلْ﴾ فما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ بكذبك ﴿إِلَّا مِثْلَ آيَاتِ الَّذِينَ
خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ أي: مثل وقائعهم من العذاب ﴿قُلْ فَأَنْظِرُوا﴾
ذلك ﴿إِلَىٰ مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ﴾.

[١٠٣] ﴿ثُمَّ نُنْجِي﴾ المضارع لحكاية الحال الماضي ﴿رُسُلَنَا وَالَّذِينَ
ءَامَنُوا﴾ من العذاب ﴿كَذَلِكَ﴾ الإنجاء ﴿حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النبي
ﷺ وأصحابه حين تعذيب المشركين.

[١٠٤] ﴿قُلْ يَتَّبِعُوا النَّاسَ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ
دِينِي﴾ أنه حق ﴿فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره وهو
الأصنام لشككم فيه ﴿وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ﴾ يقبض أرواحكم
﴿وَأُمِرْتُ أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَلَنْ أَقْرَ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مائلاً إليه ﴿وَلَا
تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٠٦] ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ تعبد ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ﴾ إن عبدته ﴿وَلَا
يَضُرُّكَ﴾ إن لم تعبدته ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ﴾ ذلك فرضاً ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مَرَبَ الظَّالِمِينَ﴾.

وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِيدْ
بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ
مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٩﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ
إِلَيْكَ وَأَصِرْ حَتَّىٰ يَخُوضَ لِمَا نَفَاكُ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١١٠﴾

سُورَةُ هُودٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكْبَةُ أَحْكَمَتْ أَيْتَهُ وَتُرْفِصَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ﴿١٠٨﴾
الْأَعْبَادُ إِلَّا اللَّهُ إِنِّي لَكُمْ مَنَّةٌ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ ثُمَّ يُؤْتُوا إِلَيْهِ يَمِيعَكُمْ مَتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ
كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
كَبِيرٍ ﴿١١٠﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١١﴾ إِلَّا أَنَّهُمْ
يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ الْأَجِينَ يَسْتَفْشُونَ شِيَابَهُمْ
يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١١٢﴾

ونزل كما رواه البخاري^(١) عن ابن عباس فيمن كان يستحي أن يتخلى^(٢) أو
يجامع فيفضي^(٣) إلى السماء.

[٥] وقيل: في المنافقين: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ أي:
الله ﴿أَلَا جِنَّةً يَسْتَفْشُونَ شِيَابَهُمْ﴾ يتغطون بها ﴿يَتْلُمُ﴾ تعالى ﴿مَا
يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فلا يعني استخفاؤهم^(٤) ﴿إِنَّهُمْ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ﴾ أي: بما في القلوب.

[١٠٧] ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ﴾ يصيبك ﴿اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ كفقر ومرض ﴿فَلَا
كَاشِفَ﴾ رافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ وَإِنْ يُرِيدْ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ دافع
﴿لِفَضْلِهِ﴾ الذي أرادك به ﴿يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بالخير ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾
وهو الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

[١٠٨] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾؛ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ
فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن وبال ضلاله عليها ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾
فأجبركم على الهدى.

[١٠٩] ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ من ربك ﴿وَأَصِرْ﴾ على الدعوة وأذاهم
﴿حَتَّىٰ يَخُوضَ لِمَا نَفَاكُ اللَّهُ﴾ فهم بأمره ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أغلظهم، وقد صبر
حتى حكم على المشركين بالقتال، وأهل الكتاب بالجزية.

سُورَةُ هُودٍ

[مكية إلا: ﴿وَأَنبِئِ الصَّالُونَ﴾ الآية، أو: إلا: ﴿فَلَمَّا تَرَكَ﴾
الآية، و﴿أَوَّلَتْكَ يَوْمَئِذٍ﴾ الآية. مائتان واثنان، أو: وثلاث
وعشرون آية، نزلت بعد يونس^(٥)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّكْبَةُ﴾ الله أعلم بمراده بذلك، هذا ﴿رَكْبَةُ أَخْبَتْ أَيْتَهُ﴾ عجيب
النظم وبدع المعاني ﴿ثُمَّ فَصَلَتْ﴾ يثبت بالأحكام والقصص والمواعظ ﴿وَمِنْ
لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ﴾ أي: الله.

[٢] ﴿وَأَنَّهُ﴾ أي: بأن ﴿لَا تَقْبَدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مَنَّةٌ نَذِيرٌ﴾ بالعذاب إن
كفرتم ﴿وَيَذِيرٌ﴾ بالثواب إن أنتمتم.

[٣] ﴿وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ يُؤْتُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾
بالطاعة ﴿يَتَّبِعُكُمْ﴾ في الدنيا ﴿مَتَاعًا حَسَنًا﴾ بطيب عيش وسعة رزق ﴿إِلَىٰ
أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الموت ﴿وَيُؤْتِ﴾ في الآخرة ﴿كُلَّ ذِي فَضْلٍ﴾ في
العمل ﴿فَضْلَهُ﴾ جزاءه ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فيه بحذف إحدى التاءين؛ أي:
تعرضوا ﴿فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ هو يوم القيامة.

[٤] ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ومنه الثواب والعذاب.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، قد شئت؟! قال: «شيتني هود الواقعة والمرسلات وعم يساءلون، وإذا الشمس كورت». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٧) سورة الواقعة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

(٥٥) ما جاء في نزول الآية (٥): عن محمد بن عباد بن جعفر أنه سمع ابن عباس يقرأ: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَّبِعُونَ صُدُورَهُمْ﴾ قل: سألته عنها؟ فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم. أخرجه البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة هود (١١) باب (١).

(١) البخاري (٤٦٨٢).

(٢) أي: يقضي حاجته من البول والغائط.

(٣) فالآية على هذا القول في تعليم التوحيد والمراقبة، وأن الله مطلع عليهم في جميع أحوالهم، ولا ينافي ذلك نذب التغطية عند التخلي والجماع.

﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِنْ قُلْتُمْ إِنَّكُمْ مَعْبُودُونَ مِنْ بَعْدِ الْآمُونِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُبِينٌ﴾ ﴿لَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ ﴿لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِثْرَ حِمَّةٍ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُمْ كَفُورٌ﴾ ﴿لَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ﴾ ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَصَابِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا أَلَوْلَا أَنْزَلْ عَلَيْهِ كُنْزًا أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾

[٦] ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ هي ما دب عليها ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ تكفل به فضلاً منه تعالى ﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا﴾ مسكنها في الدنيا أو

الصلب ﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾ بعد الموت أو في الرحم ﴿كُلٌّ﴾ مما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ بَيِّن، هو اللوح المحفوظ.

[٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ﴿رَكَاتٍ عَرَشُهُ﴾ قبل خلقهما ﴿عَلَى الْمَاءِ﴾ وهو على متن الريح ^(١) ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ متعلق بـ ﴿خَلَقَ﴾؛ أي: خلقهما وما فيهما من منافع لكم ومصالح؛ ليختبركم ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أي: أطوع لله ﴿وَلَئِنْ قُلْتُمْ﴾ يا محمد لهم: ﴿إِنَّكُمْ مَعْبُودُونَ مِنْ بَعْدِ الْآمُونِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُبِينٌ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ القرآن الناطق بالبعث أو الذي تقوله ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ بَيِّن، وفي قراءة ^(٢) ﴿سَاحِرٌ﴾ والمشار إليه النبي ﷺ.

[٨] ﴿لَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أَُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ أوقات ﴿مَعْدُودَةٍ﴾ لَيَقُولَنَّ استهزاء: ﴿مَا يَحْبِسُهُ﴾ ما يمنع من النزول، قال تعالى: ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا﴾ مدفوعاً ﴿عَنْهُمْ وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ﴾ من العذاب.

[٩] ﴿لَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ انْكَافٍ﴾ انْكَافٍ ﴿وَمِنَّا رَحْمَةً﴾ غنى وصحة ﴿ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُمْ كَفُورٌ﴾ كنوط من رحمة الله ﴿كَفُورٌ﴾ شديد الكفر ^{به}.

[١٠] ﴿لَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ﴾ فقر وشدة ﴿مَسَتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتِ﴾ المصائب ﴿عَنِّي﴾ ولم يتوقع زوالها ولا شكر عليها ﴿إِنَّهُمْ لَفَرِحَ﴾ بطر ﴿فَخُورٌ﴾ على الناس بما أوتي.

[١١] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الضراء ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في النعماء ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هو الجنة.

[١٢] ﴿فَلَعَلَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ﴾ فلا تبلغهم إياه لتهاونهم به ﴿وَصَابِقٌ بِهِ صَدْرُكَ﴾ بتلاوته عليهم لأجل ﴿أَنْ يَقُولُوا أَلَوْلَا﴾ هَلَا ﴿أَنْزَلْ عَلَيْهِ كُنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ﴾ يصدق كما افترحنا ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ﴾ فما عليك إلا البلاغ لا الإتيان بما افترحوه ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ حفيظ فيجازيهم.

(١) هذا القول مروى عن ابن عباس، ومعناه أن الريح مخلوقة قبل الماء، والصحيح أن أول مخلوق هو الماء لحديث البخاري عن عمران بن حصيص، أنه ﷺ من عن أحوال هذا العالم؛ فقال: «كان الله، ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء». رواه البخاري في بدء الخلق (٣١٩٢).

(٢) لحمة والكسائي.

[١٣] ﴿أَمْ﴾ بل أُولَئِكَ أَقْرَبُهُ ﴿أَي﴾ القرآن ﴿قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ﴾ في الفصاحة والبلاغة ^(١) ﴿مُقْتَرِبَتْ﴾ فإنكم عربون فصحاء مثلي، تحداهم بها أولاً ثم بسورة ^(٢) ﴿وَأَدْعُوا﴾ للمعاونة على ذلك ﴿مَنْ أَسْتَطَاعَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في أنه افترأ.

[١٤] ﴿فَأَنذَرْتُهُمْ﴾ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ ﴿أَي﴾ مَنْ دَعَوْتَهُمْ للمعاونة ﴿فَاعْلَمُوا﴾ خطاب للمشركون ﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ مُلْتَمِسًا﴾ يعلم الله وليس افترأ عليه ﴿وَأَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنه ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ بعد هذه الحجة القاطعة؛ أي: أسلموا.

[١٥] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ بأن أصر على الشرك، وقيل: هي في المرائين ﴿وَنُوفٍ إِلَيْهِمْ﴾ أَعْمَلَهُمْ ﴿أَي﴾ جزء ما عمله من خير كصدقة وصلة رحم ﴿فِيهَا﴾ بأن نوسع عليهم رزقهم ﴿وَهُمْ فِيهَا﴾ أي: الدنيا ﴿لَا يَخْشَوْنَ﴾ ينقصون شيئاً.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ بِطُلُوعِهَا﴾ بطل ما صَنَعُوا ﴿فِيهَا﴾ أي: الآخرة، فلا ثواب له ﴿وَيُطْلَلُ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٧] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْرَفٍ﴾ بيان ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ وهو النبي ﷺ أو المؤمنون، وهي القرآن ﴿وَيَتْلُوهُ﴾ يتبعه ﴿شَاهِدٌ﴾ له بصدقة ﴿وَمِنْهُ﴾ أي: من الله، وهو جبريل ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ القرآن ﴿كُتِبَ مُوسَى﴾ التوراة شاهد له أيضاً ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ حال، كمن ليس كذلك؛ لا ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: من كان على ينة ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي: بالقرآن، فليهم الجنة ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ﴾ مِنَ الْآخِرَابِ ﴿جَمِيعُ الْكُفَّارِ﴾ فَالْآخِرَةُ مَوْعِدُهُمْ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ ﴿شك﴾ ﴿وَمِنْهُ﴾ من القرآن ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ﴾ يوم القيامة في جملة الخلق ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ جمع شاهد، وهم الملائكة يشهدون للرسول بالبلاغ وعلى الكفار بالكذب: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ آلَا

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مَفْتَرِينَ
وَأَدْعُوا مَنْ أَسْتَطَاعَتْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ
مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ
الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا
لَا يُخْسَرُونَ
أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا
النَّارُ وَحِطَّ بِمَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ
أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَتْرَفٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ
كُتِبَ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ
بِهِ مِنَ الْآخِرَابِ فَالْآخِرَةُ مَوْعِدُهُمْ فَلَا تَكُ فِي مَرِيَّةٍ إِنَّهُ
الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى
رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ
أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ
الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَعْبُدُونَ عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ

لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ^(٣) المشركون.

[١٩] ﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ يطلبون السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾ تأكيد ﴿كُفِرُونَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّهَ بَدَى الْمُؤْمِنَ فَبُضِعَ عَلَيْهِ كُفَّهُ وَبَسْتَرَهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ تُعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ. حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ؛ قَالَ: سَبَرْتَهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابُ حَسَنَاتِهِ. وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ: «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ». البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة هود (١١) باب (٤) ﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَّبُوا عَلَى رَبِّهِمْ آلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾.

(١) وغير ذلك من وجوه تحشيه وإعجازه الكثيرة.

(٢) في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَلَمَّا كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣].

أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءٍ يُضَاعِفُ لَهُمْ أَعْدَابَ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٢١﴾ لَا جُرْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَصْمَىٰ وَالْأَبْصِرِ وَالْأَسْمِعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِتِي بِكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْرِ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَىٰ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَىٰ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَادِبُوا الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُصِيَّتْ عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ كُفَرًا وَأَنْتُمْ كَارِهِونَ ﴿٢٨﴾

[٢٠] ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُعْجِزِينَ﴾ الله ﴿فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَمِنْ أَوْلِيَاءٍ﴾ أنصار ينعونهم من عذابه ﴿يُضَاعِفُ لَهُمْ

الْعَذَابَ﴾ بإضالهم غيرهم ﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ﴾ للحق ﴿وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ﴾ أي: لفرط كراهتهم له كأنهم لم يستطيعوا ذلك.

[٢١] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم ﴿وَصَلَّ عَنْهُمْ﴾ غاب ﴿عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ على الله من دعوى الشريك.

[٢٢] ﴿لَا جُرْمَ أَنَّهُمْ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْأَخْسَرُونَ﴾.

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا﴾ سكنوا واطمأنوا أو أنابوا ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٢٤] ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ صفة ﴿الْفَرِيقَيْنِ﴾ الكفار والمؤمنين ﴿كَالْأَصْمَىٰ وَالْأَبْصِرِ﴾ هذا مثل الكافر ﴿وَالْأَبْصِرِ وَالْأَسْمِعِ﴾ هذا مثل المؤمن ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا؟﴾ لا ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(١) فيه إدغام التاء في الأصل في الدال؛ تتعظون.

[٢٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ [نُوحٍ] أي: بأني، وفي قراءة بالكسر^(٢) على حذف القول^(٣) ﴿لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ [بَيْنَ الْإِنْدَارِ].

[٢٦] ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عبدتم غيره ﴿عَذَابَ يَوْمِ الْإِسْرِ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.

[٢٧] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ﴾ وهم الأشراف: ﴿مَا تَرَىٰ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا﴾ ولا فصل لك علينا ﴿وَمَا تَرَىٰ أَتَّبِعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يَادِبُوا الرَّأْيِ﴾ بالهمز وتركة^(٤)؛ أي: ابتداء من غير تفكير فيك، ونصبه على الظرف؛ أي: وقت حدوث أول رأيهم ﴿وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ فتستحقون به الاتباع منا ﴿بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾ في دعوى الرسالة، أدرجوا قومه معه في الخطاب.

[٢٨] ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ﴾ بيان ﴿بَيْنَ رَبِّي وَآلِهَتِي رَحْمَةً﴾ نبوة ﴿وَمِنْ عِنْدِي﴾ [فَعُصِيَّتْ] خفيت ﴿عَلَيْكُمْ﴾ وفي قراءة: بتشديد الميم والبناء للمفعول^(٥) ﴿أَنْتُمْ كُفَرًا وَأَنْتُمْ كَارِهِونَ﴾ لا نقدر على ذلك.

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) قراءة [نُوحٍ] بالفتح للكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) تقديره: «قال إني».

(٤) بالهمز قراءة أبي عمرو.

(٥) وبلون التشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وهي المفسرة أولاً.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُوا لَا آتَاكُمُ عَلَيْهِمْ عَلَى تَبْلِغِ الرِّسَالَةِ﴾ مَالًا ﴿مَالًا﴾ تَعَطُّوْنِهِ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿أَجْرِي﴾ ثَوَابِي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ كَمَا أُمَرْتُوْنِي ﴿إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ﴾ بِالْبَيْتِ فِي جَارِيهِمْ وَيَأْخُذُ لَهُمْ مِنْ ظِلِّهِمْ وَطَرْدُهُمْ ﴿وَلَكِنِّي أَنَا كُفْرًا قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾ عَاقِبَةُ أَمْرِكُمْ.

[٣٠] ﴿وَيَقُولُوا مَنْ يَضُرُّنِي﴾ بِمَعْنَى ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ أَيُّ: عَذَابِهِ ﴿إِنْ طَرَدْتَهُمْ﴾ أَيُّ: لَا نَاصِرَ لِي ﴿أَفَلَا﴾ فَهَلَا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ يَدْعُو النَّاسَ الثَّانِيَةَ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّالِ (١) تَتَعَطَّلُونَ.

[٣١] ﴿وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ وَلَا لِي﴾ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ ﴿إِنِّي مُلْكٌ﴾ بَلْ أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ﴿وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي﴾ تَخْفَرُ ﴿أَعْيُنُكُمْ﴾ لَنْ يُؤَيَّسَ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ ﴿قُلُوبِهِمْ﴾ إِنِّي إِذًا قُلْتُ ذَلِكَ ﴿لَكِنَّ الظَّالِمِينَ﴾.

[٣٢] ﴿قَالُوا لَيْتَنَّا فَدَّ جَنَدًا لَنَا﴾ خَاصِمَتَنَا ﴿فَاكْثَرْتَ جَنَدَنَا فَإِنَّا بِمَا تَعِدُنَا﴾ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فِيهِ.

[٣٣] ﴿قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ تَعَجُّلْ لَكُمْ فَإِنْ أَمَرَهُ إِلَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا ﴿وَمَا أَنَا بِمُعْجِزٍ﴾ بِفَاتِنِ اللَّهِ.

[٣٤] ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي﴾ إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ ﴿أَيُّ: إِغْوَاءَكُمْ، وَحَوَابِ الشَّرْطِ دَلَّ عَلَيْهِ﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي، هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ.

[٣٥] قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ﴾ بَلْ أَمْ يَقُولُونَ ﴿أَيُّ: كَفَارِ مَكَّةَ﴾ أَفْتَرَيْنَاهُ اخْتَلَقَ مُحَمَّدٌ الْقُرْآنَ ﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُمْ فَمَلَكُ إِجْرَائِي﴾ إِنَّمَا: أَيُّ: عَقُوبَتُهُ ﴿وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا يَجْعَلُونَ﴾ مِنْ إِجْرَائِكُمْ فِي نَسْبَةِ الْإِفْتِرَاءِ إِلَيَّ.

[٣٦] ﴿وَأَوْحَى﴾ إِلَيَّ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي ﴿وَمَا كَانُوا بِفَعْلٍ﴾ مِنَ الشَّرْكِ. فَدَعَا عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَرَبِّي لَا تَذَرُ عَلَى الْأَرْضِ﴾ (٢) إِلَخٍ، فَاجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهُ فَقَالَ: [٣٧] ﴿وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ السَّفِينَةَ ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ بِرَأْيِ مَنْ وَحَفْظُنَا (٣) ﴿وَوَحَيْنَا﴾ أَمْرَنَا ﴿وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي

وَيَقُولُوا لَا آتَاكُمُ عَلَيْهِمْ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَنَا كُفْرًا قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُوا مَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتَهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدَ خَزَائِنِ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مُلْكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤَيَّسَ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا قُلْتُ إِذَا لَمْ يَأْتِ الْظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا لَيْتَنَّا فَدَّ جَنَدًا لَنَا فَإِنْ أَكْثَرْتَ جَنَدَنَا فَإِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنَا بِمُعْجِزٍ وَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْنَاهُ فَعَلَى إِجْرَائِي وَأَنَا بَرِيءٌ وَمِمَّا يَجْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَأَوْحَى إِلَيَّ نُوحٌ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ فَلَا يَنْفَعُكُمْ نَصِيحِي بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَصْنَعُ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٣٦﴾

الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كَفَرُوا بِرُكْ إِهْلَاكِهِمْ ﴿إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ﴾.

(١) قرأ بتحفيظ الذال حفص وحزمة والكسائي وشدها بقية السبعة.

(٢) نوح: ٢٦.

(٣) في هذه الآية وغيرها يثبت - سبحانه - لنفسه عتبا يرى بها جميع المراتب، وهي صفة حقيقة لله سبحانه على ما يليق به - سبحانه -، تؤمن بها ونشيتها لربنا قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وأما تأويل العين بأنها عبارة عن الإدراك والإحاطة فهو مذهب الأشاعرة وغيرهم من أهل التأويل.

[٤٠] ﴿حَقٌّ﴾ غاية الصنع ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَقَارَ الْقَرْوُ﴾ للبخاز بالماء^(١)، وكان ذلك علامة لنوح ﴿فَلَمَّا أَتَى فِيهَا﴾ في السفينة ﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى؛ أي: من كل أنواعهما ﴿اثنَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى، وهو مفعول^(٢)، وفي القصة أن الله حشر لنوح السباع والطير وغيرها فجعل يضرب بيديه في كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحملهما في السفينة ﴿وَأَهْلَكَ﴾ أي: زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ﴾ أي: منهم بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام ويافث فحملهم وزوجاتهم الثلاثة ﴿وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قيل: كانوا ستة رجال ونساءهم، وقيل: جميع من كان في السفينة ثمانون نصفهم رجال ونصفهم نساء.

[٤١] ﴿وَقَالَ﴾ نوح: ﴿ارْكَبُوا فِيهَا﴾ يسر الله بحملها ﴿وَمَوْسَىٰ﴾ بفتح الميمين وضمهما^(٣) مصدران؛ أي: جريها ورسوها؛ أي: منتهى سيرها ﴿إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يهلكنا.

[٤٢] ﴿وَهُنَّ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ في الارتفاع والعظم ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ﴾ كنعان^(٤) ﴿وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ﴾ عن السفينة: ﴿يَبْنِيْ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٤٣] ﴿قَالَ سَوَاءٌ إِلَيَّ جِبِلٌّ يَعْصِمُنِي﴾ بمعني ﴿وَمِنَ الْمَاءِ﴾ قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحمته وحال بينهما المَوْجُ فكان من الْمُعْرِفِينَ^(٥) وقيل يتأرض أبلي ماءك ويسماء أقلي وعيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودي وقيل بعد للقوم الظالمين^(٦) ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين^(٧).

[٤٤] ﴿وَقِيلَ يٰنَارُ أَتْلِي مَاءَكِ﴾ الذي نبع منك فشرته دون ما نزل من السماء فصار أنهارًا وبحارًا ﴿وَيَسْمَاءُ أَقْلِي﴾ أمسكي عن المطر فأمسكت ﴿وَعِيضٌ﴾ نقص ﴿الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ثم أمر هلاك قوم نوح ﴿وَأَسْتَوَتْ﴾ وقفت السفينة ﴿عَلَى الْجُودِي﴾ جبل بالجزيرة بقرب الموصل ﴿وَقِيلَ بُعْدًا﴾ هلاكًا ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين.

[٤٥] ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي﴾ كنعان ﴿مِنْ أَهْلِي﴾ وقد وعدتني بنجاتهم ﴿وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ الذي لا تخلف فيه ﴿وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعلمهم وأعدلهم.

وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ نَعْتَمُوتُ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا وَمَرْضَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَبْنِيْ أَرْكَبَ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَوَاءٌ إِلَيَّ جِبِلٌّ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَهُ وَحَالٌ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُعْرِفِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يٰنَارُ أَتْلِي مَاءَكِ وَيَسْمَاءُ أَقْلِي وَعِيضُ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ ﴿٤٥﴾

[٣٨] ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ﴾ حكاية حال ماضية ﴿وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ﴾ جماعة ﴿مِنْ قَوْمِهِ﴾ سَخِرُوا مِنْهُ استهزؤا به ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ إذا نبهونا وغرقتم.

[٣٩] ﴿فَسَوْفَ نَعْتَمُوتُ مَنْ﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾.

(١) قول جمهور السلف وعلماء الخلف أن المعنى: حتى فار الماء من التناثر التي هي مكان النار، صارت تقور ماء، وقيل: المراد الكتابة عن اشتداد الأمر، كما يقال: حمي انطيس، والوطيس: التنور، وهو من فصيح الكلام وبلغه، وقيل غير ذلك.

(٢) والقراءة المفسرة بإضافة «كُلُّ» هي قراءة السبعة عدا حفص الذي نون؛ حيث عدى الفعل وهو «احْمِلْ» إلى «زَوْجَيْنِ» فيكون مفعولًا، و «اثنَيْنِ» نعتًا لـ «زَوْجَيْنِ» وفيه معنى التأكيد، كقوله: «لَا تَنْتَبِهُوا إِلَّا هِزْ اثنَيْنِ»، والتقدير: احمل فيها زوجين اثنين من كل شيء، ثم حذف ما أضيف إليه «كل» فُكِّنَ «كَلَاهُ». أما الجمهور فعُدَى الفعل إلى «اثنَيْنِ»، والتقدير: احمل فيها اثنين.

(٣) أي في قوله: ﴿يَجْرِيهَا وَمَوْسَىٰ﴾، وقوله: «بفتح الميمين» سبق قلم؛ فإن فتحهما قراءة شاذة؛ والصواب أن يقول: بضم الميمين، أو فتح الأولى مع ضم الثانية، والأولى قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) على افترض صحة تسمية ابن نوح بهذا الهالك بـ «كنعان»؛ فإنه غير «كنعان» جد الكنعانيين، فإن جدهم هو: كنعان بن سام بن نوح.

قَالَ يُونُسُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ يَعْمَلُ غَيْرَ صَالِحٍ فَلَا تَسْتَلِنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يُونُسُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَذَابَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجَرْتُمْنِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلَ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يُونُسُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ الناجين أو من أهل دينك ﴿إِنَّهُ﴾ أي: سؤالك إياي بِنجاته ﴿عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ فإنه كافر ولا نجاة للكافرين، وفي قراءة (١) بكسر ميم ﴿عَمِلَ﴾ فعل، ونصب ﴿غَيْرَ﴾ فالضمير لابنه ﴿فَلَا تَسْأَلُنِي﴾ بالتشديد والتخفيف (٢) ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ من إجماع ابنك ﴿إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ بسؤالك ما لم تعلم (٣).

[٤٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ﴾ من ﴿أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ وَلَا تَغْفِرْ لِي، ما فرط مني ﴿وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَسِرِينَ﴾.

[٤٨] ﴿قِيلَ يُونُسُ أَهْبِطْ﴾ انزل من السفينة ﴿بِسَلَامٍ﴾ بسلامة أو بجمعة ﴿وَبَرَكَاتٍ﴾ خيرات ﴿عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ﴾ في السفينة أي من أولادهم وذريتهم وهم المؤمنون ﴿وَأُمَمٌ﴾ بالرفع ممن معك (٤) ﴿سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ في الدنيا ﴿ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ في الآخرة، وهم الكفار.

[٤٩] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات المتضمنة قصة نوح ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾ أخبار ما غاب عنك ﴿نُوحِيهَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن ﴿فَاصْبِرْ﴾ على التبليغ وأذى قومك كما صبر نوح ﴿إِنَّ الْعَذَابَ﴾ المحموده ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.

[٥٠] ﴿وَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ إِنْ عَادَ لِقَائِهِمْ ﴿مِنْ الْقَبِيلَةِ﴾ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَخُذُوهُ مَا لَكُمْ مِنْ زَائِدَةٍ ﴿إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ إِنْ مَا ﴿أَنْتُمْ﴾ في عبادتكم الأوثان ﴿إِلَّا مُفْتَرُونَ﴾ كاذبون على الله.

[٥١] ﴿يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على التوحيد ﴿أَجْرًا﴾ إِنْ مَا ﴿أَجَرْتُمْنِي إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

[٥٢] ﴿وَيَقَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تُوبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ﴾ المطر وكانوا قد منغوه ﴿عَلَيْكُمْ﴾ مِدْرَارًا ﴿كثير الدور﴾ وَيزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى ﴿إِلَى﴾ مع ﴿قُوَّتِكُمْ﴾ بالمال والولد ﴿وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ مشركين.

[٥٣] ﴿قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ برهان على قولك ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ﴾ أي: نقولك ﴿وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾.

(١) لكسائي.

(٢) بالنون المشددة مع فتح اللام وصلًا ووفقًا لقراءة ابن كثير، وقرأ قالون، وابن عامر ﴿فَلَا تَسْأَلُنِي﴾ وصلًا ووفقًا، وقرأ ورش وأبو جعفر ﴿فَلَا تَسْأَلُنِي﴾ بإثبات الياء وصلًا، وحذفها وفتحًا.

(٣) أي: أنهاك.

(٤) أي من ذريتهم.

[٥٥] ﴿مِن دُونِهِ فَكِدُون﴾ احتالوا في هلاكهم ﴿جَمِيعًا﴾ أنتم وأولادكم ﴿فَمَنْ لَا يَظُنُّونَ﴾ تمهلون.

[٥٦] ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنَّ زَائِدَةٍ﴾ زائدة ﴿وَدَائِدَةٍ﴾ نسمة تدب على الأرض ﴿إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِكُمْ﴾ أي: مالكها وقاهرها، فلا نفع ولا ضرر إلا بإذنه، ونخص الناصية بالذكر؛ لأن من أخذ بناصيته يكون في غاية الذل ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الحق والعدل.

[٥٧] ﴿فَإِن تَوَلَّوْا﴾ فيه حذف إحدى التاءين؛ أي: تعرضوا ﴿فَقَدْ أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا أَرْسَلْنَا بِهِ إِلَيْنَا﴾ ويستخلف ربكم قوما غيركم ولا تصرفون شيئا ﴿يُشْرِكُ﴾ يشارككم ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ﴾ رقيب.

[٥٨] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ عذابنا ﴿نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ هداية (١) ﴿وَمَنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ شديد.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ ءَادَ﴾ إشارة إلى آثارهم؛ أي: فسبحوا في الأرض وانظروا إليها، ثم وصف أحوالهم فقال: ﴿جَعَلُوا يَتَايَاسُونَ﴾ وعصوا رسلكم ﴿جمع﴾ لأن من عصى رسولا عصى جميع الرسل؛ لاشراكهم في أصل ما جاؤوا به وهو التوحيد ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ أي: السفلة ﴿أَمَرَ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيبٍ﴾ معاند للحق من رؤسائهم.

[٦٠] ﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ من الناس ﴿وَيَوْمَ الْآخِرَةِ﴾ لعنة على رؤوس الخلائق ﴿إِلَّا ءَادَ كَذَّبُوا﴾ جحدوا ﴿رَبَّهُمْ﴾ ألا بعدا ﴿من رحمة الله﴾ لِعَادٍ قَوْمٍ هُودٍ.

[٦١] ﴿وَأَرْسَلْنَا﴾ أرسلنا ﴿إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ﴾ من القبيلة ﴿صَالِحًا﴾ قال يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ ﴿وَحَدَّوْهُ﴾ ما لكم من إلوه غيري هو أنشأكم ﴿ابتدا﴾ خلقكم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ بخلق أبيكم آدم منها ﴿وَأَسْتَعْمِرَكُمْ فِيهَا﴾ جعلكم عملا تسكنون بها ﴿فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ من الشرك ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا﴾ ارجعوا ﴿إِلَيْهِ﴾ بالطاعة ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ﴾ من خلقه بعلمه ﴿غَيْبٌ﴾ لمن سأل.

[٦٢] ﴿قَالُوا يَصْلِحْ ذَنبَكَ﴾ كنت فينا مرجوا ﴿نرجو أن تكون سيذا﴾ قبل هذا الذي صدر منك ﴿أَلَمْ نَقُلْ لَّكَ أَن تَقْبَلَ مَا يَقْبَلُ ءَاتَاكَ﴾ من الأوثان ﴿وَأَنَّا لَنَبَىٰ لَكَ شَيْءٌ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ﴾ من التوحيد ﴿مَرِيبٌ﴾ موقع في الرب.

إِنْ تَقُولُ إِلَّا اعْتَرِكَ بِعُصَاةِ الْهَيْتَانِ بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُ أَنَّ بَرِيءًا مِّمَّا تَشْرِكُونَ (١) مِنْ دُونِهِ فَكِدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ (٢) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٣) فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَرْسَلْنَاكُمْ مَّا أَرْسَلْنَا بِهِ إِلَيْنَا وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ (٤) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ (٥) وَتِلْكَ ءَادَ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيبٍ (٦) وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْآخِرَةِ إِلَّا ءَادَ كَذَّبُوا رَبَّهُمْ وَلَا بَعْدَ الْعَادِ قَوْمٌ هُودٌ (٧) وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَتَقَوَّمُوا عِبَادُ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِّنَ إِلَهِ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْمِرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَإِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ (٨) قَالُوا لَئِن يَصْلِحْ ذَنبَكَ فَتَكُنْ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَنَبَىٰ لَكَ شَيْءٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مَرِيبٌ (٩)

[٥٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَقُولُ﴾ في شأنك ﴿إِلَّا اعْتَرِكَ﴾ أصابك ﴿بِعُصَاةِ الْهَيْتَانِ بِسُوءٍ﴾ فخلبك؛ لسببك إياها، فأنت تهدي ﴿قَالَ إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ عَلَيَّ﴾ وأشهدوا أنني برئ ﴿مِمَّا تَشْرِكُونَ﴾ به.

(١) تأويل هذه الرحمة بالهداية أو غيرها؛ هي طريقة المولة خوف إرادة التشبيه في صفات الله ﷻ، وهذا فهم خاطئ، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات التي أنبأها ربنا ﷻ لنفسه دون أن يقتصي ذلك تشبيها وهو - شبحانة - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهو التاميم البصير ﴿الشورى: ١١﴾.

قَالَ يَقُومُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي وَعَاشِي مِنْهُ رَحْمَةً نَبُوَّةٌ^(١) «فَمَنْ يَصْنَعُ» بمعنى «يؤت الله» أي: عذابه «إِنْ عَصَيْتُمْ فَمَا تَزِيدُونِي» بأمركم لي بذلك «غَيْرَ تَحْسِيرٍ» تضليل.
 [٦٤] «وَيَتَوَدَّرُ هَذِهِ» ناقة الله لكم مائة^(٢) حال، عامله الإشارة^(٣) «فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ» غفر «فَيَاخُذُكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ» إن عقرتموها.
 [٦٥] «فَعَقَرُوهَا» عقرها فذار بأمرهم «فَقَالَ» صالح: «تَمَتَّعُوا» عيشوا «فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ» ثم تهلكون «ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ» فيه.
 [٦٦] «فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا» يهلكهم «بَنِيَّاتَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ» وهم أربعة آلاف «رَحِمَةً مِنَّا وَمِنْ خِزْيٍ يُؤَيِّدُ» بكسر الميم إعرابًا وفتحها بناءً لإضافته إلى مبني^(٤) وهو الأكثر^(٥) «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ» الغالب.
 [٦٧] «وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَنِينَ» باركين على الركب ميتين.
 [٦٨] «كَانَ» مخففة، واسمها محذوف؛ أي: كأنهم «لَمْ يَفْعَلُوا» قيموا «فِيهَا» في دارهم «إِلَّا أَنْ تَمُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا بَعْدَ ثَمُودَ» بالصرف وتركه^(٦) على معنى الحي^(٧) والقبيلة^(٨).
 [٦٩] «وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشَرِ» بإسحاق ويعقوب بعده «قَالُوا سَلَامًا» مصدر «قَالَ سَلَامٌ» عليكم «فَمَا لَيْتَ أَنْ جَاءَ بِوَجَلٍ حَنِيزٍ» مشوي.
 [٧٠] «فَلَمَّا رَأَى أَلْيَهُمْ لَا يُفْلِحُ إِلَيْهِ نَصَرَهُمْ» بمعنى: أنكرهم «وَأَنزَلْنَا» أضمر في نفسه «بَيْنَهُمْ خِيفَةً» خوفًا «قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَزِيلُنَا إِلَى قَوْمٍ لَوُطٍ» لنهلكهم.
 [٧١] «وَأَنزَلْنَا» أي: امرأة إبراهيم سارة «قَابِلَةً» تخدمهم «فَصَبَحَكَ» استبشارًا بهلاكهم «فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِهِ قَعُوبَ» بعد «إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ» ولده تعيش إلى أن تراه.

(١) النبوة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، التي هي من صفاته - شيعاته -، ونشيتها له ﷻ كما هو مذهب السلف على الوجه اللائق به.

(٢) أي اسم الإشارة؛ وهو «هذه» ما فيه من معنى الفعل، وتقديره: «خذوها».

(٣) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

(٤) أي في اللغة؛ أما قراءة فهما سواء.

(٥) بالصرف قراءة الكسائي.

(٦) قوله: «الحي» راجع للصرف؛ فإن اسم «ثمود» يُصرف إذا أطلق مرا إذا به الأب الأكبر أو الحي؛ أي ديارهم.

(٧) قوله: «القبيلة» راجع لتركه؛ فإن اسم «ثمود» يمنع من الصرف للعلمية والتأنيث إذا أُريد به القبيلة.

[٧٤] ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّغْوُ﴾ الخوف ﴿وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَى﴾ بالولد أخذ ﴿يُحْجِدُنَا﴾ يجادل رسلنا ﴿فِي﴾ شأن ﴿قَوْمِ لُوطٍ﴾.

[٧٥] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ﴾ كثير الأناة ﴿أَوَّهٌ مُنِيبٌ﴾ رجاء، فقال لهم: أتهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفهلكون قرية فيها مؤمن؟ قالوا: لا، قال: أفهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمناً؟ قالوا: لا، قال: أفرايتم إن كان فيها مؤمن واحد؟ قالوا: لا، قال: إن فيها لوطاً، قالوا: نحن أعلم بمن فيها... إلخ (١).

[٧٦] فلما أطال مجادلهم قالوا: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ أغرض عن هذا ﴿الجدال﴾ ﴿إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ بهلاكهم ﴿وَأَنبِئْهُمْ عَذَابَ عَذِيبٍ مَرْدُودٍ﴾. [٧٧] ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا﴾ حزن بسببهم ﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ صدر (٢)؛ لأنهم حسان الوجه في صورة أضياف فخاف عليهم قومه ﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ شديد.

[٧٨] ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ﴾ لما علموا بهم ﴿يَهْرَعُونَ﴾ يسرعون ﴿إِلَيْهِ وَيَنْبِئُ﴾ قبل مجيئهم ﴿كَأَنَّهُمْ يَمْلِكُونَ السَّمَاتِ﴾ وهي إتيان الرجال في الأديار ﴿قَالَ لُوطُ﴾: ﴿يَقْفُورٌ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾ فتزوجهن ﴿هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَفْزُرُون﴾ تفضحون ﴿فِي ضَيْفِي﴾ أضيافي ﴿أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ زَكِيٌّ﴾ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر.

[٧٩] ﴿قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ﴾ حاجة ﴿وَأِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُذِئُ﴾ من إتيان الرجال.

[٨٠] ﴿قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ﴾ طاقة ﴿أَوْ عَاوِجٌ إِلَيَّ رُكْنِي شَدِيدٌ﴾ عشيرة تنصرتني لبطشت بكم.

[٨١] فلما رأته الملائكة ذلك ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رَمَلْنَاكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ بسوء ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ﴾ طائفة ﴿مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾ لئلا يرى عظيم ما ينزل بهم ﴿إِلَّا إِيَّائُنَا﴾ بالرفع (٣) بدل من ﴿أَحَدٌ﴾، وفي قراءة: بالنصب استثناء من الأهل؛ أي: فلا تشر بها ﴿إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ﴾ فقيل: لم يخرج بها، وقيل: خرجت والتفتت فقالت: وا قومها، فجاءها حجر فقتلها، وسألهم عن وقت هلاكهم فقالوا: ﴿إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ﴾ فقال: أريد أعجل من ذلك. قالوا: ﴿أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ﴾.

قَالَتْ يَوْلَيْتُ أَنِّي لَأَمْلِكُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٤﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّغْوُ وَجَاءَتْهُ الْبَشَرَى يُحْجِدُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّهٌ مُنِيبٌ ﴿٧٧﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ عَزِيزٌ مَرْدُودٌ ﴿٧٨﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٩﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَقُومُ هَؤُلَاءِ بِنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ زَكِيٌّ ﴿٨٠﴾ قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٨١﴾ قَالَ لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ عَاوِجٌ إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ ﴿٨٢﴾ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رَمَلْنَاكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا إِيَّائُنَا إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٣﴾

[٧٢] ﴿قَالَتْ يَوْلَيْتُ﴾ كلمة يقال عند أمر عظيم، والألف مبذلة من ياء الإضافة ﴿وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ لي تسع وتسعون سنة ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ له مائة، أو: وعشرون سنة، ونصبه على الحال، والعامل فيه ما في «ذا» من الإشارة ﴿رَأَيْتُ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ أن يولد ولد لهريمين. [٧٣] ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قدرته (١) ﴿رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ يا ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ بيت إبراهيم ﴿وَإِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ كريم.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «قال لوط: ﴿لَوْ أَنِّي لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ عَاوِجٌ إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ﴾ قال: «قد كان يأوي إلى ركن شديد، ولكنه عنى عشيرته؛ فما بعث الله ﷻ بعده نبياً إلا بعثه في ذروة من قومه». المسند (٥٣٣/٢، ٣٨٤). وحسن الأرنؤوط إسنادَه في تخريجِه على المسند (١٠٩٠٣) (٥٢٥/١٦). قال ابن الأثير: ذروة كل شيء أعلاه. (النهاية ١/٢٩٠).

وأخرجه الترمذي أيضاً - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٣) سورة يوسف، وضعفه الألباني بلفظ «ذروة» وحسنه بلفظ «ذروة»، وانظر: الصحيحة (١٦١٧)، قال ابن الأثير: الذروة: العدد الكثير - (النهاية ١/٢١٠).

والحديث في الصحيحين مختصراً بلفظ: «يرحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد». البخاري (٣٣٨٧)، ومسلم (١٥١).

(١) الأمر غير القدرة، والاستفهام في الآية للإعجاز؛ أي كيف تعجبين من قضاء الله وقدره، وتما قدرته وهو لا يستحيل عليه شيء، وإنما أنكروا عليها مع كون ما تعجب منه من خوارق العادة لأنها من بيت النبوة، ولا يخفى على مثله أن هذا من مقدوراته سبحانه؛ فـ ﴿وَإِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

(٢) ذوي بعض هذا الحوار عن قتادة السدوسي، وبعبارة عن سعيد بن جبير رحمهما الله، ولم يثبت شيء منه مرفوعاً إلى النبي ﷺ، فالأولى: الانقصار على الصميم الثابت والإعراض عما لم يثبت وليس في ذكره كبير فائدة.

(٣) أي: ضاق صدره لعدم الخلاص من ذلك المكروه، والأصل فيه أن البحر إذا حمل عليه ضعف ومد عنقه وضاق ذرعاً؛ أي: صدره.

(٤) بالرفع قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا
حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ مَّضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ
وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ وَإِلَى مَدِينَتِ أَخَاهُمْ
شُعَيْبًا قَالَ يَقَوْمُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّن إِلَهٍ غَيْرُهُ
وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ
وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمُ
أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ
أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْبَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ
اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
بِحَفِيفٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ
مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ
لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ
عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ
أُخَالِفَكم إِلَّا مَّا أَنهَضْكُمْ عَنْهُ إِن أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ
مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

[٨٢] ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾ أي: قهرهم ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين طبع بالنار ﴿مَضُودٍ﴾ متتابع. [٨٣] ﴿مُسَوِّمَةً﴾ معلّمة عليها اسم من يُرمى بها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ أي: أهل مكة ﴿بِيعِيدٍ﴾.

[٨٤] ﴿وَأُرْسِلْنَا﴾ أرسلنا ﴿إِلَى مَدِينَتِ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ قَالَ يَقَوْمُ أَغْبِدُوا اللَّهَ وحده ﴿وَمَا لَكُمْ مِّن إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ لَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ نعمة تمنعكم عن التطفيف ﴿وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن لم تؤمنوا ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ بكم، يهلككم، ووصف اليوم به محاز؛ لوقوعه فيه.

[٨٥] ﴿وَتَعْبَثُوا أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ﴾ أتموهما ﴿بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئاً ﴿وَلَا تَعْبَثُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره؛ من (عَثَى) بكسر المثلثة: أفسد، ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها ﴿تَعْبَثُوا﴾.

[٨٦] ﴿بَقِيَّتُ اللَّهِ﴾ رزقه اباقي لكم بعد إيفاء الكيل والوزن ﴿وَحَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من البخس ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيفٍ رقيب أجازيكم بأعمالكم، إنما بعثت نذيراً.

[٨٧] ﴿قَالُوا﴾ له استهزاء: ﴿يَشْعِيبُ أَصَلَوْنَاكَ تَأْمُرُكَ﴾ بتكليف ﴿أَنْ نَّتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿أَوْ﴾ نترك ﴿أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾؟ المعنى: هذا أمر باطل لا يدعو إليه داع بخير ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

[٨٨] ﴿قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ حلالاً، أفأشوبه بالحرام من البخس والتطفيف؟ ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكم﴾ وأذهب ﴿إِلَّا مَّا أَنهَضْكُمْ عَنْهُ﴾^(١) فارتكبه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ﴾ لكم بالعدل ﴿وَمَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي﴾ قدرتي على ذلك وغيره من الطاعات ﴿إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ أرجع.

(١) فائدة: أخرج أحمد عن مسروق أن امرأة جاءت إلى ابن مسعود فقالت: أنبت أوك تنهى عن الواصلة؟ قال: نعم ... الحديث، وفيه: قالت المرأة: فلعله في بعض سائلك؟! قال: ادخلي. فدخلت ثم خرجت، فقالت: ما رأيت بأشأ. قال: ما حفظت إذن وصية العبد الصالح: ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكم إِلَّا مَّا أَنهَضْكُمْ عَنْهُ﴾.

المسند (١١/٤١٤-٤١٥)، وقال أحمد شاكر: [إسناده صحيح (٣٩٤٥)]. وقوى الأرنؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٣٩٤٥) (٥٨/٧). وأصله في الصحيحين: البخاري (٤٨٨٦)، ومسلم (٢١٢٥).

﴿يَجْرِمُ﴾، والضمير مفعول أول، والثاني (١): ﴿أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ﴾ من العذاب ﴿وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ﴾ أي: منازلهم أو زمن هلاكهم ﴿وَيَنْصِبُكُمْ يُجِيدُ﴾ فاعتبروا.

[٩٠] ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبَّ رَحِيمٌ﴾ بالمؤمنين ﴿وَذُوذُ﴾ محب لهم.

[٩١] ﴿قَالُوا﴾ إلهنا بقلة المبالاة: ﴿يَنْشَعِبُ مَا نَفَقَهُ﴾ نفهم ﴿كثيراً﴾ وما نقول ﴿وإنَّا لَنرَبُّكَ﴾ فينا ضعيفاً ذليلاً ﴿وَلَوْلَا رَهْطُكَ﴾ عشيرتك ﴿لَرَجَمْنَاكَ﴾ بالحجارة ﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ﴾ كريم عن الرجم، وإنما رهطك هم الأعره.

[٩٢] ﴿قَالَ يَنْقُورُ أَرْهَطِي﴾ أعز عليكم من الله، فتركوا قتلي لأجلهم ولا تحفظوني لله ﴿وَأَخَذْتُمُوهُ﴾ أي: الله ﴿وَرَأَيْتُمْ ظَهْرَنَا﴾ منبؤاً خلف ظهوركم لا تراقبونه ﴿إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ علماً فيجازيكم.

[٩٣] ﴿وَيَنْقُورُ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنِّي عَمِلٌ﴾ على حالتي ﴿سَوْفَ تَقْلُوبُونَ مِنْ﴾ موصولة مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ﴾ ومن هو كاذب ﴿وَأَرْتَقِبُوا﴾ انتظروا عاقبة أمركم ﴿إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ منتظر.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿بَجَّيْنَا شُعَبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جُثَثٍ﴾ باركين على الركب ميتين.

[٩٥] ﴿كَانَ﴾ مخففة؛ أي: كأنهم ﴿لَمْ يَتَوَّأ﴾ يقيموا ﴿فِيهَا إِلَّا بَعْدًا لَعَدَيْنَ كَمَا بَعَدَتْ نَمُودُ﴾.

[٩٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ برهان بين ظاهر.

[٩٧] ﴿إِنْ فِرْعَوْنُ وَمَلَأِيهِ﴾ فأتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد ﴿بِرَشِيدٍ﴾ سديد.

وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمُكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمٌ لَوْطٍ مِنْكُمْ يَبْعِدُ (٨٨) وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَذُوذُ (٨٩) قَالُوا أَيْنَ شُعَيْبٌ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَبُّكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ (٩٠) قَالَ يَنْقُورُ أَرْهَطِي أَعَزَّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَ كُمُ ظَهْرًا إِنَّا نَرَىٰ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (٩١) وَيَنْقُورُ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مِنْ بَيَاتِهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَذِبٌ (٩٢) وَأَرْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ (٩٣) وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ فَاصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جُثَثٍ (٩٤) كَأَن لَّمْ يَعْلَمُوا فِيهَا إِلَّا بَعْدَ الْمَدِينِ كَمَا بَعَدَتْ نَمُودُ (٩٥) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٩٦) إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ (٩٧)

[٨٩] ﴿وَيَنْقُورُ لَا يَجْرِمُكُمْ﴾ بكسبتكم (١) ﴿شِقَاقِي﴾ خلافي فاعل

(١) هذا هو قول الزجاج. وقال الحسن البصري وقادة: «يجملنكم».

(٢) أي المفعول الثاني هو: المصدر المؤول من جملة.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَوْدَحَهُمُ النَّارَ وَيَبْسُ الْوَرْدُ
 الْمَرْوُودُ (١٨) وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَبْسُ
 الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ (١٩) ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقْصُهُ عَلَيْكَ
 مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ (٢٠) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا
 أَنْفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ (٢١)
 وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ
 أَلَمٌ شَدِيدٌ (٢٢) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ
 ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ (٢٣)
 وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ (٢٤) يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ
 إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ (٢٥) فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي
 النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ (٢٦) خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ
 وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ (٢٧)
 * وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوزٍ (٢٨)

[٩٨] ﴿يَقْدُمُ﴾ يتقدم ﴿قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ فينبعونه كما اتبعوه في الدنيا ﴿فَأَوْدَحَهُمُ﴾ أدخلهم ﴿النَّارَ وَيَبْسُ الْوَرْدُ الْمَرْوُودُ﴾ هي. [٩٩] ﴿وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ﴾ أي: الدنيا ﴿لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ لعنة ﴿رِفْدُ الْعُونِ﴾ الْمَرْوُودُ رفدهم. [١٠٠] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور مبتدأ خبره: ﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْفَرَى نَقْصُهُ عَلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿مِنْهَا﴾ أي: الفرى ﴿فَقَائِمٌ﴾ هلك أهله دونه ﴿وَوَحَصِيدٌ﴾ هلك بأهله فلا أثر له كالزروع المحصود بالمناجل. [١٠١] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالشرك ﴿فَمَا أَغْنَتْ﴾ دفعت ﴿عَنْهُمْ﴾ إِلَهُهُمْ الَّتِي يَدْعُونَ يعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَمِنْ﴾ زائدة ﴿شَيْءٍ لَمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ عذابه ﴿وَمَا زَادُوهُمْ﴾ بعبادتهم لها ﴿غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾ تخسير. [١٠٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ مثل ذلك الأخذ ﴿أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْفَرَى﴾ أريد أهلها ﴿وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ بالذنوب أي فلا يغني عنهم من أخذه شيء ﴿إِنْ أَخَذَهُ﴾ أَلَمٌ شَدِيدٌ روى الشيخان عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لِيَمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يَفْلِتْهُ﴾ ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾ الآية (١). [١٠٣] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من القصص ﴿لَآيَةً﴾ لعلبة ﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ ذَلِكَ أي: يوم القيامة ﴿يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ﴾ فِيهِ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ يشهده جميع الخلائق. [١٠٤] ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ﴾ لوقت معلوم عند الله. [١٠٥] ﴿يَوْمَ يَأْتِ﴾ ذلك اليوم ﴿وَلَا تَكَلَّمُ﴾ فيه حذف إحدى التاءين ﴿نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ تعالى ﴿فَمِنْهُمْ﴾ أي: الخلق ﴿شَقِيٌّ وَ﴾ منهم ﴿سَعِيدٌ﴾ (٢) كتب كل في الأول. [١٠٦] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَفَعُوا﴾ في علمه تعالى ﴿فَتَبَى النَّارَ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَصَوْتُ شَدِيدٍ وَشَهِيقٌ﴾ صوت ضعيف (٣). [١٠٧] ﴿خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ﴾ أي: مدة دوامهما في الدنيا ﴿إِلَّا﴾ غير ﴿مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ من الزيادة على مدتهما مما لا ينتهي له (٤)، والمعنى: خالدين فيها أبداً ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾.

[١٠٨] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَعَاذُوا﴾ بفتح السين (٤) وضمها ﴿فَتَبَى الْجَنَّةَ﴾ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا ﴿غَيْرَ﴾ مَا شَاءَ رَبُّكَ ﴿كَمَا تَقْدَمُ﴾ ودل عليه فيهم قوله: ﴿عَطَاءٌ غَيْرُ مَجْذُوزٍ﴾ مقطوع، وما تقدم من التأويل هو الذي ظهر وهو خال من التكلف، والله أعلم بمراده.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا نبي الله، فعلام نعمل؟ على شيء قد فرغ منه، أو على شيء لم يفرغ منه؟ قال: «بل على شيء قد فرغ منه، وجرت به الأقلام يا عمر، ولكن كل ميسر لما خلق له». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٢) سورة هود. وضمحه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٨٦).

(١) البخاري (٥٢٦) واللفظ له، ومسلم (٢٧٦٣).
 (٢) روي هذا التفسير عن ابن عباس، وقيل غير ذلك. وأصل «الزفير» هو: أول صوت الحمار، و«الشهيق»: آخره، وكلاهما يصدران عن الحمار بقوة وشدة. وهما يصدران عن الإنسان أيضًا خاصة حال تعب وإرهاقه.
 (٣) وأكثر علماء السلف والخلف أن الاستئناء عائد على العصاة من أهل التوحيد ممن يخرجهم الله من النار بشفاعاة الشانعين ثم برحمته - سبحانه -، وأما قوله: ﴿مَا دَامَتِ السَّمُوتُ وَالْأَرْضُ﴾ [هود: ١٠٧] فجزئياً على عادة العرب في إفادة الدوام بذلك، أو المراد جنس السماوات والأرض؛ لأنه لا بد في عالم الآخرة أيضًا من سموات وأرض.
 (٤) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

بالتصديق والتكذيب كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾
بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَقُنْ بِهِنَّ﴾ في الدنيا
فيما اختلفوا فيه ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لَقِيَ شَكَّ مِنْهُ مَرِيبٌ﴾ موقع
في الريبة.

[١١١] ﴿وَأَن﴾ بالتخفيف والتشديد^(١) ﴿كَلَامٌ﴾ كل الخلائق
﴿لَمَّا﴾ «ما» زائدة، واللام موطئة لقسم مقدر، أو فارقة^(٢)، وفي قراءة:
بتشديد «لما» بمعنى «إلا» ف«إن»^(٣) نافية ﴿لَقُنْ بِهِنَّ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ أي:
جزاءها ﴿إِنَّهُمْ يَمَّا يَمْلِكُونَ خَيْرٌ﴾ عالم بيوطنه كظواهره.

[١١٢] ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾
ليستقم ﴿مَنْ تَابَ﴾ آمن ﴿مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾ تجاوزوا حدود الله ﴿إِنَّهُمْ يَمَّا
يَمْلِكُونَ بَصِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١١٣] ﴿وَلَا تَرْكَبُوا﴾ قبلوا ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ عبودة أو مهادنة أو رضا
بأعمالهم ﴿فَتَسْكَبُوا﴾ تصيكم ﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
غِيْرُهُ مِنْ زَايِدَةٍ﴾ أي: يحفظونكم منه ﴿ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ﴾ تمنعون
من عذابه.

[١١٤] ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ﴾ الغداة والعشي؛ أي: الصبح
والظهر والعصر ﴿وَرُفْعًا﴾ جمع زلفة؛ أي: طائفة ﴿مِنَ اللَّيْلِ﴾ المغرب
والعشاء ﴿إِنَّ الْمَسْجِدَ﴾ كالصلوات الخمس ﴿يَذْهَبُ السَّيِّئَاتِ﴾ الذنوب
الصغائر، نزلت^(٥) فيمن قبل أجنبية فأخبره النبي ﷺ فقال: ألي هذا؟ فقال:
«لجميع أمتي كلهم» رواه الشيخان^(٤) ﴿ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَةِ﴾ عظة
للمتعظين.

[١١٥] ﴿وَأَصْبِرْ﴾ يا محمد على أذى قومك، أو على الصلاة ﴿فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ بالصبر على الطاعة.

[١١٦] ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا ﴿كَانَ مِنَ الْقُرُونِ﴾ الأمم الماضية ﴿مَنْ قَبْلَكُمْ
أُولُوا بَيْتَةٍ﴾ أصحاب دين وفضل ﴿يَتَّبِعُونَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ﴾ المراد به
النفي؛ أي: ما كان فيهم ذلك ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿فَلَيْلًا وَمَنْ أُنْجِيْنَا مِنْهُمْ﴾
نهبوا فنجوا، و«من» للبيان ﴿وَأَتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بالفساد وترك النهي
﴿مَا أَتْرَفُوا﴾ نعموا ﴿فِيهِ وَكَانُوا يُجْرِمُونَ﴾.

[١١٧] ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ مِنْهُ لَهَا وَوَهْلَهَا
مُصْلِحُونَ﴾ مؤمنون.

فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِمَّا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ
ءَابَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّا لَمَوْفُونَ بِمَا نَصِيبُهُمْ مِنْ مَقْصُودٍ
﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتَلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ
سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَرِيبٌ
﴿وَأَنَّ كَلَامَ الْيَوْقِينِ﴾ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ يَمَّا يَمْلِكُونَ
خَيْرٌ ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا
إِنَّهُ يَمَّا يَمْلِكُونَ بَصِيرٌ ﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
لَا تُصْرَفُونَ ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْعًا
أَلَيْلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي
لِلذَّكْرِينَ ﴿وَأَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ
﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَيْتَةٍ يَهُتُونَ
عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ
الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿وَمَا
كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿

[١٠٩] ﴿فَلَا تَكُ﴾ يا محمد ﴿فِي مِرْيَةٍ﴾ شك ﴿مِمَّا يَعْبُدُونَ هَؤُلَاءِ﴾
من الأصنام، إنا نعذبهم كما عذبنا من قبلهم، وهذا تسلية للنبي ﷺ ﴿مَا
يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ﴾ أي: كعبادتهم ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ وقد عذبناهم
﴿وَإِنَّا لَمَوْفُونَ﴾ مثلهم ﴿بِنَصِيبِهِمْ﴾ حظهم من العذاب ﴿غَيْرَ مَنْقُوصٍ﴾
أي: ناقصا.

[١١٠] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاخْتَلَفَ فِيهِ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١٤): أخرج البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن رجلاً أصاب من امرأة قبله، فأتى رسول الله ﷺ فذكر ذلك له، فأنزلت عليه: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَرُفْعًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرِي لِلذَّكْرَةِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة هود (١١) باب (٥).

(١) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وشعبة.

(٢) أي بين «إن» المهمله والنافية.

(٣) على قراءة التخفيف، وقرأها بالتخفيف نافع وابن كثير وأبو عمرو والكسائي.

(٤) البخاري (٥٢٦)، ومسلم (٢٧٦٣) عن ابن مسعود.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١٨﴾ إِلَّا مَن رَّجَعْنَا رَبُّكَ إِلَىٰ ذَلِكِ خَلْقُهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٩﴾ وَلَا تَقْصُصْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَشِئْتُ بِهِمْ قُودًا وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿٢١﴾ وَانظُرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾

سُورَةُ يُوسُفَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿٤﴾

﴿١٨﴾ ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ في الدين.

﴿١٩﴾ ﴿إِلَّا مَن رَّجَعْنَا رَبُّكَ﴾ أراد لهم الخير^(١)، فلا يختلفون فيه ﴿وَلَذَلِكَ خَلْقُهُمْ﴾ أي: أهل الاختلاف له، وأهل الرحمة لها ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ وهي ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿وَلَا تَقْصُصْ﴾ نصب بـ ﴿نَقُصُّ﴾ وتوينه عوض المضاف إليه؛ أي: كل ما يحتاج إليه ﴿نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا﴾ بدل من ﴿كُلِّهَا﴾ ﴿نَشِئْتُ﴾ نظم من ﴿يُؤْ﴾ قُودًا ﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ﴾ الأنبياء أو الآيات ﴿الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ خصوصاً بالذكر لانقاعهم بها في الإيمان بخلاف الكفار.

﴿٢١﴾ ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَاتِكُمْ﴾ حالتكم ﴿إِنَّا عَامِلُونَ﴾ على حالتنا تهديد لهم.

﴿٢٢﴾ ﴿وَانظُرُوا﴾ عاقبة أمركم ﴿إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ ذلك.

﴿٢٣﴾ ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب فيهما ﴿وَالَّذِينَ يَزِجُ﴾ بالبناء للفاعل يعود، وللمفعول يزج^(٢) ﴿الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾ فينتقم من عصى ﴿فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ ثب به فإنه كافيك ﴿وَمَا رَبُّكَ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ وإنما يؤخرهم، وفي قراءة بالفوقانية^(٣).

سُورَةُ يُوسُفَ

[مكية، مائة وإحدى عشرة آية، نزلت بعد هود]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿٤﴾ اذكر ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ﴾ يعقوب: ﴿يَا أَبَتِ﴾ بالكسر دلالة على باء الإضافة المحذوفة، والفتح دلالة على ألف محذوفة قلبت عن الباء^(٤) ﴿إِنِّي رَأَيْتُ﴾ في المنام ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ﴾ تأكيد ﴿لِي سَاجِدِينَ﴾ جمع بالياء والنون للوصف بالسجود الذي هو من صفات العقلاء.

﴿١﴾ ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿الْكِتَابِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر للحق من الباطل.

﴿٢﴾ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفقهون معانيه.

﴿٣﴾ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا﴾ بإيحائنا ﴿إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن﴾ مخففة؛ أي: وإنه ﴿كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾.

(١) تأويل رحمة الله ﷻ بإرادة الخير والثواب ونحوه مذهب المؤولة، وهذا فرع التعطيل، ومذهب السلف إثبات هذه الصفات لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعميل ولا تكييف ولا تمثيل.

(٢) بالبناء للفاعل قراءة السبعة عدا نافع وحفص.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالفتح قراءة ابن عامر.

أَمَلَ وَالْقَمَرُ أَبُوكَ ﴿٦﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٧﴾ ظاهر العداوة.
 [٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما رأيت ﴿يَجْعَلُكَ﴾ يختارك ﴿رَبَّكَ﴾ ويَعْلَمُكَ من
 تأويل الأحاديث: تعبير الرؤيا ﴿وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَى مَالِ
 يَعْقُوبَ﴾ أولاده ﴿كَمَا أَمَرْتَهُ﴾ بالنبوة ﴿وَعَلَى أَبِيكَ﴾ من قبل إيزهيم ﴿وَأَسْحَى﴾ إن
 رَبَّكَ عَلِيمٌ ﴿بِخَلْقِهِ﴾ حكيم ﴿فِي صُنْعِهِ﴾ بهم.

[٧] ﴿لَقَدْ كَانَ فِي﴾ خبر ﴿يُوسُفَ﴾ وإخوته ﴿وَهُمْ أَحَدُ عَشَرَ
 مِائَةً﴾ عبر ﴿لِلنَّاسِ﴾ عن خبرهم.

[٨] اذكر ﴿إِذْ قَالُوا﴾ أي: بعض إخوة يوسف لبعضهم: ﴿يُوسُفُ﴾
 مبتدا ﴿وَأَخُوهُ﴾ شقيقه بنيامين ﴿أَحَبُّ﴾ خبر ﴿إِلَى آيِنَا﴾ معنا ونحن غصبة
 جماعة ﴿إِنْ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ خطأ ﴿فِيهِ﴾ بين إيهارهما علينا.

[٩] ﴿أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ أي: بأرض بعيدة ﴿يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَهُ
 أَبِيكُمْ﴾ بأن يقبل عليكم ولا يلتفت لغريمكم ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد
 قتل يوسف أو طرحه ﴿قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ بأن تتوبوا.

[١٠] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ﴾ هو يهوذا: ﴿لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ﴾ اطرحوه
 ﴿فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ﴾ مظلم البئر، وفي قراءة بالجمع ^(١) ﴿يَلْقُظُهُ بَعْضُ
 السَّيَّارَةِ﴾ المسافرين ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ﴾ إن كنتم فعلين ما أردتم من التفريق فاكتفوا
 بذلك.

[١١] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَمُنْصِحُونَ﴾
 لقائمون بمصلحه.

[١٢] ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا﴾ إلى الصحراء ﴿فَنُزِعْهُ وَنُفَعْ﴾ بالنون
 والباء ^(٢) فيهما ننشط وننفع ﴿وَإِنَّا لَمُنْصِفُونَ﴾.

[١٣] ﴿قَالَ إِنِّي لَخَشِئْتُ أَنْ تَذْهَبُوا﴾ أي: ذهابكم ﴿بِدِينِ﴾ لرفاقه
 ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ المراد به الجنس، وكانت أرضهم كثيرة
 الذئاب ﴿وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ مشغولون.

[١٤] ﴿قَالُوا لَيْنَ﴾ لام قسم ﴿أَكَلَهُ الذِّئْبُ﴾ ونحن غصبة ﴿جماعة
 إِنَّا إِذَا لَخَشِيرُونَ﴾ عاجزون.

قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا
 إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْتَسِيكَ
 رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيَسْمِعُ نَجْمَهُ وَعَلَيْكَ
 وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ
 وَأَسْحَى إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ
 وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِلنَّاسِ الَّذِينَ عَلِمُوا لِيُوسُفَ وَأَخُوهُ أَحَبُّ
 إِلَيْنَا إِنَّمَا وَنَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٧﴾
 أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَهُ أَبِيكُمْ
 وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٨﴾ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ
 لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقُظُهُ بَعْضُ
 السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِينَ ﴿٩﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى
 يُوسُفَ وَإِنَّا لَمُنْصِحُونَ ﴿١٠﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ
 وَإِنَّا لَهُ لَحَفَظُونَ ﴿١١﴾ قَالَ إِنِّي لَخَشِئْتُ أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَلَخَافُ
 أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٢﴾ قَالُوا لَيْنَ
 أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ غُصْبَةٌ إِنَّا إِذَا لَخَشِيرُونَ ﴿١٣﴾

[٥] ﴿قَالَ يَبْنَى لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾
 يحثلون في هلاكك؛ حسداً لعلمهم بتأويلها من أنهم الكواكب والشمس

(١) لنافع.

(٢) بالياء مع كسر العين قراءة نافع، وبالنون مع كسرها قراءة ابن كثير، وبالنون مع إسكانها قراءة أبي عمرو وابن عامر، والياء ساكنة في جميع القراءات.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَبَتِ الْبَيْتِ وَأَوْحَيْنَا
إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءَ
أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِشُّ
وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ
بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ عَلَى قَمِيصِهِ
بِدْمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ
وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ
فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَبُشْ رُبِّي هَذَا عِلْمٌ وَأَسْرُوهُ
يَضَعُهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخِيسٍ
دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ
الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مِرَّةَ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى
أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي
الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى
أَمْرِهِ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ
ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾

[١٥] فأرسله معهم ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا﴾ عزموا ﴿أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَبَتِ الْبَيْتِ﴾ وجواب «لَمَّا» محذوف؛ أي: فعلوا ذلك بأن نزعوا قميصه بعد ضربه وإهانته وإرادة قتله، وأدلوه، فلما وصل إلى نصف البئر ألقيوه لموت فسقط في الماء، ثم أوى إلى صخرة فنادوه فأجابهم يظن رحمتهم فأرادوا رضخه بصخرة فمنعهم بهذا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ﴾ في الحب وخفي حقيقة، وله سبع عشرة سنة أو دونها؛ تطميناً لقلبه ﴿لَتُنَبِّئَنَّهُمْ﴾ بعد اليوم ﴿بِأَمْرِهِمْ﴾ بصنيعهم ﴿هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بك حال الإنباء.

[١٦] ﴿وَيَاكَ أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ وقت المساء ﴿يَبْكُونَ﴾.

[١٧] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِشُّ﴾ نرسم ﴿وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا﴾ ثيابنا ﴿فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ بمصدق ﴿لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ عندك لانهمتنا في هذه القصة؛ لحبة يوسف، فكيف وأنت تسيء الظن بنا^(١).

[١٨] ﴿وَيَاكَ عَلَيَّ قَمِيصِي﴾ محله، نصب على الظرفية؛ أي: فوقه ﴿يَدْرِي كَذِبٌ﴾؛ أي: ذي كذب بأن ذبحوا سحلة ولطخواه بدمها وذهلوا عن شقه وقالوا: إنه دمه ﴿قَالَ﴾ يعقوب لما رآه صحيحاً وعلم كذبهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ زَيْتٌ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه به ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ لا جزع فيه، وهو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: أمرى ﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾ المطلوب منه العون ﴿عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون من أمر يوسف.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ مسافرون من مدين إلى مصر فنزلوا قريباً من جب يوسف ﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ الذي يرد الماء ليستقي منه ﴿فَأَدْلَى﴾ أرسل ﴿دَلْوَهُ﴾ في البئر فعلق بها يوسف فأخرجه فلما رآه ﴿قَالَ يَا بُشْرَى﴾^(٢)، وفي قراءة: ﴿يَبُشْ رُبِّي﴾، ونداؤها محاز؛ أي: احضري فهذا وقتك ﴿هَذَا عِلْمٌ﴾ فعلم به إخوته فأنوه ﴿وَأَسْرُوهُ﴾ أي: أخفوا أمره جاعليه ﴿يَضَعُهُ﴾ بأن قالوا: هذا عبداً أبى، وسكت يوسف خوفاً من أن يقتلوه^(٣) ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَشَرَوْهُ﴾ باعوه منهم ﴿بِثَمَنٍ بَخِيسٍ﴾ ناقص ﴿دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ﴾ عشرين أو اثنين وعشرين ﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ﴾ إخوته^(٤) ﴿فِيهِ مِنْ الزَّاهِدِينَ﴾ فجاءت به السيارة إلى مصر فباعه الذي اشتراه بعشرين ديناراً وزوجي نعل وثوبين.

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ﴾ وهو قطمير العزيز ﴿لَا مِرَّةَ أَكْرَمِي زَيْلِخَا:﴾ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ مقامه عندنا ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ وكان حصوراً^(٥) ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما نجينا من القتل والحب وعطفنا عليه قلب

(١) هذا الكلام قدّره المؤلف إشارة إلى أن ﴿لَوْ﴾ شرطية وجوابها محذوف، والأقرب جعل الواو حالية و﴿لَوْ﴾ رائدة.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) والقول الآخر: أي أسره الواردون من بقية السيارة، وقالوا: اشتريناه من أصحاب الماء وهو الظاهر؛ أي أن الذين أسروه بضاعة وشروه ثمن بخس هم السيارة؛ أي المسافرين من القافلة، واشتراه منهم رجل من أهل مصر؛ فلم يقع بيعه وشراؤه إلا مرة واحدة.

(٤) وهذا على القول الأول، وعلى القول الآخر: يكون الضمير عائداً إلى السيارة، ويكون زهدهم فيه؛ لخوفهم من إتاقه كما زعم إخوته.

(٥) أي: لا يأتي النساء أو غنيماً، والضمير يعود إلى العزيز.

العزيز ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر حتى بلغ ما بلغ ﴿وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ تعبير الرؤيا، عطف على مقدار متعلق بـ﴿مَكَّنَّا﴾ أي: لنملكه أو الواو زائدة ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾ تعالى، لا يعجزه شيء ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو ثلاثون سنة أو: وثلاث ﴿ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَحِكْمَةً وَعِلْمًا﴾ فقها في الدين قبل أن يبعث نبياً ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

الشان ﴿لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الزناة.

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْسُفَ﴾ قصدت منه الجماع ﴿وَهُمَّ بِهَا﴾ قصد ذلك ^(١) ﴿لَوْلَا أَن رَّآهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ﴾ قال ابن عباس: مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله ^(٢)، وجواب «لولا»: لجامعها ﴿كَذَلِكَ﴾ أريانه البرهان ﴿لِيُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ﴾ الخيانة ﴿وَالْفَحْشَاءَ﴾ الزنا ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [المخلصين] ^(٣) ﴿فِي الطَّاعَةِ﴾ وفي قراءة بفتح اللام، أي: المختارين. [٢٥] ﴿وَأَسْتَبَقَا الْآبَاءَ﴾ بادر إليه يوسف للفرار، وهي للتشبث به فأمسكت ثوبه وجذبه إليها ﴿وَقَدَّتْ﴾ شقت ﴿فَيَبِصُمُ﴾ من دُبرٍ ﴿وَأَلْفَا﴾ وجدا ﴿سَيِّدَهَا﴾ زوجها ﴿لَدَا الْآبَاءِ﴾ فنزعت نفسها ثم ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ زنا ﴿إِلَّا أَن يُسَجَّنَ﴾ يحبس في سجن ﴿أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم بأن يضرب.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ يوسف متبرئاً: ﴿هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا﴾ ابن عمها، روي أنه كان في المهد ^(٤) فقال: ﴿إِنْ كَانَتْ فَيَبِصُمُ قَدْ مِنْ قَبْلِي﴾ قدام ﴿فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾. [٢٧] ﴿وَأِنْ كَانَتْ فَيَبِصُمُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ﴾ خلف ﴿وَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾.

[٢٨] ﴿فَلَمَّا رَأَى﴾ زوجها ﴿فَيَبِصُمُ قَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ﴾ أي: قولك: ﴿مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا﴾ الخ ^(٥) ﴿مِنْ كَيْدِكُنَّ﴾ أيها النساء ﴿إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾.

[٢٩] ثم قال: يا ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ الأمر ولا تذكره لئلا يشيع ﴿وَأَسْتَغْفِرِي﴾ يا زليخا ﴿لِذُنُوبِكِ﴾ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿الْأَثَمِينَ﴾ واشتهر الخبر وشاع.

[٣٠] ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ﴾ مدينة مصر: ﴿أَمْرَأْتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَتَاهَا﴾ عبداً ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ﴿تَمِيزُ﴾ أي: دخل حبه شغاف قلبها أي: غلافه ﴿إِنَّا لَنَرُّهَا فِي صَكْلٍ﴾ أي: في خطأ ﴿ثُبِينِ﴾ ثين بحبها إياه.

وَرَوَدَّتْهُ أَلْقَى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَعَلَّقَتْ الْأَكْبُوتَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّآهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِيُصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٢﴾ وَأَسْتَبَقَا الْآبَاءَ وَقَدَّتْ فَيَبِصُمُهُ مِنْ دُبُرٍ وَالْفَيَّاسِيْدَ هَلَا لَدَا الْآبَاءِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسَجَّنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٣﴾ قَالَ هِيَ رَوَدَّتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ فَيَبِصُمُهُ وَقَدْ مِنْ قَبْلِي فَصَدَّقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٣٤﴾ إِنْ كَانَ فَيَبِصُمُهُ وَقَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا رَأَى أَقْبَمِيصُهُ وَقَدْ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنْ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذُنُوبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ أَمْرَأْتُ الْعَزِيزِ تُرَوِّدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرُّهَا فِي صَكْلٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾

[٢٣] ﴿وَرَوَدَّتْهُ أَلْقَى هُوَ فِي بَيْتِهَا﴾ هي زليخا ﴿عَنْ نَفْسِهِ﴾ أي: طلبت منه أن يواقعها ﴿وَعَلَّقَتْ الْأَكْبُوتَ﴾ للبيت ﴿وَقَالَتْ﴾ له: ﴿هَيْتَ لِلَّهِ﴾ أي: هلم، واللام للثنين، وفي قراءة بكسر الهاء ^(١)، وأخرى بضم التاء ^(٢) ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ﴾ أعوذ بالله من ذلك ﴿إِنَّهُ﴾ الذي اشتراكي ﴿رَبِّي﴾ سيدي ^(٣) ﴿أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ مقامي فلا أخونه في أهله ﴿إِنَّهُ﴾ أي:

(١) لنافع وابن عامر.

(٢) أي مع فتح الهاء، وهي لابن كثير، وذكر المصنف ثلاث قراءات وكلها سبعة، وبقي فرائد اللسان هما: ﴿هَيْتُ﴾ بكسر الهاء والهمزة الساكنة وفتح التاء أو ضمها.

(٣) والقول الآخر أنه الرب على ظاهره وهو الله ﷻ.

(٤) معاذ الله أن ينسب مثل هذا الهم لبي كريم مع أن الله ﷻ أثبت براته في أكثر من خمسة مواضع من القصة ذاتها، وجمهور القراء على الوقف عند قوله - تعالى -: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ يَوْسُفَ﴾، ومعناه: إرادة الفاحشة، وأما علة بها فمبني؛ لوجود برهان ربه، وهذا سائق في اللغة؛ إذ يجوز تقديم جواب (لولا) عليها؛ فيكون المعنى: لولا أن رأى برهان ربه لهم بها، ونظيره قوله - تعالى -: ﴿إِنْ كَانَتْ فَيَبِصُمُ قَدْ مِنْ قَبْلِي﴾. ﴿وَأَسْتَبَقَا الْآبَاءَ﴾ مجرد خاطر طرأ عليه بمقتضى الحبيبة البشرية، ثم دفعه وصرفه الله عنه بمقتضى العصمة النبوية... وهذا القول أحسن ما قيل في تفسير الآية.

(٥) وهذه الرواية من الإسرائيليات الرردودة التي لا تليق بنبي كريم.

(٦) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر بكسر اللام، والباقون بفتحها.

(٧) أخرج ذلك أحمد والبيهقي وغيرهما عن ابن عباس.

فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَكًا
وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ
كَذَبْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا
إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رُودَّتُهُ
عَنْ نَفْسِي ۖ فَاسْتَعْصَمْتُ وَلِئَن يَفْعَلَ مَا أُمَرْتُ ۖ وَلَيْسَ جَنَّتَ
وَلَيْكُونَا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي
إِلَيْهِ ۖ وَلَا أَضْرِفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ
﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسَ جُنَّتَهُ
حَتَّىٰ حِينَ ۖ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي
أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي
خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ
الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ۖ إِلَّا نَبَأُكُمَا
بِتَأْوِيلِهِ ۖ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ
مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾

بقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ﴾ دين ﴿قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ﴾
تاكيد ﴿كَافِرُونَ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ﴾ غيبتهن لها ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ﴾
أَعَدَّتْ ﴿لَهُنَّ مُتَكًا﴾ طعامًا يقطع بالسكين؛ للاتكاء عنده^(١) وهو الأتويع
﴿وَأَتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتْ﴾ ليوسف: ﴿أَخْرِجْ عَلَيْهِنَّ
فَلَمَّا رَأَيْنَهُ﴾ أعظمته ﴿وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ بالسكاكين، ولم يشعرن
بالألم؛ لشغل قبهن بيوسف ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ تنزيهاً له ﴿مَا هَذَا﴾ أي:
يوسف ﴿بَشَرًا إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ لما حواه من الحسن الذي لا
يكون عادة في النسمة البشرية، وفي الحديث: «أنه أعطي شطر الحسن»^(٢).

﴿٣٢﴾ ﴿قَالَتْ﴾ امرأة العزيز لما رأت ما حل بهن: ﴿فَذَلِكُنَّ﴾
﴿الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾ في حبه، بيان لعذرها ﴿وَلَقَدْ رُودَّتُهُ عَنْ نَفْسِي ۖ
فَاسْتَعْصَمْتُ﴾ امتنع ﴿وَلِئَن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أُمَرْتُ﴾ به ﴿لَيْسَ جَنَّتَ وَلَيْكُونَا مِنَ
الصَّغِيرِينَ﴾ الذليلين؛ فقلل له: أطع مولاتك.

﴿٣٣﴾ ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ۖ وَلَا أَضْرِفُ عَنِّي
كَيْدَهُنَّ أَصْبُ﴾ أُولُ ﴿إِلَيْهِنَّ وَأَكُن﴾ أصير ﴿مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴾ المذنبين، والقصد
بذلك الدعاء؛ فلذا قال تعالى: ﴿٣٤﴾ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمُ رَبُّهُ﴾ دعاءه ﴿فَصَرَفَ
عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

﴿٣٥﴾ ﴿ثُمَّ بَدَأَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ مِن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾ الدالات على براءة
يوسف أن يسجنوه، دل على هذا: ﴿لَيْسَ جُنَّتَهُ حَتَّىٰ﴾ إلى ﴿حِينَ﴾ ينقطع
فيه كلام الناس.

﴿٣٦﴾ ﴿فَسَجَنَ﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ غلامان للملك؛ أحدهما
ساقيه، والآخر صاحب طعامه، فرأياه يعبر الرؤيا، فقالا: لنخبرنه ﴿قَالَ
أَحَدُهُمَا﴾ وهو الساقى: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا﴾ أي: عنباً ﴿وَقَالَ
الْآخَرُ﴾ وهو صاحب الطعام: ﴿إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ
مِنْهُ نَبِّئْنَا﴾ خبرنا ﴿بِتَأْوِيلِهِ﴾ بتعبيره ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿قَالَ﴾ لهما مخبراً أنه عالم بتعبير الرؤيا: ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ
تُرْزَقَانِيهِ﴾ في منامكما ﴿إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ في البقطة ﴿قَبْلَ أَنْ
يَأْتِيَكُمَا﴾ تأويله ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي﴾ فيه حث على إيمانهما، ثم قواه

(١) سمي الطعام بذلك؛ لأنه يتوكل عنده على عادة المتكبرين من أكل الفواكه حال الاتكاء.

(٢) رواه مسلم (١٦٢) عن أنس بن مالك مرفوعاً.

فَقَبِلَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ وَهُمْ الْكَافِرُونَ ﴿٤٠﴾

[٣٩] ثم صرح بدعائهما إلى الإيمان فقال: ﴿يَصْطَبِحِي﴾ ساكني ﴿الْيَسْجَنِ﴾ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٤٠﴾ خير؟ استفهام تقرير.

[٤٠] ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا﴾ سميتم بها أصناما ﴿أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا﴾ بعبادتها ﴿وَمِنْ سُلْطَانٍ﴾ حجة وبرهان ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْحُكْمُ﴾ القضاء ﴿إِلَّا لِلَّهِ﴾ وحده ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿الَّذِينَ الْفَسَمُ﴾ المستقيم ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وهم الكفار ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

[٤١] ﴿يَصْطَبِحِي﴾ السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا ﴿٤١﴾ أي: الساقى فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيَسْقِي رِيَّةً﴾ سيده ﴿خَمْرًا﴾ على عادته ﴿وَأَمَّا الْآخَرُ﴾ فيخرج بعد ثلاث ﴿فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّلِيرُ مِنَ رَأْسِهِ﴾ هذا تأويل رؤياكما، فقلا: ما رأينا شيئا^(١)، فقال: ﴿فُتْنَى﴾ تم ﴿الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾ سألتما عنه صدقتما أم كذبتما.

[٤٢] ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ أيقن ﴿أَنْتُمْ نَاجٍ مِنْهُمَا﴾ وهو الساقى: ﴿أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ سيدك قل له: إن في السجن غلاما محبوبا ظلما، فخرج ﴿فَأَنْسَنَاهُ﴾ أي: الساقى ﴿الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبِّهِ﴾ يوسف عند ﴿رَبِّهِ﴾ فليتبسبب في السجن يضع سينين ﴿قِيلَ﴾ سبعا، وقيل: اثنتي عشرة.

[٤٣] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ ملك مصر الريان بن الوليد: ﴿إِنِّي أَرَى فِي رَأْيِكَ رَأْيَ سَبْعٍ بَقْرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾ جمع عجفاء ﴿وَسَبْعٌ سُلْبَتٍ خُضَرٍ وَأَخْرُ﴾ أي: سبع سنبلات ﴿يَأْكُلُنَّ﴾ قد أتوت على الخضر وعلت عليها ﴿تَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُبْعَيْنِ﴾ ينوا لي تعبيرها ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾ فاعبروها.

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ يَصْطَبِحِي الْيَسْجَنِ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْفَتَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَصْطَبِحِي السَّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّلِيرُ مِنَ رَأْسِهِ فَتُضَيَّ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا أذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَنَاهُ الشَّيْطَانُ ذَكَرَ رَبِّهِ فَلَيْتَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعٌ سُتْبَلَاتٍ خُضَرٍ وَأَخْرُ يَأْكُلُنَّ الْمَلَأُ أَفْتُونًا فِي رُبْعَيْنِ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾

[٣٨] ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ﴾ ينبغي ﴿لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ زائدة ﴿فُتْنَى﴾ لعصمتنا ﴿ذَلِكَ﴾ التوحيد ﴿وَمِنْ

(١) هذا أحد القولين، والقول الآخر: أنهما رأيا ذلك حقيقة، وهو الصحيح لظاهر القرآن.

[٤٤] ﴿قَالُوا﴾: هذه ﴿أَصْنَعْتُ أَخْلَعُ﴾ أخلاط ﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَعِ بِعِلْمَيْنِ﴾.

[٤٥] ﴿وَقَالَ الَّذِي نَحَا يَنْهَاهُ﴾ أي: من الفتيين، وهو السافى ﴿وَأَذْكُرُ﴾ فيه إبدال التاء في الأصل دالاً وإدغامها في الدال؛ أي: تذكر ﴿بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ حين، حال يوسف: ﴿أَنَا أَنْتُمْ تَتَأْوِيلُوا قَارِئُونَ﴾.

[٤٦] فأرسوه فأنى يوسف فقال: يا ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ الكبير الصدق ﴿أَفَتَنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ يَسْمَانُ بِأَكْلِهِنَّ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعُ سُتُودَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ﴾ أي: الملك وأصحابه ﴿لَعَلَّهُمْ يَفْهَمُونَ﴾ تعبيرها.

[٤٧] ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ﴾ أي: ازرعوا ﴿سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا﴾ متتابعة، وهي تأويل السبع السمان ﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ﴾ أي: اتركوه ﴿فِي سُتُودٍ﴾ ثلثا يفسد ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ﴾ فادرسوه.

[٤٨] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: السبع الخصبات ﴿سَبْعُ شِدَادٍ﴾ مجذبات صعب، وهي تأويل السبع العجاف ﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾ من الحب المزروع في السنين الخصبات؛ أي: تاكلونه فيهن ﴿إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ﴾ تدخرون.

[٤٩] ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ أي: السبع المجذبات ﴿عَامٌ فِيهِ يَأْكُلُ النَّاسُ بِالْمِطْرِ﴾ وفيه يعصرون الأعناب وغيرها لخصبه.

[٥٠] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ﴾ لما جاءه الرسول وأخبره بتأويلها: ﴿أَتَأْتُونِي بِهَذَا؟﴾ أي: بالذي عبرها ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ﴾ أي: يوسف ﴿الرَّسُولُ﴾ وطلبه للخروج ﴿قَالَ﴾ قاصداً لإظهار براءته: ﴿أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْتَكْفِرُ﴾ أن يسأل ﴿مَا بَالُ﴾ حال ﴿الْيَسُوءِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي﴾ سيدي ^(١) ﴿يَكِيدُونَ عَلِيمٌ﴾ ^(٢).

[٥١] فرجع فأخبر الملك فجمعهم ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿إِذْ رَاوَدْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾ هل وجدتن منه ميلاً ليكن؟ ﴿فَلَمَّا خَشَّ لِلَّهِ مَا عَلِمَتَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَتْنُ حَصَصَ﴾ وضع ﴿الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في قوله: ﴿هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ ^(٣).

قَالُوا أَصْنَعْتَ أَخْلَعُ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَعِ بِعِلْمَيْنِ ﴿٤٤﴾
وَقَالَ الَّذِي نَحَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أَنْتُمْ بِتَأْوِيلِهِ
فَارْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفَتَنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ
يَسْمَانُ بِأَكْلِهِنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُتُودَاتٍ خُضْرٍ
وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ
تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَابًّا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُتُودٍ إِلَّا
قَلِيلًا مِمَّا نَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ كُنْ
مَأْقَدًا مُتْرَلَهْنَ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
عَامٌ فِيهِ يَأْكُلُ النَّاسُ فِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَأْتُونِي
بِهَذَا فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْتَكْفِرْ مَا بَالُ
الْيَسُوءِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾
قَالَ مَا خَطْبُكُمْ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ فَلَنْ نَحْشَرَ
لَهُ مَا عَاثَنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْفَتْنُ حَصَصَ
الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَلِكَ
لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَالِقِينَ ﴿٥٢﴾

[٥٢] فأخبر يوسف بذلك فقال: ﴿ذَلِكَ﴾ أي: طلب البراءة ﴿لِيَعْلَمَ﴾ العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ في أهله ^(١) ﴿بِالْغَيْبِ﴾ حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَالِقِينَ﴾.

(٥٠) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف ثم جاءني الرسول أجبت» ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسْتَكْفِرْ مَا بَالُ الْيَسُوءِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٣) سورة يوسف. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٦٠٤). وأصله في الصحيحين بمعناه البخاري (٦٩٩٢)، ومسلم (١٥١).

قال النووي: «... وقال النبي ﷺ عن نفسه ما قاله تواضعا وإيثارا للبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف». شرح النووي على مسلم (٣٣٩/٢ - ٣٤٠).

(١) قيل: المراد بالرب: الله - تعالى - ويكون في كلامه الْفَتْنُ الفرض لله ﷻ.

(٢) يوسف: ٢٦.

(٣) اختيار المصنف أن يوسف هو قائل ذلك، وهو قول الطبري وبعض التابعين كمجاهد وسعيد بن جبير والحسن البصري وغيرهم؛ وظاهر السياق والذي عليه أكثر المحققين من المفسرين - كابن كثير وابن تيمية وابن القيم وغيرهم - أن هذا من كلام امرأة العزيز والمعنى: ليعلم زوجي أنني لم أرتكب الفاحشة، وإنما هي مراودة، وما أبرئ نفسي؛ فإن النفس البشرية يغلب عليها الشهوة فأمر بالسوء.

[٥٥] ﴿قَالَ﴾ يوسف: ﴿أَجْعَلِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿إِنِّي حَافِظٌ عَلَيْهَا﴾ ذو حفظ وعلم بأمرها، وقيل: كاتب حاسب.

[٥٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كإتياننا عليه بالخلاص من السجن ﴿مَكَّنَّا يُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿يَتَوَكَّلْ﴾ ينزل ﴿وَهِيَ حَيْثُ يَسْكَنُ﴾ بعد الضيق والحس، وفي القصة أن الملك تَوَجَّه وَحَمَّه^(١) وولاه مكان العزيز، وعزله ومات بعد، فزوجه امرأته فوجدتها عذراء وولدت له ولدين^(٢)، وأقام العدل بمصر ودانت له الرقاب ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٥٧] ﴿وَلَا جُزْءَ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ من أجر الدنيا ﴿لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾.

[٥٨] ودخلت سينا القحط، وأصاب أرض كنعان الشام ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾ إلا بنيامين، ليمتاروا لما بلغهم أن عزيز مصر يعطي الطعام بمنه ﴿فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَّفَهُمْ﴾ أنهم إخوته ﴿وَهُمْ لَهُ مُتُكِرُونَ﴾ لا يعرفونه؛ لبعد عهدهم به وظنهم هلاكه، فكلموه بالعبرانية، فقال كالنكر عليهم: ما أقدمكم بلادي؟ فقالوا: للميرة، فقال: لعلكم عيون، قالوا: معاذ الله، قال: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان وأبونا يعقوب نبي الله، قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كنا اثني عشر فذهب أصغرنا هلك في البرية وكان أحبنا إليه، وبقي شقيقه فاحتبسه؛ ليسلي به عنه، فأمر يائزاهم وإكرامهم.

[٥٩] ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ﴾ وفي لهم كيلهم ﴿قَالَ أَتُونِي بِأَجْرِكُمْ﴾ من أياكم ﴿أَي: بنيامين؛ لأعلم صدقكم فيما قلتم﴾ ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ﴾ أنه من غير بخس ﴿وَلَمَّا خَبَرَ الْمُرْزَلِينَ﴾.

[٦٠] ﴿فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ﴾ قالوا سترود عنه أباه ﴿وَلَمَّا لَفِظَ لَوْلَا﴾ وقال لفتينيه أجعلوا بضعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا إِنَّا نَمْنَعُ مِنْكَ الْكَيْلَ﴾

[٦١] ﴿فَأَرْسَلَ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّ لَهُ لَحِفْظُونَ﴾ قال: ﴿وَمَا أَتَيْنِي نَفْسٌ﴾ من الزلل ﴿إِنَّ النَّفْسَ﴾ الجنس ﴿لَأَمَّارَةٌ﴾ كثيرة الأمر ﴿بِالسُّوءِ﴾ إلا ما، بمعنى ﴿مَنْ﴾ رجس ربي، فقصه ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٥٤] ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُؤْتُونِي بِهِ؟﴾ استخلصه لنفسه أجعله خالصا لي دون شريك، فجاءه الرسول وقال: أجب الملك، فقام وودع أهل السجن ودعا لهم، ثم اغتسل ولبس ثيابا حسنا ودخل عليه ﴿فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ لَهُ﴾: ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ذو مكانة وأمانة على أمرنا، فماذا ترى أن نفعل؟ قال: اجمع الطعام وازرع زرعا كثيرا في هذه السنين الخصبه وادخر الطعام في سنبله فتأتي إليك الحلق ليمتاروا منك، فقال: ومن لي بهذا؟.

[٦٢] ﴿وَقَالَ لِفَتْنِيهِ﴾ وفي قراءة: ﴿لِفَتْنِيهِ﴾ غلمايه: ﴿أَجْعَلُوا بِضْعَتَهُمْ﴾ التي أتوا بها ثمن الميرة، وكانت دراهم ﴿فَنِي يَسْلِمُهُمْ﴾ أوعيتهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم وفروا أوعيتهم لعلهم يرجعون إلينا؛ لأنهم لا يستحلون إمساكها.

[٦٣] ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا إِنَّا نَمْنَعُ مِنْكَ الْكَيْلَ﴾ إن لم ترسل أخانا إليه ﴿فَأَرْسَلَ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ﴾ بالنون والياء^(٣) ﴿وَلَمَّا لَفِظَ لَوْلَا﴾

(١) هذا على اختيار المصنف أن الكلام المتقدم وهذا من كلام يوسف، وأكثر المحققين على خلافه وأنه من كلام امرأة العزيز.

(٢) أي حلاه بخاته.

(٣) هذا الكلام ليس عليه دليل، وهو يتنافى مع مقام النبوة؛ إذ كيف يتزوج نبي كريم من امرأة علم منها لإرادة الفحشاء؟!

(٤) أي: لا كيل ولا قُوب.

(٥) والقراءة الأولى لتافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٦) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ قَالَ هَلْ خَيْرٌ حِفْظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا نَبِيٌّ هَٰذَا بَالُفُوقَانِيَّةٌ ﴿٦٥﴾ أَيُّ شَيْءٍ نَطْلُبُ مِنْ إِكْرَامِ الْمَلِكِ أَعْظَمُ مِنْ هَٰذَا؟ وَقرئ بالفوقانية^(٢)؛ خطايا يعقوب وكانوا ذكروا له إكرامه لهم هَٰذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلِنَا ﴿٦٦﴾ نَأْتِي بِالْمِيرَةِ لَهُمْ وَهِيَ الطَّعَامُ وَتَحْفَظُ أَهْلَانَا وَتَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ﴿٦٧﴾ لِأَخِينَا ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٨﴾ سَهْلٌ عَلَى الْمَلِكِ لِسَخَاةٍ. ﴿٦٩﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا ﴿٧٠﴾ عَهْدًا مِّنَ اللَّهِ بِأَنْ تَخْلِفُوا ﴿٧١﴾ لَتَأْتِيَ بِهٖ إِلَّا أَنْ يَحْطَ بِكُمْ ﴿٧٢﴾ بِأَنْ تَمُوتُوا أَوْ تَغْلِبُوا فَلَا تُطِيقُوا الْإِنْيَانِ بِهِ، فَأَجَابَهُ عَلَى ذَٰلِكَ ﴿فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ بِذَٰلِكَ ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ نَحْنُ وَأَنْتُمْ وَكَيْلٌ ﴿شَهِيدٌ﴾ وَأَرْسَلَهُ مَعَهُمْ. ﴿٧٣﴾ وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِصْرَ ﴿٧٤﴾ مِنْ بَابٍ وَجِبٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ﴿٧٥﴾ لِئَلَّا تُصِيبَكُمْ الْعَيْنُ ﴿٧٦﴾ وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ أَدْفَعُ ﴿٧٧﴾ بِقَوْلِي ذَٰلِكَ ﴿مِنَ اللَّهِ مِنْ زَائِلَةٍ شَيْءٍ﴾ قَدَرَهُ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّمَا ذَٰلِكَ شَفَقَةٌ ﴿إِنْ﴾ مَا أَلْعَمَكُمْ إِلَّا يَشُوحُهُ وَحْدَهُ ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ بِهِ وَثَقْتُ ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾. ﴿٧٨﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أَيُّ: مُتَفَرِّقِينَ ﴿مَا كُنَّا بِغْنَىٰ عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أَيُّ: قَضَاهُ ﴿مِنْ﴾ زَائِلَةٍ ﴿شَيْءٍ إِلَّا﴾ لَكِنْ حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴿وَهِيَ إِرَادَةُ دَفْعِ الْعَيْنِ شَفَقَةً وَرَأْفَةً لِّدَوِّ عِلْمِهِ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ لِتَعْلِيمِنَا إِيَّاهُ ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وَهُمْ الْكُفَّارُ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ إِلَهَامَ اللَّهِ لِأَصْفِيَانِهِ. ﴿٧٩﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ ضَمَّ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٠﴾

﴿٦٤﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ ﴿يُوسُفُ﴾ مِنْ قَبْلُ ﴿وَقَدْ عَلِمْتُمْ بِهِ مَا عَلِمْتُمْ﴾ ﴿قَالَ اللَّهُ خَيْرٌ﴾ [حِفْظًا] ﴿وَفِي قِرَاءَةٍ: حِفْظًا﴾^(١)، تَمَيِّزُ كَقَوْلِهِمْ: لَهُ دَرَّةٌ فَارِسًا ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ فَأَرْجُو أَنْ يَمُنَ بِحِفْظِهِ.

﴿٦٥﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضْعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا بَنَاتَنَا مَا نَبِيٌّ ﴿مَا﴾ اسْتِفْهَامِيَّةٌ؛ أَيُّ: شَيْءٍ نَطْلُبُ مِنْ إِكْرَامِ الْمَلِكِ أَعْظَمُ مِنْ هَٰذَا؟ وَقرئ بالفوقانية^(٢)؛ خطايا يعقوب وكانوا ذكروا له إكرامه لهم هَٰذِهِ بِضْعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلِنَا ﴿نَأْتِي بِالْمِيرَةِ لَهُمْ وَهِيَ الطَّعَامُ وَتَحْفَظُ أَهْلَانَا وَتَزِدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ لِأَخِينَا ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿سَهْلٌ عَلَى الْمَلِكِ لِسَخَاةٍ﴾.

﴿٦٦﴾ قَالَ لَنْ أَرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُوا مَوْثِقًا ﴿عَهْدًا مِّنَ اللَّهِ﴾ بِأَنْ تَخْلِفُوا ﴿لَتَأْتِيَ بِهٖ إِلَّا أَنْ يَحْطَ بِكُمْ﴾ بِأَنْ تَمُوتُوا أَوْ تَغْلِبُوا فَلَا تُطِيقُوا الْإِنْيَانِ بِهِ، فَأَجَابَهُ عَلَى ذَٰلِكَ ﴿فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ﴾ بِذَٰلِكَ ﴿قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ نَحْنُ وَأَنْتُمْ وَكَيْلٌ ﴿شَهِيدٌ﴾ وَأَرْسَلَهُ مَعَهُمْ.

﴿٧٣﴾ وَقَالَ يَبْنَى لَا تَدْخُلُوا مِصْرَ ﴿مِنْ بَابٍ وَجِبٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ لِئَلَّا تُصِيبَكُمْ الْعَيْنُ ﴿وَمَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ أَدْفَعُ﴾ بِقَوْلِي ذَٰلِكَ ﴿مِنَ اللَّهِ مِنْ زَائِلَةٍ شَيْءٍ﴾ قَدَرَهُ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّمَا ذَٰلِكَ شَفَقَةٌ ﴿إِنْ﴾ مَا أَلْعَمَكُمْ إِلَّا يَشُوحُهُ وَحْدَهُ ﴿وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ بِهِ وَثَقْتُ ﴿وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

﴿٧٨﴾ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ﴾ أَيُّ: مُتَفَرِّقِينَ ﴿مَا كُنَّا بِغْنَىٰ عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ أَيُّ: قَضَاهُ ﴿مِنْ﴾ زَائِلَةٍ ﴿شَيْءٍ إِلَّا﴾ لَكِنْ حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴿وَهِيَ إِرَادَةُ دَفْعِ الْعَيْنِ شَفَقَةً وَرَأْفَةً لِّدَوِّ عِلْمِهِ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾ لِتَعْلِيمِنَا إِيَّاهُ ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ وَهُمْ الْكُفَّارُ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ إِلَهَامَ اللَّهِ لِأَصْفِيَانِهِ.

﴿٧٩﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ ضَمَّ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ ﴿تَحْزَنُ﴾ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿مِنْ الْحَسَدِ لَنَا، وَأَمْرُهُ أَنْ لَا يَخْبِرَهُمْ، وَتَوَاطَأَ مَعَهُ عَلَى أَنَّهُ سَيَحْتَالُ عَلَى أَن يَبْقِيَ عِنْدَهُ﴾.

(١) وهي قراءة حفص وحزمة والكسائي، والقراءة الأولى للنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٢) أي: تنغي، وهي قراءة شاذة.

[٧٢] ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعًا﴾ صاع ﴿الملك ولين جاء به حمل بعير﴾ من الطعام ﴿وَأَنَا يَدُ﴾ بالحمل ﴿زَعِيمٌ﴾ كفيلاً.
 [٧٣] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ قسم فيه معنى التعجب ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾ ما سرقنا قط.
 [٧٤] ﴿قَالُوا﴾ أي: المؤذن وأصحابه: ﴿فَمَا جَزَاؤُهُ﴾ أي: السارق ﴿إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ﴾ في قولكم: ما كنا سارقين، ووجد فيكم؟
 [٧٥] ﴿قَالُوا جَزَاؤُهُ﴾ مبتدأ، خبره: ﴿مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ﴾ يُسْرِقُ، ثم أكد بقوله: ﴿هُوَ﴾ أي: السارق ﴿جَزَاؤُهُ﴾ أي: المسروق لا غير، وكانت سنة آل يعقوب ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ بالسرقه، فصرحوا يوسف بنفثيش أو عيبتهم.

[٧٦] ﴿فَبَدَأَ بِأَرْعَابِهِمْ﴾ ففتشها ﴿قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ لئلا يتهم ﴿ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا﴾ أي: السقاية ﴿مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ﴾ قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ﴾ الكيد ﴿كَذْنَا يُوسُفَ﴾ علمناه الاحتيال في أخذ أخيه ﴿مَا كَانَ﴾ يوسف ﴿لِيَأْخُذَ أَخَاهُ﴾ رقيقاً عن السرقة ﴿فِي دِينِ الْمَلِكِ﴾ حكم ملك مصر؛ لأن جزاءه عنده الضرب وتغريم مثلي المسروق لا الاسترقاق ﴿إِلَّا أَنْ يَنْشَأَ اللَّهُ﴾ أخذه بحكم أبيه؛ أي: لم يتمكن من أخذه إلا بمشيئة الله يالهامه سؤال إخوته وجوابهم يستتهم ﴿تَرْفَعُ [دَرَجَاتٍ] مَنْ نَشَاءُ﴾ بالإضافة والتنوين^(١) في العلم كيوسف ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ﴾ من المخلوقين ﴿عَلِيمٌ﴾ أعلم منه حتى ينتهي إلى الله - تعالى.

[٧٧] ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: يوسف وكان سرق لأبي أمه صنماً من ذهب فكسره؛ لئلا يعبد^(٢). ﴿فَأَسْرَهَا يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ﴾ ولم يُبْدِهَا، يظهرها ﴿لَهُمْ﴾ والضمير للكلمة التي في قوله ﴿قَالَ﴾ في نفسه: ﴿أَنْتُمْ سَرَّ مَكَانًا﴾ من يوسف وأخيه لسرقتم أياكم من أبيكم وظلمكم له ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا تَصِفُونَ﴾ تذكرون من أمره.

[٧٨] ﴿قَالُوا بَكَتُنَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾ يحبه أكثر منا ويتسلى به عن ولده الهالك ويحزنه فراقه ﴿فَخَذَّ أَحَدًاكَ﴾ استعبده ﴿مَكَانَهُ﴾ بدلاً منه ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ في أفعالك.

فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذْنٌ مُؤَدِّنٌ أَيُّهَا الْعَبْرُ أَنْتُمْ لَسْرَفُونَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا نَفَقْدُ صُوعًا الْمَلِكِ وَلَمِنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ يَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَرْعَابِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَذْنَا يُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يُوسُفَ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ سَرَّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾

[٧٠] ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ﴾ هي صاع من الذهب مرصع بالجوهر ﴿فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾ بنامين ﴿ثُمَّ أَذْنٌ مُؤَدِّنٌ﴾ نادى مناد بعد انفصالهم عن مجلس يوسف ﴿أَيُّهَا الْعَبْرُ﴾ القافلة ﴿إِنْكُمْ لَسْرَفُونَ﴾ انفصلتم.
 [٧١] ﴿قَالُوا﴾ قد ﴿أَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا﴾ ما الذي ﴿تَفْقِدُونَ﴾ مفقود.

(١) بالإضافة لدافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) روى ذلك ابن مردويه مرفوعاً عن ابن عباس مرفوعاً، وقيل غير ذلك، ولم يصح من ذلك شيء مرفوعاً ولا موقوفاً، والصحيح أن قولهم هذا محض كذب وإفراء على يوسف وأخيه، كما نقل القرطبي عن الحسن البصري.

[٧٩] ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ إِنَّا مِن سُرْقٍ نَحَرًا مِّنَ الْكُذِبِ﴾ [٨٠] ﴿وَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا﴾ يسوا ﴿مِنْهُ حَاكَصُوا﴾ اعترضوا ﴿بَنِيَّتًا﴾ مصدر يصلح للواحد وغيره؛ أي: ينجي بعضهم بعضاً ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ بيتاً «رويل»، أو رأيتا «يهودا»: ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوَاقِفًا﴾ عهداً ﴿بَيْنَ اللَّهِ﴾ في أخيككم ﴿وَمِن قَبْلِ مَا﴾ زائدة ﴿قَرَطَشَ﴾ في يوسف ﴿وَقِيلَ﴾: «ما» مصدرية مبتدأ خبره: «من قبل» ﴿فَلَن أَنبِخَ﴾ أفارق ﴿الْأَرْضَ﴾ أرض مصر ﴿حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَنِ﴾ بالعود إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي﴾ بخلاص أخي ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ أعذلتهم.

[٨١] ﴿أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا إِنَّا نَايَأُونَ﴾ [٨٢] ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا﴾ هي مصر؛ أي: أرسل إلى أهلها فاسألهم ﴿وَالْعِيرَ﴾ أصحاب العير ﴿الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ وهم قوم من كنعان ﴿وَرَأَيْنَا لَصَادِقُونَ﴾ في قولنا، فرجعوا إليه وقالوا له ذلك. [٨٣] ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا﴾ ففعلتموه، اتهمهم لما سبق منهم من أمر يوسف ﴿فَصَبَّرْ جَبِيلٌ﴾ صبري ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ﴾ بيوسف وأخويه ﴿جَمِيعًا﴾ إنهم هو العليم ﴿بِحَالِي﴾ في صنعته. [٨٤] ﴿وَوَلَّى عَنْهُمْ﴾ تاركاً خطابهم ﴿وَقَالَ يَتَاسَفُونَ الْأَلْفَ بِدَل مِّن بَاءِ الْإِضَافَةِ﴾ أي: يا حزني ﴿حَتَّى يُوَسِّفَ رَأَيْتُ عَيْنَاهُ﴾ انمحق سوادهما وبذل بياضاً من بكائه ﴿وَمِنَ الْمُعْزَنَ﴾ عليه ﴿فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ مغموم مكروب لا يظهر كربه. [٨٥] ﴿قَالُوا تَاللَّهِ﴾ لا ﴿نَفْتَنُوهَا﴾ تزال ﴿تَذْكُرُ يُوَسِّفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَكَةً﴾ مشرفاً على الهلاك لطول مرضك، وهو مصدر يستوي فيه الواحد وغيره ﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَلِكِينَ﴾ الموتى.

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ إِنَّا مِن سُرْقٍ نَحَرًا مِّنَ الْكُذِبِ ﴿٧٩﴾

وَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ حَاكَصُوا أَنْجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوَاقِفًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن قَبْلِ مَا قَرَطَشَ فِي يَوْسُفَ فَلَن أَنبِخَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨١﴾

أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا إِنَّا نَايَأُونَ ﴿٨٢﴾ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَفِظِينَ ﴿٨٣﴾

وَسَلِّ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴿٨٤﴾ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٥﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا ﴿٨٦﴾ فَصَبَّرْ جَبِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٧﴾ وَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَاسَفُونَ عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٨﴾ قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَنُوا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَلِكِينَ ﴿٨٩﴾ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٠﴾

[٨٦] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي﴾ هو عظيم الحزن الذي لا يصبر عليه حتى يث إلى الناس ﴿وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ لا إلى غيره فهو الذي تنفع الشكوى إليه ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من أن رؤيا يوسف صدق وهو حي.

﴿وَجَعَلْنَا يَوْسَعَ مُرْجَلَهُ مَدْفُوعَةً^(١) يَدْفَعُهَا كُلُّ مَنْ رَأَاهَا لِرَدَائَتِهَا، وَكَانَتْ دَرَاهِمَ زَيْفًا^(٢)﴾ أَوْ غَيْرَهَا ﴿فَأَوْفَى﴾ أَمْ ﴿لَنَا الْكَيْلُ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾ بِالسَّمَاخَةِ عَنْ رَدَاءَةِ بَضَاعَتِنَا ﴿إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ يَبْتِهِمْ، فَرَقَ لَهُمْ وَأَدْرَكَتْهُ الرَّحْمَةُ، وَرَفَعَ الْحِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ.

[٨٩] ثُمَّ ﴿قَالَ﴾ لَهُمْ تَوْبِيخًا: ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسَعَ﴾ مِنَ الضَّرْبِ وَالْبَيْعِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ﴿وَأَيُّدِهِ﴾ مِنْ هَضْمِكُمْ لَهُ بَعْدَ فِرَاقِ أَخِيهِ ﴿إِذْ أَنْشَرْتُمْ جَاهِلُونَ﴾ مَا يَقُولُ إِلَيْهِ أَمْرُ يَوْسَعَ.

[٩٠] ﴿قَالُوا﴾ بَعْدَ أَنْ عَرَفُوهُ لَمَّا ظَهَرَ مِنْ شِمَالِهِ مَتَّبِعِينَ: ﴿أَوَلَمْ نَكُنْ بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَيْنِ وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ وَادْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهِينِ^(٣)﴾ لَا بُدَّ يَوْسَعَ قَالَ أَنَا يَوْسَعَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَرَّ أَنْعَمَ ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بِالْإِجْمَاعِ ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ﴾ يَخْشَى اللَّهَ وَيَصْبِرُ عَلَى مَا يَنَالُهُ ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُتَحْسِنِينَ﴾ فِيهِ وَضَعُ الظَّاهِرِ مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ.

[٩١] ﴿قَالُوا نَأْتِيكَ لَقَدْ أَتَرَكْنَا﴾ فَضْلُكَ ﴿اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بِالْمَلِكِ وَغَيْرِهِ ﴿وَلِنْ﴾ مُخَفَّفَةً، أَيْ: إِنَّا ﴿كُنَّا لَخَطِلِينَ﴾ أَلَمِينَ فِي أَمْرِكَ فَادْلُلْنَاكَ. [٩٢] ﴿قَالَ لَا تَرْبِيبَ﴾ عِبَّ ﴿عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ﴾ خَصَّهُ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ مَطْنَةُ التَّشْرِيبِ فِيهِ أَوَّلَى ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[٩٣] وَسَلَّاهُمْ عَنْ أَبِيهِ فَقَالُوا: ذَهَبَ عَيْنَاهُ، فَقَالَ: ﴿أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا﴾ وَهُوَ قَمِيصُ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي لَبَسَهُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، كَانَ فِي عُنُقِهِ فِي الْحُبِّ وَهُوَ مِنَ الْجَنَةِ أَمْرُهُ جَبْرِيلُ بِإِسْرَائِيلَ وَقَالَ: إِنْ فِيهِ رِيحًا وَلَا يَلْقَى عَلَى مَبْتَلَى إِلَّا عَوْفِي^(٤) ﴿فَالْقُوَّةُ عَلَى وَجْهِهِ إِي بَارَتْ﴾ بَصَرَ ﴿بَصِيرًا وَأَتَوَفَّى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٩٤] ﴿وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ﴾ خَرَجَتْ مِنْ عَرِيشِ مِصْرَ ﴿قَالَ أَبُوهُمْ﴾ لِمَنْ حَضَرَ مِنْ بَنِيهِ وَأَوْلَادِهِمْ: ﴿إِنِّي لَأَكِيدُ رِيحَ يَوْسَعَ﴾ أَوْصَلْتُهُ إِلَيْهِ الصَّبَا^(٥) بِإِذْنِهِ تَعَالَى مِنْ مَسِيرِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ أَوْ ثَمَانِيَةٍ أَوْ أَكْثَرَ ﴿كُلُوا أَنْ تَقْتَدُوا﴾ تَسْفَهُونَ لِمَصْدَقَتُونِي.

[٩٥] ﴿قَالُوا﴾ لَهُ: ﴿نَأْتِيكَ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ﴾ خَطْلِكَ ﴿الْقَدِيرِ﴾ مِنْ إِفْرَاطِي فِي مَحَبَّتِهِ وَرَجَاءِهِ لِقَائِهِ عَلَى بَعْدِ الْعَهْدِ.

يَتَّبِعِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسَعَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْنِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ وَجَعَلْنَا بِيضَ بَعِثٍ مُرْجَلَهُ قَاوْفٍ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ يَوْسَعَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْشَرْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ لَكَ يَوْسَعَ قَالَ أَنَا يَوْسَعَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَرَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا نَأْتِيكَ لَقَدْ أَتَرَكْنَا اللَّهَ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيلِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَرْبِيبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوَّةُ عَلَى وَجْهِهِ إِي يَأْتِ بِصِيرًا وَأَتَوَفَّى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجْدِرِيحَ يَوْسَعَ لَوْلَا أَنْ تُفَيْدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا نَأْتِيكَ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيرِ ﴿٩٥﴾

[٨٧] ثُمَّ قَالَ: ﴿يَتَّبِعِي أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يَوْسَعَ وَأَخِيهِ﴾ اطْلُبُوا خَبْرَهُمَا ﴿وَلَا تَأْنِسُوا﴾ فَاتَّقُوا ﴿وَمِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ رَحْمَتِهِ ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ فَانْطَلِقُوا نَحْوَ مِصْرَ لِيُؤَسِّفَ. [٨٨] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ﴾ الْجُوعَ

(١) أي مردودة.

(٢) جمع «زيف»، وهو الذي خلط به نحاس أو غيره مع الفضة، فيكون مرغوباً عنه.

(٣) أي التحقيق والتسهيل؛ فالقراءات أربع سبعة. وقرأ ابن كثير هنا بالحبر ﴿إِنَّكَ﴾ وهي قراءة خامسة سبعة أيضاً.

(٤) ليس على ذلك دليل، وإنما هو من الإسرائيليات التي لا يعتمد مثلها في تفسير كلام الله، كما أن ظاهر نسبة القميص لنفسه الطاهر خلاف ما ذكر، والله أعلم.

(٥) «الصُّبَا»: ريح مهبط من مطلع الشمس؛ إذا استوى الليل والنهار، ومقابلتها: «الدُّبُور»، وأخرج الشيخان من حديث ابن عباس مرفوعاً: «نُصِرْتُ بالصُّبَا، وأهلكت عاد بالدُّبُور».

[٩٦] ﴿فَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ .

[٩٧] ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ .

[٩٨] ﴿قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ . آخر ذلك إلى السحر؛ ليكون أقرب إلى الإجابة أو إلى ليلة الجمعة، ثم توجهوا إلى مصر وخرج يوسف والأكابر للتقيهم.

[٩٩] ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ۖ فِي مَضْرَبَةٍ ۖ ﴿١٠٠﴾ وَكَانَتْ ضِمَّةٌ لِيُوسُفَ ۖ أَبُوهُ وَامْرَأَتُهُ أَوْ خَالَاتُهُ ۖ وَقَالَ لَهُمْ: ﴿١٠١﴾ اذْخُلُوا مِصْرَ ۖ إِنَّ شَاءَ اللَّهِ ۖ كَرِيمِينَ﴾ . فدخلوا وجلس يوسف على سريره.

[١٠٠] ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ ۖ فَأَجْلَسَهُمَا مَعَهُ ۖ عَلَى الْأَمْرِ ۖ السَّرِيرِ ۖ وَخَرُّوا ۖ أَيُّ أَبَوَاهُ وَإِخْوَتِهِ ۖ ثُمَّ سَجَدَا ۖ سَجُودَ انْحِنَاءٍ لَا وَضْعَ جَبْهَةٍ وَكَانَ تَحْتَهُمَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ۖ وَقَالَ يَتْلُو هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي ۖ إِلَيَّ ۖ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ ۖ لَمْ يَمِلْ مِنَ الْجِبِّ تَكَرُّمًا ۖ لَوْلَا تَخَلَّلَ إِخْوَتُهُ ۖ وَجَلَّةٌ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ ۖ الْبَادِيَةِ ۖ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ ۖ أَفْسَدَ ۖ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۖ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ ۖ بَخْلَقَهُ ۖ الْحَكِيمُ ۖ فِي صَنْعِهِ ۖ وَأَقَامَ عِنْدَهُ أَبُوهُ أَرْبَعًا وَعِشْرِينَ سَنَةً أَوْ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ۖ وَكَانَ مَدَّةَ فِرَاقِهِ ثَمَانِي عَشْرَةَ أَوْ أَرْبَعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ سَنَةً ۖ وَحَضَرَهُ الْمَوْتُ فَوَصَّى يُوسُفَ أَنْ يَحْمِلَهُ وَيَدْفِنَهُ عِنْدَ أَبِيهِ ۖ فَمَضَى بِنَفْسِهِ وَدَفَنَهُ ثَمَةً ۖ ثُمَّ عَادَ إِلَى مِصْرَ وَأَقَامَ بَعْدَهُ ثَلَاثًا وَعِشْرِينَ سَنَةً ۖ﴾ .

[١٠١] ﴿وَلَمَّا تِمَّ أَمْرُهُ وَعِلِمُ أَنَّهُ لَا يَدُومُ تَأْتَتْ نَفْسُهُ إِلَى الْمَلِكِ الدَّائِمِ فَقَالَ: ﴿١٠٢﴾ رَبِّي قَدْ آتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۖ تَعْبِيرُ الرُّؤْيَا ۖ فَاطِرُ ۖ خَالِقُ ۖ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي ۖ مَتَوَلِّي مَصَالِحِي ۖ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۖ مِنْ آبَائِي ۖ فَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ أَسْبُوعًا أَوْ أَكْثَرَ وَمَاتَ وَلَهُ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً ۖ وَتَشَاحَّ الْمِصْرِيُّونَ فِي قَبْرِهِ فَجَعَلُوهُ فِي صَنْدُوقٍ مِنْ مَرْمَرٍ وَدَفَنُوهُ فِي أَعْلَى النَّبْلِ لَعَمَ الْبَرَكَةِ جَانِبِيهِ ۖ فَسَبَّحَانِ مِنْ لَا انْقِضَاءَ لِلْمَلَكَةِ ۖ﴾ .

[١٠٢] ﴿وَذَلِكَ ۖ الْمَذْكُورُ مِنْ أَمْرِ يُوسُفَ ۖ وَمِنْ أَنْبَاءِ ۖ أَخْبَارِ ۖ الْغَيْبِ ۖ

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا ۖ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ۖ وَآوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ ۖ إِنَّ شَاءَ اللَّهِ ۖ كَرِيمِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ وَسُجَّدًا وَقَالَ يَتْلُو هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَعَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۖ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّي قَدْ آتَيْنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ۖ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

ما غاب عنك يا محمد ﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ . لدى إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ﴾ . في كيدته أي عزموا عليه ﴿وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ . به أي: لم تحضرهم فتعرف قصتهم فتخبر بها، وإنما حصل لك علمها من جهة الوحي.

[١٠٣] ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ . أي: أهل مكة ﴿وَلَوْ حَرَصْتَ﴾ . على إيمانهم ﴿يُؤْمِنِينَ﴾ .

(١) أي خيمته، وكان ذلك خارج امدية على عادة الملوك.

(٢) هذه التفاصيل لا دليل صحيح عليها، فالأولى الاكتفاء بقصة الله علينا، وهو أحسن القصص.

(٣) هذه التفاصيل لا دليل صحيح عليها، فالأولى الاكتفاء بما قصه الله علينا، وهو أحسن القصص.

[١٠٦] ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ﴾ حيث يقرن بأنه الخالق الرازق ﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ به عبادة الأصنام، ولذا كانوا يقولون في تليبتهم: «ليبك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك»، يعونها.

[١٠٧] ﴿أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ غَشَاةٍ﴾ نعمة تغشاهم ﴿بَيْنَ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بوقت إتيانها قبله.

[١٠٨] ﴿قُلْ لَهُمْ: هَذِهِ سَبِيلِي﴾ وفسرها بقوله: ﴿أَدْعُوا إِلَى دِينِ اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ حجة واضحة ﴿أَنَا وَمَنْ أَتَّبَعَنِي﴾ آمن بي، عطف على ﴿أَنَا﴾ المبتدأ الخبر عنه بما قبله ﴿وَسَيَحْنُ اللَّهُ﴾ تنزيهاً له عن الشركاء ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ من جملة سبيله أيضاً.

[١٠٩] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا﴾ [يُوحَى] ﴿وَفِي قِرَاءَةِ النَّوْنِ وَكَسَرَ الْحَاءِ﴾ [إِلَيْهِمْ] لا ملائكة ﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ الأمصار؛ لأنهم أعلم وأحلم بخلاف أهل البوادي لجهلهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أهل مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: آخر أمرهم من إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ الله ﴿أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ بالباء والتاء^(١)، يا أهل مكة هذا فتوّنون.

[١١٠] ﴿حَقٌّ﴾ غاية لما دل عليه ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا﴾ أي: فترأى نصرهم حتى ﴿إِذَا اسْتَيْسَسَ﴾ يس ﴿الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ الرسل^(٢) ﴿أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا﴾ بالتشديد تكذيباً لا إيمان بعده، والتخفيف^(٣)؛ أي: ظن الأمم أن الرسل أنحلوا ما وعدوا به من النصر ﴿جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُفِخَ﴾ [فَنُفِخَ] بنونين مشدداً ومخففاً، وبنون مشدداً ماض^(٤) ﴿مِنْ نَشَأٍ﴾ ولا يردُّ بأسناً عذابنا ﴿عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركون.

[١١١] ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي فَصَصِهِمْ﴾ أي: الرسل ﴿عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول ﴿مَا كَانَ﴾ هذا القرآن ﴿حَدِيثًا يُفْتَرَى﴾ يختلق ولكن كان ﴿تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ قبله من الكتب ﴿وَتَفْصِيلَ﴾ تبين ﴿كُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه في الدين ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خصوا بالذكر لاتفاعهم به دون غيرهم.

وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٧﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٨﴾ أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٩﴾ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجُلًا لَأُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَفَلَا يَعْلَمُونَ ﴿١١١﴾ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِّبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُفِخَ مِنْ نَشَأٍ وَلَا يَرُدُّ بِأَسْنَانٍ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١١٢﴾ لَقَدْ كَانَ فِي فَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١٣﴾

[١٠٤] ﴿وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ أَجْرٍ﴾ تأخذه ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾.

[١٠٥] ﴿وَكَأَيِّنْ﴾ وكم ﴿مِنْ آيَةٍ﴾ دالة على وحدانية الله ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا﴾ يشاهدونها ﴿وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ لا يفكرون بها.

(١) بالياء قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالنون وكسر الحاء.

(٢) بالياء لحزمة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) وهذا راجع لقراءة التشديد في ﴿كُذِّبُوا﴾.

(٤) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٥) حاصل ما ذكره ثلاث قراءات، وظاهر كلامه أنها كلها سبعة، وليس كذلك؛ فقراءة التشديد مع النونين قراءة شاذة، أما قراءة التخفيف مع النونين فيه للسبعة عدا عاصم وابن عامر.

سُورَةُ الرَّحْمَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَرَّةَ يَلْكَ أَيْتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ
وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ
بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَحَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ
يَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ تَوْفِيقُونَ ۝ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِجًّا
وَأَنْهَارًا وَكُلٌّ فِي الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى الْاِثْلَ
النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَفِي الْأَرْضِ
قِطْعٌ مَّتَجَوَّزٌ وَجَعَلْنَا مِنْ أَغْطَبِ وَرَعٍ وَنَحِيلٍ صُنُوفًا
وَعَبْرَ صُنُوفٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ
فِي الْأَكْثَلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَإِنْ تَعْجَبْ
فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَذْكَاءُ تَرَبَّاءُ أَتَا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ
أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْطَلُ فِي
أَعْيَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝

حقيق بالعجب ﴿قَوْلُهُمْ﴾ منكرين البعث: ﴿أَوَذَا كُنَّا تَرَبَّاءُ أَتَا لَفِي خَلْقٍ
جَدِيدٍ﴾ لأن القادر على إنشاء الخلق وما تقدم على غير مثال قادر على
إعادتهم، وفي الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتحقيق الأولى وتسهيل الثانية،
وإدخال ألف بينهما على الوجهين وتركها^(٨)، وفي قراءة بالاستفهام في الأول
والخير في الثاني^(٩)، وأخرى عكسه^(١٠) ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
وَأُولَئِكَ الْأَغْطَلُ فِي أَعْيَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

سُورَةُ الرَّحْمَةِ

[مكية إلا: ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَسْتَ مُرْسَلًا﴾ الآية. أو: - مدنية إلا: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا﴾ الآية،
ثلاث، أو: أربع، أو: خمس، أو: ست وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّحْمَةِ﴾ الله أعلم بمداهم بذلك ﴿وَيَلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿يَلْكَ
الْكِتَابِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي:
القرآن، مبتدأ خبره: ﴿الْحَقُّ﴾ لا شك فيه ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾؛ أي:
أهل مكة ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بأنه من عنده تعالى.

[٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ أي: العمد جمع عماد وهو
الأسطوانة، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ استواء
يليق به^(١) ﴿وَسَحَرَ﴾ ذَلَّلَ ﴿الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ منهما ﴿يَجْرِي﴾ في فلكه
﴿لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ يقضي أمر ملكه ﴿يُفَصِّلُ﴾
بين ﴿الْآيَاتِ﴾ دلالات قدرته ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿يَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ﴾
بالبعث ﴿تَوْفِيقُونَ﴾.

[٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ﴾ بسط ﴿الْأَرْضَ وَجَعَلَ﴾ فيها ﴿رِجًّا وَنَحِيلًا﴾
جبالاً نوابت ﴿وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ من كل نوع
﴿يُغْشَى﴾ يغطي ﴿الْاِثْلَ﴾ بظلمته ﴿النَّهَارَ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ المذکور
﴿لَآيَاتٍ﴾ دلالات على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في صنع الله.

[٤] ﴿وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ﴾ بقاع مختلفة ﴿مَّتَجَوَّزٌ﴾ متلاصقات، فمنها
طيب وسبخ، وفيلس الربع وكثيره، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿وَجَعَلْنَا﴾
بساتين ﴿مِنْ أَغْطَبِ وَرَعٍ﴾ بالرفع عطفًا على ﴿وَجَعَلْنَا﴾، والجر^(٢) على
﴿أَغْطَبِ﴾، وكذا قوله^(٣): ﴿وَنَحِيلٍ صُنُوفًا﴾ جمع صنو، وهي
الثَّخَلَاتُ^(٤) يجمعها أصل واحد وتنشعب فروعهها ﴿وَعَبْرَ صُنُوفٍ﴾ مفردة
﴿تُسْقَى﴾ بالناء؛ أي: الجنات وما فيها، والياء^(٥)؛ أي: المذکور ﴿بِمَاءٍ
وَاحِدٍ وَنُفِضَ﴾ بالنون والياء^(٦) ﴿بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ﴾ فِي الْأَكْثَلِ بضم
الكاف وسكونها^(٧)؛ فمن حلو وحامض، وهو من دلائل قدرته تعالى ﴿إِنَّ
فِي ذَلِكَ﴾ المذکور ﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٥] ﴿وَإِنْ تَعْجَبْ﴾ يا محمد من تكذيب الكفار لك ﴿فَعَجَبٌ﴾

(١) سبق التعليق على هذا الإحاطة وأنه إذا كان تقريباً في الكيفية فعم، وأما إن كان المراد نفي معناه من العلو والاستقرار فهذه طريقة أهل التأويل.

(٢) بالجر قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر وشعبة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي ونافع وابن عامر وشعبة.

(٤) وفي نسخة مطبوعة: «الثخلات».

(٥) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٦) فهذه أربع قراءات.

(٧) حاصل ما ذكره المؤلف من القراءات ما يلي:

قرأ نافع والكسائي ﴿أَوَذَا﴾ بهمزتين؛ الأولى مفتوحة والثانية مكسورة على الاستفهام.

وقرأوا ﴿أَوَذَا﴾ بهمزة واحدة مكسورة على الخبر كل على أصله، فقالون يسهل الثانية في ﴿أَوَذَا﴾ ويدخل أنفاً بينها وبين الأولى، وورث يسهلها من غير إدخال، والكسائي يحققها من غير

إدخال، وقرأ ابن عامر بالإخيار في الأول والاستفهام في الثاني وكل على أصله كذلك، فهشام يحققها مع الإدخال فولاً واحداً، وابن ذكوان يحققها بلا إدخال.

وقرأ بقية السبعة بالاستفهام فهما وكل على قاعدته، فابن كثير بالتسهيل بلا إدخال، وأبو عمرو بالتسهيل مع الإدخال، وعاصم وحزمة بالتحقيق من غير إدخال.

[٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا ﴿١﴾ هَلَّا ﴿٢﴾ أَنْزَلَ عَلَيْهِ ﴿٣﴾ عَلَى مُحَمَّد ﴿٤﴾ آيَةً مِّن دُونِهِ ﴿٥﴾ كَالْعَصَا وَالْيَدِ وَالنَّاقَةِ؟ قَالَ - تعالى -: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ ﴿٦﴾﴾ مخوف الكافرين وليس عليك إتيان الآيات ﴿٧﴾ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٨﴾﴾ نبي يدعوهم إلى ربهم بما يعطيه من الآيات لا بما يفترون.

[٨] ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى ﴿١﴾﴾ من ذكر وأنثى وواحد ومتعدد وغير ذلك ﴿وَمَا يُفَيْضُ ﴿٢﴾﴾ تنقص ﴿الْأَرْحَامُ ﴿٣﴾﴾ من مدة الحمل ﴿وَمَا تَزَادُ ﴿٤﴾﴾ منه ﴿وَكُلُّ أُنْثَىٰ عِنْدَ رَبِّكَ بِمَا عَمِلَتْ ﴿٥﴾﴾ بقدر وحد لا يتجاوز.

[٩] ﴿عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالْشَّهَادَةُ ﴿١﴾﴾ ما غاب وما شوه ﴿الْكَبِيرُ ﴿٢﴾﴾ العظيم ﴿الْمُتَعَالَى ﴿٣﴾﴾ على خلقه بالقهر ^(١)، بياء ودونها ^(٢).

[١٠] ﴿سَوَاءٌ مِّنْكُمْ ﴿١﴾﴾ في علمه تعالى ﴿مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ ﴿٢﴾﴾ مستتر ﴿بِالْإِيلِ ﴿٣﴾﴾ بظلامه ﴿وَسَارٍ ﴿٤﴾﴾ ظاهر بذهابه في سرية ^(١) أي طريقه ﴿بِالنَّهَارِ ﴿٢﴾﴾.

[١١] ﴿لَهُمُ الْإِنْسَانُ ﴿١﴾﴾ ملائكة تتبعه ﴿مِّن بَيْن يَدَيْهِ ﴿٢﴾﴾ قدماه ﴿وَمِنْ خَلْفِهِ ﴿٣﴾﴾ ورائه ﴿يَحْفَظُونَهُ مِّن أَمْرِ اللَّهِ ﴿٤﴾﴾ أي: بأمر من الجن وغيرهم ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ مَا يُقَوْمُ ﴿٥﴾﴾ لا يسلبهم نعمته ﴿حَتَّىٰ يَغُورُوا مَا أَنفُسِهِمْ ﴿٦﴾﴾ من الحالة الجميلة بالمعصية ﴿وَلِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سَوْءًا ﴿٧﴾﴾ عذابًا ﴿فَلَا مَرَدَ لَهُ ﴿٨﴾﴾ من المعقبات ولا غيرها ﴿وَمَا لَهُمْ ﴿٩﴾﴾ لمن أراد الله بهم سوءًا ﴿مِّن دُونِهِ ﴿١٠﴾﴾ أي: غير الله ﴿مِنْ زَائِدَةٍ ﴿١١﴾﴾ زائدة ﴿وَالِ ﴿١٢﴾﴾ بمنعهم.

[١٢] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَكُمْ خَوْفًا ﴿١﴾﴾ للمسافرين من الصواعق ^(١) ﴿وَلَمَّا عَاثَ ﴿٢﴾﴾ للمقيم في المطر ^(٢) ﴿وَيُنْشِئُ ﴿٣﴾﴾ يخلق ﴿السَّحَابَ ﴿٤﴾﴾ الأقاليم بالمطر.

[١٣] ﴿رَبِّسِحْ الزَّعْدُ ﴿١﴾﴾ هو ملك ^(١) موكل بالسحاب يسوقه متلبسًا ﴿بِحَمْدِهِ ﴿٢﴾﴾ أي: يقول: سبحان الله وبحمده ﴿وَيَسْبَحُ ﴿٣﴾﴾ يسبح ﴿السَّحَابُ مِّن خِيفَتِهِ ﴿٤﴾﴾ أي: الله ﴿وَيُرْسِلُ ﴿٥﴾﴾ الصَّوَاعِقَ ﴿وَهِيَ نَارٌ تَخْرُجُ مِّنَ السَّحَابِ ﴿٦﴾﴾ فيصيب بها من يشاء ﴿فَنَحَرَهُ، فَنَحَرَهُ، وَنَزَلَ فِي رَجُلٍ بَعَثَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ يَدْعُوهُ فَقَالَ: مَن رَّسُولُ اللَّهِ؟ وَمَا اللَّهُ؟ أَمَّنْ ذَهَبَ هُوَ أَمْ مِنْ فِضَّةٍ أَمْ نَحَاسٍ؟ فَنَزَلَتْ بِهِ صَاعِقَةٌ فَذَهَبَتْ بِقِحْفٍ ^(٧) رأسه ^(٨) ﴿وَهُمْ ﴿٩﴾﴾ أي: الكفار ﴿يَجْعِدُونَ ﴿١٠﴾﴾ يخاضعون النبي ﷺ ﴿فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿١١﴾﴾ القوة أو الأخذ.

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِّن رَّبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴿٢﴾ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٣﴾ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالْشَّهَادَةُ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالَى ﴿٤﴾ سَوَاءٌ مِّنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿٥﴾ لَهُ مَعْقِبَتٌ مِّنْ بَيْن يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ وَمِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَلِذَا أَرَادَ اللَّهُ يَقُومَ سَوْءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِّن دُونِهِ مِّنْ وَالٍ ﴿٦﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَكُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿٧﴾ وَيَسْجِعُ الزَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَكُوتُ مِّنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجْعِدُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحَالِ ﴿٨﴾

[٦] ونزل في استعجالهم العذاب استهزاء: ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ الْعَذَابِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ الرحمة ﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُ﴾ جمع (المثله) يوزن (الشبهة)؛ أي: عقوبات أمثالهم من المكذبين، أفلا يعتبرون بها؟ ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ مع (ظلمهم) ولا لم يترك على ظهرها دابة ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ لمن عصاه.

(١) وهذا أحد معاني العلو الثابتة لله ﷻ، وله العلو الشامخ وعلو القهر وعلو الذات، ولا يجوز قصر العلو على نوع واحد فقط.
(٢) في البوصل والوقف، فبالياء قرأ بن كثير، على الأصل؛ لأن الألف واللام أذهبا التزيين الذي تحذف الياء من أجله، فرجعت الياء، وبالحذف قرأ الباقون اتباعًا للخط، واكتفاء بدلالة الكسرة على الياء.

(٣) قال في القاموس المحيط: السارب: الناهب على وجهه في الأرض.

(٤) وهذا القصر لا وجه له؛ إذ إنه يصلح أن يكون خوفًا وطمعًا للمسافرين والمقيمين معًا، فهو تارة يكون خيالًا وأخرى شؤًا للجمع.

(٥) وهذا القصر لا وجه له؛ إذ إنه يصلح أن يكون خوفًا وطمعًا للمسافرين والمقيمين معًا، فهو تارة يكون خيالًا وأخرى شؤًا للجمع.

(٦) أخرج الترمذي في كتاب التفسير عن ابن عباس قال: أقبلت يهود إلى النبي ﷺ فقالوا: يا أبا القاسم، أخبرنا من الرعد ما هو؟ قال: «ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه محاريق من نار يسوق بها السحاب حيث شاء الله... الحديث، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٤٩٢)، والمحاريق: جمع مخراق، والمراد به هنا آلة تجر بها الملائكة السحاب. وقيل: المراد بتسبيح المخلوقات من الجمادات وغير العقلاء: تسبيح الدلالة؛ فكل محدث يدل على أن الله خالق قادر. وقل: هذا التسبيح حقيقة، ولا مانع من أن ينطق الله أي شيء بذلك، ويشهد له قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ شَيْءٍ نَّفْثُوهُنَّ لَسِيحُهُمْ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُنَبِّئُنَّ بِالْغَيْبِ وَالْخَبَرِ﴾، وقوله: ﴿الَّذِي أُنْطِقُ كُلَّ شَيْءٍ﴾، ولا تعارض بين القولين؛ فالرعد ملك موكل بالسحاب، وهو يسبح بحمد ربه، كما أن المخلوقات كلها تسبح حقيقة بحمد الله، والله أعلم.

(٧) بكسر القاف؛ عظم الرأس الذي فوق الدماغ.

(٨) أخرج نحوه النسائي والزار وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ والطبراني في الأوسط وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن أنس بن مالك (٩٩/٤) في الدر المنثور. وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٣٠٤/١) رقم (٦٩٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السنة.

عهد ﴿وَلَا يَنْفُضُونَ الْعَيْثَ﴾ بترك الإيمان أو الفرائض.
 [٢١] ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ من الإيمان والرحم وغير ذلك ﴿وَيَخْفُونَ سُوَةَ الْحِسَابِ﴾ وعيده. ﴿وَيَخْفُونَ سُوَةَ الْحِسَابِ﴾ تقدم مثله.
 [٢٢] ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا﴾ على الطاعة والبلاء وعن المعصية ﴿أَتَيْتَهُمْ﴾ طلب ﴿وَرَجِعَ رَبُّهُمْ﴾ لا غيره من أعراض الدنيا ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا فِي الطَّاعَةِ﴾ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُوكَ ﴿يَدْفَعُونَ﴾ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ كالجهل بالحلم والأذى بالصبر ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة.

[٢٣] هي ﴿جَنَّتْ عَنِ﴾ إقامة ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ هم ﴿وَمَنْ صَلَحَ﴾ آمن ﴿مِنْ آبَائِهِمْ وَزُرْعَتِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ﴾ وإن لم يعملوا بعملهم، يكونون في درجاتهم تكملة لهم ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ من أبواب الجنة، أو القصور أول دخولهم للجنة^(١).

[٢٤] يقولون: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ﴾ هذا الثواب ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ بصبركم في الدنيا ﴿فَعِمَّ عَقَبَى الدَّارِ﴾ عقباكم.

[٢٥] ﴿وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ﴾ البعد من رحمة الله ﴿وَلَهُمْ سُوَةُ الدَّارِ﴾ العاقبة السيئة في الدار الآخرة، وهي جهنم.
 [٢٦] ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعهُ ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ وَلَمْ يَبْسُطِ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ﴿وَفَرَحُوا﴾ أي: أهل مكة فرح بظن ﴿بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: بما نالوه فيها ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي﴾ جنب حياة ﴿الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّعٌ﴾ شيء قليل يتمتع به ويذهب.

[٢٧] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ كالعصا والبد والناقة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾ إضلاله؛ فلا تغني عنه الآيات شيئا ﴿وَيَهْدِي﴾ يرشد ﴿إِلَيْهِ﴾ إلى دينه ﴿مَنْ أُنَابَ﴾ رجع إليه. ويبدل من ﴿مَنْ﴾: [٢٨] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ﴾ تسكن ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ يذكر الله ﴿أَيَّ﴾ وعده ﴿أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ أي: قلوب المؤمنين.

* أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِمَّا يَذْكُرُ أُولَ الْأَلْبَابِ ﴿الَّذِينَ يُوَفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْعَيْثَ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخْفُونَ سُوَةَ الْحِسَابِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُوكُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَقَبَى الدَّارِ﴾ ﴿جَنَّتْ عَنِ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴾ ﴿سَلِّمْ عَلَيْهِمْ بِمَا صَبَرُوا فَعِمَّ عَقَبَى الدَّارِ﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَنْفُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوَةُ الدَّارِ﴾ ﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرَحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّعٌ﴾ ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[١٩] ونزل في حمزة وأبي جهل^(١): ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾ فأمّن به ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَى﴾ لا يعلمه ولا يؤمن به؟ لا ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ﴾ يتعظ ﴿أُولَ الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[٢٠] ﴿الَّذِينَ يُوَفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ المأخوذ عليهم وهم في عالم النذر، أو كل

(١) لم أقف في كتب أسباب النزول أو غيرها من كتب التفسير على ما يشهد لهذا القول، والمشهور أن الآية عامة في التفريق بين المؤمنين والكافرين كما ذكر ذلك قتادة وغيره. كما في الدر المنثور وتفسير الطبري وغيرهما. والله أعلم.

(٢) ولا دليل على هذا الحصر، وظاهر إطلاق الآية - عليه المفسرون - أنه غير محصور بهذا الوقت، بل يدخلون عليهم في غيره.

وَقُولُوا الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا
بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدُ عَلِيمِ الْكِتَابِ ﴿٤٣﴾

[٤٣] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكَ: لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ لَهُمْ: كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿وَمَنْ عِنْدُ عَلِيمِ الْكِتَابِ﴾ من مؤمني اليهود والنصارى.

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ
إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١﴾
اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَقِيلَ
لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ
فَضْلَ اللَّهِ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ
قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا
اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

[مكية إلا: ﴿أَنْتُمْ تَرَىٰ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا﴾ الآيتين فمدينيتان. وآياتها:

إحدى، أو: اثنتان، أو: أربع، أو: خمس وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّ﴾ الله أعلم بمراحه بذلك، هذا القرآن ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ بأمر ﴿رَبِّهِمْ﴾ وبإذن من ﴿إِلَى النُّورِ﴾: ﴿إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقِ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْحَمِيدِ﴾ المحمود.

[٢] ﴿اللَّهُ﴾ بالجر بدل أو عطف بيان وما بعده صفة، والرفع (١) مبتدأ خبره: ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً وعبداً ﴿وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

[٣] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿يَسْتَحِبُّونَ﴾ يختارون ﴿الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ﴾ الناس ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دين الإسلام ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ السبيل ﴿عِوَجًا﴾ معوجة ﴿أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ عن الحق.

[٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ﴾ بلغة ﴿قَوْمِهِ﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ (٢) ليفهمهم ما أتى به ﴿فَضْلَ اللَّهِ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا﴾ التسع، وقلنا له: ﴿أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ﴾ بني إسرائيل ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ بنعمه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التذكير ﴿لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على الطاعة ﴿شَكُورٍ﴾ للنعم.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي در قال: قال رسول الله ﷺ: «لم يعث الله نبياً إلا بلغة قومه». (المسند ١٨٥/٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٩٧).

(١) بالرفع فراءة دفع وابن عامر.

[٦] اذْكُرْ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدْعُونَ أَبْنَاءَكُمْ إِلَى الْمُلُودِ وَاسْتَعْصِمُوا وَنَصَحُوا لِقَوْلِ الْكَاهِنِ إِنِ مَوْلَدُكُمْ يُولَدُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبَبَ ذَهَابِ مَلِكِ فِرْعَوْنَ وَفِي ذَلِكَ لَكُمْ الْإِنْجَاءُ أَوْ الْعَذَابُ بَلَاءٌ أَنْعَمَ أَوْ آتَاهُ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ .

[٧] ﴿وَلَوْ تَادَّيْتُمْ أَغْلَمَ﴾ **رَبِّكُمْ** لَئِنْ شَكَرْتُمْ **نَعْمَتِي** بِالْوَحِيدِ وَالطَّاعَةِ **لَأَرْيِدَنَّكُمْ** وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ **جَحَدْتُ** النِّعْمَةَ بِالْكَفْرِ وَالْمَعْصِيَةِ **لَأَعَذِّبَكُمْ**، دل عليه: **إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ**.

[٨] ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ﴾ لقومه: ﴿إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾
﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَذِي﴾ عن خلقه ﴿حَيْدٍ﴾ محمود في صنعه بهم.

[٩] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ استفهام تقرير ﴿رُسُلًا﴾ خبر ﴿الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ ﴿قَوْمٌ نَاجٍ وَعَادُونَ﴾ قوم هود ﴿وَرُسُودًا﴾ قوم صالح ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ لكنهم ﴿جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الواضحة على صدفهم ﴿فَذَرَوْا﴾ أي: الأمم ﴿الَّذِينَ فِي أَوَّلِهِمْ﴾ أي: إلهيا؛ ليعضوا عليها من شدة الغيظ^(١) ﴿وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾ في زعمكم ﴿وَأَنَّا لَكُنَّا مِنْكُمْ مِثْلُ آبَائِكُمْ وَمِثْلُ مَا يَدْعُونَ﴾ إلى مريب موقع في الرية.

١٠٦ ﴿قَالَتْ رَبُّهُنَّ إِلَى اللَّهِ سَبَّحْتَ﴾ استفهام إنكار؛ أي: لا شك في توحيدِه للدلائل الظاهرة عليه ﴿فَاطِرُ﴾ خالق ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ﴾ إلى طاعته ﴿لِيُفَرِّغَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ «من» زائدة فإن الإسلام يغفر به ما قبله، أو تعيضية لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُنْزِلُكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿قَالُوا إِنْ مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كُنَّا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ من الأصنام ﴿فَأَنزَلْنَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ حجة ظاهرة على صدقكم.

وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ
إِذْ أَخْرَجَكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
وَيَذْبَحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي
ذَلِكَ لَكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ
لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي
لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَى إِن نَّكَفَرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ
الَّذِينَ مِّن قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ
مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ
يَأْتِيَنَّهُمْ فَرَدُّوا أَعْيُنُهُمْ فِي غَافِلَةٍ وَقَالُوا لَوْلَا إِنَّا كَفَرْنَا
بِمَا أُرْسِلْنَا بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ ﴿٩﴾
* قَالَتْ رُسُلُهُمْ إِنِّي اللَّهُ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِّن ذُنُوبِكُمْ وَتَوَخَّوْا إِلَى أَجَلٍ
مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أُنُوسًا لَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا زَيِّدُونَ أَن تَصُدُّونَا
عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَنَا فَأَنُوسًا بِلِسَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾

(١) هذا قول ابن مسعود، وقيل: معناه أنهم أشاروا إلى أفواه الرسل بأمرונهم بالسكوت. وقيل: بل وضعوا أيديهم على أفواههم تكذيباً لهم. وقيل: بل هو عبارة عن سكوتهم عن جواب الرسل وعدم الإيمان بهم. وقيل غير ذلك.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَرَبُّرُؤُوسِ اللَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّبَعُؤُوسُ الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا إِيَّاكُمْ لَكُمْ تَبَعًا قَهْلَ أَنْتُمْ مُعْتُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَا كُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنَ مَحْجِصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مَوْأَنُفْسُكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾

[١٩] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر يا مخاطب، استفهام تقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«خلق» ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ أيها الناس ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بذلك. [٢٠] ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ شديد.

[٢١] ﴿وَرَبُّرُؤُوسِ اللَّهِ﴾ أي: الخلاق، والتعبير فيه وفيما بعده بالماضي؛ لتحقيق وقوعه ﴿وَلَهُ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّبَعُؤُوسُ﴾ الأنبياء ﴿الَّذِينَ أَسْتَكْبَرُوا﴾ المتبوعين: ﴿إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا﴾ جمع تابع ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ «من» الأولى للتبيين، والثانية للتبعيض ﴿قَالُوا﴾ المتبوعون: ﴿لَوْ هَدَّيْنَا اللَّهُ لَهْدَيْنَا كُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجْرُنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحْجِصٍ﴾ زائدة ﴿تَحْجِصُ﴾ ملجأ.

[٢٢] ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ﴾ إبليس ﴿لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار واجتمعوا عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ بالبعث والجزاء فصدقكم ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ أنه غير كائن ﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ قوة وقدرة أقهركم على متابعتي ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْ مَوْأَنُفْسُكُمْ﴾ على إجابتي ﴿مَا أَنَا بِمُصْرِحِكُمْ﴾ بمغيبكم ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِحِي﴾ بفتح الياء وكسرها^(١) ﴿إِنْ كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾ بإشراككم إياي مع الله ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٣] ﴿وَأَدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ حال مقدرة ﴿فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا﴾ من الله ومن الملائكة وفيما بينهم ﴿سَلَامٌ﴾.

[٢٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه: ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي: لا إله إلا الله ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ هي النخلة ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ في الأرض ﴿وَفَرْعُهَا﴾ غصنها ﴿فِي السَّمَاءِ﴾^(٢).

(١) فائدة أخرج البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: وأخبروني بشجرة مثلها مثل المسلم، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ولا تحترق. أي تسقط. ورقها؟. فوقع في نفسي أنها النخلة، فكرهت أن أتكلم وكنم أبو بكر وعمر، فلما لم يتكلما قال النبي ﷺ: وهي النخلة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة إبراهيم (١٤) باب (١) ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾، وأخرجه مسلم - كتاب صفات المنافقين (٥٠) باب (١٥) المؤمن مثل النخلة.

(٢) بالكسر قراءة حمزة.

تُؤْتِي أَكْهَامَهُ كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رِيَهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمِثْلُ كَلِمَةِ حَيْثَ
كَشَجَرَةٍ حَيْثَ أَجْنَحَتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ
قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ
الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ
مَا يَشَاءُ ﴿٢٧﴾ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا
وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ
الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ
تَمَتَّعُوا فَإِن مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾ قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا زَكَاةَ سِرًّا وَعَلَانِيَةً
مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ ﴿٣١﴾ اللَّهُ الَّذِي
خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ
بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ
الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

﴿٢٥﴾ ﴿تُؤْتِي﴾ تعطي ﴿أَكْهَامَهُ﴾ ثمرها ﴿كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رِيَهَا﴾ يباردته، كذلك كلمة الإيمان ثابتة في قلب المؤمن، وعمله يصعد إلى السماء ويباله بركته وثوابه كل وقت ﴿وَيَضْرِبُ﴾ بين ﴿اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يعظون فيؤمنون.

﴿٢٦﴾ ﴿وَمِثْلُ كَلِمَةِ حَيْثَ﴾ هي كلمة الكفر ﴿كَشَجَرَةٍ حَيْثَ﴾ هي الخطل ﴿أَجْنَحَتْ﴾ استوصلت ﴿مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ مستقر وثبات، كذلك كلمة الكفر لا ثبات لها ولا فرع ولا بركة.

﴿٢٧﴾ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾ هي كلمة التوحيد ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ أي: في القبر لما يسألهم الملكان عن ربهم ودينهم ونبهم فيجيبون بالصواب - كما في حديث الشيخين (١) ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾ الكفار فلا يهتدون للجواب بالصواب بل يقولون: لا ندري كما في الحديث ﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ أي: شكرها ﴿كُفْرًا﴾ هم كفار قريش ﴿وَأَسْأَلُوا﴾ أنزلوا ﴿قَوْمَهُمْ﴾ بإضلالهم إياهم ﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾ الهلاك.

﴿٢٩﴾ ﴿جَهَنَّمَ﴾ عطف بيان ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ المقر هي.

﴿٣٠﴾ ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾ شركاء ﴿لِيُضِلُّوا﴾ بفتح الباء وضمها (٢) ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿تَسْتَمُوا﴾ بدنياكم قليلاً ﴿فَإِن مَّصِيرَكُمْ﴾ مرجعكم ﴿إِلَى النَّارِ﴾.

﴿٣١﴾ ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا زَكَاةً سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِدَاءٍ فِيهِ وَلَا خِلَالَ﴾ مخالفة أي: صداقة تنفع، هو يوم القيامة.

﴿٣٢﴾ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ﴾ السفن ﴿لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ﴾ بالركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾.

﴿٣٣﴾ ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ جاريتين في فلكهما لا يفتران ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ﴾ لتسكنوا فيه ﴿وَالنَّهَارَ﴾ لتبتغوا فيه من فضله.

(١) أخرج نحوه البخاري (٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١) عن البراء بن عازب مرفوعاً.

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

وَأَن تَكُفِّرُ بَيْنَ كُلِّ مَسْأَلَةٍ ثُمَّ وَابْنُ تَعْدُوَ يُعَمِّتُ اللَّهَ
لَا تُخْصِرُهَا إِنَّا الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ
الْأَصْنَامَ ﴿٣٦﴾ رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّونَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ
تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَا
إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُورَتِي بُوَادِعَ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ
الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ
تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾
رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ
مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٣٩﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
وَهَبَ لِي عَلَى الْكَبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعٌ
الدُّعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ دُورَتِي رَبَّنَا
وَقَبِّلْ دُعَاءَ ﴿٤١﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ﴿٤٢﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ عَفْلًا عما يَعْمَلُ
الظَّالِمُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٤﴾

[٣٤] ﴿وَأَن تَكُفِّرُ بَيْنَ كُلِّ مَسْأَلَةٍ﴾ على حسب مصالحكم
﴿وَابْنُ تَعْدُوَ يُعَمِّتُ اللَّهَ﴾ بمعنى إغماحه ﴿لَا تُخْصِرُهَا﴾ لا تطبقوا عداها
﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ كثير الظلم لنفسه بالمعصية
والكفر لنعمة ربه.

[٣٥] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ مَكَّةَ
﴿آمِنًا﴾ ذا أمن، وقد أجاب الله دعاءه فجعله حرماً لا يسفك فيه دم إنسان
ولا يظلم فيه أحد ولا يصاد صيده ولا يفتل خاله (١) ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ
عَنْ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾.

[٣٦] ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ عَنْ أَنْ تَعْبُدَ
الْأَصْنَامَ﴾ أي: الأصنام ﴿أَسْلَلَنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ بعبادتهم
لها ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي﴾ على التوحيد ﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ من أهل ديني ﴿وَمَنْ عَصَانِي﴾
فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿هذا قبل علمه (٢)﴾ أنه . تعالى . لا يغفر الشرك.

[٣٧] ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ دُورَتِي﴾ أي: بعضها وهو إسماعيل مع أمه
هاجر ﴿بُوَادِعَ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾ هو مكة ﴿عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ الذي كان قبل
الطوفان ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً﴾ قلوباً ﴿مِنَ النَّاسِ تَهْوِي﴾
تميل ﴿وَحِينَ﴾ إلىهم ﴿قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ﴾ لو قال: أفئدة الناس لحنت إليه فارس
والروم والناس كلهم (٣) ﴿وَارْزُقْهُمْ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ وقد فعل
بنقل الطائف إليه (٤).

[٣٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي﴾ نسر ﴿وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ﴾
زائدة ﴿شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ يحتمل أن يكون من كلامه . تعالى .
أو كلام إبراهيم.

[٣٩] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي﴾ أعطاني ﴿عَلَى﴾ مع ﴿الْكِبَرِ﴾
إِسْمَاعِيلَ ﴿وَلَدَ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ سَنَةً﴾ وإِسْحَاقَ ﴿وَلَدَ لَهُ مِئَةٌ وَاثْنَا عَشَرَ
سَنَةً﴾ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿.

[٤٠] ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَاجْعَلْ مِنْ دُورَتِي﴾ من
يقيمها، وأنى به من لإعلام الله . تعالى . له أن منهم كفاراً ﴿رَبَّنَا وَقَبِّلْ
دُعَاءَ﴾ المذكور.

[٤١] ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ هذا قبل أن يتبين له عداوتهما لله ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾
وقيل: أسلمت أمه، وقرئ ﴿وَالِدَيَّ﴾ مفرداً ﴿وَوَلَدَيَّ﴾ (٥) ﴿وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ
يَقُومُ﴾ ثبت ﴿الْحِسَابِ﴾.

[٤٢] قال . تعالى .: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ عَفْلًا عما يَسْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾
الكافرون من أهل مكة ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ﴾ بلا عذاب ﴿لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ
الْأَبْصَارُ﴾ لهول ما ترى، يقال: شخص بصر فلان؛ أي: فتحه فلم يغمضه.

(١) أي لا يقطع حشيشة النبات بنفسه.

(٢) أو أنه يقصد العيصان غير الشرك. ويكون هذا من شفقة الخليل عليه الصلاة والسلام؛ حيث دعا للعاصين بالمغفرة والرحمة من الله بذكره هذين الاسمين الشريفين في هذا الموضع.

(٣) ذكره بهذا اللفظ ابن كثير في تفسيره (٥٢١/٢). وأخرج ابن جرير وابن المنذر والبيهقي في الشعب عن ابن عباس قال: لو كان إبراهيم عليه السلام قال: فاجعل أفئدة الناس تهوي إليهم لحججه اليهود والنصارى والناس كلهم، ولكنه قال: أفئدة من الناس، فخص به المؤمنين [الدر المنثور (١٦٢/٤)].

(٤) أي إلى الحرم، وهذا قول لا دليل عليه، والصحيح أن الله قد استجاب له بأن جعل الثمرات تجي إليه من كل مكان مصداق قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تَشْكُنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا يَجِيءُ إِلَيْكَ تَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِّن لَّدُنَّا...﴾ [القصص: ٥٧]

(٥) وهما قراعتان شاذتان.

[٤٣] ﴿مُهْلِكِينَ﴾ مسرعين، حال ﴿مُنْعِي﴾ رافعي ﴿رُءُوسِهِمْ﴾ إلى السماء ﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ بصرهم ﴿وَأَفْنَدَهُمْ﴾ قلوبهم ﴿هَوَاءَ﴾ خالية من العقل لفرعهم.

[٤٤] ﴿وَأَنْذِرْ﴾ خَوْفٌ بِأَمْرٍ مِنَ الْكَافِرِ ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا: ﴿رَبِّنا أَخْرَجَنا﴾ بَأَن تَرَدْنَا إِلَى الدُّنْيَا ﴿إِنَّ أَجَلَ قَرِيبٍ﴾ يُجِبُ دَعْوَتَكَ ﴿بِالتَّوْحِيدِ﴾ وَتَسْبِيحِ الرَّسُولِ ﴿يَقَالُ لَهُمْ تَوْبِيحًا﴾: أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ ﴿حَلَفْتُمْ﴾ بَن قَبْلَ فِي الدُّنْيَا ﴿مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ﴾ زائدة ﴿زَوَالٍ﴾ عنها إلى الآخرة.

[٤٥] ﴿وَسَكَنْتُمْ﴾ فِيهَا ﴿فِي مَسْكِنٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر من الأمم السابقة ﴿وَيَذَرُ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ﴾ من العقوبة فلم تنزعوا ﴿وَضَرَبْنَا﴾ بَيْنَا ﴿لَكُمْ الْأَمْثَالَ﴾ فِي الْقُرْآنِ، فلم تعتبروا.

[٤٦] ﴿وَقَدْ مَكَرُوا﴾ بِالنَّبِيِّ ﷺ ﴿مَكْرَهُمْ﴾ حَيْثُ أَرَادُوا قَتْلَهُ أَوْ تَقْيِيدَهُ أَوْ إِخْرَاجَهُ ﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾: أَيُّ عِلْمِهِ أَوْ جَزَاؤُهُ ﴿وَلِنْ﴾ مَا كَانَ مَكْرُهُمْ ﴿وَأَنْ عَظُمَ﴾ لِيُزِيلَ مِنْهُ الْجِبَالَ ﴿الْمَعْنَى﴾: لَا يَبْعَثُ بِهِ وَلَا يَضُرُّ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ، والمراد بالجبال هنا حقيقتها، وقيل: شرايع الإسلام المشبهة بها في القرار والثبات، وفي قراءة (١) بفتح لام ﴿لَتُزِيلَنَّ﴾ ورفع الفعل، فإِنْ مَخْفِةٌ، والمراد تعظيم مكْرهم، وقيل: المراد بالمكر كفرهم، ويناسبه على الثانية (٢): ﴿تَكْادُ السَّمَوَاتُ يَفْطُرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا﴾ (٣)، وعلى الأولى: ما قرئ (٤): ﴿وَمَا كَانَ﴾.

[٤٧] ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ خَائِفًا مِنْ دَرَجَتِهِ﴾ بالنصر ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ غالب لا يحجزه شيء ﴿ذُو أَنْتِقَارٍ﴾ بمن عساه.

[٤٨] اذْكُرْ ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ﴾ هو يوم القيامة، فيحشر الناس على أرض بيضاء نقية كما في حديث الصحيحين (٥)، وروى مسلم حديث: سئل النبي ﷺ: أَيْنَ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «عَلَى الصَّرَاطِ» (٦)، ﴿وَيَبْرَزُونَ﴾ خَرَجُوا مِنَ الْقُبُورِ ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾.

[٤٩] ﴿وَتَرَى﴾ بِأَمْرٍ مِنْ مُحَمَّدٍ، تَبْصُرُ ﴿الْمُجْرِمِينَ﴾ الْكَافِرِينَ ﴿يَوْمَئِذٍ مُّتَرَجِّينَ﴾ مُشْدُودِينَ مَعَ شَيَاطِينِهِمْ ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾ الْفُيُودِ أَوِ الْأَغْلَالِ. [٥٠] ﴿سَرَابِلُهُمْ﴾ قَمِيصُهُمْ ﴿فَمِنْ قَطِرَانٍ﴾ لِأَنَّهُ أَبْلَغُ لاشتعال النار ﴿وَتَعْنِي﴾ تَعْلُو ﴿وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾.

[٥١] ﴿لِيَجْزِيَ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِدَرَجَاتِهِمْ ﴿وَمَا كَسَبَتْ﴾ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يَحْسَابُ جَمِيعَ الْخَلْقِ فِي قَدْرِ نِصْفِ

مُهْلِكِينَ مُنْعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدَهُمْ هَوَاءَ ۖ وَأَنْذِرْ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ ۖ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرَجْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نَحْبُ دَعْوَتَكَ وَتَسْبِيحِ الرَّسُولِ ۖ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ ۖ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسْكِينَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ ۖ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ۖ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلِّفًا وَعْدِهِ رُسُلَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو أَنْتِقَامٍ ۖ يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَتَرَى لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ۖ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۖ سَرَابِلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَجُورُ وَجُوهُهُمُ النَّارُ ۖ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ۖ هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذِرُوا بِهِ ۖ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ وَحِيدٌ وَلِيَذْكُرُوا الْأَلْبَابَ ۖ

نهار من أيام الدنيا لحديث (٧) بذلك.

[٥٢] ﴿هَذَا﴾ الْقُرْآنُ ﴿بَلَاغٌ لِلنَّاسِ﴾: أَيُّ أَنْزَلَ لِبَلِيغِهِمْ ﴿وَلِيُنْذِرَ﴾ وَلِيَعْلَمُوا ۖ بِمَا فِيهِ مِنَ الْحَجَجِ ﴿وَأَنَّ مَا هُوَ إِلَهُ ۖ إِلَهُ وَحِيدٌ وَلِيَذْكُرُوا﴾ يَادْعَامُ النَّاءِ فِي الْأَصْلِ فِي الذَّلَالِ؛ يَعِظُ ﴿أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أَصْحَابُ الْعُقُولِ

(١) للكسائي.

(٢) أي: القراءة الثانية.

(٣) مرع: ٩٠.

(٤) أي: الذي قرئ، وهي قراءة شاذة؛ أي قرئ شاذًا: (وما كان مكْرهم...).

(٥) البخاري (٥٥١٠) ومسلم (١٩٤٢) عن سهل بن سعد مرفوعًا.

(٦) مسلم (١٩٤٢) من حديث عائشة.

(٧) أخرج الطبري (٢٥٩/١٩) عن إبراهيم في قوله: ﴿قَمِيصَاتُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤] قال: كانوا يرون أنه يفرغ من حساب الناس يوم القيامة في نصف قليل هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار.

وأخرج نحوه عن ابن جريج وكذلك ذكره ابن كثير عن سعيد بن عبيد (٣٠٤/٢)، وكذلك البغوي عن عطاء عن ابن عباس ومقاتل (٢٢١/٨)، وسبق بيان أن السيوطي رحمه الله قد -

سُورَةُ الْحَجَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ زُيْمَايُودُ
الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا
وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا
مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أَمْرِهِ
أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَجِرُّونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا يَأْتِيُنَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَوْ مَا تَأْتِيُنَا بِالْمَلَكِ إِنَّ كُنْتَ
مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نَزَّلَ الْمَلَكُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا
إِذَا مُنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴿٩﴾
وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ
مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ
فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾
وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾
لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَبَتْ أَنْصَبُ نَابِلٌ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

سُورَةُ الْحَجَرِ

[مكية، تسع وتسعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] الرَّاءُ: الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿ءَايَاتُ
الْكِتَابِ﴾ القرآن، والإضافة بمعنى «من» ﴿وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾ مظهر للحق من
الباطل، غطف بزيادة صفة.

[٢] ﴿زُيْمَا﴾ بالتشديد والتخفيف^(١) ﴿يُودُ﴾ يتنمى ﴿الَّذِينَ
كَفَرُوا﴾ يوم القيامة إذا عابوا حالهم وحال المسلمين ﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾
وهو ذرٌ للتكثير فإنه يكثر منهم تنمى ذلك، وقيل: للتقليل فإن الأحوال
تدهشهم فلا يفقهون حتى يتمنوا ذلك إلا في أحيان قليلة.

[٣] ﴿ذَرَهُمْ﴾ اترك الكفار يا محمد ﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾ بدنيهم
﴿وَيُلْهِمُ﴾ يشغلهم ﴿الْأَمَلُ﴾ بطول العمر وغيره عن الإيمان ﴿فَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٤] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾ زائدة ﴿قَرْيَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ﴾
أجل ﴿مَعْلُومٌ﴾ محدود لأملاكها.

[٥] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أَمْرِهِ﴾ زائدة ﴿أَمْرِهِ أَجَلُهُ وَمَا يَسْتَجِرُّونَ﴾ يتأخرون عنه.

[٦] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة للنبي ﷺ: ﴿يَأْتِيُنَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ
الذِّكْرُ﴾ القرآن في زعمه ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾.

[٧] ﴿لَوْ مَا﴾ هلاً ﴿تَأْتِيُنَا بِالْمَلَكِ﴾ إن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ في
قولك: إنك نبي وإن هذا القرآن من عند الله.

[٨] قال - تعالى -: ﴿مَا تَنْزِيلُ﴾^(٢) فيه حذف إحدى التاءين
﴿الْمَلَكِ﴾ إلا بِالْحَقِّ بالعذاب ﴿وَمَا كَانُوا إِذَا﴾ حين نزول الملائكة
بالعذاب ﴿مُنْظَرِينَ﴾ مؤخرين.

[٩] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم «إن» أو فصل^(٣) ﴿نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾ القرآن
﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ﴾ من التبديل والتحريف والزيادة والنقص.

[١٠] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ﴾ رسلاً ﴿فِي شَيْعِ﴾ فرق ﴿الْأَوَّلِينَ﴾.

[١١] ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾
كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

[١٢] ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب في قلوب أولئك
ندخله ﴿فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّمِينَ﴾ أي: كفار مكة.

[١٣] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالنبي ﷺ ﴿وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: سنة
الله فيهم من تعذيبهم بتكذيبهم أنبياءهم، وهؤلاء مثلهم.

[١٤] ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ﴾ في الباب
﴿يَعْرُجُونَ﴾ يصعدون.

[١٥] ﴿لَقَالُوا إِنَّمَا سَكَبَتْ﴾ سدت ﴿أَنْصَبُ نَابِلٌ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾
يعجل إلينا ذلك.

(١) بالتشديد. قراءة السبعة عدا نافع وعاصم.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وعندهم ﴿الْمَلَكُ﴾ بالرفع، وفراً شعبة كذلك لكن بضم التاء، وقرأ حفص وحمره والكسائي: ﴿مَا تَنْزِيلُ الْمَلَكِ﴾ بالنون ونصب ﴿الْمَلَكُ﴾.

(٣) ضمير فصل، واعتراض بأن ضمير الفصل لا يكون إلا ضمير غيبة ولا يقع إلا بين اسمين، وهنا ليس كذلك، فالأولى الاختصار على الأول.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا ۖ وَكُنتُمْ عَشَرَ اَلْجُوزَاءِ ۖ وَالسُّرَّانَ ۖ وَالْأَسَدَ ۖ وَالسَّنْبِلَةَ ۖ وَالْمِيزَانَ ۖ وَالْعُقْرَبَ ۖ وَالْقَوْسَ ۖ وَالْجُدَى ۖ وَالْأَلْدَلَى ۖ وَالْحُوتَ ۖ وَهِيَ مَنَازِلُ الْكُوكَبِ السَّبْعَةِ السَّيَّارَةِ: «المريخ» وله الحمل والعقرب، و«الزهره» ولها الثور والميزان، و«عطارد» وله الجوزاء والسنبلة، و«القمر» وله السرطان، و«الشمس» ولها الأسد، و«المشتري» وله القوس والحوت، و«زحل» وله الجدي والألدلَى ۖ وَرَزَقْنَاهَا ۖ بِالْكَوَاكِبِ ۖ لِلنَّظِيرِينَ ۖ﴾.

[١٧] ﴿وَحَفِظْنَاهَا ۖ بِالشَّهَبِ ۖ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۖ﴾ مرجوم.

[١٨] ﴿إِلَّا ۖ لَكِنْ ۖ مِنْ أَسْتَرَقَ السَّمْعَ ۖ حَفِظَهُ ۖ فَأَلْبَعَثُ شِهَابًا مُبِينًا ۖ﴾ كوكب يضيء ويحرقه أو يثقبه أو يخيله.

[١٩] ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا ۖ بَسْطَانَا ۖ وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ ۖ جِبَالًا ۖ ثَوَابِتَ ۖ فَلَا تَحْرُكُ بِأَهْلِهَا ۖ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ۖ﴾ معلوم مقدار. [٢٠] ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَنَاسِكَ ۖ﴾ بالياء (١) من الثمار والحبوب [و] جعلنا لكم ۖ مِنْ أَنْشَأْنَا لَكُمْ بَرَزَقِينَ ۖ من العبيد والدواب والأنعام فإنما يرزقهم الله.

[٢١] ﴿وَأَنْ ۖ مَا ۖ مِنْ زَائِدَةٍ ۖ شَيْءٌ ۖ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ ۖ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِهِ ۖ وَمَا نُنْزِلُهُ ۖ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ۖ﴾ على حسب المصالح.

[٢٢] ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ ۖ نَحْلَعُ السَّحَابَ فَيَمْتَلِئُ مَاءً ۖ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ السَّحَابَ مَاءً ۖ مَطَرًا ۖ فَاسْقَيْنَاكُمْ مَاءً ۖ أَنْشَأْنَا لَكُمْ يَحْيٰزِينَ ۖ﴾ أي: ليست خزائنه بأيديكم.

[٢٣] ﴿وَأِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي ۖ وَنُمِيتُ ۖ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ۖ﴾ الباقون، نرث جميع الخلق.

[٢٤] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِينَ مِنْكُمْ ۖ أَي: من تقدم من الخلق من لدن آدم (٢) ۖ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِينَ مِنْكُمْ ۖ الْمَأْخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ﴾.

[٢٥] ﴿وَأَنَّ رَبَّكَ هُوَ يُخَوِّضُهُمْ إِنَّهُمْ لَكَبِيرٌ ۖ فِي صُنْعِهِ ۖ عَلِيمٌ ۖ بِخَلْقِهِ ۖ﴾.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ۖ أَدَم ۖ مِنْ صَلْصَلٍ ۖ طِينٍ ۖ يَابِسٍ ۖ يَسْمَعُ لَهُ صَلَاسَةً إِذَا نَفَرَ ۖ مِنْ حَمَلٍ ۖ طِينٍ ۖ أَسْوَدَ ۖ مُسْنُونٍ ۖ مَغْفِرٍ ۖ﴾.

[٢٧] ﴿وَالْإِنْسَانَ ۖ أَبَا الْجَنِّ ۖ وَهُوَ إِبْلِيسُ ۖ خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ ۖ أَي: قبل خلق آدم ۖ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ۖ هِيَ نَارُ لَدَخَانٍ لَهَا تَفْذُذُ مِنَ الْمَسَامِ ۖ﴾.

[٢٨] ﴿وَوَيْلٌ ۖ لَكَ ۖ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ نَسْرًا ۖ مِنْ صَلْصَلٍ ۖ مِنْ حَمَلٍ ۖ مُسْنُونٍ ۖ﴾.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَازِقَاتٍ لِّلنَّظِيرِينَ ۖ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۖ ۝ إِلَّا مَنْ أَسْرَقَ السَّمْعَ ۖ فَاتَّبَعَهُ ۖ وَشِهَابٌ مُبِينٌ ۖ ۝ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ۖ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَاشٍ وَمَنْ لَّسْتُ لَهُ بِرَازِقِينَ ۖ ۝ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ۖ ۝ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ۖ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ۖ ۝ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِرِينَ ۖ ۝ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يُخَوِّضُهُمْ إِنَّهُ وَكِيمٌ عَلَيْهِ ۖ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ۖ ۝ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ۖ ۝ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ نَسْرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ ۖ ۝ فَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ۖ ۝ فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۖ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۖ ۝

[٢٩] ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ ۖ وَنَفَخْتُ (١) ۖ أُجْرِتُ ۖ فِيهِ مِنْ رُوحِي ۖ﴾ فصار حيًا، وإضافة الروح إليه تشريف لآدم ۖ فَقَعُوا لَكَ سَاجِدِينَ ۖ سجدوا تحية بالإنحناء.

[٣٠] ﴿فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۖ فِيهِ تَأْكِيدَانِ ۖ﴾.

[٣١] ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ ۖ هُوَ أَبُو الْجَنِّ كَانَ بَيْنَ الْمَلٰٓئِكَةِ ۖ أَيْ ۖ ائْتَمَعَ مِنْ ۖ أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ۖ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٤): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كانت امرأة تصلي خلف رسول الله ﷺ حسناء من أحسن الناس. قال: فكان بعض القوم يتقدم في الصف الأول لتلايها، ويستأخر بعضهم حتى يكون في الصف المؤخر فإذا ركع نظر من تحت إبطه، فأمر الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْبِرِينَ ۖ﴾. النسائي - كتاب الإمامة (١٠) باب (٦٢) المفرد خلف الصف. (صحيح) صحيح سنن النسائي (٨٣٨).

(١) أي: بانفلاق السبعة؛ لأنها في المفرد أصلية.

(٢) وأيضًا فالرياح بصريف الله لها تلقح الزرع والشجر، ولولا ذلك لم تنتج الحب والثمر، وعملية التلقح هذه للزرع والشجر تشبه تأثير النخل الذي يقوم به الإنسان. والله أعلم.

(٣) الذي اختاره المصنف في تفسير الآية هو ما رجحه ابن جرير **تَكَلُّفًا**، قال: دلالة ما قبله من الكلام وهو قوله: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ۖ﴾، وما بعده، وهو قوله: ﴿وَأَنَّ رَبَّكَ هُوَ يُخَوِّضُهُمْ ۖ﴾ على أن ذلك كذلك. اهـ. ولا تعارض بين حمل الآية على هذا المعنى أخذًا بالمعوم، مع صحة ما ذكر كسب للنزول، والله أعلم.

(٤) وفيها إثبات صفة النفع لله - جل في علاه -، على الوجه اللائق به سبحانه.

[٣٤] ﴿قَالَ فَخُذْ مِنْهَا﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السماوات ﴿فَإِنَّكَ نَجِيمٌ﴾ مطرود.

[٣٥] ﴿وَأَنَّ عَلَنِكَ اللَّعْنَةَ﴾ أي: لعنة الله عليك يا كافر.

[٣٦] ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي: الناس.

[٣٧] ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾.

[٣٨] ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ وقت النفخة الأولى.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ أي: يا غواث لي، والباء للقسمة وجوابه:

﴿لَأَزِيدَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ المعاصي ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: المؤمنين.

[٤١] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٤٢] ﴿هُوَ﴾ وإن عبادي: أي: المؤمنين ﴿لَكِنَّ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ قوة

﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ أَمَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ الكافرين.

[٤٣] ﴿وَأَنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ أي: من اتبعك معك.

[٤٤] ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾ أطباق ﴿لِكُلِّ بَابٍ﴾ منها ﴿يُنْتَهَمُ جُزْءٌ﴾ نصيب ﴿مَقْسُومٌ﴾.

[٤٥] ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ تجري فيها.

[٤٦] ﴿وَيَقَالُ لَهُمْ﴾: ﴿أَدْخُلُوا هَذَا بَابًا﴾ أي: سالين من كل مخوف، أو مع

سلام، أي: سلّموا، وادخلوا ﴿بِأَمْرٍ﴾ من كل فرع.

[٤٧] ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾ حقد ﴿إِخْوَانًا﴾ حال منهم

﴿عَلَى شُرَرٍ مُتَقَلِّبِينَ﴾^(٥) حال أيضا؛ أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض

لدوران الأسرة بهم.

[٤٨] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَجْوَ﴾ تعب ﴿وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ أبدا.

[٤٩] ﴿نَجْوَى﴾ خبر يا محمد ﴿عِبَادِي﴾ أي: أنا العفّور ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾

﴿الْزَّاهِقِينَ﴾ بهم.

[٥٠] ﴿وَأَنَّ عَذَابِي﴾ للعصاة ﴿هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ المؤلم.

[٥١] ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَافٍ﴾ خبر يا محمد ﴿إِذْ هَدَيْنَاهُمْ﴾ وهم الملائكة اثنا عشر أو عشرة أو

ثلاثة منهم جبريل^(٦).

قَالَ يَا بَلِيسَ مَا لَكَ لَا تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ
لِأَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ وَمِنْ صَالِحٍ مِّنْ حَمِيمِينَ ﴿٣٣﴾
قَالَ فَخُذْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ
الَّذِينَ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ
مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا
أَغْوَيْتَنِي لَأَزِيدَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ
﴿٣٩﴾ لَأَعْبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُتَّقِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ
مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ
اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾
لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ
الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ أَدْخُلُوا هَٰذَا بَابًا مِّنْ
وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ شُرُرٍ مُّتَقَلِّبِينَ
﴿٤٦﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَجَسٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٧﴾
* نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّ عَذَابِي
هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٤٩﴾ وَنَبِّئُهُمْ عَنْ صَافٍ إِذْ هَدَيْنَاهُمْ ﴿٥٠﴾

[٣٢] ﴿قَالَ﴾ تعالى: ﴿يَا بَلِيسَ مَا لَكَ﴾ ما منعك ﴿أَنْ﴾ لا: زائدة
﴿تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾.

[٣٣] ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدْ﴾ لا ينبغي لي أن أسجد ﴿لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ
صَالِحٍ مِّنْ حَمِيمِينَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن يزيد بن زريع: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ﴾... أن أبا سعيد الخدري رحمه الله قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيفقد بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا وهُزوا أدن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدي بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا». البخاري - كتاب الرقاق (٨١) باب (٤٨) القصص يوم القيامة.

(٦) ذكر عددهم ليس عليه دليل صحيح، وليس منه كبير فائدة.

[٧٨] ﴿وَإِنْ﴾ مخففة؛ أي: إنه ﴿كَانَ أَصْحَبُ الْأَيْكَةِ﴾ هي غيضة شجر بقرب مدين، وهم قوم شعيب ﴿ظَالِمِينَ﴾ بتكذيبهم شعيباً.

[٧٩] ﴿وَلَا تَقْنَطُوا مِنْهُمْ﴾ بأن أهلكتهم بشدة الحر ﴿وَلَا يَهْمُكُمُ أَيُّ قَوْمٍ لَوْطُ وَالْأَيْكَةِ﴾^(١) طريق ﴿يَمِينٍ﴾ واضح، أفلا تعتبرون بهم يا أهل مكة؟! [٨٠] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْمَجِزِ﴾ واد بين المدينة والشام، وهم ثمود ﴿الْمُرْسَلِينَ﴾ بتكذيبهم صالحاً؛ لأنه تكذيب لباقى الرسل لاشتراكهم في الحجىء باتوحيده.

[٨١] ﴿وَأَلَيْسَ لَهُمْ آيَاتُنَا﴾ في الناقة ﴿فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ لا يتفكرون فيها.

[۸۲] ﴿وَكُنَّا يَنْحَشُونَ مِنَ الْجِبَالِ يُوْتًا ؕ اٰمِيْنَ﴾ .

[٨٣] ﴿فَاخَذَتْهُمْ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ﴾ وقت الصباح.

[٨٤] ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ دَفْعُ عَنْهُمْ﴾ العذاب ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من بناء الحصون وجمع الأموال.

[٨٥] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ﴾ لا محالة فيجازي كل أحد بعمله ﴿فَأَصْحَفُ﴾ يا محمد عن قولك ﴿الْصَّحِّفُ الْجَبِيلُ﴾ أعرض عنهم إعراضاً لا جزع فيه، وهذا منسوخ بآية السيف.

[۸۶] ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ﴾ لكل شيء ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

[٨٧] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الثَّمَانِي﴾ قال عليه السلام: «هي الفاتحة» رواه الشيخان^(٣)؛ لأنها تنشئ في كل ركعة ﴿وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾.

[٨٨] لَا تَدْعُ عَيْنَكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا ۖ أَصْنَافًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ۚ إِن لَّمْ يَأْمُرُوا بِكَ بِشَيْءٍ مِّنْهُ فَاصْنُفِ لَهُمْ ۚ وَاصْصِرْ صَبْرًا ۚ إِنَّكَ لِلْمُؤْمِنِينَ

[٨٩] ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ﴾ من عذاب الله أن ينزل عليكم ﴿الْمُصِيطُ﴾ البين الإنذار.

[٩٠] ﴿كَمَا أُنْزِلْنَا﴾ العذاب ﴿عَلَى الْمُفْتَسِمِينَ﴾^(٥) اليهود والنصارى.

قَالَ هَؤُلَاءِ بِنَاقٍ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٧٠﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ
يَعْمَهُونَ ﴿٧١﴾ فَأَخَذَهُمُ الصَّبْحَةُ مُسْرِقِينَ ﴿٧٢﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمَا
سَافِلًا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٤﴾ وَإِنَّا لَلسَّيْلُ مُقِيمٌ ﴿٧٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٦﴾ وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أَظْلَمِينَ ﴿٧٧﴾
فَاتَّقِمُوا فَنفَعَهُمْ وَإِنَّمَا إِلَهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٨﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ
الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَاقِبْنَاهُمْ عَائِتِفًا فَكَانُوا عَنَّا مُعْرِضِينَ
﴿٨٠﴾ وَكَانُوا يَتَحَوَّنَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوءُونَ أَن مِّنْ دُونِهَا
لِلصَّبْحَةِ مِصْبِحِينَ ﴿٨١﴾ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾
وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ
السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿٨٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
الْحَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَلَقَدْ عَاقَبْنَاكَ سَبْعًا مَّرَّةً أَلْمَسَانِي
وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿٨٥﴾ لَا تُمَدِّدْ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا
مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٦﴾ وَقُلْ
إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ ﴿٨٧﴾ كَمَا أَنزَلْنَاهُ عَلَى الْمُقْسَمِينَ ﴿٨٨﴾

[٧١] ﴿قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ ما تريدون من قضاء الشهوة
فتزوجهن.

[٧٢] قال - تعالى :- ﴿لَعَمْرُكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ أي: وحياتك ^(١) ﴿إِنَّهُمْ

[٧٣] ﴿فَاخَذَهُمْ﴾ الصَّيْحَةُ ﴿صَبِيحَةُ﴾ جبريل ﴿مُشْرِقِينَ﴾ وقت شروق الشمس.

[٧٤] ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا﴾ أي: قرامم ﴿سَافِلَهَا﴾ بأن رفعها جبريل إلى السماء وأسقطها مقلوبة إلى الأرض. ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سَحَابٍ﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: **﴿كَمَا أَرْسَلْنَا عَلَى الْمُقْتَبِينَ﴾** قال: هأنوا ببعض وكفروا ببعض: اليهود والنصارى. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجر (١٥) باب (٤) **﴿الَّذِينَ جَاءُوا الْقُرْآنَ عَنْ عِينٍ﴾**. ويؤخذ من هذا أن **﴿الْمُتَّقِينَ﴾** من القصة؛ أي فروا وقسموا ما أُنزل عليهم فأَنُوا بعضه وكفروا بعضه.

وقال البخاري: **﴿الْمُتَّقِينَ﴾** الذين حلفوا. قال حافظ في الفتح (٢٣٤/٨): وهكذا جعل المقتسمين من القسم بمعنى الحلف، والمعروف أنه من القصة، وبه جزم الطبري وغيره، وسياق الكلام يدل عليه....

وقال ابن كثير: ﴿الْمُفْتَسِمِينَ﴾ أي المتحالفين؛ أي تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وأذاهم... تفسير ابن كثير (٥٣٨/٢).

(١) ولله سبحانه أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وليس ذلك للبشر، فلا يجوز لهم الحلف إلا بخالقهم ﷻ. (٢) أي: وأصحاب الأيكة.

(٣) سبق تخريجه في أول سورة الفاتحة.

الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْعَانَ عِصِيَةً ﴿٩١﴾ فَوَرَّيَاكَ لِنِسَاءِنَهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَأَصْدَعَ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرَضَ
عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٩٥﴾ الَّذِينَ
يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ
أَنَّكَ بِضَيْقِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ
مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سُورَةُ النَّحْلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنِّي أَمُرُ اللَّهَ فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرَكُونَ
﴿٩١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٩٢﴾ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرَكُونَ ﴿٩٣﴾ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا نَنْعَمُ
خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دَفْعٌ وَمَنْعَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ
﴿٩٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَعُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٩٦﴾

[٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مَنِيٍّ إِلَى أَنْ صِيرَهُ قُوًيًا شَدِيدًا ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شَدِيدُ الْخُصُومَةِ ﴿مُبِينٌ﴾ بَيِّنٌ ﴿٩٤﴾ فِي نَفْيِ الْبَعْثِ قَائِلًا: ﴿مَنْ يُبْخِي أَلْعَلَّظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ (٥).

[٥] ﴿وَأَلْأَنْتُمْ﴾ الْإِبِلَ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَنَصَبَهُ بِفَعْلٍ مَقْدَرٍ يَفْسِرُهُ: ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾ مِنْ جَمَلَةِ النَّاسِ (٦) ﴿فِيهَا دَفْعٌ﴾ مَا تَسْتَدْفِقُونَ بِهِ مِنَ الْأَكْسِيَةِ وَالْأَرْدَةِ مِنْ أَشْعَارِهَا وَأَصْوَابِهَا ﴿وَمَنْعَعٌ﴾ مِنَ النَّسْلِ وَالْذَّرِّ وَالرَّكُوبِ ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ قَدَمُ الظَّرْفِ لِلْفَاصِلَةِ (٧).

[٦] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ﴾ زِينَةٌ ﴿حِينَ تُرْجَعُونَ﴾ تَرْجِعُهَا إِلَى مَرَايحِهَا بِالْعَشِيِّ ﴿وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾ تَخْرِجُهَا إِلَى الْمَرْعى بِالْغَدَاةِ.

[٩١] ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْفُرْعَانَ﴾ أَي: كَتَبَهُمُ الْمَزَلَةَ عَلَيْهِمْ ﴿عِصِيَةً﴾ أَجْزَاءً، حَيْثُ آمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ (١)، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِمُ الَّذِينَ اقْتَسَمُوا طَرُقَ مَكَّةَ يَصُدُّونَ النَّاسَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْقُرْآنِ: سَحَرُ، وَبَعْضُهُمْ: كِهَانَةٌ، وَبَعْضُهُمْ شَعْرُ.

[٩٢] ﴿فَوَرَّيَاكَ لِنِسَاءِنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ سَوَالُ تَوْخِيحٍ.

[٩٣] ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٩٤] ﴿فَأَصْدَعَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿بِمَا تُؤْمَرُ﴾ بِهِ؛ أَي: أَجْهَرَ بِهِ وَأَمْضَاهُ ﴿وَأَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ هَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْجِهَادِ.

[٩٥] ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ بِكَ يَا هَلَاكُنَا كُلَّاهُمْ بِآفَةٍ، وَهُمْ الْوَلِيدُ ابْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ، وَعَدِي بْنُ قَيْسٍ، وَالْأَسُودُ بْنُ الْمَطْلَبِ، وَالْأَسُودُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثٍ (٢).

[٩٦] ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ صَفَةً، وَقِيلَ: مُبْتَدَأٌ، وَلْتَضْمَنَهُ مَعْنَى الشَّرْطِ دَخَلَتْ الْفَاءُ فِي خَبَرِهِ وَهِيَ: ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عَاقِبَةُ أَمْرِهِمْ.

[٩٧] ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ﴾ لِلتَّحْقِيقِ ﴿نَعْلَمُ أَنَّكَ بِضَيْقِ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ مِنَ الْاسْتِهْزَاءِ وَالتَّكْذِيبِ.

[٩٨] ﴿فَسَبِّحْ﴾ مُلْتَبِسًا ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أَي: قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ ﴿وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ الْمُسْلِمِينَ.

[٩٩] ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ الْمَوْتَ.

سُورَةُ النَّحْلِ

[مَكَّةَ إِلَّا: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ﴾ إِلَى آخِرِهَا.

مائة وثمان وعشرون آية، نزلت بعد الكهف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] لَمَّا اسْتَبَطَّ الْمُشْرِكُونَ الْعَذَابَ نَزَلَ: ﴿إِنِّي أَمُرُ اللَّهَ﴾ أَي: السَّاعَةَ، وَأَتَى بِصِبْغَةِ الْمَاضِي لِتَحْقِيقِ وَقْعِهِ؛ أَي: قَرِيبَ ﴿فَلَا تَسْتَعِجِلُوهُ﴾ تَطْلُبُوهُ قَبْلَ حِينِهِ فَإِنَّهُ لَا مُحَالَةَ ﴿سَتَجِدُنَهُ﴾ تَنْزِيلَهَا لَهُ ﴿وَتَعْلَى عَمَّا يُشْرَكُونَ﴾ بِهِ غَيْرُهُ.

[٢] ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾ أَي: جِبْرِيلَ ﴿بِالرُّوحِ﴾ بِالْوَحْيِ ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ بِإِرَادَتِهِ (٣) ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ ﴿أَنْ﴾ مَفْسُورَةٌ ﴿أَنْذِرُوا﴾ خَوْفُوا الْكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ وَأَعِمْوهُمْ ﴿أَنْتُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ خَافُونَ.

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أَي: مُحَقَّقًا ﴿تَعَالَى عَمَّا يُشْرَكُونَ﴾ بِهِ مِنَ الْأَصْنَامِ.

(١) هَذَا قَوْلُ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَمَا أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ (١٧٣/٥ - ١٧٤ رَقْم ٤٩٨٦)، وَابْنُ أَبِي حَتْمٍ فِي دَلَالِ الْبُيُوتِ (٣١٦/٢ - ٣١٧)، وَالضَّيَاءُ الْقُدْسِيُّ فِي الْأَحَادِيثِ الْخَاتِرَةِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقَالَ الْهَيْثَمِيُّ فِي الْجَمْعِ (٧/ ٤٧): «فَهِىَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْحَكِيمِ النِّسَابُورِيُّ، وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبِفِيهِ رَجَالُهُ ثَقَاتٌ رِجَالُ الصَّحِيحِ». وَحَسَنَةُ السُّيُوطِيُّ فِي الدَّرِّ الْمَثُورِ (١٠١/٥)، وَصَحَّحَهُ الضَّيَاءُ الْقُدْسِيُّ.

(٣) وَالْأَمْرُ غَيْرُ الْإِرَادَةِ، وَالصُّوَابُ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ الْمُرَادَ مِنَ الْأَمْرِ كَلَامُ اللَّهِ وَحُكْمُهُ، وَالْأَشْتَرُ بِتَحَاشُونَ مِنْ إِثْبَاتِ حَقِيقَةِ الْكَلَامِ لِلَّهِ شَيْخَانَةً.

(٤) أَي: يَبَيِّنُ الْخُصُومَةَ.

(٥) يَس: ٧٨.

(٦) يُشِيرُ إِلَى أَنَّ الْحِطَابَ فِي ﴿لَكُمْ﴾ لِقَرِيشٍ، وَالصُّوَابُ حَمَلُهَا عَلَى الْعُمُومِ.

(٧) أَي: مِرَاعَاةَ لِرِعَاسِ الْآيِ.

لَرَوْفٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ بكم؛ حيث خلقها لكم.

[٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَالْحَمِيرَ لِرَكْبِكُمْ وَزِينَةً﴾ مفعول له، والتعليل بهما بتعريف النعم لا ينافي خلقها لغير ذلك كالأكل في الخيل الثابت بحديث الصحيحين^(١) ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الأشياء العجيبة الغريبة.

[٩] ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾ أي: بيان الطريق المستقيم ﴿وَمِنْهَا﴾ أي: السبيل ﴿جِبَارٌ﴾ حائد عن الاستقامة ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ هدايتكم ﴿لَهَدَّكُمْ﴾ إلى قصد السبيل ﴿أَجْمِينَ﴾ فتهتدون إليه باختيار منكم.

[١٠] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ﴾ تشربونه ﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ ترعون دوابكم.

[١١] ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لَآيَةٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةٍ﴾ دالة على وحدانيته تعالى ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ في صنعه فيؤمنون.

[١٢] ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ﴾ بالنصب عطفاً على ما قبله، والرفع: مبتدأ ﴿وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾ بالوجهين^(٢) ﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾ بالنصب حال، والرفع خبر ﴿يَأْتِيهِ﴾ بإرادته^(٣) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[١٣] ﴿وَمَا ذَرَأَ﴾ خلق ﴿لَكُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات وغير ذلك ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَنَهُ﴾ كأحمر وأصفر وأخضر وغيرها ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾ يتعظون.

[١٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْيَمِينَ﴾ ذلك لركوبه والغوص فيه ﴿لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي اللؤلؤ والمرجان ﴿وَتَرَى﴾ تبصر ﴿فَالْفُلْكَ﴾ السفن ﴿مُؤَاخِرِينَ فِيهِ﴾ تمر الماء؛ أي: تشقه بجزئها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة ﴿وَلِتَسْتَخْرِجُوا﴾ عطف على ﴿لِتَأْكُلُوا﴾؛ طلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ تعالى بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِلَاغِهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوِّفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْإِبِلَ وَالْحَمِيرَ لِرَكْبِكُمْ وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جِبَارٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْيَمِينَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

[٧] ﴿وَتَحْمِلْ أَثْقَالَكُمْ﴾ أحمالكم ﴿إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِلَاغِهِ﴾ واصلين إليه على غير الإبل ﴿إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ﴾ بجهدا ﴿إِنَّ رَبَّكُمْ

(١) وهو حديث أسماء: نحرنا على عهد رسول الله ﷺ فرشا ونحن بالمدينة فأكلناه. البخاري (٥٥١١)، ومسلم (١٩٤٢).

(٢) أي بالنصب والرفع، وقرأ ابن عامر بالرفع في الأربعة كلمات، ووافقه حفص في ﴿وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ﴾، وقرأ السبعة عدا حفص وابن عامر بالنصب في الأربعة.

(٣) الأمر غير الإرادة. وراجع التعليق على الآية رقم (٢).

تخالفون المؤمنين ﴿فبهم﴾ في شأنهم ﴿قَالَ﴾ أي: يقول ﴿الَّذِينَ أَوْثَرُوا آلَهُمْ﴾ من الأنبياء والمؤمنين: ﴿إِنَّ الْآخِرَىٰ أَلْوَمُ وَالسَّوَاءُ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ يقولونه شمانية بهم.

[٢٨] ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمْ﴾ بالتاء والياء (١) ﴿الْمَلَائِكَةُ طَالِعَاتُ أَنْفُسِهِمْ﴾ بالكسر ﴿فَالْقَوْلُ السَّعِيرُ﴾ انقادوا واستسلموا عند الموت قائلين: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾ شرك، فتقول الملائكة: ﴿بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[٢٩] ويقال لهم: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

[٣٠] ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك: ﴿مَاذَا أُنْزِلَ رِزْقُكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ بالإيمان ﴿فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ حياة طيبة ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ﴾ أي: الجنة ﴿خَيْرٌ﴾ من الدنيا وما فيها، قال - تعالى - فيها: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾ هي.

[٣١] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ إقامة، مبتدأ، خبره: ﴿يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ لهم فيها ما يشاءون ﴿كَذَلِكَ﴾ الجزاء ﴿يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٣٢] ﴿الَّذِينَ﴾ نعت ﴿تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ طاهرين من الكفر ﴿يَقُولُونَ﴾ لهم عند الموت: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ ويقال لهم في الآخرة: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٣٣] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ينتظر الكفار ﴿إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ﴾ بالتاء والياء (٢) ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾ لقبض أرواحهم ﴿أَوْ يَأْتِي أَمْرٌ رَبِّيكَ﴾ العذاب أو القيامة المشتعلة عليه ﴿كَذَلِكَ﴾ كما فعل هؤلاء ﴿تَعْمَلُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم كذبوا رسلهم فأهلكوا ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾ بإهلاكهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بالكسر.

[٣٤] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ ما كانوا يو. يستهزون ﴿أي: العذاب.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْآخِرَىٰ أَلْوَمُ وَالسَّوَاءُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَالِمَاتٍ أَنْفُسُهُمْ فَاقْرَأُوا عَلَيْهِمْ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أُنْزِلَ رِزْقُكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبَاتٍ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّيكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٤﴾

[٢٧] ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ﴾ بذلهم ﴿وَيَقُولُ﴾ الله لهم على لسان الملائكة توبيخاً (١): ﴿أَيْنَ شُرَكَائِيَ﴾ برعكم ﴿الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ﴾

(١) وهذا تأويل يظهر الآية بغير دليل، وَقَعَ لذلك مذهبه في نفي صفة القول والكلام عن الله ﷻ، وهو ما بينه السلف الصالح على الوجه اللائق به - شيخنا.

(٢) بالياء قراءة حمزة.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَى: كذبوا رسلكم فيما جاءوا به ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ لا البلاغ البين، وليس عليهم الهداية. ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا كَمَا بَعَثْنَا فِي هَؤُلَاءِ أَنْبِيَاءَ أَى: بَنَ ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وَخُذُوهُ ﴿وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ الْأَوثَانَ أَنْ تَعْبُدُوهُ ﴿فَيَهْدِيهِمْ مَن هَدَى اللَّهُ﴾ فَمَنْ ﴿وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾ فِي عِلْمِ اللَّهِ فَلَمْ يُؤْمِنْ ﴿فَسَبُّوهُ﴾ يَا كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾ رَسُولُهُ مِنَ الْهَلَاكِ. ﴿٣٧﴾ إِنْ تَحَرَّضْ يَا مُحَمَّدٌ ﴿عَلَى هُدْيِهِمْ﴾ وَقَدْ أَضْلَمَهُمُ اللَّهُ، لَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْهَادِينَ﴾ بِالْبَنَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَلِلْفَاعِلِ (٢) مَن يُضِلُّ ﴿مَنْ يَرِيدُ ضَلَالَهُ﴾ وَمَا لَهُمْ مِنْ تَنْصِيرٍ ﴿مَنْعِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾.

﴿٣٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَى: غَايَةَ اجْتِهَادِهِمْ فِيهَا لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ ﴿قَالَ تَعَالَى: ﴿سَكَنَ﴾ يَعْنِيهِمْ ﴿وَعَدًا عَلَيْهِمْ حَقًّا﴾ مَصْدَرَانِ مُؤَكَّدَانِ مَنْصُوبَانِ بِفَعْلِهِمَا الْمَقْدَرُ؛ أَى: وَعَدَ ذَلِكَ وَحَقُّهُ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ أَى: أَهْلُ مَكَّةَ (٣) لَا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ. ﴿٣٩﴾ يُسَبِّحُ ﴿مَتَلَقٌ بِإِيعَازِهِمْ﴾ الْمُقَدَّرُ ﴿لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ﴾ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿فِيهِ﴾ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ تَعْدِيهِمْ وَإِثَابَهُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ﴾ فِي إِنْكَارِ الْبَعْثِ. ﴿٤٠﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَى: أَرَدْنَا إِيجَادَهُ، وَقَوْلُنَا مُبْتَدَأُ خَبْرِهِ: ﴿أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أَى: فَهُوَ يَكُونُ، وَفِي قِرَاءَةِ بِالنَّصْبِ (٤) عَطْفًا عَلَى «نَقُولُ»، وَالآيَةُ لِتَقْرِيرِ الْقُدْرَةِ عَلَى الْبَعْثِ.

﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى اللَّهِ ﴿لِقَامَةِ دِينِهِ﴾ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا بِالْأَذَى مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَهُمْ: النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْحَابُهُ ﴿لَنَبِّئَنَّهُمْ﴾ نَنْزِلُهُمْ ﴿فِي الدُّنْيَا﴾ دَارًا ﴿حَسَنَةً﴾ هِيَ الْمَدِينَةُ ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الْأَخْرَى﴾ أَى: الْجَنَّةَ ﴿أَكْبَرَ﴾ أَعْظَمَ ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أَى: الْكُفَّارَ، أَوْ الْمُتَخَلِّفُونَ عَنِ الْهَجْرَةِ مَا

للمهاجرين من الكرامة لوافقوهم.

[٤٢] هُمُ «الَّذِينَ صَبَرُوا» عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْهَجْرَةِ لِإِظْهَارِ الدِّينِ ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ فَيَرْزُقُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ.

(١) البحائر والسوائب هي: جميع «بحيرة» و«سائية»، وتقدم تفسير معناه في سورة المائدة آية (١٠٣).

(٢) البناء للمفعول قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، على معنى من أضله الله لم يهده هاد، وأما على قراءة البناء للفاعل؛ فالعنى: لا يرشد من أضله، أى إن الله لا يهدي من سبق في علمه سبحانه أنه من أهل الضلالة.

(٣) لصواب في هذا ونحوه مما يرد في كلام بعض المفسرين من تخصيص للفظ الناس أو الإنسان: القول بالعموم وإطلاق ما أطلقه الله.

(٤) بلعكاشي وابن عامر.

[٤٥] ﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا﴾ المَكَرَاتِ ﴿الْمَكِيدَاتِ﴾ بالنسي في دار الندوة من تقيده أو قتله أو إخراجهم، كما ذكر في الأنفال ﴿أَنْ يَخَيَّفَ اللَّهُ بِهِمُ الْاَرْضَ﴾ كفارون ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: من جهة لا تخطر بالبال، وقد أهلكوا بلدر ولم يكونوا يقدرون ذلك.

[٤٦] ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ﴾ في أسفارهم للتجارة ﴿فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفاتحي العذاب.

[٤٧] ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ﴾ تَقْصُ شَيْئًا فشيئًا، حتى يهلك الجميع (١)، حال من الفاعل أو المفعول ﴿فَإِنْ رَزَقَكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

[٤٨] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ له ظل كشجرة وجبل ﴿يَفْتَقِدُوا﴾ تتميل ﴿ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ﴾ جمع شمال؛ أي عن جانبيهما أول النهار وآخره ﴿سَجْدًا لِلَّهِ﴾ حال؛ أي: خاضعين لله بما يراد منهم ﴿وَهُمْ﴾ أي: الظلال ﴿ذَخِرُونَ﴾ صاغرون، نُزِّلُوا منزلة العقلاء.

[٤٩] ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ نسمة تدب عليها؛ أي: تخضع له بما يراد منها، وغلب في الإنيان بما لا يعقل لكثرة ﴿وَالْمَلَائِكَةِ﴾ خصصهم بالذكر تفضيلاً ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ يتكبرون عن عبادته.

[٥٠] ﴿يَخَافُونَ﴾ أي: الملائكة، حال من ضمير «يستكبرون» ﴿رَبِّهِمْ مِنْ قُوَّتِهِ﴾ حال من «هم»؛ أي: عاليًا عليهم بالقهر (٢) ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ به.

[٥١] ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ تأكيد ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ أتى به لإثبات الإلهية والوحدانية ﴿فَإِنِّي فَازِهِبُونَ﴾ خافون دون غيري، وفيه التفات عن الغيبة.

[٥٢] ﴿وَلَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا وعبيدًا ﴿وَلَهُ الدِّينُ﴾ الطاعة ﴿وَاصْبِرُوا﴾ دائمًا، حال من «الدين»، والعامل فيه معنى الظرف ﴿أَفَعَبَّرَ اللَّهُ بُنُفُوقَ﴾ وهو الإله الحق ولا إله غيره، والاستفهام للإنكار والتوبيخ.

[٥٣] ﴿وَمَا يَكُمُ مِنْ يَقَمَرٍ فَجَنَ اللَّهُ﴾ لا يأتي بها غيره، و«ما» شرطية أو موصولة ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ﴾ أصابكم ﴿الْضَّرُّ﴾ الفقر ﴿فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون غيره.

[٥٤] ﴿ثُمَّ إِذَا كُتِفَ الضَّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَتَسْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ ﴿١﴾ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْيِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَاهُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٤﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتَّوْا ظِلُّهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٧﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُوَّتِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٨﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازَهُبُونَ ﴿٩﴾ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَكُمُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فَأَلَيْهِ تَجْتَرُونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضَّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾

[٤٣] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ﴾ لا ملائكة ﴿فَتَسْلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالتوراة والإنجيل ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْمُونَ﴾ ذلك فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد ﷺ.

[٤٤] ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: أرسلناهم بالحجج الواضحة ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ فيه من الحلال والحرام ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في ذلك فيعتبرون.

(١) والقول الآخر: أي: في حال خوفهم.

(٢) فُتِّرَ المَلَأُ عَلَى عِلْوِ قَهْرٍ فَقَطْ غَيْرُ صَحِيحٍ، وَمَذْهَبُ السَّلَفِ إِثْبَاتُ جَمِيعِ حِصَالِ الْعُلُوِّ لَهُ . شَيْخَانَهُ : عُلُوُّ الشَّأْنِ، وَعُلُوُّ الْقَهْرِ، وَعُلُوُّ الذَّاتِ.

أولون، وهو بينهما ﴿سَاءَ لِلْكَافِرِينَ﴾ سهل المرور في حلقهم لا يغص به. [٦٧] ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ ثمر ﴿تَنَجِدُونَ مِنْهُ سَكْرًا﴾ خمرا يسكر، سميت بالمصدر، وهذا قبل تحريرها ﴿وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ كالتمر والنبيب والحل والدبس^(١) ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على قدرته - تعالى - ﴿لَقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

[٦٨] ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾ وحي إلهام ﴿أَنِ﴾ مفسرة أو مصدرة ﴿اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ تأوين إليها ﴿وَمِنَ الشَّجَرِ﴾ بيوتا ﴿وَمِمَّا يَخْرِشُونَ﴾ أي: الناس.

[٦٩] ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي﴾ ادخلي ﴿سُبُلَ رَبِّكِ﴾ طرقه في طلب المرعى ﴿ذَلِكُمْ﴾ جمع ذلول، حال من السبل؛ أي: مسخرة لك فلا تغشرك عليك وإن توغرت ولا تضلي على العودة منها وإن بعدت، وقيل: من الضمير في «اسلكي»؛ أي: منقادا لما يراود منك ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ﴾ هو العسل ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ من الأوجاع؛ قيل: لبعضها كما دل عليه تنكير «شفاء»، أو لكلها بضميمته إلى غيره. أقول: وبدونها بنيت^(٢)، وقد أمر به ﷺ من استطلق عليه بطنه [رواه الشيخان]^(٣) ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ لَآيَةً ﴿لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في صنعه تعالى.

[٧٠] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ شَيْئًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَكُمْ﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ أي: أخسسه من الهرم والخرف ﴿لَكِنْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ قال عكرمة: من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بتدبير خلقه ﴿وَكَبِيرٌ﴾ على ما يريد^(٤).

[٧١] ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى الْآخَرِ فِي الْآزْرِ﴾ فمنكم غني وفقير، ومالك ومملوك ﴿فَمَا آتَيْتَ فَضْلًا﴾ أي: الموالي ﴿بِرَأْيِ رِزْقِهِمْ﴾ على ما ملكت أيمنهم؛ أي: بجاعلي ما رزقناهم شركة بينهم وبين ممالكهم ﴿فَهُمْ؟﴾ أي: الممالك والموالي ﴿فِيهِ سَوَاءٌ﴾ شركاء، المعنى: ليس لهم شركاء من ممالكهم في أموالهم، فكيف يجعلون بعض ممالك الله شركاء له؟ ﴿أَفَتَبِيعُوا اللَّهَ بِمَكْرُوهٍ﴾ يكفرون؛ حيث يجعلون له شركاء.

[٧٢] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلق حواء من ضلع آدم، وسائر الناس من نطف الرجال والنساء ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَدَّةٍ﴾ أولاد الأولاد ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ من أنواع الثمار والحبوب والحيوان ﴿أَفَبِالْبَاطِلِ﴾ الصنم ﴿يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَتِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم.

وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿وَأَنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبَةٌ تَتَشَفَّيْكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ قَرْنٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكْرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلَالًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لِأَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَأْيِ رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَتَبِيعُوا اللَّهَ يَخْبُرُونَ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَدَّةٍ وَرِزْقًا وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٦٥﴾﴾

[٦٥] ﴿وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يسها ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَةً﴾ دالة على البعث ﴿لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر.

[٦٦] ﴿وَأَنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبَةٌ﴾ اعتبار ﴿تَتَشَفَّيْكُمْ﴾ بيان للعبرة ﴿بَيْنَ قَرْنٍ﴾ ثعل بطنه. أي: الأنعام ﴿وَمِنْ﴾ للابتداء متعلقة بـ ﴿تَتَشَفَّيْكُمْ﴾ ﴿بَيْنِ قَرْنٍ﴾ ثعل الكرش ﴿وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا﴾ لا يشوبه شيء من الفرت والدم من طعم أو ريح

(١) هو غسل الرطب، ويطلق على غسل العنب.

(٢) أي: يبيح الشفاء الجارمة أن الله يخلق الشفاء عند استعجاله لإخياره - تعالى - بذلك.

(٣) البخاري (٥٢٧٧)، ومسلم (٤١٠٧) عن أبي سعيد الخدري مرفوعا.

(٤) الأولى الإطلاق، فهو سبحانه قدير على كل شيء يريد^(٤) أو لا يريد.

[٧٣] ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمٰوٰتِ وَلَا الْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بالمر بالارض والانس شيئا بدل من رزقا ولا يستطيعون يقدرون على شيء وهو الأصنام.
 [٧٤] ﴿فَلَا تَضْرِبُوا يَدَيْهِ أَلْمَنَٰلَ﴾ لا تجعلوا لله أشباها تشركونهم به إن الله يعلم أن لا مثل له وإنشأ لا تعلمون ذلك.

[٧٥] ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه، عبدا مملوكا صفة تميزه من الحرة فإنه عبد الله لا يقدر على شيء لعدم ملكه ومن نكرة موصوفة أي: حوا رزقته مئارا رزقا حسنا فهو ينفق منه سيرا وجهرا أي: يتصرف فيه كيف يشاء، والأول مثل الأصنام، والثاني مثله تعالى (١) هل يستوي؟ أي: العبد العجزة والحر المتصرف؟ لا الحمد لله وحده بل أكثرهم أي: أهل مكة لا يعلمون ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

[٧٦] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه: رجلين أحدهما أبكم ولد أحرس لا يقدر على شيء لأنه لا يفهم ولا يفهم وهو كلف ثقيل على مولده ولي أمره أينما يوجهه يصرفه لا يأتي منه يخبر بشيء (٢)، وهذا مثل الكافر هل يستوي هو؟ أي: الأبيكم المذكور ومن يأمر بالعدل أي: ومن هو ناطق نافع للناس حيث يأمر به ويحث عليه وهو على صراط طريق مستقيم وهو الثاني المؤمن؟ لا، وقيل: هذا مثل الله، والأبيكم للأصنام (٣)، والذي قبله مثل الكافر والمؤمن.
 [٧٧] ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: علم ما غاب فيهما وما أسر الساعة إلا كلف الأبصر أو هو أقرب لأنه بلفظ: كن فيكون إن الله على كل شيء قدير.

[٧٨] ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ الجملة حال وجعل لكم السمع بمعنى الأصماع والأبصر والأفيدة القلوب لعلكم تشكروا لله على ذلك فتؤمنون.

[٧٩] ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ مِّن دُونِهِ لِلطَّيْرِ فِي جَوْ السَّمَاءِ﴾ أي: الهواء بين السماء والأرض مما يطيعهم عند قبض

ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيئا ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الألمان إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون * ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء ومن رزقته مئارا رزقا حسنا فهو ينفق منه سيرا وجهرا هل يستوي الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون * وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلف على مولده أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم * والله عيب السموات والارض وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب إن الله على كل شيء قدير * والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكروا * أليسوا إلى الطير مسخرات في جوار السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون

أجسحتهم أو بسطها أن يقمن إلا الله بقدرته إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون هي خلقها بحيث يمكنها الطيران، وخلق الجو بحيث يمكن الطيران فيه، وإمسكها.

(١) أخرج الطير في جامع البيان (١٠١/١٤) والواحدي في أسباب النزول عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت في رجل من قريش وعبد، في هشام بن عمر، وهو الذي ينفق ماله سيرا وجهرا، وفي عبد أبي الجوزاء الذي كان ينهاه، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٥١/٥). وحسن إنشاده في الاستيعاب (٤١٥/٢).

(٢) بشيء، بضم نون؛ أي: لا يأتي بشيء نافع.

(٣) وأخرج البخاري في التاريخ الكبير (٣٠٦/١ - ٣٠٧)، والعسيري في جامع إنبان (١٠١/١٤)، والواحدي في أسباب النزول عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: هو عثمان بن عفان، قال: والأبيكم الذي أينما يوجهه لا يأتي بخير؛ ذلك مولى عثمان بن عفان. كان عثمان ينفق عليه ويكفله ويكنيه المؤمن، وكان الآخر يكره الإسلام ويأباه، وينهاه عن الصدقة والمعروف؛ فنزلت فيهما. وحسن إنشاده في الاستيعاب (٤١٦/٢).

للحمل (١) «يَوْمَ ظَعْنِكُمْ» سفركم «وَيَوْمَ إِفَامَتِكُمْ» ومن أصوافها أي: الغنم «وَأَوْسَارِهَا» أي: الإبل «وَأَشْعَارِهَا» أي: المعر «أَنَّا» متاعا لبيوتكم كبسط وأكسية «وَمَتَاعًا» تمتعون به «إِلَى حِينٍ» يلي فيه.

[٨١] «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ مِنْ الْبُيُوتِ وَالشَّجَرِ وَالْغَمَامِ ظِلًّا» جمع: ظل، تقيكم حر الشمس «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا» جمع كِن، وهو ما يستكن فيه كالغار والشرب (٢) «وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ» قمصا «يَقِيكُمْ الْحَرَّ» أي: والبرد «وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ» حربكم؛ أي: الطعن والضرب فيها كالدروع والجواشن (٣) «كَذَلِكَ» كما خلق هذه الأشياء «يُنِيرُ نَعْمَتَهُ» في الدنيا «وَعَلَيْكُمْ» بخلق ما تحتاجون إليه «لَسَّكُمْ» يا أهل مكة «تُسْلِمُونَ» توحّدونه.

[٨٢] «فَإِنْ تَوَلَّوْا» أعرضوا عن الإسلام «وَلَسَّكُمْ عَذَابٌ» يا محمد «أَلْبَنُ الْبُيُوتِ» الإبلاغ البين، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٨٣] «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ» أي: يقرون بأنها من عنده «ثُمَّ يُكْفِرُونَ بِهَا» يشرأبهم «وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ».

[٨٤] «وَلَا تُدْعَى مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا» هو نبيها يشهد لها وعليها، وهو يوم القيامة «ثُمَّ لَا يَدْعُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا» في الاعتذار «وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» لا يطلب منهم العتبي؛ أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

[٨٥] «وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا كُفَرُوا بِالْعَذَابِ» النار «فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ» ولا هم يُفَكَّرُونَ، يهلون عنه إذا رأوه.

[٨٦] «وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ» من الشياطين وغيرها «قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا» نعبدكم «مِنْ دُونِكَ قَالُوا إِلَهِهُمْ أَلْفَوْا» أي: قالوا لهم: «إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ» في قولكم: إنكم عبدتمونا، كما في آية أخرى: «مَا كَانُوا بِإِيمَانٍ يَتَّبِعُونَ» (٤) سيكفرون بعبادتهم.

[٨٧] «وَالْفَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَذِي السَّعَةِ» أي: استسلموا لحكمه «وَسَلَّ غَاب عَنْهُمْ» تآكلوا يفترون، من أن آلهتهم تشفع لهم.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئَةً إِلَى حِينٍ (٨١) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلًّا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُنِيرُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ (٨٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٨٣) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ (٨٤) وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُدْعَى لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٥) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٦) وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ قَالُوا إِلَهِهُمْ أَلْفَوْا لَقَوْلِهِمْ الْفُتُولِ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٧) وَالْفَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَذِي السَّعَةِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٨)

[٨٠] «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا» موضعا تسكنون فيه «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا» كالخيام والقباب «تَسْتَخِفُّونَهَا»

(١) أي: يخفف عليكم حملها.

(٢) اشرب: البيت في الأرض.

(٣) هي أيضا نوع من الدروع.

(٤) انقص: ٦٣.

[٨٨] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ دينه ﴿زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾ الذي استحقوقه بكفرهم، قال ابن مسعود: عقارب أنيابها كالنخل الطوال^(١) ﴿يَمَّا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ بصددهم الناس عن الإيمان.

[٨٩] ﴿وَرَكَّبْنَا بَيْنَهُمْ﴾ يا محمد ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ﴾ أي: قومك ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ بَيَانًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه الناس من أمر الشريعة ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ﴾ بالجنة ﴿لِلْمُسْلِمِينَ﴾ الموحدين.

[٩٠] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ﴾ والْإِحْسَانِ ﴿أداء الفرائض أو أن تعبد الله كأنك تراه، كما في الحديث^(٢)﴾ ﴿وَالْإِيتَاءِ﴾ إعطاء ﴿ذِي الْقُرْبَىٰ﴾ القرابة خصه بالذكر اهتمامًا به ﴿وَيَتَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ﴾ الزنا ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ شرعًا من الكفر والمعاصي ﴿وَالْبِغْيِ﴾ الظلم للناس خصه بالذكر اهتمامًا، كما بدأ بالفحشاء كذلك ﴿يُعْظَمُ﴾ بالأمر والنهي ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ﴾^(٣) تعظون، وفيه إدغام التاء في الأصل في الذال، وفي «المستدرک» عن ابن مسعود: وهذه أجمع آية في القرآن للخير والشر^(٤).

[٩١] ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ من البيع والأيمان وغيرها ﴿إِذَا عٰهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ توثيقها ﴿وَقَدْ جَمَعْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْدًا﴾ بالفؤاء حيث حلفتم به، والجملة حال ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ﴾ تهديد لهم.

[٩٢] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ﴾ أفسدت ﴿عَزْلَهَا﴾ ما عزلته ﴿مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ﴾ إحكام له وبرم ﴿أَنْتُمْ كُنَّا﴾ حال، جمع نَكَثَ وهو ما يَنْكُثُ؛ أي: يحل إحكامه، وهي امرأة حقاؤه من مكة كانت تغزل طول يومها ثم تنقضه^(٥) ﴿تَنْبِذُونَ﴾ حال من ضمير «تكونوا»؛ أي: لا تكونوا مثلها في اتخاذكم ﴿أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا﴾ هو ما يدخل في الشيء وليس منه؛ أي: فسادًا أو حديعة ﴿يَنْتَكُمُ﴾ بأن تنقضوها ﴿وَأَنْ﴾ أي: لأن ﴿تَكُونُوا أُمَّةً﴾ جماعة ﴿هِيَ أَرْبَىٰ﴾ أكثر ﴿مِنْ أُمَّةٍ﴾ وكانوا يحالفون الحلفاء فإذا وُجد أكثر منهم وأعر، نقضوا حلف أولئك وحالفوهم ﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمْ﴾ يختبركم ﴿اللَّهُ بِرِّكُمْ﴾ أي: بما أمر به من الوفاء بالعهد لينظر الطبع منكم والمعاصي، أو يكون

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبِغْيِ يُعْظَمُ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عٰهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَمَعْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَيْدًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَقْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ عَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْتُمْ كُنَّا تَتَخَذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَبْضُلُ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِتَشَأَنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

أمة أرى لينظر آفون أم لا ﴿وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا من أمر العهد وغيره بأن يعذب الناكث ويثيب الوافي.

[٩٣] ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعْتُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ أهل دين واحد ﴿وَلَكِنْ يَبْضُلُ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِتَشَأَنَّ﴾ يوم القيامة سؤال تبكيك ﴿عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لتجازوا عليه.

(١) أخرج نحوه عبد الرزاق والفرغاني وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وهاد بن السري وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه، والبيهقي في البعث والنشور كما في الدر المنثور (٢٣٩/٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٦٧٨)، ح (٣).

(٢) البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) المستدرک (٣٥٦/٢)، وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وحسن الألباني إسناده، عن ابن مسعود ؓ قال: «ما في القرآن آية أجمع للحلال وحرام وأمر ونهي من هذه الآية» وذكرها. [صحيح الأدب المفرد (٣٧٦)].

(٥) ذكر خبرها أبو نعيم في معرفة الصحابة (٣٣٧٥/٦)، ٣٣٧٦، رقم (٧٧١٧). وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٦٢/٥).

وقال صاحب الاستيعاب: هذا سند ضعيف جدًا. الاستيعاب (٤٢١/٢).

﴿وَيَذُوقُوا أَلْسُوهُ﴾ أي: العذاب ﴿يَمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: بصدكم عن الوفاء بالعهد، أو بصدكم غيركم عنه؛ لأنه يستن بكم ﴿وَلَكِنَّ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ في الآخرة.

[٩٥] ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا يَعْهَدَ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا﴾ من الدنيا بأن تنقضوه لأجله ﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الثَّوَابِ﴾ من الثواب ﴿هُوَ خَيْرٌ نَكْرًا﴾ مما في الدنيا ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك فلا تنقضوا.

[٩٦] ﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾ من الدنيا ﴿يَفْدُ﴾ يفتي ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ دائم ﴿وَلْيَخْزَيَنَّ﴾ بالياء والنون^(١) ﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ من الوفاء بالعهود ﴿أَجْرُهُمْ يَأْخُذُهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أحسن بمعنى حسن.

[٩٧] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ قيل: هي حياة الجنة^(٢)، وقيل: في الدنيا بالقناعة^(٣) أو الرزق الحلال^(٤) ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٩٨] ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ﴾ أي: أردت قراءته ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ أي: قل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

[٩٩] ﴿إِنَّهُ لَكُم مِّنْ سُلْطٰنٍ﴾ تسلط ﴿عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[١٠٠] ﴿إِنَّمَا سُلْطٰنُكُمْ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُمْ﴾ بطاعته ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ أي: الله ﴿مُشْرِكُونَ﴾.

[١٠١] ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَاتٍ ءَايَةً﴾ بنسخها وإنزال غيرها لمصلحة العباد ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بِمَا يَتَزَلُّ قَالُوا﴾ أي: الكفار للنبي ﷺ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ كذاب تقول من عندك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ حقيقة القرآن وفائدة النسخ.

[١٠٢] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ﴾ جبريل ﴿مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿نزل﴾ ﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بإيمانهم به ﴿وَهُدَىٰ وَيُذَكِّرَ﴾ لِلْمُسْلِمِينَ.

وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَنَتَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلْ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا أَلْسُوهُ يَمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكِنَّ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٩٥ وَلَا تَتَّبِعُوا يَعْهَدَ اللَّهِ تَمَنَّا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ٩٦ مَا عِنْدَكُمْ يَفْدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٩٧ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٩٨ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ٩٩ إِنَّهُ وَلَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ١٠٠ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ١٠١ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ١٠٢ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ١٠٣

[٩٤] ﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَنَتَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ كره تأكيدًا ﴿فَتَرِلْ قَدَمٌ﴾ أي: أقدامكم من محجة الإسلام ﴿بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾ استقامتها عليها

(١) باباء قراءة حمزة والكسائي ونافع وأبي عمرو، وابن عامر بخلاف عنه.

(٢) هذا قول الحسن البصري كما في الدر المنثور (١٦٥/٥).

(٣) هذا قول محمد بن كعب القرظي كما في الدر المنثور (١٦٤/٥).

(٤) هذا قول ابن عباس كما في الدر المنثور (١٦٤/٥).

[١٠٣] ﴿وَلَقَدْ﴾ للتفصيل (١) ﴿نَعَلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ﴾ لقمران ﴿بَشَرٌ﴾ وهو قين (٢) نصراني كان النبي ﷺ يدخل عليه، قال تعالى: ﴿لِسَانٌ لَّعَنَ﴾ الذي يُلْحِدُونَ ﴿يَمِيلُونَ﴾ إِلَيْهِ. أنه يعلمه ﴿أَعَجَبُوا﴾ وَهَذَا القرآن ﴿لِسَانٌ عَكَّوْتُ ثُبُوتٌ﴾ ذو بيان وفصاحة، فكيف يعلمه أعجمي (٣)؟

[١٠٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلف.

[١٠٥] ﴿إِنَّمَا يَقَعَرَى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن، بقولهم: هذا من قول البشر ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ والتأكيد بالترار وإن «وغيرهما رد لقولهم: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفَرِّقٌ﴾.

[١٠٦] ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ﴾ على التلطف بالكفر فتلفظ به ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ و«مَنْ» مبتدأ، أو شرطية، والخبر أو الجواب: لهم وعيد شديد، دل على هذا: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا﴾ له؛ أي: فتحه ووسعه بمعنى طاب به نفسه ﴿فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[١٠٧] ﴿ذَلِكَ﴾ الوعيد لهم ﴿بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ اختاروها ﴿عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

[١٠٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ عما يراد بهم.

[١٠٩] ﴿لَا جِرمَ﴾ حقاً ﴿أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[١١٠] ﴿ثُمَّ إِنَّكَ رَبُّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا﴾ إلى المدينة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾ عذبوا وتلفظوا بالكفر، وفي قراءة للبناء للفاعل (٤)؛ أي: كفروا أو فتنوا الناس عن الإيمان ﴿ثُمَّ جَهَدُوا وَصَبَرُوا﴾ على الطاعة ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ مَدْيَنَ﴾ أي: الفتنة ﴿لَعَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَجِيمٌ﴾ بهم، وخبر «إن» الأولى دل عليه خبر الثانية.

وَلَقَدْ نَعَلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَقَعَرَى الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَاجِرَةً أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

(١) القاعدة أن «قد» تكون للتفصيل إذا جاء بعدها فعل ماضٍ، وتكون للتقليل إذا جاء بعدها فعل مضارع. ذكره ابن هشام في «مغني البليغ». وأخذ الجلالان بقول بعض البغويين: إنها للتفصيل لا لتقليل في هذه المواضع.

وعلى القاعدة أنها لتقليل؛ يكون المراد تقليل متعلق الفعل والمعنى هنا: قرأهم إنما يعلمه... هو أقل معلوماته سبحانه.

(٢) أي: حداد، كان روميًا، وفي نسخة: قرأ؛ أي: عبد.

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٩/١٤)، وذكره السيوطي في الدر المنثور (١٦٧/٥)، وضعف إسناده في ليات المنقول ص (١٣٤)، وأخرج الطبري بسند صحيح في جامع البيان (١٤/١٢٠) عن عبيد بن مسلم الحضرمي؛ قال: كان لنا غلامان نصرانيان من أهل عين التمر؛ يُسمى أحدهما: يسار، والآخر: جبر، وكانا يقرآن كتابًا لهما، فرمى مر رسول الله ﷺ فقام عليهما، فقالا للمشركون: إنما يتعلم محمد منهما؛ فأنزل الله ﷻ هذه الآية. وذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٩٠)، وصححه الخافض أيضًا في الإصباح (٤٤٧/٢).

(٤) لابن عامر، ويحتمل على هذه القراءة أن يكون الفعل لازماً؛ فيكون معنى ﴿فَتُفْتَنُوا﴾ أي: افتتنوا، وإليه أشار لمفسر بقوله: «أي كفروا»، ويحتمل أن يكون متعديًا، وأشار إليه بقوله: «أو فتنوا» الناس... هـ.

﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ أَنْعُمُ الرَّسُولِ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُنُوا أَمْثَلًا زَكَرَ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرُ بَاعٍ وَلَا عَادِيَاتٍ اللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصَبُ السِّتْرُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لَتُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَزْمًا مِمَّا فَضَّلْنَا عَلَيْكَ قَبْلَ فِي آيَةٍ: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَزْمًا مِمَّا فَضَّلْنَا عَلَيْكَ قَبْلَ﴾ (٣) إِلَى آخِرِهَا ﴿وَمَا ظَلَمْتُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (١١٨)

[١١١] اذكر ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ ﴿عَنْ نَفْسِهَا﴾ لا يهمها غيرها وهو يوم القيامة ﴿وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ﴾ جزاء ﴿بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً.

[١١٢] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا﴾ ويبدل منه: ﴿قَرْيَةً﴾ هي مكة (١)، والمراد أهلها ﴿كَانَتْ ءَامِنَةً﴾ من الغارات لا نهاج ﴿مُطْمَئِنَّةً﴾ لا يحتاج إلى الانتقال عنها لضيق أو خوف ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا﴾ واسعاً ﴿مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾ فكفرت بأنعم الله ﴿بتكذيب النبي ﷺ﴾ ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ﴾ فحطوا سبع سنين (٢) ﴿وَالْخَوْفِ﴾ بسرايا النبي ﷺ ﴿بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾.

[١١٣] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ﴾ محمد ﷺ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الجوع والخوف ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾.

[١١٤] ﴿كُنُوا﴾ أيها المؤمنون ﴿بِمَا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

[١١٥] ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخَيْزِرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾ فعن أضطرَّ غير مبلغ ولا عادي فإت الله غفورٌ رحيمٌ.

[١١٦] ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصَبُ السِّتْرُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾ لما لم يحله الله ولم يحرمه ﴿لَتُفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ﴾ بنسبة ذلك إليه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

[١١٧] لهم ﴿مَتَّعَ قَلِيلٌ﴾ في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[١١٨] ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا﴾ أي: اليهود ﴿حَزْمًا مِمَّا فَضَّلْنَا عَلَيْكَ قَبْلَ﴾ في آية: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَزْمًا مِمَّا فَضَّلْنَا عَلَيْكَ قَبْلَ﴾ (٣) إِلَى آخِرِهَا ﴿وَمَا ظَلَمْتُمْ﴾ بتحريم ذلك ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب المعاصي الموجبة لذلك.

(١) وهذا هو المشهور بين المفسرين، وعليه فالآية مدنية، وعلى القول بأنها مكية يكون إخباراً بالغيب تزيلاً له منزلة الواقع لتحقيق حصوله.

(٢) كما سيأتي بيانه في سورة «الدخان».

(٣) الأنعام: ١٤٦.

[١١٩] ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّرُكَ﴾ الشرك ﴿يَعْتَدُ ثَمَّ تَأْبِثًا﴾ رجعوا ﴿مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ علمهم ﴿إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا﴾ أي: الجهالة أو التوبة ﴿لَعَفُورٌ﴾ لهم ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[١٢٠] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ إماماً قُدوةً جامعاً لحصال الخبر ﴿فَاتَّبَعَهُ﴾ مطيعاً ﴿لِلَّهِ خَبِيفًا﴾ مثلاً إلى الدين القيم ﴿وَلَوْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

[١٢١] ﴿شَاقِرًا﴾ لَا نَعْمِيَّةَ أَجَنَّهُ ﴿اصْطَفَاهُ﴾ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ.

[١٢٢] ﴿وَمَا آتَيْنَاكَ﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ هي الثناء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَوَيْتَهُ فِي الْآخِرَةِ لَكُمْ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

[١٢٣] ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿أَنْ آتِيَ مَلَكٌ﴾ دين ﴿إِبْرَاهِيمَ خَبِيفًا﴾ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿كَرَّرَ رَدًّا عَلَى زَعَمِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى أَنَّهُمْ عَلَى دِينِهِ﴾.

[١٢٤] ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ﴾ فرض تعظيمه ﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ على نبيهم، وهم اليهود أمروا أن يفرغوا للعبادة يوم الجمعة، فقالوا: لا نزيد، واختاروا السبت فشدد عليهم فيه ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمره؛ بأن يثيب الطائع ويعذب العاصي بانتهاك حرمة.

[١٢٥] ﴿أَدْعُ﴾ الناس يا محمد ﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ دينه ﴿بِالْحِكْمَةِ﴾ بالقرآن ﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ مواعظه أو القول الرقيق ﴿وَيَحْدِثْ لَهُمْ يَأْتِي﴾ أي: المجادلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته والدعاء إلى حججه ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَنْ صَدَّ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿فِي جَاذِبِهِمْ﴾ وهذا قبل الأمر بالقتال.

[١٢٦] ونزل لما قُتل حمزة ومُثِّلَ به فقال ﷺ: وقد رآه: «لأمثلن بسبعين منهم مكانك»: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَأَيْسَرُ﴾ فَمَاجِئًا بِجَنَّتٍ مَا عَوِّسَتْ بِهِ. وَلَكِنْ صَدَّرَ عَنْ الْإِنْتِقَامِ ﴿لَهُمْ﴾ أي: الصبر ﴿خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ﴾ فكف ﷺ وكفر عن يمينه، رواه البزار^(١).

[١٢٧] ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ بتوفيقه ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار وإن لم يؤمنوا لحرصك على إيمانهم ﴿وَلَا تَأْكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّرُكَ بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَبِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاقِرًا لَا نَعْمِيَّةَ أَجَنَّهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَمَا آتَيْنَاكَ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ آتِيَ مَلَكٌ إِبْرَاهِيمَ خَبِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ صَبْرٌ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

يَمْكُرُونَ﴾ أي: لا تهتم بمكرهم فأننا ناصرك عليهم.

[١٢٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الكفر والمعاصي ﴿وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ بالطاعة والصبر بالعون والنصر^(٢).

(١) ما جاء في قول الآية (١٢٦): في المسند عن أبي بن كعب أنه أصيب يوم أحد من الأنصار أربعة وستون، وأصيب من المهاجرين ستة وحمزة، فقتلوا بقتلهم، فقالت الأنصار: لمن أصابنا منهم يوماً من الدهر ليرين عليهم، فلما كان يوم فتح مكة نادى رجل من القوم لا يعرف: لا قریش بعد اليوم، فأقول لله تعالى على نبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّ عَاقِبَتَهُمْ لَأَيْسَرُ﴾ فَمَاجِئًا بِجَنَّتٍ مَا عَوِّسَتْ بِهِ. الآية، فقال نبي الله ﷺ: «لَقَوْلُهُمْ عَنِ الْقَوْمِ». المسند (١٣٥/٥)، وقد أخرج الترمذي نحوه، كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٧) سورة النحل. (حسن صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥٠١).

(٢) أخرجه ابن سعد والبرار وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من حديث أبي هريرة كما في الدر المنثور (٢٥٥/٤)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٩/٦): «رواه البزار والطبراني، وفيه صالح بن بشير المري وهو ضعيف». وضيفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٨/٢) رقم (٥٥٠).

(٣) هذا من لوازم معيته - سبحانه - الخاصة بعبادة المؤمنين، ومعيته - سبحانه - مع خلقه نوعان؛ عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين، وحقيقتها الصالحة اللاتقة، وقد أخبر - سبحانه - أنه مع خلقه، مع كونه مستوثاً على عرشه، وقد بين الأمرين في آية الحديد، وكلاهما حق.

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى
الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَّا إِنَّهُ
هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِّبَنِي إِسْرَءِيلَ لَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا ﴿٢﴾
ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلٍ مَّع نُّوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾
وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ
مَرَّتَيْنِ وَلَنَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا
بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ
الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُوفَةَ
عَلَيْهِمْ وَأَمَدَدْنَاهُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاهُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾
إِن أَحْسَنُوا أَحْسَنُوا لَأُنْفِيسَهُمْ وَإِن أَسَاءُوا فَسَاءَ فِعْلُهُمَا فَإِذَا
جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيُسْطَوْ أَوْجُوهُهُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ
كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾

سُورَةُ الْإِسْرَاءِ

[مكية: إلا : ﴿وَرَن كَادُوا يَقْتُلُونَكَ الْآيَاتِ الثَّمَانِ﴾ مائة وعشر،
أو : إحدى عشرة آية، نزلت بعد القصص]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سُبْحَنَ﴾ أي: تنزيه ﴿الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ﴾ محمد ﷺ ﴿لَيْلًا﴾ نصب على الظرف، والإسراء سير الليل، وفائدة ذكره الإشارة بتكبره إلى تقاليل مدته ﴿مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ بيت المقدس لبعده منه ﴿الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ بالثمار والأثمار ﴿لِنُرِيَهُ مِنَّا﴾ عجائب قدرتنا ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ أي: العالم ^(١) بأقوال النبي ﷺ وأفعاله ^(٢) فأنعم عليه بالإسراء المشتمل على اجتماعه بالأنبياء، وعروجه إلى السماء، ورؤية عجائب الملكوت، ومناجاته له - تعالى - فإنه ﷺ قال: «أتيت بالبراق، وهو دابة أبيض، فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس، فربطت الدابة بالحلقة التي تربط فيها الأنبياء، ثم دخلت فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءني جبريل بإناء من حمر وإناء من لبن فاخترت اللبن، قال جبريل: أصبت القطرة. قال:

ثم عرج بي إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل؛ قيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد أرسل إليك؟ قال: قد أرسل إليه. ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بالخير، ثم عرج بي إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ فقال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: أوقد بعث إليك؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا بابي الحالة يحيى ويعيسى فرحبا بي ودعوا لي بالخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد أرسل إليك؟ قال: قد أرسل إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بيوسف، وإذا هو قد أعطي شطر الحسن، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليك؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا يادريس، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليك؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بهارون، فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل. فقيل: ومن معك؟ قال: محمد. فقيل: أوقد بعث إليك؟ قال: قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم فإذا هو مستند إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون إليه، ثم ذهب إلى سدرة المنتهى فإذا أوراها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشيها من أمر الله ما غشيها تغيرت فما أحد من خلق الله - تعالى - يستطيع أن يصفها من حسنها، قال: فأوحى الله إلي ما أوحى وفرض علي في كل يوم وليلة خمسين صلاة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى فقال: ما فرض ربك على أمتك؟ قلت: خمسين صلاة في كل يوم وليلة. قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، وإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال: فرجعت إلى ربي فقلت: أي رب خفف عن أمتي. فحط عني خمسا، فرجعت إلى موسى قال: ما فعلت؟ فقلت: قد حط عني خمسا. قال: إن أمتك لا تطيق ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك. قال: فلم أزل أرجع بين ربي وبين موسى ويحط عني خمسا خمسا حتى قال: يا محمد، هي خمس صلوات في كل يوم وليلة بكل صلاة عشر ففلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرا، ومن هم بسيئة ولم يعلمها لم تكتب، فإن عملها كتبت له سيئة واحدة، فنزلت حتى انتهيت إلى موسى، فأخبرته فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فإن أمتك لا تطيق ذلك. فقلت: قد رجعت إلى ربي حتى استحييت [رواه الشيخان، واللفظ لمسلم] ^(٣). وروى الحاكم في «المستدرک» عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «رأيت ربي ﷻ» ^(٤).

[٢] قال - تعالى -: ﴿وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي

(١) العلم من لوازم السمع والبصر، ولكنهما غيره، وفي الآية إثبات هاتين الصفتين له. سبحانه.، ومذهب السلف الإيمان بهما على الوجه اللاتق به من غير تمثيل، ولا تكيف، ولا تأويل ولا تعطيل؛ كما قال - سبحانه -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. (٢) هذا التخصيص لا يظهر وجهه، فالصواب الإطلاق، فهو - سبحانه - السميع بكل مسموع، والبصير بكل مبصر. (٣) البخاري (٧٥١٧)، ومسلم (١٦٢٢) عن أنس بن مالك. (٤) رواه أحمد عن ابن عباس مرفوعا كما في جامع السعدي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٦٦).

إِسْرَءِيلَ ﴿لَهُ أَكُنْ لَّا يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ يفوضون إليه أمرهم، وفي قراءة: ﴿لَتُخْذُوا﴾^(١) بالفوقانية التفاتًا، فواؤه زائدة، والقول مضمر.

[٣] يا ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة ﴿إِذْ كُنْتُمْ عَبْدًا شَكُورًا﴾ كثير الشكر لنا حامدًا في جميع أحواله.

[٤] ﴿وَضَعَيْنَا أَوْحِينَ﴾ إلى بَنِي إِسْرَءِيلَ في الْكِتَابِ التوراة ﴿لَتَفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض الشام بالمعاصي ﴿مَرْبِّي وَلَنَعْلُنَّ عَلَيَّكَ﴾ تبغون بغيا عظيمًا.

[٥] ﴿إِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَئِنَا﴾ أولى مرتي الفساد ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدًا﴾ أصحاب قوة في الحرب والبطش ﴿فَجَاءُواكَ تَرَدُّوا لطلبكم﴾ خِذْلَ أَيْيَارٍ وسط دياركم ليقتلوكم ويتبشروكم ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَقْعُولًا﴾ وقد أفسدوا الأولى بقتل زكريا فبعث عليهم جالوت^(٢) وجنوده فقتلوهم وسبوا أولادهم وخربوا بيت المقدس.

[٦] ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ﴾ الدولة والغلبة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ بعد مائة سنة بقتل جالوت ﴿وَأَنذَرْنَاكُمْ بِأَمْرٍ وَبَيِّنَةٍ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ عشيرة.

[٧] وقلنا: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ﴾ بالطاعة ﴿أَحْسَنَّا لَأَفْسِدُكُمْ﴾ لأن ثوابه^(٣) لها ﴿وَإِنْ أَسَأْتُمْ﴾ بالفساد ﴿فَلَنَكُنَّ﴾ إساءتكم ﴿إِذَا جَاءَ وَعْدُ الْمَرَّةِ الْآخِرَةِ﴾ بعشاهم ﴿لَيُسْكَوُنَّ﴾ يُجْرَهُكُمْ ﴿يَحْزَنُوكُم بِالْقَتْلِ وَالسَّبِي حَزَنًا يَظْهَرُ فِي وَجْهِهِمْ﴾ وَيَلْتَحِزُّوا التَّسَدُّدَ بيت المقدس فيخربوه ﴿كَأَنَّهُمْ دَخَلُوهُ﴾ وخربوه ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ وَيُسْتَبْرَأُ يَهْلِكُوا ﴿مِمَّا عَلَوْا﴾ غلبوا عليه ﴿نَبِيرًا﴾ هلاكًا، وقد أفسدوا ثانيا بقتل يحيى فبعث عليهم بختنصر فقتل منهم ألوفا وسبى ذريتهم وخرب بيت المقدس^(٤).

[٨] وقلنا في الكتاب: ﴿عَسَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَرْحَمَكُم﴾ بعد المرة الثانية إن تبتم ﴿وَإِنْ عُدَّتُمْ﴾ إلى الفساد ﴿عَدْنَا﴾ إلى العقوبة، وقد عادوا بتكذيب محمد ﷺ فسط عليهم بقتل قريظة ونفي النضير وضرب الجزية عليهم ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ محبسًا وسجنًا.

[٩] ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّذِي﴾ أي: للطريقة التي ﴿هِيَ أَقْوَمُ﴾ أعدل وأصوب ﴿وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

[١٠] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ أَعَدْنَا ﴿أَعْدَانَا﴾ هُتَمَ عَدَايَا أَيْمَانًا مؤلًا هو النار.

[١١] ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ﴾ على نفسه وأهله إذا ضجر ﴿دُعَاءَهُ﴾ أي: كدعائه له ﴿وَالْحَيُّ وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾ الجنس ﴿عَظُولًا﴾ بالدعاء على نفسه وعدم النظر في عاقبته.

[١٢] ﴿وَجَعَلْنَا أَيْلًا وَالنَّهَارَ عَابِتِينَ﴾ الدلتين على قدرتنا ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ أَيْلٍ﴾ طمسنا نورها بالظلام لتسكنوا فيه، والإضافة للبيان ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُورَةً﴾ أي: مبصرة فيها بالضوء ﴿لَتَبْتَغُوا﴾ فيه ﴿فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ﴾ بالكسب ﴿وَلَتَعْلَمُوا﴾ بهما ﴿عَدَدَ النَّسِينَ وَالْجَسَابِ﴾ للأوقات ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ يحتاج إليه ﴿فَضْلَتَهُ تَفْصِيلًا﴾ بيناه تبيينًا.

[١٣] ﴿كُلُّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَتْهُ طَائِفَةٌ﴾ عمله يحمله ﴿فِي عُرْوَةٍ﴾ خص

عَسَىٰ رَبُّكَ أَنْ يَرْحَمَكُم وَإِنْ عُدَّتُمْ عَلَيْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴿إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾^(١) وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَغْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا^(٢) وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا^(٣) وَجَعَلْنَا أَيْلًا وَالنَّهَارَ عَابِتِينَ^(٤) فَمَحَوْنَا آيَةَ أَيْلٍ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مَبْصُورَةً^(٥) لَتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلَتَعْلَمُوا عَدَدَ النَّسِينَ وَالْجَسَابِ وَكُلَّ شَيْءٍ فَضْلَتَهُ تَفْصِيلًا^(٦) وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْمَنَتْهُ طَائِفَةٌ فِي عُرْوَةٍ وَنُحِجُّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا^(٧) أَفَرَأَىٰ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا^(٨) مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِمَا وَلَا تَرَوْا زُرَّةً وَزُرَّ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ بَعَثَ رَسُولًا^(٩) وَإِذَا أَرَادْنَا أَنْ تُهْلِكَ فَوَيْلٌ لَّهَا فَفَسَفُوْا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا^(١٠) وَكَرَّ أَهْلُهَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا^(١١)

بالذكر؛ لأن الزورم فيه أشد، وقال مجاهد: ما من مولود يولد إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد^(٥).

[١٤] ﴿وَنُحِجُّ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا﴾ مكتوب فيه عمله ﴿يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ صفان له كتابًا. ويقال له: ﴿أَفَرَأَىٰ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ محاسبًا.

[١٥] ﴿مَنْ أَهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ لأن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ لأن إثمه عليها ﴿وَلَا زُرَّةً﴾ نفس ﴿وَزُرَّةً﴾ أئمة؛ أي: لا تحمل ﴿وَزُرَّةً﴾ نفس ﴿أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ أحدًا ﴿حَتَّىٰ بَعَثَ رَسُولًا﴾ يبين له ما يجب عليه.

[١٦] ﴿وَإِذَا أَرَادْنَا أَنْ تُهْلِكَ فَوَيْلٌ لَّهَا فَفَسَفُوْا فِيهَا﴾ مُتَّقِيهَا بمعنى رؤسائها، بالصاعدة على لسان رسلنا ﴿فَقَسَفُوا فِيهَا﴾ فخرجوا عن أمرنا ﴿فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ﴾ بالعباد ﴿فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾ أهلكتها بإهلاك أهلها وتخريبها.

[١٧] ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثيرًا ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ الْقُرُونِ الْأَمْ﴾ ومن بعد نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا عالمًا بواطنها وظواهرها، و«به» يتعلق ﴿يَذُنُوبَ﴾.

(١) بالياء قراءة أبي عمرو. (٢) اختلف المفسرون من السلف والخلف في هؤلاء المسلمين عليهم؛ من هم، وعن ابن عباس أنه جالوت وجنوده. (٣) أي ثواب الإحسان.

(٤) وفي هذا نظر؛ حيث إن بختنصر كان بينه وبين يحيى التلافة عدة قرون. وقيل أيضًا: إن الذي حُزِبَ بيت المقدس الخراب الثاني هو: «طيطوس» الروماني. ولا دليل صحيح على شيء من ذلك، فالأولى التوقف، والله أعلم.

(٥) ذكره ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه [الدر المنثور (٢٥٠/٥)].

مطروداً عن الرحمة.

[١٩] ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا عَمِلَ عَلَيْهِ اللّٰثِقَاتُ بِهَا﴾ ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ حال ﴿فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا﴾ عند الله؛ أي: مقبولاً مثاباً عليه.

[٢٠] ﴿كُلًّا﴾ من الفريقين ﴿ثُمِّدَ﴾ نطقي ﴿هَتَّوْلًا وَهَتَّوْلًا﴾ بدل ﴿يَنْ﴾ متعلق بـ «التمد» ﴿عَطَاءَ رَبِّكَ﴾ في الدنيا ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ﴾ فيها ﴿مَحْظُورًا﴾ ممنوعاً عن أحد.

[٢١] ﴿أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ في الرزق والجاه ﴿وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ﴾ أعظم ﴿دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ من الدنيا، فينبغي الاعتناء بها دونها.

[٢٢] ﴿لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا﴾ لا ناصر لك.

[٢٣] ﴿وَقَضَىٰ﴾ أمر ﴿رَبِّكَ أَهْنُ﴾ أي: بأن ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ وأن تحسنوا ﴿بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ بأن تروهما ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا﴾ فاعل ﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾ وفي قراءة ﴿يَبْلُغَانَّ﴾ (١) ذأ أحدهما بدل من ألفه ﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا إِفْ﴾ بفتح الفاء، وكسرهما منوناً وغير منون (٢) مصدر بمعنى ثأ وقبحاً ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا﴾ ترجمهما ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ جميلاً لينا.

[٢٤] ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ﴾ ألن لهما جانبك الدليل ﴿وَمِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي: لرققتك عليهما ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّحَنِى﴾ رحمتي حين ﴿رَبَّيْنِى صَغِيرًا﴾.

[٢٥] ﴿رَبِّكَ أَغْلَرُ بِمَا يُفْعَلُ سِرًّا﴾ من إضمار البر والعفوق ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ طاعين لله ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ﴾ الرجاعين إلى طاعته ﴿عَفْوَكَ﴾ لما صدر منهم في حق الوالدين من بادرة وهم لا يضمنون عفوفاً.

[٢٦] ﴿وَأَدَّبَ﴾ أعطى ﴿ذَا الْقُرْنَى﴾ القرابة ﴿حَقَّهُ﴾ من البر والصلة ﴿وَالْمُسْكِينَ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ بَذِيرًا﴾ بالإنفاق في غير طاعة الله.

[٢٧] ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ أي: على طريقتهم ﴿وَكَانَ الشَّيَاطِينُ لِرَبِّهِمْ كَفُورًا﴾ شديد الكفر لنعمه، فكذلك أخوه المبذر.

مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ جَعَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّذْهُورًا ﴿١٩﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا ﴿٢٠﴾ كَلَّا نُمَدِّدْ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢١﴾ أَنْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢٢﴾ لَا يَجْعَلُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا ﴿٢٣﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أِفْ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٤﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴿٢٥﴾ رَبُّكَ أَغْلَرُ بِمَا فِي نَفْسِكَ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ عَفْوَكَ ﴿٢٦﴾ وَأَدَّبَ ذَا الْقُرْنَىٰ حَقَّهُ وَالْمُسْكِينَ وَأَبْنَ السَّبِيلِ وَلَا يَبْذُرْ بَذِيرًا ﴿٢٧﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٨﴾

[١٨] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿الْعَاجِلَةَ﴾ أي: الدنيا ﴿جَعَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ التعجيل له، بدل من «له» بإعادة الجار ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ﴾ في الآخرة ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا﴾ يذهبها ﴿مَذْمُومًا﴾ ملوماً ﴿مَّذْهُورًا﴾

(١) مع كسر النون مشددة حمزة والكسائي.

(٢) بالفصح وبدون تنوين قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر كذلك قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

وَمَا نَعْرِضُ عَنْهُمْ أَيْعَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَكُنْ تَرَفُّهُمْ وَبِأَكْبَرٍ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّةَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ هُيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٣﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُم وَرثُوا بِالْقِسْطِ أَسْمَاءُ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٦﴾ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٧﴾

[٢٨] ﴿وَمَا نَعْرِضُ عَنْهُمْ﴾ أي: المذكورين من ذي القربى وما بعدهم فلم تعطهم ﴿أَيْعَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا﴾ أي: لطلب رزق تنتظره بأهلك فتعطهم منه ﴿فَقُلْ لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ ليأخذ سبيلًا بأن تعدهم بالإعطاء عند مجيء الرزق.

[٢٩] ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ أي: لا تمسكها عن الإنفاق كل المسك ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا﴾ في الإنفاق ﴿كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا﴾ راجع للأول (١) ﴿مَحْسُورًا﴾ منقطعًا لا شيء عندك راجع للثاني (٢).

[٣٠] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسع ﴿لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ﴿إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ عالمًا (٣) ببواطنهم وظواهرهم فيرزقهم على حسب مصالحهم.

[٣١] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ﴾ بالوَد ﴿خَشْيَةً﴾ مخافة ﴿إِمَّا يَكُنْ تَرَفُّهُمْ وَبِأَكْبَرٍ﴾ أي: إن قتلهم كان خطئًا ﴿كَبِيرًا﴾ عظيمًا.

[٣٢] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الرِّقَّةَ﴾ أبلغ من لا تأتوه ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾ فبيحا ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ بس ﴿سَبِيلًا﴾ طريقًا هو.

[٣٣] ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيٍّ﴾ لوارثه ﴿سُلْطَانًا﴾ تسلطًا على القاتل ﴿فَلَا يُسْرِفُ﴾ يتجاوز الحد ﴿فِي الْقَتْلِ﴾ بأن يقتل غير قاتله، أو بغير ما قتل به ﴿إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِاتِّبَاعٍ مِّنْ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ﴾ إذا عاهدتم الله أو الناس ﴿إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ عنه.

[٣٥] ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ﴾ أتموه ﴿إِذَا كِلْتُم وَرثُوا بِالْقِسْطِ أَسْمَاءُ الْمُسْتَقِيمِ﴾ الميزان السوي ﴿ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ مآلاً.

[٣٦] ﴿وَلَا تَقْفُ﴾ تتبع ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ﴾ القلب ﴿كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ صاحبه ماذا فعل به.

[٣٧] ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: ذا مرح بالكبر والخيلاء ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ﴾ تنقبها حتى تبلغ آخرها بكبرك ﴿وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾

المعنى أنك لا تبلغ هذا المبلغ، فكيف تختال؟! [٣٨] ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿كَانَ سَيِّئُهُ﴾ (٤) عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا.

(١) أي: الإسكاف.

(٢) أي: الإسراف في الإنفاق.

(٣) وفي الآية إثبات صفة البصر له سبحانه؛ على الوجه اللائق به من غير تمثيل، ولا تكليف، ولا تأويل، ولا تعطيل، ومن لوازم ذلك أن يكون عالمًا ببواطن عبادهم وظواهرهم.

(٤) وفي قراءة سبعة لنافع وابن كثير وأبي عمرو «سيفه» بالياء؛ أي عملاً سيفًا، وقرأ الباقون «سيفه» بالهاء؛ أي السيف مما تقدم.

ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا
آخَرَ تَتَلَفَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْمُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ
بِالْبَيْنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنثًا إِنَّكُمْ تَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾
قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا أُتْبِعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا
﴿٤٢﴾ سَبَّحْنَاهُ وَعَلَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ
السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ
لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ
الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا
مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ
وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ رَبُّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَنَّ عَلَى الْأَرْضِ مَدَنُورًا ﴿٤٦﴾
نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ مَخْرُجُونَ
إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٤٧﴾ أَنْظِرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾
وَقَالُوا إِذْ كُنَّا ظَالِمًا لَوْفَتْنَا لَهُ تَأْمِيعُوهُمْ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾

[٤١] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بَيَّنَّا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾ مِنَ الْأَمْثَالِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعْدِ
﴿لِيَذَكَّرُوا﴾ بِتَعْلُوهِمْ وَمَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ ﴿وَلَا نُفُورًا﴾ عَنِ الْحَقِّ.
[٤٢] ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ أَي: اللَّهُ ﴿إِلَهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ﴾ إِذَا
لَاتَّبَعُوا ﴿طَلَبُوا﴾ إِلَى ذِي الْعَرْشِ أَي: اللَّهُ ﴿سَبِيلًا﴾ لِيَقَاتِلَهُ (١).
[٤٣] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾ تَنْزِيهِهَا لَهُ ﴿وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ مِنَ الشُّرَكَاءِ ﴿عُلُوًّا﴾
كَبِيرًا.

[٤٤] ﴿تُسَبِّحُ لَهُ﴾ تَنْزِيهِهُ ﴿السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ﴾ مَا
﴿إِلَّا يُسَبِّحُ﴾ مِنَ الْخُلُقَاتِ ﴿وَلَا يُسَبِّحُ﴾ مُتَلَبِّسًا بِحَمْدِهِ أَي يَقُولُ:
سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا نَفْقَهُونَ تَفْهَمُونَ تَفْهَمُونَ ﴿تُسَبِّحُهُمْ﴾ لِأَنَّهُ لَيْسَ
بِلَعْنَتِهِمْ ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حَيْثُ لَمْ يَجَاجِلْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ.
[٤٥] ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾
حِجَابًا مَسْتُورًا أَي: سَاتَرْنَا لَكَ عَنْهُمْ فَلَا يَرُونَكَ، نَزَلَ فِيمَنْ أَرَادَ الْفَتْكُ بِهِ
(٢).

[٤٦] ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أَغْطِيَةٌ ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ مِنْ أَنْ يَفْهَمُوا
الْقُرْآنَ؛ أَي: فَلَا يَفْهَمُونَهُ ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ ثِقْلًا فَلَا يَسْمَعُونَهُ ﴿وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ﴾
رَبُّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَنَّ عَلَى الْأَرْضِ مَدَنُورًا عَنْهُ.
[٤٧] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ﴾ بِسَبِيهِ مِنَ الْهَزْءِ ﴿إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ﴾
قِرَاءَتِكَ ﴿وَإِذْ هُمْ مَخْرُجُونَ﴾ يَتَاجَعُونَ بَيْنَهُمْ؛ أَي: يَتَحَدَّثُونَ ﴿إِذْ﴾ بَدَلُ مِنْ ﴿إِذَا﴾
قَبْلَهُ ﴿يَقُولُ الظَّالِمُونَ﴾ فِي تَنَاجِيهِمْ: ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾
مَخْدُوعًا مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِهِ.

[٤٨] قَالَ - تَعَالَى -: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ بِالْمَسْحُورِ
وَالْكَاهِنِ وَالشَّاعِرِ ﴿فَضَلُّوا﴾ بِذَلِكَ عَنِ الْهَدْيِ ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾
طَرِيقًا إِلَيْهِ.

[٤٩] ﴿وَقَالُوا﴾ مُنْكَرِينَ لِلْبُعْثِ: ﴿إِذَا كُنَّا عِظَمًا وَرَفْنَا لَوْ أَنَّ لَنَا مَعْمُودُونَ خَلْقًا﴾
جَدِيدًا.

[٣٩] ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ الْمَوْعِظَةُ
﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ تَتَلَفَى﴾ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْمُورًا ﴿مَطْرُودًا عَنِ﴾
رَحْمَةِ اللَّهِ.

[٤٠] ﴿أَفَأَصْفَكَ رَبُّكَ بِالْبَيْنِينَ﴾ أَخْلَصَكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿رَبُّكُمْ بِالْبَيْنِينَ وَاتَّخَذَ مِنْ﴾

(١) والقول الآخر في تفسير الآية أن المعنى: لطلبوا التوصل والتقرب إليه، إفراذا له - سبحانه - بالعبودية والتوجه، وهذا القول هو الصحيح المنقول عن السلف، كما بينه شارح الطحاوية، واختاره ابن كثير وغيره.

(٢) يشير إلى ما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١٩٥/٢، ١٩٦) عن أسماء بنت أبي بكر قال: لما نزلت ﴿تَبَيَّنَتْ بَدَأَ أَيُّ لَهْبٍ﴾ (سورة المسد) أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة وفي يدها فهر (حجر) وهي تقول: مَدَمَّا أَبْنَا، وَدِينَهُ قَلْبَانَا، وَأَمْرَهُ عَصِينَا. والنبى ﷺ في المسجد ومعه أبو بكر، فلما رآها أبو بكر، قال: «يا رسول الله، قد أقبلت، وأنا أخاف أن تترك. قال النبي ﷺ: إنها لن ترائي. وقرأ فرأنا فاعتصم به كما قال. وقرأ: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا﴾، فوفقت على أبي بكر ولم تر رسول الله ﷺ... الحديث. وأخرجه أيضًا أبو يعلى في مسنده (٣٣/١ رقم ٢٥) عن ابن عباس بنحوه، وفي إسناده عند أبي يعلى عطاء بن السائب، وقد اختلط، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٤٤/٧)، ونسبه إلى أبي يعلى والزار وضعفه بعباءة. هذا أحد الأقوال، والقول الآخر في تفسير الآية أن المراد بالحجاب المستور: أي: من الجهل وعمى القلب، فهم لإعراضهم ونفاقهم عن دعوتهم ﷺ كَفَرُوا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُمْ حِجَابٌ يَمْنَعُهُمْ مِنَ السَّمْعِ وَيَحُولُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْهُدَى، وهذا القول هو الأقرب، وعليه جمهور المفسرين.

[٥٠] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حِيدًا﴾.

[٥١] ﴿أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْتُمُونَ فِي صُدُورِهِمْ﴾ يعظم عن قبول الحياة فضلاً عن العظام والرفات فلا بد من إيجاد الروح فيكم ﴿فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا﴾ إلى الحياة ﴿قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ﴾ خلقكم ﴿أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ ولم تكونوا شيئاً؛ لأن القادر على البدء قادر على الإعادة، بل هي أهون ﴿فَسَيَقُولُونَ﴾ يحركون ﴿إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ تعجباً ﴿وَيَقُولُونَ﴾ استهزاء: ﴿مَتَى هُوَ﴾ أي: البعث ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾.

[٥٢] ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ﴾ يناديكم من القبور على لسان إسرافيل ﴿فَتَسْتَجِيبُونَ﴾ فتجيبون دعوته من القبور ﴿يَحْمَدُونَ﴾ بأمره، وقيل: وله الحمد ﴿وَتَقُولُونَ﴾ ما ﴿لَيْسَتْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ لهول ما ترون.

[٥٣] ﴿وَقُلْ لِّسَادِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقولوا للكفار (١) الكلمة ﴿الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ ﴿بِفَسْءٍ﴾ يَبْتِهَمُ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَتْ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا بَيِّنَ الْعَدَاوَةِ.

[٥٤] والكلمة التي هي أحسن هي: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ﴾ إِنَّ بَشَرًا يَرْحَمُكُمْ بالتوبة والإيمان ﴿أَوْ إِنَّ بَشَرًا﴾ تعذيبكم ﴿يُعَذِّبُكُمْ﴾ بالموت على الكفر ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ فتجبرهم على الإيمان، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٥٥] ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فيخضعهم بما شاء على قدر أحوالهم ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ﴾ بتخصيص كل منهم بفضيلة كموسى بالكلام، وإبراهيم بالخلعة، ومحمد بالإسراء ﴿وَمَا أَتَيْنَا دَاوُودَ رُبُورًا﴾.

[٥٦] ﴿قُلْ لَهُمْ: ﴿ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ﴾ أنهم آلهة ﴿مَنْ دُونِهِ﴾ كالملائكة وعيسى وعزير ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ﴾ كَنَفَ النَّفَرِ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا له إلى غيركم.

[٥٧] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ لهم آلهة ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ يطلبون ﴿إِلَى رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلًا﴾ القربة بالطاعة ﴿أَيُّهُمْ﴾ بدل من واو «يتبعون»؛ أي: يتبعها الذي هو ﴿أَقْرَبُ﴾ إليه فكيف بغيره ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ كغيرهم، فكيف تدعونهم آلهة ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ (٢).

﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حِيدًا﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْتُمُونَ فِي صُدُورِهِمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيَقُولُونَ إِلَيْكَ رُءُوسُهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَقُولُونَ إِنْ لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا وَقُلْ لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ بَشَرًا يَرْحَمُكُمْ أَوْ إِنَّ بَشَرًا يُعَذِّبُكُمْ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَمَا أَتَيْنَا دَاوُودَ رُبُورًا قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَتَّبِعُونَ إِلَى رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلًا أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا وَإِنْ مِنْ قَرِيبَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا

[٥٨] ﴿وَإِنْ﴾ ما ﴿مِنْ قَرِيبَةٍ﴾ أريد أهلها ﴿إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ بالموت ﴿أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا﴾ بالقتل وغيره ﴿كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ﴾ اللوح المحفوظ ﴿مَسْطُورًا﴾ مكتوباً.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٧): أخرج مسلم عن عبد الله بن مسعود قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجن، فأسلم نفر من الجن، واستمسك الإنس بعبادتهم. فنزلت: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمْ أَلْوَسِيلًا﴾. مسلم - كتاب التفسير (٥٤) باب (٤) (٣٠٣)، وهو في البخاري (٤٧١٤، ٤٧١٥) دون التصريح بسبب النزول.

(١) هذا أحد الأقوال في تفسير هذه الآية، ولعله يشير إلى ما ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (١٩٥)، عن الكلبي قال: كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بالقول والفعل، فشكروا ذلك إلى رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية. والحديث ضعيف كما في الاستيعاب (٤٤٠/٢). والقول الثاني: هو أن الآية تحث المؤمنين على أن يتخاطبوا فيما بينهم بالتي هي أحسن. وهذا هو الأطهر والأنسب، والله أعلم.

فيؤمنوا^(٩).

[٦٠] ﴿وَمَا أَكْذَرُ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ علمنا وقدره، فهم في قبضته، فبلغهم ولا تخف أحدا فهو يعصمك منهم ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾ عينا ليلة الإسراء^(١) ﴿إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة إذ كذبوا بها وارتمد بعضهم لما أخبرهم بها ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ وهي الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم، جعلناها فتنه لهم، إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبت ﴿وَنُفِثُوهُمْ﴾ بها ﴿فَمَا يَرِيدُهُمْ﴾ تخويفنا ﴿إِلَّا طُعِفُنَا كِبِيرًا﴾.

[٦١] ﴿وَمَا أَكْذَرُ﴾ اذكر ﴿إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾ سجود تحية بالانحناء ﴿فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ نصب بنوع الخافض؛ أي: من طين.

[٦٢] ﴿قَالَ أَرَأَيْتَكَ﴾ أي: أخبرني ﴿هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ﴾ فضلت ﴿عَلَيْكَ﴾ بالأمر بالسجود له و ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ﴾^(٢) ﴿كَلِمَةً لَا مَ قَسَمَ﴾ الْفَرِّدِينَ إِلَى يَوْمِ الْفِتْنَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ لِأَسْأَمَلَنَّ ﴿ذُرِّيَّتِهِ﴾ بالإغواء ﴿وَلَا قِيلِيلًا﴾ منهم ممن عصته.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - له: ﴿أَذْهَبَ﴾ مُنْظَرًا إِلَى وَفْتِ النَّفْخَةِ الْأُولَى ﴿فَمَنْ يَنْعَكْ وَمَنْهُمْ فُلَاكٌ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ﴾ أنت وهم ﴿جَزَاءُ مَوْفُورًا﴾ واهزأ كاملاً.

[٦٤] ﴿وَأَسْتَفْزِرُ﴾ استخف ﴿مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ يَصُونُكَ﴾ بدعائك بالغناء والمزامير وكل داع إلى المعصية ﴿وَأَلْبَيْتَ﴾ صبغ ﴿عَلَيْهِمْ بِحَبْلِكَ وَرَجَلِكَ﴾ وهم الركاب والمشاة في المعاصي ﴿وَوَشَّارُكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ﴾ المحرمة كالربا والغصب ﴿وَالْأَوْلَادِ﴾ من الرزق ﴿وَعِدَهُمْ﴾ بأن لا بعث ولا جزاء ﴿وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ﴾ بذلك ﴿وَلَا غُرُورًا﴾ باطلاً.

[٦٥] ﴿إِنَّ عِبَادِي﴾ المؤمنين ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ تسلط وقوة ﴿وَكُنْتَ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ حافظاً لهم منك.

[٦٦] ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِي﴾ يُجْري ﴿لَكُمْ الْفُلُوكَ﴾ السفن ﴿فِي الْبَحْرِ لِيَبْتَلُوا﴾ تطليبا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ - تعالى - بالنجارة ﴿إِنَّكُمْ كَانَتْ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ في تسخيرها لكم.

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴿وَأَتَيْنَا نُمُودَ النَّافَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ وَنُفِثُوهُمْ فَمَا يَرِيدُهُمْ إِلَّا طُعِفُنَا كِبِيرًا ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ مَا أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أُوْحِقَنَّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا ﴿قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ يَبْعَاك مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءُ مَوْفُورًا﴾ وَأَسْتَفْزِرُ مَنْ أَسْتَطَعَتْ مِنْهُمْ يَصُونُكَ وَأَلْبَيْتَ عَلَيْهِمْ بِحَبْلِكَ وَرَجَلِكَ وَوَشَّارُكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْسِي لَكُمْ الْفُلُوكَ فِي الْبَحْرِ لِيَبْتَلُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ وَكَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿

[٥٩] ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ التي اقترحتها أهل مكة ﴿إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ لما أرسلناهم فأهلكناهم، ولو أرسلناهم إلى هؤلاء لكدبوا بها واستحقوا الإهلاك، وقد حكمنا بإمهالهم؛ لإتمام أمر محمد ﷺ ﴿وَأَتَيْنَا نُمُودَ النَّافَةِ﴾ آية ﴿مُبْصِرَةً﴾ بَيِّنَةً واضحة ﴿فَظَلَمُوا﴾ كفروا بها فأهلكوا ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ﴾ المعجزات ﴿إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ للعباد

(٩) ما جاء في نزول الآية (٥٩): أخرج أحمد عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا دعبا، وأن ينحي الجبال عنهم فيزددوا [إضعاف من الزرع]، فقبل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت أن تؤنيهم الذي سألو، فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم. قال: «لا، بل أستاذي بهم، فأقول الله ﷻ هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ﴾ إِلَّا أَنْ كَذَبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا نُمُودَ النَّافَةِ مُبْصِرَةً». أحمد - المسند (٢٥٨/١). قال أحمد شاكر: إسناده صحيح (٢٣٣٣).

(١) أخرج البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ قال: هي رؤيا عين أريها ليلة أسري به. ﴿وَالشَّجَرَةُ الْمُلْعُونَةُ فِي الْقُرْآنِ﴾ قال: شجرة الزقوم البخاري (٣٨٨٨).

(٢) الأعراف: ١٢.

[٦٧] ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُه فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ۖ أَفَأَمْنُهُ أَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ رُكْبًا ۚ﴾^(١) **تفسير** في البحر خوف الغرق ﴿ضَلَّ﴾ غاب عنكم ﴿مَنْ تَدْعُونَ﴾ تعبدون من الآلهة فلا تدعونه ﴿إِلَّا إِلَهُهُ﴾ تعالى ٥ فإنكم تدعونه وحده؛ لأنكم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ﴾ من الغرق وأوصلكم ﴿إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ﴾ عن التوحيد ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا﴾ جعولا للنعم.

[٦٨] ﴿أَفَأَمْنُهُ أَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ﴾ أي: الأرض كفارون ﴿أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ أي: يرميكم بالحصباء ققوم لوط ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ رُكْبًا﴾ حافظا منه.

[٦٩] ﴿ثُمَّ أَنتُمْ أَنْ يُعَذِّبَكُمْ فِيهِ﴾ أي: البحر ﴿ثُمَّ﴾ مرة ﴿أُخْرَى﴾ فيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ أي: ريحا شديدة لا تمر بشيء إلا قصفته فتعسر فلحكم ﴿فَيُعَذِّبُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ بكفركم ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ رُكْبًا﴾ يوم يُعَذِّبُ ناصرا وناجيا يطالبنا بما فعلنا بكم.

[٧٠] ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا﴾ فضلنا ﴿بَنِي آدَمَ﴾ بالعلم والنطق واعتدال الخلق وغير ذلك، ومنه طهارتهم بعد الموت ﴿وَحَمَلْنَاهُمْ فِي أَلْبَانٍ﴾ على الدواب ﴿وَالْبَحْرَ﴾ على السفن ﴿وَوَرَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَصَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا﴾ كالبهائم والوحوش ﴿تَفْصِيلًا﴾ فـ«من» بمعنى «ما» أو عسى بابها، وتشمل الملائكة، والمراد تفضيل الجنس، ولا يلزم تفضيل أفراده؛ إذ هم أفضل من البشر غير الأنبياء^(٢).

[٧١] اذكر ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِسْمِهِ﴾ فيهم، فيقال: يا أمة فلان، أو بكتاب أعمالهم فيقال: يا صاحب الشر، وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ أَوْفَى﴾ منهم ﴿كَتَبْنَا بِسْمِهِ﴾ وهم السعداء أولو البصائر في الدنيا ﴿فَأُولَئِكَ يَفْرَهُونَ﴾ يفرحون ﴿كُتِبَتْ لَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ﴾ ينقصون من أعمالهم ﴿فَقِيلَ﴾ قدر قشرة النواة^(٣).

[٧٢] ﴿وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ﴾ أي: الدنيا ﴿أَعْمَى﴾ عن الحق ﴿فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى﴾ عن طريق النجاة وقراءة القرآن ﴿وَأَصْلُ سَبِيلًا﴾ أبعد طريقا عنه.

[٧٣] ونزل في تعذيب وقد سأله ﷺ أَنْ يَحْزِمَ وادبهم وألحوا عليه: ﴿وَأَنْ﴾ مخفية ﴿كَادُوا﴾ قاربوا ﴿لَيَقْتُلَنَّكَ﴾ ليستنزلك ﴿عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْقَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذْ﴾ لو فعلت ذلك ﴿لَا تَقْدِرُكَ خَلِيلًا﴾.

وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُه فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ۖ أَفَأَمْنُهُ أَنْ يَخْشِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ رُكْبًا ۚ وَكَيْلًا ۚ أَمْ أَمْنُهُ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِنَ الرِّيحِ فَيَغْرِقَكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِعًا ۚ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُوهِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَصَّلْنَا بَيْنَهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْصِيلًا ۚ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أَنَسٍ بِإِسْمِهِ فَمَنْ أَوْفَى كُتِبَتْهُ وَبِسْمِهِ فَأُولَئِكَ يَفْرَهُونَ كُتِبَتْ لَهُمْ وَلَا يَظْلَمُونَ فَقِيلَ ۚ وَمَنْ كَانَتْ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَصْلُ سَبِيلًا ۚ وَإِنْ كَادُوا لَيَقْتُلَنَّكَ عَنْ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْقَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذْ لَا تَقْدِرُكَ خَلِيلًا ۚ وَلَوْ لَا أَنْ تَبَيَّنْتَ عَنْ الْحَقِّ بِالْعَصَةِ ۚ لَقَدْ كُنتَ قَارِبًا تَرَكُنْ ۚ تَمِيلُ ۚ إِلَيْهِمْ شَيْنًا ۚ رَكُونًا ۚ قِيلَ ۚ لَشُدَّةِ احْتِيَالِهِمْ وَالْحَاحُ بِهِمْ وَهُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَرْكُنْ وَلَا قَارِبَ.

[٧٥] ﴿وَإِذَا﴾ لو ركنت ﴿لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ عَذَابِ الْخَيْرِ﴾ وَضِعْفَ عَذَابِ الْمَمَاتِ ۚ أي: مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ مانعا منه.

[٧٤] ﴿وَلَوْ لَا أَنْ تَبَيَّنْتَ﴾ عن الحق بالعصمة ﴿لَقَدْ كُنتَ قَارِبًا تَرَكُنْ ۚ تَمِيلُ ۚ إِلَيْهِمْ شَيْنًا ۚ رَكُونًا ۚ قِيلَ ۚ لَشُدَّةِ احْتِيَالِهِمْ وَالْحَاحُ بِهِمْ وَهُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ ﷺ لَمْ يَرْكُنْ وَلَا قَارِبَ.

[٧٥] ﴿وَإِذَا﴾ لو ركنت ﴿لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ عَذَابِ الْخَيْرِ﴾ وَضِعْفَ عَذَابِ الْمَمَاتِ ۚ أي: مثلي ما يعذب غيرك في الدنيا والآخرة ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ مانعا منه.

(١) والذي ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عن السلف واختاره: القول بتفضيل الأنبياء وصالح المؤمنين على الملائكة. واختار طائفة التوقف؛ وأن الأولى عدم الخوض في هذه المسألة؛ لأنه لا يترتب على ذلك عمل. وهو قول حسن.

(٢) هذا سهو من السيوطي رحمه الله؛ فما ذكره هو معنى «القطمير»، أما «الفتن» فهو: الخيط الذي في بطن النواة.

(٣) أي يحزمه كما حزم مكة. ذكره الواحدي في أسباب النزول عن عطاء عن ابن عباس (ص ١٢١) وقيل غير ذلك، وكلها ضعيفة كما في الاستيعاب (٤٤٨/٢ - ٤٥١)، والصحيح أن الآية عامة في تأييد الله ﷻ لرسوله ﷺ وتثبيت عصمته وسلامته من شر الأشرار وكيد المعارج، والله أعلم.

[٧٨] ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمِيسِ﴾ أي: من وقت زوالها ﴿إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ﴾ إقبال ظلمته؛ أي: الظهر والعصر والمغرب والعشاء ﴿وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ﴾ صلاة الصبح ﴿وَإِنْ قَرَأَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا﴾ تشهد ملائكة الليل وملائكة النهار^(١).

[٧٩] ﴿وَمِنْ أَيْتِلَ فَتَهَجَّدْ﴾ فصل ﴿بِهِ﴾ بالقرآن ﴿نَافِلَةً لَكَ﴾ فريضة زائدة لك دون أمتك أو فضيلة على الصلوات المفروضة ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ﴾ يقيمك ﴿رَبُّكَ﴾ في الآخرة ﴿مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ يحمدهم فيه الأولون والآخرون، وهو مقام الشفاعة في فصل القضاء.

[٨٠] ونزل لما أمر بالهجرة^(٢): ﴿وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي الْمَدِينَةَ﴾ مُدْخَلٌ صِدْقٌ إخراجاً مرضياً لا أرى فيه ما أكره ﴿وَأَخْرِجْنِي﴾ من مكة ﴿مُخْرَجٌ صِدْقٌ﴾ إخراجاً لا ألقت بقلبي إليها ﴿وَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا﴾ قوة تنصرني بها على أعدائك.

[٨١] ﴿وَقُلْ﴾ عند دخولك مكة: ﴿جَسَاءَ الْحَقِّ﴾ الإسلام ﴿رَهَقَ الْبَاطِلُ﴾ بطل الكفر ﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ مضمحللاً زائلاً، وقد دخلها ﷺ وحول البيت ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول ذلك حتى سقطت، رواه الشيخان^(٣).

[٨٢] ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْبَيَانِ﴾ للبيان ﴿الْقُرْءَانُ مَا هُوَ شِفَاءٌ﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ به ﴿وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ لغيرهم به.

[٨٣] ﴿وَإِذَا نَفَسْنَا عَلَى الْإِنْسَنِ الْكَافِرِ﴾ أَعْرَضَ ﴿عَنِ الشُّكْرِ﴾ وَنَنَا بِحَاجَتِهِ ﴿ثُمَّ عَطَفَهُ مَبْتَخَرًا﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْفَقْرُ وَالشَّدَّةُ ﴿كَانَ يَتُوسَّأُ﴾ قَنُوطًا من رحمة الله.

[٨٤] ﴿قُلْ كُلٌّ﴾ منا ومنكم ﴿يَعْمَلُ عَلَى شَاكِرَتِهِ﴾ طريقته ﴿فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾ طريقاً فنيه.

[٨٥] ﴿وَيَسْتَلْزِمُكَ﴾ أي: اليهود ﴿عَنِ الرُّوحِ﴾ الذي يحيا به البدن ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ أي: علمه لا تعلمونه ﴿وَمَا أُوْتِشِرَ بَيْنَ الْغَايَةِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ بالنسبة إلى علمه تعالى^(٤).

[٨٦] ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن بأن نحوه من الصدور والمصاحف ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُكَ بِهِ عِلَيْنَا وَكِيلًا﴾.

وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُواكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٨﴾ سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٩﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ السَّمِيسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنْ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَتْ مَشْهُودًا ﴿٨٠﴾ وَمِنْ أَيْتِلَ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا ﴿٨١﴾ وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٢﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨٣﴾ وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْءَانِ إِنْ مَاهُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٤﴾ وَإِذَا نَفَسْنَا عَلَى الْإِنْسَنِ الْكَافِرِ أَعْرَضَ وَنَنَا بِحَاجَتِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَتُوسَّأُ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِرَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٥﴾ وَيَسْتَلْزِمُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِشِرُ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٦﴾ وَلَكِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا يَجِدُكَ بِهِ عِلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٧﴾

[٧٦] ونزل لما قال له اليهود: إن كنت نبياً فالحق بالشام فإنها أرض الأنبياء^(١): ﴿وَإِنْ﴾ مخفية ﴿كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُواكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ أرض المدينة ﴿لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا﴾ لو أخرجوك ﴿لَا يَلْبَثُونَ خَلْفَكَ﴾ فيها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم يهلكون.

[٧٧] ﴿سُنَّةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ أي: كسنتنا فيهم من إهلاك من أخرجهم ﴿وَلَا يَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾ تبديلاً.

(١) ما جاء في نزول الآية (٨٥): أخرجه البخاري عن عبد الله قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حرث وهو متكئ على عسيب إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رابكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه! فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيئاً، فعلمت أنه يوحى إليه، فقامت مقامى، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْتَلْزِمُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِشِرَ بَيْنَ الْغَايَةِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الإسراء (١٧) باب (١٣).

وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسال عنه هذا الرجل. فقال: سلوه عن الروح، قال: فسألوه عن الروح، فأئزله الله: ﴿وَيَسْتَلْزِمُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلْ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٨) سورة بني إسرائيل. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥١٠).

وهذا الحديث يدل على أن هذه الآية مكية، فيتمشى ذلك مع كون السورة كلها مكية، وحديث ابن مسعود السابق قال ابن كثير: (يقضي فيما يظهر بادي الرأي أن هذه الآية مدنية... وقد يجاب عن هذا بأنه قد تكون نزلت عليه بالمدنية مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك، أو أنه نزل عليه الوحي بأنه يجيبهم عما سأله بالآية المتقدم إنزالها عليه، وهي هذه الآية).

(١) أخرجه نحوه ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل وابن عساکر عن عبد الرحمن بن عثم (الدر المنثور (٣٥٣/٤))، وضعفه السيوطي في لياح القنوط (ص ١٣٩) وقال: (هذا مرسل ضعيف الإسناد). وعن قتادة في قوله تعالى: ﴿لَيَسْتَفْرِزُواكَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ قال: هم أهل مكة إخراج النبي ﷺ من مكة، وقد فعلوا بعد ذلك؛ فأملهم الله يوم بدر، ولم يلبثوا بعده إلا قليلاً... ذكره الطبري في جامع البيان (٩٠/١٥)، والسيوطي في الدر المنثور (٣٢٠/٥)، وهو مرسل كما في الاستيعاب (٤٥٢/٢).

(٢) أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة مرفوعاً به، وأحمد في المسند (٤٧٤/٢). وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٠٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٠٦٤)، وأحمد (١٨٤٧) عن ابن عباس، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي (٦١٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على المسند (٢٩١/٣): «إسناده صحيح».

(٤) البخاري (٢٤٧٨)، ومسلم (١٧١٨) من حديث عبد الله بن مسعود.

[٨٧] ﴿إِلَّا﴾ لكن أبقناه ﴿رَحْمَةً مِن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ عظيماً؛ حيث أنزله عليك وأعطاك المقام المحمود وغير ذلك من الفضائل.

[٨٨] ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْدُسُ وَالْحِجُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾ في الفصاحة والبلاغة ^(١) ﴿لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ معيَّناً.

[٨٩] نزل ردُّ لقولهم: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ ^(٢) ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بينا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ صفة لحدوف؛ أي: مثلاً من جنس كل مثل؛ ليتعظوا ﴿فَأَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِلَّا كُفُورًا﴾ جحوداً للحق.

[٩٠] ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على «أبي»: ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَنْفِرَ لَنَا مِن الْأَرْضِ يَبُوءُكَ﴾ عينا ينبع منها الماء.

[٩١] ﴿أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّمَّنْ فِي بَسْتَانٍ﴾ بستان ﴿مِّنْ خَيْلٍ وَعَنَبٍ فَتَقْطِرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا﴾ وسطها ﴿تَفْهَرُ﴾ تفهيرا.

[٩٢] ﴿أَوْ تُنْقِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كُفُوفًا﴾ قطعاً ﴿أَوْ نَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ مِثَالًا﴾ مقابلة وعياناً فراهم.

[٩٣] ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُرِّهِ﴾ ذهب ﴿أَوْ رَرْقٌ﴾ تصعد ﴿فِي السَّمَاءِ﴾ بسلم ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ﴾ لورقيت فيها ﴿حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا﴾ منها ﴿كِتَابًا﴾ فيه تصديقك ﴿تَقْرَأُهُ﴾ قل لهم: ﴿سُبْحَانَ رَبِّي﴾ تعجب ﴿هَلْ﴾ ما ﴿كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾ ولم يبعث ملكاً.

[٩٤] ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا﴾ أي قولهم منكربين: ﴿أُبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ ولم يبعث ملكاً.

[٩٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ﴾ بدل البشر ﴿مَلَائِكَةً﴾ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمُ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ إذ لا يُوسَّلُ إلى قوم رسول إلا من جنسهم؛ ليتمكنهم مخاطبته والفهم عنه.

[٩٦] ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ على صدقي ﴿إِنَّهُ

إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا﴾ قل
لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْحِجُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ
لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا
وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَكْثَرَ
النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَنْفِرَ
لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوءُكَ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ خَيْلٍ
وَعَنَبٍ فَتَقْطِرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْهَرُ أَوْ تُنْقِطَ السَّمَاءُ
كَمَا زَعَمَتِ عَلَيْنَا كُفُوفًا أَوْ نَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ
مِثَالًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ ذُرِّهِ أَوْ رَرْقٌ فِي السَّمَاءِ
وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا تَقْرَأُهُ قُلْ
سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا وَمَا مَنَعَ النَّاسَ
أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أُبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا
رَسُولًا قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ
لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمُ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا

كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ^(٣) علماً ^(٤) بيوطنهم وظواهرهم.

(١) ذكر العلماء أن أوجه الإعجاز في القرآن عديدة؛ ومنها: الإخبار بالغيبات، والعذوبة في الألفاظ، والبراعة في الأسلوب، والإيجاز في العبارة مع إفادة المعاني الكثيرة، وكونه لا يتخلق مع كثرة التلاوة ولا يملُّ بياضه، وكونه يجمع علومًا ومعارف لم يجمعها كاتب غيره، وغير ذلك.

(٢) الأنفال: ٣١.

(٣) والعلم غير البصر، وإن كان من لوازمه، فثبت هذه الصفة لله ﷻ على الوجه اللائق به سبحانه.

يهدونهم ﴿٩٨﴾ من دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٩٩﴾ مَاشِينَ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمًى
وَكُنَّا رُصْدًا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ سَكَنَ لَهَا سَكَنًا سَعِيرًا ﴿١٠٠﴾
تِلْكَ جَزَاءُ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا ﴿١٠١﴾

﴿٩٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا ﴿١٠١﴾ مَن كَرِهَ لَلْبَعَثِ
﴿٩٩﴾ إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَوَلَمْ نَكْمَعُوهُمْ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٠٠﴾

﴿٩٩﴾ ﴿١٠٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
مَعَ عَظْمَيْهِمَا قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمَا ﴿١٠١﴾ أَي: الأناسي في الصغر
﴿١٠٠﴾ وَجَعَلَ لَهُمْ أَمْثَلًا لِلْمَوْتِ وَبَعَثَ ﴿١٠١﴾ لَا رَبَّ فِيهِ قَابَ الْقَطَلِ لَيْسُوا إِلَّا
كُفْرًا ﴿١٠٢﴾ جحودًا له.

﴿١٠٠﴾ ﴿١٠١﴾ قُلْ لَهُمْ: ﴿١٠٢﴾ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّيَ مِنْ الرِّزْقِ
وَالْمَطَرِ ﴿١٠٣﴾ إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ ﴿١٠٤﴾ لَبِخْتُمْ ﴿١٠٥﴾ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ﴿١٠٦﴾ خَوْفِ نَفَادِهَا بِالْإِنْفَاقِ
فَقَتَرُوا ﴿١٠٧﴾ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠٨﴾ بخيلاً.

﴿١٠١﴾ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ﴿١٠٣﴾ وَهِيَ الْيَدُ، وَالْعَصَا،
وَالطُّوفَانُ، وَالْجُرَادُ، وَالْقُمَّلُ، وَالضَّفَادِعُ، وَالدَّمَ، وَالطَّمَسُ، وَنَقَصَ الثَّمَرَاتِ (١)
﴿١٠٤﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿١٠٥﴾ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٠٦﴾ عَنْهُ سَوَالُ تَقْرِيرِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى
صَدَقَتِهِ، أَوْ فَقَلْنَا لَهُ: اسْأَلْ، وَفِي قِرَاءَةِ بَلْفُظِ الْمَاضِي (٢) ﴿١٠٧﴾ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَمْ
يَفْرَعُونَ إِنِّي لَأُظَنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠٨﴾ مَخْدُوعًا مَغْلُوبًا عَلَى عَقْلِكَ.

﴿١٠٢﴾ ﴿١٠٣﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ ﴿١٠٤﴾ الْآيَاتِ ﴿١٠٥﴾ يَا رَبُّ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ ﴿١٠٦﴾ عَبْرًا، وَلَكِنَّكَ تَعَانِدُ، وَفِي قِرَاءَةِ بَضْمِ التَّاءِ (٣) ﴿١٠٧﴾ وَإِنِّي لَأُظَنُّكَ
يَنْفَرَعُونَ مَسْجُورًا ﴿١٠٨﴾ هَالِكًا أَوْ مَصْرُوفًا عَنِ الْخَيْرِ.

﴿١٠٣﴾ ﴿١٠٤﴾ فَرَعُونَ ﴿١٠٥﴾ أَن يَسْتَفْرِضَهُمْ ﴿١٠٦﴾ يَخْرِجُ مُوسَى وَقَوْمَهُ ﴿١٠٧﴾ مِنْ
الْأَرْضِ ﴿١٠٨﴾ أَرْضِ مِصْرَ ﴿١٠٩﴾ فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١١٠﴾

﴿١٠٤﴾ ﴿١٠٥﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَنبِئِ إِسْرَءِيلَ أَنكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ
الْآخِرَةِ ﴿١٠٦﴾ أَي: السَّاعَةِ ﴿١٠٧﴾ بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٨﴾ جَمِيعًا أَنْتُمْ وَهُمْ.

وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أُولِيَاءَ
مِنْ دُونِهِ وَيَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمًى وَكُنَّا
رُصْدًا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ سَكَنَ لَهَا سَكَنًا سَعِيرًا ﴿٩٧﴾
ذَلِكَ جَزَاءُ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ نَكُنْ عَظْمًا
وَرُفَاتًا أَتَا الْمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ قَابَ الْقَطَلِ لَيْسُوا إِلَّا كُفْرًا ﴿١٠٠﴾
قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ
الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا ﴿١٠١﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ
آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَتَنَّا بَنِي إِسْرَءِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ
إِنِّي لَأُظَنُّكَ يَمُوسَى مَسْحُورًا ﴿١٠٢﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ
هَؤُلَاءِ إِلَّا أَلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرٌ وَإِنِّي لَأُظَنُّكَ
يَفْرَعُونَ مَسْجُورًا ﴿١٠٣﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفْرِضَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ
فَأَعْرَفْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٤﴾ وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِيَنبِئِ إِسْرَءِيلَ
أَنكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعَدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٥﴾

﴿٩٧﴾ ﴿٩٨﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أُولِيَاءَ ﴿٩٩﴾

(١) وهذه هي الآيات التي أوتيتها موسى (عليه السلام) لفرعون وقومه، وهي غير الآيات التي أوتيتها لفرعون وقومه بني إسرائيل على الاستقامة، كما تقدم في تفسير سورة يونس آية (٧٥).

(٢) أي «فأُسال»، والمناسب أن يقول: «وقري»، جريا على طريقته؛ لأنها قراءة شاذة.

(٣) أي: من «غلبت»، وهي للكسائي.

وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾
وَقُرْءَانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾
قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْآذَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْآذَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ أَدْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا اللَّهَ وَإِدْعُوا الرَّحْمَنَ أَيُّ مَاتَ دَعْوَاكُمْ ۚ إِنَّ الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدَّلِيلِ وَكَبِّرَ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا ﴿١﴾ قِيمًا لِّيُنْذِرَ بِأَسَاسٍ شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّا كُنْ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾

آخر السورة (١). - والله - تعالى - أعلم (٢).

سُورَةُ الْكَافِرَاتِ

[مكية إلا ﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ الآية .]

مائة وعشر آيات أو خمس عشرة آية، نزلت بعد سورة الغاشية (٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ﴾ وهو الوصف بالجميل، ثابت ﴿لِلَّهِ﴾ تعالى، وهل المراد

(١) ما جاء في روى الآية (١١٠): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يرفع صوته بالقرآن، وكان المشركون إذا سمعوا صوته سبوا القرآن ومن جاء به، فكان النبي ﷺ يخفض صوته بالقرآن ما كان يسمعه أصحابه، فأقول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا يَوْمَ تَكُونُ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾. النسائي - كتاب الافتتاح (١١) باب (٨٠)، وأخرجه أيضًا بنحوه البخاري في كتاب التفسير (٦٥) باب (١٤)، ومسلم في كتاب الصلاة (٤) باب (٣١).

(٢) قَالَ مُؤَلَّفُهُ: هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذي أَلَّفَهُ الشيخ الإمام العالم الحق جلال الدين المحلي الشافعي رحمه الله، وقد أفرغت فيه جهدي، وبذلت فكري فيه في نقاش أراها إن شاء الله تعالى يجدي، وألغته في مدة قدر ميعاد الكليم (١)، وجعلته وسيلة للغزو بجنت النعم، وهو - في الحقيقة - مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه في الآي المشابهة الاعتماد والمعل، فرحم الله امرأً نَظَرَ بعين الانصاف إليه، ووقف فيه على حَقٍّ، فأطعني عليه. وَقَدْ قُلْتُ:

(١) أخرج نحوه ابن مردويه وابن جرير عن ابن عباس (الدر المنثور (٣٧٣/٤)). وضعف صاحب الاستيعاب إسناده (٤٦٤/٢). (٢) الترمذي (٣٤٢٩) من حديث أبي هريرة مرفوعاً وضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٩٦). وأسماء الله ﷻ ليست محصورة بهذه الأسماء، بل لا حصر لها، أو لا سبيل لبشر إلى ذلك، كما قال ﷻ: «أَسْأَلُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ اسْمُكَ هُوَ لَكَ؛ سَقِيتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَرْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَتَشَاتَرْتُ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...». أخرجه أحمد في المسند (٣٧٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الكلم الطيب (١٠٢).

(٣) أحمد (١٥٠٨١) عن معاذ بن أنس مرفوعاً، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٩) والسلسلة الضعيفة (٥٣/٤) رقم (١٥٤٧).

(٤) من أول سورة الكهف يبدأ القسم الذي فسر الجلال المحلي رحمه الله.

(٥) وهو أربعون يوماً؛ حيث فرغ من جمعه وتسويده، أما تحريره ونقله من المسودة فالإلى سادس صفر، وهي مدة أربعة أشهر إلا أربعة أيام كما سيأتي.

[١٠٥] ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ المشتغل عليه ﴿نَزَلَ﴾ كما أنزل لم يعثره تبديل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ من أمن بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ من كفر بالنار. [١٠٦] ﴿وَقُرْءَانًا﴾ منصوب بفعل يفعله ﴿قُرْءَانُهُ﴾ نزلناه مفرقاً في عشرين سنة أو ثلاث ﴿لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ﴾ مهل وتؤدة ليفهموه ﴿وَنَزَلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ شيئاً بعد شيء على حسب المصالح. [١٠٧] ﴿قُلْ﴾ لكفار مكة: ﴿ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا﴾ تهديد لهم ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِ﴾ قبل نزوله، وهم مؤمنو أهل الكتاب ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخْلُوا الدَّعَائِينَ﴾ [١٠٨] ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ تنزيهاً لها عن خلف الوعد ﴿إِنَّ﴾ مخفية ﴿كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا﴾ بنزوله وبعث النبي ﷺ ﴿لَمَفْعُولًا﴾. [١٠٩] ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْآذَانِ يَبْكُونَ﴾ عطف بزيادة صفة ﴿وَيَزِيدُهُمْ﴾ القرآن ﴿خُشُوعًا﴾ تواضعاً لله. [١١٠] وكان ﷺ يقول: «يا الله يا رحمن» فقالوا: بينها أن نعيد إليهم وهو يدعو إليها آخر معه، فنزل: ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَدْعُوا اللَّهَ أَوْ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ﴾ أي: سموه بأيهما أو نادوه بأن تقولوا: يا الله يا رحمن (١) ﴿أَيُّهَا﴾ شرطية ﴿فَمَا زَالَتْهُ﴾ أي: أي هذين ﴿تَدْعُوا﴾ فهو حسن، دل على هذا: ﴿قُلْ﴾ أي: لسماعهما ﴿الْأَسْمَاءَ﴾ تَنْقُصُ. وهذا منها، فإنها كما في الحديث: «الله الذي لا إله إلا هو الرحمن، الرحيم، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليم، القابض، الباسط، الخافض، الرافع، المعز، المذل، السميع، البصير، الحكيم، العدل، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المقيت، الحسيب، الجليل، الكريم، الرقيب، المحيب، الواسع، الحكيم، الودود، المجيد، الباعث، الشهيد، الحق، الوكيل، القوي، المتين، الولي، الحميد، المحصي، المبدئ، المعيد، المحيي، المميت، الحي، القيوم، الواجد، الماجد، الواحد، الأحد، الصمد، القادر، المقدر، المقدم، المؤخر، الأول، الآخر، الظاهر، الباطن، الوالي، المتعالي، البر، اتواب، المنتقم، العفو، الرؤوف، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام، المقسط، الجامع، الغني، المغني، المانع، الضار، النافع، النور، الهادي، البديع، الباقي، الوارث، الرشيد، الصبور» (رواه الترمذي) (٢)، قال - تعالى -: ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ﴾ بقرأتك بها فيسمعك المشركون فيسبوك ويسبوا القرآن ومن أنزله ﴿وَلَا تَخَافُوا﴾ تسر ﴿بِهَا﴾ ليتسمع أصحابك ﴿وَلَا تَجْهَرُوا بِهَا﴾ قصد ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الجهر والمخافة ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً وسطاً (٣). [١١١] ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ في الألوهية ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الدَّلِيلِ﴾ ينصره ﴿مِنْ﴾ أجل ﴿الَّذِلِّ﴾ أي: لم يذل فيحتاج إلى ناصر ﴿وَكَبِّرَ تَكْبِيرًا﴾ عظمه عظمة تامة عن اتخاذ الولد الشريك والذل وكل ما لا يليق به، وترتيب الحمد على ذلك للدلالة على أنه المستحق لجميع الحمد لكل ما ذاته وتفرده في صفاته، وروى الإمام أحمد في «مسنده» عن معاذ الجهني عن رسول الله ﷺ أن كان يقول: «آية العز: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ﴾ إلى

أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٌ ﴿١﴾ الْكِتَابَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ وَلَمْ يَجْعَلْ لَكُمْ فِيهِ عِلْمًا ﴿٣﴾ اخْتِلَافًا أَوْ تَنَاقُضًا، والجملة حال من «الكتاب».

[٢] ﴿يَسْمَعُ﴾ مستقيمًا، حال ثانية مؤكدة ﴿يُسْمِعُ﴾ يخوف بالكتاب الكافرين ﴿بِأَسْمَاءٍ﴾ عذابًا ﴿شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ﴾ من قبل الله ﴿وَيُنِيرُ الشُّرُوبِينَ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الظُّلُمَاتِ أَنَّهُمْ أَبْرَارٌ حَسَنَاتٌ﴾. [٣] ﴿تَنَكُّبِكُمْ فِيهِ أَبْكَاءٌ﴾ هو الجحيم [٤] ﴿وَسُيُورٌ﴾ من جملة الكافرين ﴿وَالَّذِينَ قَالُوا أَتُحَدِّثُ اللَّهُ وَلَئِكَ﴾. [٥] ﴿مَا لَكُمْ بِهِ﴾ بهذا القول ﴿مِنَ الْعِلْمِ وَلَا لِأَبَائِهِمْ﴾ من قبلهم القائلين له ﴿كَذَّبْتَ﴾ عظمت ﴿كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ «كلمة» تمييز مفسر للضمير المهم، والمخصوص بالمدح محذوف؛ أي: مقاتلهم المذكورة ﴿إِنْ﴾ ما ﴿يَقُولُونَ﴾ في ذلك ﴿وَالَّذِينَ قَالُوا أَتُحَدِّثُ﴾.

[٦] ﴿فَلَمَّا كَذَّبَتْ﴾ مهلك ﴿فَنَفَسَتْ﴾ عَلَى آبَائِهِمْ، بعدهم؛ أي: بعد توليهم عنك ﴿إِنْ لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿أَسْفَا﴾ غيظًا وحرنا منك؛ لحرصك على إيمانهم، ونصبه على المفعول له. [٧] ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ﴾ من الحيوان والنبات والشجر والأنهار وغير ذلك ﴿زِينَةً لِّمَن يَسْلُوهُمْ﴾ لنخبر الناس الناظرين إلى ذلك ﴿أَنَّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ فيه؛ أي: أزهد له^(١). [٨] ﴿وَأَنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا﴾ فناءً ﴿جُرْأًا﴾ يابسا لا يثبت. [٩] ﴿أَمْ حَسِبْتَ﴾ أي: ظننت ﴿أَنَّا أَصْحَابُ الْكَهْفِ﴾ الغار في الجبل ﴿وَالرَّقِيمِ﴾ اللوح المكتوب فيه أسمائهم وأنسابهم، وقد سئل ﷺ عن قصتهم ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في قصتهم ﴿مِنَ الْجَمْعِ﴾ جملة ﴿ءَايَاتِنَا عَجَبًا﴾ خبر كان، وما قبله حال؛ أي: كانوا عجبًا دون باقي الآيات، أو أعجبها، ليس الأمر كذلك.

[١٠] اذكر ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ﴾ جمع فتى، وهو الشاب الكاس، خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن دُنْكَ﴾ من قبلك ﴿رَحِمَةً وَهَيْئًا﴾ أصلح ﴿لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ هداية.

[١١] ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ﴾ أي: أغمناهم ﴿فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ معدودة. [١٢] ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ﴾ أيقظناهم ﴿لِنَعْلَمَ﴾ علم مشاهدة

مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿١﴾ فَلَعَلَّكَ بِنَجْعِ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ هَذَا الْحَدِيثَ أَسَفًا ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٣﴾ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرْأًا ﴿٤﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴿٥﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن دُنْكَ رَحِمَةً وَهِيَ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿٦﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿٧﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَمْ يَأْمُرْ بِهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿٨﴾ بِالْحَقِّ إِنَّهُم بِفِتْيَةٍ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿٩﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَدْعُوهُ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّفَدَّلْنَا إِذَا شَطَطًا ﴿١٠﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١١﴾

الإعلام بذلك للإيمان به أو الشك به أو هما؛ احتمالات، أفيدها الثالث ﴿الَّذِي

عَدَدْتُ اللَّهُ زَمِي إِذْ هَدَانِي
فَمَنْ لِي بِمَقَالَةٍ قَدَرْتُ عَنْهُ
لَمَّا أَنْبَذْتُ نَجْعَ عَجَبِي وَشَغْفِي
وَمَنْ لِي بِالْقُدُوبِ وَلَوْ بِخَرْبِ

هذا، ولم يكن قط في تخليدي أن أتمرض لذلك؛ لعلمي بالعجز عن الخوض في هذه المسالك، وعسى الله أن ينفع به نفعًا جفًا، ينفع به قلوبًا عُثْمًا، وأعينًا عُثْمًا، وأذنانًا صُفًا، وكأني بن اعتاد المطولات، وقد أضررت من هذه التكملة وأصلها حسنًا، وعدل إلى صريح العناد، ولم يوجه إلى دقائقها فيها ﴿وَمَنْ كَذَّبَ فِي هَذِهِ أَمْرًا فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَهْمٌ﴾. رزقا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقًا وإطلاعا على دقائق كلماته وغتقيقًا، وجعلنا به ﴿مَعَ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّهُمْ عَلَيْهِمْ مِنَ الْكَيْفِ وَالْجُودِ وَالْشُّكْرِ وَالصَّلَاحِ وَحَسَنُ أَوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾.

وفرغ من تأليف يوم الأحد عاشر شوال سنة سبعين وثمانمائة، وكن ابتداء في يوم الأربعاء استهل رمضان من السنة المذكورة، وفرغ من تبينه يوم الأربعاء سادس صفر سنة إحدى وسبعين وثمانمائة، والله أعلم. قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبي بكر الخطيب الطونسي: أخبرني صديقي العلامة كمال الدين المحلي أخو شيخنا الشيخ جلال الدين المحلي - رحمه الله تعالى - أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور في النوم يديه صديقنا الشيخ العلامة الخفوق جلال الدين السيوطي مصنف هذه التكملة، وقد أخذ الشيخ هذه التكملة في يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور: أيتها أحسن وضعي أو وضعك؟ فقال: وضعي. فقال: انظر، وعرض عليه مواضع فيها، وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلفظ، ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئًا يجيبه والشيخ يتسم وبضحك. قال شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي مصنف هذه التكملة: الذي أعقده وأجزم به أن الوضع الذي وضعه الشيخ جلال الدين المحلي - رحمه الله تعالى - في قلعته أحسن من وضعي أنا بطريقتي كثيرة؛ كيف وغالب ما وضعه هنا متيسر من وضعه ومستفاد منه لا مريه عدي في ذلك، وأما الذي رأيته في المنام المكتوب أعلاه، فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التي خالف وضعها فيها؛ لكنه، وهي سيرة جدًا، ما أظنها تبلغ عشرة مواضع: منها: أن الشيخ قال في «سورة ص»: والروح جسم لطيف يحيى به الإنسان بنفذه فيه. وكنت تبعته أولًا، فذكرت هذا الحد في «سورة الحجر» ثم ضربت عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَتَكَلَّمُ عَلَىٰ أَرْجُلِهِ مِمَّنْ أَسْرَرْتَنِي﴾ الآية، فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله تعالى. لا تعلمه؛ فالإمسك عن تعريفها أولى؛ ولذا قال الشيخ تاج الدين بن السبكي في «جمع الجوامع»: والروح لم يتكلم عليها محمد ﷺ، فنسك عنها. ومنها: أن الشيخ قال في «سورة الحج»: الصابون فرقة من اليهود. فذكرت ذلك في «سورة البقرة»، وزدت: أو النصارى؛ بيانًا لفرق ثانياً؛ فإنه المعروف؛ خصوصًا عند أصحابنا لفقهاء، وفي «فناهج»؛ وإن خالفت السامرة اليهود والصابغة النصارى في أصل دينهم، وفي «شروحه» أن الشافعي رحمه الله نقل على أن الصابون فرقة من النصارى، ولا أستحضر الآن موضعًا ثالثًا؛ فكان الشيخ - رحمه الله تعالى - يشير إلى مثل هذا، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

(١) قال في حاشية الصاوي: «والمنى: تعجز بين حسن العمل وسيئه بتلك الرينة؛ فمن زهدها كان من أهل الحسن، ومن رغب فيها كان بضد ذلك» (٤/٣). وقال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي: «أي أخلصه وأصوبه». تفسير الكرم الرحمن، ص (٥٠٤).

وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْرَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ
 يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا
 ﴿١٦﴾ وَرَأَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوَعْنَ كَهْفَهُمْ ذَاتِ
 الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ هُمْ ذَاتِ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ
 مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مِنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ
 يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحَسَّبُهُمْ أَنْ يَقَاطَا
 وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقِلَهُمْ ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ
 بَسِيطٌ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
 فِرَارًا وَلَمُلَمْتَ مِنْهُمْ رُعبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ
 لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا قَالُوا لَبِثْنَا
 يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا
 أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى
 طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
 بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
 أَوْ يُعْدِلُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

ذلك: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ﴾ [يُورِثُكُمْ] بسكون
 الراء وكسر هاء^(١)؛ فبضمتكم «هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ» يقال: إنها المسماة الآن
 (طَرَسُوس) بفتح الراء^(٢) «فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا» أي: أي أطعمة المدينة
 أحل «فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا»
 [٢٠] «إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ» يقتلوكم بالرجم «أَوْ
 يُعْدِلُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا» أي: إن عدمتم في ملتهم «أَبَدًا».

﴿أَيُّ الْحَرْزَيْنِ﴾ الفريقين المختلفين في مدة لبثهم ﴿أَحْصَى﴾ أفعال بمعنى أضبط
 ﴿لِمَا لَبِثُوا﴾ للبتهم، متعلق بما بعده ﴿أَمَدًا﴾ غاية. [١٣] ﴿فَتَنْ نَقُصُّ﴾
 نقرأ ﴿عَلَيْكَ يَا بَنِي الْإِنْسَانِ﴾ بالصدق ﴿إِنَّمِمْ فِتْنَةً أَعْمَلُوا بِرَبِّهِمْ وَرِذْنَهُمْ
 هُدًى﴾. [١٤] ﴿وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ قلوبناهم على قول الحق ﴿إِذْ
 قَامُوا﴾ بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا رُبَّ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنَّمَا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا
 شَطَطًا﴾ أي: قولاً ذا شطط؛ أي: إفراط في الكفر إن دعونا إلهاً غير الله،
 قرضاً [١٥] ﴿هَذُلَاءِ﴾ مبتدأ ﴿قَوْمَنَا﴾ عطف بيان ﴿أَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ
 إِلَهَةً تُولَآءُ﴾ هَلَا ﴿يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ﴾ على عبادتهم ﴿يُسَلِّطِينَ بَيْنَ﴾
 بحجة ظاهرة ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾
 بنسبة الشريك إليه - تعالى -.

[١٦] قال بعض الفتيه لبعض: ﴿وَإِذْ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ
 فَأَوْرَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾
 بكسر الميم وفتح الفاء، وبالعكس^(١)؛ ما تترفقون به من غداء وعشاء.
 [١٧] ﴿وَرَأَى الشَّمْسُ إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوَعْنَ﴾ بالتشديد والتخفيف^(٢)
 تميل ﴿عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتِ الْيَمِينِ﴾ ناحيته ﴿وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ هُمْ ذَاتِ
 الشِّمَالِ﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم ألبته ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾
 متمس من الكهف بناهم برد الريح ونسيمها ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿وَمِنْ آيَاتِ
 اللَّهِ﴾ دلائل قدرته ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ
 وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾.

[١٨] ﴿وَتَحَسَّبُهُمْ﴾ لو رأيتمهم ﴿أَيْقَاطَا﴾ أي: متبهن؛ لأن أعينهم
 مفتوحة، جمع (يقظ) بكسر القاف ﴿وَهُمْ رُقُودٌ﴾ نيام، جمع راقد
 ﴿وَنُقِلَهُمْ ذَاتِ الْيَمِينِ وَذَاتِ الشِّمَالِ﴾ لئلا تأكل الأرض لحومهم ﴿وَكَلْبُهُمْ
 سِيطٌ ذِرَاعِيهِ﴾ يديه ﴿بِالْوَصِيدِ﴾ بفناء الكهف، وكانوا إذا انقلبوا انقلب
 هو مثلهم في النوم واليقظة ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا
 [وَلَمُلَمْتَ]﴾ بالتشديد والتخفيف^(٣) ﴿مِنْهُمْ رُعبًا﴾ بسكون العين
 وضمتها^(٤)، منعم الله بالربع من دخول أحد عليهم.

[١٩] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما فعلنا بهم ما ذكرنا ﴿بَعَثْنَاهُمْ﴾ أبقظناهم
 ﴿لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ﴾ عن حالهم ومدة لبثهم ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْنَا
 قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس
 وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول، ثم ﴿قَالُوا﴾ متوقفين في

(١) يفتح الميم وكسر الفاء قراءة نافع وابن عامر.

(٢) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ ابن عامر بإسكان الزاي وتشديد الراء من غير ألف.

(٣) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير.

(٤) بالضم قراءة الكسائي وابن عامر.

(٥) بالسكون قراءة حمزة وشعبة وأبي عمرو.

(٦) وفي مجمل ما استعجم للبكري «طَرَسُوس» بضم أوله، وإسكان ثانيه: معروفة، من الثغور الجزيرية. قال أبو حاتم: هكذا يقول الأصمعي. وغيره يقول: «طَرَسُوس»... (٨٩٠/٣).

[٢٢] ﴿سَيَقُولُونَ﴾ أي: المتنازعون في عدد الفتية في زمن النبي ﷺ أي: يقول بعضهم: هم ﴿ثَلَاثَةٌ رَأَيْتُهُمْ كُلَّهُمْ وَيَقُولُونَ﴾ أي بعضهم: ﴿خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ﴾ والقولان لنصاري نجران ﴿رَجَاءً بِالْغَيْبِ﴾ أي: ظنًا في الغيبة عنهم، وهو راجع إلى القولين معًا، ونصبه على المفعول له، أي: لظنهم ذلك ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي المؤمنون: ﴿سَبْعَةٌ وَتَأْمُنُهُمْ كَتَبْنَاهُمْ﴾ الجملة من المبتدأ وخبره صفة «سبعة» بزيادة الواو، وقيل: تأكيد أو دلالة على لصوق الصفة بالموصوف، ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضي وصحيح ﴿قُلْ رَبِّيَ أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس: أنا من القليل. وذكرهم سبعة^(١) ﴿فَلَا تَعْمَارٍ﴾ تجادل ﴿فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَهَرَ﴾ بما أنزل عليك ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ﴾ تطلب الفتيا ﴿وَنُفِثَهُمْ﴾ من أهل الكتاب اليهود ﴿أَسَدًا﴾.

[٢٣] وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال: «أخبركم به غدا» ولم يقل: إن شاء الله فنزل ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ﴾ أي: لأجل شيء ﴿إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾ أي: فيما يستقبل من الزمان [٢٤] ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إلا ملتفتا بمشيئة الله - تعالى - بأن تقول: إن شاء الله ﴿وَأَذْكُرْ رَبَّكَ﴾ أي: مشيئته معلقًا بها ﴿إِذَا نَسِيتَ﴾ ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول، قال الحسن وغيره: ما دام في المجلس^(٢) ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقُرْبَىٰ مِنْ هَذَا﴾ من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتي ﴿رُسُلًا﴾ هداية، وقد فعل الله ذلك.

[٢٥] ﴿وَلْيَتُوبَا فِي كَهْفِهِمَا ثَلَاثَ مِائَتَيْنِ﴾ بالتوبين^(٣) ﴿سِتْرَيْنِ﴾ عطف بيان لـ «ثلاثمائة»، وهذه السنون الثلاثمائة عند أهل الكهف شمسية وتزيد القمرية عليها عند العرب تسع سنين، وقد ذكرت في قوله: ﴿وَارْجِعَا دُورًا﴾ أي: تسع سنين، فالثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع قمرية.

[٢٦] ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتُوبَا﴾ من اختلفوا فيه، وهو ما تقدم ذكره ﴿لَمْ يَغِيبْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ أي: علمه ﴿أَبْصُرَ بِهِ﴾ أي: بالله هي صيغة تعجب ﴿وَأَسْمِعُ﴾ به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمع، وهما على جهة المجاز^(٤)، والمراد أنه - تعالى - لا يغيب عن بصره وسمعه شيء ﴿مَا لَكُمْ لَأَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ ناصر ﴿وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ لأنه غني عن الشريك.

[٢٧] ﴿وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ ملجأ.

وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّلُ عَنَّا بِرَبِّهِمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُيُوتًا رَأَيْنَاهُمْ أَكْلِمَ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَسْتَ تَخَذَنَ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا ﴿١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَأَيْنَاهُمْ كُلُّهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كُلُّهُمْ رَجَاءً بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَتَأْمُنُهُمْ كُلُّهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تَعْمَارٍ فِيهِمْ إِلَّا مِرَّةً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ﴿٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقُرْبَىٰ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿٤﴾ وَلْيَتُوبَا فِي كَهْفِهِمَا ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَارْجِعَا دُورًا ﴿٥﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيَتُوبَا لَعَلَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَبْصُرَ بِهِ وَأَسْمِعَ مَا لَمْ يَرَوْا مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يَشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿٦﴾ وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابٍ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴿٧﴾

[٢١] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما بعثناهم ﴿أَغْتَرْنَا﴾ أطلعنا ﴿عَلَيْهِمْ﴾ قومهم والمؤمنين ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ أي: قومهم ﴿أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بالبعث ﴿حَقٌّ﴾ بطريق أن القادر على إتمامهم المدة الطويلة وإيقاظهم على حالهم بلا غداء، قادر على إحياء الموتى ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهَا﴾ إذ: معمول لـ «أغترنا» ﴿يَتَنَزَّلُ عَنَّا بِرَبِّهِمْ﴾ أي: المؤمنون والكفار ﴿يَتَنَزَّلُ عَنَّا بِرَبِّهِمْ أَمْرُهُمْ﴾ أمر الفتية في البناء حولهم ﴿فَقَالُوا﴾ أي الكفار: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ﴾ أي: حولهم ﴿بُيُوتًا﴾ يستريحهم ﴿رَأَيْنَاهُمْ أَكْلِمَ بِهِمْ﴾ قَالَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ عَلَىٰ أَمْرِهِمْ: أمر الفتية وهم المؤمنون^(١): ﴿لَسْتَ تَخَذَنَ عَلَيْهِمْ﴾ حولهم ﴿مَسْجِدًا﴾ يصلى فيه، وفعل ذلك على باب الكهف.

(١) الظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ، وقيل: هم أهل الشرك منهم وليسوا المسمون. وعلى أي حال فقد جله شرعًا بتحريم ذلك، قال ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ». يحنز ما فعلوا. رواه البخاري (٤٣٦)، ومسلم (٥٣١)، وقال ﷺ: «... أَلَا وَانْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانُوا يَتَّخِذُونَ قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ، أَلَا فَلَا تَتَّخِذُوا الْقُبُورَ مَسَاجِدَ، فإني أنذركم عن ذلك». رواه مسلم (٥٣٢).

(٢) أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهم عنه [الدر المنثور (٣٩٤/٤)].

(٣) أخرجه نحوه ابن المنذر عن مجاهد [الدر المنثور (٣٩٤/٤)] وذكره محمد بن إسحاق عن ابن عباس كما في تفسير ابن كثير (٧٠/٣)، وضعف إسناده في الاستيعاب (٤٧١/٢).

(٤) ذكره البغوي في تفسيره (١٦٢/٥)، وأخرج ابن أبي حاتم عن طريق عمرو بن دينار عن عطاء أنه قال: من حلف على يمين فله الثيا حلب ناقة. قال: وكان طاووس يقول: ما دام في مجلسه [الدر المنثور (٣٩٤/٤)].

(٥) وقرأ حمزة والكسائي بغير تنوين.

(٦) بل هما على جهة الحقيقة، نبتهما لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تكيف ولا تمثيل ولا تأويل ولا تعطيل.

[٢٨] ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ احْسَبْهَا مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُتُورِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ عِبَادَتَهُمْ وَجْهَهُ﴾ تعالى، لا شيئاً من أعراض الدنيا، وهم الفقراء «وَلَا تَقْدُ» تنصرف «عَيْنَاكَ عَنْهُمْ» عبر بهما عن صاحبهما «يُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نَطْمَعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا» أي: القرآن، هو عينة ابن حصن وأصحابه «وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ» في الشرك «وَكُنَّا أَمْرُهُ قُرْطًا» إسرأفاً^(١).

[٢٩] ﴿وَقُلْ لَهُ وَأَصْحَابِهِ هَذَا الْقُرْآنُ مِنَ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ تهديد لهم «إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ» أي: الكافرين «نَارًا أَحَاطَ بِهِنَّ سُرَادِقُهَا» ما أحاط بها «وَلَنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاوُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ» كحمر الزيت «يَشْوِي الْوُجُوهَ» من حوره إذا قرب إليها «يَسْكَ الشَّرَابِ» هو «وَسَاءَتْ» أي: النار «مُرْتَفَقًا» تمييز منقول عن الفاعل، أي: فُجِحَ مرتفقها، وهو مقابل لقوله الآتي في الجنة: «وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا» ولا فأي ارتفاق في النار.

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ الجملة خبر «إِنَّ الَّذِينَ»، وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر، والمعنى: أجروهم؛ أي: نبيهم بما تضمنته.

[٣١] ﴿أُولَئِكَ هُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ إقامه «تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ» قيل: «ومن» زائدة، وقيل: للتبعض، وهي جمع أسورة كأحمره، جمع سوار «وَمِنْ ذَهَبٍ وَيَبْسُوْنَ ثِيَابًا خَضِرًا مِنْ سُنْدُسٍ» ما رُقِيَ من الديباج^(١) «وَيَسْتَرْقُونَ» ما غلظ منه، وفي آية الرحمن «يَلْبَسُونَ ثِيَابًا خَضِرًا مِنْ سُنْدُسٍ»^(٢) «مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ» جمع أريكة، وهي السرير في الحجرة، وهي بيت يزين بالثياب والستور للعرس «وَيَمُومُ الثَّوَابِ» الجزاء الجنة «وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا».

[٣٢] ﴿وَأَنْتَرِبَ اجعل «لَهُمْ» للكفار مع المؤمنين «مَثَلًا لَظَالِمِينَ» بدل، وهو وما بعده تفسير للمثل «جَعَلْنَا لِأَكْثَرِهِمُ الْكَافِرَ جَنَّاتٍ» يستأنين «مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَافَتُهُمَا يَنْخُلُ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا» يقاتل به.

[٣٣] ﴿كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ» «كلنا» مفرد يدل على التثنية، مبتدأ «ءَأْتَتْ» خبره «أَكْثَلَهُمَا» ثمرها «وَلَمْ تَطْلُرْ» تنقص «وَبَيْنَهُمَا شِجَرًا وَقَجْرًا» أي: شققنا «جَعَلْنَاهُمَا نَهْرًا» يجري بينهما.

[٣٤] ﴿وَكُنَّا لَكُمْ» مع الجنتين «نَهْرًا» بفتح الناء والميم، وبضمهما، وبضم الأول وسكون الثاني^(٣)، وهو جمع ثمرة كشجرة وشجر، وخشبة

وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ مَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِنَّ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاوُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خَضِرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَيَسْتَرْقُونَ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نَعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ وَاصْبِرْ لَهُمْ مَثَلًا لِرَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لَاحِدَهُمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كُنَّا الْجَنَّتَيْنِ ءَأْتَتْ أَكْثَلَهُمَا تَطْلُرُ مِنْهُ شِجَرًا وَقَجْرًا خَلَّاهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُمَا شِرْكٌ فَقَالَ لَاصِحِيهِ هُوَ وَمَا آوَرُّهُ وَأَنَا كَسْرُ مِنْكَ مَا لَأَوْعَزُ نَفَرًا ﴿٣٤﴾

وخشُب، وبدنة وبدن «فَقَالَ لَصَاحِبِهِ» المؤمن «وَهُوَ يُجَاوِرُهُ» يفاخره: «أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَا لَا وَأَعَزُّ نَفَرًا» عشيرة.

(١) ما جاء في نزول الآية (٢٨): أخرج ابن ماجه عن حباب في قوله: «وَلَا تَطْلُرْ أَلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» إلى قوله: «كُنَّا لَكُمْ مَثَلًا لَظَالِمِينَ» قال: جاء الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن الفزاري فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعد في ناس من الضعفاء من المؤمنين، فلما رأوهم حول النبي ﷺ حفرهم، فأتوه، فخلوا به، وقالوا: نريد أن نجعل لنا منك مجلس تعرف لنا به العرب فضلاً، فإن وفود العرب تأتيك فستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعداء. فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فأقمهم إن شئت. قال: نعم. قالوا فاكب لنا عليك كتاباً، قال: فدعا بصحيفة ودعا علياً ليكتب، ونحن قوم في ناحية منزل جبريل عليه السلام، فقال: «وَلَا تَطْلُرْ أَلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابٍ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابٍ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْلُرُهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ».

وكان رسول الله ﷺ يجلس معنا فإذا أراد أن يقوم قام وتركتنا، فأقول الله: «وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْعَنِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ» لا تجالس الأشراف. «يُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا نَطْمَعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا» يعني عيينة والأقرع «وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا» قال: هلاكاً. قال: أمر عيينة والأقرع ثم ضرب لهم مثل الرجلين، ومثل الحياة الدنيا. قال حبيب: فكنا نعد مع النبي ﷺ فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم. ابن ماجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٧) مجالسة الفقراء (صحيح) صحيح سنن ابن ماجه (٣٣٢٩).

(١) أي الحرير.

(٢) الرحمن: ٥٤.

(٣) بضمهما قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو، وبضم الناء وسكون الميم قراءة أبي عمرو، وبفتح الناء والميم قراءة عاصم.

وَنَزَلَ جَنَّتُهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٨﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٩﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تُظْفِقُهُ ثُمَّ سَوَّيَكَ رَجُلًا ﴿٤٠﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤١﴾ وَلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٤٢﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَِيعِدًا زَلَقًا ﴿٤٣﴾ أَرْضًا مَّلسَاءَ لَا يَثْبِتُ عَلَيْهَا قَدَمٌ ﴿٤٤﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآوُهَا غَوْرًا ﴿٤٥﴾ بِمَعْنَى: غَائِرًا، عطف على «يُرْسِل» دون «تُصْبِح»؛ لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَبًا﴾ حيلة تدركه بها.

﴿٤٠﴾ [٣٨] ﴿لَكِنَّا﴾ أصله (لكن أنا)، نقلت حركة الهجزة إلى النون أو حذف الهجزة ثم أدمجت النون في مثلها ﴿هُوَ﴾ ضمير الشأن تفسيره الجملة بعده، والمعنى: أنا أقول: ﴿اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾.

﴿٣٩﴾ [٣٩] ﴿وَلَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ﴾ عند إعجابك بها: هذا ﴿مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ وفي الحديث: «من أعطي خيرًا من أهل أو مال فيقول عند ذلك: ما شاء الله لا قوة إلا بالله؛ لم ير فيه مكروهًا» ^(١) ﴿إِن تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ضمير فصل بين المفعولين ﴿أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

﴿٤٠﴾ [٤٠] ﴿فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ﴾ جواب الشرط ﴿وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا﴾ جمع حسبانة؛ أي: صواعق ﴿مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَِيعِدًا زَلَقًا﴾ أرضًا ملساء لا يثبت عليها قدم ﴿٤١﴾ [٤١] ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآوُهَا غَوْرًا﴾ بمعنى: غائِرًا، عطف على «يُرْسِل» دون «تُصْبِح»؛ لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَبًا﴾ حيلة تدركه بها.

﴿٤٢﴾ [٤٢] ﴿وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ﴾ بأوجه الضبط السابقة ^(٢) مع جنته بالهلاك فهلكت ﴿فَأُصْبِحَ يَقَلِّبُ كُفَيْدًا﴾ ندما وتحمسًا ﴿وَعَلَىٰ مَا أَفْقَىٰ فِيهَا﴾ في عمارة جنته ﴿وَهِيَ حَاوِيَةٌ﴾ ساقطة ﴿وَعَلَىٰ غُرُوشِهَا﴾ دعائمها للكرم بأن سقطت، ثم سقط الكرم ﴿وَيَقُولُ يَا رَبِّ لَنَنْتَ لِيَّ لَنَنْتَ لِيَّ﴾ للتنبية ﴿لَنَنْتَ لِيَّ﴾ بمعنى: ﴿لَنَنْتَ لِيَّ﴾

﴿٤٣﴾ [٤٣] ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَكَ بِنَاةٍ﴾ بالناء والياء ^(٣) ﴿لَمْ تَكُنْ لَكَ بِنَاةٍ﴾ جماعة ﴿بَصُرُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ عند هلاكها ﴿وَمَا كَانَ مُنْصِرًا﴾ عند هلاكها بنفسه.

﴿٤٤﴾ [٤٤] ﴿هَٰئِلَاتِ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الْوَلِيَّةُ﴾ بفتح الواو: النصره، وبكسرهما ^(٤)؛ الملك ﴿لِلَّهِ﴾ [الْحَقُّ] بالرفع صفة «الولاية»، وبالجر صفة الجملة ^(٥) ﴿هُوَ خَيْرٌ تَرَابًا﴾ من ثواب غيره لو كان يثيب ﴿وَحَيْرٌ﴾ غَفْنًا ﴿بِضْمِ الْقَافِ وَسُكُونِهَا﴾ عاقبة للمؤمنين، ونصبهما على التمييز.

﴿٤٥﴾ [٤٥] ﴿وَأَضْرَبَ صَيْرٌ لَهُمْ﴾ لقومك ﴿مَثَلُ الْيَوْمِ الدُّنْيَا﴾ مفعول أول ﴿كَمَاءٍ﴾ مفعول ثانٍ ﴿أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ﴾ تكاثف بسبب نزول الماء ﴿يَبَاتُ الْأَرْضُ﴾ أو امتزج الماء بالنبات فزوي وخشن ﴿فَأُصْبِحَ صَارَ النَّبَاتُ هَشِيمًا﴾ يابسًا متفرقة أجزاؤه ﴿لَذَرُونَهُ﴾ تنفذه وتفرقه ﴿الزَّيْغُ﴾ فنذهب به، المعنى: شبه الدنيا بنبات حسن فَيَبَسَ فَتَكَثَّرَ ففترقه الرياح، وفي قراءة: ﴿الزَّيْغُ﴾ ^(٦) ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ قادرًا.

وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٨﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٩﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ تُظْفِقُهُ ثُمَّ سَوَّيَكَ رَجُلًا ﴿٤٠﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤١﴾ وَلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٤٢﴾ فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِّنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَِيعِدًا زَلَقًا ﴿٤٣﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآوُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ وَطَبًا ﴿٤٤﴾ وَأُحِيطَ بِشَمْرِهِ فَأُصْبِحَ يَقَلِّبُ كُفَيْدَهُ عَلَىٰ مَا أَفْقَىٰ فِيهَا وَهِيَ حَاوِيَةٌ عَلَىٰ غُرُوشِهَا وَيَقُولُ لِيَلْبِثْنِي لَمْ أَشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٥﴾ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ وَبِنَاةٍ يُضَرُّونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا ﴿٤٦﴾ هَٰئِلَاتِكَ الْوَلِيَّةُ لِلَّهِ الْحَقُّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٧﴾ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٨﴾

﴿٣٥﴾ [٣٥] ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ﴾ بصاحبه بطوف به فيها ويريه أثمارها، ولم يقل: جنته؛ إرادة للرؤية، وقيل: اكتفاء بالواحد ﴿وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ بالكفر ﴿قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ﴾ تنعدم «هذه أبدا».

﴿٣٦﴾ [٣٦] ﴿وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدْتُ إِلَى رَبِّي﴾ في الآخرة على زعمك ﴿لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ مرجعا.

﴿٣٧﴾ [٣٧] ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ﴾ يجاوبه: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ

(١) لم أجده بهذا اللفظ. وأخرج نحوه أبو يعلى وابن مردويه والبيهقي في الشعب عن أنس مرفوعا بلفظ: «ما أنعم الله على عبد نعمة؛ من أهل أو مال أو ولد، فيقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، إلا دفع الله عنه كل أفة، حتى تأتيه ميتة». وانظر: [الدر المنثور (٤/٤٠٥)]، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٠٢٦).

(٢) أي: السابق يأنها في قوله - تعالى -: ﴿وَكَانَ لَهُ قَمَرٌ﴾ وللقرآن أنفسهم.

(٣) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٤) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٥) بالرفع قراءة الكسائي ونسب عمرو.

(٦) بالسكون قرأ عاصم وحمزة، وقرأ الباقون بالضم.

(٧) لحمزة والكسائي.

فاعل؛ أي: سنتنا فيهم، وهي الإهلاك المقدر عليهم ﴿أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾^(١) مقابلة وعياناً، وهو القتل يوم بدر، وفي قراءة بضمين جمع (قيل)؛ أي: أنواعاً.

[٥٦] ﴿وَمَا رُسُلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَمُنذِرِينَ لِمُخَلِّفِينَ الْكَافِرِينَ﴾ وَيَحْدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَيْلِ ﴿بَقُولِهِمْ: ﴿أَبَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا رَسُولًا﴾^(٢) ونحوه ﴿لِيُحْضِرُوا بِهِ﴾ لِيُطْلُوا بِجَدَالِهِمْ ﴿أَلَعَلَّ الْفَرَانَ﴾ وَأَخَذُوا مَا بَيْنَ يَدَيْهِ: أي: القرآن ﴿وَمَا أُنذِرُوا﴾ به من النار ﴿هَؤُلَاءِ﴾ سخريه.

[٥٧] ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَهُ﴾ مَا عَمِلَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْعِصْيَانِ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أَغْطِيَةً ﴿أَنْ يَفْقَهُوهُ﴾ أي: من أن يفهموا القرآن؛ أي: فلا يفهمونه ﴿وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ تَغْلًا فَلَا يَسْمَعُونَهُ ﴿وَلَنْ نَذَرُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا﴾ أي: بالجعل المذكور ﴿أَبَدًا﴾.

[٥٨] ﴿وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخِذُكُمْ فِي الدُّنْيَا بِمَا كَسَبْتُمْ لَجَعَلَ لَعَلَّ لَكُمْ الْعَذَابُ﴾ فِيهَا ﴿بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ﴾ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً﴾ مَلَجَأً.

[٥٩] ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى﴾ أي: أهلها؛ كعاد وثمود وغيرهما ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا﴾ كَفَرُوا ﴿وَجَعَلْنَا لِمَنْ أَهْلَكْنَاهُمْ﴾^(٣) لِإِهْلَاكِهِمْ، وَفِي قِرَاءَةٍ بفتح الميم؛ أي: لهلاكهم ﴿مَوْعِدًا﴾.

[٦٠] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ﴾ هُوَ ابْنُ عِمْرَانَ ﴿لِقَتْلِهِ﴾ يُوْسَعُ بْنُ نُونٍ، كَانَ يَتَّبِعُهُ وَيُخْدِمُهُ وَيَأْخُذُ عَنْهُ الْعِلْمَ: ﴿لَا أَنبَحُ﴾ لَا أَزَالُ أَسِيرُ ﴿حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ﴾ مَلْتَقَى بَحْرِ الرُّومِ وَبَحْرِ فَارَسَ مِمَّا بَلَى الْمَشْرِقَ؛ أي: المكان الجامع لذلك ﴿أَوْ أَمْضَىٰ حُقُبًا﴾ دَهْرًا طَوِيلًا فِي بَلْوَعِهِ إِنْ بَعْدَ.

[٦١] ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا﴾ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ ﴿فَنَبَّأَهُمَا نَبِيُّهُمَا﴾ نَبِيُّ يُوْسَعُ حَمَلُهُ عِنْدَ الرَّحِيلِ، وَنَبِيُّ مُوسَى تَذَكِيرُهُ^(٤) ﴿فَاتَّخَذُوا الْحَوْتَ سَبِيلًا فِي الْبَحْرِ﴾ أي: جعله يجعل الله ﴿سَرًّا﴾ أي: مثل السَّرْبِ، وَهُوَ الشَّقْ طَوِيلٌ لَا نَفَازَ لَهُ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - أَمْسَكَ عَنِ الْحَوْتَ جَرِي الْمَاءِ، فَاجْتَابَ عَنْهُ فَبَقِيَ كَالْكَوْثَةِ لَمْ يَلْتَمِمْ وَجَمَدٌ مَا تَحْتَهُ مِنْهُ.

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ أَلَا وَلَيْنَ أَوْيَاتِيَهُمُ الْعَذَابُ فُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا رُسُلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُحْدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَيْلِ لِيُحْضِرُوا بِهِ الْحَقَّ وَتَخَذُوا عَيْنِي وَمَا أُنذِرُوا هَؤُلَاءِ ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدُهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ لَعَجَلَ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلاً ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَتْلِهِ لَا أَسْبَحُ حَتَّىٰ أَتْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضَىٰ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَبَّأَهُمَا نَبِيُّهُمَا فَاتَّخَذَا سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

[٥٤] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾ بَيَّنَّا ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ صَفَةً لِمُخْلُوفٍ؛ أي: مثلاً من جنس كل مثل ليتعظوا ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ﴾؛ أي: الكافر ﴿أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ خصوصاً في الباطل، وهو تمييز منقول من اسم كان، المعنى: وكان جدل الإنسان أكثر شيء فيه.

[٥٥] ﴿وَمَا مَعَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿أَنْ يُؤْمِنُوا﴾ مَفْعُولُ ثَانٍ إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى ﴿الْقُرْآنَ﴾ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ

(١) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. وقرأ الباقون ﴿قُبُلًا﴾ بضمين.

(٢) الإسراء: ٩٤.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ شعبة بفتح الميم واللام الثانية، وقرأ حفص بفتح الميم وكسر اللام الثانية.

(٤) أكثر المفسرين على أنهما حملتا الحوت معهما، وهو الصحيح لموافقة حديث البخاري الآتي، كما أن ظاهر سياق الآيات يشهد له، وقيل: إنما نسب النسيان إليهما، مع أنه من الفتى وحده؛ للصحة، كقوله - تعالى -: ﴿يَخْرُجُ مِنْهَا الْقَوْلُ وَالزُّجُجَاتُ﴾، وفي رواية حديث البخاري: «فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت»، وفيها أن الفتى هو الذي نسي تذكير موسى، خلاف ما ذكره المفسر. البخاري (٤٧٢٦).

[٦٢] ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي جَاءْتُكَ نَارًا لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْخُوتَ وَمَا أَتَيْنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْعُ فَارْتَدَّ عَلَيْنَا رَهْمًا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَهُ رَحْمَةً مِنْ عِزِّنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَ مِمَّا عَلَّمْتُ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا ﴿٧٣﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا رَكِيَةً بَعِيرٌ نَقِيسٌ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾

لأدب المتعلم من العالم. [٧١] ﴿فَأَنْطَلَقَا﴾ يمشيان على ساحل البحر ﴿حَتَّى﴾ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ التي مرت بهما ﴿خَرَقَهَا﴾ الحضر بأن اقتلع لوحًا أو لوحين منها من جهة البحر بفأس لما بلغت اللجج ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَخَرَقَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ وفي قراءة بفتح التحتانية والراء ورفع «أهلها» ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ أي: عظيمًا منكراً، روي أن الماء لم يدخلها. [٧٢] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾.

[٧٣] ﴿قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ أي: غفلت عن التسليم لك وترك الإنكار عليك ﴿وَلَا تُرْهِقْنِي﴾ تكلفني ﴿مِنْ أَمْرِي عَسْرًا﴾ مشقة في صحبتي إياك؛ أي: عاملني فيها بالعفو والبسر.

[٧٤] ﴿فَأَنْطَلَقَا﴾ بعد خروجهما من السفينة يمشيان ﴿حَتَّى﴾ إِذَا لَقِيَا

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي بن كعب أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: ﴿قَالَ لَا تُؤْخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عَسْرًا﴾ قال: كانت الأولى من موسى نسياناً. البخاري. كتاب الأيمان والذود (٨٣) باب (١٥) إذا حدث ناسياً في الأيمان.

(١) وهو قول الجمهور. وروى البخاري عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: قال: «وَأَمَّا سَمِيَّ الحضر أنه جلس على قُرْوة يضاء فإذا هي تهتر من خلفه خصره». البخاري (٣٤٠٢).
(٢) وذكر غيره أن الجمهور على أن نبي، واختاره القرطبي وغيره، وهو الأقرب، قال القرطبي: «والحضر نبي عند الجمهور، وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته؛ لأن بواطن أفعاله لا يكون إلا بوحى... والأول الصحيح»، ومن اختار أنه ولي احتج بأن الله لم يذكر رسالته ولا نبوته، ولو كان نبياً أو رسولاً لذكر ذلك كما ذكر غيره، وعلى أي من القولين، فموسى عليه السلام أفضل من الحضر؛ لأنه من أولي العزم من الرسل، ولا مانع من وجود علم عند الحضر ليس موجوداً عند موسى - عليهما السلام... وكما قال بعض أهل العلم: لو فرض أن الله أطلع بعض أوليائه كما أطلع الحضر عليه من أمور باطنة لم يحضر له التصرف في الظاهر مما يخالف أحكام الشرع المنزل... فليكن معلوماً...

(٣) البخاري (٤٧٢٦)، ومسلم (٢٣٨٠) عن أبي بن كعب مرفوعاً. (٤) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بضم الراء وسكون الشين.

(٥) لنافع وابن عامر. (٦) لحمزة والكسائي.

ما قبله؛ لعدم العذر هنا. [٧٦] ولهذا ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا﴾ أي: بعد هذه المرة ﴿فَلَا تُصِيبْكَ﴾ لا تتركني أتبعك ﴿فَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي﴾ بالشديد والتخفيف^(١) من قبلي ﴿عَذَابًا﴾ في مفارقتك لي.

[٧٧] ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ﴾ هي أنطاكية^(٢) ﴿اسْتَظْعَمَا أَهْلَهَا﴾ طلبا منهم الطعام بضيافة ﴿قَائِلِينَ أَنْ يُضْفِيَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا﴾ ارتفاعه مائة ذراع^(٣) ﴿يُرِيدُ أَنْ يَمْلِكَا﴾ أي: يقرب أن يسقط ليلانه ﴿فَأَتَاهُمَا﴾ الحضر بيده ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَجِدَنَّ﴾^(٤) وفي قراءة: ﴿لَتَجِدَنَّ﴾ ﴿عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ مجفلاً، حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام. [٧٨] ﴿قَالَ﴾ له الحضر: ﴿هَذَا فِرَاقُ﴾ أي: وقت فراق ﴿يُنِي وَبَيْنَكَ﴾ فيه إضافة (بين) إلى غير متعدد، سوغها تكريره بالعطف بالواو ﴿سَأَيْتُكَ﴾ قبل فراقي لك ﴿يَأْتِيكَ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾.

[٧٩] ﴿أَتَا السَّفِينَةَ فَكَانَتْ لِمُسَكِينٍ﴾ عشرة ﴿يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ بها مجارة لها؛ طلباً للكسب ﴿فَارْتَدَّتْ أَنْ أَيْبَسَ وَكَانَ رَدًّا﴾ إذا رجعوا، أو أمامهم الآن ﴿تِلْكَ﴾ كافر ﴿يَأْتِي كُلَّ سَفِينَةٍ﴾ صالحة ﴿عَصَبًا﴾ نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ. [٨٠] ﴿وَأَمَّا الْفُلُّ فَكَانَ آتُوا مُمْمِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِمَهُمَا طُغْيَانًا﴾ فإنه كما في حديث مسلم^(٥) طبع كافراً، ولو عاش لأرهمهما ذلك لمحبتهما له، يتبعانه في ذلك. [٨١] ﴿فَارْتَدَّا أَنْ يَتْلُمَاهُمَا﴾ بالتشديد والتخفيف^(٦) ﴿يُرْهِمًا سَبْرًا مِنْهُ زَكَاةٌ﴾ أي: صلاحاً وثقًى ﴿وَأَقْرَبَ﴾ منه ﴿زُهْمًا﴾ بسكون الحاء وضمها^(٧)؛ رحمة؛ وهي: البر بوالديه، فأبدلها - تعالى - جارية تزوجت نبيًا فولدت نبيًا، فهدى الله - تعالى - به أمة^(٨). [٨٢] ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ مَالٌ مَدْفُونٌ مِنْ ذَهَبٍ وَفُضَّةٍ﴾ أي: اختبأ به بل بأمر إلهام^(٩) من الله صليهما، فحفظا بصلاحه في أنفسهما ومالهما ﴿فَارَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾ أي: إنباس رشدتهما ﴿وَيَسْتَخِرَا كَرَاهِمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾

مفعول له عامله، أراد ﴿وَمَا قَعَلْتُمْ﴾ أي: ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ﴿عَنْ أَمْرِي﴾ أي: اختبأ به بل بأمر إلهام^(٩) من الله ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ يقال: استطاع واستطاع بمعنى أطاق، ففي هذا وما قبله جمع بين اللغتين، وتوعد العبرة في ﴿فَارْتَدَّتْ﴾، ﴿فَارْتَدَّا﴾، ﴿فَارَادَ رَبُّكَ﴾^(١٠). [٨٣] ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ أي: اليهود ﴿عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ﴾ اسمه الإسكندر^(١١)، ولم يكن نبيًا ﴿قُلْ سَأَتْلُوا﴾ سأقص ﴿عَلَيْكُمْ مِنْهُ﴾ من حاله ﴿ذِكْرًا﴾ خبراً.

﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَهُ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصِيبْكَ فَقَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عَذَابًا فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا آتَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَظْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضْفِيَهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَمْلِكَا بِنَفْصٍ فَأَقَامَهُ وَ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَجِدَنَّ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأَيْتُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمُسَكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَارْتَدَّتْ أَنْ أَيْبَسَ وَكَانَ رَدًّا وَأَمَّا الْفُلُّ فَكَانَ آتُوا مُمْمِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِمَهُمَا طُغْيَانًا وَكَفَرًا فَارْتَدَّا أَنْ يَبْدُلَهُمَا رُحْمًا حَيْرَانًا مِنْهُ زَكَاةٌ وَأَقْرَبَ رَحْمًا وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَتْ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخِرَا كَرَاهِمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا قَعَلْتُمْ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا

عَلَّمَكَ لَمْ يَلِغَ الْجَنَّتْ^(١) يلعب مع الصبيان أحسنهم وجهًا ﴿فَقَتَلَهُ﴾ الحضر بأن ذبحه بالسكين مضطجعا، أو اقتلع رأسه بيده، أو ضرب رأسه بالجدار، أقوال^(٢)، وأتى هنا بالفاء العاطفة؛ لأن القتل عقب اللقاء، وجواب «إذا» ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَقْتُلْتُ نَفْسًا زَاكِيَةً﴾^(٣) أي: طاهرة لم تبلغ حد التكليف، وفي قراءة ﴿زَكِيَّةً﴾ بتشديد الياء بلا ألف ﴿يَعْبَرُ نَفْسَيْنِ﴾ أي: لم تقتل نفسًا ﴿فَقَدْ جَنَّتْ شَيْئًا ذِكْرًا﴾ بسكون الكاف وضمها^(٤)؛ أي: منكرا. [٧٥] ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ زاد «لك» على

(١) أي لم يبلغ حد التكليف.

(٢) وهي قرعة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة ﴿زَكِيَّةً﴾ بتشديد الياء وبلا ألف.

(٣) بالضم قراءة نافع وشعبة وابن ذكوان.

(٤) في صحيح مسلم وصف أهل القرية بكونهم «لغاة» أي بخلاء. وفي: إن هذه القرية هي «أنطاكية» كما ذكر المصنف، وعلى هذا القول يكون «مجمع البحرين» في القصة هو: المضيق الجامع بين البحرين؛ «المنوسط» و«الأسودة»، وقال الشهابي: هي: «زَوْفَةُ» في المغرب. وعلى هذا القول يكون «مجمع البحرين» في القصة هو المضيق المعروف بمضيق جبل طارق، الجامع بين البحر «المنوسط» والمحيط الأطلسي. أما ما ذكره المصنف من كون «مجمع البحرين» ملتقى بحر الروم وفارس مما يلي المشرق فقد تعقبه الشيخ صفى الرحمن المباركفوري بقوله: «بحر الروم لا يلتقي ببحر فارس في أي مكان، بل بينهما حاجز شاسع من الأرض لا يغيان، والظاهر أنه ملتقى خديج السويس بخليج العقبة قرب شرم الشيخ. والله أعلم» ١ هـ. ص (٣١١). وانظر كلام القاضي كعاب في قرة العينين ص (٣٨٩، ٣٩١).

(٥) وهذا لا دليل صحيح عليه، ولا فائدة من تحديده. (٦) فتخفيف التاء وكسر الحاء من غير ألف وصل، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (٧) مسلم (٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب مرفوعًا، ولفظ البخاري: «فكان كافراً» (٣١٤٩).

(٨) هذا الذي ذكره المفسر. رحمه الله. يحتاج إلى دليل عليه، ولا دليل. وقال القرطبي: «قال علمنا: وهذا بعيد». (٩) اختار المصنف أن الحضر كان وليًا ولم يكن نبيًا، وعلى القول الآخر يكون هذا وحيا لإلهامًا. والله أعلم.

(١٠) وذلك على سبيل التأنيب مع الله، بنسبة ما طاهره لإفساد محض إلى نفسه، وما هو نفع محض إلى الله تعالى. (١١) ليس هناك دليل صحيح على ما ذهب إليه المصنف، ثم الظاهر أنه يعي الإسكندر المقدوني، وقد كان من المشركين وليس من المسلمين، فضلاً عن أن يكون من أولياء الله الصالحين.

[١٠١] ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ﴾ بدل من «الكافرين» ﴿فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي﴾ أي: القرآن، فهم عمي لا يهتدون به ﴿وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ أي: لا يقدرون أن يسمعوا من النبي ما يتلوهم عليهم بغضا له فلا يؤمنون به.

[١٠٢] ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي﴾ أي: ملائكتي وعيسى وعزير ﴿مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾ أربابا مفعول ثانٍ لـ «يتخذوا»، والمفعول الثاني لـ «حسب» محذوف، المعنى: أظنوا أن الاتخاذ المذكور لا يغضبني ولا أعاقبهم عليه؟ كلا ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لَهُمْ لِلْكَافِرِينَ﴾ هؤلاء وغيرهم ﴿نُزُلًا﴾ أي: هي معدة لهم كالنزل المعد للضيف.

[١٠٣] ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ تمييز طابق المميز^(٢)، ويتهم بقوله: [١٠٤] ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ بطل عملهم ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ﴾ يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ عملا يجازون عليه.

[١٠٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿وَلِقَائِهِ﴾ أي: وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ﴿وَلِحُطَّتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ بطلت ﴿فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ أي: لا تجعل لهم قدرا.

[١٠٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الأمر الذي ذكرت عن حبوط أعمالهم وغيره، مبتدأ، خبره: ﴿حَرَّزْنَاهُمْ بِهِمْ يَمَّا كَفَرُوا وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ وَزَنًا﴾ أي: مهزوزا بها.

[١٠٧] ﴿بِئْسَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علم الله ﴿جَنَّتُ الْفُرُوسِ﴾ هو وسط الجنة وأعلامها، والإضافة إليه للبيان ﴿نُزُلًا﴾ منزلا.

[١٠٨] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخْرُجُونَ﴾ يطلبون ﴿عَنَّا جُولًا﴾ تحولا إلى غيرها.

[١٠٩] ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا الْبَاطِلُ﴾ أي: ماؤه ﴿وَمَدَادًا﴾ هو ما يكتب به ﴿لَكُنْتُمْ رَبِّي﴾ الدالة على حكمه وعجابه^(٣) بأن تكتب به ﴿لَنَقِدَّ الْبَحْرَ﴾ في كتابتها ﴿قُلْ أَنْ نَقْدَ﴾ بالناء والياء^(٤): تفرغ ﴿لَكُنْتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِبَيِّنَةٍ﴾ أي: البحر ﴿مَدَدًا﴾ زيادة فيه لنقد ولم تفرغ هي، ونصبه على التمييز^(٥).

[١١٠] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ﴾ آدمي ﴿مِثْلُكُمْ يُوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ أن: المكشوفة بـ «ما» باقية على مصدريتها، والمعنى: يوحى إليّ وحدانية الإله ﴿فَنَرَىٰ كَانِ يَحْرَأَ﴾ يأمل ﴿لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ بالبعث والجزاء ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ﴾ أي: فيها بأن يراني ﴿أَمَّا﴾.

قَالَ هَذَا رَحِمَهُ مَنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّةً وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٠١﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ مَجْمَعًا ﴿١٠٢﴾ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠٤﴾ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٥﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٦﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيرُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحُطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا يُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا ﴿١٠٨﴾ ذَلِكَ جَزَاءُ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا الْبَنِي وَرُسُلِي هُزُلًا ﴿١٠٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١١٠﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَخْرُجُونَ عَنْهَا حَوْلًا ﴿١١١﴾ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكُنْتُ رَبِّي لَنَقِدَّ الْبَحْرَ قَبْلَ أَنْ تَفْزُدَ كَلِمَتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴿١١٢﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١١٣﴾

[٩٨] ﴿قَالَ﴾ ذو القرنين: ﴿هَذَا﴾ أي: السد؛ أي: الإقدار عليه ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّي﴾ نعمة^(١)؛ لأنه مانع من خروجهم ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم القريب من البعث ﴿جَعَلَهُ دَكَّةً﴾ مذكوكا مبسوطا ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي﴾ بخروجهم وغيره ﴿حَقًّا﴾ كاشا.

[٩٩] قال - تعالى -: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ يختلط به لكثرتهم ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ أي: القرن للبعث ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ﴾ أي: الخلائق في مكان واحد يوم القيامة ﴿جَمًّا﴾.

[١٠٠] ﴿وَعَرَضْنَا﴾ قربنا ﴿جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠٩). أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش ليهود: أعطونا شيئا نسأل عنه هذا الرجل. فقال: سلوه عن الروح. فسأوه عن الروح، فأمر الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ الآية. قالوا: أوتينا علمك كثيرا، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة فقد أوتي حيرا كثيرا، فأولت: ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا الْبَاطِلُ مَدَادًا لَكُنْتُ رَبِّي لَنَقِدَّ الْبَحْرَ﴾ إلى آخر الآية. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (١٨) سورة الإسراء. (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥١٠).

(١) النعمة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، وتفسيرها بها من قصر لعام على بعض أفرادها، فضلا عن كونه من أبواب التأويل ونفي صفة الرحمة عن الله ﷻ كما هي طريقة المصنف - غفر الله لنا وله. (٢) أي في الجمع، ذ «أعمالا» تمييز جاء حقا مطابقا للتمييز وهو «الأحسرين».

(٣) وهذا من قصر العام على بعض أفرادها، وكلمات لله ﷻ تشمل كلامه - سبحانه - وحكمه وآياته الدالة عليه، وهذا لأن المصنف - غفر الله لنا وله - يقول بالكلام النفسي، ولا يثبت الكلام لله ﷻ على الوجه اللائق به كما هي طريقة السلف.

(٤) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

سورة مريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مكية، أو: إلا سجدها فمدنية، أو إلا: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَدْيِهِمْ خَلْفٌ﴾ الآيتين فمدنيتان، وهي ثمان أو تسع وتسعون آية، نزلت بعد فاطر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿كَهَيِّصٌ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.

[٢] هذا ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ﴾ مفعول ﴿رَحْمَتِ﴾ ﴿رَكَرَكَ﴾ بيان له.

[٣] ﴿إِذْ﴾ متعلق بـ ﴿رَحْمَتِ﴾ ﴿نَادَى رَبُّهُ يَدَّاءُ﴾ مشتملاً على دعاء ﴿خَفِيئاً﴾ سراً جوف الليل، لأنه أسرع للإجابة.

[٤] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنٌ﴾ ضعف ﴿الْعَلَمُ﴾ جويغهُ ﴿مِنِّي﴾ وأشغلت الرأس ﴿مَنِي﴾ ﴿شَيْئاً﴾ تمييز محول عن الفاعل ^(١) أي: انتشر الشيب في شعره؛ كما ينتشر شعاع النار في الحطب، وإني أريد أن أدعوك ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ﴾ أي: بدعائي إياك ﴿رَبِّ شَيْئاً﴾ أي: خائباً فيما مضى، فلا تخيبني فيما يأتي.

[٥] ﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ﴾ أي: الذين يلوني في النسب؛ كني الغم ﴿مِنْ وَرَأَى﴾ أي: بعد موتي على الدين أن يضيغوه، كما شاهده في بني إسرائيل من تبديل الدين ﴿وَكُنْتُ أَمْرَأَتٍ عَاقِرًا﴾ لا تلد ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ﴾ من عندك ﴿وَلِيًّا﴾ ابناً.

[٦] ﴿يَرْثِي﴾ ^(٢) بالجرم: جواب الأمر، وبالرفع: صفة ﴿وَلِيًّا﴾ ﴿وَيَرْثِ﴾ بالوجهين ^(٣) ﴿مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ جدِّي، العلم والنسب ﴿وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ أي: مرضياً عندك.

[٧] قال - تعالى - في إجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته: ﴿يَرْثِيكَ بِعِلْمٍ﴾ يرث كما سألت ﴿أَسْمُهُ يَتَّخِذُ كَمَا تَجْعَلُ لَمْ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: مسمى يبيح.

[٨] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي﴾ كيف ﴿يَكُونُ لِي غُلَامٌ﴾ وكانت امرأتني عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً ^(٤) ﴿مِنْ عَتَا﴾ ييس: أي: نهاية السن مائة وعشرين سنة، وبلغت امرأته ثمانين سنة، وأصل ﴿عَتِي﴾: ﴿عُثُو﴾، وكسرت التاء تخفيفاً، وقلب الواو الأولى ياءً لمناسبة الكسرة، والثانية ياءً لتدغم فيها الياء.

[٩] ﴿قَالَ﴾: الأمر ﴿كَذَلِكَ﴾ من خلق غلام منكما ﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ﴾ أي: بأن أود عليك قوة الجماع، وأفيت رجماً امرأتك للغلو ﴿وَقَدْ

كَهَيِّصٌ ﴿ذَكَرَ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ رَكَرَكَ﴾ إِذْ نَادَى رَبَّهُ يَدَّاءَ خَفِيئاً ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْغَلَ الرَّأْسُ شَيْئاً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيئاً﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَأَى وَكَانَتْ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْثِي وَيَرْثِي مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿يَرْثِيكَ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَتَّخِذُ كَمَا تَجْعَلُ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي كُنْتُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ أَمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ﴾ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً﴾ قَالَ ءَايَتُكَ ءَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾

خَلَقْنَاكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً قبل خلقك، ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال؛ ليجاب بما يدل عليها.

[١٠] ولما تأقت نفسه إلى سرعة المبشر به ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي ءَايَةً﴾ أي: علامة على حمل امرأتني ﴿قَالَ ءَايَتُكَ عَلَيْهِ﴾ ﴿أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾ أي: تتمتع من كلامهم؛ بخلاف ذكر الله ﴿فَلَنَكَلِّمَ لَيْلًا﴾ أي: بأيامها؛ كما في آل عمران ثلاثة أيام ﴿سَوِيًّا﴾ حال من فاعل ﴿تُكَلِّمَ﴾ أي: بلا علة.

[١١] ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ﴾ أي: المسجد، وكانوا ينتظرون فتحه؛ يصلوا فيه بأمره على العادة ﴿فَأَوْحَى﴾ أشار ﴿إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا﴾ صلوا ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ أوائل النهار وأواخره على العادة، فعلم يخبرهم من كلامهم خفلاً بها يبيح.

(١) تقديره: اشتعل شيب رأسي.

(٢) للكسائي وأبي عمرو وقرأ الباقون بالرفع.

(٣) أي بالجرم والرفع، والجرم للكسائي، وأبي عمرو، وقرأ الباقون بالرفع.

(٤) بضم العين، وهي قراءة سبعة أبي عمرو وشعبة ونافع وابن كثير، وقرأ الباقون ﴿عَتِيًّا﴾ بكسر العين.

[١٥] ﴿وَسَلَّمَ﴾ منا ﴿عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ أي: في هذه الأيام المخوفة التي يرى ما لم يره قَبْلَهَا؛ فهو آمن فيها.

[١٦] ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ الْقُرْآنَ﴾ مَرْيَمَ ﴿أَي: خَيْرَهَا﴾ [إِذ: حِينَ أَنْبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا] أَي: اعترلت في مكان نحو الشرق من الدار.

[١٧] ﴿فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا﴾ أرسلت سترا تستتر به؛ لِثُغْلِي وَأُشْغَلِي أو ثيابها أو تغتسل من حيضها ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ جبريل ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا﴾ بعد لبسها ثيابها ﴿بَشَرًا سَوِيًّا﴾ تام الخلق.

[١٨] ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا﴾ فتنهني عني بتعودي.

[١٩] ﴿قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ﴾ [لَهُبَّ:] ﴿لَكَ عَلَمًا نَكِيًّا﴾ بالنبوة.

[٢٠] ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾ بتزوج ﴿وَلَمْ أَكُ نَكِيًّا﴾ زانية.

[٢١] ﴿قَالَ: الْأَمْرُ﴾ كَذَلِكَ ﴿مِنْ خَلْقِ غُلَامٍ مِنْكَ مِنْ غَيْرِ آبٍ﴾ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ أَي: بآن ينفخ بأمرى جبريل فيك فتحملي به، ولكن ما ذكر في معنى العلة؛ غَطَّفَ عليه: ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ﴾ على قدرتنا ﴿وَرَحْمَةً﴾ لِمَنْ آمَنَ بِهِ ﴿وَكَانَ﴾ خلقه ﴿أَمْرًا قَصِيًّا﴾ به في علمي؛ فنفخ جبريل في جيب درعها؛ فأحست بالحمل في بطنها مُصَوِّرًا.

[٢٢] ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ﴾ تَحْتِ ﴿بِهِ﴾ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿بَعِيدًا مِنْ أَهْلِهَا﴾.

[٢٣] ﴿فَاجَاءَهَا﴾ جاء بها ﴿الْمَخَاضُ﴾ وَجَع الولادة ﴿إِلَى جَذَعِ النَّخْلَةِ﴾ لتعتمد عليه؛ فولدت، والحمل والتصوير والولادة في ساعة^(٤) ﴿قَالَتْ يَا أَيُّ الْمَنِيِّ﴾ لِيَتَّبِعِي مَثَلُ هَذَا ﴿الْأَمْرُ﴾ ﴿وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا﴾ شيئًا متروكًا لا يعرف ولا يذكر.

[٢٤] ﴿فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا﴾ أَي: جبريل، وكان أَشْفَلَ مِنْهَا^(٥) ﴿أَلَا تَحْزَنِي﴾ قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سَرِيًّا ﴿نَهَزَ مَاءٌ كَانَ قَدْ انْقَطَعَ﴾.

[٢٥] ﴿وَهَزَيْتُ إِلَيْكَ جِجْجَ النَّخْلَةِ﴾ كانت يابسة، والباء: زائدة ﴿[تَشَاقُطُ]﴾^(٦) أَصْلُهُ بَنَاءَيْنِ؛ قَلْبُ الثَّانِيَةِ سِيئًا، وَأَدْغَمْتُ فِي السَّيْنِ، وَفِي قِرَاءَةِ تَرْكُهَا^(٧) ﴿عَلَيْكَ رَطْبًا﴾ تمييز ﴿جَنِيًّا﴾ صفته.

يَدْحَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صِدْقًا ﴿١٣﴾ وَحَنَانًا مِّنْ لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٤﴾ وَبَشَرًا بُولَدِيهِ وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٥﴾ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٦﴾ وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٧﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ لِمَ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢١﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٣﴾ فَاجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جَذَعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنِيًّا ﴿٢٤﴾ فَادْنَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحَنُّكَ سَرِيًّا ﴿٢٥﴾ وَهَزَيْتُ إِلَيْكَ جِجْجَ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾

[١٢] وبعد ولادته بستين قال الله - تعالى - له: ﴿يَدْحَى خُذِ الْكِتَابَ﴾ أَي: التوراة ﴿بِقُوَّةٍ﴾ بجهد ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ﴾ النبوة^(١) ﴿صِدْقًا﴾ ابن ثلاث سنين^(٢).

[١٣] ﴿وَحَنَانًا﴾ رحمة للناس ﴿مِّنْ لَّدُنَّا﴾ من عندنا ﴿وَزَكَاةً﴾ صدقة عليهم ﴿وَكَانَ تَقِيًّا﴾ روي أنه لم يَعمَلْ خطيئة ولم يَهْمُ بها.

[١٤] ﴿وَبَشَرًا بُولَدِيهِ﴾ أَي: محسنًا إليهما ﴿وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا﴾ متكبِّرًا ﴿عَصِيًّا﴾ عاصيًا لربه.

(١) وقيل: الحكمة والفقہ في الدين. ذكره ابن كثير في تفسيره ولم يذكر غيره (١١١/٣). وأخرج ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد قال: الفهم. [إندر المنشور (٤٨٤/٥)].

(٢) هذا قول قتادة، كما في إندر المنشور (٤٨٤/٥).

(٣) وهي قراءة قالون بخلف عه، وورش، وأبي عمرو، وقرأ الباقر «لأهَب» وهو الوجه الثاني لقالون.

(٤) هذا قول ابن عباس. ذكره عنه ابن كثير في تفسيره (١١٤/٣) واستغربه، وقال: «فالمشهور الظاهر، والله على كل شيء قدير، أنها حملت به كما تحمل النساء بأولادهن...» اهـ.

(٥) وهذا قول ابن عباس، وقيل: المنادي عيسى، وكان ذلك معجزة وآية وتسكينًا لقلبها. قال القرطبي: والأول أظهر - يعني: أنه جبريل عليه السلام.

(٦) قرأ السبعة عدا حفص بفتح الناء والقاف، ومع تشديد السين إلا حمزة.

(٧) أي ترك الناء المقلوبة سينًا.

[٢٦٦] ﴿فَكُلِي﴾ من الرطب ﴿وَأَشْرَبِي﴾ من السريّ ﴿وَوَدَّيْ عَيْنَا﴾ بالولد؛ فميز محول من الفاعل؛ أي: لتقر عينك به؛ أي: تسكن؛ فلا تطمح إلى غيره ﴿فَلَمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿وَدَّيْ﴾ حذفته منه لام الفعل وعينه، وألقيت حركتها على الراء، وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين ﴿وَمِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ فيسألك عن ولدك ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ أي: إسماكا عن الكلام في شأنه، وغيره من الأناسي؛ بدليل: ﴿فَلَنْ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾ أي: بعد ذلك.

[٢٧٧] ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيْلُهُ﴾ حال؛ فأراه ﴿فَقَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا﴾ عظيمًا؛ حيث أتيت بولد من غير أب.

[٢٨٨] ﴿وَتَأَخَّتْ هَـرُونَ﴾ ^(١) هو رجل صالح؛ أي: يا شبيته في العفة ﴿وَمَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا﴾ أي: زانية ﴿وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا﴾ أي: زانية؛ فمن أين لك هذا الولد؟!

[٢٩٩] ﴿فَأَشَارَتْ﴾ لهم ﴿إِلَيْهِ﴾ أن كلموه ﴿فَقَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ﴾ أي: وجد ﴿فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾.

[٣٠٠] ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ﴾ أي: الإنجيل ﴿وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾.

[٣١١] ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ أي: نفاعًا للناس، إخبار بما كتب له ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ﴾ أمرني بهما ﴿وَمَا مُمْتُ حَيًّا﴾.

[٣٢٢] ﴿وَوَبَّرًا يُولَدُنِي﴾ منصوب بـ «جعلني» مقدراً ^(١) ﴿وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا﴾ متعاطفًا ﴿سَقِيًّا﴾ عاصيًا لربه.

[٣٣٣] ﴿وَالسَّلَامُ﴾ من الله ﴿عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ يقال فيه ما تقدم في السيد يحيى.

[٣٤٤] قال - تعالى -: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [قَوْلُ الْحَقِّ] بالرفع: خبر مبتدأ مقدراً؛ أي: قول ابن مريم، وبالنصب: بتقدير «قلت» ^(٢)؛ والمعنى: القول الحق ﴿الَّذِي فِيهِ يَبْتَرُونَ﴾ من المرية؛ أي: يشكون؛ وهم: النصارى، قالوا: إن عيسى ابن الله، كذبوا: [٣٥٥] ﴿مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ﴾ تنزيهاً له عن ذلك ﴿إِذَا قُضِيَ أَمْرًا﴾ أي: أراد أن يحدثه ﴿فَلَمَّا يَقُولُ لَمْ يَكُنْ فَيَكُونُ﴾ بالرفع: بتقدير «هو»، وبالنصب: بتقدير «أن» ^(٣)؛ ومن ذلك خلق عيسى من غير أب.

[٣٦٦] ﴿وَأَنَّهُ رَبِّي وَرَبُّكَ﴾ فاعْبُدُوهُ ﴿بِفَتْحٍ﴾ ^(٤) ﴿أَنَّ﴾ بتقدير «اذكر»، وبكسرهما ^(٥) بتقدير «قل»؛ بدليل: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ ^(٦) ﴿هَذَا﴾ المذكور ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾ مُؤَدٍّ إِلَى الْجَنَّةِ.

فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَمَاتَرَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أَكْلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِيْلُهُ فَقَالُوا يَمْرَيْمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا يَتَأَخَّتْ هَرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا مُمْتُ حَيًّا وَوَبَّرًا يُولَدُنِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا سَقِيًّا وَالسَّلَامُ عَلَى يَوْمٍ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَبْتَرُونَ مَا كَانَ لَهُ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا قُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ قَوْلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ

[٣٧٧] ﴿فَأَخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: النصارى في عيسى، أهو ابن الله، أو إله معه، أو ثالث ثلاثة؟! ﴿فَوَيْلٌ﴾ فشدّة عذاب ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بما ذكروا وغيره ﴿مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ أي: حضور يوم القيامة وأهواله.

[٣٨٨] ﴿أَسْمِعْ يَوْمَ وَأَبْصِرْ﴾ بهم، صيغتا تعجب؛ بمعنى: ما أسمعهم وما أبصرهم ﴿يَوْمَ يَأْتُونا﴾ في الآخرة ﴿لَكِنِ الظَّالِمُونَ﴾ من إقامة الظاهر مقام المضمر ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: في الدنيا ﴿فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ أي: نيق؛ به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره؛ أي: اعجب منهم يا مخاطب في سماعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صمًا عميًا.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن المغيرة بن شعبه رضي الله عنه، قال: لما قدمت نجران سألتني، فقالوا: إنكم تقرأون: ﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ﴾، وموسى قس عيسى بكذا وكذا؟! فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك، فقال: «إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم». مسلم - كتاب الآداب (٣٨) باب (١) النهي عن التكفي بأبي القاسم ويان ما يستحب من الأسماء.

(١) أي: التقدير: جعلني ربًّا.

(٢) بالرفع قراءة السبعة عدا عاصم وابن عامر.

(٣) بالنصب قراءة ابن عامر.

(٤) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) المائدة: ١١٧.

[٤١] ﴿وَأَذْكُرْ﴾ لهم ﴿فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: خبره ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا صِدِّيقًا﴾ مبالغة في الصدق ﴿يُنَبِّئُ﴾ ويبدل من خبره: [٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ﴾ أزر: ﴿يَتَّبِعْ﴾ التاء عوض عن ياء الإضافة، ولا يجمع بينهما، وكان يعبد الأصنام ﴿لَمْ يَعْزُبْ مَا لَا يَشْعُرُ وَلَا يَبْصُرُ وَلَا يَنْفَعُ عَنكَ﴾ لا يكفبك ﴿شَيْئًا﴾ من نفع أو ضرر.

[٤٣] ﴿يَتَّبِعْ﴾ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْإِلَهِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا ﴿طَرِيقًا﴾ ﴿سَوِيًّا﴾ مستقيماً.

[٤٤] ﴿يَتَّبِعْ﴾ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ﴿بِطَاعَتِكَ﴾ إياه في عبادة الأصنام ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ كثير العصيان.

[٤٥] ﴿يَتَّبِعْ﴾ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ ﴿إِنْ لَمْ تَتَّبِعْ﴾ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿نَاصِرًا﴾ وقريناً في النار.

[٤٦] ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْبَةِ﴾ يَتَّبِعُكُمْ ﴿لَيْسَ لَكَ تَنْتَوٍ﴾ عن التعرض لها ﴿لَا تَحْمُكَ﴾ بالحجارة، أو بالكلام الفحيح؛ فاحذرنى ﴿وَأَهْجُرِي مَيْتًا﴾ دمهراً طويلاً.

[٤٧] ﴿قَالَ سَلِّمْ عَلَيْكَ﴾ مني؛ أي: لا أصيبك بمكروه ﴿وَسَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾ إِنَّكَ كَانتَ فِي حَقِيئًا ﴿مِنْ خَفِيٍّ﴾ أي: بارأ؛ فيجيب دعائي، وقد أوفى بوعده المذكور في الشعراء: ﴿وَأَغْفِرْ لَأَيُّهَا﴾ ^(١) وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو الله؛ كما ذكره في براءة ^(٢).

[٤٨] ﴿وَأَعَزَّلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ وَأَدْعُوا ﴿أَعْبُدْ رَبِّي عَسَىٰ أَن لَّيَّسَ لَكَ يَدْعَاءُ رَبِّي﴾ لَا أَكُونُ يَدْعَاءُ رَبِّي ﴿بِعِبَادَتِهِ﴾ شَقِيئًا ﴿كَمَا شَقِيتُمْ بِعِبَادَةِ الْأَصْنَامِ﴾.

[٤٩] ﴿فَلَمَّا أَعَزَّلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ بأن ذهب إلى الأرض المقدسة ﴿وَهَبْنَا لَهُمُ﴾ ابنين يأمن بهما ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكَلاَّ﴾ منهما ﴿جَعَلْنَا نَبِيِّنًا﴾.

[٥٠] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُمُ﴾ للثلاثة ﴿مِنْ رَحْمَتِنَا﴾ المال والولد ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا﴾ رفيعاً؛ هو: الثناء الحسن في جميع أهل الأديان.

[٥١] ﴿وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا مُخِصَّاتٍ ﴿بِكُفْرِهِمْ﴾ وفضحها ^(٣)؛ من أخلص في عبادته، وخلصه الله من الدنس ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾.

وَأَذْكُرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَتَّبِعْ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَتَّبِعْ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا يَأْتِيكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَتَّبِعْ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَتَّبِعْ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْهَيْبَةِ يَتَّبِعُكُمْ لَيْسَ لَكَ تَنْتَوٍ لِمَنْ تَدْعُو وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا أَعَزَّلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكَلاَّ جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٧﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٤٨﴾ وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾

[٣٩] ﴿وَأَذْكُرْهُمْ﴾ تخوف يا محمد كفار مكة ﴿يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾ هو يوم القيامة؛ يتحسر فيه المسيء على ترك الإحسان في الدنيا ﴿إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ﴾ لهم فيه بالعذاب ﴿وَهُمْ﴾ في الدنيا ﴿فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ^(١) به.

[٤٠] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد ﴿رَبُّ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا﴾ من العقلاء وغيرهم؛ بإهلاكهم ﴿وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ﴾ فيه لسجاء.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبِشٍ أَمْلَحَ، فَيُنَادِي مَنَادٌ: يَا أَهْلَ لُجَّةٍ، فَيُشْرَبُونَ. أَيْ يَدُونَ أَعْنَاقَهُمْ - وينظرون. فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد راه. ثم ينادي: يَا أَهْلَ النَّارِ، فَيُشْرَبُونَ وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد راه. ثم يقول: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَذْكُرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة مريم (١٩) باب (١) ﴿وَأَذْكُرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ﴾، وأخرجه مسلم - كتاب الجنة وصفة نعيمها (٥١) باب (١٣) النار يدخلها الجبارون.

(١) الشعراء: ٨٦.

(٢) وهو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَوَكَّلْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١١٤].

(٣) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقُرَأَ بفتح اللام بقية السبعة.

[٥٢] وَنَذَيْنَهُ. يقول: ﴿يَمْشَوْحَ إِنْ أَنَا اللَّهُ﴾^(١) ﴿مِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿الْأَيْمَنِ﴾ أي: الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين ﴿وَقَرْنَتُهُ نَجْمًا﴾ مناجيًا؛ بأن أسعده الله - تعالى - كلامه.

[٥٣] وَوَهَبْنَا لَكَ مِنْ رَحْمَتِنَا نَعْمَتًا ﴿أَخَاهُ هَرُونَ﴾ بدل أو عطفت بيان ﴿نَيْبًا﴾ حال؛ هي المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه، وكان أشرف منه.

[٥٤] وَادَّكَّرَ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلُ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ ﴿لَمْ يَعْذُ شَيْئًا إِلَّا وَفَى بِهِ، وَانْتَظَرَ مِنْ وَعْدِهِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ حَوْلًا حَتَّى رَجَعَ إِلَيْهِ فِي مَكَانِهِ﴾ وَكَانَ رَسُولًا، إِلَى جَرَاهُمْ ﴿نَيْبًا﴾.

[٥٥] وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ أَي: قومه ﴿بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ أصله «مرضو»؛ قلبت الواو الواو، والضمة كسرة.

[٥٦] وَادَّكَّرَ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسُ ﴿هُوَ جَدُّ أَبِي نُوحٍ﴾ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا.

[٥٧] وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿هُوَ حَيٌّ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ أَوْ السَّادِسَةِ أَوْ السَّابِعَةِ، أَوْ فِي الْجَنَّةِ أَدْخَلَهَا بَعْدَ أَنْ أَذِيقَ الْمَوْتَ، وَأُحْيِيَ وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْهَا﴾.

[٥٨] أُولَئِكَ مِنْهُمْ أَتَمَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ صِفَةً لَهُ ﴿وَمِنَ الَّذِينَ﴾ بيان له، وهو في معنى الصفة، وما بعده إلى جملة الشرط صفة «الذين»، فقوله: ﴿مِنَ ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾ أي: إدريس ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ في السفينة؛ أي: إبراهيم ابن ابنه سام ﴿وَمِنَ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ﴾ أي: إسماعيل وإسحاق ويعقوب ﴿وَمِنَ ذُرِّيَّةِ إِسْرَءِيلَ﴾ هو يعقوب؛ أي: موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ أي: من جعلتهم، وخبر ﴿أُولَئِكَ﴾: ﴿إِنَّا نُلْقِيكَ عَلَيْهِمْ ذَيْقَ الرِّجْمِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًا﴾ جمع «ساجدة» «وباك»؛ أي: فكونوا مثلهم، وأصل «وبكي»؛ بكؤي؛ قلبت الواو واو، والضمة كسرة.

[٥٩] خَلَّفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفَ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ بِرُكْعَاهَا؛ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى^(٢) وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ مِنَ الْمَعَاصِي ﴿فَسَرَفَ يَفْقَرُونَ عَيْنًا﴾ هو واو في جهنم؛ أي: يقعون فيه.

[٦٠] لَكِنْ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُلْقَوْنَ فِيهَا شَيْئًا. ينقصون ﴿شَيْئًا﴾ من ثوابهم.

[٦١] جَعَلْنَا صَدْرَهُ إِقَامَةً، بدل من ﴿الْجَنَّةِ﴾ ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ حال؛ أي: غائبين عنها ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا وَعْدَهُمْ﴾ أي: موعوده ﴿مَآثِرًا﴾ بمعنى: أنبياء، وأصله «مأثوي»، أو موعوده هنا الجنة بأبيته أهله.

[٦٢] لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءًا مِنَ الْكَلَامِ ﴿إِلَّا﴾ لكن يسمعون ﴿سَلَامًا﴾ من الملائكة عليهم، أو من بعضهم على بعض ﴿وَقَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا﴾

وَنَذَيْنَهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرْنَتُهُ نَجْمًا ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَرُونَ نَبِيًّا﴾ وَادَّكَّرَ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلُ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ وَادَّكَّرَ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسُ إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْكِتَابِ خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿تَتَجَلَّىٰ أَعْيُنُكَ إِلَى النَّبِيِّ يَأْمُرُ الْأَوَّلِينَ﴾ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُلْقَوْنَ فِيهَا شَيْئًا﴾ جَعَلْنَا صَدْرَهُ إِقَامَةً ﴿الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا وَعْدَهُمْ مَآثِرًا ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لِقَاءًا سَلَامًا وَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا يَنْزِلُ أَيْدِينَا وَمَا خَلَقْنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾

بُكْرَةً وَعَشِيًّا. أي: على قدرهما في الدنيا، وليس في الجنة نهار ولا ليل، بل ضوء ونور أبدًا.

[٦٣] تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ نِعْمَتِي وَنُثْرِلُ ﴿مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾ ببطاحته.

[٦٤] وَنَزَّلَ لَنَا نَحْرَ الْوَحْيِ آيَاتًا، وقال النبي ﷺ لجبريل: «مَا يَنْفَعُ أَنْ نَزُّوْنَا أَكْثَرَ بِمَا نَزُّوْنَا»: ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا يَنْزِلُ أَيْدِينَا﴾^(٥) أي: أماننا من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلَقْنَا﴾ من أمور الدنيا ﴿وَمَا يَنْزِلُ ذَلِكَ﴾ أي: ما يكون في هذا الوقت إلى قيام الساعة؛ أي: له علم ذلك جميعه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ بمعنى ناسيًا؛ أي: تاركًا لك بتأخير الوحي عنك^(٦).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٦٤): أخرجه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما يملك أن نزورنا أكثر مما نزورنا؟ فنزلت: ﴿وَمَا نُنَزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا يَنْزِلُ أَيْدِينَا...﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة مريم (١٩) باب (٢).

(١) القصص: ٣٠.

(٢) وهذا تأويل لصفة الرحمة ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما أثبتته له نفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل. (٣) لا يوجد دليل قطعي على صحة هذا التفسير، والأقرب أن المراد بهذه الرفعة ما أعطاه الله إياه من شرف النبوة والثناء الحسن، فكان عالي الذكر، عالي المنزلة، وأخرج مسلم عن أس بن مالك في حديث المراح بطوله، وفيه: «ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة، فاستفتح جبريل ﷺ. قيل: من هذا؟ قال: محمد. قال: وقد بعث إليه؟ قال: بعث إليه. ففتح لنا، فإذا أنا بإدريس، فرحب بي ودعا لي بخير. قال الله ﷻ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾. مسلم (١٦٢).

(٤) وقيل: المراد بإضاعتهما فعلها بعد خروج أوقاتها. وقيل: المراد لم يأثروا بها على الوجه المشروع. والظاهر أن كل ذلك يدخل في إضاعة الصلاة، ولا تعارض بين هذه الأقوال، كما لا وجه ظاهر لحصر المراد بالآية في اليهود والنصارى، بل هي عامة؛ فتشمل كل من لم يقم بحقوق الصلاة، وهذا نص في أن إضاعة الصلاة من الكبائر.

(٥) أخرجه نحوه البخاري (٢٢١٨) عن ابن عباس.

الذال وضم الكاف ﴿أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ فيستدل بالابتداء على الإعادة.

[٦٨] ﴿قَوْلِكَ لَنُحْضِرَنَّهُمْ﴾ أي: المنكرين للبعث ﴿وَالشَّيْطَانِ﴾ أي: تجمع كلاً منهم وشيطانه في سلسلة ﴿لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾ من خارجها ﴿يَجِيئُكَ﴾ على الركب، جمع «جاء»، وأصله «جئوا» أو «جئوي» من «جئاً يجئوا» أو «يجئني» لغتان.

[٦٩] ﴿ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ﴾ فرقة منهم ﴿أُيُومًا أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا﴾ جراءة.

[٧٠] ﴿ثُمَّ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَكَلِمٍ بِالَّذِينَ هُمْ أَقْنَىٰ بِهِمْ﴾ أحق بجهنم، الأشد (١) وغيره منهم ﴿صَلِيًّا﴾ دخولاً واحترافاً؛ فبدأ بهم، وأصله «صلوي» من «صلي» بكسر اللام وفتحها.

[٧١] ﴿وَلِيَّنَ﴾ أي: ما ﴿يَنْكُرُ﴾ أحد ﴿إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أي: داخل جهنم ﴿كَانَ عَلَىٰ رَيْكٍ حَسَبًا مَّقْضِيًّا﴾ حَتْمَةً وَقَضَىٰ بِهِ، لا يتركه.

[٧٢] ﴿ثُمَّ نُنَجِّي﴾ مشدداً ومخففاً (٢) ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشُّرَكَ والكُفْرَ منها ﴿وَنَذَرُ الْفَالِطِينَ﴾ بالشرك والكفر ﴿فِيهَا جِثْيَا﴾ (٣) على الرُّكْبِ.

[٧٣] ﴿وَإِذْ نُنَاقِلُ عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين والكافرين ﴿إِنْدِنَا﴾ من القرآن ﴿يُنْتَقِلُونَ﴾ واضحات، حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ﴾ نحن وأنتم ﴿خَيْرٌ مَقَامًا﴾ منزلاً ومسكناً؛ بالفتح: من قام، وبالضم: من أقام (٤) ﴿وَأَحْسَنُ نَزِيلًا﴾ بمعنى: النادي؛ وهو: مجتمع القوم يتحدثون فيه؛ يعنون: نحن؛ فنكون خيراً منكم.

[٧٤] قال - تعالى -: ﴿وَوَكِّرْ﴾ أي: كثيراً ﴿أَعْلَمَكُمَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿هُمْ أَتَسْنَنُ أُنْتَانَا﴾ ملاً ومتاعاً ﴿وَرِيًّا﴾ منظراً من الرؤية؛ فكما أهلكتهم لكفرهم نهلك هؤلاء.

[٧٥] ﴿قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ﴾ شرط، جوابه: ﴿فَلْيَمْدَدْ﴾ بمعنى: الخير؛ أي: يمد ﴿لَهُ الرَّحْمَنُ مَنًّا﴾ في الدنيا يستدرجه ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ إِنَّمَا الْعَذَابُ كَالْقَتْلِ والأسر ﴿وَإِنَّمَا السَّاعَةُ﴾ المشتعلة على جهنم فيدخلونها ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَن هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾ أعواناً، أهُم أم المؤمنين، وجدهم الشياطين وجند المؤمنين عليهم (٥) الملائكة؟.

[٧٦] ﴿وَنَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ بالإيمان ﴿هُدًى﴾ بما ينزل عليهم من الآيات ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ هي الطاعة (٦) تبقى لصاحبها ﴿خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾ أي: ما يرد إليه ويرجع، بخلاف أعمال الكفار، والحيرية هنا في مقابلة قولهم: ﴿أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا﴾.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٨﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَاتَ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٩﴾ أَوْلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٧٠﴾ قَوْلِكَ لَنُحْضِرَنَّهُمْ وَالشَّيْطَانِ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٧٢﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَغْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٣﴾ وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَسَبًا مَّقْضِيًّا ﴿٧٤﴾ ثُمَّ نَسْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٥﴾ وَإِذْ أَتَيْنَا عَلَيْهِمَ إِبْرَاهِيمَ بَيْنَاتٍ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَذِيرًا ﴿٧٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثْنًا وَرَدًّا ﴿٧٧﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِنَّمَا الْعَذَابُ وَإِنَّمَا السَّاعَةُ فَسَيَعْلَمُونَ مَن هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٨﴾ وَنَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَشَدُّ ضَلَالًا ﴿٧٩﴾

[٦٥] هو ﴿رَبِّ﴾ مالك ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ أي: اصبر عليها ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ مسمى بذلك؟ لا.

[٦٦] ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ﴾ المنكر للبعث؛ أَيُّ نُبِّ خَلْفٍ، أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية: ﴿إِذْ﴾ بتحقيق الهجرة الثانية وتسهيلها، وإدخال ألف بينها بوجهيها وبين الأخرى (١) ﴿وَمَا مِثْلُ لَسَوْفَ أَخْرَجُ حَيًّا﴾ من القبر؛ كما يقول محمد؟! فلاستفهام بمعنى: النفي؛ أي: لا أحيأ بعد الموت، و«ما» زائدة للتأكيد، وكنا «اللام».

[٦٧] ورد عليه بقوله - تعالى -: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ﴾ (٢) الْإِنْسَانُ أصله «يتذكر»؛ أبدلت التاء ذالاً وأدغمت في الذال، وفي قراءة: تركها، وسكون

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن أم مبشر أنها سمعت النبي ﷺ يقول عند حفصة: «لا يدخل النار - إن شاء الله - من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها». قالت: بئى يا رسول الله. فافترها. فقالت حفصة: ﴿وَلِيَّنَ يَنْكُرُ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. فقال النبي ﷺ: «قد قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ نَسْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾». مسلم - كتاب فضائل الصحابة (٤٤) باب (٣٧) من فضائل أصحاب الشجرة.

(١) وقرأ ابن ذكوان من طريق الصوري وغيره بآخر «داه»، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون ﴿يَذْكُرُ﴾.

(٣) أي: (الأشد على الرحمن عتياً).

(٤) محققاً قراءة الكسائي، ولازمه إسكان اللون.

(٥) بالضم قراءة ابن كثير.

(٦) متعلق بـ«لجنة» لتفسيته معنى معاونين، كما وقع لهم في بدر من انخدال إبليس وجنده عنهم، وقتال الملائكة مع المؤمنين.

(٧) رجاء في الحديث أنها: «الكبير، والتلهيل، والتسييح، والتحميد، ولا حول ولا قوة إلا بالله» كما تقدم في تفسير سورة الكهف آية (٤٦).

[٧٧] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا﴾ العاصي بن وائل ﴿وَقَالَ﴾ لخباب ابن الأرت القتال به: ثَبُتَ بعد الموت، والمطالب له بمال: ﴿لَأُوتِيَنَّكَ﴾ على تقدير البعث ﴿مَالًا وَوَلَدًا﴾ فأقضيت^(١).

[٧٨] قال - تعالى -: ﴿أَطْلَعِ الْغَيْبَ﴾ أي: أعلمه، وأنه يؤتى ما قاله، واستغنى بهمزة الاستفهام عن همزة الوصل؛ فحذفت ﴿أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ بأن يؤتى ما قاله؟!

[٧٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: لا يؤتى ذلك ﴿سَنَكُتُبُ﴾ نأمر بكذب ﴿مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ نزيد به ذلك عذاباً فوق عذاب كفره.

[٨٠] ﴿وَنُرْثُكَ مَا يَقُولُ﴾ من المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿كَذِبًا﴾ لا مال له ولا ولد^(٢).

[٨١] ﴿وَأَتَّخِذُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ الأوثان ﴿مَا لِلَّهِ﴾ يعبدونه ﴿يَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا﴾ شعفاء عند الله؛ بأن لا يعذبوا.

[٨٢] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: لا مانع من عذابهم ﴿سَيَكْفُرُونَ﴾ أي: الآلهة ﴿بِعِبَادَتِهِمْ﴾ أي: ينفرن بها؛ كما في آية أخرى: ﴿مَا كَانُوا يَسْبُحُونَ﴾^(٣) ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ صِدًّا﴾ أعواناً وأعداء.

[٨٣] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ﴾ سُلْطَانَهُمْ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزَهُمْ﴾ تهيجهم إلى المعاصي ﴿أَلَمْ تَرَ﴾.

[٨٤] ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ﴾ بطلب العذاب ﴿إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ﴾ الأيام والليالي أو الأنفاس ﴿عَذَابًا﴾ إلى وقت عذابهم.

[٨٥] اذكر ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ الْمُتَّقِينَ﴾ بإيمانهم ﴿إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَفًّا﴾ جمع وافد؛ بمعنى: راکب.

[٨٦] ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بكفرهم ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثَةً﴾ جمع وارد؛ بمعنى: ماشٍ عطشان.

[٨٧] ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ أي: الناس ﴿الشَّفْعَةَ إِلَّا مَن أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ أي: شهادة أن لا إله إلا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله^(٤).

[٨٨] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله: ﴿أَخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾.

[٨٩] قال - تعالى - لهم: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا﴾ أي: منكراً عظيماً.

[٩٠] ﴿نَسْكَازُ﴾ بالباء والياء^(٥) ﴿النَّسْرُوتِ﴾ يَنْقُطُونَ^(٦) بالنون^(٧)، وفي قراءة بالياء وتشديد الطاء^(٨)؛ بالانشقاق، ﴿وَمِنهُ وَتَنَشَّقُ الْأَرْضُ وَخَيْرُ الْجِبَالِ هَذَا﴾ أي: تنطق عليهم؛ من أجل: [٩١] ﴿أَن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾.

[٩٢] قال - تعالى -: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ أي: ما يليق به

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٧٧ - ٨٠): أخرج البخاري عن خباب قال: كنت رجلاً قبيحاً، وكان لي على العاص بن وائل دين، فأتيته أنقاضاً، فقال لي: لا أقاضيك حتى تكفر بمحمد. قال: قلت: لن أكفر به حتى تموت ثم نبعت. قال: واني لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد. فنزلت: ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّكَ مَالًا وَوَلَدًا﴾ ﴿أَطْلَعِ الْغَيْبَ أَمْ أَخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ ﴿كَذَلِكَ سَنَكُتُبُكَ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا﴾ ﴿وَنُرْثُكَ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا كَذِبًا﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة مريم (١٩) باب (٦).

(١) أخرجه البخاري (٢٠٩١)، وانظر ما جاء في نزول الآيات.

(٢) القصص: ٦٣.

(٣) هذا قول ابن عباس، نقله عنه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء وأصناف. [الدر المنثور (٥٤١/٥)].

(٤) بالياء قراءة نافع والكسائي.

(٥) لأنني عمر وابن عامر وحزمة وشعبة.

(٦) مع قراءة «نكاذ»؛ ثُفِرَ: «ينفطرون» «ينفطرون» بالنون والياء. ومع قراءة «نكاذ» بالياء؛ ثُفِرَ: «ينفطرون» بالياء فقط.

سورة طه

[مكية مائة وخمس وثلاثون آية، أو: أربعون، أو: اثنتان،

نزلت بعد مريم]
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] طه ﴿الله أعلم بما بهداه بذلك﴾.

[٢] ﴿مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ يا محمد ﴿لِتَشْفَى﴾ لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل؛ أي: خفف عن نفسك.

[٣] ﴿إِنَّمَا أَنْزَلْنَاهُ﴾ بـ ﴿نَذِيرًا﴾ به ﴿لِمَنْ يَخْشَى﴾ يخاف الله.

[٤] ﴿تَنْزِيلًا﴾ بدل من اللفظ بفعله الناصب له ﴿وَمَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ جمع «عليها» كـ «كبرى» و «كبرى».

[٥] هو ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ﴾ وهو في اللغة: سرير الملك ﴿أَسْتَوَى﴾ استواء يليق به^(١).

[٦] ﴿لَمْ يَأْمُرْ بِالْإِنْسَانِ﴾ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿مِنْ الْخُلُقَاتِ﴾ وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ﴿هو التراب الندي؛ والمراد: الأرضون السبع؛ لأنها تحت﴾.

[٧] ﴿وَلَنْ يَجْهَرَ بِالْقَوْلِ﴾ في ذكر أو دعاء، فالله غني عن الجهر به ﴿فَلَنْ يَكُنَّ يَعْلَمُ الْسِرَّ وَخَفِيٍّ﴾ منه؛ أي: ما حدثت به النفس وما خطر، ولم تحدث به؛ فلا تجهد نفسك بالجهر.

[٨] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث^(٢)؛ والحسنى مؤنث الأحسن.

[٩] ﴿وَهَلْ كُنْتَ تَتَذَكَّرُ﴾ قد^(٣) ﴿أَنْتَكَ حَبِثْتُ مَوْسَى﴾.

[١٠] ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ لِامْرَأَتِهِ: «أَنْتُكَ نَارٌ» هُنَا؛ وذلك في مسيره من مدينت طابا مصر ﴿إِنِّي أَكُنْتُ بِمِصْرَ﴾ نَارًا لَعَلِّي أَمْسِكُ مِنْهَا بِقَبَسٍ ﴿بَشَعْلَةً فِي رَأْسِ قَبْلَةٍ أَوْ عُودٍ﴾ وَأَوْ أُجِدُّ عَلَى النَّارِ هَذَى ﴿أَي: هادئًا يدلني على الطريق، وكان أخطأها لظلمة الليل، وقال: «لعل»؛ لعدم الجزم بوفاء الوعد.

[١١] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا﴾ وهي شجرة عوسج^(٤) ﴿نُودِيَ بِمَوْسَى﴾.

[١٢] ﴿إِنِّي﴾ بكسر الهمزة؛ بتأويل ﴿نُودِيَ﴾ «بـ» قيل، «يفتحها؛ بتقدير الباء»^(٥) ﴿أَنَا﴾ تأكيد لباء التكلم ﴿رَبُّكَ فَاقْلَعْ عَلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ﴾ المطهر أو المبارك ﴿طُوبَى﴾ بدل، أو عطفت بيان؛ بالتثوين وتركه^(٦)، مصروف باعتبار المكان، وغير مصروف للتأنيث؛ باعتبار البقعة مع العلمية.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَرْزُقُهُ يُلَاسَانُكَ لِيُبَيِّنَ بِهِ الْمُتَقَاتِ وَتُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لَذًا ﴿٩٧﴾ وَكَرَاهَا كُنَّا قَلِيلًا مِّن قَرْنٍ هَلْ يُخَشِئُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾

سورة طه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طه ﴿مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ لِيُشْفَى ﴿إِلَّا تَذَكُّرًا لِّمَنْ يَخْشَى﴾ تَنْزِيلًا ﴿مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى﴾ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوَى ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ وَإِنْ يَجْهَرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ﴿إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هَذَى ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ بِمَوْسَى﴾ إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاقْلَعْ عَلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوبَى ﴿٩٦﴾

[٩٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾^(١) فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله - تعالى -.

[٩٧] ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزُقُهُ﴾ أي: القرآن ﴿يُلَاسَانُكَ﴾ العربي ﴿لِيُبَيِّنَ بِهِ الْمُتَقَاتِ﴾ الفائزين بالإيمان ﴿وَتُنذِرُ بِهِ قَوْمًا لَذًا﴾ جمع ألد؛ أي: جليل بالباطل، وهم: كفار مكة.

[٩٨] ﴿وَكَمْ﴾ أي: كثيرا ﴿أَمَلْنَا قُلُوبَهُمْ مِّن قَرْنٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية؛ بتكذيبهم الرسل ﴿هَلْ يُخَشِئُ تَجِدُ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ صوتًا خفيًا لا، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل: «إني قد أحببت فلانًا فلانج». قال: فينادي في السماء، ثم تنزل له النحلة في أهل الأرض؛ فذلك قول الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾... الحديث. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٠) سورة مريم، وضمحه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٢٨).

(٢) سبق التعليق على هذا التفسير، وأنه إذا كان المراد بالتفويض تفويض الكيفية فهو حق، وأما إن كان يريد أن معنى الاستواء مجهول فهو فرار من إثبات صفة لعلو والصعود والارتفاع والاستقرار على العرش التي هي من معاني الاستواء عند السلف.

(٣) سبق التعليق على هذا الحصر، وذكرنا أن الأسماء الحسنى لا يحصي عددها إلا الله ﷻ في تفسير الآية (١١٠) من سورة الإسراء.

(٤) وهو قول بعض أهل اللغة، واختاره بعض المفسرين، واختار غيرهم أنها على بابها من الاستفهام، وقد يراد به التقريير.

(٥) وهذا أحد الأقوال فيها، وقيل غير ذلك، ولا دليل على الجميع، وذكر ابن كثير أن الضمير يعود إلى النار.

(٦) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٧) بترك التثوين قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

[١٣] ﴿وَأَنَا أَخَذْتُكَ﴾ من قومك ﴿فَأَسْتَعِمْ لِيَا يُوحَى﴾ إليك مني.
[١٤] ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ فيها.

[١٥] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ عن الناس، ويظهر لهم قريباً بعلاماتها ﴿لِيُخْزِي﴾ فيها ﴿كُلَّ نَفْسٍ يَمُدُّنَّ﴾ به من خير أو شر.

[١٦] ﴿فَلَا يَصُدُّكَ﴾ بصرنك ﴿عَنَّا﴾ أي: عن الإيمان بها ﴿مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾ في إنكارها ﴿فَتَرَدِّي﴾ أي: فتهلك إن صدقت عنها.

[١٧] ﴿وَمَا تِلْكَ﴾ كائنة ﴿بِيمِينِكَ يَمُوسَى؟﴾ الاستفهام للتقرير؛ ليرتب عليه المعجزة فيها [١٨] ﴿قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ﴾ أعتد ﴿عَلَيْهَا﴾ عند الوثوب والمشي ﴿وَأَمْشِي﴾ أخبط ورق الشجر ﴿بِهَا﴾ ليستقط ﴿عَنِّي غَنَمِي﴾ فأكله ﴿وَلِي فِيهَا مَنَازِبُ﴾ جمع مأربة؛ مثلث الراء؛ أي: حوائج ﴿أُخْرَى﴾ كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام؛ زاد في الجواب بيان حاجاته بها.

[١٩] ﴿قَالَ أَفَهَا يَمُوسَى﴾.

[٢٠] ﴿فَأَلْقَنَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ﴾ ثعبان عظيم ﴿تَسْعَى﴾ تمشي على بطنها سريعاً؛ كسرعة الثعبان الصغير المسمى بالجان؛ المعبر به فيها في آية أخرى^(١).

[٢١] ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ﴾ منها ﴿سُعِيدُكَ سِيرَتهَا﴾ منصوب بنزع الخافض؛ أي: إلى حالتها ﴿الْأُولَى﴾ فأدخل يده في فيها؛ فعادت عصاً؛ فتبين أن موضع الإدخال موضع مسكها بين شعبتها، وأرى ذلك السيد موسى؛ لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون.

[٢٢] ﴿وَأَضْمَمَ يَدَكَ﴾ اليمنى؛ بمعنى: الكف ﴿إِلَى جَنَاحِكَ﴾ أي: جنبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرجها ﴿تَخْرُجُ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأمانة ﴿يَبْصَةً مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ﴾ أي: برص، تضيء كشعاع الشمس تغشى البصر ﴿آيَةً أُخْرَى﴾ وهي بياض، حالان من ضمير ﴿تَخْرُجُ﴾.

[٢٣] ﴿لِيُذَكِّرَ﴾ بها إذا فعلت ذلك؛ لإظهارها ﴿مِنْ آيَاتِنَا﴾ الآية ﴿الْكُذْبَى﴾ أي: العظمى على رسالتك، وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه؛ كما تقدم وأخرجها.

[٢٤] ﴿أَذْهَبَ﴾ رسولاً ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ﴾ ومن معه ﴿إِنَّمَا طَعْنُ﴾ جاوز الحد في كفره إلى ادعاء الإلهية.

[٢٥] ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ وَشَعْرَةً لِتَحْمِلَ الرِّسَالَةَ.

[٢٦] ﴿وَيَتَذَكَّرْ﴾ سهل ﴿لِي أَمْرِي﴾ لأبلغها.

[٢٧] ﴿وَأَلْقَى عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾ حَدَّثْتُ من احتراقه بجمرة وضعها بفيه وهو صغير^(٢).

[٢٨] ﴿يَفْقَهُوا﴾ يفهموا ﴿قَوْلِي﴾ عند تبليغ الرسالة.

(١) وهو قوله - تعالى -: ﴿فَلَمَّا رَوَّاهَا بِهَرَّةٍ فَلَاحَهَا جَهَنَّمَ﴾ [الزلزال: ١٠].

(٢) هذا قول كثير من المفسرين في بيان العقدة وسببها، وليس فيه شيء مرفوع إلى النبي ﷺ، وإنما هو من كلام سعيد بن جبير، نقلها عنه عبد ابن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم كما في ندر المنثور (٥٦٦/٥، ٥٦٧)، قال: غجمة بجمرة نار أدخلها في فيه عن أمر امرأة فرعون تدرأ به عنه عقوبة فرعون حين هم بقتله، بعد أن أخذ بلحيته وهو لا يعقل، قائلة: إنه لا يعقل، فقدموا له طبقاً فيه جمر وتمر، فأخذ الجمرة بوضعها في فيه فاحترق لسانه. وقيل: كان ذلك التعقد في لسانه خيلة. وعلى كلا القولين فهي عقدة كانت في لسانه حلها الله تعالى كما أخبر، وهذا بكفي.

(٣) بصيغتي المضارع المجزوم؛ أي: ﴿أَلْقَيْتُ﴾ بهززة مفتوحة، و﴿أَشْرَكْتُ﴾ بهززة مضمومة، وهي قرابة ابن عامر.

(٤) العلم غير البصر، وإن كان من لوازمه؛ فثبت صفة البصر لله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه.

وَأَنَا أَخَذْتُكَ فَاسْتَعِمْ لِمَا يُوحَى ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِيُخْزِي كُلَّ نَفْسٍ يَمُدُّنَّ عَنْهَا مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَتَرَدِّي وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَى ﴿١٥﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ وَاعْلَيْهَا وَأَهْشُ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَنَازِبُ أُخْرَى ﴿١٦﴾ قَالَ أَفَهَا يَمُوسَى فَأَلْقَنَاهَا فَإِذَا هِيَ حَبَّةٌ تَسْعَى ﴿١٧﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴿١٨﴾ وَأَضْمَمَ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيَّضَةً مِنْ غَيْرِ سَوْءٍ آيَةً أُخْرَى ﴿١٩﴾ لِيُذَكِّرَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُذْبَى ﴿٢٠﴾ أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٢١﴾ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٢﴾ وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي ﴿٢٣﴾ وَاجْعَلْ لِي وَبَرًا مِنْ أَهْلِي ﴿٢٤﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٢٥﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٢٦﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴿٢٧﴾ كَيْ سَيَحْكُمَ لَهُ ﴿٢٨﴾ وَكَذَكَّرَكَ كَثِيرًا ﴿٢٩﴾ وَإِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٢﴾

[٢٩] ﴿وَأَجْعَلْ لِي وَبَرًا﴾ معيها عليها ﴿مِنْ أَهْلِي﴾.

[٣٠] ﴿هَارُونَ﴾ مفعول ثاني ﴿أَخِي﴾ عطف بيان.

[٣١] ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾ ظهري.

[٣٢] ﴿وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾ أي: الرسالة، والفعْلان بصيغتي الأمر، والمضارع المجزوم^(٣)، وهو جواب الطلب.

[٣٣] ﴿كَيْ سَيَحْكُمَ﴾ تسيبها ﴿كَثِيرًا﴾.

[٣٤] ﴿وَنَذَكَّرَكَ﴾ ذكركم ﴿كَثِيرًا﴾.

[٣٥] ﴿وَإِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾ عالماً^(٤)؛ فأنعمت بالرسالة.

[٣٦] ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَى﴾ مثلاً عليك.

[٣٧] ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾.

إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْبِرِيهِ فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِرِيهِ
فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ وَعَدُوْلَةٌ وَالْقَيْتُ
عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِّمِّي وَلِصْصَعٍ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ مَشَىٰ أَخُتُكَ فَتَقُولُ
هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا
وَلَا تَحْزَنَ وَوَقَلْتَ نَفْسًا فَجِئْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَّكَ فُتُونًا
فَلَيْسَتْ سِينِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ فَرُجِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾
وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخْرُوكَ بِعَايَتِي وَلَا
تَبَيَّنَ فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا
لَّيْسَ لَكَهُ رَيْدُكَ أَوْ يَحْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَتَخَفُ أَنْ يَفْزُقَ
عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْعَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ
﴿٤٦﴾ فَأَتَيْنَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَلَا نُعَذِّبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ أَتْبَعِ
أَلْهَدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ
وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ
كُلَّ شَيْءٍ حَلْفَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَبَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

[٣٨] ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أُمِّكَ﴾ منامًا أو إلهامًا لما ولدتك
وخافت أن يقتلك فرعون في جملة من يولد ﴿مَا يُوحَىٰ﴾ في أمرك، ويبدل
منه: [٣٩] ﴿أَنْ أَقْبِرِيهِ﴾ ألقيه ﴿فِي التَّابُوتِ﴾ بالنابوت ﴿فِي الْيَمِّ﴾
بحر النيل ﴿فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ أي: شاطئه، والأمر بمعنى الخير ﴿يَأْخُذْهُ
عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوْلَةٌ لَّهُ﴾ وهو فرعون ﴿وَالْقَيْتُ﴾ بعد أن أخذك ﴿عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ
مِّمِّي﴾ لنحب في الناس؛ فأحبك فرعون وكل من رآك ﴿وَلِصْصَعٍ عَلَىٰ عَيْنِي﴾
نُرِّي على رعايتي وحفظي لك ^(١).

[٤٠] ﴿إِذْ﴾ للتعليل ﴿نَشَيْتُ أَفْئَتَكَ﴾ مريم؛ لتعرف من خبرك، وقد

أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدي واحدة منهم ﴿فَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن
يَكْفُلُهُ﴾ فأجبت؛ فجاءت بأمة فقيل نديها ﴿فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ
عَيْنُكَ﴾ بلقائك ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ حينئذ ﴿وَوَقَلْتَ نَفْسًا﴾ هو القبطي بمصر ^(٢)؛
فاغتممت لقتله من جهة فرعون ﴿فَجِئْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَّكَ فُتُونًا﴾ اختبرناك
بالإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه ﴿فَلَيْسَتْ سِينِينَ﴾ عشرا ﴿فِي أَهْلِ
مَدْيَنَ﴾ بعد مجيئك إليها من مصر عند شعيب ^(٣) النبي وتزوجك بانيته ﴿ثُمَّ
جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ﴾ في عمري بالرسالة؛ وهو: أربعون سنة من عمرك
﴿يَمُوسَىٰ﴾.

[٤١] ﴿وَأَصْطَفَيْنَاكَ﴾ اخترتك ﴿لِنَفْسِي﴾ بالرسالة.

[٤٢] ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخْرُوكَ﴾ إلى الناس ﴿وَبَايَعْتِي﴾ التسع ^(٤) ﴿وَلَا تَبَيَّنَ﴾
تفترنا ﴿فِي ذِكْرِي﴾ بتسييح وغيره.

[٤٣] ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ طغى ﴿بِأَدْعَاةِ الرُّبُوبِيَةِ﴾.

[٤٤] ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْسَ﴾ في رجوعه عن ذلك ﴿لَكَهُ رَيْدُكَ﴾ يتعظ
﴿أَوْ يَحْشَىٰ﴾ الله؛ فيرجع، والترجي بالنسبة إليهما لعلمه - تعالى - بأنه لا
يرجع.

[٤٥] ﴿قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَتَخَفُ أَنْ يَفْزُقَ عَلَيْنَا﴾ أي: يعجل بالعقوبة ﴿أَوْ أَنْ
يَطْعَىٰ﴾ علينا؛ أي: يتكر.

[٤٦] ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا﴾ يعوني ^(٥) ﴿أَسْمَعُ﴾ ما يقول
﴿وَأَرَىٰ﴾ ما يفعل.

[٤٧] ﴿فَأَتَيْنَاهُ فَقُولَا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ إلى الشام
﴿وَلَا نُعَذِّبُهُمْ﴾ أي: خل عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة؛
كالخفر والبناء وحمل الثقل ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِبَيِّنَاتٍ﴾ بحجة ﴿وَمِنْ رَبِّكَ﴾ على
صدقنا بالرسالة ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيْنَا مِنْ أَتْبَعِ أَهْدَىٰ﴾ أي: السلامة له من العذاب.

[٤٨] ﴿إِنَّا قَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ﴾ ما جئنا به
﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ أعرض عنه؛ فأتيته وقال جميع ما ذكر.

[٤٩] ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَمُوسَىٰ﴾ اقتصر عليه؛ لأنه الأصل، ولإدلاله عليه
بالتربية [٥٠] ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ﴾ من الخلق ﴿حَلْفَهُ﴾ الذي هو
عليه متميز به عن غيره ﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه
وغير ذلك.

[٥١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿فَمَا بَالُ﴾ حال ﴿الْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿الْأُولَىٰ﴾
كقوم نوح وهود ولوط وصالح في عبادتهم الأوثان.

(١) وفيها إثبات صفة العين لله - سبحانه - على الحقيقة، كما هو مذهب السلف الصالح.

(٢) قال ابن عباس - رضي الله عنهما -: قتل قبطًا كافرا. تفسير البيهقي (٧٧٣/٥). وأخرج مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «ما قتل موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ». مسلم (٢٩٠٥).

(٣) المشهور عند كثير من العلماء أن صاحب مدين المذكور في سورة القصص هو شعيب الكليلي، وقيل غير ذلك، وإنما هو رجل مؤمن من أهل «مدين»؛ لأن شعيب الكليلي كان قبل موسى يزعم، والصواب أن هذا لا يدرك إلا بخبر، ولا خبر نجب به الحجة في ذلك. (انظر كلام ابن كثير والسعدي في تفسير سورة القصص، آية رقم ٢٥، ٢٨).

(٤) هذا قول ابن عباس، وسوى بيان هذه الآيات في تفسير الآية (٧٥) من سورة يونس. وقيل: المقصود هنا: آيات انشوراة.

(٥) هذا من لوازم معيته - سبحانه - الخاصة بعباده المؤمنين، ومعنيته - سبحانه - مع خلقه نوعان - كما تقدم في آخر النحل - مع عامة؛ ومعناها: إحاطته بكل الخلق علما وقدره، ومعنية خاصة لأوليائه بالإعانة والرعاية والكفاية والنصر والتأييد والهداية والتوفيق، وقد اشتمل القرآن عليها.

[٥٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿عَلَّمَهَا﴾ أي: علم حالهم محفوظ ﴿عِنْدَ رَبِّي﴾ فِي كِتَابٍ. هو اللوح المحفوظ، يجازيهم عليها يوم القيامة ﴿لَا يَضِلُّ﴾ يغيب ﴿رَبِّي﴾ عن شيء ﴿وَلَا يَنْسَى﴾ ربي شيئاً. [٥٣] هو ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ﴾ في جملة الخلق ﴿الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فراشا ﴿وَسَلَكَ﴾ سهول ﴿لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقاً ﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً، قال - تعالى - تسميها لما وصفه به موسى، وخطاباً لأهل مكة: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِوَدِّهِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافاً ﴿مِنْ بَنَاتِ شَقْتٍ﴾ صفة ﴿أَزْوَاجًا﴾ أي: مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، و﴿شَقْتٍ﴾ جمع «شيت»؛ ك«مريض» و«مرضى»؛ من شت الأمز: تفرق.

[٥٤] ﴿كُلُوا﴾ منها ﴿وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ﴾ فيها، جمع نعام؛ وهي: الإبل والبقر والغنم، يقال: رعت الأنعام ورعيتها. والأمر للإباحة، وتذكير الثغمة، والجملة حال من ضمير «أخرجنا»؛ أي: مبيحين لكم الأكل ورعي الأنعام ﴿إِنَّ فِي ذَلِكََ﴾ المذكور هنا ﴿لَآيَاتٍ﴾ لعباد ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لأصحاب العقول، جمع «أهنية»؛ ك«عُرْف» و«عُرْف»؛ سُمِّيَ به العقل؛ لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح.

[٥٥] ﴿مِنْهَا﴾ أي: من الأرض ﴿خَلَقْنَاكُمْ﴾ بخلق أيكم آدم منها ﴿وَمِنْهَا نُبْذِكُمْ﴾ مقبورين بعد الموت ﴿وَمِنْهَا تَخْرِمُكُمْ﴾ عند البعث ﴿تَارَةً﴾ مرة ﴿أُخْرَى﴾ كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم.

[٥٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ أي: أبصرنا فرعون ﴿بِآيَاتِنَا كُلِّهَا﴾ التسع ﴿فَكَذَّبَ﴾ بها وزعم أنها سحر ﴿وَأَنَّى﴾ أن يوحد الله - تعالى - .

[٥٧] ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا﴾ مصر، ويكون لك الملك فيها ﴿بِسِحْرِكَ يَمْؤِسُونَ﴾.

[٥٨] ﴿فَسَأَلْنَاهُ﴾ بِسِحْرِ مَلِكِهِ يعارضه ﴿فَجَعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا﴾ لذلك ﴿لَّا تَخْلِفُكُمْ عَنْهُ﴾ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا منصوب بنزع الخافض في ﴿[سِوَى]﴾ بكسر أوله وضمه^(١)؛ أي: وسطاً تستوي إليه مسافة الجائي من الصرفين.

[٥٩] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ﴾ يوم عيد لهم يتزينون فيه ويجتمعون ﴿وَأَن يُخْرِجَ النَّاسُ﴾ يجمع أهل مصر ﴿ضُحًى﴾ وقته للنظر فيما يقع.

[٦٠] ﴿فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ﴾ أدبر ﴿فَجَمَعَ كَيْدَهُ﴾ أي: ذوي كيده من السحرة ﴿ثُمَّ أَقْبَلَ﴾ بهم الموعد.

[٦١] ﴿قَالَ لَهُمْ مُوسَى﴾ وهم اثنان وسبعون^(٢) مع كل واحد حبل وعصا: ﴿وَتِلْكَ﴾ أي: أئزكم الله الويل ﴿لَا تَقْرَءُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ يُشَارِكُ أَحَدَ مَعَهُ ﴿فَيَسْجُدْكُمْ﴾ بضم الباء وكسر الحاء ويفتخهما^(٣)؛ أي: يهلككم ﴿بِعَذَابٍ﴾ من عنده ﴿وَقَدْ خَابَ﴾ خسر ﴿مَنْ أَفْتَرَى﴾ كذب

قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَاسْلَكْ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ بَنَاتِ شَقْتٍ ﴿٥٣﴾ كُتِبَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا طَرَفًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴿٥٤﴾ مَطَرًا، قَالَ - تَعَالَى - تَسْمِيهَا لِمَا وَصَفَهُ بِهِ مُوسَى، وَخَطَابًا لِأَهْلِ مَكَّةَ: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِوَدِّهِ أَزْوَاجًا﴾ أَصْنَافًا ﴿مِنْ بَنَاتِ شَقْتٍ﴾ صِفَةً ﴿أَزْوَاجًا﴾ أَيْ: مُخْتَلِفَةً الْأَلْوَانِ وَالطَّعُومَ وَغَيْرَهُمَا، وَ﴿شَقْتٍ﴾ جَمْعُ «شَيْتٍ»؛ كَ«مَرِيضٍ» وَ«مَرَضَى»؛ مِنْ شَتَّ الْأَمْرِ: تَفَرَّقَ.

﴿٥٤﴾ «كُلُوا» مِنْهَا «وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ» فِيهَا، جَمْعُ نَعَمٍ؛ وَهِيَ: الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ، يُقَالُ: رَعَتِ الْأَنْعَامَ وَرَعَيْتَهَا. وَالْأَمْرُ لِلإِبَاحَةِ، وَتَذْكِيرُ الثَّغْمَةِ، وَالْجُمْلَةُ حَالٌ مِنْ ضَمِيرِ «أَخْرَجْنَا»؛ أَيْ: مُبِيحِينَ لَكُمْ الْأَكْلَ وَرَعِيَ الْأَنْعَامِ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكََ﴾ الْمَذْكُورِ هُنَا ﴿لَآيَاتٍ﴾ لِلْعِبَادِ ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ لِأَصْحَابِ الْعُقُولِ، جَمْعُ «أَهْنِيَّةٍ»؛ كَ«عُرْفَةٍ» وَ«عُرْفٍ»؛ سُمِّيَ بِهِ الْعَقْلُ؛ لِأَنَّهُ يَنْهَى صَاحِبَهُ عَنِ ارْتِكَابِ الْقَبَائِحِ.

﴿٥٥﴾ «مِنْهَا» أَيْ: مِنَ الْأَرْضِ «خَلَقْنَاكُمْ» بِخَلْقِ أَيِّكُمْ آدَمَ مِنْهَا «وَمِنْهَا نُبْذِكُمْ» مُقَبَّرِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ «وَمِنْهَا تَخْرِمُكُمْ» عِنْدَ الْبَعْثِ «تَارَةً» مَرَّةً «أُخْرَى» كَمَا أَخْرَجْنَاكُمْ عِنْدَ ابْتِدَاءِ خَلْقِكُمْ.

﴿٥٦﴾ «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا» أَيْ: أَبْصَرْنَا فِرْعَوْنَ «بِآيَاتِنَا كُلِّهَا» التَّاسِعَ «فَكَذَّبَ» بِهَا وَزَعَمَ أَنَّهَا سِحْرٌ «وَأَنَّى» أَنْ يُوحَدَ اللَّهُ - تَعَالَى - .

﴿٥٧﴾ «قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا» مِصْرَ، وَيَكُونُ لَكَ الْمُلْكُ فِيهَا «بِسِحْرِكَ يَمْؤِسُونَ».

﴿٥٨﴾ «فَسَأَلْنَاهُ» بِسِحْرِ مُلْكِهِ يَعَارِضُهُ «فَجَعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا» لِذَلِكَ «لَّا تَخْلِفُكُمْ عَنْهُ» وَلَا أَنْتَ مَكَانًا مُنْصُوبٌ بِنَزْعِ الْخَافِضِ فِي «[سِوَى]» بِكَسْرِ أَوَّلِهِ وَضَمِّهِ^(١)؛ أَيْ: وَسَطًا تَسْتَوِي إِلَيْهِ مَسَافَةُ الْجَائِي مِنَ الصَّرْفَيْنِ.

على الله.

[٦٢] ﴿فَسَنَزِعُهُمْ﴾ فِي مُوسَى وَأَخِيهِ ﴿وَأَسْرُوا النَّجْوَى﴾ أي: الكلام بينهم فيها [٦٣] ﴿قَالُوا﴾ لأنفسهم: ﴿[إِنْ هَذَا]﴾ لَأَيِّ عَمْرٍو، وَلِغَيْرِهِ: «هَذَا»^(٢)، وَهُوَ مُوَافِقٌ لِللُّغَةِ مِنْ بَآئِي فِي الْمَثَلِ بِالْأَلْفِ فِي أَحْوَالِهِ الثَّلَاثِ، «لَسَنَجْرِنَ بُرَيْدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ النَّتْلِ» مَوْثٌ «أَمْثَلُ»؛ بِمَعْنَى: أَشْرَفُ؛ أَيْ: بِأَشْرَافِكُمْ، بِمِثْلِهِمَا لِيُغْلِبَتَهُمَا.

[٦٤] ﴿فَاجْمَعُوا﴾^(٣) كَيْدَكُمْ مِنَ السِّحْرِ؛ بِهَمْزَةٍ وَصَلٍ وَفَتْحِ الْمِيمِ مِنْ جَمْعٍ؛ أَيْ: لَمْ، وَبِهَمْزَةٍ فَصَعٍ وَكَسْرِ الْمِيمِ مِنْ أَجْمَعٍ: أَحْكَمَ ﴿ثُمَّ أَتَوْا صَفًّا﴾ حَالًا؛ أَيْ: مُصْطَفِينَ ﴿وَقَدْ أَفْلَحَ﴾ فَازَ ﴿الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾ غَلَبَ.

(١) بالکسر قراءة نافع والکسانی وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) سبق أن الأولى في مثل هذه المواطن التي لم يصح فيها دليل الاقتصار على موضع العبرة والفائدة، فلو كان في العلم بعددهم فائدة لَيُبَيِّنُ اللَّهُ الْكِرِمَ.

(٣) يفتحهما قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) فيها ثلاث قراءات سجيعة. غير قراءة أبي عمرو وهي سجيعة أيضًا ، الأولى: «إِنْ هَذَا» بتخفيف «إِنْ» وتشديد نون «هَذَا»، وهي قراءة ابن كثير، مع المد المشيع. والثانية: تخفيف «إِنْ» ونون «هَذَا» وهي قراءة حفص، والثالثة: تشديد نون «إِنْ» وتخفيف نون «هَذَا» وهي قراءة الباقين.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ الباقون بهَمْزَةٍ فَصَعٍ وَكَسْرِ الْمِيمِ «أَجْمَعُوا».

حيات ﴿تَتَّقِي﴾ على بطونها.

[٦٧] ﴿فَأَوْجَسَ﴾ أحس ﴿فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى﴾ أي: خاف من جهة أن سحرهم من جنس معجزته أن يبتس أمره على الناس؛ فلا يؤمنوا به.

[٦٨] ﴿فَلَمَّا﴾ له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ عليهم بالغلبة.

[٦٩] ﴿وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ﴾ وهي عصاه ﴿فَلَقَقَ﴾ تعلق ﴿مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ جنسه ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ بسحره؛ فآلفى موسى عصاه؛ فلتقت كل ما صنعوه.

[٧٠] ﴿فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ﴾ خروا ساجدين لله - تعالى - ﴿فَالرَّا بَيْنَهُمْ يَبْتَهِرُونَ وَهُمْ لَا يُفْلِحُونَ﴾.

[٧١] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿[أَتَمْسِكُ]﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً^(١) ﴿كَلِمَةً قَلِيلًا أَأَدْنَى﴾ أنا ﴿لَكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدٌ﴾ معلمكم ﴿وَالَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُفْلِحُونَ أَيَّدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ﴾ حال؛ بمعنى: مختلفة؛ أي: الأيدي اليمنى والأرجل اليسرى ﴿وَلَا صِلَبَتْكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ أي: عليها ﴿وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّكُمْ﴾ يعني نفسه وزب موسى ﴿أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ أدام على مخالفته.

[٧٢] ﴿قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ﴾ نختارك ﴿عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ﴾ الدالة على صدق موسى ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ خلقنا، قسم؛ أو: عطف على ﴿مَا﴾ ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ أي: اصنع ما قلته ﴿إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ النصب^(٢) على الاتساع^(٣)؛ أي: فيها، ونجزي عليه في الآخرة.

[٧٣] ﴿إِنَّمَا نَأْمُرُ بِرَبِّنَا لِنَعْلَمَ لَنَا خَطِئَاتِنَا﴾ من الإشراك وغيره ﴿وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ﴾ تعلمنا وعملاً؛ لمعارضة موسى ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ مِنْكَ نُوَابِئًا إِذَا أَطِيعَ﴾ منك عذاباً إذا غصيبي.

[٧٤] قال - تعالى -: ﴿إِنَّكُمْ مِنْ بَيْنِ رَيْبٍ يُحَرِّمُ﴾ كافراً؛ كفرعون ﴿فَإِنْ لَّمْ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَحْيَىٰ﴾ حياة تنفعه.

[٧٥] ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ﴾ الفرائض والنوافل ﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ جمع ﴿عُلَىٰ﴾ مؤنث ﴿أَعْلَىٰ﴾.

[٧٦] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٍ﴾ أي: إقامة، بيان له^(٤) ﴿تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى﴾ تظهر من الذنوب.

قَالُوا يَمُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْتَ ثُلْقَىٰ وَإِنَّا نَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ﴿٦٧﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِئَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٦٨﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٧٠﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَقَفَ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٧١﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِحْرَ قَالُوا أَمَّا رَبِّ هَرُونَ وَمُوسَى ﴿٧٢﴾ قَالَ أَمَّا نَمُوتُ لَهُ وَقَبْلَ أَنْ آدَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَيْدٌ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تُفْلِحُونَ أَيَّدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صِلَبَتْكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَتَعْلَمَنَّ أَيُّكُمْ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧٣﴾ قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٤﴾ إِنَّمَا نَأْمُرُ بِرَبِّنَا لِنَعْلَمَ لَنَا خَطِئَاتِنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿٧٥﴾ إِنَّهُ وَمَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٦﴾ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ ﴿٧٧﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٨﴾

[٦٥] ﴿قَالُوا يَمُوسَىٰ﴾ اختر ﴿إِنَّمَا أَنْ تُلْقَى﴾ عصاك أولاً ﴿وَإِنَّمَا أَنْ نَكُونُ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ عصاه.

[٦٦] ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا﴾ فآلفوا ﴿فَإِذَا جِئَالَهُمْ وَعَصِيَّهُمْ﴾ أصله: «غصوه»؛ قلبت الواو إناءين، وكسرت العين والصاد ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا﴾

(١) راجع التعليق على الآية (١٢٣) من سورة الأعراف.

(٢) أي نصب «هذه» المبدل منها: «الحياة الدنيا».

(٣) أي في اللغة؛ أي: نصبت برفع الحافض؛ بتقدير: «إنما تقضي في هذه الحياة الدنيا»، وهذا خلافاً لما ذكر وأطرد؛ حيث يكثر ويطرده حذف الجار مع «أن» و «أن»، ويأتي الحذف في غيرهما قليلاً على سبيل الاتساع والتشخيص، كما ذكر ابن هشام في «معنى اللبيب».

(٤) أي لقوله: «الدراجات العلى».

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاصْرَبْ لَهُمْ طَرِيقًا
 فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَفْ دَرَكًا وَلَا يَخْشَى ﴿٧٧﴾ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ
 بِجُنُودِهِ فَفَشَلَ مِنْ آلَيْهِ مَا عَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَصْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ
 وَمَاهَدَى ﴿٧٩﴾ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ يَلْذَنُّ قَدْ آمَنَ مِنْ عَذَابِكُمْ وَعَدَدْكُمْ
 جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴿٨٠﴾ كَلُومًا
 طَيِّبَةً مَا رَزَقْنَكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي
 وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى ﴿٨١﴾ وَإِنِّي لَأَعْلَمُ لِمَنِ تَابَ
 وَعَآمِنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾ وَمَا أَعْجَلَكُ عَنْ
 قَوْمِكَ بِمُوسَى ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
 رَبِّ لِتَرْضَى ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ عَذَابِكَ وَأَصْلَهُمُ
 السَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ
 يَقَوْمِ الْوَيْدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ
 أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ
 مَوْعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حُمِلْنَا
 أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَدْ تَفَنَّا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

[٨٧] ﴿قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا﴾ مثلث الميم^(٧)؛ أي: بقدرتنا أو
 أمرنا ﴿وَلَكِنَّا حُمِلْنَا﴾ [بفتح الحاء مخففاً، وبضمها وكسر الميم مشدداً]^(٨)
 ﴿أَوْزَارًا﴾ أثقالاً ﴿مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ أي: خلقي قوم فرعون، استعارها منهم
 بنو إسرائيل بعلية حموس^(٩)؛ فبقيت عندهم ﴿فَقَدْ تَفَنَّا﴾ طرحناها في النار بأمر
 السامري ﴿فَكَذَلِكَ﴾ كما ألقينا ﴿أَلْقَى السَّامِرِيُّ﴾ ما معه من حلبيهم، ومن
 التراب الذي أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتي:

[٧٧] ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي﴾ بهزمة قطع من
 «أسرى»، وبهزمة وصل وكسر النون^(١) «سرى» لغتان؛ أي: سر بهم ليلاً
 من أرض مصر ﴿فَاصْرَبْ لَهُمْ﴾ اجعل لهم بالضرب بعصاك ﴿طَرِيقًا فِي
 الْبَحْرِ يَبَسًا﴾ أي: يابسا؛ فامتثل ما أُمِر به، وأيس الله الأرض؛ فمروا فيها
 ﴿لَا تَخَفْ دَرَكًا﴾ أي: أن يدركك فرعون ﴿وَلَا يَخْشَى﴾ غرقاً.
 [٧٨] ﴿فَآتَبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ﴾ وهو معهم ﴿فَفَشَلَ مِنْ آلَيْهِ﴾ أي:
 البحر ﴿وَمَا عَشِيَهُمْ﴾ فأغرقهم.
 [٧٩] ﴿وَأَصْلَ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ﴾ بدعائهم إلى عبادته ﴿وَمَا هَدَى﴾ بل أوقعهم
 في الهلاك خلاف قوله: ﴿وَمَا أَهْدَيْكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾^(٢).
 [٨٠] ﴿يَبْنِي إِسْرَءِيلَ قَدْ آمَنَ مِنْ عَذَابِكُمْ﴾ فرعون بإغراقه ﴿وَوَعَدْتُكُمْ
 جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ فتوتى موسى التوراة للعمل بها ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ
 وَالسَّلْوَى﴾ هما «الشُّجْبَيْنِ» و«الشَّمَانِي»؛ بتخفيف الميم والقصر، والمنادى من
 وجد من اليهود زمن النبي ﷺ، وخوطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن
 النبي موسى توطئة لقوله - تعالى - بهم: [٨١] ﴿كَلُومًا مِنْ طَيِّبَةٍ مَا رَزَقْنَكُمْ﴾
 أي: المثلِّع به عليكم ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ﴾ بأن تكفروا النعمة به ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ
 غَضَبِي﴾ بكسر الحاء؛ أي: يجب، وبضمها^(٣)؛ أي: ينزل ﴿وَمَنْ يَحِلَّ عَلَيْهِ
 غَضَبِي﴾ بكسر الهمزة وضمها^(٤) ﴿فَقَدْ هَوَى﴾ سقط في النار.
 [٨٢] ﴿وَإِنِّي لَأَعْلَمُ لِمَنِ تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَعَآمِنَ﴾ وحَّد الله ﴿وَعَمِلَ
 صَالِحًا﴾ يتصدق بالفرض والنفل ﴿ثُمَّ اهْتَدَى﴾ باستمراره على ما دُكر إلى
 موته.

[٨٣] ﴿وَمَا أَعْجَلَكُ عَنْ قَوْمِكَ﴾ لحييء ميعاد أخذ التوراة^(٥)
 ﴿بِمُوسَى﴾.
 [٨٤] ﴿قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ﴾ أي: بالقرب مني بأنون ﴿عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ
 رَبِّ لِتَرْضَى﴾ عني؛ أي: زيادة في رضاك، وقيل الجواب، أتى بالاعتذار^(٦)،
 بحسب ظنه، وتخلف المظنون لما: [٨٥] ﴿قَالَ﴾ - تعالى -: ﴿فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا
 قَوْمَكَ مِنْ عَذَابِكَ﴾ أي: بعد فراقك لهم ﴿وَأَصْلَهُمُ السَّامِرِيُّ﴾ فعبدوا العجل.
 [٨٦] ﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ﴾ من جهنم ﴿أَسِفًا﴾ شديد
 الحزن.

﴿قَالَ يَقَوْمِ الْوَيْدُكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾ أي: صدقاً أنه يعطيكم
 التوراة ﴿أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ﴾ مدة مفارقتي إياكم ﴿أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ
 يَحِلَّ﴾ يجب ﴿عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بعبادتكم العجل ﴿فَأَخْلَفْتُمْ
 مَوْعِدِي﴾ وتركتم الحجيء بعدي.

(١) بهزمة وصل وكسر النون قراءة نافع وابن كثير.

(٢) غافر: ٢٩.

(٣) بالضم قراءة الكسائي وقرأ الباقون بالكسر.

(٤) بالضم قراءة الكسائي وقرأ الباقون بالكسر.

(٥) أي شيء جعلك متعجلاً عن قومك وسابقاً لهم؟

(٦) عن سبقه لقومه.

(٧) بالكسر قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وبالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٨) بالفتح قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٩) وقيل: إن الحمي كان لبي [إسرائيل]، وراجع ما تقدم في تفسير آية الأعراف رقم (١٤٨).

[٩٠] ﴿وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ أَي: قبل أن يرجع موسى: ﴿يَقُولُوا إِنَّمَا أَفْتَيْنَاكُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي﴾ في عبادته ﴿وَاطِيعُوا أَمْرِي﴾ فيها.

[٩١] ﴿قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ﴾ نزال ﴿عَلَيْهِ عَذَابَيْنِ﴾ على عبادته مقيمين ﴿حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾.

[٩٢] ﴿قَالَ﴾ موسى بعد رجوعه: ﴿يَهْرُوتُ مِمَّا مَنَعَكَ إِذْ دَلَّيْنَاهُمْ ضَلُوكَ﴾ بعبادته [٩٣] ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَكَ آيَاتٌ﴾ لا زائدة ﴿أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي﴾ بإقامته بين من يعبد غير الله - تعالى ١٩.

[٩٤] ﴿قَالَ﴾ هارون: ﴿تَبِعْتُمْ﴾ بكسر الميم وفتحها (١)؛ أراد أمي، وذخريها أعطفت لقلبه ﴿لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي﴾ وكان أخذها بشماله ﴿وَلَا بِرَأْسِي﴾ وكان أخذ شعره يمينه غضبا ﴿إِنِّي خَشِيتُ﴾ لو اتبعتك، ولا بد أن يتبعني جمع ممن لم يعبدوا العجل ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وتغضب علي ﴿وَلَمْ تَرْفَعْ﴾ تنتظر ﴿قَوْلِي﴾ فيما رأيته في ذلك.

[٩٥] ﴿قَالَ قَمَا خَطْبُكَ﴾ شأنك الداعي إلى ما صنعت ﴿يَسْمِعُونِي؟﴾

[٩٦] ﴿قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾ بالياء والناء (٢)؛ أي: علمت ما لم يعلموه ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ﴾ تراب ﴿أَثَرِ﴾ حافر فرس ﴿الرَّسُولِ﴾ جبريل ﴿فَقَبَضْتُهَا﴾ ألفتها في صورة العجل المصاغ (٣) ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لَكَ﴾ رزئت ﴿لِي نَفْسِي﴾ وألقيت فيها أن أخذ قبضة من تراب ما ذكر، وألقيها على ما لا روح له يصير له روح، ورأيت قومك طلبوا منك أن تجعل لهم إلهًا، فحدثني نفسي أن يكون ذلك العجل إلههم (٤).

[٩٧] ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿فَأَذْهَبْ﴾ من بيننا ﴿فَإِنَّكَ لَكِ فِي الْحَيَوةِ﴾ أي: مدة حياتك ﴿أَنْ تَقُولَ﴾ لمن رأيته: ﴿لَا مَسَاسَ﴾ أي: لا تقربني؛ فكان يهيم في البرية، وإذا مس أحداً أو مسه أخذ حُما جميعاً (٥) ﴿وَأَنَّ لَكَ مَوْعِدًا﴾ لعذابك ﴿أَنْ تَخْلُقَهُ﴾ بكسر اللام، أي: لن تغيب عنه، وفتحها (٦)؛ أي: بل تعث إليه ﴿وَأَنْظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ﴾ أصله «ظلمت» بلامين، أولاهما مكسورة حذف تخفيفاً؛ أي: دمت ﴿عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾ أي: مقيماً تبعده ﴿أَتَسْمِعْتَهُ﴾ بالنار ﴿شُرَّ لَنْسِفَتُهُ فِي الْيَمِّ﴾ شَفَا ﴿تُذَرِّيَّتُهُ فِي هَوَاءِ الْبَحْرِ﴾ وفعل موسى بعد ذبحه (٨) ما ذكره.

[٩٨] ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ تمييز محوّل عن الفاعل؛ أي: وسع علمه كل شيء.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا آلِهَةً وَّحُورًا فَعَالُوا هَٰذَا إِلَهُكُمُ وَاللَّهُ مُوسَىٰ فَتَنَىٰ ﴿٩٠﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقُولُ إِنَّمَا أَفْتَيْنَاكُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَاطِيعُوا أَمْرِي ﴿٩٢﴾ قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَذَابَيْنِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩٣﴾ قَالِ يَهْرُوتُ مِمَّا مَنَعَكَ إِذْ دَلَّيْنَاهُمْ ضَلُوكَ ﴿٩٤﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٥﴾ قَالِ يَنْتَوَرُّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَلَمْ تَرْفَعْ قَوْلِي ﴿٩٦﴾ قَالِ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِعُونِي ﴿٩٧﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلْتُ لِي نَفْسِي ﴿٩٨﴾ قَالِ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَوةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ أَخْلُقَهُ وَنَظُرْ إِلَىٰ إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنْ خَلُقَهُ وَشُرَّ لَنْسِفَتُهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٠٠﴾

[٨٨] ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا﴾ صاغه من الحلي ﴿جَسَدًا﴾ لحماً ودماً (١) ﴿لَهُمْ حُورٌ﴾ أي: صوت يُسمع؛ أي: انقلب كذلك بسبب التراب الذي أثاره الحياة فيما يوضع فيه، ووضعه بعد صوغه في فيه ﴿فَعَالُوا هَٰذَا﴾ السامري وأتباعه. ﴿هَٰذَا إِلَهُكُمُ وَاللَّهُ مُوسَىٰ فَتَنَىٰ﴾ موسى ربه هنا، وذهب بطلابه. [٨٩] قال - تعالى -: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُ﴾، ثم مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿لَا يَرْجِعُ﴾ العجل ﴿إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ أي: لا يرد لهم جواباً ﴿وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا﴾ أي: دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جلبه؛ أي: فكيف يُخَذُّ إِلَهُهَا؟ ١٩.

(١) هذا قول الحسن البصري وقفاة، واختاره الجلال المحلي هنا. وقال مجاهد: بل كات الريح إذا دخلت من دُخْره، خرجت من فمه فيخور كما يحور البقرة؛ أي لم يصر حياً. ويشهد له ظاهر قوله: «جسد» الذي يدل على أنه لا حياة فيه. وقيل غير ذلك. والله أعلم.

(٢) بالكسر قراءة حمزة والكسائي وابن عامر وشعبة. وقرأ الباقون بالفتح.

(٣) بالناء قراءة حمزة والكسائي وقرأ الباقون بالياء.

(٤) الصواب: «المصوغ» لأنه من «صاغ» الثلاثي.

(٥) ما ذكره المفسر هنا يذكره عامة المفسرين، واختلفوا متى رأى السامري جبريل عليه السلام، وكيف اختص برؤيته ومعرفة من بين الناس، بينما ذهب بعض أهل العلم إلى: أن كل هذا ليس عليه آثاره من علم ولا يدل عليه انتزاع الكرم؛ ولذا فسر بعضهم بوجه آخر، وهو أن يكون المراد بالرسول: موسى عليه السلام، وبذلك: سته رسمه الذي أمر به، فكان السامري قال: عرفنا أنتم عليه ليس بحق، وقد كنت قبضت قبضة من أثرك أي الرسول؛ أي: شيئاً من سنتك ودينك، فخذته؛ أي: طرحته، فصار ما صار. وإنما أورد بلفظ الإخبار عن غالب، كما يقول الرجل لرئيسه وهو مواجه له: ما يقول الأمير في كذا؟ وماذا يأمر الأمير؟ وأما دعاؤه موسى عليه السلام: رسولاً مع جحده وكفره، فعلى مثل مذهب من حكى الله - تعالى - عنهم قولهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾، وإن لم يؤموا بالإنزال، فالله أعلم.

(٦) هذا أيضاً ما لا دليل صحيح يعتمد عليه، وفقره البعض: بأن المراد المنع من أن يخالط أحداً أو يخالطه أحد، عقوبة له، وفقره آخرون: بأنه كناية عن انقطاع نسله، فلا يكون له ولد يؤنس؛ لأن المراد يكتى به عن النكاح. فالله أعلم.

(٧) بالكسر قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون بالفتح.

(٨) اختار الجلال المحلي أنه عجل حي من لحم ودم. وسبق ذكر الخلاف في ذلك.

[٩٩] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة ﴿نَفْسٌ عَلَيْكَ مِنْ أُنْبَاءِ﴾ أخبار ﴿مَا قَدْ سَبَقَ﴾ من لأمم ﴿وَقَدْ عَلِمْتَنِي﴾ أعطيتناك ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ من عندنا ﴿ذِكْرًا﴾ قرآنًا.
[١٠٠] ﴿مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ﴾ فلم يؤمن به ﴿فَلَنَّمْ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا﴾ حملاً ثقيلاً من الإثم.

[١٠١] ﴿خَلْدَيْنِ فِيهِ﴾ أي: في عذاب الوزر ﴿وَسَاءَ لِمَنْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ جِزَاءُ﴾ تمييز مفسر للضمير في «ساء»، والخصوص بالذم محذوف تقديره: «وزرهم»، واللام للبيان، ويبدل من ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: [١٠٢] ﴿يَوْمَ يُفْعَخُ فِي الْأَصْوَارِ﴾ القرن النفخة الثانية ﴿وَنُحْشَرُ الْكَاثِرِينَ﴾ الكافرين ﴿يَوْمَئِذٍ رُفَقًا﴾ عيونهم مع سواد وجوههم [١٠٣] ﴿يَسْخَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ يتساورون ﴿بَيْنَ مَا لَيْسَتْ﴾ في الدنيا ﴿إِلَّا عَشْرًا﴾ من الليالي بأيامها.
[١٠٤] ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ في ذلك؛ أي: ليس كما قالوا ﴿إِذْ يَقُولُ آمَنَّا بِهِمْ﴾ أغدلتهم ﴿طَرِيقَةً﴾ فيه: ﴿إِنْ لَيْسَ إِلَّا يَوْمًا﴾ يستقلون لبثهم في الدنيا جدًا لما يعانونه في الآخرة من أهوالها.

[١٠٥] ﴿وَسَتُؤْتِيكَ عَنِ الْجِبَالِ﴾ كيف تكون يوم القيامة ﴿فَقُلْ لَهُمْ﴾: ﴿يَسْفِهَارِي نَسْفًا﴾ بأن يفتتها كالرمل السائل، ثم يطيرها بالرياح.

[١٠٦] ﴿فَيَذَرُهَا قَاعًا﴾ منبسطة ﴿صَفْصَفًا﴾ مستوية.

[١٠٧] ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا﴾ انخفاضًا ﴿وَلَا أَمْتًا﴾ ارتفاعًا.
[١٠٨] ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم إذ نسفت الجبال ﴿يَلْعَبُونَ﴾ أي: الناس بعد القيام من القبور ﴿الدَّاعِي﴾ إلى الخسر بصوته؛ وهو: إسرافيل، يقول: هلموا إلى عرض الرحمن ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ أي: لا اتباعهم؛ أي: لا يقدرون أن لا يتبعوا ﴿وَحَشَعَتِ﴾ سكنت ﴿الْأَصْوَارُ لِلرَّحْمَنِ﴾ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿صَوْتِ وَطءِ الْأَقْدَامِ فِي ثَقْلِهَا إِلَى الْخَشَرِ﴾ كصوت أخفاف الإبل في مشيتها^(١).

[١٠٩] ﴿يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ أَحَدًا﴾ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ ﴿أَنْ يَشْفَعَ لَهُ﴾ وروى لَمْ قَوْلًا ﴿بِأَن يَقُولَ﴾ لا إله إلا الله.

[١١٠] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ من أمور الآخرة ﴿وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ من أمور الدنيا ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ﴾ علمًا لا يعلمون ذلك.

[١١١] ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ خُضَعًا﴾ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴿أَي: اللَّهُ﴾ وَقَدْ خَابَ خسر ﴿مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ أي: شirkًا.

كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿١١﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وِزْرًا ﴿١٢﴾ خَلْدَيْنِ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ حِمْلًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ يُفْعَخُ فِي الْأَصْوَارِ وَنُحْشَرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ رُفَقًا ﴿١٤﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَيْسَ إِلَّا عَشْرٌ ﴿١٥﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْ لَهُمْ طَرِيقَةٌ إِنْ لَيْسَ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٦﴾ وَتَسْأَلُونَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٧﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٨﴾ لَا تَبْقَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٩﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَعِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَارُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿٢٠﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿٢١﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ ﴿٢٢﴾ عِلْمًا ﴿٢٣﴾ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿٢٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا عَنْهُمْ غَوًى ﴿٢٦﴾ وَأَوْحَيْتُ الْقُرْآنَ ﴿٢٧﴾ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿٢٨﴾ مِنْ الْأَمْرِ فَيَعْتَبِرُونَ.

[١١٢] ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾ الطاعات ﴿وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا ﴿بِزِيَادَةِ فِي سَيِّئَاتِهِ﴾ وَلَا هَضْمًا ﴿بِنَقْصٍ مِنْ حَسَنَاتِهِ﴾.

[١١٣] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ معطوف على ﴿كَذَلِكَ نَقُصُّ﴾ أي: مثل إنزال ما ذكر ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا﴾ كررنا ﴿فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ﴾ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿الشَّرْكَ﴾ أَوْ يُحْدِثُ الْقُرْآنَ ﴿لَهُمْ ذِكْرًا﴾ بهلاك من تقدمهم من الأمم؛ فيعتبرون.

(١) وقيل: هو همس الشفاه، وعلى كلا القولين: «فالهمس» هو الصوت الخفي.

﴿١١٦﴾ اذْكُرْ ﴿١﴾ اِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْۤا اِلَّاۤ اِبْلِيسَ ﴿٢﴾ وَهُوَ اَبُو الْخَنَ كَانَ يَمْحَبُ الْمَلٰٓئِكَةَ وَبَعَدَ اللّٰهُ مَعَهُمْ ﴿٣﴾ اَنۡىٰٓ عَلٰى السَّجُوْدِ لَادَمَ ﴿٤﴾ قَالَ اَنَا خَيْرٌ مِّنْكَ ﴿٥﴾

﴿١١٧﴾ ﴿٦﴾ فَقُلْنَا يٰۤاٰدَمُ اِنَّ هٰذَا عَدُوُّكَ وَلَزَوِجُكَ ﴿٧﴾ حَوٰةَ الْمَلَكِ يَخْرُجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقٰى ﴿٨﴾ تَعْبُ بِالْحَرْثِ وَالزَّرْعِ وَالْحَصَدِ وَالطَّحْنِ وَالْخَبْزِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَاقْصِرْ عَلَى شِقَايَهٗ لَآنَ الرَّجُلِ يَسْعٰى عَلَى زَوْجَتِهٖ

﴿١١٨﴾ ﴿٩﴾ اِنَّ لَكَ اَنْتَ لَا تَجُوعُ فِيْهَا وَلَا تَعْرٰى

﴿١١٩﴾ ﴿١٠﴾ وَاَنْتَ بِفَتْحِ التَّهْمَةِ وَكَسْرِهَا ﴿١١﴾ عَطِفَ عَلَى اسْمِ ﴿١٢﴾ اِيَّاهَا وَجَمَلْتَهَا ﴿١٣﴾ لَا تَطْمَؤُنَّ فِيْهَا تَعْطِشُ ﴿١٤﴾ وَلَا تَضْحَكُ ﴿١٥﴾ لَا يَحْصُلُ لَكَ حُرٌّ شَمْسِ الضَّحٰى لَانْقِصَافِ الشَّمْسِ فِي الْجَنَّةِ

﴿١٢٠﴾ ﴿١٦﴾ فَوَسَّوْا لِيْهِ الشَّيْطٰنُ قَالَ يٰۤاٰدَمُ هٰذَا اُذُنُكَ عَلَى شَجَرَةٍ تَخْلُجُ اَيُّ: الَّذِي يَخْلُدُ مِنْ اَكْلِهَا مِنْهَا ﴿١٧﴾ وَمَلَكٌ لَا يَبْكُ لَا يَفْنٰى وَهُوَ لَا يَزَالُ يَخْلُدُ

﴿١٢١﴾ ﴿١٨﴾ فَآكَلَا ﴿١٩﴾ اَيُّ: اَدَمَ وَحَوٰةَ ﴿٢٠﴾ مِنْهَا فَدَنَّا لَهَا سَوَءَهُمَا ﴿٢١﴾ اَيُّ: ظَهَرَ لَكُلِّ مِنْهُمَا قُبْلَةٌ وَقُبْلُ الْآخِرِ وَذُبُوْةٌ وَاسْمِي كُلِّ مِنْهُمَا سَوَءٌ لَّآنَ انْكَشَافَهُ بِسَوَءِ صَاحِبَتِهٖ ﴿٢٢﴾ وَطَوْفًا بِمَحْصِقَانِ أَخَذَا يَلْزَقَانِ ﴿٢٣﴾ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِي الْجَنَّةِ لِيَسْتَتِرَا بِهِ ﴿٢٤﴾ وَعَصٰى اَدَمَ رِيْءُ فَعَوٰى ﴿٢٥﴾ بِالْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ

﴿١٢٢﴾ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ أَجْبَنَهُ رَبُّهُ قَوْبَهُ ﴿٢٧﴾ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴿٢٨﴾ قَبْلَ تَوْبَتِهٖ ﴿٢٩﴾ وَهَدٰى ﴿٣٠﴾ اَيُّ: هَدَاهُ إِلَى الْمُنَاقَاةِ عَلَى التَّوْبَةِ

﴿١٢٣﴾ ﴿٣١﴾ قَالَ أَهْطَا ﴿٣٢﴾ اَيُّ: اَدَمَ وَحَوٰةَ بِمَا اشْتَمَلْتُمَا عَلَيْهِ مِنْ ذَرِيَّتِكُمَا ﴿٣٣﴾ مِنْهَا ﴿٣٤﴾ مِنَ الْجَنَّةِ جَمِيْعًا بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴿٣٥﴾ بَعْضُ الذَّرِيَّةِ بِبَعْضِ عَدُوٍّ مِنْ ظَلَمَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿٣٦﴾ فَيَايَا فِيهِ إِدْغَامُ نُونِ ﴿٣٧﴾ الشَّرْطِيَّةِ فِي «مِ» الْمَزِيْدَةِ ﴿٣٨﴾ يٰۤاَيُّكُمْ مَتٰى هَدٰى فَمَنْ أَتَّبَعَ هٰذٰى الْقَرٰنَ ﴿٣٩﴾ فَلَا يَضِلُّ ﴿٤٠﴾ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَشْقٰى ﴿٤١﴾ فِي الْآخِرَةِ

﴿١٢٤﴾ ﴿٤٢﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِيْ عَنِ الْقَرٰنِ فَلَمْ يَزَلْ يَكُن مَّعِيشَةً ضَنْكًا ﴿٤٣﴾ بِالتَّوْنِ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى: ضَيْقَةٍ وَفُسْرَةٍ فِي حَدِيثِ ﴿٤٤﴾ بِعَذَابِ الْكَافِرِ فِي قَبْرِهٖ ﴿٤٥﴾ وَتَحْشُرُهُ ﴿٤٦﴾ اَيُّ: الْمَعْرُضُ عَنِ الْقَرٰنِ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ أَعْمٰى ﴿٤٨﴾ أَعْمٰى الْبَصَرِ

﴿١٢٥﴾ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ أَعْمٰى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا ﴿٥٠﴾ فِي الدُّنْيَا وَعِنْدَ الْبَعْثِ

فَتَعَلٰى اَللّٰهُ اَلْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ اَنْ يُقَضٰى اِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِيْ عِلْمًا ﴿١﴾ وَلَقَدْ عٰهَدْنَا اِلٰهَ اٰدَمَ مِنْ قَبْلِ فَنَسٰى وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿٢﴾ وَاِذْ قُلْنَا لِلْمَلٰٓئِكَةِ اسْجُدُوْا لِاٰدَمَ فَسَجَدُوْۤا اِلَّاۤ اِبْلِيسَ اِنۡىٰٓ عَلٰى السَّجُوْدِ لَادَمَ ﴿٣﴾ فَقُلْنَا يٰۤاٰدَمُ اِنَّ هٰذَا عَدُوُّكَ وَلَزَوِجُكَ فَلَا يَخْرُجُكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقٰى ﴿٤﴾ اِنَّ لَكَ اَلَّا تَجُوعَ فِيْهَا وَلَا تَعْرٰى ﴿٥﴾ وَاَنْتَ لَا تَطْمَؤُنَّ فِيْهَا وَلَا تَضْحَكُ ﴿٦﴾ فَوَسَّوْا لِيْهِ الشَّيْطٰنُ قَالَ يٰۤاٰدَمُ هٰذَا اُذُنُكَ عَلَى شَجَرَةٍ تَخْلُجُ اَيُّ: اَلَّذِي يَخْلُدُ مِنَ اَكْلِهَا مِنْهَا فَآكَلَا ﴿٧﴾ لَمْ يَنْتَبِهْ لَهَا سَوَءُهُمَا وَطَوْفًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصٰى اَدَمَ رَبَّهُ فَعَوٰى ﴿٨﴾ ثُمَّ أَجْبَنَهُ رَبُّهُ وَقَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدٰى ﴿٩﴾ قَالَ أَهْطَا مِنْهَا جَمِيْعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَاِمَا يٰۤاَيُّكُمْ مَتٰى هَدٰى فَمَنْ أَتَّبَعَ هٰذٰى فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقٰى ﴿١٠﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِيْ اِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ اَعْمٰى ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيْ اَعْمٰى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيْرًا ﴿١٢﴾

﴿١١٤﴾ ﴿١١٥﴾ فَتَعَلٰى اَللّٰهُ اَلْمَلِكُ الْحَقُّ ﴿١١٦﴾ عَمَّا يَقُولُ الْمُشْرِكُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ ﴿١١٨﴾ اَيُّ: بِقِرَاءَتِهٖ ﴿١١٩﴾ مِنْ قَبْلِ اَنْ يُقَضٰى اِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴿١٢٠﴾ اَيُّ: يَفْرُغُ جِبْرِيلُ مِنْ اِبْلَاغِهٖ ﴿١٢١﴾ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِيْ عِلْمًا ﴿١٢٢﴾ اَيُّ: بِالْقَرٰنِ فَكَلِمَا اُنْزِلَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ زَادَ بِهِ عِلْمُهُ

﴿١١٥﴾ ﴿١١٦﴾ وَلَقَدْ عٰهَدْنَا اِلٰهَ اٰدَمَ ﴿١١٧﴾ وَصَيَّاهُ اَنْ لَا يَأْكُلَ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴿١١٨﴾ مِنْ قَبْلِ ﴿١١٩﴾ اَيُّ: قَبْلَ اَكْلِهِ مِنْهَا ﴿١٢٠﴾ فَنَسٰى ﴿١٢١﴾ تَرَكَ عَهْدَنَا ﴿١٢٢﴾ وَلَمْ يُجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴿١٢٣﴾ حَزْمًا وَصَبْرًا عَمَّا نَهَيْنَاهُ عَنْهُ

(١) سورة ص: ٧٦.

(٢) قراءتان سبعيتان، وبالكسر قرأ نافع وشعبة، وبالفتح قرأ الباقون.

(٣) أخرجه عبد الرزاق وسعيد بن منصور ومسند في مسنده وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم وصححه والبيهقي في كتاب عذاب القبر عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً، وأخرجه ابن أبي شيبة والبخاري وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً، وكذلك أخرجه ابن أبي الدنيا في ذكر الموت، والحاكم الترمذي وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن حبان وابن مردويه عن أبي هريرة مرفوعاً [الدر المنثور (٤/٥٥٦)]. وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٢، ج ٣).

[١٢٦] «قَالَ: الْأَمْرُ كَذَلِكَ أَنْتَكَ إِنَّا نَقَسِينَا» تركتها ولم تؤمن بها «وَكَذَلِكَ» مثل نسيانك آياتنا «الْيَوْمَ نُنْصِرُ» نُثْرِكُ فِي النَّارِ.

[١٢٧] «وَكَذَلِكَ» ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن «يَجْزِي مَنْ شَرَفَ» أشرك «وَلَمْ يُؤْمِنْ بِكَائِدِ رَبِّهِ» وَلَعْدَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ من عذاب الدنيا وعذاب القبر «وَأَبْقَى» أَدُومَ.

[١٢٨] «أَقْلَمَ يَدَيْ» بَيَّن «لَهُمْ» لكفار مكة «كَمْ» خبرية مفعول «أَهْلَكْنَا» أي: كثيرا إهلاكنا «قَبْلَهُمْ» مِنَ الْقُرُونِ أي: الأمم الماضية؛ بتكذيب الرسل «يَمْشُونَ» حال من ضمير «لَهُمْ» «فِي مَسْكِنِهِمْ» في سفرهم إلى الشام وغيرها؛ فيعتبروا، وما ذكر^(١) من أخذ^(٢): «إهلاك» من فعله الخالي عن حرف مصدر؛ لرعاية المعنى لا مانع منه^(٣) «وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ» لعبارة «لَأُولَى الْآيَاتِ» لذوي العقول.

[١٢٩] «وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ» بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة «لَكَانَ الْإِهْلَاكُ لِرَأْمَا» لازما لهم في الدنيا «وَأَجَلٌ مُّسَمًّى» مضروب لهم، معطوف على الضمير المستتر في «كَانَ»، وقام الفصل بخبرها مكان التأكيـد.

[١٣٠] «فَأَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ» منسوخ بآية القتال «وَسَبَّحَ» صَلَّ «بِحَمْدِ رَبِّكَ» حال؛ أي: متلبسا به «فَقِيلَ طُلُوعُ الشَّمْسِ» صلاة الصبح «وَقَبْلَ غُرُوبِهَا» صلاة العصر «وَمِنْ آتَائِي اللَّيْلِ» ساعاته «وَسَبَّحَ» صَلَّ المغرب والعشاء «وَأَطْرَافَ النَّهَارِ» عطف على محس «وَمِنْ آتَائِي» المنصوب؛ أي: صَلَّ الظهر؛ لأن وقتها يدخل بزوال الشمس؛ فهو طَرْفُ النصف الأول، وطَرْفُ النصف الثاني «لَعَلَّكَ تَرْضَى» بما تُعْطَى من الثواب.

[١٣١] «وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا» أصنافا «مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» زينتها وبهجتها «لِنُفْتِنَهُمْ فِيهِ» بأن يطفوا «وَرِزْقَ رَبِّكَ» في الجنة «خَيْرٌ» مما أوتوه في الدنيا «وَأَبْقَى» أَدُومَ.

[١٣٢] «وَأَمُرَ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ» اصبر «عَلَيْهَا» لَا تَسْتَلْكَ نَكَفِكَ «رِزْقًا» بنفسك ولا لغيرك «فَتَحْنُ رِزْقَكَ وَالْعَنِقَةَ» الجنة «لِلنَّفَاقَى» لأهلها.

[١٣٣] «وَقَالُوا» المشركون: «لَوْ لَا» هَلَّا «يَأْتِينَا» محمد «بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ» مما يقترحونه «أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ» بالباء والياء^(٥) «بَيِّنَةٌ» بيان «مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى» المشتمل عليه القرآن؛ من أنباء الأمم الماضية، وإهلاكهم بتكذيب الرسل.

[١٣٤] «وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ» قبل محمد الرسول

قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَكَ إِنَّا نَقَسِينَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ نُنْصِرُ
وَكَذَلِكَ يَجْزِي مَنْ شَرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِكَائِدِ رَبِّهِ وَلَعْدَابُ الْآخِرَةِ
أَشَدُّ وَأَبْقَى أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ
يَمْشُونَ فِي مَسْجِدِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لَأُولَى الْآيَاتِ
وَلَوْ لَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِرَأْمَا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى
فَأَصْبَرَ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبَّحَ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ
وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آتَائِي اللَّيْلِ فَسَبَّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ
تَرْضَى وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنُفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقَ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى وَأَمُرَ أَهْلَكَ
بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَنِقَةُ
لِلنَّفَاقَى وَقَالُوا لَوْ لَا يَأْتِينَا بِآيَاتٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ
بَيِّنَةٌ مَّا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ
مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ
آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى قُلْ كُلُّ مُرْصِدٍ فَرَصُوعًا
فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى

«لَقَالُوا» يوم القيامة: «رَبَّنَا لَوْ لَا» هَلَّا «أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ
آيَاتِكَ» المرسل بها «وَمِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ» في القيامة «وَنَخْزَى» فِي
جَهَنَّمَ.

[١٣٥] «قُلْ» لَهُمْ: «كُلُّ» منا ومنكم «مُرْتَبِصٌ» منتظر ما يؤول
إليه الأمر «فَرَصُوعًا فَسَتَعْلَمُونَ» في القيامة «مَنْ أَصْحَبُ الصِّرَاطِ» الطريق
«السَّوِيِّ» المستقيم «وَمَنِ اهْتَدَى» من الضلالة أنحن أم أنتم؟

(١) في تفسير: «كم أهلكنا».

(٢) أي: أخذ المصدر.

(٣) أي: لا مانع منه لغة.

(٤) أي: على الصلاة؛ بإقامتها حدودها وأركانها وخشوعها؛ فإن ذلك شاق على الفرس، ولكن ينبغي جهادها على ذلك والصبر معها. فالضمير في قوله: «عليها» يرجع إلى الصلاة، وليس إلى «أهلك».

(٥) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وابن عامر وشعبة.

سورة الأنبياء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾
 مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ
 يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ النَّجْوَى الَّذِينَ
 ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ
 تَبْصُرُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ يَعْلَمُ الْقَوْلُ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْلَامٌ بَلْ
 أَفْتَرَنَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ
 ﴿٥﴾ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ أَهْلَكْنَاهُمْ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ
 ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُوا أَهْلَ
 الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا
 لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ
 الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

سورة الأنبياء

[مكية، وهي: مائة وإحدى عشرة، أو: واثنان عشرة آية،

نزلت بعد سورة [إبراهيم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَقْرَبَ﴾ قرب ﴿لِلنَّاسِ﴾ أهل مكة منكري البعث
 ﴿حِسَابُهُمْ﴾ يوم القيامة ﴿وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ﴾ عنه ﴿تَبْصُرُونَ﴾ عن التأهب له
 بالإيمان.
 [٢] ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ﴾ شيئاً فشيئاً؛ أي: لفظ
 قرآن^(١) ﴿إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ يستهزئون.
 [٣] ﴿لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ غافلة ﴿وَأَسْرَأَ النَّجْوَى﴾ الكلام
 الذي ظلموا به ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ من واهو ﴿وَأَسْرَأَ النَّجْوَى﴾ ههنا هذا؛ أي:
 محمد ﴿إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ فما يأتي به سحر ﴿أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ﴾

تبعونه ﴿وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ﴾ تعلمون أنه سحر.

[٤] ﴿قَالَ﴾ لهم: ﴿رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ﴾ كائنات في السماء والأرض وهو
 السميع ﴿مَا أَسْرَوْهُ﴾ أعلمهم به.

[٥] ﴿بَلْ﴾ للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة ﴿قَالُوا﴾ فيما
 أتى به من القرآن: هو ﴿أَضْغَتْ أَحْلَامٌ﴾ أخلط رآها في النوم ﴿بَلْ﴾
 أفترناه اختلقه ﴿بَلْ هُوَ شَاعِرٌ﴾ فما أتى به سحر ﴿فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا﴾
 أرسل الأولون ﴿كَالناقة والعصا واليد﴾.

[٦] قال تعالى: ﴿مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ﴾ أي: أهلها ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾
 بتكذيبها ما أتتها من الآيات ﴿أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ﴾؟ لا.

[٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي﴾ وفي قراءة: بالباء وفتح
 الحاء^(٢) ﴿وَالْيَمِّ﴾ لا ملائكة ﴿فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾ العلماء بالنبوة والإنجيل
 ﴿إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذلك؛ فإنهم يعلمونه، وأنتم إلى تصديقهم أقرب
 من تصديق المؤمنين بمحمد^(٣).

[٨] ﴿وَمَا جَعَلْنَاهُمْ﴾ أي: الرسل ﴿جَسَدًا﴾ بمعنى: أجساداً ﴿لَا﴾
 يأكلون الطعام بل يأكلونه ﴿وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ﴾ في الدنيا.

[٩] ﴿ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ﴾ بإنجائهم ﴿فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ المصدقين
 لهم ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ المكذبين لهم.

[١٠] ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ يا معشر قريش ﴿كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ لأنه
 بلغنكم ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتؤمنون به.

(١) وهذا على مذهب الأشاعرة الباطل أن القرآن معنى قائم بذات الرب، أما الألفاظ فمخلوقة، وأن كلام الله قديم، وأنه وصف قائم بالذات، وهذا خلاف مذهب السلف في كلام الله ﷻ وأنه تعالى لم يزل متكلاً بمشيئته وإرادته بما شاء وكيف شاء، وكلامه بمشيئته من لوازم ذاته المقدسة.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حمزة والكسائي كذلك لكن مع الإمالة، وقرأ حفص بالنون وكسر الحاء.

(٣) صلى الله عليه وسلم.

[١١] ﴿وَكَمْ فَصَصْنَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِكَ أَيُّ أَهْلِهِيَ كَانَتْ ظَالِمَةً﴾ كَافِرَةٌ ﴿وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾.

[١٢] ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَاسِ شَعْرِ أَهْلِ الْقَرْيَةِ بِالْإِهْلَاكِ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكَبُونَ﴾ يَهْرَبُونَ مَسْرِعِينَ.

[١٣] فَقَالَتْ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ اسْتَهْزَأَ: ﴿لَا تَرْكَبُوا وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أَتَرْتُمْ تَعْمَشُونَ فِيهِ وَمَسْكِكُمْ لَعَنَكُمْ فَتَسْلُونَ﴾ شَيْئًا مِنْ دِينَاكُمْ عَلَى الْعَادَةِ.

[١٤] ﴿قَالُوا يَا لِلنَّبِيِّ وَوَلَدْنَا هَلَاكَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بِالْكَفْرِ.

[١٥] ﴿فَمَا زِلْتَ تِلْكَ الْكَلِمَاتِ دَعَوْنَهُمْ﴾ يَدْعُونَ بِهَا وَيُرَدُّونَهَا ﴿حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا﴾ كَالزَّرْعِ الْمَحْصُودِ بِالْمَنَاجِلِ؛ بَأَن قَتَلُوا بِالسَّيْفِ ﴿حَصِيدِينَ﴾ مَبْتِينَ؛ كَخُمُودِ النَّارِ إِذَا طَفَفَتْ.

[١٦] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَنَمِيتَ عَابِدِينَ بَلْ دَالِينَ عَلَى قَدَرْتَنَا وَنَافِعِينَ عِبَادَنَا﴾.

[١٧] ﴿لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا مَا لَبَّيْهُ مِنْ زَوْجَةٍ أَوْ وَلَدٍ لَأَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا مِنْ عِنْدِنَا مِنْ الْحُورِ الْعِينِ وَالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ ذَلِكَ، لَكِنَّا لَمْ نَفْعَلْهُ، فَلَمْ نُرِدْهُ.

[١٨] ﴿بَلْ نَقْذِفُكَ نَرْمِي بِالْحَقِّ الْإِيمَانَ﴾ عَلَى الْبَاطِلِ الْكُفْرَ ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ يَذْهَبُهُ ﴿فَإِذَا هُوَ رَاهِقٌ﴾ ذَاهِبٌ، وَدَمَغُهُ فِي الْأَصْلِ: أَصَابَ دِمَاجَهُ بِالضَرْبِ، وَهُوَ مَقْتُلٌ ﴿وَلَكُمْ﴾ يَا كَفَّارَ مَكَّةَ ﴿الْوَيْلُ﴾ الْعَذَابُ التَّنِيدُ ﴿مِمَّا نَصِفُونَ﴾ اللَّهُ بِهِ مِنَ الزَّوْجَةِ أَوْ الْوَلَدِ.

[١٩] ﴿وَلَهُ﴾ - تَعَالَى - ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مُلْكًا وَمَنْ عِنْدَهُ أَيُّ الْمَلَائِكَةِ مَبْدَأُ خَبْرَةٍ﴾ لَا يَسْتَكَفِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَخِيرُونَ لَا يَعْبُونَ.

[٢٠] ﴿يَسْتَحِرُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْتَرُونَ﴾ عَنْهُ؛ فَهُوَ كَالْقَتْسِ مِثْلًا لَا يَسْغُلُنَا عَنْهُ شَاغِلٌ.

وَكَمْ قَصَصْنَا مِنْ قَبْلِكَ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَاسِ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكَبُونَ﴾ لَا تَرْكَبُوا وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أَتَرْتُمْ فِيهِ وَمَسْكِكُمْ لَعَنَكُمْ فَتَسْلُونَ ﴿قَالُوا يَا لِلنَّبِيِّ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ فَمَا زِلْتَ تِلْكَ دَعَوْنَهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا حَصِيدِينَ ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَنَمِيتَ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَأَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ رَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ ﴿وَلَهُ وَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكَفِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَخِيرُونَ﴾ يَسْتَحِرُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْتَرُونَ ﴿أَوْ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهَوًا لَأَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ لَوْ كُنَّا فَاعِلِينَ لَأَخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا مِنْ عِنْدِنَا مِنْ الْحُورِ الْعِينِ وَالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿بَلْ نَقْذِفُكَ نَرْمِي بِالْحَقِّ الْإِيمَانَ﴾ عَلَى الْبَاطِلِ الْكُفْرَ ﴿فَيَدْمَغُهُ﴾ يَذْهَبُهُ ﴿فَإِذَا هُوَ رَاهِقٌ﴾ ذَاهِبٌ، وَدَمَغُهُ فِي الْأَصْلِ: أَصَابَ دِمَاجَهُ بِالضَرْبِ، وَهُوَ مَقْتُلٌ ﴿وَلَكُمْ﴾ يَا كَفَّارَ مَكَّةَ ﴿الْوَيْلُ﴾ الْعَذَابُ التَّنِيدُ ﴿مِمَّا نَصِفُونَ﴾ اللَّهُ بِهِ مِنَ الزَّوْجَةِ أَوْ الْوَلَدِ.

[١٩] ﴿وَلَهُ﴾ - تَعَالَى - ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مُلْكًا وَمَنْ عِنْدَهُ أَيُّ الْمَلَائِكَةِ مَبْدَأُ خَبْرَةٍ﴾ لَا يَسْتَكَفِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَخِيرُونَ لَا يَعْبُونَ.

[٢٠] ﴿يَسْتَحِرُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَقْتَرُونَ﴾ عَنْهُ؛ فَهُوَ كَالْقَتْسِ مِثْلًا لَا يَسْغُلُنَا عَنْهُ شَاغِلٌ.

[٢٣] ﴿لَا يَسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ عَنْ أَعْمَالِهِمْ.

[٢٤] ﴿أَوْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ﴾ - تَعَالَى -: أَيُّ سِوَاهُ ﴿ءَالِهَةً؟﴾ فِيهِ اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخٌ ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ عَلَى ذَلِكَ وَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ﴿هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَنَعِي﴾ أَمْتِي؛ وَهُوَ: الْقُرْآنُ ﴿وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي﴾ مِنَ الْأُمَمِ؛ وَهُوَ: التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ وَغَيْرُهُمَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، لَيْسَ فِي وَاحِدٍ مِنْهَا أَنْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَا قَالُوا - تَعَالَى عَنْ ذَلِكَ - ﴿بَلْ أَكْذِبُكُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ﴾ تَوْحِيدَ اللَّهِ ﴿فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عَنِ النَّظَرِ الْمَوْصِلِ إِلَيْهِ.

(١) يشير بذلك إلى ما يذكره التكملة من دليل التمانع، وهو استدلال في غير محله، كما بين ذلك شارح الطحاوية، وذلك أنهم يستدلون بالآية على توحيد الربوبية وتفرد الخالق، بينما الآية في إثبات وحدانيته - سبحانه - في ألوهيته.

(٢) جرى الجلالان - السبيوطي والخلعي - على القول: بأن «العرش والكرسي» شيء واحد، والصحيح أن العرش غير الكرسي وأكبر منه. كما هو ظاهر الأحاديث، ورجع التعليقات على آية الكرسي رقم (٢٥٥) من سورة البقرة.

يَأْمُرُهُ بِعَمَلِهِمْ أَي: بعده.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما علموا وما هم عاملون ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ تعالى - أن يشفع له ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ﴾ تعالى - مُشْفِقُونَ خائفون.

[٢٩] ﴿وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره؛ وهو: إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها ﴿فَذَلِكَ نَجْزِي جَهَنَّمَ كَذَلِكَ﴾ كما نجزيه ﴿نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ المشركين.

[٣٠] ﴿أَوَلَمْ يَبَوْا وَتَرَكُوا﴾ (١) ﴿يَرَى﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ كَذَبُوا أَنَّهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ كَانَتْ رِيقًا سَدًّا﴾ بمعنى: مسدودة ﴿فَفَتَقْنَهُمَا﴾ جعلنا السماء سبعا والأرض سبعا، أو فتق السماء أن كانت لا تحطر فأطمرت، وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ النَّازِلَ مِنَ السَّمَاءِ وَالنَّاعِجَ مِنَ الْأَرْضِ﴾ كل شيء حي من نبات وغيره؛ أي: فالماء سبب لحياته (٢) ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾ بتوحيدي؟

[٣١] ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ﴾ جبالا ثوابت لـ ﴿أَن﴾ لا ﴿تَمِيدَ﴾ تتحرك ﴿بِهِمْ﴾ وجعلنا فيها الرواسي ﴿فِي جِبَالٍ﴾ مسالك ﴿سُبُلًا﴾ بديل، صرقا نافذة واسعة ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ إلى مقاصدهم في الأسفار.

[٣٢] ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا﴾ للأرض؛ كالسقف للبيت ﴿مَحْفُوظًا﴾ عن الوقوع ﴿وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا﴾ من الشمس والقمر والنجوم ﴿مُعْرِضُونَ﴾ لا يفكرون فيها؛ فيعلمون أن خالقها لا شريك له.

[٣٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ﴾ تنويه عوض عن المضاف إليه من: (الشمس والقمر) وتابعه؛ وهو: (النجوم) ﴿فِي فَلَكٍ﴾ مستدير؛ كالطاحونة في السماء ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسبّحون بسرعة؛ كالسباح في الماء، وللتشبيه به أتى بضمير جمع من يعقل.

[٣٤] ﴿وَنَزَّلَ﴾ لما قال الكفار: إن محمدا سيموت :: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾ البقاء في الدنيا ﴿أَفَإِنْ مَتَّ فَهُمْ الْخُلْدُونَ﴾ فيها؟ لا، فالجملة الأخيرة محل الاستفهام الإنكاري.

[٣٥] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ في الدنيا ﴿وَنَبْلُوكُمْ﴾ نختبركم ﴿بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ﴾ ككفر وغنى، وسقم وصحة ﴿وَفِتْنَةٍ﴾ مفعول له؛ أي: لننظر أنصبرون وتشكرون أم لا؟ ﴿وَالَّذِينَ تَرْجَعُونَ﴾ فنجازيكم.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٩﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٣٠﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِ رَبِّهِ يَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٣٣﴾ أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ كَانَتْ تَارَةً ثِقَاتٍ فَتَقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٤﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٥﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِشَرٍّ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مَتَّ فَهُمْ الْخُلْدُونَ ﴿٣٨﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَالَّذِينَ تَرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾

[٢٩] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ﴾ وفي قراءة: بالنون وكسر الحاء (١) ﴿إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ أي: ومحمدوني.

[٢٦] ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ من الملائكة ﴿سُبْحَانَهُ﴾ هم عِبَادٌ مُكْرَمُونَ عنده، والعبودية تنافي الولادة.

[٢٧] ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله ﴿وَهُمْ

(١) قرأ حفص وحزمة والكسائي بالنون وكسر الحاء، وقرأ بقية السبعة بالياء وفتح الحاء.

(٢) بتركها قراءة ابن كثير.

(٣) قال صاحب قرة العين ص (٤٢٣): «... هذا التفسير ... غير مطابق لنص الآية؛ إذ لو كان المعنى كما ذكره الخليلي؛ لكان لفظ الآية: «وجعلنا من الماء، أو بالماء، كل شيء حيا»، وليس كذلك؛ فقد جاء لفظ «حي» بالجر صفة ل «شيء»، وقوله تعالى: «وجعلنا» بمعنى: «خلقنا»؛ أي خلقنا كل شيء حي من الماء... يؤيد قوله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ» [النور: ٤٥]... انتهى كلامه بنصرف يسير.

وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ لَأَقْبِرَنَّ عَنْكُمْ دُونَهُمْ أَهْلًا مِمَّنْ هُمْ أَكْثَرُ عِلَّةً يَوْمَ تَحْمِلُ السُّيُوفُ أُولَئِكَ يَكُونُ لَكَ فِيهِمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٣٦﴾

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ لَأَقْبِرَنَّ عَنْكُمْ دُونَهُمْ أَهْلًا مِمَّنْ هُمْ أَكْثَرُ عِلَّةً يَوْمَ تَحْمِلُ السُّيُوفُ أُولَئِكَ يَكُونُ لَكَ فِيهِمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٣٧﴾

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ لَأَقْبِرَنَّ عَنْكُمْ دُونَهُمْ أَهْلًا مِمَّنْ هُمْ أَكْثَرُ عِلَّةً يَوْمَ تَحْمِلُ السُّيُوفُ أُولَئِكَ يَكُونُ لَكَ فِيهِمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٣٨﴾

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ لَأَقْبِرَنَّ عَنْكُمْ دُونَهُمْ أَهْلًا مِمَّنْ هُمْ أَكْثَرُ عِلَّةً يَوْمَ تَحْمِلُ السُّيُوفُ أُولَئِكَ يَكُونُ لَكَ فِيهِمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٣٩﴾

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ لَأَقْبِرَنَّ عَنْكُمْ دُونَهُمْ أَهْلًا مِمَّنْ هُمْ أَكْثَرُ عِلَّةً يَوْمَ تَحْمِلُ السُّيُوفُ أُولَئِكَ يَكُونُ لَكَ فِيهِمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٤٠﴾

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ لَأَقْبِرَنَّ عَنْكُمْ دُونَهُمْ أَهْلًا مِمَّنْ هُمْ أَكْثَرُ عِلَّةً يَوْمَ تَحْمِلُ السُّيُوفُ أُولَئِكَ يَكُونُ لَكَ فِيهِمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٤١﴾

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ لَأَقْبِرَنَّ عَنْكُمْ دُونَهُمْ أَهْلًا مِمَّنْ هُمْ أَكْثَرُ عِلَّةً يَوْمَ تَحْمِلُ السُّيُوفُ أُولَئِكَ يَكُونُ لَكَ فِيهِمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٤٢﴾

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ لَأَقْبِرَنَّ عَنْكُمْ دُونَهُمْ أَهْلًا مِمَّنْ هُمْ أَكْثَرُ عِلَّةً يَوْمَ تَحْمِلُ السُّيُوفُ أُولَئِكَ يَكُونُ لَكَ فِيهِمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٤٣﴾

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَئِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ لَأَقْبِرَنَّ عَنْكُمْ دُونَهُمْ أَهْلًا مِمَّنْ هُمْ أَكْثَرُ عِلَّةً يَوْمَ تَحْمِلُ السُّيُوفُ أُولَئِكَ يَكُونُ لَكَ فِيهِمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٤٤﴾

﴿نَقُصُّهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾ بالفتح على النبي ﴿أَفْهَمُ الْغَالِبُونَ؟﴾ لا، بل النبي (٣) وأصحابه.

[٣٦] ﴿وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ﴾ ما ﴿يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾^(١) أي: مهزومًا به، يقولون: «هَذَا الَّذِي يَذْكُرُ إِلَهُكُمْ» أي: يبعثها ﴿وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ﴾ لهم ﴿هُمْ﴾ تأكيد ﴿كُفِرُوا﴾ به؛ إذ قالوا: ما نعرفه.

[٣٧] ونزل في استعجالهم العذاب: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ أي: أنه لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه ﴿سَأُورِيكُمْ آيَاتِي﴾ مواعيدي بالعذاب ﴿فَلَا تَسْتَعْجِلُون﴾ فيه؛ فأراهم القتل بيد.

[٣٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالقيامة ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه. [٣٩] قال - تعالى -: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُونُونَ يَدْفَعُونَ عَنْ وُجُوهِهم النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ﴾ يمتنعون منها في القيامة، وجواب ﴿لَوْ﴾: ما قالوا ذلك.

[٤٠] ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾ القيامة ﴿بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾ تخبرهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ يهللون لتوبة أو معذرة.

[٤١] ﴿وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِآيَاتِنَا سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ وهو العذاب، فكذا يحق بمن استهزأ به.

[٤٢] ﴿فَلَنْ﴾ لهم: ﴿مَنْ يَكْفُرْ﴾ يحفظكم ﴿بِالْبَلِّ وَالْهَاجِرِ مِنَ الْوَعْدِ﴾ من عذابه إن نزل بكم؛ أي: لا أحد يفعل ذلك، والمخاطبون لا يخافون عذاب الله؛ لأنكارهم له^(٢) ﴿بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: القرآن ﴿مُتْرِشُونَ﴾ لا يفكرون فيه.

[٤٣] ﴿أَمْ﴾ فيها معنى الهزيمة للإنكار؛ أي: أ ﴿هَلُمَّ إِلَهَةً تَمْنَعُهُمْ﴾ مما يسوؤهم ﴿وَمِنْ دُونِنَا﴾ أي: ألهم من يمنعهم منه غيرنا؟ لا ﴿يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: الآلهة ﴿نَضْرُ أَفْسُهُمْ﴾ فلا ينصرونهم ﴿وَلَا هُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يَتَّقُونَ﴾ من عذابنا ﴿يُضْحَكُونَ﴾ يجارون، يقال: ضحك الله؛ أي: حفظك وأجارك.

[٤٤] ﴿بَلْ مَنَعْنَا هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ﴾ بما أنعمنا عليهم ﴿حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ﴾ فاغثروا بذلك ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ نَارَ الْأَرْضِ﴾ نقصد أرضهم

(١) بضم الزاي وبالهمز، وهي قراءة السبعة عند حمزة وحفص، وقراءة حمزة (هزؤا) بالهمز مع سكن الزاي، وقراءة حفص (هزؤا) بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا.

(٢) ويحتمل أن يكون المعنى: أي من يحرسكم ويحفظكم (بالليل) حال نومكم (وأنهار) وقت انتشاركم وغفلتكم (من الرحمن) أي بدل الرحمن؛ أي هل يحفظكم أحد غيره؟ لا حافظ إلا هو.

تفسير الكرمي الرحمن ص (٥٦٥) بتصريف يسير.

(٣) صلى الله عليه وسلم.

الْبَاءِ^(١) ﴿مَا يُنذِرُونَ﴾ هم؛ لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار؛ كالصم
 [٤٦] ﴿وَلَكِنْ مَسَّنَّهْمُ نَفْحَةٌ﴾ وقعة خفيفة ﴿مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ يَقُولُ بَنَّا﴾
 للنبية ﴿وَوَلَّانَا﴾ هلا كنا ﴿إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بالإشراك وتكذيب محمد.
 [٤٧] ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ﴾^(٢) ذوات العدل ﴿لِيُوزِنَ الْقِيَمَةَ﴾ أي:
 فيه ﴿فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ من نقص حسنة أو زيادة سيئة ﴿وَلَنْ كَاتِبُ﴾
 العمل ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ ﴿حَسْبُكَ مِنْ خَزَائِلِ آيَاتِنَا بِهَذَا﴾ بموزونها ﴿وَكُنْ بِنَا﴾
 حَسْبِيَّتِ ﴿مَحْصِينَ كُلِّ شَيْءٍ﴾.
 [٤٨] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ أي: التوراة الفارقة بين
 الحق والباطل، والحلال والحرام ﴿وَضِيَاءَ﴾ بها ﴿وَذُكْرًا﴾ عظة بها
 ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾.
 [٤٩] ﴿الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ عن الناس؛ أي: في الخلاء عنهم
 ﴿وَهُمْ يَنْتَظِرُ السَّاعَةَ﴾ أي: أهوالها ﴿مُتَشَفِّقُونَ﴾ خائفون.
 [٥٠] ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَمْ تُكْرَهُوا؟﴾
 الاستفهام فيه للتوبيخ.
 [٥١] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: هداه قبل بلوغه ﴿وَكُنَّا﴾
 بِوَيْهِ عَلِيمِينَ ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي﴾
 أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ﴾^(٣) قَالَ
 لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا﴾
 بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ﴾
 وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥١﴾
 وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٥٢﴾
 [٥٣] ﴿قَالَ لَهُمْ﴾ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ بَعَادَتَهَا ﴿فِي ضَلَالٍ﴾
 مُبِينٍ ثَبِينَ.
 [٥٤] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ﴾ في قولك هذا ﴿أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ﴾ فيه؟
 [٥٥] ﴿قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ﴾ المستحق للعبادة ﴿رَبُّكَ﴾ مالك ﴿الْتَوَزَيْنَ وَالْأَرْضِ﴾
 الَّذِي فَطَرَهُمْ عَلَى غَيْرِ مِثَالِ سَبَقٍ ﴿وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ﴾ الذي قلته
 ﴿مِنْ الشَّاهِدِينَ﴾ به.
 [٥٦] ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ﴾.

قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَلَكِنْ مَسَّنَّهْمُ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لِيَقُولُوا يَوْمَ يُنْفَخُ الْيَوْمُ الْفَيْمَةُ فَلَا تَنْظِلُمْ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَزَائِلِ آيَاتِنَا بِهَذَا وَكُنْ بِنَا حَسْبِيَّتِ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءَ وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٥٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنْ السَّاعَةِ مُتَشَفِّقُونَ ﴿٥٩﴾ وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَمْ تُكْرَهُوا؟ ﴿٦٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٦١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٦٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٦٤﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦٦﴾ وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُوا مُدِيرِينَ ﴿٦٧﴾

[٤٥] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾ من الله لا من قبل نفسي
 ﴿وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عائشة رضي الله عنها أن رجلاً قعد بين يدي النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إن لي ملوكين يكذبوني ويخونوني ويعصوني، وأشتتهم وأضرهم، فكيف أنا منهم؟ قال: «يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم؛ فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل». قال: فتحنى الرجل فحنى يمينه ويهتف. أي: يصيح. فقال رسول الله ﷺ: «أما تقرأ كتاب الله؟» «نعم» فقال رسول الله ﷺ: «وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيُوزِنَ الْقِيَمَةَ فَلَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ﴾ الآية. فقال الرجل: يا رسول الله، ما أجد لي ولهؤلاء شيئاً خيراً من مفارقتهم؛ أشهدكم أنهم أحرار كلهم. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٢) سورة الأنبياء. وصحح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٣١).

(١) تحقيق الهمزتين هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وأما تسهيل الثانية فهو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

فَجَعَلَهُمْ جُذًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذِهِ أَلَهِنَا إِنَّهُ وَلَئِنْ أَظْلَمَ لَمِيتٌ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا إِنَّ هَذَا لَفِ ثَوَاءٍ أَنْتَ فَعَلْتَ هَذِهِ أَلَهِنَا يَا ابْنَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ وَكِدُهُمْ هَذَا فَاسْتَوُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نَكَسُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ لِقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا احْرَقُوهُ وَأَصْرُوا وَاءِ الْهَتَكُمُ إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا بَيَّنَّا رُكُونِي بَرَكًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٢﴾

[٥٨] ﴿فَجَعَلَهُمْ﴾ بعد ذهابهم إلى مجتمعهم في يوم عبد لهم ﴿جُذًا﴾ بضم الجيم وكسرها^(١)، فَنَاتَا بِقَاسٍ ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ﴾ عَلَّقُوا الْفَاسَ فِي عَقْفِهِ ﴿لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ﴾ أي: إلى الكبير ﴿يَرْجِعُونَ﴾ فيرون ما فعل بغيره.

[٥٩] ﴿قَالُوا﴾ بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل: ﴿مَنْ فَعَلَ هَذَا يَا لَهِنَا﴾ إِنَّمَا لَيْنَ الظَّالِمِينَ فيه.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: بعضهم لبعض: ﴿سَمِعْنَا فَتَى يَذْكُرُهُمْ﴾ أي: يعبهم ﴿يُقَالُ لَهُ، إِبْرَاهِيمُ﴾.

[٦١] ﴿قَالُوا فَأَتُوا بِهِ، عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ﴾ أي: ظاهرًا ﴿لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ﴾ عليه أنه الفاعل.

[٦٢] ﴿قَالُوا﴾ له بعد إتيانه: ﴿ءَأَنْتَ﴾ بتحقيق الهزتين، وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركة^(٢) ﴿فَعَلْتَ هَذَا يَا ابْنَ إِبْرَاهِيمَ﴾.

[٦٣] ﴿قَالَ﴾ ساكتًا عن فعله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْتَوُوهُمْ﴾ عن فاعله ﴿إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ﴾^(٣) فيه تقديم جواب الشرط، وفيما قبله^(٤) تعريض لهم بأن الصنم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون إلهاً.

[٦٤] ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ﴾ بالتفكير ﴿فَقَالُوا﴾ لأنفسهم: ﴿إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بعبادتهم من لا ينطق [٦٥] ﴿ثُمَّ نَكَسُوا﴾ من الله ﴿عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾ أي: ردوا إلى كفرهم، وقالوا: والله ﴿لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ أي: فكيف تأمرنا بسؤالهم؟

[٦٦] ﴿قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: بدله ﴿مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا﴾ من رزق وغيره ﴿وَلَا يَضُرُّكُمْ﴾ شيئًا إذا لم تعبدوه.

[٦٧] ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بكسر الفاء وفتحها^(٥)؛ بمعنى مصدري: أي: نتنا وبقبحا ﴿لَكُمْ﴾ وَلَمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ، أي: غيره ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها، وإنما يستحقها الله تعالى؟.

[٦٨] ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ﴾ أي: إبراهيم ﴿وَأَصْرُوا عَالِيَهُمْ﴾ أي: بتحريقه ﴿إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ﴾ نصرتها؛ فجمعوا له الخطب الكثير وأضرمو النار في جميعه، وأوثقوا إبراهيم وجعلوه في منجنيق ورموه في النار.

[٦٩] قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا بَيَّنَّا رُكُونِي بَرَكًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ فلم تحرق منه غير وثاقه، وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها، وبقوله: ﴿وَسَلَّمْنَا﴾ سلم من الموت يرددها.

[٧٠] ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا﴾ وهو التحريق ﴿فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾ في مرادهم.

[٧١] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا﴾ ابن أخيه «هاران» من العراق ﴿إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ بكثرة الأنهار والأشجار؛ وهي: الشام^(٦)، نَزَلَ إِبْرَاهِيمَ بِفِلَسْطِينَ، وَلُوطٌ بِالْمُؤْتَفَكَةِ^(٧)، وبينهما يوم.

[٧٢] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ﴾ أي: لإبراهيم - وكان سأل ولدًا كما ذكر في الصفات - ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً﴾ أي: زيادة عن المسئول، أو هو ولد الولد ﴿وَكُلًّا﴾ أي: هو وولده ﴿جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ أنبياء.

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لم يكذب إبراهيم النبي ﷺ قط إلا ثلاث كذبات: ننتين في ذات الله؛ قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾، وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾، وواحدة في شأن سارة؛ فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة، وكانت أحسن الناس، فقال لها: إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك؛ فإن سألتني فأخبره أنك أختي؛ فإنك أختي في الإسلام... الحديث. مسلم - كتاب الفضائل (٤٣) باب (٤١) من فضائل إبراهيم الخليل.

(١) بالكسر قراءة الكسائي.

(٢) حاصل ما ذكر المفسر خمس قراءات وكلها سبعة.

(٣) أي في قوله: ﴿بَلْ فَعَلَكُمْ كَبِيرُهُمْ هَذَا﴾.

(٤) بالفتح قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر بدون تنوين قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو، فالقراءات ثلاث، وكلها سبعة.

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة عن أبي مالك، وأخرجه ابن أبي حاتم عن أبي بن كعب، وأخرجه ابن المنذر عن مجاهد، وأخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن عساكر عن قتادة [الدر المنثور

(٤/٥٨١، ٥٨٢).]

(٦) هي قرى قوم لوط؛ سميت بذلك لأن الله تعالى جعل عاليها سافلها.

[٧٥] ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا﴾ بأن أنجيناه من قومه ﴿إِنَّمَا مِنْ الصَّالِحِينَ﴾.

[٧٦] ﴿وَوَإِذْ نَادَىٰ﴾ وما بعده بدل منه ﴿إِذْ نَادَىٰ﴾ دعا على قومه بقوله: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي﴾ إلخ ﴿مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل إبراهيم ولوط ﴿فَأَسَجَلْنَاهُ لِمَنْ فَتَنْنَاهُ وَأَهْلَهُ﴾ الذين في سفينة ﴿وَمِنَ الْكُفْرِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الغرق، وتكذيب قومه له.

[٧٧] ﴿وَصَرَّفْنَاهُ﴾ معناه ﴿مِنَ الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته، أن لا يصلوا إليه بسوء ﴿إِنَّمَا كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَأَعْرِقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٧٨] ﴿وَوَإِذْ نَادَىٰ﴾ داود وسليمان: أي: قصتهما، ويبدل منهما: ﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾ هو زرع أو كرم ﴿إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾ أي: رَعْنُهُ لَيْلًا رَاعٍ؛ بأن افلست ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾ فيه استعمال ضمير الجمع لاتنين، قال داود: لصاحب الحرث رقاب الغنم.

وقال سليمان: ينتفع بذوها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان؛ لإصلاح صاحبها فيردّها إليه.

[٧٩] ﴿فَفَهَّمْنَاهَا﴾ أي: الحكمة ﴿سُلَيْمَنَ﴾ وحكماهما باجتهاد، ورجع داود إلى سليمان، وقيل: بوحى، والثاني ناسخ للأول ﴿وَكَلَّلَاهُ﴾ منها ﴿ءَاتَيْنَاهُ هُ﴾ حكمًا ﴿نُبُوَّةً﴾ ﴿وَعِلْمًا﴾ بأمور الدين ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ كذلك سخرًا للتسبيح معه لأمره به إذا وجد قفزة^(٤) لينشط له ﴿وَكُنَّا فاعِلِينَ﴾ تشخير تسبيحهما معه، وإن كان عجبًا عندهم؛ أي: مجاوبته^(٥) للسيد داود.

[٨٠] ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبِيسٍ﴾ وهي الدرع؛ لأنها تلبس، وهو أول من صنعها، وكان قبلها صفائح ﴿لَكُمْ﴾ في جملة الناس ﴿لِنُخَصِّنْكُمْ﴾ بالنون^(٦): لله، وبالفتحانية^(٧): لداود، وبالوقائية: للبوس^(٨) ﴿مِنْ بَاسِكُمْ﴾ حربكم مع أعدائكم ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿شَاكِرُونَ﴾ نعمتي بتصديق الرسول؟ أي: اشكروني بذلك.

[٨١] ﴿وَوَإِذْ سَخَّرْنَا﴾ ﴿لِبَلْشَمِينَ﴾ الرّيح عاصفة ﴿وَفِي آيَةِ أُخْرَى: رِيحًا﴾^(٩) أي: شديدة الهبوب وخفيفته حسب إرادته ﴿وَتَجَرَّى بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ وهي الشام ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ من ذلك: علّمه تعالى بأن ما يعطيه سليمان يدعوه إلى الخضوع لربه؛ ففعله - تعالى - على مقتضى علميه.

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغُرْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبِيثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَاسْقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَلَوْحًا إِذْ نَادَىٰ مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَفَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَصَرَّفْنَاهُ مِنَ الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ فَأَعْرِقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكَلَّلَاهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبِيسٍ لَّكُمْ لِنُخَصِّنْكُمْ مِنْ بَاسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرَى بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾

[٧٣] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء^(١)، يُقَدَّرُ بهم في الخير ﴿يَهْدُونَ﴾ الناس ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إلى ديننا ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ﴾ أي: أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم، وحذف هاء [إقامة] تخفيفًا ﴿وَكَانُوا لَنَا عَبِيدِينَ﴾. [٧٤] ﴿وَلَوْ طَاءَ آتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ فصلًا بين الخصوم ﴿وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغُرْبَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ﴾ أي: أهلها الأعمال ﴿الْخَبِيثَ﴾ من اللواط، والرمي بالبندق، واللعب بالطيور وغير ذلك^(٢) ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوَاءٍ﴾ مصدر «سَاءَهُ»، نقيض «سَرَّهُ» ﴿فَاسْقِينَ﴾.

(١) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بالتسهيل بين يين، وذهب بعض أهل الأداء إلى إبدال الهمزة الثانية باء خالصة، وهكذا في جميع المواضع التي وردت فيها الكلمة وهي حمسة. (٢) أخرج ابن عساکر عن الحسن رضي الله عنه مرسلاً: «عشر خصال عملتها قوم لوط بها أهلکوا وتزیدها أمّتي بخلة؛ إتيان الرجال بعضهم بعضاً، وريهم بالجلال، والخذف ولعهم بالحمائم وضرب الدفوف وشرب الخمر وقص اللحية وطول الشارب والصفر والتصفيق ولباس الحرير، وتزیدها أمّتي بخلة؛ إتيان النساء بعضهم بعضاً». وقال الألباني في ضعيف الجامع (٣٧١): موضوع.

(٣) نوح: ٢٦.

(٤) أي فتورًا.

(٥) في بعض النسخ المطبوعة: (مجاوبة).

(٦) وهي قراءة شعبة.

(٧) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو والكسائي، وقرأ حفص وابن عامر بالتاء.

(٨) وذلك ردًا على المعنى، لأن اللبوس: الدرع، والدرع مؤنثة، وقيل: ردًا على الصيغة.

(٩) سورة ص: ٣٦.

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَن يَغُوصُوتْ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَوْتَوْبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَكَفَّضْنَا مَا يَدْعُ مِنْ ضُرِّهِ وَأَنْتَ أَهْلُهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا النُّوْبِ إِذْ هَبَّ مَعْصِفًا فَظًّا أَنْ لَّنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَلَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَجَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَذَكَرْنَا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَّبْنَا لَهُ وَيْحَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ وَرَوَّجْنَاهُ وَنَجَّيْنَاهُ كَانُوا يُسَدِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾

﴿٩٠﴾ ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ﴾ نداءه ﴿وَوَهَّبْنَا لَهُ﴾ وَاخْتَارَ بَعْضُ الْمَفْسِرِينَ عَوْدَ الضَّمِيرِ عَلَى دَاوُدَ وَسَلِيمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ۚ وَالْمَعْنَى: كُنَّا لَهُمْ مُؤَيِّدِينَ وَمُعِينِينَ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ﴾ أَي: يَحْرُسُهُ اللَّهُ أَنْ يَنْهَالَ أَحَدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِسُوءِهِ، بَلْ كَلَّ فِي قُبْضَتِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ. أَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِرُ هُنَا مِنْ إِفْسَادِهِمْ لِلْعَمَلِ، فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

(١) وذلك باعتبار أن الضمير في ﴿لَهُمْ﴾ يعود على الشياطين، وهو قول الجمهور، باعتبارهم أقرب مذكور، وقيل: المعنى حافظين لهم من أن يهربوا أو يمتنعوا أو يخرجوا عن أمره. واختار بعض المفسرين عود الضمير على داود وسليمان - عليهما السلام -؛ والمعنى: كنا لهم مؤيدين ومعينين، قال ابن كثير: ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ﴾ أَي: يَحْرُسُهُ اللَّهُ أَنْ يَنْهَالَ أَحَدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِسُوءِهِ، بَلْ كَلَّ فِي قُبْضَتِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ. أَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِرُ هُنَا مِنْ إِفْسَادِهِمْ لِلْعَمَلِ، فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

(٢) صحح الألباني حديث أنس مرفوعاً عن قصة أيوب عليه السلام: وفيه أن البلاء لبث به ثمان عشرة سنة، وأنه رفضه القريب والبعيد إلا رجلين من إخوانه، وكذلك زوجته. وعراه لأبي يعلى وأبي نعيم. «الصحيفة: ١٧».

(٣) أخرج نحوه ابن جرير عن ابن جريج وعن الحسن وقادة. تفسير الطبري (٧٢/١٧)، (٧٣، ٧٤).

(٤) ذكر البغوي في تفسيره عن وهب: كان له سبع ناث وثلاثة بنين، وذكر عن ابن يسار: كان له سبع بنين وسبع بنات. [تفسير البغوي (٣٤٧/٥)].

(٥) أخرج نحوه ابن مردويه وابن جرير عن الضحاک عن ابن عباس مرفوعاً كما في الدر المنثور (٦٦٠/٥).

(٦) أخرجه أبو أيوب الدنيا وأبو يعلى وابن جرير وابن أبي حاتم وابن حبان والحاكم وابن مردويه عن أنس مرفوعاً [الدر المنثور (٥٩٢/٤)]، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٣/١)، رقم (١٧).

وهو الأندلس؛ البشير، وهو الموضع الذي يلد فيه الطعام. وههنا القصة. (٧) النبوة من آثار رحمة الله ﷻ وليست هي الرحمة، وصنع المفسر هذا جرأاً على طريقته في تأويل صفة الرحمة وغيرها من الصفات التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه ونشأها له على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تثليل ولا تكيف.

(٨) قال ابن كثير: فالظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقروناً مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه بي، وهذا هو المشهور. وأما سبب تسميته التي ذكرها المفسر فلا دليل عليها. وقد رجح بعض المحققين أنه حزبل عليه السلام، فأنله أعلم.

(٩) كما عند الترمذي (٣٥٠٥) من حديث سعد بن أبي وقاص مرفوعاً: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ فإنه لم يدع بها -

﴿٨٢﴾ ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ﴾ أي: يَحْرُسُهُ اللَّهُ أَنْ يَنْهَالَ أَحَدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِسُوءِهِ، بَلْ كَلَّ فِي قُبْضَتِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ. أَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِرُ هُنَا مِنْ إِفْسَادِهِمْ لِلْعَمَلِ، فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

﴿٨٣﴾ ﴿وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ أي: يَحْرُسُهُ اللَّهُ أَنْ يَنْهَالَ أَحَدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِسُوءِهِ، بَلْ كَلَّ فِي قُبْضَتِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ. أَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِرُ هُنَا مِنْ إِفْسَادِهِمْ لِلْعَمَلِ، فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

﴿٨٤﴾ ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: يَحْرُسُهُ اللَّهُ أَنْ يَنْهَالَ أَحَدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِسُوءِهِ، بَلْ كَلَّ فِي قُبْضَتِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ. أَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِرُ هُنَا مِنْ إِفْسَادِهِمْ لِلْعَمَلِ، فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

﴿٨٥﴾ ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ أي: يَحْرُسُهُ اللَّهُ أَنْ يَنْهَالَ أَحَدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِسُوءِهِ، بَلْ كَلَّ فِي قُبْضَتِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ. أَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِرُ هُنَا مِنْ إِفْسَادِهِمْ لِلْعَمَلِ، فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

﴿٨٦﴾ ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ﴾ أي: يَحْرُسُهُ اللَّهُ أَنْ يَنْهَالَ أَحَدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِسُوءِهِ، بَلْ كَلَّ فِي قُبْضَتِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ. أَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِرُ هُنَا مِنْ إِفْسَادِهِمْ لِلْعَمَلِ، فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

﴿٨٧﴾ ﴿وَأَنْتَ أَهْلُهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: يَحْرُسُهُ اللَّهُ أَنْ يَنْهَالَ أَحَدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِسُوءِهِ، بَلْ كَلَّ فِي قُبْضَتِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ. أَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِرُ هُنَا مِنْ إِفْسَادِهِمْ لِلْعَمَلِ، فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

﴿٨٨﴾ ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ أي: يَحْرُسُهُ اللَّهُ أَنْ يَنْهَالَ أَحَدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِسُوءِهِ، بَلْ كَلَّ فِي قُبْضَتِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ. أَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِرُ هُنَا مِنْ إِفْسَادِهِمْ لِلْعَمَلِ، فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

﴿٨٩﴾ ﴿وَأَنْتَ أَهْلُهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا عِنْدَنَا وَذَكَرَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: يَحْرُسُهُ اللَّهُ أَنْ يَنْهَالَ أَحَدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِسُوءِهِ، بَلْ كَلَّ فِي قُبْضَتِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ. أَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِرُ هُنَا مِنْ إِفْسَادِهِمْ لِلْعَمَلِ، فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

﴿٩٠﴾ ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَفَظِينَ﴾ أي: يَحْرُسُهُ اللَّهُ أَنْ يَنْهَالَ أَحَدٌ مِنَ الشَّيَاطِينِ بِسُوءِهِ، بَلْ كَلَّ فِي قُبْضَتِهِ وَتَحْتَ قَهْرِهِ. أَمَّا مَا ذَكَرَهُ الْمَفْسِرُ هُنَا مِنْ إِفْسَادِهِمْ لِلْعَمَلِ، فَلَا دَلِيلَ عَلَيْهِ.

فَأَعْبُدُونِ ﴿٩٠﴾ وَتُحَدِّثُونَ.

[٩٠] ﴿وَتَقَطَّعُوا﴾ أي: بعض المخاطبين ﴿أَمَرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾ أي: تفرقوا أمر دينهم متخالفين فيه؛ وهم: طوائف اليهود والنصارى، قال - تعالى - : ﴿كُلُّ إِلَهٍ لَّهُمْ رَجُوعٌ﴾ أي: فنجازيه بعمله.

[٩١] ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ﴾ أي: لا جحود ﴿لِيسْمِهِ﴾ وإِنَّا لَهُمْ كُتُبُونَ ﴿بِأَن نَّامُرَ الْحَقْلَةَ بِكُتُبِهِ﴾ فنجازيه عليه. [٩٢] ﴿وَحَرَّمْ عَلَى قَرِينِهِ أَهْلَكْنَاهَا﴾ أريد أهلها ﴿أَتُنْهَى لَهُ﴾ زائدة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ أي: مُشْتَبِعٌ رَجوعهم إلى الدنيا.

[٩٣] ﴿حَقٌّ﴾ غاية لامتناع رجوعهم ﴿إِذَا فُتِحَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد^(١) ﴿يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ﴾ بالهمز وتركه^(٢)؛ اسمان أعجميان لقبيلتين، ويُقَدَّرُ قبله مضاف؛ أي: سدَّهما، وذلك قرب القيامة ﴿وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ﴾ مرتفع من الأرض ﴿يَنْسِلُونَ﴾^(٣) يسرعون.

[٩٤] ﴿وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقِّ﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا هِيَ﴾ أي: القصة^(٤) ﴿شَخْصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في ذلك اليوم لشدته، يقولون: ﴿يَا﴾ للتنبية ﴿وَوَلَّيْنَا﴾ هلاكنا ﴿قَدْ كُنَّا﴾ في الدنيا ﴿فِي عَقْلَةٍ مِّنْ هَذِهِ﴾ اليوم ﴿بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ أنفسنا بتكدينا للرب.

[٩٥] ﴿إِنكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره من الأوثان ﴿حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ وقودها ﴿أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ﴾ داخلون فيها.

[٩٦] ﴿لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ إِلَهًا مَّا وَرَدُّوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٥) لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون^(٦) إِنْ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٩٧﴾

لشدته غليانها.

[٩٨] ﴿وَنَزَّلَ﴾ لما قال ابن الزُّبَيْرِي: عُيِّدَ عَزِيرُ الْمَسِيحِ وَالْمَلَائِكَةُ؛ فهم في النار^(٧) على مقضى ما تقدم : ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْمُنَّةُ﴾^(٨) المنزل ﴿الْحُسْنَىٰ﴾ ومنهم من ذكر ﴿أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾.

وَأَلَّتْ أَحْصَنَتْ قَرْحَهَا فَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَأَنْتَهَاءَ آيَةٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٩﴾ إِن هَذِهِ أَمْتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿١٠٠﴾ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَهٍ لَّهُمْ رَجُوعٌ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدِهِ وَإِنَّا لَهُ كَنُزُوتٌ ﴿١٠٢﴾ وَحَرَّمْ عَلَى قَرِينِهِ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٠٣﴾ حَقٌّ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿١٠٤﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ الْحَقِّ فَإِذَا هِيَ شَخْصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُؤْيُونَكَ قَدْ كُنَّا فِي عَقْلَةٍ مِّنْ هَذِهِ أُولَٰئِكَ ظَالِمِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿١٠٦﴾ لَوْ كَانَتْ هَؤُلَاءِ إِلَهًا مَّا وَرَدُّوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٨﴾ إِنْ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠٩﴾

[٩٩] ﴿وَأَلَّتْ أَحْصَنَتْ قَرْحَهَا﴾ حفظته من أن ينال ﴿فَفَخَّنَا فِيهَا مِنْ رُّوحِنَا﴾ أي: جبريل؛ حيث نفخ في جيب يدرعها؛ فحملت بعيسى ﴿وَجَعَلْنَاهَا وَأَنْتَهَاءَ آيَةٍ لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن والملائكة؛ حيث ولدته من غير فخل.

[١٠٠] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ أي: ملة الإسلام ﴿أَمْتُكُمْ﴾ دينكم أيها المخاطبون؛ أي: يجب أن تكون عليها ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حال لازمة ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن زينب بنت جحش أن النبي ﷺ دخل عليها فرغما يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه - وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها... الحديث. البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٧) قصة يأجوج ومأجوج، وأخرجه مسلم - كتاب الفتن (٥٢) باب (١) اقتراب ظهور الفتن.

= رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٣٨٢).

(١) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٢) بتركة قراءة السبعة عدا عاصم.

(٣) وهي تسميته عند بعض النحويين، ويسمى عند جمهور البصريين: ضمير الشأن، وهو: ضمير يكون في صدر جملة بعده، تفسر دلالة وتوضح المراد منه، ومعناها معناه. وسموه بذلك؛ لأنه يرمز للشأن؛ أي: الحال التي يروى الكلام عنها.

(٤) أخرجه الطحاوي في مشكل الآثار (١٥/٣)، رقم ١٦، وأحمد في المسند (٣/٣١٧)، والطبراني في الكبير (١١٨/١٢)، وحسنه الحافظ ابن حجر في «مواقفة الخيرة الحيرة» (١٧٣/٢)، وأخرج الحاكم نحوه في المستدرک (٢/٣٨٤)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي. وصححه بمجموع طرقه في الاستيعاب (٢/٤٩٤).

[١٠٢] ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَيِّسَهَا﴾ صوتها ﴿وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ﴾ من النعم ﴿خَالِدُونَ﴾.

[١٠٣] ﴿لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ﴾ وهو أن يؤمر بالبعد إلى النار ﴿وَنُلْقِيَهُمْ﴾ تستقبلهم ﴿الْأَلْبَيْكُ﴾ عند خروجهم من القبور، يقولون لهم: ﴿هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعِدُونَ﴾ في الدنيا.

[١٠٤] ﴿يَوْمَ﴾ منصوب بـ «اذكر» مقدراً قبله ﴿تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِ﴾ اسم مذكر^(١) ﴿الْكِتَابِ﴾ صحيفة ابن آدم عند موته، واللام زائدة، أو: «السجل»: الصحيفة، والكتاب بمعنى: المكتوب، واللام بمعنى: على^(٢)، وفي قراءة^(٣): ﴿لَا كُتِبَ﴾ جمعاً ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ﴾ من عَدَمٍ ﴿يُعِيدُهُ﴾ بعد إعدامه، فالكاف متعلقة بـ «يعيده»، وضميره عائد إلى ﴿أَوَّلَ﴾ و«ما» مصدرية ﴿وَعَدَّا عَلَيْنَا﴾ منصوب بـ «وعدنا» مقدراً قبله، وهو مؤكّد لمضمون ما قبله ﴿إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ﴾ ما وعدناه.

[١٠٥] ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ﴾ بمعنى: الكتاب؛ أي: كتب الله المنزل ﴿وَبِالنَّبِيِّ الْأَكْبَرِ﴾ بمعنى: أم الكتاب الذي عند الله ﴿أَنَّ الْأَرْضَ﴾ أرض الجنة^(٤) ﴿يَرْثُهَا عِبَادِيَ الْمُتَّقُونَ﴾ عامٌّ في كل صالح.

[١٠٦] ﴿إِنَّ فِي هَذَا الْقُرْآنِ لَلْبَلَاءَ﴾ كفاية في دخول الجنة ﴿لِقَوْمٍ عَابِدِينَ﴾ عاملين به.

[١٠٧] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً﴾ أي: للرحمة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن بك.

[١٠٨] ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: ما يوحى إلي في أمر الإله إلا وحدانيته ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ منقادون لما يوحى إلي من وحدانية الإله؟ والاستفهام بمعنى الأمر.

[١٠٩] ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن ذلك ﴿فَقُلْ أَذُنُكُمْ﴾ أعلمتكم بالحرب ﴿عَلَىٰ سَوَاءٍ﴾ حالٌ من الفاعل والمفعول؛ أي: مستويين في علمه لا استبد به دونكم؛ لتأهبوا ﴿وَأَنْ﴾ ما أذريت أقرب أم بعيداً ما تُوعِدُونَ من العذاب، أو القيامة المشتملة عليه؛ ولما يعلمه الله.

[١١٠] ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى - ﴿يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ رِيحَ الْقَوْلِ﴾ والفعل منكم ومن غيركم ﴿وَيَعْلَمُ مَا تُكْسِبُونَ﴾ أنتم وغيركم من الشر.

[١١١] ﴿وَأَنْ﴾ ما أذريت لعلمه؛ أي: ما أغلقتكم به، ولم يعلم وقتُه ﴿وَفِتْنَةً﴾ اختباراً ﴿لَكُمْ﴾ ليرى كيف صنعكم ﴿وَتَتَّبِعْ﴾ تتبع ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: انقضاء آجالكم، وهذا مقابل للأول المترجي بـ «لعل»، وليس الثاني محلاً للترجي^(٥).

لَا يَسْمَعُونَ حَيِّسَهَا وَهُمْ فِي مَا أَشْتَهَتْ أَنْفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَقُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعِدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ تَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ يُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَعَلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّا فِي هَذَا لَبَلَاءٌ لِقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَحْدَهُ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ أَذْنُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعِدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهَنَّمَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ لَكُمُ وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ أَحْكَمْ بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

سُورَةُ الْحَجِّ

[١١٢] ﴿قُلْ﴾ وفي قراءة^(٦): ﴿قُلْ﴾: ﴿رَبِّ أَحْكَمْ﴾ بني وبين مكذبي ﴿بِالْحَقِّ﴾ بالعذاب لهم، أو النصر عليهم؛ فعذبوا بيدك، وأخذ، وحسن، والأحزاب، والخذق، ونصر عليهم ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ من كذبكم على الله في قولكم: «اتخذ ولداً»، وعُلِّيَّ في قولكم: «ساحر» وعلى القرآن في قولكم: «شعر».

(١) والصحيح أن السجل هي الصحيفة، كما ذكره ابن كثير عن ابن عباس ونقله عن غير واحد، واختاره ابن جرير؛ لأنه المعروف في اللغة.

(٢) المعنى: أي كطي السجل على الكتاب.

(٣) قرأ «الكتب» حفص وحمزة والكسائي، وبقية السبعة (الكتاب).

(٤) هذا قول أكثر المفسرين في تفسير «الأرض» في هذه الآية، وفي آية الزمر ﴿وَأَوْرَثْنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَحَنَّمَ حَبْثًا كَثِيرًا﴾ [الزمر: ٧٤] وهو قول ابن عباس ومجاهد وأبي العالية وسعيد بن جبير والشعبي وقادة وغيرهم. وتعقب ذلك القاضي كتمان في قرة العين واختار أن تكون «الأرض» في هذين الموضعين هي هذه الأرض المهدودة. بقوله: «... تفسير «الأرض» بالجنة بعيد، ولا دليل عليه، ولم يأت ذكر «الأرض» بمعنى «الجنة» لا في القرآن ولا في السنة. قرة العين ص (٦١٦، ٦١٧) بنصرف يسير.

(٥) أي: المترجي بـ «لعل»؛ هو: كون تأخير العذاب فتنة. أما قوله: «ومتاع إلى حين» فليس كذلك؛ لأنه واقع بانفع.

(٦) قرأ السبعة عدا حفص: ﴿قُلْ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كَمَا إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرْوُهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَاةٍ فَإِنَّهُ يَضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُم مِّن نُّرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّئَبْنِيَنَّ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَذَلِّ الْأَعْمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٌ ﴿٥﴾

سورة الحج

[مكية إلا ﴿٥﴾ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يُعَذِّبُ اللَّهُ الْأَبْتَيْنِ، أَوْ إِلَّا هَكَذَا حَصَمَانِ] الست آيات فمدينيات، وهي: أربع، أو: خمس، أو: ست، أو: سبع، أو: ثمان وسبعون آية، نزلت بعد النور]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة وغيرهم ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: عقابه بأن تطيعوه ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ﴾ أي: الحركة الشديدة للأرض التي يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذي هو قرب الساعة ﴿شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ أي: في أعاجيب الناس الذي هو نوع من العقاب.

[٢] ﴿يَوْمَ تَرْوُهَا تَذْهَلُ﴾ بسببها ﴿كُلُّ مُرْضِعَةٍ﴾ بالفعل

﴿عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾ أي: تشاء ﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ﴾ أي: حيلى ﴿حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَى﴾ من شدة الخوف ﴿وَمَا هُمْ بِسُكَرَى﴾ من الشراب ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ فهم يخافونه.

[٣] ﴿وَمَنْ النَّاسُ مِنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ قالوا: الملائكة بنات الله، والقرآن أساطير الأولين. وأنكروا البعث وإحياء من صار تراباً ﴿وَيَتَّبِعُ﴾ في جداله ﴿كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ﴾ أي: متمرد.

[٤] ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ﴾ قضِيَ على الشيطان ﴿أَنَّهُ مِنْ تَوَلَاةٍ﴾ أي: اتبعه ﴿فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ﴾ يدعوهُ ﴿إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ أي: النار.

[٥] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ﴾ شك ﴿مِنْ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْتُم مِّن نُّرَابٍ﴾ أي: أصلكم آدم ﴿وَمِنْ تَرَابٍ ثُمَّ﴾ خلقنا ذريته ﴿وَمِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ﴾ مني ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ وهي الدم الجامد ﴿ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ﴾ وهي لحمة قدر ما يمضغ ﴿مُخَلَّقَةٍ﴾ مصورة تامة الخلق ﴿وَمِنْ غَيْرِ مُخَلَّقَةٍ﴾ أي: غير تامة الخلق ﴿لِّئَبْنِيَنَّ لَكُمْ﴾ كمال قدرتنا؛ لتستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته ﴿وَنُقَرُّ لَكُمْ﴾ مستأنف ﴿فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾ إلى أجل مُّسمى ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَذَلِّ الْأَعْمُرِ﴾ من بطون أمهاتكم ﴿طِفْلًا﴾ بمعنى: طفلاً ﴿ثُمَّ﴾ نمركم ﴿لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ أي: الكمال والقوة؛ وهو: ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ﴾ يموت قبل بلوغ الأشد ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَذَلِّ الْأَعْمُرِ﴾ أخسه من الهرم والخرف ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ قال عكرمة: «من قرأ القرآن لم يصر بهذه الحالة» ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ نابتة ﴿فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ﴾ تحركت ﴿وَرَبَتْ﴾ ارتفعت وزادت ﴿وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ﴾ من كل بهيج حسن.

(١) هذا قول علقمة والشعبي وجماعة من المفسرين. واختار ابن جرير أن الآية تشير إلى هول وفزع وزلزال كائن يوم القيامة. واحتجوا بحديث عمران بن حصين عند أحمد والترمذي وأبي داود وغيرهم، أن النبي ﷺ لما نزلت: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كَمَا إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾، إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾، فقال: «أتدرون أي يوم هذا؟» فقالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «ذلك يوم القيامة، يوم يقول الله لأدم: ابعت بعث النار...» الحديث. أخرجه الترمذي في تفسير القرآن (٤٨)، وضعف الألباني إسناده في ضعيف سنن الترمذي (٦١٨). وأخرجه أحمد مختصراً في المسند (٤٣٢/٤). كما استدلل أصحاب هذا القول بأحاديث تلا النبي ﷺ فيها هذه الآيات، منها ما جاء في الصحيحين وغيرهما. انظر: البخاري كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢)، ومسلم كتاب الإيمان (١) باب (٩٦).

(٢) هذا قول مجاهد، وأبي مالك، ذكره السيوطي في الدر المنثور (١٢/٦) والباب المنقول ص (١٤٨)، ونسبهما لابن أبي حاتم. وهما مرسلان. وذكره البيهقي في تفسيره (٣٦٥/٥).

(٣) يعني أن الواو في قوله: ﴿وَنُقَرُّ لَكُمْ﴾ استئنافية وليست عطفًا على «لئبني».

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض ﴿يَأْنُ﴾ بسبب أن ﴿اللَّهُ هُوَ الْمُخَلِّقُ﴾ الثابت الدائم ﴿وَأَنْتَ يَحْيَى الْمَوْتِ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٧] ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾.

[٨] ﴿وَنَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ﴾^(١): ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى﴾ معه ﴿وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ له نور معه.

[٩] ﴿ثَانِي عَظْفِهِ﴾ حال: أي: لا وبي عنفه تكبرا عن الإيمان؛ والعطف: الجانب عن يمين أو شمال ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الياء^(٢) وضمها ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: دينه ﴿لَمْ فِي الدُّنْيَا حِزْبِي﴾ عذاب؛ فقتل يوم بدر^(٣) ﴿وَيُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ مُّؤَيَّنٍ﴾ أي: الإحراق بالنار.

[١٠] ويقال له: ﴿ذَلِكَ﴾ بما قَدِمَتْ بِذَلِكَ أي: قدمته، عَجَزَ عنه بهما دون غيرهما؛ لأن أكثر الأفعال تراوُلَ بهما ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلْمٍ﴾ أي: بذي ظلم ﴿لِلْعَبِيدِ﴾ فيعذبهم بغير ذنب.

[١١] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ أي: شَكَّ في عبادته، شبه بالحال على حرف جبل في عدم ثباته ﴿فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ﴾ صَحَّةٌ وسلامة في نفسه وماله ﴿أَطْمَأَنَّ بِهِ﴾ وَأَنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ محنة وسقم في نفسه وماله ﴿أَنقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: رجع إلى الكفر ﴿خَيْرَ الدُّنْيَا﴾ بفوات ما أمله منها ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بالكفر ﴿ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٤).

[١٢] ﴿يَدْعُوا﴾ يعبد ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ من الصنم ﴿مَا لَا يَضُرُّهُ﴾ إن لم يعبد ﴿وَمَا لَا يَنْفَعُهُ﴾ إن عبده ﴿ذَلِكَ﴾ الدعاء ﴿هُوَ الضَّلَالُ﴾^(٥) الْعَبِيدُ عن الحق.

[١٣] ﴿يَدْعُوا لِمَنَ﴾ اللام زائدة ﴿حَرَرُهُ﴾ عبادته ﴿أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ﴾ إن نفع بتخليه ﴿لَيْسَ الْمَوْلَى﴾ هو؛ أي: الناصر ﴿وَلَيْسَ الْعَشِيرُ﴾^(٦) الصاحب هو.

[١٤] وَعَقِبَ ذِكْرُ الشَّاكِّ بِالْخُسْرَانِ بِذِكْرِ الْمُؤْمِنِ بِالْتَّوَابِ فِي: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الفروض والنوافل ﴿وَجَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَقَعْلُ مَا يُرِيدُ من إكرام من يطيعه، وإهانة من يعصيه.

ذَلِكَ يَا اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ يَحْيَى الْمَوْتِ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٢﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ ثَانِي عَظْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَيُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٤﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدِمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿٦﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُ وَمَا لَا يَنْفَعُهُ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿٧﴾ يَدْعُوا لِمَنَ صَرَّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ لَيْسَ الْمَوْلَى وَلَيْسَ الْعَشِيرُ ﴿٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ وَمَا يَعِظُ ﴿١٥﴾

[١٥] ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ﴾ أي: محمداً نبيه ﴿فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ﴾ بسبل ﴿إِلَى السَّمَاءِ﴾ أي: سقف بيته يشده فيه وفي عنقه ﴿ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ أي: ليختنق به؛ بأن يقطع نفسه من الأرض؛ كما في «الصحاح»^(١) ﴿فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ﴾ في عدم نصرة النبي ﴿مَا يَعِظُ﴾ منها؛ المعنى: فليختنق غيظاً منها؛ فلا بد منها.

(٥) ما حاء في زول الآية (١١): أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ قال: كان الرجل يقدم المدينة؛ فإن ولدت امرأته غلاماً وتوحيث خيله، قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء. البخاري كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢) باب ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾

(١) روي ذلك عن ابن عباس، كما ذكره التيسابوري والألوسي وغيرهما، وقيل: نزل في النضر بن الحارث أيضاً وهو قول ابن عباس أيضاً. والتكرير للمبالغة في الذم، قاله القرطبي. وقيل: هي عامة لكل من يتصدى لإضلال الناس وإغوائهم. وقيل: الآية الأولى الواردة في الأتباع المقلدين. وهذه الآية الواردة في المتبوعين المقلدين.

(٢) بالفتح لاين كثير وأني عمرو، والياقوت بالضم.

(٣) أي أبو جهل؛ لاختيار المصنف أنها نزلت فيه.

(٤) كتاب «مختار الصحاح» في اللغة للجوهري.

معطوف على هاء ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾.

[١٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا﴾ هم اليهود ﴿وَالصَّابِغِينَ﴾ طائفة منهم ﴿وَالصَّادِقِينَ وَالْمُجُوسَ وَالَّذِينَ أَتْرَكُوا﴾ إرك الله بفصل بينهم يوم القيامة ﴿يَدْخُلُ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ﴾، وإدخال غيرهم النار ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ من عملهم ﴿سَجِدٌ﴾ غلب به علم مشاهدية.

[١٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ﴾ أي: يخضع له بما يُرَادُّ منه ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْ أَنَاثٍ﴾ وهم المؤمنون؛ بزيادة على الخضوع في سجود الصلاة ﴿وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ وهم الكافرون؛ لأنهم أتوا السجود المتوقف على الإيمان ﴿وَمِن بَيْنِ اللَّهِ يُشْفِقُ﴾ فَمَا لَمْ يَنْصَرِفْ عَنْ مُكْرِمٍ مُّشْعِلٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَقَعْلُ مَا يَشَاءُ﴾ من الإهانة والإكرام.

[١٩] ﴿كَذَلِكَ حَصَمَانِ﴾ أي: المؤمنون خصم، والكفار الخمسة^(١) خصم، وهو يطلق على الواحد والجماعة ﴿أَخْضَمُوا فِي رَيْبِهِمْ﴾ أي: في دينه ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لُهُمْ نَارٌ﴾ يلبسونها؛ يعني: أحيطت بهم النار ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْخَمِيمُ﴾ الماء البالغ نهاية الحرارة. [٢٠] ﴿يُصَبُّهُ﴾ يذاب ﴿بِهِ﴾ ما في بطونهم ﴿من سُخُومٍ وَغَيْرِهَا﴾ وتشوى به ﴿الْجُلُودُ﴾^(٢).

[٢١] ﴿وَلَهُمْ مَقْنِعٌ مِّنْ حَبِيرٍ﴾ لضرب رءوسهم. [٢٢] ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا﴾ أي: النار ﴿مِنْ غَيْرٍ﴾ يلحقهم بها ﴿أُعِيدُوا فِيهَا﴾ رُدُّوا إليها بالمقامع ﴿وَلَقِيلَ لَهُمْ﴾: ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿أَي: البالغ نهاية الإحراق.

[٢٣] وقال في المؤمنين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَكِّمُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ بالجر؛ أي: منهن؛ بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب، وبالذهب عطفًا على محل ﴿وَمِنْ أَسَاوِرَ﴾ ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ هو الحرير لبسه على الرجال في الدنيا.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِغِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُجُوسَ وَالَّذِينَ أَتْرَكُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ وَمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقٌّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يَهِنُ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٨﴾ هَذَانِ حَصَمَانِ أَخْضَمُوا فِي رَيْبِهِمُ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ شِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يَصُبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْخَمِيمُ ﴿٩﴾ يُصَبُّ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ وَلَهُمْ مَقْنِعٌ مِّنْ حَبِيرٍ ﴿١٠﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَيْرٍ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿١٢﴾

[١٦] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل إنزالنا الآية السابقة ﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾ أي: القرآن الباقي ﴿آيَاتٍ يَتَذَكَّرُ﴾ ظاهرات، حال ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ﴾ هداة،

(١) ما جاء في نزول الآيتين (١٩، ٢٠): أخرج البخاري عن فيس بن عباد عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: أنا أول من يحوي بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال فيس: وفيهم نزلت: ﴿كَذَلِكَ حَصَمَانِ أَخْضَمُوا فِي رَيْبِهِمْ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي وحمره وعبيدة، وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحج (٢٢) باب (٣).

(٢) يشير المصنف إلى أهل الملل الكافرين الخمسة المذكورين في الآية المقدمة، وانظر ما جاء في سبب نزول الآية.

(٣) بالجر قراءة السبعة عدا عاصم ونافع.

[٢٤] ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾^(١) ﴿وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ أي: طريق الله الحمودة ودينه.

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ طَاعَتَهُ﴾^(٢) عن المسجد الحرام الذي جَمَعَتْهُ مَنْسَكًا ومتعبداً ﴿لِلنَّاسِ سَوَاءٌ الْعَذَابُ أَلِيمٌ فِيهِ وَالْبَادُ الطَّارِئُ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَسَدِ﴾ الباء زائدة ﴿يُظْلَمُ﴾ أي: بسببه؛ بأن ارتكب منهياً، ولو شتم الخادم ﴿تُذَقُّ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾^(٣) مؤلم؛ أي: بعضه، ومن هذا يؤخذ خبر ﴿إِنَّهُ﴾ أي: نذيقهم من عذاب أليم.

[٢٦] ﴿ذَكَرَ﴾^(٤) ﴿إِذْ بَوَّأْنَا﴾^(٥) ﴿لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ﴾^(٦) لبيته، وكان قد رُفِعَ زمن الطوفان، وأمرناه ﴿أَنْ لَا تَشْرُفَ فِي سَبِيلِهَا وَطَهَّرَ بَيْتِي﴾ من الأوثان ﴿لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ﴾ المقيمين به ﴿وَأَرْكَعَ السُّجُودَ﴾ جمع راعع وساجد؛ المصلين.

[٢٧] ﴿وَأَذِّنْ﴾ ناد ﴿فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ فنادى على جبل^(٧) أبي قبيس: يأبها الناس إن ربكم بئى بيتاً وأوجب عليكم الحج إليه؛ فأجيبوا ربكم. والتفت بوجهه بيتاً وشمالاً وشرقاً وغرباً؛ فأجابه كل من كتبت له أن يشغ من أصلاب الرجال وأرحام الأمهات: لبيك اللهم لبيك، وجواب الأمر: ﴿يَأْتُونَكَ رِجَالًا﴾ مشاة، جمع راجل؛ كقائم وقائم ﴿وَرِجَالًا﴾^(٨) على كثر ضامير أي: بعير مهزول، وهو يطلق على الذكر والأنثى ﴿يَأْتِينَ﴾ أي: الضوامر حملاً على المعنى ﴿وَمِنْ كُلِّ فِجٍّ عَمِيْقٍ﴾ طريق بعيد.

[٢٨] ﴿لِيَشْهَدُوا﴾ أي: يحضروا ﴿مَنْفَعٍ لَهُمْ﴾ في الدنيا بالتجارة، أو في الآخرة^(٩)، أو فيهما، أقوال ﴿وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَثَرِ مُتَمَسِّكِينَ﴾ أي: عشر ذي الحجة، أو يوم عرفة، أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق، أقوال ﴿عَلَى مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْآلَةِ﴾ الإبل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا^(١٠) ﴿فَتَكُونُوا مِنْهَا﴾ إذا كانت مستحبة ﴿وَالْمُحْمَرُّ الْبَيْضُ الْفَقِيرُ﴾ أي: الشديد الفقر.

[٢٩] ﴿ثُمَّ لَيَقْفُضُوا تَقَفُّهُمْ﴾ أي: يزولوا أو ساقطهم وشعثهم؛ كطول الظفر ﴿وَلَيُطَوَّقُوا﴾ بالتخفيف والتشديد^(١١) ﴿يَذُورُهُمْ﴾ من الهدايا والضحايا ﴿وَلَيَطَوَّرُوا﴾ طواف الإفاضة ﴿بِالْبَيْتِ الْعَمِيْقِ﴾ أي: القدم؛ لأنه أول بيت وضع للناس.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: الأمر، أو الشأن ذلك المذكور ﴿وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتُ اللَّهِ﴾ هي ما لا يحل انتهاكه ﴿فَهُوَ﴾ أي: تعظيمها ﴿خَيْرٌ لَّهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ في الآخرة ﴿وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْكَلَامُ﴾ أكله

وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَكْفُ فِيهِ وَالْبَادُ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَسَدِ يُظْلَمُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾
 ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَاتَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تَشْرُفَ فِي سَبِيلِهَا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيْقٍ ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَفِعٍ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَةٍ عَلَى مَا رَزَقْنَاهُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْآلَةِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْفَقِيرِ﴾ ثُمَّ لَيَقْفُضُوا تَقَفُّهُمْ وَلَيُطَوَّقُوا بِالْبَيْتِ الْعَمِيْقِ ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرْمَتُ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْكَلَامُ إِلَّا مَا تَلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾

بعد الذبح ﴿إِلَّا مَا يَتَلَى عَلَيْكُمْ﴾ تحريمه في ﴿حُرْمَتِ عَلَيْكُمْ الْبَيْتِ﴾^(١٢) الآية، فلا استثناء منقطع، ويجوز أن يكون متصلاً، والتحريم لما عُرِضَ من الموت ونحوه ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾^(١٣) من لبيان؛ أي: الذي هو الأوثان ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾ أي: الشرك بالله في تليبتكم، أو شهادة الزور.

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن ابن مسعود قال في قوله: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَسَدِ يُظْلَمُ﴾ قال: لو أن رجلاً هم فيه إلحاد وهو يعذب أين لأذاقه الله عذاباً أليماً. المسند (٢٨٨/١)، (٥٠١) وقال أحمد شاكراً: إسناد صحيح (٤٠٧١). ودعّد ابن كثير: مدينة معروفة باليمن؛ أضيفت إلى «أين» وهو رجل من جنس عَدَن بها؛ أي أقام. (النهاية لابن الأثير ١٩٢/٣).

(١٦) هذا على أحد الأقوال، أن المراد: هُدُوا في الدنيا إلى كلمة التوحيد، وقيل: قراءة القرآن، والقول الآخر أن المراد: هُدوا في الآخرة إلى الطيب من القول؛ وهو: الحمد والتسبيح والسلام، ويشهد له قوله - تعالى -: ﴿وَذَرِكُمْ فِي مَا سَخَكُمُ اللَّهُ مِنْهَا وَخَرَجَكُمْ عَنْهَا لِيُذَكِّرُوا أَنَّ الْقَوْلَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] وغيرها من الآيات. وعلى القول الأول: فيحتمل أن في الكلام تقدماً وتأخيراً، فيكون المعنى: إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات وهُدوا إلى الطيب من القول وهُدوا إلى صراط الحميد جات... والله أعلم.

(٢) أخرج نحوه ابن أبي حاتم عن ابن عباس [الدر المنثور (٦٣٧/٤)]، وقال ابن كثير: هذا مضمون ما ورد عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة، وغير واحد من السلف.

(٣) لعله يريد بذلك ما قيل: إن المراد بالمنافع: المناسك؛ كمرقات والمشعر الحرام، وما يترتب على ذلك من الأجر والمغفرة.

(٤) فالمراد بذكر اسم الله حبيط التسمية عند الذبح والنحر - وهو قول الأكثرين -، وكان الكفار يذبحون على أسماء أصنامهم، فيمن الله أن الواجب الذبح على اسم الله. وقيل: إن ﴿عَلَى﴾ تعليلية؛ والمعنى: لأجل ما رزقهم من تلك الأنعام؛ فلو شاء لحطرها عليهم ولخلعها أوأبد متوحشة.

(٥) بالتشديد قراءة شعبة.

(٦) المائة: ٣.

أي: فإن تعظيمها - وهي البدن التي تُهذى للحرم بأن تُستحسن وتُستمن - **﴿وَمِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾** منهم، شُيِّتَتْ شَعَائِرُهُ؛ لإشعارها بما تعرف به أنها هدي؛ كطعن حديدة بسنامها.

[٣٣] **﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ﴾** كَوُكُوبُهَا، والحمل عليها ما لا يضرها **﴿إِنَّ أَجَلَ يُسَمَّى﴾** وقت نحرها **﴿ثُمَّ يَحِلُّهَا﴾** أي: مكان حل نحرها **﴿إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾** أي: عنده؛ والمراد: الحرم جميعه.

[٣٤] **﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ﴾** أي: جماعة مومنة سلفت قبلكم **﴿جَعَلْنَا مَسْكَاةً﴾** بفتح السين: مصدر، وبكسرهما^(١): اسم مكان؛ أي: ذبيحا قربانا، أو مكانه **﴿يَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ﴾** عند ذبحها **﴿فَالْهَكَرُ إِلَهُ وَحْدَ فَلَهُ أَسْلَمُوا﴾** اتقادوا **﴿وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** المطيعين المتواضعين.

[٣٥] **﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ﴾** خافت **﴿قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ﴾** من البلياء **﴿وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ﴾** في أوقاتها **﴿وَمِمَّا رَزَقَهُمْ يَفْقَهُونَ﴾** يتصدقون.

[٣٦] **﴿وَالْبُدْنَ﴾** جمع بدنة؛ وهي: الإبل **﴿جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ﴾** أعلام دينه **﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾** نفع في الدنيا - كما تقدم - وأجر في العقبى **﴿فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾** عند نحرها **﴿صَوَافٌ﴾** قائمة على ثلاث، معقولة^(٢) اليد اليسرى **﴿فَإِذَا وَجِيتَ جُنُوبَهَا﴾** سقطت إلى الأرض بعد النحر؛ وهو: وقت الأكل منها **﴿فَكُلُوا مِنْهَا﴾** إن شئتم **﴿وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ﴾** الذين يقنع بما يُعطى، ولا يسأل، ولا يتعزّض **﴿وَالْمُعْتَزَّ﴾** السائل أو المتعزّض **﴿كَذَلِكَ﴾** أي: مثل ذلك التسخير **﴿سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ﴾** بأن تُنحر وتركب وإلا فلم تُطلق **﴿لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾** إنعامي عليكم.

[٣٧] **﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها﴾** أي: يرفعان إليه **﴿وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَتْلُ مِنْكُمْ﴾** أي: يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان **﴿كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾** أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه **﴿وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** أي: الموحدين.

[٣٨] **﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾** غوائل المشركين **﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ﴾** في أمانته **﴿كَفُورٍ﴾** لنعمته؛ وهم: المشركون؛ المعنى: أنه يعاقبهم^(٣).

حَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ السَّمَاءَ فَخِطْفُهُ أَظْطَرَّ أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٤﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعٌ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ يَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٥﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَسْكَاةً لِتَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَحْدَ فَلَهُ أَسْلَمُوا وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقَهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٣٧﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِيتَ جُنُوبَهَا فُكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَزَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالُهُ الْقَتْلُ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَيُبَشِّرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٤٠﴾

[٣١] **﴿حَفَاءَ لِلَّهِ﴾** مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه **﴿غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾** تأكيد لما قبله، وهما حالان من الواو **﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ﴾** سقط **﴿سَمَاءً فَخِطْفُهُ أَظْطَرَّ﴾** أي: تأخذه بسرعة **﴿أَوْ تَهَوَّى بِهِ الرِّيحُ﴾** أي: تسقطه **﴿فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾** بعيد، فهو لا يرجى خلاصه.

[٣٢] **﴿ذَلِكَ﴾** يقدر قبله: الأمر، مبتدأ **﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا﴾**

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) أي مربوطة.

(٣) وهذا تأويل لانتفاء الصفة بلازمها، والحب والبغض صفتان لله **﴿يُحِبُّ﴾**، ومذهب السلف إثباتهما لله **﴿يُحِبُّ﴾** على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكيف.

[٣٩] ﴿أَوْنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ﴾ أي: المؤمنين أن يقاتلوا، وهذه أول آية نزلت في الجهاد ﴿يَأْتَهُمْ﴾ أي: بسبب أنهم ﴿ظَلِمُوا﴾ لظلم الكافرين إياهم ﴿وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ عَلَّى نَصْرَهُمْ لَقَدِيرٌ﴾.

[٤٠] هم ﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ في الإخراج، وما أخرجوا ﴿إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُوا﴾ أي: بقولهم: ﴿رَبَّنَا اللَّهُ وَحْدَهُ، وهذا القول حق، فالإخراج به إخراج بغير حق ﴿وَلَوْ لَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ﴾ بدل، بعض من الناس ﴿بِبَعْضٍ لَهْمُمْ﴾ بالتشديد: للكثير، وبالتخفيف (١) ﴿صَوْمِعُ﴾ للرهبان ﴿وَبِيعُ﴾ كنائس للنصارى ﴿وَصَلَوْتُ﴾ كنائس لليهود بالعبرانية ﴿وَمَسْجِدُ﴾ للمسلمين ﴿يَذْكُرُ فِيهِ﴾ أي: المواضع المذكورة (٢) ﴿أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرٌ﴾ وتقطع العبادات بخرابها ﴿وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾ أي: ينصر دينه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ﴾ على خلقه ﴿غَيْرُزِيٍّ﴾ منيع في سلطانه وقدرته (٣).

[٤١] ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ ينصرهم على عدوهم ﴿أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنَاؤُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ جواب الشرط، وهو وجوبه صله الموصول، ويقدر قبله: «هم» مبتدأ ﴿وَلِيَّوْا عَاقِبَةَ الْأُمُورِ﴾ أي: مرجعها إليه في الآخرة.

[٤٢] ﴿وَلَنْ يُكَذِّبُوكَ﴾ إلى آخره فيه تسلية للنبي ﷺ ﴿فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ تأنيث ﴿قَوْمٌ﴾ باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ﴾ قوم هود ﴿وَمُودٌ﴾ قوم صالح.

[٤٣] ﴿قَوْمٌ يَرْبِهِمْ وَقَوْمٌ لُوطٍ﴾.

[٤٤] ﴿وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ﴾ قوم شعيب ﴿وَكَذَّبَ مُوسَى﴾ كَذَّبَهُ الْقَيْطُ لَا قومه بنو إسرائيل؛ أي: كذب هؤلاء رسلهم؛ فلما أسوة بهم ﴿فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ أمهلهم بتأخير العقاب لهم ﴿ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ﴾ بالعذاب ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؟ أي: إنكاري عليهم بتكذيبهم بإهلاكهم، والاستنفهام للتعقير؛ أي: هو واقع موقعه.

[٤٥] ﴿فَكَانَ﴾ أي: كم ﴿مِنْ قَرْيَةٍ﴾ [أَهْلَكْنَاهَا] (٤) وفي قراءة: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾ ﴿وَهِيَ ظَلَمَةٌ﴾ أي: أهلها؛ بكفرهم ﴿فَنَهَى خَاوِيَةً﴾ ساقطة ﴿عَنِ عَرْوَشِهَا﴾ سقوفها ﴿وَوُكِّلَ مِنْهَا مُعْطَلَةٌ﴾ متروكة بموت أهلها ﴿وَقَصَّرَ مَتَشِدٍ﴾ رفيع، حال بموت أهلها.

[٤٦] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿فِي الْأَرْضِ فَتَعْلَمُوا لَهُمْ قُلُوبٌ

أَذِنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ يَأْتَهُمْ ظُلُمًا وَلَوْ أَنَّ اللَّهَ عَلَّى نَصْرَهُمْ لَقَدِيرٌ
الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنَّهُ يَقُولُوا
رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفَعَ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْمُمْ
صَوْمِعُ وَبِيعُ وَصَلَوْتُ وَمَسْجِدُ يَذْكُرُ فِيهِ أَسْمُ اللَّهِ
كَثِيرٌ وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
غَيْرُزِيٍّ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَنَاؤُوا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ
وَلِيَّوْا عَاقِبَةَ الْأُمُورِ وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ
قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ
لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ
ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ فَكَانَ مِنْ قَرْيَةٍ
أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عَرْوِهَا وَبُيِّرَ
مُعْطَلَةٌ وَقَصَّرَ مَتَشِدٍ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَعْلَمُوا
لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوَّادًا يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا
لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ

يَقُولُونَ بِهَا ما نزل بالمكذبين قبلهم ﴿أَوْ عَادًا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ أخبارهم بالإهلاك وخراب الديار؛ فعبثوا ﴿فَأَنَّهُمْ﴾ أي: القصة ﴿لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ تأكيد.

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٣٩، ٤٠): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال أبو بكر: أخرجوا نبينهم! إنا لله وإنا إليه راجعون. ليهلكوا؛ فنزلت: ﴿أَوْنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ يَأْتَهُمْ ظُلُمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَّى نَصْرَهُمْ لَقَدِيرٌ﴾. فخرجت أنه سيكون قتال. قال ابن عباس: فهي أول آية نزلت في القتال.

النسائي - كتاب الجهاد (٢٥) باب (١) وجوب الجهاد، والترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢٣). (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥٣٥).
وأخرج الترمذي عن سعيد بن جبير قال: لما أخرج النبي ﷺ من مكة قال رجل: أخرجوا نبينهم! فنزلت: ﴿أَوْنَ لِلَّذِينَ يَقْتُلُونَ يَأْتَهُمْ ظُلُمًا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَّى نَصْرَهُمْ لَقَدِيرٌ﴾ (٣٩) الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ الترمذي - الموضع السابق.

(١) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير.

(٢) هذا القول بأن الضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ يعود على المواضع المذكورة كلها؛ وبناء عليه يجب أن يحمل المعنى على ما قبل تحريف الأمم السابقة دينهم... وصوب هذا التأويل ابن عطية. واختار ابن جرير أن الضمير في قوله تعالى: ﴿فِيهَا﴾ يعود إلى «المساجد» فقط؛ لأنها أقرب المذكورات، كما في لغة العرب. وعلى كلا القولين فلا تنتم الآية «الكنائس» و«الكنس» التي يتخذها اليهود والنصارى بعد بعة محمد ﷺ؛ لأنها لا يذكر فيها اسم الله تعالى بالتوحيد والتزبه، كما يجب أن يذكر. قرأ العيني ص ٤٣٩ بتصرف.

(٣) هي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿أَهْلَكْنَاهَا﴾.

يُنْذِرُ الْإِنذَارَ، وَأَنَا بَشِيرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ.

[٥٠] ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ﴾ من الذنوب ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ هو الجنة.

[٥١] ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن؛ بإبطالها [مُعْجِزِينَ] (٢) من اتباع النبي؛ أي: ينسبونهم إلى العجز ويضطرونهم عن الإيمان، أو مقدرين عجزنا عنهم، وفي قراءة: ﴿مُعْجِزِينَ﴾ مسابقين لنا؛ أي: يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾ النار.

[٥٢] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ﴾ هو نبيٍّ أُمِرَ بالتبليغ ﴿وَلَا نَبِيٍّ﴾ أي: لم يؤمر بالتبليغ (٣) ﴿إِلَّا إِذَا مَتَّيَّ﴾ قرأ ﴿أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ قرأته ما ليس من القرآن مما يرضاه المرسل إليهم، وقد قرأ النبي ﷺ في سورة النجم بمجلس من قريش بعد ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ (٤) ﴿وَنَزَّهَ أَتَالَتَهُ الْآخَرَىٰ﴾ بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه ﷺ به: «تلك الغرائق الغلاء، وإن شفاعتهن لترتجى»؛ ففرحوا بذلك، ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك؛ فحزن؛ فشأنه بهذه الآية ليطمئن (٥) ﴿فَيَسْخُ اللَّهُ﴾ يبطل ﴿مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَيِّمُ اللَّهُ﴾ أي: يثبتها ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بإلقاء الشيطان ما ذكر ﴿حَكِيمٌ﴾ في تمكينه منه بفعل ما يشاء.

[٥٣] ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾ فتنَةً ﴿مَحَنَةً﴾ لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ شقاق ونفاق ﴿وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: المشركين؛ عن قبول الحق ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لِيَشَاقِقَ بِعِيدٍ﴾ خلاف طويل مع النبي ﷺ والمؤمنين؛ حيث جرى على لسانه ذكر ألثمتهم بما يرضيهم، ثم أبطل ذلك.

[٥٤] ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْوَحِيدَ﴾ التوحيد والقرآن ﴿أَنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ فَيُؤْمِنُوا بِهِ ﴿فَتُخَيِّتَ﴾ تطمئن ﴿لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقٍ﴾ مُسْتَقِيمٍ أي: دين الإسلام.

[٥٥] ﴿وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيقٍ﴾ شك ﴿مِنَهُ﴾ أي: القرآن؛ بما ألقاه الشيطان على لسان النبي، ثم أبطل (٦) ﴿حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً﴾ أي: ساعة موتهم أو القيامة فجأة ﴿أَوْ يَنْبِئُهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ هو يوم بدر لا خير فيه للكفار؛ كالريح العقيم التي لا تأتي بخير، أو هو يوم القيامة لا ليل بعده.

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَكَأَن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَتَذَكَّرُ النَّاسُ إِنَّمَّا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٩﴾ فَاذْكُرُونِ اللَّهَ وَأَعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٦١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُخَيِّمُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَيُغَيِّرُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فَتَنَةٌ لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٦٢﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخَيِّتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادٍ لِلَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٦٣﴾ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِيقَتِهِ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَنْبِئُهُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٦٤﴾

[٤٧] ﴿وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ بإنزال العذاب؛ فأنزله يوم بدر ﴿وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ﴾ من أيام الآخرة بسبب العذاب ﴿كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ بالباء والياء (١)؛ في الدنيا.

[٤٨] ﴿وَكَأَن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا﴾ المراد أهلها ﴿وَإِلَى الْمَصِيرِ﴾ المرجع.

[٤٩] ﴿قُلْ يَتَذَكَّرُ النَّاسُ﴾ أي: أهل مكة ﴿إِنَّمَّا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾

(١) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير.

(٢) هي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة [مُعْجِزِينَ].

(٣) هذا القول هو المشهور الشائع، والصحيح المختار هو أن الرسول مأمور أن يوحى إليه شرع جديد، والتي هو المبعوث لتقرير شرع من قبله. وانظر: الرسل والرسالات للأشقر، ص (١٤، ١٥)، والنبوات لابن تيمية ص (٢٥٥).

(٤) وهذا كلام باطل، وقد تفق جمهور العلماء على أن قصة الغرائق هذه باطلة مثلاً ولا أصل لها مثلاً. قال ابن إسحاق: هي من وضع الزنادقة. وقال البيهقي: غير ثابتة نقلاً ورواها مطعونون، وردها ابن كثير، وأبو بكر بن العربي، والقاضي عياض، وغيرهم.

ومن أفصل ما قيل في تفسيرها ما ذكره الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان»: هو أن ما يلقيه الشيطان في قراءة النبي ﷺ الشكوك والوساوس المانعة من تصديقها وقبولها؛ كإلقائه عليهم أنها سحر أو شعر، أو أساطير الأولين، وأنها مفتراة على الله ليست منزلة من عنده... فمعنى نسخ ما يلقي الشيطان: إزالته وإبطاله وعدم تأثيره في المؤمنين الذين أوتوا العلم. ومعنى «يحكم آياته»: يتقنها بالإحكام؛ فيظهر أنها وحى منزل منه بحق، ولا يؤثر في ذلك محاولة الشيطان صد الناس عنها بإلقائه المذكور.

(٥) تقدم بطلان هذا التأويل، انظر الهامش السابق.

[٥٦] ﴿الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ بَنِيَّ﴾ أي: يوم القيامة ﴿لِللَّهِ﴾ وحده، وما تضمنه من الاستقرار^(١)، ناصب للظرف ﴿يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ بين المؤمنين والكافرين بما يَبَيِّنُ بعده ﴿كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ فضلاً من الله.

[٥٧] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ شديداً بسبب كفرهم.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته من مكة إلى المدينة ﴿ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَبِزْتَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ هو رزق الجنة ﴿وَإِلَّا اللَّهُ لَهُمْ حَظٌّ أَلْوَنٌ مِنَ الرِّزْقِ﴾ أفضل المعطين.

[٥٩] ﴿لَسَنَجْزِيَنَّهُمْ أَثْمَارَهُمْ﴾ بضم الميم وفتحها^(٢)؛ أي: إدخالاً أو موضعاً ﴿يَرْضَوْنَ﴾ وهو الجنة ﴿وَلِئَلَّا لَعَلِّيَرُ﴾ بنيتهم ﴿حَلِيلٌ﴾ عن عقابهم.

[٦٠] الأمر ﴿ذَلِكَ﴾ قصصناه عليك ﴿وَمَنْ عَاقَبَ﴾ جازى من المؤمن ﴿يُعَذِّبْ مَا عُوقِبَ بِهِ﴾ ظلماً من المشركين؛ أي: قاتلهم كما قاتلوه في الشهر الحرام ﴿ثُمَّ يُعْطِ عَلَيْهِمْ﴾ منهم؛ أي: ظلم بإخراجه من منزله ﴿لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ﴾ إنا الله لعفوهم عن المؤمنين ﴿عَفْوٌ﴾ لهم، عن قتالهم في الشهر الحرام.

[٦١] ﴿ذَلِكَ﴾ النصر ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ أي: يدخل كلاً منهما في الآخر؛ بأن يزيد به، وذلك من أثر قدرته - تعالى - التي بها النصر ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ دعاء المؤمنين ﴿بِصَيْرٍ﴾ بهم؛ حيث جعل فيهم الإيمان؛ فأجاب دعاءهم.

[٦٢] ﴿ذَلِكَ﴾ النصر أيضاً ﴿يَا أَيُّهَا اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ مَا يَنْشَأُ﴾ بآباءه والنساء^(٣)، يعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ وهو الأصنام ﴿هُوَ الْبَاطِلُ﴾ الزائل ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي: العالي على كل شيء بقدرته^(٤) ﴿الْكَبِيرُ﴾ الذي يصغر كل شيء سواه.

[٦٣] ﴿إِنَّمَا نَزَّلْنَا﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ مطراً ﴿فَنُصْبِغُ بِهِ الْأَرْضَ فَنُخْشِرُهَا﴾ بالنبات، وهذا من أثر قدرته^(٥) ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ﴾ بعباده في إخراج النبات بالماء ﴿خَيْرٌ﴾ بما في قلوبهم عند تأخير

الْمَلَأْتُ يَوْمَئِذٍ بَنِيَّ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمُ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَبِزْتَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِلَّا اللَّهُ لَهُمْ حَظٌّ أَلْوَنٌ مِنَ الرِّزْقِ ﴿٥٨﴾ لَسَنَجْزِيَنَّهُمْ أَثْمَارَهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَ ﴿٥٩﴾ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ إِنْ إِيَّاكَ اللَّهُ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦١﴾ ذَلِكَ يَا أَيُّهَا اللَّهُ يُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٦٢﴾ ذَلِكَ يَا أَيُّهَا اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَنْشَأُ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٦٣﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَنُصْبِغُ بِهِ الْأَرْضَ فَنُخْشِرُهَا إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٤﴾ وَمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفُورُ الْحَكِيمُ ﴿٦٥﴾

المطر.

[٦٤] ﴿كُلُّ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ على جهة الملك ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَفُورُ﴾ عن عباده ﴿الْحَكِيمُ﴾ لأوليائه.

(١) أي معنى الاستقرار المقدس.

(٢) بالفتح قراءة نافع.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٤) وهذا قصر لمعنى «العالي» على أحد مدلولاته وإغفال الباقي؛ قاله - سبحانه - له العلو المطلق؛ علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر.

(٥) وورحمته أيضاً.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَكَ تَجْرِي
فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا
بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي
أَخْيَاكُمْ ثُمَّ مَجِّعُكُمْ ثُمَّ يُخَيِّكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾
لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ
فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رِبِّكَ إِنَّكَ لَعَلىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٧﴾
وَإِنْ جَدَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَغْلَبُ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ
بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَّا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ
ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنْ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ
عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذْ أَتَىٰ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا
بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ
يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلِ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ
ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبَشِّرِ الْمُصِيرِينَ ﴿٧٢﴾

[٦٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ﴾ من البهائم
﴿وَالْفَلَكَ تَجْرِي﴾ السفن ﴿تَجْرِي فِي الْبَحْرِ﴾ للركوب والحمل ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإذنه

﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ﴾ من ﴿أَنْ﴾ أو لئلا ﴿تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾
فنهلكوا ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ في السخير والإمساك.

[٦٦] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَخْيَاكُمْ﴾ بالإشياء ﴿ثُمَّ يُجَيِّعُكُمْ﴾ عند انتهاء
آجالكم ﴿ثُمَّ يُخَيِّكُمْ﴾ عند البعث ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ﴾ أي: المشرك
﴿لَكَفُورٌ﴾ لنعم الله؛ بتركه توحيد.

[٦٧] ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا﴾ بفتح السين وكسرها^(١)؛ شريعة
﴿هُمْ نَاسِكُوهُ﴾ عاملون به ﴿فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ﴾ يراد به: لا تنازعهم ﴿فِي
الْأَمْرِ﴾ أي: أمر الذبيحة؛ إذ قالوا: «ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم»^(٢)
﴿وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ إلى دينه ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُسْتَقِيمٍ﴾ دين ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٦٨] ﴿وَإِنْ جَدَلُوكَ﴾ في أمر الدين ﴿فَقُلِ اللَّهُ أَغْلَبُ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾
فيجازيكم عليه، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٦٩] ﴿اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ أيها المؤمنون والكافرون ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾
فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، بأن يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر.

[٧٠] ﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا﴾ الاستفهام فيه للتقرير ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَّا فِي السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ﴾ إِنَّ ذَلِكَ: أي: ما ذكر ﴿فِي كِتَابٍ﴾ هو اللوح المحفوظ ﴿إِنَّ
ذَلِكَ﴾ أي: علم ما ذكر ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ سهل؟.

[٧١] ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: المشركون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ﴾ هو
الأصنام ﴿سُلْطَانٌ﴾ حجة ﴿وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾ أنها آلهة^(٣) ﴿وَمَا
لِلظَّالِمِينَ﴾ بالإشراك ﴿مِنْ نَصِيرٍ﴾ يمنع عنهم عذاب الله.

[٧٢] ﴿وَإِذْ أَتَىٰ عَلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا﴾ من القرآن ﴿بَيِّنَاتٍ﴾ ظاهرات،
حَالٌ ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ﴾ أي: الإنكار لها؛ أي:
آثره من الكراهة والعبوس ﴿يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ
آيَاتِنَا﴾ أي: يقعون فيهم بالبطش ﴿قُلِ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ﴾
أي: الباطش ﴿بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بأن
مصيبهم إليها ﴿وَبَشِّرِ الْمُصِيرِينَ﴾ هي.

(١) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

(٢) راجع ما تقدم في سبب نزول الآيات (١١٩ - ١٢١) من سورة الأنعام.

(٣) أي: عبدوها تقليدًا لآبائهم، من غير دليل ولا حجة.

[٧٣] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ﴾ وهو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾ اسم جنس، واحدة ذبابة، يقع على الذكر والمؤنث ﴿وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ لحلقه ﴿وَلَنْ يَسْلُتَهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا﴾ مما عليهم؛ من الطيب والزعفران الملطخين^(١) به ﴿لَا يَسْتَفِيدُونَ﴾ لا يستدوه ﴿وَمِنْهُ﴾ لعجزهم، فكيف يعبدون شركاء الله - تعالى ١٩- هذا أمر مستغرب، عجز عنه بضرب مثل ﴿سَعَفَ الْأَطَالِبُ﴾ العابد ﴿وَالْمَطْلُوبُ﴾ المعبود. [٧٤] ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ عَظْمَهُ﴾ عظموه ﴿حَقَّ قَدْرِهِ﴾ عظمته؛ إذ أشركوا به ما لم يمتنع من الذباب ولا يتصف منه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ غالب. [٧٥] ﴿اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ رسلًا، نزل لما قال المشركون: ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا﴾^(٢) ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ لِمَقَاتِلِهِمْ ﴿بَصِيرٌ﴾ بمن يتخذة رسولاً؛ كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم - صلى الله عليهم وسلم -.

[٧٦] ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ أي: ما قدموا وما خلفوا، وما عملوا وما هم عاملون بعد ﴿وَالِ اللَّهِ رُجُوعُ الْأُمُورِ﴾.

[٧٧] ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ أي: صلوا ﴿وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ﴾ وحدوه ﴿وَاتَّقُوا الْخَيْرَ﴾ كصلة الرحم ومكارم الأخلاق ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تفوزون بالبقاء في الجنة.

[٧٨] ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ﴾ لإقامة دينه ﴿حَقَّ جِهَادِهِ﴾ باستفراغ الطاقة فيه، ونصب ﴿حَقَّ﴾ على المصدر ﴿هُوَ اجْتِنَاحُكُمْ﴾ اختاركم لدينه ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ أي: ضيق؛ بأن سهله عند الضرورات؛ كالقصر والتيسم وأكل الميتة والفطر للمرض والسفر ﴿وَمَلَّةَ أَيْبِكُمْ﴾ منصوب بنزع الخافض «الكاف»^(٣) ﴿إِزْهَجَ﴾ عطف بيان ﴿هُوَ﴾ أي: الله ﴿سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل هذا الكتاب ﴿وَفِي هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿لَيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ يوم القيامة أنه بلغكم ﴿وَتَكُونُوا﴾ أنتم ﴿شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ أن رسلكم بلغوهم ﴿فَاقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ داوموا عليها ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ ثَقُوا به ﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿فَنِعَمَ الْمَوْلَى﴾ هو ﴿وَنِعَمَ النَّصِيرِ﴾ الناصر لكم.

يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضَرْبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوا مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ ﴿٧٤﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٥﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مَلَّةَ أَيْبِكُمْ يَتْرَهِيَهُ هُوَ سَمَّكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لَيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعَمَ الْمَوْلَى وَنِعَمَ النَّصِيرِ ﴿٧٨﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ

(١) في نسخة الصاوي وبعض النسخ المطبوعة: «الملطخين»، وقال الصاوي مستثلاً ذلك: المناسب أن يقول: «الملطخين»؛ لأنه نعت سببي للطيب والزعفران. اهـ. والمثبت من نسخة القاضي كنعان؛ قال: هو هكذا في المخطوطة الثانية، وهو الصواب.

(٢) سورة ص: ٨.

(٣) أي: كيلة أَيْبِكُمْ.

- [٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كِلَابٌ﴾ من الكلام وغيره ﴿مُعْرِضُونَ﴾.
 [٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ مؤدوون.
 [٥] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ﴾ عن الحرام.
 [٦] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ﴾ أي: من زوجاتهم ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ أي: السراي ﴿فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ في إتيانهم.
 [٧] ﴿فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ من الزوجات والسراي؛ كاستمناة باليد في إتيانهم ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون إلى ما لا يحل لهم.
 [٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْثَلِهِمْ جَمْعًا﴾ جمعاً ومفرداً^(١) ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ فيما بينهم، أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها ﴿رِعُونَ﴾ حافظون.
 [٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ﴾ جمعاً ومفرداً^(٢) ﴿يَجَاهِدُونَ﴾ يقيمونها في أوقاتها.
 [١٠] ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ﴾^(٣) لا غيرهم.
 [١١] ﴿الَّذِينَ يَرْتُكُونَ الْفِرْدَوْسَ﴾ هو جنة أعلى الجنان ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ في ذلك إشارة إلى المعاد، ويناسبه ذكر المبدأ بقوله.
 [١٢] ﴿وَاللَّهُ﴾ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ سُلْكَ﴾ هي من سللت الشيء من الشيء؛ أي: استخرجه منه، وهو خلاصته ﴿مِنْ طِينٍ﴾ متعلق بـ ﴿سُلْكَ﴾.
 [١٣] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الإنسان نسل آدم ﴿نُطْفَةً﴾ مَيْتًا ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ هو الرحم.
 [١٤] ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ دماً جامداً ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ لحمية قذراً ما يبيض ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا﴾ وفي قراءة: ﴿عِظْمًا﴾ في الموضعين^(٤)، و«خَلَقْنَا» في المواضع الثلاث؛ بمعنى: صيرنا ﴿ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ﴾ بنفخ الروح فيه ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ أي: المقدرين، ومميز ﴿أَحْسَنُ﴾ محذوف للعلم به؛ أي: خلقاً.
 [١٥] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ﴾.
 [١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ بِرَبِّ الْفَيْصَةِ تَبْعُونَ﴾ للحساب والجزاء.
 [١٧] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا قَوْكُمُ سَبْعَ طَرَائِقَ﴾ أي: سموات، جمع طريقة^(٥)؛ لأنها طرق الملازمة ﴿وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَلْقِ﴾ التي تحتها ﴿غَفْلِينَ﴾ أن تسقط عليهم؛ فهلكتهم، بل نمسكها؛ كناية ﴿وَنُفِيسُكَ السَّكَاةَ﴾ أن تقع على الأرض^(٦).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْثَلِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرْتُكُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلْطَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بِرَبِّ الْفَيْصَةِ تَبْعُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا قَوْكُمُ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَلْقِ غَفْلِينَ ﴿١٧﴾

سورة المؤمنون

[مكية، مائة وثماني، أو: تسع عشرة آية، نزلت بعد الأنبياء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿قَدْ﴾ للتحقيق ﴿أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿الْمُؤْمِنُونَ﴾.
 [٢] ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ متواضعون^(١).

(٥) فائدة: أخرج ابن ماجه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا له منزلان: منزل في الجنة، ومنزل في النار؛ فإذا مات فدخل الثَّار، ورث أهل الجنة منزله؛ فذلك قوله:

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الزَّوْرُونَ﴾. ابن ماجه - كتاب الزهد (٣٧) باب (٣٩) صفة الجنة. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٣٥٠٣).

(١) الخشوع في الصلاة غير التواضع؛ ومعناه: الخضوع والحروف والسكون؛ أي: باطناً وطاهراً.

(٢) بالإنفراد قراءة ابن كثير.

(٣) بالإنفراد قراءة حمزة والكسائي.

(٤) أي: «عظماً»، و«العظم»، وهي قراءة ابن عامر وشعبة.

(٥) أي لأن بعضها فوق بعض، وقيل: لأنها طرق الملازمة. فهذان تفسيران لسبب التسمية، وصنيع المؤلف يومهم أنه تفسير واحد.

(٦) الحج: ٦٥.

[١٨] ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْآرْضِ وَنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدْ رُؤِنَ ﴿١٩﴾ فَأَنشَأْنَا لَكَ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبٍ ﴿٢٠﴾ لَّكَ فِيهَا فَرْكٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ صَيْقًا وَشَنَاءً.﴾

[٢٠] ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ من طُورٍ [سِينَاءَ] جبل؛ بكسر السين وفتحها^(١)، ومع الصرف للعلمية، والثاني للبقعة [تَبْتُ] من الرباعي والثلاثي^(٢) ﴿بِالدَّهْنِ﴾ الباء زائدة على الأول ومعديّة على الثاني؛ وهي: شجرة الزيتون ﴿وَصَيْقٌ لِّلْأَكْلَيْنِ﴾ عطف على «الدَّهْنِ»؛ أي: إذا ما يصبغ اللقمة بغمسها فيه؛ وهو: الزيت.

[٢١] ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ عظة تعتبرون بها [تَشْفِيكُمْ] بفتح النون وضمها^(٣) ﴿مِمَّا فِي بُطُونِهَا﴾ اللين ﴿وَلَكُلٍّ فِيهَا مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ﴾ من الأصواف والأوبر والأشعار وغير ذلك ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٢٢] ﴿وَعَلَى الْفَلَاحِ﴾ السفن ﴿تَحْمَلُونَ﴾. [٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوُّوا عِبَادُوا اللَّهَ أَطِيعُوا اللَّهَ وَوَحْدَهُ وَمَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ﴾ وهو اسم «مَا» وما قبله الخبر، و«مِنْ» زائدة ﴿أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ تخافون عقوبته بعبادتكم غيره؟

[٢٤] ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ: لَأُبَاتِعُهُمْ: مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ﴾ يشرف ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بأن يكون مثبوعًا وأنتم أتباعه ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ لَا يَبْعِدَ غَيْرُهُ لَأَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ بذلك، لا بشرًا ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا﴾ الذي دعا إليه نوح من التوحيد ﴿فِي عَابَاتِنَا الْآلَوَيْنِ﴾ الأمم الماضية.

[٢٥] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِدْعَةٍ﴾ حالة جنون ﴿فَتَرَضَوْا بِهِ﴾ انتظروه ﴿حَتَّىٰ جِئَ﴾ إلى زمن موته.

[٢٦] ﴿قَالَ نوح: رَبِّ انصُرْنِي﴾ عليهم ﴿وَمَا كَذَّبُون﴾ بسبب تكذيبهم إياي؛ بأن تهلكهم.

[٢٧] قال - تعالى - محييا دعاءه: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَ﴾ السفينة ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ يَمْرَأَىٰ منا وحفظنا^(٤) ﴿وَوَحَيْنَا﴾ أمرنا ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا﴾ بإهلاكهم ﴿وَفَارَ الْفُتُورُ﴾ للخباز بالماء^(٥)، وكان ذلك علامة لنوح ﴿فَأَسْلَفَ فِيهَا﴾ أي: أذبل في السفينة ﴿مِنْ كُلِّ﴾ رَجُلَيْنِ ذكر وأنثى؛ أي: من كل أنواعهما ﴿أَنْثَيْنِ﴾ ذكرًا وأنثى، وهو مفعول، و«مِنْ» متعلقة بـ«أَسْلَفَ»، وفي القصة: أن الله - تعالى - حشر نوح السباع والطيور وغيرها؛ فجعل يضرب بيديه في كل نوع؛ فتقع يده اليمنى على الذكر

وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْآرْضِ وَنَا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَدْ رُؤِنَ ﴿١٩﴾ فَأَنشَأْنَا لَكَ بِهِ جَنَّتٍ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَبٍ لَّكَ فِيهَا فَرْكٌ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٠﴾ وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سِينَاءَ تَبْتُ بِالْذَّهْنِ وَصَيْقٌ لِّلْأَكْلَيْنِ ﴿٢١﴾ وَإِنْ لَّكَ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبَرَةٌ تَشْفِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُلٍّ فِيهَا مَنَافِعٌ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٢﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفَلَاحِ تَحْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَقَوُّوا عِبَادُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٤﴾ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلْنَا مَلَكًا مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِدْعَةٍ فَتَرَضَوْا بِهِ حَتَّىٰ جِئَ ﴿٢٦﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُون ﴿٢٧﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تَحْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٨﴾

واليسرى على الأُنثى؛ فيحملها في السفينة، وفي قراءة: ﴿كُلِّ﴾ بالتثنية، فـ«زَوْجَيْنِ» مفعول، و«أَنْثَيْنِ» تأكيد له ﴿وَأَهْلَكَ﴾ زوجته وأولاده ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ﴾ بالإهلاك؛ وهو: زوجته وولده كنعان^(٦)، بخلاف سام وحام ويافث؛ فحملهم وزوجاتهم ثلاثة، وفي سورة هود: ﴿وَمَنْ مَّامَرٌ وَمَا مَّامَرٌ مَّعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٧) قيل: «كانوا ستة رجال ونسأؤهم»؛ وقيل: «جميع من كان في السفينة ثمانية وسبعون؛ نصفهم رجال ونصفهم نساء» ﴿وَلَا تَحْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا، بترك إهلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾.

(١) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) أي: من أثبت وثبت، يشير بذلك إلى القراءتين، وبضم الثاء وكسر الباء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالفتح قراءة نافع وابن عامر وشعبة.

(٤) وفيها إثبات صفة العين لله سبحانه على الحقيقة، كما هو مذهب السلف الصالح، وأما الجمع فللتعظيم لا للكثرة؛ كقوله تعالى: ﴿فَتَمَّ الْقُورُونَ﴾، ﴿وَتَمَّ الْمَهْدُونَ﴾، ﴿وَبَا تَوْبِعُونَ﴾.

(٥) راجع التعليق في سورة هود آية ٤٠.

(٦) هي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالتثنية.

(٧) راجع التعليق في سورة هود آية ٤٠.

(٨) هود: ٤٠.

[٣٠] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار ﴿لَايَةً﴾ دلالات على قدرة الله - تعالى - ﴿وَإِنَّ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن ﴿كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه.

[٣١] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قَرْنًا﴾ قوما ﴿ءَاخِرِينَ﴾ هم عاد^(١).

[٣٢] ﴿فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ﴾ هودا^(٢) ﴿أَنَّهُ﴾ بأن ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ عقابه فتؤمنون.

[٣٣] ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةِ﴾ بالمصير إليها ﴿وَأَتَيْنَاهُمُ﴾ نعمناهم ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾.

[٣٤] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الله ﴿لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلِي﴾ فيه قسم وشرط، والجواب لأولهما - وهو مغني عن جواب الثاني :- ﴿إِن كُنْتُمْ إِذًا﴾ أي: إذا أطعتموه ﴿لَتَكُونُنَّ﴾ أي: مغبونون.

[٣٥] ﴿أَيُّدُكُمْ أُنْكُرُ إِذًا مِنْكُمْ وَكُنْتُمْ تَرَاكِبًا وَعَظَمْنَا أُنْكُرُ تَخْرُجُونَ﴾ هو خبر ﴿أُنْكُرُكُمْ﴾ الأولى، و﴿أُنْكُرُكُمْ﴾ الثانية تأكيد لها لما طال الفصل.

[٣٦] ﴿هِيَآتْ هِيَآتْ﴾ اسم فعل ماض بمعنى مصدر، أي: بمذ بمذ ﴿لَمَّا تُوْعِدُونَ﴾ من الإخراج من القبور، واللام زائدة للبيان.

[٣٧] ﴿إِنْ هِيَ﴾ أي: ما الحياة ﴿إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ بحياة أبنائنا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾.

[٣٨] ﴿إِنْ هُوَ﴾ ما الرسول ﴿إِلَّا رِكْلٌ يَفْتَرِي عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ﴾ مصدقين بالبعث بعد الموت.

[٣٩] ﴿قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كُذِّبْتُ﴾.

[٤٠] ﴿قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ﴾ من الزمان، و﴿مَا﴾ زائدة ﴿لَيُصِخِرَنَّ﴾ ليصيرن ﴿نَدِيمِينَ﴾ على كفرهم وتكذيبهم.

[٤١] ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ صيحة العذاب والهلاك كائنة ﴿بِالْحَقِّ﴾ فماتوا ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ عَشَاءً﴾ وهو نبت ييسر؛ أي: صيرناهم مثله في اليبس.

[٤٢] ﴿لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ المكذبين.

[٤٣] ﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قُرُونًا﴾ أقواما ﴿ءَاخِرِينَ﴾.

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أُنْزِلْنِي مُزَلًّا وَمَبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قُرْنًا ءَاخِرِينَ ﴿٤١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ءَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٤٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلِي إِنْ كُنْتُمْ إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿٤٤﴾ أَعْبُدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظْمًا أَنْكُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٤٥﴾ هِيَآتْ هِيَآتْ لَمَّا تُوْعِدُونَ ﴿٤٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٤٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي بِمَا كُذِّبْتُ ﴿٤٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصِخِرَنَّ نَدِيمَتُكَ ﴿٥٠﴾ فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ عَشَاءً فَبَعْدَ اللَّقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَيْنِهِمْ قُرُونًا ءَاخِرِينَ ﴿٥٢﴾

[٢٨] ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ﴾ اعتدلت ﴿أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ﴾ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٨﴾ الكافرين وإهلاكهم.

[٢٩] ﴿وَقُلْ﴾ عند نزولك في الفلك: ﴿رَبِّ أُنْزِلْنِي مُزَلًّا﴾ بضم الميم وفتح الزاي: مصدر، أو: اسم مكان، وفتح الميم وكسر الزاي^(١): مكان النزول ﴿مُبَارَكًا﴾ ذلك الإنزال أو المكان ﴿وَإِنَّ خَيْرَ الْمُنْزِلِينَ﴾ ما ذكر.

(١) يفتح الميم وكسر الزاي لشعبة، وقرأ الياقوت بضم الميم وفتح الزاي.

(٢) وقيل: هم ثمود قوم صالح؛ لأنهم هم الذين أهلكوا بالصيحة. واعتمده البضاوي في تفسيره. واختاره السعدي في تفسير الكريم الرحمن ص (٥٩٧) وقال: الظاهر أنهم «ثمود» قوم صالح عليه السلام.

(٣) وعلى القول الآخر: يكون الرسول صالحاً.

[٤٣] ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾ بَأْنْ تَمُوتَ قَبْلَهُ ﴿وَمَا يَسْتَحْزِرُونَ﴾ عَنْهُ، دَكَّرَ الضَّمِيرَ بَعْدَ تَأْنِيهِهِ رِغَابَةً لِمَعْنَى.

[٤٤] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ [تَوْرًا] بالثنوين وعدمه^(١)؛ متتابعين بين كل اثنين زمان طويل^(٢) ﴿كُلٌّ مَّا جَاءَ أُمَّةٌ﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو^(٣) ﴿رُسُلُنَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا﴾ فِي الْهَلَاكِ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[٤٥] ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ حُجَّةٍ بَيْنَهُ؛ وَهِيَ: الْيَدُ وَالْعَصَا وَغَيْرُهُمَا مِنَ الْآيَاتِ^(٤).

[٤٦] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ فَاسْتَكْبَرُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا، وَبِاللَّهِ وَكَابَرُوا قَوْمًا عَالِينَ قَاهِرِينَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالظُّلْمِ.

[٤٧] ﴿فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ﴾ مُطْبِعُونَ خَاضِعُونَ.

[٤٨] ﴿كَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ﴾.

[٤٩] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التَّوْرَةَ ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ قَوْمُهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿يَهْتَدُونَ﴾ بِهِ مِنَ الضَّلَالَةِ، وَأَوْتِيَهَا بَعْدَ هَلَاكِ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ جُمْلَةً وَاحِدَةً.

[٥٠] ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ مِنْهُمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ عِيسَى ﴿وَأَنَّهُ أَيْدِيٌّ﴾ لَمْ يَقُلْ آيَةً؛ لِأَنَّ الْآيَةَ فِيهِمَا وَاحِدَةٌ؛ وَلَدَنَّهُ مِنْ غَيْرِ فِعْلٍ ﴿وَمَا أَوْتَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَيْفٍ﴾ مَكَانٍ مَرْتَفِعٍ؛ وَهُوَ: بَيْتُ الْمَقْدِسِ، أَوْ دِمَشْقُ، أَوْ فِلَسْطِينَ، أَقْوَالٌ ذَاتُ قَرَارٍ أَي: مُسْتَوِيَةٌ يَسْتَقِرُّ عَلَيْهَا سَائِكُوهَا وَمَعِينٌ وَمَاءُ جَارٍ ظَاهِرٌ تَرَاهُ الْعَيُونُ.

[٥١] ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ الْحَلَالَاتِ ﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ مِنْ فِرْضٍ وَنَفْلِ ﴿إِنِّي يَمَّا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ فَأُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ.

[٥٢] ﴿وَلَا تَعْمَلُوا﴾ إِنَّ هَذِهِ أَي: مِلَّةَ الْإِسْلَامِ ﴿أُتِّمِّكُمْ﴾ دِينَكُمْ أَيُّهَا الْمُخَاطَبُونَ أَي: يَجِبُ أَنْ تَكُونُوا عَلَيْهَا ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ حَالٌ لَازِمَةٌ، وَفِي قِرَاءَةٍ بِتَخْفِيفِ النُّونِ^(٥)، وَفِي أُخْرَى: بِكُسْرِهَا مُشَدَّدَةً^(٦)؛ اسْتِثْنَاءًا ﴿وَأَنَّا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ فَاحْذَرُونَ.

[٥٣] ﴿فَقَطَّعُوا﴾ أَي: الْأَنْبِيَاءُ ﴿أَنفُسَهُمْ﴾ دِينَهُمْ ﴿بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ حَالَ مِنْ فَاعِلٍ ﴿فَقَطَّعُوا﴾ أَي: أَحْزَابًا مُتَخَالِفِينَ؛ كَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَغَيْرِهِمْ ﴿كُلٌّ حِزْبٌ يَمَّا لَدَيْهِمْ﴾ أَي: عِنْدَهُمْ مِنَ الدِّينِ ﴿فَرِحُوا﴾ مَسْرُورُونَ.

[٥٤] ﴿فَذَرَهُمْ﴾ أَتَرَكَ كُفَّارَ مَكَّةَ ﴿فِي غَرْبِهِمْ﴾ ضِلَالَتِهِمْ ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ إِلَىٰ حِينٍ مَوْتِهِمْ.

[٥٥] ﴿أَيُّحْسِبُونَ أَنَّمَا يُنذِرُهُمْ بِهِ﴾ نَعِطْبُهُمْ ﴿مِنْ مَالٍ رَبِّينَا﴾ فِي الدُّنْيَا.

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَحْزِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَجَاءً أُمَّةً رُسُلُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَتُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِيدُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٨﴾ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةٌ وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَيْفٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٤٩﴾ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥١﴾ فَاقْطَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلٌّ حِزْبٌ يَمَّا لَدَيْهِمْ فَرِحُوا ﴿٥٢﴾ فَذَرَهُمْ فِي غَرْبِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٣﴾ أَيُّحْسِبُونَ أَنَّمَا يُنذِرُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ رَبِّينَا ﴿٥٤﴾ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

[٥٦] ﴿سَائِعٌ﴾ نَعَجَلٌ ﴿لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ﴾ لَا ﴿يَلْزَمُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أَنْ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ لَهُمْ.

[٥٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ﴾ خَوْفُهُمْ مِنْهُ ﴿مُشْفِقُونَ﴾ خَائِفُونَ مِنْ عَذَابِهِ.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ﴾ الْقُرْآنَ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ يَصْدُقُونَ.

[٥٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ﴾ مَعَهُ غَيْرُهُ.

(١) بالثنوين قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وأصل «توراه» «تورتي» من «التوراة»؛ وهو: الفرد.

(٢) وقيل: متتابعين بلا مهلة.

(٣) تحقيق الهمزتين هو قراءة حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر، وتسهيل الثانية هو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) تقدم بيانها في تفسير آية الأعراف ١٣٣، ويونس ٧٥.

(٥) لابن عامر.

(٦) بكسر الهمزة وتشديد النون لعاصم وحمزة والكسائي، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الهمزة وتشديد النون.

[٦٣] ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿فِي غَرْوٍ﴾ جهالة ﴿وَبَيْنَ هَذَا﴾ القرآن ﴿وَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿هُمْ لَهَا عَمَلُونَ﴾ فيعدون عليها.

[٦٤] ﴿حَتَّى﴾ ابتدائية ﴿إِذَا أَخَذْنَا مِرْفَقَهُمْ﴾ أغنياءهم ورؤساءهم ﴿بِالْعَذَابِ﴾ أي: السيف يوم بدر^(١) ﴿إِذَا هُمْ يَجْعَلُونَ﴾ يضعجون.

[٦٥] يقال لهم: ﴿لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مِتًّا لَا تَنْصُرُونَ﴾ لا تمنعون.

[٦٦] ﴿فَكَانَتْ آيَاتِي﴾ من القرآن ﴿نُتِلَّ عَلَيْكُمْ فَنُكِّنْتُ عَلَىٰ عَقْبِكُمْ﴾ نَنكِصُونَ ﴿تَرْجِعُونَ الْقَهْقَرَى﴾.

[٦٧] ﴿مُسْتَكْبِرِينَ﴾ عن الإيمان ﴿بِهِ﴾ أي: بالبيت أو الحرم؛ بأنهم أهله في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم ﴿سَمِيرًا﴾ حال؛ أي: جماعة يتحدثون بالليل حول البيت ﴿تَهْجُرُونَ﴾ من الثلاثي؛ تتركون القرآن، ومن الرباعي^(٢)؛ أي: تقولون غير الحق في النبي والقرآن.

[٦٨] قال - تعالى -: ﴿أَفَلَمْ يَذَرُوا﴾ أصله يتدبروا؛ فأدغمت التاء في الدال ﴿الْقَوْلَ﴾ أي: القرآن الدال على صدق النبي ﴿أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمْ الْأَوَّلِينَ؟﴾

[٦٩] ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَمْ مُنْكَرُونَ؟﴾

[٧٠] ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ﴾؟ الاستفهام للترديد بالحق؛ من صدق النبي، ومجيء الرسل للأمم الماضية، ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به ﴿بَلْ﴾ للانتقال ﴿جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي: القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الإسلام ﴿وَأَكْذَرَهُمُ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ﴾.

[٧١] ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ﴾ أي: القرآن ﴿أَهْلَهُمْ﴾ بأن جاء بما يهوونه من الشريك والولد لله - تعالى الله عن ذلك - ﴿وَلَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ﴾ خرجت عن نظامها المشاهد؛ لوجود التمانع في الشيء عادة عند تعدد الحاكم ﴿بَلْ أَلَبَّيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ﴾ أي: القرآن الذي فيه ذكرهم وشرفهم ﴿فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾.

[٧٢] ﴿أَمْ قَاتَلْتَهُمْ خَرْجًا﴾ أجرا على ما جنتهم به من الإيمان ﴿فَخَرَّجَ رَبُّكَ أَجْرَهُ وَثَوَابَهُ وَرِزْقَهُ حَيْرًا﴾ وفي قراءة: ﴿خَرْجًا﴾ في الموضعين^(٣)، وفي قراءة أخرى: ﴿خَرَّجَاهُ﴾ فيهما^(٤) ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْكَرَفَيْنِ﴾ أفضل من أعطى وأجر.

[٧٣] ﴿وَلَيْكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ طَرِيقٍ﴾ ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ بالبعث والثواب والعقاب ﴿عَنِ الصِّرَاطِ﴾ أي: الطريق ﴿لَنُكَبِّرُنَّ﴾ عادلون.

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتًا وَفُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٣﴾
أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَزَنِ وَهُمْ لَهَا سَافِقُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا مَكْتُبٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٦٥﴾
بَلْ فُلُوبُهُمْ فِي غَمَرٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَمَلُونَ ﴿٦٦﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْعَرُونَ ﴿٦٧﴾ لَا تَجْعَلُوا الْيَوْمَ لَكُمْ مِتًّا لَا تَنْصُرُونَ ﴿٦٨﴾ فَكَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُ عَلَىٰ عَقْبِكُمْ تَنْكَسِرُونَ ﴿٦٩﴾
مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَمِيرًا تَهْجُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَلَمْ يَذَرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٧٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرَ لَهُمُ الْحَقُّ كَرِهُونَ ﴿٧٣﴾ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٤﴾ أَمْ لَسَّاهُمْ خَرْجًا فَخَرَّجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّارِفِينَ ﴿٧٥﴾ وَلَيْكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾
وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَبِّرُنَّ ﴿٧٧﴾

[٦٠] ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ﴾ يعطون ﴿مَاءً آتًا﴾ أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة^(١) ﴿وَفُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ خائفة أن لا تقبل منهم ﴿أَنَّهُمْ﴾ يقدر قبلة: لام الجر^(٢) ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾.

[٦١] ﴿أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْحَزَنِ وَهُمْ لَهَا سَافِقُونَ﴾ في علم الله.

[٦٢] ﴿وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ طاقتها؛ فمن لم يستطع أن يصلي قائمًا فليصل جالسًا، ومن لم يستطع أن يصوم فلياكل ﴿وَلَدَيْنَا مَكْتُبٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ بما عملته؛ وهو: اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال ﴿وَهُمْ﴾ أي: النفوس العاملة ﴿لَا يَفْعَلُونَ﴾ شيئًا منها؛ فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات، ولا يزداد في السيئات.

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٥٩/٦)، والترمذي في سننه (٣١٧٥)، وابن ماجه (٤١٩٨) عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتًا وَفُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ قالت عائشة: هم الذين يشربون الحمر ويسرقون؟ قال: «لا، يا بنت الصديق، ولكنهم الذين يصومون ويصدقون، وهم الذين يخافون أن لا يتقبل منهم»، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٣٨٤).

(٢) أي: «لأنهم»؛ فيكون تمليلًا لقوله: ﴿رَبِّهِمْ﴾.

(٣) هذا قول ابن عباس وجماة. وقيل: اراد بالعباد: عذاب الآخرة.

(٤) يشير إلى الفراعين، فيضم التاء وكسر الحيم قراءة نافع. جعله من الهجر، وهو الهديان وما لا خير فيه من الكلام.

(٥) أي: «خَرْجًا فَخَرَّجَ» وهي قراءة ابن عامر.

(٦) أي: «خَرَّجَاهُ فَخَرَّجَ» وهي لحمة والكسائي.

بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالشَّهَادَةُ فَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي بِمَا نَعُدُّونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيدَ مَا نَعُدُّهُمْ لَقَدِيرُونَ ﴿٩٥﴾ أَذْغَىٰ بِالْتِّي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾

[٩٠] ﴿بَلْ أَتَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في نفيه، وهو: [٩١] ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ﴾ أي: لو كان معه إله ﴿إِذَا أَذْهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ انفرده به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يُصِفُونَ﴾ به مما ذكر. [٩٢] ﴿عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالشَّهَادَةُ﴾ ما غاب وما شوه؛ بالجر: صفة،

والرفع: خبر «هو» مقدرا^(١) ﴿فَعَلَىٰ﴾ تعظم ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ له معه. [٩٣] ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي بِمَا نَعُدُّونَ﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ﴾ له من العذاب، هو صادق بالقتل بيد. [٩٤] ﴿رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ فأهلك يا هلاكهم. [٩٥] ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيدَ مَا نَعُدُّهُمْ لَقَدِيرُونَ﴾. [٩٦] ﴿أَذْغَىٰ بِالْتِّي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ﴾ أي: الخصلة من الصفح والإعراض عنهم ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ أذهم إليك، وهذا قبل الأمر بالقتال ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ﴾ يكذبون ويقولون، فنجازيهم عليه. [٩٧] ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ﴾ نزعاهم بما يوسوسون به. [٩٨] ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ في أموري؛ لأنهم إنما يحضرون بسوء.

[٩٩] ﴿حَتَّىٰ﴾ ابتدائية ﴿إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ ورأى مقعده من النار، ومقعده من الجنة لو آمن ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ الجمع للتعظيم. [١٠٠] ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾ بأن أشهد أن لا إله إلا الله، يكون ﴿فِيمَا تَرَكْتُ﴾ ضيعت من عمري، أي: في مقابلته، قال - تعالى -: ﴿كَلَّا﴾ أي: لا رجوع ﴿إِنِّهَا﴾ أي: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ﴾ ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾ ولا فائدة له فيها ﴿وَمِنْ وَرَائِهِم بَرْزَخٌ﴾ أمامهم ﴿بَرْزَخٌ﴾ حاجر يصددهم عن الرجوع ﴿إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ ولا رجوع بعده.

[١٠١] ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ القرن النفخة الأولى أو الثانية ﴿فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يتفاحرون بها ﴿وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ عنها، خلاف حالهم في الدنيا - لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة، وفي بعضها يفيقون -، وفي آية: ﴿فَأَقِلْ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٢). [١٠٢] ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالחסنات ﴿فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[١٠٣] ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بالسيئات ﴿فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ فهم ﴿فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾. [١٠٤] ﴿تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ تحرقها ﴿وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ﴾ شَمَرَتْ شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم.

(١) بالرفع قراءة حمزة والكسائي وماغ وشعبة.

(٢) الصافات: ٥٠.

[١٠٥] ويقال لهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي﴾ من القرآن ﴿تُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾ تُخَوَّلُونَ بِهَا ﴿فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾؟

[١٠٦] ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾ وفي قراءة: ﴿شَقَاوَتُنَا﴾^(١) بفتح أوله وألف، وهما مصدران بمعنى ﴿وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ عن الهداية.

[١٠٧] ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا﴾ إلى المخالفة ﴿فَلَنَا ظِلْمٌ﴾.

[١٠٨] ﴿قَالَ﴾ لهم بلسان مالك^(٢) - بعد قذر الدنيا مؤثِّر^(٣) - : ﴿أَخَشُّوا فِيهَا﴾ ابعُدوا في النار أذلاء ﴿وَلَا تُكَلِّمُون﴾ في رفع العذاب عنكم؛ لينقطع رجائهم.

[١٠٩] ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي﴾ هم: المهاجرون ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾.

[١١٠] ﴿فَاتَّخَذْتُمُ﴾ [سُخْرِيًّا] بضم السين وكسرها^(٤)؛ مصدر بمعنى: الهزاء؛ منهم: بلال وصهيب وعمار وسلمان ﴿حَتَّىٰ أَسْأَلَكُمْ ذِكْرِي﴾ فترحموه؛ لاشتغالكم بالاستهزاء بهم، فهم سبب الإنساء؛ فنُسِبَ إليهم ﴿وَكُنْتُمْ بِمَنِّكُمْ تَضْحَكُونَ﴾.

[١١١] ﴿إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ﴾ النعيم المقيم ﴿بِمَا صَبَّوْا﴾ على استهزائكم بهم وأذاكم بإيهم [إِنَّهُمْ]^(٥) بكسر الهمزة ﴿هُوَ الْقَارُونَ﴾ مَطْلُوبُهُمْ: استئناف، ويفتحها: مفعول ثانٍ لـ ﴿جَزَيْتُهُمْ﴾.

[١١٢] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم بلسان مالك، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾^(٦) ﴿كَمْ لَيْسَتْ فِي الْأَرْضِ﴾ في الدنيا وفي قبوركم ﴿عَدَدُ سِينِينَ﴾ تميز؟.

[١١٣] ﴿قَالُوا لَيْسَ يَوْمًا أَوْ بَعْضُ يَوْمٍ﴾ شكوا في ذلك واستقصروه؛ لعظم ما هم فيه من العذاب ﴿فَسَتَلَى الْعَذَابِينَ﴾ أي: الملائكة المحصنين أعمال الخلق.

[١١٤] ﴿قَالَ﴾ - تعالى - بلسان مالك^(٧)، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾^(٨) ﴿إِنْ﴾ أي: ما ﴿لَيْسَتْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ مقدار لبثكم من الطول كان قليلاً بالنسبة إلى لبثكم في النار.

[١١٥] ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ لا لحكمة ﴿وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول^(٩) لا، بل لِنَتَّعِدَّكُمْ بالأمر والنهي وترجعوا إلينا وبخاري على ذلك ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(١٠).

[١١٦] ﴿فَعَلَى اللَّهِ﴾ عن العبث وغيره مما لا يليق به ﴿الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ الكرسي^(١١)؛ هو: السرير الحسن.

(١) حمزة والكسائي.

(٢) قال ابن كثير: هذا جواب من الله - تعالى - للكفار إذا سألوا الخروج من النار والرجعة إلى هذه الدار. ونقل عن ابن عباس: هذا قول الرحمن حين انقطع كلامهم منه. فحُذِلَ القول على أنه بلسان مالك تأويل خلاف الظاهر لا دليل عليه.

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١٤٠٤٧) عن عبد الله بن عمرو، والحاكم وصححه، وأخرجه ابن أبي شيبة عنه في مصنفه أيضاً رقم (٣٤١٢٢)، وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه ممن اشتهر بالقل عن أهل الكتاب.

(٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي ونافع.

(٥) بالكسر قراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٦) لحمزة والكسائي وابن كثير.

(٧) وهذا التفسير خلاف ظاهر القرآن، ولا حاسم عليه إلا نفي القول عن الله تعالى.

(٨) لحمزة والكسائي.

(٩) بالبناء للفاعل لقراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالبناء للمفعول.

(١٠) الذاريات: ٥٦.

(١١) سبق بيان أن العرش غير الكرسي.

سُورَةُ التَّوْبَةِ

[١١٧] ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ﴾ صفة كاشفة لا

مفهوم لها ﴿فَلَنَمَّا جَسَبْنَاهُ﴾ جزأوه ﴿عِنْدَ رَبِّهِ﴾ إِيَّاهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ لا يسعدون.

[١١٨] ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ﴾ المؤمنين، في الرحمة زيادة عن المغفرة ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾ أَفْضَلُ رَاحِمٍ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُورَةُ النُّورِ وَقُرْصَتُهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ فُرُوجًا يُؤْتَيْنَا بِأَرْبَعَةٍ شَهَادَةٍ فَاجْلِدُوهُنَّ مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدُوا أَحْدَهُمْ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ شَهِدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٧﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿٩﴾

سُورَةُ النُّورِ

[مدينة، وهي: اثنتان، أو: أربع وستون آية، نزلت بعد الحشر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] هذه ﴿سُورَةُ النُّورِ وَقُرْصَتُهَا﴾ مخففة ومشددة^(١)؛ بكثرة المفروض فيها ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ واضحات الدلالات ﴿لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ﴾ بإدغام التاء الثانية في الذال؛ تعظون.

[٢] ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ أي: غير المحصنين؛ لرجعهما بالشئ، «وَأَل» فيما ذكر موصولة، وهو مبتدأ، ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره؛ وهو: ﴿فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ ضربة، يقال: جلدته، ضربت جلدة، ويزاد على ذلك بالشئ تعريب عام^(٢)، والرفيق على الصف مما ذكر^(٣) ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: حكمه بأن تركوا شيئاً من حددهما ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ أي: يوم البعث، في هذا تحريض على ما قبل الشرط، وهو جوابه أو دال على جوابه ﴿وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا﴾ الجلد ﴿طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: «ثلاثة»، وقيل: «أربعة»، عدد شهد الزنا.

[٣] ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾ أي: المناسب لكل منهما ما ذكر ﴿وَحُرِّمَ ذَلِكَ﴾ أي: نكاح الزواني ﴿عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ الأخيار، نزل ذلك لما هم فراق المهاجرين أن يتزوجوا بغايا المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم^(٤)؛ فقيل: التحريم خاص بهم، وقيل: عام ونسخ بقوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ﴾^(٥).

[٤] ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعِفَاتِ بِالزَّانَا﴾ أي: لم يأتوا بأربعة شهادات على زناهن برويتهن ﴿فَاجْلِدُوهُنَّ﴾ كل واحد منهم ﴿مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً فِي شَيْءٍ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ لإثباتهم كبيرة. [٥] ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾ عملهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ قذفهم ﴿رَّحِيمٌ﴾ بهم بإلهام النبوة، فيها ينتهي فشققتهم وتقبل شهادتهم، وقيل: «لا تقبل»؛ رجوعاً بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة^(٦).

[٦] ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ بِالزَّانَا﴾ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَهَادَةٌ عَلَيْهِ ﴿إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ وقع ذلك لجماعة من الصحابة ﴿فَشَهِدُوا أَحْدَهُمْ﴾ مبتدأ ﴿أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ﴾ نصب على المصدر^(٧) ﴿وَلَوْلَا إِيمَانُ بَيْنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيما رمى به زوجته من الزنا. [٧] ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعَنَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَذِبِينَ﴾ في ذلك، وخبر المبتدأ: تدفع عنه حد القذف^(٨).

[٨] ﴿وَيَذَرُوا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ أي: يدفع ﴿عَنْهَا الْعَذَابَ﴾ حد الزنا الذي ثبت بشهادته ﴿أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِمَّا لِمَنِ الْكَذِبِينَ﴾ فيما رماها به من الزنا. [٩] ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في ذلك^(٩). [١٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ بالسفر في ذلك ﴿وَأَنَّ اللَّهَ

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٣): أخرج أبو داود عن عبدالله بن عمرو بن العاص أن مؤثد بن أبي مرثد الغنوي كان يحسن الأسارى بمكة، وكان يبعث بها فقال لها عناق، وكانت صديقتها، قال: فجئت إلى النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله، أتكنح عناق؟ قال: فسكت عني، فنزلت: ﴿وَالزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ وقال: «لا تكسها». أبو داود. كتاب النكاح (٢٦) باب (١٢) تزويج الزانية. (حسن صحيح) صحيح سنن أبي داود (١٨٠٦).

(هـ) ما جاء في نزول الآيات (٦ - ٩): أخرج البخاري عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حد في ظهره»، فقال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلاً انطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة أو حد في ظهره». فقال هلال: والذي بعثك بالحق إني لصديق، فليزنا الله ما يرى ظهري من الحد. فنزل

(١) بتشديد الراء قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (٢) روى البخاري (٢٦٦١) واللفظ له، ومسلم (٢٧٧٠) عن زيد بن خالد عن رسول الله ﷺ أنه أمر فيمن زنى ولم يحصن بجلد مائة وتعريب عام. (٣) قوله تعالى: ﴿فَعَلَّيْنِ يَصِفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الذُّلَامِ﴾ [النساء: ٢٥].

وأخرج مالك عن يحيى بن سعيد أن سليمان بن يسار أخبره أن عبد الله بن عباس بن أبي ربيعة المخزومي قال: أمرني عمر بن الخطاب في فية من قریش فجلدنا ولاند من ولاند الإمارة حسين بن الزنا. الموطأ (١٣٠٣). وفي مسند أحمد عن علي قال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى أمه له سوداء زنت لأجلها. قال: فوجدتها في دمها فأثبت رسول الله ﷺ فأخبرته بذلك فقال لي: «إذا تعالت من نفسك فاجلدها خمسين». [المسند (١٠٨٦)]، وصححه مجموع طرفة الأرنؤاوط في تخريجه على المسند (٣٥٥/٢). وضعف الشيخ أحمد شاكر إسناده في تخريجه على المسند (١٤٢٢).

(٤) أخرج نحوه عن أبي حاتم عن مقاتل. [الدر المنثور (٣٨/٥)].

(هـ) النور: ٣٢. والصحيح أنها عامة، وأنها محكمة، وتفسيرها كما رجحه بعض المفسرين: أن غالب الرناة منهم لا يرغب إلا في الزواج بزانية مثله، وغالب الزواني لا ترغب الواحدة منهم إلا في الزواج بران مثلاً، والمقصود زجر المؤمنين عن نكاح الزواني بعد زجرهم عن الزنا، وعن ابن عباس قال: انتكاح في هذه الآية يعني الوطء لا الزواج، وأن الآية في تحريم الزنى. واختاره الطبري.

(٦) وهو مذهب أبي حنيفة، والقول الأول - وهو أن الاستثناء إذا تعقت جملاً معطوفة عاد إلى جميعها - مذهب الجمهور؛ وهو الراجح.

(٧) أي: المفعول المطلق، وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالرغم؛ خير المبتدأ. (٨) أي: محذوف تقديره ما ذكر.

تَوَلَّى بِقِيُولِهِ التَّوْبَةَ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيمَا حَكَمَ بِهِ فِي ذَلِكَ وَغَيْرِهِ لَيُّتَنَ الْحَقَّ فِي ذَلِكَ وَعَاجِلَ بِالْعُقُوبَةِ مَا يَسْتَحِقُّهَا.

[١١] ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ﴾ أَسْوَأُ الْكُذْبِ عَلَى عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ بِقُدْرَتِهَا ﴿عَصْبَةُ مُحَمَّدٍ﴾ جَمَاعَةُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَتْ (١): «حَسَنَ بْنَ ثَابِتٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ، وَمُسَطِّحٌ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ» (٢) ﴿لَا تَحْسَبُوهُ﴾ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ غَيْرَ الْعَصْبَةِ ﴿شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ بِأَجْرِكُمُ اللَّهُ بِهِ، وَيُظْهِرُ بَرَاءَةَ عَائِشَةَ وَمَنْ جَاءَ مَعَهَا مِنْهُ؛ وَهُوَ: صَفْوَانٌ، فَإِنَّمَا قَالَتْ: «كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غُرُوفَةٍ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَفَرَّغَ مِنْهَا وَرَجَعَ، وَدَنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، وَأَذِنَ بِالرَّحِيلِ لَيْلَةً فَمَشَيْتُ وَقَضَيْتُ شَأْنِي وَأَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحِيلِ إِذَا عَقْدِي انْقَطَعَ - هُوَ بِكسرِ الْمِهْمَلَةِ: الْفَلَادَةُ - فَرَجَعْتُ أُنْمِسُهُ، وَحَمَلُوا هُوْدُجِي - هُوَ مَا يَرْكَبُ فِيهِ - عَلَى بَعِيرِي بِحُسْبُونِي فِيهِ، وَكَانَتِ النِّسَاءُ خُفَافًا يَمْنَى بِأَكْلَنِ الْغُلْفَةِ - هُوَ بَضْمُ الْمِهْمَلَةِ وَسُكُونُ اللَّامِ - مِنَ الطَّعَامِ - أَيِ: الْقَلِيلِ -، وَوَجَدْتُ عَقْدِي وَجِئْتُ بَعْدَمَا سَارُوا؛ فَجَلَسْتُ فِي الْمَنْزِلِ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَغَلَبَتْنِي عَيْنَايَ فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانٌ قَدْ عَزَسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَأَدْلَجَ - هُمَا بِتَشْدِيدِ الرَّاءِ وَالْدَالِ؛ أَيِ: نَزَلَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ لِلْإِسْتِرَاحَةِ - فَسَارَ مِنْهُ فَأَصْبَحَ فِي مَنْزِلِهِ فَرَأَى سُودًا إِنْسَانٍ نَائِمًا - أَيِ: شَخْصًا -؛ فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَانِي وَكَانَ يَرَانِي قَبْلَ الْحِجَابِ؛ فَاسْتَقِظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي - أَيِ قَوْلِهِ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ؛ فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي؛ أَيِ غَطَيْتُهُ بِالْمَلَاعَةِ، وَاللَّهُ مَا كَلَّمْتَنِي بِكَلِمَةٍ، وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ حِينَ أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، وَوَطِئَ عَلَى يَدَيَا فَرَكَبَتَهَا، فَانْطَلَقَ بِقُدُورِي الرَّاحِلَةِ حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ بَعْدَمَا نَزَلُوا مَوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظُّهْرَةِ - أَيِ مِنْ أَوْغَرٍ؛ وَاقْعَيْنَ (٣) فِي مَكَانٍ وَغَرَّ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ - فَهَلَكَ مِنْ هَلَكٍ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كَثِيرَةً مِنْهُمْ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ ابْنُ سُلُوفٍ أَهْدَى قَوْلُهُ [رواه الشيخان] (٤). قَالَ - تَعَالَى -: ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ﴾ أَيِ: عَلَيْهِ ﴿مَّا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ فِي ذَلِكَ ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ﴾ أَيِ: تَحْمِلُ مُغْطَمَتَهُ قَبْدًا بِالْخَوْضِ فِيهِ وَأَشَاعَهُ؛ وَهُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِيٍّ ﴿لَمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ هُوَ النَّارُ فِي الْآخِرَةِ. [١٢] ﴿وَلَوْلَا هَلَاءُ﴾ إِذْ: حِينَ ﴿سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنْفُسَهُمْ﴾ أَيِ: ظَنَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ﴿خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ كَذِبٌ يَبْرُقُ، فِيهِ تَفَاتُحٌ عَنِ الْخَطَابِ؛ أَيِ: ظَنَنْتُمْ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ، وَقَلْتُمْ: [١٣] ﴿وَلَوْلَا هَلَاءُ﴾ إِذْ: حِينَ ﴿جَاءُوا﴾ أَيِ: الْعَصْبَةُ عَلَيْهِ يَارَبْعَةَ شَهَادَةٍ شَاهَدُوهُ ﴿فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالْبَشْهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَيِ: فِي حُكْمِهِ ﴿هُمْ الْكَذِبُونَ﴾ فِيهِ. [١٤] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَكْتُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ؛ أَيِ خُضْتُمْ ﴿فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ فِي الْآخِرَةِ. [١٥] ﴿إِذْ نَفَقْتُمْ بِالْأَيْسَنِ﴾ أَيِ: بِرُيُوسِ بَعْضِكُمْ عَنْ بَعْضٍ، وَحَذَفَ مِنَ الْفِعْلِ إِحْدَى النَّاعَيْنِ، وَ﴿إِذْ﴾ مَنْصُوبٌ بِ﴿مَسَكْتُمْ﴾ أَوْ بِ﴿أَفَضْتُمْ﴾ وَتَقُولُونَ بِأَوَافِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا لَا إِثْمَ فِيهِ ﴿وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ فِي الْإِثْمِ. [١٦] ﴿وَلَوْلَا هَلَاءُ﴾ إِذْ:

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ أَنْفُسَهُمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴿١٢﴾ وَلَوْلَا جَاءَ عَلَيْهِ يَارَبْعَةَ شَهَادَةٍ فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالْبَشْهَادَةِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَكْتُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَكْذِبَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيَسِّرَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٩﴾ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾

حِينَ ﴿سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ﴾ مَا يَنْبَغِي ﴿لَنَا أَنْ نَكْذِبَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ﴾ هُوَ لِلتَّعَجُّبِ هُنَا ﴿هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ﴾ كَذِبٌ ﴿عَظِيمٌ﴾.

[١٧] ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ﴾ بِهَا كَمْ ﴿أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ تَعْتَظُونَ بِذَلِكَ.

[١٨] ﴿وَيَسِّرَ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾ فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بِمَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ ﴿حَكِيمٌ﴾ فِيهِ.

[١٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ﴾ بِاللِّسَانِ ﴿فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِنِسْبَتِهَا إِلَيْهِمْ؛ وَهِيَ: الْعَصْبَةُ ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ فِي الدُّنْيَا بِحَدِّ الْقَذْفِ ﴿وَالْآخِرَةِ﴾ بِالنَّارِ لِحَقِّ اللَّهِ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ انْتِفَاعَهَا عَنْهُمْ ﴿وَأَنْتُمْ﴾ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الْإِفْكِ ﴿لَا تَعْلَمُونَ﴾ وَجُودَهَا فِيهِمْ.

[٢٠] ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أَيُّهَا الْعَصْبَةُ ﴿وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ بِكُمْ؛ لَعَاجَلَكُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

= جَبْرِي، وَأُنْزِلَ عَلَيْهِ: ﴿وَالَّذِينَ يُزَيِّفُونَ الْأَوْفَاتِ﴾ فَعَرَأَ حَتَّى بَلَغَ: ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾، فَاصْرَفَ النَّبِيُّ ﷺ فَارَسَ إِلَيْهَا، فَنَجَّاهُ هَلَالُ فَشْهَدَ، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ أَنَّ أَحَدَكُمَا كَذَبَ فَمِنْ مَنكُمَا تَائِبٌ» ثُمَّ قَامَتْ فَشْهَدَتْ، فَلَمَّا كَانَ عِنْدَ الْخَامِسَةِ وَقَفَهَا وَقَالُوا: إِنَّمَا مَوْجِبَةٌ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَتَكَادَتْ وَنَكَسَتْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهَا تَرْجِعُ، ثُمَّ قَالَتْ: لَا أَضْهَجُ قَوْمِي سَائِرَ الْيَوْمِ فَمَضَتْ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَبْصِرُوا هَا» فَإِنْ جَاءَتْ بِهَ أَكْمَلَ الْعَيْنَيْنِ سَابِغَ الْإِثْمَيْنِ، فَخَذَّلَ السَّافِينَ فَهَرَّ لَشْرِيكَ بْنِ مَحْمَدٍ، فَجَعَلَتْ بِهِ كَذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَلَوْلَا مَا مَضَى مِنْ كِتَابِ اللَّهِ لَكَانَ لِي وَلِهَا شَأْنٌ». الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ التَّفْسِيرِ (٦٥) سُورَةُ النُّورِ (٢٤) بَابُ (٣).

(١) أَبِي: عَائِشَةُ ﷺ.

(٢) أَخْرَجَ نَحْوَهُ الْبُخَارِيُّ (٢٦٦١)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٧٠).

(٣) وَفِي نَسْخَةٍ: وَاقْعَيْنِ.

(٤) لَمْ يَرَوْهُ الشَّيْخَانُ بِهَذَا اللَّفْظِ، لَكِنَّ الْقِصَّةَ مَوْجُودَةً فِي الْبُخَارِيِّ (٢٦٦١)، وَمُسْلِمٌ (٢٧٧٠).

من هذا الذنب بالتوبة منه ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي﴾ يطهر ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ من الذنب؛ بقبول توبته منه ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ﴾ بما قلتم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بما فصدتم. [٢٢] ﴿وَلَا يَأْتَلِ﴾ يحلف ﴿أُولُو الْفَضْلِ﴾ أصحاب الغني ﴿مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ أن لا ﴿يُقْتُولُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ نزلت في أبي بكر؛ خيف أن لا ينفق على مسطح. وهو ابن خالته، مسكين مهاجر بدرى. لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه، وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من تكلم بشيء من الإفك ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ عنهم في ذلك ﴿أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمؤمنين، قال أبو بكر: «بلى، أنا أحب أن يغفر الله لي»، ورجع إلى مسطح ما كان ينفقه عليه^(١).

[٢٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُزَكُّونَ﴾ بالزنا ﴿الْمُحْصَنَاتِ﴾ العفاف ﴿الْفَوَاحِشَ﴾ عن الفواحش؛ بأن لا يقع في قلوبهن فعلها ﴿الْمُؤْمِنَاتِ﴾ بالله ورسوله ﴿لِيُؤْتُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٢٤] ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه الاستقرار، الذي تعلق به: (لهم) ﴿تَشْهَدُ﴾ بالفوقانية والتحانية^(٢) ﴿عَلَيْهِمُ الْيَتَامَى وَالْيَتَامَى وَالْيَتَامَى﴾ بما كانوا يمسكون من قول وفعل؛ وهو: يوم القيامة. [٢٥] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ يُوسُفُ اللَّهُ دِيْنَهُمُ الْحَقَّ﴾ يجازيهم جزاءه الواجب عليهم ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشكرون فيه؛ ومنهم: عبدالله بن أبي، والمحصنات هنا أزواج النبي ﷺ لم يذكر في قذفهن توبة، ومن ذكر في قذفهن أول السورة التوبة غيرهن.

[٢٦] ﴿الْخَبِيثَاتِ﴾ من النساء، ومن الكلمات ﴿الْخَبِيثَاتِ﴾ من الناس ﴿وَالْخَبِيثَاتِ﴾ من الناس ﴿الْخَبِيثَاتِ﴾ مما ذكر ﴿وَالْخَبِيثَاتِ﴾ مما ذكر؛ أي: ﴿اللطيفين﴾ من الناس ﴿وَاللطيفين﴾ منهم ﴿اللطيفين﴾ مثل: الطيبون والطييات من النساء؛ ومنهم: عائشة، وصفوان، مبررة ومما يقولون: أي: الخبيثون والخبيثات من الرجال والنساء فيهم ﴿لَهُمْ﴾ للطيبين والطييات ﴿مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ في الجنة، وقد افتخرت عائشة بأشياء منها: أنها خلقت طيبة، ووعدت مغفرة ورزقا كريما^(٣).

[٢٧] ﴿كَتَابَهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا﴾ أي: تستأذنوا ﴿وَسَلِّمُوا﴾ على أهلها، فيقول الواحد: «السلام عليكم، أَدْخُلْ؟» كما ورد^(٤) في حديث^(٥) ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ من الدخول بغير استئذان

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنِ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يقتولوا أولى القربى والمسكين والمهجرين في سبيل الله وليعفووا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ يوم تشهد عليهم السيئات وتيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴿يَوْمَ يُذَوِّبُهُمُ اللَّهُ دِيْنَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ الخبيثات للخبيثين والخبيثون للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات ﴿أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ كتابها الذين آمنوا ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾

[٢٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ﴾ أي: طريقه ﴿وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوتَ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ أي: القبيح ﴿وَالْمُنْكَرِ﴾ شرعا باتباعها ﴿وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ﴾ أي: أباها العصبية بما قلتم من الإفك ﴿مَنْ أَحْبَبَ إِلَهُكَ﴾ أي: ما صلح وطهر

وأخرج أيضا عن سهل بن سعد أن عويمرا أتى عاصم بن عدي - وكان سيد بني عجلان - فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلا؟ أيقته فتقولون؟ أم كيف يصنع؟ سألني رسول الله ﷺ عن ذلك. فأني عاصم النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، فكره رسول الله ﷺ المسائل، فسأله عويمر فقال: إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها، قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك. فجاء عويمر فقال يا رسول الله، رجل وجد مع امرأته رجلا أيقته فتقولون أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: «قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك». فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعة بما سمي الله في كتابه، ففلاعتا. البخاري - التفسير (الساكن) باب (١).

قال الحافظ ابن حجر: «وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع: فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال، وصادف مجيء عويمر أيضا فنزلت في شأنهما معا في وقت واحد، وقد جرح النووي إلى هذا... ولا مانع أن تعدد القصص ويحد النزول... ويحتمل أن النزول سبق بسبب هلال، فلما جاء عويمر - ولم يكن علم بما وقع لهلال - أعلمه النبي ﷺ بالحكم... وجرح القرطبي إلى تجوير نزول الآية مرتين. [الفتح (٨/ ٣٠٤، ٣٠٥)].»

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٢٢): أخرج البخاري عن عائشة قالت: «... فلما أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق ﷺ: وكان ينفق على مسطح بن أثانة لقرباه منه وقهره؛ والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال؛ فأقول: الله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ﴾ أن يقتولوا أولى القربى والمسكين والمهجرين في سبيل الله وليعفووا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم». قال أبو بكر: بلى. والله - إنني أحب أن يغفر الله لي؛ فرجع إلى النفقة التي كان ينفق عليه وقال: والله لا أنزعها منه أبدا. البحري - كتاب التفسير (٦٥) سورة النور (٢٥) باب (٦).

(و) ما جاء في نزول الآيات (٢٣ - ٢٦): أخرج أحمد عن عائشة قالت: رمت بما رمت به وأنا غافلة فبلغني بعد ذلك رضح من ذلك، فبينما رسول الله ﷺ عندي، إذ أوحى إليه، وكان إذا أوحى إليه يأخذه شبه السبات، فبينما هو جالس عندي إذ أنزل عليه الوحي، فرفع رأسه وهو مسح عينيه، فقال: أبشري يا عائشة، قلت: بحمد الله لا بحمدك، فقرا: ﴿الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَهْلَهُمْ﴾ حتى بلغ ﴿مُزَكَّاتٍ وَمِمَّا يُغْتَابُونَ﴾. أحمد - المسند (١٠٣/٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٨).

(١) بالتحانية حمزة والكسائي. (٢) أشار بذلك إلى أن السلام مقدم على الاستئذان، وهو قول الأكر. ومنهم من فسل؛ فإن وقع بصره على أحد في البيت فسلم السلام ولا تقدم الاستئذان ثم يسلم. (٣) أخرج أبو داود عن رجل من بني عامر أنه استأذن على النبي ﷺ وهو في بيت فقال: أأج؟ فقال النبي ﷺ لحادمه: «خرج إلى هذا فعلمه الاستئذان قل له: قل: السلام عليكم أَدْخُلْ»، فسمعه الرجل فقال: السلام عليكم أَدْخُلْ؟ فأذن له النبي ﷺ فدخل. أبو داود (٤٥٠٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٨١٩).

أَذِنَهَا فَأَنْتَ حَقٌّ يَقُولُ: «قِيلَتْ» ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ﴾ أمر للسادة ﴿مِن مَّالِ اللَّهِ﴾ الَّذِينَ مَأْنَتَكُمْ ﴿مَا يَسْتَعِينُونَ بِهِ فِي آدَاءِ مَا التَّزَمُوهُ لَكُمْ﴾ وفي معنى الإتياء حط شيء مما التزموه ﴿وَلَا تُكْرَهُوا قِيَّتَكُمْ﴾ إماءكم ﴿عَلَى الْيَقْدِ﴾ الزنا ﴿إِنْ أَرَدَنْتُمْ خَصَصَا﴾ تعفوا عنه، وهذه الإرادة محل الإكراه؛ فلا مفهوم للشرط (١) ﴿لِيَتَنَبَّأُوا﴾ بالإكراه ﴿عَنِ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا﴾ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللَّهِ مِنْ أَنِّي كَانَ يُكْرِهُ جَوَارِيهِ عَلَى الْكَسْبِ بِالزَّانَا ﴿وَمَنْ يُكْرِهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ عَفُورٌ﴾ لَهُنَّ ﴿رَجِيمٌ﴾ بِهِنَّ (٢).

[٣٤] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ مَائِتَ مِثْقَلَتٍ﴾ بفتح الباء وكسرها (٣) فِي هَذِهِ السُّورَةِ، يَتَنَبَّأُ فِيهَا مَا ذَكَرَ، أَوْ بَيَّنَّ (٤) ﴿وَمَثَلًا﴾ خَيْرًا عَجِيبًا؛ وَهُوَ: خَيْرِ عَائِشَةَ ﴿مِنَ الَّذِينَ خَلَقُوا مِنْ قَبْلِكَ﴾ أَي: مِنْ جِنْسِ أَهْلِهَا؛ أَي: أَخْبَارَهُمُ الْعَجِيبَةَ؛ كَخَيْرِ يُوسُفَ وَمَرْيَمَ ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى -: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ (٥).

﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (٦) الْخُ ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ﴾ (٧) الْخُ ﴿يُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ أَنْ تُعْرَدُوا﴾ (٨) الْخُ، وَتَخْصِيصُهَا بِالْمُتَّقِينَ؛ لِأَنَّهُمُ الْمُتَعَفُّونَ بِهَا.

[٣٥] ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَي: مُنَوَّرُهُمَا بِالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ﴿مِثْلُ نُورِهِ﴾ أَي: صِفَتُهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ ﴿كَاشِفُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ أَلْضَاحٌ فِي رُجَائِكُمْ﴾ هِيَ الْقَنْدِيلُ، وَالْمِصْبَاحُ: السَّرَاجُ؛ أَي: الْفَتِيلَةُ الْمَوْقُودَةُ، وَالْمِشْكَاةُ: الطَّاقَةُ غَيْرِ النَّافِذَةِ؛ أَي: الْأُيُوبَةُ فِي الْقَنْدِيلِ ﴿أَلْزَجَاجَةُ كَأَنَّهَا﴾ وَالنُّورُ فِيهَا ﴿كَوَكَبٌ [دُرِّيَّةٌ]﴾ أَي: مُضِيءٌ، بِكَسْرِ الدَّالِ وَضَمِّهَا (٩) مِنْ الدَّرَةِ؛ بِمَعْنَى: الدَّفْعِ؛ لِدَفْعِهَا الظُّلَامَ، وَبِضْمِهَا وَتَشْدِيدِ الْبَاءِ (١٠) مُنْسُوبٌ إِلَى الدُّرِّ: اللَّوْلُؤِ ﴿تَوْقَدُ﴾ الْمِصْبَاحُ، بِالْمَاضِي (١١) وَفِي قِرَاءَةٍ (١٢) بِمَضَارِعٍ أَوْقَدَ مِثْلًا لِلْمَفْعُولِ بِالْحَتَائِنَةِ، وَفِي أُخْرَى (١٣) ﴿تَوْقَدُ﴾ بِالْفَوْقَانَةِ؛ أَي: الرَّجَاجَةِ ﴿مِنْ﴾ زَيْتٍ ﴿سَجَرٍ مُّبْرَكٍ زَيْتُونٌ لَا شَرْفِيَّةَ وَلَا عَرَبِيَّةَ﴾ بَلْ بَيْنَهُمَا؛ فَلَا يُمْكِنُ مِنْهَا خَوْفٌ وَلَا بَرْدٌ مُضِرٌّ ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لَصَفَاهُ ﴿نُورٌ﴾ بِهِ (١٤) ﴿عَلَى نُورٍ﴾ بِالنَّارِ، وَنُورُ اللَّهِ: أَي: هَدَاهُ لِلْمُؤْمِنِ نُورَ عَمَى نُورِ الْإِيمَانِ ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ﴾ أَي: دِينَ الْإِسْلَامِ ﴿مَنْ بَشَاءَ وَضَرِبَ﴾ بَيْنَ ﴿اللَّهِ الْأَمْتَلِ لِلنَّاسِ﴾ تَقْرِيبًا لِأَهْلِيهِمْ لِيُعْتَبَرُوا؛ فَيُؤْمِنُوا ﴿وَاللَّهُ يَكْفُلُ شَيْءٌ عَلَيْهِمْ﴾ وَمِنْهُ ضَرْبُ الْأَمْثَالِ.

[٣٦] ﴿فِي يَوْمٍ﴾ مُتَعَلِّقٌ بِ﴿يُسَبِّحُ﴾ الْآتِي ﴿أَوَّنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ﴾ تَعْظُمَ ﴿وَيَذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ﴾ بِتَوْحِيدِهِ ﴿يُسَبِّحُ﴾ بِفَتْحِ الْمُوَحَّدَةِ وَكُسْرِهَا (١٥) أَي: يُصَلِّي ﴿لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ﴾ مُصَدَّرٌ؛ بِمَعْنَى: الْغَدَاوَاتِ؛ أَي: الْبُكْرِ ﴿وَالْأَصَالِ﴾ الْعِشَاءِ مِنْ بَعْدِ الزَّوَالِ.

وَأَنذَرْتَهُمْ أَنِّي مَنَعْتُكَ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْطِيهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَلَيْسَتْ عَفِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ ذَكَاحًا حَتَّى يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا أَوْ هَرَمَ مِنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي أَتَاكُمْ وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيْبَتْ لَهُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدَنْتُمْ خَصَصَا لِيَتَبَغَّوْا عَرْضَ الْحَيَوَةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ عَفُورٌ رَجِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مَبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَقُوا مِنْ قَبْلِكَ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٣﴾ أَنَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكُورٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ أَلْضَاحٌ فِي رُجَاجَةِ الزَّجَاجَةِ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْفِيَّةَ وَلَا عَرَبِيَّةَ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَضَرِبَ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ فِي يَوْمٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ وَيُسَبِّحَ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ ﴿٣٥﴾

[٣٢] ﴿وَأَنذَرْتَهُمُ الْآيَاتِ يَذْكَرُ﴾ جَمْعُ «أَيِّم» وَهِيَ: مِنْ لَيْسَ لَهَا زَوْجٌ يَكْرَاهُ كَانَتْ أَوْ تَحِبُّ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ زَوْجٌ، وَهَذَا فِي الْأَحْرَارِ وَالصَّالِحِينَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَبِئَاتِيكُمْ وَعِبَادَ مِنْ جَمْعِ «عَبْد» ﴿إِنْ يَكُونُوا﴾ أَي: الْأَحْرَارَ ﴿فُقَرَاءَ يُعْطِيهِمُ اللَّهُ﴾ بِالتَّزَوُّجِ ﴿مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ﴾ خَلَقَهُ عَلَيْهِمْ بِهِمْ.

[٣٣] ﴿وَلَيْسَتْ عَفِيفُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ ذَكَاحًا﴾ مَا يَنْكَحُونَ بِهِ، مِنْ مَهْرٍ وَنَفَقَةٍ، عَنْ الزَّانَا حَتَّى يُعْطِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ، مِنْ فَضْلِهِ، فَيَنْكَحُونَ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ بِمَعْنَى: الْمَكَانِيَةَ ﴿مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ مِنَ الْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ أَي: أَمَانَةً وَقُدْرَةً عَلَى الْكَسْبِ لِأَدَاءِ مَالِ الْكِتَابَةِ، وَصَبْغَتِهَا - مَثَلًا -: كَاتِبَتُ عَلَى أَنْفِي فِي شَهْرَيْنِ، كُلُّ شَهْرٍ أَلْفٌ، فَإِذَا

(٥) م حاء في نزول الآية (٣٣): أخرج مسلم عن جابر أن جارية لعبد الله بن أبي سلول يقال لها: مسيكة، وأخرى يقال لها: أميمة، فكان يكرههما على الزنا، فشكنا ذلك إلى النبي ﷺ فأمر الله: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا قِيَّتَكُمْ عَلَى الْيَقْدِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَفُورٌ رَجِيمٌ﴾. مسلم. كتاب التفسير (٥٤) باب (٣).

(١) أي: ليس إرادتهن التحضن شرطاً للنهي؛ فأكرههن حرام على كل حال. (٢) بالفتح قراءة نافع وأبي عمرو وابن كثير وشعبة، وبالكسر قراءة ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي. (٣) أي: هي بيعة، يعني الآيات، وذلك توضيح من المفسر لمعنى القراءة الثانية. (٤) النور: ٢. (٥) النور: ١٢. (٦) النور: ١٦. (٧) النور: ١٧. (٨) أي: مع الهرمة، والكسر قراءة الكسائي وأبي عمرو، والضم قراءة حمزة وشعبة. (٩) لباقي السعة. (١٠) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. (١١) نافع وابن عامر وحفص. (١٢) حمزة والكسائي وشعبة. (١٣) أي: بالزيت. (١٤) بالفتح قراءة شعبة وابن عامر.

البصائر على قدرة الله - تعالى.

[٤٥] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ أَيْ: حيوان ﴿مِنْ مَّاءٍ﴾ نطفة^(١) ﴿فِيهِمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ﴾ كالحيات والهوام ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ﴾ كالإنسان والطيور ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ كالبهائم والأنعام ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٤٦] ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مُبِينَاتٍ﴾ أي: بينات، هي القرآن ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: دين الإسلام.

[٤٧] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ المنافقون: ﴿وَأَمَّا﴾ صدقنا ﴿بِاللَّهِ﴾ بتوحيده ﴿وَبِالرَّسُولِ﴾ محمد ﴿وَأَطَعْنَا﴾ ههنا فيما حكما به ﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى يَكُونُ﴾ يُفِرُّش ﴿فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ عنه ﴿وَمَا أَوْلَيْكَ﴾ المعرضون ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ المعهودين الموافق قلوبهم لأستسهم.

[٤٨] ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ المبلغ عنه ﴿لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ عن المحيي إليه [٤٩] ﴿وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ لُغُوبٌ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ﴾ مسرعين طائعين.

[٥٠] ﴿أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ كفر ﴿أَمْ أَرْبَابًا أُوتُوا﴾ أي: شكوا في نبوته ﴿أَمْ يَحْقِرُونَ﴾ أَن يَحْفَظَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ﴿فِي الْحُكْمِ﴾ أي: فيظلموا فيه؟ لا ﴿بَلْ أَوْلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ بالإعراض عنه.

[٥١] ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾ فالقول اللاتق بهم ﴿أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ بالإجابة ﴿وَأَوْلَيْكَ﴾ حينئذ ﴿هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الناجون.

[٥٢] ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ﴾ يخافه ﴿[وَبِتَقِيهِ]﴾ بسكون الهاء وكسرهما^(٢)؛ بَأَنْ يَطِيعَهُ ﴿فَأَوْلَيْكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ بالجنة.

[٥٣] ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غايتها ﴿لَنْ أَمْرِنَهُمْ﴾ بالجهاد ﴿لِيُخْرِجَنَّ قُلُوبَهُمْ﴾ لهم: ﴿لَا تَقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ﴾ للنبي خيرٌ من قسَمِكُم الذي لا تصدقون فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل.

يُقَرِّبُ اللَّهُ الْبَلَّ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١﴾
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣﴾ وَيَقُولُونَ ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٥﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ لُغُوبٌ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِبِينَ ﴿٦﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْبَابًا أَمْ يَحْقِرُونَ أَن يَحْفَظَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أَوْلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٧﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَوْلَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٩﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لِيَخْرِجَنَّ قُلُوبَهُمْ لَا تَقْسِمُوا طَاعَةَ مَعْرُوفَةٍ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٠﴾

[٤٤] ﴿يُقَرِّبُ اللَّهُ الْبَلَّ وَالنَّهَارَ﴾ أي: يأتي بكل منهما بدل الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ التقليل ﴿لَعِبْرَةً﴾ دلالة ﴿لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لأصحاب

(١) هذا قول الجمهور، كما قال الشوكاني في فتح القدير. وعلى هذا القول في الآية تنزيل الغالب منزلة الكل؛ لأن في الحيوانات ما يتولد لا عن نطفة.

وقال جماعة: إن المراد الماء المعروف؛ لأن آدم خلق من الماء والطين.

(٢) بالسكون قراءة شعبة وأبي عمرو وهشام في أحد وجهيه، وخلاص من أحد الوجهين، وبالكسر مع اختلاس الحركة قراءة قالون وهشام في أحد أوجهيه، وإن ذكوان في أحد وجهيه، والياتون بالكسر مع الإشباع، وكذا هشام في وجهه الثالث، وخلاص في الوجه الثاني.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

[٦٠] ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ قعدن عن الحيض والولد لكرهن ﴿الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا﴾ لذلك ﴿فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ﴾ من الحلل والبرداء والقناع فوق الحمار ﴿غَيْرَ مُتَّبِعَاتٍ﴾ مظهرات ﴿بِرِيشَةٍ﴾ خفية؛ كفلادة وسوار وخلخال ﴿وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ﴾ بأن لا يضعنها ﴿خَيْرَ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ لقولكم ﴿عَلَيْكُمْ﴾ بما في قلوبكم.

[٦١] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في مؤاكلة مقابلهم ﴿وَلَا﴾ حرج ﴿وَعَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ بيوت أولادكم ^(١) ﴿أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَلَائِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْهُمُ مَلَائِكَةُ رَبِّهِمْ﴾ خزنتموه لغيركم ^(٢) ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ وهو من صدقكم في مودته؛ المعنى: يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا إذا علم رضاهم به ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا﴾ مجتمعين ﴿أَوْ أَشْتَاتًا﴾ ^(٣) متفرقين، جمع «شتت»، نزل فيمن تخرج أن يأكل وحده، وإذا لم يجد من يؤاكلة بترك الأكل ^(٤) ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ لكم لا أهل بها ^(٥) ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ قولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين»؛ فإن الملائكة ترد عليكم، وإن كان بها أهل فسلموا عليهم ﴿تَحِيَّةٌ﴾ مصدر «حيّا» ﴿وَمِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ثياب عليها ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ أي: يفصل لكم معالم دينكم ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ لكي تفهموا ذلك.

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِفُّوا كَمَا اسْتَعَفَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَّبِعَاتٍ بِرِيشَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَلَائِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ أَوْ أَنْفُسِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مَبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

[٥٩] ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ﴾ أيها الأحرار ﴿الْحُلُمُ فَلْيَسْتَعِفُّوا﴾ في جميع الأوقات ﴿كَمَا اسْتَعَفَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ أي: الأحرار الكبار

(٥٩) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿لَا تَأْكُلُوا أَنْفُسَكُمْ يَنْصَحُكُمْ بِالْقِتْلِ﴾ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا يَحْكُمُونَ عَنْ رَأْيِكُمْ فَكَانَ الرَّجُلُ يَخْرُجُ أَنْ يَأْكُلَ عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ مَا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةٌ؛ فَنَسَخَ ذَلِكَ آيَةَ النَّبِيِّ فِي التَّوْرَةِ قَالَ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَشْتَاتًا﴾. أبو داود - كتاب الأطعمة (٢١) باب (٦) نسخ الضيف يأكل من مال غيره، وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود (٣١٩٢).

- (١) وهو قول غير واحد من المفسرين، قالوا: نسب - سبحانه - بيوت الأولاد إلى الآباء؛ لأن الولد كسب والده، وماله كماله، والدليل أنه تعالى - عدد الأقارب ولم يذكر الأولاد، وإذا كان سبب الرخصة هو القرابة، كان الذي هو أقرب منهم أولى. وقال بعضهم: أي بيوت أزواجكم وعيالككم، أضافه إليهم؛ لأن بيت المرأة كبيت الزوج. وقال بعضهم: هي على ظاهرها، كأنه يقول: مساكنتكم التي فيها أهاليكم وأولادكم؛ فقد يكون للأهل والولد شيء من ملكهم، فليس عليه حرج أن يأكل معهم من ذلك القوت. وهو قول حسن ظاهر.
- (٢) أي: حفظتموه بأن تكونوا وكلاء عليه؛ فلا بأس أن تأكلوا من ثمرته، ويشرب من لبن ماشيته، ولا يحمل ولا يدخرها. قاله ابن عباس. وقالت عائشة: كان المسلمون يرغبون في النفر مع رسول الله ﷺ فيدفعون مفاتيحهم إلى أمتهام، ويقولون لهم: قد أحللتناكم أن تأكلوا مما احتجتم إليه، فكانوا يقولون: إنه لا يحل لنا أن نأكل؛ إنهم أدنوا لنا من غير طيب أنفسهم، وإنما نحن أمعاء؛ فنزل الله: ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا﴾ إلى قوله: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْهُمْ مَلَائِكَةُ رَبِّهِمْ﴾. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٦٤٦/٨) رقم (١٤٨٧٥)، والبراز في مسنده (٦١/٣)، رقم (٢٢٤١)، وقال الهيثمي في المجمع (٨٤/٧): «رواه البراز ورجاله رجال الصحيح». وصححه في الاستيعاب (٥٩٢/٢)، (٥٩٣).
- (٣) روي نحو هذا عن عكرمة وابن جريج. ذكره الطبري والسيوطي في المنر المنظر. وضعفه في الاستيعاب (٥٩٧/٢).
- (٤) أظهر أن البيوت هنا عامة؛ لأنها نكرة في سياق الشرط، فشمّل بيت الإنسان وبيت غيره، وقال بعض العلماء: وسواء كان في بيت ساكن أم لا. وزاد بعضهم: المسجد، فجعل له الحكم نفسه، واعتمدوا في ذلك على ما ورد عن ابن عمر وابن عباس في السلام باللفظ الذي ذكره المفسر إذا كان البيت أو المسجد فارغاً... وعلى الأظهر فيكون معنى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: فليسلم بعضهم على بعض؛ لأن المسلمين كأنهم شخص واحد.

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا
وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا
إِفْكٌ أَفْتَرْتَهُ وَاعْتَدْتَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا
وَزُورًا ﴿٢﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣﴾ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾
وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمَشِي فِي
الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ وَذَيِّرًا ﴿٦﴾
أَوْ يُنْفِثُ إِلَيْهِ كَذِبًا أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ
الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿٧﴾ أَنْظِرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ
سَبِيلًا ﴿٨﴾ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا ﴿٩﴾ بَلْ
كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٠﴾

[٣] ﴿وَاتَّخَذُوا﴾ أي: الكفار ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الله؛ أي: غيره
﴿آلِهَةً﴾ هي الأصنام ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ

لأنفسهم ضَرًّا﴾ أي: دفعه ﴿وَلَا نَفْعًا﴾ أي: جره ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا
حَيَاةً﴾ أي: إمامة لأحد وإحياء لأحد ﴿وَلَا نُشُورًا﴾ أي: بعثًا للأومات.

[٤] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا﴾ أي: ما القرآن ﴿إِلَّا إِفْكٌ﴾ كذب
﴿أَفْتَرْتَهُ﴾ محمد ﴿وَاعْتَدْتَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾ وهم من أهل الكتاب، قال
- تعالى -: ﴿فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا﴾ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا؛ أي: بهما.

[٥] ﴿وَقَالُوا﴾ أيضًا: هو ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم؛ جمع أسطورة،
بالضم ﴿اِكْتَتَبَهَا﴾ انتسخها من ذلك ^(١) القوم بغيره ^(٢) ﴿فَهِيَ تُمْلَى﴾
تقرأ ﴿عَلَيْهِ﴾ ليحفظها ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ غدوة وعشيًا.

[٦] قال - تعالى - ردًا عليهم: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾ الغيب ﴿فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

[٧] ﴿وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ
لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أَنْزَلَ إِلَهُهُ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ وَذَيِّرًا﴾ يصدقه.

[٨] ﴿أَوْ يُنْفِثُ إِلَيْهِ كَذِبًا﴾ من السماء ينفقه، ولا يحتاج إلى المشي في
الأسواق لطلب المعاش ﴿أَوْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾ بستان ﴿يَأْكُلُ مِنْهَا﴾
أي: من ثمارها فيكتفي بها، وفي قراءة: ﴿يَأْكُلُ﴾ بالنون ^(٣)؛ أي: نحن،
فيكون له مزية علينا بها ﴿وَقَالَ الظَّالِمُونَ﴾ أي: الكافرون للمؤمنين
﴿إِنْ﴾ ما ﴿تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ مخدوعًا مغلوبًا على عقله.

[٩] قال - تعالى -: ﴿أَنْظِرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾ بالمسحور، والمحتاج
إلى ما ينفقه، وإلى ملك يقوم معه بالأمر ﴿فَضَلُّوا﴾ بذلك عن الهدى ﴿فَلَا
يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا﴾ طريقًا إليه.

[١٠] ﴿تَبَارَكَ﴾ تكاثر خير ﴿الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ﴾
الذي قالوه من الكثر والبستان ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: في
الدنيا؛ لأنه شاء أن يعطيها إياها في الآخرة ﴿وَيَجْعَلُ لَكَ فُصُورًا﴾
أيضًا، وفي قراءة: بالرفع ^(٤) استئنافًا.

[١١] ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ﴾ القيامة ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ
سَعِيرًا﴾ نارًا مسعرة؛ أي: مشتدة.

(١) كذا في جميع النسخ التي بأيدينا، والمناسبت أن يقول: «من أولئك القوم».

(٢) أي أمر غيره بنسخها له؛ فإنه ﷻ أمي لا يقرأ ولا يكتب.

(٣) لحمة والكسائي.

(٤) لشعبة وابن عامر وابن كثير.

إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا أَنَّهُمْ تَغَيَّظُوا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾
وَإِذَا أَلْفَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مَقَرَّينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾
لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾
قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ
لَهُمْ جَرَائِرٌ وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ
كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا
يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَسْأَلُكُمْ عِبَادِي
هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ صَالُوا السَّبِيلِ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحَنَكَ مَا كَانَ
يَسْتَعْنِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ
وَأَبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿١٨﴾
فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا
وَلَا نَصْرًا وَمَنْ يظْلِمِ فَنُكْرِمُ نُدْفُهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾
وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ
الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ
لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

[٢٠] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ
وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ فأنت مثلهم في ذلك، وقد قيل لهم مثل ما قيل لك
﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ تِلْكَ؛ أَجْلِي الغني بالفقر، والصحيح
بالمرضى والشريف بالضعيف، يقول الثاني في كُلِّ: ما لي لا أكون كالأول في
كُلِّ؟ ﴿أَتَصْبِرُونَ﴾ على ما تسمعون من ابتليتم بهم؟ استفهام بمعنى الأمر؛
أي: اصبروا ﴿وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ بمن يصبر ومن يجزع.

[١٢] ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا أَنَّهُمْ تَغَيَّظُوا﴾ كالغضب إذا
غَلَى صَدْرُهُ مِنَ الغضب ﴿وَزَفِيرًا﴾ صوتًا شديدًا، أو سماع التعيظ رؤيته
وعلمه^(١).

[١٣] ﴿وَإِذَا أَلْفَوْا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا﴾ بالتشديد والتخفيف^(٢)؛ بأن يضيق
عليهم، و﴿مِنْهَا﴾ حال من ﴿مَكَانًا﴾ لأنه في الأصل صفة له ﴿مُقَرَّينَ﴾
مصطفين قد قرنت - أي: جمعت - أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال، والتشديد
للتكثير ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ هلاكًا.

[١٤] فيقال لهم: ﴿لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا﴾
كعذابكم.

[١٥] ﴿قُلْ أَذَلِكَ﴾ المذكور من الوعيد وصفة النار ﴿خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ
الْخُلْدِ الَّتِي وُعدَ﴾ هَا ﴿الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ﴾ في علمه - تعالى -
﴿جَرَائِرٌ﴾ ثوابًا ﴿وَمَصِيرًا﴾ مرجعًا.

[١٦] ﴿لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ﴾ حال لازمة ﴿كَانَ﴾ وُعدُهُمْ مَا
ذكر ﴿عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا﴾ يسأله من وُعد به: ﴿رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا
عَلَى رَسُولِكَ﴾^(٣) أو تسأله لهم الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَأَذْهَبْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي
وَعَدْتَهُمْ﴾^(٤).

[١٧] ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ بالنون والتحتانية^(٥) ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ﴾ أي: غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن ﴿فَيَقُولُ﴾ - تعالى -
بالتحتانية والنون^(٦) - للمعبودين إثباتًا للحجة على العابدين: ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾
بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفًا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة
والأخرى وتركة^(٧) ﴿أَسْأَلُكُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ﴾ أوقعتهم في الضلال
بأمرهم بإيهاهم بعبادتهم ﴿أَمْ هُمْ صَالُوا السَّبِيلِ﴾ طريق الحق بأنفسهم؟.

[١٨] ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ﴾ تنزيها لك عما لا يليق بك ﴿وَمَا كَانَ يَلْتَمِئُ
بِستقيم﴾ لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ﴾ أي: غيرك ﴿مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾ مفعول أول،
و﴿مِنْ﴾ زائدة لتأكيد النفي، وما قبله الثاني^(٨) فكيف تأمر بعبادتنا؟ ﴿وَلَكِنْ
مَتَّعْتَهُمْ وَوَسَّاءَهُمْ﴾ من قبلهم؛ بإطالة العمر وسعة الرزق ﴿حَتَّى نَسُوا
الذِّكْرَ﴾ تَرَكُوا الموعظة والإيمان بالقرآن ﴿وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ هلكي.

[١٩] قال - تعالى -: ﴿فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ﴾ أي: كذب المعبودون العابدين
﴿وَمَا تَقُولُونَ﴾ بالفوقانية^(٩)، أنهم آلهة ﴿فَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ بالتحتانية
والفوقانية^(١٠)؛ أي: لا هم ولا أنتم ﴿صَرْفًا﴾ دفعًا للعذاب عنكم ﴿وَلَا
نَصْرًا﴾ منعا لكم منه ﴿وَمَنْ يظْلِمُ﴾ يشرك ﴿وَنُكْرِمُ نُدْفُهُ عَذَابًا
كَبِيرًا﴾ شديدًا في الآخرة.

(١) أشار بذلك إلى جواب آخر وهو أن السماع ليس على حقيقته؛ بل المراد منه: الرؤية والعلم. وعلى القول الأول يكون المراد سماع ما يدل على التعيظ وهو الغليان.

(٢) بالتخفيف قراءة ابن كثير.

(٣) آل عمران: ١٩٤.

(٤) غافر: ٨.

(٥) بالنون قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير. وقوله: والتحتانية؛ يعني: الباء، وهي القراءة الأخرى.

(٦) بالنون قراءة ابن عامر.

(٧) قرأ قاتلون وأبو عمرو بالتسهيل والإدخال، وورش وابن كثير بالتسهيل من غير إدخال، ولورش الإبدال حرف مد مع الإشباع، وهشام بالتسهيل والتحقيق وكل منهما مع الإدخال وبقيّة السبعة بالتحقيق بلا إدخال.

(٨) أي: قوله: ﴿مِنْ دُونِكَ﴾ المفعول الثاني.

(٩) أي: بتأنيق العشرة.

(١٠) بالياء قراءة السبعة عدا حفص.

لخير؛ كصدقة وصلة رحم، وقرى ضيف، وإغاثة ملهوف في الدنيا ﴿فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ هو ما يرى في الكوى التي عليها الشمس؛ كالغبار المفرق؛ أي: مثله في عدم النفع به؛ إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه، ويجازون عليه في الدنيا.

[٢٤] ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾ من الكافرين في الدنيا^(١) ﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ أي: موضع قائلة فيها؛ وهي: الاستراحة نصف النهار في الحر، وأخذ من ذلك انقضاء الحساب في نصف نهار؛ كما ورد في حديث^(٢).

[٢٥] ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى الْأَسْوَءُ﴾ أي: كل سماء ﴿وَالْغَيْمُ﴾ أي: معه؛ وهو: غيم أبيض ﴿وَرَيْنَ الْمَلَكِ﴾ من كل سماء ﴿تَزِيلًا﴾ هو يوم القيامة، ونصبه به [اذكر] مقدراً، وفي قراءة: بتشديد شين ﴿تَشْقَى﴾^(٣) بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها، وفي أخرى: ﴿تَنْزِيلًا﴾^(٤) بنونين الثانية ساكنة وضم اللام، ونصب ﴿الْمَلَائِكَةُ﴾.

[٢٦] ﴿الَّذِينَ يَوْمِزُوا﴾ أي: لا يشركه فيه أحد ﴿وَكَانَ﴾ اليوم ﴿يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ بخلاف المؤمنين.

[٢٧] ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ﴾ المشرک: عقبة بن أبي معيط، كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لإيماني بن خلف^(٥) ﴿عَلَى يَدَيْهِ﴾ ندماً وتحسراً في يوم القيامة ﴿يَقُولُ يَا﴾ للتبعية ﴿لَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ﴾ محمد ﴿سَبِيلًا﴾ طريقاً إلى الهدى.

[٢٨] ﴿يَقُولُ﴾ ألفه عوض عن ياء الإضافة؛ أي: ولبتي؛ ومعناه: هلكني ﴿لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا﴾ أي: أُنكاً^(٦) ﴿خَلِيلًا﴾.

[٢٩] ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ﴾ أي: القرآن ﴿بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾ بأن ردني عن الإيمان به، قال - تعالى -: ﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ﴾ الكافر ﴿خَدُولًا﴾ بأن يتركه ويتبرأ منه عند البلاء.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ﴾ محمد: ﴿يَدَّبُّ إِلَّاءَ قَوْمِي﴾ قريباً ﴿أَتَّخِذُوا هَذَا﴾ القرآن ﴿مَهْجُورًا﴾ متروكاً.

[٣١] قال - تعالى -: ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جعلنا لك عدواً من مشركي قومك ﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ﴾ قلبك ﴿عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ المشركين؛ فاصبر كما صبروا ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾ لك ﴿وَنَصِيرًا﴾ ناصراً لك على أعدائك.

[٣٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا﴾ هلاًلاً ﴿نُزِّلَ عَلَيْنَا الْفُرْقَانُ﴾ جملة واحدة ﴿كَالتَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالرُّبُورِ﴾ قال - تعالى -: نزلناه ﴿كَذَلِكَ﴾ متفرقاً ﴿لِنُنَبِّئَكَ﴾ نقوي قلبك ﴿وَنُؤَذِّنَكَ تَرْيَاكًا﴾ أي: أننا به شيئاً بعد شيء بنمهل ونؤذنه؛ لتيسير فهمه وحفظه.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَكُ﴾
﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْهُمْ عُتُوًّا كَبِيرًا﴾
﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيُقُولُونَ﴾
﴿جِئْرًا مَحْجُورًا﴾ ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ﴾
﴿هَبَاءً مَنْثُورًا﴾ ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا﴾
﴿وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ ﴿وَيَوْمَ تَشْقَى السَّمَاءُ بِالْغَيْمِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ﴾
﴿تَزِيلًا﴾ ﴿الَّذِينَ يَوْمِزُوا الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى﴾
﴿الْكَافِرِينَ عَسِيرًا﴾ ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ﴾
﴿لَيْتَنِي أَتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا﴾ ﴿يَقُولُ لَيْتَنِي لَمْ﴾
﴿أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا﴾ ﴿لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي﴾
﴿وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا﴾ ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَدَّبُّ﴾
﴿إِلَّاءَ قَوْمِي أَتَّخِذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ ﴿وَكَذَلِكَ﴾
﴿جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا﴾
﴿وَنَصِيرًا﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً﴾
﴿وَجِدَّةً كَذَلِكَ لِنُنَبِّئَكَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾

[٢١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا﴾ لا يخافون البعث ﴿لَوْلَا﴾ هلاًلاً ﴿أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ﴾ فكانوا رسلاً إلينا ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ فنخبر بأن محمداً رسوله، قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا﴾ تكبروا ﴿فِي﴾ شأن ﴿أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْهُمْ﴾ طغوا ﴿عُتُوًّا كَبِيرًا﴾ بطلهم رؤية الله - تعالى - في الدنيا، و﴿عَتَوْا﴾ بالواو على أصله، بخلاف ﴿عَتَبًا﴾ بالإبدال في مريم^(١).

[٢٢] ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ﴾ في جملة الخلاق؛ هو: يوم القيامة، ونصبه به [اذكر] مقدراً ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ﴾ أي: الكافرين، بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة ﴿وَيُقُولُونَ جِئْرًا مَحْجُورًا﴾ على عادتهم في الدنيا إذا نزلت بهم شدة؛ أي: عوداً مَعَاداً؛ يستعيدون من الملائكة^(٢).

[٢٣] قال - تعالى -: ﴿وَقَدِمْنَا﴾ عمدنا ﴿إِلَّاءَ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ﴾ من

(١) يشير إلى قوله - تعالى -: ﴿وَقَدْ بَلَّغْتَ مِنَ الْكِسْرِ عَيْنًا﴾، وقوله: ﴿إِنَّهُمْ أَشَدَّ عَلَىٰ أَرْعَافِنَا عَيْنًا﴾.

(٢) هذا قول ابن جرير كما حكاه عنه ابن جرير. قال ابن كثير: وهذا القول - وإن كان له مأخذ ووجه - ولكنه بالنسبة إلى السياق في الآية بعيد، لا سيما قد نص الجمهور على خلافه واختار ابن كثير وابن جرير أن الضمير في قوله: ﴿ويقولون﴾ عائد على الملائكة، أي تقول الملائكة للكافرين: حرام محرم عليكم الفلاح اليوم. تفسير ابن كثير (٣/٣٠٤).

(٣) الظاهر أن المراد المناظرة بينهما في الآخرة، وهو الأبلغ في المعنى والأقرب في الفرق بين حال الفريقين؛ فلأولئك مستقرون في الجنة، والكافرون مستقرون في النار. فإيا له من وعد ويا له من وعيد. وأما قوله: ﴿جِئْرًا﴾، فهو من باب استعمال أفعال التفضيل فيما ليس في الطرف المقابل شيء منه.

(٤) راجع التعليق على الآية رقم (٢٠٢) من سورة البقرة، والآية رقم (٥١) من سورة إبراهيم.

(٥) نافع وابن كثير وابن عامر.

(٦) أنخرج نحوه ابن أبي حاتم عن عمرو بن ميمون. وقد روى آخرون القصة معكوسة وأن أي بن خلف رجع إرضاء لعقبة، روى آخرون أنها نزلت في عقبة بن أبي معيط وأممية بن خلف. [الدبر المشهور (١٢٥/٥ - ١٢٧)]. وضعها كلها في الاستيعاب (٩/٣ - ١٥).

(٨) يعني أي بن خلف، كما روي في سبب نزول الآية، وسبق بيان ضعف هذا القول وغيره.

[٣٣] ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ في إبطال أمرك ﴿إِلَّا جُنَاحَكَ بِالْحَقِّ﴾ الدافع له ﴿وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا﴾ يئانا.

[٣٤] هم ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾^(٥) أي: يساقون ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ سَرُّ مَكَانًا﴾ هو جهنم ﴿وَأَصْلُ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقاً من غيرهم؛ وهو: كفرهم.

[٣٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا﴾ مُعينًا.

[٣٦] ﴿فَقُلْنَا أَهْبَا إِلَى الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ أي: القبط فرعون وقومه، فذهب إليهم بالرسالة؛ فكذبوهم ﴿فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا﴾ أهلكتناهم إهلاكًا.

[٣٧] ﴿وَقَوْمُ نُوحٍ﴾ قَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ بتكذيبهم نوحاً لطول لبثه فيهم؛ فكانه رُسلٌ، أو لأن تكذيبه تكذيب لباقى الرُّسل لاشترآهم في المجيء بالتوحيد ﴿أَعْرَقْنَاهُمْ﴾ جواب ﴿لَمَّا﴾ ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ بَعْدِهِمْ﴾ عِبْرَةً ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في الآخرة ﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ عَذَابًا أَلِيمًا مؤلماً سوى ما يحل بهم في الدنيا.

[٣٨] ﴿وَذَكَرْ﴾ عَادًا ﴿قَوْمَ هُودٍ﴾ وَتَمُودَ ﴿قَوْمَ صَالِحٍ﴾ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ اسم بئر^(١)، ونبيهم قيل: شعب، وقيل: غيره، كانوا قعوداً حولها؛ فانهارت بهم وبمنزلهم ﴿وَقَرُونَا﴾ أقواماً ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ كثيرًا؛ أي: بين عاد وأصحاب الرِّسِّ.

[٣٩] ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ﴾ في إقامة الحجة عليهم؛ فلا نهلكهم إلا بعد الإنذار ﴿وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا﴾ أهلكتنا إهلاكًا بتكذيبهم أنبياءهم.

[٤٠] ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَا﴾ أي: مَرُّ كُفَّارٍ مكة ﴿عَلَىٰ أَقْرَبَةٍ﴾ الَّتِي أَنْطَرَتْ مَطَرُ السَّوْءِ مصدر ساء؛ أي: بالحقارة؛ وهي: غططى قَرَى قَوْمِ لُوطٍ؛ فأهلك الله أهلها لفعلهم الفاحشة ﴿أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ بِرَبِّهِمْ﴾ في سفرهم إلى الشام؛ فيحتبرون؟ والاستفهام للتقرير ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ﴾ يخافون ﴿نُزُورًا﴾ بَعَثًا فلا يؤمنون.

[٤١] ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ﴾ إِنْ مَا ﴿يَسْتَعْذِرُونَكَ﴾ إِلَّا ﴿هَرُؤًا﴾^(٢) مَهْزُوءًا به، يقولون: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ في دعواه، محقرين له عن الرسالة.

[٤٢] ﴿إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنه ﴿كَادَ﴾

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جُنَاحَكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَقْسِيرًا
الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَئِكَ
سَرُّ مَكَانًا وَأَصْلُ سَبِيلًا وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَارُونَ وَزِيرًا فَقُلْنَا أَهْبَا
إِلَى الْقَوْرِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَدَمَرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا
وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَعْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
عِبْرَةً وَأَعْتَدْنَا لِلْظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا وَعَادًا وَتَمُودًا
وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا وَكُلًّا
ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَلُ وَكُلًّا تَبَرْنَا تَبِيرًا وَلَقَدْ أَنزَلْنَا
أَقْرَبَ إِلَيْنَا أُطْرُجَ مَطَرِ السَّوْءِ أَفَلَا يَكُونُوا يَرَوْنَهَا
بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا وَإِذَا رَأَوْكَ إِذَا يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا إِنْ كَادَ
لِيُضِلَّنَا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ
يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْوُونَ الْعَذَابَ مَنْ أَصْلُ سَبِيلًا أَرَأَيْتَ
مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا

لِيُضِلَّنَا يصرفنا عَنْ آلِهَتِنَا لَوْلَا أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا لصرفنا عنها، قال - تعالى -: ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرْوُونَ الْعَذَابَ﴾ عياناً في الآخرة ﴿مَنْ أَصْلُ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقاً، أهم أم المؤمنون؟
[٤٣] ﴿أَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ أي: مهويه، قدم المفعول الثاني؛ لأنه أهم، وجملة ﴿مَنِ اتَّخَذَ﴾ مفعول أول ﴿لَرَأَيْتَ﴾، والثاني: ﴿أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ حافظاً تحفظه عن اتباع هواه؟ لا.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن قتادة، قال: حدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «أليس الذي أشبه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟»، قال قتادة: بلى وعرة ربنا. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الفرقان (٢٥) باب (١) ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾. وأخرجه مسلم - كتاب صفات المنافقين (٥٠) باب (١١).

(١) جمهور أهل اللغة على أن «الرِّس» لغة هو: البئر. أما «أصحاب الرِّس» فقيل: هم أصحاب الأخدود الذين جاء ذكرهم في سورة البروج. واختار ذلك بن جرير. وقيل: هم أهل أنطاكية؛ أصحاب القرية المذكورة في سورة «يس». وقيل غير ذلك، والله أعلم.

(٢) بالهمز مع ضم الزاي وسكونها، وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وحزمة، وقرأ حمزة: ﴿هَرُؤًا﴾، وقرأ حفص: ﴿هَرُؤًا﴾.

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٧﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٨﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَيْلًا لِيَأْسَاوُا النَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٩﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٥٠﴾ لِنُخْجِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنْ آسَى كَثِيرًا ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٢﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥٣﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٤﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَجِجْرًا مَحْجُورًا ﴿٥٥﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٦﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا ﴿٥٧﴾

[٤٦] ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ﴾ أي: الظل الممدود ﴿إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ خفيًا بطلوع الشمس.

[٤٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ أَيْلًا لِيَأْسَاوُا﴾ سأتوا كاللباس ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ راحة للبدان؛ بقطع الأعمال ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ منشورًا فيه لابتغاء الرزق وغيره.

[٤٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ وفي قراءة: ﴿الرَّيْحَ﴾ ﴿لَكُمْ أَيْلًا﴾ يعني راحته ورحمته، متفرقة قدام المطر، وفي قراءة: بسكون الشين تخفيفًا^(١)، وفي أخرى: بسكونها ونون مفتوحة مصدر^(٢)، وفي أخرى: بسكونها وضم الموحدة بدل النون^(٣)، أي: مبشرات، ومفرد الأولى: نشور؛ كرسول، والأخيرة: بشير ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا﴾ مطهرًا.

[٤٩] ﴿لِنُخْجِيَ بِهِ بَلَدَهُ مَيِّتًا﴾ بالتخفيف يستوي فيه المذكر والمؤنث، ذكره باعتبار المكان ﴿وَنُسْقِيَهُ﴾ أي: الماء ﴿مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا﴾ إبلًا وبقرة وغنمًا ﴿وَأَنْ آسَى كَثِيرًا﴾ جمع إنسان، وأصله: أناسين؛ فأبدلت النون ياء، وأدغمت فيها الياء، أو جمع إنسي.

[٥٠] ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ﴾ أي: الماء ﴿بَيْنَهُمْ لِيَذَكَّرُوا﴾ أصله: يذكروا؛ أدغمت التاء في الذال، وفي قراءة: ﴿لِيَذَكَّرُوا﴾^(٤) بسكون الذال وضم الكاف؛ أي: نعمة الله به ﴿فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ جحودًا للنعمة؛ حيث قالوا: مطرنا ينوء كذا.

[٥١] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا﴾ يخوف أهلها، ولكن بعثناك إلى أهل القرى كلها نذيرًا؛ ليعظم أجرك.

[٥٢] ﴿فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ﴾ في هواهم ﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ﴾ أي: القرآن ﴿جِهَادًا كَبِيرًا﴾.

[٥٣] ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ﴾ أرسلهما متجاورين ﴿هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾ شديد العذوبة ﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ شديد الملوحة ﴿وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا﴾ حاجزًا لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿وَجِجْرًا مَحْجُورًا﴾ سترًا ممنوعًا به احتلاطهما.

[٥٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا﴾ من المني إنسانًا ﴿فَجَعَلَهُ نَسَبًا﴾ ذا نسب ﴿وَصِهْرًا﴾ ذا صهر؛ بأن يتزوج ذكرا كان أو أنثى طلبًا للتناسل ﴿وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ قادرًا على ما يشاء^(٥).

[٥٥] ﴿وَيَعْبُدُونَ﴾ أي: الكفار ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ﴾ بعبادته ﴿وَلَا يَضُرُّهُمْ﴾ بتركها؛ وهو الأصنام ﴿وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَهِيرًا﴾ للشیطان بطاعته.

[٤٤] ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تفهم ﴿أَوْ يَعْقِلُونَ﴾ ما يقول لهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ أخطأ طريقًا منها؛ لأنها تنقاد لمن يتبعها، وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم.

[٤٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى﴾ فعل ﴿رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾ من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس ﴿وَلَوْ شَاءَ﴾ ربك ﴿لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ مقيمًا لا يزول بطلوع الشمس ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ﴾ أي: الظل ﴿دَلِيلًا﴾ فلول الشمس ما عرف الظل.

(١) لابن كثير.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أي: ﴿نُشُورًا﴾، وهي: لابن عامر.

(٤) أي: ﴿نُشُورًا﴾، وهي حمزة والكسائي.

(٥) أي: ﴿نُشُورًا﴾، وهي قراءة عاصم.

(٦) حمزة والكسائي.

(٧) الأولى أن يقول: قادر على كل شيء، كما هو ظاهر آيات القرآن في إثبات القدرة، كما أنه الأكمل في حقه - سبحانه -، ولله الأسماء الحسنى والصفات العلى.

[٥٦] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا﴾ بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ بالنار.

[٥٧] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على تبليغ ما أرسلت به ﴿مِنْ أَجْرٍ إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَهًا رَبًّا﴾ سيلاً، طريقاً يوافق ماله في مرضاته تعالى: فلا أمتعته من ذلك.

[٥٨] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَمِعَ﴾ متلبساً ﴿بِعَمْدِهِ﴾ أي: قل: «سبحان الله والحمد لله» ﴿وَكَفَى بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ عالماً، تعلق ﴿بِهِ﴾ به «ذُنُوبَ».

[٥٩] هو ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس ولو شاء خللقهن في لحظة، والعدل عنه لتعليم خلقه الثبوت ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سربل الملك ﴿الْعَرْشُ﴾ بدل من ضمير ﴿أَسْتَوَى﴾ أي: استواء يليق به (١) ﴿فَسَخَّلَ﴾ أيها الإنسان ﴿بِهِ﴾ بالرحمن ﴿خَيْرًا﴾ يخبرك بصفاته.

[٦٠] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ﴾ لكفار مكة: ﴿اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ بالفوقانية والاحتانية (٢)، والأمر محمد ولا نعرفه: لا ﴿وَرَادَهُمْ﴾ هذا القول لهم ﴿فَقُولُوا﴾ عن الإيمان.

[٦١] قال - تعالى -: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ اثني عشر: الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوث؛ وهي منازل الكواكب السبعة اسبارة: المريخ وله الحمى والعقرب، والزهرة ولها الثور والميزان، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة، والقمير وله السرطان، والشمس ولها الأسد، والمشتري وله القوس والحوث، وزحل وله الجدي والدلو ﴿وَجَعَلَ فِيهَا﴾ أيضاً ﴿بُيُوتًا﴾ هو الشمس ﴿وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾، وفي قراءة: ﴿شُرْجًا﴾ (٣) بالجمع؛ أي: نيرات، وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة.

[٦٢] ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي: يخلف كل منها الآخر ﴿لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ﴾ بالشديد والتخفيف (٤) - كما تقدم -: ما فاته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر ﴿أَوَّارَادَ شُكْرًا﴾ أي: شكراً لنعمة ربه عليه فيها.

[٦٣] ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ مبتدأ، وما بعده صفات له إلى: ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ﴾ (٥) غير المعرض فيه (٦) ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ أي: بسكينة وتواضع ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ﴾ بما يكرهونه ﴿قَالُوا سَلَامًا﴾ أي: قولاً يسلمون فيه من الإثم.

[٦٤] ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ رِزْقَهُمْ سُجْدًا﴾ جمع ساجد ﴿وَقِيَمًا﴾

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَمِعَ بِعَمْدِهِ﴾ ﴿وَكَفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا﴾ ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسَخَّلَ بِهِ خَيْرًا﴾ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوَّارَادَ شُكْرًا﴾ ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ رِزْقَهُمْ سُجْدًا وَاقِيَمًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾

بمعنى: قاتمين يصلون بالليل.

[٦٥] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ أي: لازماً.

[٦٦] ﴿إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا﴾ هي: أي: موضع استقرار وإقامة.

[٦٧] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا﴾ عن عيالهم ﴿لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ بفتح أوله وضمه (٧)؛ أي: يضيّقوا ﴿وَكَانَ﴾ إِنْفَاقُهُمْ ﴿بَيْنَ ذَلِكَ﴾ الإسراف والإقتار ﴿قَوَامًا﴾ وسطاً.

(١) سبق التعليق على هذا التفويض، وأنه إذا كان يراد به تفويض الكيفية فهو حق، وأما إن كان يراد به تفويض معنى الاستواء الذي هو الاستقرار والعلو فهو خلاف فهم السلف وقَدْ فهمهم.

(٢) بآباء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) لحمزة والكسائي.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة.

(٥) وهو - أعني قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ﴾ - خبر المبتدأ، على اختيار المفسر، وبحتم أن يكون الخبر قوله: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ﴾، ويكون قوله: ﴿أُولَئِكَ يَجْزُونَ﴾ جملة مستأنفة مبتدأ وخبر.

(٦) أي باستثناء الحمل الاعتراضية؛ وهو قوله - تعالى -: ﴿وَمَنْ يَقَعْلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ الآية (الفرقان: ٦٨)، إلى قوله: ﴿مَتَابًا﴾.

(٧) بضم أوله مع كسر الناء قراءة نافع وابن عامر، وأما القراءة بفتح الباء فمع كسر الناء لابن كثير وأبي عمرو، ومع ضمها لباقى السبعة.

[٧٠] ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ منهم ﴿فَأُولَٰئِكَ يَدْعُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ المذكورة ﴿حَسَنَاتٍ﴾ في الآخرة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفًا بذلك^(٥).

[٧١] ﴿وَمَنْ تَابَ﴾ من ذنوبه غير من ذكر ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا﴾ أي: يرجع إليه رجوعًا؛ فيجازيه خيرا.

[٧٢] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ أي: الكذب والباطل ﴿وَرِذَاءُ رُشْدًا﴾ باللفظ من الكلام القبيح وغيره ﴿مُتَرَاءًا كَرَامًا﴾ معرضين عنه.

[٧٣] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعظوا ﴿بَيِّنَاتٍ رَبِّهِمْ﴾ أي: القرآن ﴿لَمْ يَخِرُّوْا﴾ يستقطوا ﴿عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ بل خروا سامعين ناظرين منتفعين.

[٧٤] ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ بالجمع والإفراد^(٦) ﴿فَشَرًّا أَغْنَيْ﴾ لنا؛ بأن نراهم مطيعين لك ﴿وَأَجْمَعْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ في الحير.

[٧٥] ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ﴾ الدرجة العليا في الجنة ﴿يَمًا صَبْرًا﴾ على طاعة الله ﴿وَيُلْقَوْنَ﴾ بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء^(٧) ﴿فِيهَا﴾ في الغرة ﴿حَبِيبَةً وَسَلَامًا﴾ من الملائكة.

[٧٦] ﴿خَلِيدِينَ﴾ فيها حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا موضع إقامة لهم، و﴿أُولَٰئِكَ﴾ وما بعده خير: «عباد الرحمن» المبتدأ.

[٧٧] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لأهل مكة: ﴿مَّا﴾ نافية ﴿يَعْبُدُونَ﴾ يكثر ﴿يَكْفُرُ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ﴾ إياه في الشدائد فيكشفها ﴿فَقَدْ﴾ أي: فكيف يعبا بكم وقد ﴿كَذَّبْتُمْ﴾ الرسول والقرآن ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ﴾ العذاب ﴿لِرِئَاءٍ﴾^(٨) ملازمًا لكم في الآخرة بعد ما يحل بكم في الدنيا؛ فقتل منهم يوم بدر سبعون، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ دل عليه ما قبلها.

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ۖ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ وَمَنْ تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا ۖ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِالْغَوَامِرِ وَكِرَامًا وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوْا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا غَيْرَ أَغْنَىٰ وَلَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۖ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرَّةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلْقَوْنَ فِيهَا حَبِيبَةً وَسَلَامًا ۖ خَلِيدِينَ فِيهَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۖ قُلْ مَا يَعْبَأُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دَعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ۝

سورة الشجر

[٦٨] ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ﴾ قلها ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ﴾ أي: واحدًا من الثلاثة ﴿يَلْقَىٰ أَثَامًا﴾ أي: عقوبة.

[٦٩] ﴿يُضَاعَفْ﴾ وفي قراءة: ﴿يُضَعَّفْ﴾ بالتشديد^(١) ﴿لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ﴾ بجزم الفعلين: بدلًا، ويرفعهما^(٢): استئنافًا ﴿مُهَانًا﴾ حال.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٦٨ - ٧٠): أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن ناشأ من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه حسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة؟ فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ ونزل: ﴿قُلْ يَكِبَاؤِ الَّذِينَ آمَنُوا عَنْ أَعْيُنِهِمْ لَا تَسْمَعُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الزمر (٣٩) باب (١).

وأخرج أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال: قال رجل: يا رسول الله، أي الذنب أكبر عند الله؟ قال: «أن تدعو لله بذا وهو خلقك». قال: ثم أي؟ قال: «ثم أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك». قال: ثم أي؟ قال: «أن تزاني حلية جارك». فأنزل الله تصديقها: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ﴾. البخاري - كتاب التوحيد (٩٧) باب (٤٦).

(٥٥) فائدة: أخرجه البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: خمس قد مضين: الدخان، والقر، والروم، والبطشة، واللام؛ ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾... وقال البخاري: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾: هلكت. البخاري - كتاب تفسير القرآن (٦٥) سورة الفرقان (٢٥) باب (٥) ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾.

(١) لاس كثير وابن عامر.

(٢) بالرفع فيهما لشدة وابن عامر، مع تشديد العين وحذف الألف لابن عامر - كما سبق بيانه.

(٣) بالإفراد في قوله: ﴿وَذُرِّيَّاتِنَا﴾ قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو وشعبة.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي.

سُورَةُ الشُّعَرَاءِ

[مكية إلا: ﴿وَالشُّعَرَاءُ﴾ إلى آخرها فمديني، وهي مائتان وسبع وعشرون آية. نزلت بعد الواقعة(*)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَمَ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَنِيعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ إِنْ شَأْنُنَا نَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَفُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنَ الرَّحْمَنِ مُحَدِّثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْتَبَاهُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَرَاهَتْ رَبِّهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ الْقَوْمُ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ فَادْهَبَا بِأَيَّتِنَا أَنْتَ أَمَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأَتَيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾

وأعورك، فيه تغليب الحاضر على الغائب ﴿وَيَايُنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ ما تقولون وما يقال لكم، أجريا مجرى الجماعة.

[١٦] ﴿فَأَتَيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا﴾ كَلَامًا ﴿رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إليك. [١٧] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن ﴿أَرْسِلْ مَعَنَا﴾ إلى الشام ﴿بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ فأتياها فقالا له ما ذكر.

[١٨] ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿أَلَمْ نُزِّبْكَ فِينَا﴾ في منازلنا ﴿وَلِيدًا﴾ صغيرًا قريبًا من الولادة بعد قطامه ﴿وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾ ثلاثين سنة يلبس من ملابس فرعون، ويركب من مراكمه، وكان يسمى ابنه.

[١٩] ﴿وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ هي قتله القبطي ﴿وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الجاحدين لنعمتي عليك بالترية وعدم الاستعداد.

(٥) فائدة: أخرج أحد عن معديكر قال: ثبنا عبد الله أن يقرأ علينا: ﴿طَسَمَ﴾ المائتين. فقال: ما هي معي، ولكن عليكم من أخذها من رسول الله ﷺ: حباب بن الأرت. قال: فأتينا حباب بن الأرت فقرأها علينا. المسند (٤١٩/١)، وقال أحد شاكر: إسناده صحيح (٣٩٨٠).

وقد أورد الحافظ ابن كثير هذا الحديث في أول سورة القصص؛ ولكن قوله في الحديث: «﴿طَسَمَ﴾ المائتين» بين أن المراد الشعراء لا القصص؛ لأن سورة القصص آياتها ثمان وثمانون آية فحسب. راجع تفسير ابن كثير (٣/٣٦٦).

(١٩) وهذا جريا على مذهب الحفسر أن القرآن معنى قائم بذات الرب، وأن كلام الله ﷻ قديم، وسبق الرد عليه وبيان مذهب السلف في كلام الله - تعالى -، وأنه - سبحانه - لم يزل متكلمًا بمشيئته وإرادته بما شاء وكيف شاء، وكلامه بمشيئته من لوازم ذاته المقدسة.

[٢٣] ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ﴾ موسى: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي قلت إنك رسوله؛ أي: أي شيء هو؟

[٢٤] ﴿وَلَا يَكُن سَبِيلَ الْخَلْقِ إِلَى مَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهِ - تَعَالَى - وَإِنَّمَا يَعْرِفُونَهُ بِصِفَاتِهِ، أَجَابَهُ مُوسَى - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ - بَعْضُهَا: ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: خالق ذلك ﴿إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ بأنه - تَعَالَى - خالقه؛ فَأَمَنُوا بِهِ وَخَدَعَهُ.

[٢٥] ﴿قَالَ﴾ فرعون ﴿لِمَنْ حَوْلَهُ﴾ من أشراف قومه: ﴿أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ جوابه الذي لم يطابق السؤال.

[٢٦] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّكُمْ رَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ وهذا - وإن كان داخلاً فيما قبله - يغيظ فرعون؛ ولذلك: [٢٧] ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ إن كُنْتُمْ تَقُولُونَ؛ أنه كذلك فَأَمَنُوا بِهِ وَخَدَعَهُ.

[٢٩] ﴿قَالَ﴾ فرعون لموسى: ﴿لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ﴾ كان سجنه شديداً يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وخدعه لا يبصر ولا يسمع فيه أحداً.

[٣٠] ﴿قَالَ﴾ له موسى: ﴿أَوَلَوْ﴾ أي: أنفعل ذلك ولو ﴿جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ بُرْهَانٍ يَبِينُ عَلَى رِسَالَتِي؟

[٣١] ﴿قَالَ﴾ فرعون له: ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ فيه.

[٣٢] ﴿فَأَتَى﴾ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَنْبُتُ مُبِينٌ ﴿حَيَّةٌ عَظِيمَةٌ﴾.

[٣٣] ﴿وَنَزَعَ يَدَهُ﴾ أخرجها من جيبه ﴿فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءٍ﴾ ذات شعاع ﴿لِلنَّظِيرِينَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة^(١).

[٣٤] ﴿قَالَ﴾ فرعون: ﴿لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ﴾ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ ﴿فَاتَّقِ فِي عِلْمِ السَّحَرِ﴾.

[٣٥] ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ؟﴾

[٣٦] ﴿قَالُوا أَتَجِدُ أَزْوَاجَهُمْ وَأَخَاهُ﴾ أَخْرَجَهُمَا ﴿وَأَيُّكُمْ فِي الدِّينِ أَحْسَنُ﴾ جامعين.

[٣٧] ﴿يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ﴾ يفضل موسى في علم السحر.

[٣٨] ﴿فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِيُفَقِّنَ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ وهو وقت الضحى من يوم الزينة.

[٣٩] ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾.

قَالَ فَعَلْنَاهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبْدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ ﴿قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿قَالَ لَيْنَ أَخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُودِينَ﴾ ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ﴾ ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ﴿فَأَتَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَنْبُتُ مُبِينٌ﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بِيَضَاءٍ لِلنَّظِيرِينَ ﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿قَالُوا أَتَجِدُ أَزْوَاجَهُمْ وَأَخَاهُ﴾ فِي الدِّينِ أَحْسَنُ ﴿يَأْتُونَكَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ﴾ فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِيُفَقِّنَ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ﴾

[٢٠] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿فَعَلْنَاهَا إِذَا﴾ أي: حينئذ ﴿وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ﴾ عما أتاني الله بعدها من العلم والرسالة.

[٢١] ﴿فَفَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا﴾ علماً ﴿وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٢٢] ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ﴾ أصله: تمن بها علي ﴿أَنْ عَبْدْتُ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بيان لـ«تلك»؛ أي: اتخذتهم عبيداً ولم تستعبدني؛ لا نعمة لك بذلك؛ لظلمك باستعبادهم، وَقَدَّرَ بَعْضُهُمْ أَوَّلَ الْكَلَامِ هَمْزَةً اسْتِفْهَامَ لِلانْكَارِ^(١).

(١) أي: «أولئك».

(٢) أي: السحرة.

ولا لبده.

[٦٤] ﴿وَأَرْفَعْنَا قُرْبَنَا﴾ قربنا ﴿نَمَّ﴾ هناك ﴿الْآخِرِينَ﴾ فرعون وقومه حتى سلخوا مسالكهم.

[٦٥] ﴿وَأَقْبَضْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ﴾ بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة.

[٦٦] ﴿ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ﴾ فرعون وقومه؛ بإطباق البحر عليهم لما تم دخولهم في البحر وخروج بني إسرائيل منه.

[٦٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ إغراق فرعون وقومه ﴿لَايَةً﴾ عبرة لمن بعدهم ﴿وَمَا كَانُوا أَكْثَرَهُمْ ثُبُورِينَ﴾ بالله، لم يؤمن منهم غير «آسية» امرأة فرعون، و«حزقيل» مؤمن آل فرعون، و«مريم بنت ناموصى» التي دلت على عظام يوسف ^(١) ^(٢).

[٦٨] ﴿وَلَرَبُّكَ لَهْوُ الْعَزِيزِ﴾ فانتقم من الكافرين بإغراقهم ﴿الرَّحِيمِ﴾ بالمؤمنين؛ فأعجزهم عن الغرق.

[٦٩] ﴿وَأَنزَلْنَا عَذَابَهُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿نَبَأًا﴾ خبر ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ ويبدل منه: [٧٠] ﴿إِذْ قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، مَا تَعْبُدُونَ﴾.

[٧١] ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا﴾ صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ﴿فَنُظَلُّ هَا عَذَابِينَ﴾ نقيم نهارًا على عبادتها، زادوه في الجواب افتخارًا به.

[٧٢] ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ﴾ حين ﴿تَدْعُونَ؟﴾

[٧٣] ﴿أَوْ يَنْفَعُونَكَ﴾ إن عبدتموهم ﴿أَوْ يَضُرُّونَ﴾ كم إن لم تعبدوهم؟

[٧٤] ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ أي: مثل فعلنا.

[٧٥] ﴿قَالَ أَمْرٌ بَشَرٌ مَا كَثَرَ تَعْبُدُونَ﴾.

[٧٦] ﴿وَأَنشُرْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْنَمُونَ﴾.

[٧٧] ﴿فَاتَّخَذُوا عَدُوًّا لِي﴾ لا أعبدكم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿رَبَّ الْمَلَكِينَ﴾ فإني أعبد.

[٧٨] ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ إلى الدين.

[٧٩] ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾.

[٨٠] ﴿وَلِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.

[٨١] ﴿وَالَّذِي يُبْرِئُنِي ثُمَّ يُغَيِّبُنِي﴾.

[٨٢] ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ﴾ أرجو ﴿أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ الجزاء.

[٨٣] ﴿رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا﴾ علمًا ﴿وَالْحَقْنِي بِالصَّلَاحِينَ﴾ النبين.

فَلَمَّا تَرَى الْجُمُعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ﴿٦٤﴾
قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٥﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ
أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ
﴿٦٦﴾ وَأَرْفَعْنَا لَمْ الْآخِرِينَ ﴿٦٧﴾ وَأَقْبَضْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ
﴿٦٨﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ﴿٦٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٧١﴾
وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٧٢﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ
﴿٧٣﴾ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنُزِّلُ لَهُمَا عَذَابًا ﴿٧٤﴾ قَالُوا
يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٥﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا
بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٧﴾ قَالَ أَمْرٌ بَشَرٌ مَا
كَثَرَ تَعْبُدُونَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾
قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ؟ ﴿٨٠﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ؟ ﴿٨١﴾
قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ؟ ﴿٨٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ؟ ﴿٨٣﴾
قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ؟ ﴿٨٤﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ؟ ﴿٨٥﴾
قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ؟ ﴿٨٦﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ؟ ﴿٨٧﴾
قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ؟ ﴿٨٨﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ؟ ﴿٨٩﴾
قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ؟ ﴿٩٠﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ؟ ﴿٩١﴾
قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ؟ ﴿٩٢﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ؟ ﴿٩٣﴾
قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ؟ ﴿٩٤﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ؟ ﴿٩٥﴾
قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ؟ ﴿٩٦﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ؟ ﴿٩٧﴾
قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ؟ ﴿٩٨﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ؟ ﴿٩٩﴾
قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكَ إِذْ تَدْعُونَ؟ ﴿١٠٠﴾ أَوْ يَنْفَعُونَكَ أَوْ يَضُرُّونَ؟ ﴿١٠١﴾

[٦١] ﴿فَلَمَّا تَرَى الْجُمُعَانَ﴾ رأى كل منهما الآخر ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى﴾
إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ﴿٦٢﴾ يدركننا جفجف فرعون، ولا طاقة لنا به.

[٦٢] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿كَلَّا﴾ أي: لن يدركونا ﴿إِنَّ مَعِيَ رَبِّي﴾
بنصره ^(١) ﴿سَيَهْدِينِ﴾ طريق النجاة.

[٦٣] قال - تعالى -: ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾
فضربه ﴿فَانْفَلَقَ﴾ فانشق اثني عشر فرقاً ﴿فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ﴾
الْعَظِيمِ ﴿الْجِبِلُّ الضَّخْمُ﴾ بينهما مسالك سكوها لم يتل منها سرج الراكب

(١) هذا من لوازم معيته . شجاعته . الخاصة بعباده المؤمنين، ومعيته . شجاعته . مع خلقه نوعان: عامة وخاصة، وقد اشتمل القرآن على النوعين وحقيقتهما الصالحة اللافقة، وقد أخبر سبحانه أنه مع خلقه، مع كونه مستوثاً على عرشه، وكلاهما حق.

(٢) يشير إلى ما أخرجه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في مستدركه وصححه، وغيرهما عن أبي موسى الأشعري مرفوعاً، وفيه أن موسى ^(عليه السلام) في قصة خروجه من مصر وسأله عن قبر يوسف لينقشه معه فدلته عجوز بشرط أن تكون معه في الحنة... وأخرجه أيضاً أبو يعلى، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧١/١٠): «رجل أبي يعلى رجلاً الصحيح».

[٨٤] ﴿وَأَعِزِّلِي لِسَانَ صِدْقٍ﴾ ثناءً حسناً ﴿فِي الْآخِرِينَ﴾ الذين يأتون بعدي إلى يوم القيامة.

[٨٥] ﴿وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ﴾ ﴿مَنْ يَعْطَاهَا.

[٨٦] ﴿وَإِنِّي لَأَتِيَنَّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾ بأن تتوب عليه؛ فغفر له، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكر في سورة براءة.

[٨٧] ﴿وَلَا تُخْزِنِي﴾ ^(٩) تَفْضِحْنِي ﴿يَوْمَ يَبْعَثُونَ﴾ النَّاسَ.

[٨٨] قَالَ - تَعَالَى - فِيهِ: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾ أَحَدًا.

[٨٩] ﴿لَا﴾ لَكِنْ ﴿مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ مِنَ الشَّرْكِ وَالنِّفَاقِ؛ وَهُوَ: قَلْبُ الْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ.

[٩٠] ﴿وَأَزَلَّتِ الْجَنَّةُ﴾ قربت ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ فيرونها.

[٩١] ﴿وَبُرِّتَ الْجَحِيمُ﴾ أظهرت ﴿لِلْغَاوِينَ﴾ الكافرين.

[۹۲] ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَتَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُعْبَدُونَ﴾ ؟

[٩٣] ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره من الأصنام ﴿هَلْ يَنْصَرُونَ﴾ بدفع العذاب عنكم ﴿أَوْ يَنْصَرُونَ﴾ بدفعه عن أنفسهم؟ لا.

[٩٤] ﴿فَكُبْكِبُوا﴾ ﴿أَلْقُوا﴾ ﴿فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ .

[٩٥] ﴿وَجُودُ إِلَيسَ﴾ أَتْبَاعُهُ وَمَنْ أَطَاعَهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ﴿أَجْمَعُونَ﴾ .

[٩٦] ﴿قَالُوا﴾ أي: الغاؤون ﴿وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ﴾ مع معبوديهم:

[٩٧] ﴿تَاللَّهِ إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنه ﴿كُنَّا﴾
لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿بَيْنَ﴾.

[٩٨] ﴿إِذْ﴾ حيث ﴿تُسَوِّدُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ في العبادۃ.

[٩٩] ﴿وَمَا أَضَلَّتْ﴾ عن الهدى ﴿إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾ أي: الشياطين، أو: أُولَئِكَ الَّذِينَ اقْتَدَيْنَا بِهِمْ.

[١٠٠] ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ﴾ كما للمؤمنين من الملائكة والنبيين والمؤمنين.

[۱۰۱] ﴿وَلَا صَدِيقٌ حَمِيمٌ﴾ يهّمه أمرنا.

[١٠٢] ﴿فَلَوْ أَن لَنَا كَرَّةٌ ﴿رجعة إلى الدنيا ﴿فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾﴾ (لو) هنا للتمني، و«نكون» جوابه.

[١٠٣] إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ﴿١٠٣﴾ المذکور من قصۃ ابراهیم وقومہ ﴿١٠٤﴾ لَآئِبٌ وَمَا كَانَ ﴿١٠٥﴾ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٦﴾ .

[١٠٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ .

[١٠٥] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ بتكذيبهم له؛ لاشتراكهم في الجحيم بالتوحيد؛ أو لأنه لطول لبثه فيهم كأنه رسل، وتأنيت ﴿قَوْمٌ﴾ باعتبار معناه،

وتذکیرہ باعتبار لفظہ.

[۱۰۶] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ﴾ ﴿نَسَبًا﴾ ﴿نُوحٌ﴾ ﴿أَلَا نَتَّقُونَ﴾ ﴿اللَّهُ؟﴾

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يُلْقَى إِبْرَاهِيمُ أَبَدَ أَرَزٍ قَرَّةٍ وَغَبْرَةٍ، يَقُولُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لَا تَعْتَصِنِي؟ يَقُولُ أَبُوهُ: فَايَوْمَ لَا أَعْصِيكَ. يَقُولُ إِبْرَاهِيمُ: يَا بَارِبُ، إِنَّكَ وَعَدْتَنِي أَنْ لَا تَحْزَنِي يَوْمَ يَمُوتُونَ؛ فَأَيَّ حَزَنِي أَحْزَمُ مِنْ أَبِي الْأَعْدَا؟» فيقول الله تعالى: «إِنِّي حَرَمْتُ الْحَنَةَ عَلَى الْكَافِرِينَ، ثُمَّ يَقَالُ: يَا إِبْرَاهِيمُ، مَا تَحْتَ رَجْلِكَ، فَيَنْظُرُ فَإِذَا هُوَ بِدِيحٍ مُلْتَمِطٍ فَيُحِذُّ بِقَوَائِمِهِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ». البخاري - كتاب أحاديث الأنبياء (٦٠) باب (٨)، وأخرجه مختصراً في كتاب التفسير (٦٥) سورة الشعراء (٢٦) باب (١) ﴿وَلَا تُحْزِنُ يَوْمَ يُمَيِّتُونَ﴾.

قال الحافظ: «وصف نفسه بالأبعد عن طريق الفرض إذا لم تقبل شفاعته في أبيه، وقال: «الأبعد صفة أبيه؛ أي أي شديده البعد من رحمة الله...» وقيل: «الأبعد بمعنى البعيد، والمراد الهالك...».

قال الحافظ: «ويؤيد الأول رواية: «إن أعزيت أبي فقد أعزيت الأبعد، الفتح (٣٥٨/٨)، (٣٥٩) تنصرف يسير.

و«البديخ»: ذكر الضباع. وقيل: لا يقال له: «ذيخ» إلا إذا كان كثير الشعر.

وقوله: {مَاطِحٌ} أي في رجعه؛ فيمرع في تنه. وذكر الحافظ أن الحكمة من مسخ زر لتغيير نفس إبراهيم منه؛ لئلا يبقى في النار على صورته فيكون فيه غشاضة على إبراهيم. الفتح (٣٥٩/٨) بنصرف.

قَالَ وَمَا عَلَيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي
لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ
﴿١١٥﴾ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ بِنُوحٍ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ
رَبِّ إِن قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ
مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ
﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ
عَادُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ
رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَنْتَوْنَ بِكُلِّ رِيعٍ
ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ
وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣١﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامِهِ وَبَنِينَ
﴿١٣٢﴾ وَحَسَنَاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٣﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿١٣٤﴾ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعظمت أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ ﴿١٣٥﴾

[١١٢] ﴿قَالَ وَمَا عَلَيَّ﴾ أي علم لي ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١١٣] ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي﴾ فيجازيهم ﴿لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ تعلمون ذلك ما يجذّبهم.

[١١٤] ﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

[١١٥] ﴿إِن أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ تبيين الإنذار.

[١١٦] ﴿قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ بِنُوحٍ﴾ عما تقول لنا ﴿لَتَكُونَنَّ مِنَ

الْمَرْجُومِينَ﴾ بالحجارة أو بالسم.

[١١٧] ﴿قَالَ﴾ نوح: ﴿رَبِّ إِن قَوْمِي كَذَّبُونِ﴾.

[١١٨] ﴿فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا﴾ أي: احكم ﴿وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ﴾. [١١٩] قال - تعالى -: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾ المملوء من

الناس والحيوان والطير.

[١٢٠] ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ﴾ بعد إنجائهم ﴿الْبَاقِينَ﴾ من قومه.

[١٢١] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾.

[١٢٢] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهْوَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.

[١٢٣] ﴿كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[١٢٤] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ؟﴾

[١٢٥] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾.

[١٢٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ﴾.

[١٢٧] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجَرْتُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّ

الْعَالَمِينَ﴾. [١٢٨] ﴿أَتَنْتَوْنَ بِكُلِّ رِيعٍ﴾ مكان مرتفع ﴿ءَايَةً﴾ بناءً علماً للمارة

﴿تَتَّبِعُونَ﴾ بمن يمر بكم وتسبحون منهم، والجملة حال من ضمير «تتبعون».

[١٢٩] ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ﴾ للماء تحت الأرض ﴿لَعَلَّكُمْ تَكُونُونَ﴾ فيها لا تموتون.

[١٣٠] ﴿وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ﴾ من غير

رأفة. [١٣١] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ذلك ﴿وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ﴾ فيما أمرتكم به.

[١٣٢] ﴿وَأَتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ﴾ أنعم عليكم ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٣٣] ﴿أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامِهِ وَبَنِينَ﴾.

[١٣٤] ﴿وَحَسَنَاتٍ﴾ بساتين ﴿وَعُيُونٍ﴾ أنهار.

[١٣٥] ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ في الدنيا والآخرة إن

عصيتُموني. [١٣٦] ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾ مشقو عذابنا ﴿أَوَعظمت أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ

الْوَاعِظِينَ﴾ أصلاً؛ أي: لا نرعو لوعظك.

[١٣٧] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ الذي نَحْنُفَتْنَا بِهِ ﴿إِلَّا﴾ [خَلْقُ] ^(١) الْأَوَّلِينَ ﴿أَي: اختلافهم وكذبهم، وفي قراءة: بضم الحاء واللام، أي: ما هذا الذي نحن عليه من إنكار البعث إلا خلق الأولين؛ أي: طبيعتهم وعاداتهم.﴾

[١٣٨] ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ﴾ بالعذاب ﴿فَأَهْلَكْنَاهُمْ﴾ في الدنيا بالريح ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[١٤٠] ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

[١٤١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ﴾

[١٤٢] ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ؟﴾

[١٤٣] ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ﴾

[١٤٤] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾

[١٤٥] ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ﴾ ما ﴿أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّي الْعَالَمِينَ﴾

[١٤٦] ﴿أَنْتُمْ كُونَ فِي مَا هُمْتُمْ﴾ من الخيرات ﴿ءَامِنِينَ﴾

[١٤٧] ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾

[١٤٨] ﴿وَرُزُّوعٌ وَنَحْلٌ طَلْعُهَا هَضِيمٌ﴾ لطيف لين.

[١٤٩] ﴿وَتَنْجُوتُونَ مِنْ الْجِبَالِ يَبُوتًا﴾ [قرهين] ^(٢) ﴿بَطْرِينَ﴾ وفي قراءة: ﴿قَرِهِينَ﴾ حاذقين.

[١٥٠] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ فيما أمرتكم به.

[١٥١] ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الشَّرِّينَ﴾

[١٥٢] ﴿الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بالمعاصي ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بطاعة الله.

[١٥٣] ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ الذين سحروا كثيرا حتى غلب على عقولهم.

[١٥٤] ﴿مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَيِّ بَيِّنَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في رسالتك.

[١٥٥] ﴿قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ﴾ نصيب من الماء ﴿وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾

[١٥٦] ﴿وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ عظيم العذاب.

إِنَّ هَذَا إِلَّا خَلْقُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣٨﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَنْتُمْ كُونَ فِي مَا هُمْتُمْ أَمِينِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَرُزُّوعٌ وَنَحْلٌ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْجُوتُونَ مِنَ الْجِبَالِ يَبُوتًا قَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥١﴾ مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأَيِّ بَيِّنَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٢﴾ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ تَلْدَمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

[١٥٧] ﴿فَعَقَرُوهَا﴾ عَقَرَهَا بَعَثُوهُمْ بِرِضَاهُمْ ﴿فَأَصْبَحُوا نَدِيمِينَ﴾ على عَقَرَهَا.

[١٥٨] ﴿فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ﴾ الموعود به فهلكوا ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾

[١٥٩] ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾

(١) قراءة الكسائي وأبي عمرو وابن كثير، وقرأ بقية السبعة: ﴿خَلْقُ﴾ بضم الحاء واللام.

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿قَرِهِينَ﴾.

الْعَالَمِينَ ﴿١٦٠﴾

﴿١٦٠﴾ أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ النَّاسُ؟

﴿١٦١﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَيُّ أَقْبَالِهِمْ؟ ﴿١٦٢﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٣﴾ متجاوزون الحلال إلى الحرام.

﴿١٦٤﴾ قَالُوا لَيْنَ لَوْ تَنْتَهُ يَلُوطُ عَنْ إِنْكَارِكِ عَلَيْنَا ﴿١٦٥﴾ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٦﴾ من بلدنا.

﴿١٦٧﴾ قَالَ لُوطُ: إِنِّي لَمَعْلُومٌ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ المبغضين.

﴿١٦٩﴾ رَبِّ يَخْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٧٠﴾ أي: من عذابه.

﴿١٧١﴾ فَجَنَّتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٢﴾ إِلَّا عَجُوزًا ﴿١٧٣﴾ امرأته ﴿١٧٤﴾ فِي الْفَتَرَةِ الْبَاقِينَ أَهْلَكْنَاهَا.

﴿١٧٥﴾ ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ أَهْلَكْنَاهُمْ.

﴿١٧٦﴾ وَانْظُرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا ﴿١٧٧﴾ من جملة الإهلاك (١) ﴿١٧٨﴾ فَفَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٩﴾ مطهرهم.

﴿١٨٠﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٨١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٨٢﴾

﴿١٨٣﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ ﴿١٨٤﴾ وفي قراءة (٢): بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وفتح الهاء هي: غيضة شجر قُوبٌ مَدِينٌ ﴿١٨٥﴾ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨٦﴾

﴿١٨٧﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ: لِمَ يَاقُلُ أَخُوهُمْ؟ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ: ﴿١٨٨﴾ أَلَا تَتَّقُونَ؟ ﴿١٨٩﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٩٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا

﴿١٩١﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ مَا ﴿١٩٢﴾ أَلْجَرِ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٩٣﴾

﴿١٩٤﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ ﴿١٩٥﴾ أتموه ﴿١٩٦﴾ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٩٧﴾ النافسين.

﴿١٩٨﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْسِنَتِكُمْ ﴿١٩٩﴾ الميزان السوي.

﴿٢٠٠﴾ وَلَا يَبْحُسُوا أَلْسِنَتَهُمْ ﴿٢٠١﴾ لا تنقصوهم من حقهم شيئًا ﴿٢٠٢﴾ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٢٠٣﴾ بالقتل وغيره، من «عشي» بكسر المثلثة: أفسد، و«مفسدين» حال مؤكدة لمعنى عاملها.

كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٦٣﴾ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ الذِّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَيْنَ لَوْ تَنْتَهُ يَلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لَمَعْلُومٌ مِنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ يَخْنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَجَنَّتْهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْفَتَرَةِ الْآخِرِينَ ﴿١٧١﴾ وَانْظُرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَفَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذَرِينَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٤﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٧٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٩﴾ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨٠﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ أَلْسِنَتِكُمْ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨١﴾ وَلَا تَبْحُسُوا أَلْسِنَتَهُمْ وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٢﴾

﴿١٦٠﴾ كَذَبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦١﴾

﴿١٦٢﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ؟ ﴿١٦٣﴾

﴿١٦٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٥﴾

﴿١٦٦﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿١٦٧﴾

﴿١٦٨﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ مَا ﴿١٦٩﴾ أَلْجَرِ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٧٠﴾

(١) أي: لم يهلكهم بامطار الحجارة فقط، بل جعل عالي قراها سافلها.

(٢) لتافع وابن كثير وابن عامر. وقوله: وفتح الهاء، يعني به فتح تاء التانيث، في حالة الوصل؛ أي: «ليكة».

[١٨٤] ﴿وَأَنفَعُوا الَّذِينَ خَلَقْتُمْ وَالْجَلِيلَةَ﴾ الحليقة ﴿الْأُولَى﴾.

[١٨٥] ﴿فَالْوَأِإِمَّا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾.

[١٨٦] ﴿وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنه ﴿تُفْئِئُكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ﴾.

[١٨٧] ﴿فَأَنذِرْ عَذَابَنَا﴾ [كشفاً] ﴿بِسُكُونِ السَّيْنِ وَفُحْهَا﴾^(١)؛ قطعاً ﴿مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في رسالتك.

[١٨٨] ﴿قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ فيجازيكم به.

[١٨٩] ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلُمَةِ﴾ هي سحابة أظلمتهم بعد حُرِّ شديدي أصابهم؛ فأمطرت عليهم نازلاً؛ فاحترقوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ﴾.

[١٩٠] ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

[١٩١] ﴿وَلَمَّا رَأَى رَبُّكَ أَنَّهُمْ آلَفِئَةٌ كَرِجُمُ﴾.

[١٩٢] ﴿وَأَنذِرْ﴾ أي: القرآن ﴿لَنَزِيلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

[١٩٣] ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ جبريل.

[١٩٤] ﴿عَلَّ قَلْبَكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾.

[١٩٥] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ بَيِّن، وفي قراءة^(٢): بِشَدِيدٍ ﴿نَزَلَ﴾ وَنَضَبِ الرُّوحِ وَالْفَاعِلُ: اللَّهُ.

[١٩٦] ﴿وَأَنذِرْ﴾ ذكر القرآن المنزل على محمد ﴿لَنَزِيلِ رَبِّكَ كَتَبَ الْأُولَى﴾ كالنور والإنجيل.

[١٩٧] ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَكَفَارُ مَكَّةَ﴾ أي: على ذلك ﴿أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَتُنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ كعبدالله بن سلام، وأصحابه من الذين آمنوا، فإنهم يخبرون بذلك ﴿وَيَكُنْ﴾ بالتحانية وَنَضَبِ ﴿بِأَيَّةٍ﴾ وبالفوقانية وَرَفَعِ ﴿بِأَيَّةٍ﴾^(٣).

[١٩٨] ﴿وَلَوْ فَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ﴾ جمع أعجم.

[١٩٩] ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ﴾ كفار مَكَّةَ ﴿مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ أَنفَقَ مِنْ اتِّبَاعِهِ.

[٢٠٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمي ﴿سَلَكْنَاهُ﴾ أدخلنا التكذيب به ﴿فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾ كفار مَكَّةَ بقراءة النبي.

[٢٠١] ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ.

[٢٠٢] ﴿فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

وَأَنفَعُوا الَّذِينَ خَلَقْتُمْ وَالْجَلِيلَةَ ﴿الْأُولَى﴾ ﴿فَالْوَأِإِمَّا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِنْ تُفْئِئُكَ لَمِنَ الْكَذِبِينَ ﴿فَأَنذِرْ عَذَابَنَا كَيْفَ أَفْنِ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلُمَةِ﴾ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ ﴿إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿وَلَمَّا رَأَى رَبُّكَ أَنَّهُمْ آلَفِئَةٌ كَرِجُمُ﴾ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لَتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْأُولَى ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَتُنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ أَفَعَدَّائِنَا لَمِصْرَ الْجَلِيلِ ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ لَنُؤْمِنَ؟ فَيَقَالُ لَهُمْ: «لَا»، فقالوا: متى هذا العذاب؟

[٢٠٣] ﴿فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ لنؤمن؟ فَيَقَالُ لَهُمْ: «لَا»، فقالوا: متى

هذا العذاب؟

[٢٠٤] قال - تعالى -: ﴿أَفَعَدَّائِنَا لَمِصْرَ الْجَلِيلِ﴾.

[٢٠٥] ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ أخبرني ﴿إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ﴾.

[٢٠٦] ﴿ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ من العذاب.

(١) بالسكون قراءة السبعة عدا حفص.

(٢) لحمزة والكسائي وشعبة وابن عامر.

(٣) باتاء مع رفع ﴿بِأَيَّةٍ﴾ لابن عامر.

الذي دعوك إليه.

[٢١٤] ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ وهم: بنو هاشم وبنو المطلب، وقد أنذرهم جهاراً. [رواه البخاري ومسلم].^(١)

[٢١٥] ﴿وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ أَلْنِ جَانِبَكَ ﴿لِمَنِ الْأَمْرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الموحدين.

[٢١٦] ﴿فَإِنْ عَصَوْكَ﴾ عسيرتك ﴿فَقُلْ﴾ لهم: ﴿إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ من عبادة غير الله.

[٢١٧] ﴿وَتَوَكَّلْ﴾ بالواو والفاء^(٢) ﴿عَلَى الْغَرِيبِ الرَّحِيمِ﴾ الله؛ أي: فوض إليه جميع أمورك.

[٢١٨] ﴿الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ﴾ إلى الصلاة.

[٢١٩] ﴿وَتَقْلُبُ﴾ في أركان الصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً ﴿فِي السَّجْدِ﴾ المصلين.

[٢٢٠] ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾.

[٢٢١] ﴿هَذَا أَنبَأُكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿عَلَىٰ مَن نَّزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾ - حذف إحدى التاءين من الأصل؟

[٢٢٢] ﴿نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ كَذَابٍ﴾ أنبأهم: فاجر، مثل «مُتَيْلَمَةٌ» وغيره من الكهنة.

[٢٢٣] ﴿يُلْقُونَ﴾ الشياطين ﴿السَّمْعَ﴾ ما سمعوه من الملائكة إلى الكهنة ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَذِبُونَ﴾ يضمنون إلى المسموع كذباً كثيراً، وكان هذا قبل أن حجت الشياطين عن السماء.

[٢٢٤] ﴿وَالشَّعْرَاءُ بَنِعْمَهُمُ الْفَاوُونَ﴾ في شعرهم، فيقولون به ويروونه عنهم؛ فهم مذمومون.

[٢٢٥] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ مِّنْ أودية الكلام وفنونه﴾ يهيمون؛ يعضون؛ فيجازون الحد مدحاً وهجاءً.

[٢٢٦] ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ﴾ فعلنا ﴿مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ أي: يكذبون.

[٢٢٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ من الشعراء ﴿وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ لم يشغلهم الشعر عن الذكر ﴿وَأَنصَرَوْا﴾ بهجواهم الكفار ﴿مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا﴾ بهجوا الكفار لهم في جملة المؤمنين؛ فليسوا مذمومين، قال الله - تعالى -: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ﴾^(٣) وقال - تعالى -: ﴿فَمَن آفَضَكُنَّ عَلَيْكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ بِهِ فَإِذَا تَغَيَّرَ وَجْهُكَ فَأَعْتَدْ عَلَيْهِ﴾^(٤) ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من الشعراء وغيرهم ﴿أَيُّ مُنْقَلَبٍ﴾ مرجع ﴿يَقْلِبُونَ﴾ يرجعون بعد الموت.

مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُمْتَنُونَ ﴿٢١٥﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا لَهَا مُبْدِرُونَ ﴿٢١٦﴾ وَذَكَرَىٰ وَمَا كُنَّا نَخْلَعُ مِنْهُ ﴿٢١٧﴾ وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ الشَّيْطَانُ ﴿٢١٨﴾ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمْعَزُولُونَ ﴿٢٢٠﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢٢١﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢٢٢﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ الْأَمْرُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢٤﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢٢٥﴾ الَّذِي يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢٢٦﴾ وَتَقْلُبُ فِي السَّجْدِ ﴿٢٢٧﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٨﴾ هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَىٰ مَن نَّزَّلَ الشَّيْطَانُ ﴿٢٢٩﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٣٠﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرُهُمْ كَذِبُونَ ﴿٢٣١﴾ وَالشَّعْرَاءُ يَبْنِعُهُمُ الْفَاوُونَ ﴿٢٣٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٣٣﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٣٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٣٥﴾

سورة الشعراء

[٢٠٧] ﴿مَا﴾ استفهامية بمعنى أي: شيء ﴿أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمْتَنُونَ﴾ في دفع العذاب أو تخفيفه؟ أي: لم يغن.

[٢٠٨] ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبَةٍ إِلَّا مَا مِيزَرُونَا﴾ رسل تنذر أهلها.

[٢٠٩] ﴿وَذَكَرَىٰ﴾ عظة لهم ﴿وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ في إهلاكهم بعد إنذارهم.

[٢١٠] ﴿وَنَزَّلَ رِيقًا لِّلْمُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَمَا نَزَّلَتْ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿الشَّيْطَانُ﴾.

[٢١١] ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ يصلح ﴿لَهُمْ﴾ أن ينزلوا به ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ذلك.

[٢١٢] ﴿إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ﴾ لكلام الملائكة ﴿لَمْعَزُولُونَ﴾ بالشُّبُه.

[٢١٣] ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ إن فعلت ذلك

(٥) فائدة: أخرج أبو داود عن ابن عباس قال: ﴿وَالشَّعْرَاءُ بَنِعْمَهُمُ الْفَاوُونَ﴾ فسبح من ذلك واستثنى فقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾. أبو داود. كتاب الأدب (٣٥) باب (٩٥) ما جاء في الشعر. وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن أبي داود (٤١٩٥).

(١) أخرجه البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ سعد النبي ﷺ على الصفا فجعل يادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» - لبطون من قريش - حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر، ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتم لو أحررتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: «إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد». فقال أبو لهب: «ثألك سائر اليوم، ألهذا جمعنا؟ فنزلت: ﴿ثَبَّتْ يَدَايَ لِي لَهْوساً﴾. البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٤) عن ابن عباس.

(٢) بالفاء قراءة نافع وابن عامر.

(٣) النساء: ١٤٨.

(٤) البقرة: ١٩٤.

سُورَةُ الشَّعْرِ

[مكية وهي: ثلاث، أو: أربع، أو: خمس وتسعون آية،
نزلت بعد سورة الشعراء]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿طَسَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك ﴿تِلْكَ﴾ هذه الآيات ﴿آيَاتُ الْفُرْقَانِ﴾ آيات منه ﴿وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ مظهر للحق من الباطل، عطف بزيادة صفة.

[٢] هو ﴿هُدًى﴾ هاد من الضلالة ﴿وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين به بالجنة.

[٣] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ يأتون بها على وجهها ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ وهم بالآخرة هم يؤفنون يعلمونها بالاستدلال، وأعيد: ﴿وَهُمْ﴾ لما فصل بينه وبين الخبر.

[٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة ﴿فَهُمْ يَمَهِّوْنَ﴾ يتحiron فيها لقبها عندنا.

[٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ﴾ أشده في الدنيا القتل والأسر ﴿وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ﴾ لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم.

[٦] ﴿وَإِنَّكَ لَنَلْقَى الْقُرْآنَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿لَتَلْقَى الْقُرْآنَ﴾ يلقي عليك بشدة ﴿مِنْ لَدُنِّهِ﴾ من عند ﴿حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ في ذلك.

[٧] اذْكُرْ: إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ: زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر: ﴿إِنِّي أَنَا نَسْتُ﴾ أبصرت من بعيد ﴿كَأَنَّكَ سَتَيتُكِ مِنْهَا بِخَبَرٍ﴾ عن حال الطريق، وكان قد ضلها ﴿أَوْ أَتَيْتُكِ﴾ [بشهاب] قيس: بالإضافة للبيان، وتركها^(١) أي: شلعة نار في رأس فتيلة أو عود ﴿تَصْطَلُونَ﴾ والطاء بدل من تاء الافتعال، من صلي بالنار بكسر اللام وفتحها؛ تستدفئون من البرد.

[٨] ﴿فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ أَتَى: بَانَ ﴿بُورِكَ﴾ أي: بارك الله ﴿مَنْ فِي النَّارِ﴾ أي: موسى ﴿وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ أي: الملائكة أو العكس، وبارك) يعبدى بنفسه وبالخرف، ويقدر بعد: في مكان^(٢) ﴿وَسُبْحَنَّ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من جملة ما نودي^(٣) ومعناه: تنزيه الله من السوء.

[٩] ﴿يُؤْمِسُ إِلَهُهُ﴾ أي: الشأن ﴿أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. [١٠] ﴿وَأَلْقَى عَصَاهُ﴾ فآلقاها ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ﴾ تتحرك ﴿كَأَنَّمَا جَانٌّ﴾ حية خفيفة ﴿وَلَّى مُدْبِرًا وَكُرَّ يَعْقُبُ﴾ يرجع؛ قال - تعالى -: ﴿يُمُوسَى لَا تَخَفْ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ تِلْكَ آيَاتُ الْفُرْقَانِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ
أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتَلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ
لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنَسْتُ نَارًا سَتَيتُكُمْ
مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ تَتِيكُمْ بِشَبَابٍ قَبَسَ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا
نُودِيَ أَنْ تَبُورِكَ مِنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَنَّ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ يُمُوسَى إِلَهُهُ وَأَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقَى عَصَاهُ
فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّمَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَكُرَّ يَعْقُبُ يُمُوسَى لَا تَخَفْ
إِنِّي لَا يَخَافُ لَدُنِّي الْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ
سُوءٍ فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَبِّكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ
غَيْرِ سُوءٍ فِي ثَمَعٍ آيَاتٍ إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿١٢﴾
فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٣﴾

منها ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدُنِّي﴾ عندي ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ من حية وغيرها.

[١١] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ ظَلَمَ﴾ نفسه ﴿ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا﴾ أنه ﴿بَعْدَ سُوءٍ﴾ أي: تاب ﴿فَإِنِّي عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ أقبل التوبة وأغفر له.

[١٢] ﴿وَأَدْخَلَ يَدَكَ فِي جَبِّكَ﴾ طوق قميصك ﴿تَخْرُجُ﴾ خلاف لونها من الأدمة^(٤) ﴿بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ برص، لها شعاع يُعْشَى^(٥) البصر، آية ﴿فِي ثَمَعٍ ءَايَاتٍ﴾^(٦) مرسلًا بها ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ﴾ إِيَّاهُمْ كَأَنَّمَا قَوْمًا فَاسِقِينَ.

[١٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ ءَايَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ مضئية واضحة ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ يبين ظاهرو.

(١) بالإضافة قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ الباقون: «بشهاب».

(٢) على تفسيره الأول أن من في النار هو موسى، ويكون: لتقدير: أن بورك به من في مكان النار.

(٣) قال ابن كثير: أي الذي يفعل ما يشاء ولا يشبه شيئًا في مخلوقاته، ولا يحيط به شيء من مصنوعاته، وهو العلي العظيم المبين لجميع المخلوقات، ولا تكتنفه الأرض والسموات؛ بل هو الأحد احد المزه عن مماثلة المحدثات.

(٤) أي الشمرة، وفي هذا رد على أهل الكتاب وما جاء في كتبهم أنها خرجت برصاء مثل الثلج.

(٥) أي: إن شعاعها يجعل البصر «أعشى»، وفي بعض النسخ: «يُعْشَى» بالعين المعجمة، وهو تصحيح.

(٦) تقدم بيانها في تفسير آية رقم (٧٥) من سورة يونس.

وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلُمًا وَعُلوًّا فَأَنْظَرَ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا
وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مِثْقَلُ
الْطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾
وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ
يُورَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمَلَةٌ يَّأَيُّهَا
النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ
لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي
أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ
صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ
﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ أَمْ كَانَ
مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ
أَوْ لِيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحْطْتُ بِمَا لَهُمُ خُطْبُهُمْ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

﴿١٤﴾ وَجَحَدُوا بِهَا: لم يقرؤا ﴿١٥﴾ قَدْ: أَسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ: أي: تيقنوا أنها من عند الله ﴿ظُلُمًا وَعُلوًّا﴾: تكبروا عن الإيمان بما جاء به موسى، راجع إلى الجحد ﴿فَأَنْظَرَ﴾: يا محمد ﴿كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾: التي علمتها من إهلاكهم. ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ: بالفضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك ﴿وَقَالَ﴾: شكروا لله: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا﴾

بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين ﴿عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ﴾: ﴿١٦﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ: النبوة والعلم دون باقي أولاده ﴿وَقَالَ يَّأَيُّهَا النَّاسُ عِلْمَنَا مِثْقَلُ الطَّيْرِ﴾: أي: فهم أصواته ﴿وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾: توتاه الأنبياء والملوك ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾: هو الفضل المبين ﴿الْبَيِّنُ الظَّاهِرُ﴾: ﴿١٧﴾ وَحُشِرَ: جميع ﴿لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ﴾: في مسير له ﴿فَهُمْ يُورَعُونَ﴾: يجمعون ثم يساقون.

﴿١٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ: هو بالطائف أو بالشام، غله صغار أو كبار ﴿قَالَتْ نَمَلَةٌ﴾: ملكة النمل وقد رأت جند سليمان: ﴿يَّأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾: يكسرنكم ﴿سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾: نزل النمل منزلة العقلاء في الخطاب بخطابهم.

﴿١٩﴾ فَتَبَسَّمَ: سليمان ابتداء ﴿ضَاحِكًا﴾: انتهاء ﴿مِّن قَوْلِهَا﴾: وقد سمعه من ثلاثة أميال، حملته إليه الريح؛ فبسم جنده حين أشرف على واديهم حتى دخلوا بيوتهم، وكان جنده ركبًا ومشاة في هذا السير ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي﴾: ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ﴾: بها ﴿عَلَى وَالِدَيَّ﴾: وعلى ذلكم وأن أعمل صالحًا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴿الأنبياء والأولياء﴾.

﴿٢٠﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ: ليرى الهدهد الذي يرى الماء تحت الأرض، ويدل عليه بقره فيها؛ فستخرجه الشياطين لاحتياج سليمان إليه للصلاة، فلم يره ﴿فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهَدْهَدَ﴾: أي: أعرض لي ما منعي من رؤيته ﴿أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾: فلم أره لغيبته؟ فلما تحققها.

﴿٢١﴾ قَالَ: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا﴾: تعذيبًا ﴿سَكِينًا﴾: بنصف ريشه وذنبه ورميه في الشمس؛ فلا يمتنع من الهوام ﴿أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ﴾: يقطع حلقومه ﴿أَوْ لِيَأْتِيَنِي﴾: بنون مشددة مكسورة، أو مفتوحة يليها نون مكسورة ﴿بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾: بمرهان بين ظاهري على غدره.

﴿٢٢﴾ ﴿فَمَكَثَ﴾: بضم الكاف وفتحها ﴿غَيْرَ بَعِيدٍ﴾: يسيرًا من الزمن، وحضر لسليمان متواضعًا برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه؛ فعفا عنه وسأله عما لقي في غيبته ﴿فَقَالَ أَحْطْتُ بِمَا لَهُمُ خُطْبُهُمْ﴾: أي: اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وَحُشِرْتُكَ مِنْ سَبَإٍ﴾: بالصرف وتركه ﴿٢٠﴾: قبيلة باليمن، سميت باسم جد لهم باعتبارها ضُرِفَ ﴿بِنَبَإٍ﴾: خبر ﴿يَقِينٍ﴾.

(١) مثل هذه التفاصيل لا دليل عليها ولا فائدة في ذكرها، وغالبًا ما تكون من الإسرائيليات. وقوله: «حملته إليه الريح» يعارض نص الآية؛ فقلوه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ﴾ يعني: وصولهم إليه.

(٢) لا دليل على أن العذاب الذي توعد به سليمان الهدهد هو هذا الذي ذكره المصنف الجلال المحلي، والآية أطلقت لعذاب ووصفته بالشدة.

(٣) وهذه الأخيرة قراءة ابن كثير.

(٤) بالضم قراءة السبعة عدا عاصم.

(٥) قرأ أبو عمرو والبزي بفتح الهمة من غير تنوين، وقرأ قبل بإسكانها.

[٣٩] ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ هُوَ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ﴾: «أَنَا إِيَّاكَ بِهِ قِيلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ» الذي تجلس فيه للقضاء؛ وهو: من الغداة إلى نصف النهار ﴿وَأَنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ﴾ أي: على حمله «أَمِينٌ» على ما فيه من الجواهر وغيرها، قال سليمان: أريد أسرع من ذلك.

[٤٠] ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ الْمَرْبُوعُ﴾: «أَصَفَ بَنَ بِرَحِياء»، كان صديقاً يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعا به أجيب ﴿أَنَا إِيَّاكَ بِهِ قِيلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ إذا نظرت به إلى شيء، فقال له: «انظر إلى السماء» فنظر إليها، ثم رَدَّ بِطَرْفِهِ فوجده موضوعاً بين يديه، ففي نظره إلى السماء دعا «أَصَفَ» بالاسم الأعظم أن يأتي الله به؛ فحصل بأن جرى تحت الأرض حتى نبع تحت كرسي سليمان^(١) ﴿فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا﴾ ساكناً ﴿عِنْدَهُ قَالَ هَذَا﴾ أي: الإيمان لي به ﴿مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي﴾ لِيختبرني ﴿عَشْرًا﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين الموهلة الأخرى وتركه^(٢) ﴿ثُمَّ أَكْثَرُ﴾ النعمة ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَازِيدُ﴾ أي: لأجلها؛ لأن ثواب شكره له ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ النعمة ﴿فَإِنِّي رَجَعْتُ عَنْ شُكْرِهِ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٌ﴾ بالأنضال على من يكفرها.

[٤١] ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ أي: غيرهه إلى حال تنكره إذا رآته ﴿تَنْظُرْ أَتَهْتَدِي﴾ إلى معرفته ﴿أَمْ تَكُونُ مِّنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ﴾ إلى معرفة ما يغير عليهم، قصد بذلك اختبار عقلها لما قيل: إن فيه شيئاً. فغيروه بزيادة أو نقص وغير ذلك.

[٤٢] ﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ لَهَا: أَهَذَا كَرُشُكَ﴾ أي: أمثل هذا عرشك؟ ﴿قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ﴾ عرفته وشبهت عليهم كما شبهوا عليها؛ إذ لم يقل: أهذا عرشك. ولو قيل: هذا. قالت: نعم. قال سليمان لما رأى لها معرفة وعلماً: ﴿وَأَوْبَيْنَا أَلَمًا مِّن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُبِينِينَ﴾.

[٤٣] ﴿وَصَدَّهَا﴾ عن عبادة الله ﴿فَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿إِنَّمَا كُنْتَ مِّن قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾.

[٤٤] ﴿قِيلَ لَهَا﴾ أيضاً: ﴿ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾ هو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء عذب جار فيه سمك، اصططنه سليمان لما قيل له: «إن ساقياها وقديماها قديمي الحمار»^(٣) ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَبَّتْ لِحْجَتُهُ﴾ من الماء ﴿وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا﴾ لتخوضه، وكان سليمان على سريريه في صدر الصرح فرأى ساقياها وقديماها حسناً ﴿قَالَ لَهَا: إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ﴾ ملس ﴿مِن فَوَارِسٍ﴾ من زجاج، ودعاها إلى الإسلام ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بعبادة غيرك ﴿وَأَسْلَمْتُ﴾ كائنه ﴿مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ وأراد تزوجها ففكره شغراً ساقياها؛ فعملت له الشياطين الثورة فأزالته بها؛ فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها، وكان يزورها في كل شهر مرة، ويقم عندها ثلاثة أيام، وانقضى ملكها بانقضاء ملك سليمان^(٤) - روي أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة، ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة - فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه.

فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالِ أُمَّةٍ أَنَّى أَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٩﴾ ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَل لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٤٠﴾ قَالَ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ الْيَمِينُ يَأْتِينِي بِعَرَشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَا إِيَّاكَ بِهِ قِيلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٤٢﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُكُمْ أَمْ أَكْفَرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَجِي عَنِّي كَرْيٌ ﴿٤٣﴾ قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِّنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤٤﴾ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَذَا كَرُشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْبَيْنَا أَلَمًا مِّن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٥﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٦﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِّن فَوَارِسٍ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾

[٣٦] ﴿فَلَمَّا جَاءَ﴾ الرسول بالهدية معه أتباعه ﴿سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَ بِمَالِ أُمَّةٍ أَنَّى أَلَهُ خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَاكُمْ﴾ من النبوة والملك ﴿خَيْرٌ مِّمَّا ءَاتَاكُمْ﴾ من الدنيا ﴿بَلْ أَنْتُمْ بِهَدْيِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ لفخركم بزخارف الدنيا.

[٣٧] ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾ بما أتيت من الهدية ﴿فَلَنَأْتِيَهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَل لَهُمْ بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُمْ مِّنْهَا﴾ من بلد سبأ، سميت باسم أبي قبيتهم ﴿أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ إن لم يأتوني مسلمين؛ فلما رجع إليها الرسول بالهدية جعلت سريرها داخل سبعة أبواب داخل قصرها، وقصرها داخل سبعة قصور، وغلقت الأبواب وجعلت عليها حراً، وتجهزت للمسير إلى سليمان لتنظر ما يأمرها به، فارتحلت في اثني عشر ألف قتل، مع كل قتل ألوف كثيرة إلى أن قربت منه على فرسخ شعر بها^(١).

[٣٨] ﴿قَالَ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ الْيَمِينُ﴾ في الهمزتين ما تقدم^(٢) ﴿يَأْتِينِي بِعَرَشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ متفادين طائعين^(٣)، فليأخذها قبل ذلك لا بعده^(٤).

(١) سبق التعليق على هذه الأخبار ونحوها من الإسرائيليات. (٢) أي: من التحقيق وتسهيل الثانية بقلبها واواً مكسورة، وهي ثلاث قراءات سبعة.

(٣) جمهور المفسرين أن هذه المقالة من سليمان محيية هديتها وردها إياها. (٤) قاله قتادة وعطاء وزهير بن محمد وغير واحد، والمعنى أنهم متى أسلموا حرمت أموالهم.

(٥) سبق التعليق على نحو هذه الأخبار، وأنه لا دليل عليها، ولا فائدة في ذكرها.

(٦) راجع التعليق على الآية رقم (٦) من سورة البقرة.

(٧) أحسن ما قيل في بناء الصرح هو أنه أراد أن يربها ملكاً أعظم من ملكها ليكون حاملاً لها على أن تسلم. وما قيل غير ذلك فإسرائيليات لا تثبت ولا تليق بمقام النبوة.

(٨) مثل هذه السياقات والدقائق التي ذكرها المفسر الأقرب فيها أنها مثناة عن أصل الكتاب مما يوجد في صحفهم، كروايات كعب ووهب، فيما نقلنا إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأرواب والنغز والعباب، مما كان وما لم يكن، ومما خوف بُذِّلَ ونُسِخَ، وقد أغنانا الله - سبحانه - عن ذلك بما هو أصح منه وأوضح وأبلغ.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ مِنَ الْقَبِيلَةِ ﴿صَلِّحًا﴾ أَنْ: أَي: بَأَنْ ﴿أَعْبُدُوا اللَّهَ﴾ وَخُذُوا ﴿فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ﴾ فِي الدِّينِ، فَرِيقٌ مُؤْمِنُونَ مِنْ حِينَ إِرْسَالِهِ إِلَيْهِمْ، وَفَرِيقٌ كَافِرُونَ.

[٤٦] ﴿قَالَ﴾ لِلْمُكَذِّبِينَ: ﴿يَتَقَوَّيْ لِمَ سَتَعَجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾ أَي: بِالْعَذَابِ قَبْلَ الرَّحْمَةِ؛ حَيْثُ قُلْتُمْ: «إِنْ كَانَ مَا أَتَيْنَا بِهِ حَقًّا فَاتُّنَا بِالْعَذَابِ» ﴿لَوْلَا﴾ هَلَا ﴿سَتَعْفِرُونَ اللَّهَ﴾ مِنَ الشَّرِكِ ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ فَلَا تَعْدُونَ؟

[٤٧] ﴿قَالُوا أَلَمْ يَنْزِلْ عَلَيْنَا مَاءٌ فِي الْطَّاءِ وَاجْتَلِبْ هَمْزَةً الْوَصْلِ؛ أَي: تَشَاءُ مِنَّا ﴿يَا وَيْلَكَ وَمَعَكَ﴾ الْمُؤْمِنِينَ؛ حَيْثُ فَجَّطُوا الْمَطَرَ^(١) وَجَاعُوا ﴿قَالَ طٰٓئِرُكُمْ﴾ شُؤْمُكُمْ ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَتَاكُمْ بِهِ ﴿بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ تَخْتَبِرُونَ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

[٤٨] ﴿وَكُنْتَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ مَدِينَةُ ثَمُودَ ﴿وَسَعَةُ رَهْطٍ﴾ أَي: رِجَالٌ ﴿يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ بِالْعَاصِي؛ مِنْهَا: قَرْضُهُمُ الدَّنَانِيرَ وَالْدِرَاهِمَ ﴿وَلَا يُصْلِحُونَ﴾ بِالطَّاعَةِ.

[٤٩] ﴿قَالُوا﴾ أَي: قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ﴿تَقَاسَمُوا﴾ أَي: احْلِفُوا ﴿بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّكَ﴾ بِالنُّونِ وَالتَّاءِ وَضِمَّ التَّاءِ الثَّانِيَةِ^(٢) ﴿وَأَهْلَكُمْ﴾ أَي: مِنْ أَمْنٍ بِهِ؛ أَي: نَقْتُلُهُمْ لَيْلًا ﴿ثُمَّ لَنَقُولَنَّ﴾ بِالنُّونِ وَالتَّاءِ وَضِمَّ اللَّامِ الثَّانِيَةِ^(٣) ﴿لَوْلِيَّهِ﴾ لَوْلِي دَمِهِ ﴿مَا شَهِدْنَا﴾ حَضَرْنَا ﴿إِنْ هٰذَا إِلَّا هَلِكٌ﴾ بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِهَا^(٤)؛ أَي: إِهْلَاكُهُمْ أَوْ هَلَاكِهِمْ؛ فَلَا نَدْرِي مِنْ قَتْلِهِمْ ﴿وَلَئِنْ لَصَدَّقُوا﴾.

[٥٠] ﴿وَمَكَرُوا﴾ فِي ذَلِكَ ﴿مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا﴾ أَي: جَازَيْنَاهُمْ بِتَعْجِيلِ عِقَابِهِمْ^(٥) ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

[٥١] ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ﴾ أَهْلَكَنَاهُمْ ﴿وَقَوْمَهُمْ أَتَمِّينَ﴾ بِصَبِيحَةِ جَبْرِيلَ، أَوْ يَرْمِي الْمَلَائِكَةُ بِحِجَارَةٍ يَرُونَهَا وَلَا يَرُونَهُمْ.

[٥٢] ﴿فَبِئْسَ الْيُوسُفُ حَاوِيٌ﴾ أَي: خَالِيَةً، وَنَصَبَهُ عَلَى الْحَالِ، وَالْعَامِلُ فِيهَا مَعْنَى الْإِشَارَةِ ﴿بِمَا ظَلَمُوا﴾ بِظَلَمِهِمْ؛ أَي: كَفَرِهِمْ ﴿وَإِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّعِبَادٍ﴾ لِعِبَادَةِ ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ قُدْرَتَنَا؛ فَيَتَعَزَّوْنَ.

[٥٣] ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بِصَالِحٍ، وَهُمْ أَرْبَعَةُ آلَافٍ ﴿وَوَكَأُوا يَمْنُونَ﴾ مِنَ الشَّرِكِ.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَلِّحًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَعِجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ لَعَذَابُكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا أَطِيعُوا يَا بَنِيكَ وَبَيْنَ مَعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٥٢﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سَعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٥٣﴾ قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لَوْلِيَّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكٌ أَهْلَهُ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَبِئْسَ الْيُوسُفُ حَاوِيٌ بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَأُتُوا بِتُفُونٍ ﴿٥٧﴾ وَلَوْ طَافَ الْأَرْضُ لَقَوْمِهِ أَتَانُوتِ الْفَلْحِشَةَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ﴿٥٨﴾ أَيْنَكُمُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ الْنِسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُجَاهِلُونَ ﴿٥٩﴾

[٥٤] ﴿وَلَوْ طَافَ﴾ مَنْصُوبٌ بِ«اذْكُرْ» مَقْدَرًا قَبْلَهُ، وَيُبْدِلُ مِنْهُ: ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِيءَ أَتَأْتُونَ الْفَلْحِشَةَ﴾ أَي: اللِّوَاطَ ﴿وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ أَي: يَبْصُرُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنَّمَا كُنِيَ فِي الْمَعْصِيَةِ؟

[٥٥] ﴿أَيْنَكُمُ﴾ بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ، وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهِينِ^(١) ﴿لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ الْنِسَاءِ﴾ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُجَاهِلُونَ عَاقِبَةُ فَعْلِكُمْ.

(١) أَي: احْتِسِبْ عَنْهُمْ الْمَطَرُ.

(٢) بِالتَّاءِ وَضِمَّ التَّاءِ الثَّانِيَةِ قِرَاءَةُ حِمَزَةٍ وَالْكَسَائِي.

(٣) بِالتَّاءِ وَضِمَّ اللَّامِ الثَّانِيَةِ قِرَاءَةُ حِمَزَةٍ وَالْكَسَائِي.

(٤) بِضَمِّ الْمِيمِ وَفَتْحِ اللَّامِ قِرَاءَةُ السَّبْعَةِ عِدَا عَاصِمٍ، وَفَرَأَ شُعْبَةُ بِفَتْحِهَا وَخَفَضَ بِكَسْرِ اللَّامِ.

(٥) وَهَذَا تَأْوِيلٌ لِهَذِهِ الصِّفَةِ الَّتِي أَتَيْنَاهَا رَبَّنَا لَنَنْجِيَنَّهُ لِنَفْسِهِ، وَمَذْهَبُ السَّلَفِ فِي هَذَا النَّوعِ مِنَ الصِّفَاتِ إِثْبَاتُهُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى الْوَجْهِ اللَّائِقِ بِهِ. شَيْخَانَهُ، هِيَ فِيمَا سَبَقَتْ لَهُ مَدْحٌ وَكَمَالٌ، وَلَكِنْ لَا تَطْلُقُ عَلَيْهِ تَعَالَى مُحَرَّدَةً بَدُونَ ذِكْرِ تَعَلُّقِهَا، وَكَذَا لَا يَشْتَقُّ لَهُ اسْمٌ أَوْ صِفَةٌ مِنْهَا؛ فَلَا يَقَالُ: مَاكُرٌ وَلَا مُخَادَعٌ.

(٦) سَهْلُ الثَّانِيَةِ مَعَ إِدْخَالِ الْأَلْفِ قَالُونَ وَأَبُو عَمْرٍو، وَمَنْ غَيْرُ إِدْخَالِ وَرَشٍ وَابْنٌ كَثِيرٌ وَحَقَّقَهَا هِشَامٌ مَعَ الْإِدْخَالِ وَعَدَمُهُ، وَبَقِيَّةُ السَّبْعَةِ كَذَلِكَ مِنْ غَيْرِ إِدْخَالٍ.

الْعَذَابِ ﴿٥٨﴾ الْبَاقِينَ فِي الْعَذَابِ.

[٥٨] ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا﴾ هو حجارة السجيل فأهلكهم

﴿فَلَقَدْ﴾ بئس ﴿مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ﴾ بالعذاب مطرهم.

[٥٩] ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿الْحَسْبُ إِلَهُ﴾ على هلاك الكفار من الأمم الخالية

﴿وَسَلَّمَ عَلَى عِبَادِ الَّذِينَ أَصْطَفَى﴾ هم ﴿عَالَمُهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال

الثانية ألفاً وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه^(١) ﴿خَيْرٌ﴾

من يعبدُه ﴿أَمَّا﴾ [تُشْرِكُونَ] ﴿بِالنَّاءِ﴾ والياء^(٢)؛ أي: أهل مكة به؛ أي: الآلهة

خير لعبديها.

[٦٠] ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً

فَأَنْبَتْنَا﴾ فيه التفات من الغيبة إلى التكلم ﴿بِهِ﴾ حَدَائِقَ﴾ جمع حديقة؛

وهو: البستان المحوط ﴿ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ حُشْنٍ﴾ مَا كُنَّا لَكُمْ أَنْ تُشِيرُوا

شَجَرَهُ﴾ لعدم قدرتكم عليه ﴿أَوَّلَهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية

وإدخال ألف بينهما على الوجهين في مواضع السبعة^(٣) ﴿مَعَ اللَّهِ﴾ أعانه

على ذلك؛ أي: ليس معه إله ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ يشركون بالله غيره.

[٦١] ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ لا تميد بأهلها ﴿وَجَعَلَ خِلَالَهَا﴾ فيما

بينها ﴿أَنْهَارًا﴾ وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ﴾ جبلاً أثبت بها الأرض ﴿وَجَعَلَ بَيْنَ

الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿أَوَّلَهُ﴾ مَعَ

اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ توحيده.

[٦٢] ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ﴾ المكروب الذي مسه الضر ﴿إِذَا دَعَاُ

وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ عنه وعن غيره ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ الإضافة

بمعنى: في؛ أي: يخلف كل قرن القرن الذي قبله ﴿أَوَّلَهُ﴾ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا

[تَذَكَّرُونَ] ﴿تَعْتَظُونَ﴾ بالفوقانية والتحتانية^(٤)، وفيه إدغام التاء في الذال،

و﴿مَا﴾ زائدة لتقليل القليل.

[٦٣] ﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ﴾ يرشدكم إلى مقاصدكم ﴿فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ﴾

وَالْبَحْرِ﴾ بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً ﴿وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ﴾ بُشْرًا

بَيِّنَ يَدَيَّ رَحْمَتِهِ﴾ قدام المطر ﴿أَوَّلَهُ﴾ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

به غيره.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْنَا أَلْ لُوطِ مِن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ وَقَدَرْنَاهَا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنْذِرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيِّنَ يَدَيَّ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

[٥٦] ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوْنَا أَلْ لُوطِ أَهْلَهُ﴾ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ من أذبار الرجال.

[٥٧] ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرَاتَهُ وَقَدَرْنَاهَا﴾ جعلناها بتقديرنا ﴿وَمِنْ

(١) هذا سبق قلم من الشارح؛ لأن هذه الوجوه لم يقرأ بها أحد من القراء، وغاية ما أجازوه: وجهان فقط؛ تسهيل الثانية مقصورة، وإبدالها ألفاً ممدودة مثلاً لازماً.

(٢) بالناء قراءة السبعة عدا عاصم وأبي عمرو.

(٣) أي وتركه، وقوله: «في مواضع السبعة» أي: موضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم للمكسورة، وهي لفظ (أله) خمس مرات (وأثنا) و(أثنا). وانظر التعليق على الآية رقم (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) بالتحثانية مع تشديد الذال قراءة أبي عمرو وهشام، وقراءة الباقيين بالناء لكن مع التشديد لافع وابن كثير وابن ذكوان وشعبة، ومن غير تشديد لخص وحزمة والكسائي.

[٦٤] ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ في الأرحام من نطفة ﴿ثُمَّ يُبْعِدُهُ﴾ بعد الموت، وإن لم تعترفوا بالإعادة لقيام البراهين عليها ﴿وَمَنْ يَرْفُقْ مِنْ السَّمَاءِ بِالْمَطَرِ﴾ وَالْأَرْضِ بِالنبات ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ﴾ أي: لا يفعل شيئاً ما ذكر إلا الله، ولا إله معه ﴿قُلْ﴾ يا محمد: ﴿هَاسِرًا يُهَنِّئُكُمْ﴾ حجتكم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أن معي إلهاً فعل شيئاً ما ذكر، وسألوهُ عن وقت قيام الساعة؛ فنزل: [٦٥] ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ من الملائكة والناس ﴿الْيَوْمَ﴾ أي: ما غاب عنهم ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿اللَّهُ﴾ يعلمه ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ أي: كثر مكة كثيرهم ﴿أَيَّانَ﴾ وقت ﴿يُبْعَثُونَ﴾.

[٦٦] ﴿قُلْ﴾ بمعنى: هل ﴿أَذْرَكَ﴾^(١) وزن أكرم، وفي قراءة أخرى: ﴿أَذْرَكَ﴾ بتشديد الدال، وأصله تدارك؛ أبدلت التاء دالاً وأدغمت في الدال، واحتجبت همزة الوصل؛ أي: بلغ للحق، أو تنابع وتلاحق ﴿عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرَةِ﴾ أي: بها حتى سألوا عن وقت مجيئها، ليس الأمر كذلك ﴿قُلْ هُمْ فِي شَيْءٍ مِّنْهَا بَلَّ هُمْ يَنْهَا عَمُونَ﴾ من عمي القلب، وهو أبلغ مما قبله، والأصل «عميون»؛ استقلت الضمة على الباء فقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها.

[٦٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أيضاً في إنكار البعث: ﴿إِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَنبَاءَ لَمُخْرَجُونَ﴾ من القبور.

[٦٨] ﴿لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ ما ﴿هَذَا﴾ إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿جمع أسطورة بالضم؛ أي: ما سطر من الكذب.

[٦٩] ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ بإنكارهم^(٢)؛ وهي: هلاكهم بالعذاب.

[٧٠] ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ تسليية للنبي ﷺ أي: لا تهتم بمكرهم عليك؛ فإننا ناصرك عليهم.

[٧١] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؟

[٧٢] ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ﴾ قرب ﴿لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ﴾ فحصل لهم القتل بيدر، وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت.

[٧٣] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ ومنه تأخير العذاب عن الكفار ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه.

[٧٤] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تخفيه ﴿وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ بأنسنتهم.

أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُبْعِدُهُ وَمَنْ يَرْفُقْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَوَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ قُلْ هَاسِرًا يُهَنِّئُكُمْ حجتكم إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ هُمْ فِي شَيْءٍ مِّنْهَا بَلَّ هُمْ يَنْهَا عَمُونَ من عمي القلب وهو أبلغ مما قبله والأصل «عميون»؛ استقلت الضمة على الباء فقلت إلى الميم بعد حذف كسرتها. [٦٧] وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَيُّذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَنبَاءَ لَمُخْرَجُونَ من القبور. [٦٨] لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ جمع أسطورة بالضم؛ أي: ما سطر من الكذب. [٦٩] قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ بإنكارهم؛ وهي: هلاكهم بالعذاب. [٧٠] وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ تسليية للنبي ﷺ أي: لا تهتم بمكرهم عليك؛ فإننا ناصرك عليهم. [٧١] وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ بالعذاب إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فيه؟ [٧٢] قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ فحصل لهم القتل بيدر، وباقي العذاب يأتيهم بعد الموت. [٧٣] وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ ومنه تأخير العذاب عن الكفار وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب لإنكارهم وقوعه. [٧٤] وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ تخفيه وَمَا يُعْلِنُونَ بأنسنتهم.

[٧٥] ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ الهاء للمباغاة؛ أي شيء في غاية الخفاء على الناس ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ يبين؛ هو: اللوح المحفوظ، ومكنون^(٣) علمه - تعالى -، ومنه تعذيب الكفار.

[٧٦] ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْفُسُ عَلَىٰ نَبِيٍّ إِبْرَاهِيمَ﴾ الموجودين في زمان نبيِّنا ﴿أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي: بيان ما ذكر على وجهه الراجع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا.

(١) وهي فراعة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ الباقون: ﴿أَذْرَكَ﴾.

(٢) في نسخة: «إنكاره».

(٣) وهذا تفسير ثانٍ، قالوا هنا بمعنى (أول).

بتوحيد الله.

[٨٢] ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾ حق العذاب أن ينزل بهم في جملة الكفار ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ أي: تكلم الموجودين حين خروجها بالعربية، تقول لهم من جملة كلامها عنا: ﴿[إِنَّ] النَّاسَ كُفَرَاءٌ﴾ مكية^(٢)، وعلى قراءة: فتح همزة: ﴿[إِنَّ]﴾^(٣) تقدر الباء بعد ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ ﴿كَانُوا يَتْلَوْنَ﴾ لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والعقاب، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يؤمن كافر^(٤)، كما أوحى الله إلى نوح: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا﴾ من قومك إلا من قد آمن^(٥).

[٨٣] ﴿ذِكْرٌ﴾ اذكر ﴿يَوْمَ تَخْشَىٰ مِنْ كُلِّ امْتِعَةٍ فَتَكْفُفُ﴾ جماعة ﴿وَمَنْ يَكْذِبْ يَكَلِّبْنَا﴾ وهم: رؤسائهم المتبعون ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي: يجمعون برد آخرهم إلى أولهم، ثم يساقون.

[٨٤] ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ﴾ مكان الحساب ﴿قَالَ﴾ - تعالى - لهم: ﴿أَكَذَّبْتُمْ﴾ أنبيائي ﴿يَتْلَوْنَ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ من جهة تكذيبكم ﴿يَا عِلْمًا﴾ أمّا، فيه إدغام «ما» الاستفهامية^(٦) ﴿ذَلِكَ﴾ موصول، أي: ما الذي ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مما أمرتم به؟

[٨٥] ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ﴾ حق العذاب ﴿عَلَيْهِمْ بِمَا ظَنَّمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿فَهُمْ لَا يَخْفَوْنَ﴾ إذ لا حجة لهم.

[٨٦] ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا﴾ خلقنا ﴿أَنْبِيَاءَ﴾ نبيين ﴿وَلَمْ يُخْطِئُوا﴾ من جهة تكذيبكم ﴿يَا عِلْمًا﴾ أمّا، فيه إدغام «ما» الاستفهامية^(٦) ﴿ذَلِكَ﴾ موصول، أي: ما الذي ﴿كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ مما أمرتم به؟

[٨٧] ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ﴾ القرون النفخة الأولى من إسرافيل ﴿فَفَزِعَ﴾ من في السموات ومن في الأرض، خافوا الخوف المفضي إلى الموت كما في آية أخرى: ﴿فَصَوَّبَ﴾ والشعير فيه الماضي؛ لتحقيق وقوعه. ﴿إِلَّا مَن شَاءَ﴾

الله: أي: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، وعن ابن عباس: هم الشهداء؛ إذ هم أحياء عند ربهم يرزقون. ﴿وَكُلٌّ﴾ تنوينه عوض عن المضاف إليه: أي: وكلهم بعد إحيائهم يوم القيامة ﴿أَنْتُمْ﴾ بصيغة الفعل، واسم الفاعل^(٧) ﴿ذَخِيرِينَ﴾ صاغرين، والشعير في الإتيان بالماضي لتحقيق وقوعه.

[٨٨] ﴿وَنَرَىٰ الْجِبَالَ﴾ تبصرها وقت النفخة ﴿تَحْسِبُهَا﴾ تظنها ﴿جَامِدَةً﴾ واقفة مكانها لمعلمها ﴿وَجِئَ تَمَرٌ مِّنَ السَّحَابِ﴾ المطر^(٨) إذا ضربته الريح؛ أي: تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوي بها مبنوثة، ثم تصير كالعين، ثم تصير هباء منثورا^(٩) ﴿سَمِعَ اللَّهُ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله؛ أي: صنع الله ذلك صنعا ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ﴾ أحكم ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ صنعه ﴿إِنَّهُمْ خَيْرٌ مِّمَّا يَفْعَلُونَ﴾ بالباء والتاء^(١٠) أي:

وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ بِحُكْمِهِ﴾ وهو العزيز العليم ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا أُولُوا مَذْبِيعِينَ ﴿وَمَا آتَىٰ يَهْدَىٰ الْعَمَىٰ عَن صَلَاتِهِمْ إِذَا تَسْمَعُوا إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ ﴿وَيَوْمَ تَخْشَىٰ مِنْ كُلِّ امْتِعَةٍ فَتَكْفُفُ﴾ يَكْذِبُ يَكَلِّبْنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ قَالَ أَكَذَّبْتُمْ يَتْلَوْنَ وَلَمْ يُخْطِئُوا عَلِمًا أَمَّا أَكْثَرُ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَنَّمُوا فَهُمْ لَا يَخْفَوْنَ﴾ ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُوفِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَهُ دَاخِرِينَ﴾ ﴿وَنَرَىٰ الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَمَادَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْفَخَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا تَفْعَلُونَ﴾

[٧٧] ﴿وَأَنَّهُ هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ من العذاب.

[٧٨] ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ كغيرهم يوم القيامة ﴿بِحُكْمِهِ﴾ أي: عدله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به، فلا يمكن أحدا مخالفته كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه.

[٧٩] ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ نفي به ﴿إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾ الدين البين، فالعاقبة لك بالنصر على الكفار، ثم ضرب أمثالا لهم بالموتى وبالصم وبالعُمى، فقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا﴾ بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بينها وبين الباء^(١١) ﴿وَلَوْ أُولُوا مَذْبِيعِينَ﴾.

[٨١] ﴿وَمَا آتَىٰ يَهْدَىٰ الْعَمَىٰ عَن صَلَاتِهِمْ إِذَا﴾ ما ﴿تَسْمَعُوا﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ مخلصون

(١) التسهيل لنافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) وغيرهم.

(٤) كما عند مسلم في الإيمان (١٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ثلاث إذا خرجن لا يقع نفس إيمانها، لم تكن أمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها حيرا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض» رواه مسلم (١٥٨).

(٥) هود: ٣٦.

(٦) القطار: أي: ذي المطر.

(٧) يقرأ بمد الهمزة وضم التاء وسكون الواو: أي: «عائوه»، وهي قراءة السبعة عدا حفص وحزمة.

(٩) هذا الذي ذهب إليه المفسرون أن المراد بتسيير الجبال ما يقع يوم القيامة هو قول أكثر المفسرين، ورجع البعض عن المراد بذلك في الدنيا، ويكون إشارة إلى دوران الأرض، بحسبها أهلها ساكنة وهي متحركة، لأن قوله: ﴿وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ لا يناسب مقام التهليل والتهويل، وكذلك قوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ لا يناسب مقام الإبادة والإهلاك. ولأن سير الجبال للقاء يوم القيامة يحصى عند إهلاك جميع الخلق وهذا لا يراه أحد من البشر، كما أنه إذا رآه أحد شعر به، فيحس بحركتها، وهذا يناقض قوله: ﴿تَحْسِبُهَا جَامِدَةً﴾ وعليه فنكون هذه الآية وما قبلها من قوله: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُوفِيهِ﴾ اعتراضا في سياق الآيات الدالة على أحوال الحشر وأحوال يوم القيامة. فالله أعلم بمراده.

(١٠) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وابن عامر بخلاف عنه.

أعداؤه من المعصية وأولياؤه من الطاعة.

[٨٩] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ﴾ أي: (لا إله إلا الله) يوم القيامة ﴿فَلَهُ خَيْرٌ﴾ ثواب ﴿مِنْهَا﴾ أي: بسببها، وليس للتفضيل؛ إذ لا فعل خير منها^(١)، وفي آية أخرى: ﴿عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾^(٢) ﴿وَهُمْ﴾ الجاعون بها ﴿فَرَحَ يَوْمَئِذٍ﴾ بالإضافة وكسر الميم وفتحها، و﴿فَرَحَ﴾ منونا وفتح الميم^(٣) ﴿مَا يَمُونُ﴾.

[٩٠] ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ﴾ أي: الشرك ﴿فَكَبَتْ وَجْهَهُمْ فِي النَّارِ﴾ بأن وثقتها، وذكرت الوجوه؛ لأنها موضع الشرف من الحواس، فغيرها من باب أولى، ويقال لهم تنكبنا: همل ما ﴿تَجُزُونَ إِلَّا﴾ جزء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الشرك والمعاصي.

[٩١] قل لهم: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَقْبَلَ رِجْلَ هَٰذَا الْبَلَدِ﴾ أي: مكة ﴿الَّذِي حَرَّمَهَا﴾ جعلها حراماً أمناً لا يسفك فيها دم إنسان، ولا يظلم فيها أحد، ولا يصاد صيدها، ولا يختلي خلها^(٤)، وذلك من النعم على قريش - أهلها - في رفع الله عن بلدهم العذاب، والفتن الشائعة في جميع بلاد العرب ﴿وَلَمْ﴾ - تعالى - ﴿كُنْ شَيْءٌ﴾ فهو ربه وخالقه ومالكة ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ لله توحيد.

[٩٢] ﴿وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ﴾ عليكم تلاوة الدعوة إلى الإيمان ﴿فَمَنْ أَهْتَدَىٰ﴾ له ﴿فَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ﴾ أي: لأجلها، فإن ثواب اهتدائه له ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى ﴿فَنَقُلْ﴾ له: ﴿إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ المخوفين، فليس عليّ إلا التبليغ، وهذا قبل الأمر بالقتال.

[٩٣] ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سُبْحَانَ رَبِّيَ﴾ فترفعونها فأراهم الله يوم بدر القتال والسبي، وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم، وعجلهم الله إلى النار ﴿وَمَا رَبُّكَ بِمُتَعَدِّلٍ عَلَيْهِ﴾ [يَعْمَلُونَ] بالياء والتاء^(٥)، وإنما يجهلهم لوقفهم.

سُورَةُ الْقَصَصِ

[مكية إلا: ﴿إِنْ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ﴾ الآية، نزلت بالجحفة، وإلى: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾ إلى: ﴿لَا نَبْغِي الْجَاهِلِينَ﴾، وهي: سبع، أو: ثمان وثمانون آية، نزلت بعد النمل]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿طَسَّ﴾ الله أعلم بمراده بذلك.
[٢] ﴿يَلُوكَ﴾ أي: هذه الآيات ﴿مَا يَنْتُ الْكِتَابِ﴾ بالإضافة بمعنى: من ﴿الْمُؤْمِنِينَ﴾ المظهر الحق من الباطل.
[٣] ﴿تَتْلُو﴾ نقص ﴿عَلَيْكَ مِنْ نَجٍّ﴾ خبر ﴿مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ﴾

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُوَ مَنْ فَرَحَ يَوْمَئِذٍ آمُونَ ﴿٨٩﴾
وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَبَتْ وَجْوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَقْبَلَ رِجْلَ هَٰذَا الْبَلَدِ
الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ
﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ فَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ
وَمَنْ ضَلَّ فَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ
وَمَنْ ضَلَّ فَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَمَنْ أَهْتَدَىٰ فَلَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ
سُبْحَانَ رَبِّيَ عَمَّا يَشْرُكُونَ ﴿٩٣﴾

سُورَةُ الْقَصَصِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَسُوا عَلَيْكَ
مِنْ نَبِيِّ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِبْرَ
فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ
طَائِفَةً مِنْهُمْ يَدْخُلُ آبَاءَهُمْ وَبَنَاتُهُمْ وَسَاءَ لَهُمْ أَنَّهُ كَانَ
مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا
فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾

الصدق ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأجلهم؛ لأنهم المنفعون به.

[٤] ﴿إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا﴾ تعظم ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾ فرقاً في خدمته ﴿يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ﴾ هم: بنو إسرائيل ﴿يَدْخُلُ آبَاءَهُمْ﴾ المولودين ﴿وَبَنَاتُهُمْ﴾ يستنقِبهن أحياء؛ لقول بعض الكهنة له: «إِنْ مَوْلُودًا يُولَدُ فِي بَيْتِ إِسْرَائِيلَ يَكُونُ سَبَبَ زَوَالِ مَلِكِكَ» ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ بالقتل وغيره.

[٥] ﴿وَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء^(١)، يُقْتَدَى بِهِمْ في الخير ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ مثلث فرعون.

(١) هذا قول كثير من المفسرين، وقيل بل هي للتفضيل، والمراد ثواب الله ورضوانه خير من عمل العبد وقوله وذكره. ذلك أن بعض المفسرين رجع أن المراد بالحسنة هنا يعم جميع الحسنات قولية أو فعلية أو قلبية، وهو هنا لأقل التفضيل، فقد بين - سبحانه - في سورة الأنعام أن له عشر أمثالها.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) بالإضافة مع كسر الميم قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. ومع فتحها قراءة نافع، وقرأ الباقون منونا وفتح الميم (فَرَحَ يَوْمَئِذٍ).

(٤) أي لا يقطع حشيشها الرطب.

(٥) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٦) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

وألقته في بحر النيل ليلاً.

[٨] ﴿فَالْقَلْبَ لَمَّا﴾ بالتأبوت صبيحة الليل ﴿ءَالُ﴾ أعوان ﴿فِرْعَوْنَ﴾ فوضعه بين يديه، وفتح وأخرج موسى منه وهو يصير من إبهامه لبناً^(١) ﴿لِيَكُونَ لَهُمْ﴾ في عقبه الأمر ﴿عَذَابًا﴾ يقتل رجالهم ﴿وَحَزَنًا﴾ يستعبد نساءهم، وفي قراءة^(٢): بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في المصدر، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كـ«أحزنه» ﴿إِنَّكَ فِرْعَوْنٌ وَهَنَّكَ﴾ وزيره ﴿وَيُؤَدُّهُمَا﴾ كانوا خطيبين من الخطيئة؛ أي: عاصين، فعوقبوا على يديه.

[٩] ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾ وقد هم مع أعوانه بقتله هو: ﴿فَرَّتْ عَيْنِي لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ فأطاعوها ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بعاقبة أمرهم معه.

[١٠] ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ لما علمت بالنقطة ﴿فَرِيغًا﴾ مما سواه ﴿إِنَّ﴾ مخففة من الثقيلة واسمها محذوف؛ أي: إنها ﴿كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ﴾ أي: بأنه ابنها ﴿وَلَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَّ قَلْبَهَا﴾ بالصبر، أي: شكواه ﴿لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ المصدقين بوعد الله، وجواب ﴿وَلَوْلَا﴾ دل عليه ما قبلها.

[١١] ﴿وَقَالَتِ لَأُخْبِتَنَّهُ﴾ مريم: ﴿قُصِيصًا﴾ اتبعي أثره حتى تعلمي خبره ﴿فَبَصَّرْتَهُ بِهِ﴾ أبصرته ﴿عَن جُثِيٍّ﴾ من مكان بعيد اختلاسا ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها أخته وأنها ترقبه.

[١٢] ﴿وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ﴾ أي: قبل رده إلى أمه؛ أي: منعناه من قبول ثدي مرضعة غير أمه؛ فلم يقبل ثدي واحدة من المراضع المحضرة له ﴿فَقَالَتْ﴾ أخته: ﴿هَلْ أَتَاكَ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ﴾ لما رأت حنوهم عليه ﴿يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ﴾ بالإرضاع وغيره ﴿وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ﴾ وفسرت ضمير: ﴿لَهُ﴾ بالملك، جواباً لهم^(٣)، فأجبت فجاءت بأمه؛ فقبل ثديها، وأجابته عن قبوله بأنها طيبة الريح طيبة اللبن؛ فأذن لها في إرضاعه في بيتها؛ فرجعت به؛ كما قال - تعالى -: [١٣] ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَبِيهِ﴾ كَي تَقَرَّ عَيْنُهَا بِلِقَائِهِ ﴿وَلَا تَحْزَنُ﴾ حينئذٍ ﴿وَلَتَسْلَمَنَّ﴾ وَعَدَ اللَّهُ بِرَدِّهِ إِلَيْهَا ﴿حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ بهذا الوعد، ولا بأن هذه أخته وهذه أمه، فمكث عندها إلى أن قطعت، وأجرى عليها أجرتها لكل يوم دينار، وأخذتها لأنها مال حربي، فأنت به فرعون فترى عنده كما قال - تعالى - حكاية عنه في سورة الشعراء: ﴿أَلَمْ تَرَ يَتْلُوكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ﴾^(٤).

وَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَّنْ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥﴾ فَالْقَلْبَ لَمَّا عَلِ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَمَّتْ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَطِيلِينَ ﴿١٦﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِيغًا إِنَّ كَادَتْ لَتُبْدِيَ بِهِ وَلَوْلَا أَن رَّبَّنَا عَلَّ قَلْبَهَا لَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ وَلَقَالَتِ لَأُخْبِتَنَّهُ قُصِيصًا فَبَصَّرْتَهُ بِهِ عَنْ جُثِيٍّ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٩﴾ وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ ﴿٢٠﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَبِيهِ كَي تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلَتَسْلَمَنَّ أَن وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾

[٦] ﴿وَمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر والشام ﴿وَنَرِي فِرْعَوْنَ وَهَمَّنْ وَجُنُودَهُمَا﴾ وفي قراءة^(١): ﴿وَنَرِي﴾ بفتح النحائية والراء ورفع الأسماء الثلاثة ﴿يَنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ يخافون من المولود الذي يذهب ملكهم على يديه.

[٧] ﴿وَأَوْحَيْنَا﴾ وحي إلهام، أو: منام ﴿إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ وهو المولود المذكور، ولم يشعر بولادته غير أخته ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ البحر؛ أي: النيل ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ غرقه ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لغرافه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ فأرضعته ثلاثة أشهر، لا يبكي، وخافت عليه؛ فوضعت في تابوت مطلي بالقار من داخل مهد له فيه، وأغلقت،

(١) حمزة والكسائي.

(٢) هذه التفصيلات لا فائدة من ذكرها، ولا دليل عليها؛ فالأولى أن يسان التفسير عنها.

(٣) حمزة والكسائي.

(٤) لا يمنع أن يكون قولها: ﴿وَهُمْ لَهُ نَصِيحُونَ﴾ أي: لطف؛ فلا يقصرون في خدمته وتربيته. وصنيع المصنف بشر إلى ما جاء عن ابن عباس: أنها لما قالت ذلك أخذوها وشكروا في أمرها، وقالوا لها: وما يدريك نصيحهم له وشققهم عليه؟ فقالت: إنما أردت: وهم للملك ناصحون؛ فخلصت بذلك من الشر.

(٥) الشعراء: ١٨.

[١٤] ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ وهو: ثلاثون سنة، أو: ثلاث ﴿وَأَسْتَوَى﴾ أي: بلغ أربعين سنة^(١) ﴿وَأَاتَيْنَاهُ حُكْمًا﴾ حكمة ﴿وَعِلْمًا﴾ ففها في الدين قبل أن يبعث نبيًا^(٢) ﴿وَكَذَلِكَ﴾ كما جزيناه ﴿يَجْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم.

[١٥] ﴿وَرَدَّعَلَى﴾ موسى ﴿الْمَدِينَةَ﴾ مدينة فرعون؛ وهي: «منف» بعد أن غاب عنها مدة ﴿وَعَلَى بَيْنِ غَمْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا﴾ وقت القبلولة ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ﴾ أي: إسرائيلي ﴿وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾ أي: قبطي يُسَخِّرُ الإِسْرَائِيلِيَّ لِيَحْمِلَ حَطْبًا إِلَى مَطْبَخِ فِرْعَوْنَ ﴿فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ فقال له موسى: خَلِّ سَبِيلَهُ. فقبل: إنه قال لموسى: «لقد هممت أن أحمله»^(٣) عليك ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى﴾ أي: ضربه بجمع كفه، وكان شديدة القوة والبطش ﴿فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ قتله، ولم يكن قصد قتله^(٤)، ودفنه في الرمل ﴿قَالَ هَذَا الَّذِي قَتَلْتَنِي﴾ من عمل الشيطان، المهيج غضبي ﴿إِنَّهُ عَدُوٌّ لِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ له ﴿مُتَّبِعٌ﴾ يَبْنِي الإِضْلالَ.

[١٦] ﴿قَالَ﴾ نادما: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتله ﴿فَاعْفُ رِيَّ فَعَفَّرَ لَهُ﴾ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. أي: المتصف بهما أرلا وأبدا.

[١٧] ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ﴾ بحق إنعامك^(٥) ﴿عَلَى﴾ بالمغفرة، اعصمني ﴿فَلَنْ أَكُونُ ظَاهِرًا﴾ عونًا ﴿لِلْمُجْرِمِينَ﴾ الكافرين بعد هذه، إن عصمتني.

[١٨] ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ ينتظر ما يناله من جهة القتل ﴿فَإِنَّمَا الَّذِي سَتَرَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ﴾ سَتَرَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ بِسِتْرِهِ، يستغيث به على قبطي آخر ﴿قَالَ لَمْ يَأْتِكُ لَكَ لَعُونٌ مُبِينٌ﴾ يَبْنِي الْغَوَايَةَ لِمَا فَعَلْتَهُ الْأَمْسَ وَالْيَوْمَ.

[١٩] ﴿وَلَمَّا أَنْ زَادَتْ﴾ زائدة ﴿أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا﴾ موسى والمستغيث به ﴿قَالَ﴾ المستغيث ظانًا أنه يبطش به لما قال له: ﴿تَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْرِ مِنْ إِنْ﴾ ما ﴿تُرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ﴾ فسمع القبطي ذلك؛ فعلم أن القاتل موسى؛ فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك؛ فأمر فرعون الذباحين بقتل موسى؛ فأخذوا في الطريق إليه.

[٢٠] ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ﴾ هو: مؤمن آل فرعون ﴿مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ﴾ آخرها ﴿يَسْعَى﴾ يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم ﴿قَالَ يَمُوسَى إِنَّكَ

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، وَأَسْتَوَى، أَتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا، وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى بَيْنِ غَمْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَفْتَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ عَلَى فَلَئِنْ أَكُونُ ظَاهِرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي سَتَرَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ يَأْتِيهِ يَسْتَغْفِرُهُ وَقَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَعَوْنٌ مُبِينٌ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا قَالَ يَمُوسَى أَرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْرِ مِنْ إِنْ تَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَّارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَمُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٢﴾

الْمَلَأَ من قوم فرعون ﴿يَأْتَمِرُونَ بِكَ﴾ يتشاورون فيك ﴿لِيَقْتُلُوكَ﴾ فَاخْرُجْ من المدينة ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ في الأمر بالخروج.

[٢١] ﴿خَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ خَوْفٌ طَالِبٌ، أو غَوَتْ اللَّوْاِيَاهُ ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ قوم فرعون.

(١) الأطهر أن يبع الأشد مع الاستواء إشارة إلى عمر واحد، لا عميرين كما ذهب إليه المفسر، وأما تحديده بعمر معين فالغالب أن يكون ذلك في نحو الأربعين، حيث كمال القوة واعتدال المراج، وهما بلوغ الأشد والاستواء.

(٢) وقيل: المراد بالعلم أو بالحكم والعلم النبوة، وهو الأطهر، وهو الذي يتناسب مع قوله: ﴿رَبِّ إِنَّمَا أَتَمَمْتُ عَلَى﴾ فقد فسرها. أي النعمة. هنا بالمغفرة، ولا علم لموسى الخطيئة بذلك إلا بالوحي. وأما ائقتل فوقع منه على سبيل الخطأ، وأما استغفاره فوجهه والله أعلم أن سب خطيئة الخطيئة هو شدة الغضب والتعجل في الانتقام، ولا يليق هذا بكانته كني، وقيل: وجه استغفاره أنه لم يكن لئبي أن يقتل حتى يؤمر.

(٣) أي الخطب.

(٤) أخرج مسلم في صحيحه (٢٩٠٥) من حديث ابن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وإن الفتنة تجي من هاهنا. وأومأ بيده نحو المشرق. من حيث يطلع قرنا الشيطان، وأنتم يضرب بعضكم رقاب بعض، وإما قول موسى الذي قتل من آل فرعون خطأ، فقال الله ﷻ له: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

(٥) قاله عنه للقس، واختار غيره أن المراد بسبب ما أنعمت به علي؛ فالباء حيث سببية.

وفي قراءة^(٦): ﴿يُضَيِّرُ﴾ من الرباعي؛ أي: يصرفون مواشيهم عن الماء ﴿وَأُولَئِكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ لا يقدر أن يسقي.

[٢٤] ﴿فَسَقَى لَهُمَا﴾ من بئر أخرى بقربيهما، رَفَعَ حجراً عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس ﴿ثُمَّ تَوَلَّى﴾ انصرف ﴿إِلَى الظِّلِّ﴾ لِسُفْرَةٍ^(٧) من شدة حر الشمس، وهو جامع ﴿فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ﴾ طعام ﴿فَوَيْلٌ﴾ محتاج؛ فرجعنا إلى أبيهما في زمن أقل مما كانت ترجعان فيه، فسألهما عن ذلك فأخبرتهما بمن سقى لهما، فقال لإحداهما: «ادعيه لي»، قال - تعالى -: [٢٥] ﴿لَجَاءَهُنَّ إِحْدَهُمَا تَمَشَّى عَلَى أَسْتَحْيَا﴾ أي: واضعة كُفَّ دُزْغِهَا على وجهها حياة منه ﴿قَالَتْ إِنَّكَ إِنِّي يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ فاجابها منكراً في نفسه أخذ الأجرة - كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريداه - فمشى بين يديه، فجعلت الريح تضرب ثوبها فتكشف ساقها؛ فقال لها: امشي خلفي واديني على الطريق. ففعلت إلى أن جاء أباهما؛ وهو: شعيب - عليه السلام^(٨) - وعنده عشاء، فقال: اجلس فتعش. قال:

أخاف أن يكون عوضاً مما سقيت لهما، وأنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضاً. قال: لا، عادي وعادة آبائي تُقْرَى الضيف وتُطْوَمُ الطعام. فأكل وأخبره بحاله^(٩)، قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَكُنَّ عَلَيْهِ الْقَصَصُ﴾ مصدر بمعنى: المقصوص؛ من قُتِلَ القبطي، وقصدهم قُتْلُهُ، وخوفه من فرعون ﴿وَقَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ﴾ إذ لا سلطان لفرعون على مدين.

[٢٦] ﴿قَالَتْ إِحْدَهُمَا﴾ وهي المرسلة الكبرى أو الصغرى: ﴿يَتَأْتِي أَسْتَحْيَا﴾ اتخذها أجيروا يرعى غنمنا بدلنا ﴿إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَحْيَا الْقَوِيُّ الْآزِينُ﴾ أي: استأجره لقوته وأمانته، فسألها عنه، فأخبرته بما تقدم من رفعه حجر البئر، ومن قوله لها: «امشي خلفي»^(١٠) وزيادة أنها لما جاءته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعها؛ فرغب في إنكاحه.

[٢٧] ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ﴾ وهي الكبرى أو الصغرى ﴿عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ تكون أجيروا لي في رعي غنمي ﴿تَمَشَّى جِجْجَ﴾ أي: سنين ﴿فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا﴾ أي: رعي عشر سنين ﴿فَجِئْ عِنْدَكَ﴾ التمام ﴿وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ﴾ بأشراط العشر ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ لِلتَّيْمَنِ﴾ للتبرك^(١١) ﴿يَتَكَلَّمُ الْحَجَلِينَ﴾ الوافين بالعهد.

[٢٨] ﴿قَالَ﴾ موسى: ﴿ذَلِكَ﴾ الذي قتله ﴿يَبْنِي وَيَنْبُذُ أَيَّمَا الْأَجْلَلِينَ﴾ الثمان أو العشر، و«ما» زائدة؛ أي: رعيه ﴿فَضَيَّتُ بِهِ﴾ أي: فرغت منه ﴿فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ﴾ بطلب الزيادة عليه ﴿وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ﴾ أنا وأنت ﴿وَكَيْلٌ﴾ حفيظ أو شهيد؛ فتم العقد بذلك، وأمر شعيب ابنته أن تعطي موسى عصاً يدفع بها السباع عن غنمه، وكانت عصي الأنبياء عنده، فوقع في يدها عصا آدم من آس الجنة، فأخذها موسى يعلم شعيب^(١٢).

وَلَمَّا تَوَجَّهَ بِلِقَاءِ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا شَيْءَ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأُتُوْنَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٣٠﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٣١﴾ فَجَاءَهُ إِحْدَهُمَا تَمَشَّى عَلَى أَسْتَحْيَا قَالَتْ إِنَّكَ إِنِّي يَدْعُوكَ لِجَزْيِكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَوَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتُ مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَتْ إِحْدَهُمَا يَتَأْتِي أَسْتَحْيَا إِنَّ خَيْرَ مِّنْ أَسْتَحْيَا الْقَوِيُّ الْآمِينُ ﴿٣٣﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَي هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجْجًا فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٤﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجْلَلِينَ فَضَبْتُ فَلَا عُدْوَةَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٣٥﴾

[٢٩] ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ﴾ قصد بوجهه ﴿بِلِقَاءِ مَدْيَنَ﴾ جهتها؛ وهي: قرية شعيب، مسيرة ثمانية أيام من مصر، سميت بـ«مدين بن إبراهيم»، ولم يكن يعرف طريقها ﴿فَالَّ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ أي: قصد الطريق؛ أي: الطريق الوسط إليها؛ فأرسل الله ملكاً بيده عِزَّةٌ فانطلق به إليها^(١٣).

[٣٠] ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ﴾ بئر فيها أي: وصل إليها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً﴾ جماعة ﴿وَمِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ مواشيهم ﴿وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ سواهم ﴿امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾ تمنعان أغنامهما عن الماء ﴿قَالَ﴾ موسى لهما: ﴿مَا خَطْبُكُمَا﴾ ما شأنكما لا تسقيان؟ ﴿قَالَتَا لَا شَيْءَ حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ﴾ جمع راع؛ أي: يرجعون من سقيهم خوف الزحام فنسقي،

(١) وهذه لتفصيل لا دليل عليها ولا حاجة إليها، والغالب أنها من الإسرائيليات المنقولة عن أهل الكتاب، ونخبر إرسال الملك إلى موسى ﷺ ليدله على الطريق، رواه ابن جرير عن السدي الصغير وهو كذاب. (٢) والقراءة المذكورة أولاً لأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُضَيِّرُ﴾. (٣) وهي شجرة مرتفعة ليستظل بها.

(٤) في الجزء بأنه شعيب - عليه السلام. نظروا وقد اختلف أهل التفسير في ذلك على أقوال، والأرجح وما إلى به كثير كونه غيره؛ لأن شعيباً النبي كان قبل موسى بمدة طويلة تزيد على أربعمئة سنة. ثم يبعد أن يترك قوم المؤمنين به بذته يعملن ويسقين ولا يقوموا عنهن بذلك، والله أعلم.

(٥) هذه التفاصيل ونحوها مما ذكره المفسر من كيفية سقي موسى - عليه السلام - لهما لا دليل عليها، وإنما يتساهل رحمه الله في الاعتماد على الإسرائيليات، وقد سبق التعليق على ذلك. (٦) روي هذا عن ابن عباس كما في مجمع الزوائد (٢٠٤/٨) وقال: «رواه الطبراني في الصغير والأوسط والبرز، وفي إسناد الطبراني عديد بن أبي عمران الجوني؛ ضعه ابن معين وغيره، ووقفه ابن حبان، وبقية رجال الطبراني ثقات». وأخرج نحوه الحاكم في مستدركه (٤٤١/٢) عن عمر بن الخطاب وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(٧) قال المصنف ذلك بناء على اختياره أن الرجل الصالح هو شعيب النبي ﷺ؛ فيكون صلاحه محققاً. وسبق بيان الراجح في ذلك وأنه غيره. (٨) لا دليل على هذه التفاصيل، فالأولى الانقصار على ما أخبرنا الله - سبحانه - به. وسبق بيان أن أبا المراءين ليس شعيب النبي على الراجح.

[٢٩] ﴿فَلَمَّا فَصَّي مُوسَىٰ أَلْحِلْ لِي زَوْجَتِي﴾ أي: رعيه؛ وهو: ثمان أو عشر سنين، وهو المظنون ﴿وَسَارَ بِأَهْلِيهِ﴾ زوجته ياذن أبيها نحو مصر ﴿وَأَنزَلَ﴾ أبصر من بعيد ﴿وَمِنْ جَانِبِ الطُّورِ﴾ اسم جبل ﴿كَارًا قَالَ لِأَهْلِيهِ امْكُثُوا﴾ هنا ﴿إِنِّي كَأَنُتُّ نَارًا لَّعَلِّي مَأْتِيكُمْ مِنْهَا﴾ عن الطريق، وكان قد أخطأها ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾ بثلاث الجيم^(١)؛ قطعة وشعلة ﴿مِنْ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ تستدفئون، والطاء بدل من تاء الافتعال، من صلي بالنار؛ بكسر اللام وفتحها.

[٣٠] ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِهَا جَانِبِ النَّوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ لموسى ﴿فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ﴾ موسى لسماعه كلام الله فيها ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ بدل من: ﴿شَاطِئِهَا﴾ بإعادة الجار لبيانها فيه؛ وهي: شجرة غائب أو علق أو غوسج^(٢) ﴿وَأَنَّ﴾ مفسرة، لا مخففة ﴿يُمُوسَىٰ﴾ يَمُوسَىٰ ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

[٣١] ﴿وَأَنَّ أَتَىٰ عَصَاكَ﴾ فألقاها ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَزَّتْ﴾ تحركت ﴿كَأَنَّمَا جَاءَتْ﴾ وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها ﴿وَلَمْ يَذْكُرْ﴾ هاربا منها ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ أي: يرجع؛ فنودي: ﴿يُمُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾.

[٣٢] ﴿أَسْلَكَ﴾ أدخل ﴿يَدَكَ﴾ اليمنى؛ بمعنى: الكف ﴿فِي جَيْبِكَ﴾ هو طوق القميص، وأخرجها ﴿فَخَرَجَ﴾ خلاف ما كانت عليه من الأدمة^(٣) ﴿يَبْصَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ أي: برص، فأدخلها وأخرجها تضيء كشعاع الشمس ثغثي^(٤) البصر ﴿وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّؤْفِ﴾ بفتح الحرفين، وسكون الثاني مع فتح الأول وضمه^(٥)؛ أي: الخوف الحاصل من إضاعة اليد؛ بأن تدخلها في جيبك؛ فتعود إلى حالتها الأولى، وتغير عنها بالجنح؛ لأنها للإنسان كالجنح للطائر ﴿فَذَانِكَ﴾ بالشديد والتخفيف^(٦)؛ أي: العصا واليد، وهما مؤنثان، وإنما ذكر المثنى به إليهما «المثدأ» لذكور خبره ﴿بُرْهَانَيْنِ﴾ مرسلان ﴿مِنْ رَبِّكَ﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِيَّةً إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَدِيقِينَ.

[٣٣] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ هو: القبطي السابق ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ به.

[٣٤] ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي لِسَانًا﴾ أَتَيْنُ ﴿فَارْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا﴾ معينا، وفي قراءة^(٧): بفتح الدال بلا همزة ﴿يُصَدِّقُنِي﴾ بالجرم:

﴿فَلَمَّا فَصَّي مُوسَىٰ أَلْحِلْ لِي زَوْجَتِي﴾ ﴿وَسَارَ بِأَهْلِيهِ﴾ ﴿النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِهَا جَانِبِ النَّوَادِ الْأَيْمَنِ﴾ ﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿وَأَنَّ أَتَىٰ عَصَاكَ﴾ ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا تَهَزَّتْ﴾ ﴿كَأَنَّمَا جَاءَتْ﴾ ﴿وَلَمْ يَذْكُرْ﴾ ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ﴾ ﴿يُمُوسَىٰ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ﴾ ﴿أَسْلَكَ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ ﴿فَخَرَجَ يَبْصَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ ﴿وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّؤْفِ﴾ ﴿فَذَانِكَ بُرْهَانَيْنِ مِنْ رَبِّكَ﴾ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِيَّةً إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَدِيقِينَ﴾ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا﴾ ﴿فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ﴾ ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَلُ مِنِّي لِسَانًا﴾ ﴿فَارْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي﴾ ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ ﴿بِإِذْنِنَا﴾ ﴿أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا﴾ ﴿الْعَالَمِينَ﴾

جواب الدعاء، وفي قراءة^(٨): بالرفع، وجملة صفة: ﴿رِدْءًا﴾ ﴿إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾.

[٣٥] ﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ﴾ نقويك ﴿بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ غلبة ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ بسوء، اذهبوا ﴿بِإِذْنِنَا﴾ ﴿أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا﴾ أَلْعَالَمِينَ ﴿لَهُمْ﴾.

(١) أي: بفتحها وضمها وكسرها، فقرأ بالضم حمزة، وقرأ عاصم بالفتح، وقرأ الباقون بالكسر.

(٢) وهذا لا دليل عليه، ولا فائدة في تعيينه.

(٣) الشمرة.

(٤) أي: يجعل بصر ناظرها ضعيفا لشدة ضوئها. وفي بعض النسخ: «ثغثي» بالمعجمة وهو تصحيف.

(٥) قرأ بفتح الراء والهاء نفع وابن كثير وأبو عمرو، وقرأ حفص بفتح الراء وإسكان الهاء، وقرأ الباقون بضم الراء وإسكان الهاء.

(٦) بتشديد اللون مع المد المشيع قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٧) أي: «رداء» لنافع.

(٨) والقراءة المذكورة أولا بسكون القاف للسبعة عدا عاصم وحمزة.

﴿ءَابَايَا الْأَوَّلِينَ﴾.

[٣٧] ﴿وَقَالَ﴾ بواو وبدونها^(١) ﴿مُوسَى رَبِّیْ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ﴾ الضمير للرب ﴿وَمَنْ﴾ عطف على «من» قبلها ﴿تَكُونُ﴾ بالقوافية والتحتانية^(٢) ﴿لَمْ عَقِبَهُ الدَّارُ﴾ أي: العاقبة المحمودة في الدار الآخرة؛ أي: هو أنا في الشقين؛ فأنا محق فيما جئت به ﴿إِنَّهُمْ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون.

[٣٨] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُوهَا أَلَمْأَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَكُنْ عَلَى الظِّلِينِ﴾ فاطبع لي الآجر ﴿فَأَجْعَلْ لِي صَرْحًا﴾ قصرًا عاليًا ﴿أَلَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى﴾ أنظر إليه وأقف عليه ﴿وَأِنِّي لَأَطْلُعُ مِنْ أَكْثَرِينَ﴾ في ادعائه إليها آخر وأنه رسوله.

[٣٩] ﴿وَأَسْتَكَرَ هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمُ الْإِنْسَانُ لَا يُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للفاعل وللمفعول^(٣).

[٤٠] ﴿فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَسَدَّ نَهْمَهُمْ﴾ طرحاهم ﴿فِي الْبَرِّ﴾ البحر المالح؛ فغرقوا ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَتْ عَقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ حين صاروا إلى الهلاك.

[٤١] ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا أَيْمَةً﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ياء^(٤)؛ رؤساء في الشرك ﴿يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ بدعائهم إلى الشرك ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يَنْصُرُونَ﴾ يدفع العذاب عنهم.

[٤٢] ﴿وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً﴾ خزيًا ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ﴾ المبعدين.

[٤٣] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى﴾ قوم نوح وعاد وحمود وغيرهم ﴿بَصَايِرَ لِلنَّاسِ﴾ حال من «الكتاب» جمع بصيرة؛ وهي: نور القلب؛ أي: أنوارًا للقلوب ﴿وَهُدًى﴾ من الضلالة لمن عمل به ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن آمن به ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون بما فيه من المواعظ.

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي ءَابَايَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٧﴾

وَقَالَ مُوسَى رَبِّیْ أَعْلَمُ بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ وَمَنْ تَكُونُ لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٨﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتْلُوهَا أَلَمْأَ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَهْمَكُنْ عَلَى الظِّلِينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلُعُ إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَطْنُهُ مِنَ الْكَذِبِينَ ﴿٣٩﴾

وَأَسْتَكَرَ هُوَ وَجُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمُ الْإِنْسَانُ لَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

فَأَخَذَتْهُ وَجُودُهُ فَسَدَّ نَهْمَهُمْ وَاتَّبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤١﴾

وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ لَا يَنْصُرُونَ ﴿٤٢﴾

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى بَصَايِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ وَاضْحَات، حَالٌ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُفْتَرًى مَخْلَقٌ وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا كَانُوا فِي أَيَّامٍ

(١) بدونها قراءة ابن كثير.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) بالبناء للفاعل نفع وحمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُرْجَعُونَ﴾ بالبناء للمفعول.

(٤) راجع التعليل على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

[٤٤] ﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد ﴿بِمَنَاجِيٍّ﴾ الجبل، أو الوادي، أو المكان ﴿الْفَرَجِيِّ﴾ من موسى حين المناجاة ﴿إِذْ قَضَيْنَا﴾ أوحينا ﴿إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ﴾ بالرسالة إلى فرعون وقومه ﴿وَمَا كُنْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ لذلك ففعلمه فتخبر به.

[٤٥] ﴿وَلِكَيْتُمْ أَتْسَانًا قُورُنَا﴾ أمّا من بعد موسى ﴿فَتَقَالُوا عَلَيْهِمْ
الْعَمْرُ﴾ طالت أعمارهم؛ فسوا العهد، واندرست العلوم، وانقطع الوحي؛
فجئنا بك رسولاً، وأوحينا إليك خبر موسى وغيره ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَأْوِيهِ﴾
مقيماً ﴿فَوَيْلٌ لِّأَهْلِ مَدْيَنَ تَتَلَوُا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا﴾ خبر ثنان، نتعرف قصتهم
فتخبر بها.

﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ لك وإليك^(١) بأخبار المتقدمين.

[٤٦] ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ﴾ الجبل ﴿إِذْ﴾ حين ﴿نَادَيْنَا﴾ موسى أَن خذ الكتاب بقوة ﴿وَلَكِنَّ﴾ أرسلناك ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنتَهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ ﴿وَهُم أَهْلُ مَكَّةَ﴾ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿يَتَعَطَّرُونَ﴾
[٤٧] ﴿وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ﴾ عقوبة ﴿يَمَّا ظَنَمْتَ أَيْدِيَهُمْ﴾ من الكفر وغيره ﴿فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا﴾ هَلَّا ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنُتِّعَ عَيْنَيْنَا﴾ المرسل بها ﴿وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف وما بعده مبتدأ؛ والمعنى: لولا الإصابة المسببة عنها قولهم، أو لولا قولهم المسبب عنها، لعالجناهم بالعقوبة، ولما أرسلناك إليهم رسولاً.

[٤٨] ﴿لَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ محمد ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا هَٰذَا﴾
﴿أَوْفَىٰ﴾ ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مَعَهُ قُوَّةٌ﴾ من الآيات؛ كاليد البيضاء والعصا وغيرهما،
أو الكتاب جملة واحدة، قال - تعالى -: ﴿أُولَٰئِكَ يَكْفُرُوا بِمَا أُوْفُوا وَمِنْهُمْ﴾
﴿مَنْ﴾ ﴿يَكْفُرُ﴾ حيث ﴿قَالُوا﴾ فيه وفي محمد: ﴿[سَاحِرَانِ]﴾، وفي قراءة:
﴿يَسْحَرَانِ﴾ أي: القرآن والتوراة ﴿فَنَظَاهِرًا﴾ تعاونا ﴿وَقَالُوا إِنَّا بِكُمْ﴾ من
﴿النَّبِيِّينَ وَالنَّبَاتِيِّينَ﴾ ﴿كَافِرُونَ﴾.

[٤٩] ﴿قُلْ﴾ لَهُمْ: ﴿فَاتُوا يَكْتَبْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا﴾ من الكتابين ﴿أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في قولكم.

[٥٠] ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾ دعاءك بالإتيان بكتاب ﴿فَاعْلَمْ أَنَّمَا

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١٦﴾ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا فِرْعَوْنَ فَطَّوْلَ عَلَيْهِمْ الْعُمُرَ وَمَا كُنْتَ تَأْوِيهِمْ أَهْلَ مَدْيَنَ تَسْلُوا عَلَيْهِمْ ؕ إِنَّا إِنَّمَا وَكَلْنَا مُوسَىٰ وَسُلَيْمَ ﴿١٧﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الظُّلُمِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحِمَةً مِّن رَّبِّكَ إِسْتَنْدِرْقَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿١٨﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ؕ إِنَّا إِنَّمَا كُنَّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوِّيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ أَوْ لَمْ يَكُنْ فِرْعَوْنًا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِنْ قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلِّ كَيْفٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ بِكُتُبٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا اتَّبِعْهُ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٠﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٠﴾ فِي كُفْرِهِمْ ﴿١١﴾ وَمَنْ أَوْضَلُ مِنْ أُنَاسٍ هُوَ يُغَيِّرُ هُدًى
مَنْ أَلَّهَ ﴿١٢﴾ أَي: لَا أَضِلُّ مِنْهُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤﴾ الْكَافِرِينَ.

(١) أي: أرسلناك رسولاً، وأرسلنا إليك بأخبارهم.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿يُخْرَانِ﴾.

أيضاً، نزلت في جماعة أسلموا من اليهود؛ كعبد الله بن سلام وغيره^(١)، ومن النصارى قدموا من الحبشة^(٢)، ومن الشام.

[٥٣] ﴿وَإِذَا بَلَغَ لَيْسَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ﴾ قَالَوْا أَمَّا بِهٖ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُشْرِكِينَ ﴿مُوحِدِينَ﴾

[٥٤] ﴿أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ بِإِيمَانِهِم بِالْكَتَابَيْنِ^(٣) ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بِصَبْرِهِمْ عَلَى الْعَمَلِ بِهِمَا ﴿وَيَذَرُونَ﴾ يَدْفَعُونَ ﴿بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ﴾ مِنْهُم ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ يَتصدقون.

[٥٥] ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ﴾ الشتم والأذى من الكفار ﴿أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ وَقَالُوا لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ ﴿سَلَامٌ مَّارَكَةً﴾ أَي: سَلِّمْتُمْ مِنَّا مِنَ الشَّتْمِ وَغَيْرِهِ ﴿لَا يَنْبَغِي الْجَهْلِيلِينَ﴾ لَا نَصَحْبِهِمْ.

[٥٦] ﴿وَنَزَلَ فِي حَرْصِهِ﴾ عَلَى إِيمَانِ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ هِدَايَتِهِ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطَفَ مِن أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا أَمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقْنَا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَوْمٍ بِطَرَفِ مَعِيشتِهِمْ فَتِلْكَ مَسَكِنُهُمْ لَوْ تَسْكُنُ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿وَمَا كَانَتْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ أَيْتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾

[٥٧] ﴿وَقَالُوا﴾ قَوْمُهُ: ﴿إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطَفَ مِن أَرْضِنَا﴾ نُنْتزِعُ مِنْهَا بِسُرْعَةٍ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿أَوَلَمْ نُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا أَمِنًا﴾ بِأَمْنِهِمْ فِيهِ مِنَ الْإِغَارَةِ وَالْقَتْلِ الْوَاقِعِينَ مِنْ بَعْضِ الْعَرَبِ عَلَى بَعْضٍ ﴿[يُجْبَى]﴾ بِالْفَوْقَانِيَةِ وَالنَّحْتَانِيَةِ^(٤) ﴿إِلَيْهِ نَمُرُّث كُلِّ مَيِّتٍ﴾ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ ﴿وَرِزْقًا﴾ لَهُمْ ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾ عِنْدَنَا ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أَنَّ مَا نَقُولُهُ حَقٌّ.

[٥٨] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَوْمٍ بِطَرَفِ مَعِيشتِهِمْ﴾ عَيْشُهُمْ، وَأُرِيدَ بِالْقُرَى: أَهْلُهَا ﴿فَتِلْكَ مَسَكِنُهُمْ لَوْ تَسْكُنُ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ لِلْمَارَةِ يَوْمًا أَوْ بَعْضِهِ ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ مِنْهُمْ.

[٥٩] ﴿وَمَا كَانَتْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى﴾ بظلم منها ﴿حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا﴾ أَي: أَعْظَمَهَا ﴿رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ أَيْتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ بِتَكْذِيبِ الرِّسَالِ.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾^(٥١) الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا أَمَّا بِهٖ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾^(٥٢) أُولَٰئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرُهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَّا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلِّمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ لَا تَبْغِي الْجَهْلِيلِينَ﴾^(٥٣) إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَى مَعَكَ نَتَّخِطَفَ مِن أَرْضِنَا أَوْ لَمْ نُمْكِن لَهُمْ حَرَمًا أَمِنًا يُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رَزَقْنَا مِنْ لَدُنَّا وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥٤) وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَوْمٍ بِطَرَفِ مَعِيشتِهِمْ فَتِلْكَ مَسَكِنُهُمْ لَوْ تَسْكُنُ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿وَمَا كَانَتْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ أَيْتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾^(٥٥)

[٥١] ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا﴾ بَيْنَنَا ﴿لَهُمُ الْقَوْلَ﴾ الْقُرْآنَ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾

يَتَعظُونَ فَيُؤْمِنُونَ.

[٥٢] ﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أَي: الْقُرْآنَ ﴿هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لعنه: «قل لا إله إلا الله، أشهد لك بها يوم القيامة» قال: لولا أن تعبرني قريش، يقولون: إنما حملة على ذلك الجرح، لأقررت بها عليك، فأنتل الله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٩). وأخرج البخاري نحوه عن المسيب بن خزن. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة القصص (٢٨) باب (١).

(١) أخرج ذلك الطبري في جامعه (٥٦/٢٠، ٥٧) عن قتادة، وهو مرسل ضعيف. وأخرج الطبري أيضًا في جامعه (٥٦/٢٠)، والطبراني في الكبير (٥٣/٥) رقم (٤٥٦٤، ٤٥٦٥)، وغيرهما عن رفاعه القرظي رضي الله عنه قال: نزلت هذه الآية في عشرة، أنا أحدهم... قال الهيثمي في الجمع (٨٨/٧): «رواه الطبراني بإسنادين؛ أحدهما متصل، ووجهه ثقافت... وعزاه السيوطي أيضًا في الدر المنثور (٤٢٢/٦) لابن أبي شيبة وابن المنذر وغيرهما وقال: «يسند جيدة. وصححه في الاستيعاب (٢٨/٣)».

(٢) أخرج نحوه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢٩٩٢/٩) عن سعيد بن جبير، وهو ضعيف مرسل، كما في الاستيعاب (٣٥/٣).

(٣) أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثة يؤتون أجورهم مرتين: رجل من أهل الكتاب؛ آمن بنيه، وأدرك النبي فأمن به، واتبعه، وصدقه؛ فله أجران... الحديث. البخاري (٣٠١١)، ومسلم (١٥٤) واللفظ له.

(٤) بالناء فراعة نافع.

[٦٠] ﴿وَمَا أُولَئِكَ مِن شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا﴾ تمتعون وتزینون به أيام حياتكم، ثم يفنى ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ﴾ أي: ثوابه ﴿خَيْرٌ وَأَفْضَلٌ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ بالباء والياء (١)؛ أن الباقي خير من الفاني؟

[٦١] ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَنفِيهِ﴾ وهو مُصِيبُهُ؛ وهو الجنة ﴿كَأَن مَّنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ فيزول عن قريب ﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ النار؟ الأول: المؤمن، والثاني: الكافر؛ أي: لا تساوي بينهما.

[٦٢] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَدَّبُرُوكَ﴾ الله ﴿فَيَقُولُ أَتَيْنَ شُرَكَاءَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ لهم شركائي؟

[٦٣] ﴿قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بدخول النار؛ وهم رؤساء الضلالة: ﴿رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ هم، مبتدأ، وصفة (٢)، ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ خبره، فغوا ﴿كَمَا عَزَّيْنَا﴾ لم نكرهم على الحق ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ منهم ﴿مَا كَانُوا إِلَّا نَارًا يَبْعُثُونَ﴾ ما، نافية، وقدم المفعول للفاصلة.

[٦٤] ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمُ﴾ أي: الأصنام الذين تزعمون أنهم شركاء الله ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ دعاءهم ﴿وَرَأَوْا﴾ هم ﴿الْعَذَابَ﴾ أبصروه ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ في الدنيا لما رأوه في الآخرة.

[٦٥] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَدَّبُرُوكَ﴾ الأخبار المنجية في الجواب ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إليكم.

[٦٦] ﴿فَقَعِيعَتٌ عَلَيْهِمُ﴾ الْآلَاءُ ﴿فَقِيلَ مَاذَا أَدْبَرُ الْمُرْسَلِينَ﴾ إليكم. يجلدوا خبراً لهم فيه نجاة ﴿فَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ﴾ عنه، فيسكتون.

[٦٧] ﴿فَأَمَّا مَن تَابَ﴾ من الشرك ﴿وَأَمَنَ﴾ صدق بتوحيد الله ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ أدى الفرائض ﴿فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ﴾ الناجين بوعده الله.

[٦٨] ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ ما يشاء ﴿مَا كَانَ لَهُمُ﴾ للمشركين ﴿الْخَيْرَةُ﴾ الاختيار في شيء ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ عن إشراكهم.

[٦٩] ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ﴾ تسر قلوبهم من الكفر وغيره ﴿وَمَا يُخْلِيُونَ﴾ بالسنتهم من ذلك.

[٧٠] ﴿هُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْآخِرَةُ فِي الْأُولَى﴾ الدنيا

وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزَيَّنَّا لَهَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَنفِيهِ كَأَن مَّنَعْنَاهُ مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦٢﴾ وَيَوْمَ يَتَادِبُهُمْ يَقُولُ أَتَيْنَ شُرَكَاءَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا عَزَّيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِلَّا نَارًا يَبْعُثُونَ ﴿٦٤﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُدْعَوْنَ بِهِمْ فَادْعُوهُمْ فَكُلَّمَا دُعُوا لَهَا قَالُوا لَسْنَا لَكُمْ بِشُرَكَاءَ فِي شَيْءٍ وَإِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٥﴾ وَيَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُهُمُ الْخِلَافَةُ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦٦﴾ وَيَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُهُمُ الْخِلَافَةُ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ وَيَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُهُمُ الْخِلَافَةُ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَيَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُهُمُ الْخِلَافَةُ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٦٩﴾ وَيَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُهُمُ الْخِلَافَةُ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

﴿وَالْآخِرَةُ﴾ الجنة ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ﴾ القضاء النافذ في كل شيء ﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بالنشور.

(١) بالياء قراءة أبي عمرو.

(٢) أي: ﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾ جملة ﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾: خبره.

سماع تفهم فترجعون عن الإشراك؟

[٧٢] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَصِيرَةٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾
تستريحون ﴿وَبَصِيرَةٌ﴾ من التعب ﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ﴾ ما أنتم عليه من الخطأ في الإشراك فترجعون عنه؟

[٧٣] ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ﴾ - تعالى - ﴿جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ في الليل ﴿وَلِتَسْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ في النهار للكسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ النعمة فيها.

[٧٤] ﴿وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ اذكر ﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ ذكر ثانياً لئلا يظن عليه:

[٧٥] ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أخرجنا ﴿مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نبيهم يشهد عليهم بما قالوا ﴿فَقُلْنَا﴾ لهم: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ عسى ما قلتم من الإشراك ﴿فَقَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ في الإلهية ﴿لِلَّهِ﴾ لا يشاركه فيه أحد ﴿وَصَلَّى﴾ غاب ﴿عَنَّهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ في الدنيا من أن معه شريكاً، تعالى عن ذلك.

[٧٦] ﴿وَإِنْ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى﴾ ابن عمه، وابن خالته^(١) وأمن به ﴿فَبَدَّلَ اللَّهُ وَجْهَهُ﴾ بالكبر والعلو وكثرة المال ﴿وَوَدَّاعْتَنَ مِنَ الْكُفْرَانِ مَا إِنْ مَعَهَا لَنُصُوءٌ﴾ تنقل ﴿بِالْعُصْبَةِ﴾ الجماعة ﴿أُولَى﴾ أصحاب ﴿الْقُوَّةِ﴾ أي: تنقلهم، فالباء للتعدية، وعدتهم قيل: سبعون. وقيل: أربعون. وقيل: عشرة. وقيل: غير ذلك.

اذكر ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ﴾ المؤمنون من بني إسرائيل: ﴿لَا تَفْرَحْ بِكَثْرَةِ الْمَالِ فَرَحَ بَطْرِ﴾ إن الله لا يحب الفرحين ﴿بذلك﴾.

[٧٧] ﴿وَأَتْبَعَ﴾ اطلب ﴿فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ﴾ من المال ﴿الذَّارَ الْآخِرَةَ﴾ بأن تنفقه في طاعة الله ﴿وَلَا تَتَسَنَّ﴾ تترك ﴿تَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ أي: أن تعمل فيها للآخرة ﴿وَأَحْسِنَ﴾ للناس بالصدقة ﴿كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ﴾ تطلب ﴿الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ﴾ بعمير المعاصي ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ بمعنى: أنه يعاقبهم^(٢).

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَصِيرَةٌ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧٢﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ يَأْتِيَكُمُ بَصِيرَةٌ أَفَلَا تَسْكُرُونَ فِيهِ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٤﴾ وَيَوْمَ يَأْتِيهِمْ فَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٦﴾ إِنْ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَدَّلَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَوَدَّاعْتَنَ مِنَ الْكُفْرَانِ مَا إِنْ مَعَهَا لَنُصُوءٌ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٧﴾ وَأَتْبَعَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَتَسَنَّ تَصِيْبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَاحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٨﴾

[٧٨] ﴿قُلْ﴾ لأهل مكة: ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أي: أخبروني ﴿إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا﴾ دائماً ﴿إِلَّا يَوْمَ الْقِيَمَةِ مِنْ إِلَهِ غَيْرِ اللَّهِ﴾ بزعمةكم ﴿يَأْتِيَكُمُ بَصِيرَةٌ﴾ نهار تطلبون فيه المعيشة ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ذلك

(١) حكى ابن جرير الإجماع على أنه كان من بني إسرائيل، واختلف في جهة قرابته من موسى عليه السلام فقال ابن عباس وجماعة: كان ابن عمه، وقال ابن جرير: وأكبر أهل العلم على أنه كان ابن عمه، والله أعلم. وروي عن ابن عباس أيضاً أنه ابن خالته، والمشهور عنه الأول.

(٢) وهذا تأويل لصفة الحجة وانتقالها ببعض لوازمها، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها مما أثبتته الله لنفسه أو أثبتته له رسوله ﷺ من غير تأويل ولا تعطيل ولا تكيف ولا تمثيل.

[٧٨] ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُمْ أَيْ: الْمَالُ ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ أَيْ: فِي مَقَابِلَتِهِ، وَكَانَ أَعْلَمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالتَّوْرَةِ بَعْدَ مُوسَى وَهَارُونَ، قَالَ - تَعَالَى -: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ الْأُمَمَ ﴿مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ لِلْمَالِ، أَيْ: هُوَ عَالِمٌ بِذَلِكَ، وَيَهْلِكُهُمُ اللَّهُ ﴿وَلَا يَسْتَعْلِفُ عَنْ دُؤْبِهِمُ الْمُتَجَرِّمُونَ﴾ لِعِلْمِهِ - تَعَالَى - بِهِمْ؛ فَيَدْخُلُونَ النَّارَ بِلَا حِسَابٍ.

[٧٩] ﴿فَخَرَجَ﴾ قَارُونَ ﴿عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾، بِاتِّبَاعِهِ الْكَثِيرِينَ رُكْبَانًا مُتَخَلِّينَ بِمَلَابِسِ الذَّهَبِ وَالْحَرِيرِ عَلَى خِيُولٍ وَبَعَالٍ مَتَحْلِيَةٍ ﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا﴾ لِلنَّبِيِّ ﴿لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿إِنَّمَا لَهُمْ لُذُو حَظٍّ﴾ نَصِيبٌ ﴿عَظِيمٌ﴾ وَافٍ فِيهَا.

[٨٠] ﴿وَقَالَ لَهُمْ﴾ الَّذِينَ أُوتُوا أَلْفَيْهِ ﴿مَا وَعَدَ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ: ﴿وَيَلْعَنُكُمْ﴾ كَلِمَةُ زَجَرٍ ﴿فَوَابَّ اللَّهُ﴾ فِي الْآخِرَةِ بِالْجَنَّةِ ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ مِمَّا أُوتِيَ قَارُونُ فِي الدُّنْيَا ﴿وَلَا يُلْقِيهَا﴾ أَيْ: الْجَنَّةُ الْمُنَابَّ بِهَا ﴿إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾ عَلَى الطَّاعَةِ وَعَنِ الْمَعْصِيَةِ.

[٨١] ﴿فَنَسَفْنَا بِهِ﴾ بِقَارُونَ ﴿وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أَيْ: غَيْرِهِ بِأَنْ يَمْنَعُوا عَنْهُ الْهَلَاكَ ﴿وَمَا كَانَتْ مِنَ الْمُتَصِفِينَ﴾ مِنْهُ.

[٨٢] ﴿وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ﴾ أَيْ: مِنْ قَرِيبٍ ﴿يَقُولُونَ وَيَكُنَّا اللَّهُ يَبْسُطُ يَوْسَعَ﴾ الْزَرْفَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ يَضِيقُ عَلَى مَا يَشَاءُ، وَ«وَي» اسْمُ فِعْلٍ، بِمَعْنَى: أَعْجَبَ؛ أَيْ: أَنَا، وَ«الْكَافُ» بِمَعْنَى الْإِلَامِ ^(١) ﴿لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا﴾ بِالْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ ^(٢) ﴿وَيَكُنَّا لَهُ لَا يُلْقِيهِ الْكَافِرُونَ﴾ لِنِعْمَةِ اللَّهِ؛ كَقَارُونَ.

[٨٣] ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ﴾ أَيْ: الْجَنَّةُ ﴿يَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ﴾ بِالْبَغْيِ ﴿وَلَا فَسَادًا﴾ بِعَمَلِ الْمَعَاصِي ﴿وَالْعَاقِبَةُ﴾ الْحَمْدَةُ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ عِقَابُ اللَّهِ بِعَمَلِ الطَّاعَاتِ.

[٨٤] ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُمْ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ ثَوَابٌ بِسَبَبِهَا؛ وَهُوَ: عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا﴾ جَزَاءُ ﴿مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أَيْ: مِثْلُهُ.

قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ وَعَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي أَوْلَوْ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يَسْتَعْلِفُ عَنْ دُؤْبِهِمُ الْمُتَجَرِّمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِيهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَصِفِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكُنَّا اللَّهُ يَبْسُطُ الْزَرْفَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَلِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٢﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٣﴾

(١) وهذا أحد مذاهب خمسة في معنى كلمة «يَكُنَّا» والوقف فيها.

(٢) بالبناء للمفعول قراءة السبعة عدا عاصم.

إِنِّي أَنزَلْتُ إِلَيْكَ الذِّكْرَ وَإِنِّي لَمَعْلُومٌ ﴿٨٥﴾ وَإِنِّي لَأَنذِرُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٦﴾ وَمَا كُنْتُ تَرْجُو أَنَّ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنِّي رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِلْكَافِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٨﴾ وَلَا تَتَّبِعْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٩﴾

ألقى إليك ﴿رحمة من ربك﴾ فلا تكونن ظهيرا ﴿للكافرين﴾ مبيعا ﴿للكافرين﴾ على دينهم الذي دعوك إليه. [٨٧] ﴿ولا يصدك﴾ أصله: يصدونك؛ حذفت نون الرفع للجازم، والواو الفاعل؛ لانفتاحها مع النون الساكنة ﴿عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك﴾ أي: لا ترجع إليهم في ذلك ﴿وادع﴾ الناس ﴿إلى ربك﴾ بتوحيده وعبادته ﴿ولا تكونن من المشركين﴾ بإعانتهم، ولم يؤثروا الجازم في الفعل لبنائه.

[٨٨] ﴿ولا تدع﴾ تغيب ﴿مع الله إلها آخر لا إله إلا هو كل شيء هالك إلا وجهه﴾ إلا إياه (٣) ﴿له الحكم﴾ القضاء النافذ ﴿وال إليه ترجعون﴾ بالمشور من قبوركم.

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

[مكية وهي: تسع وستون آية، نزلت بعد الروم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿المر﴾ الله أعلم بمراد بذلك. [٢] ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا﴾ أي: بقولهم: ﴿ءامننا وهم لا يفتنون﴾ يخبرون بما يبين به حقيقة إيمانهم؟ نزل في جماعة آمنوا فآذاهم المشركون (٤).

[٣] ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ فليعلمن الله الذين صدقوا في إيمانهم علم مشاهدة ﴿ولعلمن الكافرين﴾ فيه.

[٤] ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ الشرك والمعاصي ﴿أن يسبقونا﴾ يفوتونا فلا ننقم منهم؟ ﴿ساة﴾ بس ﴿ما﴾ الذي ﴿يتكذبت﴾ حكمهم هذا.

[٥] ﴿من كان يربوا﴾ يخاف ﴿لفاء الله فإن أجل الله﴾ به ﴿لآيات﴾ فليستعد له ﴿وهو السميع﴾ لأقوال العباد ﴿العليم﴾ بأفعالهم.

[٦] ﴿ومن جهد﴾ جهاد حرب أو نفس ﴿فإنما يجهد لنفسه﴾ فإن منفعة جهاده لا لله ﴿إن الله لعني عن العلويين﴾ الإنس والجن والملائكة، وعن عبادتهم.

سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المر ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا﴾ أي: بقولهم: ﴿ءامننا وهم لا يفتنون﴾ ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكافرين ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا﴾ ما يتكلمون ﴿من كان يربوا﴾ لفاء الله فإن أجل الله لآيات وهو السميع العليم ﴿ومن جهد﴾ فإنما يجهد لنفسه إن الله لعني عن العلويين ﴿العلويين﴾

[٨٥] ﴿إن الذي فرض عليك القرآن﴾ أنزله ﴿لرأذك إلى معاد﴾ إلى مكة (١)، وكان قد اشتاقها (٢) ﴿قل ربِّي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين﴾ نزل جوابا لقول كفار مكة له: إنك في ضلال. أي: فهو الجائي بالهدى، وهم في ضلال، و﴿أعلم﴾ بمعنى: عالم.

[٨٦] ﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب﴾ القرآن ﴿إلا﴾ لكن

(١) وهو قول كثير من المفسرين، واختار ابن كثير وغيره أن المراد بالعداء يوم القيامة. قال: فسأله عما استرعا من أعباء النبوة. كما قال - تعالى -: ﴿فَلْيَسِّرْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَتَزَكَّوْا مِن يَدَيْهِمْ ذِكْرُ اللَّهِ وَأَتَمُّوا حُرُقَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٩]. وهذا أقرب، والله أعلم.

(٢) يشير إلى ما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٤٥/٦) عن الضحاك، وعزاه لابن أبي حاتم. وضعفه جداً في الاستيعاب (٤٠/٣).

(٣) وهذا تأويل لصفة الوجه التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، وهي من الصفات الحقيقية التي نشأتها له - سبحانه - على الوجه اللائق به، ولا شك أن الوجه يستلزم الذات. ولكن لا يجوز إرادة اللزوم ونفي اللزوم؛ بل يجب إثباتها مقاً.

(٤) أخرجه الطبري في جامع البيان (٨٣/٢٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره عن الشعبي، وهو مرسل ضعيف كما ذكر صاحب الاستيعاب (٤٢٠/٣).

[٧] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ ﴿٧﴾ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ﴾ بمعنى: حسن، ونصبه بنزع الحافظ: الباء ﴿الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهو الصالحات.

[٨] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾ أي: إيصاء ذا حسن؛ بأن يبرَّهُمَا، ﴿وَأِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ أي: وإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ، يشاركه ﴿عَلَّمٌ﴾ موافقة للواقع، فلا مفهوم له ﴿فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ في الإِشْرَاقِ ﴿إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فأجازيكم به.

[٩] ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء والأولياء؛ بأن نحشرهم معهم.

[١٠] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ﴾ أي: أذاهم له ﴿كَذَّابٌ لِلَّهِ﴾ في الخوف منه؛ فيطيعهم فيناق ﴿وَلَيْنَ﴾ لام قسم ﴿جَاءَ نَصْرٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ مِنْ رَبِّكَ﴾ فغنموا ﴿يَقُولُونَ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع للقاء السالكين: ﴿إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ﴾ في الإيمان؛ فأشركونا في الغنيمة، قال - تعالى -: ﴿أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ﴾ أي: بعالم ﴿بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ﴾ بقلوبهم من الإيمان والنفاق؟ بلى.

[١١] ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بقلوبهم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ فيجازي الفريقين، واللام في الفعلين لام قسم.

[١٢] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ ديننا ﴿وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ﴾ في اتباعنا إن كانت، والأمر بمعنى الخير^(١)، قال - تعالى -: ﴿وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ في ذلك.

[١٣] ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ أَوْزَارَهُمْ﴾ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ ﴿بِقَوْلِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ: اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا﴾ وإضلالهم مقلديهم ﴿وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ يكذبون على الله، سؤال توبيخ، واللام في الفعلين^(٢) لام قسم، ولحذف فاعلها: الواو ونون الرفع.

[١٤] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ﴾ وعمره أربعون سنة أو أكثر ﴿فَلْيَتَّخِذْ

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَذَّابٌ لِلَّهِ وَلَيْنَ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلَ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَمِيلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيَسْئَلَنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾

فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ يدعوهم إلى توحيد الله؛ فكذبوا ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ﴾ أي: الماء الكثير، طاف بهم وعلاهم؛ فغرقوا ﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ مشركون.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرجه الترمذي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: نزلت في أربع آيات... فذكر قصة - وقالت أم سعد: أليس قد أمر الله بالبر؟ والله لا أطعم طعاماً، ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر. فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا [أي نضجوا] فها، فنزلت هذه الآية: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٠).

والحديث أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٤٨) لكن لفظ الآية عنده أقرب إلى آية لقمان (١٥٠٤)، وهو الأقرب في قصة أم سعد؛ حيث إن نزول سورة لقمان كان قبل نزول سورة العنكبوت بكثير، ولو كانت آية العنكبوت قد نزلت ساعة وقعة سعد مع أمه لقرأ عليها آية لقمان، ولم يكن له كبير مزية في نزول آية العنكبوت فيه؛ إلا أن يقال: إن كلتا الآيتين نزلت في قصته مع أمه، وهو بعيد، والله أعلم.

(١) أي: منكم الاتباع، وعلينا حمل خطاياكم.

(٢) أي: في ﴿وليحملنَّ﴾، و﴿ليسألنَّ﴾.

[١٦] ﴿وَإِذْ ذَكَرَ ﴿١٦﴾ إِبراهيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴿١٦﴾ خافوا عقابه ﴿١٦﴾ ذَلِكُمْ حَبْرٌ لَكُمْ ﴿١٦﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ﴿١٦﴾ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ الخير من غيره.

[١٧] ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيْ: غيره ﴿١٧﴾ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ﴿١٧﴾ يَقُولُونَ كَذِبًا ﴿١٧﴾ إِنْ الْأَوْثَانُ شُرَكَاءُ لِلَّهِ ﴿١٧﴾ إِنْكَ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا ﴿١٧﴾ لَا يقدرون أَنْ يرزقوكم ﴿١٧﴾ فَأَتَيْنُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴿١٧﴾ اطلبوه منه ﴿١٧﴾ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾.

[١٨] ﴿وَإِنْ كَذَّبُوا ﴿١٨﴾ أَيْ: تكذبوني يا أهل مكة ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبَ أُمُّرٌ مِّن قَبْلِكُمْ ﴿١٨﴾ مِن قَبْلِي ﴿١٨﴾ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبِغُ الْغَيْثِ ﴿١٨﴾ إِلَّا الْبَلَاغُ الْبَيِّنُ، فِي هَاتَيْنِ الْقَصَتَيْنِ تَسْلِيَةٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

[١٩] ﴿وَقَالَ - تَعَالَى - فِي قَوْمِهِ: ﴿١٩﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا ﴿١٩﴾ بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ ﴿١٩﴾ يَنْظُرُوا ﴿١٩﴾ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ﴿١٩﴾ هُوَ بَضْمُ أَوَّلِهِ، وَقُرِئَ بِفَتْحِهِ ﴿١٩﴾؛ مِنْ بَدَأُ وَأَبْدَأُ؛ بِمَعْنَى: أَيِ يَخْلُقُهُمْ ابْتِدَاءً ﴿١٩﴾ ثُمَّ ﴿١٩﴾ هُوَ يُعِيدُهُ ﴿١٩﴾ أَيْ: الْخَلْقُ كَمَا بَدَأَهُمْ ﴿١٩﴾ إِنَّ ذَلِكَ ﴿١٩﴾ الْمَذْكُورُ مِنَ الْخَلْقِ الْأَوَّلِ وَالثَّانِي ﴿١٩﴾ عَلَى اللَّهِ يُسِيرُ ﴿١٩﴾ فَكَيْفَ يَنْكُرُونَ الثَّانِي؟

[٢٠] ﴿فَلْيَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴿٢٠﴾ لِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَأَمَاتَهُمْ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ﴿٢٠﴾ مَذًا، وَقَصُرًا مَعَ سَكُونِ الشَّيْءِ ﴿٢٠﴾ إِنَّكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ وَمِنَ الْبَدءِ وَالْإِعَادَةِ.

[٢١] ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ ﴿٢١﴾ تَعْدِيهِ ﴿٢١﴾ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ ﴿٢١﴾ رَحْمَتُهُ ﴿٢١﴾ وَإِلَيْهِ تُقْبَلُونَ ﴿٢١﴾ تَرُدُونَ.

[٢٢] ﴿وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٢٢﴾ رَبِّكُمْ عَنْ إِدْرَاكِكُمْ ﴿٢٢﴾ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٢﴾ لَوْ كُنْتُمْ فِيهَا أَيْ: لَا تَفُوتُونَهُ ﴿٢٢﴾ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَيْ: غَيْرِهِ ﴿٢٢﴾ مِنْ وَلِيٍّ ﴿٢٢﴾ يَنْصُرُكُمْ مِنْهُ ﴿٢٢﴾ وَلَا نَصِيرَ ﴿٢٢﴾ يَنْصُرُكُمْ مِنْ عَذَابِهِ.

[٢٣] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِبَيْتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ ﴿٢٣﴾ أَيْ: الْقُرْآنِ وَالْبَعْثِ ﴿٢٣﴾ أُولَئِكَ يَسْأَلُونَ مِنْ رَحْمَتِي ﴿٢٣﴾ أَيْ: جَنَّتِي ﴿٢٣﴾ وَأُولَئِكَ هُمْ عَذَابُ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ مُؤْلَمٌ.

فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَاتَّبِعُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ كَذَّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ أُمُّمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبِغُ الْأُمَمِينَ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْبَلُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَئِكَ يَسْأَلُونَ مِنْ رَحْمَتِي وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾

[١٥] ﴿فَأَنجَيْنَاهُ﴾ أَيْ: نوحًا ﴿١٥﴾ وَأَصْحَبَ السَّيْفِينَةَ ﴿١٥﴾ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ فِيهَا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً ﴿١٥﴾ عِبْرَةً ﴿١٥﴾ لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾ لِمَنْ بَعْدَهُمْ مِنَ النَّاسِ إِنْ عَصَوْا رَسُولَهُمْ، وَعَاشَ نوحٌ بَعْدَ الطُّوفَانِ سِتِينَ سَنَةً أَوْ أَكْثَرَ ﴿١٥﴾ حَتَّى كَثُرَ النَّاسُ.

(١) إثبات هذا يحتاج إلى دليل صحيح.

(٢) وقال عكرمة وقتادة والحسن: تحوّلها أصنامًا. واختاره ابن جرير.

(٣) وقيل: هذا من قول إبراهيم عليه السلام.

(٤) بالناء قراءة حمزة والكسائي.

(٥) أي: شذوذاً.

(٦) بالناء قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٧) وهذا تأويل لصفة الرحمة بأحد نوازمها. ومذهب السلف إثباتها له - شيخانته - على الوجه اللائق به كما سبق مراراً.

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ
فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾
وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ
بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَىٰ كُمُ النَّارُ
وَمَا لَكُمْ مِنْ تَصَرُّيْنَ ﴿٢٥﴾ فَقَامَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ
إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾
وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ
النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَآتَيْنَاهُ
فِي الْآخِرَةِ لِمَنِ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ
مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَتُنْكِرُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ
السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ
قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ
الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

الصَّادِقِينَ ﴿٢٩﴾ في استقباح ذلك، وأن العذاب نازل بفاعليه.

﴿٣٠﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِتَحْقِيقِ قَوْلِي فِي إِزَالِ الْعَذَابِ ﴿٣٠﴾ عَلَى الْقَوْمِ
الْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾ العاصين بإتيان الرجال؛ فاستجاب الله دعاه.

[٢٤] قال - تعالى - في قصة إبراهيم الخليل: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ
إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَجَبَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ﴾ التي قَذَفُوهُ فيها؛ بأن
جعلها عليه بَرْدًا وسلامًا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ أي: إجنائه منه ﴿لَآيَاتٍ﴾ هي
عدم تأثيرها فيه مع عظمتها، وإحمادها وإنشاء روض مكانها في زمن يسير
﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يصدقون بتوحيد الله وقدرته؛ لأنهم المنفعون بها.

[٢٥] وقال إبراهيم: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا﴾ تعبدونها،
و«ما» مصدرية ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ خبر «إن»، وعلى قراءة النصب (١):
مفعول له، و«ما» كافة؛ المعنى: تواددتم على عبادتها ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ
يَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ﴾ يتبرأ القادة من الأتباع ﴿وَيَلْعَنُ
بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ يلعن الأتباع القادة ﴿وَمَا أُولَئِكَ﴾ مصيركم جميعًا
﴿النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ تَصَرُّيْنَ﴾ مانعين منها.

[٢٦] ﴿فَقَامَ لَهُ لُوطٌ﴾ صدق إبراهيم ﴿لُوطٌ﴾ وهو: ابن أخيه هاران
وقال إبراهيم: ﴿إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ من قومي ﴿إِلَىٰ رَبِّي﴾ إلى حيث أمرني
ربي، وهَجَرَ قَوْمَهُ وهاجر من سواد العراق إلى الشام ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ في
ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنع.

[٢٧] ﴿وَهَبْنَا لَهُ﴾ بعد إسماعيل ﴿إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ بعد إسحاق
﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ﴾ فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته
﴿وَالْكِتَابَ﴾ بمعنى: الكتب؛ أي: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ﴿وَوَاتَيْنَاهُ
أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ وهو الشاء الحسن في كل أهل الأديان ﴿وَوَاتَيْنَاهُ فِي الْآخِرَةِ
لِمَنِ الصَّالِحِينَ﴾ الذين لهم الدرجات العلى.

[٢٨] ﴿وَ﴾ اذكر ﴿لُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ [أَتُنْكِرُونَ]﴾ بتحقيق الهمزتين
وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين (٢) ﴿لَتَأْتُونَ
الْفَاحِشَةَ﴾ أي: أديار الرجال ﴿مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾
الإنس والجن.

[٢٩] ﴿أَتُنْكِرُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ﴾ طريق المارة بفعلكم
الفاحشة بمن ير بكم؛ فترك الناشء المرء بكم (٣) ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ﴾
أي: مُتَحَدِّثِكُمْ ﴿الْمُنْكَرَ﴾ فعل الفاحشة بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ ﴿فَمَا كَانَ
جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ مِنَ

(١) والقراءة المذكورة أولاً بالرفع والإضافة للكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ حفص وحمره: ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾ بالفتح والإضافة. وقرأ الباقون: ﴿مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ﴾.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو. وأجمع القراء على الاستفهام في الموضع الثاني، وهو ﴿أَتُنْكِرُ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ﴾.

(٣) أي: وتركه، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٤) الأظهر أن قطعهم السبيل أعم من ذلك، فيشمل مع ما ذكر إخافة المارة وراهابهم بأخذ أموالهم وسفك دماهم ونحو ذلك.

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا
 أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾
 قَالَ إِن فِيهَا لُوطًا قَالُوا لَنْ نَجِدَهُ فِيهَا لَنْ نَجِدَهُ
 وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا نَكْرَهُ وَكَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا
 أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُ بِهِمْ وَصَافٍ بِهِمْ ذُرِّيَّتًا
 وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا
 أَمْرًا نَكَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ
 هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا مِنَ السَّمَاءِ يَمَاسُكُونَ
 وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٤﴾
 وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَقَوَّمُ عِبْدُ اللَّهِ
 وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ أَخْشَوْهُ هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٥﴾
 فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ
 جِثْمِينَ ﴿٣٦﴾ وَعَادَ آوْثَمُودَ أَوْ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ
 مِنْ مَنَاسِكِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ
 فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٧﴾

﴿٣١﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَى يَاسَاقُ وَيَعْقُوبُ بَعْدَهُ

﴿قَالُوا إِنَّا مَهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾ أي: قرية لوط ﴿إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ كافرين.

﴿٣٢﴾ ﴿قَالَ﴾ إبراهيم: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا﴾ أي: الرسل: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ بِعَيْنٍ فِيهَا لَنْ نَجِدَهُ﴾ بالتخفيف والتشديد (١) ﴿وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا نَكْرَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ الباقين في العذاب.

﴿٣٣﴾ ﴿وَلَمَّا أَنَّ كَانَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقَهُ بِهِمْ﴾ حزن بسببهم ﴿وَصَافٍ بِهِمْ ذُرِّيَّتًا﴾ صدراء لأنهم حسان الوجه في صورة أضياف؛ فخاف عليهم قومه؛ فأعلموه أنهم رسل ربهم ﴿وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجِيكَ﴾ بالتشديد والتخفيف (٢) ﴿وَأَهْلَكَ إِلَّا أَمْرًا نَكَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَايِبِينَ﴾ ونصب «أهلك» عطف على محل الكاف.

﴿٣٤﴾ ﴿إِنَّا مُنْزِلُونَ﴾ بالتخفيف والتشديد (٣) ﴿عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْرًا﴾ عذابًا ﴿مِّنَ السَّمَاءِ يَمَاسُ﴾ بالفعل الذي ﴿كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ به؛ أي: بسبب فسقهم.

﴿٣٥﴾ ﴿وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ ظاهرة؛ هي: آثار خرابها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

﴿٣٦﴾ ﴿وَوَيْلٌ لَّارْسِلْنَا﴾ إلى مدين أخاهم شعيبًا فقال يتقوّم أعبدوا الله وأرجوا اليوم الآخر أخشوه؛ هو: يوم القيامة ﴿وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ حال مؤكدة لعاملها، من «عنتي» بكسر المثلثة؛ أفسد.

﴿٣٧﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ الزلزلة الشديدة ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ﴾ باركين على الركب ميتين.

﴿٣٨﴾ ﴿وَوَيْلٌ لَّاهْلَكْنَا﴾ عَادًا ﴿وَوَيْلٌ لَّاهْلَكْنَا﴾ بالصرف وتركه (٤)؛ بمعنى: الحي والقبيلة (٥) ﴿وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ﴾ إهلاكهم ﴿وَمِنْ مَنَاسِكِهِمْ﴾ بالحيف واليمن ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾ من الكفر والمعاصي ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ﴾ سبيل الحق ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ ذوي بصائر.

(١) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي.

(٢) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي وشعبة وابن كثير.

(٣) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٤) بالصرف قراءة السبعة عند حمزة وحفص.

(٥) أي: على كل من القراءتين بالترتيب؛ أي ينصرف للمودة إذا كان بمعنى: الحي، ويمنع من الصرف إذا كان اسماً للقبيلة؛ أي للعلمية والتأنيث.

﴿٣٩﴾ وَ﴿أَهْلَكْنَا قُرُونًا وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَبْلَ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الحجج الظاهرات ﴿فَلَنُكَفِّرَنَّ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيَةً﴾ فالتين عذابتنا.

﴿٤٠﴾ ﴿فَلَا﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ﴾ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا رِيحًا عاصفة فيها حصاب؛ قوم لوط ﴿وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّبِيحَةُ﴾ كعمود ﴿وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ كفارون ﴿وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا﴾ قوم نوح، وفرعون وقومه ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب.

﴿٤١﴾ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: أصنامًا يرجون نفعها ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها تأوي إليه ﴿وَأَنَّ أَوْهَنَ﴾ أضعف ﴿الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ لا يدفع عنها حُرًّا ولا نَزْدًا؛ كذلك الأصنام لا تنفع عابديها ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما عبدوها.

﴿٤٢﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا﴾ بمعنى: الذي ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون، بالياء والفاء^(١) ﴿مِن دُونِهِ﴾ غيره ﴿مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

﴿٤٣﴾ ﴿وَنَلَّكَ الْأَمْثَلُ﴾ في القرآن ﴿نَضْرِبُهَا﴾ نجعلها ﴿لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ أي: يفهما ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ المتدبرون.

﴿٤٤﴾ ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: محققًا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ دالة على قدرته - تعالى - ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ حصوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

﴿٤٥﴾ ﴿أَنزَلْنَا مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

﴿٤٥﴾ ﴿وَقُرُونًا وَفِرْعَوْنَ وَهَمَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَبْلَ﴾ ﴿٣٩﴾ ﴿مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الحجج الظاهرات ﴿فَلَنُكَفِّرَنَّ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَاقِيَةً﴾ فالتين عذابتنا.

﴿٤٠﴾ ﴿فَلَا﴾ من المذكورين ﴿أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ﴾ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا رِيحًا عاصفة فيها حصاب؛ قوم لوط ﴿وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّبِيحَةُ﴾ كعمود ﴿وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ كفارون ﴿وَمِنْهُمْ مَن أَعْرَفْنَا﴾ قوم نوح، وفرعون وقومه ﴿وَمَا كُنَّا اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ﴾ فيعذبهم بغير ذنب ﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بارتكاب الذنب.

﴿٤١﴾ ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ﴾ أي: أصنامًا يرجون نفعها ﴿كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ لنفسها تأوي إليه ﴿وَأَنَّ أَوْهَنَ﴾ أضعف ﴿الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ﴾ لا يدفع عنها حُرًّا ولا نَزْدًا؛ كذلك الأصنام لا تنفع عابديها ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما عبدوها.

﴿٤٢﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا﴾ بمعنى: الذي ﴿يَدْعُونَ﴾ يعبدون، بالياء والفاء^(١) ﴿مِن دُونِهِ﴾ غيره ﴿مِن شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

﴿٤٣﴾ ﴿وَنَلَّكَ الْأَمْثَلُ﴾ في القرآن ﴿نَضْرِبُهَا﴾ نجعلها ﴿لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا﴾ أي: يفهما ﴿إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ المتدبرون.

﴿٤٤﴾ ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: محققًا ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً﴾ دالة على قدرته - تعالى - ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ حصوا بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بها في الإيمان بخلاف الكافرين.

﴿٤٥﴾ ﴿أَنزَلْنَا مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ

يسلموا أو يعطوا الجزية ﴿وَقُولُوا﴾ لمن قبل الإقرار بالجزية إذا أجبروكم بشيء مما في كتبهم: ﴿أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ﴾^(١) ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك ﴿وَالْهَذَا وَالْهَذَا وَجِدْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ مطيعون. [٤٧] ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ﴾ القرآن؛ كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها ﴿فَالَّذِينَ آمَنَتْهُمْ أَكْثَبُ﴾ التوراة؛ كعبد الله بن سلام وغيره ﴿يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ بالقرآن ﴿وَمَنْ هَؤُلَاءِ﴾ أهل مكة ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ﴾ وما يجحد ياتينها بعد ظهورها ﴿إِلَّا الْكَافِرُونَ﴾ أي: اليهود^(٢)، وظهر لهم أن القرآن حق والجاني به محق، وجحدوا ذلك.

[٤٨] ﴿وَمَا كُنْتَ تَسْمَعُ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُبُ يَسْمِعُكَ إِذَا﴾ أي: لو كنت قارئاً كاتباً ﴿لَا تَرَاهُ﴾ شك ﴿الْمُتَبِيلُونَ﴾ اليهود فيك، وقالوا: الذي في التوراة أنه أُمي لا يقرأ ولا يكتب.

[٤٩] ﴿بَلْ هُوَ﴾ أي: القرآن الذي جئت به ﴿بِإِذْنِ يَسْتَوِي﴾ في صدور الأنبياء أو أنزلنا عليه: أي: المؤمنون يحفظونه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْقَلِيلُونَ﴾ أي: اليهود، وجحدوها بعد ظهورها لهم.

[٥٠] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: كفار مكة: ﴿لَوْلَا﴾ هلاً ﴿أَنْزَلَ عَلَيْهِ﴾ أي: محمد ﴿آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٣) وفي قراءة: ﴿عَازِلَةٌ﴾ كنافه صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿إِنَّ الْآيَاتِ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ينزلها كيف يشاء ﴿وَأَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ مظهر إنذاري بالنار أهل المعصية.

[٥١] ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ﴾ فيما طلبوا ﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ القرآن ﴿يُنشِئُ عَلَيْهِمْ﴾ فهو آية مستمرة لا انقضاء لها، بخلاف ما ذكر من الآيات ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ الكتاب ﴿لَعِبْرَةً لِمَنْ عَقِلَ﴾ عظة ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

[٥٢] ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيداً﴾ بصديقي ﴿يَسْمَعُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومنه حالي وحالكم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْغَيْبِ﴾ وهو ما بعد من دون الله ﴿وَكَفَرُوا بِاللَّهِ﴾ منكم ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ في صفقتهم؛ حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا وَالْهَذَا وَالْهَذَا وَجِدْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين ءاتينهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد ياتينها إلا الكفرون وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لا تراب الميطون بل هو ءاتيت يثبت في صدور الذين أوئوا العلم وما يجحد ياتينها إلا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه ءايت من ربه قل إنما الآيت عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لربكم فيه أن أنزلنا عليك الكتاب ينشئ عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً يعلم ما في السموات والأرض والذين ءامنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون

[٤٦] ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالدعاء إلى الله بآياته، والنسبة على حججه ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ بأن حاربوا وأنابوا ففُزوا بالجزية؛ فجادلوهم بالسيف حتى

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تصلفوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا» وما أنزل إليكم الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة البقرة (٢) باب (١١) قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا... قال الحافظ: «وصنع البخاري هذا يقتضي أن تجعل هذه الآية تحت قوله تعالى: ﴿قُولُوا أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾... وهي الآية (١٣٦) من سورة البقرة... والذي يظهر لي أن النبي ﷺ يشير في هذا الحديث لقوله تعالى: ﴿قُولُوا أَمَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَالْهَذَا وَالْهَذَا وَجِدْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ من سورة العنكبوت، وذلك أن صدر الآية: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ وهذا يتناسب مع معنى الحديث المقصود منه... الفتح (٢٠/٨) تصريف يسير.

(٢) المناسب أن يقول: إلا الكافرون؛ كاللهد وغيرهم. فالآية تشتمل هؤلاء جميعاً، ولا فائدة في حصرها في اليهود.

[٥٣] ﴿وَسْتَغْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّهِ ﴿١﴾ لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ عَاجِلًا ﴿٢﴾ وَإِلَىٰ آلِهِمْ يَفْتَنُهُمْ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٣﴾ بوقت إتيانه.

[٥٤] ﴿يَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا ﴿١﴾ وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٢﴾.

[٥٥] ﴿يَوْمَ يَنْفَعُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴿١﴾ وَنَقُولُ ﴿٢﴾ فيه؛ بالنون: أي: نأمر بالقول، وبالياء^(١): ﴿يَقُولُ﴾ أي: الموكل بالعذاب: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: جزاءه فلا تغوتونا.

[٥٦] ﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَبِعْدَةِ فَإِنِّي فَاعِلٌ فِي أَيِّ أَرْضٍ تَبَشَّرْتُ فِيهَا الْعِبَادَةَ؛ بَأَن تَهَاجَرُوا إِلَيْهَا مِنْ أَرْضٍ لَمْ تَبَشِّرْ فِيهَا، نَزَلَ فِي ضِعْفَاءٍ مُسْلِمِي مَكَّةَ كَانُوا فِي ضَيْقٍ مِنْ إِظْهَارِ الْإِسْلَامِ بِهَا.

[٥٧] ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿١﴾ بالتاء وبالياء^(٢)؛ بعد البعث.

[٥٨] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ﴿١﴾ وَنَزَلْنَاهُمْ، وَفِي قِرَاءَةِ^(٣)؛ بالثالثة بعد النون؛ من الثَّوَاء: الإقامة، وتعديته إلى ﴿عُرْفًا﴾ بحذف «فِي» ﴿مِنَ الْجَنَّةِ عُرْفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ هذا الأجر.

[٥٩] ﴿هَمَّ﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا ﴿١﴾ أي: على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ فَبِرْزَقِهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ.

[٦٠] ﴿وَكَايُنَ﴾ كَمْ ﴿مِنَ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ لضعفها ﴿اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّكُمْ لَأَعْيُنُهَا﴾ أيها المهاجرون، وإن لم يكن معكم زاد ولا نفقة ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بضمائرهم.

[٦١] ﴿وَلَيْنَ﴾ لَمْ قَسَمَ ﴿سَأَلْتَهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَسَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك.

[٦٢] ﴿اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ﴾ يوسعُه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ امتحانًا ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيق ﴿لَهُ﴾ بعد التَّشْيِيقِ؛ أي: لمن يشاء ابتلاءه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءًا عَالِيمٌ﴾ ومنه محل البسط والتضييق.

[٦٣] ﴿وَلَيْنَ﴾ لَمْ قَسَمَ ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ

وَيَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْةٌ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١﴾ يَسْتَعِجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٢﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَبِعْدَةِ فَإِنِّي فَاعِلٌ دُونَ ﴿٤﴾ كُلِّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ عُرْفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٧﴾ وَكَأَيُنَ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِنَّكُمْ لَأَعْيُنُهَا ﴿٨﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴿١٠﴾ فكيف يشركون به؟! ﴿قُلِ﴾ لهم: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ثبوت الحجة عليكم ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ تناقضهم في ذلك.

(١) قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) وهي قراءة نافع وحزمة والكسائي وعاصم، وفي الآية إثبات صفة القول والكلام، وأنه يتعلق بمشيئة - شجاعة - واختياره.

(٣) قرأ شعبة وبالياء وفيه السبعة بالتاء.

(٤) أي: وبالياء بدل الهمزة فتكون ﴿لننزلنهم﴾ وهي قراءة حمزة والكسائي.

[٦٧] ﴿وَأَنذَرْتُهُمْ أَنَا جَعَلْنَا بِلَدِّهِمْ مَكَّةَ حَرَمًا ءَامِنًا وَيَخْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ قَتْلًا وَسِيئًا دُونَهُمْ﴾ ﴿أَفَأَلْبِطِلَ الصَّنَمُ يَوْمَئِذٍ وَبِعَمَّةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ بإشراكهم.
 [٦٨] ﴿وَمِنْ أَيِّ لَأَحَدٍ أَفْطَرْنَا مَعَنَ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بأن أشرك به ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ النبي أو الكتاب ﴿لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّمُكْذِبِينَ﴾ أي: فيها ذلك، وهو منهم.
 [٦٩] ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا فِي حَقِّهَا﴾ ﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ أي: طريق السير إلينا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين بالنصر والعون^(١).

سُورَةُ الْبُرُوجِ

[مكة، وهي: ستون، أو: تسع وخسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْعَلَمِ﴾ الله أعلم بمراده في ذلك.
 [٢] ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ وهم أهل الكتاب، غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان؛ وفرح كفار مكة بذلك، وقالوا للمسلمين: نحن نغلبكم كما غلبت فارس الروم.
 [٣] ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ أي: أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة، التقى فيها الجيشان، والبادي بالغزو الفرس ﴿وَهُمْ﴾ أي: الروم ﴿يَبْتَغُونَ غَلَبَتَهُمْ﴾ أضيف المصدر إلى المفعول؛ أي: غلبة فارس لإياهم ﴿سَيَقْدِرُونَ﴾ فارس.

[٤] ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾^(٢) هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر، فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول، وغلبت الروم فارس ﴿وَلِيَّ الْأَمْرِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أي: من قبل غلب الروم ومن بعده؛ المعنى: أن غلبة فارس أولاً وغلبة الروم ثانياً بأمر الله؛ أي: إرادته ﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾ أي: يوم تغلب الروم ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[٥] ﴿يَبْصُرُ اللَّهُ﴾ لإياهم على فارس، وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه؛ أي: يوم بدر بنزل جبريل بذلك مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه^(٣) ﴿يَبْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الغالب.
 ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَاُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَسْتَمْتَعُوا فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ أُولَئِكَ إِذَا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيَخْطَفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَأَلْبِطِلَ يُؤْمِنُونَ وَبِعَمَّةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ

سُورَةُ الْبُرُوجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْعَلَمِ غَلَبَتِ الرُّومُ ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿يَبْصُرُ اللَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ

[٦٤] ﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ وأما القِرْثُ فمن أمور الآخرة؛ لظهور ثمرتها فيها ﴿وَالَّذِينَ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِىَ الْحَيَوَانُ﴾ بمعنى: الحياة ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك ما أتروا الدنيا عليها.
 [٦٥] ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفَلَكِ دَعَاُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ أي: الدعاء؛ أي: لا يدعون معه غيره؛ لأنهم في شدة لا يكشفها إلا هو ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ به.
 [٦٦] ﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ﴾ من النعمة ﴿وَلِيَسْتَمْتَعُوا﴾ باجتماعهم على عبادة الأصنام، وفي قراءة^(١): يسكون اللام؛ أمر تهديد ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة ذلك.

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن نيار بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت: ﴿الْعَلَمِ غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ في بضع سنين... خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه في نواحي مكة: ﴿الْعَلَمِ غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ ﴿فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ قال ناس من قريش لأبي بكر: فذلك بينا وبينكم؛ زعم صاحبك أن الروم ستغلب فارس في بضع سنين؛ أفلا نراهناك على ذلك؟ قال: بلى. وذلك قبل تحريم الرهان. فارتفع أبو بكر والمشركون وتواضعوا للرهان، وقالوا لأبي بكر: كم نجعل؟ البضع: ثلاث سنين إلى تسع سنين؛ فسمع بينا وبينك وسطاً تنتهي إليه. قال: فمشوا بينهم ست سنين. قال: فضمت الست سنين قبل أن يظهروا فأخذ المشركون رهن أبي بكر. فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فغاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين؛ لأن الله تعالى قال: ﴿فِي بَضْعِ سِنِينَ﴾ وأسلم عند ذلك ناس كثير. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٢١٢) ومن سورة الروم، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٢).

(٢) ما جاء في برول الآيات (١-٥). أخرج الترمذي عن أبي سعيد الحديري قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين؛ فنزلت: ﴿الْعَلَمِ غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ إلى قوله: ﴿يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ يَبْصُرُ اللَّهُ. قال: فرح المسلمون بظهور الروم على الفرس. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣١) سورة الروم، (صحيح بما بعده) صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٠).

(١) لحزة والكسائي وابن كثير وقالوا.

(٢) وهذا من لوازم معيته. شيخانته. الخاصة بعبادة المؤمنين، وحققيتها الصعبة الالفة كما سبق؛ ولا تنافي بينها وبين كونه مستويًا على عرشه باثنا من خلقه.

وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَئِكَ تَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَيْدَ مَنِ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكُفْرٌ وَت ﴿٨﴾ أُولَئِكَ يَسِرُّونَ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُونَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا أَن كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا يَهَابِسْتَهُمْ وَن ﴿١٠﴾ اللَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوْ يَكُن لَّهُمْ مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاؤُاْ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِدُ يُتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾

والكافرون.

[١٥] ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ جنة يُحْبَرُونَ﴾ يسرون.

[٦] ﴿وَعَدَ اللَّهُ﴾ مصدر، بدل من اللفظ بفعله، والأصل: وَعَدَهُمُ اللَّهُ النَّصْرَ ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ به ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ^(١) ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ وعده. تعالى - بنصرهم.

[٧] ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي: معاشها من التجارة والزراعة والبناء والغرس وغير ذلك ﴿وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ إعادة ﴿هُمْ﴾ تأكيد.

[٨] ﴿أُولَئِكَ يَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾ ليرجعوا عن غفلتهم ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ لذلك نفى عند انتهائه، ويعد البعث ﴿وَإِنَّ كَيْدَ مَنِ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكُفْرٌ وَت﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث بعد الموت.

[٩] ﴿أُولَئِكَ يَسِرُّونَ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُونَ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ وهي: إهلاكهم بتكذيبهم رسلهم ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعاد وثمود ﴿وَأَثَارُوا الْأَرْضَ﴾ حراثوها وقلبوها للزرع والغرس ﴿وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي: كفار مكة ﴿وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالحجج الظاهرات ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ﴾ إهلاكهم بغير جرم ﴿وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ بتكذيبهم رسلهم.

[١٠] ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ تأنيث الأسوأ: الأقبح، خبر ﴿كَانَ﴾ على رفع ﴿عَاقِبَةُ﴾ ^(٢) واسم ﴿كَانَ﴾ على نصب ﴿عَاقِبَةُ﴾ والمراد بها جهنم وإساءتهم ﴿أَن﴾ أي: بأن ﴿كَذَبُوا بآيَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

[١١] ﴿اللَّهُ يَبْدُو الْخَلْقَ﴾ أي: ينشئ خلق الناس ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ أي: خلقهم بعد موتهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ بالباء والتاء ^(٣).

[١٢] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يسكت المشركون؛ لانقطاع حجتهم.

[١٣] ﴿وَلَوْ يَكُن لَّهُمْ﴾ أي: لا يكون ﴿لَّهُمْ مِّن شُرَكَائِهِمْ﴾ ممن أشركوهم بالله؛ وهم: الأصنام ليشفعوا لهم ﴿شُفَعَاؤُاْ وَكَانُوا﴾ أي: يكونون ﴿بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ أي: متبرئين منهم.

[١٤] ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِدُ﴾ تأكيد ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ المؤمنون

(١) الأولى تفسيرها بالعموم، ويدخل الكفار فيها دخولاً أولياً.

(٢) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالياء قراءة أبي عمرو وشعبة.

تدخلون في الصباح، وفيه صلاة الصبح.

[١٨] ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتراض، ومعناه: يحمده أهلها ﴿وَعِشْيَا﴾ عطف على ﴿حِينَ﴾، وفيه صلاة العصر ﴿وَحِينَ تَطْهَرُونَ﴾ تدخلون في الظهيرة، وفيه صلاة الظهر.

[١٩] ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾ كالإنسان من النطفة، والطائر من البيضة ﴿وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ النُّطْفَةِ وَالْبَيْضَةِ﴾ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بالنبات ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يسهها ﴿وَكَذَلِكَ الْإِخْرَاجُ﴾ [تُخْرِجُونَ] من القبور؛ بالبناء للفاعل والمفعول^(١).

[٢٠] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ - تعالى - الدالة على قدرته ﴿أَن خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ أي: أصلكم آدم ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ﴾ من دم ولحم ﴿تَنْشُرُونَ﴾ في الأرض.

[٢١] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ فخلقت حواء من ضلع آدم، وسائر الناس من نطفة الرجال والنساء ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ وتألفوها ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ﴾ جميعاً ﴿مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ إن في ذلك المذكور ﴿لَايَتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ في صنع الله ..

[٢٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ السَّيِّدَ﴾ أي: لغانكم من عربية وعجمية وغيرها ﴿وَالْوَيْكَرَ﴾ من بياض وسواد وغيرهما، وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ دلالات على قدرته - تعالى - ﴿لِّلْعَالَمِينَ﴾ بفتح اللام وكسرها^(٢)؛ أي: ذوي العقول وأولي العلم.

[٢٣] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ بإرادته راحة لكم ﴿وَأَنْبَاؤُكُمْ﴾ بالنهار ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ أي: تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبر واعتبار.

[٢٤] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ يُرْسِلُكُمْ﴾ أي: إراءتكم ﴿الْبَرْقَ خَوْفًا﴾ للمسافر من الصواعق ﴿وَطَمَعًا﴾ للمقيم في المطر ﴿وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ فيحيي به الأرض بعد موتها؛ أي: يسهها بأن تنبت ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يتدبرون.

وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَبِّحْنَا اللَّهَ حِينَ نُسُوتُ وَحِينَ تَصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِشْيَا وَحِينَ تَطْهَرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ السَّيِّدَ وَالْوَيْكَرَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَآبَآؤُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرْسِلُكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

[١٦] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ﴾ البعث وغيره ﴿فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

[١٧] ﴿فَسَبِّحْنَ اللَّهَ﴾ أي: سبحوا الله؛ بمعنى: صلوا ﴿حِينَ نُسُوتُ﴾ أي: تدخلون في المساء؛ وفيه صلاتان: المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تَصْبِحُونَ﴾

(١) بالبناء للفاعل قراءة حمزة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه.

(٢) بالفتح قراءة السبعة إلا حفصاً.

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴿٢٥﴾ وَإِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَّهُ رَقِيبُونَ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٨﴾ صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٩﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ هُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَأَفْرِ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣١﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٢﴾ مِنَ الَّذِينَ قَرَأُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شَيْعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٣﴾

[٢٥] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ بدل إعادة الجار ﴿قَرَأُوا دِينَهُمْ﴾ باختلافهم فيما يعبدونه ﴿وَكَانُوا شَيْعًا﴾ فرقا في ذلك ﴿كُلُّ حِزْبٍ﴾ منهم ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿فَرِحُوا﴾ مسرورون، وفي قراءة: ﴿فَارْتَوُوا﴾ (١) أي: تركوا دينهم الذي أبزوا به.

[٢٥] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ﴾ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴿٢٥﴾ يَارَادَتُهُ مِنْ غَيْرِ عَمْدٍ ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ﴾ بِأَنْ يَفْخَ إِسْرَافِيلُ فِي الصُّورِ لِلْبُعْثِ مِنَ الْقُبُورِ ﴿إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ مِنْهَا أَحْيَاءُ، فَخَرُوجُكُمْ مِنْهَا بِدَعْوَةٍ مِنْ آيَاتِهِ - تَعَالَى ..

[٢٦] ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مَلَكًا وَخَلْقًا وَعِبْدًا ﴿كُلُّ لَّهُ رَقِيبُونَ﴾ مُطِيعُونَ.

[٢٧] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ﴾ لِلنَّاسِ ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بَعْدَ هَلَاكِهِمْ ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ مِنَ الْبَدَاءِ، بِالنَّظَرِ إِلَى مَا عِنْدَ الْخَاطِئِينَ مِنْ أَنْ إِعَادَةِ الشَّيْءِ أَسْهَلُ مِنْ إِبْدَائِهِ، وَإِلَّا فَهِيَ عِنْدَ اللَّهِ - تَعَالَى - سَوَاءٌ فِي السَّهُولَةِ ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أَي: الصِّفَةُ الْعُلْيَا؛ وَهِيَ: أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ فِي مُلْكِهِ ﴿الْحَكِيمُ﴾ فِي خَلْقِهِ.

[٢٨] ﴿صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا﴾ كَثَاثًا ﴿وَمِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾ وَهُوَ: ﴿هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ أَي: مِنْ مَمَالِكِكُمْ ﴿مِنْ شُرَكَاءَ﴾ لَكُمْ ﴿فِي مَا رَزَقْتَكُمْ﴾ مِنَ الْأَمْوَالِ وَغَيْرِهَا ﴿فَأَنْتُمْ﴾ وَهُمْ ﴿فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ أَي: أَمْثَالَكُمْ مِنَ الْأَحْرَارِ؟ وَالِاسْتِفْهَامُ بِمَعْنَى النِّفْيِ؛ الْمَعْنَى: لَيْسَ مَمَالِكُكُمْ شُرَكَاءَ لَكُمْ - إِلَى آخِرِهِ - عِنْدَكُمْ؛ فَكَيْفَ يَجْعَلُونَ بَعْضَ مَمَالِكِ اللَّهِ شُرَكَاءَ لَهُ؟ ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ﴾ يُبَيِّنُهَا مِثْلَ ذَلِكَ التَّفْصِيلِ ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يَتَذَكَّرُونَ.

[٢٩] ﴿بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ بِالْإِشْرَاقِ ﴿أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَسَ﴾ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ﴿أَي: لَا هَادِيَ لَهُ﴾ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿مَنْعِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾.

[٣٠] ﴿فَأَفْرِ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ مَائِلًا إِلَيْهِ؛ أَي: أَخْلَصْ دِينَكَ لِلَّهِ أَنْتَ وَمَنْ تَبِعَكَ ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ﴾ خَلْقَتَهُ ﴿الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ وَهِيَ دِينُهُ؛ أَي: الزَّمْعُهَا ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ لَدِينِهِ؛ أَي: لَا تَبْدِيلُوهُ بِأَنْ تَشْرِكُوا ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ (٢) الْمُسْتَقِيمُ تَوْحِيدُ اللَّهِ ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أَي: كَثَرُ مَكَّةَ ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ تَوْحِيدَ اللَّهِ.

[٣١] ﴿مُنِيبِينَ﴾ رَاجِعِينَ ﴿إِلَيْهِ﴾ - تَعَالَى - فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ، حَالٌ مِنْ فَاعِلٍ ﴿أَقِيمُوا﴾ وَمَا أُرِيدَ بِهِ؛ أَي: أَقِيمُوا ﴿وَاتَّقُوهُ﴾ خَافُوهُ ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة جمعاء، هل تحسوا فيها من جدعاء؟»، يقول أبو هريرة: «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ». البخاري - كتاب الجنائز (٢٣) باب (٧٩) إذا أسلم الصبي فمات؛ هل يُصلى عليه. وكتاب التفسير (٦٥) سورة الروم (٣٠) باب لا تبديل لخلق الله. وأخرجه مسلم - كتاب القدر (٤٦) باب (٦) كل مولود يولد على الفطرة. وعنده زيادة قول أبي هريرة: «ذاقوهوا إن شقتم...».

[٤٢] ﴿قُلْ لِكُفَّارِ مَكَةٍ﴾ ﴿سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ فأهلكوا بإشراكهم، ومساكنهم ومنازلهم خاوية.

[٤٣] ﴿فَأَنفِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ دين الإسلام ﴿مِن قَبْلِ أَن يَبَئِثَ يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ﴾ هو يوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الصاد؛ ينفرون بعد الحساب إلى الجنة والنار.

[٤٤] ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ وبال كفره؛ وهو: النار ﴿وَمَن عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ يَهْدُون﴾ يوطئون منازلهم في الجنة.

[٤٥] ﴿لِيَجْزِيَ﴾ متعلق بـ ﴿يَصْدَعُونَ﴾ ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ﴾ يشبههم ﴿إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْكَافِرِينَ﴾ أي: يعاقبهم^(١).

[٤٦] ﴿وَمَن ءَايَنَاهُ﴾ - تعالى - ﴿أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرِينَ﴾ بمعنى: لتبشركم بالمطر ﴿وَلِيُذِيقَكُمْ﴾ بها ﴿مِنْ رَّحْمَتِهِ﴾ المطر والخصب ﴿وَلِيَجْزِيَ الْفُلُوكَ﴾ السفن بها ﴿بِأَمْرِهِ﴾ بإرادته ﴿وَلِيَسْتَتُوا﴾ تطلبوا ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ الرزق بالتجارة في البحر ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ هذه النعم يا أهل مكة؛ فتوحدوه.

[٤٧] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَهُم بِالْأَيْمَانِ عَلَى الْوَاضِحَاتِ عَلَى صَدَقَتِهِمْ فِي رَسُولِهِمْ إِلَيْهِمْ؛ فَكَذَّبُوهُمْ﴾ فأنقمنا من الذين أجرموا ﴿أَهْلَكْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوهُمْ﴾ وكانت حقاً علينا نصر المؤمنين ﴿على الكافرين يهلكهم وإنجاه المؤمنين﴾.

[٤٨] ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ تزعجه ﴿فَيَسْطُطُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ من قلة وكثرة ﴿وَيَعْلَمُ كَسْفًا﴾ بفتح السين وسكونها^(٢)؛ قطعاً متفرقة ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ﴾ المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي: وسطه ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ﴾ بالوَدْقِ ﴿مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ إذا هم يستشيرون ﴿يَفْرَحُونَ بِالْمَطَرِ﴾.

[٤٩] ﴿وَإِن﴾ وقد ﴿كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُزَلَّ عَلَيْهِمْ﴾ من قبله. تأكيد ﴿لِّمُبْلِسِينَ﴾ آيسين من إنزاله.

[٥٠] ﴿فَانظُرْ إِلَى [أَثَرِ]﴾^(٣) وفي قراءة: ﴿ءَاثَرِ﴾ ﴿رَحْمَتِ اللَّهِ﴾ أي:

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَنفِرْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَبَئِثَ يَوْمَ لَا مَرَدَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصْدَعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَن عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسَ يَهْدُون ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يَجِبُ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَن ءَايَنَاهُ أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرِينَ وَلِيُذِيقَكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَلِيَجْزِيَ الْفُلُوكَ بِأَمْرِهِ وَلِيَسْتَتُوا مِّن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَهُم بِالْأَيْمَانِ عَلَى الْوَاضِحَاتِ عَلَى صَدَقَتِهِمْ فِي رَسُولِهِمْ إِلَيْهِمْ؛ فَكَذَّبُوهُمْ ﴿٤٧﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَسْطُطُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَعْلَمُ كَسْفًا بفتح السين وسكونها ﴿٤٨﴾ فَنظُرْ إِلَى [أَثَرِ] رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُجِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴿٤٩﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَمُعْجَى الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾

نعمته^(٤) بالمطر ﴿كَفَيْتَ يُجِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي: يسها بأن تنبت ﴿وَإِنَّ ذَلِكَ لَمُعْجَى الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) وهذا تأويل لصفة الحجة بلازمها، وسبق بيان مذهب السلف في هذه الصفة وغيرها وإثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به.

(٢) يسكون السين قراءة ابن عامر، بخلاف عن هشام.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقراءة بقية السبعة: ﴿ءَاثَرِ﴾.

(٤) نعمته - شيعته - بالمطر أثر من آثار رحمته. وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله ﷻ.

[٥٣] ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ مَا تُسْمِعُ﴾ سماع إفهام وقبول ﴿إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿فَهُمْ مُّسْلِمُونَ﴾ مخلصون بتوحيد الله.

[٥٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ ماء مهين ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ﴾ آخر؛ وهو: ضعف الطفولية ﴿قُوَّةً﴾ أي: قوة الشاب ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ ضعف الكبر وشيب الهرم، والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحها ^(١) ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ من الضعف والقوة والشباب والشيبة ﴿وَهُوَ الْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿الْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء.

[٥٥] ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ يُفْسِدُ﴾ يحلف ﴿الْمُجْرِمُونَ﴾ الكافرون ﴿مَا لَيْسُوا﴾ في القبور ﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ قال - تعالى -: ﴿كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ يصفرون عن الحق: «البعث»، كما صرفوا عن الحق: «الصدق في مدة البعث».

[٥٦] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ من الملائكة وغيرهم: ﴿لَقَدْ لَيْسَتْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ فيما كتبه في سابق علمه ﴿إِنْ يَوْمَ الْبَعْثِ فَهَكَذَا يَوْمَ الْبَعْثِ﴾ الذي أنكرتموه ﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ وقوعه.

[٥٧] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ بِالْبَاءِ وَالنَّاءِ﴾ ^(٢) ﴿الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ﴾ في إنكارهم له ﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ لا يطلب منهم العتبي؛ أي: الرجوع إلى ما يرضي الله.

[٥٨] ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾ تنبيهاً لهم ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿يَجْتَهُمُ﴾ يا محمد ﴿يَاكُذِّبُ﴾ مثل العصا واليد لموسى ﴿لَيَقُولَنَّ﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم: ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ أي: محمد وأصحابه ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ أصحاب أباطيل.

[٥٩] ﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ التوحيد؛ كما طبع على قلوب هؤلاء.

[٦٠] ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصره عليهم ﴿حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَكَ﴾ بالبعث؛ أي: لا يحملئك على الخفة والطيش بترك الصبر؛ أي: لا تتركه.

وَلَكِنْ أَرْسَلْنَا بِحَافِرِ أَوَّهٍ مُضْفَرًا لَطَلُوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الضُّمَّةَ الدُّعَاءَ إِذَا وَلُوا مَدِيرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعُمَىٰ عَنْ ضَلَالِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُفْسِدُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَيْسُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعَذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَكِنْ جِئْتَهُمْ بِآيَةٍ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَكَ

[٥١] ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿أَرْسَلْنَا بِحَافِرِ﴾ مضرة على نبات ﴿مُضْفَرًا لَطَلُوا﴾ صاروا، جواب القسم ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد اصفرائه ﴿يَكْفُرُونَ﴾ يجحدون النعمة بالمطر.

[٥٢] ﴿فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الضُّمَّةَ الدُّعَاءَ﴾ إذاً بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية بينها وبين الباء ^(١) ﴿وَلَوْ أَنَّ مَدِيرِينَ﴾.

(١) التسهيل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بالضم قراءة السبعة عدا حمزة وشعبة، وحفص في أحد الوحيين، والوجه الآخر لحفص بخف عه، وحمزة، وشعبة: ﴿ضعف﴾ بالفتح.

(٣) بالناء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

سُورَةُ الْقَمَانِ

سُورَةُ الْقَمَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَمَانِ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ
هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ
لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ أَنْتَنَّا عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا
كَأَن لَّرِيسْمَعَهَا كَأَنَّ فِي آذَانِهِ وَقْرًا فَنَسَخْنَاهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾
إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٨﴾
خَالِدِينَ فِيهَا فِيهَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ
السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا وَالْقِي فِي الْأَرْضِ رَوًى أَن يَقِيدَ
بِكُوفَةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا
فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا
خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ؕ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

جبالاً مرتفعة لـ ﴿١﴾ لا ﴿٢﴾ تَنبِيذٌ تَحْرُكُ ﴿٣﴾ وَبِكُمْ وَبَتْ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ
وَأَنْزَلْنَا فِيهِ الْغَيْثَ عَنِ الْغَيْبَةِ ﴿٤﴾ وَمِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ
كَرِيمٍ ﴿٥﴾ صنف حسن.

[١١] ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ﴾ أي: مخلوقه ﴿فَأَرُونِي﴾ أخبروني يا أهل مكة
﴿مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ غيره؛ أي: ألهتكم حتى أشر كتموها به. تعالى؟
و«ما» استفهام إنكار مبتدأ، و«ذا» بمعنى الذي يصلِّيهِ خَيْرُهُ، و«أروني» معلق
عن العمل، وما يتقدّمه سُدَّ مَسَدَ الْمُفْعُولِينَ ﴿بَلِ﴾ للانتقال ﴿الظَّالِمُونَ﴾ فِي
ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿يَنبِي بِأَشْرَاحِهِمْ وَأَنْتُمْ مِنْهُمْ﴾.

[مكية إلا ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَدٌ﴾ الآيتين؛ فمدنيتان،
وهي: أربع وثلاثون آية، نزلت بعد الصفات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْقَمَانِ﴾ الله أعلم بمراده به. [٢] ﴿تِلْكَ﴾ أي: هذه الآيات
﴿آيَاتُ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْحَكِيمِ﴾ ذي الحكمة، والإضافة بمعنى: من.
[٣] هو ﴿هُدًى وَرَحْمَةً﴾ بالرفع ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ وفي قراءة العامة:
بالنصب^(١)، حالاً من الآيات العامل فيها ما في ﴿تِلْكَ﴾ من معنى الإشارة.
[٤] ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ بيان للمحسنين ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ ﴿هُمْ﴾ الثاني تأكيد.
[٥] ﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[٦] ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ﴾ أي: ما يلهي منه عما يعني
﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الباء وضمها^(٢) ﴿عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريق الإسلام ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ
وَيَتَّخِذَهَا﴾ بالنصب: عطفًا على «يضل»، وبالرفع^(٣): عطفًا على ﴿يَشْتَرِي﴾،
﴿هُزُوًا﴾^(٤) مَهْزُوءًا بِهَا ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٥) ذواهانة.

[٧] ﴿وَإِذْ أَنْتَنَّا عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَّى مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبرًا
﴿كَأَن لَّرِيسْمَعَهَا كَأَنَّ فِي آذَانِهِ وَقْرًا﴾ صمًا، وجعلنا التشبه حالان من
ضمير: ﴿وَلَّى﴾، أو: الثانية ياءٌ لِلْأُولَى ﴿فَنَسَخْنَاهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾
مؤلم، ذكر الإشارة تهكم به؛ وهو: النضر بن الحارث، كان يأتي الحيرة يتجر
فيشتري كتب أخبار الأعاجم ويحدث بها أهل مكة^(٦)، ويقول: إن محمدًا
يحدثكم أحاديث عاد ونمود، وأنا أحدثكم أحاديث فارس والروم.
فيستملحون حديثه ويتركون استماع القرآن.

[٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾.
[٩] ﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال مقدرة؛ أي: مقدراً خلودهم فيها إذا دخلوها
﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ أي: وعدهم الله ذلك، وَخَفَقَهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ
الذي لا يغلبه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيدته ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ الذي لا يضع
شيئاً إلا في محله.

[١٠] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرْوَاهَا﴾ أي: العمدة، جمع عماد؛
وهو: الأسطوانات، وهو صادق بأن لا عمد أصلاً ﴿وَالْقِي فِي الْأَرْضِ رَوًى﴾

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «لا تبعوا الفئتان، ولا تشتروهن، ولا تعلموهن، ولا خير في تجارة فيهن، ومنهن حرام»، في مثل ذلك أنزلت عليه هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ الآية. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٢) ومن سورة لقمان. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٥٥٣). قال ابن الأثير: «الفئتان: الأمة؛ غُتْ أولم تُغْفَرْ... وجمعها: فئتان...» (النهاية ٤ / ١٣٥). وروى البخاري في الأدب المفرد عن ابن عباس في تفسير هذه الآية قال: «الفناء وأشباهه». صحيح الأدب المفرد (٩٥٥).

(١) الرفع قراءة حمزة. وقرأ الباقون بالنصب.

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) قرأ حفص: ﴿هُزُوًا﴾ بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا، وقرأ حمزة وصلًا: ﴿هُزْءًا﴾؛ بسكون الزاي مهموزًا، ووقفاً: ﴿هُزْؤًا﴾، وقرأ بقية السبعة: ﴿هُزْؤًا﴾ بضم الزاي مهموزًا.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص (٢٣٢) عن الكلبي ومقاتل. وهما منهما بالكذب، وأخرج نحوه البيهقي في شعب الإيمان (٣٠٥/٤) عن ابن عباس من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح، وثلاثتهم ميمون بالكذب. وانظر: الاستيعاب (٥٩/٣، ٦٠).

[٢٠] ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ مِنْ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّجْمِ؛ لَتَنْتَفِعُوا بِهَا ﴿٢٠﴾ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿٢١﴾ مِنَ الشَّجَرِ وَالْأَنْهَارِ وَالْدُّوَابِّ ﴿٢٢﴾ وَأَسْبَغَ ﴿٢٣﴾ أَوْسَعَ وَأَمَّ ﴿٢٤﴾ عَلَيْكُمْ نِعْمَ ظَهْرُهُ ﴿٢٥﴾ وَهِيَ: حَسَنُ الصُّورَةِ وَتُسْوِيَةُ الْأَعْضَاءِ، وَغَيْرُ ذَلِكَ ﴿٢٦﴾ وَبَاطِنُهُ ﴿٢٧﴾ هِيَ: الْمَعْرِفَةُ وَغَيْرُهَا ﴿٢٨﴾ وَمِنْ النَّاسِ ﴿٢٩﴾ أَيُّ أَهْلِ مَكَّةَ ﴿٣٠﴾ مَن يُجِدِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى ﴿٣١﴾ مِنْ رَسُولٍ ﴿٣٢﴾ وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٣٣﴾ أَنْزَلَهُ اللَّهُ، بَلْ بِالتَّقْلِيدِ.

[٢١] ﴿وَلِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْنَا ءَابَاءَنَا﴾ قَالَ - تَعَالَى -: ﴿أَلَمْ يَتَّبِعُونَهُ﴾ وَلَوْ كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢٢﴾ أَيُّ: مُوجِبَاتِهِ لَا.

[٢٢] ﴿وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ﴾ أَيُّ: يَقْبَلُ عَلَى طَاعَتِهِ ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ مُوَحَّدٌ ﴿فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى﴾ بِالطَّرْفِ الْوُثْقَى الَّذِي لَا يَخَافُ انْقِطَاعَهُ ﴿وَالِلَّهِ عِيقَةُ الْأُمُورِ﴾ مَرْجِعُهَا.

[٢٣] ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُهُ﴾ يَا مُحَمَّدٌ ﴿كُفْرُهُ﴾ لَا تَهْتَمُ بِكُفْرِهِ ﴿إِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ فِئَتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ أَيُّ: بِمَا فِيهَا كُفْرُهُ ﴿فَمَحَازٍ عَلَيْهِ.

[٢٤] ﴿لَتَمُنَّهِنَّ﴾ فِي الدُّنْيَا ﴿فَلَيْلًا﴾ أَيَّامَ حَيَاتِهِمْ ﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُنَّ﴾ فِي الْآخِرَةِ ﴿إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ وَهُوَ: عَذَابُ النَّارِ لَا يَجِدُونَ عَنْهُ مَحِيضًا.

[٢٥] ﴿وَلَكِنْ﴾ لَمْ قَسَمَ ﴿سَأَلْتُهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ حَذَفَ مِنْهُ نَوْنُ الرَّفْعِ لِتَوَالِي الْأَمْثَالِ، وَ«وَاو» الضَّمِيرُ لِاتِّقَاءِ السَّاكِنِينَ ﴿قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ عَلَى ظُهُورِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمُ بِالْحَنِيدِ ﴿بَلْ أَكْذَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَجُوبُهُ عَلَيْهِمْ.

[٢٦] ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مَلَكًا وَخَلْقًا وَعَبِيدًا؛ فَلَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةُ فِيهِمَا غَيْرُهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عَنْ خَلْقِهِ ﴿الْحَكِيمُ﴾ الْحَمُودُ فِي صُنْعِهِ.

[٢٧] ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ ﴿٢٨﴾ وَالْبَحْرِ﴾ ^(١) عَطَفَ عَلَى اسْمِ «أَنْ» ﴿يُمَدُّ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ مَدَّادًا ﴿مَا يَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ﴾ الْمَعْبَرُ بِهَا عَنْ مَعْلُومَاتِهِ بِكُتُبِهَا بَتْلُكُ الْأَقْلَامِ، بِذَلِكَ الْمَادِّ، وَلَا بِأَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ مَعْلُومَاتُهُ ^(٢) - تَعَالَى - غَيْرُ مَتْنَاهِيَةٍ ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ وَمِنْ النَّاسِ مَن يُجِدِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْنَا ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ كَانِ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى وَإِلَى اللَّهِ عِيقَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنُهُ كُفْرُهُ إِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ فِئَتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نَمُنَّهِنَّ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُنَّ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتُهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرِ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةً إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

﴿حَكِيمٌ﴾ لَا يَخْرُجُ شَيْءٌ عَنْ عِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ.

[٢٨] ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْعَثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ خَلَقًا وَبَعَاثًا؛ لِأَنَّهُ بِكَلِمَةِ «كُنْ» فَيَكُونُ ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ﴾ يَسْمَعُ كُلَّ مَسْمُوعٍ ﴿بَصِيرٌ﴾ يَبْصُرُ كُلَّ مُبْصَرٍ، لَا يَشْغَلُهُ شَيْءٌ عَنْ شَيْءٍ.

(١) أي: كغير ما في الصدور، فلا تخفى عليه - شَيْخَانَهُ - خَافِيَةٌ.

(٢) بالنصب، وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: «وَالْبَحْرِ» بالضم.

(٣) تفسير كلمات الله بمعلوماته عدول عن ظاهر اللفظ، وهو خلاف ما فهمه السلف منها، وكلماته - شَيْخَانَهُ - هي: كلامه وقوله الذي لا نفاذ له؛ فهو - شَيْخَانَهُ - لم يزل ولا يزال يتكلم بما شاء إذا شاء. وما ذهب إليه المفسر راجع إلى مذهب الأشاعرة وغيرهم أن كلام الله معنى واحد قائم بالنفس قديم لا يوصف بالعدد، وهذا خلاف مذهب السلف وطريقتهم.

أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٣٠﴾ هُوَ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

﴿٣٠﴾ [وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ] المذکور ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ الثابت ﴿وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ على خلقه بالقهر ﴿الْكَبِيرُ﴾ العظيم.

﴿٣١﴾ [وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ] السفن ﴿يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُريَكُمْ﴾ يا مخاطبين بذلك ﴿مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ﴾ عبداً ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن معاصي الله ﴿مُشْكِرٍ﴾ لنعمته.

﴿٣٢﴾ [وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ] أي: علا الكفار ﴿مَوْجٍ كَاطِلٍ﴾ كالجال التي تظلم من تحتها ﴿دَعَاُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ﴾ أي: الدعاء بأن ينجيهم؛ أي: لا يدعون معه غيره ﴿فَلَمَّا يَتَذَكَّرُ إِلَى الْآخِرِ مِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ متوسط بين الكفر والإيمان، ومنهم باقى على كفره ﴿وَمَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا تِلْكَ الْأَنفُسَ﴾ ومنه الإنجاء من الموج ﴿إِلَّا كُلَّ خَسَّارٍ﴾ غدار ﴿كُفُورٍ﴾ لينعم الله تعالى.

﴿٣٣﴾ [وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ] أي: أهل مكة ﴿أَنفَعُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي﴾ يعني ﴿وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ فيه شيقا ﴿وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ﴾ فيه ﴿شَيْئًا إِنَّكَ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ بالبعث ﴿فَلَا تَعْرَتَكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإسلام ﴿وَلَا يَغُرَّتْكُمْ بِاللَّهِ﴾ في جلبي وإمهاله ﴿الْعُرُورُ﴾ الشيطان.

﴿٣٤﴾ [وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ] متى تقوم ﴿وَيُنْزِلُ﴾ بالتخفيف والتشديد ﴿الْقَيْثُ﴾ بوقت يعلمه ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ أذْكَوْ أَمْ أُنْثَى، ولا يعلم واحداً من الثلاثة غير الله. تعالى. ﴿وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ﴾ عَدَاً من خير أو شر، ويعلمه الله. تعالى. ﴿وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ﴾ تَمُوتُ ويعلمه الله. تعالى. ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ بكل شيء ﴿خَبِيرٌ﴾ بإطلته كظاهرة، روى البخاري عن ابن عمر حديث: «مَقَاتِلُ الْعَيْبِ خَمْسَةٌ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إلى آخر السورة».

الَّتِي تَرَى اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣١﴾ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُريَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ وَإِذَا غَشِيَهم مَوْجٌ كَاطِلٌ دَعَاُ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ إِلَى الْبَرِّ فَيَنْهَهُمُ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَتْفَؤُا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٥﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنْزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ عَدَاً وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ يَأْتِي أَرْضُ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٦﴾

سُورَةُ الْبَقَرَةِ

﴿٢٩﴾ [أَلَمْ تَرَ] تعلم يا مخاطب ﴿أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ﴾ يدخل ﴿الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ يدخله ﴿فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي فِي فَلْكَ﴾ إلى

(١) بالناء قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٢) وهذا، من قصر العم على بعض أفرادها، والله ﷻ له العلو المطلق ذاتاً وشأناً وقهراً.

(٣) الخطاب لأهل مكة وغيرهم.

(٤) بالتخفيف قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) البخاري (٤٦٢٧) بلفظ «مفاتيح» وخُرجه أيضاً في (٤٧٧٨) بنحو هذا اللفظ.

سُورَةُ التَّحْوَةِ

[مكية، ثلاثون آية (*)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِهِ.

[٢] ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿لَا رَيْبَ﴾ شك ﴿فِيهِ﴾ خبر أول ﴿مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خبر ثانٍ.

[٣] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ أَفَرَبَّهُ﴾ محمد ﷺ لا ﴿بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾ إِنْشِدَرٌ بِهِ ﴿قَوْمًا مَّا﴾ نافية ﴿أَنْتَهُمْ مِنْ تَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارك.

[٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة ^(١) ﴿ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ هو في اللغة: سرير الملك، استواء يليق به ^(٢) ﴿مَا لَكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿وَمِنْ وَلِيٍّ﴾ اسم ﴿مَا﴾ بزيادة من؛ أي: ناصر ﴿وَلَا تَفْجِعْ﴾ يدفع عذابه عنكم ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ هذا فتؤمنون؟.

[٥] ﴿يَذَرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ مدة الدنيا ﴿ثُمَّ يَرْجِعُ﴾ يرجع الأمر والتدبير ^(٣) ﴿إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا تَعُدُّونَ﴾ في الدنيا، وفي سورة «سأل»: ﴿حَسْبَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ^(٤) وهو يوم القيامة؛ لشدة أهواله بالنسبة إلى الكفار، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلحها في الدنيا، كما جاء في الحديث ^(٥).

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ الخالق المدير ﴿عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ وَالنَّهْضَةُ﴾ أي: ما غاب عن الخلق وما حضر ﴿الْعَزِيزُ﴾ المنيع في ملكه ﴿الرَّحِيمُ﴾ بأهل طاعته.

[٧] ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ بفتح اللام: فعلاً ماضياً صفة، وبسكونها ^(٦) بدل اشتمال ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ﴾ آدم ﴿مِنْ طِينٍ﴾.

[٨] ﴿ثُمَّ جَعَلَ سَلَكًا﴾ ذريته ﴿مِنْ سُلَلَةٍ﴾ علقه ﴿مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ﴾ ضعيف؛ هو: النطفة.

[٩] ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ﴾ أي: خلق آدم ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ أي: جعله حياً حساساً بعد أن كان جماداً ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ﴾ أي: لذريته ﴿السَّمْعَ﴾ بمعنى: الأسماع ﴿وَالْأَبْصَرَ﴾ وَالْأَفْئِدَةَ ﴿الْقُلُوبَ﴾ قَلْبًا مَّا تَشْكُرُونَ.

﴿مَّا﴾ زائدة مؤكدة للقلّة.

[١٠] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: منكرو البعث: ﴿إِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ﴾ غَيْثًا فِيهَا بَأْنٌ صَيْرًا تَرَانِيًا مَخْطَلًا بِتَرَابِهَا ﴿أَنَّا لَنَبَى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؟ استفهام إنكار، بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين ^(٧)، قال - تعالى -: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ﴾ بالبعث ﴿كَافِرُونَ﴾.

[١١] ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿يَتُوفَكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَكُمْ﴾ أي: يقبض أرواحكم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ أحياء؛ فيجازيكم بأعمالكم.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «كان النبي ﷺ يقرأ في الجمعة في صلاة الفجر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِهِ﴾. كتاب الجمعة (١١) باب (١٠).

ما يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة. وأخرج الترمذي عن جابر أن النبي ﷺ كان لا ينام حتى يقرأ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِهِ﴾. كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٩) ما جاء في فضل سورة الملك، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٧٣).

(١) الأولى أن يقول هنا كما قال في تفسير الآية (٥٩) من سورة الفرقان: «أي: في قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس». (٢) سبق التعليق مراراً على هذا التوضيح، وذكرنا الفارق بين تفويض الكيفية والذي هو حق، وبين تفويض المسمى وأنه خلاف فهم السلف الذين كانوا يعلمون أن الاستواء يفيد الاستقرار والعلو. (٣) قال ابن جرير في تفسير الآية: «وأولى الأفعال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه يدير الأمر من السماء إلى الأرض ثم يرحل إليه في يوم كان مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم، خمسمائة في النزول وخمسمائة في الصعود؛ لأن ذلك أظهر معانيه وأشبهها بظاهر التنزيل». وفي هذه الآية إثبات لعلو الله - تعالى - على خلقه. (٤) المعارج: ٤. (٥) رواه أحمد (١٢٩٢) وأبو يعلى وابن جرير وابن حبان والبيهقي في البعث عن أبي سعيد الخدري مرفوعاً [الدر المنثور (٤١٧/٦)]، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٢٠٩٢ ج ٢). (٦) بسكونها قراءة أكثر وأبي عمرو وابن عامر. (٧) أي: وتركه، وقرأ ابن عامر بالإحراق في الأول والاستفهام في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه ﴿فَأَرْجَعْنَا﴾ إلى الدنيا ﴿نَعْمَلْ صَالِحًا﴾ فيها ﴿إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ الآن؛ فما ينفعهم ذلك، ولا يرجعون، وجواب ﴿كُذِّبُوا﴾: لرأيت أمراً فظيماً، قال - تعالى -: [١٣] ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ فهندي بالإيمان والطاعة باختيار منها ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسَانِ﴾ الجن ﴿وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

[١٤] وتقول لهم الخزنة^(١) إذا دخلوها: ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾ ﴿يَمَّا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: بترككم الإيمان به ﴿إِنَّا نَسِينَكُمُ﴾ تركناكم في العذاب ﴿وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَالِدِ﴾ الدائم ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الكفر والتكذيب.

[١٥] ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا﴾ وعطوا ﴿بِهَا خُرُوجًا سَجْدًا وَسَبُّوهُ﴾ متلبسين ﴿بِحَدِّ رَبِّهِمْ﴾ أي: قالوا: «سبحان الله وبحمده» ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمان والطاعة.

[١٦] ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ﴾ ترتفع ﴿عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ مواضع الاضطجاع بفرشها لصلاتهم بالليل تهجدًا ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا﴾ من عقابه ﴿وَطُمَعًا﴾ في رحمته^(٢) ﴿وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَنْفِقُونَ﴾ يتصدقون.

[١٧] ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخِيتُ﴾ لحيي ﴿لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾^(٣) ما تقر به أعينهم، وفي قراءة^(٤): بسكون الباء؛ مضارع ﴿جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٨] ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَتْ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴾ أي: المؤمنون والفاقدون.

[١٩] ﴿أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَزَاءُ الْآلَاءِ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ بعد للضيف ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٢٠] ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا﴾ بالكفر والتكذيب ﴿فَمَأْوِيَّتُهُمُ النَّارُ﴾ كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ.

وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٤﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْإِنْسَانِ أَجْمَعِينَ ﴿١٥﴾ فَذُوقُوا يَمَّا نَسِيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَكُمُ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخَالِدِ يَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٧﴾ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطُمَعًا وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَنْفِقُونَ ﴿١٨﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخِيتُ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَزَاءُ الْآلَاءِ الَّتِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَّتُهُمُ النَّارُ كَمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾

[٢١] ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُتَجَرِّبُونَ﴾ الكافرون ﴿نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ مطأطؤها حياءً يقولون: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا﴾ ما أنكون من البعث

(١) ما جاء في نزول الآية (١٦): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن هذه الآية: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطُمَعًا...﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة. ابراهيمي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٣) ومن سورة السجدة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٥٤).

(٢) فائدة: أخرج مسلم عن سهل بن سعد قال: شهدت من رسول الله ﷺ مجلس وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال ﷺ في آخر حديثه: «فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» ثم أقرأ هذه الآية: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطُمَعًا وَمِمَّا زَقَنَهُمْ يَنْفِقُونَ﴾ ﴿١٧﴾ فلا تعلم نفس مِمَّا أُخِيتُ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ. مسلم - كتاب الجنة وصفة يعيها وأهلها (٥١) حديث رقم (٢٨٢٥).

(٣) لا ملجئ لحمل اللفظ على خلاف ظاهره وجعل القول للخرقة، وكلام الله - سبحانه - المنفي عنهم في الآخرة هو كلام الرحمة والإكرام لا الزجر والتوبيخ.

(٤) أي: «أخفئ»، وهي حمزة.

وَلَنَذِقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلَدِّ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ
أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا
مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ
هُدًى لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا
لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ
يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ ﴿٢٦﴾ أَي: بتبين لكفار مكة
إهلاكنا كثيرا ﴿٢٧﴾ مِنَ الْقُرُونِ الْأَمِّ بِكفرهم ﴿٢٨﴾ يَمْشُونَ ﴿٢٩﴾ حال من ضمير
﴿لَهُمْ﴾ ﴿٣٠﴾ فِي مَسْكِنِهِمْ ﴿٣١﴾ فِي أَصْفَارِهِمْ إِلَى الشَّامِ وَغَيْرِهَا؛ فَبِعَتَرُوا ﴿٣٢﴾ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ ﴿٣٣﴾ دَلَالَاتٍ عَلَى قُدْرَتِنَا ﴿٣٤﴾ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٣٥﴾ سَمَاعٌ تَدِيرُ وَاتْعَاظُ؟
﴿٢٧﴾ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ
نَبَاتَ فِيهَا ﴿٢٨﴾ زَرْعًا نَأْكُلُ مِنْهُ أَعْمَهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ
هَذَا، فَيَعْلَمُونَ أَنَّ قُدْرَتَنَا عَلَى إِعَادَتِهِمْ.
﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ ﴿٢٩﴾ لِلْمُؤْمِنِينَ: ﴿٣٠﴾ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ ﴿٣١﴾ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴿٣٢﴾ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ؟
﴿٢٩﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ ﴿٣٠﴾ يَنْزِلُ الْعَذَابُ بِهِمْ ﴿٣١﴾ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا
إِسْنَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ ﴿٣٢﴾ يَهْلُونَ لِنُوبَةٍ أَوْ مَعْدَرَةٍ.
﴿٣٠﴾ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَانْظُرْ ﴿٣١﴾ إِنْزَالَ الْعَذَابِ بِهِمْ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُمْ مُنْظَرُونَ ﴿٣٣﴾
بِكَ حَدَثَ مَوْتٍ أَوْ قَتْلٍ فَيَسْتَرْجِعُونَ مِنْكَ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِقَتْلِهِمْ.

سُورَةُ الْأَنْعَامِ

(١) راجع التعليق على الآية (٧٣) من سورة الأنبياء.

(٢) لحمزة والكسائي.

وَالْمُنْفِقِينَ ﴿١﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿٢﴾ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا ﴿٣﴾ بما يكون قبل كونه ﴿٤﴾ حَكِيمًا ﴿٥﴾ فيما يخلقه.

[٢] ﴿وَأَنْتُمْ مَأْيُوحٌ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿رَبَّكَ اللَّهُ كَاتِبًا تَعْمَلُونَ حَسْبًا﴾ وفي قراءة^(١): بالتحانية.

[٣] ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أمرك ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ حافظًا لك، وأمنه تبع له في ذلك كله.

[٤] ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفَيْنِ﴾ رُداً على من قال من الكفار: «إن له قلبين يعقل بكل منهما، أفضل من عقل محمد»^(٢) ﴿وَمَا جَعَلَ أَرْوَاحَكُمْ أَلْفًا﴾ بهمة وبلاء وبلاء ياء^(٣) ﴿تَنْظُرُونَ﴾ بلا ألف قبل الهاء وبها^(٤)، والباء الثانية في الأصل مدغمة في الظاء ﴿مِنْهُنَّ﴾ يقول الواحد مثلاً لزوجته: «أنت علي كظهر أمي» ﴿أَتَهْتِكُنَّ﴾ أي: كالأهيات في تحميمها بذلك، المد في الجاهلية طلاقاً، وإنما تجب به الكفارة بشرطه؛ كما ذكر في سورة المجادلة ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ﴾ جمع دعى؛ وهو: من يدعى لغير أبيه ابتلاً له ﴿أَبْنَاءَكُمْ﴾ حقيقة ﴿ذَلِكَمُ قولكم﴾ يأتوكم ﴿أي: اليهود والمنافقين﴾ قالوا لما تزوج النبي ﷺ زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي نبأه النبي ﷺ، قالوا: تزوج محمد امرأة ابنه. فأكذبهم الله - تعالى - في ذلك^(٥) ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ﴾ في ذلك ﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ سبيل الحق.

[٥] لكن ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ﴾ أعدل ﴿عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْمَلُوا أَبَاءَهُمْ فَاخُوضُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ﴾ بنو عمكم^(٦) ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ﴾ في ذلك ﴿وَلَكِنْ﴾ في ﴿مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ فيه: أي: بعد النهي ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما كان من قولكم قبل النهي ﴿رَبِّكُمْ﴾ بكم في ذلك^(٧).

[٦] ﴿أَتَى أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ فيما دعاهم إليه ودعاهم أنفسهم إلى خلافه ﴿وَأَرْوَاحُهُمْ أَمْهَتُهُمْ﴾ في حرمة نكاحهن عليهم ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ﴾ ذوو القربابات ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ في الإرث ﴿فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ﴾ أي: من الإرث بالإيمان والهجرة الذي كان أول الإسلام فسخ ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿أَنْ تَقُولُوا إِنَّا أَوْلَىٰ بِكُمْ مَعْرُوفًا﴾ بوصية فجائز ﴿كَانَ ذَلِكَ﴾ أي: نسخ الإرث بالإيمان والهجرة يارث ذوي الأرحام ﴿فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ وأريد به ﴿الْكِتَابِ﴾ في الموضوعين: اللوح المحفوظ.

(١) ما جاء في بول الآية (٥): أخرج البخاري عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما -: أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحراب (٣٣) باب (٢).

وأخرج أيضاً عن عائشة - رضي الله عنها -: ... كان من ثبتي رجلاً في الجاهلية دعاه الناس إليه وورث من ميراثه، حتى أنزل الله: ﴿أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَوْلَاكُمْ﴾، فردوا إلى آبائهم، فس لم يعلم له أب كان مولى وأماً في الدين...». البخاري - كتاب النكاح (٦٧) باب (١٥) الأكل في الدين.

(١) لأبي عمرو.

(٢) أخرجه الطبري في جامع البيان (٧٤/٢١) عن مجاهد، وذكره السيوطي في ابدار المنثور (٥٦١/٦) وزاد نسبه لابن أبي شبة وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (٧٩، ٧٨/٣).

(٣) قرأ أبو عمرو والبري بياء ساكنة مع المد المشع، وقرأ ورث بياء مكسورة، وقرأ قالون وقيل بهمة مكسورة من غير ياء بعدها، وقرأ الباقون بهمة مكسورة وباء بعدها.

(٤) قرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والهاء مع تخفيف الظاء، وكذلك ابن عامر لكن مع تشديد الظاء، ومثله نافع وابن كثير وأبي عمرو لكن بدون ألف بعد لظاء، وقرأ عاصم: ﴿نظَاهِرُونَ﴾ بضم التاء وفتح الهاء مع تخفيف الظاء.

(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٢٩٤)، والنخوي في تفسيره (٣١٧/٦).

(٦) الأولى له في اللغة استعمالات عديدة، منها ابن العم، والمراد بالآية أي ادعهم بالأخوة الإيمانية والموالاته على ذلك، فقولوا: هذا أخي، وهذا مولاي، وبأخي وبأولاي، ولا تنظروا أن عدم علمكم بأبائهم عذر في دعوتهم إلى من تنهائم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنْفِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَأَنْتُمْ مَأْيُوحٌ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّنْ قَلْبَيْنِ فِيْ جَوْفَيْنِ وَ مَا جَعَلَ أَرْوَاحَكُمْ أَلْفًا تَنْظُرُونَ مِنْهُنَّ أَمْهَتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ أَدْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَّمْ تَعْمَلُوا أَبَاءَهُمْ فَاخُوضُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوْلَاكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَا كُنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥﴾ أَلَّتْ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَرْوَاحُهُمْ أَمْهَتُهُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَقُولُوا إِنَّا أَوْلَىٰ بِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾

سُورَةُ الْأَخْرَابِ

[مدنية، ثلاث وسبعون آية، نزلت بعد آل عمران]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾ ذم على تقواه ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا
لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ
إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْقُوقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ
لِإِخْرَاجِهِمْ هَلْهُنَا إِنَّمَا وَلَا يَأْتُونَ النَّبَأَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً
عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ
كَالَّذِي يُغْتَنَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَفُوكُمْ
بِالْأَسِنَّةِ جِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ
اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ
الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ
بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَخْلِفُونَ عَنْ نَبَاتِكُمْ وَلَوْ كَانَ فِيكُمْ
مَأْقَتِلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ
لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾
وَلِمَا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

[١٦] ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا﴾

فرتم ﴿لَا تَنْتَعُونَ﴾ في الدنيا بعد فراركم ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ بقية أجالكم.
[١٧] ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ﴾ يجيركم ﴿مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ
سُوءًا﴾ هلاكًا وهزيمة ﴿أَوْ﴾ يصيكم بسوء إن ﴿أَرَادَ﴾ الله ﴿بِكُمْ رَحْمَةً﴾
خيرًا؟ ﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَلِيًّا﴾ ينفعهم ﴿وَلَا
نَصِيرًا﴾ يدفع الضر عنهم.

[١٨] ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمَعْقُوقِينَ﴾ المضطربين ﴿مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْرَاجِهِمْ
هَلْهُنَا﴾ تعالوا ﴿إِنَّمَا وَلَا يَأْتُونَ النَّبَأَ﴾ القتال ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياءً وسمعةً.

[١٩] ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ بالمعاونة، جمع شحيح، وهو حال من ضمير
﴿يَأْتُونَ﴾ ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي
كَنْظَرُ أَوْ كدوران الذي يُغْتَنَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ أي: سكراته ﴿فَإِذَا ذَهَبَ
الْخَوْفُ وَجِزَتْ الْغُلَامُ﴾ سَلَفُوكُمْ ﴿أَدْرَكُمْ أَوْ ضَرَبَكُمْ﴾ بِالْأَسِنَّةِ جِدَادٍ
أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ﴿أَي: الْغَنِيمَةَ يَطْلُبُونَهَا﴾ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا ﴿حَقِيقَةً
فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ﴾ الإحباط ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ بإرادته.

[٢٠] ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿لَمْ يَذْهَبُوا﴾ إلى مكة؛ لحوفهم
منهم ﴿وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ﴾ كَرَّةً أُخْرَى ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ
بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾ أي: كائنون في البادية ﴿يَسْتَخْلِفُونَ عَنْ نَبَاتِكُمْ﴾
أخباركم مع الكفار ﴿لَوْ كَانُوا فِيكُمْ﴾ هذه الكَرَّةُ ﴿مَّا قَتَلُوا إِلَّا
قَلِيلًا﴾ رياءً وخوفًا من التعبير.

[٢١] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ﴾ [إِسْوَةٌ] ﴿بِكسر الهمزة وضمها﴾
﴿حَسَنَةٌ﴾ اقتداء به في القتال والفتاة في مواطنه ﴿لِمَنْ﴾ بدل من
﴿لَكُمْ﴾ ﴿كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ﴾ يخافه ﴿وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا
بخلاف من ليس كذلك.

[٢٢] ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ﴾ من الكفار ﴿قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ﴾ من الابتلاء والنصر ﴿وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ في الوعد ﴿وَمَا
زَادَهُمْ﴾ ذلك ﴿إِلَّا إِيمَانًا﴾ تصديقًا بوعده الله ﴿وَتَسْلِيمًا﴾ لأمره.

[٣٣] ﴿وَقَدْ﴾ [بكر القاف وفتحها] (٢) ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ من القرار، وأصله: «أقرن» بكر الراء وفتحها، من قررت، بفتح الراء وكسرهما، نُقِلَتْ حركة الراء إلى القاف، وحذفت مع همزة الوصل ﴿وَلَا تَبَرَّحْنَ﴾ برك إحدى التابين من أصله ﴿تَبَّحُ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى﴾ أي: ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال، والإظهار بعد الإسلام مذكور في آية: ﴿وَلَا يَبْرِيكَ زِينَتُهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ (٣) ﴿وَأَقْنِ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَلْعَنَ اللَّهُ وُجُوهَهُنَّ إِنَّمَا فِئْدَةُ اللَّهِ لَإِنَّهُنَّ عَنكَ الْفَاسِقُ﴾ الإثم يا «أهل البيت» أي: نساء النبي ﷺ ﴿وَيُظَاهِرُكَ مِنْهُنَّ﴾ (٤).

﴿٣٤﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا يَنْتَلِي فِي يَوْمِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴿الْقُرْآنَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الشُّبُهَةُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا ﴿بِأَوْلِيَائِهِ﴾ ﴿خَيْرًا﴾ بجميع خلقه.

[٣٥] ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَنِينَ
وَالْقَنِينَ الْمُطْعَمِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ فِي الْإِيمَانِ وَالْقَنِينَ
وَالصَّادِقِينَ عَلَى الطَّاعَاتِ وَالْحَاشِينَ الْمَوَاضِعِ وَالْحَاشِينَ
الْمُضْطَرِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالْحَاشِينَ فَرْجَهُمْ وَالْحَاشِينَ
عَنِ الْحَرَامِ وَالذَّكِرِينَ اللَّهُ كَثِيرًا وَالذَّكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً
لِلْمَعَاصِي وَاجْرَأْ عَظِيمًا﴾ عَلَى الطَّاعَاتِ (٥٥).

وَمَنْ يَفْعَلْ مِنْكُمْ لِقَاءَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا أَتُوبَهَا
أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْدَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَنْسَاءُ النَّبِيُّ
لِنِسْتَرْكَأَ أَحَدًا مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَقَيْتُمْ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ
فَيَقْطَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ وَقَرْنَ
فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ
الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ
تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ
آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾
إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ
وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ
وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ
فُرُوجَهُمَ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا
وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

[٣١] ﴿وَمَنْ يَفْتَرْ﴾ يطلع ﴿مِنْكَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ وَمَعْلُومٌ صَلَاحًا نَوَظُّهَا أَتَمَّهَا مِنْ يَنْ أَيْ: مثلي ثواب غيرهن من النساء، وفي قراءة (١): بالاحتشائية في [تَعْمَلُ] وَنَوَظُّهَا ﴿وَأَعَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ في الجنة زيادة.

(٥) مَا جَاءَ فِي نَزْلِ الْآيَةِ (٢٣): أَخْرَجَ أَحْمَدُ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - تَعْدَاكَ تَذَكُّرُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ فِي بَيْتِهَا، فَاتَتْهُ فَاطِمَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - بِبِرَّةٍ فِي خَزِيرَةٍ، فَدَخَلَتْ بِهَا عَلَيْهِ فَقَالَ لَهَا: «وَأَدْعِي زَوْجَكَ وَابْنَيْكَ». قَالَتْ: فَعَادَ عَلِيَّ وَالحُسَيْنَ وَالحَسَنَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَجَلَسُوا بِأَكْلُونِ مِنْ تِلْكَ الْخَزِيرَةِ، وَهُوَ عَلَى مَنَامَةٍ لَهُ عَلَى ذُكَّانٍ تَحْتَهُ كَسَاءُ لَهُ خَبِيرِي، قَالَتْ: وَأَنَا أَصْلِي فِي الْحَجَرِ، فَانْزِلِ اللَّهُ ﷻ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الرِّجَالُ فَاذْهَبِي إِلَيْهِمْ وَلَا تَجْلِسْ أَعْلَى الْبَيْتِ وَطَهُرُوا لِقَائِهِمْ﴾.

قالت: فأخذ فضل الكساء فغشاهم به، ثم أخرج يده فأولى بها إلى السماء؛ ثم قال: «اللهم هؤلاء أمـل بيـتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، اللهم هؤلاء أمـل بيـتي وخاصتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا». قالت: فأدخلت رأسي البيت فقالت: وأنا معكم يا رسول الله. قال: «إني إلى خير، إنك إلى خير». أحمد - المسند (٢٩٦/١)، وصححه الأرنؤوط بمجموع طرقه. في تخريجه على المسند (١١٧/٤٤)، وأخرجه الترمذي عن عمر بن أبي سلمة بنحو مختصر. (صحيح)، صحيح سنن الترمذي (٢٥٦٢). والخزيرة: ثم يقطع صفرا ويصعب عليه ماء كثير، فإذا نضج دُي المنيق، فإن لم يكن فيه لحم فهي عسيدة. وقيل غير ذلك. (القدر مطلقا، وجمعها: إرام، والنماء هنا: القطيفة . والدُّكان: الدُّكة المنيق للجلوس عليها). النزهة (١٠٧٣/٥). (١٢٨/٢)

(٥٠) ما جاء في رول الآية (٢٥): أخرجه الترمذي عن أم عمارة الأنصارية أنها أتت النبي ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال، وما أرى النساء يذكرن بشيء. فنزلت: **﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾** الآية. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٤) ومن سورة الأحزاب. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٥٦٥).
وأخرج أيضاً عن مجاهد عن أم سلمة أنها قالت: يزعم الرجال ولا يزعم النساء، ولما لنا نصف الميراث، فأنزل الله: **﴿وَلَا تَكْفُرُوا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾** (النساء: ٣٢). قال مجاهد: فأنزل فيها: **﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾**. سبق تخريجه في سورة النساء آية (٣٢).

(١) لحمزة والكسائي.

(٢) بالكسر قراءة السبعة عدا عاصم ونافع.

(٣) النور: ٣١.

[٣٦] ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ بِالنَّاءِ وَالْيَاءِ^(١)﴾ **﴿لَهُمُ الْخِزْيَةُ﴾** أي: الاختيار **﴿مِنْ أَمْرِهِمْ﴾** خلاف أمر الله ورسوله، نزلت في عبد الله ابن جحش وأخته زينب خطبها النبي يزيد بن حارثة فكرها ذلك حين علما؛ لظنهما قبل أن النبي ﷺ خطبها لنفسه، ثم رضيا^(٢) للآية: **﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾** بيئنا؛ فزوجها النبي ﷺ لزيد، ثم وقع بصره عليها بعد حين؛ فوقع في نفسه حبها^(٣)، وفي نفس زيد كراهتها، ثم قال للنبي ﷺ: أريد فراقها، فقال: «أمسك عليك زوجك» كما قال - تعالى -: [٣٧] **﴿وَإِذْ ذَكَرْنَاكَ مَنُصُوبًا﴾** اذكر **﴿تَقُولُ لِلَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾** بالإسلام **﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾** بالاعتقاق؛ وهو: زيد بن حارثة، كان من سبي الجاهلية، اشتراه رسول الله ﷺ قبل البعثة وأعتقه وتبناه **﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾** في أمر طلاقها **﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾** مظهره؛ من محبتها^(٤)، وأن لو فارقها زيد تزوجها **﴿وَتُخْفَى النَّاسُ﴾** أن يقولوا: تزوج زوجة ابنه. **﴿وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾** في كل شيء، وتزوجها ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد وانقضت عدتها، قال - تعالى -: **﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ نِكَاحَهَا﴾** حاجة **﴿زَوْجَتَهَا﴾** فدخل عليها النبي ﷺ بغير إذن، وأشبع المسلمين خبزًا ولحمًا **﴿لِئَلَّا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزِلِ أَحَدِيهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾** وكانت أمراً لله **﴿مُقَضًى﴾** مقضيه **﴿مَقْعُولًا﴾**^(٥).

[٣٨] **﴿مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ﴾** أحل **﴿اللَّهُ لَكُمْ شَيْءًا﴾** أي: كسنة الله، فنصب نزاع المخاض **﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾** من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح **﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ﴾** فعله^(٦) **﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾** مقضيًا. [٣٩] **﴿الَّذِينَ﴾** نعت له الذين، قبله **﴿يَلْبِغُونَ رِسَالَتَ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾** فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم **﴿وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾** حافظًا لأعمال خلقه ومحاسبته.

[٤٠] **﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾** فليس أبا زيد؛ أي: والده؛ فلا يحرم عليه التزوج بزوجته زينب **﴿وَلَكِنْ﴾** كان **﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾** وخاتم^(٧) الأنبياء **﴿فَلَا يَكُونُ لَهُ ابْنٌ رَجُلٌ بَعْدَهُ يَكُونُ نَبِيًّا﴾** وفي قراءة: يفتح التاء؛ كآلة الختم؛ أي: به ختموا **﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾** منه؛ بأن لا نبي بعده، وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته^(٨).

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِزْيَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفَى النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَنْزِلِ أَحَدِيهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا الَّذِينَ يَلْبِغُونَ رِسَالَتَ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكُنْ بِاللَّهِ حَسِيبًا مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا

[٤١] **﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾**.

[٤٢] **﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾** أول النهار وآخره.

[٤٣] **﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾** أي: يرحمكم **﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾** يستغفرون لكم **﴿لِيُخْرِجَكُم﴾** ليدم إخراجهم إياكم **﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾** أي: الكفر **﴿إِلَى النُّورِ﴾** أي: الإيمان **﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾**.

(٥) ما جاء في نزول الآية (٣٧) أخرجه البخاري عن أنس بن مالك **﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفَى النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾** نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد ابن حارثة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الأحزاب (٣٤) باب (٦).

وأخرجه الترمذي عن أنس قال: نزلت هذه الآية: **﴿وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتُخْفَى النَّاسُ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾** في شأن زينب بنت جحش؛ جاء زيد يشكو، فهم بطلاقها، فاستأمر النبي ﷺ فقال النبي ﷺ: **﴿أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ﴾**. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٤) ومن سورة الأحزاب (صحيح) صحيح من الترمذي (٢٥٦٧).

(١) بالتاء: قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن ذكوان.

(٢) جمهور المفسرين وهو لم يروى عن ابن عباس ومجاهد وقادة أنها نزلت في زينب بنت جحش عندما كرهت نكاح زيد لكونه مولى، وذكر بعض المفسرين - كما ذكر ابن الجوزي في زاد المسير وغيره - أن عبد الله بن جحش أخا زينب كره ذلك كما كرهته زينب، فلما نزلت الآية رضيا وسلمًا. ورواية المصنف هي المنقولة عن قدامة دون ذكر عبد الله بن جحش، أخرجه الطبري في جامعه (٩/٢٢)، والطبراني في الكبير (٣٧/٢٤، ٣٧/٢٣، ٣٧/٢٤) من طرق عنه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٩٢/٧): رواه الطبراني بأسانيد ورجال بعضها رجال الصحيح. وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (١١٥/٣).

(٣) هكذا: يورد غير واحد من المفسرين هذا الكلام في تفسير الآية الكريمة، ولا أساس له من الصحة كما بين ذلك المحققون من أهل العلم كابن كثير وابن حجر وغيرهما، وإنما هو من الباطل الذي يريد أعداء الإسلام به أن يسيئوا إلى النبي ﷺ، والصواب في ذلك أن الله - تعالى - أعلم نبيه بذلك مخافة أن يقول الناس: كيف يزوج محمد زوجة ابنه؟ وكان يقول لزيد: «أمسك عليك زوجك».

(٤) انظر التعليقات السابق.

(٥) قال ابن كثير في تفسير الآية: وكان هذا الأمر الذي وقع قد قدره الله - تعالى - ورحمته، وهو كائن لا محالة.

(٦) وهي قراءة السبعة عما عاصم. وقرأ عاصم بفتح التاء.

(٧) أي بشريعة محمد ﷺ.

[٤٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على من أُرْسِلْتَ إليهم ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ من صدقك بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا من كذبك بالنار [٤٦] ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ﴾ إلى طاعته ﴿بِإِذْنِهِ﴾ بأمره ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ أي: مثله في الاهتداء به.

[٤٧] ﴿وَنَذِيرَ الْمُتَّقِينَ﴾ يَأْنُ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا ﴿هُوَ الْجَنَّةُ﴾ [٤٨] ﴿وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ فيما يخالف شريعتك ﴿وَدَعَ﴾ أترك ﴿أَذْنَهُمْ﴾ لا تجازهم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فهو كافيك ﴿وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ موفوا إليه.

[٤٩] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ﴾ وفي قراءة (١) ﴿تَمَاشُوهُنَّ﴾ أي: تجمعهن ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدْوٍ تَعُدُّوهَا﴾ تحصونها بالإفراء وغيرها ﴿فَتَمْسُوهُنَّ﴾ أعطوهن ما يستمتعن به؛ أي: إن لم يُسَمَّ لَهُنَّ أَصْدِيقَةٌ، وإلا فلهن نصف المسمى فقط، قاله ابن عباس، وعليه الشافعي ﴿وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ خلوا سبيلهن من غير إضرار.

[٥٠] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ﴾ مهورهن ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ مِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ ﴿مِنَ الْكُفَرِ﴾ بالكفار بالسي؛ كصفية وجويرية ﴿وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ﴾ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ بخلاف من لم يهاجرن ﴿وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً﴾ إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا يطلب نكاحها بغير صدق ﴿خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النكاح بلفظ الهبة من غير صدق ﴿فَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾ من الأحكام؛ بأن لا يزيدوا على أربع نسوة، ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر ﴿وَفِي﴾ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ ﴿مِنَ الْإِمَاءِ﴾ بشراء وغيره؛ بأن تكون الأمة ممن تحمل المالكة كالكنابية بخلاف المجوسية والوثنية، وأن تستبرأ قبل الوطء ﴿لِكَيْلَا﴾ متعلق بما قبل ذلك ﴿يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ضيق في النكاح ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ فيما يعسر التحرز عنه ﴿رَحِيمًا﴾ بالتوسعة في ذلك.

يَحْيِيهِمْ يَوْمَ يَقُوتُهُمْ وَسَلَّمَ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿وَيَذَرُ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَثِيرًا﴾ وَلَا تُطِيعُ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعَ أَذْنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكُنْ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدْوٍ تَعُدُّوهَا﴾ فَتَمْسُوهُنَّ وَسَرَّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَخْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَمِمَّا آفَاءَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأَمْرًا مُؤَمَّنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْتُمْ مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿

[٤٤] ﴿يَحْيِيهِمْ﴾ منه - تعالى - ﴿يَوْمَ يَقُوتُهُمْ وَسَلَّمَ﴾ بلسان الملائكة (١) ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هو الجنة.

(١) إذا قلنا: إن الحجة منه - سبحانه - بمعنى أنه يسلم عليهم كما قال - سبحانه -: ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾، ففسية هذا إلى الملائكة من التأويل السقيم، وهو مذهب المؤولة القائلين بالكلام النفسي أو الدين ينفون عن الله هذه الصفة، وعلى القول الآخر أن المراد أنهم يحيي بعضهم بعضًا بالسلام يوم يلقون الله في الدار الآخرة، وهو اختيار ابن جرير - فلا معنى لهذا التأويل ولا وجه له.

والتفسير الأول أظهر وهو اختيار ابن كثير.

(٢) حمزة والكسائي، وهي بضم التاء وإشباع المد بعد السين.

اللَّهُ ﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفى عليه شيء.

﴿٥٦﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ محمد ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥) أي: قولوا: اللهم صل على محمد وسلم.

﴿٥٧﴾ ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وهم: الكفار، يصفون الله بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله ﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ ذا إهانة؛ وهو: النار.

﴿٥٨﴾ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا اكْتَسَبُوا﴾ يرمونهم بغير ما عملوا ﴿فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا﴾ تحملوا كذبًا ﴿وَأَنَّمَا تُحِبُّنَا﴾ بيتا.

﴿٥٩﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُذْنِبُ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾ (٦) جمع جلباب؛ وهي: الملاعة التي تشتمل بها المرأة؛ أي: برحين بعضها على الوجه إذا خرجن لحاجتهن، إلا عينًا واحدة ﴿ذَلِكَ أَذَى﴾ أقرب إلى ﴿أَنْ يُعْرِقَ﴾ بأنهن حرائر ﴿فَلَا يُؤْذَنُ﴾ بالتعرض لهن بخلاف الإمام فلا يغلطن وجوههن، فكان المناقضون يتعرضون لهن ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ لما سلف منهن من ترك السر ﴿رَحِيمًا﴾ بهن إذ سترهن.

﴿٦٠﴾ ﴿لَنْ﴾ لام قسم ﴿لَتُرِيَنَّكَ الْمُتَفِقُونَ﴾ عن نفاقهم ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ بالزنا (١) ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ المؤمنين بقولهم (٢) ﴿قَدْ أَتَاكُمْ الْعَدُوُّ وَسَرَايَاكُمْ قَتَلُوا أَوْ هَزَمُوا﴾ لتغيرتك بهم ﴿لَنَسْلُطَنَّكَ عَلَيْهِمْ﴾ ﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُوكَ﴾ يساكنوك ﴿فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ ثم يخرجون.

﴿٦١﴾ ﴿مُتَّعِيَتٌ﴾ مبعدين عن الرحمة ﴿إِنَّ مَا تُفْعَلُونَ﴾ وجدوا ﴿أُجْدُوا وَفُتِلُوا فَرَسِيلًا﴾ أي: الحكم فيهم هذا، على جهة الأمر به.

﴿٦٢﴾ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ أي: سن الله ذلك ﴿فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ﴾ من الأمم الماضية في مناقبيهم المرجفين المؤمنين ﴿وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ منه.

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ وَاتَّقِينَ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٧﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥٨) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ (٥٩) ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِنَّمَا مُبِينًا﴾ (٥٨) ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُذْنِبُ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَذَى أَنْ يُعْرِقَ فَلَا يُؤْذَنُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (٥٩) ﴿لَنْ لَرِيئَتِ الْمُتَفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغَيِّرَنَّكَ بِهَرَمٍ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا﴾ (٦٠) ﴿مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثَقِفُوا أَخْدُوا وَقَتِلُوا قَتِيلًا﴾ (٦١) ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ (٦٢)

﴿٥٥﴾ ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ﴾ أي: المؤمنات ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ﴾ من الإماء والعبيد أن يؤذوهن ويكلموهن من غير حجاب ﴿وَاتَّقِينَ﴾

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن كعب بن عجرة قال: لما نزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ قالوا: كيف نصلي عليك يا نبي الله؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد. المسند (٢٤/٤)، وصححه الأرنؤوط (١٨١٣٣). والحديث في الصحيحين والسنن دون ذكر الآية: البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧).

(٦) فائدة: أخرج أبو داود عن أم سلمة قالت: لما نزلت: ﴿يُذْنِبُ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾ خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهن الغربان من الأكسية. أبو داود - كتاب (اللباس) (٢٦) باب (٣٢) في قوله تعالى: ﴿يُذْنِبُ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبِيبِهِنَّ﴾ وصححه الألباني في حجاب المرأة المسلمة ص ٣٨.

(١) أي: بحب ذلك، وكذا حب الفواحش.

(٢) أي: الذين يرجفون المؤمنين بقولهم.

[٦٣] ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنْ النَّسَاءِ قُلْ إِنَّمَا عَاهَدْتُكُمْ وَمَا يَدْرِيكُمُ عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يَدْرِيكُمْ يَعْلَمُكُمْ بِهَا: أَيُّ أَنْتَ لَا تَعْلَمُهَا﴾ ﴿لَعَلَّ النَّسَاءَ تَكُونُ﴾ توجد ﴿قَرِيبًا﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ نارا شديدة يدخلونها.

[٦٥] ﴿خَالِدِينَ﴾ مقدرا خلودهم ﴿وَبِهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظهم عنها ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفعها عنهم.

[٦٦] ﴿يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَئِنَّا لَنَنْتَبِهَ﴾ لَئِنَّا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ.

[٦٧] ﴿وَقَالُوا﴾ أي: الأتباع منهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ وفي قراءة (١): ﴿سَادَاتِنَا﴾ جمع الجمع ﴿وَكُذِّبْنَا فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَ﴾ طريق الهدى.

[٦٨] ﴿رَبَّنَا إِنَّا هُمْ ضَعُفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي: مثلي عذابنا ﴿وَالْعَتَمِ﴾ عذبيهم ﴿وَلَعَنَّا﴾ كثيرًا (٢) عدده، وفي قراءة: بالوحدة؛ أي: عظيمًا.

[٦٩] ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا﴾ مع نبيكم ﴿كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى بِقَوْلِهِمْ - مثلاً -: ما يمنعه أن يغتسل معنا إلا أنه أدر ﴿فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا﴾ بأن وضع ثوبه على حجر ليغتسل؛ فَفَرَّ الْحَجَرُ بِهِ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ مَلَكٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ فَأَذْرَكَهُ مُوسَى فَأَخَذَ ثَوْبَهُ فَاسْتَرَّ بِهِ، فَرَأَاهُ وَلَا أَفْرَةَ بِهِ (٣)؛ وَهِيَ نَفْخَةٌ فِي الْحَصِيَّةِ ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبَاهُ﴾ ذا جاه، ومما أُوذِيَ بِهِ نَبِيُّنَا ﷺ أَنَّهُ قَسَمَ قَسَمًا، فَقَالَ رَجُلٌ: هَذِهِ قِسْمَةٌ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ - تَعَالَى - .. فغضب النبي ﷺ من ذلك، وقال: ﴿يُوحِى إِلَهُ مُوسَى لَقَدْ أُؤْذِيَ بِأَكْثَرٍ مِنْ هَذَا؛ فَصَبِّرْ﴾ (٤) [رواه البخاري].

[٧٠] ﴿يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ صوابًا.

[٧١] ﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ يقبلها ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَرًّا عَظِيمًا﴾ نال غاية مطلوبه.

[٧٢] ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ﴾ بأن خلق فيهما فهما وتركما من العقاب ﴿وَالنَّاسِ وَالْأَنْبِيَاءِ﴾ خفن ﴿وَمِنَهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ﴾ آدم بعد عرضها عليه ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا كَثِيرًا﴾ لنفسه بما حملة ﴿جَهُولًا﴾ به.

[٧٣] ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ﴾ «اللام» متعلقة بـ ﴿عَرَضْنَا﴾ المترتب عليه حمل

يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ النَّسَاءِ قُلْ إِنَّمَا عَاهَدْتُكُمْ وَمَا يَدْرِيكُمْ عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يَدْرِيكُمْ يَعْلَمُكُمْ بِهَا: أَيُّ أَنْتَ لَا تَعْلَمُهَا لَعَلَّ النَّسَاءَ تَكُونُ قَرِيبًا إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا يَوْمَ ثَقُلَتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَئِنَّا لَنَنْتَبِهَ وَأَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُذِّبْنَا فَأَصْلَحْنَا السَّبِيلَ رَبَّنَا إِنَّا هُمْ ضَعُفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَتَمِ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَادُوا مُوسَى فَبَرَأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِبَاهُ يَتَأَيَّاهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَرًّا عَظِيمًا إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُتَفِقِينَ وَالْمُتَفِقَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا

آدم (٥) ﴿الْمُتَفِقِينَ وَالْمُتَفِقَتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ المضيعين الأمانة ﴿وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ المؤدين الأمانة ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا﴾ للمؤمنين ﴿رَحِيمًا﴾ بهم.

(١) لابن عامر.

(٢) للبيعة عدا عاصم. وقرأ عاصم: ﴿كثيرًا﴾ بالوحدة.

(٣) كما في حديث أبي هريرة عند البخاري (٢٧٨)، ومسلم (٣٣٩).

(٤) البخاري (٣٤٠٥)، ومسلم (١٠٦٢) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٥) قال ابن كثير: أي إنما حُثِّلَ ابنُ آدم الأمانة وهي التكاليف، ليُعَذِّبَ الله المنافقين منهم والمنافقات... إلخ.

سُورَةُ السَّجِنَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ أَلَيْسَ لَعَزُوبٌ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ ﴿٦﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ ﴿٨﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ أَلِيمٍ ﴿٩﴾ وَرَبِّيَ الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُمُ عَلَىٰ رَجُلٍ يَبْتَغِيكُمْ إِذَا مُرِفْتُمْ كُلُّ مُرْقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١١﴾

سُورَةُ السَّجِنَاتِ

[مكية إلا: ﴿وَرَبِّيَ الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْعِلْمَ﴾ الآية، فمدينية، وهي: أربع، أو: خمس وخمسون آية، نزلت بعد لقمان]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حميد - تعالى - نفسه بذلك؛ والمراد به: الثناء بمضمونه من ثبوت الحمد؛ وهو: الوصف بالجميل لله - تعالى - ﴿الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكاً وخلقاً ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ كالدنيا يحمده أوليائؤه إذا دخلوا الجنة ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في فعله ﴿الْخَبِيرُ﴾ في خلقه. [٢] ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ كماءٍ وغيره ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كنبات وغيره ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ من رزق وغيره ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ يصعد ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ من عمل وغيره ﴿وَهُوَ الرَّحِيمُ﴾ بأوليائه ﴿الْغَفُورُ﴾ لهم.

(١) وهي قراءة نافع وابن عامر.

(٢) وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وكذلك في الآية الثانية رقم (٣٨)، وقرأ بقية السبعة: ﴿مُعْجِزِينَ﴾.

(٤) بالجر قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير، وهي بالجر: صفة لـ ﴿رَجْزٍ﴾، وبالرفع: صفة لـ ﴿عَذَابٍ﴾.

(٥) أي ضمير فصل، وهو لا محل له من الإعراب.

[٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ﴾ القيامة ﴿قُلْ﴾ لهم: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلِيمٌ﴾ بالجر: صفة، والرفع: خبر مبتدأ، و﴿عَلَامٌ﴾ بالجر: لا يعزبُ يغيب ﴿عَنْهُ مِثْقَالُ﴾ وزن ﴿ذَرَّةٌ﴾ أصغر نغلة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ يبين؛ هو: الوح المحفوظ.

[٤] ﴿لِيَجْزِيَ﴾ فيها ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ حسن في الجنة.

[٥] ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي﴾ إبطال ﴿آيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿[مُعْجِزِينَ]﴾ (٦) وفي قراءة هنا، وفيما يأتي: ﴿مُعْجِزِينَ﴾ أي: مقدرين عجزنا، أو مسابقين لنا فيفوتونا؛ لظنهم أن لا بعث ولا عقاب ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رَجْزِ﴾ سعى العذاب ﴿أَلِيمٍ﴾ مؤلم بالجر والرفع (٧)، صفة لـ ﴿رَجْزٍ﴾ أو ﴿عَذَابٍ﴾.

[٦] ﴿وَرَبِّيَ﴾ يعلم ﴿الَّذِينَ أَوْثَرُوا الْعِلْمَ﴾ مؤمنو أهل الكتاب؛ كعبدالله بن سلام وأصحابه ﴿الَّذِينَ أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ أي: القرآن ﴿هُوَ﴾ فصل (٨) ﴿الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أي: الله أي: ذي العزة المحمود.

[٧] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: قال بعضهم على جهة التعجب لبعض: ﴿هَلْ نَدُكُمُ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ هو محمد ﴿يَبْتَغِيكُمْ﴾ يخبركم أنكم ﴿إِذَا مُرِفْتُمْ﴾ قطعتم ﴿كُلُّ مُرْقٍ﴾ بمعنى: تمزيق ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾.

أَفَرَأَيْتَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنَهُمْ خَفِيفٌ أَلَيْسَ
أَوْ تَسْقُطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا
يَجِبَالُ أَوْبَىٰ مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَنَالَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ
سَبْعَ سَاعَاتٍ وَقَدَّرَ فِي السَّيِّئِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلَسْتَ تَمَكِّنُ الرِّيحَ عُدُوهَا سَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا سَهْرٌ
وَأَسْلَمْنَا لَهُ الْفُطْرَ وَمِنْ آلِجِنَ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ إِذِ
رَبُّهُ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نَذَرُهُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾
يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْدَبٍ وَتَمْثِيلٍ وَحِفَافٍ كَالْجَوَابِ
وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ أَعْمَلُوا أَل دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ
الشَّاكِرِينَ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ
إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ وَقَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ
أَنْ لَّوْكَالُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾

قائما على عصاه حولاً ميتاً، والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة، على عاداتها، لا تشعر بموته حتى أكلت الأرضه عضاه فخر ميتاً ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ﴾ مصدر أرضت الحشبة بالبناء للمفعول؛ أكلتها الأرضه ﴿تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ﴾ بالهمز وتركه بالثاء (١٤)؛ عصاه؛ لأنها تُشَسُّأُ بَطَرْدٍ (١٥) ويُرَجَّر بها ﴿قَلَمَّا خَرَّ﴾ ميتاً ﴿تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ﴾ انكشفت لهم ﴿أَنْ﴾ مخففة؛ أي: أنهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ﴾ ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان ﴿مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ العمل الشاق لهم؛ لظنهم حياته، بخلاف ظنهم علم الغيب، وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته الأرضه من العصا بعد موته، يوماً وليلة مثلاً.

[٨] ﴿أَفَرَأَيْتَ﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل ﴿عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ في ذلك ﴿أَمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ جنون تخيل به ذلك؟ قال - تعالى -: ﴿بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ المشتملة على البعث والعذاب ﴿فِي الْعَذَابِ﴾ فيها ﴿وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ﴾ عن الحق في الدنيا.

[٩] ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ما فوقهم وما تحتهم ﴿يَرَوْنَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ﴾ إِنَّ شَأْنَهُمْ خَفِيفٌ أَوْ تَسْقُطُ عَلَيْهِمْ كِسَفًا ﴿بِسُكُونِ السَّيْنِ وَفَتْحِهَا﴾؛ قطعاً ﴿مِّنَ السَّمَاءِ﴾ وفي قراءة في الأفعال الثلاثة: بالياء (١٠) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المرئي ﴿لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ راجع إلى ربه، تدل على قدرة الله على البعث وما يشاء.

[١٠] ﴿لَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾ نبوة وكتاباً، وقلنا: ﴿يَجِبَالُ أَوْبَى﴾ رجعي ﴿مَعَهُ﴾ بالتسبيح ﴿وَالطَّيْرَ﴾ بالنصب عطفاً على محل الجبال؛ أي: ودعوناها تسبح معه ﴿وَأَلَمَّا لَهُ الْحَدِيدُ﴾ فكان في يده كالعجين. وقلنا: [١١] ﴿أَنْ أَعْمَلَ﴾ منه ﴿سَبْعَ سَاعَاتٍ﴾ دروعاً كوامل، يجوها لابسها على الأرض ﴿وَقَدَّرَ فِي السَّيِّئِ﴾ أي: تشج الدروع، قبل لصانها: سُرَاد؛ أي: اجعله بحيث تناسب جلقه ﴿وَأَعْمَلُوا﴾ أي: آل داود معه ﴿صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأجازكم به.

[١٢] ﴿وَوُكِّلَ﴾ سخرنا ﴿لِلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ وقراءة الرفع (١٦) بتقدير: تسخير ﴿عُدُوهَا﴾ مسيرها من الغدوة؛ بمعنى: الصباح إلى الزوال ﴿شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا﴾ سيرها من الزوال إلى الغروب ﴿شَهْرٌ﴾ أي: مسيرته ﴿وَأَسْلَمْنَا﴾ أذننا ﴿لَهُ عَيْنَ الْفُطْرِ﴾ أي: النحاس؛ فأجريت ثلاثة أيام لباليهن كجري الماء، وعمل الناس إلى اليوم مما أعطي سليمان ﴿وَمِنْ آلِجِنَ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ بآذن بامر ﴿رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ﴾ يعدل ﴿مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾ له بطاعته ﴿نَذَرُهُ مِنَ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ النار في الآخرة، وقيل: في الدنيا؛ بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة تمزقه.

[١٣] ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْدَبٍ﴾ أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج ﴿وَتَمْثِيلٍ﴾ جمع تمثال؛ وهو: كل شيء مثله بشيء؛ أي: صور من نحاس وزجاج وورخام، ولم يكن اتخاذ الصور حراماً في شريعته ﴿وَحِفَافٍ﴾ جمع حِفْطَةٍ ﴿كَالْجَوَابِ﴾ أي: جمع جابية؛ وهو: حوض كبير، يجمع على الجففة ألف رجل يأكلون منها ﴿وَقُدُورٍ رَاسِيَتٍ﴾ ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أماكنها، تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلالم، وقلنا: ﴿أَعْمَلُوا﴾ يا ﴿أَل دَاوُدَ﴾ بطاعة الله ﴿شُكْرًا﴾ له على ما آتاكم ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ العامل بطاعتي شكرًا للنعمة.

[١٤] ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾ على سليمان ﴿الْمَوْتَ﴾ أي: مات ومكث

(١) بالسكون قراءة السبعة عند حفص.

(٢) أي: ﴿يُشَاقُّ﴾، و﴿يُحَسِّقُ﴾، وهي قراءة حمزة والكسائي.

(٣) وهي قراءة شعبة.

(٤) قراءتان سبعيتان، قرأ نافع وأبو عمرو بالثاء من غير همز، وقرأ الباقون بهمزة مفتوحة إلا ابن ذكوان فإنه أسكن الهمزة.

(٥) في نسخة من المطبوع: ﴿لأنها تُشَسُّأُ بنظره﴾، وفي نسخة أخرى: ﴿لأنها تُشَسُّأُ ببطره﴾.

وأديهم المسوك بما ذكره؛ فأغرق جنتيهم وأموالهم ﴿وَدَلَّٰهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ﴾ تثنية ذوات مفرد على الأصل ﴿أَكُلِ حِمَاطٍ﴾^(١) مؤن بشع، بإضافة ﴿أَكُلِ﴾ بمعنى: مأكول، وتركها ويعطف عليه ﴿وَأَتْلَىٰ وَشَىٰ وَمِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾.

[١٧] ﴿ذَٰلِكَ﴾ التبديل ﴿جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ بكفرهم ﴿وَهَلْ يُجَازِلُ﴾ إلّا [الكفور] بالبلاء^(٢)، والنون مع كسر الزاي ونصب ﴿الْكُفُورِ﴾ أي: ما يناقش إلا هو.

[١٨] ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ بين سبأ، وهم باليمن ﴿وَبَيْنَ الْأَقْرَىٰ﴾ التي بركة فيها بالماء والشجر؛ وهي: قري الشام التي يسبرون إليها للتجارة ﴿فَرَىٰ ظَهْرَهُ﴾ متواصلة من اليمن إلى الشام ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا الشَّيْرَ﴾ بحيث يقولون في واحدة ويبيتون في أخرى، إلى انتهاء سفرهم، ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء؛ أي: قلنا: ﴿سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾ لا تخافون في ليل ولا في نهار.

[١٩] ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدُ﴾^(٣) وفي قراءة: ﴿بَعْدُ﴾ ﴿بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ إلى الشام؛ اجعلها مغاير ليطاولوا على الفقراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء؛ فبطروا النعمة ﴿وَوَلَّوْا أَنْفُسَهُمْ﴾ بالكفر ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ﴾ لمن بعدهم في ذلك ﴿وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقٍ﴾ فرقانهم في البلاد كل التفريق ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ المذكور ﴿لَآيَاتٍ﴾ عبرًا ﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ﴾ عن المعاصي ﴿شُكُورٍ﴾ على النعم.

[٢٠] ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٤) ﴿عَلَيْهِمْ﴾ أي: الكفار؛ منهم سبأ ﴿إِبْلِيسَ ظَنَّهُ﴾ أنهم بإغوائه يتبعونه ﴿فَأَتَّبَعُوهُ﴾ فـ ﴿صَدَّقَ﴾ بالتخفيف: في ظنه، أو ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد: ظنه؛ أي: وجده صادقًا ﴿إِلَّا﴾ بمعنى: لكن ﴿فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ للبيان؛ أي: هم المؤمنون لم يتبعوه.

[٢١] ﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ﴾ تسليط ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ﴾ فنجازي كلًا منهما ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ رقيب.

[٢٢] ﴿قُلْ﴾ يا محمد لكفار مكة: ﴿أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: زعمتموهم آلهة ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره لينفعوكم بزعمكم، قال - تعالى - فيهم: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ من خير أو شر ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ﴾ شركة ﴿وَمَا لَهُمْ﴾ - تعالى - ﴿بِهِمْ﴾ من الآلهة ﴿مَنْ ظَهَرَ﴾ معين.

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبِّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ حَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَىٰ وَمِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْزَىٰ إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْأَقْرَىٰ الَّتِي بَرَكَتْنَا فِيهَا فَرَىٰ ظَهْرَهُ وَقَدَّرْنَا فِيهَا الشَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مَرْقٍ إِنْ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ، فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَوْمَئِذٍ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿٢١﴾ قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُمْ مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

[١٥] ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾ بالصرف وعدمه^(١)؛ قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب ﴿فِي مَسْكِنِهِمْ﴾^(٢) باليمن ﴿آيَةٌ﴾ دالة على قدرة الله - تعالى - ﴿جَنَّتَانِ﴾ بدل ﴿عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ عن يمين وأديهم وشماله، وقيل لهم: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما رزقكم من النعمة في أرض سبأ ﴿بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ ليس فيها سباح^(٣)، ولا بعوضة، ولا ذبابة، ولا برغوث، ولا عقرب، ولا حية، ويمر الغريب فيها وفي ثيابه قمل فيسوت لطيب هوائها^(٤) ﴿وَاللَّهُ رَبُّ غَفُورٌ﴾.

[١٦] ﴿فَأَعْرَضُوا﴾ عن شكره وكفروا ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ جمع غرقة؛ وهو: ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته؛ أي: سيل

(١) قرأ أبو عمرو واليزي بفتح الهجمة من غير تنوين، وقرأ قبل بإسكان الهجمة.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ حفص وحمره: ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ بالإفراد وفتح الكاف، وقرأ الكسائي: ﴿مَسْكِنِهِمْ﴾ بالإفراد وكسر الكاف.

(٣) وفي نسخة مطبوعة «سباح».

(٤) لا حاجة إلى ذكر هذه الأمور التي لا دليل عليها، وإنما يكفي أكثر المفسرين بتفسير البلدة الطيبة بأنها المباركة الكثيرة الثمرات اللطيفة الهواء.

(٥) وهي قراءة أبي عمرو.

(٦) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٧) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وهشام. وقرأ بقية السبعة: ﴿وَابْعَدُ﴾.

(٨) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر. وقرأ بقية السبعة: ﴿صَدَّقَ﴾ بالتشديد.

[٢٣] ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ﴾ - تعالى - ردًا لقولهم: إن ألهتهم تشفع عنده ﴿إِلَّا لِمَنْ أَوْكَتْ﴾ بفتح الهمة وضمها^(١) ﴿كَبُرَ﴾ فيها ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ﴾ بالبناء للفاعل والمفعول^(٢) ﴿عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ كشف عنها الفزع بالإذن فيها ﴿قَالُوا﴾ قال بعضهم لبعض استبشارًا: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيها؟ ﴿قَالُوا﴾: القول ﴿الْحَقُّ﴾ أي: قد أذن فيها^(٣) ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ﴾ فوق خلقه بالقهر^(٤) ﴿الْكَبِيرُ﴾^(٥) العظيم.

[٢٤] ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالنَّاتِ؟﴾ ﴿قُلْ اللَّهُ﴾ إن لم يقلوه، لا جواب غيره ﴿وَيَا أَيُّهَا كُمْ﴾ أي: أحد الفريقين ﴿لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بين، في الإيهام لتلف بهم داعٍ إلى الإيمان إذا وفقوا له.

[٢٥] ﴿قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمُوا أَذْنَبُوا وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ لَأَنَّا نَبْرُدَّكُمْ مِنْكُمْ﴾

[٢٦] ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ﴾ يحكم ﴿بَيْنَنَا بِالْحَقِّ﴾ فيدخل المحقق الجنة والمبطلين النار ﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ﴾ الحاكم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بما يحكم به.

[٢٧] ﴿قُلْ أَرُونِي﴾ أعلموني ﴿الَّذِينَ أَحَقُّهُمْ بِهِ شُرَكَاءَ﴾ في العبادة ﴿كَلَّا﴾ رذخ لهم عن اعتقاد شريك له ﴿بَلْ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في تدبيره لخلقهم، فلا يكون له شريك في ملكه.

[٢٨] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً﴾ حال من «الناس»، قدم للاهتمام ﴿لِلنَّاسِ بَشِيرًا﴾ مبشرًا للمؤمنين بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا للكافرين بالعذاب ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٢٩] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالعذاب ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه؟ [٣٠] ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَفْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِيثُونَ﴾ عليه؛ وهو: يوم القيامة.

[٣١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: تقدمه؛ كالتوراة والإنجيل، الدالين على البعث لإنكارهم له. قال - تعالى - فيهم: ﴿وَلَوْ رَزَقْنَاهُ يَا مُحَمَّدُ﴾ إذ

وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَوْكَتْ لَهُ، وَحَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢٤﴾ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرِمُوا وَلَا تَسْأَلُونَ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ أَرُونِي الَّذِينَ أَحَقُّهُمْ بِهِ شُرَكَاءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَفَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَفْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَغِيثُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾

الظَّالِمُونَ الكافرون ﴿مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ الأنباع ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ الرؤساء: ﴿لَوْلَا أَنْتُمْ﴾ صدقتمونا عن الإيمان ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ بالنبي.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: إن نبي الله ﷺ قال: إذا قضى الله أمراً في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاعاً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير... الحديث. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة سبأ (٣٤) باب (١) ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ...﴾.

(٢) بالضم قراءة حمزة والكسائي وأبي عمرو.

(٣) بالياء للفاعل قراءة بن عامر.

(٤) أي في الشفاعة.

(٥) وهذا من قصر العام على بعض أفرادها، وهو - شبحه - له العلو المطلق؛ علو الذات، وعلو الشأن، وعلو القهر.

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ
عَنِ الْهَدْيِ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ
تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ
لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا
هَلْ يُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ
مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٥﴾
وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٦﴾
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنْ أَكْثَرُ
النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ
عِنْدَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا قُلْتُ لَكُمْ لَهُمْ جَزَاءٌ
الضَّعِيفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَةِ ءَامِنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ
يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٩﴾
قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ
وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٤٠﴾

[٣٢] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهَدْيِ

بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ؟﴾ لَا ﴿بَلْ كُنتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ في أنفسكم.
[٣٣] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾
أي: مكر فيهما منكم بنا ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا﴾
شركاء ﴿وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ﴾ أي: الفرقان ﴿النَّدَامَةُ﴾ على ترك الإيمان به ﴿لَمَّا رَأَوُا
الْعَذَابَ﴾ أي: أخفاها كلٌّ عن رفيقه مخافة التعبير ﴿وَجَعَلْنَا الْأَغْلَلَ فِي
أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار ﴿هَلْ يُخْزَوْنَ﴾ ما ﴿يُخْزَوْنَ﴾ إِلَّا ﴿جَزَاءً﴾
كَانُوا يَعْمَلُونَ في الدنيا.

[٣٤] ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا﴾ رؤساؤها
المتنعون: ﴿إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَقَالُوا أَنَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَدًا﴾ من آمن ﴿وَمَا نَحْنُ
بِمُعَذَّبِينَ﴾.

[٣٦] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ امتحانا
﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاء ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ﴾ أي: كفار
مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

[٣٧] ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَىٰ﴾ قُوتى؛ أي:
تقرىبا ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا قُلْتُ لَكُمْ لَهُمْ جَزَاءٌ﴾ الضَّعِيفُ بِمَا
عَمِلُوا ﴿أَي:﴾ جزاء العمل: الحسنة - مثلا - بعشر فأكثر ﴿وَهُمْ فِي الْعُرْفَةِ﴾
من الجنة ﴿ءَامِنُونَ﴾ من الموت وغيره، وفي قراءة: ﴿الْعُرْفَةِ﴾^(١) بمعنى
الجمع.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بالإبطال ﴿بِالْإِطْلَاقِ﴾^(٢) لنا
مقدرين عجَزنا، وأنهم يفوتونا ﴿أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

[٣٩] ﴿قُلْ إِنْ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ امتحانا
﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه ﴿لِمَنْ﴾ بعد البسط أو لمن يشاء ابتلاء ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ
شَيْءٍ﴾ في الخير ﴿فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ يقال: كل إنسان
يرزق عائلته؛ أي: من رزق^(٣) الله.

(١) وهي قراءة حمزة.

(٢) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: ﴿بِالْإِطْلَاقِ﴾.

(٣) في نسخة مطبوعة: «يرزق الله».

[٤٠] ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمَلَائِكَةِ أَهْلَآءٍ إِنَّا كُنْهُمْ بِتَحْقِيقِ الْهَمَزَيْنِ وَإِدْبَالِ الْأَوَّلَى بَاءً وَإِسْقَاطِهَا﴾ (٣) ﴿كَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ؟﴾

[٤١] ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ تَرْبِيهَا لَكَ عَنِ الشَّرِيكِ﴾ وَأَنْتَ وَلِئْسَ مِن دُونِهِمْ ﴿أَي: لَا مَوَالِدَ بَيْنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْ جِهَتِنَا﴾ ﴿بَلْ لِّلنَّفَالِ﴾ ﴿كَأَنَّهُمْ يَعْبُدُونَ الْإِجْنَ﴾ الشَّيَاطِينِ؛ أَيْ: يَطِيعُونَهُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ لِإِنَانَا ﴿أَكْثَرُهُمْ يَمُومُونَ﴾ مُصَلِّونَ فِيمَا يَقُولُونَ لَهُمْ.

[٤٢] قَالَ - تَعَالَى -: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ شَيْئًا مِّنَ الْعِبَادَةِ إِنِ اتَّبَعْتُمُ امْتِعَانَهُمْ لَبُطْءًا بِبَعْضِ الْغَنَىٰ وَالْغَنَىٰ شِقَاقَ الْفَقْرِ وَلَا يَصُدُّكُمْ عَنْ آلِهَتِكُمْ إِلَّا الْفِتْنَةُ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا تُكْذِبُونَ﴾.

[٤٣] ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَىٰ عِبَادَتِنَا﴾ الْقُرْآنَ ﴿يَسْتَدِثُّ﴾ وَاضْحَابَ بِلْسَانِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ مِنَ الْأَصْنَامِ ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾ الْقُرْآنَ ﴿إِلَّا أَفْكٌ مِّنْ مَُّقْتَرَىٰ﴾ عَلَى اللَّهِ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ الْقُرْآنَ﴾ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ﴿إِنْ﴾ مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿يَسْتَدِثُّ﴾.

[٤٤] قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ فَمَنْ أَيْنَ كَذِبُكَ؟!

[٤٥] ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا تَلَوْا﴾ أَيْ: هَؤُلَاءِ ﴿وَمَعَسَارَ مَا آتَيْنَهُمْ﴾ مِنَ الْقُوَّةِ وَطُولِ الْعُمُرِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ ﴿وَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ إِلَيْهِمْ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إِنْكَارِي عَلَيْهِمُ الْعُقُوبَةَ وَالْإِهْلَاكَ؛ أَيْ: هُوَ وَاقِعٌ مَوْفَعُهُ.

[٤٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَحْدَةٍ﴾ هِيَ ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ أَيْ: لِأَجَلِهِ ﴿مَتْنً﴾ أَيْ: اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ ﴿وَفَرَدَيْنِ﴾ وَاحِدًا وَاحِدًا ﴿ثُمَّ تَنْفَكُّوْا﴾ فَعَلِمُوا ﴿وَمَا يَصْحَابُكُمْ﴾ مُحَمَّدٌ ﴿مِّنْ جَنَّةٍ﴾ جَنَّةٍ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ﴾ أَيْ: قَبْلَ ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ فِي الْآخِرَةِ إِنْ عَصَيْتُمُوهُ.

[٤٧] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿مَا سَأَلْتُمْ﴾ عَلَى الْإِنذَارِ وَالتَّبْلِيغِ ﴿مِّنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أَيْ: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا ﴿إِنْ أَجَرِي﴾ مَا ثَوَابِي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مُطْلِعٌ يَغْلُمُ صِدْقِي.

وَقَوْمٌ يَخْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُؤَلَاءِ إِنَّا لَهُمْ كَالُؤُلَاءِ يَعْبُدُونَ ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ أَنْتَ وَلِئْسَ مِن دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ ﴿قَالُوا لِمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُم لِبَعْضٍ شَيْئًا مِّنَ الْعِبَادَةِ إِنِ اتَّبَعْتُمُ امْتِعَانَهُمْ لَبُطْءًا بِبَعْضِ الْغَنَىٰ وَالْغَنَىٰ شِقَاقَ الْفَقْرِ وَلَا يَصُدُّكُمْ عَنْ آلِهَتِكُمْ إِلَّا الْفِتْنَةُ الَّتِي كُنْتُمْ فِيهَا تُكْذِبُونَ﴾ ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَىٰ عِبَادَتِنَا﴾ الْقُرْآنَ ﴿يَسْتَدِثُّ﴾ وَاضْحَابَ بِلْسَانِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ ﴿قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ مِنَ الْأَصْنَامِ ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا﴾ الْقُرْآنَ ﴿إِلَّا أَفْكٌ مِّنْ مَُّقْتَرَىٰ﴾ عَلَى اللَّهِ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ الْقُرْآنَ﴾ ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ﴿إِنْ﴾ مَا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿يَسْتَدِثُّ﴾.

[٤٤] قَالَ - تَعَالَى -: ﴿وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ فَمَنْ أَيْنَ كَذِبُكَ؟!

[٤٥] ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا تَلَوْا﴾ أَيْ: هَؤُلَاءِ ﴿وَمَعَسَارَ مَا آتَيْنَهُمْ﴾ مِنَ الْقُوَّةِ وَطُولِ الْعُمُرِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ ﴿وَكَذَّبُوا رُسُلِي﴾ إِلَيْهِمْ ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ إِنْكَارِي عَلَيْهِمُ الْعُقُوبَةَ وَالْإِهْلَاكَ؛ أَيْ: هُوَ وَاقِعٌ مَوْفَعُهُ.

[٤٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَحْدَةٍ﴾ هِيَ ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ أَيْ: لِأَجَلِهِ ﴿مَتْنً﴾ أَيْ: اثْنَيْنِ اثْنَيْنِ ﴿وَفَرَدَيْنِ﴾ وَاحِدًا وَاحِدًا ﴿ثُمَّ تَنْفَكُّوْا﴾ فَعَلِمُوا ﴿وَمَا يَصْحَابُكُمْ﴾ مُحَمَّدٌ ﴿مِّنْ جَنَّةٍ﴾ جَنَّةٍ ﴿إِنْ﴾ مَا ﴿هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ﴾ أَيْ: قَبْلَ ﴿عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ فِي الْآخِرَةِ إِنْ عَصَيْتُمُوهُ.

[٤٧] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾ ﴿مَا سَأَلْتُمْ﴾ عَلَى الْإِنذَارِ وَالتَّبْلِيغِ ﴿مِّنْ أَجْرِ فَهُوَ لَكُمْ﴾ أَيْ: لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِمْ أَجْرًا ﴿إِنْ أَجَرِي﴾ مَا ثَوَابِي ﴿إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ مُطْلِعٌ يَغْلُمُ صِدْقِي.

[٤٨] ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْقِئُ بِالْحَقِّ﴾ يَلْقَاهُ إِلَى أَنْبِيَائِهِ ﴿عَلَّمُ الْغُيُوبِ﴾ مَا غَابَ عَنْ خَلْقِهِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

(١) وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿يَخْشُرُهُمْ﴾.

(٢) وهي قراءة السبعة ما عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿يَقُولُ﴾.

(٣) قوله: ﴿وَإِدْبَالِ الْأَوَّلَى بَاءً﴾، هذا سبق فلم من المفسر - رَحِمَهُ اللَّهُ - إذ لم يقرأ بذلك أحد من القراء، وأما إسقاط الأولى مع تحقيق الثانية فقراءة أبي عمرو، وأما تحقيق الأولى وتسهيل الثانية فقراءة ورش، وعكسه قالون والبرقي، ولورش أيضًا إدبال الثانية باء ساكنة معدودة مع تحقيق الأولى.

[٥٢] ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾ بحمد أو القرآن ﴿وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ﴾ وبالهزيمة بدلها^(١)؛ أي: تناول الإيمان ﴿مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ عن محله؛ إذ هم في الآخرة ومحله الدنيا.

[٥٣] ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾ في الدنيا ﴿وَيَقْدِرُونَ﴾ يرمون ﴿بِالْعَنَيبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة؛ حيث قالوا في النبي: ساحر، شاعر، كاهن، وفي القرآن: سحر، شعر، كهانة.

[٥٤] ﴿وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ من الإيمان؛ أي: قوله ﴿كَمَا قُيِّلَ بِأَشْيَاءِهِمْ﴾ أشباههم في الكفر ﴿مَنْ قَبْلُ﴾ أي: قبلهم ﴿وَلَهُمْ فِي شَكِّ مَرْيَمَ﴾ موقع في الريبة لهم، فيما آمنوا به الآن، ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا.

سورة فاطر

[مكية، وهي: خمس، أو: ست وأربعون آية، نزلت بعد الفرقان]^(*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ حميد - تعالى - نفسه بذلك كما بيّن في أول سورة سبأ ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خالقهما على غير مثال سبق ﴿جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا﴾ إلى الأنبياء ﴿أُولَئِكَ أَجَبَحُوا مَثْنَى وَثُلَّةَ رُجْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ﴾ في الملائكة وغيرها ﴿مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٢] ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ﴾ كرزق ومطر ﴿فَلَا تُمْنِكُمْ لَهَا وَمَا يُمْنِكُمْ﴾ من ذلك ﴿فَلَا تَرْجِعْ لَهُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: بعد إمساكه ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره ﴿الْحَكِيمُ﴾ في فعله.

[٣] ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسَ﴾ أي: أهل مكة^(٢) ﴿أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ بإسكانكم الحرم ومنع الغارات عنكم ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ﴾ من: زائدة، ﴿وَخَلْقٍ﴾ مبتدأ ﴿عِزُّ اللَّهِ﴾ بالرفع والجر^(٣): نعت لـ ﴿خَلْقٍ﴾ لفظاً ومحللاً، وخبر المبتدأ: ﴿يَزُفُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ الْمَطَرُ﴾ من: الأرض ﴿النَّهَارُ؟﴾ والاستفهام للتقرير؛ أي: لا خالق رازق غيره ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تَوْفُكُورٌ﴾ من أين تصرفون عن توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟!

فَلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ^(٤) قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ^(٥) وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فِرْعَوْنُ فَلَا فُتُورَ وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ^(٦) وَقَالُوا لَأَمْتَانِيَهُ وَآلِي لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ^(٧) وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْدِرُونَ بِالْعَنَيبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ^(٨) وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاءِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ^(٩)

سورة فاطر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجَبَحُوا مَثْنَى وَثُلَّةَ رُجْعٍ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١) مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مَرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^(٢) يَتَأْتِيَ النَّاسَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِزُّ اللَّهِ يَزُفُّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآفَ تَوْفُكُورٌ^(٣)

[٤٩] ﴿فَلْ جَاءَ الْحَقُّ﴾ الإسلام ﴿وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ﴾ الكفر ﴿وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: لم يبق له أثر.

[٥٠] ﴿قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ﴾ عن الحق ﴿فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي﴾ أي: إثم ضلالي عليها ﴿وَإِنْ أَهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي﴾ من القرآن والحكمة ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ﴾ للدعاء ﴿قَرِيبٌ﴾.

[٥١] ﴿وَلَوْ تَرَىٰ﴾ يا محمد ﴿إِذْ فِرْعَوْنُ﴾ عند البعث؛ لرأيت أمراً عظيماً ﴿فَلَا فُتُورَ﴾ لهم ميثاً؛ أي: لا يفتوتونا ﴿وَأَخَذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: القبور.

(١) فائدة: قال البخاري: سورة الملائكة. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة (٣٥). وكذلك سماها الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٦).

(١) بالهمزة بدل الواو ﴿التَّنَاقُشُ﴾ وهي قراءة حمزة والكسائي وشعبة وأبي عمرو.

(٢) سبق التعليق على نحو هذا مراراً بأن الأولى التعميم وعدم التخصيص.

(٣) بالجر قراءة حمزة والكسائي.

[٤] ﴿وَإِنْ يَكْذِبُواْ بِكَ﴾ يا محمد في مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب ﴿فَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ﴾ في ذلك؛ فاصبر كما صبروا ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ في الآخرة؛ فيجازي المكذبن وينصر المسلمين.

[٥] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ عن الإيمان بذلك ﴿وَلَا يَفْرَحَنَّكُمْ بِاللَّهِ﴾ في جليلة وإمهاله ﴿الْعُرُوزُ﴾ الشيطان.

[٦] ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ بطاعة الله، ولا تطيعوه ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ﴾ أتباعه في الكفر ﴿لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ النار الشديدة.

[٧] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ هذا بيان ما يوافق الشيطان وما يخالفه.

[٨] ﴿وَنَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ وَغِيْرِهِ﴾: أَقَمَ رُبُّنَا لَمْ سُوءَ عَمَلِهِ. بالتمويه ﴿قَرَأَهُ حَسَنًا﴾ «من» مبتدأ، خبره: كمن هداه الله؟ لا، دل عليه: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَنْهُمْ﴾ على المزني لهم ﴿حَسَرَاتٍ﴾ يا غيتاميك أن لا يؤمنوا ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيجازيهم عليه^(١).

[٩] ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ﴾ وفي قراءة^(٢): ﴿الرَّيْحَ﴾ ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ المضارع لحكاية الحال الماضية؛ أي: تزججه ﴿فَسُقْنَهَا﴾ فيه التفات عن الغيبة ﴿إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ بالتشديد والتخفيف^(٣)؛ لا نبات بها ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ﴾ من البلد ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يسسها؛ أي: أنبتنا به الزرع والكأ^(٤) ﴿كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ أي: البعث والإحياء.

[١٠] ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ أي: في الدنيا والآخرة؛ فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكُلُّ اللَّطِيفُ﴾ يغلظه^(٥)؛ وهو: لا إله إلا الله ونحوها ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يقبله ﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ الْمَكِرَاتِ﴾ السَّكِرَاتِ ﴿بِالنَّارِ﴾ في دار الندوة؛ من تقيده، أو قتله، أو إخراجها. كما ذكر في الأنفال^(٦). - ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ﴾ يهلك.

[١١] ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بخلق أئكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ﴾ أي: مني يخلق ذريته منها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا ﴿وَمَا تَحْمِلُ﴾

وَإِنْ يَكْذِبُونَكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٢﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٤﴾ أَفَمَنْ رُبُّنَا لَهُ سُوءُ عَمَلٍ قَرَأَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٥﴾ وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَهَا إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ ﴿٦﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكُلُّ اللَّطِيفُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُبَوِّرُ ﴿٧﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٨﴾

يَنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ. حال؛ أي: معلومة له ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ﴾ أي: ما يزداد في عمر طويل العمر ﴿وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمرِهِ﴾ أي: ذلك المعمر، أو معمر آخر^(١) ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ هو: اللوح المحفوظ ﴿وَإِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ هيئت.

(١) روي هذا عن ابن عباس، كما ذكر البيهقي في باب النقول ص (١٨١) عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس به، وجوير متروك الحديث، والضحاك لم يلق ابن عباس، وهو ضعيف جدًا كما ذكر صاحب الاستيعاب (١/٤٨٣).

(٢) لحزة والكسائي وابن كثير.

(٣) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) وهذا من تأويل الكلم وتحريفه عن مواضعه؛ ومراد المفسر غفر لنا وله نفي ما يدل عليه من إثبات علو الذات لله تعالى جرياً على طريقته في ذلك.

(٥) في قوله تعالى: ﴿وَرَأَى بُنْيَامُ بَنِي إِسْرَءِيلَ كَذِبًا إِذْ يَمُوتُ أَوْ يُحْيَى﴾ الآية [الأنفال: ٣٠].

(٦) أي إن الضمير عائذ عني الجنس، لا على العين؛ أي لا على عين المعرل بل على غيره؛ لأن الطويل المعمر في الكتاب وفي علم الله تعالى لا ينقص من عمره. قال ابن جرير: وهذا كقولهم: «عندي ثوب ونصفه»، أي ونصف آخر. ويكون معنى الآية على هذا القول: أي ما يعطى بعض النطف. عند نسخ الروح وكتب الأجل. من العمر الطويل يعلمه الله تعالى، وهذا اختيار ابن جرير وابن كثير.

﴿تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ هو: السمك ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ﴾ من الجبل، وقيل: منهما ﴿حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ هي: اللؤلؤ والمرجان ﴿وَرَأَى﴾ تبصر ﴿الْفَلَكَ﴾ السفن ﴿فِيهِ﴾ في كل منهما ﴿مَوَازِيرَ﴾ تمخر الماء؛ أي: تَشَقُّقُ بِحُزْبِهَا فِيهِ مَقْبَلَةٌ وَمُدْبِرَةٌ بِرِيحٍ وَاحِدَةٍ ﴿لِيُنْزِلُوا﴾ تطلبوا ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ - تعالى - بالتجارة ﴿وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الله على ذلك.

[١٣] ﴿يُولِجُ﴾ يدخل الله ﴿الْأَيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ فيزيد^(١) ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ﴾ يدخله ﴿فِي الْإِيلِ﴾ فيزيد^(٢) ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ﴾ منهما ﴿يَجْزِي﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ يوم القيامة ﴿ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ لفاقة النواة.

[١٤] ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يُسْمِعُوا فَرْصًا﴾ فما أَسْتَحَابُوا لَكُمْ ما أحببواكم ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ﴾ بإشراككم إياهم مع الله؛ أي: يبرءون منكم ومن عبادتكم إياهم ﴿وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِالْحَالِ الدَّارِينَ﴾ مثل حَبِيرٍ غالم؛ هو: الله تعالى.

[١٥] ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْتُمْ أَفْقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ المحمود في صنعه بهم.

[١٦] ﴿إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بذكركم.

[١٧] ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ شديد.

[١٨] ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ أئمة؛ أي: لا تحمل ﴿وَزِرَ﴾ نفس ﴿أُخْرَى﴾ وإن تدع ﴿نَفْسٌ مَثْقَلَةٌ﴾ بالوزر ﴿إِلَى حِمْلِهَا﴾ منه أحدًا ليحمل بعضه ﴿لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ﴾ المدعو ﴿ذَا قُرْبَى﴾ قرابته؛ كالأب والابن، وعدم الحمل في الشقين^(٣) حكم من الله ﴿إِنَّمَا نُزِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ أي: يخافونه وما رأوه؛ لأنهم المنتفعون بالإنذار ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَمَنْ تَزَكَّى﴾ تطهر من الشرك وغيره ﴿وَلَنَّمَا تَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾ فضلاحه مختص به ﴿رَأَى اللَّهُ الْغَمِيرَ﴾ المرجع؛ فيجزى بالعمل في الآخرة.

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فَرَأَتْ سَابِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَازِيرَ لِيُنْزِلُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٣﴾ يُولِجُ الْإِيلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الْإِيلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْزِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكَ كُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٤﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَلَا يُسْمِعُوا فَرْصًا كُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشِرْكُمْ وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِشَيْءٍ خَيْرٍ ﴿١٥﴾ يَأْتِيهَا النَّاسُ أُنْتُمْ أَفْقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٦﴾ إِنْ يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٧﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٨﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٩﴾

[١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَبٌ فَرَأَتْ﴾ شديد العذوبة ﴿سَابِغٌ﴾ شَرَابُهُ شُرْبُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أَجَاجٌ شديد الملوحة ﴿وَمِنْ كُلِّ﴾ منهما

(١) أي: الليل يطول.

(٢) أي: النهار يطول.

(٣) أي في الحمل القهري في قوله: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾، أو الاختياري؛ تلبية لدعوة المثقلة غيرها ليحمل بعضه.

[١٩] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ﴾ الكافر والمؤمن.

[٢٠] ﴿وَلَا الظُّلُمَاتُ الْكَفَرُ﴾ وَلَا النُّورُ الْإِيمَانُ.

[٢١] ﴿وَلَا الظُّلُ وَلَا النُّورُ﴾ الجنة والنار.

[٢٢] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَارُ وَلَا الْأَقْوَمُ﴾ المؤمنون ولا الكفار، وزيادة «لَا» في الثلاثة تأكيد ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ﴾ هدايته؛ فيجيبه بالإيمان ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ أي: الكفار - شبههم بالموتى - فيجيئون.

[٢٣] ﴿إِنَّ﴾ ما ﴿أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ منذر لهم.

[٢٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾ بالهدى ﴿بَشِيرًا﴾ من أجب إليه ﴿وَنَذِيرًا﴾ من لم يجب إليه ﴿وَإِنَّ﴾ ما ﴿مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا﴾ سلف ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ نبي يُنذِرُهَا.

[٢٥] ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ﴾ أي: أهل مكة ﴿فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات ﴿وَالزُّبُرِ﴾ كصحف إبراهيم ﴿وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ هو: التوراة والإنجيل؛ فاصبر كما صبروا.

[٢٦] ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بتكذيبهم ﴿كَذِيفَ كَانَ نَكِيرٌ﴾ إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك؛ أي: هو واقع موقعه.

[٢٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا﴾ فيه انتفات عن الغيبة ﴿بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ كأخضر وأحمر وأصفر وغيرها ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾ جمع جُدَّة؛ طريق في الجبل وغيره^(١) ﴿بَيْضٌ وَحُمْرٌ وَصَفَرٌ﴾ وَخَضَرٌ ﴿مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾ بالشدة والضعف ﴿وَعَرِيبٌ سُوْدٌ﴾ عطف على ﴿جُدَدٌ﴾ أي: صخور شديدة السواد، يقال كثيرا: أسود غريب، وقليلا: غريب أسود.

[٢٨] ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالْذُّوَابِ وَالْأَنْعَمِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُمْ﴾ كذلك؛ كاختلاف الثمار والجبال ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ بخلاف الجهال ككفار مكة ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ﴾ في ملكه ﴿غَفُورٌ﴾ لذنوب عباده المؤمنين.

[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ﴾ يقرءون ﴿كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أداموها ﴿وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ زكاة وغيرها ﴿يَتَرَجَّوْنَ يَجُورَةَ

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُ وَلَا النُّورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَخْيَارُ وَلَا الْأَقْوَمُ ﴿٢٢﴾ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٣﴾ إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٥﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَارِيْبٌ سُوْدٌ ﴿٢٨﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالْذُّوَابِ وَالْأَنْعَمِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ وَكَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْتَجُونَ تَجَرَّةً لَّن تَبُورَ ﴿٣٠﴾ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣١﴾

لَّن تَكُورَ تهلك.

[٣٠] ﴿لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ ثواب أعمالهم المذكورة ﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ لَنَّهُم غَفُورٌ لذنوبهم ﴿شَكُورٌ﴾ لطاعتهم.

(١) قال القاضي كعبان في قرة العينين ص (٥٧٥): «يشير إلى اختلاف ألوان الصخور، ومعنى «الجُدَّة» في أصل اللغة: الخلطة في ظهر الحمار تخالف لونه؛ أي إن صخور الجبال لخطوط وطرائق مختلفة الألوان...».

بالوابع والظواهر^(١).

[٣٢] ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا﴾ أعطينا ﴿الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ وهم أمتك ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ بالتقصير في العمل به ﴿وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ﴾ يعمل به أغلب الأوقات ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ يضم إلى العلم التعليم والإرشاد إلى العمل ﴿يَاذُنُ اللَّهِ﴾ يارادته ﴿ذَلِكَ﴾ أي: ليراثهم الكتاب ﴿هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾^(٢).

[٣٣] ﴿جَنَّتٌ عَدْنٌ﴾ أي: إقامة ﴿يَدْخُلُهَا﴾ الثلاثة بالبناء للفاعل وللمفعول^(٣)؛ خبر ﴿جَنَّتٌ﴾ المبتدأ ﴿يُحَلَّوْنَ﴾ خبر ثانٍ ﴿فِيهَا مِنْ﴾ بعض ﴿أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ مَرْصَع بالذهب ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾.

[٣٤] ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ﴾ جميعه ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شُكْرٌ﴾ للطاعة.

[٣٥] ﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ﴾ الإقامة ﴿مِنْ فَضْلِهِ﴾ لا يمسنا فيها نصيب ﴿ثُمَّ﴾ ولا يمسنا فيها لغوب ﴿إِغْيَاءً مِنَ التَّعَبِ﴾ لعدم التكليف فيها، وذكر الثاني التابع للأول للتصريح بنفيه.

[٣٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ﴾ بالموت ﴿فَيَمُوتُوا﴾ يستريحوا ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ طرفة عين ﴿كَذَلِكَ﴾ كما جزيناهم ﴿[يُجْزَىٰ]﴾^(٤) ﴿كُلُّ كَافٍ﴾ كافٍ، بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاي ونصب ﴿كُلٌّ﴾.

[٣٧] ﴿وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا﴾ يستغيثون بشدة وعويل، يقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ نعمل صليحا غير الذي كنّا نعمل ﴿فَيَقَالُ لَهُمْ﴾: ﴿أُولَئِكَ نَعَمَّرَكُم مَّا﴾ وقتا ﴿يَتَذَكَّرُ فِيهِ مِنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ الرسول فيما أجبتم ﴿فَذُوقُوا﴾ فما للظالمين ﴿الْكَافِرِينَ﴾ من نصيب ﴿يدفع العذاب عنهم﴾.

[٣٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب؛ فعلمه بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس^(٥).

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يَا ذُنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٣﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٥﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نُجْزِي كُلَّ كَافٍ ﴿٣٧﴾ وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرْ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٩﴾

[٣١] ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ تقدمه من الكتب ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ عالم

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ﴾ يَأْذُنُ اللَّهِ قَالَ: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٦) سورة فاطر، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٧٧).

(١) إذا كان مراد المفسر بذلك تفسير قوله: ﴿لَخَبِيرٌ﴾ فنعلم؛ وإن كان مراده تفسير ﴿بَصِيرٌ﴾ بذلك أيضًا فإن هذا من تأويل صفة البصر الثابتة لله ﷻ على الوجه اللائق به، وهو مردود.

(٢) بالبناء للمفعول قراءة أبي عمرو.

(٣) وهي قراءة أبي عمرو.

(٤) أي: أما بالنسبة إليه سبحانه؛ فالسر والعلانية سواء.

[٣٩] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ جمع خليفة؛ أي: يخلف بعضكم بعضاً ﴿وَمَنْ كَفَرَ﴾ منكم ﴿فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾ أي: وتبطل كُفْرُهُ ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا﴾ غَضَبًا ﴿وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ للآخرة.

[٤٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره؛ وهم: الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله - تعالى - ﴿أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ شِرْكٌ مع الله ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ﴾ حجة ﴿بَيِّنَةٌ﴾ بأن لهم معي شركة؟ لا شيء من ذلك ﴿بَلْ إِنْ﴾ ما ﴿يَعِدُّ الظَّالِمُونَ﴾ الكافرون ﴿بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ باطلاً، بقولهم: الأصنام تشفع لهم.

[٤١] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ أي: يمنعهما من الزوال ﴿وَلَكِنْ﴾ لام قسم ﴿زَالَا إِنْ﴾ ما ﴿أَسْكَنْهُمَا﴾ بمسكهما ﴿بَيْنَ أَعْيُنٍ مِنْ بَدْوٍ﴾ أي: سواء ﴿إِنْ﴾ كان حليماً غفوراً في تأخير عقاب الكفار.

[٤٢] ﴿وَأَقْسَمُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ غاية اجتهادهم فيها ﴿لَنْ يَجَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ﴿لَيَكُونَنَّ أَهْدَى مِنْ أَهْدَى الْأُمَمِ﴾ اليهود والنصارى وغيرهم؛ أي: أي واحدة منها، لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضاً؛ إذ قالت اليهود: ﴿لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ﴾^(١) وقالت النصارى: ﴿لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾^(٢) ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ محمد ﷺ ﴿مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ تباعداً عن الهدى.

[٤٣] ﴿أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ عن الإيمان، مفعول له ﴿وَمَكْرَ الْعَمَلِ﴾ السَّيِّئِ من الشرك وغيره ﴿وَلَا يَحِيقُ﴾ يحيط ﴿الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ وهو الماكر، ووصف المكر بالسئ أصل^(٣)، وإضافته إليه قبل^(٤): استعمال آخر، فُذِرَ فيه مضاف^(٥)؛ حذراً من الإضافة إلى الصفة ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ ينتظرون ﴿إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ سنة الله فيهم؛ من تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم ﴿فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ أي: لا يبدل بالعذاب غيره ولا يحول إلى غير مستحقة.

[٤٤] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ

هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ كَفَرَفَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَتٍ مِنْهُ بَلْ إِنْ يَعْذِرُ الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَا إِنْ أَمْسَكْتُهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّهُ لَكَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ يَجَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ أَسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ فاهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم ﴿وَمَا كَانَتْ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ بسبقه وبفوته ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا﴾ أي: بالأمياء كلها ﴿قَدِيرًا﴾ عليها.

(١)، (٢) البقرة: ١١٣.

(٣) أي: جاء على الأصل؛ من استعمال الصفة تابعة للموصوف.

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُ السَّيِّئِ﴾ [فاطر: ٤٣]، جاء على خلاف الأصل؛ حيث أضيفت فيه الصفة إلى الموصوف.

(٥) قدره الجلال المحلي هنا: «العمل»؛ أي: مكر العمل السيئ.

[٢] ﴿وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ﴾ المحكم بعجيب التظلم وبديع المعاني.

[٣] ﴿إِنَّكَ يَا مُحَمَّدٌ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

[٤] ﴿عَلَىٰ﴾ متعلق بما قبله ﴿صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ أي: طريق الأنبياء قبلك؛ التوحيد والهدى، والتأكيد بالقسم وغيره رد لقول الكفار له: ﴿لَئِنْ مَرَسَلْنَاكَ﴾.

[٥] ﴿تَنْزِيلُ﴾^(١) التمرير في ملكه ﴿الرَّحِيمَ﴾ بخلقه، خير مبتداً مقدر؛ أي: القرآن.

[٦] ﴿لِنُنْذِرَ﴾ به ﴿قَوْمًا﴾ متعلق بـ ﴿تَنْزِيلُ﴾ ﴿مَا أَنذَرْنَا أَبَاؤَهُمْ﴾ أي: لم يندروا في زمن الفترة ﴿فَهُمْ﴾ أي: القوم ﴿عَظِيلُونَ﴾ عن الإيمان والرشد.

[٧] ﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ﴾ وجب ﴿عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾ بالعذاب ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: الأكثر.

[٨] ﴿وَإِن جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً﴾ بأن نضّم إليها الأيدي؛ لأن الغلّ يجمع اليد إلى العنق ﴿فَهُمْ﴾ أي: الأيدي مجموعة ﴿إِلَى الْأَذْقَانِ﴾ جمع ذقن؛ وهي: مجتمع اللّحيتين ﴿فَهُمْ مُّقْمَحُونَ﴾ رافعون رؤوسهم لا يستطيعون خفضها، وهذا تمثيل؛ والمراد: أنهم لا يدعون للإيمان ولا يخفضون رؤوسهم له.

[٩] ﴿وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ بفتح السين وضمها في الموضعين^(٢) ﴿فَاعْشَيْتَهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ تمثيل أيضاً لسد طرق الإيمان عليهم.

[١٠] ﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه^(٣) ﴿أَمْ كَمْ تُنذِرُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ ينفع إنذارك ﴿مَنْ أَتَعَ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَحِشَى الرَّحْمَنِ بِالْعِيبِ﴾ خافه ولم يره ﴿فَيُبْشِرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ هو الجنة.

[١٢] ﴿إِنَّا نَحْنُ الْمُغْنَوْنَ﴾ للبعث ﴿وَنَكْتُبُ﴾ في اللوح المحفوظ ﴿مَا قَدَّمُوا﴾ في حياتهم من خير وشر؛ ليجازوا عليه ﴿وَأَنذَرَهُمْ﴾ ما استن به بعدهم ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ نصّبهُ بفعل يفسره: ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ ضَبْطْنَاهُ ﴿فِي إِمَارٍ مُّبِينٍ﴾ كتاب بين؛ هو: اللوح المحفوظ^(٤).

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهَرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٥﴾

سُورَةُ يَسٍ

يس ﴿١﴾ وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَّا أَنذَرْنَا أَبَاؤَهُمْ فَهُمْ عَظِيلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِيْ أَعْيُنِهِمْ أَغْشَاءً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَعْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَحِشَى الرَّحْمَنِ بِالْعِيبِ قَبْشِرُهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ غَنِيٌّ عَنِ الْمَوَالِي وَكَتَبْنَا مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

[٤٥] ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ من المعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهَرِهَا﴾ أي: الأرض ﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾ نَسَمَةٍ تَدْبُ عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: يوم القيامة ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ فيجازيهم على أعمالهم؛ بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين.

سُورَةُ يَسٍ

[مكية إلا: قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا﴾ الآية، أو: مدنية^(١)، ثنتان

وثمانون آية، نزلت بعد سورة الجن]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يس﴾ الله أعلم بمراده به.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٢): أخرج الترمذي عن أبي سعيد الخدري قال: كانت بنو سلمة في ناحية المدينة، فأرادوا النقلة إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّا نَحْنُ غَنِيٌّ عَنِ الْمَوَالِي وَكَتَبْنَا مَا قَدَّمُوا وَءَاثَرَهُمْ﴾ فقال رسول الله ﷺ: «إن آثاركم تكتب؛ فلم ينتقلوا. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٣٧). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٥٧٨).

(١) لم يذكر هذا الخلاف أحد غيره من المفسرين، والسورة مكية لإجماع كما قال القرطبي.

(٢) هذه قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقراء بقية السبعة بالفتح: ﴿تَنْزِيلُ﴾؛ إما مفعولاً مطلقاً، أو لفعل محذوف مقدر.

(٣) بالضم قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

(٤) بالتسهيل قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وهشام، وقُضِلَ بين الهمزتين بالألف: أبو عمرو وقالوا وهشام، والأكثر عن ورش على إبدال الهمزة الثانية ألفاً خالصة.

[١٣] «وَأَضْرَبَ» اجعل «لَهُمْ مَثَلًا» مفعول أول «أَصْحَبَ» مفعول ثان «الْقَرْيَةَ» أنطاكية «إِذْ جَاءَهَا» إلى آخره؛ بدل اشتمال من «أَصْحَبَ الْقَرْيَةَ» «الْمُرْسَلُونَ» أي: رسل عيسى^(١).

[١٤] «إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا» إلى آخره؛ بدل من «إِذْ» الأولى «فَقَرَرْنَا» بالتخفيف والتشديد^(٢)؛ قَوَّيْنَا الاثنين «يَسَارِلِي فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ».

[١٥] «قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ».

[١٦] «قَالُوا رَبَّنَا يَعْبُدُ جَارِ مجرى القسم، وَزَيْدُ التَّأَكُّدِ بِهِ وباللام، على ما قبله، لِرِيَاذَةِ الْإِنكَارِ فِي «إِنَّا» أَنْتُمْ لَمُرْسَلُونَ».

[١٧] «وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلِّغُ الْمُبِينُ» التبليغ البين الظاهر بالأدلة الواضحة؛ وهي: إبراء الأئمة والأبرص والمريض وإحياء الميت^(٣).

[١٨] «قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ نَشَاءُكُمْ بَكْمَ» لانقطاع المطر غثا بِسَيْبِكُمْ^(٤) «لَئِنْ لَمْ يَنْتَهَوْا لَنَرْجُمَنَّكُمْ بِالْحِجَارَةِ وَلَنَسْتَقِرَّكُمْ وَنَا عَذَابَ إِلِيمٍ» مؤلم.

[١٩] «قَالُوا طَائِفُكُمْ شَوْمُكُمْ» شؤمكم «نَعْمَكُمْ» بكفركم «إِنْ هَمَزَ اسْتِفْهَامٌ دَخَلَتْ عَلَى «إِنْ» انشريطية، وفي همزتها: التحقيق والتسهيل، وإدخال ألف بينها - بوجهيها - وبين الأخرى^(٥) «ذُكِّرَتْ» وَعُظِّمَتْ وَخُوِّفَتْ، وجواب الشرط محذوف؛ أي: تطيئروكم وكفرتكم؟ وهو محل الاستفهام، والمراد به التوبيخ «بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ» متجاوزون الحد بشيئركم.

[٢٠] «وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ» هو: حبيب النجار، كان قد آمن بالرسول، ومنزله بأقصى البلد «سَمِعَ يَشْتَدُّ عَذْوًا لَمَّا سَمِعَ بِكَذِّبِ الْقَوْمِ الرَّسْلَ» قَالَ يَقُومُ أَتَيْعُوا الْمُرْسَلِينَ.

[٢١] «أَتَيْعُوا» تأكيد للأول «مَنْ لَا يَسْتَكْبِرُ أَجْرًا» على رسالته «وَهُمْ مُّهْتَدُونَ» فقبل له: أنت على دينهم. فقال: [٢٢] «وَمَا لِي لَا أُعْبِدُ إِلَهِي فَطَرَنِي» خلقتني؛ أي: لا مانع لي من عبادته الموجود مقتضيهما، وأنتم كذلك «وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُجْعَلُونَ» بعد الموت فيجازيكم بكفركم^(٦).

[٢٣] «وَأَنْجَذَ» في الهمزتين منه ما تقدم في «وَأَنْذَرْتَهُمْ»^(٧) وهو استفهام بمعنى النفي «مِنْ دُونِهِ» أي: غيره «وَاللَّهِ» أصنامًا «إِنْ يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ بِضَرْ لَّا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَعَتُهُمْ» التي زعمتموها «شَيْئًا وَلَا يُبْقِدُون» صفة «وَاللَّهِ».

وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا أَصْحَبَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ

﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَبَّوْا بِأَثَلِ فَقَالُوا

إِنَّا إِلَيْكُمْ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا

وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَنُ مِن شَيْءٍ إِلَّا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا

رَبَّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلِّغُ

الْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوا إِنَّا نَطَّيَّرُكُمْ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهَوْا لَنَرْجُمَنَّكُمْ

وَلَنَسْتَقِرَّكُمْ وَمَا عَلَيْنَا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِفُكُمْ

دُكِّرْتُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ

رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَنْقُومُ أَتَيْعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ أَتَيْعُوا

مَنْ لَا يَسْتَكْبِرُ أَجْرًا وَهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِي لَا أُعْبِدُ

الَّذِي فَطَرَنِي وَالْإِلَهِ تَرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَأَنْتُمْ مِنْ دُونِهِ ؕ إِلَهُةٌ

إِنْ يُرِيدَنَّ الرَّحْمَنُ بِضَرْ لَّا تُغْنِي عَنْكُمْ شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا

وَلَا يُبْقِدُون ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّي ؕ آمَنْتُ

بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَلَيْتُ قَوْمِي

يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾

[٢٤] «إِنِّي إِذًا» أي: إن عذبته غَيْرُ اللَّهِ «لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» بين.

[٢٥] «إِنِّي ؕ آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونَ» أي: اسمعوا قولي؛ فرجموه فمات.

[٢٦] «قِيلَ» له عند موته: «ادْخُلِ الْجَنَّةَ» وقيل: دخلها حَيًّا «قَالَ يَا» حرف تنبيه «لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ».

[٢٧] «بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي» بغفرانه «وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ».

(١) اختار ابن كثير أنهم رسل من الله تعالى، وهو ما يؤيده سياق الآيات، وليس ما اختاره المصنف وبعض المفسرين أنهم رسل عيسى.

(٢) بالتخفيف قراءة شعبة، وقرأ الباقون بالتشديد.

(٣) (٤) تفسير الأدلة بهذه الآيات، والشاؤم بسبب انقطاع المطر مما لا دليل صحيح على شوته، وكذلك ما سيأتي من تسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة بحبيب النجار، وما سبق من تسمية القرية بأنطاكية؛ فالأولى في تفسير القرآن إجمال ما أجمله وتفصيل ما فصله والاقصاء على موضع الفائدة والعبارة، كما عليه أهل التحقيق من المفسرين فلا يعتمدون في إيضاح مبهمات القرآن إلا ما قام عليه دليل قاطع.

(٥) راجع التعليق على الآية رقم (١١٣) من سورة الأعراف.

(٦) في نسخة القاضي كنعان المطبوعة: «كثيركم».

(٧) أي: من القراءات، وتقدم بيانها.

والاستفهام للتفريق؛ أي: علموا ﴿كَمْ﴾ خبرية بمعنى: كثيراً معمولة لما بعدها، معلقة ما قبلها عن العمل^(٣)؛ والمعنى: إنا ﴿أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ﴾ كثيراً ﴿بِالْقُرُونِ﴾ الأمم ﴿أَنْتَهُمْ﴾ أي: المهلكين ﴿بِالْيَمِّ﴾ أي: المكذبن ﴿لَا يَرْجِعُونَ﴾ أفلا يعتبرون بهم؟ و﴿أَنْتَهُمْ﴾ إلخ، بدل ميثا قبله، يرعاية المعنى المذكور.

[٣٢] ﴿وَإِنْ نَافِيَةٌ أَوْ مُخَفَّفَةٌ﴾ كلٌّ أي: كل اختلاقي، مبتدأ ﴿لَمَّا﴾ بالتشديد؛ بمعنى: إلا، أو بالتخفيف^(٤)، فـ «اللام» فارقة و«ما» مزيدة ﴿بِجَمْعٍ﴾ خبر المبتدأ أي: مجموعون ﴿لَدَيْنَا﴾ عدنانا في الموقف بعد بعثهم ﴿مُحْضَرُونَ﴾ للحساب، خبر ثان.

[٣٣] ﴿وَأَيُّهَا هُمْ﴾ على البعث، خبر مقدم ﴿الْأَرْضُ أَلَيْسَتْهُ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٥) ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ بالماء، مبتدأ ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ كالخطة ﴿فَلَيْسَتْ بِأَكُنُونَ﴾.

[٣٤] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿مِنْ تَحْتِهَا نَاقُطٌ﴾ وأعناب وفجرات فيها مِنْ الْعُيُونِ أي: بعضها.

[٣٥] ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾ بفتحين وضمين^(٦)؛ أي: ثمر المذكور من النخيل وغيره ﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ أي: لم تعمل الثمر^(٧) ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أنعمه تعالى عليهم؟.

[٣٦] ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ﴾ الأصناف ﴿كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ﴾ من الحبوب وغيرها ﴿وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ من الذكور والإناث ﴿وَمِمَّا لَا يَمْلِكُونَ﴾ من المخلوقات العجيبة الغريبة.

[٣٧] ﴿وَأَيُّهَا هُمْ﴾ على القدرة العظيمة: ﴿أَلَيْسَ نَسْلُخُ﴾ نفضل ﴿وَمِنَهُ النَّهَارُ﴾ فإذا هم مُظْلِمُونَ داخلون في الظلام.

[٣٨] ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي﴾ إلى آخره من جملة الآية لهم، أو آية أخرى، والقمر كذلك ﴿لِيُسْقَرَّ لَهَا﴾ أي: إليه لا تتجاوزه ﴿ذَلِكَ﴾ أي: جبرها ﴿تَقْدِيرَ الرَّبِّزِ﴾ في ملكه ﴿الْقَلْبِو﴾^(٨) بخلقه.

[٣٩] ﴿وَالْقَمَرُ﴾ بالرفع والنصب^(٩)، وهو منصوب بفعل يُسْقَرُّ ما بغدته ﴿فَدَرَكْتَهُ﴾ من حيث سيره ﴿مَنَازِلَ﴾ ثمانية وعشرين منزلاً، في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر، ويستمر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً، وليلة إن كان تسعة وعشرين يوماً ﴿حَتَّىٰ عَادَ﴾ في آخر منازله في رأي العين ﴿كَأَلَمْ يَجِدْ أَلْفَدِيرَ﴾ أي: كعود الشماخيخ إذا عثق فإنه يرقى وَيَقْفُزُ وَيَضْفَرُ.

[٤٠] ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي﴾ يسهر ويصح ﴿لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ فتجتمع معه في الليل ﴿وَلَا أَيْلٌ سَابِقَ النَّهَارِ﴾ فلا يأتي قبل انقضائه ﴿وَكُلٌّ﴾ - توينه عوض عن المضاف إليه - من الشمس والقمر والنجوم ﴿فِي فَلَكٍ﴾ مستدير ﴿يَسْبَحُونَ﴾ يسبسون، نُزِّلُوا مُنْزِلَةَ الْعُقَلَاءِ.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ إن كنت إلا صيحة واحدة فإذا هم خميدون ﴿يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أَلَيْسَ زَاكِرًا أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنْتَهُمُ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ وَءَايَةُ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ تَحْتِهَا نَاقُطٌ وَأَعْنَبٌ وَفَجْرَاتٍ فِيهَا مِنْ الْعُيُونِ﴾ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿سُبْحَنَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِئُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ وَءَايَةُ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا أَيْلٌ سَابِقَ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾

[٢٨] ﴿وَمَا﴾ نافية ﴿أَنْزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ﴾ أي: حبيب^(١) ﴿مِنْ بَعْدِهِ﴾ بعد موته ﴿مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: ملائكة لإهلاكهم ﴿وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ﴾ ملائكة لإهلاك أحد.

[٢٩] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كَانَتْ﴾ عقوبتهم ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاح بهم جبريل ﴿فَإِذَا هُمْ خَمِيدُونَ﴾ ساكنون ميتون.

[٣٠] ﴿يَحْشَرُهُ عَلَى الْعِبَادِ﴾ هؤلاء ونحوهم من كذبوا الرسل فأهلكوا، وهي شدة التألم، وندأوها مجازاً؛ أي: هذا أوانك فاحضري ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ مسوق لبيان سببها^(٢)؛ لاشتغالها على استهزائهم، المؤدي إلى إهلاكهم، المسبب عنه الحسرة.

[٣١] ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾ أي: أهل مكة القائلون للنبي: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾،

(١) فائدة: أخرج البخاري عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ لأي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتسأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتسأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها؛ فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الرَّبِّزِ الْعَلِيمِ» البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة يس (٣٦) باب (١) ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾.

(٢) راجع ما تقدم في التعليق من أنه لا دليل على صحة تسمية الرجل الذي جاء من أقصى المدينة يسمى حبيباً.

(٣) لأن «كم» الخبرية يكون لها الصدارة، فلا يعمل ما قبلها - وهو «يرواه» فيها.

(٤) بالتشديد قراءة نافع.

(٥) هذا باعتبار أن (ما) نافية، وهو أحد الأقوال، والقول الثاني - وهو الأظهر - أنها موصولة، في موضع خفض على العطف، وهو اختيار ابن جرير، ولم يذكر غيره. والمعنى: وما عملته أيديهم، وهو ما

يتخذ من القمر الكعصير والذهب ونحوهما، أو المراد الذي عملته بالفرس، والسقي، والآبار.

(٦) أي: سبب الحسرة.

(٧) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو.

(٨) بضمين قراءة حمزة والكسائي.

(٩) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

[٤١] ﴿رَبَّاهُ لَهُمْ﴾ على قدرتنا ﴿أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ وفي قراءة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(١) أي: آباءهم الأصول^(٢) ﴿فِي الْفُلِّ﴾ أي: سفينة نوح ﴿الْمَشْحُونِ﴾ المملوء.

[٤٢] ﴿وَحَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ﴾ أي: مثل فلك نوح؛ وهو: ما عملوه على شكله من السفن الصغار والكار يتعليم الله - تعالى - ﴿مَا يَكُونُ﴾ فيه.

[٤٣] ﴿وَلَمَّا نَسُوا نَجْرَهُمْ﴾ مع إيجاد السفن ﴿فَلَا صَرِيحَ﴾ مُعِيثَ ﴿لَهُمْ وَلَا هُمْ يَنْجُوْنَ﴾ ينجون.

[٤٤] ﴿إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ أي: لا ينجمهم إلا رحمتنا لهم وتمتعنا بإياهم بلذاتهم إلى انقضاء آجالهم.

[٤٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ﴾ من عذاب الدنيا كغيرهم ﴿وَمَا خَلَقَكُمْ﴾ من عذاب الآخرة ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَحَنَّنُونَ﴾ أعرضوا.

[٤٦] ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِن آيَةٍ مِن آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا الصَّحَابَةَ﴾^(٣) ﴿لَهُمْ أَنْفِقُوا﴾ غُلَّتَا ﴿وَمَا رَزَقَكُمْ اللَّهُ﴾ من الأموال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ استهزاء بهم: ﴿أَنُطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾ في معتقدهم هذا ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَنْتُمْ﴾ في قولكم لنا ذلك مع معتقدهم هذا ﴿وَلَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ يَبِينُ، وللصريح بكفرهم^(٤) موقع عظيم.

[٤٨] ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ﴾ بالبعث ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٤٩] قال - تعالى -: ﴿مَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: ينتظرون ﴿إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً﴾ وهي: نفخة إسرئيل الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ بالتشديد، أصله: يَخِصِّمُونَ؛ نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد؛ أي: وهم في غفلة عنها يَخِصِّصُونَ وَتَبَائِعَ وَأَكْلَ وَشَرْبَ وَغَيْرَ ذَلِكَ، وفي قراءة: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾^(٥) كـ «يضر بون»؛ أي: يخصم بعضهم بعضاً.

[٥٠] ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ نَوْصِيَّةً﴾ أي: أن يوصوا ﴿وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ من أسواقهم وأشغالهم، بل يموتون فيها.

[٥١] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ - هو قرن - النفخة الثانية للبعث، وبين النفختين أربعون سنة^(٦) ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أي: المقبورون ﴿وَمِنَ الْأَكْدَانِ﴾ القبور ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يخرجون بسرعة.

[٥٢] ﴿قَالُوا﴾ أي: الكفار منهم: ﴿يَا لَئِن لَّبِئْسَ وَلِئَلَّنَا﴾ هلاكنا، وهو مصدّر لا يفعل له من لفظه ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ لأنهم كانوا بين النفختين نائمين لم يعذبوا ﴿هَذَا﴾ أي: البعث ﴿مَا﴾ أي: الذي ﴿وَعَدَ﴾ به

وَأَيَّةٌ لَهُمْ أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَحَلَقْنَا لَهُمْ مِن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نَعْرِفَهُمْ فَلَا صَبِيحَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقِذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ قِيلَ لَهُمْ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِن آيَةٍ مِن آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا الصَّيْحَةَ وَجِدَّةً وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا بَنِيَّانَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةٌ وَجِدَّةً وَالَّذِينَ آمَنُوا فِيهَا رَحْمَةٌ مِّنَ رَبِّهِمْ ﴿٥٣﴾ قَالُوا هَذَا هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ أَكْبَرُ مِنَّا فِي الْأَعْيُنِ وَمَا عَدَدُ جَزَاءِ الْكَافِرِينَ إِلَّا أَصْحَابُ الْأَنْجَارِ ﴿٥٤﴾ قَالُوا لَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تَحْزَنُونَ إِلَّا ﴿٥٥﴾ جَزَاءُ ﴿٥٦﴾ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾

﴿الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ﴾ فيه ﴿الْمُرْسَلُونَ﴾ أَوْفُوا حين لا ينفعهم الإفراز، وقيل: يقال لهم ذلك.

[٥٣] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كَانَتْ إِلَّا صَيِّحَةً وَجِدَّةً﴾ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا عَدْنَا ﴿مُحْضَرُونَ﴾.

[٥٤] ﴿قَالُوا لَا تَطْلُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تَحْزَنُونَ إِلَّا﴾ جزاء ﴿مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

(١) لنافع وابن عامر.

(٢) أشار بذلك إلى أن لفظ الذرية كما يطلق على الفروع يطلق على الأصول.

(٣) الأولى في تفسيرها ما ذكره ابن كثير بقوله: أي وإذا أمروا بالإنفاق مما رزقهم الله على الفقراء والمجاهدين من المسلمين... إلخ.

(٤) أي في قوله: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَطْعِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ﴾، والموقع العظيم الذي يشير إليه المصنف هو: التشجيع عليهم.

(٥) لحزمة، والقراءة المفسرة أولاً، لورث وهشام وابن كثير، وقرأوا بالخفاء حركة الخاء مع التشديد كذلك. ومثله أبو عمرو، وقيل عن أبي عمرو إنه اختلس حركة الخاء، وقرأ عاصم والكسائي: ﴿يَخِصِّمُونَ﴾.

(٦) الأولى عدم التعيين؛ فيقال: «أربعون» فقط، كما في حديث أبي هريرة عند البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥) أن النبي ﷺ قال: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوماً؟

إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ الْيَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْجَارُ عَنْ عَصَاهُمْ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَصَلَّ أَصْلٌ مِنْكُمْ جِبِلًّا ﴿٦٢﴾ كَثِيرًا أَقَلَّمْ تَكَوُّنًا تَقُولُونَ ﴿٦٣﴾ عَادَتِهِ وَإِضْلَالَهُ أَوْ مَا خَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ فَنُومُونَ؟ ﴿٦٤﴾ وَيَقَالُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بِهَا. ﴿٦٥﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَعَلَى أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ لَأَعْمَيْنَاهَا طَمَسًا ﴿٦٧﴾ فَاسْتَبَقُوا الْيَوْمَ مَكَانَتَهُمْ فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٩﴾ وَمَا أَعْلَمْنَاهُ الشَّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ ﴿٧٠﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾

﴿٥٥﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي [شُغْلٍ] بسكون الغين وضمها^(١)، نَمًا فيه أهل النار ما يتلذذون به، كافيتضاض الأبيكار، لا شغل يتعبون فيه؛ لأن لجنة لا تَصَب فيها ﴿فَاكِهُونَ﴾ ناعمون، خبر ثانٍ لـ ﴿إِنَّ﴾ والأول ﴿فِي شُغْلٍ﴾.

﴿٥٦﴾ هُمْ مبتدأ ﴿وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ﴾ جمع ظلة أو ظل؛ خبره؛ أي: تصيبهم الشمس ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ جمع أريكة؛ وهو: السرير في الحجرة^(٢)، أو الفُرش فيها ﴿مُتَّكِئُونَ﴾ خبر ثانٍ متعلق ﴿عَلَى﴾.

﴿٥٧﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَهُمْ فِيهَا ﴿مَا يَدَّعُونَ﴾ يتمنون.

﴿٥٨﴾ سَلَامٌ مبتدأ ﴿قَوْلًا﴾ أي: بالقول، خبره: ﴿وَمِنْ رَبِّ رَحِيمٍ﴾

بهم؛ أي: يقول لهم: سلام عليكم. ﴿٥٩﴾ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمُ الْيَوْمَ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٠﴾ أي: انفردوا عن المؤمنين، عند اختلاطهم بهم.

﴿٦١﴾ أَلَمْ نَعْهَدْ إِلَيْكُمْ آمْرًا ﴿بَنِي آدَمَ﴾ على لسان رسلي ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ لا تطيعوه ﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ بين العداوة.

﴿٦٢﴾ وَإِنْ أَعْبُدُونِي وَحدوني وأطيعوني ﴿هَذَا صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾.

﴿٦٣﴾ وَلَقَدْ أَصَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا خَلْقًا، جمع جبل؛ كقدم، وفي قراءة: بضم الباء^(٣) ﴿كَثِيرًا أَقَلَّمْ تَكَوُّنًا تَقُولُونَ﴾ عاداته وإضلاله، أو ما خَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ فَنُومُونَ؟

﴿٦٤﴾ وَيَقَالُ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بها.

﴿٦٥﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ ﴿أي: الكفار لقولهم: ﴿وَاللَّهُ رِئَاسًا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾﴾ ﴿وَنُكَلِّمُنَا أَيْدِيَهُمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ﴾ وغيرها ﴿بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ فكل عضو ينطق بما صدر منه.

﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ لَأَعْمَيْنَاهَا طَمَسًا ﴿فَاسْتَبَقُوا الْيَوْمَ مَكَانَتَهُمْ﴾ الطريق، ذاهبين كعادتهم ﴿فَأَنشَأُوا﴾ فكيف يصيرون؟ حينئذ؛ أي: لا يصيرون.

﴿٦٧﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ قردة وخنازير أو حجارة ﴿عَلَى مَكَانَتِهِمْ﴾ وفي قراءة: ﴿مَكَانَاتِهِمْ﴾^(٤) جمع مكانة؛ بمعنى: مكان؛ أي: في منازلهم ﴿فَمَا اسْتَطَعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ﴾ أي: لم يقدرُوا على ذهاب ولا مجيء.

﴿٦٨﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ بِاطالة أجله ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ وفي قراءة: بالتشديد^(٥)؛ من النكيس ﴿فِي الْخَلْقِ﴾ فيكون بعد قوته وشبابه ضعيفًا وهرمًا ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أن القادر على ذلك المعلوم عندهم قادرٌ على البعث فيؤمنون؟ وفي قراءة: بالناء^(٦).

﴿٦٩﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشَّعْرَ أي: النبي ﴿الشَّعْرَ﴾ رد لقولهم: إن ما أتى به من القرآن شعرٌ ﴿وَمَا يَنْبَغِي﴾ يسهل ﴿لَهُ﴾ الشعر ﴿إِنْ هُوَ﴾ ليس الذي أتى به ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾ مظهر للأحكام وغيرها.

﴿٧٠﴾ لِيُنذِرَ بِالْبَاءِ والتاء^(٧)؛ به ﴿مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ يعقل ما يخاطب به؛ وهم: المؤمنون ﴿وَيَحِقُّ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وهم كالميتين، لا يعقلون ما يخاطبون به.

(١) بالسكون لتافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) بفتحين أو بسكون الجيم مع ضم الحاء أو كسرهما، وهي قبة تعلق على السرير وتزين به العروس.

(٣) أي: مع ضم الجيم وهي لحمة والكسائي وابن كثير.

(٤) الأنعام: ٢٣.

(٥) لشعبة.

(٦) وهي قراءة عاصم وحمرة، وقرأ الباقون ﴿نُنَكِّسْهُ﴾ بالتخفيف.

(٧) لنافه، أو: ذكان.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئَانَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّى مِمَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَتَتَوَقَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَعْنَهُمْ يُنْصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُنْدٌ مُحَضَّرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ إِنَّآ نَعْلَمُ مَا يُبَيِّرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُفُّ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَبَسَّى خَلْقَهُ وَقَالَ مَنْ بَحْيٍ أَعْظَمُ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَنَ الَّذِي يَدِيرُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

[٨٢] ﴿يَمَّا أَمْرُهُ﴾ شأنه^(١) ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا﴾ أي: خلق شيء ﴿أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ أي: فهو يكون، وفي قراءة^(٢): بالنصب عطفًا على ﴿يَقُولُ﴾.

[٨٣] ﴿فَسُبْحَنَ الَّذِي يَدِيرُ مَلَكُوتَهُ﴾ ملك، زيدت الواو والناء للمبالغة؛ أي: القدرة على ﴿كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ تردون في الآخرة.

[٧١] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يعلموا، والاستفهام للتقرير، والواو الداخلة عليها للعطف ﴿أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ﴾ في جملة الناس ﴿وَمِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِيئَانَا﴾ عملناه بلا شريك ولا معين ﴿أَنْعَامًا﴾ هي: الإبل والبقر والغنم ﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ ضابطون^(١).

[٧٢] ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ سخرناها ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾ مركوبهم ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾؟.

[٧٣] ﴿وَأَلْهَمُوا فِيهَا شَتَّى مِمَّا تَشْكُرُونَ﴾ كأصوافها وأوبارها وأشعارها ﴿وَمَشَارِبُ﴾ من لبنها، جمع مشرب؛ بمعنى: شرب، أو موضعه ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ المتعجب عليهم بها فيؤمنون؟ أي: ما فعلوا ذلك.

[٧٤] ﴿وَتَتَوَقَّعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿وَاللَّهُ﴾ أصنامًا يعبدونها ﴿لَعْنَهُمْ يُنْصَرُونَ﴾ ينعون من عذاب الله تعالى - بشفاعته الهتهم، برعهم.

[٧٥] ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ أي: الهتهم، نزلوا منزلة العقلاء ﴿نَصْرَهُمْ وَهُمْ﴾ أي: الهتهم من الأصنام ﴿لَهُمْ جُنْدٌ﴾ برعهم نصرهم ﴿مُحَضَّرُونَ﴾ في النار معهم.

[٧٦] ﴿فَلَا يَخْزِيكَ قَوْلُهُمْ﴾ لك: ﴿لَسْتُ مُرْسَلًا﴾^(١) وغير ذلك ﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُبَيِّرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ من ذلك وغيره؛ فنجازيهم عليه.

[٧٧] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُفُّ﴾ يعلم؛ وهو: العاصي بن وائل ﴿أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مني، إلى أن صيرناه شديدًا قويًا ﴿وَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ﴾ شديد الخصومة لنا ﴿مُبِينٌ﴾ بيّن، في نفي البعث.

[٧٨] ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾ في ذلك ﴿وَبَسَّى خَلْقَهُ﴾ من المنج، وهو أغرب من مثله ﴿قَالَ مَنْ بَحْيٍ أَعْظَمُ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ أي: بالية؟ ولم يقل: رمية - بالناء؛ لأنه اسم لا صفة، وروي أنه أخذ عظمًا رميمًا فقتله، وقال للنبي ﷺ: أترى يحيي الله هذا بعد ما تبلى وزم؟ فقال ﷺ: نعم، ويؤيد خلائك الثار^(٢).

[٧٩] ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ﴾ مخلوق ﴿عَلِيمٌ﴾ مجملًا ومفصلًا، قبل خلقه وبعد خلقه.

[٨٠] ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ﴾ المَرْخ والغفار^(٣)، أو كل شجر إلا الغائب^(٤) ﴿نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ﴾ تقدحون، وهذا دال على القدرة على البعث؛ فإنه جمع فيه بين الماء والنار واخشب؛ فلا الماء يطفئ النار، ولا النار تحرق الخشب.

[٨١] ﴿وَأَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ مع عظمهما ﴿بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ أي: الأناسي في الصغر؟ ﴿سَلَىٰ﴾ أي: هو قادر على ذلك، أجاب نفسه ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ﴾ الكثير الخلق ﴿الْعَلِيمُ﴾ بكل شيء.

(١) أي قاهرهم مذلون، والأظهر والأولى تفسير الملك في الآية بالملك الشرعي، وإباحة التصرف فيها بسائر الوجوه الشرعية، وليكون قوله تعالى بعدها: ﴿وَذَلَّلْنَاهَا﴾ تأسيسًا لنعمة أخرى لا تنميها لما قبله.

(٢) الرعد: ٤٣.

(٣) لم أجد هذا اللفظ، لكن أخرج نحوه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والإسماعيلي في معجمه والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث والضبط في المختارة عن ابن عباس [الدر المنثور (٢٠٧/٥)]، وروي ذلك في أبي بن خلف، أيضًا كما ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٠٧/٥) عن ابن عباس وغيره.

(٤) نوعان من الشجر سريعا القدح.

(٥) لم يذكر الجلال المحلي سبب هذا الاستثناء لـ «الغائب» من جملة شجر الثار، وقال في حاشية الجمل على الجلالين: «هذا قول الحكماء، يقولون: في كل شجر نار إلا الغائب». وهذا متعقب وهو محل نظر كما ذكر القاضي كتمان في تعليقه على الجلالين.

(٦) قال ابن كثير: أي إنما يأمر بالشيء أمرًا واحدًا لا يحتاج إلى تكرار.

(٧) لابن عامر والكسائي.

بفعل مقدر؛ أي: حفظناها بالشهب **﴿مِنْ كُلِّ صُكْلٍ﴾** متعلق بالمقدر **﴿شَيْطَانٍ تَارِدٍ﴾** غابت خارج عن الطاعة. [٨] **﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾**^(١) أي: الشياطين، مستأنف^(٢)، وسماهم هو في المعنى المحفوظ عنه^(٣) **﴿إِلَى آلَاءِ الْآخِلَاءِ﴾** الملائكة في السماء، وغدّي السماع **﴿إِلَى﴾** لتضمنه معنى الإصغاء، وفي قراءة: بتشديد الميم والسين، أصله: يتسمعون؛ أدغمت التاء في السين **﴿وَيُقَدِّفُونَ﴾** أي: الشياطين بالشهب **﴿مِنْ كُلِّ جَانِبٍ﴾** من آفاق السماء.

[٩] **﴿دُحُورًا﴾** مصدر دَحَرَه؛ أي: طَرَدَه وَأَفْعَدَه، وهو مفعول له **﴿وَلَهُمْ﴾** في الآخرة **﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾** دائم. [١٠] **﴿إِلَّا مَنْ خُفِيَ لُطْفُهُ﴾** مصدر؛ أي: المرة، والاستثناء من ضمير **﴿يَسْمَعُونَ﴾** أي: لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة **﴿فَاتَّبَعَهُ يَنْهَابٌ﴾** كوكب مضيء^(٤) **﴿ثَاقِبٌ﴾** ينفبه، أو يحرقه، أو يحمله^(٥). [١١] **﴿فَأَنسَيْنَاهُمْ﴾** استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً: **﴿أَمْ أَشَدُّ حَلْفًا أَمْ مَن خَلَقْنَا﴾** من الملائكة والسموات والأرضين وما فيهما وفي الإتيان **﴿بِمَنْ﴾** تغليب العقلاء **﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾** أي: أصلهم آدم **﴿وَمِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾** لازم، يلصق باليد؛ المعنى: أن خلقهم ضعيف، فلا يتكبروا^(٦)، لأنكار النبي والقرآن، المؤدي إلى هلاكهم اليسير. [١٢] **﴿بِكُلِّ﴾** للانتقال من غرض إلى آخر؛ وهو: الإخبار بحاله وحالهم **﴿وَعَجِبْتَ﴾** بفتح التاء^(٧)، خطاباً للنبي ﷺ؛ أي: من تكذيبهم إياك **﴿وَوَيْ﴾** هم **﴿يَسْخَرُونَ﴾** من تعجبك. [١٣] **﴿وَلَوْ أَنَّا دَعَرْنَا﴾** وعطرو بالقرآن **﴿لَا يَذْكُرُونَ﴾** لا يتظنون. [١٤] **﴿وَلَوْ أَنَّا نُنَزِّلُ الْقَمَرَ﴾** **﴿يَسْخَرُونَ﴾** يستهزئون بها. [١٥] **﴿وَقَالُوا﴾** فيها: **﴿إِنْ﴾** ما **﴿هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾** يتبين. وقالوا منكرين للبعث: [١٦] **﴿أَوَدَّأَ مِنَّا وَكُنَّا نُرَبِّاُ وَعِظْلًا لِّئَلَّا نَلْبَعُونَ﴾** في الهمزتين في الموضعين التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(٨). [١٧] **﴿وَإِنَّا أَبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾** بسكون الواو عطفاً **﴿بِأَوَّلٍ﴾** وفتحها^(٩)، والهمزة للاستفهام، والعطف بالواو والمعطوف عليه محذوف **﴿إِنَّ﴾** واسمها، أو: الضمير في **﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾**، والفواصل: همزة الاستفهام. [١٨] **﴿قُلْ نَعَمْ﴾** تبعون **﴿وَأَنتُمْ دَجْرُونَ﴾** أي: صاغرون.

[١٩] **﴿فَوَيْلًا لِّمَن كَانَ يَمُورُ﴾** ضمير مبهم يفسره **﴿زَجْرًا﴾** أي: صيحة **﴿وَجِدَّةً فَإِذَا هُمْ﴾** أي: الخلائق أحياء **﴿يَنْظُرُونَ﴾** ما يفعل بهم. [٢٠] **﴿وَقَالُوا﴾** أي: الكفار: **﴿يَا﴾** للتنبيه **﴿وَلِئَلَّا﴾** هلاكنا، وهو مصدر لا فعل له من لفظه، وتقول لهم الملائكة: [٢١] **﴿هَذَا يَوْمُ الَّذِينَ﴾** يوم الحساب والجزاء. **﴿هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾** بين الخلائق **﴿الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْدِيرُونَ﴾**. ويقال للملائكة: [٢٢] **﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** أنفسهم بالشرك **﴿وَأَزَوَّجَهُمْ﴾** قرناءهم من الشياطين **﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾**. [٢٣] **﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾** أي: غيره من الأوثان **﴿فَأَعْدَوْهُمْ﴾** دلوهم وسوقوهم **﴿إِلَى صِرَاطٍ فَلْيَحْجِمِ﴾** طريق النار. [٢٤] **﴿وَقَفُّوهُمْ﴾** احبسوهم عند الصراط **﴿إِنَّهُمْ سَخِرُونَا﴾** عن جميع أوقالهم وأفعالهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّفَّاتِ صَفًّا ۖ فَالْزَجْرُ زَجْرًا ۖ فَالتَّيْلُوتِ ذِكْرًا ۚ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۚ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ۚ إِنَّا رِيتَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا نِزِينَ الْكُوكَبِ ۚ وَحَفَظَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ۚ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ۚ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۚ إِلَّا مَنْ خُفِيَ الْخُطْفَةُ فَاتَّبَعَهُ ۚ وَشَهَابٌ ثَاقِبٌ ۚ فَاسْتَفْتَاهُمْ أَهْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ ۚ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۚ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۚ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخَرُونَ ۚ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا أَسْحَرُ مُبِينٌ ۚ لَّيْلَ دَامِسَا وَكُنَّا نُرَبِّاُ وَعِظْلًا ۚ لَّئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ۚ أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ۚ قُلْ نَعَمْ وَأَنْتُمْ دَجْرُونَ ۚ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ ۚ وَقَالُوا لَوْلَا نُنَزِّلُ هَذَا يَوْمَ الدِّينِ ۚ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ تَكْدِيرُونَ ۚ ۞ أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۚ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ۚ وَقَفُّوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْغُوتُونَ ۚ

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

[مكية، مائة واثنان وثمانون آية، نزلت بعد الأنعام]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] **﴿وَالصَّفَّاتِ صَفًّا﴾** الملائكة، تُصَفُّ نفوسها في العبادة، أو أجنحتها في الهواء تنتظر ما تومر به. [٢] **﴿فَالْزَجْرُ زَجْرًا﴾** الملائكة تزرع السحاب؛ أي: تسوقه. [٣] **﴿فَالْتَّيْلُوتِ﴾** أي: قِوَاء القرآن يتلونه^(١) **﴿ذِكْرًا﴾** مصدر من معنى التاليات. [٤] **﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾** يا أهل مكة **﴿لَوَاحِدٌ﴾**. [٥] **﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ﴾** أي: والمغرب للشمس، ولها كل يوم مشرق ومغرب. [٦] **﴿إِنَّا رِيتَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾** [بزينة] الكوكب؛ أي: بضوئها أو بها، والإضافة للبيان؛ كقراءة تنوين «زينة» المبيضة بالكواكب^(٢). [٧] **﴿وَحَفَظَا﴾** منصوب

- (١) في نسخة مطبوعة: «تلوه».
- (٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقراء حفص وحزمة والكسائي: **﴿يُسْمَعُونَ﴾** بتشديد السين والميم من التسمع، وهو: تَطَلَّبُ السماع.
- (٣) أي لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم.
- (٤) المقصود بشهب تنفصل منها، كما بين ذلك في تفسير سورة الملك: «بأن ينفصل شهاب عن الكوكب كالقوس».
- (٥) في نسخة الصاوي: «فلا يتكبرون».
- (٦) راجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف، وقراء ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني، وقراء نافع والكسائي عكسه.
- (٧) قرأه ابن عامر وقالون بواو ساكنة قبلها همزة مفتوحة، وقراء الباقون بواو مفتوحة قبلها همزة مفتوحة.

[٢٥] ويقال لهم توبيخاً: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ﴾ لا ينصر بعضهم بعضاً، كحالكم في الدنيا؟ ويقال لهم: [٢٦] ﴿بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ مفادون أدلاء.

[٢٧] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يتلاومون ويتخاصمون.

[٢٨] ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حَتَّى تَأْمُرَ بِالنَّاصِرِ﴾ أي: الأتباع منهم للمتبعين: [إِنَّكُمْ كُنْتُمْ تَأْمُرُونَ عَنِ الْيَمِينِ] عن الجهة التي كنا نأمنكم منها: لِحِلْفِكُمْ أَنْكُمْ عَلَى الْحَقِّ؛ فصدقناكم واتبعناكم؛ المعنى: أنكم أضللتونا.

[٢٩] ﴿قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حَتَّى تَأْمُرَ بِالنَّاصِرِ﴾ أي: ائذ تذكروا مؤمنين؛ وإنما يصدق الإضلال وإن لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن الإيمان إلينا.

[٣٠] ﴿وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكَ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ قوة وقدرة تفهركم على متابعتنا ﴿بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ ضالين مثلنا.

[٣١] ﴿ذُنُوبَكُمْ﴾ وجب ﴿عَلَيْنَا﴾ جميعاً ﴿قَوْلَ رَبِّنَا﴾ بالعذاب؛ أي: قوله: ﴿لَا تَأْمُرُوا جَهَنَّمَ مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ أَجْمَعِينَ﴾ (١) [إِنَّا] جميعاً ﴿لَدَائِقُونَ﴾ العذاب بذلك القول، ونشأ عنه قولهم: [٣٢] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ].

[٣٣] قال - تعالى -: ﴿فَأَنبَتْهُمْ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ أي: لاشترآكم في العوابة.

[٣٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما فعل بهؤلاء ﴿تَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ غير هؤلاء؛ أي: تعذبهم، التابع منهم والمتبوع.

[٣٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: هؤلاء، بقرينة ما بعده ﴿كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

[٣٦] ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّا﴾ في همزته ما تقدم (٢) ﴿لَنَارِكُوا إِلَٰهَيْنَا لِنِشَاعِ جَبَّوْنٍ﴾ أي: لأجل محمد.

[٣٧] قال - تعالى -: ﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ الجائين به؛ وهو: أن لا إله إلا الله.

[٣٨] ﴿إِنَّكُمْ﴾ فيه التفات ﴿لَدَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾.

[٣٩] ﴿وَمَا نَحْنُ بِإِلَٰهٍ جَزَاءُ﴾ ما كنتم تَعْمَلُونَ.

[٤٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع؛ أي: ذكر جزأهم في قوله: [٤١] ﴿أُولَٰئِكَ لَهُمْ فِي الْجَنَّةِ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ بكرة وعشيقاً.

[٤٢] ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ﴾ بدل، أو: بيان للرزق؛ وهو: ما يؤكل تلذذاً لا لحفظ صحة؛ لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسامهم للأبد ﴿وَهُمْ تَكْرُمُونَ﴾ بثواب الله - سبحانه وتعالى.

[٤٣] ﴿فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

[٤٤] ﴿عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ لا يرى بعضهم قفاً بعض.

[٤٥] ﴿يُتَآفَ عَلَيْهِمْ﴾ على كل منهم ﴿يَكْبَسُ﴾ هو: الإناء بشرابه ﴿مِنْ نَّعِيمٍ﴾ من خمر يجري على وجه الأرض كأنهار الماء.

مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ آيَوْمَ مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حَتَّى تَأْمُرَ بِالنَّاصِرِ ﴿٢٨﴾ بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٢٩﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَدَائِقُونَ ﴿٣٠﴾ فَأَعْوَبْنَا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣١﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا إِلَٰهَيْنَا لِنِشَاعِ جَبَّوْنٍ ﴿٣٥﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٧﴾ لَدَائِقُوا الْعَذَابِ الْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا نَحْنُ بِإِلَٰهٍ جَزَاءُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَيْلٌ لَهُمْ فَوَيْلٌ لَهُمْ فَوَيْلٌ لَهُمْ ﴿٤٢﴾ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٣﴾ يُتَآفَ عَلَيْهِمْ ﴿٤٤﴾ يَكْبَسُ ﴿٤٥﴾ مِنْ نَّعِيمٍ ﴿٤٦﴾

[٤٦] ﴿يَبَصَّاءُ﴾ أشد بياضاً من اللبن ﴿لَذَّةٌ﴾ لذيدة ﴿لِلشَّرْبِ﴾

بخلاف خمر الدنيا؛ فإنها كريهة عند الشرب.

[٤٧] ﴿لَا فِيهَا عِوَالٌ﴾ ما يغتال عقولهم ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْزَوْنَ﴾ بفتح الزاي وكسرهما (٣)؛ من زُوف الشارب، وأزُف؛ أي: يسكرون بخلاف خمر الدنيا.

[٤٨] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتُ الْظَّرْفِ﴾ حابسات الأعين على أزواجهم، لا يُنْظَرُونَ إلى غيرهم لحسنهم عندهن ﴿عَيْنٌ﴾ ضخام الأعين حسانها.

[٤٩] ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ في اللون ﴿يَبِينُ﴾ للنعام ﴿مَكْنُونٌ﴾ مستور بريشه لا يصل إليه غبار، ولونه - وهو البياض في صفة - أحسن ألوان النساء.

[٥٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عن بعض أهل الجنة ﴿عَنِ بَعْضِ يَتَسَاءَلُونَ﴾ عما مر بهم في الدنيا.

[٥١] ﴿قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ صاحب يتيكز البعث.

(١) هود: ١١٩.

(٢) أي: من التحقيق وتسهيل الثانية بألف ودونها.

(٣) بالكسر قراءة حمزة والكسائي.

الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٨﴾ معك في النار.

[٥٨] ويقول أهل الجنة: ﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾. [٥٩] ﴿إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى﴾ أي: التي في الدنيا ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾؟ هو استفهام تلذذ وتحذير بنعمة الله - تعالى - من تأييد الحياة وعدم التعذيب^(١).

[٦٠] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذي ذُكِرَ لأهل الجنة ﴿لَهُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ﴾.

[٦١] ﴿لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْغُلَاظُ﴾ قيل: يقال لهم ذلك. وقيل: هم يقولونه.

[٦٢] ﴿أَذَلِكَ﴾ المذكور لهم ﴿خَيْرٌ نَزْلًا﴾ وهو ما يُعَدُّ للنازل، من ضيف وغيره ﴿وَأَمْ سَجَرَةُ الزُّرُومِ﴾ المعدة لأهل النار؟ وهي من أحببت الشجر المرء بقهامة، يُثِقُّهَا اللهُ فِي الْجَحِيمِ؛ كما سيأتي.

[٦٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا﴾ بذلك ﴿فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: الكافرين من أهل مكة؛ إذ قالوا: النار تحرق الشجر فكيف تنبت؟

[٦٤] ﴿إِنَّهَا سَجَرَةٌ تُخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ﴾ أي: قعر جهنم، وأغصانها ترتفع إلى ذُرِّكَانِهَا.

[٦٥] ﴿طَلْعُهَا﴾ المشبه بطلع النخل ﴿كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ الحيات^(٢) القبيحة المنظر.

[٦٦] ﴿فَالْيَهُودُ﴾ أي: الكفار ﴿لَا يَكُونُ مِنْهَا﴾ مع فبحها؛ لشدة جوعهم ﴿فَمَا لَوْ مِنْهَا الْظُّلُمُ﴾.

[٦٧] ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوًّا بِزَنِّ حَيْمَرٍ﴾ أي: ماء حار يشربونه، فيختلط بالماكول منها؛ فيصير شوتاً^(٣) له.

[٦٨] ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾ يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الحميم، وأنه خارجها^(٤).

[٦٩] ﴿إِنَّهُمْ الْقَوْمُ وَجَدُوا﴾ عَذَابَهُمْ صَالِينَ.

[٧٠] ﴿ثُمَّ عَلَى آتِهِمْ هَرَعٌ﴾ يُرْعَعُونَ إلى اتباعهم فيسرعون إليه.

[٧١] ﴿وَلَقَدْ صَلَّ بِلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولَى﴾ من الأمم الماضية.

[٧٢] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ﴾ من الرسل مخوفين.

[٧٣] ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَرِّينَ﴾ الكافرين؛ أي: عاقبتهم العذاب.

[٧٤] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ﴾ [الْمُخْلِصِينَ]^(٥) أي: المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب؛ لإخلاصهم في العبادة، أو لأن الله أحلصهم لها، على قراءة فتح اللام.

[٧٥] ﴿وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا﴾ بقوله: «رب أني مغلوب فأنصِرْ»^(٦) ﴿فَلْيَعْمَ﴾

الْمُجِيبُونَ له نحن؛ أي: دعانا على قومه، فأهلكناهم بالغرق.

[٧٦] ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الغرق.

يَقُولُ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٨﴾ إِذْ آمَنَّا وَكُنَّا ثَرِيًّا وَعِظْمَاءَ إِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٩﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ ﴿٦٠﴾ فَأُطْلِعَ قَوْمَهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٦١﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينَ ﴿٦٢﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦٣﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٦٤﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٦٥﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَوْمُ الْعَظِيمُ ﴿٦٦﴾ لِيُثِلَ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمِلُونَ ﴿٦٧﴾ أَذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ سَجَرَةُ الزُّرُومِ ﴿٦٨﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ﴿٦٩﴾ إِنَّهَا سَجَرَةٌ تُخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٧٠﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٧١﴾ فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُ مِنْهَا لَظُونٌ مِنْهَا الْظُّلُمُ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوًّا بِزَنِّ حَيْمَرٍ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ الْقَوْمُ آتَاءَهُمْ صَالِينَ ﴿٧٤﴾ فَهُمْ عَلَى آتِهِمْ هَرَعُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ صَلَّ بِلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولَى ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٧٧﴾ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَذَرِّينَ ﴿٧٨﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ نَادَيْنَا نُوْحًا فَلْيَعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٨٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٨١﴾

[٥٢] ﴿يَقُولُ﴾ لي تبيكتا: ﴿أَهْ نَكْ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ بالبعث.

[٥٣] ﴿لَوْأَ مَنَّا وَكُنَّا ثَرِيًّا وَعِظْمَاءَ إِنَّا﴾ في الهمزتين في الثلاثة مواضع ما تقدم^(١) ﴿لَمَدِينُونَ﴾ مجزيون ومحاسبون؟ أنكر ذلك أيضًا.

[٥٤] ﴿قَالَ﴾ ذلك القائل لإخوانه: ﴿هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ﴾ معي إلى النار لننظر حاله؟ فيقولون: لا.

[٥٥] ﴿فَأُطْلِعَ﴾ ذلك القائل من بعض كُؤَى الجنة ﴿قَوْمَهُ﴾ أي: رأى قرينه ﴿فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ في وسط النار.

[٥٦] ﴿قَالَ﴾ له تسميًا: ﴿تَاللَّهِ إِنْ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كِدْتَ﴾ قاربت ﴿لَتُرْدِينَ﴾ لتهلكني يا غواثك.

[٥٧] ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ علي في الدنيا بالإيمان ﴿لَكُنْتُ مِنَ

(١) أي: بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركه، وقرأ ابن عامر بالإخبار في الأول والاستفهام في الثاني. وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٢) أي: فهو من كلام بعض أهل الجنة لبعض، وقيل: من كلام المؤمنين للملائكة حين ذبح الموت، ويحتمل أن يكون هذا خطاب من أهل الجنة لأهل النار، على سبيل التبكيت لهم، والتذكير بقولهم هذا في الدنيا؛ حيث كانوا ينكرون البعث والعذاب.

(٣) قيل: لمرد بذلك ضرب من الحيات، رهوسها بشعة، واختار ابن كثير أن الآية على ظاهرها، وأنها رهوس الشياطين حقيقة، وإن سم تكن معروفة عند الغاطيين؛ لأنه استقر في النفوس أن الشياطين قبيحة المنظر.

(٤) أي: فيصير الحميم شوتاً؛ أي: خليطاً للزقوم.

(٥) مقصود المصنف أن الكفار يؤخذ بهم من الجحيم إلى الجحيم ثم يرجعون إلى الجحيم، وهما في النار؛ وليس المقصود خروجهم من النار لقوله تعالى فيهم: ﴿وَمَا لَهُمْ بِخَيْرٍ مِنْ أَلْثَارٍ﴾ [البقرة: ١٦٧].

(٦) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَالْمُخْلِصِينَ﴾ بفتح اللام.

(٧) القمر: ١٠.

فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَتَلَّهِ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَلَّيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعَهُمْ ﴿١٠٤﴾
 قَدْ صَدَّقَتْ الرُّسُلُ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ
 هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا
 عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَمًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ تَجْزِي
 الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ
 بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ
 وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا
 عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَخَيَّجْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ
 الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَتَوَصَّيْنَاهُمَا فَكَاوُؤَهُمُ الْعَالِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا
 الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾
 وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَمًا عَلَى مُوسَى
 وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا
 مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنْ إِلَاسَ لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾
 إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ
 الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

[١٠٣] ﴿فَلَمَّا أَسْلَمُوا﴾ خَضَعُوا وَأَطَاعُوا أَمْرَ اللَّهِ - تعالى - ﴿وَتَلَّيْنَاهُ﴾ لَجَّيْنَاهُ
 صَرَعْنَاهُ عَلَيْهِ، ولكل إنسان جبينان بينهما الجبهة، وكان ذلك يعني، وأمر
 السكين على خلقه فلم تعمل شيئاً مانع من القدرة الإلهية.
 [١٠٤] ﴿وَتَلَّيْنَاهُ أَنْ يَتَّبِعَهُمْ﴾ [١٠٥] ﴿قَدْ صَدَّقَتْ الرُّسُلُ﴾ بما
 أتيت به مما أمكنك من أمر الذبح أي: بكفبك ذلك، فجملة ﴿وَتَلَّيْنَاهُ﴾

جواب «لما» بزيادة الواو ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كما جزيناك ﴿تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾
 لأنفسهم بامتنال الأمر، بإفراج الشدة عنهم. [١٠٦] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ الذبح
 المأمور به ﴿هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾ أي: الاختبار الظاهر. [١٠٧] ﴿وَفَدَيْنَاهُ﴾ أي:
 المأمور بذبحه؛ وهو: إسماعيل أو إسحاق، قولان^(١) ﴿بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾
 عظيم من الجنة، وهو الذي قُوت به هابيل^(٢)، جاء به جبريل الطائفة، فذبحه
 السيد إبراهيم مكبواً. [١٠٨] ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبينا ﴿عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء
 حسناً. [١٠٩] ﴿سَلَمًا﴾ ميثاً ﴿عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾. [١١٠] ﴿كَذَلِكَ﴾ كما
 جزيناه ﴿تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم. [١١١] ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.
 [١١٢] ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ استدل بذلك على أن الذبح غيره ﴿بَنِيًّا﴾ حال
 مقدرة؛ أي: يوجد مقدراً نبوته ﴿وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾. [١١٣] ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا﴾
 بتكثير ذريته ﴿وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ ولده؛ جعلنا أكثر الأنبياء من نسله
 ﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا نَحْسٌ﴾ مؤمن ﴿وَقَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ كافر ﴿مُبِينٌ﴾ بين
 الكفر.

[١١٤] ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ بالبوّة. [١١٥] ﴿وَتَوَصَّيْنَاهُمَا﴾
 وقومهما بني إسرائيل ﴿مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ أي: استبعاد فرعون
 إياهم. [١١٦] ﴿وَتَوَصَّيْنَاهُمَا﴾ على القبط ﴿فَكَاوُؤَهُمُ الْعَالِينَ﴾. [١١٧]
 ﴿وَأَتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام
 وغيرها، وهو: التوراة. [١١٨] ﴿وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ﴾ الطريق ﴿الْمُسْتَقِيمَ﴾.
 [١١٩] ﴿وَتَرَكْنَا﴾ أبينا ﴿عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ﴾ ثناء حسناً.
 [١٢٠] ﴿سَلَمًا﴾ ميثاً ﴿عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾. [١٢١] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾
 كما جزيناهما ﴿تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾. [١٢٢] ﴿إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.
 [١٢٣] ﴿وَإِنْ إِلَاسَ﴾ بالهمزة أوله وتركه^(٣) ﴿لِمَنْ الْمُرْسَلِينَ﴾ قيل:
 هو ابن أخي^(٤) هارون أخي موسى. وقيل: غيره. أرسل إلى قوم يعلبك
 ونواحيها. [١٢٤] ﴿إِذْ﴾ منصوب بـ «اذكر» مقدراً ﴿قَالَ لِقَوْمِهِ أَلا تَتَّقُونَ﴾
 الله؟ [١٢٥] ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ اسم صنم لهم من ذهب، وبه سمي البلد أيضاً
 مضافاً إلى «بك»؛ أي: أتعبدونه ﴿وَتَذَرُونَ﴾ تركون ﴿أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ﴾ فلا
 تعبدهونه؟ [١٢٦] ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ﴾ برفع الثلاثة
 على إضمار «هو»، ونصبها^(٥) على البدل من «أحسن».

(١) والراجع الأول: أنه إسماعيل، وهو الذي تشهد له النصوص، وكذا سياق الآيات بعدها حيث قال: ﴿وَتَرَكْنَاهُ بِإِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٢]، بعد أن ذكر قصة الذبح فدل على أنه غيره.

(٢) ذكر هذا الطبري (٨٦/٢٣) عن ابن عباس، وأخرج عنه أيضاً (٨٧/٢٣) أنه كبش من الجنة وعليه أكثر المفسرين، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (١١٣/٧) لأن أي شية وابن النذر وابن أبي حاتم، وقيل: بل هو كبش من الكباش المعروفة. والأولى الاقتصار على وصف القرآن، وأنه ذبح عظيم.

(٣) قرأ ابن ذكوان بترك الهمزة - وموصلاً - فإذا ابتدأ فتح الهمزة.

(٤) هكذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي كنعان: «ابن هارون»؛ أي من ذريته، قال: وهو الصحيح، والآخر سهو؛ لأن إيلاس من ذرية هارون، وتقدم مثل ذلك في تفسير الأنعام: (٨٦).

(٥) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة.

[١٢٧] ﴿كَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ في النار. [١٢٨] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين منهم فإنهم نجوا منها.
[١٢٩] ﴿وَرَزَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْأَخْيَرِينَ﴾ ثناء حسناً.

[١٣٠] ﴿سَلَّمَ﴾ مئاً ﴿عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ قيل: هو إيلياس المتقدم ذكره. وقيل: هو ومن آمن معه؛ فجمعوا معه تغليظاً؛ كقولهم للمهلب وقومه: المهلبون، وعلى قراءة: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ بالمد^(١)؛ أي: أهله، المراد به إيلياس أيضاً.
[١٣١] ﴿إِنَّا كَذَّبُكَ﴾ كما جزيناه ﴿بِحَجْرِي الْمُحْسِنِينَ﴾. [١٣٢] ﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا النَّاسِ خَلْقٌ كَذِبٌ﴾ [١٣٣] ﴿وَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ اذكر [١٣٤] ﴿وَإِنْ يَنْتَهِ وَآهْلُهُ أَجْمَعِينَ﴾ [١٣٥] ﴿وَلَا عِزُّوا فِي الْفَتَرِينَ﴾ أي: الباقين في العذاب. [١٣٦] ﴿فَنُمِّدْنَاهُمْ أَهْلَكُنَا﴾ [الْآخِرِينَ] كفار قومه. [١٣٧] ﴿وَيَذْكُرُ لَكُمْ وَلَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ﴾ على آثارهم ومنازلهم في أسفاركم ﴿مُضْجِعُهُمْ﴾ أي: وقت الصباح؛ يعني: بالنهار. [١٣٨] ﴿وَيَأْتِيهِمْ أَفْلاكٌ ثَقِيلَةٌ﴾ يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به؟! [١٣٩] ﴿وَلَيْسَ لَكُمُ الْمَوْلُودُ﴾ [١٤٠] ﴿إِذْ أَتَىٰ الْفُلَّكَ الْغَمُّ﴾ السفينة المملوءة حين غاصبت قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذي وعدهم به؛ فركب السفينة، فوفقت في لجة البحر، فقال الملاحون: هنا عبد أبق من سيده تظهره القرعة^(٢). [١٤١] ﴿فَسَأَلَهُمْ﴾ فَارْزُقْ أَهْلَ السَّفِينَةِ ﴿فَكَانَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ المغلوتين بالقرعة؛ فألقوه في البحر. [١٤٢] ﴿فَأَلْقَمَهُ الْخَوْفَ﴾ ائْتَلَعَهُ ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ أي: آتٍ بما يَلَامُ عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه. [١٤٣] ﴿فَقُلْنَا إِنَّكَ كَانَتْ مِنَ الْمُسْحِقِينَ﴾ الذاكرين بقوله كثيراً في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾. [١٤٤] ﴿لَلَّيْتُ فِي ظَنِينٍ﴾ إِلَىٰ يَوْمٍ يُبْعَثُونَ لصار بطن الحوت قفراً له إلى يوم القيامة. [١٤٥] ﴿فَبَدَّلْنَاهُ﴾ أي: ألقيناه من بطن الحوت ﴿بِالْعُرْكِ﴾ بوجه الأرض؛ أي: بالساحل من يومه، أو بعد ثلاثة، أو سبعة أيام، أو عشرين، أو أربعين يوماً^(٣) ﴿وَهُوَ سَيِّئٌ﴾ غليل كالفرخ المُنْعِط^(٤). [١٤٦] ﴿وَأَلْبَسْنَاهُ عَلَيْهِ سَجْرَةً مِّنْ يَقْطِينٍ﴾ وهي: القَرْعُ تظله بساق على خلاف العادة في القرع معجزة له، وكانت تأتيه وِعْلَةً^(٥) صباحاً ومساءً يشرب من لبنها حتى قوي. [١٤٧] ﴿وَأَرْسَلْنَاهُ﴾ بعد ذلك كَقَبِيلِهِ إِلَىٰ قَوْمِ بَيْبَنِيَّوَىٰ من أرض الموصل ﴿إِنَّا بِأَمْرِ آلِ الْفُؤَادِ﴾ بل ﴿يُرِيدُونَ﴾ عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفاً. [١٤٨] ﴿فَأَمَّنُوا﴾ عند معاينة العذاب الموعودين به ﴿فَمَتَّعْنَاهُمْ﴾ أبقيناهم متمعين بما لهم ﴿إِنَّا جِئْنَا بِتَنْقِضِي أَجَالِهِمْ فِيهِ﴾. [١٤٩] ﴿فَأَسْتَفْتِيهِمْ﴾ استخبر كفار مكة نوبيحاً لهم: ﴿أَرَأَيْكَ الْبَنَاتُ﴾

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَرَزَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَّمَ ﴿١٣٠﴾ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٣١﴾ إِنَّا كَذَّبُكَ ﴿١٣٢﴾ كَمَا جَزَيْنَاهُ بِحَجْرِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا النَّاسِ خَلْقٌ كَذِبٌ ﴿١٣٤﴾ وَلَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ ﴿١٣٥﴾ وَإِنْ يَنْتَهِ وَآهْلُهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٦﴾ فَنُمِّدْنَاهُمْ أَهْلَكُنَا ﴿١٣٧﴾ الْآخِرِينَ ﴿١٣٨﴾ كَفَارَ قَوْمِهِ ﴿١٣٩﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْشَىٰ ﴿١٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ إِسْرَافَاقُ الْفُلِّ الْغَمُّ ﴿١٤١﴾ فَسَأَلَ الْفُلَّكَ الْغَمُّ ﴿١٤٢﴾ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٣﴾ فَكُنَّا نَبَيِّنُكَ لِقَوْمِ الْغَالِيَةِ ﴿١٤٤﴾ لَلَّيْتُ فِي ظَنِينٍ ﴿١٤٥﴾ فَبَدَّلْنَاهُ ﴿١٤٦﴾ بِالْعُرْكِ ﴿١٤٧﴾ وَارْزُقْ أَهْلَ السَّفِينَةِ ﴿١٤٨﴾ فَكَانَ مِنَ الدُّنْيَا ﴿١٤٩﴾ فَاسْتَفْتِيهِمْ ﴿١٥٠﴾ أَرَأَيْكَ الْبَنَاتُ ﴿١٥١﴾ أَلَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ مُّشْكِرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَ إِسْرَافَاقُ الْفُلِّ الْغَمُّ ﴿١٥٣﴾ فَاسْتَفْتِيهِمْ ﴿١٥٤﴾ أَرَأَيْكَ الْبَنَاتُ ﴿١٥٥﴾ أَلَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ مُّشْكِرُونَ ﴿١٥٦﴾ وَلَقَدْ جَاءَ إِسْرَافَاقُ الْفُلِّ الْغَمُّ ﴿١٥٧﴾ فَاسْتَفْتِيهِمْ ﴿١٥٨﴾ أَرَأَيْكَ الْبَنَاتُ ﴿١٥٩﴾ أَلَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ مُّشْكِرُونَ ﴿١٦٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ إِسْرَافَاقُ الْفُلِّ الْغَمُّ ﴿١٦١﴾ فَاسْتَفْتِيهِمْ ﴿١٦٢﴾ أَرَأَيْكَ الْبَنَاتُ ﴿١٦٣﴾ أَلَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ مُّشْكِرُونَ ﴿١٦٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَ إِسْرَافَاقُ الْفُلِّ الْغَمُّ ﴿١٦٥﴾ فَاسْتَفْتِيهِمْ ﴿١٦٦﴾ أَرَأَيْكَ الْبَنَاتُ ﴿١٦٧﴾ أَلَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ مُّشْكِرُونَ ﴿١٦٨﴾ وَلَقَدْ جَاءَ إِسْرَافَاقُ الْفُلِّ الْغَمُّ ﴿١٦٩﴾ فَاسْتَفْتِيهِمْ ﴿١٧٠﴾ أَرَأَيْكَ الْبَنَاتُ ﴿١٧١﴾ أَلَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ مُّشْكِرُونَ ﴿١٧٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَ إِسْرَافَاقُ الْفُلِّ الْغَمُّ ﴿١٧٣﴾ فَاسْتَفْتِيهِمْ ﴿١٧٤﴾ أَرَأَيْكَ الْبَنَاتُ ﴿١٧٥﴾ أَلَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ مُّشْكِرُونَ ﴿١٧٦﴾ وَلَقَدْ جَاءَ إِسْرَافَاقُ الْفُلِّ الْغَمُّ ﴿١٧٧﴾ فَاسْتَفْتِيهِمْ ﴿١٧٨﴾ أَرَأَيْكَ الْبَنَاتُ ﴿١٧٩﴾ أَلَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ مُّشْكِرُونَ ﴿١٨٠﴾

برعهم أن الملائكة بنات الله ﴿وَلَهُنَّ الْبُيُوتُ﴾ فيختصن بالأنس؟

[١٥٠] ﴿أَلَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ مُّشْكِرُونَ﴾ خلقنا؛ فيقولون ذلك؟

[١٥١] ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ أَفْكِهَمُ﴾ كذبههم ﴿يَقُولُونَ﴾: [١٥٢] ﴿وَلَقَدْ أَنشَأَ﴾ يقولهم: الملائكة بنات الله. ﴿وَلَهُنَّ الْبُيُوتُ﴾ فيه.

[١٥٣] ﴿أَسْأَلُكُمْ﴾ بفتح الهمزة للاستفهام، واستغني بها عن همزة الوصل فحذفت؛ أي: أختار ﴿الْبَنَاتِ عَلَى الْبُيُوتِ﴾؟

(١) وهي قراة نافع وابن عامر.

(٢) ذكر ابن كثير وأكبر المفسرين أن السفينة ما أشرفت على الفرق ساهموا على من تقع عليه القرعة ليلقى به في البحر لتخف السفينة، فوفقت القرعة على نبي الله يونس ثلاث مرات، وهم بضنون به أن يلقي من بينهم.

(٣) ولا دليل على شيء من تلك الأقوال.

(٤) المُنْعِط: أي: المتوقف الشعر.

(٥) وهي أمي الزعبل؛ ذكر الأروى، وهو الشاة الجبلية.

فإنهم ينزهون الله - تعالى - عما يصفه هؤلاء. [١٦١] ﴿فَالْيَكْرُ وَمَا يَنْبُذُونَ﴾ من الأصنام. [١٦٢] ﴿مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ﴾ أي: على معبودكم، و﴿عَلَيْهِ﴾ متعلق بقوله: ﴿يَقْتَنِينَ﴾ أي: أحدًا^(١). [١٦٣] ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَنَّةِ﴾ في علم الله - تعالى. قال جبريل للنبي ﷺ: [١٦٤] ﴿وَمَا يَتَّكَ﴾ معشر الملائكة أحدًا ﴿إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ﴾ في السماوات يقبض الله فيه لا يتجاوزها.

[١٦٥] ﴿وَمَا لَنْتَحْنُ الصَّافُونَ﴾ أقدامنا في الصلاة. [١٦٦] ﴿وَمَا لَنْتَحْنُ الْمُسَيِّئُونَ﴾ المنزهون الله عما لا يليق به. [١٦٧] ﴿وَأَيْنَ﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كَانُوا﴾ أي: كفار مكة ﴿يَقُولُونَ﴾: [١٦٨] ﴿لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا كِتَابًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من كتب الأمم الماضية.

[١٦٩] ﴿لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ العبادة له. [١٧٠] قال - تعالى -: ﴿فَكُنَّا بِرَبِّهِ﴾ بالكتاب الذي جاءهم؛ وهو: القرآن الأشرف من تلك الكتب ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عاقبة كفرهم.

[١٧١] ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَيْفَانَا﴾ بالنصر ﴿لِإِنَّا الْفَرَسِينَ﴾ وهي: ﴿لَاغَلِيَّتُ أَتَا وَرُسُلِي﴾^(٢). أو هي قوله: [١٧٢] ﴿إِنَّهُمْ لَكُمُ الْمَصْرُورُونَ﴾. [١٧٣] ﴿وَلَوْلَا جُنْدَانَا﴾ أي: المؤمنين ﴿لَهُمُ النَّارُ الْكُفَّارُ﴾ بالكفرة، بالحجة والنصرة عليهم في الدنيا، وإن لم ينتصر بعض منهم في الدنيا، ففي الآخرة. [١٧٤] ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أي: أعرض عن كفار مكة ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ تومر فيه بقائلهم.

[١٧٥] ﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ إذا نزل بهم العذاب ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ عاقبة كفرهم. ﴿فَقَالُوا﴾ استهزاء: متى نزل هذا العذاب؟!.

[١٧٦] قال - تعالى - تهديدًا لهم: ﴿أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ؟﴾. [١٧٧] ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾ بفنائهم، قال الفراء: «العرب تكلفي بذكر الساحة عن القوم» ﴿فَسَاءَ﴾ بفس صباحا ﴿صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ﴾ فيه إقامة الظاهر مقام المضمري.

[١٧٨] ﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ﴾. [١٧٩] ﴿وَأَبْصِرْ سَفَوفَ يَبْصُرُونَ﴾ كرر تأكيدًا لتهديدهم وتسلية له ﷺ. [١٨٠] ﴿سُبْحَنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ﴾ الغلبة ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن له ولدا. [١٨١] ﴿وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ المبلغين عن الله التوحيد والشرائع. [١٨٢] ﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على نصرهم وهلاك الكافرين.

مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ^(١) أَفَلَا تَذَكَّرُونَ^(٢) أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ^(٣) فَأَنُؤِ بِكَيْدِكُمْ إِن كُنتُمْ صٰدِقِينَ^(٤) وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسيبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ^(٥) سُبْحٰنَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ^(٦) إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ^(٧) فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ^(٨) مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِقٰتِلِينَ^(٩) إِلَّا مَن هُوَ صٰلِي الْجَبْرِ^(١٠) وَمَا مَنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ^(١١) وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّٰفُونَ^(١٢) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسِيحُونَ^(١٣) وَإِن كَانُوا يَقُولُونَ^(١٤) لَو أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِّنَ الْأَوَّلِينَ^(١٥) لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ^(١٦) فَكُفِّرُوا بِهِ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ^(١٧) وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَهْمُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ^(١٨) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ^(١٩) وَإِن جُنَدُنَا لَهُمُ الْعٰلِبُونَ^(٢٠) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ^(٢١) وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ^(٢٢) أَفَعِدَّائِنَا يَسْتَعْجِلُونَ^(٢٣) فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ^(٢٤) وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ^(٢٥) وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ^(٢٦) سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ^(٢٧) وَسَلِّمْ عَلَى الْمُرْسَلِينَ^(٢٨) وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعٰلَمِينَ^(٢٩)

سُبْحٰنَ رَبِّكَ رَبِّ الْعٰلَمِينَ

[١٥٤] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟ [١٥٥] ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ يادغام التاء في الدال^(١)، أنه - سبحانه - وتعالى - منزه عن الولد؟ [١٥٦] ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطٰنٌ مُّبِينٌ﴾ حجة واضحة أن لله ولدا؟ [١٥٧] ﴿فَأَنُؤِ بِكَيْدِكُمْ﴾ التوراة، فأروني ذلك فيه ﴿إِن كُنتُمْ صٰدِقِينَ﴾ في قولكم ذلك. [١٥٨] ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾ - تعالى - ﴿وَبَيْنَ الْجَنَّةِ﴾ أي: الملائكة؛ لا يجتنبونهم^(٢) عن الأبصار ﴿نَسيبًا﴾ بقولهم: إنها بنات الله. ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أي: قائل ذلك ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ للنار، يعذبون فيها. [١٥٩] ﴿سُبْحٰنَ اللَّهِ﴾ تنزيها له ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ بأن لله ولدا. [١٦٠] ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ أي: المؤمنين، استثناء منقطع؛ أي:

(١) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ بتخفيف الدال.

(٢) أي: استأمرهم.

(٣) أي: بمضلين أحدًا.

(٤) المجادلة: ٢١.

سُورَةُ صَٰ

[مكية، ست، أو: ثمان وثمانون آية، نزلت بعد القمر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿صَ﴾ الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ أي: البيان أو الشرف، وجواب هذا القسم محذوف؛ أي: ما الأمر كما قال كفار مكة، من تعدد الآلهة.

[٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿فِي عَذَابٍ حَمِيَّةٍ﴾ وتكبر عن الإيمان ﴿وَيَسْتَفِيقُ﴾ خلاف وعداوة للنبي ﷺ.

[٣] ﴿كَمْ﴾ أي: كثيرا ﴿أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَوْمٍ﴾ أي: أمة من الأمم الماضية ﴿فَمَأْوَاهُمْ﴾ حين نزول العذاب بهم ﴿وَلَا تَجِدُ مِنْهُمْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ أي: ليس الحين حين فرار، والثنا زائدة، والجملة حال من فاعل «مأواهم» أي: استغاثوا، والحال أن لا مهرب ولا منجى، وما اعتبر بهم كفار مكة.

[٤] ﴿وَيَعْبُورُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ﴾ رسول من أنفسهم، يندهرهم ويخوفهم النار بعد البعث وهو النبي ﷺ ﴿وَقَالَ الْكَاذِبُونَ﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر: ﴿هَذَا سَجْرٌ كَذَابٌ﴾ [٥] ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ حيث قال لهم: قولوا: لا إله إلا الله، أي: كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟! ﴿إِنَّ هَذَا لَكُنْزٌ﴾ أي: عيب. ﴿وَأَنطَلَقُ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾ من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسماعهم فيه من النبي ﷺ: ﴿قولوا: لا إله إلا الله﴾ (١) ﴿أَنْ أَمْسُوا﴾ يقول بعضهم لبعض: امشوا ﴿وَأَصْبِرُوا عَلَى الْهَيْكَةِ﴾ اثبتوا على عبادتها ﴿إِنَّ هَذَا﴾ المذكور من التوحيد ﴿لَكُنْزٌ يُرَادُّ﴾ منا. [٧] ﴿مَا يَتَعَنَا يَتَدَا فِي آلِهَتِهِ الْآخِرَةِ﴾ أي: ملة عيسى ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هَذَا إِلَّا أَتَيْنَاكُمْ﴾ كذب.

[٨] ﴿أَمْزِلْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وتركة (٢) ﴿عَلَيْهِ﴾ على محمد ﴿الذِّكْرِ﴾ أي: القرآن ﴿مِنْ بَيْنَيْنَا﴾ وليس بأكبرنا ولا أشرفنا؛ أي: لم ينزل عليه، قال - تعالى -: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي﴾ أي: القرآن حيث كذبوا الجاني به ﴿بَلْ لَمَّا﴾ لم ﴿يَدْعُوا عَذَابٌ﴾ ولو ذاقوه لصدفوا النبي ﷺ فيما جاء به ولا ينفعهم التصديق حينئذ. [٩] ﴿أَرِ عَنَّهُمْ خِزَانِ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ﴾ الغالب ﴿الْوَهَّابِ﴾ من النبوة وغيرها، فيعطونها من شاءوا! [١٠] ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ والشرك ﴿وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهَا﴾ إن زعموا ذلك ﴿فَلْيَرْفَعُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ الموصلة إلى السماء، فيأتوا بالوحي، فيخصوا به من شاءوا! ﴿وَأَم﴾ في الموضوعين بمعنى همزة الإنكار. [١١] ﴿جُنْدٌ مَا﴾ أي: هم جند حقير ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ في تكذيبهم لك ﴿مَهْرُومٌ﴾ صفة «جند» ﴿وَبَيْنَ الْأَحْزَابِ﴾ صفة «جند» أيضا؛ أي:

كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك، وأوتيك قد قهروا

وأهلكوا، فكذا نهلك هؤلاء. [١٢] ﴿كَذَّبَتْ قَبَائِلُمْ قَوْمُ نُوحٍ﴾ ثابث «قوم» باعتبار المعنى ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ دُو الْأَوْتَادِ﴾ كان يتد لك من يغضب عليه أربعة أوتاد يشند إليها يديه ورجليه ويعذبه. [١٣] ﴿وَتَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لَيْكَةِ﴾ أي: الغيبة (٣)، وهم قوم شعيب عليه السلام ﴿وَأُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾. [١٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿كُلُّ﴾ من الأحزاب ﴿إِلَّا كَذَّبَتْ أَرْسُلَ﴾ لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم؛ لأن دعوتهم واحدة، وهي دعوة التوحيد ﴿فَحَقَّ﴾ وجب ﴿عِقَابٌ﴾. [١٥] ﴿وَمَا يَنْظُرُ﴾ ينتظر ﴿هَٰؤُلَاءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا صَبَاحَهُ وَجَدَهُ﴾ هي نفخة القيامة، تحمل بهم العذاب ﴿مَا لَهَا مِنْ قَوَائٍ﴾ بفتح الفاء وضمة (٤)؛ رجوع ﴿وَقَالُوا لَوْ﴾ لما نزل: ﴿فَأَنْتَ مَنْ أَوْفَى كَيْفَ يَبِينُ﴾ (٥) الخ: [١٦] ﴿رَبَّنَا نَجِّلْ لَنَا وَطَنًا﴾ أي: كتاب أعمالنا ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ قالوا ذلك استهزاء.

وأخرج الحاكم (٦٣٦). وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤٣٢/٢)، وصححه إسناده ووافقه الذهبي.

وأخرج الحاكم الفصة مختصرة عن ابن عباس (٤٣٢/٢)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وحسنه صاحب الاستيعاب (١٦٤/٣).

(١) يشير إلى ما أخرجه الترمذي (٣٢٣٢) من حديث ابن عباس وقال: هذا حديث حسن صحيح، أن قريشا شكوا النبي ﷺ إلى أبي طالب، فقال: «يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟» قال: «إني أريد منهم كلمة واحدة، تدن لهم العرب، وتودي إليهم العجم الحرة.» قال: «كلمة واحدة؟» قال: «كلمة واحدة.» قال: «يا عم، يقولوا: لا إله إلا الله؟» فقالوا: «إلهنا واحد؟! ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة، إن هذا لا اختلاق.» قال: فنزل فيه القرآن: ﴿صَ﴾. ﴿وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ﴾ إلى قوله: ﴿مَا يَتَعَنَا يَتَدَا فِي آلِهَتِهِ الْآخِرَةِ﴾ إلى خَلَا إِلَّا أَتَيْنَاكُمْ. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف سنن الترمذي (٦٣٦).

(٢) وأخرجه الحاكم في مستدركه (٤٣٢/٢)، وصححه إسناده ووافقه الذهبي.

(٣) وأخرج الحاكم الفصة مختصرة عن ابن عباس (٤٣٢/٢)، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي، وحسنه صاحب الاستيعاب (١٦٤/٣).

(٤) قرأ بالتسهيل نافع وابن كثير وأبو عمرو. وفصل بينهما بألف أبو عمرو وقنول وهشام بخلاف عنهم. وكذلك في موضع سورة القمر ﴿وَأَتَيْنَاكُمْ﴾. وفي موضع آل عمران ﴿وَأَتَيْنَاكُمْ﴾. وهي الأشجار الملتفة بالمجتمع.

(٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٨) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٩) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(١٠) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(١١) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(١٢) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(١٣) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(١٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(١٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(١٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(١٧) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(١٨) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(١٩) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٢٠) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٢١) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٢٢) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٢٣) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٢٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٢٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٢٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٢٧) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٢٨) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٢٩) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٣٠) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٣١) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٣٢) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٣٣) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٣٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٣٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٣٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٣٧) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٣٨) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٣٩) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٤٠) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٤١) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٤٢) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٤٣) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٤٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٤٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٤٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٤٧) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٤٨) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٤٩) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٥٠) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٥١) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٥٢) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٥٣) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٥٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٥٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٥٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٥٧) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٥٨) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٥٩) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٦٠) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٦١) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٦٢) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٦٣) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٦٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٦٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٦٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٦٧) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٦٨) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٦٩) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧٠) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧١) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧٢) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧٣) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧٧) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧٨) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧٩) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٨٠) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٨١) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٨٢) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٨٣) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٨٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٨٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٨٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٨٧) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٨٨) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٨٩) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٩٠) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٩١) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٩٢) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٩٣) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٩٤) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٩٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٩٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٩٧) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٩٨) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٩٩) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(١٠٠) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

[٢٠] ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾ قوبناه بالحرس والجنود، وكان يحرس محرابه في كل ليلة ثلاثون ألف رجل ﴿وَمَا يَنْتَهُنَّ أَلْجَمَّةُ﴾ النبوة والإصابة في الأمور ﴿وَفَضَّلَ الْخِطَابُ﴾ البيان الشافي في كل قصد.

[٢١] ﴿وَهَلْ﴾ معنى الاستفهام هنا التعجيب والتشويق إلى استماع ما بعده ﴿أَنَّكَ﴾ يا محمد ﴿بَنُوَ الْخَصْمِ إِذْ سَوَّرُوا الْخِجَابَ﴾ محراب داود؛ أي: مسجده؛ حيث منعوا الدخول عليه من الباب؛ لشغله بالعبادة؛ أي: خبرهم وقصتهم.

[٢٢] ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَرَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا نَحْفَ﴾ نحن ﴿خَصَمَانِ﴾ قيل: فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع، وقيل: اثنان، والضمير بمعناهما، والخصم يطلق على الواحد وأكثر، وهما مكان جاءا في صورة خصمين وقع بهما ما ذكرها على سبيل الفرض؛ لتبنيه داود عليه السلام على ما وقع منه، وكان له تسع وتسعون امرأة وطلب امرأة شخص ليس له غيرها وتزوجها ودخل بها^(١) ﴿بَنَى بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَهُمَا﴾ تفر ﴿وَأَعْدَيْنَا﴾ أرشدنا ﴿إِلَى سَوَاءٍ صِرَاطٍ﴾ وسط الطريق الصواب.

[٢٣] ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي﴾ أي: على ديني ﴿لَمْ يَسْعَ وَتَسْعُونَ نِعْمَةً﴾ يعبر بها عن المرأة ﴿وَلِي نِعْمَةٌ وَجِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾ أي: اجعلني كافلها ﴿وَعَزَّنِي﴾ غلبني ﴿فِي الْخِطَابِ﴾ أي: الجدل، وأقره الآخر على ذلك.

[٢٤] ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ يُسْأَلُ بَعْثُهُمْ لِيُجْزَى بِهِنَّ﴾ أي: يعجزها ﴿إِنْ يَفَاجِعُ﴾ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ تَلَطُّفِهِ الشُّرَكَاءُ لِيُبَيِّنَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ «ما» لتأكيد القلة، فقال الملكان صاعدين في صورتيهما إلى السماء: قضى الرجل على نفسه، فتبته داود، قال - تعالى -: ﴿وَمَنْ﴾ أي: أيقن ﴿دَاوُدَ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ﴾ أوقعناه في فتنة؛ أي: بلية بمجته تلك المرأة^(٢) ﴿فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا﴾ أي: ساجدا ﴿وَأَنَابَ﴾.

[٢٥] ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَّمْ عِنْدَنَا لُزْفٌ﴾ أي: زيادة خير في الدنيا ﴿وَحُسْنُ مَتَابٍ﴾ مرجع في الآخرة.

[٢٦] ﴿يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ تدبر أمر الناس ﴿فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ﴾ أي: هوى النفس ﴿فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الدلائل الدالة على توحيده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الإيمان بالله ﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَسُّوْنَ﴾ ينسبناهم ﴿يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ المرتب عليه تركهم الإيمان، ولو أيقنوا يوم الحساب لآمنوا في الدنيا.

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعُشِيِّ ﴿١٨﴾ وَالطُّيُورَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ ﴿٢٠﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَرَعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا نَحْفَ خَصَمَانِ بَنَى بَعْضُهُمَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تَشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نِعْمَةً وَلِي نِعْمَةٌ وَجِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نِعْمَتِكَ إِلَى تَغَاجِيهِ وَإِنْ كَثُرَ مِنْ تَلَطُّفِهِ لَيُبَيِّنَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَّمْ عِنْدَنَا لُزْفٌ وَحُسْنُ مَتَابٍ ﴿٢٥﴾ يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَمَسُّوْنَ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

[١٧] قال - تعالى -: ﴿أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَادْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾ أي: القوة في العبادة؛ كان يصوم يوما ويفطر يوما، ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه^(١) ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رَجَّاعٌ إلى مرضاة الله.

[١٨] ﴿إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ بتسبيحه ﴿بِالْعُشِيِّ﴾ وقت صلاة العشاء ﴿وَالطُّيُورَ﴾ وقت صلاة الضحى، وهو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوءها. [١٩] ﴿وَالطُّيُورَ مَحْشُورَةً﴾ مجموعة إليه تسبح معه ﴿كُلٌّ مِنْ الْجِبَالِ وَالطُّيْرِ﴾ لَهُ أَوَّابٌ رَجَّاعٌ إلى طاعته بالتسبيح.

(١) البخاري (١١٣١)، ومسلم (١١٥٩).

(٢) حاشا لله أن ينسب لبي كرم من أنبياء الله عليه السلام الذين اصطفاهم مثل هذا الإفك البئس، وغفر الله للمفسر إذ نقل هذا، وهو من الإسرائيلية المقترة على صفوة خلق الله عليه السلام. وهذا الخصمان هما من بني آدم حقيقة عبي القول الصحيح لا من الملائكة، كما أن النعجة ليس المراد بها المرأة على الصحيح، بل المراد هنا نطى الضأن، والآيات على ظاهرها لوجوه عديدة لا يتسع المقام لبيانها، والمراد منها تبنيه داود عليه السلام وفرق بعده من الملوك على عظيم فتنة الملك والمعنى وبسط الدنيا.

[٤٦] ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ﴾ هي ﴿ذَكَرَى الدَّارِ﴾ الآخرة، أي: ذكرها والعمل لها، وفي قراءة^(٣) بالإضافة، وهي للبيان.

[٤٧] ﴿وَلَيْسَ عِنْدَنَا لِنَ الْمُصْطَفَيْنِ﴾ المختارين ﴿الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بالتشديد.

[٤٨] ﴿وَأَذْكُرُ اسْمَ عِيسَى﴾ وهو نبي، واللام زائدة ﴿وَذَا الْكِفْلِ﴾ اختلف في نبوته، قيل: كفل مائة نبي فزوا إليه من القتل^(٤) ﴿وَكُلٌّ﴾ أي: كلهم ﴿مِنَ الْأَخْيَارِ﴾ جمع خير بالتثنية.

[٤٩] ﴿هَذَا ذِكْرٌ﴾ لهم بالثناء الجميل هنا ﴿وَلِئَلَّامُتِّينَ﴾ الشاملين لهم ﴿لِتُسَنِّ مَنَابٍ﴾ مرجع في الآخرة.

[٥٠] ﴿جَنَّتْ عَذْنٌ﴾ بدل، أو عطف بيان لـ ﴿حَسَنَ مَّأَبٍ﴾ ﴿فُتِّحَتْ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ منها.

[٥١] ﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾ على الأرائك ﴿يَتَذَكَّرُونَ فِيهَا مِنْ كَثِيرٍ مِمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٥٢] ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ كُرْسِيِّ﴾ حاسبات العين على أزواجهن ﴿أَرْبَابٌ﴾ أسنانهن واحدة، وهن: بنات ثلاث وثلاثين سنة، جمع رَبٍّ.

[٥٣] ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ بالغبية^(٥)، وبالخطاب، التفاتاً ﴿لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ أي: لأجله.

[٥٤] ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقًا مَّا لَهُمْ مِنْ نَفْدٍ﴾ أي: انقطاع، والجملة حال من رزقناه، أو خبر ثان لـ ﴿إِنَّ﴾ أي: دائماً أو دائماً.

[٥٥] ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ المذكور للمؤمنين ﴿وَأَنَّ لِلظَّالِمِينَ﴾ مستأنف ﴿لَئِنَّ﴾ مَنَابٍ.

[٥٦] ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ﴿يَنفَسُ إِلَيْهَا﴾ الفرائش.

[٥٧] ﴿هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ العذاب المفهوم مما بعده ﴿فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ﴾ أي: ماء حار محرق ﴿وَعَسَاءُ﴾ بالتخفيف^(٦)، والتشديد؛ ما يسيل من صديد أهل النار.

[٥٨] ﴿وَأُخْرَى﴾ بالجمع^(٧) والإفراد ﴿مِنْ شَكْلِهِ﴾ أي: مثل المذكور من الحميم والغساق ﴿أَرْوَجُ﴾ أصناف؛ أي: عذابهم من أنواع مختلفة.

[٥٩] ويقال لهم عند دخولهم النار بأنابهم: ﴿هَذَا قَوْجٌ﴾ جمع ﴿مُنَجِّمٌ﴾ داخل ﴿مَعَكُمْ﴾ النار بشدة، فيقول المُنَجِّمُونَ^(٨): ﴿لَا مَرْجَاَ بِهِمْ﴾ أي: لا سعة عليهم ﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾.

[٦٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: الأتباع: ﴿بَلْ أَشْتَرُ لَا مَرْجَاَ بِكَ أَشْتَرُ قَدَّمْتُمُوهُ﴾ أي: الكفر ﴿لَنَا قِيَمَتُ الْقَرَارِ﴾ لنا ولكم، النار.

[٦١] ﴿قَالُوا﴾ أيضاً: ﴿رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا يُعَذِّبُكَ﴾ أي: مثل عذابه على كفره ﴿فِي النَّارِ﴾.

وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ، وَشَاطَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَذَكَرَى لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٤٦﴾ وَحَدَّ يَدَكَ ضَعْفًا فَضَرْبَ بَعْدٍ وَلَا تَحْتِ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٨﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الدَّارِ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ﴿٥٠﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ عِيسَى وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٥١﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَلِئَلَّامُتِّينَ لِحُسْنِ مَنَابٍ ﴿٥٢﴾ جَنَّتْ عَذْنٌ مُفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفِكَهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَّابٍ ﴿٥٤﴾ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الْكُرْسِيِّ أَرْبَابٌ ﴿٥٥﴾ هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٦﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفْدٍ ﴿٥٧﴾ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَنفَسُ إِلَيْهَا هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَعَسَاءُ ﴿٥٩﴾ وَآخِرُ مِنْ شَكْلِهِ أَرْوَجُ ﴿٦٠﴾ هَذَا قَوْجٌ مُفْتَحٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَاَ بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٦١﴾ قَالُوا بَلْ أَشْتَرُ لَا مَرْجَاَ بِكَ أَشْتَرُ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَنفَسُ الْقَرَارِ ﴿٦٢﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدُّهُ عَذَابًا ضَعِيفًا فِي النَّارِ ﴿٦٣﴾

[٤٣] ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ﴾ أي: أحيا الله له من مات من أولاده، ورزقه مثلهم ﴿رَحْمَةً﴾ نعمة^(١) ﴿مِنَّا وَذَكَرَى﴾ عظة ﴿لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾ لأصحاب العقول.

[٤٤] ﴿وَحَدَّ يَدَكَ ضَعْفًا﴾ هو جزمة من حشيش، أو قضبان ﴿فَاضْرِبْ يَدَكَ﴾ زوجتك، وكان قد حلف ليضربها مائة ضربة لإبطائها عليه يوماً ﴿وَلَا تَحْنَنَّ﴾ بترك ضربها، فأخذ مائة عود من الإذخر أو غيره، فضربها به ضربة واحدة ﴿وَأَنَا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ﴾ أيوب ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ رجأ إلى الله - تعالى ..

[٤٥] ﴿وَأَذْكُرْ عِبْدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي﴾ أصحاب القوى في العبادة ﴿وَالْأَبْصَارِ﴾ البصائر في الدين، وفي قراءة^(٢): ﴿عِبْدَنَا﴾، و﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ بيان له، وما بعده عطف على ﴿عِبْدَنَا﴾.

(١) النعمة أثر من آثار رحمة الله ﷻ، وليست هي ذاتها، وهذه الصفة نبتها لله ﷻ على الوجه اللائق به، كما سبق بيان ذلك مرازا.

(٢) لابن كثير.

(٣) لنافع وهشام.

(٤) والصحيح أنه نبي، وأما سبب التسمية التي ذكرها المصنف فلا دليل عليها، وقيل غير ذلك. وانظر التعليق على الآية رقم (٨٥) من سورة الأنبياء.

(٥) بالياء قراءة ابن كثير، وأبي عمرو، وقراءة بقية السبعة بالياء.

(٦) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٧) وهم: قراءة أبو عمرو، وقراءة بقية السبعة بالإفراد.

[٨٨] ﴿وَلَعَلَّكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأُهُ﴾ خبر صدقه ﴿يَعْدُ جِزِينَ﴾ أي: يوم القيامة، و«عَلِمَ» بمعنى عرف، واللام قبلها لام قسم مقدر؛ أي: والله.

سورة الزمر

أمكية إلا: ﴿ثُمَّ لِيَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية، فمدنية، وهي: خمس وسبعون آية، نزلت بعد سبأ^(*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿وَمِنَ اللَّهِ﴾ خبره ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْعَلِيمِ﴾ في صنعه.

[٢] ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق ب«أنزل» ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك أي: موحداً له.

[٣] ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ لا يستحقه غيره ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ الْأَصْنَامَ﴾ الأصنام ﴿أُولَئِكَ﴾ وهم كفار مكة قالوا: ﴿مَا عْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ قريب، مصدر بمعنى تقريباً ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المسلمين ﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، فيدخل المؤمن الحجة والكافرين النار ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ﴾ في نسبة الولد إليه ﴿كَفَّارٌ﴾ بعبادته غير الله.

[٤] ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما قالوا: ﴿أَتَتَّخِذُ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ ﴿لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ واتخذوه ولداً، غير من قالوا من^(١): الملائكة بنات الله، وعزير ابن الله، والمسيح ابن الله ﴿سُبْحَنَهُ﴾ تنزيهاً له عن اتخاذ الولد ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ خلقه.

[٥] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق ب«خلق» ﴿يُكْوِّرُ﴾ يدخل^(٢) ﴿الْأَبْلَ عَلَى النَّهَارِ﴾ فيزيد ﴿وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ﴾ يدخله ﴿عَنِ الْبَيْلِ﴾ فيزيد ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَجْرِ﴾ في فلكه ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ ليوم القيامة ﴿أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره المنتقم من أعدائه ﴿الْمُنْتَقِرُ﴾ لأوليائه.

قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٨٩﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٠﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٢﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٩٣﴾

سورة الزمر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٨٩﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٩٠﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩١﴾ إِنْ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٩٢﴾ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٩٣﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكْوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٩٤﴾ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْعَفْوَ

[٨٩] ﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ﴾ بنصبهما، ورفع الأول ونصب الثاني^(١)، فصبه بالفعل بعده، ونصب الأول؛ قيل: بالفعل المذكور، وقيل: على المصدر؛ أي: أحق الحق، وقيل: على نزع حرف القسم، ورفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: فالحق مني، وقيل: فالحق قسمي، وجواب القسم: [٨٩] ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَبَدْرِكَ﴾ ب«دريتك» ﴿وَمِمَّن تَبَعَكَ مِنْهُمْ﴾ أي: الناس ﴿أَجْمَعِينَ﴾.

[٩٠] ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿وَمِنْ أَجْرٍ﴾ لجعل ﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ﴾ المتقولين القرآن من تلقاء نفسي.

[٩١] ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ ما القرآن ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ عظة للإِنس والجن والعقلاء دون الملائكة.

(٥) فائدة: أخرج الزمزمي عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ لا ينام على فراشه حتى يقرأ بني إسرائيل والزمر. الترمذي. كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (٢١) الترجمة، وكتاب الدعوات (٤٩) باب (٢٢) ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧١١).

(١) بالرفع ثم نصب قراءة السبعة عدا عاصم وحزمة.

(٢) الأنبياء: ٢٦.

(٣) في نسخة القاضي كعنا: «إن» بدلاً من «من»، وفي نسخة بدون «من».

(٤) ما ذكره المصنف في معنى التكوير هو اختيار ابن جرير، وهو عنده كمنع الإيلاج كما في قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾. وروي عن قتادة: يغشى أحدهما الآخر؛ أي يذهب أحدهما فيقبه الآخر. والتكوير في الأصل: هو اللف واللي؛ من كار العمامة على رأسه وكورها.

[٦] ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ أي: آدم ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ حواء ﴿وَأَنزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ الْإِبِلَ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمَ وَالضَّأْنَ وَالْمَعْزَ وَتَنَبَّيَةَ أَزْوَاجًا﴾ من كل زوجان^(١)، ذكر وأنثى، كما بين في سورة الأنعام ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ أَی: نُطْلُقًا ثُمَّ عَلَقًا ثُمَّ مُضْغًا ثُمَّ عَلَقَةً ثُمَّ نَلَقًا﴾ هي ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة ﴿ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ رُبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَالَتْ تُصْرَفُونَ﴾ عن عبادته إلى عبادة غيره؟! [٧] ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ عَنَىٰ عَذَابَكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ وإن أراد من بعضهم^(٢) ﴿وَإِنْ تَشْكُرُوا﴾ الله، فتؤمنوا ﴿بِرِضَا﴾ بسكون الهاء، وبضمها مع إشباع ودونه^(٣)؛ أي: الشكر ﴿لَكُمْ وَلَا تَزِرُ﴾ نفس ﴿وَأَزِيرُهُ﴾ وزدك ﴿وَأُخْرَىٰ﴾ أي: لا تحملها ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما في القلوب.

[٨] ﴿وَلَا تَسْأَلِ الْإِنْسَانَ﴾ أي: الكافر ﴿ضَرْبَ دَعَا رَبِّهِ﴾ تصرع ﴿مُنِيبًا﴾ راجعًا ﴿إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا حَوَّلَهُ مُتِمِّعَةً﴾ أعطاه إنعامًا ﴿فِيئْتَهُ لَئِي﴾ ترك ﴿مَا كَانَ يَدْعُو﴾ ينصرع ﴿إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ﴾ وهو الله، ف«ما» في موضع «من» ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ شركاء ﴿لِيُضِلَّ﴾ بفتح الباء وضمها^(٤) ﴿عَنْ سَبِيلِهِ﴾ دين الإسلام ﴿فَلْيَمْنَعْ بِكَذْرِكَ قَلِيلًا﴾ بقية أجلك ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾.

[٩] ﴿أَمَّنْ﴾^(٥) بتخفيف الميم ﴿هُوَ قَتِيلٌ﴾ قائم بوظائف الطاعات ﴿إِنَاءً أَلِيلٍ﴾ ساعاته ﴿سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾ في الصلاة ﴿يُحَذِّرُ الْآخِرَةَ﴾ أي: يخاف عذابها ﴿وَيَرْجُوا رَحْمَةً﴾ جنة^(٦) ﴿رَبِّهِ﴾ كمن هو عاص بالكفر أو غيره، وفي قراءة: ﴿أَمَّنْ﴾، ف«أم» بمعنى «بل» و«الهمزة» ﴿فَلْيَهْلِ يَسْتَوِ الْأَلَيْنَ يَمْلُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْمَلُونَ﴾ أي: لا يستويان، كما لا يستوي العالم والجاهل ﴿إِنَّمَا يَذْكُرُ﴾ بتعطف ﴿أُولَئِكَ الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.

[١٠] ﴿فَلْيَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَفَرَأَىٰ رَبُّكُمْ﴾ أي: عذابه، بأن تطعيره ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا﴾ بالطاعة ﴿حَسَنَةً﴾ هي الجنة ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً﴾ فهاجروا إليها، من بين الكفار ومشاهدة المنكرات ﴿إِنَّمَا يُوَفَّىٰ

(١) في نسخة القاضي: «زوجين»، و«ذكوا» بالنصب.

(٢) أي: كونًا لا شرعًا.

(٣) «يرضه» قرأ ابن كثير والكسائي وابن ذكوان بضم الهاء مع الإشباع، وقرأ السوسي بالإسكان، وقرأ الدوري بالإسكان والإشباع، وهشام بالاختلاس والإسكان، وقرأ الباقون بالضم دون صلة وهم نافع وعاصم وحزمة.

(٤) بالفتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وحزمة، وقرأ بقية السبعة: «أَمَّنْ» بتشديد الميم.

(٦) الجنة أثر من آثار رحمة الله ﷻ لعباده المؤمنين، وهي غيرها؛ تفسير الرحمة بها خلاف الظاهر، وهو تأويل لصفة الرحمة التي أتيتها ربنا ﷻ لنفسه، ونيتها له على الوجه اللائق به.

الْصَّادِقُونَ﴾ على الطاعة، وما يتلون به ﴿أَجْرُهُمْ يَبْغِي حِسَابًا﴾ بغير مكيال ولا ميزان.

قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
﴿٣﴾ قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْهُ خَالِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٤﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ
قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ ﴿٥﴾ لَهُمْ مِنْ فَتْنِهِمْ ظُلُلٌ مِنَ النَّارِ
وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلُلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ يُعْبَادُونَ فَاتَّقُوا
وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ أَنْ يَعْبُدُوا مَا أَتَوْا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى
فَبَشِّرْ عِبَادَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾
أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ أَلَمْ يَأْتِ تَنْقِذًا مِنَ النَّارِ ﴿٨﴾
لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ مُبِينَةٌ تَخْرُجُ
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَعَدَّ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٩﴾ الرَّازِ
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ
يَخْرُجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ
يَجْعَلُهُ حُطْلًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٠﴾

[١١] ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك.

[١٢] ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة.
[١٣] ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.
[١٤] ﴿قُلْ اللَّهُ أَعْبُدْهُ خَالِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك.
[١٥] ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ غيره، فيه تهديد لهم، ولإذنان بأنهم لا
يعبدون الله - تعالى - ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ
الْقِيَمَةِ﴾ بتخليد الأنفس في النار، وبعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في
الجنة، لو آمنوا ﴿أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الْمُبِينُ﴾ البين.
[١٦] ﴿لَهُمْ مِنْ فَتْنِهِمْ ظُلُلٌ﴾ طباق ﴿وَمِنْ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهَا ظُلُلٌ﴾ من
النار ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ﴾ أي: المؤمنين، لينقوه، يدل عليه: ﴿يَتَّقُونَ﴾.
[١٧] ﴿وَالَّذِينَ أَجْتَنَبُوا الظُّلُمَاتِ﴾ الأوثان ﴿أَنْ يَعْبُدُوا مَا أَتَوْا﴾ أقبلوا
﴿إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى﴾ بالجنة ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ﴾.
[١٨] ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ وهو ما فيه صلاحهم
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أصحاب العقول.
[١٩] ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ أي: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ الآية
﴿أَلَمْ يَأْتِ تَنْقِذًا﴾ تخرج ﴿مِنْ فِي النَّارِ﴾ جواب الشرط، وأقيم فيه الظاهر مقام
المضمّر، والهزة للإنكار، والمعنى: لا تقدر على هدايته، فننقذه من النار.
[٢٠] ﴿لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بأن أطاعوه ﴿لَهُمْ عُرْفٌ مِنْ فَوْقِهَا عُرْفٌ
مُبِينَةٌ تَخْرُجُ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: من تحت الغرف، الفوقانية والتحتانية
﴿وَعَدَّ اللَّهُ﴾ منصوب بفعله المقدر ﴿لَا يَخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ وعده.
[٢١] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبِيعٌ﴾
أدخله أمكنة ينبع ﴿فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يَخْرُجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِيجُ﴾
يبس ﴿فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا﴾ بعد الخضرة مثلاً ﴿مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطْلًا﴾ فثأنا
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ الْإِلَهَ﴾ تذكروا ﴿لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ بتذكروا به؛ لدلالته
على وحدانية الله - تعالى - وقدرته.

[٢٢] ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامِهِ﴾ فاهتدى ﴿فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ كمن طبع على قلبه، دل على هذا: ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب ﴿لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: عن قبول القرآن ﴿أَوَّلَيْكَ فِي صَلَاتِي مُبِينٌ﴾ يعني.

[٢٣] ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ لِّغَيْثٍ كِتَابًا﴾ بدل من «أحسن»؛ أي: قرأتنا ﴿مُتَشَبِّهًا﴾ أي: يشبه بعضه بعضاً، في النظم وغيره ﴿مَثَانِي﴾ ثني فيه الوعد والوعيد، وغيرهما ﴿تَشْعُرُ مِنْهُ﴾ ترتعد عند ذكر وعيده ﴿جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ﴾ يخافون ﴿رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ﴾ تطمئن ﴿جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: عند ذكر وعده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: الكتاب ﴿هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلْ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَهْدِ﴾.

[٢٤] ﴿أَمَّنْ يَتَّقِي﴾ يلقى ﴿بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ أي: أشدّه، بأن يلقى في النار مغلوله يدها إلى عنقه، كمن أمن منه بدخول الجنة؟ ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: كفار مكة: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: جزاءه. [٢٥] ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِ﴾ رسلهم، في إتيان العذاب ﴿فَأَلَنَّهُمُ الْعَذَابُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ من جهة لا تخطر بالهم.

[٢٦] ﴿فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَرَى﴾ الذل والهوان، من المسخ والقتل وغيره ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أي: المكذبون ﴿يَعْلَمُونَ﴾ عذابها ما كذبوا.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا﴾ جعلنا ﴿لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ يتعطلون.

[٢٨] ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ حال مؤكدة ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ أي: لَبس واختلاف ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر.

[٢٩] ﴿صَرَّبَ اللَّهُ﴾ للمشرك والموحد ﴿مَثَلًا رَّجُلًا﴾ بدل من «مثلاً» ﴿فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّكُونَ﴾ متنازعون، سبقة أخلاقهم ﴿وَرَجُلًا سَابِلًا﴾ خالصاً ﴿لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ تمييز؛ أي: لا يستوي العبد لجماعة والعبد لواحد، فإن لأول إذا طلب منه كل من مالكيه خدمته في وقت واحد تخير فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للمشرك، والثاني مثل للموحد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ﴾ بَلْ أَكْثَرُهُمْ؛ أي: أهل مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون.

﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِإِسْلَامِهِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ قَوْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَوَّلَيْكَ فِي صَلَاتِي مُبِينٌ ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ لِّغَيْثٍ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مَّثَانِي تَشْعُرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ وَمَن يُضِلِلْ اللَّهُ فَهُوَ لَمْ يَهْدِ﴾ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ الَّذِينَ مِّن قَبْلِهِمْ فَأَتَتْهُمْ الْعَذَابُ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فَأَذَانَهُمُ اللَّهُ الْخَرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِمَّنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿صَرَّبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّكُونَ وَرَجُلًا سَابِلًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾

[٣٠] ﴿إِنَّكَ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ ستموت ويموتون، فلا شامة بالموت، نزلت لما استبطلوا موته ﷺ.

[٣١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ أيها الناس فيما بينكم من المظالم ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.

(٥) فائدة: أخرج الترمذي عن الزبير بن العوام قال: ما نزلت: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ قال الزبير: يا رسول الله، أكرر علينا الخصومة بعد الذي كان بيننا في الدنيا؟ قال: «نعم»، فقال: إن الأمر إذن لشديدي. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وحسن الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٣). وأخرجه أيضاً أحمد (١٦٧/١) مطولاً بلفظ: «قال الزبير: أي رسول الله، أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواصّ الذنوب؟ قال: «نعم»، ليكرر عليكم حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه». فقال الزبير: والله، إن الأمر لشديدي». وحسن الأرنؤوط إسناده (١٤٣٤). وكلذا قال أحمد شاكر: إسناده حسن. (١٤٣٨).

(١) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقراً بقية السبعة: ﴿سَلَمًا﴾ بدون ألف.

الشريك والولد إليه ﴿وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ﴾ بالقرآن ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾ أَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴿مَأْوًى لِلْكَافِرِينَ﴾ بلى.

[٣٣] ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ﴾ هو النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ هم المؤمنون فـ«الذي» بمعنى «الذين» ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ الشرك.

[٣٤] ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ لأنفسهم يأمنونهم [٣٥] ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «أَسْوَأَ» وأحسن» بمعنى السيئ والحسن.

[٣٦] ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ أي: النبي (١)؟ بلى ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ﴾ الخطاب له ﴿بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: الأصنام أن تقتله أو تخبله ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

[٣٧] ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾ أليس الله يعزير ﴿عَظِيمٍ﴾ أمره ﴿ذِي أَنْتِقَامٍ﴾ من أعدائه؟ بلى.

[٣٨] ﴿وَلَيْنَ﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾ الله ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيَّهِ﴾ لا ﴿أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ لا، وفي قراءة (٢) بالإضافة فيهما ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يثق الواثقون.

[٣٩] ﴿قُلْ يَقْوِمْ أَعْمَالُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ﴾ حالكم ﴿إِنِّي عَامِلٌ﴾ على حالتي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾.

[٤٠] ﴿مَنْ﴾ موصولة، مفعول العلم ﴿يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ دائم هو عذاب النار، وقد أخرجهم الله بيدر.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ﴾
 إِذْ جَاءَهُ أَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾
 لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾
 أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ
 فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ﴾
 أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي أَنْتِقَامٍ ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ﴾
 اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّيَّهِ أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ
 قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿قُلْ يَقْوِمْ أَعْمَالُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ﴾
 إِنِّي عَامِلٌ ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾
 مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ

[٣٢] ﴿فَمَنْ﴾ أي: لا أحد ﴿أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة

(١) وقيل: المراد به الخالص في العبودية لله ﷻ، ويؤيده قراءة: (عباده) بالجمع، وهي لخمزة والكسائي.

(٢) والقراءة المذكورة أولاً لأبي عمرو بالتثنية في الكلمتين: «كاشفات» و«ممسكات»، مع النصب في «ضره» و«رحمته»، وقرأ بقية السبعة بالإضافة فيهما؛ أي ﴿كَاشِفَاتُ ضُرِّيَّهِ﴾ و﴿مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾.

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهِ ۖ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ۖ وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ أَيُّهَا النَّفْسُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْكَ الْمَوْتَ وَرِيسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ أَيُّهَا مَوْتُهَا، والمرسله نفس التمييز، تبقى بدونها نفس الحياة، بخلاف العكس (١) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَظَنِينَ﴾ ﴿لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقريش لم يتفكروا في ذلك.

﴿٤٢﴾ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ۖ وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ أَيُّهَا النَّفْسُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْكَ الْمَوْتَ وَرِيسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ أَيُّهَا مَوْتُهَا، والمرسله نفس التمييز، تبقى بدونها نفس الحياة، بخلاف العكس (١) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَظَنِينَ﴾ ﴿لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقريش لم يتفكروا في ذلك.

﴿٤٣﴾ بَلْ أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ الْأَصْنَامَ آلِهَةً ۖ يَشْفَعُونَ ۖ عِنْدَ اللَّهِ بِزَعْمِهِمْ ۖ قُلْ لَهُمْ: ﴿أَلَمْ يَشْفَعُوا﴾ ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا.

﴿٤٤﴾ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۖ أَيُّهُم مَخْصَصٌ بِهَا، فلا يشفع أحد إلا بإذنه ﴿لَهُم مَّلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿٤٥﴾ وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ ۖ أَيُّهُم دُونَ إِلَهِهِمْ ﴿أَسْمَأَزَّتْ﴾ نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۖ أَيُّهُم دُونَ اللَّهِ وَحْدَهُ ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

﴿٤٦﴾ قُلْ اللَّهُمَّ ۖ بِمَعْنَى يَا اللَّهُ ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعُهُمَا ﴿عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شُهِد ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، اهتدي لما اختلفوا فيه من الحق.

﴿٤٧﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿١﴾

﴿٤١﴾ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ متعلق به «أنزل» ﴿فَمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ فَلِنَفْسِهِ ۖ ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۖ فتجربهم على الهدى.

﴿٤٢﴾ ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ۖ وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ﴾ أي: يتوفاها وقت النوم ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْكَ الْمَوْتَ وَرِيسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: وقت موتها، والمرسله نفس التمييز، تبقى بدونها نفس الحياة، بخلاف العكس (١) ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَظَنِينَ﴾ ﴿لَقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث، وقريش لم يتفكروا في ذلك.

﴿٤٣﴾ ﴿بَلْ أَتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ۖ الْأَصْنَامَ آلِهَةً ۖ يَشْفَعُونَ ۖ عِنْدَ اللَّهِ بِزَعْمِهِمْ ۖ قُلْ لَهُمْ:﴾ ﴿أَلَمْ يَشْفَعُوا﴾ ﴿وَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾ من الشفاعة وغيرها ﴿وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك؟ لا.

﴿٤٤﴾ ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا ۖ أَيُّهُم مَخْصَصٌ بِهَا، فلا يشفع أحد إلا بإذنه﴾ ﴿لَهُم مَّلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿٤٥﴾ ﴿وَإِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ أي: دون إلهتهم ﴿أَسْمَأَزَّتْ﴾ نفرت وانقبضت ﴿قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ﴾ وَإِذَا ذَكَرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ ۖ أَيُّهُم دُونَ اللَّهِ وَحْدَهُ ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.

﴿٤٦﴾ ﴿قُلْ اللَّهُمَّ ۖ بِمَعْنَى يَا اللَّهُ﴾ ﴿فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعُهُمَا ﴿عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ما غاب وما شُهِد ﴿أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ من أمر الدين، اهتدي لما اختلفوا فيه من الحق.

﴿٤٧﴾ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ۖ وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾ (١) يظنون.

(١) أي: فمضى ذهبت نفس الحياة لا تبقى نفس التمييز والإحساس، والتحقيق أنها روح واحدة، والتعدد باعتبار أوصافها.

يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٩﴾ أي: العذاب.

[٤٩] ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا شِمًّا إِذَا حَوْلَتْهُ﴾ أعطيناه ﴿يَسْتَهْزِئُونَ﴾ إنعاماً ﴿يَتَنَادَى الَّذِينَ اتَّبَعُوا﴾ من الله يأتي به أهل ﴿يَقُولُ أَهْلُ هَذِهِ الْقَوْلَةِ وَفِتْنَةُ﴾ بلية، يتلى بها العبد ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن التحويل استدراج وامتحان.

[٥٠] ﴿قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم؛ كفارون وقومه الراشدين بها ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٥١] ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي: جازاها ﴿وَالَّذِينَ ظَنَّمُوا مِنْ هَذَا لَآءٍ﴾ أي: قريش ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ بفاوتين عذابنا، ففجحطوا سبع سنين، ثم وُسع عليهم.

[٥٢] ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسع ﴿لِمَنْ يَشَاءُ ابْتِلَاءً﴾ إن في ذلك لآياتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿بِهِ﴾.

[٥٣] ﴿قُلْ يَتَّبِعَادِ الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا﴾ بكسر النون وفحها (٢)، وقرئ بضمها (٣)؛ تياسوا ﴿مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ لمن تاب من الشرك ﴿إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (٤).

[٥٤] ﴿وَأَنِيبُوا﴾ ارجعوا ﴿إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا﴾ أخلصوا العمل ﴿لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُصْرَفُونَ﴾ بمنعه إن لم تتوبوا.

[٥٥] ﴿وَأَسْأِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ هو القرآن ﴿وَمِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ قبل إتيانه بوقتته.

[٥٦] ﴿فَادْرُوا قُلْ﴾ أن تقول نفسك تحسرتي؛ أصله يا حسرتي؛ أي: ندامتي ﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ أي: طاعته (٥) ﴿وَأَنْ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: وني ﴿كُنْتُ لِمَنِ التَّائِبِينَ﴾ بدنيه وكتابه.

وَيَذَاهُم سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا نَمًّا إِذَا حَوْلَتْهُ نَعْمَةً وَمَنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَتْهُ وَعَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَنَّمُوا مِنْ هَذَا لَآءٍ سَبِصِبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ يَتَّبِعَادِ الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثَمًّا لَا تُصْرَفُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَسْأِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَحْسَرُنِي عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ التَّائِبِينَ ﴿٥٦﴾

[٤٨] ﴿وَيَذَاهُم سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ

(٥) ما جاء في نزول الآية (٥٣): أخرج البخاري عن ابن عباس أن ناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا وزنوا فأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي نقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ إِلَيْهَا مَاتُوا بِغُرُوحٍ وَأَلْهَمَهُمُ اللَّهُ ذُرِّيَّتَهُمْ وَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْفُسَ إِلَهٍ حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَتَذَكَّرُونَ﴾ ونزل: ﴿قُلْ يَتَّبِعَادِ الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) - سورة الزمر (٣٩) باب (١) يا عبادي الذين أشرفوا. ورواه أيضاً مسلم - كتاب الإيمان (١)، باب (٥٤) ... وسبق تخريجه في سورة الفرقان عند الآية (٦٨).

(١) أو المعنى: على علم عندي بوجوه المكاسب والتجارة.

(٢) بالكسر قراءة الكسائي وأبي عمرو.

(٣) أي: شذوذاً.

(٤) وقال الفراء: في قرب الله وجواره

[٥٧] ﴿أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ (١) بالطاعة فاهتديت ﴿لَكُنْتُ مِنَ الْمُنْقِبِينَ﴾ عذابه.

[٥٨] ﴿أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ رجعة إلى الدنيا ﴿فَأَكُونُ مِنَ الْمُنْتَفِينَ﴾ المؤمنين. فيقال له من قبل الله: [٥٩] ﴿بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾ القرآن، وهو سبب الهداية ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ﴾ تكبرت عن الإيمان بها ﴿وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾.

[٦٠] ﴿وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ﴾ بنسبة الشريك والولد إليه ﴿وَجُوهُهُمْ مَسْوَدَةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى﴾ مأوى ﴿لِلْمُنْكَرِينَ﴾ عن الإيمان؟ بلى.

[٦١] ﴿وَيَسْجَى اللَّهُ﴾ من جهنم ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ الشرك ﴿بِمَقَارِنِهِمْ﴾ أي: بمكان فوزهم من الجنة، بأن يجعلوا فيه ﴿لَا يَسْمُهُمُ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[٦٢] ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ منصرف فيه كيف يشاء.

[٦٣] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزانتهما من المطر والنبات وغيرهما ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يَصِيبُ اللَّهُ ﴿الْقُرْآنَ﴾ أولئك هم الْخَاسِرُونَ ﴿متصل بقوله: وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ إلخ، وما بينهما اعتراض.

[٦٤] ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ تُدْعُونَ﴾ أعبدوا أيها الجاهلون ﴿غير﴾ منصوب بـ«أعبد» المعمول لـ«تأمروني» بتقدير «أن» بنون واحدة وبنونين بإدغام وفك (١).

[٦٥] ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ واللَّهُ ﴿لَيْنٌ أُنزِلَتْ﴾ يا محمد فرضاً ﴿لِيَحْطَرَ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

[٦٦] ﴿بَلَى اللَّهُ﴾ وحده ﴿فَاعْبُدْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ إنعامه عليك.

[٦٧] ﴿وَمَا تَدْرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ما عرفوه حق معرفته، أو ما عظموه

حق عظمته، حين أشركوا به غيره ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ حال أي: السبع

﴿قَبَضْنَاهُ﴾ أي: مقبوضة له أي: في ملكه ونصرته (٢) ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ

وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ﴾ مجموعات ﴿بِإِيمَانِهِ﴾ (٣) بقدرته (٤) ﴿سُبْحَنَهُ

وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ معه.

أَوْ تَقُولُ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولُ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَةٌ أَلْيَسَ فِي جَهَنَّمَ مَتَوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيَسْجَى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَقَارِنِهِمْ لَا يَسْمُهُمُ الشُّوْءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٦٤﴾ بَلَى اللَّهُ فَاغْبُدْهُ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٦٥﴾ وَمَا تَدْرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِإِيمَانِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٦﴾

(٥) فائدة: أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول: لو أن الله هداني فيكون عليه حسرة. قال: وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول: لو أن الله هداني فيكون له شكر». المسند (٥١٢/٢) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٥١٤).

(٥٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عائشة أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِإِيمَانِهِ﴾ قالت: فإين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «على جسر جهنم». الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. ووضح الألباني إسناده في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٩).

(١) قوله: (يادغام) أي مع فتح الباء وسكونها، وقوله: (وفك) أي مع سكون الباء لا غيراً فقرأ ابن عامر بنونين وقرأ نافع بنون مخففة مع فتح الباء، وكذلك فتحها ابن كثير. (٢) وهذا عدول عن ظاهر اللفظ، وهو خلاف ما فهمه السلف من إثبات هذه الصفة وغيرها لله ﷻ، مما أثبتته لنفسه وأثبتته له رسوله ﷺ على الوجه اللائق به، وثبت عند البخاري (٧٤١٣). من حديث ابن عمر مرفوعاً: «إن الله يقبض يوم القيامة الأرض، وتكون السماوات يمينه ثم يقول: أنا الملك». فلواجب الإيمان بهذه الصفات وإثباتها لله ﷻ على الوجه اللائق به من غير تأويل ولا تعطيل ولا تحيل ولا تكيف.

[٦٩] ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾ أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حين يتجلى الله لفصل القضاء ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كتاب الأعمال للحساب ﴿وَوُجِّعَ بِالْيَتِيمِ وَالشَّهَادَةِ﴾ أي: بمحمد ﷺ وأمه يشهدون للرسل بالبلاغ ﴿وَوُضِعَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ أي: العدل ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ شيئاً. [٧٠] ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ أي: جزاءه ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ﴾ عالم ﴿بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ فلا يحتاج إلى شاهد.

[٧١] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بعنف ﴿إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ جماعات متفرقة ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمَا فَتُحِثُّ أَبْوَابُهَا﴾ جواب «إذا» ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ القرآن وغيره ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أي: «لأننا كنا جَهَنَّمَ» الآية (٣) ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ﴾.

[٧٢] ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ مقدرين الخلود ﴿فِيئْسَ مَثْوًى﴾ ماوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ جهنم.

[٧٣] ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾ بلطف ﴿إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ الواو فيه للحال بتقدير: قد ﴿وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبَّنَا﴾ حالاً ﴿فَادْخُلُوا خَالِدِينَ﴾ مقدرين الخلود فيها، وجواب «إذا» مقدر أي: دخلوها، وسؤفهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم ليبقى حرها إليهم إهانة لهم.

[٧٤] ﴿وَقَالُوا﴾ عطف على دخولها المقدر: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ بالجنة ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ﴾ أي: أرض الجنة (٤) ﴿نَتَّبِعُ﴾ نزل ﴿وَمِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ الجنة.

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ﴿٦٩﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالْيَتِيمِ وَالشَّهَادَةِ وَفُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمَا فَتُحِثُّ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٢﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خُزْنُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبَّنَا فَادْخُلُوا خَالِدِينَ ﴿٧٤﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ أَمْرَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٥﴾

[٦٨] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ النفخة الأولى ﴿فَصَعِقَ﴾ مات ﴿مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ من الحور والولدان وغيرهما (١) ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ﴾ أي: جميع الخلائق الموتى ﴿قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ (٢) ينظرون ما يفعل بهم.

(٥) فائقة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: قال يهودي يسوق المدينة: لا وادي اسطفي موسى على البشر. قال: فرجع رجل من الأنصار يده نصك بها وجهه. قال: تقول هذا وبقينا نبي الله ﷺ. فقال رسول الله ﷺ: «وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ» فأكون أول من رفع رأسه، فإذا موسى آنحد بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله...هـ. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٠) ومن سورة الزمر. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٧).

(١) قيل: كالشهداء، أو حواص الملائكة، أو إسرائيل نفسه، ثم يموت بعد ذلك. والأولى أن يقال: الله أعلم بفتنته، إذ لا يصار إلى بيان المبهمات إلا بقاطع. (٢) الصواب عدم تخصيص النبيين هنا بمحمد ﷺ، بل هو قول غريب وبعيد، ولا تخصيص الشهداء بأمة عليه الصلاة والسلام، لأنه خلاف الظاهر. وجمهور المفسرين على أن المراد جماعة الأنبياء ليشهدوا على أممهم بأنهم بلغوهم، أما الشهداء فحين بما ذكره المفسر، وقيل: المراد الملائكة الحافظة على أعمال العباد، وقيل: أعضاء الإنسان، وقيل: الأرض، وقيل: الذين استشهدوا في سبيل الله، والآية تحتمل كل ذلك، ولا تعارض.

(٣) هود: ١١٩.

(٤) هذا قول كثير من المفسرين، كما تقدم في سورة الأنبياء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّكَ الْأَرْضَ رِثْيَا عِبَادِيَ الْكَافِرِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وسبق هناك بيان اعتراض القاضي كتمان على ذلك واختياره أن الأرض في الآيتين هي الأرض المعهودة وبيست أرض الجنة، والله أعلم.

[٩] ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ﴾ أي: عذابها ﴿وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة ﴿فَقَدْ رَحِمْنَا وَكَانَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّ إِلَهًا لَّهُ يَكْفُرُوا يُنَادُونَ﴾ من قبل الملائكة، وهم يفتنون أنفسهم عند دخولهم النار: ﴿لَمَقْتُ اللَّهَ﴾ إياكم ﴿أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾.

[١١] ﴿قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ﴾ إمامتين ﴿وَأَحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ﴾ إحياءتين؛ لأنهم نطفاً^(١) أموات، فأحيوا، ثم أميتوا، ثم أحيوا للبعث ﴿فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا﴾ بكفرنا بالبعث ﴿فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ﴾ من النار، والرجوع إلى الدنيا، لنطيع ربنا ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ طريق، وجوابهم: لا.

[١٢] ﴿ذَلِكُمْ﴾ أي: العذاب الذي أنتم فيه ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ أي: بسبب أنه في الدنيا ﴿إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ﴾ بتوحيده ﴿وَأِنْ يُشْرِكْ بِهِ﴾ يُجعل له شريك ﴿تُؤْمِنُوا﴾ تصدقوا بالإشراك ﴿فَالْتَكُمُ﴾ في تعذيبكم ﴿اللَّهُ الْعَلِيِّ﴾ على خلقه ﴿الْكَبِيرِ﴾ العظيم.

[١٣] ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ دلائل توحيده ﴿وَيُرِيكُمْ لَكُمْ مِنْ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ بالمطر ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ﴾ يتعظ ﴿إِلَّا مَنْ يَنْسِيَ﴾ يرجع عن الشرك.

[١٤] ﴿فَادْعُوا اللَّهَ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿وَلَوْ كَفَرُوا لَكُنْتُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ إخلاصكم منه.

[١٥] ﴿رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ﴾ أي: الله عظيم الصفات، أو رافع درجات المؤمنين في الجنة ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه^(٢) ﴿يُلْقِي الرُّوحَ﴾ الوحي ﴿مِنْ أَمْرِهِ﴾ أي: قوله ﴿عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ يُنذِرُ يخوف الملقى عليه الناس ﴿يَوْمَ النَّفَاقِ﴾ بحذف الياء وإثباتها^(٣) يوم القيامة؛ لتلاقي أهل السماء والأرض، والعباد والمعبود، والظالم والمظلوم فيه.

[١٦] ﴿يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ﴾ خارجون من قبورهم ﴿لَا يَخَوُّ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْئٌ﴾ لَمَّا أُلْهِمُوا الْقِيَمَ يقوله - تعالى - ويجب نفسه: ﴿لَهُ الْوَجْدُ الْقَهَّارُ﴾ أي: لخلقه.

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهُ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا آمَنَّا أَثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا أَثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ، كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنْزِلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَفَرُوا أَلْكَفُرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعَ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُمْ بَرْزُورٌ لَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

[٨] ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ﴾ إقامة ﴿الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ﴾ عطف على «هم» في: «وأدخلهم»، أو: في: «وعدتهم» ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

(١) كذا في بعض النسخ نصب «نطفاً» على الحال، والمناسب أن يقول: لأنهم كانوا، أو خلقوا نطفاً... اهد. من حاشية الصوري.

(٢) الله عز وجل خالق كل شيء، والإضافة هنا لأمر احتص به العرش دون سائر المخلوقات، وهو استواءه سبحانه عليه بنفسه المقدسة استواء يليق بجلاله.

(٣) بالياء وصلاً ووفقاً لقراءة ابن كثير، وأثبتها ورش وصله فقط، وكذلك قالون بخلاف عنه.

[١١٧] ﴿الْيَوْمَ نَخْتَارُ كُلَّ نَفْسٍ يَمَاسِكَسَتْ لَا تُلَمُّهُ الْيَوْمَ إِنَّكَ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ يحاسب جميع الخلق في قدر نصف نهار من أيام الدنيا لحديث بذلك (١).

[١١٨] ﴿وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ﴾ يوم القيامة؛ من أرف الرحيل: قوب ﴿إِذِ الْقُلُوبُ تَرْتَفَعُ خَوْفًا﴾ لدى ﴿عند الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ﴾ ممتلئين غمًا، حال من «القلوب»، عولت بالجمع بالياء والتون معاملة أصحابها ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ﴾ محب ﴿وَلَا شَفِيعَ يَطَاعُ﴾ لا مفهوم للوصف، إذ لا شافع لهم أصلاً ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَفِيعِينَ﴾ (٢) أو له مفهوم بناء على زعمهم أن لهم شفعا؛ أي: لو شفعا فرضاً لم يقبلوا.

[١١٩] ﴿يَعْلَمُ﴾ أي: الله ﴿حَايَتَهُ الْأَعْيُنُ﴾ بمسارقتها النظر إلى محرم ﴿وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ القلوب.

[١٢٠] ﴿وَأَنَّهُ يَفْقَى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون؛ أي: كفار مكة، بالياء والتاء (٣) ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ وهم الأصنام ﴿لَا يَقْضُونَ يَتَقَى﴾ فكيف يكونون شركاء لله؟ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأفعالهم. [١٢١] ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ وفي قراءة (٤) «منكم» ﴿قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ﴾ أهلكهم ﴿يَذُوبُهُمْ﴾ وما كان لهم من الله من وافي عذابه.

[١٢٢] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

[١٢٣] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ برهان بين ظاهر.

[١٢٤] ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقُرُونٍ فَقَالُوا﴾: هو ﴿سَجِرٌ كَذَّابٌ﴾.

[١٢٥] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ بالصدق ﴿مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا﴾ استبقوا ﴿نِسَاءَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِالْمُعْذِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ هلاك.

الْيَوْمَ نَخْتَارُ كُلَّ نَفْسٍ يَمَاسِكَسَتْ لَا تُلَمُّهُ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١١٧﴾ وَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظِيمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ ﴿١١٨﴾ يَعْلَمُ حَايَتَهُ الْأَعْيُنُ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١١٩﴾ وَاللَّهُ يَفْقَى بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٢٠﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ يَذُوبُهُمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿١٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿١٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقُرُونٍ فَقَالُوا سَجِرٌ كَذَّابٌ ﴿١٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ هُمْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ وَاسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كُنْتُمْ بِالْمُعْذِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿١٢٥﴾

(١) سبق بيان أن هذا سبق قسم من المصنف رحمه الله، وانظر التعليق على الآية رقم (٥١) من سورة إبراهيم.

(٢) الشعراء: ١٠٠.

(٣) بالناء قراءة نافع وهشام، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٤) لابن عامر.

إياي، فتنبهوه ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾ من قتل وغيره، وفي قراءة: ﴿أَوْ﴾، وفي أخرى: يفتح الباء والهاء وضم الدال^(١).

[٢٧] ﴿وَقَالَ مُوسَى﴾ لقومه وقد سمع ذلك: ﴿إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾.

[٢٨] ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ﴾ قيل: هو ابن عمه ﴿يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ وإن يك كذباً فعليه كذبه، أي: ضرر كذبه ﴿وإن يك صادقاً فصحبكم بعض الذي يعدكم﴾ به من العذاب عاجلاً ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُشْرِكٌ﴾ مشرك ﴿كَذَابٌ﴾ مفتر.

[٢٩] ﴿يَقُولُ لَكُمْ أَلْمُلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ﴾ غاليين حال ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ أرض مصر ﴿فَمَنْ يَصُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ﴾ عذابه، إن قتلتم أوليائه ﴿إِنْ جَاءَنَا﴾ أي: لا ناصر لنا ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى﴾ أي: ما أشير عليكم إلا بما أشير به على نفسي، وهو قتل موسى ﴿وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ طريق الصواب.

[٣٠] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَقَوَّمُوا بِإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ﴾ أي: يوم حزب بعد حزب^(٢).

[٣١] ﴿مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ «مثل» بدل من «مثل» قبله، أي: مثل جزاء عادة من كفر قبلكم من تعذيبهم في الدنيا ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾.

[٣٢] ﴿وَيَتَقَوَّمُوا بِإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ﴾ بحذف الباء وإثباتها^(٣)، أي: يوم القيامة يكثر فيه نداء أصحاب الجنة أصحاب النار وبالعكس، والنداء بالسعادة لأهلها وبالشفقة لأهلها وغير ذلك.

[٣٣] ﴿يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ﴾ عن موقف الحساب إلى النار ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ اللَّهِ﴾ أي: من عذابه ﴿مِنْ عَاصِرٍ﴾ مانع ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٧﴾
وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عَدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٨﴾
وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاعْتَلِهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاعْتَلِهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاعْتَلِهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْذِبْ فَاعْتَلِهِ كَذِبُهُ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُشْرِكٌ كَذَابٌ ﴿٢٩﴾ يَقُولُ لَكُمْ أَلْمُلِكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ فَمَنْ يَصُرُّنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا يَتَقَوَّمُوا بِإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴿٣١﴾ مِثْلَ دَابِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣٢﴾ وَيَتَقَوَّمُوا بِإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ تُولَوْنَ مُدْبِرِينَ مَالِكُومِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِرٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٤﴾

[٢٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى﴾ لأنهم كانوا يكفونه عن قتله ﴿وَلْيَدْعُ رَبَّهُ﴾ ليمنعه مني ﴿إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ﴾ من عبادتكم

(١) قرأ نافع وأبو عمرو: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾، وقرأ ابن كثير وابن عامر: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾، وقرأ حفص: ﴿وَأَنْ يُّظْهَرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادُ﴾.

(٢) أشار بذلك إلى أن قومه: ﴿يَوْمَ الْأَحْزَابِ﴾ مفرد في معنى الجمع، أي أبائهم؛ حيث إن هلاك الأحزاب المكذبين؛ كقوم نوح وغيرهم ممن كذب الرسل، لم يكن في يوم واحد.

(٣) بالياء قراءة ابن كثير وصلاً ووقفًا، وأثبتها ورش وصلاً فقط وكذلك قالون بخلاف عنه.

[٣٤٦] ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل موسى، وهو يوسف ابن يعقوب في قول^(١)، عُمَرُ إِلَى زَمَنِ مُوسَى، أَوْ يُوسُفُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يُونُسَ ابْنِ يَعْقُوبَ فِي قَوْلٍ، ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ أي: فلن تزالوا كافرين بيوسف وغيره ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلالكم ﴿يُعِظُ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ﴾ مشرك ﴿مُزْتَابٌ﴾ شاك فيما شهدت به البينات.

[٣٥٦] ﴿الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ مَعِزًّا﴾ معجزاته مبتدأ ﴿يَغْيِرُ سُلْطَانُ﴾ برهان ﴿أَنْتَهُمْ كَذِبٌ﴾ جدالهم، خبر المبتدأ ﴿مُقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ﴾ مثل إضلالهم ﴿يَطْبَعُ﴾ يختم ﴿اللَّهُ﴾ بالضلال ﴿عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ بتوئين «قلب» ودونه^(٢)، ومتى تكبر القلب، تكبر صاحبه وبالعكس، و«كل» على القراءتين لعموم الضلال جميع القلب، لا لعموم القلب^(٣).

[٣٦٦] ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْتَكِرُ ابْنُ لِي صَرِيحًا﴾ بناءً عاليًا ﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ﴾.

[٣٧٦] ﴿أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ﴾ طرفها الموصلة إليها ﴿فَأُطْلِعَ﴾ بالرفع^(٤) عطفًا على «أبلغ»، وبالنصب جوابًا لـ «ابن» ﴿إِلَى إِلَهٍ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ﴾ أي: موسى ﴿كَذِبًا﴾ في أن له إلها غيري، قال فرعون ذلك تمويهًا ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ [وَصَدَّ] عَنِ السَّبِيلِ طريق الهدى، بفتح الصاد وضمها^(٥) ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾ خسار.

[٣٨٦] ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَرَ يَقُولُ﴾ [يُتَّبِعُونِي] بآيات الباء وحذفها^(٦) ﴿أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّسَادِ﴾ تقدم.

[٣٩٦] ﴿يَقُولُ﴾ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَّحٌ ﴿تَمَعَ يَزُولُ﴾ [وَلَنْ] الْآخِرَةُ هِيَ دَارُ الْفَكَرَارِ.

[٤٠٦] ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِثْلَ دَعَا أَوْ أَنْتَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾ بضم الباء وفتح الحاء، وبالعكس^(٧) ﴿يَرْزُقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ رزقًا واسعًا بلا تبعة.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُزْتَابٌ ﴿٣٥٦﴾ الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ مَعِزًّا أَمْ تَعْمَلُونَ كَبِيرٌ مُقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْتَكِرُ ابْنُ لِي صَرِيحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا وَكَذَلِكَ زَيْنُ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصَدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٥٨﴾ وَقَالَ الَّذِي آمَرَ يَقُولُ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّسَادِ ﴿٣٥٩﴾ يَقُولُ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا مَتَّحٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٣٦٠﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِثْلَ دَعَا أَوْ أَنْتَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يَرْزُقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٦١﴾

(١) وهو الراجح؛ لكن قول المفسر إنه عثر إلى زمن موسى غريب، وحلاف الظاهر، وردّه غير واحد من أهل العلم، بل المراد: جاء أنباءكم.

(٢) بالتوئين قراءة أبي عمرو وابن ذكوان.

(٣) أي: يختم الله بالضلال على جميع القلب.

(٤) قراءة الشُّعْبَةِ عدا حفص.

(٥) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٦) بالياء وصلًا ووقفًا قراءة ابن كثير. وأثبتها وصلًا فقط أبو عمرو وقائلون.

(٧) بضم ثم فتح قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة. وبالعكس قراءة بقية السبعة.

[٤٢] ﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ، مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِ﴾ الغالب على أمره ﴿الْفَقْرُ﴾ لن تاب.

[٤٣] ﴿لَا جُرمَ﴾ حقاً ﴿أَنَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ لأعبده ﴿لَيْسَ لَكُمْ دَعْوَةٌ﴾ أي: استجابة دعوة^(١) ﴿فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا﴾ مرجعنا ﴿إِلَى اللَّهِ وَارْتَبِ الْمُسْرِفِينَ﴾ الكافرين ﴿هُم أَصْحَابُ النَّارِ﴾.

[٤٤] ﴿فَسَتَذْكُرُونَ﴾ إذا عابتم العباد ﴿مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضْ أَمْرِي﴾ إلى الله ﴿إِنَّكَ إِلَهُهُ﴾ قال ذلك لما توعده بمخالفة دينهم.

[٤٥] ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾ به من القتل ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِئَالِ فِرْعَوْنَ﴾ قومه معه ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾ العرق.

[٤٦] ﴿ثُمَّ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ يحرقون بها ﴿عُدْوًا وَعَشِيًّا﴾ صباحاً ومساءً^(٢) ﴿وَيَوْمَ نَقُومُ السَّاعَةَ﴾ يقال: ﴿(ادْخُلُوا)^(٣)﴾ يا ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾ وفي قراءة بفتح الهمزة وكسر الحاء، أمر للملائكة ﴿أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ عذاب جهنم.

[٤٧] ﴿وَإِذْ يَتَحَاوُونَ﴾ يتخاصم الكفار ﴿فِي النَّارِ﴾ فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا ﴿جمع تابع﴾ ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ﴾ دافعون ﴿عَنَّا نَصِيبُ﴾ جزاء ﴿مِنَ النَّارِ﴾.

[٤٨] ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا﴾ إِنَّكَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ فادخل المؤمنين الجنة والكافرين النار.

[٤٩] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا﴾ أي: قدر يوم ﴿مِنَ الْعَذَابِ﴾.

﴿وَيَقُولُ مَا إِلَىٰ ادْعُوكُمْ إِلَى التَّجَوُّعِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾

﴿تَدْعُونِي لَأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِ﴾ لا جرم إنما تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَارْتَبِ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفُوضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ﴾ إِنَّكَ إِلَهُهُ بِصِيرُ بِالْعِبَادِ ﴿فَوَقَّهَ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَا مَكَرُوا﴾ وَحَاقَ بِئَالِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا عُدْوًا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ وَإِذْ يَتَحَاوُونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَوُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخِزْنَةِ جَهَنَّمَ أَدْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾

[٤١] ﴿وَيَقُولُ مَا إِلَىٰ ادْعُوكُمْ إِلَى التَّجَوُّعِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ﴾.

(١) وقيل: المراد ليس له دعوة ترجح له الألوهية، ولعله أقرب.

(٢) أي في عالم القبر والحياة البرزخية. قال ابن كثير في تفسيره: وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور. اهـ.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿ادْخُلُوا﴾ بفتح الهمزة.

[٥٠] ﴿قَالُوا﴾ أي: الحزنة تهكمنا: ﴿أَوَلَمْ نَكُ تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات الظاهرات ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ أي: فكفروا بهم ﴿قَالُوا فَادْعُوا﴾ أنتم، فإننا لا نشفع للكافرين، قال - تعالى -: ﴿وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ انعدام.

[٥١] ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَنُؤَمِّمُ آلَهُمْ﴾ جمع شامد، وهم الملائكة يشهدون للرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالتكذيب.

[٥٢] ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ بِالْيَاءِ وَالنَّاءِ﴾ ^(١) ﴿الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾ عذرهم، لو اعتذروا ﴿وَلَهُمْ أَثَمَةٌ﴾ أي: البعد من الرحمة ﴿وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ الآخرة؛ أي: شدة عذابها.

[٥٣] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾ التوراة والمعجزات ﴿وَأَوْفَيْنَا بِنِعْمِ إِسْرَءِيلَ﴾ من بعد موسى ﴿الْكُتُبِ﴾ التوراة.

[٥٤] ﴿هُدًى﴾ هادياً ﴿وَذَكَرْنَا لِأَوَّلَى الْأَنْبِيَاءِ﴾ تذكراً لأصحاب العقول.

[٥٥] ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنصر أوليائه ﴿حَقٌّ﴾ وأنت ومن تبعك منهم ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ﴾ ليسكن بك ﴿وَسَبِّحْ﴾ صل متلبساً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَمِيِّ﴾ وهو من بعد الزوال ﴿وَالْإِنْكَارِ﴾ الصلوات الخمس ^(٢).

[٥٦] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿يَغْيِرُ سُلْطَانُ﴾ برهان ﴿أَنَّهُمْ﴾ ما ﴿فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ﴾ تكبر وطمع أن يعملوا عليك ﴿مَّا هُمْ بِيَلْبِغُوا فَاسْتَعِذْ﴾ من شرهم ﴿بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْبَصِيرُ﴾ بأحوالهم.

[٥٧] ﴿وَنَزَلَ فِي مَكْرِي الْبَحْثِ﴾ لِحَلِّقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿ابْتِدَاءً﴾ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴿مِنْ خَلْقِ النَّاسِ﴾ مرة ثانية وهي الإعادة ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، فهم كالأعمى، ومن يعلمه كالبصير.

[٥٨] ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾ لا ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾

قَالُوا أَوَلَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ آلُ الْمُشْهَدِ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْفَيْنَا بِنِعْمِ إِسْرَءِيلَ الْكِتَابِ هُدًى وَذَكَرْنَا لِأَوَّلَى الْأَنْبِيَاءِ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَمِيِّ وَالْإِنْكَارِ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ يَغْيِرُ سُلْطَانُ أَنَّهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِيَلْبِغُوا فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَخَلَقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُنَى قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ

وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وهو المحسن ﴿وَلَا الْمُنَى﴾ فيه زيادة «لا» ^(٣) ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون، بالياء والتاء ^(٤)؛ أي: تذكروهم قليل جداً.

(١) بالتاء قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٢) يعني أن التسيب في هذين الوقتين يرد به الصلوات الخمس، وقيل: المراد صلاة العصر وصلاة الفجر، وقيل: هي صلاة كانت بمكة قبل أن تفرض الصلوات الخمس؛ ركعتان غدوة وركعتان عشية. والأقرب أن المراد بالتسيب أعم من الصلاة، فيشملها ويشمل تنزيهه - شُبْحَانَهُ - بالذكر والدعاء والإخلاص في العبادة والتوجه ونحو ذلك.

(٣) للتوكيد، لطول الكلام بالصلاة.

(٤) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيَّتُهُ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآذَنُوا تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِعَاثِرِ اللَّهِ يَحْجِدُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾

[٥٩] ﴿إِنَّ السَّاعَةَ لَأَيَّتُهُ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ

النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بها. [٦٠] ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ (٥) أي: اعبدوني أنيكم، بقرينة ما بعده ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ﴾ بفتح الياء وضم الحاء وبالعكس (١) ﴿جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ صاغرين. [٦١] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ إسناد الإبصار إليه مجازي؛ لأنه يَبْصُرُ فيه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَدُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله، فلا يؤمنون. [٦٢] ﴿ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآذَنُوا تُؤْفَكُونَ﴾ كيف تصرفون عن الإيمان مع قيام البرهان. [٦٣] ﴿كَذَلِكَ يُؤْفَكُ﴾ أي: مثل إفك هؤلاء إفك ﴿الَّذِينَ كَانُوا بِعَاثِرِ اللَّهِ﴾ معجزاته ﴿يَحْجِدُونَ﴾. [٦٤] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً سَفَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَُمُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٦٥] ﴿هُوَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ﴾ اعبدوه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ من الشرك ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. [٦٦] ﴿قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ﴾ دلائل التوحيد ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

(٥) قائلة: أخرج الترمذي عن العثمان بن بشير عن النبي ﷺ في قوله: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ قال: «الدعاء هو العبادة»، وقرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿دَاخِرِينَ﴾. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١)، ومن سورة المؤمن. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨٥).

(١) بضم ثم فتح قراءة ابن كثير وشعبة. وقرأ بقية السبعة بالعكس.

[٦٧] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ﴾ بخلق أيكم آدم منه ﴿ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ﴾ مَتَّى ﴿ثُمَّ مِنْ عَقَّةٍ﴾ دم غليظ ﴿ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ بمعنى أطفالاً ﴿ثُمَّ يَبْقِيَكُمْ﴾ لَسْبَلْعُوا أَشْدَكُمْ ﴿تَكْمِلُ قَوْتَكُمْ﴾ من الثلاثين سنة إلى الأربعين ﴿ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا﴾ بضم الشين وكسرهما ^(١) ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّى مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قل الأشد والشيخوخة، فعل ذلك بكم لتعيشوا ﴿وَلِيَسْلَفُوا أَجْلاً مُسَمًّى﴾ وقتاً محدوداً ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ دلائل التوحيد فتؤمنون.

[٦٨] ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِنَّا فَضَعْنَا أَمْراً﴾ أراد إيجاد شيء ﴿فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ بضم النون وفتحها ^(٢) بتقدير «أن» أي: يوجد عقب الإرادة التي هي معنى القول المذكور ^(٣).

[٦٩] ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ القرآن ﴿أَنَّى كَيْفَ يَصْرِفُونَ﴾ عن الإيمان.

[٧٠] ﴿الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآلِ كَتَبٍ﴾ بالقرآن ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا﴾ من التوحيد والبعث، وهم كفار مكة ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ عقوبة تكذيبهم.

[٧١] ﴿إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَغْنَقِهِمْ﴾ إذ بمعنى إذا ﴿وَالسَّلْسِلُ﴾ عطف على «الأغلال» فنكون في الأعناق، أو مبتدأ خبره محذوف؛ أي: في أرجلهم، أو خبره: ﴿يُسْجَرُونَ﴾ أي: يُجْرُونَ بها.

[٧٢] ﴿فِي الْحَمِيمِ﴾ أي: جهنم ﴿ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ﴾ يوقدون.

[٧٣] ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ: نَبِّئُوا: إِنَّمَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

[٧٤] ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ معه، وهي الأصنام؟ ﴿قَالُوا ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنَّا﴾ فلا إله إلا هو ﴿بَلْ لَوْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ شَيْئاً﴾ أنكروا عبادتهم إياه، ثم أحضرت ^(١) قال - تعالى -: ﴿إِنَّا كُنَّا وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ﴾ ^(٢) أي: وقودها ﴿كَذَلِكَ﴾ أي: مثل إضلال هؤلاء المكذبين ﴿يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ﴾.

[٧٥] ويقال لهم أيضاً: ﴿ذَلِّكُمْ﴾ العذاب ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ﴾ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ من الإشراك وإنكار البعث ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾ تتوسعون في الفرح.

[٧٦] ﴿أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا قِيسٌ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.

هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَقَّةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتُوفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِيَسْلَفُوا أَجْلاً مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِنَّا فَضَعْنَا أَمْراً إِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي ءَايَاتِ اللَّهِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآلِ كَتَبٍ وَمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ إِذِ الْأَغْلُلُ فِي أَغْنَقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُسْجَرُونَ ﴿٧٠﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧١﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ: إِنَّمَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ: نَبِّئُوا: إِنَّمَا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿٧٤﴾ قَالُوا ضَلُّوا ضَلُّوا ﴿٧٥﴾ أَدْخَلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَلِيلِينَ فِيهَا قِيسٌ مَثْوًى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَذَلَّلْنَاهُمْ وَلَكِنَّا رَبَّكَ نَكْتُمُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٧٧﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَأَيِّنَّا يُرِيدُونَ ﴿٧٨﴾ وَإِنَّا لَنَرَاهُمْ فِي عَذَابِكُمْ مُقْتَضِينَ ﴿٧٩﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ إِنَّكَ أَنْتَ الْبَصِيرُ ﴿٨٠﴾

[٧٧] ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَكَأَيِّنَّا يُرِيدُونَ﴾ فيه «إن» الشرطية مدغمة، و«ما» زائدة، تؤكد معنى الشرط أول الفعل، والنون تؤكد آخره ﴿بَعْضُ الَّذِي يُؤْتِيهِمْ﴾ به من العذاب في حياتك، وجواب الشرط محذوف أي: فذاك ﴿أَوْ يُؤَفِّقُكَ﴾ أي: قبل تعذيبهم ﴿فَإِنَّمَا يُرْجَعُونَ﴾ فتعذبهم أشد العذاب، فالجواب المذكور للمعطوف فقط ^(١).

(١) قرأ ورش وحقق وأبو عمرو وهشام وقالون بالضم، وقرأ شعبة وحزمة وابن كثير وابن ذكوان والكساوي بالكسر.

(٢) بالفتح قراءة ابن عامر، وقرأ الباقون بضم النون.

(٣) وفي هذا التفسير نظر؛ حيث إن الأمر والقول عبر الإرادة، وهذا الكلام مباه على مذهب المصنف رحمه الله في تأويل صفة الكلام بالكلام النفسي، وهذا خلاف مذهب السلف الذين يقولون - إن الله عز وجل - يتكلم بما شاء كيف شاء ومتى شاء.

(٤) أحاب به المفسر عما يغفل إن حمل الآية على هذا الوجه بخالف قوله - تعالى -: ﴿إِنَّا كُنَّا وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ أَشَدَّ لَهَا وَرِيذِينَ﴾ (الأنبياء: ٩٨) فأجاب بأنهم أولاً تضلل عنهم الهتهم ويبتزلون، ثم تحضر وتقرن بهم.

(٥) الأنبياء: ٩٨.

(٦) أي: نقول: ﴿تُوفِّقُكَ﴾؛ لأن جواب ﴿تُرِيدُكَ﴾ محذوف كما تقدم.

منهم ﴿أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لأنهم عبيد مريبون ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ بنزول العذاب على الكفار ﴿فُضِيَ﴾ بين الرسل ومكذبيها ﴿يَلْحَقُ وَخَيْرَ هَٰؤُلَاءِ الْمُبْطِلُونَ﴾ أي: ظهر القضاء والخسران للناس، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

[٧٩] ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ﴾ قيل: الإبل خاصة هنا^(١)، والظاهر: البقر والغنم ﴿لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾.

[٨٠] ﴿وَلِكُلِّ فِيهَا مَنَافِعٌ﴾ من الدَّر والنسل والوبر والصوف ﴿وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ﴾ هي حمل الأثقال إلى البلاد ﴿وَعَلَيْهَا﴾ في البر ﴿وَعَلَى الْفُلْكِ﴾ السفن في البحر ﴿تَحْمَلُونَ﴾.

[٨١] ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ﴾ قَائِءَ آيَاتِ اللَّهِ؛ أي: الدالة على وحدانيته ﴿تُشْكِرُونَ﴾ استفهام توبيخ، وتذكير «أي» أشهر من تأنيبه^(٢).

[٨٢] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ﴾ من مصانع وقصور ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[٨٣] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ المعجزات الظاهرات ﴿فَرِحُوا﴾ أي: الكفار ﴿يَمَّا عِنْدَهُمْ﴾ أي: الرسل^(٣) ﴿بَيْنَ أَلْعِيزِ﴾ فرح استهزاء وضحك، منكرين له^(٤) ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ أي: العذاب.

[٨٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾ أي: شدة عذابنا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا يَدْعُونَ مُشْرِكِينَ﴾.

[٨٥] ﴿فَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ بِنْفَعُهُمْ﴾ يعنيهم لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُبَّتَ اللَّهُ؛ نصبه على المصدر بفعل مقدر من لفظه^(٥) ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادَةٍ﴾ في الأمم، أن لا ينفعهم الإيمان وقت نزول العذاب ﴿وَخَيْرَ هَٰؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ﴾ تبين خسرانهم لكل أحد، وهم خاسرون في كل وقت قبل ذلك.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَيْرَ هَٰؤُلَاءِ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٩﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨١﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ قَائِءَ آيَاتِ اللَّهِ تُشْكِرُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ بِسَهْرَةٍ وَن ﴿٨٤﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا يَدْعُونَ مُشْرِكِينَ ﴿٨٥﴾ فَلَمْ يَكُنْ لَكُمْ بِنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُبَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَيْرَ هَٰؤُلَاءِ الْكَافِرُونَ ﴿٨٦﴾

[٧٨] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ روي أنه - تعالى - بعث ثمانية آلاف نبي؛ أربعة آلاف نبي من بني إسرائيل، وأربعة آلاف من سائر الناس ﴿وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ﴾

(١) أي: لأنها هي التي يوجد فيها المنافع الآتية في الآيات هنا.

(٢) أي: أشهر من تأنيبه.

(٣) الراجح أن المراد فرح الكفار بما عند أنفسهم من العلم؛ لا بما عند الرسل؛ ولذا أفره على ما جاءت به الرسل.

(٤) وعلى القول الراجح؛ يكون فرح إعجاب وجهل.

(٥) تقديره: سبَّ الله بهم سُبَّتَ من قبلهم.

سُورَةُ فَصَّلَتْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ كَتَبَ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ
قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢﴾ نَبِيًّا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ
فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٣﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نِفَاكُكُمْ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ
وَفِيءًا ءَاتَيْنَا وَقُرْءَانًا وَبَيْنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْنَا عَمَلُونا
﴿٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ
فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا وَوَيْلٌ لِلْمُصْرِكِينَ ﴿٥﴾ الَّذِينَ
لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّا نُحَذِّرُكُمُ
لِنَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَانْدَادًا
ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ مِنْ تَحْتِهَا
وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِ أَنْبَاءِ أَيْامٍ سَوَاءٍ
لِلنَّاسِ يَلِدِينَ ﴿٩﴾ ثُمَّ أَسْرَوْنَاهُ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ
لَهَا وَإِلَى الْأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتْ أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١٠﴾

﴿لِلنَّاسِ يَلِدِينَ﴾ عن خلق الأرض بما فيها.

﴿١١﴾ ﴿ثُمَّ أَسْرَوْنَاهُ﴾ قصد ﴿إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾ بخار مرتفع ﴿فَقَالَ
لَهَا وَإِلَى الْأَرْضِ أَتَيْنَا﴾ إلى مرادي منكما ﴿طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ في موضع الحال؛
أي: طائعتين أو مكرهتين ﴿قَالَتْ أَتَيْنَا﴾ بمن فينا ﴿طَائِعِينَ﴾ فيه تغليب المذكر
العاق، أو: نُزِّلْنَا لخطأ بهما منزلته.

سُورَةُ فَصَّلَتْ

[مكية: ثلاث وخمسون آية، نزلت بعد غافر]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿حَمْدٌ﴾ الله أعلم بمجده به.
[٢] ﴿تَزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ مبتدأ.
[٣] ﴿كَتَبَ﴾ خبره ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾ بُنْتُ بِالْأحكام والقصاص
المواعظ ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من «كتاب» بصفته ^(١) ﴿لِقَوْمٍ﴾ متعلق
بـ«فصلت» ﴿يَعْلَمُونَ﴾ يفهمون ذلك، وهم العرب.
[٤] ﴿بَشِيرًا﴾ صفة «قرآنًا» ﴿وَنَذِيرًا﴾ فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ
سماع قبول.
[٥] ﴿وَقَالُوا﴾ للنبي: ﴿فَلَوْلَا فِي أَكْبَرَةٍ﴾ أعطية ﴿وَمِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ
وَفِيءًا ءَاتَيْنَا وَقُرْءَانًا وَبَيْنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ﴾ خلاف في الدين
﴿فَأَعْمَلْنَا﴾ عى دينك ﴿إِنَّا عَمِلُونَ﴾ على ديننا.
[٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ
فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ﴾ بالإيمان والطاعة ﴿وَاسْتَغْفِرُوا وَوَيْلٌ﴾ كلمة عذاب
﴿لِلْمُصْرِكِينَ﴾.
[٧] ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ تأكيد ﴿كُفِرُونَ﴾.
[٨] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع.
[٩] ﴿قُلْ أَتَيْتُكُمْ﴾ بتحقيق الهمة الثانية، وتسهيلها، وإدخال ألف
بينها بوجهها وبين الأولى ^(٢) ﴿لِنَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾
الأحد والاثنتين ^(٣) ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَانْدَادًا﴾ شركاء ﴿ذَلِكَ رَبُّهُ﴾ أي: مالك
﴿الْعَالَمِينَ﴾ جمع عالم، وهو ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه بالياء
والنون؛ تغليبًا للعلاقة.

- [١٠] ﴿وَجَعَلَ﴾ مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»؛ للفاصل
الأجنبي ^(٤) ﴿فِيهَا رِوْاسٍ﴾ جبالًا ثوابت ﴿مِنْ تَحْتِهَا وَبَرَكَ﴾ بكثرة المياه
والزروع والضرع ﴿وَقَدَّرَ﴾ قسم ﴿فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ للناس والبهائم ﴿فِي﴾
تمام ﴿أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ﴾ أي: الجعل، وما ذكر معه في يوم الثلاثاء والأربعاء ^(٥)
﴿سَوَاءٍ﴾ منصوب على المصدر أي: استوت الأربعة استواء لا تزيد ولا تنقص

(١) في بعض النسخ «حَمْدُ الشَّجْدَةِ» وعدد آياتها عند أهل المدينة وأهل مكة ثلاث وخمسون، وعد أهل الكوفة أربع وخمسون.

(٢) أي الكتاب؛ والمسمى أن المسوغ لشيء الحال منه مع كونه نكرة، هو وصفه بما بعده وهو جملة: ﴿فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾.

(٣) قرأ قالون وأبو عمرو بتسهيل الهمة الثانية بين يين مع إدخال الألف بينهما، وابن كثير وورش بالتسهيل من غير إدخال، وهشام بالإدخال مع التسهيل وتركه، والتسهيل مقدم له في الأداء، وبقية السبعة بالتحقيق من غير إدخال.

(٤) (٦) تعين هذه الأيام بأسمائها على النحو الذي ساقه الخليلي هنا، أو في نحوها من الآيات، لا سند له، وهو مخالف لما قاله هو في تفسير سورة الفرقان آية (٥٩)، حيث قال: (من أيام الدنيا؛ أي: قدرها؛ لأنه لم يكن ثم شمس).

(٥) وهو قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ لَهُ ءَانْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وقوله: «مستأنف، ولا يجوز عطفه على صلة «الذي»... إلخ» قال في حاشية الصاوي: «هذه العبارة في بعض النسخ، وهي معترضة بأنه لا محذور في الفصل بين المتعاطفين بالجمع المعترضة، ولا يقال: إنه وقع بين أجزاء صلة الموصول؛ لأنه يقال: الموصول قد استوفى صلته، ويغترف في التابع ما لا يغترف في التبوع؛ فالأولى إسقاط هذه العبارة، كما هو في بعض النسخ» اهـ.

آبَاتِ خَلَقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهُمَا﴾
الَّذِي أَمَرَ بِهِ مَنْ فِيهَا، مِنَ الطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ ﴿وَوَيْدًا لِّلنَّاسِ الْآتِيَا بِمَعْبُوحٍ﴾
بِنَجْمٍ ﴿وَحِفْظًا﴾ مُنْصَرِبٍ يَفْعَلُهُ الْمُقَدَّرُ أَي: حِفْظُنَاهَا مِنْ اسْتِرْاقِ الشَّيَاطِينِ
السُّمَّةِ بِالشَّهْبِ ﴿ذَلِكَ تَقْدِيرُ الرَّبِّ فِي مَلَكِهِ﴾ الْكَلِيمِ بِخَلْقِهِ.

[٣] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ أي: كفار مكة، عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فَقُلْ﴾ أُنذِرُكُمْ خَوْفَكُمْ مِثْلَ صَوْفَةٍ مِثْلَ صَوْفَةٍ عَادٍ وَسُعُودٍ أي: عذابا يهلككم مثل الذي أهلكهم.

[١٤] ﴿إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ ۖ أَيْ: مَقْبِلِينَ عَلَيْهِمْ وَمَدِينِينَ عَنْهُمْ فَكَفَرُوا كَمَا سَيَأْتِي، وَالْإِهْلَاكُ فِي زَمَنِهِ فَقَطْ ۖ أَيْ، أَنَّ: لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ عَلَيْنَا مَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ عَلَىٰ زَعَمِكُمْ كَاذِبُونَ ۖ

﴿١٥﴾ ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا لَا خَوْفَا بِالْعَذَابِ: ﴿مَنْ أَسَدٌ وَمَا قُوَّةُ﴾ أَي: لَا أَحَد، كَانَ وَاحِدُهُمْ يَقْلَعُ الصَّخْرَةَ الْعَظِيمَةَ مِنَ الْجِبَلِ، يَجْعَلُهَا حِثَّ بِشَاءٍ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ يَعْلَمُوا ﴿أَنَّهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ بِهِمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا﴾ الْمَعْجَرَاتِ ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

[٦٦] ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ باردة شديدة الصوت، بلا مطر ﴿فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ﴾ بكسر الحاء وسكونها^(٢٣) مشغومات عليهم ﴿يَلْدِيهِمْ عَذَابَ الْجَزَنِ﴾ الذل ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَوْثَقُ﴾ لا يُبْصِرُونَ ﴿يَنْصُرُونَ﴾ يمنعه عنهم.

[١٧] ﴿وَأَمَّا نُمُودٌ فَهَدَيْنَاهُمْ ۖ يَتَّبِعُ لَهُمْ طَرِيقَ الْهُدَى ۖ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى ۖ﴾
 اخْتَارُوا الْكُفْرَ ﴿عَلَى الْهُدَى فَاعْدَتْهُمْ صَعِفَةُ الْعَذَابِ الْهُورِ﴾ الْمُهِنِ ﴿يَمَّا
 كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.

[١٨] ﴿وَصَبَّحْنَا﴾ منها ﴿الَّذِينَ﴾ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿اللَّهُ﴾
[١٩] ﴿وَأَذْكُرْ﴾ يَوْمَ يُحْشَرُ ﴿بِالْيَاءِ وَالنُّونِ الْمَفْتُوحَةِ، وَضَمِّ الشَّيْنِ

وَفُتِحَ الْهَمزةُ (١) ﴿أَعَدَّ اللَّهُ إِلَى النَّارِ فَمَنْ يَزُكُّهُمْ﴾ يسألون.
[٢٠] ﴿حَقَّ إِذَا مَا﴾ زائدة ﴿جَاءَهَا شَيْدٌ عَلَيْهِمْ سَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ
وَجَلَدَهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا
وَرَبَّنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْرِحٍ وَحِفْظٍ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ
الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ إِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَبْعَةً مِّثْلَ صَبْعَةٍ
عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً
فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْنَا بِهِ كَاذِبُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادُ فَاسْتَكْبَرُوا فِي
الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةٌ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ
﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ بَحَاثِرَ صُرَافٍ أَيْبًا وَنَحَّاسَاتٍ لِيُنْذِرَهُمْ
عَذَابَ الْحِزْيِ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابِ الْآخِرَةِ أَخْزَيْنَا وَهُمْ
لَا يَبْصُرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى
الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَبْعَةٌ الْعَذَابِ أَلْهَوْا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَحْنُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ أَعْدَاءَ اللَّهِ
إِلَى النَّارِ فَهُمْ بُورِعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمْ هَاشِدٌ عَلَيْهِمْ
سَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَجَلَدُواهُمْ بَلَدًا بَلَدًا وَأَلْقَوْا بِغَضَبٍ عَمَلُونَ ﴿٢٠﴾

(١) راجع ما تقدم في التعليق على تعيين هذه الأيام على هذا النحو.

(٢) ظاهر كلام المصنف أن آدم خلق في نفس اليوم الذي خلقت فيه السماوات، وهو خلاف المشهور من أن بين خلق آدم وخلقها آلافاً من السنين. أو يكون مراده: أنه خلق في مثل هذا اليوم، كما

تقول: ولد محمد يوم الاثنين، وتوفي يوم

(۳۲) بسکونها قذاعة نافعه وان کثیر وأمر عمده

وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَ إِيْمَاتِكُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْتُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٣﴾ فَإِنْ يَصِيرُوا أَفْئِدَتُهُمْ ثُمَّ لَا تَهْتَدُوا لَهَا وَآخِرَةُ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ وَقَضَىٰ اللَّهُ قَوْلَهُ فَانْفَضَّتْ مِنْهُمْ أَفْئِدَتُهُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَافًّا ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ يَمَنُّوا أَنْ يُكَلِّمَهُمُ الْوَحْيُ غَيْرِ الْوَحْيِ فَقُلْتُ هَٰذَا الْوَحْيُ وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَمَنُّوا أَنْ يُكَلِّمَهُمُ الْوَحْيُ غَيْرِ الْوَحْيِ فَقُلْتُ هَٰذَا الْوَحْيُ وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ يَمَنُّوا أَنْ يُكَلِّمَهُمُ الْوَحْيُ غَيْرِ الْوَحْيِ فَقُلْتُ هَٰذَا الْوَحْيُ وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ وَلَقَدْ يَمَنُّوا أَنْ يُكَلِّمَهُمُ الْوَحْيُ غَيْرِ الْوَحْيِ فَقُلْتُ هَٰذَا الْوَحْيُ وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ يَمَنُّوا أَنْ يُكَلِّمَهُمُ الْوَحْيُ غَيْرِ الْوَحْيِ فَقُلْتُ هَٰذَا الْوَحْيُ وَأَنْتُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٠﴾

﴿٢١﴾ ﴿وَقَالُوا لَجُلُودِهِمْ لَمْ يَشْهَدُوا عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: أراد نطقه ﴿وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ قيل: هو من كلام الجلود، وقيل: هو من كلام الله - تعالى - كالذي بعده، وموقعه قريب مما قبله، بأن القادر على إنشائكم ابتداء وإعادتكم بعد الموت أحياء، قادرٌ على إنطاق جلودكم وأعضائكم.

﴿٢٢﴾ ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ﴾ عن ارتكابكم الفواحش من ﴿أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ لأنكم لم توقنوا بالبعث ولكن ظننتم عند استناركم ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿وَذَلِكُمْ﴾ مبتدأ ﴿ظَنُّكُمْ﴾ بدل منه ﴿الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ﴾ نعت، والخبر ﴿أَرَدْتُمْ﴾ أي: أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿فَإِنْ يَصِيرُوا﴾ على العذاب ﴿فَالنَّارُ مَثْوًى﴾ مأوى ﴿لَهُمْ﴾ وإن يستعذبوا يطلبوا العتيى أي: الرضا ﴿فَمَا لَهُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ﴾ المرصين.

﴿٢٥﴾ ﴿وَقَضَىٰ اللَّهُ قَوْلَهُ﴾ سبنا ﴿لَهُمْ قُرْآنٌ﴾ من الشياطين ﴿فَرِيقًا﴾ مِمَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴿مَنْ أَمَرَ الدُّنْيَا وَاتَّبَعَ الشُّهُورَ﴾ وَمَا خَلَقَهُمْ ﴿مَنْ أَمَرَ الْآخِرَةَ﴾ بقولهم: لا بعث ولا حساب ﴿وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب، وهو: ﴿لَا تَلَذَّاتُمْ فِيهَا﴾ الآية (١) ﴿فِي﴾ جملة ﴿أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ﴾ هلكت ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِرِينَ.

﴿٢٦﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ عند قراءة النبي ﷺ: ﴿لَا تَسْمَعُوا هَٰذَا أَفْئِدَتَانِ وَالْقُلُوبُ فِيهِ﴾ اتوا باللغظ ونحوه، وصبحوا في زمن قراءته ﴿لَمَلِكُهُمْ تَتْلُون﴾ فيسكت عن القراءة.

﴿٢٧﴾ قال الله - تعالى - فيهم: ﴿فَلَنَذِقَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَشْرًا الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ أي: أفصح جزاء عملهم.

﴿٢٨﴾ ﴿ذَٰلِكَ﴾ العذاب الشديد وأشوأ الجزاء ﴿جَزَاءً أَعَدَّ اللَّهُ﴾ بتحقيق الهزيمة الثانية وإبدالها وازاء (٢) ﴿النَّارِ﴾ عطف بيان للجزاء المخبر به عن ذلك ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ أي: إقامة لا انتقال منها ﴿جَزَاءً﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر ﴿يَمَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ القرآن ﴿يَجْحَدُونَ﴾.

﴿٢٩﴾ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في النار: ﴿رَبَّنَا آتِنَا الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنْ

الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾ أي: إبليس وقايل (٣) سَأَا الكفر والقتل ﴿تَجْعَلَهُمَا تَحْتَ أَفْدَانِنَا﴾ في النار ﴿يَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ أي: أشد عذاباً منا.

(١) ما جاء في نزول الآيات (٢٢ - ٢٤): أخرجه أحمد عن عبد الله (ابن مسعود) قال: كنت مستنيراً بأستار الكعبة فجاء ثلاثة غرة تفني وختاه قرشيان، كثير شحم بطونهم، قليل فقه بلونهم. قال: فحدثوا بينهم حديث، قال: فقال أحدهم: أرى الله ﷻ يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع ما رفعنا، وما خفضنا لا يسمع، قال الآخر: إن كان يسمع شيئاً فهو يسمعه كله. قال: فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ قال: فزلت: ﴿وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَيْدَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾. أحمد (١/٤٤٤)، وصححه الأرنؤوط في تخريجه على المسند (٢٧٣/٧). وأخرجه في الصحيحين بدون ذكر الآيتين، وأخرجه الترمذي إلى قوله: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٢) ومن سورة حم السجدة.

(٢) هود: ١١٩.

(٣) تحقيق الهزيمة الثانية هو قراءة حزمة والكسائي وعاصم وابن عامر، وإبدالها واوا هو قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) هذا القول مروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام؛ وتعب بأنه لا يصح عن علي عليه السلام؛ فإن قيس مؤمن عاصي. ويكون المقصود من قوله: ﴿الَّذِينَ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ﴾: فريقي شاطئي النوعين المقيضين لهم الخاملين لهم على الكفر والمعاصي بالتسويل والتزيين.

تَخَافُوا ﴿٣٠﴾ من الموت وما بعده ﴿وَلَا تَحْزَنُوا﴾ على ما خلفتم من أهل وولد؛ فنحن نخلفكم فيه ﴿وَابْتَهِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾.

[٣١] ﴿تَحْنُ أُولَآئِكُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ أي: نحفظكم فيها ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾ أي: نكون معكم فيها حتى تدخلوا الجنة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ تطلبون.

[٣٢] ﴿تُزَلَّ﴾ رزقا مهيشا، منصوب بـ«جعل» مقدرا ﴿وَمِنْ عَفْوَ رَبِّهِمْ﴾ أي: الله.

[٣٣] ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أي: لا أحد أحسن قولًا ﴿وَمَنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ بالتوحيد ﴿وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ﴾ في جزئياتهما؛ لأن بعضهما فوق بعض ﴿أَدْفَعُ﴾ السيفة ﴿يَأْتِي﴾ أي: بالحصلة التي ﴿هِيَ أَحْسَنُ﴾ كالغضب بالصبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو ﴿فَإِذَا أَلَدَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ أي: فيصير عدوك كالصديق القريب في محبته إذا فعلت ذلك، فـ«الذي» مبتدأ، و«كانه» الخبر، و«إذا» ظرف لمعنى التشبيه.

[٣٥] ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا﴾ أي: يؤتى الحصلة التي هي أحسن ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا أُولَآئِكَ حَقَّ ثَوَابٌ عَظِيمٌ﴾.

[٣٦] ﴿وَمَا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ﴾ أي: يصرفك عن الحصلة وغيرها من الخير صارف ﴿فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ جواب الشرط، وجواب الأمر محذوف؛ أي: يدفعه عنك ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ للقول ﴿الْعَلِيمُ﴾ بالفعل.

[٣٧] ﴿وَمَنْ ءَاتَيْنَاهُ أَيْلًا وَالتَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ أي: الآيات الأربع ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

[٣٨] ﴿فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا﴾ عن السجود لله وحده ﴿فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: فاللائكة ﴿يَسْتَحْجُونَ﴾ يصلون ﴿لَمْ يَأْتِلِ وَالتَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْتَمُونَ﴾ لا يملون.

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣١﴾ تَحْنُ أُولَآئِكُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهُ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣٢﴾ تَزَلَّ مِنْ عَفْوَ رَبِّهِمْ ﴿٣٣﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٤﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا أُولَآئِكَ حَقَّ ثَوَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٦﴾ وَمَا يَزَعْنَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٧﴾ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَيْلٌ وَالتَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٨﴾ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ ﴿٣٩﴾

[٣٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على التوحيد وغيره مما وجب عليهم ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾ عند الموت ﴿أَنَّهُنَّ بَانَ﴾

(د) فائدة: أخرج البخاري عن ابن عباس قال: ﴿أَدْفَعُ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة؛ فإذا فعلوه عصمهم الله ورضعهم لهم عدوهم ﴿كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾: البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة فصلت (٤١).

[٣٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاها لَمَجِي الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٤٠] ﴿إِنْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ﴾ من الحلد ولحد^(١) ﴿فِي آيَاتِنَا﴾ القرآن بالتكذيب^(٢) ﴿لَا يَخْشَوْنَ عَلَيْنَا﴾ فنجازيهم ﴿أَفَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ تَنْ يَأْتِي بِنُورٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تهديد بهم.

[٤١] ﴿إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ﴾ القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ بنجازيهم ﴿وَلَهُمْ لَكِنْتُ عَذِيبٌ﴾ منيع.

[٤٢] ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾ أي: ليس قبله كتاب يكذبه ولا بعده ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أي: الله الحمود في أمره.

[٤٣] ﴿مَا يَقَالُ لَكَ﴾ من التكذيب ﴿إِلَّا﴾ مثل ﴿مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ﴾ للمؤمنين ﴿وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ للكافرين.

[٤٤] ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الذكر ﴿قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا هَذَا فَفُصِّلَتْ﴾ يثبت ﴿آيَاتُهُ﴾ حتى نفهمها ﴿أَلَمْ نَقْرَأْ﴾ قرآن ﴿أَعْجَمِيًّا﴾ نبي ﴿عَزِيزٍ﴾ استفهام إنكار منهم، بتحقيق الهمزة الثانية وقلبها ألفا، بإشباع ودونه^(٣) ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَشِقَاءٌ﴾ من الجهل ﴿وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ﴾ نقل فلا يسمعون ﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ فلا يفهمونه ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: هم كالمنادى من مكان بعيد، لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به.

[٤٥] ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿فَاتَّخِذْ فِيهِ﴾ بالتصديق والتكذيب، كالقرآن ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة ﴿لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ في الدنيا فيما اختلفوا فيه ﴿وَأَرْسَلْنَاهُمْ﴾ أي: المكذبين به ﴿لِنُكَلِّمَهُمْ مِنْ رَبِّكَ﴾ موقع في الرية.

[٤٦] ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَلَعَلَّهَا﴾ أي: فضرر إساءته على نفسه ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْمَعِيدِ﴾ أي: بذى ظلم، لقوله تعالى: ﴿إِنْ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ شَيْئًا لِّذَرَّةٍ﴾^(٤).

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنْ الَّذِي أَحْيَاها لَمَجِي الْمَوْتِ إِنَّهُمْ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنْ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْشَوْنَ عَلَيْنَا أَمْ تَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ تَنْ يَأْتِي بِنُورٍ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَلَهُمْ لَكِنْتُ عَذِيبٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنْ رَبُّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ؕ أَعَجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِقَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاتَّخِذْ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ؕ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

(١) يشير إلى الفرائض، فيفتح الياء والحاء ﴿يُلْحِدُونَ﴾ قرأ حمزة، من الحلة الثلاثي، وقرأ بقية السبعة ﴿يُلْحِدُونَ﴾ بضم الياء وكسر الحاء.

(٢) ومن الإلحاد في آيات الله تحريفها وتأويلها بغير ما قصد منها.

(٣) هذا سبق قلم من المفسر كقولهم، والصواب أن يقال: وتسهيل الثانية بإشباع ودونه؛ فالإشباع: هو إدخال ألف بين الحقة والسهلة، وعدمه: هو ترك الإشباع. قرأ حمزة والكسائي وشعبة بتحقيق الهمزة الثانية، وقرأ قبل وحشام - بخلاف عنهما - بالجر، والباقون بالاستفهام مع التسهيل بين يين، وكل على أصله.

(٤) النساء: ٤.

سُورَةُ الشُّورَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ۝ عَسَقَ ۝ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ۝ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
 وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِنَّ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
 الْأَرْضِ ۚ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الرَّحِيمُ ۝ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
 ۝ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ
 حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لِأَرْبَابٍ فِيهِ فِرْقَانٌ فِي الْجَنَّةِ وَفِرْقَانٌ فِي
 السَّعِيرِ ۝ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ
 يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ أَمْ
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَإِنَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ
 عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ
 إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝

أُولَىٰ ۝ أي: الناصر للمؤمنين، والفاء مجرد العطف ۝ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝.

[١٠] وَمَا اخْتَلَفْتُمْ ۝ مع الكفار ۝ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ ۝ من الدين وغيره ۝ فَحُكْمُهُ ۝ مردود ۝ إِلَى اللَّهِ ۝ يوم القيامة يفصل بينكم، قل لهم: ۝ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ۝ أَرْجِعْ.

سُورَةُ الشُّورَى

[مكية، إلا: ﴿قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ الآيات الأربع، ثلاث وخمسون آية، نزلت بعد فصلت]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] حَمَّ ۝.

[٢] عَسَقَ ۝ الله أعلم بمراحه به.

[٣] كَذَلِكَ ۝ أي: مثل ذلك الإحياء ﴿يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَ﴾ أوحى ۝ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ ۝ فاعل الإحياء ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه.

[٤] لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۝ ملكاً وخلقاً وعبداً ۝ وَهُوَ الْعَلِيُّ ۝ عسى خلقه ۝ الْعَظِيمُ ۝ الكبير.

[٥] تَكَادُ ۝ بالناء والياء ^(١) ﴿السَّمَوَاتُ﴾ يَتَفَطَّرُونَ ۝ بالنون ^(٢)، وفي قراءة بالناء والتشديد ۝ مِنْ فَوْقِهِنَّ ۝ أي: تنشق كل واحدة فوق التي تليها، من عظمة الله - تعالى - ۝ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۝ أي: ملاسین للحمد ۝ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ ۝ من المؤمنين ۝ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ ۝ لأوليائه ۝ الرَّحِيمُ ۝ هم.

[٦] وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۝ أي: الأصنام ۝ أَوْلِيَاءَ ۝ اللَّهُ حَفِيفٌ ۝ مُخَصَّصٌ ۝ عَلَيْهِمْ ۝ ليجازيهم ۝ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ۝ تحصل المطلوب منهم وما عليك إلا البلاغ.

[٧] وَكَذَلِكَ ۝ مثل ذلك الإحياء ۝ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنْذِرَ ۝ تَخْذِفُ ۝ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۝ أي: أهل مكة وسائر الناس ۝ وَنُنْذِرَ ۝ النَّاسَ ۝ يَوْمَ الْجُمُعِ ۝ يوم القيامة، تجتمع فيه الخلائق ۝ وَلَا رَيْبَ ۝ شك ۝ فِيهِ فِرْقَانٌ ۝ منهم ۝ فِي الْجَنَّةِ وَفِرْقَانٌ فِي السَّعِيرِ ۝ النار.

[٨] وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ۝ أي: على دين واحد، وهو الإسلام ۝ وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۝ وَالظَّالِمُونَ ۝ الكافرون ۝ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ۝ يدفع عنهم العذاب.

[٩] أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ۝ أي: الأصنام ۝ أَوْلِيَاءَ ۝ أم منقطعة بمعنى «بل» التي للانتقال، والهمزة للإنكار ^(٣)؛ أي: ليس المتخذون أولياء ۝ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ

(١) بالياء قراءة نافع والكسائي.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿يَتَفَطَّرْنَ﴾.

(٣) في نسخة القاضي كنعان: «وهمزة الإنكار» أي: إن «أم» بمعنى: همزة الإنكار.

﴿يَذَرُوكُمْ﴾ بالمعجمة؛ يخلفكم ﴿فِيهِ﴾ في الجغل المذكور؛ أي: يكثركم بسببه بالوولد، والضمير للأناسي والأنعام بالغلب ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الكاف زائدة؛ لأنه - تعالى - لا مثل له ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ﴾ لما يقال ﴿الْبَصِيرُ﴾ لما يفعل.

[١٢] ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: مفاتيح خزائنها؛ من المطر والنبات وغيرهما ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾ يوسعه ﴿لِمَن يَشَاءُ﴾ امتحاناً ﴿وَيَقْدِرُ﴾ يضيقه لمن يشاء ابتلاءً ﴿إِنَّهُ يَكُلُّ شَيْءٌ عَلِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ هو أول أنبياء الشريعة^(١) ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَتُوا الدِّينَ﴾ ولا تفرقوا فيه؛ هذا هو المشروع الموصى به، والموصى إلى محمد ﷺ وهو التوحيد ﴿كَرَّ﴾ عظم ﴿عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ ما ندعوهم إليه من التوحيد ﴿أَنَّهُ يَجْعَلِ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُم مِّن يَّوْمٍ إِلَى يَوْمٍ آيَاتٍ﴾ إلى التوحيد ﴿مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ يقبل إلى طاعته.

[١٤] ﴿وَمَا تَفْقَهُوا﴾ أي: أهل الأديان في الدين، بأن ومحد بعض، وكفر بعض ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَلَاءُ﴾ بالتوحيد ﴿بَعَثْنَا﴾ من الكافرين ﴿بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ﴾ فإذ ذلك قَادَعُ وَأَسْتَقَمَ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ فَكُنْ بِجَارٍ بِعَمَلِهِ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ

[١٥] ﴿فَإِذْلِكُ﴾ التوحيد ﴿قَادَعُ﴾ يا محمد الناس ﴿وَأَسْتَقَمَ﴾ عليه ﴿كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ في تركه ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ﴾ أي: بأن أعدل ﴿بَيْنَكُمْ﴾ في الحكم ﴿أَنَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ﴾ فكُنْ بِجَارٍ بِعَمَلِهِ ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا﴾ في المعاد لفصل القضاء ﴿وَالَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ المرجع.

فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذَرُوكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١٢﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٤﴾ وَمَا تَفْقَهُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَلَاءُ بَعْثْنَا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٌ ﴿١٥﴾ فَلِذَلِكَ قَادَعُ وَأَسْتَقَمَ كَمَا أُمِرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْتُمْ لَاحُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

[١٦] ﴿فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ مُبْدِعُهُمَا ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ حيث خلق حواء من ضلع آدم ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا﴾ ذكورا وإناثا

(١) أي أول الرسل الذين جاءوا بشرية شاملة؛ كما في حديث الشفاعة المشهور في الصحيحين وغيرهما، وفيه: «ولكن اتوا نوحا؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض»، وأم آدم فإنه أول نبي.

[١٦] ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي دِينٍ﴾ الله ﴿نبيه﴾ ﴿مَنْ بَعْدَ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ﴾ بالآيات، لظهور معجزته ^(١) وهم اليهود ﴿وَجَنَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ باطلة ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَتَيْتُمْ عَصَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

[١٧] ﴿إِنَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ القرآن ﴿يَالْحَقُّ﴾ متعلق به ﴿أَنْزَلَ﴾ ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿وَمَا يَدْرِيكَ﴾ يُعَلِّمُكَ ﴿لَعَلَّ السَّاعَةَ﴾ أي: إتيانها ﴿قَرِيبٌ﴾ والعل: معلق للفعل ^(٢) عن العمل، وما بعده سد مسد المفعولين.

[١٨] ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا﴾ يقولون: متى تأتي؟ ضلّا منهم أنها غير آتية ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ﴾ خائفون ﴿مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ﴾ لَا إِنَّ الَّذِينَ يُحَاجُّونَ ﴿يَجَادِلُونَ فِي السَّاعَةِ﴾ لِي ضَلَلِ بَعِيدٌ.

[١٩] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ يَرْهَمُ وَفَاجِرُهُمْ؛ حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم ﴿يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾ من كل منهم ما يشاء ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ﴾ على مراده ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب على أمره.

[٢٠] ﴿مَنْ كَانَتْ يُرِيدُ﴾ بعمله ﴿حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾ أي: كسبها، وهو الثواب ﴿زِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾ بالتضعيف فيه؛ الحسنه إلى العشرة وأكثر ﴿وَمَنْ كَانَتْ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُفَتْهُ﴾ منها؛ بلا تضعيف، ما قسم له ﴿وَمَا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾.

[٢١] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿لَهُمْ﴾ لكفار مكة ﴿شُرَكَاءُ﴾ هم شياطينهم ﴿شَرَعُوا﴾ أي: الشركاء ﴿لَهُمْ﴾ للكفار ﴿مِنَ الَّذِينَ﴾ الفاسد ﴿مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ كالشرك وإنكار البعث ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ﴾ أي: القضاء السابق، بأن الجزاء في يوم القيامة ﴿لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾ وبين المؤمنين بالتعذيب لهم في الدنيا ﴿وَلِلَّهِ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٢] ﴿تَرَى الظَّالِمِينَ﴾ يوم القيامة ﴿مُشْفِقِينَ﴾ خائفين ﴿وَمَا كَسَبُوا﴾ في الدنيا من السيئات، أن يجازوا عليها ﴿وَهُوَ﴾ أي: الجزاء عليها ﴿وَأَقْعَمَ بِهِمْ﴾ يوم القيامة لا محالة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ﴾ الْجَنَّاتِ ﴿أَنْزَهَا﴾ بالنسبة إلى من دونهم ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾.

(١) في نسخة القاضي: «معجزاته».

(٢) وهو: «يدريك».

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ عَصَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ إِنَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُفَتْهُ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الَّذِينَ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتٍ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

القول وغيره، وقد فعل^(٢) ﴿وَمَنْ أَلَّغِ اللَّهُ الْبَطْلَ﴾ الذي قالوه ﴿وَيُحْيِي الْمَيِّتَ﴾ يشيئه ﴿بِكَلِمَتِهِ﴾ المنزلة على نبيه ﴿إِنَّمَا عَلَيْكُمْ الْخُضُوعُ﴾ بما في القلوب.

[٢٥] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ منهم ﴿وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ﴾ المُنَابِغَ عنها ﴿وَيَعْلَمُ مَا يُفْعَلُونَ﴾ [بالياء والناء^(٣)].

[٢٦] ﴿وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يجيبهم إلى ما يسألون^(٤) ﴿وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ وَالْكَافِرُونَ هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ.

[٢٧] ﴿وَلَوْ سَئَلْنَا اللَّهَ الرِّزْقَ لِعَابَدَهُ﴾ جميعهم ﴿لَعَزَّ﴾ جميعهم؛ أي: طغوا ﴿فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَنْزِلُ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٥)؛ من الأرزاق ﴿بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ﴾ فيسقطها لبعض عباده دون بعض وينشأ عن البسط البغي ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ خَيْرٌ بِصِيرٍ﴾.

[٢٨] ﴿وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ﴾ المطر ﴿مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ يشعوا من نزوله ﴿وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾ يسقط مطره^(٦) ﴿وَهُوَ الْوَلِيُّ﴾ المحسن للمؤمنين ﴿الْحَكِيمُ﴾ المحمود عندهم.

[٢٩] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ خلق ﴿مِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ ونشر ﴿فِيهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ هي ما يدب على الأرض^(٧) من الناس وغيرهم ﴿وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ﴾ للحشر ﴿إِذَا بَشَأَ قَدِيرٌ﴾ في الضمير تغليب العاقل على غيره.

[٣٠] ﴿وَمَا أَصْبَحْتُمْ﴾ خطاب للمؤمنين^(٨) ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ﴾ بلية وشدة ﴿فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ أي: كسبت من الذنوب، وعبر بالأيدي؛ لأن أكثر الأفعال تُزاول بها ﴿وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ منها؛ فلا يجازي عليه، وهو - تعالى - أكرم من أن ينشي الجزاء في الآخرة، وأما غير المذنبين فما يصيبهم في الدنيا لرفع درجاتهم في الآخرة.

[٣١] ﴿وَمَا أَنْتُمْ﴾ يا مشركون ﴿بِمُعْجِزَاتِ اللَّهِ﴾ هرباً ﴿فِي الْأَرْضِينَ﴾ فتفوتوه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يدفع عذابه عنكم.

ذَلِكَ الَّذِي يُبَيِّنُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴿فَلَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ وَمَنْ يَقْرَأْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَنَنْزِلُ عَلَى اللَّهِ كِتَابًا فَإِنْ بَشَأَ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَطْلَ وَيُحْيِي الْمَيِّتَ يَكَلِمَتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٣﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَلَوْ سَئَلْنَا اللَّهَ الرِّزْقَ لِعَابَدَهُ لَبَعَثُوا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ يَعْلَمُ خَيْرٌ بِصِيرٍ ﴿٣٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَكَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٣٨﴾ وَمَا أَصْبَحْتُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٩﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٤٠﴾

[٢٣] ﴿ذَلِكَ الَّذِي يَنْشُرُ﴾ من البشارة مخففاً ومثلاً^(١) به ﴿اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فُلَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ عَلَى تَبْلِغِ الرسالة ﴿أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ استثناء منقطع؛ أي: لكن أسألكم أن تؤثروا قرابتي، التي هي قرابتكم أيضاً، فإن له في كل بطن من قريش قرابة ﴿وَمَنْ يَقْرَأْ﴾ يكتب ﴿حَسَنَةً طَاعَةً﴾ نَزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا بتضعيفها ﴿إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ﴾ للذنوب ﴿شَكُورٌ﴾ للقليل فيضاعفه.

[٢٤] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ أَفَنَنْزِلُ عَلَى اللَّهِ كِتَابًا﴾ بنسبة القرآن إلى الله - تعالى - ﴿إِنْ يَنْزِلَ اللَّهُ يَخْتِمْ﴾ يربط ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ بالصبر على أذاهم بهذا

(١) ﴿يَنْشُرُ﴾ مخففاً قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿يَنْشُرُ﴾.

(٢) الراجع وعليه أكثر المفسرين أن هذه الآية كقولهم: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ بِكُلِّ سُلُوكٍ﴾. قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ بِكُلِّ سُلُوكٍ﴾. والمراد منها الاستشهاد على بطلان ما قالوا ببيان أنه لا ينزل القرآن على الله كذا لم نعلم من ذلك قطعاً فخرج على قلبه بحيث لم يخطر بباله معنى من معانيه، ولم ينطق بحرف من حروفه، وهذا الأسلوب مؤداة استبعاد الافتراء من مثله.

(٣) بالياء قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالناء.

(٤) ﴿فِي الْأَرْضِينَ﴾ في موضع نصب، وقيل: بل في موضع رفع، والمعنى يستجيرون لربهم فينقادون له ويلبسون دعوته، فإذا فعلوا ذلك شكر لهم ورادهم توفيقاً ونشاطاً على العلم ومضاعفة في الأجر. وهذا القول أقرب، والله أعلم.

(٥) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

(٦) الصحيح أن الرحمة صفته - سبحانه وتعالى - وهي غير المطر، وهو من آثار رحمته، التي هي أعم ووسعت كل شيء.

(٧) ظاهر الآية يفيد ما يدب على السماء كذلك من ملائكة، وبه قال بعض المفسرين، بل ذهب بعض الباحثين إلى وجود حيوانات كحيوانات الأرض ولوازم حياتها من نباتات وأشجار وبحار وأنهار هنالك، واستبعده عنهم من أهل العلم.

(٨) الظاهر أن الخطاب عم للمؤمنين وغيرهم.

[٣٢] ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ كَالْجَمَالِ فِي الْعِظَمِ.

[٣٣] ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ﴾ يَصْرَنَ ﴿رَوَاكِدٌ﴾ ثَوَابِتٌ لَا تَجْرِي ﴿عَلَى ظُهُورِهِ﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿هُوَ الْمُؤْمِنُ يَصْبِرُ فِي الشَّدَةِ، وَيَشْكُرُ فِي الرِّخَاءِ﴾.

[٣٤] ﴿أَوْ يُوقِعْهُنَّ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿يُسْكِنِ﴾؛ أَي: يَفْرَقُهُنَّ بِغَضَبِ الرِّيحِ بِأَمَلُهُنَّ ﴿يَمَّا كَسَبُوا﴾ أَي: أَمَلَهُنَّ مِنَ الذَّنُوبِ ﴿وَيَعُفُّ عَنْ كَثِيرٍ﴾ مِنْهَا، فَلَا يَفْرُقُ أَهْلَهُ.

[٣٥] ﴿وَيَعْلَمُ﴾ بِالرَّفْعِ مُسْتَأْنَفٌ، وَبِالنَّصْبِ ^(١) مَعْطُوفٌ عَلَى تَعْلِيلٍ مُقَدَّرٍ؛ أَي: يَفْرَقُهُمْ لِتَنَقُّصِ مِنْهُمْ، وَيَعْلَمُ ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ﴾ مَهْرَبٌ مِنَ الْعَذَابِ، وَجَمَلَةُ النَّفْيِ سَدَّتْ مَسَدَ مَفْعُولِي «يَعْلَمُ»، وَالتَّنْفِي مَعْلُوقٌ عَنِ الْعَمَلِ.

[٣٦] ﴿فَمَا أُوَيْتُمْ﴾ خُطَابٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَغَيْرِهِمْ ﴿وَمِنْ شَيْءٍ﴾ مِنْ أَثَاتِ الدُّنْيَا ﴿فَمَتَّعَ الْآيَاتِ الدُّنْيَا﴾ يَمْتَنِعُ بِهِ فِيهَا، ثُمَّ يَزُولُ ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ مِنَ الثَّوَابِ ﴿خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾.

[٣٧] وَيَعْطِفُ عَلَيْهِ ^(٢)، ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ كِبَرَهُمْ﴾ وَالْفَوَاحِشُ مُوجِبَاتُ الْحُدُودِ، مِنْ عَطَفِ الْبَعْضِ عَلَى الْكُلِّ ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ يَتَجَاوَزُونَ.

[٣٨] ﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ﴾ أَجَابُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْعِبَادَةِ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ أَدَامُوهَا ﴿وَأَنفَقُوا﴾ الَّذِي يَبْدُو لَهُمْ ﴿شُرَىٰ يَبْنُهُمْ﴾ يَتَشَاوَرُونَ فِيهِ وَلَا يَعْمَلُونَ ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ عَطَيْنَاهُمْ ﴿يَتَفَقَّهُونَ﴾ فِي طَاعَةِ اللَّهِ. وَمِمَّنْ ذَكَرَ صَف.

[٣٩] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْغَصَ﴾ الْظَلَمُ ﴿هُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ صَنَفٌ؛ أَي: يَتَنَقِّمُونَ مِنَ ظَلَمِهِمْ بِمَشْ ظَلَمِهِ، كَمَا قَالَ - تَعَالَى -: [٤٠] ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ سَمِيتُ الثَّانِيَةَ سَيِّئَةً لِمِثَابَتِهَا لِلأُولَى فِي الصُّورَةِ، وَهَذَا ظَاهِرٌ فِيمَا يَقْتَضِي فِيهِ مِنَ الْجَرَاحَاتِ، قَالَ بَعْضُهُمْ: وَإِذَا قَالَ لَهُ: أَخْرَاكَ اللَّهُ؛ فَيَجِيبُهُ: أَخْرَاكَ اللَّهُ ﴿فَمَنْ عَفَاكَ﴾ عَنْ ظَالِمِهِ ﴿وَأَسْلَمَ﴾ الْوَدَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَعْفُو عَنْهُ ﴿فَإَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ أَي: إِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُهُ لَا مُحَالَةَ ﴿إِنَّهُمْ لَا يَحِثُّ الظَّالِمِينَ﴾ أَي: الْبَادِينَ بِالظُّلْمِ، فَيَتَرْتَب ^(٣) عَلَيْهِمْ عِقَابُهُ ^(٤).

[٤١] ﴿وَلَمَّا أَتَتْهُمْ أَعْوَابُ النَّارِ﴾ ظَلَمَ الظَّالِمُ إِيَّاهُ ﴿فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنَ سَبِيلٍ﴾ مَوْأخَذَةٍ.

وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظُهُورِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِعْهُنَّ يَمَّا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ نَجِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَا أُوَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ كِبَرَهُمْ أَثَامًا ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُوقِفُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْغَصَبُ يَتَضرَّعُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْغَصَبُ يَتَضرَّعُونَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْغَصَبُ يَتَضرَّعُونَ ﴿٤٢﴾

[٤٢] ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ﴾ يَعْمَلُونَ ﴿فِي الْأَرْضِ يُعَذِّبُهُمُ الْحَقُّ﴾ بِالْمَعَاصِي ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مُؤَلَّمٌ.

[٤٣] ﴿وَلَمَّا صَبَرَ﴾ فَلَمْ يَنْتَصِرْ ﴿وَعَفَرَ﴾ تَجَاوَزَ ﴿إِنْ ذَلِكَ﴾ الصَّبْرُ وَالتَّجَاوُزُ ﴿لَمَّا عَزَمَ الْأُمُورَ﴾ أَي: مَعَزَمَاتُهَا؛ بِمَعْنَى الْمَطْلُوبَاتِ شَرْعًا.

[٤٤] ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِّنْ بَعْدِهِ﴾ أَي: أَحَدٌ بَلِي هُدَايَتِهِ، بَعْدَ إِضْلَالِ اللَّهِ إِيَّاهُ ﴿وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَفٍّ﴾ إِلَى الدُّنْيَا ﴿مِنْ سَبِيلٍ﴾ طَرِيقٌ؟

(١) بِالرَّفْعِ قِرَاءَةٌ نَافِعَةٌ وَابْنُ عَامَرٍ، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالنَّصْبِ؛ «وَيَعْلَمُ».

(٢) فِي بَعْضِ النُّسخِ الْمَطْبُوعَةِ: «عَلَيْهِمْ»، وَالصَّوَابُ الْمَثْبُوتُ؛ أَي: عَلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

(٣) فِي نَسْخَةِ الْقَاضِي: «فَيَتَرْتَبُ».

(٤) هَذَا مِنْ أَكْثَرِ عَدَمِ مَجْنَبِ كَلِمَتِ الظَّالِمِينَ، وَلَيْسَ هَذَا تَفْسِيرٌ مُقَابِلُ الْحَقِيقَةِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْمَفْسَرِ غَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَلَهُ، فِي تَأْوِيلِ هَذِهِ الصِّفَةِ بِأَثَارِهَا وَلِوِازِمِهَا.

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٤٦﴾ بتخليدهم في النار، وعدم وصولهم إلى الحور المعدة لهم في الجنة، لو آمنوا، والموصول: خبر «إن» ﴿أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾ الكافرين ﴿فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ دائم، هو من مقول الله تعالى ..

[٤٦] ﴿وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أُولِيَاءَ يَصُورُهُمْ بَيْنَ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره، يدفع عذابه عنهم ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَهُوَ قَدْ لَمَّ مِنْ سَبِيلِ﴾ طريق إلى الحق في الدنيا، وإلى الجنة في الآخرة.

[٤٧] ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ أجيبوه بالتوحيد والعبادة ﴿وَمَنْ قَبِلَ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ﴾ هو يوم القيامة ﴿لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ﴾ أي: أنه إذا أتى به لا يرده ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ﴾ تلجؤون إليه ﴿يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾ إنكار للنزوبكم.

[٤٨] ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ عن الإجابة ﴿فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ تحفظ أعمالهم، بأن توافق المطلوب منهم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد ﴿وَيَا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مَتًّا رَحَمَةً﴾ نعمة^(١)؛ كالغنى والصحة ﴿فَرِحَ بِهَا﴾ وإن نصيبهم ﴿الضيمير للإنسان باعتبار الجنس سَيِّئَةً﴾ بلاء ﴿هِيَمَا قَدَمَتْ أَيْدِيَهُمْ﴾ أي: قدّموه، وعبر بالأيدي؛ لأن أكثر الأفعال تراول بها ﴿فَإِنْ الْإِنْسَانُ كَفُورٌ﴾ للنعمة.

[٤٩] ﴿بَلَلَّ اللَّهُ مِلْثَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من الأولاد ﴿وَيَنْتَهِ وَيَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذِّكْرُ﴾.

[٥٠] ﴿أَوْ يَرْزُقُهُمْ﴾ أي: يجعلهم ﴿ذُرِّيًّا وَابْنًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ فلا يلد ولا يولد له ﴿إِنَّمَا عَلِيمٌ﴾ بما يخلق ﴿ذَبِيرٌ﴾ على ما يشاء^(٢).

[٥١] ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا﴾ أن يوحى إليه ﴿وَحَيًّا﴾ في المنام أو بالهام ﴿أَوْ﴾ إلا ﴿وَرَأَى حِجَابًا﴾ بأن يسمعه كلامه ولا يراه؛ كما وقع لموسى عليه السلام ﴿أَوْ﴾ إلا أن ﴿رُسُلًا﴾ ملكًا كجبريل ﴿فَيُوحِي﴾ الرسول إلى المرسل إليه؛ أي: يكلمه ﴿بِأَذْنِهِ﴾ أي: الله ﴿وَمَا يَشَاءُ﴾ الله ﴿إِنَّمَا عَلِيمٌ﴾ عن صفات المحدثين^(٣) ﴿حَكِيمٌ﴾ في صنعه.

وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعَاتٍ مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ ﴿٤٧﴾ من طرف خفي ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ ألا إن الظالمين في عذابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٨﴾ وما كان لهم من أولياء ينصرونهم من دُونِ اللَّهِ ومن يضلِّلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٩﴾ أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٥٠﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مَتًّا رَحَمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٥١﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٥٢﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٣﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْلِمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ ﴿٥٤﴾

[٤٥] ﴿وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا﴾ أي: النار ﴿خَشِيعَاتٍ﴾ خافقين متواضعين ﴿مِنَ الدَّلِّ يَنْظُرُونَ﴾ إليها ﴿مِنْ طَرَفٍ خَفِيِّ﴾ ضعيف النظر، مسارقة، ومن ابتدائية، أو بمعنى الباء ﴿وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ﴾

(١) النعمة من آثار الرحمة، وهذا يلزم منه إثبات صفة الرحمة صفة لله قائمة بذاته.

(٢) الصواب عدم تقييد القدرة بالمشيئة، فظاهر القرآن إثبات القدرة المطلقة، وهذا هو الأكمل والأحسن في الصفة. وما أثبت المفسر كقولهم إنما هو منه جرياً على طريقة الأشاعرة.

(٣) وهذا من قصر العلم على بعض أفرادها؛ فضلاً عن كون هذه العبارة موهمة ويستخدمها البعض لنفي الصفات الناجية لله تعالى، والآية من أدلة إثبات صفة العلم التام لله تعالى ذاتاً وقهراً وشأناً.

وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

سُورَةُ الزُّحْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمَّ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا
لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَاللَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا
لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَضْرِبُ عَنْكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا
أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي
الْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾
فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾
وَلَكِن سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ
خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾

- [٨] ﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ﴾ من قومك ﴿بَطْشًا﴾ قوة ﴿وَمَضَىٰ﴾ سبق
في آيات ﴿مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ صفتهم في الإهلاك، فعاقبة قومك كذلك.
[٩] ﴿وَلَكِن﴾ لام قسم ﴿سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لِيَقُولُنَّ﴾
حذف منه نون الرفع؛ لتوالي التونات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين
﴿خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾ آخر جوابهم أي: الله ذو العزة والعلم.
[١٠] زاد - تعالى :: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا﴾ فإرشا كالْمَهْدِ
للصبي ﴿وَجَعَلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا﴾ طرقًا ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ إلى
مقاصدكم في أسفاركم.

[٥٢] ﴿وَكَذَلِكَ﴾ أي: مثل إباحتنا إلى غيرك من الرسل ﴿أَوْحَيْنَا
إِلَيْكَ﴾ يا محمد ﴿رُوحًا﴾ هو القرآن، به تحيا القلوب ﴿وَمِنْ أَمْرِنَا﴾ الذي
نوحيه إليك ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي﴾ تعرف قبل الوحي إليك ﴿مَا الْكِتَابُ﴾ القرآن
﴿وَلَا الْإِيمَانُ﴾ أي: شرائعه ومعامله، والنفي معلق للفعل عن العمل، وما بعده
سدّ مسدّ المفعولين ﴿وَلَكِن جَعَلْنَاهُ﴾ أي: الروح، أو الكتاب ﴿نُورًا نَّهْدِي بِهِ﴾
مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ تدعو بالوحي إليك ﴿إِلَى صِرَاطٍ﴾
﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ دين الإسلام.
[٥٣] ﴿صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ملكًا وخلقًا
وعبيدًا ﴿إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ترجع.

سُورَةُ الزُّحْرِ

[مكة، وقيل: إلا: ﴿رَسَلْنَا مَن أَرْسَلْنَا﴾ الآية،
تسع وثمانون آية، نزلت بعد الشورى]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿حَمَّ﴾ الله أعلم بمراده به.
[٢] ﴿وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر طريق الهدى وما يحتاج إليه
من الشريعة.
[٣] ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ﴾ أوجدنا^(١) الكتاب ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ بلغة العرب
﴿لَمَلَكِكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿تَعْقِلُونَ﴾ تفهمون معانيه.
[٤] ﴿وَأَنَّهُ﴾ مثبت ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ أصل الكتب؛ أي: اللوح
المحفوظ ﴿لَدَيْنَا﴾ بدل عندنا ﴿لَعَلِّي﴾ على الكتب قبله ﴿حَكِيمٌ﴾ ذو
حكمة بالغة.
[٥] ﴿أَفَضْرِبُ﴾ نمسك ﴿عَنْكُمُ الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿صَفْحًا﴾
إمساكًا، فلا تؤمرون ولا تنهون لأجل ﴿أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾
مشركين؟ لا.
[٦] ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ﴾.
[٧] ﴿وَمَا﴾ كان ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ أتاهم ﴿مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾
كاستهزاء قومك بك، وهذا تسلية له ﷺ.

(١) تفسير الجعل بالإيجاد مبني على القول بخلق القرآن، والصواب تفسيره بالإزلال أو نحوه، مما ذكر أصحاب السنة من المفسرين؛ كابن جرير والبخاري وغيرهما؛ لأنه جعل هنا متعلِّق إلى مفعولين، فلا
يكون بمعنى الخلق والإيجاد، بل بمعنى التصيير ونحوه.

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا
كَذَلِكَ نُخْرِجُوت ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ
لَكُم مِّنَ الْفَلَاحِ وَالْآفَاقِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِنَسْتَوِي عَلَى ظُهُورِهِ
ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ
الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا
لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّا لَا نَسْأَلُ
لِكُفُورٍ مُّبِينٍ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ
بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا
ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوَّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مِنْ يُنْسَوْنَ فِي
الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ
الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ
شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ
مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَتَيْنَهُمُ
كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا
وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَرِهِمْ مُهُتَدُونَ ﴿٢٢﴾

[١١] «وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ» أي: بقدر حاجتكم إليه، ولم ينزله طوفاناً، فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ» أي: مثل هذا الإحياء «نُخْرِجُوت» من قبوركم أحياء.

[١٢] «وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ» الأصناف «كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْفَلَاحِ» السفن «وَالْآفَاقِ» كالإبل «مَا تَرْكَبُونَ» تحذف العائد اختصاراً،

وهو مجرور في الأول^(١)، أي: فيه، منصوب في الثاني^(٢).

[١٣] «لِنَسْتَوِي» لتستقروا «عَلَى ظُهُورِهِ» ذكر الضمير، وجمع الظهر؛ نظراً للفظ «ما» ومعناها «ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» مطبقين.

[١٤] «وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ»^(٣) لمنصرفون.

[١٥] «وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا» حيث قالوا: الملائكة بنات الله؛ لأن الولد جزء من الولد، والملائكة من عبادته - تعالى - «إِنَّا لَا نَسْأَلُ مَا نَقْدُم» لِكُفُورٍ مُّبِينٍ» يبين ظاهر الكفر.

[١٦] «أَمْ» بمعنى همزة الإنكار، والقول مقدر؛ أي: أقولون «أَتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ» لنفسه «وَأَصْفَاكُمْ» أحلصكم «بِالْبَنِينَ» اللازم من قولكم السابق، فهو من جملة المنكر.

[١٧] «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا صَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا» جعل له شبهة بنسبة البنات إليه؛ لأن الولد يشبه الولد؛ المعنى: إذا أخبر أحدهم بالبنات تولد له «ظَلَّ» صار «وَجْهُهُ مُسَوَّدًا» متغيراً تغير معتم «وَهُوَ كَظِيمٌ» غمى، فكيف ينسب البنات إليه، تعالى عن ذلك.

[١٨] «أَوْ» همزة الإنكار، واو العطف، بجملة^(٣)؛ أي: يجعلون لله «مَنْ يُنْسَوْنَ فِي الْحِلْيَةِ» الزينة «وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ» مظهر الحجة^(٤)؛ لضعفه عنها بالأنوثة!

[١٩] «وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا» حضروا «خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ» بأنهم إناث «وَيُسْأَلُونَ» عنها في الآخرة، فيترتب عليهم العقاب.

[٢٠] «وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ» أي: الملائكة، فعبادتنا إياهم بمشيئته، فهو راض بها، قال - تعالى -: «مَا لَهُمْ بِذَلِكَ» المقول من الرضا بعبادتها «وَمِنْ عِلْمٍ إِنْ» ما «هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ» يكذبون فيه، فيترتب عليهم العقاب به.

[٢١] «أَمْ أَتَيْنَهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ» أي: القرآن، بعبادة غير الله «فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ» أي: لم يقع ذلك.

[٢٢] «بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ» ملة «وَإِنَّا» ماشون «عَلَى آثَرِهِمْ مُهُتَدُونَ» بهم، وكانوا يعبدون غير الله.

(ه) فائدة: أخرج مسلم عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً، ثم قال: «سُبْحَنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ» وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هون علينا سفرنا هذا... الحديث. مسلم - كتاب الحج (١٥) باب (٧٥) ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره.

(١) أي: إذا أعيد إلى الفلك، والمعنى: «وجعل لكم من الفلك ما تركبون».

(٢) أي: إذا أعيد إلى الأنعام، والمعنى: «وجعل لكم من الأنعام ما تركبونها».

(٣) أي: هما كلمتان حرفان، لا كلمة واحدة.

(٤) هي نسخة القاصي كنعان: «الحجة».

[٢٣] ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَكُهَا أَتَسْمَعُونَ ﴿٢٤﴾ فَأُولَئِكَ يَفْتَنُ اللَّهُ أَتَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾﴾

[٢٤] ﴿إِنْ أَفْئِدَتُكُمْ عَنْ أَهْلِكُمْ قَالَُوا يَا بَرَاءَ أَرْسَلْتُمْ بِهِ أَنْذَرْنَا عَلَى أَعْقَابِهِمْ﴾

[٢٥] قال - تعالى - تخوفنا لهم: ﴿فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ أي: من المكذبين للرسول قبلك ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ﴾.

[٢٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾

[٢٧] ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ خلقتني ﴿فَإِنَّمَا سَيِّدُنِي﴾ يرشدني لدينه.

[٢٨] ﴿وَجَعَلَهَا﴾ أي: كلمة التوحيد^(١) المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدُنِي﴾^(٢) ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ ذريته، فلا يزال فيهم من يوحد الله ﴿لَعَلَّهُمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿يَرْجِعُونَ﴾ عما هم عليه إلى دين إبراهيم أبيهم.

[٢٩] ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ﴾ المشركين ﴿وَأَبَاءَهُمْ﴾ ولم أعجلهم بالعقوبة ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ مظهر لهم الأحكام الشرعية، وهو محمد ﷺ.

[٣٠] ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ﴾ القرآن ﴿قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ﴾.

[٣١] ﴿وَقَالُوا لَوْلَا رَبٌّ هَلَّا رَبَّنَا﴾ هلاً ﴿نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنْ أَهْلِ الْقُرَيْيَةِ﴾ من أمة منها ﴿عَظِيمٍ﴾ أي: الوليد بن المغيرة بمكة، أو عروة بن مسعود الثقفي بالطائف.

[٣٢] ﴿أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ﴾ النبوة ﴿وَنَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَّيِّسَتُهُمْ فِي الْأَحْزَابِ﴾ فجعلنا بعضهم غنياً وبعضهم فقيراً ﴿وَوَفَعْنَا بَعْضَهُمُ الْغَنَىٰ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمُ الْغَنَىٰ الْفَقِيرَ﴾ الفقير ﴿سُخْرِيًّا﴾ مسخرًا في العمل له بالأجرة، والياء للنسب، وقرئ^(٤) بكسر السين ﴿وَرَحِمَتْ رَبِّكَ﴾ أي: الجنة^(٥) ﴿حَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ في الدنيا.

[٣٣] ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الكفر ﴿لَجَعَلْنَا لِمَنْ

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَكُهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ قُلْ أُولَئِكَ يَفْتَنُ اللَّهُ أَتَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾﴾ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٦﴾ فَاَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدُنِي ﴿٢٩﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣٠﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءَ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٣١﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقُرَيْيَةِ عَظِيمٍ ﴿٣٣﴾ أَهْمٌ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمًا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَوَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوقِنَهُمْ سُقْمًا إِنَّ فَضْلَهُ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٥﴾

يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوقِنَهُمْ﴾ بدل من «لمن» ﴿سُقْمًا﴾ بفتح السين وسكون القاف، وبضمهما^(١)؛ جمعاً ﴿مِّنْ فَضْلِهِ وَمَعَارِجَ﴾ كالدرج من فضة ﴿عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ يعلون إلى السطح.

(١) وهي قراءة السبعة عدا حفص وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿قَالَ﴾.

(٢) المراد بقوله: (وجعلناها) يحتمل أن يكون الله ﷻ، ويحتمل أن يكون إبراهيم - عليه السلام -؛ فقولان للمفسرين، ويدل على الثاني قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا إِبْرَاهِيمَ بِبَنِيهِ وَيَقُولُ﴾ الآية.

(٣) الصفات: ٩٩. وقوله: «المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيِّدُنِي﴾» لعله سبق قلم، والصواب أن يقول: المفهومة من قوله: ﴿إِنِّي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾.

(٤) أي: شذوذاً.

(٥) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ وليست هي نفسها.

(٦) بالإنفراد؛ بفتح السين وسكون القاف، قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بضمها.

[٣٦] ﴿وَمَنْ يَعْشُ يَعْرِضْ﴾ يعرض ﴿عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: القرآن ﴿تَفْقِضْ﴾ نسب ﴿كَلِمَ شَيْطَانًا فَهُوَ لَمْ يَقْرَأْ﴾ لا يفارقه.

[٣٧] ﴿وَاللَّيْلِ﴾ أي: الشياطين ﴿يَكْشُدُونَهُمْ﴾ أي: العاشين ﴿عَنِ النَّبِيلِ﴾ أي: طريق الهدى ﴿وَيَحْسُبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ في الجمع رعاية معنى «من».

[٣٨] ﴿حَقًّا إِذَا جَاءَنَا﴾ العاشي بقرينه يوم القيامة ﴿قَالَ﴾ له: ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ﴾ أي: مثل بعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فَيَسِّرَ الْفَرِيقَ﴾ أنت لي.

[٣٩] قال - تعالى -: ﴿وَلَنْ يَفْعَلَكُمْ﴾ أي: العاشين، تمنئكم وندمكم ﴿الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ﴾ أي: تبين لكم ظلمكم بالإشراك في الدنيا ﴿أَنكُمُ﴾ مع قرنائكم ﴿فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ﴾ علة بتقدير اللام؛ لعدم النفع، و«إذ» بدل من «اليوم».

[٤٠] ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَىٰ أَوْ تَهْدِي السُّبْحَانَ﴾ أي: فهم لا يؤمنون.

[٤١] ﴿فَلَمَّا﴾ فيه إدغام نون «إن» الشرطية في «ما» الزائدة ﴿نَذَهَبَ بِكَ﴾ بأن نمتك قبل تعذيبهم ﴿فَلَمَّا مَتَّعْنَاهُمْ مُنْتَقِمِينَ﴾ في الآخرة.

[٤٢] ﴿أَوْ زَيْنًا﴾ في حياتك ﴿الَّذِي وَعَدْتَهُمْ﴾ به من العذاب ﴿فَلَمَّا عَلَّمْنَاهُمْ﴾ على عذابهم ﴿مُقْتَدِرُونَ﴾ قادرون.

[٤٣] ﴿فَأَسْمَيْكَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ﴾ أي: القرآن ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.

[٤٤] ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّشَرِّ الْوَقُوفِ﴾ لنزوله بلغتهم ﴿وَسَوْفَ تَنْشَأُونَ﴾ عن القيام بحقه.

[٤٥] ﴿وَسَمَلٌ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَعْطَيْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: غيره ﴿إِلَهُةً يُعْبَدُونَ﴾ قيل: هو على ظاهره، بأن جمع له الرسل ليلة الإسراء، وقيل: المراد أمم من أي أهل الكتابين، ولم يسأل على واحد من القولين؛ لأن المراد من الأمر بالسؤال: التقرير لمشركي قريش، أنه لم يأت رسول من الله، ولا كتاب بعبادة غير الله.

[٤٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ﴾ أي: القبط ﴿فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْمَلَكِينَ﴾.

[٤٧] ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا﴾ الدالة على رسالته ﴿إِذَا هُمْ بِمُصْحَفٍ﴾.

وَيُؤَيِّنُهُمْ أَوْيَا وَسُرَّرَ عَلَيْهَا يَتَكَوَّنُونَ ﴿٣٦﴾ وَزُخْرُفًا وَآتَ كُلُّ ذَلِكَ لَمَامَنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَمْ يَقْرَأْ ﴿٣٨﴾ وَتَنْهَمُ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَسِّرَ الْفَرِيقَ ﴿٤٠﴾ وَلَنْ يَفْعَلَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَتَكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٢﴾ فَمَا نَذَهَبَ بِكَ فَلَمَّا مَتَّعْنَاهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴿٤٣﴾ أَوْ زَيْنًا الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْنَاهُمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَسْمَيْكَ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَسَمَلٌ مِّنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَعْطَيْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهُةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ بِمُصْحَفٍ ﴿٤٩﴾

[٣٤] ﴿وَيُؤَيِّنُهُمْ أَوْيَا﴾ من فضة ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ﴾ ﴿شُرَكَاءَ﴾ من فضة، جمع سرير ﴿عَلَيْهَا يَتَكَوَّنُونَ﴾.

[٣٥] ﴿وَزُخْرُفًا﴾ ذهبًا، المعنى: لولا اخوف الكفر على المؤمنين من إعطاء الكافر ما ذكر لأعطياه ذلك؛ لقلة خطر الدنيا عندنا، وعدم خطئه في الآخرة في النعيم ﴿وَأَن﴾ مخففة من الثقيلة ﴿كُلُّ ذَلِكَ﴾ ﴿أَلْمَا﴾ بالتخفيف، ف«ما» زائدة، وبالتشديد (١) بمعنى «إلا ف«إن» نافية ﴿مَتَّعْنَاهُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ يتمتع به فيها ثم يزول ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ الجنة ﴿عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

(١) بالتخفيف قراءة السبعة عدا عاصم وحزمة، وهشام بخلاف عه.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿جَاءَنَا﴾.

وَمَا تُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَأَعْلَاهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ عَنِ الْإِمْنَانِ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٥١﴾ أَيُّ مُؤْمِنٍ قَالُوا يَقُولُوا الْيَسَّىٰ لِي مُلْكٌ مُّضَرٌّ وَهَذِهِ الْآلَةُ تُجْرِي مِنْ تَحْتِ أَفْلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥٢﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٣﴾ فَلَوْلَا أُلْقِيَ عَلَيْهِ إِذْ كَانَ صَادِقًا ﴿٥٤﴾ أَتَأْمُرُ بِمَنْ يَكْفُرُ بِاللَّهِ أَنْ يَكْفُرَ بِكَ يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ ﴿٥٥﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٦﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالُوا يَا إِلَهَنَا خَبَرُ أَمِّ هُومًا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٦٠﴾ إِنَّا هُوَ إِلَّا عِبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ ﴿٦١﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٢﴾

خَصِمُونَ^(١) شديداً والخصومة.

[٥٩] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ﴾ عيسى ﴿إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ بالنبوة ﴿وَجَعَلْنَاهُ﴾ بوجوده من غير أب ﴿مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ أي: كالمثل لغرته يستدل به على قدرة الله - تعالى - على ما يشاء.

[٦٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ﴾ بديكم ﴿مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ﴾ بأن نهلككم.

[٤٨] ﴿وَمَا تُرِيدُهُمْ مِنْ آيَةٍ﴾ من آيات العذاب؛ كالطوفان وهو ماء دخل بيوتهم، ووصل إلى خلق الجالسين، سبعة أيام، والجراد ﴿إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ قريبها التي قبلها ﴿وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَأَعْلَاهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عن الكفر. [٤٩] ﴿وَقَالُوا﴾ موسى لما رآوا العذاب: ﴿يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ﴾ أي: العالم الكاس؛ لأن السحر عندهم علم عظيم ﴿ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ﴾ من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿إِنَّا لَمُهْتَدُونَ﴾ أي: مؤمنون.

[٥٠] ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا﴾ بدعاء موسى ﴿عَنْهُمْ الْعَذَابَ﴾ إذا هم يَكْفُرُونَ ﴿يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ﴾ ويصرون على كفرهم.

[٥١] ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ﴾ افتخاراً ﴿فِي قَوْمِهِ﴾ قَالَ يَقُولُ الْيَسَّىٰ لِي مُلْكٌ يَقْرَأُ وَهَذِهِ الْآلَةُ تُجْرِي مِنْ تَحْتِ أَفْلَا تُبْصِرُونَ؟ عظمي؟

[٥٢] ﴿أَمْ﴾ تبصرون، وحينئذ ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا﴾ أي: موسى ﴿الَّذِي هُوَ مَهِينٌ﴾ ضعيف حقير ﴿وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ يُظْهِرُ كَلَامَهُ لِللُّغَةِ بِالْحُمْرَةِ الَّتِي تَنَالُهَا فِي صَغَرِهِ^(٢).

[٥٣] ﴿فَلَوْلَا﴾ هَلَا ﴿أُلْقِيَ عَلَيْهِ﴾ إِنْ كَانَ صَادِقًا ﴿[أَسَاسُورَةٍ] مِنْ ذَهَبٍ﴾ جمع أسورة^(٣) كـ «أُغْرِبَةٌ»، جمع سوار، كعادتهم فيمن يسودونه، أَنْ يلبسوه أسورة ذهب، ويطوفوه طوق ذهب ﴿أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلِكُ﴾ مُقْتَرِبِينَ متتابعين يشهدون بصدقه.

[٥٤] ﴿فَاسْتَحَفَّ﴾ استغفر فرعون ﴿قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ فيما يريد من تكذيب موسى ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَرِيقِينَ﴾.

[٥٥] ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ أغضبونا ﴿انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾.

[٥٦] ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا﴾ جمع سالف كخادم وخدم؛ أي: سابقين عبرة ﴿وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ بعدهم، يمثّلون بحالهم، فلا يُقدّمون على مثل أفعالهم.

[٥٧] ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ﴾ جُعِلَ ﴿ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ حين نزل قوله - تعالى -: ﴿إِنْ كُنْتُمْ وَمَا تُعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمَ﴾^(٤) فقال المشركون: رضينا أن تكون ألّهتنا مع عيسى؛ لأنه عُبد من دون الله ﴿إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ﴾ أي: المشركون ﴿يَصِدُّونَ﴾ من المثل ﴿يَصِدُّونَ﴾ يضحكون فرحاً بما سمعوا^(٥).

[٥٨] ﴿وَقَالُوا يَا إِلَهَنَا خَبَرُ أُمِّ هَوًى﴾ أي: عيسى، فرفضى أن تكون ألّهتنا معه ﴿مَا ضَرَبُوهُ﴾ أي: المثل ﴿لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ خصومة بالباطل، لعلمهم أن «ما» لغير العاقل، فلا يتناول عيسى ﷺ ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾

(١) ما جاء في نزول الآية (٥٧): أخرج أحمد عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لفرش: «يا معشر فرش، إنه ليس أحد بعد من دون الله فيه خير»، وقد علمت فرش أن النصارى تعبد عيسى ابن مريم، وما تقول في محمد، فقالوا: يا محمد، أنت تزعم أن عيسى كان نبياً وعبدًا من عباد الله صالحاً؛ فلن كنت صادقاً؛ فإن ألّهتهم لكما تقولون. قال: فأقول الله ﷻ: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ إِنَّا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ. أحمد - المسند (١ - ٣١٨)، وحسن الأرنؤوط إسناده في تخريجه على المسند (٨٦/٥، ٨٧).

(٢) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجمل»، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٤) ومن سورة الزخرف. وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٩٣).

(١) سبق بيان ذلك في تفسير سورة «آه» آية (٢٧).

(٢) أي: جمع الجمع، وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص: ﴿أَسَاسُورَةٍ﴾.

(٣) الأنبياء: ٩٨.

عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٣﴾ يَسَّ الْعَادَاةَ.

[٦٣] ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ﴾ بالمعجزات والشرائع ﴿قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾ بالنبوة وشرائع الإنجيل ﴿وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ من أحكام التوراة، من أمر الدين وغيره، فيبين لهم أمر الدين ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾.

[٦٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطٌ طَرِيقٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٥] ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ﴾ في عيسى؛ أهو الله، أو ابن الله، أو ثالث ثلاثة؟ ﴿فَوَيْلٌ﴾ كلمة ذهاب ﴿لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ كفروا بما قالوه في عيسى ﴿مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.

[٦٦] ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ أي: ما ينتظرون ﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾ أن تأتيهم بغتة وهم لا يشعرون ﴿الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ﴾ بعضهم لبعض عدوٌّ ﴿إِلَّا الْمُسْقِينَ﴾ يعباد لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذذ الأعين وأنتم فيها خالدون ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَنَّةٌ أَلْوَىٰ أَوْ تُشْمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لكم فيها فلكه كثيرة منها تأكلون ﴿٧٢﴾

[٦٧] ﴿الْأَخْلَاءَ﴾ على المعصية في الدنيا ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة، متعلق بقوله: ﴿بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ المتحابين في الله على طاعته، فإنهم أصدقاء.

[٦٨] ويقال لهم: ﴿يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾.

[٦٩] ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نعت لعبادي ﴿وَيَايُنَا﴾ القرآن ﴿وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

[٧٠] ﴿أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ﴾ مبتدأ ﴿وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ زوجانكم ﴿تَحْبَرُونَ﴾ تسرون وتكرمون، خبر المبتدأ.

[٧١] ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ﴾ بقصاع ﴿مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ جمع كوب؛ وهو: إناء لا عروة له، ليشرب الشارب من حيث شاء ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ تَلَذُّوا﴾ وتلذذوا ﴿وَلِلَّذِينَ الْأَعْيُنُ﴾ نظروا ﴿وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[٧٢] ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَنَّةٌ أَلْوَىٰ أَوْ تُشْمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

[٧٣] ﴿لَكُمْ فِيهَا فَلَكَهٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا﴾ أي: بعضها ﴿تَأْكُلُونَ﴾ وكل ما يؤكل يخلف بدله.

وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلْسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٧١﴾ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٧٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَا يُبَيِّنُ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٧٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوا هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٧٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ ﴿٧٥﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٦﴾ الْأَخْلَاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُسْقِينَ ﴿٧٧﴾ يَعْبَادُ لَا خَوْفَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٧٨﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٧٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٨٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ﴿٨١﴾ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَلَكُمْ فِي الْجَنَّةِ أَلْوَىٰ أَوْ تُشْمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٣﴾ لَكُمْ فِيهَا فَلَكَهٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٨٤﴾

[٦١] ﴿وَابَيِّنْ﴾ أي: عيسى ﴿لِلْسَّاعَةِ﴾ تعلم بنزوله ﴿فَلَا تَمْتَرُنَ﴾ أي: تشكرك فيها، حذف منه نون الرفع للجرم، وواو الضمير للقاء الساكنين ﴿وَقُلْ لَهُمْ﴾ ﴿أَتَتُونِي﴾ على التوحيد ﴿هَذَا﴾ الذي أمركم به ﴿صِرَاطٌ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٌ﴾.

[٦٢] ﴿وَلَا يَصُدُّكُمْ﴾ يصرفكم عن دين الله ﴿الشَّيْطَانُ﴾ إِنَّهُ لَكُمْ

(٥) هائدة: أخرج الترمذي عن أبي سعيد وأبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ينادي مناد: إن لكم أن تحبوا فلا تقوتوا أبداً، وإن لكم أن تحبوا فلا تسقموا أبداً، وإن لكم أن تشبوا فلا تهروا أبداً، وإن لكم أن تعملوا فلا تبأسوا أبداً» فذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَنَّةٌ أَلْوَىٰ أَوْ تُشْمُوها بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤١) سورة الزمر. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٨٨).

[٧٤] ﴿إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾.

[٧٥] ﴿لَا يَغُفِّرُ﴾ يخفف ﴿عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُوُونَ﴾ ساكنون سكوت يأس.

[٧٦] ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾.

[٧٧] ﴿وَنَادَوْا بِذُنُوبِكُمْ﴾ هو خازن النار ﴿لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ ليمنتنا ﴿قَالَ﴾ بعد ألف سنة^(١) ﴿إِنَّكُمْ تَكِيدُونَ﴾ مقيمون في العذاب دائماً.

[٧٨] قال - تعالى -: ﴿لَقَدْ جِئْتَكُمْ أَيُّ أَهْلِ مَكَّةَ بِالْحَقِّ﴾ على لسان الرسول ﴿وَلَكِنْ أَكْذَرْتُمْ لِحَقِّي كَرِهْتُمْ﴾.

[٧٩] ﴿أَمْ أَمْرُؤًا﴾ أي: كفار مكة، أحمكوا ﴿أَمْرًا﴾ في كيد محمد النبي ﴿فَإِنَّا أَمْرُؤُونَ﴾ محكمون كيدنا في إهلاكهم.

[٨٠] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ﴾ ما يسرون إلى غيرهم وما يجهرون به بينهم ﴿بَلَىٰ﴾ نسمع ذلك ﴿وَرُسُلَنَا﴾ الحفظة ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿يَكْتُمُونَ﴾ ذلك.

[٨١] ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ﴾ فرضاً ﴿فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ﴾ للولد، لكن ثبت أن لا ولد له - تعالى - فانتفت عبادته.

[٨٢] ﴿سَبِّحْ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّ الْعَرْشِ﴾ الكرسي^(٢) ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يقولون من الكذب بنسبة الولد إليه.

[٨٣] ﴿فَذَرَهُمْ مَبْجُوضًا﴾ في باطلهم ﴿وَلْيَعْلَمُوا﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُونَ﴾ فيه العذاب، وهو يوم القيامة.

[٨٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾ هو ﴿فِي السَّمَاءِ إِلَهُ﴾ بتحقيق الهمزتين، واسقاط الأولى وتسهيلها كالياء^(٣)؛ أي: معبود ﴿وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ﴾ وكل من الظرفين متعلق بما بعده ﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه ﴿الْعَلِيمُ﴾ بمصالحهم.[٨٥] ﴿وَتَبَارَكَ﴾ تعظم ﴿الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ انتسبت ﴿وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ متى تقوم ﴿وَالَّذِي [يُجْعَلُونَ]﴾ بالياء والتاء^(٤).

[٨٦] ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ يعبدون؛ أي: الكفار ﴿وَيُنَادُونَ﴾ أي: من دون الله ﴿الشَّفْعَةَ﴾ لأحد ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ أي: قال: لا إله إلا الله ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم، وهم عيسى وعزير والملائكة، فإنهم يشفعون للمؤمنين.

[٨٧] ﴿وَلَكِنْ﴾ لا قسم ﴿سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ يَقُولُ اللَّهُ﴾ حذف منه نون الرفع وواو الضمير^(٥) ﴿فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ يصرفون عن عبادة الهة؟

إِنَّ الْمَجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَغُفِّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْسُوُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا بِذُنُوبِكُمْ لِيَقْضِيَ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنْ أَكْذَرْتُمْ لِحَقِّي كَرِهْتُمْ ﴿٧٨﴾ فَإِنَّا أَمْرُؤُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ أَمْ أَمْرُؤًا أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ أَمْ أَمْرُؤُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَّا أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ سَبِّحْ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ مَبْجُوضًا وَلْيَعْلَمُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَالَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَمَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفْعَةَ إِلَّا أَمْرًا وَمَنْ يَشَاءُ يَكُفِّرْ بَعَدَهُمْ يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُونَ ﴿٨٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَكُفِّرْ بَعَدَهُمْ يَوْمَهُمُ الَّذِي يَوْمَعُونَ ﴿٨٧﴾

[٨٨] ﴿وَقِيلَهُ﴾ أي: قول محمد النبي، ونصبه على المصدر بفعله المقدر^(٦)؛ أي: وقال: ﴿يَكُفِّرْ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾.[٨٩] قال - تعالى -: ﴿فَاصْفَحْ﴾ أعرض ﴿عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ﴾ منكم، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم ﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ بالياء والتاء^(٧)؛ تهديد لهم.

(١) وهذا مروي عن ابن عباس كما عند الحاكم وغيره وصححه، ولا حجة فيه لأنه إن صح عه فقد خالفه غيره من الصحابة، وهو عبد الله بن عمرو، فروي عنه أنه - تعالى - يجيهم بعد أربعين سنة وكلاهما - رضي الله عنهما - معروف بالتحدث عن بني إسرائيل؛ فالأولى ترك ذلك.

(٢) سبق التنبيه على أن العرش غير الكرسي، وأنه أعظم منه، وبدل على ذلك قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «ما الكرسي في العرش إلا كحلقمة ملقاة في فلاة» الصحيحة (١٠٩).

(٣) سهل الأولى مع اند والقصر قانون والبري، وأسقطها مع القصر والمد أبو عمر، وسهل الثانية ورش وقيل، ولورش وقيل إبدالها ألفاً مع القصر لتحرك ما بعدها، وحققها بقية السبعة.

(٤) بالياء قراءة حمزة والكسائي وابن كثير، وقراً بقية السبعة بالياء.

(٥) حذف نون الرفع لتوالي التوثات، وواو الضمير لالتقاء الساكنين.

(٦) أي: وقال: «قيل»، وهي قراءة السبعة عدا عاصم وحمزة، وقراً عاصم وحمزة: «وقيل»، بالجر عطفاً على «لساعة» في قوله: «وعنده علم الساعة»؛ أي: ويعلم وقت قيامها، ويعلم وقت تضرعها وقيل.

(٧) بالتاء قراءة نافع وابن عباس، وقراً بقية السبعة بالياء.

سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ ۝
 إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ كَبِيرٍ ۝ أَفَمَنْ أَتَىٰ
 مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۝ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۝
 إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ
 وَرَبَّ عَابِدِكُمْ ۝ الْأَوَّلِينَ ۝ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ۝
 فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ۝ يَغْشى النَّاسُ
 هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝
 أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ ۝ ثُمَّ
 تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْحُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا
 إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ۝ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ۝
 ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝
 أَنِ ادْعُوا إِلَىٰ عِبَادَتِي إِلَهِي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ۝

سورة الدخان

[مكية، إلا: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ الآية،

وهي: ست، أو سبع، أو: تسع وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمِّ﴾ الله أعلم بمراحه به.

[٢] ﴿وَالْكِتَابِ﴾ القرآن ﴿الْمُبِينِ﴾ المظهر الحلال من الحرام.

[٣] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَكَةٍ﴾ هي ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان^(١)، نزل فيها من أم الكتاب من السماء السابعة إلى سماء الدنيا ﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ مخوفين به.

[٤] ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ كَبِيرٍ﴾ أي: في ليلة القدر، أو ليلة النصف من شعبان^(٢) ﴿يُفْرَقُ﴾ يفصل ﴿كُلُّ أَمْرٍ كَبِيرٍ﴾ محكم، من الأرزاق والآجال وغيرهما، التي تكون في السنة إلى مثل تلك الليلة.

[٥] ﴿أَفَمَنْ أَتَىٰ مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ الرسل؛ محمداً ومَنْ قبله.

[٦] ﴿رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ رافة بالمرسل إليهم ﴿وَمِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ﴾ لأقوالهم ﴿الْعَلِيمُ﴾ بأفعالهم.

[٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ برفع «رب» خبر ثالث، وبجره^(٣) بدل من «ربك» ﴿يُنْزِلُ﴾ ينزل مكة ﴿تُؤْتِيهِمْ﴾ بأنه - تعالى - رب السماوات والأرض، فأيقنوا بأن محمداً رسوله.

[٨] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبَّ عَابِدِكُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ [٩] ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ الْبَعْثِ﴾ يَلْعَبُونَ استهزاء بك يا محمد، فقال: «اللهم أعني عليهم بسبع كسيع يوسف»^(٤).

[١٠] قال - تعالى -: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ فأجذبت الأرض، واشتد بهم الجوع، إلى أن رأوا من شدته كهيفة الدخان بين السماء والأرض.

[١١] ﴿يَغْشى النَّاسُ﴾ فقالوا: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ مصدقون نبك.

[١٣] قال - تعالى -: ﴿أَن لَّهُمُ الذِّكْرَىٰ﴾ أي: لا ينفعهم الإيمان^(٥) عند نزول العذاب ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ بين الرسالة.

[١٤] ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَجْحُونٌ﴾ أي: يعلمه القرآن بشر ﴿مَجْحُونٌ﴾.

[١٥] ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ﴾ أي: الجوع عنكم زمناً ﴿قَلِيلًا﴾ فكشف عنهم ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ إلى كفركم، فعادوا إليه.

[١٦] اذكر ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ هو يوم بدر ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ منهم والبطش الأخذ بقوة^(٦).

[١٧] ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا بِلُؤْلَآءٍ﴾ بلونا ﴿فَقَالَهُمْ قَوْمٌ فِرْعَوْنَ﴾ معه ﴿وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ﴾ هو موسى السليط^(٧) ﴿كَرِيمٌ﴾ على الله - تعالى -.

[١٨] ﴿أَن لَّهُمْ الذِّكْرَىٰ﴾ أي: بأن ﴿أَدْعُوا إِلَيَّ﴾ ما أدعوك إليه من الإيمان؛ أي: أظهروا إيمانكم لي^(٨) يا ﴿عِبَادَ اللَّهِ﴾ إني لكم رسول أمين ﴿على ما أرسلت به﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٠ - ١٦): أخرجه البخاري عن عبد الله (ابن مسعود) قال: إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما به وبها كهيفة الدخان من الجهد، فأنزل الله: ﴿يُدْخِلُ السَّمَاءَ دُخَانًا﴾ قال: فأتى رسول الله ﷺ، فقال له: يا رسول الله، استنشق الله لمضر، فإنها قد هلكت. قال: «لمضر؟ إنك حرىء» فاستنشق فسقوا، فنزلت. ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ فلم أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابهم الرفاهية، فأنزل الله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ﴾ قال: يعني يوم بدر. البخاري - كتاب التفسير (٦٥). سورة الدخان (٤٤) باب (٢).

(١) وهذا القول باطل مخالف لصريح القرآن كما قال العلامة أبو بكر بن العربي، والصحيح الذي عليه الجمهور أن الليلة المباركة هي ليلة القدر، وفيها ابتداء نزول القرآن.

(٢) وهذا القول ضعيف مردود كما سبق بيانه.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالجر.

(٤) البخاري (٤٨٠٩) ومسلم (٢٧٩٨) عن عبد الله بن مسعود مرفوعاً، واللفظ للبخاري.

(٥) الظاهر أن النبي هو استبعاد وقوع الإيمان منهم عند كشف العذاب أو انتفاعهم بما يحق بهم من عذاب الدنيا، لأن أن حصول الإيمان منهم لا ينفعهم.

(٦) الأرجح والمشهور عند المفسرين أن المراد أرسلوا معي بني إسرائيل وأطلقوهم من العذاب، كما جاء في سورة الأعراف واشتراء.

[١٩] ﴿وَأَنْ لَا تَقُولُوا﴾ تصبروا ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ بترك طاعته ﴿إِنِّي أَنَا نَكِرٌ يُضِلُّنِي﴾ برهان ﴿ثُبِينِ﴾ بين على رسالتي، فتعبدوه بالرجم.
[٢٠] فقال: ﴿يَا أَيُّ عُدْتُ بِرَبِّي زَيْكُكَ أَمْ تَجْمُونُ﴾ بالحجارة.
[٢١] ﴿وَلَنْ لَّرُؤُوسُنَا لِي﴾ تصدقوني ﴿فَاعْرُيُونُ﴾ فاتركوا أذاي، فلم يتركوه.

[٢٢] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَشْرُكُونَ﴾ أي: بأن هؤلاء قومٌ مجرمون مشركون.
[٢٣] فقال - تعالى -: ﴿فَأَنزِلْهُم بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ وَوَصْلِهَا﴾^(١) يعبادي بني إسرائيل ﴿لِيَلَا إِلَهُكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾ يتبعكم فرعون وقومه.
[٢٤] ﴿وَأَنزِلْ آلَ الْفِرْعَوْنَ إِذَا قُطِعَتْ أُنْتِ وَأَصْحَابُكَ﴾ رهوا ساكتا منفرجا، حتى يدخله القبط ﴿إِنَّمَا جُنْدٌ مُّقْرَفُونَ﴾ فاطمان بذلك فأغرقوا.
[٢٥] ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ بِسَاتِينَ وَغُبُورٍ﴾ تجري.
[٢٦] ﴿وَزُرُوعٍ وَمَقَارٍ كَرِيمٍ﴾ مجلس حسن.
[٢٧] ﴿وَنَعْمٍ﴾ متعة ﴿كَانُوا فِيهَا فَكَاهِينَ﴾ ناعمين.
[٢٨] ﴿كَذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ أي: الأمر ﴿وَأَوْرَثْنَاهَا﴾ أي: أموالهم ﴿يَوْمًا مَّآخِرِينَ﴾ أي: بني إسرائيل.
[٢٩] ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ بخلاف المؤمنين يبكي عليهم بموتهم مصلاهم من الأرض ومصعد عملهم من السماء^(٢) ﴿وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾ مؤخرين للتوبة.
[٣٠] ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ قتل الأبناء واستخدام النساء.

[٣١] ﴿مَنْ فِرْعَوْنُ﴾ قيل بدل من «العذاب» بتقدير مضاف؛ أي: عذاب، وقيل: حال من «العذاب» ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا عَلَاءَ مِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾.
[٣٢] ﴿وَلَقَدْ أَخْرَجْنَاهُمْ﴾ أي: بني إسرائيل ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ منا بحالهم ﴿عَلَىٰ الْفَالِكِينَ﴾ أي: عالمي زمامهم؛ أي: العقلاء.
[٣٣] ﴿وَوَلَّيْنَاهُمْ مِّنَ الْأَيْدِي مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ﴾ نعمة ظاهرة، من قلق البحر والموت والسُلُوى وغيرها.
[٣٤] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ﴾ أي: كفار مكة ﴿يَقُولُونَ﴾ [٣٥] ﴿إِنْ هِيَ﴾ ما الموتة التي بعدها الحياة ﴿إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ﴾ أي: وهم نطفت ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ بمبعوثين أحياء بعد الثانية.
[٣٦] ﴿فَأَنزِلْ بِآيَاتِنَا﴾ أحياء ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أنا نبعت بعد موتنا؛ أي: نحيا.
[٣٧] قال - تعالى -: ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُجِّ﴾ هو نبي، أو رجل صالح^(٣)

(١) بوصلها قراءة نافع وابن كثير، وفراً بقية السبعة بقطع الهمزة.

(٢) روي هذا عن ابن عباس وغيره كما أخرجه الطبري في تفسيره (٣٤/٢٢ - ٣٦) وروي مرفوعاً عن أنس بن مالك عن الترمذي برقم (٣١٧٨) بلفظ: «ما من مؤمن إلا وله بابان؛ باب يصعد منه عمله وباب ينزل منه رزقه فإذا مات بكيا عليه، فذلك قوله ﷻ: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾» وضعه الألباني في ضعيف الجامع (٥١٩٧).

(٣) الصحيح الذي عليه جمهور المفسرين أنه ليس نبيا، وقومه هم «سبأ» وكانوا يستمون ملكهم «ثبعاً» كما يسمى ملك الفرس «كسرى»، و«قيصر» لمن ملك الروم. وقيل: إنه كان كافراً ثم أسلم وتابع دين موسى عليه السلام، وكان ذلك قبل بعثة عيسى عليه السلام.

﴿وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿أَهْلَكْنَاهُمْ﴾ بكفرهم، والمعنى: ليسوا أقوى منهم وأهلكوا ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُجْرِمُونَ﴾.

[٣٨] ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعَيْبٍ﴾ بخلق ذلك، حال.

[٣٩] ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا﴾ وما بينهما ﴿إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ أي: محققين في ذلك؛ لئلا يستدل به على قدرتنا ووحدانيتنا وغير ذلك ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ﴾ أي: كفار مكة ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾.

[٤٥] ﴿كَالْمُهْلِ﴾ أي: كدردي الزيت الأسود، خبر ثانٍ ﴿تَغْلِي﴾ في الْبُطُونِ بالفوقانية خبر ثالث، وبالاحتانية^(١) حال من «المهل». [٤٦] ﴿كَغَلِّ الْحَمِيمِ﴾ الماء الشديد الحرارة. [٤٧] ﴿خُذُوهُ﴾ يقال للزبانية: خذوا الأثيم ﴿فَعَسِيلُهُ﴾ بكسر التاء وضمها^(٢)؛ جروه بغلظة وشدة ﴿إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾ وسط النار. [٤٨] ﴿ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ﴾ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ أي: من الحميم الذي لا يفارقه العذاب، فهو أبلغ مما في آية: ﴿يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ﴾^(٣).

[٤٩] ويقال له: ﴿ذُقْ﴾؛ أي: العذاب ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ بزعمك، وقولك: ما بين جليلها أعز وأكرم مني^(٤). [٥٠] ويقال لهم: ﴿إِنَّ هَذَا الَّذِي ترون من العذاب﴾ ﴿مَا كُنْتُمْ بِهِ تَسْتُرُونَ﴾ فيه تشكرون.

[٥١] ﴿إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ مجلس «آمين» يؤمن فيه الخوف. [٥٢] ﴿فِي جَنَّتٍ بَسَاتِينَ وَنُحُورٍ﴾. [٥٣] ﴿يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ أي: ما رق من الدياج، وما غلظ منه «مُتَقَبِّلِينَ» حال؛ أي: لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض، لدوران الأبروة بهم.

[٥٤] ﴿كَذَلِكَ يَقدر قبله الأمر﴾ وَوَجَنَّتُهُمْ من التزويج، أو قرانهم بِمُحُورٍ عَيْنٍ بنساء بيض واسعات الأعين حسانها. [٥٥] ﴿يَدْعُونَ﴾ يطلبون الخدم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة، أن يأتوا ﴿بِكُلِّ فَنَكْهَةٍ﴾ منها «آمِنِينَ» من انقطاعها، ومضرتها، ومن كل مخوف؛ حال.

[٥٦] ﴿لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتُ إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى﴾ أي: التي في الدنيا بعد حياتهم فيها^(٥)، قال بعضهم: «إلا» بمعنى «بعد» ﴿وَوَقَّعَتْهُمُ عَذَابُ الْجَحِيمِ﴾.

[٥٧] ﴿فَضَلَا﴾ مصدر بمعنى تفضلاً، منصوب بـ«تفضل» مقدراً ﴿مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ﴾.

[٥٨] ﴿فَلَمَّا يَسَّرْنَاهُ﴾ سهلنا القرآن ﴿يَلْسَانِيكَ﴾ بلغتك، لتفهمه العرب منك ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتعظون فيؤمنون، لكنهم لا يؤمنون.

[٥٩] ﴿فَارْتَبَّتْ﴾ انتظر هلاكهم ﴿إِنَّهُمْ مُرْتَبِّتُونَ﴾ هلاكك، وهذا قبل نزول الأمر بجهادهم.

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٧﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ ﴿٤٨﴾ طَعَامُ الْآثِيمِ ﴿٤٩﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٥٠﴾ كَغَلِّ الْحَمِيمِ ﴿٥١﴾ خُذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٢﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٥٣﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٥٤﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الْمُنَاقِبِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَبِّلِينَ ﴿٥٧﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْتَهُمْ بَحُورَيْنِ ﴿٥٨﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَنَكْهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٩﴾ لَا يَدْخُلُونَ فِيهَا الْمَوْتُ إِلَّا الْمَوْتَةُ الْأُولَى وَوَقَّعَتْهُمُ عَذَابُ الْجَحِيمِ ﴿٦٠﴾ فَضَلَا عَنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْرُ الْعَظِيمُ ﴿٦١﴾ فَلَمَّا يَسَّرْنَاهُ يَلْسَانًا لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ فَارْتَبَّتْ إِلَيْهِمُ مَرْجَبُوتٌ ﴿٦٣﴾

سورة النحل

[٤٠] ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ يوم القيامة، بفصل الله فيه بين العباد ﴿مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ للعذاب الدائم.

[٤١] ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلَى﴾ بقرابة أو صداقة؛ أي: لا يدفع عنه ﴿شَيْئًا﴾ من العذاب ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ ينعون منه، و«يوم» بدل من: «يوم الفصل».

[٤٢] ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ﴾ وهم المؤمنون؛ فإنه يشفع بعضهم لبعض بإذن الله ﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ﴾ الغالب في انتقامه من الكفار ﴿الرَّحِيمُ﴾ بالمؤمنين.

[٤٣] ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزُّقُومِ﴾ هي من أخبت الشجر المر بشهامة، يبتها الله - تعالى - في الجحيم.

[٤٤] ﴿طَعَامُ الْآثِيمِ﴾ أي: جهل وأصحابه ذوي الإثم الكبير.

(١) ببناء قراءة السبعة عدا حفص وابن كثير.

(٢) بالضم قراءة نافع وابن كثير وابن عامر.

(٣) المحج: ١٩.

(٤) يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامع البيان (٨٠/٢٥) عن قتادة أن الآية نزلت في عبد الله أبي جهل، عندما قال ذلك للنبي ﷺ، وهو ضعيف لإرساله، كما في الاستيعاب (٢٠٢/٣).

(٥) أي: فالاستثناء منقطع، والمعنى لكن الموتة الأولى قد ذاقوها في الدنيا.

سُورَةُ الْحَاشِيَةِ

[مكية، إلا: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا﴾ الآية،
وهي: ست، أو: سبع وثلاثون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَدَّثَ﴾ الله أعلم بمراده به.

[٢] ﴿تَنْزِيلَ الْكِتَابِ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنَ اللَّهِ﴾ خبره: ﴿الرَّحِيمِ﴾ في ملكه ﴿الرَّحِيمِ﴾ في صنعه.

[٣] ﴿وَلِ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: في خلقهما ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ دالة على قدرة الله ووحدانيته. تعالى: ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.

[٤] ﴿وَلِ فِي خَلْقِكُمْ﴾ أي: في خلق كل منكم، من نقطة، ثم علقه، ثم مضغة، إلى أن صار إنساناً ﴿وَلِ فِي خَلْقِ مَا بَيْنَ﴾ يفرق في الأرض ﴿مِنَ دَابَّةٍ﴾ هي ما يبدب على الأرض من الناس وغيرهم^(١) ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ بالبعث.

[٥] ﴿وَلِ فِي أَنْخِلِفِ أَيْلٍ وَالنَّهَارِ﴾ ذهابهما ومجيئهما ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ﴾ مطر، لأنه سبب الرزق ﴿فَأَنجَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ﴾ تغليبها، مرة جنوباً، ومرة شمالاً، وباردة وحارة ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ الدليل فيؤمنون.

[٦] ﴿يَتَذَكَّرُ﴾ الآيات المذكورة ﴿لَا يَتَذَكَّرُ﴾ حججه الدالة على وحدانيته ﴿تَتْلُوهَا﴾ نقصها ﴿عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بدلتلو ﴿وَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ﴾ أي: حديثه وهو القرآن ﴿وَالَّذِينَ﴾ حججه ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ أي: لا يؤمنون، وفي قراءة^(٢) بالباء.

[٧] ﴿وَلِ﴾ كلمة عذاب ﴿لِكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ كذاب ﴿أَكْبَرٍ﴾ كثير الإثم.

[٨] ﴿يَسْمَعُ﴾ أي: القرآن ﴿تَتْلُو عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ﴾ على كفره ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾ متكبراً عن الإيمان ﴿كَأَن لَّهُ يَسْمَعُ فَيَتَرَدَّدُ بِعَذَابِ اللَّهِ﴾ مؤلم.

[٩] ﴿وَلِذَا عَلِمَ مِنَ آيَاتِنَا﴾ أي: القرآن ﴿شَيْئًا أَخَذَهَا أَخْرَافًا﴾ أي: مَهْزُوءًا بها ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: الأفاكون ﴿لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[١٠] ﴿مِنَ دَابَّةٍ﴾ أي: أمامهم؛ لأنهم^(٣) في الدنيا ﴿جَهَنَّمُ﴾ ولا يغنى عنهم ما كسبوا من المال والفعال ﴿سَيِّئًا﴾ ولا ما اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴿أَي: الأصنام﴾ ﴿أُولَئِكَ﴾ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّ فِي السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ وَأَخْتَلَفُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَنجَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿٥﴾ وَلِ لِكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٦﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنَ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٨﴾ مَن دَرَأَهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ هَذِهِ هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رَّجْزِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ * اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا قَبْلَ هَذَا فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٢﴾

[١١] ﴿هَذَا﴾ أي: القرآن ﴿هُدًى﴾ من الضلالة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ﴾ حظ ﴿مِّن رَّجْزٍ﴾ أي: عذاب ﴿أَلِيمٌ﴾ مروع.

[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ﴾ ياذنه ﴿وَلِتَبْتَغُوا﴾ تطلبوا بالتجارة ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ.

[١٣] ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمُوتِ﴾ من شمس وقمر ونجوم وماء وغيره ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ من دابة وشجر ونبات وأنهار وغيرها؛ أي: خلق ذلك لمنافعكم ﴿جَمِيعًا﴾ تأكيد ﴿مِنَهُ﴾ حال؛ أي: سخرها كائنة منه - تعالى -

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ فيها فيؤمنون.

(١) هذه الآية كقولها - تعالى -: ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ فلا يقتصر على كون بث الدواب في الأرض. راجع التعليق على الآية (٢٩) في سورة الشورى.

(٢) لحمة والكسائي وابن عامر وشعبة.

(٣) يضم الزاي وبالهمز، وهي فراءة السبعة عدا حمزة وحفص، وقرأ حمزة: ﴿هَزُوًا﴾ بالهمز مع سكون الزاي، وقرأ حفص: ﴿هَزُوًا﴾ بضم الزاي وإبدال الهمزة واوًا. كما تقدم في الأنبياء، آية (٣٦).

(٤) في نسخة إقاضي زيادة: «الآن» في هذا الموضع.

قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صِلًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالْثَبُوتَ وَرَفَعْنَاهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَتَيْنِ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنُغْفِرُ عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

[١٤] قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ وقائعه؛ أي: اغفروا للكفار ما وقع منهم من الأذى لكم، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿يَجْزِيَ﴾ أي: الله، وفي قراءة بالنون^(١) ﴿قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من الغفر للكفار أذا هم^(٢).

[١٥] ﴿مَنْ عَمِلَ صِلًا فَلِنَفْسِهِ﴾ عمل ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ أساء ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ تصيرون فيجازي المصلح والمسيء.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَءِيلَ الْكِتَابَ﴾ التوراة ﴿وَالْحُكْمَ﴾ به بين الناس ﴿وَالْثَبُوتَ﴾ لموسى وهارون منهم ﴿وَرَفَعْنَاهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الخلالات؛ كالمؤ والسوى ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ عالمي زمانهم العقلاء.

[١٧] ﴿وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيْنَتَيْنِ مِنَ الْأَمْرِ﴾ أمر الدين، من الحلال والحرام، وبهتة محمد - عليه أفضل الصلاة والسلام - ﴿فَمَا اخْتَلَفُوا﴾ في بعته ﴿إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ﴾ أي: لبغي حدث بينهم حسدا له ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ﴾ طريقه ﴿وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا﴾ يا محمد ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ في عبادة غير الله.

[١٩] ﴿إِنَّهُمْ لَنُغْفِرُ عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ من عذابه ﴿وَلِلَّهِ الْعِلْمُ﴾ وأن الظالمين ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

[٢٠] ﴿هَذَا﴾ القرآن ﴿بَصِيرَتُ لِلنَّاسِ﴾ معالم، يتصرون بها في الأحكام والحدود ﴿وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ بالبعث.

[٢١] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ بمعنى همزة الإنكار ﴿أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾

[سواء]^(٣) خبر ﴿نَجْعَلُهُمْ وَمِمَّا هُمْ﴾ مبتدا ومعطوف، والجملة بدل من الكاف، والضميران للكفار؛ المعنى: أحسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير كالمؤمنين؟ أي: في رغد من العيش، مساوٍ لعيشهم في الدنيا؛ حيث قالوا للمؤمنين: لئن بعثنا لفظى من الخير مثل ما تعطون؟ قال تعالى على وفق إنكاره بالهمزة: ﴿سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ أي: ليس الأمر كذلك، فهم في الآخرة في العذاب، على خلاف عيشهم في الدنيا، والمؤمنون في الآخرة في الثواب، بعملهم الصالحات في الدنيا؛ من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك، و«ما» مصدرية؛ أي: بسن حكما حكمهم هذا.

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«خلق»؛ ليدل على قدرته ووحدانيته ﴿وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من المعاصي والطاعات، فلا يساوي الكافر المؤمن ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

و«ما» مصدرية؛ أي: بسن حكما حكمهم هذا.

[٢٢] ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ«خلق»؛ ليدل على قدرته ووحدانيته ﴿وَلِيُجْزِيَ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ من المعاصي والطاعات، فلا يساوي الكافر المؤمن ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

و«ما» مصدرية؛ أي: بسن حكما حكمهم هذا.

(١) حمزة والكسائي وابن عامر.

(٢) أي المؤمنون؛ فيبيهم، ويمكن أن يكون المعنى: ليجزي الكافرين على أذاهم للمؤمنين. كما قال الطبري.

(٣) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿سواء﴾ بالفتح، على الحال.

[٣٦] ﴿فَلْيَلْزِمُوا الْوَصْفَ بِالْحَمِيلِ﴾ الوصف بالحميل، على وفاء وعده في المكذبين^(١) ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ خالق ما ذكر، والعالم: ما سوى الله، وجمع لاختلاف أنواعه، و«رب» بدل.
[٣٧] ﴿وَلَهُ الْكِبَرِيَّةُ﴾ العظمة ﴿فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ حال؛ أي: كائنه فيهما ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم^(٢).

سورة الاخفاف

[مكية، إلا: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ الآية، وإلا: ﴿فَأَصْبِرْ﴾ كما صبر أولوا العز من الرسل﴾ الآية، وإلا: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدِهِ﴾ الثلاث آيات، وهي: أربع، أو خمس وثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿حَمْدٌ﴾ الله أعلم بمراده به.
[٢] ﴿تَبَوُّوا الْكِتَابَ﴾ القرآن، مبتدأ ﴿مِنْ أَلْفِهِ﴾ خبره: ﴿الْعَزِيزُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صناعه.
[٣] ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا﴾ خلقاً ﴿وَالْحَقُّ﴾ لبذل على قدرتنا ووجدانيتنا ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ إلى فئانهما يوم القيامة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا﴾ خوفوا به من العذاب ﴿مُعْرَضُونَ﴾.
[٤] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني ﴿مِمَّا تَدْعُونَ﴾ تعبدون ﴿بَيْنَ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: الأصنام، مفعول أول ﴿أُرُونِي﴾ أخبروني، تأكيد ﴿مَاذَا خَلَقُوا﴾ مفعول ثانٍ ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ بيان «ما» ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مشاركة^(٥) ﴿فِي﴾ خلق ﴿السَّمَوَاتِ﴾ مع الله، و«أم» بمعنى همزة الإنكار: ﴿أَتُنْفِي بِكِتَابٍ﴾ منزل ﴿مِنَ قَبْلِ هَذَا﴾ القرآن ﴿أَمْ أَشَرُّ﴾ بقية ﴿بَيْنَ عَالَمِينَ﴾ يؤثر عن الأولين، بصحة دعواكم في عبادة الأصنام، أنها تقربكم إلى الله ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم.
[٥] ﴿وَمَنْ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أحد ﴿أَصْلُ وَمَنْ يَدْعُوا﴾ يعبد ﴿بَيْنَ دُونِ اللَّهِ﴾ أي: غيره ﴿مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ﴾ وهم الأصنام، لا يجيبون عابديهم إلى شيء يسألونه أبداً ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ﴾ عبادتهم ﴿غَافِلُونَ﴾ لأنهم جماد لا يعقلون.

وَبَدَأَ لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
[٣٣] وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ
[٣٤] ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَخَذْتُ عَاقِبَةَ اللَّهِ هُزُولا وَعَزَّزْتُكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا قَالِیَوْمَ لَا یُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ یُسْتَعْبَدُونَ
[٣٥] فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
وَلَهُ الْكِبَرِيَّةُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ

سورة الاخفاف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُذِرُوا مُعْرِضُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنْفِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَمْ أَتُرُونَ مَنْ عَلَّمَ الْقُرْآنَ صَادِقِينَ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْفَيْصَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ

[٣٣] ﴿وَبَدَأَ﴾ ظهر ﴿لَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ في الدنيا؛ أي: جزاؤها ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أي: العذاب.
[٣٤] ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسِفُكُمْ كَمَا نَسِفْنَا لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي: تركتم العمل لقلائه ﴿وَمَا وَكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ نَّاصِرِينَ﴾ مانعين منه.

[٣٥] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُ أَخَذْتُ عَاقِبَةَ﴾ القرآن ﴿هُزُولا﴾^(١) ﴿وَعَزَّزْتُكُمْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ حتى قلتم: لا بعث ولا حساب ﴿فَالْيَوْمَ لَا يَخْرُجُونَ﴾ بالبناء للفاعل ولللمفعول^(٢) ﴿مِنَ النَّارِ﴾ ولا هم يُسْتَعْبَدُونَ لا يطلب منهم أن يُرضوا ربهم بالوبة والطاعة؛ لأنها لا تنفع يومئذ.

(١) قراءة السبعة عدا حمزة وحفص، كما تقدم في الآية (١١) من هذه السورة.

(٢) بالبناء للفاعل فراءة حمزة والكسائي، وقرأ بقية السبعة بالبناء للمفعول: ﴿يَخْرُجُونَ﴾.

(٣) أي إنه سبحانه يحسد على «العدل» وهو إدخاله الكافرين النار، كما يحسد على «الفضل» وهو إدخاله المؤمنين الجنة. واقتصر المصنف على الأول هنا دفعا لتوهم اقتصار الحمد على الفضل فقط.

(٤) أي: «العزير» في ملكه، «الحكيم» في صناعه. كما تقدم في أكثر من موضع.

(٥) في بعض النسخ المطبوعة: «مشارك»، وقال في حاشية الجمل تعليقا على ذلك: لو فسر الشرك بالشركة لكن أوضح، وفي السمين الحلي: والشرك: المشاركة.

[٦] ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا بُرُودًا أَلْتَمَأْتُمْ لِعِبَادِهِمْ وَاعْتَدُوا بِعِبَادَتِهِمْ﴾ يعني بل، وهزمة الإنكار ﴿يَقُولُونَ أَفَرَبَّنَا﴾ أي: القرآن ﴿قُلْ إِنْ أَفَرَرْتُمْ فَرُودًا﴾ ﴿فَلَا تَسْكُونُ لِي مِنْ أَلَدٍ﴾ أي: من عذابه ﴿شَيْئًا﴾ أي: لا تقدرُونَ على دفعه عني، إذا عذبنى الله ﴿هُوَ أَهْلُ مَا تُغِيصُونَ فِيهِ﴾ تقولون في القرآن ﴿كَلَّا بَلْ يَدْعُونَ بِهِ سُهَيْدًا يَنُوبُ وَيُنَادِيهِمُ الْعُفُورُ﴾ لن تاب ﴿الرَّحِيمِ﴾ به، فلم يعاجلكم بالعقوبة.

[٧] ﴿وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ﴾ أي: أهل مكة ﴿ءَايَتُنَا﴾ القرآن ﴿يَسْتَنِي﴾ ظاهرات، حال ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ منهم ﴿لَا يَخُفُّ﴾ أي: القرآن ﴿لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا يَسْحَرُونَ﴾ يعني يبتلون بظاهر.

[٨] ﴿أَم﴾ بمعنى بل، وهزمة الإنكار ﴿يَقُولُونَ أَفَرَبَّنَا﴾ أي: القرآن ﴿قُلْ إِنْ أَفَرَرْتُمْ فَرُودًا﴾ ﴿فَلَا تَسْكُونُ لِي مِنْ أَلَدٍ﴾ أي: من عذابه ﴿شَيْئًا﴾ أي: لا تقدرُونَ على دفعه عني، إذا عذبنى الله ﴿هُوَ أَهْلُ مَا تُغِيصُونَ فِيهِ﴾ تقولون في القرآن ﴿كَلَّا بَلْ يَدْعُونَ بِهِ سُهَيْدًا يَنُوبُ وَيُنَادِيهِمُ الْعُفُورُ﴾ لن تاب ﴿الرَّحِيمِ﴾ به، فلم يعاجلكم بالعقوبة.

[٩] ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا﴾ بديعاً ﴿مِنَ الرُّسُلِ﴾ أي: أول مرسل، قد سبق قبلي كثيرون منهم، فكيف تكذبوني؟ ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾ في الدنيا^(١)؛ أأخرج من بلدي، أم أقتل كما فعل بالأنبياء قبلي؟ أو نرجمون بالحجارة، أم يخسف بكم كالمكذبين قبلكم؟ ﴿إِنْ﴾ ما ﴿أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ﴾ أي: القرآن ولا أبتدع من عندي شيئاً ﴿وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ يعني الإنذار.

[١٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾ أخبروني، ماذا حالكم ﴿إِنْ كَانُ﴾ أي: القرآن ﴿يُنَادِي بِعَدُوِّكُمْ﴾ يعني بغيركم ﴿وَكُفَرْتُمْ بِهِ﴾ جملة حالية ﴿وَسُيِّدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ هو عبد الله بن سلام ﴿عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ أي: عليه أنه من عند الله ﴿فَتَأْمَنُ﴾ الشاهد ﴿وَأَسْتَكْبِرْتُمْ﴾ تكبرتم عن الإيمان، وجواب الشرط بما^(٢) عطف عليه: أستم طالين^(٣) دل عليه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

[١١] ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: في حقهم: ﴿لَوْ كَانُ﴾ الإيمان ﴿خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا﴾ أي: القائلون ﴿بِهِ﴾ أي: القرآن ﴿فَسَبِّحُوا لَهُ﴾ أي: القرآن ﴿إِفْكَ﴾ كذب ﴿قَدِيرٌ﴾.

[١٢] ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ﴾ أي: القرآن ﴿كُتِبَ مُوسَىٰ﴾ أي: التوراة ﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ للمؤمنين به، حالان ﴿وَهَذَا﴾ أي: القرآن ﴿كُتِبَ مُصَدِّقٌ﴾ للكتب قبله ﴿لِسَانًا عَرَبِيًّا﴾ حال من الضمير في «مصدق» ﴿يُنذِرُ الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ من مشركي مكة ﴿وَوُحِّىَ إِلَيْنَا بِالْحَقِّ﴾ هو ﴿يُنشِئُ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ المؤمنين.

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا بُرُودًا أَلْتَمَأْتُمْ لِعِبَادِهِمْ وَاعْتَدُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَفَرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا نُنَادِي عَلَيْهِمْ أَيْدِنَا يَسْتَنِي قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَبَّنَا قُلْ إِنْ أَفَرَرْتُمْ فَرُودًا أَلْتَمَأْتُمْ لِعِبَادِهِمْ وَاعْتَدُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَفَرِينَ ﴿٨﴾ قُلْ إِنْ أَفَرَرْتُمْ فَرُودًا أَلْتَمَأْتُمْ لِعِبَادِهِمْ وَاعْتَدُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَفَرِينَ ﴿٩﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٠﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَقَالُوا أَتَمْنَىٰ تَصَدَّقُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِمْ وَكَفَرْتُمْ بِهِمْ فَاقْتُلُوا أُولَٰئِكَ لَعُنَ لَهُمْ وَأَصْحَابُ الْآلَةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾

[١٣] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ على الطاعة ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

[١٤] ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ حال ﴿جَزَاءً﴾ منصوب على المصدر بفعله المقدر؛ أي: يُجْزَوْنَ ﴿بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠) أخرجه البخاري عن عبد الله بن يوسف قال: سمعت مالكاً يحدث عن أبي النضر... عن سعد بن أبي وقاص قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام. قال: وفيه نزلت هذه الآية: ﴿وَسُيِّدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ الآية. البخاري. كتاب مناقب الأنصار (٦٢) باب (١٩) مناقب عبد الله ابن سلام.

(١) قوله: «في الدنيا» هذا قول الحسن البصري وجماعة، وهذا القول - كما قال ابن كثير -: هو الذي عُوِّل عليه ابن جرير، وأنه لا يجوز غيره، ولا شك أن هذا هو اللائق به ﷺ فإنه بالنسبة إلى الآخرة حارم أنه يصير إلى الحلة هو ومن اتبعه. وعلى القول الآخر تكون هذه الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة الفتح: ﴿يَغْيُرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ دَنِيكَ وَمَا تَأَخَّرُ﴾ [الفتح: ٢].

(٢) أي: مع ما.

(٣) أي معذوف تقديره: «وأستم طالين».

وهو أكثر الأشد ﴿قَالَ رَبِّ﴾ الخ، نزل في أبي بكر الصديق^(١) لما بلغ أربعين سنة بعد سنتين من بعث النبي ﷺ آمن به، ثم آمن أبواه، ثم ابنه عبد الرحمن وابن عبد الرحمن أبو عتيق ﴿أَوْزَعَنِي﴾ ألهمني ﴿أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ﴾ بها ﴿عَلَّيْ وَعَلَّيْ وَلَيْتَ﴾ وهي التوحيد ﴿وَأَنْ أَعْمَلَ صَدِيقًا رَاضِيًا﴾ فأعنت تسعة من المؤمنين^(٢)، يُعَذِّبُونَ في الله ﴿وَأَصْلَحَ لِي فِي دِينِي﴾ فكلهم مؤمنون ﴿بَنِي ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَبَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

[١٦] ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: قائلو هذا القول، أبو بكر وغيره ﴿الَّذِينَ نَقَلَتْ عَنْهُمْ أَمْرًا﴾ بمعنى حسن ﴿مِمَّا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ﴾ حال؛ أي: كاثنتين في جملتهم ﴿وَعَدَ الْصِّدِّيقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾^(٤).

[١٧] ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهُ﴾ وفي قراءة بالإدغام^(٥)؛ أريد به الجنس ﴿أَنِّي﴾ بكسر الفاء وفتحها^(٦)؛ بمعنى مصدر؛ أي: نلتا وفجعا ﴿لَكُمْ﴾ أنضجر منكما ﴿أَعِدَانِي﴾ وفي قراءة^(٧) بالإدغام ﴿أَنْ أُخْرَجَ﴾ من القبر ﴿وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ الْأُمِّ﴾ ومن قبلي ولم تخرج من القبور ﴿وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ﴾ يسألانه العوث برجوعه، ويقولان: إن لم ترجع ﴿وَبِكَ﴾ أي: هلاكك، بمعنى هلكت ﴿يَوْمَ يَنْفُخُ فِي الصُّورِ﴾ بالبعث ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا يُغْنِي عَنْكَ﴾ هذا؛ أي: القول بالبعث ﴿إِلَّا أَسْطِيرَ الْأَوَّلِينَ﴾ أكاذيبهم.

[١٨] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ﴾ وجب ﴿عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ﴾ بالعذاب ﴿فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَيِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ﴾.

[١٩] ﴿وَلِكُلٍّ﴾ من جنس المؤمن والكافر ﴿دَرَجَاتٌ﴾ ودرجات المؤمنين في الجنة عالية، ودرجات الكافرين في النار سافلة ﴿مِمَّا عَمِلُوا﴾ أي: المؤمنون من الطاعات، والكافرون من المعاصي ﴿وَلِيُؤْزِمَهُمْ﴾ أي: الله، وفي قراءة^(٨) بالنون ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: جزاءها ﴿وَهُمْ لَا يُطْلِقُونَ﴾ شيئا، يُنْقَصُ للمؤمنين، ويزاد للكفار.

[٢٠] ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ﴾ بأن تكشف لهم، يقال لهم: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾ بهزة، وبهزتين، وبهزة ومدة^(٩)، وبهما وتسهيل الثانية^(١٠) ﴿طَبَقَاتِكُمْ﴾ باشتغالكم بلذاتكم ﴿فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَنْتَعْتُمْ﴾ تمتعتم ﴿بِهَا﴾ فَأَيُّومَ يُجْزَوْنَ عَذَابُ الْهُونِ﴾ أي: الهوان ﴿يَمَّا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ تتكبرون ﴿فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَيَمَّا كُنْتُمْ تَقْسُونَ﴾ به، وتعذبون بها.

وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفَصْلَتُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلَحَ لِي فِي دِينِي إِنِّي ثَبَّتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَلْتَ عَنْهُمْ أَمْرًا أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزَ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدِّيقَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٧﴾ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَايَهُ أَقِي لَكُمَا أَتْعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَّتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أَمْرٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْغَيِّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَسِيرِينَ ﴿١٩﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُؤْزِمَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُلْظَمُونَ ﴿٢٠﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَدْهَبْتَ طَبَقَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَنْتَعْتُمْ بِهَا فَأَيُّومَ يُجْزَوْنَ عَذَابُ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَقْسُونَ ﴿٢١﴾

[١٥] ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَانًا﴾^(١) وفي قراءة: ﴿إِحْسَانًا﴾ أي: أمرناه أن يحسن إليهما، فنصبت ﴿إِحْسَانًا﴾ على المصدر بفعله المقدّر، ومثله ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ أي: على مشقة ﴿وَحَمَلُهُ وَفَصْلَتُهُ﴾ من الرضاع ﴿ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ سنة أشهر أقل مدة الحمل، والباقي أكثر مدة ارضاع، وقيل: إن حملت به سنة أو تسعة أرضعته الباقي ﴿حَتَّى﴾ غاية لجملة مقدرة؛ أي: عاش حتى ﴿إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ هو كمال قوته وعقله ورأيه، أقله ثلاث وثلاثون سنة أو ثلاثون ﴿وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ أي: تمامها،

(١) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: ﴿إِحْسَانًا﴾.

(٢) يشير إلى ما ذكره الواحدي في أسباب النزول (ص ٣٢٢) والنسوطي في الدر المنثور (٤٤٣/٧) عن عطاء عن ابن عباس، وعراه السيوطي لابن مردويه. وذكر البغوي مثل ذلك عن علي بن أبي طالب. وقيل: نزلت في سعد بن أبي وقاص. وهو مذهب الضحاك. وقيل: إن الآية عامة، وهو قول الحسن. ولعل هذا هو الأقرب؛ فإن أبا تحافة والد أبي بكر رضي الله عنهما لم يسلم إلا بعد فتح مكة، وكان عمرو أبي بكر وقتها تسعا وخمسين سنة. والله أعلم.

(٣) هذا على اختيار المصنف أنها نزلت في أبي بكر، وسبق بيان أن الأقرب أنها عامة.

(٤) النوبة: ٧٢.

(٥) أي: إدغام لام قال، مع إسكانها، مع لام ولوالديه، وهو مذهب أبي عمرو في أحد الروحيين من روايتي الدوري والنسوسي جميعا.

(٦) بالفتح من غير تنوين قراءة ابن كثير وابن عامر، وبالكسر من غير تنوين قراءة الباقرين عدا نافع وحفص، وقرأ نافع وحفص: ﴿أَفْ﴾.

(٧) مع اللد للشعب؛ ﴿أَتْعِدَانِي﴾، وهي قراءة سبعة لهشام.

(٨) لحمة والكسائي ونافع وابن عامر.

(٩) المناسب أن يقول: (وبهزتين محققين ومدة).

(١٠) قرأ بهزتين على الاستفهام ابن كثير وابن عامر، كل على أصله في التسهيل وعدمه، والإدخال وعدمه، وقرأ بقية السبعة: ﴿أَذْهَبْتُمْ﴾.

﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ الْأَنْدُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْكُلَ مِنْ عِلْمِكَ إِنَّا نَبْهَتُهُمْ بِمَا تَعْدُنَا إِن كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢١﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبْلِغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنْ أَنْزَلُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْطَرِفٌ أَمْ يَمْنُنُ بِكُمْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ يَأْمُرُ بِهِمْ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا أَسَدُكُمْ كَذَلِكَ تَجْرِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ مَكَنَّ هُمْ فِي مَكَانٍ مَكْتُومٍ فِيهِ جَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَبَصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ وَصَرَفْنَا آلَاتِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٥﴾ فَلَوْلَا نَصْرُهُمُ الْآيَاتِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٢٦﴾

من ذُوبَ اللَّهُ: أي: غيره ﴿قُرْبَانًا﴾ متفرقا بهم إلى الله ﴿الْآلِهَةِ﴾ معه، وهم الأصنام، ومفعول «اتخذ» الأول ضمير محذوف يعود على الموصول؛ أي: هم، و﴿قُرْبَانًا﴾ الثاني، و﴿الْآلِهَةِ﴾ بدل منه ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾ غابوا ﴿عَنْهُمْ﴾ عند نزول العذاب ﴿وَذَلِكَ﴾ أي: اتخاذهم الأصنام آلهة قُرْبَانًا ﴿إِفْكُهُمْ﴾ كذبهم ﴿وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ يكذبون، و﴿ما﴾ مصدرية، أو موصولة والعائد محذوف؛ أي: فيه.

[٢١] ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ﴾ هو هود عليه السلام ﴿إِذْ﴾ بل اشتغال ﴿أَنْذَرَ قَوْمَهُ﴾ خوفهم ﴿بِالْأَحْقَافِ﴾ واد باليمن به منازلهم ﴿وَقَدْ خَلَتْ الْأَنْدُرُ﴾ مضت الرسل ﴿مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ﴾ أي: من قبل هود ومن بعده، إلى أقوامهم ﴿وَأَنْهَى﴾ أي: بأن قال: ﴿لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾ وجملة: «وقد خلت» معترضة ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ﴾ إن عدمتم غير الله ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

[٢٢] ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْكُلَ مِنْ عِلْمِكَ﴾ لنصرفنا عن عبادتها ﴿فَأَيْنَا بِمَا نَعْبُدُكَ﴾ من العذاب على عبادتها ﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ في أنه يأتيها. [٢٣] ﴿قَالَ هُودٌ﴾: إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ، هو الذي يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وَأُبْلِغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ﴾ إليكم ﴿وَلَكِنْ أَنْزَلُكُمْ قَوْمًا يَجْهَلُونَ﴾ باستعجالكم العذاب.

[٢٤] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: ما هو العذاب ﴿عَارِضًا﴾ سحابا عرض في أفق السماء ﴿مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُنْطَرِفٌ﴾ أي: ممطر إيانا، قال - تعالى -: ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ﴾ من العذاب ﴿رِيحٌ﴾ بدل من «ما» ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٢٥] ﴿تُدْرِكُ﴾ تهلك ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ مرت عليه ﴿يَأْمُرُ رَبُّهَا﴾ بإرادته^(١)؛ أي: كل شيء أراد إهلاكه بها، فأهلك رجالهم ونساءهم وصغارهم وأموالهم، بأن طارت بذلك بين السماء والأرض ومزقه، وبقي هود ومن آمن معه ﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا أَسَدُكُمْ﴾ كذلك كما جزيناهم ﴿تَجْرِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ﴾ غيرهم.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ مَكَنَّ هُمْ فِي مَكَانٍ﴾ في الذي ﴿إِنْ﴾ نافية أو رائدة ﴿مَكَنَّكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿وَبِهِ﴾ من القوة والمال ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا﴾ بمعنى أسماعا ﴿وَأَبْصَرًا وَافْئِدَةً﴾ قلوبا ﴿فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ أي: شيئا من الإغناء، و«من» زائدة ﴿إِذْ﴾ معمولة ل«أغنى» واشترت معنى التعليل ﴿كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ بحججه البينة ﴿وَحَاقَ﴾ نزل ﴿بِهِمْ﴾ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿أَي: العذاب﴾.

[٢٧] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَىٰ﴾ أي: من أهلها؛ كشمود وعاد وقوم لوط ﴿وَصَرَفْنَا آلَاتِهِمْ﴾ كرنا الحجج البينات ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

[٢٨] ﴿فَلَوْلَا﴾ هلا ﴿نَصْرُهُمْ﴾ بدفع العذاب عنهم ﴿الَّذِينَ اتَّخَذُوا

(١) فائدة: أخرج البحاري عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا رأى مجيئة في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج، وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء شوي عنه، فوفوه عائشة ذلك، فقال النبي ﷺ: «وما أدري بعل كما قال قوم: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾ الآية. البخاري. كتاب بدء الخلق (٥٩) باب (٥)، وكتاب التفسير (٦٥) - سورة الأحقاف (٤٦) باب (٢) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ﴾.

(١) في نسخة القاضي: «مطر أتانا».

(٢) الأمر غير الإرادة، وغير القدرة، وقد جرت عادة المصنف رحمه الله أن يفسر الأمر بذلك، وهذا مناه على مذهبه في كلام الله، أنه معنى نفسي لا يقبل التعدد، وهو خلاف مذهب السلف في أن الله عز وجل يتكلم بما شاء وكيف شاء ومتى شاء، ومن ذلك أنه يأمر بما شاء وكيف شاء ومتى شاء.

وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ ﴿١﴾ قَالُوا إِنَّا نَقُومُونَ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢﴾ يَقُومُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَاعْبُدُوا لَهُ يَغْفِرَ لَكُمْ زُنُوبَكُمْ أَلَمْ تَكُونُوا تَدْعُونَ ﴿٣﴾ وَمَن لَّا يُجِيبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقْهُنَّ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ الْمَوْتُ بِلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَٰئِكَ الْعِزَّةُ مِنَ الرَّسُولِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَوْ يَتَسَوَّوْا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغَ فَبَلَّغْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٧﴾

سورة الأحقاف

[٢٩] ﴿١﴾ «وَأَذْكُرْ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ» جن «نصبيين»^(١) باليمن، أو جن «ينوي»^(٢)، وكانوا سبعة^(٣) أو تسعة^(٤)، وكان يصلي بطن نخلة^(٥) يصلي بأصحابه الفجر. [رواه الشيخان] ﴿٢﴾ «يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا» أي: قال بعضهم لبعض: «أنصتوا» أصغوا لاستماعه ﴿٣﴾ «فَلَمَّا قُضِيَ» فرغ من قراءته ﴿٤﴾ «وَلَوْ أَنَّ» رجعوا ﴿٥﴾ «إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّذَرِّينَ» مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا، وكانوا يهودا وقد أسلموا. [٣٠] ﴿٦﴾ «قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا» هو القرآن ﴿٧﴾ «أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ» أي: تقدمه؛ كالطهارة ﴿٨﴾ «إِلَى الْحَقِّ»

الإسلام ﴿٩﴾ «وَالِى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ» أي: طريقه.

[٣١] ﴿١٠﴾ «يَقُومُونَ أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ» محمدا ﷺ إلى الإيمان ﴿١١﴾ «وَعَابِدُوا لَهُ» يعفروا ﴿١٢﴾ «لَهُ» أي: لكم ﴿١٣﴾ «يَن دُونِكُمْ» أي: بعضها؛ لأن منها المظالم، ولا تعفروا إلا برضا أصحابها ﴿١٤﴾ «وَيُجِيبُكُم مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ» مؤلم.

[٣٢] ﴿١٥﴾ «وَمَن لَّا يُجِيبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ» أي: لا يعجز الله بالهرب منه، فيفوته ﴿١٦﴾ «وَلَيْسَ لَهُ» لمن لا يجيب ﴿١٧﴾ «مِن دُونِهِ» أي: الله ﴿١٨﴾ «أَوْلِيَاءُ» أنصار يدفعون عنه العذاب ﴿١٩﴾ «أُولَٰئِكَ» الذين لم يجيبوا ﴿٢٠﴾ «فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» بين ظاهر.

[٣٣] ﴿٢١﴾ «أُولَٰئِكَ يَرَوْنَ» يعلموا؛ أي: منكرو البعث ﴿٢٢﴾ «أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَكُنْ يَخْلُقْهُنَّ» لم يعجز عنه ﴿٢٣﴾ «يَقْدِرُ» خبر «أن»، وزيدت الباء فيه؛ لأن الكلام في قوة^(٢٤): «أليس الله بقادر؟» ﴿٢٤﴾ «عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ الْمَوْتُ بِلَىٰ» هو قادر على إحياء الموتى ﴿٢٥﴾ «يَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ».

[٣٤] ﴿٢٦﴾ «وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ» بأن يعذبوا بها، يقال لهم: ﴿٢٧﴾ «أَلَيْسَ هَٰذَا» التعذيب ﴿٢٨﴾ «بِالْحَقِّ» قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ.

[٣٥] ﴿٢٩﴾ «فَاصْبِرْ» على أذى قومك ﴿٣٠﴾ «كَمَا صَبَرَ أُولَٰئِكَ الْعِزَّةُ» ذوو الشبث والصبر على الشدائد ﴿٣١﴾ «وَمِنَ الرَّسُولِ» قبلك فتكون ذا عزم، و«من» لليبيان، فكلهم ذوو عزم، وقيل: للتبعيض^(٣٢) فليس منهم آدم؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَلَمْ يَجِدْ لَهُمْ عِزًّا﴾^(٣٣) ولا يونس؛ لقوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَلَاحِ الْكَاثِرِينَ﴾^(٣٤) ﴿٣٢﴾ «وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ» لقومك نزول العذاب بهم، قيل: كأنه ضجر منهم، فأجاب نزول العذاب بهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال للعذاب؛ فإنه نازل لا محالة ﴿٣٣﴾ «كَانَتْهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ» من العذاب في الآخرة، لطوله ﴿٣٤﴾ «لَوْ يَتَسَوَّوْا» في الدنيا في ظنهم ﴿٣٥﴾ «إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ»، هذا القرآن ﴿٣٦﴾ «بَلَّغَ» تبليغ من الله إليكم ﴿٣٧﴾ «فَبَلَّغْ» أي: لا ﴿٣٨﴾ «يَهْلِكُ» عند رؤية العذاب ﴿٣٩﴾ «إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ» أي: الكافرون.

(١) «نصبيين» ليست باليمن، وإنما هي مدينة عامرة من بلاد الجزيرة، شمال العراق، على جادة القوافل من الموصل إلى الشام.

(٢) مدينة قديمة، منها نبي الله يونس بن متى، وهي اليوم أطلال وآثار على الضفة اليسرى لنهر دجلة، مقابل مدينة الموصل من جهة الشرق، والنهر بينهما.

(٣) أخرجه الطبري عن ابن عباس (١٣٥/٢٢).

(٤) أخرجه الطبري عن زر بن حبیش (١٣٥/٢٢).

(٥) في أكثر النسخ التي بأيدينا من المطبوع؛ «نخل»، والمثبت من نسخة القاضي، وهو الصحيح كما في صحيح البخاري، و«نخلته» هي نخلة البمانية، وهو موضع في الطريق إلى الطائف. أما «نخل» فهو موضع في نجد على بعد ليثين من المدينة؛ حيث صلى صلاة الخوف.

(٦) البخاري (٧٧٣) ومسلم (٤٤٩) عن ابن عباس، وليس فيها أنها سبب لنزول هذه الآية.

(٧) قوله: «في قوة»: «أليس الله بقادر؟»: جواب عما يقال: إن الباء لا تُزاد إلا في خبر «ليس» و«ما»، كما قال ابن مالك: وبعد «ما» و«ليس» جر الباء الخبر.

(٨) قال ابن كثير: وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال؛ وأشهرها أنهم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وخاتم الأنبياء كلهم؛ محمد ﷺ. اهـ. وقيل: إن الخلاف لفظي من حيث أصل العزم وكما؛ ماكلهم أصحاب عزم، ولكنهم متفاوتون في ذلك.

(٩) ط: ١١٥.

(١٠) القلم: ٤٨.

(١)

سُورَةُ الْقِتَالِ

[مدنية، إلا: ﴿وَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ الآية، أو: مكة،

وهي ثمان، أو: تسع وثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة ﴿وَصَدُّوا﴾ غيرهم ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الإيمان ﴿أَصْلَ﴾ أحبط ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾ كإطعام الطعام وصلة الأرحام، فلا يبرون لها في الآخرة ثواباً، ويُجزون بها في الدنيا، من فضله - تعالى (٢) -

[٢] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أي: الأنصار وغيرهم ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ﴾ أي: القرآن ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ كَفَرُ عَنْهُمْ ﴿غُفِرَ لَهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ وأُصْلَحَ نَالَهُمْ ﴿حَالُهُمْ﴾، فلا يعصونه.

[٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إضلال الأعمال، وتكفير السيئات ﴿بِأَنَّ﴾ بسبب أن ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا أَتَعَمَّوْا الْبُطْلَ﴾ الشيطان ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ﴾ القرآن ﴿مِنْ رَبِّهِمْ﴾ كَذَلِكَ أي: مثل ذلك البيان ﴿يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ﴾ يبين أحوالهم؛ أي: فالكافر يحبط عمله، والمؤمن لا يغفر له.

[٤] ﴿فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ﴾ مصدر، بدل من اللفظ بفعله؛ أي: فاضربوا رقابهم؛ أي: اقتلوه، وعبر بضرب الرقاب؛ لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة ﴿حَتَّى إِذَا أَتَخْتَرُّوهُمْ﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿فَضُدُّوا﴾ فأسكروا عنهم وأسرورهم، وشُدُّوا ﴿الْوَتَاكَ﴾ ما يوثق به الأسرى ﴿فَإِذَا مَتَّأ بَعْدُ﴾ مصدر بدل من اللفظ بفعله؛ أي: تَثَوَّنْ عليهم، بإطلاقهم غير شيء ﴿وَأَمَّا ذِيئَهُ﴾ فتادونهم بمال، أو: أسرى مسلمين ﴿حَتَّى تَضَعَ لُرَبِّي﴾ أي: أهلها ﴿أُزُرَهَا﴾ أنقلها، من السلاح وغيره؛ بأن يُسلم الكفار، أو يدخلوا في العهد، وهذه غاية للقتل والأسر ﴿ذَلِكَ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: الأمر فيهم ما ذكر ﴿وَلَوْ بَشَّأَ اللَّهُ لَاقْتَصَرَّ مِنْهُمْ﴾ بغير قتال ﴿وَلَكِنْ﴾ أمرهم به ﴿لِيَبْلُغُوا بِضَعِّكُمْ يَتَقِينَ﴾ منهم في القتال، فيصير من قُتل منكم إلى الجنة، ومنهم إلى النار ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾ وفي قراءة (٣) ﴿قَاتِلُوا﴾، الآية، نزلت يوم أحد (١)، وقد فُتِشا في المسلمين القتل والجراحات ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُبْذِلَ﴾ يحبط ﴿أَعْمَلَهُمْ﴾.

[٥] ﴿سَيَبْرُهُمْ﴾ في الدنيا والآخرة، إلى ما ينفعهم ﴿وَيُضَيِّحُ نَالَهُمْ﴾ حالهم فيهما، وما في الدنيا لمن لم يُقْتَلْ، وأُدرجوا في «قتلوا» تغليظاً.

[٦] ﴿وَرَحْلُهُمْ لِحَنَّةً رَحَقَهَا﴾ نَكَبَهَا ﴿لَهُمْ﴾ فيهدون إلى مساكنهم منها، وأزواجهم وخدمهم، من غير امتدال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَ أَعْمَالِهِمْ ۖ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبُطْلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ۖ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبُ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَتَخْتَرُّوهُمْ فَضُدُّوا أَلْوَتَاكُ فَإِنَّمَا مَتَّأ بَعْدُ وَإِنَّمَا يَضَعُ لُرَبِّي أُزُرَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَتْخَرْتُمْ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُغُوا بِضَعِّكُمْ يَتَقَيُّوا ۖ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُبْذِلَ أَعْمَالَهُمْ ۖ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ عَرْضُهَا لَهُمْ ۖ تَبَٰئِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا تَصَّوَّرُوا ۖ وَاللَّهُ يَنْصُرُكُمْ وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ ۖ أَصْلَ أَعْمَالِهِمْ ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۖ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ۖ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ۖ

[٧] ﴿تَبَٰئِبُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا تَصَّوَّرُوا﴾ أي: دينه ورسوله ﴿يَضْرِبُكُمْ﴾ على عدوكم ﴿وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ﴾ يثبتكم في المعترك.

[٨] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ من أهل مكة، مبتدأ خبره: «تَعَسَوْا» (٢)، يدل عليه: ﴿فَتَعَسَا لَهُمْ﴾ أي: هلاكاً وخيبة من الله ﴿وَأَصْلَ أَعْمَالَهُمْ﴾ عطف على «تَعَسَوْا».

[٩] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: العس والإضلال ﴿بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أُنْزِلَ اللَّهُ﴾ من القرآن المشتمل على التكليف ﴿فَاحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾.

[١٠] ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ﴾ أهلك أنفسهم وأولادهم وأموالهم ﴿وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا﴾ أي: أمثال عاقبة ما قبلهم.

[١١] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: نصر المؤمنين، وقهر الكافرين ﴿بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَىٰ﴾ ونصر ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾.

(١) وتسمى أيضاً: سورة «بمحمد» ﷺ.

(٢) كما في حديث أنس عند مسلم وغيره مرفوعاً: «إن الله لا يظلم مؤمناً حسنة، يُعْطَى بها في الدنيا، ويُجْزَى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطْعَم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا قُضِيَ إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجْزَى بها». مسلم (٢٨٠٨).

(٣) للبيعة عدا حفص وأبي عمرو.

(٤) هنا قول ابن جريج؛ كما في الدر المنثور (٤٦١/٧)، ونسبه لابن المنذر، ونسبه البيهقي لقاعدة، وسنده ضعيف لإعضاله كما في الاستيعاب (٣/٢١٨).

(٥) أي: تقديره: «تَعَسَوْا».

في عبادة الأوثان؛ أي: لا مائلة بينهما.

[١٥] ﴿مَثَلُ أَي: صفة ﴿الْحَنَّةِ﴾ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ﴾ المشتركة بين داخلها، مبتدأ خبره: ﴿فِيهَا أَنَّهُمْ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾ بالمد والقصر^(١)؛ كضارب وخبره؛ أي: غير متغير، بخلاف ماء الدنيا، فيغير بعارض^(٢) ﴿وَأَنَّهُمْ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾ بخلاف لبن الدنيا، لخروجه من الضروع ﴿وَأَنَّهُمْ مِنْ حَمْرٍ لَذِقٌ﴾ لذينة ﴿لِلشَّارِبِينَ﴾ بخلاف خمر الدنيا؛ فإنها كريهة عند الشرب ﴿وَأَنَّهُمْ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى﴾ بخلاف عسل الدنيا؛ فإنه يخرج من بطون النحل يخالطه الشمع وغيره ﴿وَلَهُمْ فِيهَا﴾ أصناف ﴿مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ فهو راض عنهم، مع إحسانه إليهم بما ذكر، بخلاف سيد العبيد في الدنيا، فإنه قد يكون مع إحسانه إليهم ساخطا عليهم ﴿كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ﴾ خبر مبتدأ مقدر؛ أي: أمَّن هو في هذا النعيم ﴿وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا﴾ أي: شديد الحرارة ﴿فَقَطَّ أَعْمَاءَهُمْ﴾ أي: مصارينهم فخرجت من أديارهم، وهو جمع معنى بالقصر، وألفه عن باء؛ لقولهم: معيان^(٣).

[١٦] ﴿وَمِنْهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿مَنْ يَسْتَعِزُّ بِكَ﴾ في خطبة الجمعة، وهم المنافقون ﴿حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْوَحْيَ﴾ لعلماء الصحابة، منهم: ابن مسعود، وابن عباس^(٤)، استهزاء وسخرية: ﴿مَاذَا قَالَ إِيَّاهُ﴾ بالمد والقصر^(٥)؛ أي: الساعة؛ أي: لا نرجع إليه ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في النفاق.

[١٧] ﴿وَالَّذِينَ أَهْدَا﴾ وهم المؤمنون ﴿زَادَهُمْ﴾ الله ﴿هَٰذِي وَءَاتَيْنَاهُمْ﴾ لهم ما يتقون به النار.

[١٨] ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة ﴿إِلَّا السَّاعَةَ﴾ أي: تأييدهم ﴿بِئْسَ أَتَايَهُمْ﴾ بدن اشتغال من «الساعة» أي: ليس الأمر إلا أن تأتيهم ﴿بِقِتَّةٍ﴾ فجأة ﴿فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ علاماتها، منها بعثة النبي ﷺ، وانشقاق القمر، والدخان.

﴿فَأَنَّىٰ لَمَّا إِذَا جَاءَتْهُمْ﴾ الساعة ﴿ذَكَرْنَاهُمْ﴾ تذكرهم؛ أي: لا ينفعهم. [١٩] ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ أي: ذم يا محمد على علمك بذلك، النافع في القيامة ﴿وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ﴾ لأجله، قيل له ذلك مع عصيته؛ لتستن به أمته، وقد فعله، قال ﷺ: «إني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة»^(٦) ﴿وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ فيه إكرام لهم بأمر نبيهم بالاستغفار لهم ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ متصرفكم لأشغالكم في النهار ﴿وَمَثْوَاكُمْ﴾ مأواكم إلى مضاجعكم بالليل؛ أي: هو عالم بجميع أحوالكم، لا يخفى عليه شيء منها، فاحذروه، والخطاب للمؤمنين وغيرهم.

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ وَيَا كَلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْوَىٰ لَهُمْ ﴿١٣﴾ وَكَانَ مِنْ قَبْلِهِ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قُرَيْشِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكَهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٤﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَدَيْنِهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ مَثَلُ الْحَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنَّهُمْ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنَّهُمْ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَغَيَّرْ طَعْمَهُ وَأَنَّهُمْ مِنْ حَمْرٍ لَذِيقٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنَّهُمْ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَعْمَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ إِيَّاهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ أَهْدَا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَيْنَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٨﴾ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٩﴾ فَاَعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿٢٠﴾

[١٣] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَمِعُونَ﴾ في الدنيا ﴿وَيَا كَلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ﴾ أي: ليس لهم همٌّ إلا بطونهم وفروجهم، ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿وَالنَّارُ مَشْوَىٰ لَهُمْ﴾ منزل ومقام ومصير.

[١٣] ﴿وَكَايَنَ﴾ وكم ﴿مِنْ قُرَيْشٍ﴾ أريد بها أهلها ﴿هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قُرَيْشِكَ﴾ مكة؛ أي: أهلها ﴿الَّتِي أَخْرَجَتْكَ﴾ روعي لفظ «قرية» ﴿أَهْلَكَهُمْ﴾ روعي معنى «قرية» الأولى ﴿فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ﴾ من إهلاكنا.

[١٤] ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ يَدَيْنِهِ﴾ حجة وبرهان ﴿مِنْ رَبِّهِ﴾ وهم المؤمنون ﴿كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءَ عَمَلِهِ﴾ فراه حسنا، وهم كفار مكة ﴿وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾

(١) بالقصر أي «أسن»، قراءة ابن كثير.

(٢) هي نسخة القاضي: «لعارض».

(٣) أي في تشبيهه.

(٤) ذكر ذلك القرطبي في تفسيره؛ قال ابن عباس: كنت ممن يسأل. وروي عن ابن عباس: يريد عبد الله بن مسعود. وقيل غير ذلك، وقال ابن زيد: إنهم الصحابة.

(٥) بالقصر أي «أنفا» فراءة البري بخلاف عنه.

(٦) أخرجه نحوه مسلم (٢٧٠٢) عن الأعر بن يسار مرفوعا.

[٢٠] ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ طلباً للجهاد: ﴿لَوْلَا هَلَّا﴾ ﴿وَنَزَلَتْ سُورَةٌ﴾ فيها ذكر الجهاد ﴿فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ مُحْكَمَةٍ﴾ أي: لم ينسخ منها شيء ﴿وَوَدَّكَ فِيهَا الْفِتْنَالُ﴾ أي: طلبه ﴿وَنَزَلَتْ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ﴾ أي: شك، وهم المنافقون ﴿يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنْظُرَ الْعَيْنِ عَلَى مِنَ الْمَوْتِ﴾ خوفاً منه وكرهه له؛ أي: فهم يخافون من القتال ويكرهونه ﴿فَأُولَئِكَ لَهُمْ﴾ مبتدأ، خبره: [٢١] ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ أي: حسن لك ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾ أي: فُرض القتال ﴿فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ في الإيمان والطاعة ﴿لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ وجملة «لو» جواب «إذا».

[٢٢] ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ بكسر السين وفتحها^(١)، وفيه التفات عن الغيبة إلى الخطاب؛ أي: لعلكم ﴿إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أي: تعودوا إلى أمر الجاهلية، من البغي والقتال^(٢).

[٢٣] ﴿أُولَئِكَ﴾ أي: المفسدون ﴿الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصْغُرْ﴾ عن استماع الحق ﴿وَأَعْمَجْ أَبْصَرَهُمْ﴾^(٣) عن طريق الهدى.

[٢٤] ﴿أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْفُرَاتِ﴾ فيعرفون الحق ﴿أَمْ﴾ بل ﴿عَلَى قُلُوبٍ﴾ لهم ﴿أَفْصَالُهَا﴾ فلا يفهمونه.

[٢٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا﴾ باللفاق ﴿عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ﴾ أي: زين ﴿لَهُمْ﴾ [وَأَفْلَى] لَهُمْ بضم أوله ويفتحه واللام^(٤)، والمملي الشيطان بإرادته - تعالى -، فهو المضل لهم.

[٢٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: إضلالهم ﴿بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ﴾ أي: للمشركين: ﴿سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ﴾ أي: المعاونة على عداوة النبي ﷺ، وتبسيط الناس عن الجهاد معه، قالوا ذلك سيّراً، فأظهره الله - تعالى - ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَسْرَارَهُمْ﴾ بفتح الهمزة جمع «سِرٌّ»، وبكسرهما^(٥) مصدر.

[٢٧] ﴿فَكَيْفَ﴾ حالهم ﴿إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَصَرِيَّتُ﴾ حال من «الملائكة» ﴿وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارُهُمْ﴾ ظهورهم بمقامع من حديد؟.

[٢٨] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التوفي على الحالة المذكورة ﴿بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ مُحْكَمَةٍ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَنْظُرَ الْمَغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۖ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۚ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ ۚ أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْفُرَاتِ ۚ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْصَالُهَا ۚ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ۚ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّيْتُهُمُ الْمَلَائِكَةُ بَصَرِيَّتُ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۚ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اتَّبَعُوا مَا اسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ ۚ فَاحْطَبُوا أَعْمَالَهُمْ ۚ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ ۚ

اسْحَطَ اللَّهُ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ: أي: العمل بما يرضيه ﴿فَاحْطَبُوا أَعْمَالَهُمْ﴾. [٢٩] ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَصْغَنَهُمْ﴾ يظهر أحقادهم على النبي ﷺ والمؤمنين؟.

(١) فائدة: أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله خلق الخلق، حتى إذا فرغ منهم قامت أرحم قطيعة، هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى. قال: فذاك لك». ثم قال رسول الله ﷺ: «اقرعوا إن شئتم: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَاصْغُرْ وَأَعْمَجْ أَبْصَرَهُمْ ۚ أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْفُرَاتِ ۚ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْصَالُهَا؟». مسلم - كتاب البر والصلة (٤٥) باب (٦) صلة الرحم وتحريم قطعيتها.

(٢) بالكسر قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بفتح السين.

(٣) في نسخة القاضي: «القتل».

(٤) بضم الهمزة وكسر اللام وفتح الياء قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَأَفْلَى﴾ بفتح أوله واللام.

(٥) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة: ﴿إِسْرَارَهُمْ﴾ بكسر الهمزة.

من طاعتكم وعصيانكم في الجهاد وغيره، بالياء والنون^(١) في الأفعال الثلاثة^(٢).

[٣٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريق الحق ﴿وَسَأَوْا الرُّسُولَ﴾ خالفوه ﴿مِنْ بَعْدِ مَا نَبَّيْنَاهُمْ الْمُنْكَرَ﴾ هو معنى سبيل الله ﴿لَنْ يَصْرَوْا اللَّهَ شَيْئًا وَسَخِطَ أَعْمَلُهُمْ﴾ يطلها من صدقة ونحوها، فلا يرون لها في الآخرة ثوابًا، نزلت في المطعمين من أصحاب بدر^(٣) أو: في قريظة والنضير^(٤).

[٣٣] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ﴾ بالمعاصي^(٥) مثلاً.

[٣٤] ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ طريقه، وهو الهدى ﴿ثُمَّ مَاتُوا وَمَتَّ كَفَّارًا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ نزلت في أصحاب القليب^(٦).

[٣٥] ﴿فَلَا تَهْتُوا﴾ تضعفوا ﴿وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ﴾ بفتح السين وكسرها^(٧)؛ أي: الصلح مع الكفار إذا لقيتموهم ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ حذف منه واو لام الفعل: الأغلبون القاهرون ﴿وَاللَّهُ مَعَكُمْ﴾ بالعون والنصر^(٨) ﴿وَلَنْ يَرْكُزَ﴾ ينقصكم ﴿أَعْمَلَكُمْ﴾ أي: ثوابها.

[٣٦] ﴿إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا﴾ أي: الاشتغال فيها ﴿لَوَبٌّ وَلَهْوٌ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا﴾ الله وذلك من أمور الآخرة ﴿يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْتَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾ جميعها، بل الزكاة المفروضة فيها.

[٣٧] ﴿إِنْ يَسْأَلْكُمْ فَيَخْفِكُمْ﴾ يبالغ في طلبها ﴿تَبْخُلُوا وَيَخْرُجَ الْبَخْلُ﴾ أَسْأَلَكُمْ لادين الإسلام.

[٣٨] ﴿هَآؤُلَآءِ تَدْعُونَ لِيَسْأَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ما فرض عليكم ﴿فَيَنْكُم مَّنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ يقال: بخن عليه وعنه ﴿وَاللَّهُ الْعَنَى﴾ عن نفقتكم ﴿وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ﴾ إليه ﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ عن طاعته ﴿يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ أي: يجعلهم بدلکم ﴿فَإِنَّكُمْ لَا يَكُونُوا أُمَّتًا لَّكُمْ﴾ في التولي عن طاعته، بل مطيعين له ^(٩).

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَفَعَلْتَهُمْ بِسْمِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَتَبْلُوُنَّكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجْهَدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّيِّينَ وَتَبْلُوُوا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَسَأَفُوا الرُّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَصْرُوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَخِطَ أَعْمَلُهُمْ ﴿٣٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرُّسُولَ وَلَا تَبْطُلُوا أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهْتُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتَرَكَكُمْ أَعْمَلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أَجْرَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ فَيَخْفِكُمْ فَيَخْفِكُمْ تَبْخُلُوا وَيَخْرُجَ أَصْغَرَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَآؤُلَآءِ تَدْعُونَ لِيَسْأَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَنْكُم مَّنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنْ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْعَنَى وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أُمَّتًا لَّكُمْ ﴿٣٨﴾

[٣٠] ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ﴾ عَرَفْنَا كَهْمُ، وكررت اللام في: ﴿فَلَتَعْرِفَنَّهُمْ بِسْمِهِمْ﴾ علامتهم ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ الواو لقسم محذوف، وما بعدها جوابه ﴿فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ أي: معناه إذا تكلموا عندك، بأن يَمُوضُوا بما فيه تهجين أمر المسلمين ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَلَكُمْ﴾.

[٣١] ﴿وَلَتَبْلُوُنَّكُمْ﴾ نخبركم بالجهاد وغيره ﴿حَتَّى تَعْلَمَ﴾ علم ظهور ﴿الْمُجْهَدِينَ مِنْكُمْ وَالضَّيِّينَ﴾ في الجهاد وغيره ﴿وَتَبْلُوُوا أَخْبَارَكُمْ﴾

(١) فائدة: أخرج الترمذي عن أبي هريرة قال: تلا رسول الله ﷺ يوماً هذه الآية: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَفَعَلْتَهُمْ بِسْمِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ﴾ في ثلاثين مرة، وقال: «هذا وقومه، هذا وقومه، الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٧) ومن سورة محمد. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٥٩٨).

(٢) بالياء قراءة شعبة في الأفعال الثلاثة: أي: «اليلوونكم»، و«يلو»، وقرأ بقية السبعة في الأفعال الثلاثة، بالنون.

(٣) في نسخة: «في ثلاثين مرة»، والأفعال الثلاثة هي: «اليلوونكم»، و«نعلهم»، و«نبلو»، من هذه الآية.

(٤) هذا قول ابن عباس، كما في تفسير البغوي، أي الذين أطعموا قراء أهل مكة، الذين خرجوا لقتال المسلمين فيها.

(٥) ذكره الواحدي كما في زاد المسير.

(٦) ليست كل معصية مبطله للأعمال الصالحة، بل منها ما يبطلها جميعها كالكردة، ومنها ما يبطل بعضها كالرياء في أصل العبد، ومنها ما لا يبطل شيئاً.

(٧) «القليب»: هو بحر في «بدر»، ألقي فيه قتلى الكفار في معركة بدر. وظاهر الآية العموم وإن كان السبب خاصاً، كما قال الشوكاني في فتح القدير.

(٨) بالكسر قراءة شعبة وحيدة.

(٩) وهذا من لوازم معنيته. شبهة: الخاصة بعاده المؤمنين، وحقيقتها الصحة اللاتقة، ولا تنافي بينها وبين كونه مستوفياً على عرشه بأثماً من خفة، فكلاهما حق.

سُورَةُ الْفَتْحِ

[مدنية، تسع وعشرون آية،

نزلت في الطريق عند الانصراف من الحديبية*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ قضينا بفتح مكة^(١) وغيرها، في المستقبل غنوة بجهادك ﴿فَتَحًا مُبِينًا﴾ بَيِّنًا ظاهرًا. [٢] ﴿لِيَعْلَمَ لَكَ اللَّهُ﴾ بجهادك ﴿مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ منه، لتزهد أمثك في الجهاد، وهو مؤول؛ لعصمة الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - بالدليل العقلي القاطع من الذنوب، واللام للعللة الغائية، فمدخولها مسبب لا سبب^(٢) ﴿وَيُنَبِّئُكَ﴾ بالفتح المذكور ﴿بِغَنَمَتِهِ﴾ إنعامه ﴿عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ﴾ به ﴿صِرَاطًا﴾ طريقًا ﴿مُسْتَقِيمًا﴾ يثبتك عليه، وهو دين الإسلام. [٣] ﴿وَيُضِرُّكَ اللَّهُ﴾ به ﴿نَصْرًا غَيْرَ بَرٍّ﴾ ذا ذل له. [٤] ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ﴾ الطمأنينة ﴿فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزِيدُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾ بشرائع الدين، كلما نزل واحدة منها آمنوا بها، ومنها الجهاد ﴿وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فلو أراد نصر دينه بغيركم لفعل ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بخلفه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه، أي: لم يزل متصفاً بذلك. [٥] ﴿لِيُذِلَّ﴾ يذلل ﴿مَتَلَبِّحِينَ﴾ متعلق بمحذوف، أي: أمر بالجهاد ﴿الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرُ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ﴾ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا^(٣). [٦] ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُتَنَفِّقِينَ وَالْمُتَنَفِّقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ﴾ الثلاثة^(٤)؛ ظنوا أنه لا ينصر محمدًا ﷺ والمؤمنين ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ بالذل والعذاب ﴿وَعَذَّبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَهُمْ﴾ أبعدهم ﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾ مرجعًا. [٧] ﴿وَلِلَّهِ جُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ غَرِيبًا﴾ في ملكه ﴿حَكِيمًا﴾ في صنعه، أي: لم يزل متصفاً بذلك.

(١) ما جاء في نزول السورة: أخرجه البخاري عن زيد بن أسلم عن أبيه أن رسول الله ﷺ كان في بعض أسفاره، وعمر بن الخطاب يسير معه ليلاً، فسأله عمر بن الخطاب عن شيء فلهم رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: تكلمت أم عمر عمر، تزوت رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، قال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن يزل في القرآن، فما نشيت أن سمعت صارخاً يصرخ بي. فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجلت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقال: «لقد أنزل علي الليلة سورة هي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس»، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الفتح (٤٨) باب (١).

وأخرج أيضاً عن سهل بن حنيف قال: أبها الناس اتهموا أنفسهم، فانا كنا مع النبي ﷺ يوم الحديبية ولو نرى قتالاً لقاتلنا، فجاء عمر ابن الخطاب فقال: يا رسول الله، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟ فقال: «بلى». فقال: أليس قتالنا في الجنة وقتلهم في النار؟ قال: «بلى». قال: فعلام نطعمي الدنيا؟ أترجع ولا يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: «يا ابن الخطاب، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبداً»، فانتظر عمر إلى أني بكر فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله أبداً. فنزلت سورة الفتح، فقرأها رسول الله ﷺ على عمر، فقال عمر: يا رسول الله، أو فتح هو؟ قال: نعم. البخاري - كتاب الجزية والمواذعة (٥٨) باب (١٨).

وأخرج أحمد عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: خرج رسول الله ﷺ عام الحديبية يريد زيارة البيت لا يريد قتالاً... حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي وقال: يا رسول الله، هذه قريش قد سمعت بمسيرك فخرجت معها العوز المطافيل، قد ليسوا جلود النمرور يهادنون الله أن لا تدخلها عليهم غنة أبداً... فأناب سهل بن عمرو، فلما رآه النبي ﷺ قال: «قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل»... حتى إذا كان بين يدي مكة والمدينة في وسط الطريق، فنزلت سورة الفتح. أحمد في مسنده (٣٢٦/٤). وأخرج أيضاً عن عبد الله بن مسعود قال: لما انصرفنا من غزوة الحديبية، قال رسول الله ﷺ: «من يحرسنا الليلة؟» قال عبد الله... وأما... ونزلت على رسول الله ﷺ سورة الفتح. أحمد - المسند (٣٩١/١)، وقال أحمد شاكر: (إسناده صحيح (٣٧١٠)).

(٢) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك قال: نزلت على النبي ﷺ: ﴿لِيَعْلَمَ لَكَ اللَّهُ مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ مرجعه من الحديبية، فقال النبي ﷺ: «لقد نزلت علي آية أحب إلي مما على الأرض» ثم قرأها النبي ﷺ عليهم. فقالوا: هنيئاً مريئاً يا نبي الله، قد بين الله لك ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فنزلت عليه: ﴿لِيُذِلَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ حتى سبغ ﴿فَوْزًا عَظِيمًا﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٩) ومن سورة الفتح، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٠١).

(١) الراجح أن المراد بانفتح هنا هو صلح الحديبية.

(٢) قال أبو السعود في تفسيره: ﴿لِيَعْلَمَ لَكَ اللَّهُ﴾: «غاية للفتح، من حيث إنه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام في إغلاء كلمة الله - تعالى -، بمكابدة مشاق الحروب، وإقحام موارد الخطوب. مَا قَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ»: أي جميع ما فرط منك من ترك الأولى. وتسميته ذنباً بالنظر إلى منصبه الجليل.

(٣) ما سبق قلم من انصاف رحمه الله، فهذه الآية، والموضع الثاني في الآية (١٢) من هذه السورة، وهو قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ لَكَ الْأَنْبَاءُ﴾ يس فيها إلا فتح السين باتفاق القراء. وليس فيها ضمها باتفاقهم. وأما الضم والفتح، ففي قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ فقط؛ بفتح السين وضمها، والضم قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَفَّ فَإِنَّمَا يَتَكَبَّرُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ طَنَنُوا أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ وَطَنَّتُمْ ظُلْمَ السَّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرِنَا لِنَأْخُذْهَا وَدُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَمُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾

[١١] ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ حول المدينة؛ أي: الذين خلفهم الله عن صحبتك، لما طلبتهم ليخرجوا معك إلى مكة، خوفًا من تعرض قريش لك عام الحديبية، إذا رجعت منها: ﴿شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا﴾ عن الخروج معك ﴿فَاسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ الله، من ترك الخروج معك، قال - تعالى - مكذبًا بهم: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ أي: من طلب الاستغفار وما قبله ﴿مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ فهم كاذبون في اعتذارهم ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا أحد ﴿يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا﴾ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا ﴿بِفَتْحِ الضَّادِ وَضَمِّهَا﴾ ﴿أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا﴾ بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿أَي: بِمَ يَزِلْ مَتَصَفًا بِذَلِكَ﴾.

[١٢] ﴿بَلْ﴾ في الموضعين للانتقال من غرض إلى آخر ﴿طَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ أي: أنهم يُسْتَأْصَلُونَ بالقتل، فلا يرجعون ﴿وَطَنَّتُمْ ظُلْمَ السَّوءِ﴾ هذا وغيره ﴿وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ جمع بائر؛ أي: هالكين عند الله بهذا الظن.

[١٣] ﴿وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا﴾ نَارًا شديدة.

[١٤] ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفًا بما ذكر.

[١٥] ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ﴾ المذكورون: ﴿إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرِنَا﴾ هي مغامير خيبر ﴿لِنَأْخُذْهَا وَدُرُونَا﴾ اتركونا ﴿نَتَّبِعْكُمْ﴾ لنأخذ منها ﴿يُرِيدُونَ﴾ بذلك ﴿أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ وفي قراءة (٧): ﴿كَلِمَ اللَّهِ﴾ بكسر اللام؛ أي: مواعيده بغنائم خيبر أهل الحديبية خاصة ﴿قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ﴾ أي: قبل عودنا ﴿فَمُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أن نصيب معكم من الغنائم، فقلتم ذلك ﴿بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ﴾ من الذين ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ منهم.

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ تَكَفَّ فَإِنَّمَا يَتَكَبَّرُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنْ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ طَنَنُوا أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزَيْنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ وَطَنَّتُمْ ظُلْمَ السَّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَائِرِنَا لِنَأْخُذْهَا وَدُرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَمُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٥﴾

[٨] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا﴾ على أمتك في القيامة ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ لهم في الدنيا بالجنة ﴿وَنَذِيرًا﴾ منذرًا، مُحَوِّفًا فيها مَنْ عمل سوءًا بالنار.

[٩] ﴿إِنِّيُؤْمِنُ﴾ يَأْمُنُ وَرَسُولُهُ ﴿بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ﴾، فيه وفي الثلاثة بعده ﴿وَيُغْزَوُهُ﴾ ينصروه، وقرئ (٦) براين مع الفوقانية ﴿وَيُؤَفِّرُهُ﴾ يعظمه، وضميرها هو أو لرسوله ﴿وَيُسَبِّحُوهُ﴾ أي: لله ﴿بُحْرَةً وَأَصِيلًا﴾ بالغداة والعشي.

(١) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

(٢) أي شذوذًا.

(٣) النساء: ٨٠.

(٤) وهذا تفسير باللازم، ولا يمنع ذلك من إثبات اليد حقيقة لله ﴿يُحْكِمُ﴾ على ما يليق به، كما هو مذهب أهل السنة.

(٥) بالنون قراءة نافع وابن كثير وابن عاصم، وقرأ بقية السبعة بالياء.

(٦) بالضم قراءة حمزة والكسائي.

(٧) لحمزة والكسائي.

[١٦] ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّوْنَ إِلَى قَوْمِ أُولَى﴾ أصحاب ﴿بِأَسْنَدِيٍّ﴾ قيل: هم بنو حنيفة أصحاب اليمامة، وقيل: فارس والروم ﴿فَتَقَبَّلُونَهُمْ﴾ حال مقدرة، هي المدعو إليها في المعنى ﴿أَوْ﴾ هم ﴿يَسْلُبُونَ﴾ فلا تقاتلون ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا﴾ إلى قتالهم ﴿يُؤْتِيَكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ يَعِذُّكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿مَوْلَا﴾.

[١٧] ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَنفِيِّ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ في ترك الجهاد ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ﴾ بالياء والنون ^(١) ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعِذُّهُ﴾ بالياء والنون ^(٢) ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

[١٨] ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ﴾ بالحدادية ﴿تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ هي سمرة، وهم ألف وثلاثمائة أو أكثر، ثم بايعهم على أن يناجزوا قريبًا وأن لا يفرؤا من الموت ﴿فَقِيلَ﴾ الله ﴿مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ من الصدق والوفاء ﴿كَأَنزَلَ الشَّكِيَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْبَأَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا﴾ هو فتح خيبر، بعد انصرافهم من الحديبية.

[١٩] ﴿وَمَعَانِهِ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا﴾ من خيبر ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[٢٠] ﴿وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَعَانِهِ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾ من الفتوحات ﴿فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾ غنيمة خيبر ﴿وَكَلَّفَ الْبُيُوتَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾ في عيالكم لما خرجتم وهمت بهم اليهود، فغذف الله في قلوبهم الرعب ﴿وَلَكُنْ﴾ أي: المعجزة، عطف على مقدره: أي: لتشكروه ﴿عَايَةَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ في نصرهم ﴿وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ أي: طريق التوكل عليه، وتقويض الأمر إليه - تعالى ..

[٢١] ﴿وَأَنْشَرْنَا﴾ صفة «معانم» مقدراً، مبتدأ ﴿لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا﴾ هي من فارس والروم ﴿فَقَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ علم أنها ستكون لكم ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك.

[٢٢] ﴿وَلَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالحدادية ﴿لَوَلَوْ أَلَاذْبَرْتُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحرسهم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾.

[٢٣] ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله، من هزيمة

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّوْنَ إِلَى قَوْمِ أُولَى بِأَسْنَدِيٍّ
تَقَبَّلُونَهُمْ أَوْ يَسْلُبُونَ فَإِنْ طُيعُوا يُؤْتِيَكُمْ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا
وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ يَعِذُّكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا لَيْسَ
عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَنفِيِّ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ
وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعِذُّهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ
عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي
قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِيَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَنْبَأَهُمْ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَعَانِهِ
كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمْ اللَّهُ
مَعَانِهِ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَانَ اللَّهُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٠﴾ وَلَوْ فَتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَوْ
أَلَاذْبَرْتُمْ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ
الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

الكاافرين ونصر المؤمنين؛ أي: سن الله ذلك سنة ﴿الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ منه.

(١) بالنون قراءة نافع وابن عامر.

(٢) بالنون قراءة نافع وابن عامر.

﴿مَعَكُمْ﴾ محبوباً حال ﴿أَنْ يَبْلُغَ مَجَلَّةً﴾ أي: مكانه الذي ينحر فيه عادة، وهو الحرم، بدل اشتمال ﴿وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ﴾ موجودون بمكة مع الكفار ﴿لَمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ بصفة الإيمان ﴿أَنْ تَطَّوَّهُمْ﴾ أي: تقتلوهم مع الكفار، لو أذن لكم في الفتح، بدل اشتمال من ﴿هم﴾ ﴿فَتَضِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةً﴾ أي: إثم ﴿يَغِيرُ عَلَيْهِمْ﴾ منكم به، وضمان الغيبة للصنفين بتغليب الذكور، وجواب ﴿لَوْلَا﴾ محذوف؛ أي: لأذن لكم في الفتح، لكن لم يؤذن فيه حينئذ ﴿لَيَدْخُلَنَّ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ كل المؤمنين المذكورين ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا﴾ تميزوا عن الكفار ﴿لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ﴾ من أهل مكة حينئذ، بأن نأذن لكم في فتحها ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً.

[٢٦] ﴿إِذْ جَعَلَ﴾ متعلق بـ﴿عَذَابًا﴾ ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فاعل ﴿فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ﴾ الأنفة من الشيء ﴿حَمِيَّةً لِّجَاهِهِ﴾ بدل من «الحمية»، وهي صدهم النبي وأصحابه عن المسجد الحرام ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ فصالحوهم على أن يعودوا من قابل، ولم يلحقهم من الحمية ما لحق الكفار، حتى يقاتلوهم ﴿وَالزَّكَمَهُمْ﴾ أي: المؤمنين ﴿كَلِمَةً التَّقْوَى﴾ لا إله إلا الله محمد رسول الله، وأضيفت إلى التقوى؛ لأنها سببها ﴿وَكَاوَنُوا أَهَقَ يَهَا﴾ بالكلمة من الكفار ﴿وَأَهْلَهَا﴾ عطف تفسيري ﴿وَكَانَ اللَّهُ يَكْلِي شَيْءٌ عَظِيمًا﴾ أي: لم يزل متصفاً بذلك، ومن معلومه - تعالى - أنهم أهلها. [٢٧] ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ آتِياً بِالْحَقِّ﴾ رأى رسول الله ﷺ في النوم عام الحديبية قبل خروجه أنه يدخل مكة هو وأصحابه، آمين ويحلون ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه ففرحوا، فلما خرجوا معه وصدهم الكفار بالحديبية ورجعوا وشق عليهم ذلك وراب بعض المنافقين نزلت، وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ متعلق بـ﴿صَدَقَ﴾، أو حال من ﴿الآتِياً﴾ وما بعدها تفسيرها ﴿لَتَدْخُلَنَّ السَّجْدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ للترك ﴿وَأَمِينَتِ نَحْلَيْنَ رُءُوسَكُمْ﴾ أي: جميع شعورها ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ بعض شعورها، وهما حالان مقدرتان ﴿لَا تَخَافُوتَ﴾ أي: أعلمكم في الصلح ﴿مَا لَوْ تَعْلَمُوا﴾ من الصلاح ﴿وَنَجَمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ﴾ أي: الدخول ﴿فَتَمَاقِيبًا﴾ هو فتح خيبر، وتحقق الرؤيا في العام القابل.

[٢٨] ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ﴾ أي: دين الحق ﴿عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ على جميع باقي الأديان ﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ أنك مرسل بما ذكر.

وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٦﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدَى مَعَكُمْ فَأَنْ يَبْلُغَ مَجَلَّةً وَلَوْلَا رِجَالُ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءُ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فُتْضِيبُكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةً يَغِيرُ عَلَيْهِمْ لَيَدْخُلَنَّ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٧﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٨﴾ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءُيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامَيْنِ مِنْهُ لَمُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُوتَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا ﴿٢٩﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٣٠﴾

[٢٤] ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ بالحديبية ﴿وَمِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ فإن ثمانين منهم طافوا بعسكركم، ليصيبوا منكم فأجذوا وأتى بهم إلى رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلي سبيلهم، فكان ذلك سبب الصلح ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَفْعَلُونَ بَصِيرًا﴾ بالباء والفاء (١)؛ أي: لم يزل متصفاً بذلك. [٢٥] ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ أي: عن الوصول إليه ﴿وَالْهَدَى﴾ معطوف على «كم» (٢).

(٥) ما جاء في نزول الآية (٢٤): أخرجه مسلم عن أنس رضي الله عنه أن ثمانين رجلاً من أهل مكة، هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين، يريدون عرة النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلفاً فاستباحهم، فأرسل الله ﷻ: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾. وكان الله ﷻ يما تَعْلَمُونَ بصيراً. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٦) (وهو الذي كف أيديهم عنكم).

وأخرج مسلم أيضاً عن سلمة بن الأكوع قال: ... فلما اصطلحنا نحن وأهل مكة واخلط بعضنا ببعض، أثبت شجرة فكسخت [أي كسخت] شوكتها فاضطجعت في أصلها. قال: فأتاني أربعة من المشركين من أهل مكة، فجعلوا يبعون في رسول الله ﷺ فأبغضتهم، فتحولت إلى شجرة أخرى، وعلفوا سلاحهم واضطجعتوا، بينما هم كذلك؛ إذ نادى مناد: يا للهاجرين؛ قل ابن زعيم. قال: فاخرطت سيفي، ثم شددت على أولئك الأربعة وهم رقود، فأخذت سلاحهم. فجعلته صفتاً [خرمة] في يدي. قال: ثم قتلت. والذي كرم وجهه محمد، لا يرفع أحد منكم رأسه، إلا صربت الذي فيه عينه. قال: ثم جئت بهم أسوقهم إلى رسول الله ﷺ فنظر إليهم رسول الله ﷺ فقال: «دعوهم يكن لهم بدء الفجور وثأفه» فعفا عنهم رسول الله ﷺ، وأرسل الله: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ الآية. مسلم - كتاب الجهاد والسير (٣٢) باب (٤٥) غزوة ذي قرد وغيرها.

وأخرج البخاري عن المسور بن مخرمة ومروان في حديث طويل، وفيه قصة أبي بصير وتربسه ومن أوى إليه من المسلمين حتى لا يردهم المسلمون إلى قريش - كما في شروط صلح الحديبية - وقطعهم الطريق على قوافل قريش وغيرها. فُرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لئلا أرسل فمن أتاه فهو آمن، فأرسل النبي ﷺ إليهم، فأرسل الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾... الآية. البخاري. كتاب الشروط (٥٤) - باب (١٥) الشروط في الجهاد. قال الحافظ: ووظاهره أنها نزلت في شأن أبي بصير. وفيه نظر. والمشهور في سبب نزولها ما أخرجه مسلم من حديث سلمة بن الأكوع ومن حديث أنس بن مالك الفتح (٤١٤/٥).

مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ
تَرَاهُمْ رُكَّاعًا سَاجِدًا يُسَبِّحُونَ فَضْلًا إِنَّ اللَّهَ وَرِضْوَانًا سِمَاهُمْ
فِي وُجُوهِهِمْ مَنْ أَرَادَ السُّجُودَ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي
الْإِنْحِيلِ كَرَنَجٍ أَخْرَجَ شَطْلُهُ فَفَازَرَهُ فَأَسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى
عَلَى سَوْفِهِ يَعْجِبُ الزُّنَاجَ لِعِظَمِ بِهِمُ الْكُفَّارِ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١﴾

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا إِيَّايَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَنْقُوا
اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا
أَصْوَتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ
لِبَعْضٍ أَنْ تَحْطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنْ الَّذِينَ
يَعْضُونَ أَصْوَتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنْ الَّذِينَ
يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى ﴿٤﴾ أي: لتظهر منهم ﴿٥﴾ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٥﴾ الجنة. [٤] ونزل في قوم جاؤوا وقت الظهيرة
والنبي ﷺ في منزله فنادوه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾
حجرات نسائه ﷺ، جمع حجرة، وهي ما يحجر عليه من الأرض بحائط
ونحوه، وكان كل واحد منهم نادى خلف حجرة - لأنهم لم يعلموه في أي
حجرة - مناداة الأعراب بعلظة وجفاء^(١) ﴿أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ - فيما
فعلوه - محلك الرفيع وما يناسبه من التعظيم.

[٢٩] كما قال الله - تعالى -: ﴿مُحَمَّدٌ﴾ مبتدأ ﴿رَسُولُ اللَّهِ﴾ خبره
﴿وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: أصحابه من المؤمنين، مبتدأ، خبره: ﴿أَشِدَّاءُ﴾ غلاظ
﴿عَلَى الْكُفَّارِ﴾ لا يرحمونهم ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ خبر ثان؛ أي: متعاطفون
متوادون، كالوالد مع الولد ﴿تَرَاهُمْ رُكَّاعًا سَاجِدًا﴾ حالان
﴿يُسَبِّحُونَ﴾ مستأنف يطلبون ﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِمَاهُمْ﴾ علامتهم،
مبتدأ ﴿فِي وُجُوهِهِمْ﴾ خبره، وهو نور وياض يعرفون به في الآخرة أنهم
سجدوا في الدنيا^(١) ﴿مَنْ أَرَادَ السُّجُودَ﴾ متعلق بما تعلق به الخبر؛ أي: كائنه،
وأعرب حالاً من ضميره المنقول إلى الخبر ﴿ذَلِكَ﴾ الوصف المذكور
﴿مَثَلُهُمْ﴾ صفتهم، مبتدأ ﴿فِي التَّوْبَةِ﴾ خبره ﴿وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْحِيلِ﴾
مبتدأ، خبره: ﴿كَرَنَجٍ أَخْرَجَ شَطْلُهُ﴾ بسكون الطاء وفتحها^(٢)؛ فراحه^(٣)
﴿فَازَرَهُ﴾ بالمد والقصص^(٤)؛ قواه وأعانه ﴿فَأَسْتَغْلَظَ﴾ غلظ ﴿فَاسْتَوَى﴾
قوي واستقام ﴿عَلَى سَوْفِهِ﴾ أصوله، جمع ساق ﴿يَعْجِبُ الزُّنَاجَ﴾ أي: زُواعه؛
لحسنه، مثل الصحابة - رضي الله عنهم - بذلك؛ لأنهم بدلوا في قلة وضعف،
فكثروا وقوّوا على أحسن الوجوه ﴿لِعِظَمِ بِهِمُ الْكُفَّارِ﴾^(٥) متعلق بمحذوف دل
عليه ما قبله؛ أي: شهبوا بذلك ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ﴾
الصحابة، و«من» لبيان الجنس لا للتبعض؛ لأنهم كلهم بالصفة المذكورة
﴿مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ الجنة، وهما^(٦) لمن بعدهم - أيضاً - في آيات.

سُورَةُ الْحُجُرَاتِ

[مدينة، ثمان عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا﴾ من قَدَمَ بمعنى تقدم؛ أي: لا
تقدموا بقول ولا فعل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا﴾ المبلغ عنه؛ أي: بغير إذنهما
﴿وَأَنْقُوا﴾ لا ترفعوا أصواتكم ﴿لِللَّهِ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ بفعلكم، نزلت في مجادلة أبي
بكر وعمر - رضي الله عنهما - على^(١) النبي ﷺ في تأمير الأعرع بن حابس أو
القعقاع بن معبد^(٢)، [٢] ونزل فيمن رفع صوته عند النبي ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ﴾ إذا نطقتم ﴿فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إذا نطق^(٣) ﴿وَلَا
تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ﴾ إذا ناجيته ﴿كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾ بل دون ذلك
إجلالاً له ﴿أَنْ تَحْطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ أي: خشية ذلك بالرفع والجهر
المذكورين^(٤)، [٣] ونزل فيمن كان يخفض صوته عند النبي ﷺ كأبي بكر
وعمر^(٥) وغيرهما^(٦) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (٢، ١): أخرج البخاري عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: أنه قدم ركب من بني قحيم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد بن زبيرة، فقال عمر: بل أمر الأعرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، قال عمر: ما أردت خلافتك، فصاريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا إِيَّايَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ حتى انقضت -

(١) الظاهر أن المراد بالسبب ما علامتهم في الدنيا، وإن كانوا في الآخرة كذلك يعرفون بالمر المحجلين، قال بعض المفسرين: أي قد أثرت العبادة من كثرتها وحسنها في وجوههم حتى استنارت، لما استنارت بالصلاة بواطهم استنارت بالجلال طواهرهم. (٢) بالفتح قراءة ابن كثير وابن ذكوان. (٣) الشطط: فرخ النخل. (٤) بالقصر قراءة ابن ذكوان.

(٥) استنبط الإمام مالك من هذه الآية تكفير الشيعة والروافض الذين يعضون الصحابة رضي الله عنهم؛ فإنهم يخطونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر، ووافقه كثير من العلماء. انتهى من «المواهب» نقلًا عن روح المعاني للأرسي. (٦) أي: المغفرة والأجر العظيم؛ لمن بعدهم من المؤمنين. (٧) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي حاشية الجمل والصاروي: «الأولى أن يقول: وعد النبي، وفي نسخة القاضي: وعد». (٨) البخاري (٤٣٦٧، ٤٨٤٧). (٩) أي: حين بلغها النبي عن رفع الصوت؛ فصاروا يخفضان أصواتهما عند النبي ﷺ، كما قال ابن الزبير عند البخاري (٤٨٤٥): فما كان عمر يسبح رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه. (١٠) لعله يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامع ليان (٧٥/٢٦)، والطبراني في الكبير (٦٨/٢) رقم (١٣١٦)، والهشيمي في الجمع (٣٢١/٩) أنها نزلت في ثابت بن قيس بن شماس. وإسناده ضعيف كما ذكر في الاستيعاب (٢٦١/٣).

(١١) يشير إلى ما أخرجه الطبري في جامعه (٧٧/٢٦)، والطبراني في الكبير (٨٧٨/١) وغيرهما عن الأعرع بن حابس أنه أتى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، اخرج إلينا، فلم يجبه، فقال: يا محمد، إن حدي زين، وإن ذمي شين؛ فقال ﷺ: «ذاك الله؛ فأقول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾. وأخرجه أحمد في مسنده مختصراً؛ دون ذكر أنه سب نزول الآية. وصححه في الاستيعاب (٢٦٣/٣).

عَنْهُمْ: يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَهُمْ فَاسْقِ بِئِنَّكَ خَيْرٌ **فَتَقْبَلُونَهُ** صدقه من كذبه، وفي قراءة^(٤): **فَتَقْبَلُونَهُ** من الثبات **أَنْ تُقْبِلُونَهُ قَوْمًا** مفعول له؛ أي: خشية ذلك **بِمَهَلَّةٍ** حال من الفاعل؛ أي: جاهلين **فَتَقْبَلُونَهُ** تصيروا **وَعَلَى مَا فَعَلْتُمْ** من الخطأ بالقوم **تَذَرِينَهُ** وأرسل **فَتَقْبَلُونَهُ** بعد عودهم إلى بلادهم حالًا، فلم ير فيهم إلا الطاعة والخير فأعبر النبي بذلك^(٥).

[٧] ﴿وَاتَّبِعُوا أَمْرَ رَسُولِ اللَّهِ﴾ فلا تقولوا بالباطل، فإن الله يخبره بالخال ﴿لَوْ يَشَاءُ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ﴾ الذي تخبرون به على خلاف الواقع، فيرتب على ذلك مقتضاه ﴿لَعَلَّكُمْ﴾ لأنتمم دونه؛ إنتم الشئب إلى المرتب ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَىٰكُمْ الْإِيمَنُ وَرَبِّكُمْ﴾ حسنة ﴿فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ استدراك من حيث المعنى دون اللفظ؛ لأن من حُب إليه الإيمان... إلخ، غايرت صفته صفة من تقدم ذكره ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ﴾ فيه التفات عن الخطاب ﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ ذَنبِهِمْ﴾

[٨] ﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ﴾ مصدر منصوب بفعله المقدر؛ أي: أفضل وِنِعْمَةً منه ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ﴾ بهم ﴿حَكِيمٌ﴾ في إنعامه عليهم.

[٩] ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، نزلت في قضية هي أن النبي ﷺ ركب حمازاً، ومر على ابن أبي، فبال حماز، فسد ابن أبي أنفه، فقال ابن رواحة: والله لبول حماره أطيب ريحاً من مسكك؛ فكان بين قوميها ضرب بالأيدي والنعال والسعف^(١) ﴿أَفْتَتَلَوْا﴾ جمع؛ نظراً إلى المعنى؛ لأن كل طائفة جماعة، وقرئ^(٢): ﴿أَفْتَتَلْنَا﴾ ﴿فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا﴾، ثني نظراً إلى اللفظ ﴿فَإِنْ بَغَتْ﴾ تعدت ﴿وَعَدَّيْنِمَا عَلَى الْآخَرَيْنِ فَتَنَلُوا﴾ التي تَبَعِيَ حَتَّى يَقَىٰ ﴿وَلَوْ أَمَرَ اللَّهُ﴾ الحق ﴿فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ بالإنصاف ﴿وَأَصْلَحُوا﴾ اعدلوا ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾^(٣).

[١٠] ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ في الدين ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ إذا تنازعا، وقرئ^(٨): ﴿إِخْوَتَكُمْ﴾ بالفوقانية ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

١١١ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْتَخِرُوا الْآيَةَ﴾ نزلت في وفد تميم حين
 سخرخوا من فقراء المسلمين؛ كعمار، وصهيب^(٩)، والسخرية: الازدراء
 والاحتقار ﴿قَوْمٌ﴾ أي: رجال منكم ﴿مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾
 عند الله ﴿وَلَا يَسْأَلُ﴾ منكم ﴿مِنْ نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْبِسُوا
 أَنْفُسَكُمْ لَا تَتَّبِعُوا قَتَمَاءُ﴾ أي: لا يجب بعضكم بعضاً ﴿وَلَا تَلْبَسُوا

٦- الآفة البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجرات (٤٩) باب (٢) وأخرج البخاري أيضًا عن ابن أبي مليكة: قال: كاد الخيران أن يهلكا؛ رفع أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم؛ فأشار أحدهما بالأمر من جابهس أخيه بني مجاشع؛ وأشار الآخر برجل آخر. قال نافع: لا أحفظ اسمه. فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، فارتفعت أصواتهما في ذلك؛ فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الحجرات باب (٣).

(د) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرج البحاري عن أنس بن مالك قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيت عند الله بن أبي، فاطلق إليه النبي ﷺ وركب حملاً، فاطلق المسلمون يمشون معه. وهي أرض سبخة. فلما أتاه النبي ﷺ قال: ليك عني، والله لقد أذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله ﷺ أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجل من قومه فشمته، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهما ضرب بالجريد والأيدي، ولتعال، فبلغنا أنها أنزلت: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بِهِمَا﴾ البخاري - كتاب الصلح (٥٣) باب (١) ما جاء في الإصلاح بين الناس.

(١) أَيْ: ثَبِتْ صَبْرَهُمْ. (٢) أَيْ: عِداوَةٌ.

(٣) روي ذلك من حديث جابر بن عبد الله، كما عند الطبراني في الأوسط (١٣٣/٤)، ١٣٤ ر.م ٣٧٩٧)، والهيثمي في المجمع (١١٠/٧). وقال: «وفيه عهد الله بن عبد القدوس التميمي، وقد صغفه الجمهور وولفته ابن حبان، وبقية رجاله ثقات». وضعفه في الاستيعاب (٢٧٦/٣). وقد جاء من عدة طرق ذكره الطبري والسبؤي وغيرهما، حسن بعضها صاحب الاستيعاب (٢٧٥/٣).

(٤) حمزة والكسائي. (٥) روي ذلك عن قتادة، ذكره الطبري في جامعه (٧٩/٢٦)، والسيوطي في الدر المنثور (٥٥٨/٧)، وهو ضعيف لإرساله كما في الاستيعاب (٢٧٧/٣).

(٦) أخرج نحوه البخاري (٢٦٩١) ومسلم (١٧٩٩) عن أنس بن مالك. وليس فيه ذكر البول ولا المسك.

(٧) أَيْ: شَدُوْدًا. (٨) أَيْ: شَدُوْدًا.

(٩) روي ذلك عن مقاتل، ذكره السيوطي في الدر المنثور (٥٦٣/٧)، ونسبه لابن أبي حاتم، وهو ضعيف لإعضائه، كما في الاستيعاب (٢٨٢/٣).

[illegible]

[٥] ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا﴾ «أنهم» في محل رفع بالابتداء، وقيل: فاعل لفعل مقدر؛ أي: ثبت^(١) ﴿حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ﴾ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿لَن تَابَ مِنْهُمْ﴾ [٦] ونزل في الوليد بن عقبة، وقد بعثه النبي ﷺ إلى بني المصطلق مُصَدِّقًا، فخافهم؛ لثرة^(٢) كانت بينه وبينهم في الجاهلية، فرجع وقال: لأنهم منعوا الصدقة وهموا بقتله، فهم النبي ﷺ بغزوه^(٣)، فجأوا منكربن ما قاله

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ
إِنَّمَا ظَنٌّ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيَحْبُ أَحَدُكُمْ أَنْ
يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ
تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنْ اللَّهُ
عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٣﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ
قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَا يَلَيْتُكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْءٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا
وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُونَ
عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيْمَنِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

يَا أَتَقْبُ ﴿١٢﴾ لَا يَدْخُلُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِكْرَهُ؛ وَمِنْهُ: يَا فَاسِقُ، يَا كَافِرَ
﴿يَسْأَلُ الْإِيْمَنُ﴾: أَي: الْمَذْكُورُ مِنَ السَّخَرَةِ (١) وَاللَّزْمُ وَالْتِمَازُ ﴿الْفُسُوقُ بَعْدَ
الْإِيْمَنِ﴾ بَدَلٌ مِنَ الْإِيْمَنِ، لِإِفَادَةِ أَنَّهُ فَسَقَ، لِتَكَرُّرِهِ عَادَةً ﴿وَمَنْ لَمْ يَتَّبِعْ مِنْ
ذَلِكَ﴾ قَوْلُكَ هُمْ أَتَقْبُونَ ﴿١٣﴾

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِنَّمَا ظَنٌّ﴾: أَي:
مُؤْمِنٌ، وَهُوَ كَثِيرٌ، كَظَنِّ السُّوءِ بِأَهْلِ الْخَيْرِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُمْ كَثِيرٌ، بِخِلَافِهِ
بِالْفُسَاقِ مِنْهُمْ، فَلَا يُثْمِرُ فِيهِ، فِي نَحْوِ مَا يَظْهَرُ مِنْهُمْ ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ حَذَفَ
مِنْهُ إِحْدَى التَّائِيَيْنِ؛ لَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَمَعَابِيَهُمْ، بِالْبَحْثِ عَنْهَا ﴿وَلَا
يَغْتَبَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ لَا يَذْكُرُهُ بِشَيْءٍ يَكْرَهُهُ، وَإِنْ كَانَ فِيهِ ﴿أَيُّحُبُّ
أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ (٢)، أَي: لَا
يَحْسَبَنَّ بِهِ ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾: أَي: فَاجْتَنِبَاهُ فِي حَيَاتِهِ كَأَكْلِ لَحْمِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ، وَقَدْ
عَرَضَ عَلَيْكُمُ الثَّانِي فَكَرِهْتُمُوهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ الْأَوَّلَ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: أَي: عِقَابِهِ فِي
الْإِغْتِيَابِ، بَأَنْ تَتَوَبَّأَ مِنْهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾ قَابِلٌ تَوْبَةَ التَّائِبِينَ ﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِمْ.
[١٣] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ آدَمُ وَهَوَاءُ ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ
شُعُوبًا﴾ جَمْعُ شَعْبٍ يَفْتَحُ الشَّيْنُ، هُوَ أَعْلَى طَبَقَاتِ النَّسَبِ ﴿وَقَبَائِلَ﴾ هِيَ
دُونَ الشُّعُوبِ، وَبَعْدَهَا: الْعِمَارُ، ثُمَّ الْبَطُونَ، ثُمَّ الْأَخْزَاقُ، ثُمَّ الْفَصَائِلُ أُخْرَاهَا.
مِثَالُهُ: خَزِيمَةُ: شَعْبٌ، كِنَانَةُ: قَبِيلَةٌ، قَرِيشٌ: عِمَارَةٌ - بِكسر العين -، قَصِي:
بَطْنٌ، هَاشِمٌ: فَخْذٌ، الْعَبَاسُ: فَصِيلَةٌ ﴿لِتَعَارَفُوا﴾ حَذَفَ مِنْهُ إِحْدَى التَّائِيَيْنِ؛
لِيَعْرِفَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، لَا لِتَفْخَرُوا بِعُلُوِّ النَّسَبِ، وَإِنَّمَا الْفَخْرُ بِالتَّقْوَى ﴿إِنْ
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِكُمْ ﴿حَكِيمٌ﴾ بِمَوَاطِنِكُمْ.

[١٤] ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ﴾ نَفَرٌ مِنْ بَنِي أَسَدٍ: ﴿آمَنَّا﴾ صَدَقْنَا بِقُلُوبِنَا
﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ انْقَدْنَا ظَاهِرًا ﴿وَلَمَّا﴾: أَي: لَمْ
﴿يَدْخُلِ الْإِيْمَنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ إِلَى الْآدَمِ، لَكِنَّهُ يَتَوَقَّعُ مِنْكُمْ ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ﴾ بِالْإِيْمَانِ وَغَيْرِهِ ﴿لَا يَلَيْتُكُمْ﴾ بِالْهَمَزِ، وَتَرْكِهِ، وَيُجَادِلُهُ الْفُتَا (٣). لَا
يَقْصُصُكُمْ ﴿وَيَنْ أَعْمَلَكُمْ﴾: أَي: مِنْ ثَوَابِهَا ﴿شَيْئًا﴾ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
﴿رَّحِيمٌ﴾ بِهِمْ.

[١٥] ﴿إِنَّمَا الْيُؤْمِنُونَ﴾: أَي: الصَّادِقُونَ فِي إِيْمَانِهِمْ، كَمَا صَرَحَ بِهِ بَعْدَ
﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ لَمْ يَشْكُوا فِي الْإِيْمَانِ ﴿وَيَكْفُرُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ فَجَاهَدَهُمْ يَظْهَرُ صَدَقَ إِيْمَانُهُمْ ﴿أُولَئِكَ
هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ فِي إِيْمَانِهِمْ، لَا مِنْ قَالُوا: آمَنَّا، وَلَمْ يَوْجَدْ مِنْهُمْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ.

[١٦] ﴿قُلْ لَهُمْ﴾: ﴿أَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾ مُضْعَفٌ عَلِيمٌ بِمَعْنَى شَعْرًا
أَي: أَنْشَعُرُونَهُ بِمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ فِي قَوْلِكُمْ: آمَنَّا؟ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا
فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٧] ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ مِنْ غَيْرِ قِتَالٍ، بِخِلَافِ غَيْرِهِمْ مِنْ أَسْلَمَ
بَعْدَ قِتَالِهِ مِنْهُمْ ﴿قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ﴾ مَنْصُوبٌ بِنَزْعِ خَافِضٍ «الْبَاءُ»،
وَيُقَدَّرُ قِيلَ «أَنْ» فِي الْمَوْضِعِ (٤) ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيْمَنِ إِنْ
كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فِي قَوْلِكُمْ: آمَنَّا.
[١٨] ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾: أَي: مَا غَابَ فِيهَا ﴿وَاللَّهُ
بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بِالْبَاءِ وَالتَّاءِ (٥)، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُ.

(٥) مَا حَاءَ فِي نَزْلِ آيَةِ (١١): أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي جَبْرِ عَنْ لُصْحَاكٍ قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ: فِي بَنِي سُلَيْمَةَ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا بِالْأَقْبَابِ يَسْأَلُ الْإِيْمَنُ بَعْدَ الْإِيْمَنِ﴾. قَالَ: قَدِمَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَيْسَ مَعَهُ رَجُلٌ إِلَّا لَهُ رَاةٌ أَسْمَانٌ وَثَلَاثَةٌ، فَجَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: يَا فُلَانُ، يَقُولُونَ: مَهْ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّهُ يَغْضَبُ مِنْ هَذَا الْإِسْمِ، فَانْزَلَتْ هَذِهِ آيَةُ: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا بِالْأَقْبَابِ﴾. أَبُو دَاوُدَ - كِتَابُ الْأَدَبِ (٣٥) دَاب (٧١) فِي الْأَقْبَابِ. (صَحِيحٌ) صَحِيحُ سَنَنِ أَبِي دَاوُدَ (٤١٥١).

(١) فِي نَسْخَةِ الْقَاضِي: «السَّخَرَةُ».

(٢) بِالتَّشْدِيدِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ.

(٣) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بِهَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ بَيْنَ الْبَاءِ وَاللَّامِ، وَيُبَدِّلُ مِنْهَا أَلْفًا إِذَا سَهَلَ كُلُّ هَمْزَةٍ سَاكِنَةٍ، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: ﴿لَا يَلَيْتُكُمْ﴾.

(٤) أَي: فِي «هَإِذَا أَسْلَمُوا»، وَهَإِذَا هَذَا كَمَا.

(٥) بِالْبَاءِ قِرَاءَةُ ابْنِ كَثِيرٍ، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالتَّاءِ.

سورة ق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ۝ بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكُفُورُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ لَوْ دَامَتْ سَاءَ وَكُنَّا آبَاءً ذَلِكِ رَجَعُ بَعِيدٌ ۝ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْبٌ حَفِيفٌ ۝ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ ۝ أَفَأَمَرَ يُطْرَؤُا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنَهَا وَرِيبَهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۝ وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَواسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ۝ تَبَصَّرَ وَدَكَّرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ۝ وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا فِيهِ جَنَّتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ۝ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ۝ رِزْقًا لِلْعِبَادِ ۝ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ ۝ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ۝ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ۝ وَأَصْعَبَ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ۝ أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝

سورة ق

[مكية، إلا: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ» الآية، فمدنية، خمس وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «ق» الله أعلم بمراده به «وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» الكريم، ما آمن كفار مكة بمحمد ﷺ.
[٢] «بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ» رسول من أنفسهم يخوفهم بالنار

بعد البعث «فَقَالَ الْكُفُورُونَ هَذَا» الإنذار «شَيْءٌ عَجِيبٌ».

[٣] «لَوْ دَامَتْ سَاءَ وَكُنَّا آبَاءَ ذَلِكِ رَجَعُ بَعِيدٌ» في غاية البعد. الوجهين (١) «وَسَاءَ وَكُنَّا آبَاءَ ذَلِكِ» نرجع «ذَلِكَ رَجَعُ بَعِيدٌ» في غاية البعد. [٤] «قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ» تأكل «مِنْهُمْ وَعِنْدَنَا كَنْبٌ حَفِيفٌ» هو اللوح المحفوظ، فيه جميع الأشياء المقدرة.

[٥] «بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ» بالقرآن «لَمَّا جَاءَهُمْ فَهُمْ» في شأن النبي ﷺ والقرآن «فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ» مضطرب؛ قالوا مرة: ساحر وسحر، ومرة: شاعر وشعر، ومرة: كاهن وكهانة.

[٦] «أَفَأَمَرَ يُطْرَؤُا» يعيرونهم، معتبرين بقولهم، حين أنكروا البعث «إِلَى السَّمَاءِ» كائنة «فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَيْنَهَا» بلا عمد «وَرِيبَهَا» بالكواكب «وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ» شقوق نعيمها؟.

[٧] «وَالْأَرْضِ» معطوف على موضع «إِلَى السَّمَاءِ»، كيف «مَدَدْنَاهَا» دحونها على وجه الماء (١) «وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ» جبالاً بنتبتها «وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ» صنف «بِهَيْجٍ» يُهَيِّجُ به؛ لحسنه.

[٨] «تَبَصَّرَ» مفعول له؛ أي: فعلنا ذلك؛ تبصيراً منا «وَدَكَّرَىٰ» تذكيراً «لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ» راجع إلى طاعتنا.

[٩] «وَزَلَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا» كثير البركة «فَأَنْبَتْنَا فِيهِ جَنَّتٍ» بساتين «وَحَبَّ» الزرع «الْحَصِيدِ» المحصول.

[١٠] «وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ» طولاً، حال مقدرة «لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ» متراكب بعضها فوق بعض.

[١١] «رِزْقًا لِلْعِبَادِ» مفعول له «وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا» يستوي فيه المذكر والمؤنث «كَذَلِكَ» أي: مثل هذا الإحياء «الْخُرُوجُ» من القبور، فكيف تنكرونه؟ والاستفهام للتقرير، والمعنى: أنهم نظروا وعلموا ما ذكر.

[١٢] «كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ» تأنيث الفعل لمعنى «قوم» «وَأَصْحَابُ الرَّسِّ» هي بئر كانوا مقيمين عليها بمواشيهم، يعبدون الأصنام، ونبههم قيل: حنظلة بن صفوان، وقيل: غيره «وَتَمُودُ» قوم صالح.

[١٣] «وَعَادٌ» قوم هود «وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ».

[١٤] «وَأَصْعَبَ الْأَيْكَةِ» الغيضة، قوم شعب «وَقَوْمُ تَبَّعٍ» هو ملك كان باليمن، أسلم ودعا قومه إلى الإسلام، فكذبوه «كُلٌّ» من المذكورين «كَذَّبَ الرُّسُلَ» كفرش «وَحَقَّ وَعِيدُ» وجب نزول العذاب على الجميع، فلا يضيّق صدرك من كفر قريش بك.

[١٥] «أَفَعَيَّنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ» أي: لم نغي به، فلا نعي بالإنعاده «بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ» شك «مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ» وهو البعث.

(١) أي: أن قوله - تعالى -: «وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ» قسم جوابه محذوف، تقديره ما ذكر.

(٢) سهل الهمزة الثانية مع الإدخال قالون وأبو عمرو، وسهلها من غير إدخال ورش وابن كثير، وحققها نقيعة السبعة من غير إدخال إلا هشاماً فله الإدخال وعدمه.

(٣) قال ابن كثير: «مددناها»: أي: وسعناها وفرشناها. وقال الطبري: بسطناها.

[١٦] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ حَالَهُ بِتَقْدِيرٍ﴾ «نَحْنُ» «مَا» مصدرية «نُؤْتُوهُمْ» تحدث «يَدُ» الباء زائدة، أو للتعدي، والضمير للإنسان «نَفْسُهُ» «نَفْسُهُ» وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ» بالعلم «بَيْنَ حَبْلِ الْوَرِيدِ» الإضافة للبيان، والوريدان: عرقان بصفتي العنق.

[١٧] ﴿إِذْ﴾ منصوبة بـ «اذكر» مقدراً «يَتْلَى» يأخذ ويثبت «الْمُتَّقِينَ» المملكان الموكلان بالإنسان، ما يعمل «عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ» منه «فِيهِ» أي: قاعدان، وهو مبتدأ خبره ما قبله.

[١٨] ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ﴾ حافظ «عَيْنُهُ» حاضر، وكل منهما بمعنى المثني.

[١٩] ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ غَمْرَةً وَسَدَّتْهُ﴾ «بِالْحَقِّ» من أمر الآخرة، حتى يراه المكر لها عياناً، وهو نفس الشدة «ذَلِكَ» أي: الموت «مَا كُنْتُ مِنْهُ نَجِيدٌ» تهرب وتفرغ.

[٢٠] ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ للبعث «ذَلِكَ» أي: يوم النفخ «يَوْمَ الْوَعْدِ» للكفار بالعذاب.

[٢١] ﴿وَجَاءَتْ» فيه «كُلُّ نَفْسٍ» إلى المحشر «مَعَهَا سَائِقٌ» ملك يسوقها إليه «وَنَهْيٌ» يشهد عليها بعملها، وهو الأيدي والأرجل وغيرها، ويقال للكافر: [٢٢] «لَقَدْ كُنْتُ» في الدنيا «فِي عَقْلَةٍ مِنْ هَذَا» النازل بك اليوم «فَكُنْثَنَا عَنْكَ عِطَاءً» أرسلنا غفلتك بما تشاهده اليوم «فَصَرَكَ الْيَوْمَ حَيِّدٌ» حادّ تترك به ما أنكرته في الدنيا.

[٢٣] ﴿وَقَالَ فِرْعُونُ﴾ الملك الموكل به: «هَذَا مَا» أي: الذي «لَدَى عَيْنَيْكَ» حاضر. [٢٤] فيقال للمالك: «أَلَيْفًا فِي جَهَنَّمَ» أي: أُلْهِني، أو «الْفَيْحُ»، وبه قرأ الحسن^(١)، فأبدلت النون ألفاً «كُلَّ كَقَامَرٍ عَيْنٍ» معاند للحق. [٢٥] ﴿مَنْعَ لِلنَّارِ» كالركاة «مُعْتَدٍ» ظالم «مُرِيبٍ» شاك في دينه.

[٢٦] ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخَرٌ﴾ مبتدأ ضَمَّنَ معنى الشرط، خبره: «فَالْأَيُّاءُ فِي الْمَذَابِ الْكَذِبِيِّ» تفسيره مثل ما تقدم.

[٢٧] ﴿قَالَ فِرْعُونُ﴾ الشيطان: «رَبَّنَا مَا أَطْعَمْتُهُ» أضلته «وَلَكِنْ كَانَ فِي صَبْرٍ بَعِيدٍ» فدعوته فاستجاب لي، وقال هو: أطعاني بدعائه له.

[٢٨] ﴿قَالَ» تعالى: «لَا تَخْصِمُوا لَدَى» أي: ما ينفع الخصام هنا «وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ» في الدنيا «بِالْوَعْدِ» بالعذاب في الآخرة لو لم تؤمنوا، ولا بد منه. [٢٩] ﴿مَا يَبْدُلُ» يُغَيِّرُ «الْقَوْلَ لَدَى» في ذلك «وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْبَعِيدِ» فأعذبهم بغير جرم، و«ظلام» بمعنى: ذي ظلم؛ لقوله: «لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ»^(٢).

[٣٠] ﴿يَوْمَ» ناصبه «ظلام» «نَقُولُ» بالنون والياء^(٣) «لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ» استفهام تحقيق؛ لوعده بملئها «وَنَقُولُ» بصورة الاستفهام كالسؤال: «هَلِ مِنْ مَرْيَدٍ» أي: لا أسع غير ما امتلأت به؛ أي: قد

وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَيْنٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ غَمْرَةً وَسَدَّتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ نَجِيدٌ ﴿١٩﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢١﴾ وَقَالَ فِرْعُونُ هَذَا مَا لَدَى عَيْنَيْكَ ﴿٢٢﴾ أَلَيْفًا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ قَامَرٍ عَيْنٍ ﴿٢٣﴾ مَنْعَ لِلنَّارِ حَرًّا مَا لَدَى عَيْنَيْكَ ﴿٢٤﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا مَآخَرًا ﴿٢٥﴾ فَأَلْهَمْنَا فِرْعَوْنَ أَنَّهُ قَالَ رَبِّئِي مَا أَطْعَمْتُهُ وَلَكِنْ كَانَ فِي صَبْرٍ بَعِيدٍ ﴿٢٦﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَى وَلِيَّكُمْ الْيَوْمَ الْوَعْدُ ﴿٢٧﴾ وَمَا أَنَا بِظَلَمٍ لِلْبَعِيدِ ﴿٢٨﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأَتْ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَرْيَدٍ ﴿٢٩﴾ وَأَرْزَلْتِ الْجِنَّةَ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣٠﴾ هَذَا مَا تُوَعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٍ ﴿٣١﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ يَأْتِهِ رِجَاءٌ ﴿٣٢﴾ أَذْخُلُوهَا ﴿٣٣﴾ أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ﴿٣٤﴾ أَدْخُلُوهَا ﴿٣٥﴾ لَكُمْ مِمَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٦﴾

امتلأت^(٤). [٣١] «وَأَرْزَلْتِ الْجِنَّةَ» قُرِبَتْ «لِلْمُتَّقِينَ» مكاناً «غَيْرَ بَعِيدٍ» منهم فيرونها. [٣٢] «وَيَقَالُ لَهُمْ: هَذَا» المرئي «مَا تُوَعَدُونَ» بالناء والياء^(٥)؛ في الدنيا، ويبدل من «لِلْمُتَّقِينَ» قوله: «لِكُلِّ أَوَّابٍ» رَجَاعٌ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ «حَفِيفٌ» حافظ لحدوده. [٣٣] «مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ» خافه ولم يره «وَجَاءَ يَقْبَلُ مُنِيبٌ» مقبل على طاعته. [٣٤] «وَيَقَالُ لِلْمُتَّقِينَ - أَيْضًا -: أَدْخُلُوهَا بِسَلَامٍ» سالمين من كل محوف، أو مع سلام؛ أي: سلموا وادخلوها «ذَلِكَ» اليوم الذي حصل فيه الدخول «يَوْمَ الْخُلُودِ» الدوام في الجنة. [٣٥] «لَكُمْ مِمَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ» زيادة على ما عملوا وطلبوا.

(١) وهي قراءة شاذة، وقال القاضي في قرة العينين: هذا سهو من الجلال المحلي، صوابه: أن قراءة الحسن هي: بهزرة مكسورة، وبألف مدودة بعد القاف، وهمة منصوبة منونة؛ أي: «إلقاء» مصدر «ألقى»-أه.

(٢) عافر: ١٧.

(٣) بالياء قراءة نافع وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالنون.

(٤) هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان. وقيل: هذا استفهام بمعنى الاستزادة. وهو مروي عن ابن عباس، وقال ابن كثير: هذا هو الظاهر من سياق الآية، وعليه تدل الأحاديث. أه. ويؤيده ما في الصحيحين من حديث أنس عن النبي ﷺ قال: «يُلْقَى فِي النَّارِ» «وَنَقُولُ هَلِ مِنْ مَرْيَدٍ» حتى يضع قدمه، فنقول قط قطه. وفي رواية في الصحيحين أيضاً: «... حتى يضع رب العزة فيها قدمه؛ فنقول قط قط وعزَّتْك...». البخاري (٤٨٤٨)، (٦٦٦١)، ومسلم (٢٨٤٨). وفي رواية أبي هريرة عندهما مرفوعة: «... فلا تفلت حتى يضع رجله؛ فنقول: قط؛ فهناك تفلت...».

البخاري (٤٨٥٠)، ومسلم (٢٨٤٦).

(٥) بالياء قراءة ابن كثير.

وغيرهم، من التشبيه والتكذيب ﴿وَسَيَحْمَدُ رَبَّكَ﴾ صل حامدا ﴿فَقُلْ طُلُوعُ الشُّمُسِ﴾ أي: صلاة الصبح ﴿وَقَبْلُ الْغُرُوبِ﴾ أي: صلاة الظهر والعصر.

[٤٠] ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ أي: صل العشاءين ﴿وَادْبُرْ السُّجُودِ﴾ بفتح الهزمة: جمع دُبر، وكسرهما^(١): مصدر أدبر؛ أي: صل النوافل المسنونة عقب الفرائض، وقيل: المراد حقيقة التسبيح في هذه الأوقات، ملائمتا للحمد.

[٤١] ﴿وَاسْتَمِعْ﴾ يا مخاطب مقولي ﴿يَوْمَ يَنَادُ السَّادُ﴾ هو إسرائيل ﴿وَمِنَ سَكَّانٍ قَرِيبٍ﴾ من السماء^(٢)، وهو صخرة بيت المقدس، أقرب موضع من الأرض إلى السماء، يقول: أيها العظام البالية، والأوصال المقطعة، واللحم المتشقة، والشعور المتفرقة، إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء.

[٤٢] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من «يوم» قبله ﴿يَسْمَعُونَ﴾ أي: الخلق كلهم ﴿الْصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ بالبعث، وهي النفخة الثانية من إسرائيل، ويحتمل أن تكون قبل نداءه وبعده ﴿ذَلِكَ﴾ أي: يوم النداء والسماع ﴿يَوْمَ تُخْرَجُونَ﴾ من القبور، وناصب «يوم ينادي» مقدر؛ أي: يعلمون عاقبة تكذيبهم^(٣).

[٤٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ﴾ أي: يوم ﴿يَوْمَ﴾ قبله، وما بينهما اعتراض ﴿تَشْفَقُ﴾

بتخفيف الشين، وتشديدها بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها^(٤) ﴿الْأَرْضُ عَنْهُمْ يَرَاءُ﴾ جمع «سريع»، حال من مقدر؛ أي: فيخرجون مسرعين ﴿ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ فيه فصل بين الموصوف والصفة بمتعلقها، للاختصاص وهو لا يضر، و«ذلك» إشارة إلى معنى الحشر المخبر به عنه، وهو الإحياء بعد الفناء، والجمع للعرض والحساب.

[٤٥] ﴿تَحْنُ أَعْمُرُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار قريش ﴿وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ﴾ تجبرهم على الإيمان، وهذا من قبل الأمر بالجهاد ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ﴾ من يخاف وعيدهم وهم المؤمنون.

سورة الذاريات

[مكية، ستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالذَّارِيَاتُ﴾ الرياح تذررو التراب وغيره ﴿ذُرُورًا﴾ مصدر، ويقال: تذريره ذرأ؛ تهبط به. [٢] ﴿فَالْمَلَكُوتُ﴾ السحب تحمل الماء ﴿وَقَرَارًا﴾ نقلا، مفعول «الحاملات». [٣] ﴿فَالْبَلَدُورَاتُ﴾ السفن تجري على وجه الماء ﴿بَشِيرًا﴾ بسهولة، مصدر في موضع الحال؛ أي: ميسرة. [٤] ﴿فَالْمَقْسِمَاتُ أَمْرًا﴾ الملائكة تقسم الأرزاق والأمطار وغيرها، بين البلاد والعباد. [٥] ﴿إِنَّكَ مُتَعَدِّدُونَ﴾ «ما» مصدرية؛ أي: إن وعدهم بالبعث وغيره ﴿لَصَادِقٌ﴾ لوعده صادق. [٦] ﴿وَإِنَّ الْآلِينَ﴾ الجزاء بعد الحساب ﴿لَوَاقِعٌ﴾ لا محالة.

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّجِيسٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَادْبُرِ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادُ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَاللَّيْلَةُ الْصَبِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشَرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ تَحْنُ أَعْمُرُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ أَنْ مِنْ خِيفٍ وَعِيدٌ ﴿٤٥﴾

سورة الزلزلة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتُ ذُرُورًا ﴿١﴾ فَالْمَلَكُوتُ وَقَرَارًا ﴿٢﴾ فَالْجَبَرُوتُ يُسْرَرًا ﴿٣﴾ فَالْمُقْسِمَاتُ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ ﴿٥﴾ وَإِنَّ الْآلِينَ لَآفِعٌ ﴿٦﴾

[٣٦] ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ﴾ أي: أهلكتنا قبل كفار قريش قرونا كثيرة من الكفار ﴿هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا﴾ قوة ﴿فَنَقَّبُوا﴾ قَشَّشُوا ﴿فِي الْبِلَادِ﴾ هَلْ مِنْ مَجِيسٍ لهم أو لغيرهم من الموت؟ فلم يجدوا.

[٣٧] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَذِكْرًا﴾ لعظة ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ عقل ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾ استمع الوعظ ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ حاضر بالقلب.

[٣٨] ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ أولها الأحد وآخرها الجمعة^(١) ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ تعب، نزل رذا على اليهود في قولهم: إن الله استراح يوم السبت^(٢)، وانتفاء التعب عنه؛ لتنزيهه تعالى - عن صفات المخلوقين^(٣)، ولعدم المماثلة بينه وبين غيره ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٤).

[٣٩] ﴿فَأَصْبِرْ﴾ خطاب للنبي ﷺ ﴿عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: اليهود

(١) راجع التعليق على تعيين هذه الأيام وتحديدها في تفسير سورة فصلت، الآيات (٩ - ١٢).

(٢) روي هذا عن ابن عباس، كما عند الحاكم في مستدركه (٥٤٣/٢)، وصححه، وتعبه الذهبي، وأخرجه أيضًا الطبري في جامع البيان (٦١/٢٤)، وذكره اسيوطي في الدر المنثور (٣١٤/٧)، وضعفه في الاستيعاب (٢٩٠/٣، ٢٩١).

(٣) إن أراد نفي مشابهة صفاته - شبيهاته - لصفات المخلوقين فهذا حق، وإن أراد نفي الصفات عنه كصفة اليد والوجه وغيرها من الصفات الذاتية؛ فهذا باطل وهو مذهب أهل التعطيل.

(٤) يس: ٨٢. (٥) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وحجرة.

(٦) روي هذا عن كعب الأحبار، وليس فيه نص صحيح ثابت مرفوع إلى النبي ﷺ.

(٧) قال في حاشية الجمل: «ولو قدره الشارح بجنب منصوبه؛ لكان أسهل في الفهم؛ لأنه قوله: «ذلك يوم الخروج» من جملة الاعتراض «آتي التنبيه عليه؛ فالعامل في «يوم ينادي» يقدر قبله» اهـ.

(٨) بالشديد مع ما ذكر، قراءة نافع وابن كثير وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

[٣٨] ﴿وَفِي مُوسَى﴾ معطوف على ﴿فِيهَا﴾، المعنى: وجعلنا في قصة موسى آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ﴾ ملتبساً ﴿بِشَاطِلَيْ ثُيَيْنٍ﴾ بحجة واضحة.

[٣٩] ﴿فَتَوَلَّى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿بِرُكْبِهِ﴾ مع جنوده؛ لأنهم له كالركن ﴿وَقَالَ﴾ لموسى: هو ﴿سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾.

[٤٠] ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَبَبَذْنَاهُمْ﴾ طرحناهم ﴿فِي الْيَمِّ﴾ البحر، فغرقوا ﴿وَهُوَ﴾ أي: فرعون ﴿مُكَلِّمٌ﴾ أت بما يلام عليه؛ من تكذيب الرسل، ودعوى الربوبية.

[٤١] ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿عَادٍ﴾ آية ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ هي التي لا خير فيها؛ لأنها لا تحمل المطر، ولا تلقح الشجر، وهي الذُّبُورُ^(١).

[٤٢] ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ﴾ نفس أو مال ﴿وَأَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالْأَصْبَحِ﴾ كالباقي المنفتح.

[٤٣] ﴿وَفِي﴾ إهلاك ﴿ثَمُودَ﴾ آية ﴿إِذْ قِيلَ لَهُمْ﴾ بعد عقر الناقة: ﴿تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ أي: إلى انقضاء آجالكم، كما في آية: ﴿تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾^(٢).

[٤٤] ﴿فَتَوَلَّى﴾ تكبروا ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أي: عن امتثاله ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ﴾ بعد مضي الثلاثة أيام؛ أي: الصيحة المهلكة ﴿وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ أي: بالنهار.

[٤٥] ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ يَمِينٍ﴾ أي: ما قادروا على النهوض حين نزول العذاب ﴿وَمَا كَانُوا مُتَنَبِّئِينَ﴾ على من أهلهم.

[٤٦] ﴿وَقَوْمٌ ثُوْجٌ﴾ بالجر عطف على ﴿ثَمُودَ﴾ أي: وفي إهلاكهم بما في^(٣) السماء والأرض آية، وبالنصب^(٤)؛ أي: وأهلكنا قوم نوح ﴿بَيْنَ قَبْلٍ﴾ أي: قبل إهلاك هؤلاء المذكورين ﴿وَبَيْنَ مَا كَانُوا قَوْمًا فَتَقِينَ﴾.

[٤٧] ﴿وَالنَّامَةُ بَيْنَهُمَا بِئُيُودٍ﴾ بقرة^(٥) ﴿وَكَا لِمُوسَى﴾ قادرون، يقال: أد الرجل يئد قوي، وأوسع الرجل: صار ذا سعة وقوة.

[٤٨] ﴿وَالْأَرْضُ فَرْشَتُهُمَا﴾ مهدناهما ﴿فَتَعِمَّ الْمَهْدُونُ﴾ نحن.

[٤٩] ﴿رُومٌ كُلُّ شَيْءٍ﴾ متعلق بقوله: ﴿خَلَقْنَا﴾ ﴿خَلَقْنَا رُومَيْنِ﴾ صنفين؛ كالذكر والأنثى، والسماء والأرض، والشمس والقمر، والسهل والجبل، والصيف والشتاء، والحلو والحامض، والنور والظلمة ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل؛ ففعلهم أن خالق الأزواج فرد فتعبده.

[٥٠] ﴿فَتَوَلَّى إِلَى اللَّهِ﴾ أي: إلى ثوابه من عقابه؛ بأن تطيعوه ولا تعصوه ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ يبين الإنذار.

[٥١] ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَمُودَ مِنْ قَبْلٍ﴾ ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ ﴿مُسَوَّمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ ﴿وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾ ﴿فَتَوَلَّى بِرُكْبِهِ﴾ ﴿وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ﴾ ﴿فَبَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ ﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْنَاهُ كَالْأَصْبَحِ﴾ ﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ﴾ ﴿فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ ﴿فَأَخَذْنَاهُمُ الصَّيْحَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾ ﴿فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَنَبِّئِينَ﴾ ﴿وَقَوْمٌ ثُوْجٌ مِنْ قَبْلٍ إِنَّهُمْ كَانُوا أَقْوَمًا فَتَقِينَ﴾ ﴿وَالنَّامَةَ بَيْنَهُمَا بِئُيُودٍ﴾ ﴿وَكَا لِمُوسَى﴾ ﴿وَالْأَرْضُ فَرْشَتُهُمَا﴾ ﴿فَتَعِمَّ الْمَهْدُونُ﴾ ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رُومَيْنِ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ ﴿فَقَرَأَ إِلَى اللَّهِ﴾ ﴿إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ ﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾

[٣١] ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ﴾ شأنكم ﴿أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾. [٣٢] ﴿قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ ثَمُودَ﴾ كافرين، هم قوم لوط.

[٣٣] ﴿لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ جِبَارَةً مِنْ طِينٍ﴾ مطبوخ بالنار.

[٣٤] ﴿مُسَوَّمَةٌ﴾ معلمة، عليها اسم من يُرمى بها ﴿عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ظرف لها ﴿لِلْمُسْرِفِينَ﴾ بإتيانهم المذكور مع كفرهم.

[٣٥] ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا﴾ أي: قرى قوم لوط ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ لإهلاك الكافرين.

[٣٦] ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ وهم قوم لوط وابنتاه، وصفوا بالإيمان والإسلام؛ أي: هم مصدقون بقلوبهم، عاملون بجوارحهم الطاعات.

[٣٧] ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَا﴾ بعد إهلاك الكافرين ﴿آيَةً﴾ علامة على إهلاكهم ﴿لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾ فلا يفعلون مثل فعلهم.

(١) كما عند البحاري ومسلم من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «فُصِّرَتْ بِالطُّيَا، وأهلكت عاد بالذُّبُورِ». والطُّيَا: هي الريح التي تهب من مطلع الشمس، والذُّبُورُ: هي التي تهب من مغربها. البخاري (١٠٣٥)، ومسلم (٩٠٠).

(٢) هود: ٦٥.

(٣) قرأ أبو عمرو وحزمة والنكاسي بالخفض، وقرأ بقية السبعة بالنصب.

(٤) في نسخة القاضي: «بماء».

(٥) الأيد هنا مصدر أد؛ وليس بجمع ليد، فليس في الآية تأويل، ومن ثم فليس فيها متمسك لمن زعم تناقض السلف في آيات الصفات تأويلاً وتركاً له.

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجُنُّونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَصَّوْنَ بِهِمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ قَوْلَ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ ﴿٥٤﴾ وَذَكَرَ فَإِنَّ اللَّهَ يُدْرِكُ الْفَاسِقِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوبًا مِثْلَ ذُوبٍ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ ﴿٥٩﴾ قَوْلَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

سُورَةُ الطُّورِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكَتَبَ مُسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ قَوْلٌ لِيَوْمٍ لَكُمُ الَّذِينَ الَّذِينَ هُمْ فِي حَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١١﴾ يَوْمَ يَدْعُوتُ إِلَى نَارٍ جَهَنَّمَ دَعَاً ﴿١٢﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٣﴾

سُورَةُ الطُّورِ

[مكية، تسع وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] وَالطُّورِ ﴿١﴾ أي: الجبل الذي كلم الله عليه موسى.
[٢] وَكَتَبَ مُسْطُورٍ ﴿٢﴾ في رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ أي: التوراة أو القرآن.
[٤] وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ هو في السماء الثالثة^(١) أو السادسة^(٢) أو السابعة^(٣)، بحيال الكعبة^(٤)، يزوره كل يوم سبعون ألف ملك، بالطواف والصلاة لا يعودون إليه أبدًا^(٥). [٥] وَالسَّعْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ أي: السماء.
[٦] وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ أي: المملوء^(٦). [٧] إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ لنازل بمستحقه. [٨] مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ عنه.

- (١) لم أجده، وروي عن أبي هريرة مرفوعاً أنه في السماء الدنيا، وهو مخالف لما في الصحيحين من حديث أنس أنه في السابعة، وسيأتي.
(٢) وهو مروي عن علي، وأخرج ابن المنذر وابن جرير عن الضحاك في قوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قال: «أُتِلَ من الجنة فكان يعمر بمكة، فلما كان الفرق رفعه الله فهو في السماء السادسة، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، من قبيلة إيليس، ثم لا يرجع إليه أحد يوماً واحداً أبداً» [الدر المنثور (١٤٤/٦)].
(٣) أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والحاكم وصححه البيهقي في شعب الإيمان عن النبي ﷺ قال: «البيت المعمور في السماء السابعة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه حتى تقوم الساعة» [الدر المنثور (١٤٤/٦)]، وهو في الصحيحين من حديث أنس كما سيأتي.
(٤) أخرج ابن المنذر والعقيلي وابن أبي حاتم وابن مردويه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «في السماء بيت يقال له المعمور بحيال الكعبة... الحديث، وضعفه السيوطي في الدر المنثور (١٤٤/٦). وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن عمرو رفعه قال: «إن البيت المعمور بحيال الكعبة لو سقط شيء منه لسلط عليها... الحديث.
وأخرج ابن جرير عن قتادة في قوله: ﴿وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ قال: «ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال يوماً لأصحابه: «هل تدرون ما البيت المعمور؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإنه مسجد في السماء بحيال الكعبة لو خر لخر العالم... الحديث. وهناك آثار وأحاديث أخرى. انظر: [الدر المنثور (١٤٤/٦، ١٤٥)، وإسناده مرسل صحيح كما في الصحيحة. وقال الألباني: وجملته القول: إن هذه الزيادة: «وحيال الكعبة» ثابتة بمجموع طرقها...، الصحيحة (١٧٨١/١).
(٥) البخاري (٢٩٦٨) ومسلم (٢٣٤) عن أنس بن مالك وفيه «فرغ لي البيت المعمور فسألت جبريل فقال: هذا البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم... وفي صحيح مسلم (٢٣٤) من حديث أنس بن مالك مرفوعاً: «... ثم خرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، فتفتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ ساجداً طهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه...»
(٦) هنا قول قتادة والحسن وجمهور اللغويين. وقال محمد بن كعب والضحاك: يعني «الموقد» الحامي؛ بمنزلة النور - أي القرن - المسجور. وهو قول ابن عباس؛ كما في تفسير البغوي، وقيل غير ذلك.

﴿عَلَى سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾ بعضها إلى جنب بعض ﴿وَرَوَّجْتَهُمْ﴾ عطف على ﴿جَنَّتْ﴾؛ أي: قرناهم ﴿يُحَوِّرُ عَيْنَ﴾ عظام الأعين حسناها^(١).

[٢١] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مبتدأ ﴿وَأَنفِثْنَا﴾^(٢)، وفي قراءة: ﴿وَأَنفِثْنَاهُمْ﴾ معطوف على ﴿ءَامَنُوا﴾ ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾^(٣)، وفي قراءة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمُ﴾ الصغار والكبار ﴿يَايَمُنَ﴾ من الكبار، ومن الآباء في الصغار^(٤)، والخبر: ﴿الْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمُ﴾ المذكورين في الجنة، فيكونون في درجاتهم وإن لم يعملوا بعملهم؛ تكرمة للآباء، باجتماع الأولاد إليهم ﴿وَمَا أَكُنْتُمْ لَآلِئًا﴾ كسرهما^(٥): نقصناهم ﴿مِّنْ عَلَيْهِمْ مِّنْ رَّائِدَةٍ﴾ بزاد في عمل الأولاد ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ﴾ من عمل خير أو شر ﴿رَهِيْنٌ﴾ رهون؛ يؤخذ بالشر، ويجازى بالخير.

[٢٢] ﴿وَأَنفِثْنَاهُمْ﴾ زدناهم في وقت بعد وقت ﴿فِيكَهْرُومٍ﴾ وكنزهم ﴿وَمَا يَنْتَرِعُونَ﴾ وإن لم يصبروا بطلبه.

[٢٣] ﴿يَنْتَرِعُونَ﴾ يتعاطون بينهم ﴿فِيهَا﴾ أي: الجنة ﴿كَأَنَّهُمْ﴾ خمرا ﴿لَا أَعُو فِيهَا﴾ أي: بسبب شربها يقع بينهم ﴿وَلَا تَأْتِيهِمْ﴾ به يلحقهم، بخلاف خمر الدنيا.

[٢٤] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿عِلْمَانٌ﴾ أرقاء^(٦) ﴿فَهُمْ كَانَتْ لَهُمْ﴾ حسنا ولطافة ﴿وَلَوْ كُنُّوا مَكُونُونَ﴾ مصون في الصدف؛ لأنه فيها حسن منه في غيرها.

[٢٥] ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ يسأل بعضهم بعضا عما كانوا عليه وما وصلوا إليه؛ تلذذا واعترافا بالنعمة.

[٢٦] ﴿قَالُوا﴾ إيماء إلى علة الوصول: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِيْنَا﴾ في الدنيا ﴿مُسْتَفِيقِينَ﴾ خائفين من عذاب الله.

[٢٧] ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾ بالمغفرة ﴿وَوَقَّظَنَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ النار؛ لدخولها في المسام.

[٢٨] وقالوا إيماء - أيضا -: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ﴾ أي: في الدنيا ﴿نَدْعُوهُ﴾ نعبده موحدين ﴿إِنَّمَا﴾ بالكسر استئناف؛ وإن كان تعليلا معنى، وبالفتح^(٧) تعليلا لفظا ﴿هُوَ الْبَرُّ﴾ الحسن الصادق في وعده ﴿الرَّحِيمُ﴾ العظيم الرحمة.

[٢٩] ﴿فَذَكَّرْنَا﴾ ذم على تذكير المشركين، ولا ترجع عنه لقولهم لك: كاهن مجنون ﴿فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ﴾ بإنعامه عليك ﴿يَكَاهِنُ﴾ خبير «ما» ﴿وَلَا يَحْشُرُ﴾ معطوف عليه.

[٣٠] ﴿أَمْ﴾ بل ﴿يَقُولُونَ﴾ هو ﴿شَاعِرٌ تَرْيِضُ يَوْمَ رَبِّهِ الْمُنُونِ﴾ حوادث الدهر، فيهلك كغيره من الشعراء.

[٣١] ﴿فَقُلْ تَرَوْهُمْ﴾ هلاكي ﴿إِنِّي مَعَكُمْ يَوْمَ الْمُرَيْصِينَ﴾ هلاككم، فغذبوا بالسيف يوم بدر، والريص: الانتظار.

أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلَوْهَا فَأَصْبَرُوا وَلَا تَنْصَبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَبِيعِيرٍ ﴿١٧﴾ فَكَيْهِنَ بِمَاءِ اتِّهَمُوا بِهِمْ وَوَقَّظْنَاهُمْ بِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَكِبِينَ عَلَى سُرُرٍ مَّصْلُوفَةٍ وَرَوَّجْتُهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ ﴿٢١﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ فِيكَهْرُومًا وَلَحْمَ مَمَائِسَ تَسْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَنْتَرِعُونَ فِيهَا كَأَنَّهُمْ لَا غَوْ فِيهَا وَلَا تَأْتِيهِمْ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ عِلْمَانٌ لَهُمْ مَّا أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا مَكُونُونَ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُتَشَفِّقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّظْنَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكَّرْنَا أَنَّتْ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ تَرْيِضُ بِهِ رَبَّ أَلْمُونٍ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَوْهُمْ فَأِنِّي مَعَكُمْ يَوْمَ الْمُرَيْصِينَ ﴿٣١﴾

[١٥] ﴿أَفَسِحْرُ هَذَا﴾ العذاب الذي ترون، كما كنتم تقولون في الوحي: هذا سحر ﴿أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾؟

[١٦] ﴿أَصَلَوْهَا فَأَصْبَرُوا﴾ عليها ﴿أَوْ لَا تَنْصَبِرُوا﴾ صبركم وجرعكم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾ لأن صبركم لا ينفعكم ﴿إِنَّمَا تُجْرُونَ﴾ ما كنتم تعملون؛ أي: جزاء.

[١٧] ﴿إِنَّ الْمُنْفِقِينَ فِي جَهَنَّمَ وَبِيعِيرٍ﴾.

[١٨] ﴿فَكَيْهِنَ﴾ مثلذذين ﴿بِمَاءٍ﴾ مصدرية ﴿ءَالَتْهُمْ﴾ أعطاهم ﴿رَبَّهُمْ وَوَقَّظْنَاهُمْ بِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ عطفًا على ﴿ءَالَتْهُمْ﴾ أي: بإتيانهم ووقايتهم.

[١٩] ويقال لهم: ﴿كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حال؛ أي: مهنئين ﴿بِمَاءٍ﴾ الباء سببية ﴿كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

[٢٠] ﴿مُتَكِبِينَ﴾ حال من الضمير المستكن في قوله: ﴿فِي جَهَنَّمَ﴾

(١) هذا المذكور تفسير «عين» ومفردها عيناء. وأما معنى «حور» فهو اسوداد المقلة، ولا يقال للمرأة حوراء إلا للبيضاء مع حورها. ويقال: حورت الفتى، أي اشتد بياض بياضها، وسواد سوادها.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿وَأَنفِثْنَاهُمْ﴾.

(٣) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر، لكن الأول مع النصب، والثاني مع الرفع، وقرأ بقية السبعة: ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾.

(٤) أي: وبايمان الآباء في الصغار.

(٥) بالكسر قراءة ابن كثير.

(٦) أي كالأرقاء في الحياة والاستيلاء؛ مسخرين لخدمتهن.

(٧) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

[٣٢] ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَعْيُنُهُمْ﴾ عقولهم ﴿بِذَلِكَ﴾ قولهم له: ساحر، كاهن، مجنون؟ أي: لا تأمرهم بذلك ﴿أَمْ﴾ بل ﴿هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ﴾ بعادهم.
[٣٣] ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ﴾ اختلق القرآن؟ لم يخلقه ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ استكباراً.

[٣٤] فإن قالوا: اختلقه ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ﴾ مختلف ﴿مِثْلِهِ﴾ إن كانوا صديقين في قولهم.

[٣٥] ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ من غير خالق ﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ أنفسهم؟ ولا يُقَالُ مخلوق بغير خالق، ولا معلوم يخلق، فلا بد لهم من خالق هو الله الواحد، فلم لا يوجدونه ويؤمنون برسوله وكتابه؟

[٣٦] ﴿أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ ولا يقدر على خلقهما إلا الله الخالق، فلم لا يعبدونه؟ ﴿بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ به، وإلا آمنوا بنبيه.

[٣٧] ﴿أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ رَبِّكَ﴾ من النبوة والرزق وغيرهما، فيخسبوا من شأوا بما شأوا؟ ﴿أَمْ هُمُ الْمُتَصَيِّطُونَ﴾ المتسلطون الجبارون، وفعله: سيطر، ومثله: يطر ويقر^(١).

[٣٨] ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ﴾ مرقى إلى السماء ﴿يَسْتَمِعُونَ فِيهِ﴾ أي: عليه؛ كلام الملائكة، حتى يمكنهم منازعة النبي، بزعمهم، إن ادعوا ذلك؟ ﴿فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ﴾ مدعي الاستماع عيه ﴿بِشَاطِطٍ مُبِينٍ﴾ بحجة بينة واضحة.

[٣٩] ولشبه هذا الزعم بزعمهم أن الملائكة بنات الله قال - تعالى -: ﴿أَمْ لَهُ الْكِنُزُتُ﴾ بزعمكم ﴿وَلَكُمْ الْبَنُونَ﴾؟ تعالى الله عما زعمتموه.

[٤٠] ﴿أَمْ تَتْلُوهُمْ أُخْرَآ﴾ على ما جنتهم به من الدين ﴿فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ﴾ غرم ذلك ﴿مُتَقَلِّبُونَ﴾ فلا يسلمون؟

[٤١] ﴿أَمْ عَنْدهُمْ الْغَيْبُ﴾ أي: علمه ﴿فَهُمْ يَكْتُمُونَ﴾ ذلك، حتى يمكنهم منازعة النبي ﷺ في البعث وأمور الآخرة، بزعمهم؟

[٤٢] ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾ بك، ليهلكوا في دار الندوة؟ ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ﴾ المولوبون المهلكون، فحفظه الله منهم، ثم أهلكهم بيدر.

[٤٣] ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ﴾ شَبَّكَ اللَّهُ عَنَّا يُشْرِكُونَ؟ به من الآلهة، والاستفهام بـ«أَمْ» في مواضعها للتقريب والتوبيخ.

[٤٤] ﴿وَيَا زُرَّارًا كَسَفًا﴾ بعضاً ﴿وَيَا أَسْمَاءَ سَاطِفًا﴾ عليهم، كما قالوا: ﴿فَأَسْفِطْ عَلَيْنَا كَسَفًا مِنَ السَّمَاءِ﴾^(٢)، أي: تعذبتنا لهم ﴿يَقُولُوا﴾: هذا ﴿سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ متراكب ترتوي به، ولا يؤمنون.

[٤٥] ﴿فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ يموتون.

[٤٦] ﴿يَوْمَ لَا يُنْفَى بَدَلٌ مِنْ: يَوْمِهِمْ﴾ عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً وَلَا هُمْ يُصْرُونَ ﴿يَمْنَعُونَ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ﴾.

[٤٧] ﴿وَيَا لَذِينَ ظَلَمُوا﴾ بكفرهم ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا قبل

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَعْيُنُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُوتٌ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَقُولُ
بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَدِيقِينَ
﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُؤْقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ
رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ أَمْ يَسْمَعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ
مُسْتَمِعُهُمْ بِشَاطِطٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْكِنُزُتُ وَلَكُمْ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾
أَمْ تَسْأَلُهُمْ أُجْرًا فَهُمْ مِنْ مَّغْرَمٍ مُتَقَلِّبُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عَنْدهُمْ الْغَيْبُ
فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾
أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا
مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يُقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرَهُمْ حَتَّى يَلْقُوا
يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُنْفَى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً
وَلَا هُمْ يُصْرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِلَّا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُومِ ﴿٤٩﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

موتهم، فَعَذَّبُوا بالجوع والقحط سبع سنين، وبالقتل يوم بدر ﴿وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن العذاب ينزل بهم.

[٤٨] ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ بإمهالهم، ولا يضق صدرك ﴿وَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ برأى منا نراك ونحفظك^(٣) ﴿وَسَبِّحْ﴾ متبشراً ﴿بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: قل: سبحان الله وبحمده ﴿حِينَ تَقُومُ﴾ من منامك، أو من مجلسك.

[٤٩] ﴿وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾ حقيقة أيضاً ﴿وَادْبَرَ النُّجُومِ﴾ مصدر؛ أي: عقب غروبها سبحانه أيضاً، أو: صل في الأول العشاءين، وفي الثاني: الفجر^(٤)، وقيل: الصبح^(٥).

(١) أي في الوزن «مفعِل» ولم يأت على هذا الوزن إلا خمسة أفعال. ومُتَبَيَّنٌ: من: يبرق أي فسد وهلك، ومشى مشية التفكير.

(٢) الشعراء: ١٨٧، و﴿كَسَفًا﴾ في آية الطور؛ هي بسكون السين، باتفاق القراء.

(٣) وفي الآية إثبات سنة العيون له - سبحانه - على الوجه الثلاث بجلال، وأما أفرادها في بعض النصوص وجمعهم في البعض الآخر؛ فهذا مما تسعه لغة العرب؛ حيث يمر فيها عن الاثنين بلفظ الجمع، ويقوم فيها الواحد مقام الاثنين، فلا حجة في ذلك على نفيها.

(٤) أي: سنة الفجر.

(٥) أي: الفريضة. واختاره الطبري.

يريه نفسه، على صورته التي خلق عليها، فواعده بـ«حراء»، فنزل جبريل له في صورة آدميين^(١). [٨] ﴿ثُمَّ دَنَا﴾ قرب منه ﴿كَذَلِكَ﴾ زاد في القرب.

[٩] ﴿فَكَانَ﴾ منه ﴿قَابٌ﴾ قدر ﴿فَوْسَيْنٍ أَوْ أَدْنَى﴾ من ذلك حتى أفاق وسكن روعه. [١٠] ﴿فَأَوْحَى﴾ تعالى ﴿إِلَى عَبْدِهِ﴾ جبريل ﴿مَا أَوْحَى﴾ جبريل إلى النبي ﷺ، ولم يذكر الموحى؛ تفخيماً لشأنه. [١١] ﴿مَا كَذَبَ﴾ باستخفاف والتشديد^(٢)؛ أنكر ﴿الْفُؤَادَ﴾ فؤاد النبي ﴿مَا رَأَى﴾ ببصره من صورة جبريل. [١٢] ﴿أَفَتَضَرُّوهُ﴾ تجادلونه وتغلبونه ﴿عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ خطاب للمشركين المنكرين رؤية النبي ﷺ لجبريل. [١٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ على صورته ﴿نَزَّلَهُ﴾ مرة ﴿أَخْرَجَ﴾. [١٤] ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ﴾ لما أسري به في السماوات، وهي شجرة تنبثق عن بين العرش، لا يتجاوزها أحد من الملائكة وغيرهم. [١٥] ﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ﴾ تأوي إليها الملائكة، وأرواح الشهداء، والمؤمنين^(٣). [١٦] ﴿إِذْ﴾ حين ﴿يَقْنَىٰ السِّدْرَةَ﴾ مَا يَقْنَىٰ من طير وغيره، «إذ» معمولة لـ«رآه». [١٧] ﴿مَا رَأَىٰ الْبَصَرُ﴾ من النبي ﷺ ﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ أي: ما مال بصره عن مرثيه المقصود له، ولا جازوه تلك الليلة. [١٨] ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ فيها ﴿مِنَ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ العظام، أي: بعضها؛ فرأى من عجائب الملكوت رفراً أخضر سد أفق السماء^(٤)، وجبريل له ستمائة جناح^(٥). [١٩] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾. [٢٠] ﴿وَمَنْزِلَةَ آلِ لَيْثٍ﴾ قبلها ﴿الْأُخْرَىٰ﴾ صفة ذم للثالثة، وهي: أصنام من حجارة، كان المشركون يعبدونها، ويؤمنون أنها تشفع لهم عند الله، ومفعول «أفرايتم» الأول: «اللات»، وما عطف عليه، والثاني محذوف، والمعنى: أخبروني، ألهذه الأصنام قدرة على شيء ما، فتعبدونها دون الله القادر على ما تقدم ذكره؟ [٢١] ﴿وَمَا زَعَمُوا﴾ أيضاً: أن الملائكة بنات الله مع كراهتهم البنات نزلت: ﴿الَّذِينَ ذَكَرُوا آلَ لَيْثٍ﴾. [٢٢] ﴿إِذَا قَسَمْتَ لِجَنَّةٍ﴾ من ضازه يضيرها: إذا ظلمه وجار عليه. [٢٣] ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا نَجْمٌ كُوِّرَتْ﴾ أي: ما المذكورات «إلا» أسماء سميت بها: أي: سميت بها «أنت» وما تأواككم «أصناماً» تعبدونها «ما أنزل الله بها» أي: عبادتها «من سلطانك» حجة وبرهان «إن» ما «يتبعون» في عبادتها «إلا الظن» وما تهوى الأنفس، مما زين لهم الشيطان، من أنها تشفع لهم عند الله - تعالى - ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْفَتْحُ﴾ على لسان النبي ﷺ بالبرهان القاطع، فلم يرجعوا عما هم عليه. [٢٤] ﴿أَمْ لِلْإِنسَانِ﴾ أي: لكل إنسان منهم ﴿مَا تَشَاءُ﴾ من أن الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كذلك. [٢٥] ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ﴾ أي: الدنيا، فلا يقع فيها إلا ما يريد - تعالى - .. [٢٦] ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ﴾ أي: وكثير من الملائكة ﴿فِي السَّمَوَاتِ﴾ وما أكرمهم عند الله ﴿لَا تَعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ لهم فيها ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ من عباده ﴿وَيَرْضَىٰ﴾ عنه؛ لقوله: ﴿وَلَا يَنْفَعُكُمْ إِلَّا لِمَنْ أَرْضَىٰ﴾، ومعلوم أنها لا توجد منهم إلا بعد الإذن فيها ﴿وَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾^(٦)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝ مَاصِلٌ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝ وَمَا يَطُوعُنِ أَهْلُوهُ ۝ إِنَّهُ هُوَ الْوَحَىٰ ۝ وَحَىٰ ۝ عَلَيْهِمْ شِدِيدُ الْفَوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝ أَفَتَضَرُّوهُ ۝ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝ وَلَقَدْ رَآهُ نَزَّلَهُ أُخْرَىٰ ۝ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۝ إِذْ يَغْشَىٰ السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ۝ أَفَرَأَيْتُمْ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ۝ وَمَنْزِلَةَ آلِ لَيْثٍ ۝ أَلَمْ يَذْكُرُوا لَهُ الْآثَنَىٰ ۝ تِلْكَ إِذْ أُنْصِتُمْ ۝ ضَبْرًا ۝ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَابَاءُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۝ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ۝ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ۝ أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّىٰ ۝ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ۝ وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُعْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئاً إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ۝

سورة النجم

[مكية، اثنان وستون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالنَّجْمِ﴾ النجماً ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ غاب. [٢] ﴿مَا صَلَ صَاحِبُكُمْ﴾ محمد. عليه الصلاة والسلام - عن طريق الهداية ﴿وَمَا غَوَىٰ﴾ ما لابس الغي، وهو جهل من اعتقاد فاسد. [٣] ﴿وَمَا يَطُوعُنِ﴾ بما يأتيكم به ﴿عَنِ الْفَوَىٰ﴾ هوى نفسه. [٤] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا وَحَىٰ يُوْحَىٰ﴾ إليه. [٥] ﴿عَلَيْهِمْ شِدِيدُ الْفَوَىٰ﴾. [٦] ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ قوة وشدة؛ أو: منظر حسن؛ أي: جبريل عليه السلام. [٧] ﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ﴾ أفق الشمس؛ أي: عند مطلعها، على صورته التي خلق عليها، فرآه النبي ﷺ وكان بـ«حراء»، قد سد الأفق إلى المغرب، فخر مغشياً عليه^(١)، وكان قد سأله أن

(١) كما في حديث جابر في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «جاورت بحراء، فلما قضيت جوارى بهبط، فوديت فظفرت عن يميني فلم أر شيئاً، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي؛ فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فحشنت مه رعباً...» البخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

(٢) يشير إلى ما أخرجه أحمد عن ابن عباس قال: سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته، فقال: ادع ربك، قال: فمدعا ربه. قال: فطلع عليه سواد من قبل المشرك. قال: فجعل يرتفع وينتشر. قال: فلما رآه النبي ﷺ ضحك. فأناده فعضه، ومسح اللزاق عن شفيقه. وأخرجه الطبراني في الكبير (٥٧/١١)، والبيهقي في الجمع (٢٥٧/٨)، وقال: رواه أحمد والطبراني، ورجالهما ثقات. وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح. (المسند ٣٤٨/٤) حديث رقم (٢٩٦٧)، وضعف الأثرناؤوط إسناده في تحريجه على المسند (٢٩٦٥).

(٣) بالشديد قراءة هشام. (٤) في نسخة القاضي: فأو: أرواح الشهداء، أن: المفقودة. (٥) كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤). والرفوف: كساء، أو ثوب رفيع. (٦) البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤) من حديث ابن مسعود. (٧) الأنبياء: ٢٨. (٨) لقرة: ٢٥٥.

[٢٧] ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ نَسِيمَةَ الْأُنثَىٰ﴾ حيث قالوا: هم بنات الله.

[٢٨] ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ بهذا المقول ﴿مِنْ عِلْمٍ إِنَّ﴾ ما ﴿يَكْفُرُونَ﴾ فيه ﴿إِلَّا الظَّنُّ﴾ الذي تخيلوه ﴿وَأَنَّ الظَّنَّ لَا يَصْنَعُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ أي: عن العلم، فيما المطلوب فيه العلم.

[٢٩] ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا﴾ أي: القرآن ﴿وَلَوْ بُرِدَ إِلَّا الْحَبْوَةُ الْأَذْيَا﴾ وهذا قبل الأمر بالجهاد.

[٣٠] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: طلب الدنيا ﴿سَلَمَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ﴾ أي: نهاية علمهم؛ أن آثروا الدنيا على الآخرة ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن أَهْتَدَىٰ﴾ أي: عالم بهما، فيجازيهم.

[٣١] ﴿وَلَوْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: هو مالك لذلك، ومنه الضال والمهتدي، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، ﴿يَجْزِي الَّذِينَ أَشْكُوا﴾ وما عَمِلُوا من الشرك وغيره ﴿وَيَجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالتوحيد وغيره من الطاعات ﴿بِالْحُسْنَى﴾ الجنة.

[٣٢] وَيَسِّرُ الْحَسَنِينَ بقوله: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّغَمَ﴾ هو صغار الذنوب؛ كالنظرة والقبلة واللحمة، فهو استثناء منقطع، والمعنى لكن اللغم يغفر باجتناب الكبائر ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ﴾ بذلك ويقبول التوبة، ونزل فيمن كان يقول: صلاتنا صياما حجنا^(١)، ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿يَكُونُ إِذْ أَنشَأَ مِثْرَ الْآنْثَىٰ﴾ أي: خلق أباكم آدم من التراب ﴿وَأَن تَنفِرَ أَجَنَةً﴾ جمع جنين ﴿فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ﴾ لا تمدحوها على سبيل الإعجاب، أما على سبيل الاعتراف بالنعمة فحسن ﴿هُوَ أَعْلَمُ﴾ أي: عالم ﴿بِمَن أَتَىٰ﴾.

[٣٣] ﴿أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ﴾ عن الإيمان، ارتد لما غيّر به، وقال: إني خشيت عقاب الله، فضمن له المعير له أن يحمل عنه عذاب الله، إن رجع إلى شركه، وأعطاه من ماله كذا، فرجع^(٢).

[٣٤] ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا﴾ من المال المسمى ﴿وَأَكْثَىٰ﴾ منع الباقي، مأخوذ من الكدية، وهي أرض صلبة كالصخرة، تمنع حافر البئر إذا وصل إليها من الحفر.

[٣٥] ﴿أَعْنَدَ عِلْمُ الْعَلِيِّ فَهُوَ يَرِي﴾ يعلم من جملة أنه غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة؟ لا، وهو الوليد بن المغيرة أو غيره، وجملة: «أعنده» المفعول الثاني لـ«رأيت»، بمعنى: أخبرني.

[٣٦] ﴿أَنَّهُمْ﴾ بل ﴿لَمْ يَلْبِثَا يَمًا فِي صُحُفٍ مُّوسَىٰ﴾ أسفار التوراة، أو صحف قبلها [٣٧] ﴿وَوَصَّ﴾ صحف إبراهيم الذي وصى ﴿تَمَّ مَا أَمَرَ بِهِ، نَحْوُ﴾ ﴿وَأِذْ أَنشَأَ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ يُكَلِّمُهُ فَأَنشَأَهُ﴾^(٣).

[٣٨] وبيان «ما»: ﴿لَا تُرْزَ وَارِزَةٌ وَرَدَّ أُخْرَىٰ﴾ إلخ، وأن «مخففة

(١) أي: يقولون ذلك، على سبيل الإعجاب والإدلال بعملهم.

(٢) روي ذلك عن زيد بن أسلم، كما عند الطبري في جامع البيان (٤٢/٢٧)، وهو ضعيف جدًا، كما في الاستيعاب (٢٩٩/٣).

(٣) البقرة: ١٢٤.

(٤) أي: شذوذًا.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُوكَ الْمَلَائِكَةَ نَسِيمَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾

وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يَصْنَعُ مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴿٢٨﴾

فَأَعْرِضْ عَنْ مَن تَوَلَّىٰ عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ بُرِدَ إِلَّا الْحَبْوَةُ الْأَذْيَا ﴿٢٩﴾

ذَلِكَ أَيُّهَا الْعَالَمُونَ سَلَمَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ أَيُّهَا الْعَالَمُونَ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَن أَهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾

وَلَوْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَجْزِي الَّذِينَ أَشْكُوا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْحُسْنَىٰ ﴿٣١﴾

الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَثِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّغَمَ

إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذَا أَنشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذَا تُنْفِرُ أَجَنَةً فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ

بِمَن أَتَىٰ الَّذِي تَوَلَّىٰ وَأَعْنَدَ عِلْمُ الْعَلِيِّ فَهُوَ يَرِي ﴿٣٢﴾

أَعْنَدَهُ عِلْمُ الْعَلِيِّ فَهُوَ يَرِي ﴿٣٣﴾ أَمَلَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صُحُفٍ

مُوسَىٰ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَصَّىٰ ﴿٣٤﴾ أَلَا تَرَىٰ وَارِزَةً وَرَدَّ أُخْرَىٰ

﴿٣٥﴾ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٦﴾ وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَىٰ

﴿٣٧﴾ ثُمَّ يَجْزِيهِ الْجَزَاءُ الْآدِنُ ﴿٣٨﴾ وَأَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُسْتَهَىٰ ﴿٣٩﴾

وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٠﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ﴿٤١﴾

من الثقيلة؛ أي: لا تحمل نفس ذنب غيرها.

[٣٩] ﴿وَأَنْ﴾ أي: أنه ﴿لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ من خير، فليس له من سعي غيره الخير شيء.

[٤٠] ﴿وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يَرَىٰ﴾ يصر في الآخرة.

[٤١] ﴿ثُمَّ يَجْزِيهِ الْجَزَاءُ الْآدِنُ﴾ الأكم، يقال: جزته سعيه وبسعيه.

[٤٢] ﴿وَأَنْ﴾ بالفتح عطفًا، وقرئ^(١) بالكسر استئنافًا، وكذا ما بعدها، فلا يكون مضمون الجملة في الصحف على الثاني ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُسْتَهَىٰ﴾ المرجع والمصير بعد الموت، فيجازيهم.

[٤٣] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَكَ﴾ من شاء أفرحه ﴿وَأَبْكَىٰ﴾ من شاء أحزنه.

[٤٤] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ﴾ في الدنيا ﴿وَأَحْيَا﴾ للبعث.

أَهْلَكَاهُمْ ﴿إِنَّهُمْ كَاثِرُوا أَنَّهُمْ أَظْلَمُ وَأَلَمُوا﴾ من عاد وثمود؛ لظول لبث نوح فيهم ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ ^(١) وهم - مع عدم إيمانهم به - يؤذونه ويضربونه. [٥٣] ﴿وَالَّذِينَ يَكْفَكُوهُ﴾ وهي: قرى قوم لوط ﴿أَهْوَى﴾ أسقطها بعد رفعها إلى السماء، مقلوبة إلى الأرض بأمره جبريل بذلك.

[٥٤] ﴿فَنَقَلْنَاهَا﴾ من الحجارة بعد ذلك ﴿مَا عَشَى﴾ أبهم توبلها، وفي هود: ﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا جِسْرًا رَيْنَ سَبِيلٍ﴾ ^(٢).

[٥٥] ﴿فَبَايَآ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أنعمه الدالة على وحدانيته وقدرته ﴿تَسْمَانِي﴾ تشكك أيها الإنسان أو تكذب؟ [٥٦] ﴿هَذَا﴾ محمد ﴿نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَى﴾ من جنسهم؛ أي: رسول كالرسل قبله، أرسل إليكم، كما أرسلوا إلى أقوامهم. [٥٧] ﴿أَزِفَتِ الْآزِفَةُ﴾ قربت القيامة. [٥٨] ﴿لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ نَفْسٌ كَاثِفَةٌ﴾ أي: لا يكشفها ويظهرها إلا هو؛ كقوله: ﴿لَا يَجِيئُهَا لُوفُهَا إِلَّا هُوَ﴾ ^(٣). [٥٩] ﴿أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿تَعْجَبُونَ﴾ تكذبا. [٦٠] ﴿وَتَقْسِمُونَ﴾ استهزاء ﴿لَا يَكُونُ﴾ لسماع وعده ووعدده.

[٦١] ﴿وَأَنَّمْ سَيِّدُونَ﴾ لاهوت غافلون عما يُطلب منكم؟

[٦٢] ﴿فَاتَّبِعُوا اللَّهَ﴾ ^(٤) الذي خلقكم ﴿وَأَعْبُدُوا﴾ ﴿وَلَا تَسْجُدُوا لِلْأَصْنَامِ وَلَا تَعْبُدُوها﴾.

سُورَةُ الْقَبْرِ

[مكية، إلا ﴿سَبِّحْهُمُ الْجَمْعُ﴾ الآية. وهي: خمس وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿أَفَذَرَيْتَ النَّسَاءَ﴾ قربت القيامة ﴿وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ انفلق فلقتين، على أبي قبيس وقَعَقَفَان، آية له ﷺ، وقد سئلها فقال: «أشهدوا» [رواه الشيخان] ^(١). [٢] ﴿وَلَن يَرَوُا﴾ أي: كفار قريش ﴿عَائِيَةً﴾ معجزة له ﷺ ﴿يَعْرِضُوا وَيَقُولُوا﴾: هذا «يسخر سخر» قوي، من الموة: القوة، أو داهم ^(٢).

[٣] ﴿وَكَذَبُوا﴾ النبي ﷺ ﴿وَأَيُّمُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ في الباطل ﴿وَكُلُّ أَمْرٍ﴾ من الخير والشر ﴿مُسْتَوْرٍ﴾ بأهله في الجنة أو النار. [٤] ﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّنَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ أخبار إهلاك الأمم المكذبة رسلهم ﴿مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ﴾ لهم، اسم مصدر، أو اسم مكان، والدال بدل من ناء الافتعال، وازدجرته وزجرته: نهيته بغلظة، و«ما» موصولة أو موصوفة. [٥] ﴿جَعَلَهُ خَيْرِ مَبْدَأٍ﴾ محذوف، أو بدل من «ما»، أو من «مزدجر» تامة ﴿فَمَا تَعْنِ﴾ تنفع فيهم ﴿النَّذْرُ﴾ جمع نذير، بمعنى منذر؛ أي: الأمور المنذرة لهم، و«ما» للنفي، أو للاستفهام الإنكار، وهي على الثاني مفعول مقدم.

[٦] ﴿فَنُؤَلِّ عَنْهُمْ﴾ هو فائدة ما قبله، وتم به الكلام ﴿يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ﴾ هو إسماعيل، وناصب «يوم»: «يخرجون» بقُدْ ﴿إِلَىٰ قَعْنٍ تُكْسِرُ﴾ بضم

وَأَنَّهُ خَلَقَ الرُّوحَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٥٥﴾ مِن تُّظْفَةٍ إِذْ أَمْنَى ﴿٥٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَاءَ الْآخَرَى ﴿٥٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿٥٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى ﴿٥٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٦٠﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَى ﴿٦١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴿٦٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴿٦٣﴾ فَغَشَّيْهَا مَا عَشَى ﴿٦٤﴾ فَبَايَآ إِلَىٰ رَبِّكَ تَسْمَانِي ﴿٦٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذِيرِ الْأُولَى ﴿٦٦﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٦٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٦٨﴾ أَفَمِنَ هَذَا الْحَدِيثِ ﴿٦٩﴾ تَعْجَبُونَ ﴿٧٠﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٧١﴾ وَأَنَّمْ سَلِمِدُونَ ﴿٧٢﴾ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا ﴿٧٣﴾

سُورَةُ الْفَيْتَنِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَفَرَيْتَ الْبَسَاءَ وَالنَّشَقَ الْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعَرِّضُوا وَيَمْأُؤُوا ﴿٢﴾ سِحْرَ مُّسْتَقَرٍّ ﴿٣﴾ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقَرٌّ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ﴿٥﴾ حِكْمَةٌ بَلِغَةٌ فَمَا تُعِنُّ أَلْتُدْرِكُ ﴿٦﴾ فَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعُ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكْرٍ ﴿٧﴾

[٤٥] ﴿وَأَنَّهُ عَلَقَ الرُّوحَيْنِ﴾ الصنفين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾.

[٤٦] ﴿مِن تُّظْفَةٍ﴾ مني ﴿إِذَا تَنَقَّ﴾ نصب في الرحم.

[٤٧] ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشَاءَ﴾ بالمد والقصر ^(١) ﴿الْآخَرَى﴾ الحلقة الأخرى للبعث، بعد الحلقة الأولى. [٤٨] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى﴾ الناس، بالكفاية بالأموال ﴿وَأَقْنَى﴾ أعطى المال المتخذ فنية. [٤٩] ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ هو: كوكب خلف الجوزاء، كانت تعبد في الجاهلية.

[٥٠] ﴿وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى﴾ وفي قراءة ^(٢) بإدغام التنوين في اللام وضمها بلا همزة، وهي قوم عاد، والأخرى قوم صالح. [٥١] ﴿وَتَمُودًا﴾ بالصرف اسم للأب، وبلا صرف ^(٣) للقبيلة، وهو معطوف على «عاد» ﴿فَمَا أَبْقَى﴾ منهم أحدًا. [٥٢] ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ﴾ أي: قبل عاد وثمود،

(١) ما جاء في نزول الآيتين (١، ٢): أخرج الترمذي عن أنس بن مالك قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ آية فأنشق القمر بمكة مرتين، فنزلت: ﴿أَفَرَيْتَ النَّشَاءَ وَأَنشَقَّ الْقَمَرُ﴾ إلى قوله: ﴿يَسْعُرُ﴾ يقول: ذاهب. الترمذي - تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٤). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٦٢٠)، وهو في الصحيحين مختصراً.

(٢) بالمد قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقراءة بقية السبعة بالقصر: ﴿النَّشَاءُ﴾ (٢) لأبي عمرو وورش، وقرأ قائلون كذلك، لكنه يأتي بهمزة ساكنة بعد اللام.

(٣) بالتنوين قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم. (٤) العنكبوت: ١٤. (٥) هود: ٨٢. (٦) الأعراف: ١٨٧.

(٧) هذه أول آية سجدة نزلت، كما عند البخاري (١٠٧١) من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس». ولا علاقة لهذا السجود بقصة الغرانيق الباطلة، والتي سبق التنبؤ على بطلانها في تفسيره سورة الحج آية (٥٢).

(٨) قصة انشقاق القمر جاء ذكرها مختصرة في البخاري (٣٨٦٩)، ومسلم (٢٨٠٠)، من حديث عبد الله بن مسعود، وهي عندهما أيضاً من حديث أنس بن مالك؛ البخاري (٤٨٦٧)، ومسلم (٢٨٠٢). وأما التفاصيل المذكورة، فجاءت فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية، من طريق عطاء والضحاك عن ابن عباس كما في الدر المنثور [١٧٧/٦].

الكاف وسكونها^(١)؛ أي: منكر تنكره النفوس، وهو الحساب.

[٧] ﴿حَشَعَا﴾ أي: ذلّلوا، وفي قراءة^(٢): ﴿حُشَعَا﴾ بضم الحاء وفتح الشين مشددة ﴿أَبْصَرَهُمْ﴾ حال من الفاعل ﴿يَجْزِيُونَ﴾ أي: الناس ﴿وَمِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿كَانَهُمْ جَرَادٌ مُثِيرٌ﴾ لا يدرون أين يذهبون، من الخوف والحيرة، والجملة حال من فاعل «يخرجون»، وكذا قوله: [٨] ﴿مُهْطِعِينَ﴾ مسرعين مادين أعناقهم ﴿إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ﴾ منهم: ﴿هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ﴾ صعب على الكافرين؛ كما في المدثر: ﴿يَوْمٌ عَرِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٣).

[٩] ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾ قبل قريش ﴿قَوْمٌ نُوحٌ﴾ تأثيت الفعل لمعنى قوم ﴿مَكَذِبُوا عِبْدَنَا﴾ نوحاً ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَارْدُجِرَ﴾ انتهره بالسب وغيره.

[١٠] ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي﴾ بالفتح؛ أي: بأني ﴿مَقْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾.

[١١] ﴿فَنَحْنُ﴾ بالتحفيف والتشديد^(٤) ﴿إِنزَابَ السَّمَاءِ بِمَا تُوَفِّيهِ﴾ منصّب انصباباً شديداً. [١٢] ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ تنبع ﴿فَالْتَقَى الْمَاءُ﴾ ماء السماء والأرض ﴿عَنْ أَمْرِ﴾ حال ﴿فَدَفَّرَ﴾ قضى به في الأزل، وهو هلاكهم غرقاً. [١٣] ﴿وَحَمَلْنَاهُ﴾ أي: نوحاً ﴿عَلَى سَفِينَةٍ﴾ ذات أُلُوجٍ وَدُسُرٍ وهو ما تشد به الألواح من المسامير وغيرها، واحداها دِسَارٌ؛ ككتاب.

[١٤] ﴿تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا﴾ بمرأى منا^(٥)؛ أي: محفوظة ﴿جَزَاءً﴾ منصوب بفعل مقدر؛ أي: أغرقوا انصهاراً ﴿لَمَنْ كَانَ كُفْرٌ﴾ وهو نوح التَّكْبِيرُ، وقري^(٦):

﴿كَفَرٌ﴾ بالبناء للفاعل؛ أي: أغرقوا عقاباً لهم. [١٥] ﴿وَلَقَدْ رَكَنَهَا﴾ أبقينا هذه الفعلة ﴿ءَايَةً﴾ لمن يعتبر بها؛ أي: شاع خبرها واستمر ﴿فَقِيلَ مِنْ مَدْيَنَ﴾ معتبر ومتعظ بها؛ وأصله: مذتكر؛ أبدلت التاء دالاً مهمله، وكذا المعجمة وأدغمت فيها. [١٦] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ أي: إنذارني؟ استفهام تقرير، و«كيف»: خبر «كان»، وهي للسؤال عن الحال، والمعنى: حثل المخاطبين على الإقرار بوقوع عذابه - تعالى - بالمكذبين لنوح موقعه.

[١٧] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ﴾ سهلناه للحفظ وهيأناه للذكر ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ متعظ به وحافظ له؟ والاستفهام بمعنى الأمر؛ أي: احفظوه واتعظوا به، وليس يُحْفَظُ من كُتِبَ اللَّهُ عن ظهر القلب وغيره. [١٨] ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ﴾ نبيهم هوذا فعذبوا ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ إنذارني لهم بالعذاب قبل نزوله؛ أي: وقع موقعه. [١٩] ﴿وقد بينه بقوله﴾: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: شديدة الصوت ﴿فِي يَوْمٍ تَوَلَّى تَوَكَّرُ﴾ شؤم ﴿مُسْتَمِرٍّ﴾ دائم الشؤم، أو: قويته، وكان يوم الأربعاء آخر الشهر^(٧). [٢٠] ﴿نَزِجُ النَّاسِ﴾ تقلعهم من حفر الأرض المندسين فيها، وتصرعهم على رؤوسهم، فتدق رقابهم، فيبئن الرأس عن الجسد ﴿كَانَهُمْ﴾ وحالهم ما ذكر ﴿أَصْحَابُ أَصُولٍ﴾ متفحّير متقطع ساقط على الأرض، وشبهوا بالنخل لطولهم، وذكّر هنا وأثّر في الحاققة ﴿تَحُلِي حَاوِيَةً﴾^(٨)؛ مراعاة للفواصل في الموضوعين. [٢١] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾؟ [٢٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾؟

[٢٣] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ﴾ جمع نذير بمعنى: منذر؛ أي: بالأمور التي أنذروهم بها نبيهم صالح، إن لم يؤمنوا به ويتبعوه. [٢٤] ﴿فَقَالُوا أَبَشَرًا﴾

حُشَعَا أَبْصَرَهُمْ يَجْزِيُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَانَهُمْ جَرَادٌ مُنْشَرٌّ ﴿١﴾ مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَرِيرٌ ﴿٢﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَارْدُجِرَ ﴿٣﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَقْلُوبٌ فَأَنْصِرْ ﴿٤﴾ فَفَتَحْنَا الْأَوْبَابَ السَّمَاءَ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿٥﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿٦﴾ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَجٍ وَدُسُرٍ ﴿٧﴾ تَجَرَّى بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴿٨﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٢﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ تَوَلَّى تَوَكَّرُ ﴿١٣﴾ نَزِجُ النَّاسِ كَانَهُمْ أَشْجَارٌ تَحُلِي حَاوِيَةً ﴿١٤﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٦﴾ وَنُذْرِي ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِدْأَى فَوَاقِلٍ ﴿١٩﴾ فَذُكِّرُوا بِالْآيَةِ فَأَنصَرُوا ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٤﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِدْأَى فَوَاقِلٍ ﴿٢٥﴾ فَذُكِّرُوا بِالْآيَةِ فَأَنصَرُوا ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢٧﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٢﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٨﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٣﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥٤﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥٨﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٥٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٦٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٦٢﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٦٣﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٦٥﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٦٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٦٧﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧٢﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧٣﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧٨﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٨٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٨١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٨٢﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٨٣﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٨٤﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٨٥﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٨٧﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩٠﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩٤﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩٥﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩٧﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٩٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٠٠﴾

منصوب على الاشتغال ﴿مِنَّا وَجَدًا﴾ صفات له «بشروا» ﴿نَبِّعُهُ﴾ مفسر للفعل الناصب له، والاستفهام بمعنى النفي، المعنى كيف تبعه ونحن جماعة كثيرة، وهو واحد منا، وليس بملك؟ أي: لا تبعه ﴿إِنَّا إِذَا كُنَّا فِي الْبِلَادِ﴾ أي: إذا كنا في البلاد ذهب عن الصواب ﴿وَسُئِرَ﴾ جنون. [٢٥] ﴿أَلَمْ يَلْقَ الْهَمَزَيْنِ﴾ وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين، وتركه^(٩) ﴿الذِّكْرِ﴾ الوحي ﴿عَلَيْهِ مِنْ بَيْنَانَا﴾ أي: لم يوح إليه ﴿بَلْ هُوَ كَذَابٌ﴾ في قوله: إنه أوحى إليه ما ذكر ﴿أَيُّرُ﴾ متكبر بطر. [٢٦] قال - تعالى -: ﴿سَيَعْلَمُونَ عَذَابٌ﴾ في الآخرة ﴿مَنْ الْكَذَّابُ الْآخِرُ﴾ وهو: هم، بأن يعذبوا على تكذيبهم نبيهم صالحاً. [٢٧] ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ مخرجوها من الهضبة الصخرة، كما سألوا ﴿وَبَنِيَّةً﴾ محنة ﴿لَهُمْ﴾ لنخبتهم ﴿فَقَارَتْ بِهِمْ﴾ يا صالح؛ أي: انتظر ما هم صانعون، وما يصنع بهم ﴿وَأَصْطَرَّ﴾ الطاء بدل من تاء الانفعال؛ أي: اصبر على أذاهم.

(١) بالسكون قراءة ابن كثير.

(٢) المدثر: ٩، ١٠.

(٣) وفيها إثبات صفة العين له - شيخنا - على الوجه اللائق به.

(٤) هذا مما لا سبيل ولا دليل صحيح شبوته، كما لا فائدة من ذكره.

(٥) الحاققة: ٧.

(٦) رجع التلخيص على الآية (٨) من سورة ص.

(٧) وهي قراءة نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم، وقرا حمزة والكسائي وأبو عمرو: «حاشعاً» وهي القراءة المنسرة.

(٨) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٩) أي شذوذاً.

بِالنُّذُرِ أَي: بالأمور المنذرة لهم على لسانه. [٣٤] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً ترميهم بالحصى، وهي صغار الحجارة، الواحد دون ملء الكف، فهلوكوا ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾ وهم ابتناه معه ﴿نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ من الأسحار، وقت الصبح من يوم غير معين، ولو أريد من يوم معين لنع من الصرف؛ لأنه معرفة معدول عن السحر؛ لأن حقه أن يستعمل في المعرفة بال، وهل أرسل الحاصب على آل لوط أو لا؟ قولان، وعبر عن الاستثناء على الأول بأنه متصل، وعلى الثاني بأنه منقطع، وإن كان من الجنس تنسجماً. [٣٥] ﴿يَعْتَمِدُ مَصَدَرُ أَي: إنعاماً وَمَنْ عِنْدَنَا كَذَلِكَ﴾ أي: مثل ذلك الجزاء ﴿يَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ أُنعمنا وهو مؤمن، أو من آمن بالله ورسله ^(١) وأطاعهم. [٣٦] ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ خَوْفَهُمْ لُوطٍ﴾ بَطَشْنَاهُ أَخَذْنَا إِيَّاهُم بِالْعَذَابِ ﴿فَتَكَادَرُوا﴾ تجادلوا وكذبوا ﴿بِالنُّذُرِ﴾ بإنذاره. [٣٧] ﴿وَلَقَدْ زَادُوهُ عَنْ صَيْفِيٍّ﴾ أن يخلي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف؛ لِيُخَيِّبُوا بِهِمْ، وكانوا ملائكة ﴿فَطَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ أعميناها، وجعلناها بلا شئ كباقي الوجه، بأن صفقها جبريل بجناحه ﴿فَذُوقُوا﴾ قللنا لهم: ذوقوا ﴿عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ أي: إنذاري وتخويفي؛ أي: ثمرته وفائدته. [٣٨] ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً﴾ الصبح من يوم غير معين ﴿عَذَابٌ مُسْتَقَرٌّ﴾ دائم متصل بعذاب الآخرة.

[٣٩] ﴿فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي﴾. [٤٠] ﴿وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِذِكْرِهِمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾. [٤١] ﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ قَوْمَهُمْ﴾ قومه معه ﴿النُّذُرُ﴾ الإنذار، على لسان موسى وهارون، فلم يؤمنوا. [٤٢] بل ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذْبًا﴾ أي: التسع التي أوتيتها موسى ﴿فَلَنَنْزِلَنَّهُمْ﴾ بالعذاب ﴿أَحَدٌ عَزِيزٌ﴾ قوي ﴿مُقَدِّرٌ﴾ قادر، لا يعجزه شيء. [٤٣] ﴿أَكْفَارُكُمْ﴾ يا قريش ﴿خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَ﴾ المذكورين من قوم نوح إلى فرعون، فلم يُعَذِّبُوا؟ ﴿أَمْ لَكُمْ قَرِيشٌ مُبْرَأَةٌ﴾ من العذاب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ الكتب؟ والاستفهام في الموضوعين بمعنى لنفي؛ أي: ليس لأمر كذلك. [٤٤] ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ كفار قريش: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ﴾ جمع ﴿مُنْتَصِرُونَ﴾ على محمد. [٤٥] ولما قال أبو جهل يوم بدر: إنا جمع منتصر، نزل: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْعَمُ وَيُولَوْنَ الذُّبُرُ﴾ ^(٢) فهزموا يديهم، ونصير رسول الله ﷺ عليهم. [٤٦] ﴿يَلِ الْكَافَّةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ بالعذاب ﴿وَالسَّاعَةُ﴾ أي: عذابها ﴿أَذْنٌ﴾ أعظم بلية ﴿وَأَمْرٌ﴾ أشد مرارة من عذاب الدنيا. [٤٧] ﴿إِنَّ الشَّارِبِينَ فِي سُلَالٍ﴾ هلاك بالقتل في الدنيا ﴿وَسُعْرٍ﴾ نار مسقرة بالتشديد؛ أي: مهيجة، في الآخرة. [٤٨] ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ﴾ أي: في الآخرة، ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ إصابة جهنم لكم. [٤٩] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ﴾ منصوب بفعل يفسره ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ بتقدير: حال من «كل»؛ أي: مقدراً، وقرئ: ^(٣) ﴿كُلُّ﴾ بالرفع؛ مبتدأ خبره: ﴿خَلَقْنَاهُ﴾ ^(٤).

وَيَبْهَرُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمُهُ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُخْتَصِرٌ ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ فَتَعَاطَى فَقَعَرَ ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا هُمْ شَرُّ الْمَحْظَرِ ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ نَعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ يَجْزِي مَنْ شَكَرَ ﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾ وَلَقَدْ زَادُوهُ عَنْ صَيْفِيٍّ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقَرٌّ﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِي ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذْبًا فَآخَذْنَاهُمْ أَخَذَ عَزِيزٌ مُّقْتَدِرٌ﴾ أَكْفَارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلَئِكَ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرُونَ﴾ سَيَبْرَهُمُ الْجَمْعُ وَيُولَوْنَ الذُّبُرَ ﴿يَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَذْنٌ وَأَمْرٌ﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿١٩﴾

[٢٨] ﴿وَيَبْهَرُهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قَسَمُهُ﴾ مقسوم ﴿بَيْنَهُمْ﴾ وبين الناقة؛ يوم لهم، ويوم لها ﴿كُلُّ شَرْبٍ﴾ نصيب من الماء ﴿مُخْتَصِرٌ﴾ يحضره ^(١) القوم يومهم والناقة يومها، فتمادوا على ذلك، ثم ملوه، فهملوا بقتل الناقة. [٢٩] ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ﴾ فَنَادَوْا؛ لِيَقْتُلَهَا ﴿فَتَعَاطَى﴾ تناول السيف ﴿فَقَعَرَ﴾ به الناقة؛ أي: قللها موافقة لهم.

[٣٠] ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِي﴾ أي: إنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؛ أي: وقع موقعه. [٣١] وَيَبْهَرُهُمْ يَقُولُ: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَيْئَةِ الْمَخْطَرِ﴾ هو الذي يجعل لغنمه حظيرة، من بابس الشجر والشوك، يحفظهن فيها من الذئاب والسياب، وما سقط من ذلك فداسته هو: الهشيم. [٣٢] ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾. [٣٣] ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ

(٥) ما جاء في رول الآيتين (٤٨، ٤٩): أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريش بخاصمون رسول الله ﷺ في القدر؛ فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْجَنُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وَجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ﴾ ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾. مسم. كتاب القدر (٤٦) باب (٤) كل شيء بقدر.

(١) في نسخة القاضي: «يحضره».

(٢) في نسخة الصاوي: «ورسوله»، والمثلث من نسخة القاضي المطبوعة.

(٣) جاء نحو ذلك عن ابن عباس، كما في المصنف لابن أبي شيبة (٣٥٧/١٤) رقم (١٨٥٠٩)، دون ذكر أن قاتل ذلك هو أبو جهل، وأخرجه أيضاً الطبري في جامع البيان (٦٤/٢٧)، وحسنه في الاستيعاب (٣٠٥/٣). وفي صحيح البخاري (٤٩٩٣) عن عائشة قالت: لقد أنزل على محمد ﷺ بمكة، وإني لحارية العلب: ﴿يَلِ الْكَافَّةُ مَوْعِدُهُمْ وَكَانَتْ أَذْنٌ وَأَمْرٌ﴾. وظاهر هذا أن قوله تعالى قبل هذه الآية: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْعَمُ وَيُولَوْنَ الذُّبُرُ﴾ مما نزل أيضاً بمكة، ويؤيده ما ذكره الحافظ في الفتح قال: هوفي رواية أبيوب عن عكرمة عن ابن عباس: لما نزلت: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْعَمُ وَيُولَوْنَ الذُّبُرُ﴾ قال عمر: أي جمع لهم؟ قال: فلما كان يوم بدر رأيت رسول الله ﷺ يثبت في الدروع ويقول: ﴿سَيَبْرَهُمُ الْمُنْعَمُ﴾... فظاهر هذا أن الآية نزلت بمكة، ولا ينافي ذلك أن ينزلها الرسول ﷺ في بدر، دون أن يكون ذلك سبب نزولها، أو يقل: إنها نزلت مرتين؛ إحداهما يدير، والله أعلم. (٤) أي: شذوذاً.

[٥٠] ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا بِنَزَرٍ﴾ لشيء نريد وجوده ﴿إِلَّا أَفْرَةً﴾ أفرة ﴿وَجِدَّةٌ﴾ كَلْبَجٍ بِالْبَصْرِ في السرعة، وهي قول: كن، فيوجد، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(١).

[٥١] ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ﴾ أشباهكم في الكفر، من الأمم الماضية ﴿فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ استفهام بمعنى الأمر؛ أي: اذكروا وامتثلوا.

[٥٢] ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ﴾ أي: العباد، مكتوب ﴿فِي الزُّبُرِ﴾ كتب الحفظة.

[٥٣] ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ﴾ من الذنوب، أو العمل ﴿مُسْتَطَرٌّ﴾ مكتوب في اللوح المحفوظ.

[٥٤] ﴿إِنَّ الْمُنَيْنَ فِي جَنَّتٍ﴾ بسايتين ﴿وَنَهْرٍ﴾ أريد به الجنس، وقرئ^(٢): بضم النون والهاء جمعاً؛ كأشد وأشد، والمعنى: أنهم يشربون من أنهارها الماء واللبن والعسل والخمر.

[٥٥] ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ﴾ مجلس حق، لا لغو فيه ولا تأنيب، أريد به الجنس، وقرئ^(٣): ﴿مَقْعِدٌ﴾، المعنى: أنهم في مجالس من الجنات سالمة من اللغو والتأنيب، بخلاف مجالس الدنيا، فقل أن تسلم من ذلك، وأعرب هذا خبراً ثانياً، وبدلاً، وهو صادق ببدل البعض، وغيره^(٤) ﴿عِنْدَ مَلِكٍ﴾ مثال مبالغة؛ أي: عزيز الملك واسعه ﴿مُقَدِّرٍ﴾ قادر لا يعجزه شيء، وهو الله - تعالى -، و«عند» إشارة إلى الرتبة والقربة من فضله - تعالى^(٥).

سورة الرحمن

[مكية، إلا: ﴿يَسْتَأْذِنُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الآية، وهي: ست، أو: ثمان وسبعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الرَّحْمَنُ﴾ الله - تعالى. [٢] ﴿عَلَّمَ﴾ من شاء ﴿الْفُرَّانَ﴾. [٣] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ أي: الجنس. [٤] ﴿عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾ النطق. [٥] ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ يجريان بحساب. [٦] ﴿وَالنَّجْمُ﴾ ما لا ساق له من النبات ﴿وَاللَّجَجُ﴾ ما له ساق ﴿يَسْجُدَانِ﴾ يخضعان لما يراد منهما. [٧] ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ أثبت العدل. [٨] ﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ أي: لأجل أن لا تجوروا ﴿فِي الْمِيزَانِ﴾ ما يوزن به. [٩] ﴿وَأَقِيمُوا الزُّلْزَالَ بِالْقِسْطِ﴾ بالعدل ﴿وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ تنقصوا الموزون. [١٠] ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا﴾ أثبتها ﴿لِلْأَنْسَارِ﴾ للخلق؛ الإنس

(١) يس: ٨٢.

(٢) أي: شذوذاً.

(٣) أي: شذوذاً.

(٤) أي: وهو بدل الاشتغال؛ لأن الخناات مشتملة على المقعد.

(٥) وفي هذا التفسير نظر؛ ومبناه على نفي العلو لله ﷻ؛ فهذه العندية مما استدلل به السلف على إثبات العلو لله ﷻ.

(٦) أخرجه نحوه الترمذي (٣٢١٣) وابن المنذر وأبو الشيخ في العظمة والحاكم وأبو مرويه والبيهقي في الدلائل عن جابر بن عبد الله كما في الدر المنثور [١٨٩/٦] وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥١٣٨)، وللسلسلة الصحيحة (٢١٥٠).

وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا الْوَاحدةُ كَلْبَجٍ بِالْبَصْرِ ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ﴾ ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ﴾ ﴿إِنَّ الْمُنَيْنَ فِي جَنَّتٍ وَنَهْرٍ﴾ ﴿فِي مَقْعَدٍ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾

سورة الرحمن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا الزُّلْزَالَ بِالْقِسْطِ ﴿٩﴾ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿١٠﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنْعَامِ ﴿١١﴾ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ ﴿١٢﴾ وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالزَّيْتَانِ ﴿١٣﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٤﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٥﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ ﴿١٦﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٧﴾ رَبُّ الْمُسْرِفِينَ وَرَبُّ الْمَغْرِبِينَ ﴿١٨﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ ﴿١٩﴾

والجن وغيرهم. [١١] ﴿فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾ وَالنَّخْلُ المعهود ﴿ذَاتُ الْأَكْمَامِ﴾ أوعية طلوعها. [١٢] ﴿وَالْحَبُّ﴾ كالحنطة والشعير ﴿ذُو الْعَصْفِ﴾ التين ﴿وَالزَّيْتَانِ﴾ الورق المشموم. [١٣] ﴿فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا﴾ نعم ﴿رَبِّكُمَا﴾ أيها الإنس والجن ﴿تُكْذِبَانِ﴾ ذكرت إحدى وثلاثين مرة، والاستفهام فيها للتعريض؛ لما روى الحاكم عن جابر قال: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها، ثم قال: «مالي أراكم سكوناً!! للجن كانوا أحسن منكم رداً؛ ما قرأت عليهم هذه الآية من مرة: ﴿فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا نكذب؛ فلك الحمد»^(١). [١٤] ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ آدم ﴿مِنْ صَلْصَلٍ﴾ طين يابس، يسمع له صلصلة؛ أي: صوت إذا نفثه ﴿كَالْفَخَّارِ﴾ وهو ما طبخ من الطين. [١٥] ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ﴾ أبا الجن، وهو إبليس ﴿مِنْ مَّارِجٍ مِّنْ نَّارٍ﴾ هو لهبها الخالص من الدخان. [١٦] ﴿فَبِأَيِّ آيَةِ رَبِّكُمَا تُكْذِبَانِ﴾.

للمفعول والفاعل ^(١) ﴿وَيَتَّخِذُهَا﴾ من مجموعهما الصادق بأحدهما، وهو الملح ﴿الْوَلُّوْا وَالْمَرْجَانُ﴾ خرز أحمر، أو: صغار اللؤلؤ. [٢٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٢٤] ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ﴾ السفن ﴿الْمُنشَآتُ﴾ المحدثات ﴿فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ كالجلال عظمًا وارتفاعًا. [٢٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٦] ﴿كُلُّ مَنَ عَلَيْهِ﴾ أي: الأرض من الحيوان ﴿فَإِنَّ هَالِكًا﴾ هالك، وعبر به «مَرٌّ» تغليبا للعلاء [٢٧] ﴿وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذَاكِرٌ﴾ ذاته ^(٢) ﴿ذُو الْبَلَدِ الْعَظْمَةِ﴾ والإكرام ﴿لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٣) بأنعمه عليهم. [٢٨] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٩] ﴿يَتَذَكَّرُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: ينطق، أو: حال ^(٤) ما يحتاجون إليه، من القرة على العبادة، والرزق والمغفرة، وغير ذلك ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ^(٥) أمر؛ يظهره على وفق ما قدره في الأزل؛ من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإعدام، وإجابة داع، وإعطاء سائل، وغير ذلك. [٣٠] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣١] ﴿سَنَنْفِخُ لَكُمُ﴾ سنقصد لحسابكم ﴿أَنَّهُ الْفَقْلَانِ﴾ الإنسان والجن. [٣٢] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٣] ﴿يَتَمَعَّمُ الْإِنْسَانُ لِيَفْزَنَ﴾ يمتنع من أن تنفذوا ﴿أَن تَنْفُذُوا﴾ يخرجوا ﴿مِنَ أَقْطَارِ نَوَاحِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنفُذُوا﴾ أمر تعجز ﴿لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ بقوة، ولا قوة لكم على ذلك. [٣٤] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

[٣٥] ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ﴾ هو لهيها الخالص من الدخان، أو: معه ﴿وَنَحَّاسٌ﴾ أي: دخان لا لهب فيه ^(٦) ﴿فَلَا تَنْصُرَانِ﴾ تمتنعان من ذلك، بل يسوقكم إلى المحشر. [٣٦] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٧] ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ انفرجت أبوابها لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ زُرَّةً﴾ أي: مثلها محمرة ﴿كَالْإِهْسَانِ﴾ كالأديم الأحمر، على خلاف العهد بها، وجواب «إذا»: فما أعظم الهول. [٣٨] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٣٩] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يُشْفَعُ عَن ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ﴾ عن ذنبه، ويسألون في وقت آخر؛ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ^(٧)، والجان هنا وفيما سيأتي ^(٨) بمعنى: الجني، والإنس فيها بمعنى: الإنسي. [٤٠] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٨﴾ يَتَّخِذُهُمَا بَرَجٌ لَّا يَبْعِيَانِ ﴿١٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٠﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ ﴿٢١﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٢﴾ وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ﴿٢٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٤﴾ كُلُّ مَنَ عَلَيْهَا فَإِنَّ هَالِكًا ﴿٢٥﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْبَلَدِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٧﴾ يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٩﴾ سَنَنْفِخُ لَكُمُ أَيُّهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣١﴾ يَتَمَعَّمُ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنْفُذُوا مِمَّنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِإِذْنِ السَّاطِنِ ﴿٣٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٣﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنَحَّاسٌ فَلَا تَنْصُرَانِ ﴿٣٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٥﴾ فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ زُرَّةً كَالْإِهْسَانِ ﴿٣٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٧﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌ ﴿٣٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٩﴾ يَعْرِفُ الْمَجْرُمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤٠﴾

[١٧] ﴿رَبُّ الثَّقَلَيْنِ﴾ مشرق الشتاء ومشرق الصيف ﴿وَرَبُّ الْعَرَبَيْنِ﴾ كذلك. [١٨] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [١٩] ﴿مَرَجَ﴾ أرسل ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ العذب والملح ﴿يَلْتَقِيَانِ﴾ في رأي العين. [٢٠] ﴿يَتَّخِذُهُمَا بَرَجٌ﴾ حاجز من قدرته - تعالى - ﴿لَّا يَبْعِيَانِ﴾ لا يبغي واحد منهما على الآخر، فيحتل به.

[٢١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٢٢] ﴿يَخْرُجُ﴾ بالبناء

(٥) فائدة: أخرج ابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ في قوله: ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قال: (من شأنه أن يغفر ذنبا، ويفرج كرتا، ويرفع قوما، ويضع آخرين). ابن ماجه. المقدمة باب (١٣) فيما أنكرت الحمية. وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (١٦٧).

(١) بالبناء للمفعول قراءة نافع وأبي عمرو، وقرا بقية السبعة بالبناء للفاعل.
(٢) وهذا لا ينافي صفة الوجه التي أثبتها ربنا ﷻ لنفسه، ونشبهنا له حقيقة على الوجه اللاتق به، ومن لوازم بقاء الوجه بقاء الذات؛ لكن لا يقال: إن الوجه هو الذات، وقال ابن كثير في تفسير الآية: «... ولا يبقى أحد سوى وجهه الكريم؛ فإن الرب - تعالى - وتقديس لا يموت، بل هو الحي الذي لا يموت أبداً».

(٣) قوله ﷻ: ﴿ذُو الْبَلَدِ وَالْإِكْرَامِ﴾ في الآية هي صفة لوجهه وليس لهرب، كما قال ابن كثير والطبري، ووجهه - شيخنا - ذو الجلال والإكرام كما أنه - شيخنا - ذو الجلال والإكرام. فقول المفسر: (للمؤمنين) دليل على إرادة نفي صفة الوجه، لا عن مجرد إرادة الدلالة على أن بقاء الوجه يزم منه بقاء الذات.

(٤) أي: بلسان الحال.

(٥) وهذا قول ابن عباس المشهور عنه، وسعيد بن جبير وغيرهما، واختاره الطبري. وقال آخرون: هو التحاسن المذاب؛ يصب على رءوسهم. وروي ذلك عن ابن عباس وقادة وغيرهما.

(٦) الحجر: ٩٢.

(٧) أي في قوله تعالى: ﴿لَنُيَبِّئَنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانَ فَلْيَعْرَظْ وَلَا يَجَازْ﴾ في الآيتين: (٥٦)، (٧٤) من السورة.

[٤١] ﴿يَعْرِفُ الْغُيُوثَ﴾ يسيمهم ﴿سَوَادَ الْوُجُوهِ وَزُرْقَةَ الْعُيُونِ﴾ ﴿فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَصِي وَالْأَقْدَامِ﴾. [٤٢] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ أي: تضم ناصية كل منهما إلى قدميه، من خلف أو قدام، ويلقى في النار، ويقال لهم: [٤٣] ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾.

[٤٤] ﴿يَطُوفُونَ﴾ يسعون ﴿بَيْنَهَا وَبَيْنَ جَمِيمٍ﴾ ماء حار ﴿ءَانِ﴾ شديد الحرارة، يسقونه إذا استغاثوا من حر النار، وهو منقوص؛ كـ «قاض».

[٤٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٤٦] ﴿وَلَمَّا خَذَفُ﴾ أي: لكل منهم، أو: لمجموعهم ﴿مَقَامٌ رَّيْبٌ﴾ قيامه بين يديه للحساب، فترك معصيته ﴿جَنَّتَانِ﴾.

[٤٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٤٨] ﴿ذَرَاكَ﴾ تنبيه «ذوات» على الأصل^(١)، ولامها باء^(٢) ﴿أَفْتَانِ﴾ أغصان، جمع «فن»؛ كـ «طلل».

[٤٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٥٠] ﴿فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾.

[٥١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٥٢] ﴿فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ﴾ في الدنيا، أو: كل ما يتفكه به ﴿زَوْجَانِ﴾ نوعان؛ رطب وياابس، والمرعها في الدنيا كالخنظل حلو.

[٥٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٥٤] ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ حال عامله محذوف؛ أي: يتنعمون ﴿عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِيهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ﴾ ما غنط من الديباج وخشن، والظهار من السندس ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ﴾ ثمرهما ﴿ءَانِ﴾ قريب، يناله القائم والقاعد والمضطجع.

[٥٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٥٦] ﴿فِيهِمَا﴾ في الجنتين، وما اشتملنا عليه من العلالي والقصور ﴿فَقَصِيرَتِ الْأَفْرَافِ﴾ العُتَيْنِ، على أزواجهن المتكئين، من الإنس والجن ﴿لَمْ يَطْمِئْنُوا﴾ يفتضون، وهن من الحور، أو: من نساء الدنيا المنشآت^(٣) ﴿إِنْشِ قَتْلَهُمْ وَلَا جَاءَ﴾.

[٥٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٥٨] ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ﴾ صفاء ﴿وَالْمَرْجَانُ﴾ أي: اللؤلؤ بياضاً.

[٥٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٦٠] ﴿هَلْ﴾ ما ﴿جَزَاءُ الْإِحْسَنِ﴾ بالطاعة ﴿إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾ بالنعيم.

[٦١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿١﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٢﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانِ ﴿٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٤﴾ وَلَمَّا خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ﴿٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٦﴾ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴿٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٨﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٩﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿١٠﴾ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿١١﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿١٢﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَاطِيهَا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿١٣﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿١٤﴾ فِيهِنَّ قَصِيرَتِ الْأَفْرَافِ لَمْ يَطْمِئْنُوا مِنْ إِسْتَرْقٍ وَلَا جَاءَ لَهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴿١٥﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿١٦﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴿١٧﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿١٨﴾ تَكْذِبَانِ ﴿١٩﴾ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٢٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢١﴾ فِيهِمَا عَيْنَتَانِ تَصَاحَتَانِ ﴿٢٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٣﴾ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرَمَانٌ ﴿٢٤﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ ﴿٢٥﴾

[٦٢] ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا﴾ أي: الجنتين المذكورتين ﴿جَنَّتَانِ﴾^(٤) أيضاً، لمن خاف مقام ربه.

[٦٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٦٤] ﴿مُذَاهَنَتَانِ﴾ سوداوان من شدة خضرتهما.

[٦٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

[٦٦] ﴿فِيهِمَا عَيْنَتَانِ تَصَاحَتَانِ﴾ فوارتان بالماء، لا ينقطعان.

[٦٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءَ رَبِّكَمَا تَكْذِبَانِ﴾.

(١) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فصة آيتهما وما فيها؛ وجنتان من ذهب آيتهما وما فيها. وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الرحمن (٥٥) باب (١) ﴿وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ﴾.

(٢) أي: على ما قبل حذف «واو» وبعد حذف تصبح «دات» فتلى على «ذاتان». والفصح في تنبيها: «ذوات»، كما في الآية.

(٣) أي لأن أصلها: «هذي»؛ تحركت الياء، وانفتح ما قبلها، فقلت ألفاً، فأصبحت: «هذوي»؛ كـ «هني».

(٤) كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتْلُوا كِتَابَ اللَّهِ جَمِيعًا كُلَّ مَرَّةٍ﴾ (٣٥، ٣٦) أي: يجعلون بعد الثبوت بكراً.

[٧٦] ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ أي: أزواجهم، وإعراجه، كما تقدم ﴿عَلَى رُفُوفٍ خُضْرٍ﴾ جمع روفة؛ أي: بُشَط، أو: وسائد ﴿وَعَبَقَرِي حِسَانٍ﴾ جمع عبقرية؛ أي: طنافس. [٧٧] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٨] ﴿تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ تقدم، ولفظ «اسم» زائد.

سُورَةُ الرَّافِعَةِ

[مكية، إلا ﴿أَنهَذَا الْخُبْرُ﴾ الآية، و﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ الآية، وهي: ست، أو: سبع، أو: تسع وتسعون آية] (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا رَفَعَتِ الرَّافِعَةُ﴾ قامت القيامة. [٢] ﴿لَيْسَ لَوْعِهَا كَافَّةٌ﴾ نفس تُكذِّبُ، بأن تنفيها كما نفتها في الدنيا. [٣] ﴿خَافِضَةُ رَافِعَةُ﴾ أي: هي مظهرة لخفض أقوام بدخولهم النار، ولرفع آخرين بدخولهم الجنة. [٤] ﴿إِذَا رَحَّتِ الْأَرْضُ رَحًا﴾ تحوَّلت حركة شديدة. [٥] ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ قُتَّت. [٦] ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْتَثًّا﴾ غبارًا ﴿مُبْتَثًّا﴾ منتشرًا، و﴿إِذَا الْثَانِيَةَ بَدَلُ مِنَ الْأُولَى﴾. [٧] ﴿وَكُنْتُمْ فِي الْيَوْمِ أَزْوَاجًا﴾ أصنافًا ﴿ثَلَاثَةً﴾ [٨] ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ وهم الذين يُؤْتَوْنَ كتبهم بأيمانهم، مبتدأ خبره: ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ﴾ تعظيم لشأنهم بدخولهم الجنة. [٩] ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ أي: الشمال، بأن يُؤْتَى كل منهم كتابه بشماله ﴿مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾ تحقير لشأنهم بدخولهم النار. [١٠] ﴿وَالسَّائِقُونَ﴾ إلى الخير، وهم الأنبياء، مبتدأ ﴿السَّائِقُونَ﴾ تأكيد لتعظيم شأنهم. [١١] ﴿أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ﴾. [١٢] ﴿فِي جَنَّاتٍ أَلْوِيَةٍ﴾. [١٣] ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ مبتدأ، أي: جماعة من الأمم الماضية [١٤] ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ من أمة محمد ﷺ، وهم السابقون من الأمم الماضية وهذه الأمة^(١). [١٥] والخير: ﴿عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ﴾ منسوجة بقضبان الذهب والجواهر. [١٦] ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَرِّبِينَ﴾ حالان من الضمير في الخبر.

فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ ﴿٧٦﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ ﴿٧٨﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٩﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَسِنَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جِآنٌ ﴿٨٠﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨١﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَى رُفُوفٍ خُضْرٍ وَعَبَقَرِي حِسَانٍ ﴿٨٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٨٣﴾ تَبَرَّكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٨٤﴾

سُورَةُ الرَّافِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا رَفَعَتِ الرَّافِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لَوْعِهَا كَافَّةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةُ رَافِعَةُ ﴿٣﴾ إِذَا رَحَّتِ الْأَرْضُ رَحًا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً مُبْتَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٩﴾ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١٠﴾ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿١١﴾ وَالسَّائِقُونَ ﴿١٢﴾ السَّائِقُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ الْمَقَرُّونَ ﴿١٤﴾ فِي جَنَّاتٍ أَلْوِيَةٍ ﴿١٥﴾ ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ ﴿١٨﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَرِّبِينَ ﴿١٩﴾

[٦٨] ﴿فِيهَا فَكَّهُمَا وَعَلَى رُفُوفٍ﴾ هما منها^(١)، وقيل: من غيرها. [٦٩] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٠] ﴿فِيهِنَّ﴾ أي: الجنتين وما فيهما^(٢) ﴿خَيْرَاتٌ﴾ أخلاقًا ﴿حِسَانٌ﴾ وجوهاً. [٧١] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٢] ﴿حُورٌ﴾ شديدات سواد العيون وبياضها ﴿مَقْصُورَاتٌ﴾ مستورات ﴿فِي الْخِيَامِ﴾ من دُور مجوف، مضافة إلى القصور، شبيهة بالحدود. [٧٣] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾. [٧٤] ﴿لَمْ يَطْمِئِنَّهُنَّ أَسِنَّ قَبْلَهُمْ وَلَا جِآنٌ﴾. [٧٥] ﴿فَيَأْتِي ءَالَآءُ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾.

(٥) فائدة: نُخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قال أبو بكر ﷺ: يا رسول الله، قد شئت؟ قال: «شيتني هود، والرافعة، والمرسلات، و﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، و﴿إِذَا أُنْفِثَتْ كُرُورَتٌ﴾». وسبق تخريجه في أول سورة هود.

(١) أي: النخل والزئبان من الفاكهة.

(٢) في نسخة القاضي: «وقصورهما»، بدلًا من: «وما فيهما». وقال ابن الجوزي في زاد المسير: «فِيهِنَّ» يعني في الجنات الأربع. اهـ، وكذا قال البغوي. وفي حديث أبي موسى الأشعري في الصحيحين: البحاري (٤٨٧٨)، ومسلم (١٨٠) أن رسول الله ﷺ قال: «جنتان من فضة؛ أيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب؛ أيتهما وما فيهما».

(٣) هذا قول مجاهد والحسن البصري، واختاره ابن جرير، ولم يحكي غيره. قال ابن كثير: «وهذا الذي اختاره ابن جرير فيه نظر؛ بل هو قول ضعيف؛ لأن هذه الأمة هي خير الأمم بنص القرآن؛ فيبعد أن يكون المقربون في غيرهما أكثر منها، اللهم إلا أن يقابل مجسوع الأمم بهذه الأمة. والظاهر أن المقربين من هؤلاء أكثر من سائر الأمم، والله أعلم اهـ».

ثم قال ابن كثير: «فالقول الثاني في هذا المقام هو الأرجح، وهو أن يكون المراد بقوله: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: من صدر هذه الأمة، ﴿وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ أي: من هذه الأمة. اهـ. وأول هذه الأمة هم الصحابة والتابعون وتابعوهم بإحسان، وآخرها: الصلحاء، وهم قليل.

[١٧] ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ﴾ للخدمة ﴿وَلَدُنْهُمْ مَعْلَدُونَ﴾ على شكل الأولاد، لا يهرمون. [١٨] ﴿يَا كُؤَابَ﴾ أقداح لا غرى لها ﴿وَالْبَارِقَ﴾ لها عرى وخراطيم ﴿وَكُؤَابِينَ﴾ إناء شرب الخمر ﴿مِنْ مَعِينٍ﴾ أي: خمر جارية من منبع لا ينقطع أبداً.

[١٩] ﴿لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ﴾ يفتح الزاي وكسرها^(١)، من نرف الشارب وأنزف: أي: لا يحصل لهم منها صداع، ولا ذهاب عقل، بخلاف خمر الدنيا. [٢٠] ﴿وَفَكَهَةً مِمَّا يَنْتَعِرُونَ﴾. [٢١] ﴿وَنَقِيرَ طَيْرٍ مِمَّا يَنْتَبِهُونَ﴾. [٢٢] ﴿ذِي﴾ لهم للاستمتاع ﴿حَرَّ﴾ نساء شديدات سواد العيون وبياضها^(٢) ﴿عَيْنَ﴾ ضخام العيون، كسرت عينه بدل ضمها؛ تجانسة الياء^(٣)، ومفردة: عيناء؛ كحمراء، وفي قراءة^(٤) بحر «حور عين». [٢٣] ﴿كَأَمْثَلِ الْوُلُوفِ الْمَكُونِ﴾ المصون. [٢٤] ﴿جَزَاءَ﴾ مفعول له، أو: مصدر، والعامل مقدر؛ أي: جعلنا لهم ما ذكر للجزاء، أو: جزئناهم ﴿يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾. [٢٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ في الجنة ﴿نَقْوًا﴾ فاحشاً من الكلام ﴿وَلَا تَأْتِيًا﴾ ما يؤثم. [٢٦] ﴿لَا﴾ لكن ﴿يَقْلًا﴾ قولاً ﴿سَلَكْنَا سَلَكًا﴾ بدل من: ﴿يَقْلًا﴾ فإنهم يسمعون. [٢٧] ﴿وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ﴾. [٢٨] ﴿فِي يَمِينٍ﴾ شجر التيق ﴿تَنْضُورٍ﴾ لا شك فيه. [٢٩] ﴿وَطَلْحٍ﴾ شجر الموز ﴿تَنْضُورٍ﴾ بالحمل، من أسفله إلى أعلاه. [٣٠] ﴿وَطَلْحٍ تَمْدُورٍ﴾^(٥) دائم. [٣١] ﴿وَمَاءٍ مَشْكُوبٍ﴾ جار دائماً. [٣٢] ﴿وَفَكَهَةٍ كَثِيرَةٍ﴾. [٣٣] ﴿لَا مَقْطُوعَةٍ﴾ في زمن ﴿وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ بمن. [٣٤] ﴿وَفَرَشٍ مَرْفُوعَةٍ﴾ على السرر. [٣٥] ﴿إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً﴾ أي: الحور العين من غير ولادة.

[٣٦] ﴿فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا﴾ عذارى، كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن عذارى، ولا وجع. [٣٧] ﴿غُرَابٍ﴾ بضم الراء وسكونها^(٦)؛ جمع غروب، وهي: المتحبة إلى زوجها عشقاً له ﴿أَرْزَاقٍ﴾ جمع رزق؛ أي: مستويات في السن. [٣٨] ﴿لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾ صلة «أنشأناهن» أو «جعلناهن». [٣٩] وهم ﴿فَلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾. [٤٠] ﴿وَلَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾^(٧).

[٤١] ﴿وَأَصْحَابُ الْإِثْمَالِ مَا أَصْحَابُ الْإِثْمَالِ﴾. [٤٢] ﴿فِي سَمُورٍ﴾ ريح حارة من النار، تنفذ في المسام ﴿وَكَبِيرٍ﴾ ماء شديد الحرارة. [٤٣] ﴿وَطَلْحٍ مِنَ يَمِينٍ﴾ دخان شديد السواد. [٤٤] ﴿لَا بَارِدٍ﴾ كغيره من الظلال ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ حسن المنظر. [٤٥] ﴿إِنَّمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ﴾ في الدنيا ﴿مُتَرَفِفِينَ﴾ منعمين؛ لا يتبعون في الطاعة.

[٤٦] ﴿وَكَاؤُا يُصْرُونَ عَلَى الْيَمِينِ﴾ الذنب ﴿الْعَظِيمِ﴾ أي: الشرك.

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وَلَدُنْهُمْ مَعْلَدُونَ ﴿١٧﴾ يَا كُؤَابَ وَالْبَارِقَ وَكُؤَابِينَ مَعِينٍ ﴿١٨﴾ لَا يَصْدَعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَكَهَةً مِمَّا يَنْتَعِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَنَقِيرَ طَيْرٍ مِمَّا يَنْتَبِهُونَ ﴿٢١﴾ وَذِي حَرٍّ حُورٍ عَيْنٍ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَلِ الْوُلُوفِ الْمَكُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءَ يَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَقْوًا وَلَا تَأْتِيًا ﴿٢٥﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَكِن يَقْلًا ﴿٢٦﴾ سَلَكْنَا سَلَكًا ﴿٢٧﴾ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ فِي يَمِينٍ شَجَرٍ تَنْضُورٍ ﴿٢٩﴾ وَطَلْحٍ شَجَرٍ تَنْضُورٍ ﴿٣٠﴾ وَطَلْحٍ تَمْدُورٍ ﴿٣١﴾ وَمَاءٍ مَشْكُوبٍ ﴿٣٢﴾ وَفَكَهَةً كَثِيرَةً ﴿٣٣﴾ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ وَفَرَشٍ مَرْفُوعَةٍ ﴿٣٥﴾ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنِشَاءً ﴿٣٦﴾ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٧﴾ غُرَابٍ مِمَّا يَنْزِفُونَ ﴿٣٨﴾ أَرْزَاقٍ ﴿٣٩﴾ لَأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٤٠﴾ ثَلَاثَةٌ مِنْ الْأَوَّلِينَ ﴿٤١﴾ وَثَلَاثَةٌ مِنَ الْآخِرِينَ ﴿٤٢﴾ وَأَصْحَابُ الْإِثْمَالِ مَا أَصْحَابُ الْإِثْمَالِ ﴿٤٣﴾ فِي سَمُورٍ وَكَبِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَطَلْحٍ مِنْ يَمِينٍ تَمْدُورٍ ﴿٤٥﴾ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٦﴾ إِنَّمَا كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتَرَفِفِينَ ﴿٤٧﴾ وَكَانُوا يُصْرُونَ عَلَى الْيَمِينِ الْعَظِيمِ ﴿٤٨﴾ وَكَانُوا يُنْفِرُونَ أَبْدَانًا مَسْنُوكًا ﴿٤٩﴾ ثُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٥٠﴾ أَوَّابًا وَأَنَا الْوَلُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ﴿٥٢﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٥٣﴾

[٤٧] ﴿وَكَاؤُا يَقُولُوتْ أَبْدَانًا مَسْنُوكًا ثُرَابًا وَعِظْمًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ في الهمزتين في الموضوعين: التحقيق، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين^(١).

[٤٨] ﴿أَوَّابًا وَأَنَا الْوَلُونَ﴾ بفتح الواو للعطف، والهمزة للاستفهام، وهو في ذلك وفيما قبله للاستبعاد، وفي قراءة^(٢) بسكون الواو، عطفاً به أو، والمعطوف عليه: محل «إن» واسمها. [٤٩] ﴿قُلْ إِنَّكَ الْوَلِيُّ وَالْآخِرِينَ﴾. [٥٠] ﴿لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتٍ﴾ لوقت ﴿يَوْمَ مَعْلُومٍ﴾ أي: يوم القيامة.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وأقرهوا إن شقتم: ﴿وَطَلْحٍ تَمْدُورٍ﴾». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة الواقعة (٥٦) باب (١) ﴿وَطَلْحٍ تَمْدُورٍ﴾.

(٥٥) ما جاء في نزول الآيتين (٣٩، ٤٠): أخرج أحمد عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَقِيلَ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ شق ذلك على المسلمين، فنزلت: ﴿ثَلَاثَةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ﴾ ﴿وَلَلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ﴾ فقال: «أنتم ثلث أهل الجنة، بل أنتم نصف أهل الجنة، وتقاسمونها نصف الباقي». أخرجه أحمد في المسند (٣٩١/٢)، وصححه الشيخ أحمد شاكر في تخريجيه على المسند (١٣٢/١٧) رقم (٩٠٦٩).

(١) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالكسر.

(٢) أي: سواد الحديقة وبياض ما حولها، وقيل مع شدة بياض الجسد كذلك.

(٣) لأن أصلها: «غُيْس» بضم العين وسكون الياء.

(٤) لحمزة والكسائي.

(٥) بالسكون قراءة حمزة وشعبة.

(٦) أي وتركه، وقرأ نافع والكسائي بالاستفهام في الأول والإحار في الثاني، وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٧) بالسكون قراءة ابن عامر وقائلون.

خَفَقْنَكُمْ ﴿٥٨﴾ أَوْ جَدْنَاكُمْ مِنْ عَدَمٍ ﴿٥٩﴾ فَلَوْلَا ﴿٦٠﴾ هَلَّا ﴿٦١﴾ تَصَدَّقُونَ ﴿٦٢﴾ بِالْبُعْثِ إِذِ الْقَادِرِ عَلَى الْإِنشَاءِ قَادِرٌ عَلَى الْإِعَادَةِ. [٥٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ تريقون من المني في أرحام النساء. [٥٩] ﴿وَأَنْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلها، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركه^(٦) في المواضع الأربعة ﴿تَخْلُقُونَهُ﴾ أي: المني بشراً ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ الْخَالِقِينَ﴾. [٦٠] ﴿تَحْنُ قَدَرْنَا﴾ بالتشديد والتخفيف^(٧) ﴿يَبْنِئُكَ الدَّوْتَ وَمَا تَحْنُ يَمْسُوقِينَ﴾ بجازرين.

[٦١] ﴿عَلَى﴾ عن ﴿أَنْ تُبَدِّلَ﴾ نجعل ﴿أَنْتُمْ﴾ مكانكم ﴿وَنُشِئَكُمْ﴾ نخلقكم ﴿فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ من الصور؛ كالقردة والخنازير. [٦٢] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ﴾^(٨) الأول ﴿وَفِي قِرَاءَةِ بَسْكَوْنِ الشَّيْنِ﴾ فلَوْلَا ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ فيه إدغام التاء الثانية في الأصل في الدال^(٩). [٦٣] ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾ تثيرون في الأرض، وتلقون البذر فيها؟ [٦٤] ﴿وَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ﴾ تنبتونه ﴿أَمْ تَحْنُ الْأَرْزَاقُونَ﴾. [٦٥] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا﴾ نباتاً يابشاً، لا حب فيه ﴿فَلَنْتُمْ﴾ أصله: ظلمتم بكسر اللام، حذفتم تخفيفاً؛ أي: أقمتم نهاراً ﴿تَعْمَهُونَ﴾ حذفتم منه إحدى التائين في الأصل؛ تعجبون من ذلك، وتقولون: [٦٦] ﴿إِنَّا لَمَعْمُومُونَ﴾ نفقة زرعنا. [٦٧] ﴿بَلْ تَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ ممنوعون رزقنا.

[٦٨] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾. [٦٩] ﴿وَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ﴾ السحاب، جمع «مُزْنَةٍ» ﴿أَمْ تَحْنُ الْمُنْزِلُونَ﴾. [٧٠] ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ نَاجِئًا﴾ ملحاً لا يمكن شربه ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلاً ﴿تَشْكُرُونَ﴾.

[٧١] ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ تخرجون من الشجر الأخضر. [٧٢] ﴿وَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا﴾ كالنخيل والغفار والكَلَخ^(١٠) ﴿أَمْ تَحْنُ الْمُثْبِتُونَ﴾. [٧٣] ﴿تَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا﴾ لنار جهنم ﴿وَمَتَّعًا﴾ بِلُغَةٍ ﴿لِلْمُفَوِّينَ﴾ للمسافرين؛ من: أقوى القوم؛ أي: صاروا بالقَوَاءِ بالقصر والمد؛ أي: القفر، وهو: مفازة لا نبات فيها ولا ماء. [٧٤] ﴿فَسَبِّحْ﴾ زَرَّة ﴿يَاسْمِينِ﴾ زائدة^(١١)

﴿زَيْكِ الْعَظِيمِ﴾ أي: الله. [٧٥] ﴿فَلَا أَفْسَرُ﴾ لا زائدة ﴿يَمُوقِعُ الْجُحُومِ﴾ بمساقطها لغروبها^(١٢) [٧٦] ﴿وَأَيُّهُ﴾ أي: القسم بها ﴿لَقَسْرُ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ لو كنتم من ذوي العلم لعلمتم عظم هذا القسم.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَصْلَ الْبَاطِلِ﴾ لا يكون من شجر من رُفُوم ﴿فَتَشْرَبُونَ﴾ فتلقون منها البَطُون ﴿فَتَشْرَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ فشد يَدُونَ شَرِبَ الْهَمِيمِ ﴿هَذَا أَنْزَلْنَاهُ يَوْمَ الْذِينَ﴾ تَحْنُ خَلَقْتُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ أَمْ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ وَأَمْ تَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿تَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا تَحْنُ يَمْسُوقِينَ﴾ عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿وَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ وَأَمْ تَحْنُ الْأَرْزَاقُونَ﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُوتُمْ ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾ بَلْ تَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ أَمْ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ تَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُنْجَابًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿وَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ تَحْنُ الْمُثْبِتُونَ﴾ تَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَّعًا لِلْمُفَوِّينَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ * فَلَا أَفْسَرُ يَمُوقِعُ الْجُحُومِ ﴿وَأَيُّهُ﴾ لَقَسْرُ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٥١﴾

[٥١] ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ أَصْلَ الْبَاطِلِ﴾ لا يكون من شجر من رُفُوم ﴿فَتَشْرَبُونَ﴾ فتلقون منها البَطُون ﴿فَتَشْرَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ﴾ فشد يَدُونَ شَرِبَ الْهَمِيمِ ﴿هَذَا أَنْزَلْنَاهُ يَوْمَ الْذِينَ﴾ تَحْنُ خَلَقْتُمْ فَلَوْلَا تَصَدَّقُونَ ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ﴾ أَمْ أَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ وَأَمْ تَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿تَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا تَحْنُ يَمْسُوقِينَ﴾ عَلَى أَنْ تُبَدِّلَ أَمْثَلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ ﴿وَأَنْتُمْ تَرْزُقُونَهُ وَأَمْ تَحْنُ الْأَرْزَاقُونَ﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَبًا فَظَلَمْتُمْ تَفَكَّهُوتُمْ ﴿إِنَّا لَمَغْرُمُونَ﴾ بَلْ تَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ أَمْ أَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ تَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ أُنْجَابًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿وَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَهَا أَمْ تَحْنُ الْمُثْبِتُونَ﴾ تَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَتَّعًا لِلْمُفَوِّينَ ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ * فَلَا أَفْسَرُ يَمُوقِعُ الْجُحُومِ ﴿وَأَيُّهُ﴾ لَقَسْرُ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٥١﴾

(١) بالفتح قراءة الكسائي وإن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالضم.

(٢) انظر التعليق على الآية (١٧) من سورة الفرقان.

(٣) بالتخفيف قراءة ابن كثير.

(٤) لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: «النشأة» بسكون الشين.

(٥) وهي قراءة نافع وإن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بتخفيف الدال: «تذكرونها».

(٦) أنواع من الشجر سريعة القدح.

(٧) أي: الباء، وليس لفظه (اسم)؛ كما قال - تعالى -: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ﴾ [الأعلى: ١]. وكما يجب تزييه الله عما لا يليق به؛ فإنه يجب أن تُسْرَهُ أَسْمَاؤُهُ التي سُميَ به نفسه، أو سماء بها

رسوله ﷺ.

(٨) هذا قول قتادة، وقال عطاء: مواقع النجوم: منازلها. وهذا أظهر؛ فإنه كما للشمس مشارق ومغارب؛ فللقمر بروج ومنازل.

إِنَّهُ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَوَيْدَ الْحَدِيثِ أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تُرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلْطَنٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ ﴿٩٢﴾ فَضَالَلِينَ ﴿٩٣﴾ فَذُلٌّ مِنَ هِمٍ وَتَضْلِيلُهُ جَحِيمٌ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْحَقُّ الْيَقِينُ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

سُورَةُ الرَّافِعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

وجيء به «لما» دون «من» تغليبا للأكثر ﴿وَهُوَ الْقَدِيرُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صفة (٥).

[٢] ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي﴾ بالإنشاء ﴿وَيُمِيتُ﴾ بعده ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٣] ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء، بلا بداية ﴿وَالْآخِرُ﴾ بعد كل شيء، بلا نهاية ﴿وَالظَّاهِرُ﴾ بالأدلة عليه ﴿وَالْبَاطِنُ﴾ عن إدراك الحواس (١) ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

سُورَةُ الرَّافِعَةِ

[مكية، أو: مدنية، وأياتها تسع وعشرون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: نزهه كل شيء، فاللام مزيدة،

(٥) ما جاء في نزول الآيات (٧٥ - ٨٢): أخرج مسلم عن ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبي ﷺ فقال: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر. قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق بوء كذا وكذا. قال: مرت هذه الآية: ﴿فَلَا أَقْسَمُ بِمَوْقِعِ الْكُفْرِ﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْتُمْ تُكْذِبُونَ﴾. مسلم - كتاب الإيمان (١) باب (٣٢) كفر من قال مطرنا بالنوء.

(١) أكثر المفسرين أن المراد لكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ، والمطهرون هم الملائكة، ولا يمشه يفيد النفي على ظاهره، وهذا هو الأرجح.

(٢) أي: عن محل الروح، وهو الجسد.

(٣) أي: وجواب (٢) محذوف؛ لدلالة المذكور عليه، وهذا معهود كثيرا.

(٤) أشار بهذا إلى أن «السلام» في الآية بمعنى: السلامة، وهذا قول ابن عباس. وقال عطاء: تسلم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين، وهو قريب من قول البخاري: تسلم لك أنك من أصحاب اليمين، وقيل المعنى: سلام لك يا صاحب اليمين، ففيه لغات من الغيبة إلى الخطاب؛ تعظيما لصاحب اليمين.

(٥) سبق التنبيه في سورة البقرة آية (١٢٩) على أن الأولى التعميم في متعلق الحكمة؛ فيقال: الحكيم في كل شأن من شؤنه، من صعه، وقدره، وتشريع، وجرائه، وإرساله، وإنزاله، كتبه... الخ. ويعيده هنا للتذكير والتأكيد.

(٦) والأولى تفسير هذين الاسمين بما فسرهما به النبي ﷺ في قوله: «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ» فيكون اسمه الظاهر دالاً على علوه، واسمه الباطن دالاً على إحاطة علمه.

[٥] ﴿لَهُمْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ اِلٰهٌ ثُمَّ اُنۡزِلَ اِلَيْهِمُ الْمَوۡجِدَاتُ﴾ جميعها.

[٦] ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ يدخله ﴿فِي النَّهَارِ﴾ فيزيد وينقص الليل ﴿وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ فيزيد وينقص النهار ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

[٧] ﴿ءَامِنُوٓا۟﴾ داموا على الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ وأنفقوا في سبيل الله ﴿مِمَّا جَعَلَكُمۡ مُّسْتَحَلِّفِينَ فِيهِ﴾ من مال من تقدمكم، وسيخلفكم فيه من بعدكم، نزل في غزوة العشرة، وهي غزوة تبوك^(١) ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَأَنفَقُوا﴾ إشارة إلى عثمان^(٢) ﴿مِمَّا أُتِيَ كَبِيرٌ﴾.

[٨] ﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤْمِنُونَ﴾ خطاب للكفار؛ أي: لا مانع لكم من الإيمان ﴿بِاللَّهِ وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمۡ لِئُمۡتَا بِرَبِّكُمْ﴾ وقد [أُجِدَ] بضم الهمزة وكسر الحاء، وفتحها ونصب ما بعده^(٣) ﴿﴿مِثَاقُكُمْ﴾﴾ عليه؛ أي: أخذه الله في عالم الدُّنَى حين أشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾^(٤) ﴿إِن كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ﴾ أي: مريدن الإيمان به، فبادروا إليه.

[٩] ﴿هُوَ الَّذِي يُزِيلُ عَلَىٰ عَبْدِهِ ءَايَاتٍ يَبَيِّنُ﴾ آيات القرآن ﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمٰتِ﴾ الكفر ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان ﴿وَإِنَّ اللَّهَ يَكْرِهُ﴾ في إخراجكم من الكفر إلى الإيمان ﴿لِرُءُوفٍ رَّحِيمٍ﴾.

[١٠] ﴿وَمَا لَكُمۡ﴾ بعد إيمانكم ﴿أَلَّا﴾ فيه إدغام نون «أن» في لام «لا» ﴿تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرٰثُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ﴾ بما فيها؛ فتصل إليه أموالكم من غير أجر الإنفاق، بخلاف ما لو أنفقتم فتخرجون ﴿لَا يَسْتَوِي﴾ منكم من أنفق من قبل الفتح، ملكة ﴿وَقَتْلَ أُولَٰئِكَ أَكْثَرُ دَرَجَةٍ مِنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكَلَّا﴾ من الفريقين، وفي قراءة^(٥): بالرفع، مبتدأ ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْخٰسِئِينَ﴾ اجنة ﴿وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فيجازيكم به.

[١١] ﴿مَن ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ يَأْتِ بِفَضْلٍ مَّالٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قرضاً حسناً، بأن ينفقه لله ﴿فِي صُلٰحٍ﴾ وفي قراءة^(٦) ﴿فِي صُلٰحٍ﴾ بالتشديد ﴿لَهُ﴾ من عشر إلى أكثر من سبعائة، كما ذكر في البقرة ﴿وَلَهُ﴾ مع المضاعفة ﴿أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ مقترن به رضاً وإقبال.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْاَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ اِنَّ مَا كُنْتُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٠﴾ لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلِی اللّٰهُ تَرْجِعُ الْاُمُورُ ﴿١١﴾ يُولِجُ اللَّیْلَ فِی النَّهَارِ وَیُولِجُ النَّهَارَ فِی اللَّیْلِ وَهُوَ عَلَیْمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٢﴾ ءَامِنُوٓا۟ بِاللّٰهِ وَرُسُلِهِ ؕ وَانْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَحَلِّفَیْنِ فِیْهِ فَاَلَّذِیْنَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَانْفَقُوا لَهُمْ اَجْرٌ كَبِیْرٌ ﴿١٣﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤْمِنُوْنَ بِاللّٰهِ وَالرَّسُولِ یَدْعُوكُمۡ لِئُمۡتَا بِرَبِّكُمْ وَقَدْ اَخَذَ مِیْثَاقَكُمۡ اِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِیْنَ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِی یُزِیْلُ عَلٰی عَبْدِهِ ؕ اَیٰتِیْ یَبَیِّنُ لَیُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمٰتِ اِلَی النُّوْرِ ؕ وَلَیِّنَ اللّٰهُ یَكْرَهُ لِرُءُوفٍ رَّحِیْمٍ ﴿١٥﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا اَنْتَفِعُوْا فِی سَبِیْلِ اللّٰهِ وَلِلّٰهِ مِیْرٰثُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ لَا یَسْتَوِی مِنْكُم مَّنْ اَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ اُولَیْكَ اَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِیْنَ اَنْفَقُوْا مِنْ بَعْدُ وَقَتْلُوا وَكَلَّا ﴿١٦﴾ مَن ذَا الَّذِی یَقْرِضُ اللّٰهُ قَرْضًا حَسَنًا فِیْضِلُّهُ عَلَیْهِ وَلَهُ وَلَهُ اَجْرٌ كَرِیْمٌ ﴿١٧﴾

[٤] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ فِي سِتَّةِ اَيَّامٍ﴾ من أيام الدنيا؛ أولها الأحد وآخرها الجمعة^(١) ﴿ثُمَّ اسْتَوٰى عَلَى الْعَرْشِ﴾ الكرسي^(٢) استواء^(٣) يليق به ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ﴾ يدخل ﴿فِي الْاَرْضِ﴾ كالطر والأموات ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالنبات والمعادن ﴿وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ﴾ كالرحمة والعذاب ﴿وَمَا يَعْرُجُ﴾ يصعد ﴿وَبِهَا﴾ كالأعمال الصالحة والسيئة^(٤) ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ بعلمه^(٥) ﴿اِنَّ مَا كُنْتُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

(١) سبق الرد على تعيين هذه الأيام بأسمائها على النحو الذي ساقه المحلي ها، أو في نحوها من الآيات وأن هذا لا سند له. وذلك في سورة فصلت الآية (٩).

(٢) والعرش غير الكرسي كما سبق، وهو أعظم منه كما في الحديث.

(٣) سبق التعليق على تفويض الاستواء، وأنه إذا كان يريد تفويض الكيفية فهذا حق، وإن كان يريد تفويض المعنى؛ فغير صحيح، إذ إن السلف يعلمون بن معناه: الاستقرار والعلو.

(٤) المناسب حذفه، لأن الذي يرفع إما هو الأعمال الصالحة كما في قوله - تعالى -: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾.

(٥) أي: وهو فوق عرشه بذاته المقدسة، لا يخفى عليه شيء من خلقه، وسبق بيان قسمي لمعة انعام والخاص وحقيقتها في آخر سورة النحل.

(٦) لم أقف على أحد من المفسرين غير المحلي ذكر أن هذا سبب نزول الآية، والصحيح أنها عامة، وليست بما نزل على سبب، والله أعلم.

(٧) وكذا غيره من الصحابة رضوان الله عليهم، ولا دليل على قصرها على عثمان^(٨).

(٨) بالنظم قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالفتح: ﴿أُخِذَ﴾، ونصب: ﴿مِثَاقُكُمْ﴾.

(٩) الأعراف: ١٧٢.

(١٠) لابن عامر.

(١١) لابن كثير وابن عامر، لكن ابن كثير مع الرفع.

وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ ﴿٢٠﴾ الدالة على وحدانيته وأولئك أصحاب الحجير النار.

[٢٠] ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُغْهٌ وَزِينَةٌ ﴿١﴾ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ أي: الاشتغال فيها، وأما الطاعات وما يعين عليها فمن أمور الآخرة ﴿كَمَثَلِ﴾ أي: هي في إعجابها لكم واضمحلالها كمثل ﴿عَيْتٍ﴾ مطر ﴿أَعَجَبَ الْكَفَّارُ﴾ الزراع^(١) ﴿بَنَاتُهُ﴾ الناشئ عنه ﴿ثُمَّ يَهْبِجُ﴾ يبيس ﴿فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا﴾ فثأنا بضمحل بالرياح ﴿وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لمن أثر عليها الدنيا ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ﴾ لمن لم يؤثر عليها الدنيا ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ ما التمتع فيها ﴿إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورُ﴾.

[٢١] ﴿سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ لو وصلت إحداهما بالأخرى، والعرض: الشعة ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

[٢٢] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ بالجدب^(٢) ﴿وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ﴾ كالمرض، وفقد الولد ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾ يعني اللوح المحفوظ ﴿وَمِن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾ نخلقها، ويقال في النعمة كذلك ﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

[٢٣] ﴿لِكَيْلَا﴾ «كي» ناصبة للفعل بمعنى «أن»؛ أي: أخير - تعالى - بذلك لئلا ﴿تَأْسَوْا﴾ تحزنوا ﴿عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا﴾ فرح بطر، بل فرح شكر على النعمة ﴿بِمَا ءَاتَاكُمْ﴾ بالمد: أعطاكم، وبالقصر^(٣): جاءكم منه ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ متكبر بما أوتي ﴿فَخُورٍ﴾ به على الناس.

[٢٤] ﴿الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ﴾ بما يجب عليهم ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ به، لهم وعيد شديد ﴿وَمَن يَتَوَلَّ﴾ عما يجب عليه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ﴾ ضمير فصل، وفي قراءة^(٤) بسقوطه ﴿الْفَقِي﴾ عن غيره ﴿الْحَكِيمُ﴾ لأوليائه.

وَأُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيرِ ﴿٢١﴾ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لُغْهٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ عَيْتٍ أَعَجَبَ الْكَفَّارُ بَنَاتُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعٌ الْعُرُورُ ﴿٢٢﴾ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٣﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٤﴾ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِينَ يَبْتَخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ المبالغون في التصديق ﴿وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ على المكذبين من الأمم ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ

(١) وهذا قول كثير من المفسرين، وقيل: المراد الكافرون بالله ﷻ؛ لأنهم أشد إعجابًا وافتتانًا بزيينة الحياة الدنيا. وهذا القول أقرب، واستحسنه القرطبي.

(٢) ونحوه كالوباء والغلاء والقحط، والأولي: أن يقول: كالجدب؛ ليكون ذلك على سبيل التشثيل.

(٣) بالقصر قراءة أبي عمرو.

(٤) لنافع وابن عامر.

[٢٥] ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا إِلَى الْأَنْبِيَاءِ﴾ الملائكة إلى الأنبياء ﴿يَأْتِيكَ﴾ بالحجج القواطع ﴿وَأَرْسَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ﴾ بمعنى الكتب ﴿وَالْمِيزَانَ﴾ العدل ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ وَأَرْسَلْنَا الْحَدِيدَ أَخْرَجْنَاهُ مِنَ الْمَعَادِنِ ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ يقاتل به ﴿وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَيَعْلَمُ اللَّهُ﴾ علم مشاهدة، معطوف على: ﴿لِيَقُومَ النَّاسُ﴾ ﴿مَنْ يَصْرُ﴾ بَأْسٌ يَنْصُرُ دينه ثلاث الحرب، من الحديد وغيره ﴿وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ﴾ حال من هاء ﴿يَنْصُرُ﴾ أي: غائبا عنهم في الدنيا؛ قال ابن عباس: يَنْصُرُونَهُ وَلَا يَصِرُونَهُ ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ لا حاجة له إلى النصر، لكنها تنفع من يأتي بها.

[٢٦] ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النَّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ يعني الكتب الأربعة: التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان؛ فإنها في ذرية إبراهيم ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

[٢٧] ﴿ثُمَّ فَتَيْنَا عَلَى آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمُ الْبِرَّ وَرَهْبَانِيَّةً﴾ هي رفض النساء واتخاذ الصوامع ﴿أَتَتَدْعُوهُمَا﴾ من قبل أنفسهم ﴿مَا كُنَّيْنَاهُمَا عَلَيْهِمَا﴾ ما أمرناهم بها ﴿إِلَّا﴾ لكن فعلوها ﴿آيَةً رِضْوَانٍ﴾ مرضاة ﴿اللَّهُ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا﴾ إذ تركها كثير منهم، وكفروا بدين عيسى، ودخلوا في دين ملكهم، وبقي على دين عيسى كثير منهم فأمنا بنيينا ﴿فَتَأْتِيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ به ﴿مِنْهُمْ أَجْرُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

[٢٨] ﴿يَأْتِيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بعيسى ﴿أَتَقُوا اللَّهَ ءَامِنُوا بِرُسُلِهِ﴾ محمد ﷺ وعيسى ﴿يُؤْتِكُمْ كَفَالَيْنِ﴾ نصيين ﴿بَيْنَ رَحْمَتِهِ﴾ لإيمانكم بالنبين ﴿وَجَعَل لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾ على الصراط ﴿وَيُغْفِرُ لَكُمْ وَأَلَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[٢٩] ﴿لَيْلًا يَلْعَنُ﴾ أي: أعلمكم بذلك، ليعلم ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ التوراة، الذين لم يؤمنوا بمحمد ﷺ ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن، والمعنى: أنهم ﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ خلاف ما في زعمهم أنهم أحباء الله وأهل رضوانه ﴿وَأَنَّ أَفْضَلَ بَيْدَ اللَّهِ يُؤْتِيهِ﴾ يعطيه ﴿مَنْ يَشَاءُ﴾ فأتى المؤمنين منهم أجرهم مرتين، كما تقدم ﴿وَأَلَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

(هـ) ما جاء في نزول الآيات (٢٧ - ٢٩): أخرج النسائي عن ابن عباس قال: كانت ملوك عد عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بدلوا التوراة والإنجيل، وكان فيهم مؤمنون يقرؤون التوراة، قيل للملوكة: ما نجد شئاً أشد من شتم يشموننا هؤلاء؛ إنهم يقرءون: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ وهؤلاء الآيات، مع ما يعيونا به في أفعالنا في قراءتهم، فادعهم فليقرؤا كما نقرأ، وليؤمنوا كما آما، فدعاهم فجمعهم وعرض عليهم الفل أو يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها. فقالوا: ما تريدون إلى ذلك، دعونا، فقالت طائفة منهم: ابنا لنا أسطوانات ثم اقرعونا إليها ثم أعطونا شيئاً نرفع به طعامنا وشرابنا فلا نرد عليكم. وقالت طائفة منهم: دعونا نسيح في الأرض ونهيم ونشرب كما يشرب الوحش، فإن قدركم علينا في أرضكم فاقبلوا، وقالت طائفة منهم: ابنا لنا دوراً في البقياع، ونحفر الآبار ونحترق البقول فلا نرد عليكم ولا نمر بكم، وليس أحد من القبائل إلا وله حميم فيهم. قال ففعلوا ذلك، فأمر الله ﷻ ﴿وَرَهْبَانِيَّةً اتَّخَذُوهَا كَمَا كُنَّيْنَاهُمَا عَلَيْهِمَا إِلَّا آيَةً رِضْوَانٍ﴾ رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا ﴿وَمَا كُنَّيْنَاهُمَا عَلَيْهِمَا﴾ ما أمرناهم بها ﴿إِلَّا﴾ لكن فعلوها ﴿آيَةً رِضْوَانٍ﴾ مرضاة ﴿اللَّهُ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَابِهَا﴾ إذ تركها كثير منهم، وكفروا بدين عيسى، ودخلوا في دين ملكهم، وبقي على دين عيسى كثير منهم فأمنا بنيينا ﴿فَتَأْتِيْنَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ به ﴿مِنْهُمْ أَجْرُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾.

(٤٩) باب (١٢). (صحيح الإسناد موقوف) صحيح سن النسائي (٤٩٩٠).

وقال ابن كثير: «هذا السياق فيه غرابة، وسيأتي تفسير هاتين الآيتين الأخيرتين على غير هذا».

سُورَةُ التَّجَاوُذِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَدَسَمَعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِي يُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ
وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ
مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَاهُنْ أُمَّهُتُهُمْ إِنَّ أُمَّهَتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي
وَلَدَتْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَبَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ
اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ ۝ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ
لِمَا قَالُوا فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا ذَلِكَ نَوْعُ ظُلُونٍ
بِهِ ۝ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ
مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِإِطْعَامُ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۝ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
كَيْتُورًا كَانَتْ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ
وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ
بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوءَ ۝ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝

سُورَةُ التَّجَاوُذِ

[مدنية، اثنتان وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿١﴾ فَدَسَمَعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِي يُجَادِلُكَ ۝ تُرَاجِعُكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ

﴿فِي زَوْجِهَا﴾ المظاهر منها، وكان قال لها: أنت علي كظهر أمي. وقد سألت النبي ﷺ عن ذلك؛ فأجابها بأنها حرمت عليه، على ما هو المعهود عندهم، من أن الظهار مؤجبه فُرقة مؤبدة، وهي خولة^(١) بنت ثعلبة، وهو: أوس بن الصامت ﴿وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾ وحدتها وافتقارها وصبية، صغارا؛ إن ضمنتهم إليه ضاعوا أو إليها جاعوا ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ تراجمكما ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ عالم^(٢).

[٢] ﴿الَّذِينَ يَظْهَرُونَ﴾^(٣) أصله يظهرون؛ أدغمت التاء في الظاء، وفي قراءة^(٤) بألف بين الظاء والهاء الخفيفة، وفي أخرى^(٥): ﴿يَقَاتِلُونَ﴾، والموضع الثاني^(٦) كذلك ﴿مِنْكُمْ مَنْ نَسَاهُمْ مَاهُنْ﴾ أي: نَسَاهُمْ مِنْ نَسَائِهِمْ مَاهُنْ أُمَّهَتُهُمْ إِنْ أُمَّهَتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي بِهَمْزَةٍ وَيَاءٍ وَبِلَا يَاءٍ^(٧) ﴿وَلَدَتْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَبَقُولُونَ مُنْكَرًا مِنْ الْقَوْلِ وَزُورًا﴾ كذبا ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌ غَفُورٌ﴾ للمظاهر بالكفارة.

[٣] ﴿وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ﴾ من نَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا: أي: فيه؛ بأن يخالفوه بامسك المظاهر منها، الذي هو خلاف مقصود الظهار، من وصف المرأة بالتحريم ﴿فَتَحَرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ أي: إعاقها عليه ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ بالوعدة ﴿ذَلِكَ نَوْعُ ظُلُونٍ بِهِ ۝ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٤] ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ﴾ رقة ﴿فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَّا﴾ فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ: أي: الصيام ﴿فِإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا﴾ عليه: أي: من قبل أن يتماسا؛ حملا للمطلق على المقيد؛ لكل مسكين مئذ من غالب قوت البلد ﴿ذَلِكَ﴾ أي: التخفيف في الكفارة ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۝ وَتِلْكَ﴾ أي: الأحكام المذكورة ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بها ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم^(٨).

[٥] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادُّونَ﴾ يخالفون ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ كَيْتُورًا﴾ كذا كَيْتُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ: في مخالفتهم رسوله ﴿وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ﴾ دالة على صدق الرسول ﴿وَلِلْكَافِرِينَ﴾ بالآيات ﴿عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[٦] ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوءَ ۝ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

(١) ما جاء في نزول الآيات (١ - ٤): أخرج أبو داود عن حويلة بنت مالك بن ثعلبة، قالت: ظاهر مني أوس بن الصامت، فجئت رسول الله ﷺ أشكو إليه، ورسول الله ﷺ يجادلني فيه، ويقول: «اتقي الله؛ فإنه ابن عمك». فما برحت حتى نزل القرآن: ﴿فَدَسَمَعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِي يُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ إلى الفرض، فقال: «يعتق رقبة». قالت: لا يجد. قال: «فيصوم شهرين متتابعين». قالت: يا رسول الله، إنه شيخ كبير ما به صيام. قال: «فليطعم ستين مسكينا» قالت: ما عنده شيء يصدق به. قالت: فأني ساعدت بقرقي من تمر. قلت: يا رسول الله، فأني أعينه بقرقي آخر. قال: «قد أحسنت، اذهبي فأطعمي بها عنه ستين مسكينا» وارجعي إلى ابن عمك». قال: والقرقي ستون صاعا. أبو داود - كتاب الطلاق (١٧) في الظهار. حسن دون قوله: «والقرقي ستون صاعا». صحيح سنن أبي داود (١٩٣٤).

(١) ويقال لها أيضا: «خويلة» بالنصغير.

(٢) العلم عبر السمع والبصر؛ فالسمع تدرك به الأصوات، والبصر تدرك به المراتب، والعلم يشمل هذا وغيره، وكلها صفات ثابتة لله ﷻ يجب الإيمان بها على الوجه اللائق به - شيخنا ..

(٣) أي: «يظهرون»، وهي قراءة نافع وإسكندر وعمرو.

(٤) لحمزة والكسائي وابن عامر.

(٥) وهي قراءة عاصم.

(٦) أي: في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْ نَسَائِهِمْ﴾ آية (٣).

(٧) انظر التعليق على كلمة (اللائي) في سورة الأحزاب، الآية (٢).

[٧] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم ﴿أَنَّ اللَّهَ يَتْلُمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ بَعْلَهُ﴾ ^(١) ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[٨] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَبْذُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِنْتِهَارِ وَالْعَدْوَى وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ﴾ هم اليهود، نهاهم النبي ﷺ عما كانوا يفعلون من تناجيهم؛ أي: تحدثهم سرا ناظرين إلى المؤمنين؛ ليقعوا في قلوبهم الريبة ﴿وإِذَا جَاءَكَ حَيْوَكُ﴾ أيها النبي ﴿بِمَا لَمْ يَجِكَ بِهِ اللَّهُ﴾ وهو قولهم: السام عليك؛ أي: الموت ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا﴾ هلا ﴿يُعَذِّبَنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ من النجوة، وأنه ليس بنبي، إن كان نبيا؟ ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا بَصُلُوا﴾ فيئس المصير ﴿هي﴾.

[٩] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِنْتِهَارِ وَالْعَدْوَى وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِاللَّيْلِ وَالنَّهْيِ وَأَنْقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾.

[١٠] ﴿إِنَّا أَلْتَجَوْنَا﴾ بالانتم ونحوه ﴿مِنَ الشَّيْطَانِ﴾ بغروره ﴿لِيُخْرِتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ هُوَ﴾ يضاروهم شيئا ﴿إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي: إرادته ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١١] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَحُوا﴾ توسعوا ﴿فِي الْمَجْلِسِ﴾ ^(٢) مجلس النبي ﷺ والذكر حتى يجلس من جاءكم، وفي قراءة: ﴿الْمَجْلِسِ﴾ ﴿فَاتَّخُوا بِسْمِ اللَّهِ لَكُمْ﴾ في الجنة ﴿وإِذَا قِيلَ [انْشُرُوا]﴾ قوموا إلى الصلاة وغيرها من الخيرات ﴿فَانْشُرُوا﴾ ^(٣)، وفي قراءة: بضم الشين فيهما ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ بالطاعة في ذلك ﴿وَذُ﴾ يرفع ﴿الَّذِينَ أَوْفُوا أَلِيمَةً دَرَجَتٍ﴾ في الجنة ﴿بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا ثُمَّ يَنْتَهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى ثُمَّ يَبْذُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَيَتَنَجَّوْنَ بِالْإِنْتِهَارِ وَالْعَدْوَى وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءَكَ حَيْوَكُ بِمَا لَمْ يَجِكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا بَصُلُوا فَانْهَ الْفِتْنَةَ الْمَصِيرُ ﴿١١﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِنْتِهَارِ وَالْعَدْوَى وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَجَّوْا بِاللَّيْلِ وَالنَّهْيِ وَأَنْقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا أَلْتَجَوْنَا مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُخْرِتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ فَتَحُوا فِي الْمَجْلِسِ فَاتَّخُوا بِسْمِ اللَّهِ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُرُوا فَانْشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أَوْفُوا أَلِيمَةً دَرَجَتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٤﴾

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرج مسلم عن عائشة قالت: أتى النبي ﷺ أناس من اليهود فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم! قال: «وعليكم»، قالت عائشة: قلت: بل عليكم السام والذام، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، لا تكوني فاحشة» فقالت: وما سمعت ما قالوا؟ فقال: «ألو ليس قد رددت عليهم الذي قالوا، قلت: وعليكم»، فأقول الله ﷻ: ﴿وإِذَا جَاءَكَ حَيْوَكُ بِمَا لَمْ يَجِكَ بِهِ اللَّهُ﴾ إلى آخر الآية. مسمم، كتاب السلام (٣٩) باب (٤) الهني عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام.

(١) أي: وهو فوق عرشه بداته المقدسة، لا يخفى عليه شيء من خلقه، وسبق بيان قسيمي المعية العام والخاص وبيان حقيقتها في آخر سورة النحل.

(٢) وهي قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ عاصم: ﴿الْمَجْلِسِ﴾.

(٣) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو وشعبة بخلاف عنه، وقرأ بقية السبعة، وهو الوجه الثاني للشعبة: ﴿فَانْشُرُوا﴾ فأنشروا، بضم الشين فيهما.

فلا عليكم في المناجاة من غير صدقة.

[١٣] ثم نسخ ذلك بقوله: ﴿ءَأَشْفَقْتُمْ﴾ بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفاً وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه^(١) أي: خفتم من أن تقدموا بين يدي نوحكم صدقة^(٢) لفقر ﴿لَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا﴾ الصدقة ﴿وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ رجع بكم عنها ﴿فَأَقِمْوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ أي: داوموا على ذلك ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٤] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تنظر ﴿إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا﴾ هم المنافقون ﴿قَوْمًا﴾ هم اليهود ﴿غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ﴾ أي: المنافقون ﴿بِئْسَ كُفْرًا﴾ من المؤمنين ﴿وَلَا يَتُوبُ﴾ من اليهود، بل هم مذنبون ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ﴾ أي: قولهم: إنهم مؤمنون ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾ أنهم كاذبون فيه^(٣).

[١٥] ﴿أَمَدَ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[١٦] ﴿أَتَخَذُوا بَيْتَهُمْ جُنَّةً﴾ سترًا على أنفسهم وأموالهم ﴿فَصَدَّوْا﴾ بها المؤمنين ﴿عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: الجهاد فيهم، بقتلهم وأخذ أموالهم ﴿فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ ذو إهانة.

[١٧] ﴿لَنْ تَنفَعَكَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه ﴿سَيَكُنْ﴾ من الإغناء ﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

[١٨] اذكر ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ﴾ أنهم مؤمنون ﴿كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ﴾ ويحسبون أنهم على شيء من نفع حلفهم في الآخرة كالدينا ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾.

[١٩] ﴿أَسْتَعْتَذِرُ﴾ استولى ﴿عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ﴾ بطاعتهم له ﴿فَأَسْتَهْمُ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبَ الشَّيْطَانِ﴾ أتباعه ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

[٢٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ﴾ يخالفون ﴿اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَى﴾ المولجين.

[٢١] ﴿كَتَبَ اللَّهُ﴾ في اللوح المحفوظ، أو: قضى ﴿لَأَعْلِيَنَّكَ أَنَا وَرُسُلِي﴾ بالحجة، أو: السيف^(٤) ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَّ جَيْشُ الرَّسُولِ فَقَدِ مُوَابِّينَ يَدَى جُنُودِهِ صَدَقَهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تُجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى جُنُودِكُمْ صَدَقَتْ فَإِذَا لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِمْوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ءَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ اتَّخَذُوا بَيْتَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ فَالَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١٨﴾ لَنْ تَنفَعِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٩﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ ءَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٠﴾ أَسْتَعْتَذِرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَالَسَّ هُمْ ذَكَرَ اللَّهُ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ءَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَى ﴿٢٢﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلِيَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ءَاتِ اللَّهُ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٣﴾

[١٢] ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَّ جَيْشُ الرَّسُولِ﴾ أردتم مناجاته ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَى جُنُودِكُمْ﴾ قبلها ﴿صَدَقَهُ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ لذنوبكم ﴿فَإِنْ لَمْ تُجِدُوا﴾ ما تصدقون به ﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ لمناجاتكم ﴿رَحِيمٌ﴾ بكم؛ يعني:

(٥) ما جاء في نزول الآيتين (١٤، ١٨): أخرج أحمد عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ جالسا في ظل حجرته... فقال لبعض أصحابه: «يجيئك رجل ينظر إليكم بعين شيطان، فإذا رأيتموه فلا تكلموه، فجاه رجل أزرى، فلما رآه النبي ﷺ دعاه، فقال: علام تشمتني أنت وأصحابك؟ قال: كما أنت حتى أتيتك بهم، قال: فذهب فجاء بهم فجعلوا يحلفون بالله ما قالوا وما فعلوا، وأنزل الله ﷻ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُمْ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكَ﴾ إلى آخر الآية. أحمد - للسند (١/ ٣٥٠). ونحوه في (١/ ٢٤٠) لكن فيه نزلت هذه الآية في المجادلة: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

وصحح الشيخ أحمد شاكر إسناده في السند (١٧/ ١٧٤، ١٨) رقم (٢١٤٧)، وحسن الأرنؤوط إسناده في تخريجه على السند (٤٨/ ٤).

(١) انظر التعليق على الآية رقم (١٧) من سورة الفرقان.

(٢) أو: بهما جميعا.

[٦] ﴿وَمَا آفَاءُ اللَّهِ﴾ رد ﴿اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَرْجَفْتُمْ﴾ أسرعتهم يا مسلمون ﴿عَلَيْهِمْ مِنْ﴾ زائدة ﴿حَبْلِ وَلَا رِكَابٍ﴾ إيل؛ أي: لم تقاسوا فيه مشقة ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا حق لكم فيه، ويختص به النبي ﷺ، ومن ذكر معه في الآية الثانية من الأصناف الأربعة على ما كان يقسمه؛ من أن لكل منهم خمس الخمس، وله ﷺ الباقي، يفعل فيه ما يشاء؛ فأعطى منه المهاجرين، وثلاثة من الأنصار^(١) لفقيرهم.

[٧] ﴿مَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾ «كالصفراء» و«وادي القرى» و«يثع» ﴿فَلْيَوَّعْ﴾ يأمر فيه بما يشاء ﴿وَالرُّسُولُ﴾ والذين صاحب ﴿الْقُرَى﴾ قرابة النبي؛ من بني هاشم وبني المطلب ﴿وَالْيَتَامَى﴾ أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم وهم فقراء ﴿وَالْمَسْكِينُ﴾ ذوي الحاجة من المسلمين ﴿وَأَنْ تَسَلِّطُوا﴾ المنقطع في سفره من المسلمين؛ أي: يستحقه النبي ﷺ والأصناف الأربعة على ما كان يقسمه من أن لكل من الأربعة خمس الخمس، وله الباقي ﴿كُنْ لَا﴾ «كي» بمعنى اللام، و«أن» مقدرة بعدها ﴿يَكُونُ﴾ الفيء؛ علة لنفسه كذلك ﴿دَوْلَةٌ﴾ متداولاً ﴿بَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ ينقسمون ﴿وَمَا ءَاتَاكُمْ﴾ أعطاكم ﴿الرُّسُولُ﴾ من الفيء وغيره ﴿فَحْذَرُوا﴾ وما تنهكهم عنه فأنهوا وأتقوا الله إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ.

[٨] ﴿لِلْفُقَرَاءِ﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: اعجبوا^(٢) ﴿الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ﴾

[٩] ﴿وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ﴾ أي: المدينة ﴿وَالْإِيمَانَ﴾ أي: الفداء، وهم الأنصار ﴿مِنْ قَبْلِهِمْ يُجِئُونَ مِنْ هَاجَرٍ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً﴾ حسداً ﴿وَمِمَّا أَرْثَوْا﴾ أي: أتى النبي ﷺ المهاجرين من أموال بني النضير المختصة بهم ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ حاجة إلى ما يؤثرون به ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ﴾ حرصها على المال ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾^(٣).

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقَرُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْوهَا قَاطِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَاِذْنَ اللَّهُ وَبِخَرَى الْفَنَاسِقِينَ ﴿٧﴾ وَمَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ حَبْلِ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ مَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرُّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَنْ لَا يَكُونُ دَوْلَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٩﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ بَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُجِئُونَ مِنْ هَاجَرٍ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أَرْثَوْا وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١١﴾

[٤٦] ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقَرُوا﴾ خالفوا ﴿اللَّهُ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ له.

[٥٦] ﴿مَا قَطَعْتُمْ﴾ يا مسلمون ﴿مِنْ لَيْنَةٍ﴾ نخلة ﴿أَوْ نَرَكْتُمْوهَا﴾ قَاطِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَاِذْنَ اللَّهُ؛ أي: خيّركم في ذلك ﴿وَبِخَرَى﴾ بالإذن في القطع ﴿الْفَنَاسِقِينَ﴾ اليهود، في اعتراضهم أن قطع الشجر الشمر فساد^(٤).

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرجه الترمذي عن ابن عباس في قوله ﷺ: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْوهَا قَاطِمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَاِذْنَ اللَّهُ﴾ قال: اللينة: النخلة. ﴿وَبِخَرَى الْفَنَاسِقِينَ﴾ قال: استنزولهم من حصونهم، قال: وأمروا بقطع النخل فحك في صدورهم. فقال المسلمون: قد قطعنا بعضاً وتركنا بعضاً، فلنسال رسول الله ﷺ هل لنا فيما قطعنا من أجر؟ وهل علينا فيما تركنا من وزر؟ فأقول الله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لَيْنَةٍ أَوْ نَرَكْتُمْوهَا قَاطِمَةً عَلَى أُصُولِهَا﴾ الآية. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٥٩) ومن سورة الحشر. (صحيح الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٣١). وهو في الصحيح عن ابن عمر مختصراً.

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٩): أخرجه البخاري عن أبي هريرة ﷺ قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله أصابني الجهد، فأرسل إلى نساء فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: ألا رجل يصفيه الليلة بريحه الله؟ فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله، فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخره شيئاً. فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية. قال: فإذا أراد الصبية العشاء فومئهم، وتعالى فأطعني السراج ونظري بطوننا الليلة، ففعلت. ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: لقد عجب الله ﷻ. أو ضحك. من فلان وفلانة. فأذن الله ﷻ: ﴿وَيُؤْتُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾. البخاري. التفسير (٦٥) سورة الحشر (٥٩) باب (٦).

(١) هم: أبو دجانة يملك بن حرسة، وشهبل بن حنيفة، والحاتر بن العشة. وقال ابن إسحاق: بل أعطى اثنين فقط؛ أبا دجانة وسهلاً.

(٢) الأقرب أن الكلام متعلق بما قبله، وهو قوله: ﴿هَذَا آفَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ﴾، فالعنى: الفيء والغنائم لهؤلاء الفقراء من المهاجرين والأنصار.

﴿كَانَ﴾ أي: «أَنَّهَا» فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ أي: الكافرين.

[١٨] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ يوم القيامة ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

[١٩] ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ أن يقدموا لها خيرا ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. تركوا طاعته ﴿فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾.

[٢٠] ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾.

[٢١] ﴿أَوَ أَنْزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ وجعل فيه تمييز كالإنسان ﴿وَلَأَنزَلْنَاهُ فَنُصَدِّعًا مِّنْهُ خَشْيَةَ اللَّهِ فَإِذَا هُوَ لَمْ يَكُن لَّهُ مَلْجَأٌ مِّنْهُ﴾ المذكورة ﴿فَنُصَرِّفُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فيؤمنون.

[٢٢] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ السر والعلانية ﴿هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾.

[٢٣] ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ﴾ الطاهر عما لا يليق به ﴿الْقَلَمُ﴾ ذو السلامة من النقائص ﴿الْمُؤْمِنُ﴾ المصدق رسله، بخلق المعجزة لهم^(١) ﴿الْمُهَيَّمُ﴾ من هيمن بهيمن؛ إذا كان رقيبا على الشيء؛ أي: الشهيد على عبادته بأعمالهم ﴿الْعَزِيزُ﴾ القوي ﴿الْجَبَّارُ﴾ جبر خلقه على ما أراد ﴿الْمُنْكَرُ﴾ عما لا يليق به ﴿سُبْحَنَ اللَّهِ﴾ نزه نفسه ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ به.

[٢٤] ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ﴾ المنشئ من العدم ﴿الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ التسعة والتسعون الوارد بها الحديث^(٢)، و«الحسنى» مؤنث الأحسن ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ تقدم أولها.

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٢٠﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢١﴾ وَلَأَنزَلْنَاهَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لِّرَأْسِهِ خَشِيعًا مُّصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ لِنَصْرِهَا لِنَأْتِي لَهَا بِآيَاتٍ يُنْفَكُّونَ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَنَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٤﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٥﴾

سُورَةُ الْحُسْرِ

[١٧] ﴿فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا﴾ أي: الغاوي والمغوي، وقرئ^(١): بالرفع؛ اسم

(١) أي: شذوذاً.

(٢) وقيل: الذي يؤمن خلقه من ظلمه، وقيل غير ذلك، وهذا من التفسير الجزئي، وهو يشمل ذلك كله.

(٣) سبق التنبيه إلى أن الأسماء الحسنى أكثر من ذلك ولا يحصيها إلا الله ﷻ، وأن الحديث إنما هو في فضل من يحصي تسعة وتسعين اسماً منها.

﴿وَاللَّهُ قَدِيرٌ﴾ على ذلك، وقد فعله بعد فتح مكة ﴿وَاللَّهُ عَفُورٌ﴾ لهم ما سلف ﴿رَحِيمٌ﴾ بهم.

[٨] ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَا يَخْرُجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ﴾ بدل اشتمال من «الذين» ﴿وَتُقْسِطُوا﴾ تقضوا ﴿إِلَيْهِمْ﴾ بالقسط، أي: بالعدل، وهذا قبل الأمر بجهادهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ العادلين^(١).

[٩] ﴿إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ﴾ عاونوا ﴿وَعَلَىٰ إخراجكم أَنْ تَوَلَّوهُمْ﴾ بدل اشتمال من «الذين» أي: تتخذوهم أولياء ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

[١٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ بالسنتهن ﴿مُهَاجِرَاتٌ﴾ من الكفار، بعد الصلح معهم في الحديبية، على أن من جاء منهم إلى المؤمنين يُرَدُّ ﴿فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ بالخلف على أنهن ما خرجن إلا رغبة في الإسلام، لا بغضا لأزواجهن الكفار، ولا عشقا لرجال من المسلمين، كذا كان ﷺ يُحْلِفُهُنَّ ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُنَّ﴾ فإن عَمَسُوهُنَّ ظننتوهن بالخلف ﴿مُؤَيَّنَاتٌ﴾ فلا ترجوهن ﴿تَرُدُّوهن إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ بِشْرُهُ﴾ إذا عَمَسُوهُنَّ بُعِثْنَ إِلَى الْكُفَّارِ ﴿وَبَعْضُهُنَّ زَوَّجْتُمْ﴾ بالشديد والتخفيف^(٢) ﴿بَعْضُهُنَّ زَوَّجْتُمْ﴾ لقطع إسلامكم لها بشرطه، أو اللاحقات بالمشركين مرتدات، لقطع ارتدادهن نكاحكم بشرطه ﴿وَسَلُّوا﴾ اطلبوا ﴿مَا أَنْفَقْتُمْ﴾ عليهن من المهور، في صورة الارتداد. من تزوجهن من الكفار ﴿وَلَيْسَ لَهُنَّ مَا أَنْفَقُوا﴾ على المهورات كما تقدم أنهم يؤتونه ﴿وَلَكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾ به ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾^(٣).

[١١] ﴿وَرَأَىٰ فَاكْرُؤُنَّ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: واحدة فأكثر منهن، أو شيء من مهورهن بالذهب ﴿إِلَى الْكُفَّارِ﴾ مرتدات ﴿فَقَاتِلْنَهُنَّ﴾ فغزوتن وغنمن ﴿فَقَاتِلُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ﴾ مَثَلُ مَا أَنْفَقُوا لِقواتهن عليهن من جهة الكفار ﴿وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَشْرَبَهُنَّ بِمُؤْمِنَاتٍ﴾ وقد فعل المؤمنون ما أمروا به من الإيتاء للكفار والمؤمنين، ثم ارتفع هذا الحكم^(٤).

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَنْ يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٠﴾ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَعَلَىٰ إخراجكم أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَمَسُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٌ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَهُنَّ مَا أَنْفَقُوا وَلَا جُنَاحُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ وَلَا تَمْسِكُوا بِهِنَّ كَمَا يَمْسِكُ الَّذِينَ يَنْكِحُونَ الْمُؤْمِنَاتِ اللَّاتِي لَا يَحِلُّ لَكُنَّ عَمَسُوا مَا أَنْفَقُوا ذَلِكَ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٤﴾ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَابَقْتُمْ فَاقْتُلُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا وَأَنْفَقُوا اللَّهُ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾

[٦] ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ﴾ يا أمة محمد، جواب قسم مقدر ﴿فِيهِمْ﴾ إشارة ﴿حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ﴾ بدل اشتمال من «كم»^(١) بإعادة الجار ﴿يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ أي: يخافهما، أو: يظن الثواب والعقاب ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ﴾ بأن يوالي الكفار ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ﴾ عن خلقه ﴿الْحَمِيدُ﴾ لأهل طاعته.

[٧] ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ﴾ من كفار مكة، طاعة لله - تعالى - ﴿مَوْدَّةً﴾ بأن يهديهم للإيمان، فيصيروا لكم أولياء

(٥) ما جاء في نزول الآية (٨): أخرج البخاري عن الحميدي عن سفيان بن عيينة ... عن أسماء ابنة أبي بكر - رضي الله عنها - قالت: أتني أمي وهي رغبة، في عهد النبي ﷺ فسألت النبي ﷺ: أصلهما؟ قال: نعم. قال ابن عيينة: فأنزل الله - تعالى - فيها: ﴿لَا يَنْهَكُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ﴾. البخاري - كتاب الأدب (٧٨) باب (٧) صلة الوالد المشرك.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٠): أخرج البخاري عن مروان والمصور بن مخزومة - رضي الله عنهما - يخبران عن أصحاب رسول الله ﷺ قال: لما كاتب سهيل بن عمرو يومئذ كان فيما اشترط سهيل ابن عمرو على النبي ﷺ: أنه لا يأتيك منا أحد - وإن كان على دينك - إلا رددته إلينا... وجاء المؤمنات مهاجرات، وكانت أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط من خرج إلى رسول الله ﷺ يومئذ - وهي عاتق - فجاهأ أهلها يسألون النبي ﷺ أن يرجعها إليهم، فلم يرجعها إليهم ما أنزل الله فيهن: ﴿إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَاْمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾. البخاري - كتاب الشروط (٤٥) باب (١) ما يجوز من الشروط في الإسلام.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن الزهري قال عروة: فأخبرتني عائشة أن رسول الله ﷺ كان يمنهن. وبلغنا أنه لما أنزل الله - تعالى - أن يردوا إلى المشركين ما أنفقوا على من هاجر من أزواجهن، وحكم على المسلمين أن لا يمسكوا بهن كالكافر - أن عمر طلق امرأتين: قريبة بنت أبي أمية، وابنة جرو. فتزوج قريبة مدوية، وتزوج الأخرى أبو جهل، فلما أبى الكفار أن يقرؤا بأداء ما أنفق المسلمون على أزواجهن أنزل الله - تعالى -: ﴿وَرَأَىٰ فَاكْرُؤُنَّ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ إلى الكفار مَكَاتِلَهُمْ. والعقب: ما يؤدي المسلمون إلى من هاجرت امرأته من الكفار، فأمر أن يعطي من ذهب له زوج من المسلمين ما أنفق من صدقات نساء الكفار اللائي هاجرن. وما تعلم أحدًا من المهاجرات ارتدت بعد إيمانها. البخاري - السابق باب (١٥) الشروط في الجهاد.

(١) أي في قوله: «ولكم».

(٢) أي: الذين هم أزواجهن.

(٣) بالشديد قراءة أبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِبَنَّ عَلَيْكَ أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٢﴾

سُورَةُ الصَّفِّ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقِيمُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوفٍ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَهْدِيكُمْ اللَّهُ نَجَاتِي وَأَنَا لِرَسُولِ اللَّهِ إِيَّكُمْ قَلَمًا زَانِعًا ﴿٥﴾ أَرَأَيْتُمْ لَكُمْ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾

صَفًّا: حال؛ أي: صافين ﴿كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرْصُوفٍ﴾: ملزق بعضهم إلى بعض، ثابت.

[٥] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يُقِيمُوا لِي تَقْوَى لَمْ تُؤْذُونَنِي﴾ قالوا: إنه أدر؛ أي: منتفخ الحصية، وليس كذلك وكذبوه ﴿وَقَدْ﴾: للتحقيق (٥) ﴿تَقُولُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾: الجملة حال، والرسول يحترم ﴿فَلَمَّا رَاكَعُوا﴾: عدلوا عن الحق بإيدائه ﴿أَرَأَيْتُمْ لَكُمْ قُلُوبُهُمْ﴾: أمالها عن الهدى، على وفق ما قدره في الأزل ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾: الكافرين في علمه.

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرجه أحمد عن عبد الله بن سلام قال: تذاكرنا بيتنا، فقلنا: أيكم يأتي رسول الله ﷺ فيسأله أي الأعمال أحب إلى الله؛ وهبنا أن يقوم أحد، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً، حتى جمعنا، فجعل بعضنا يشير إلى بعض، فقرأ علينا رسول الله ﷺ: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿كَبُرَ مَقْتًا﴾. قال: ففلاها من أولها إلى آخرها. أحمد. المسند (٥/٤٥٢)، والترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٦١). (صحيح) صحيح سنن الترمذي (٢٦٣٦).

(١) كما في الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ... فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات؛ قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتك» كلاماً، ولا والله، ما شئت بذه يد امرأة قط في المبايع؛ ما يبايعهن إلا بقوله: «قد بايعتك على ذلك» البخاري (٤٨٩١)، ومسلم (١٨٦٦). وعند النسائي وغيره من حديث أمية بنت رقيقة: «إني لا أصافح النساء»، وهو في صحيح سنن الترمذي. (٣٨٩٧). فهذا الحديث دليل صريح على عدم جواز مصافحة المرأة الأجنبية؛ لأننا مأمورون بالتأسي بالرسول ﷺ في قوله. تعالى: «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَكَرِهَ اللَّهُ عِزًّا» [الأحزاب: ٢١].

(٢) سبق التعليل على ذلك بأن الأولى التعميم في متعلق الحكمة، وليس تخصيصها بصنعه سبحانه وتعالى فقط.

(٣) يشير إلى ما جاء عن محمد بن كعب في سبب نزول الآية، قول طائفة من الصحابة بعد ما سمعوا مدح الجهاد؛ فقالوا: «ولئن لقينا قتالاً لثغر عرق فيه وسعنا» ففروا يوم أحد؛ فعظمهم الله بعباده الآية.

(٤) تفسير محبة الله لعباده بالصر والإكرام والإلانة ونحو ذلك، من التأويل المذموم وصراف للفظ عن ظاهره، ومذهب السلف إثبات هذه الصفة وغيرها لله ﷻ على الوجه الثلاثي به، ومن لا رمها نصرة وإكرام وثابة من يحبهم.

(٥) راسع التعليق على آية [١٠٣] من سورة النحل، في دخول «قد» على الفعل المضارع.

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يَبَاعِبَنَّ عَلَيْكَ أَنْ لَا يُشْرِكَنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ كما كان يفعل في الجاهلية، من وأد البنات؛ أي: دفنهن أحياء، خوف العار والفقر ﴿وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ أي: بولد ملفوط، ينسبه إلى الزوج، ووصف بصفة الولد الحقيقي، فإن الأم إذا وضعت سقط بين يديها ورجليها ﴿وَلَا يَعْصِيَنَّكَ فِي﴾ فعل ﴿مَعْرُوفٍ﴾ هو ما وافق طاعة الله؛ كترك النجاسة، وتزويق الشباب، وجز الشعر، وشق الجيب، وخمش الوجه ﴿فَبَايِعَهُنَّ﴾ فعل ذلك ﷺ بالقول، ولم يضاف واحدة منهن (١) ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

[١٣] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هُمُ الْيَهُودُ قَدْ يَسْأَلُونَ مِنَ الْآخِرَةِ﴾ من ثوابها، مع إيقانهم بها، لعنادهم النبي مع علمهم بصدقه ﴿كَمَا يَسْأَلُ الْكُفَّارُ﴾: الكائنون ﴿مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ أي: المقبورين، من خير الآخرة؛ إذ تعرض عليهم مقاعدهم من الجنة لو كانوا آمنوا وما يصيرون إليه من النار.

سُورَةُ الصَّفِّ

مكية، أو مدنية، أربع عشرة آية (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: نزهه، فاللام مزيدة، وجيء بها «دون» تغنيًا لأكثر ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمُ﴾ في صنعه (٢).

[٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ في طلب الجهاد ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ إذ انهزمتم بأحد (٣).

[٣] ﴿كَبُرَ عَظَمَ مَقْتًا﴾ تمييز ﴿عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ فاعل «كَبُرَ» ﴿مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾.

[٤] ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْيُسْرَ وَيَكْرَهُ الْكَثْرَ﴾ يفتنون في سبيلهم.

الْإِسْلَامَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٠﴾ الْكَافِرِينَ.

[٨] ﴿يُخَيِّدُونَ﴾ ﴿طِفْلًا﴾ منصوب بـ﴿أَنْ﴾ مقدرة، واللام مزيدة ﴿يُورِثُونَ﴾ ﴿أُمَّةً﴾ شرعة وبإبراهيم ﴿يَأْفُقُهُمْ﴾ بأقوالهم: إنه سحر وشعر وكهانة ﴿وَاللَّهُ﴾ ﴿مُظْهِرٌ﴾ ﴿لِلنُّجُومِ﴾ وفي قراءة: بالإضافة ﴿وَلَوْ﴾ ﴿كَرِهَ﴾ ﴿الْكَافِرُونَ﴾ ذلك.

[٩] هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ ۖ يَعْلَمُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ ۚ جَمِيعَ الْأَدْيَانِ الْخَالِفَةَ لَهُ ۖ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۚ

ذلك (٤).

[١٠] ﴿يَتَابِعُهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تَحْرِيرِ نُجُحِكُمْ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٤) ﴿مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم، فكأنهم قالوا: نعم، فقال:

[١١] ﴿تَوَمَّنْ﴾ تَدُومُونَ عَلَى الْإِيمَانِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَتَجِدُون فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَتَمَلَّكُكُمْ وَانْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ لَّكُمْ فافْعَلُوهُ.

[١٢] ﴿يَغْفِرُ﴾ ﴿جواب شرط مقدراً﴾ أي: إن تفعلوه يغفر ﴿لَكُمْ﴾ ﴿ذُنُوبَكُمْ﴾ ﴿وَيُبَدِّلْ لَكُمْ جَنَّتَكُمْ مَعَىٰ مَنْ تَحِبَّاهُمْ﴾ ﴿وَمَكِّنْ لَكُمْ فِي جَنَّتِ عَدْنٍ﴾ ﴿إِمَامَةً﴾ ﴿ذَلِكَ﴾ ﴿قَوْلُ الْمَلِكِ﴾.

[١٣] ﴿وَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنَةِ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنَةِ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنَةِ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى الْفِتْنَةِ﴾
يُؤْتِكُمْ نِعْمَةً ﴿أُخْرَىٰ تَجُودُهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَنَصْرٌ
لِّمُؤْمِنِينَ﴾ بالنصر والفتح.

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارًا لِلَّهِ﴾^(١)، لدينه، وفي قراءة بالإضافة ﴿كَمَا قَالَ﴾ إلخ؛ المعنى: كما كان الحواريون كذلك، الدال عليه: قال ﴿يَسَىٰ مَرْءَ الْخَوَارِجِ مَنَاصِرَ إِلَى اللَّهِ﴾ أي: من الأنصار الذين يكونون معي، وتوجهها إلى نصرته الله؟ ﴿فَالَّذِي الْخَوَارِجُ تَحَنُّ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾ والحواريون: صفياء عيسى، وهم أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً، من الحوَر، وهو صفياء الخالص، وقيل: كانوا قصارين يحورون الثياب؛ أي: يبيضونها ﴿فَتَأَمَّنَ طَائِفَةٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ بعيسى^(٢)، وقالوا: إنه عبد الله رُفِعَ إلى سماء ﴿وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ لِّقَوْلِهِم: إِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ رَفَعَهُ إِلَيْهِ، فَاسْتَلَتْ الطَّائِفَتَانِ الْكَافِرَةَ الْكَافِرَةَ﴾ ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾ من الطائفتين ﴿عَلَىٰ عَذَابٍ﴾ الطائفة الكافرة ﴿فَأَسْحَبُوا طَائِفِينَ﴾ غالين.

* * *

وَأَذَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا
بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا
جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى
اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
﴿٢﴾ يُرِيدُونَ لِيطْفئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُنِيرُ نُّورِهِ وَلَوْ كَرِهَ
الْكُفْرُونَ ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلِ الْكِتَابِ كُلِّي
خَيْرَ تُحْسِنُ كَمَا مَنَعَ عَذَابَ آلِيمٍ ﴿٥﴾ تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَيَجْعَلْ يُغْنِدُونِ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ دَلَكُمْ خَيْرَ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾
بَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ
طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا أَنْصَرُ
مَنْ اللَّهُ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ مُبِينٌ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا
أَنْصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ
قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ فَأَمَّا أَنْتَ عَلِيٌّ فَقَامَتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ
وَكَفَرَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴿٩﴾

[٦] ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ لم يقل: يا قوم؛ لأنه لم يكن له فيهم قرابة ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ﴾ قلبي ﴿وَمُبَشِّرًا بِرُسُولِي﴾ يأتي من بعدى منهم ﴿أَحْمَدٌ﴾ قال - تعالى -: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ﴾ جاء أحمد الكفار ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الآيات والعلامات ﴿قَالُوا هَذَا أَيُّ الْاِخْيَةِ بِهِ﴾ سيحرج وفي قراءة^(١): ﴿سَاحِرٌ﴾ أي: الجاني به ﴿يُنِيبُ﴾ يبين.

[٧] وَمَنْ أَشَدُّ ظُلْمًا مِّنَ الَّذِي هُوَ يَدْعُنَا إِلَى الْكُذْبِ بِنِسْبَةِ الشَّهِيدِ وَالْوَلَدِ إِلَيْهِ، وَوَصَفَ آيَاتِهِ بِالْمَاجِدِ، وَهُوَ يَدْعُنَا إِلَى

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد ثلاث والعزى». فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن أن نزل الله: ﴿هُوَ الذِّكْرُ الْأَسَدُ﴾ رَسُولُهُ الْهُدَى وَبَيْنَ الْحَيِّ يُظَاهَرُ عَلَى الذِّكْرِ كَلِمَةً أَكْثَرُ تَأَمَّلًا. قال: إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله رجلاً طيبة فترفي كل من في قلبه مشغال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم. مسلم - كتاب الفتن وأشراط الساعة (٥٢) باب (١٧) لا تقوم الساعة حتى تعبد نود دأ الحليصة.

(١) قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي رحمته الله في تعليقه على الجلالين ص (١٧٢): الأولى أن يقال: ناداهم بذلك تذكيراً لهم بأنهم يعقوب؛ ليستميل بذلك قلوبهم إلى سلوك منح أيهم...

(٢) لحمزة والكسائي.

(٣) لنافع وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ نقيية السعة بالإضافة: «متم نور».

(٤) بالتشديد قراءة ابن عامر.

(٥) وهي قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالإضافة؛ **﴿أَنْصَارَ اللَّهِ﴾**.

(٦) في نسخة القاضي: «جيسي ابن مريم».

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

[مدنية، إحدى عشرة آية]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَسْجُدْ لِلَّهِ بِرُؤُوسِهِ، فَالْأَمْرُ زَائِدَةٌ﴾ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴿مَا تَغْلِبُ لِلْكَثَرِ﴾ الْكَثَرُ الْقُدُوسُ الْمُنَزَّهَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ الْفَرِيزُ الْمَكِيدُ فِي مَلِكِهِ وَصْنَعِهِ.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ الْعَرَبَ وَالْأُمِّيَّ: مَنْ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ كِتَابًا﴾ رَسُولًا مِنْهُمْ هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ﴾ الْقُرْآنَ ﴿وَزَكَاةً﴾ يَطْهَرُهُمْ مِنَ الشَّرِكِ ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ﴾ الْقُرْآنَ ﴿وَالْحِكْمَةَ﴾ مَا فِيهِ مِنَ الْأَحْكَامِ ﴿وَلَنْ﴾ مُحَقَّقَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ، وَاسْمُهَا مَحْذُوفٌ؛ أَي: وَانْهَمُ ﴿كَانُوا مِنْ قَبْلُ﴾ قَبْلَ مَجِيئِهِ ﴿لَقَدْ ضَلَلْنَا مُبِينٌ﴾ يَتَنَ.

[٣] ﴿وَالْآخَرِينَ﴾ عَطَفَ عَلَى ﴿الْأَوَّلِينَ﴾ أَي: الْمُجُودِينَ مِنْهُمْ وَالْآخِينَ مِنْهُمْ بَعْدَهُمْ ﴿لَنَّا﴾ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ فِي السَّابِقَةِ وَالْفَضْلِ (١) ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ فِي مَلِكِهِ وَصْنَعِهِ وَهُمْ النَّاعُونَ (٢)، وَالْإِقْتِصَارُ عَلَيْهِمْ كَافٍ فِي بَيَانِ فَضْلِ الصَّحَابَةِ الْمَبْعُوثِ فِيهِمُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى مَنْ عَدَاهُمْ، مَنْ بَعَثَ إِلَيْهِمْ وَأَمَنُوا بِهِ، مِنْ جَمِيعِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهُ كُلُّ قَرْنٍ خَيْرٌ مِنْ يَلِيهِ.

[٤] ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ النَّبِيِّ وَمَنْ ذَكَرَ مَعَهُ ﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

[٥] ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الصَّالَةَ﴾ كُفُّوا الْعَمَلَ بِهَا ﴿ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ لَمْ يَعْمَلُوا بِمَا فِيهَا، مِنْ نَعْتِهِ ﷺ، فَلَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ ﴿كَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَشْقَارًا﴾ أَي: كَثِيرًا؛ فِي عَدَمِ انْتِفَاعِهِ بِهَا ﴿يَتَسَّ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ الْمُسَدَّدَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَالْخُصُوصُ بِالذِّمِّ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: هَذَا الْمَثَلُ ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الْكَافِرِينَ.

[٦] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَيْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ تَعْلَقُ بِ«تَمَنَّا» الشَّرْطَانِ عَلَى أَنَّ الْأَوَّلَ قِيدٌ فِي الثَّانِي؛ أَي: إِنْ صَدَقْتُمْ فِي زَعْمِكُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ، وَالْوَلِيُّ يُؤَثِّرُ الْآخِرَةَ

(ه) فائدة: أخرجه مسلم عن ابن عباس أن النبي ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين. مسلم. كتاب الجمعة (٧) باب (١٧) ما يقرأ في يوم الجمعة.

(١) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: كنا جوساً عند النبي ﷺ فأثرت عليه سورة الجمعة: ﴿وَالْآخَرِينَ مِنْهُمْ لَنَّا يُلْحَقُوا بِهِمْ﴾، قال: قُتِ: مَنْ هُم يَرْسُولُ اللَّهُ؟ فَلَمْ يَرَجِعْهُ حَتَّى سَأَلَ ثَلَاثًا - وَفِينَا سُلَيْمَانُ الْفَارَسِيُّ - وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى سُلَيْمَانَ، ثُمَّ قَالَ: «لَوْ كَانَ الْإِيمَانُ عِنْدَ أَثَرِيَا لَنَالَهُ رِجَالٌ أَوْ رَجُلٌ مِنْ هَؤُلَاءِ». البخاري (٤٨٩٨)، ومسلم (٢٥٤٦).

(٢) هذا قول عكرمة ومجاهد في تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَالْآخَرِينَ﴾، وقال آخرون: هم العجم. قاله ابن عمر وسعيد بن جبير ورواية ليش عن مجاهد. ويشهد له حديث الصحابين المتقدم. وقيل غير ذلك.

سُورَةُ الْجُمُعَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْجُدْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الصَّالَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجَمَارِ يَحْمِلُ أَشْقَارًا يَتَسَّ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ رَعَيْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلَاقِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

ومبدؤها الموت، فتمنوه.

[٧] ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ﴾ مِنْ كُفْرِهِمْ بِالنَّبِيِّ الْمُسْتَلْزَمِ لِكُذِبِهِمْ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الْكَافِرِينَ.

[٨] ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ﴾ الْغَاءُ زَائِدَةٌ مُلَاقِيكُمْ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلَاقِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ السَّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ ﴿فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فَيَجَارِيكُمْ بِهِ.

[١١] ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ فَوْقًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ أي: التجارة؛ لأنها مطلوبهم دون الله ﴿وَتَرَكُوكَ﴾ في الخطبة ﴿قَالِيمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ من الثواب ﴿خَيْرٌ﴾ للذين آمنوا ﴿مِنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّارِ﴾ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿يَقَالُ﴾ كل إنسان يرزق عائلته؛ أي: من رزق الله - تعالى (١٢) (١٣).

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

[مدنية، إحدى عشرة آية] (**)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا بِالسَّتِمْ عَلَى خِلَافٍ مَا فِي قُلُوبِهِمْ: نَتَّبِعُكَ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ﴾ يعلم ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ﴾ فيما أضمره، مخالفا لما قالوه.

[٢] ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾ ستره على أموالهم ودمائهم ﴿فَصَدُّوا﴾ بها ﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي: عن الجهاد فيهم (١) ﴿إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

[٣] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: سوء عملهم ﴿يَأْتِيهِمْ ءَامِنًا﴾ باللسان ﴿شُرَّ كُفْرًا﴾ بالقلب؛ أي: استمروا على كفرهم به ﴿فَطُغِيَ﴾ ختم ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ بالكفر ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الإيمان.

[٤] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ لجمالها ﴿وَأِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ﴾ لفصاحته ﴿كَانَهُمْ﴾ من عظم أجسامهم، في ترك التفهم ﴿[خُشِبَ]﴾ بسكون الشين وضمها (٢) ﴿مُسْنَدَةً﴾ مائلة إلى الجدار ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ﴾ نضاض؛ كنداء في العسكر، وإنشاد ضالة ﴿عَلَيْهِمْ﴾ لما في قلوبهم من الرعب؛ أن ينزل فيهم ما يبيع دماءهم ﴿هُمُ الْغَدُوُّ قَانِئِينَ﴾ فإنهم يفشون سرًّا للكفار ﴿فَتَلَبَّسُوا بِاللَّهِ﴾ أهلهم ﴿أَنْتَ يَوْكُونَ﴾ كيف يصرفون عن الإيمان بعد قيام البرهان؟! (٣)

يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ فَوْقًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِ وَمِنَ النَّارِ وَابْتَغُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا اللَّهَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا لَنْ نَشْهَدَ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ ءَامِنًا تَرَكُوا قِطْعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُسْنَدٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَتَلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَبْقَوْكَ ﴿٤﴾

[٩] ﴿يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا﴾ فامضوا ﴿إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ للصلاة ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ اتركوا عهده ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أنه خير فافعلوه. [١٠] ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ أمر بإباحة ﴿وَابْتَغُوا﴾ اطلبوا الرزق ﴿مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَادْكُرُوا اللَّهَ﴾ ذكروا ﴿كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ تفوزون؛ كان ﷺ يخطب يوم الجمعة، فقدمت غير وضرب لقدميها الطبل (١) على العادة، فخرج لها الناس من المسجد غير اثني عشر رجلاً فنزلت.

(٥) ما جاء في نزول الآية (١١): أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله قال: بينما نحن نصلي مع النبي ﷺ إذ أقبلت غير تحمل طعاماً، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلاً. فنزلت هذه الآية: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ فَوْقًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ البخاري - كتاب الجمعة (١١) باب (٣٨) إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة.

(٥٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تتفقوا على من عبد رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولكن رجعنا من عنده ليخرجنا الأعرس منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي - أو بعمر - فذكره للنبي ﷺ فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا. فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فإصابني هم لم يصيبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله - تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ فبعث إلي النبي ﷺ فقرأ فقال: إن الله قد صدقك يا زيد. البخاري - التفسير (٦٥) سورة المنافقون (٦٣) باب (١).

(١) أخرج نحوه البخاري (٩٣٦) ومسلم (٨٦٣) عن جابر بن عبد الله، وليس فيه ذكر الطبل، ولكن جاء ذكر الطبل فيما ذكره الغوي في تفسيره عن مقاتل، وفسر مجاهد الله بأنه الطبل كما أخرجه عنه الطبري.

(٢) يشير المفسر إلى أن اسم التفضيل في قوله: ﴿خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ على يابه؛ أي فالرازقون متعددون، ولكن على سبيل الجواز، وإلا فالرازق حقيقة هو الله تعالى وحده.

(٣) في نسخة القاسمي: «فيه».

(٤) بسكونها قراءة الكسائي وأبي عمرو وقيل، وقرأ بقية السبعة بضم الشين: ﴿خُشِبَ﴾.

[٥] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّاهُ﴾ معتذرين ﴿عطفوا﴾ ^(١) ورؤوسهم ورأيتهم يصدون ﴿يعرضون عن ذلك وهم مستكبرون﴾.

[٦] ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ استغني بهمة الاستغفار عن همزة الوصل ﴿أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾.

[٧] ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ﴾ لأصحابهم من الأنصار: ﴿لَا تُبْعِدُوا عَلَيَّ مِنْ عِندِ رَسُولِ اللَّهِ﴾ من المهاجرين ﴿حَتَّى يَنْفَضُوا﴾ يفرقوا عنه ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالرزق، فهو الرزاق ^(٢) للمهاجرين وغيرهم ﴿وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾.

[٨] ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا﴾ أي: من غزوة بني المصطلق ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا أَهْلُهَا مِنَ الدِّينِ﴾ عتوا به أنفسهم ﴿مِنْهَا الْأَذَلُّ﴾ ^(٣) عتوا به المؤمنين ^(٤) ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ﴾ الغلبة ﴿وَلِرَسُولِهِ﴾ وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ذلك.

[٩] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا لَا تِلْكَ كُمْ﴾ تشلكنكم ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ ^(٥) وعن ذِكْرِ اللَّهِ الصلوات الخمس ^(٦) ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾.

[١٠] ﴿وَأَنْفِقُوا﴾ في الزكاة ﴿مِنْ مَّا رَزَقْنَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا﴾ بمعنى: هلا، أو: لا زائدة، «لو» للتنبي ﴿أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدَقْ﴾ بإدغام التاء في الأصل في الصاد؛ تصدق بالزكاة ﴿وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ بأن أحج؛ قال ابن عباس ^(٧): ما قصر أحد في الزكاة والحج إلا سأل الرجعة عند الموت ^(٨).

[١١] ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ بالثناء والياء ^(٩).

(هـ) فائدة: أخرج البخاري عن زيد بن أرقم قال: لما قال عبد الله بن أبي: ﴿لَا تُبْعِدُوا عَلَيَّ مِنْ عِندِ رَسُولِ اللَّهِ﴾. وقال أيضاً: ﴿لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ أخبرته به النبي ﷺ فلامني الأنصار، وحلف عبد الله بن أبي ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل فمنت، فدعاني رسول الله ﷺ فأتيته، فقال: إن الله قد صدقك، ونزل: ﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُبْعِدُوا﴾ الآية. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة المنافقين (٦٣) باب (٣) ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا﴾. وتقدم سياقاً أتم من هذا.

(١) بالتخفيف قراءة نافع، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

(٢) هي نسخة القاضي: «الرزاق».

(٣) الذي عليه جماهير العلماء من أهل السير والتفسير أن قتل ذلك هو هذا المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول، عني بالأعر نفسه الحبيطة ومن معه من المنافقين، وبالألذ رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين. والأمر عكس ما قاله اللعين، وذكر ابن كثير تفصيل ذلك ومسايقه، فراجع.

(٤) هذا من التفسير بالمال. والنتيجه للمطلوب بأهم حرياته؛ لأن ذكر الله أعم من الصلوات الخمس، وكذا الإنفاق أعم من الزكاة، والصلاح أعم من الحج.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٣١٦)، وضعف الألباني إسناده في ضعف سنن الترمذي (٦٥٣).

(٦) بالياء قراءة شعبة، وقرأ بقية السبعة بالتاء.

[٢] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُفْسُكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾ في أصل الخلقة، ثم يبيّنكم ويبيدكم على ذلك ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

[٣] ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ﴾ إذ جعل شكل الآدمي أحسن الأشكال ﴿وَالْيَقِينُ الْمَصِيرُ﴾.

[٤] ﴿يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُنْهَوْنَ﴾ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ بما فيها من الأسرار والمعتقدات.

[٥] ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿نَبَأٌ﴾ خبر ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ﴾ عقوبة الكفر في الدنيا ﴿وَلَهُمْ﴾ في الآخرة ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم.

[٦] ﴿ذَلِكَ﴾ أي: عذاب الدنيا ﴿يَأْتِيهِمْ﴾ ضمير الشأن ﴿كَانَتْ قُلُوبُهُمْ رُشْلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ الحجج الظاهرات على الإيمان ﴿فَقَالُوا أَكُذِّبُ﴾ أريد به الجنس ﴿عَبْدُونَا فَكُفَرُوا وَقُولُوا﴾ عن الإيمان ﴿وَأَنصَتَنِي اللَّهُ﴾ عن إيمانهم ﴿وَاللَّهُ عَنِّي﴾ عن خلقه ﴿حَمِيدٌ﴾ محمود في أفعاله.

[٧] ﴿زِعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ﴾ مخففة، واسمها محذوف؛ أي: أنهم ﴿لَن يَغْنَوْا فَلَ بَلْ وَرَبِّي لَتُبْعَنَّ ثُمَّ لَتَنبَوْنَ﴾ بما علمتم وذلك على الله يسير.

[٨] ﴿فَتَأْتُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ القرآن ﴿الَّذِينَ أَرْسَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

[٩] اذكر ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمُ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ يوم القيامة ﴿ذَلِكَ يَوْمُ النَّفَاثَةِ﴾ يعني المؤمنون الكافرين، بأخذ منازلهم وأهلهم في الجنة، لو آمنوا ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ سَلِيمًا يُكْفَرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة^(١) بالنون في الفعلين ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَنُفْسُكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَالْيَقِينُ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُنْهَوْنَ عَنْهُمُ عَلَيْهِمْ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمُ بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرًا يَنْدَوْنَ فَكُفَرُوا وَقُولُوا لَن نَسْتَعْنِيَ اللَّهَ وَاللَّهُ عَنِّي حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زِعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يَبْعَثُ اللَّهُ رُسُلًا وَلَئِن يَبْعَثْ رُسُلًا لَن تَتَّبِعُنَّ ثُمَّ لَتَنبَوْنَ أَنَّ اللَّهَ كَذِبٌ مُنْتَقِنٌ ﴿٧﴾ فَتَأْتُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَتَقُولُوا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الرُّسُلَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ لَوْ أَنَّهُمْ رَفَعُوا أَصْصَارَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ فَفُتِحَتْ السَّمَاءُ فَكَانَتْ سُحُبًا مَخْطُومَةً ﴿٩﴾

سُورَةُ النَّجْمِ

[مكية، أو: مدنية، ثمان عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ينزهه، فاللام زائدة، وأتى بـ«ما» دون «من» تغليباً للأكثر ﴿لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(١) لنافع وابن عامر؛ أي «نكفر»، و«ندخله».

[١٠] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِيرُ﴾ هي.

[١١] ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بقضائه ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ﴾ في قوله: إن المصيبة بقضائه ﴿يَهْدِ قَلْبُهُ﴾ للصبر عليها ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

[١٢] ﴿وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاءُ الْمُبِينُ﴾.

[١٣] ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.

[١٤] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأُولَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ أن تطيعوهم في الخلف عن الخير؛ كالجهاد والهجرة، فإن سبب نزول الآية الإطاعة في ذلك ﴿وَإِن تَعَفَّوْا﴾ عنهم في تنبيطهم لإياكم عن ذلك الخير معتلين بمشقة فراقكم عليهم ﴿وَتَصَدَّقُوا وَتَعَفَّوْا﴾ فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ^(٥).

[١٥] ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأُولَدُكُمْ فَتَنَةٌ لَّكُمْ شَاغِلَةٌ عَنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ فلا تفوتوه، باشتغالكم بالأموال والأولاد.

[١٦] ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ ناسخة لقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِلِهِ﴾^(١) ﴿وَأَسْمَعُوا﴾ ما أمرت به سماع قبول ﴿وَاطِيعُوا وَأَنِيعُوا﴾ في الطاعة ﴿خَيْرًا لَّأَنفُسِكُمْ﴾ خبر «يكن» مقدرة؛ جواب الأمر ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون.

[١٧] ﴿إِن تُقِرُّوْا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ بأن تصدقوا عن طيب قلب ﴿يُضَاعَفْ لَكُمْ﴾ وفي قراءة^(٢): ﴿يُضَاعَفُ﴾ بالشديد؛ بالواحدة عشراً إلى سعمائة وأكثر ﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾ ما يشاء ﴿وَاللَّهُ شَكُورٌ﴾ مجاز على الطاعة ﴿حَلِيمٌ﴾ في العقاب على المعصية.

[١٨] ﴿عَلِمَ الْغَيْبِ﴾ السر ﴿وَالشَّهَادَةِ﴾ العلانية ﴿الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَكِيمِ﴾ في صنعه.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبَشَ الْأَمْصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأُولَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعَفَّوْا وَتَصَدَّقُوا وَتَعَفَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأُولَدُكُمْ فَتَنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمَعُوا وَاطِيعُوا وَأَنِيعُوا لَئِنْ نَفْسُكُمْ مِنْ يَوْقِ شُحِّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقِرُّوْا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعَفْ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ ﴿١٧﴾ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

سُورَةُ الطَّلَافِ

(٥) ما جاء في نزول الآية (١٤): أخرج الترمذي عن عكرمة عن ابن عباس، وسأله رجل عن هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأُولَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا أن يأتوا النبي ﷺ، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوه أن يأتوا رسول الله ﷺ، فلما أتوا رسول الله ﷺ رأوا أناس قد فقهوا في الدين عموماً أن يعاقبهم، فأقول الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن مِنْ أَرْزَاقِكُمْ وَأُولَدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾. الترمذي - كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٤٦) ومن سورة التَّحَاتِّي. (حسن) صحيح سنن الترمذي (٤٦٤٢).

(١) آل عمران: ١٠٢.

(٢) لآمين كثير وابن عمر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ الْمَرْأَةَ فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ مِنْ بَعْدِ طَلْقِهَا فَأَمْسِكُوهُنَّ بَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَالَّذِي يَسْتَنْ مِنْ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِيضْنَ وَأُولَتْ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٥﴾

سُورَةُ الطَّلَاقِ

[مدنية، ثلاث عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ المراد أمته، بقرينة ما بعده، أو: قل لهم: ﴿إِذَا طَلَقْتُمُ الْمَرْأَةَ﴾ أي: أردتم الطلاق ﴿فَطَلَقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ﴾ لأولها؛ بأن يكون الطلاق في طهر لم تمس فيه؛ لتفسيره ﷺ بذلك رواه الشيخان^(١) ﴿وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾ احفظوها؛ لثراجها قبل فراغها ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾ أطيعوه في أمره ونهيه ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾ منها، حتى تنقضي عدتهن ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ﴾ زنا ﴿فَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ وكسرها^(٢)؛

يُسْتَأْذَنُ أَوْ يُبَيَّنُ، فَيُخْرِجْنَ لِإِقَامَةِ الْحُدُودِ عَلَيْهِنَّ ﴿وَتِلْكَ﴾ المذكورات ﴿حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ﴾ الطلاق ﴿أَمْرًا﴾ مراجعة فيما إذا كان واحدة أو اثنتين.

[٢] ﴿فَإِذَا بَلَغَ الْأَجَلُ مِنْ بَعْدِ طَلْقِهَا فَأَمْسِكُوهُنَّ بَعْرُوفٍ﴾ قاربين انقضاء عدتهن ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ﴾ بأن تراجعهن ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ من غير ضرر ﴿أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ اتركهن حتى تنقضي عدتهن، ولا تضاروهن بالمراجعة ﴿وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ﴾ على المراجعة أو الفراق ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ لا للمشهود عليه، أو له ﴿ذَلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ من كرب الدنيا والآخرة.

[٣] ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ يخطر بباله ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ في أموره ﴿فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ كافيه ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ [بالغ أمره]^(٣) مراده، وفي قراءة بالإضافة ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ كرخاء وشدة ﴿قَدْرًا﴾ ميقانًا.

[٤] ﴿وَالَّذِي يَسْتَنْ مِنْ الْمَحِيضِ﴾ بهمزة وياء، وبلا ياء في الموضعين^(٤) ﴿يَسْتَنْ مِنْ الْمَحِيضِ﴾ بمعنى الحيض ﴿مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ أَرْبَبْتُمْ﴾ شككن في عدتهن ﴿فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحِيضْنَ﴾ لصغرن؛ فعدتهن ثلاثة أشهر، والمسألان في غير التوقي عنهن أزواجهن، أمّا هُنَّ فعدتهن ما في آية: ﴿يَرْبِصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾^(٥) ﴿وَأُولَتْ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ﴾ انقضاء عدتهن؛ مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن: ﴿أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ في الدنيا والآخرة.

[٥] ﴿ذَلِكَ﴾ المذكور في العدة ﴿أَمْرُ اللَّهِ﴾ حكمه ﴿أَنْزَلَهُ إِلَيْنَا وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ يَكْفُر عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا.

(١) البخاري (٤٩٠٨) ومسلم (١٤٧١) عن عبد الله بن عمر، ولفظه عبد البخاري: «أنه طلق امرأته وهي حائض، فذكر عمر لرسول الله ﷺ، فنهيظ فيه رسول الله ﷺ ثم قال: «اتراجعهما، ثم يكسها حتى تطهر، ثم تحيض فطهر؛ فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرًا قبل أن يمسيها؛ ففلك الدعة كما أمر الله ﷻ».

(٢) بالفتح قراءة ابن كثير وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالكسر.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالإضافة: «بالغ أمره».

(٤) قرأ الكوفيون وابن عامر بهمزة محققة بعدها ياء وقرأ الباقون بحذف الياء، وحقق الهمزة منهم قالون وقبيل، وسهلها ورش، وأبدلها ياء ساكنة مع مد الألف بالإشباع بالسكينة البري وأبو عمرو.

(٥) البقرة: ٢٣٤.

أَسْكِنُوهُمْ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وَجْدِكُمْ وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِنَصِيِّقُوا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنْ أُولَئِكَ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَضَعُوا حَمْلَهُمْ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُمْ أَجُورَهُمْ وَأَتِمُّوا بَيْتَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَرِّضْ لَهُمْ أُخْرَى ۖ لِيُنْفِقَ دُونَ سَعْيِهِ مِنْ سَعْيِهِ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكُفَّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيِّجَعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۚ وَكَانَ مِنْ قَرَبَةٍ عَنَّتْ عَنْ أَمْرِ رِبِّهَا وَرُسُلِهِ ۖ فَمَا سُبِّحَتْهَا حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا ثُكْرًا ۚ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا حُسْرًا ۚ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ ءَامَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۚ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۚ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِيَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۚ

من السماء السابعة إلى الأرض السابعة ﴿لِيَعْلَمُوا﴾ متعلق بمحذوف؛ أي: أعلمكم بذلك الخلق والتنزيل ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾.

[٦] ﴿أَسْكِنُوهُمْ﴾ أي: المطلقات ﴿مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ﴾ أي: بعض مساكنكم ﴿مِنْ وَجْدِكُمْ﴾ أي: سعتكم، عطف بيان، أو بدل مما قبله بإعادة الجار وتقدير مضاف؛ أي: أمكنة سعتكم لا ما دونها ﴿وَلَا تَضَارُّوهُمْ لِنَصِيِّقُوا عَلَيْهِمْ﴾ المساكن فيحتجج إلى الخروج: أو: النفقة، فيفتدى منكم ﴿وَإِنْ كُنْ أُولَئِكَ حَمَلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِمْ حَتَّى يَضَعُوا حَمْلَهُمْ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ﴾ أولادكم منهن ﴿فَاتُّوهُمْ أَجُورَهُمْ﴾ على الإرضاع ﴿وَأَتِمُّوا بَيْتَكُمْ﴾ وبهين ﴿بِمَعْرُوفٍ﴾ بجميل في حق الأولاد، بالتوافق على أجر معلوم على الإرضاع ﴿وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ﴾ تضايقتم في الإرضاع، فامتنع الأب من الأجرة، والأم من فعله ﴿فَسَرِّضْ لَهُمْ أُخْرَى﴾ للاب ﴿أُخْرَى﴾ ولا تكرر الأم على إرضاعه.

[٧] ﴿لِيُنْفِقَ﴾ على المطلقات والمريضات ﴿دُونَ سَعْيِهِ مِنْ سَعْيِهِ وَمَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ أعطاه ﴿اللَّهُ﴾ على قدره ﴿لَا يَكُفَّ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً آتَاهَا سَيِّجَعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ وقد جعله بالفتح.

[٨] ﴿وَكَانَ﴾ هي: كاف الجر، دخلت على «أي» بمعنى: «كم» ﴿مِنْ قَرَبَةٍ﴾ أي: وكثير من القرى ﴿عَنَّتْ﴾ عصت؛ يعني: أهلها ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ﴾ فمأسستها في الآخرة، وإن لم تجز؛ لتحقق وقوعها ﴿حَسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا ثُكْرًا﴾ يسكون الكاف وضمها^(١)؛ فظلياً، وهو عذاب النار.

[٩] ﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ عقوبته ﴿وَكَانَ عِقَبُهُ أَمْرًا حُسْرًا﴾ خساراً وهلاكاً.

[١٠] ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ تكرير الوعيد توكيد ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ أصحاب العقول ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نعت للمنادى، أو بيان له ﴿قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا﴾ هو القرآن.

[١١] ﴿رَسُولًا﴾ أي: محمداً ﷺ، منصوب بفعل مقدر؛ أي: وأرسل ﴿يَتْلُو عَلَيْهِ ءَايَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ﴾ بفتح الياء وكسرها^(٢) كما تقدم ﴿لِيُخْرِجَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَيَعْمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ بعد مجيء الذكر والرسول ﴿مِنَ الظُّلُمَاتِ﴾ الكفر الذي كانوا عليه ﴿إِلَى النُّورِ﴾ الإيمان الذي قام بهم بعد الكفر ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ﴾ وفي قراءة^(٣) بالنون ﴿جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا﴾ هو رزق الجنة، التي لا ينقطع نعمها.

[١٢] ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ يعني: سبع أرضين ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ﴾ الوحي ﴿بَيْنَهُنَّ﴾ بين السماوات والأرض، ينزل به جبريل

(١) بالضم قراءة نافع وابن ذكوان وشعبة.

(٢) بالفتح قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة.

(٣) لنافع وابن عامر.

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاحٍ وَاللَّهُ
عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ
الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسْرَ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَرْوَاحِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا
بَيَّنَّاتٍ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ، وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا
نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَاكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِنْ
تَوْبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ
هُوَ مَوْلَاكُمْ وَجَبْرِيلُ وَمُصَلِّحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَكُ بِكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ
ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلِقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنْ
مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطَتٍ تَخِيبُنَّ عِيدَاتِ سَيِّحَاتٍ تَخِيبُكِ
وَأَنْبَاكَ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَهْلُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا
وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُنْجِرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

[مدنية، اثنتا عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ من أَتَيْكَ مارية القبطية؛ لما واقعها في بيت حصصة وكانت غائبة، فجاءت وسَقَّ عليها كون ذلك في بيتها وعلى فراشها؛ حيث قلت: «هي حرام على» ﴿يَنْبِئُكَ﴾ بتحريمها ﴿مَرَمَاتٍ أَزْوَاجِكَ﴾ أي: رضاهن ﴿وَاللَّهُ عَفْوٌ رَحِيمٌ﴾ غفر لك هذا التحريم.

(٥٠) ما جاء في نزول الآيات (٤٠ - ٤١): أخرجه البخاري عن عائشة أن النبي ﷺ كان يبكى عند زيب ابنة جشش ويشرب عدها عسلًا، فواصيت أنا وحفصة أنا بئها دخن عليها النبي ﷺ فلتلقني، إلى لأجد منك ريح مغافير، أكلت مغافير؟ فدخل على إحداهما فقالت له ذلك، فقال: لا، بل شربت عسلًا عند زيب ابنة جشش، ولن أعود له، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا مَا أَمَلَ اللَّهُ لَهُ﴾ إلى ﴿إِنْ تَوَلَّوْا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمُ﴾ لعائشة وحفصة ﴿وَإِذْ أَسْرَأْنِي إِلَى يَعْقِبَ أُرْيُودُ﴾ حديثًا، لقوله: شربت عسلًا البخاري - كتاب الطلاق (٦٨) باب (٨). وأخرج النسائي عن أنس أن رسول الله ﷺ كانت له أمة يطبخها، فلم تزل به عائشة وحفصة حتى حرماه على نفسه، فأرسل الله ﷻ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا مَا أَمَلَ اللَّهُ لَهُ﴾ إلى آخر الآية. السامي - كتاب عشرة النساء (٣٧) باب (٤) الغرة. (صحيح الإسناد) صحيح سنن النسائي (٣٦٩٥). قال الحافظ: وهذا خلف في الذي حرم على نفسه وعوتب على تحريمه ... والراجح من الأقوال كلها: قصة مارية؛ لاختصاص عائشة وحفصة بها بخلاف العسل فإنه اجتمع فيه جماعة منهن. انظر: [الفتح (٩/ ٢٠٠، ٢٠١)].

(هـ) ما جاء في نزول الآية (٥): أخرج البخاري عن أنس قال: قال عمر رضي الله عنه: اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن: «عسى ربه إن صلفكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن» فنزلت هذه الآية. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة التحريم (٦٦) باب (٥).

(٢) لنافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف؛ (نظاها).

(٣) هذا قول ابن مسعود وعكرمة والضحاك، وقيل غير ذلك، ولعل هذا على سبيل التمثيل والتنويه بفضل الصالحين خاصة، والله أعلم.

[٨] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا نُورًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ بفتح النون وضمة^(١)، صادقة؛ بأن لا يُعاد إلى الذنب، ولا يُراد العود إليه ﴿وَعَسَىٰ رَبُّكُمْ﴾ تَرْجِيَةً تَفْعٌ ﴿أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ﴾ بساتين ﴿يَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ بِإِِدْخَالِ النَّارِ﴾ النَّارِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيِّنَاتٍ أَيْدِيهِمْ﴾ أَمَامِهِمْ ﴿وَيَكُونُ﴾ بِأَيْمَنِيهِمْ يَقُولُونَ مَسْتَأْنِفٌ: ﴿رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَكَ﴾ إِلَى الْحِنَةِ، وَالْمُنَاقِقُونَ يَطْلُقُوا نُورَهُمْ ﴿وَأَغْفِرْ لَنَا﴾ رَبَّنَا ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

[٩] ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ أَهْلُ الْكُفَارِ﴾ بالسيف ﴿وَالْمُتَّقِينَ﴾ بِاللِّسَانِ وَالْحِجَةِ ﴿وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ﴾ بِالْإِنْتِهَارِ وَالْمَقْتِ ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ بِهِمْ﴾ وَيُسُّ الْمَصِيدُ هِيَ.

[١٠] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٍ نُوحٍ وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ فِي الدِّينِ، إِذْ كَفَرْنَا، وَكَانَتْ أَمْرَةٌ نُوحٍ وَاسْمُهَا «وَاهِلَةُ» تَقُولُ لِقَوْمِهِ: إِنَّهُ مُجْتَنُونَ. وَأَمْرَةٌ لُوطٍ وَاسْمُهَا «وَاهِلَةُ» تَدُلُّ قَوْمَهُ عَلَى أَضْيَافِهِ إِذَا نَزَلُوا بِهِ لَيْلًا، بِإِقْبَادِ النَّارِ وَنَهَارًا بِالتَّدْخِينِ ﴿فَلَمَّا يَبْغِيَا﴾ أَي: نُوحٍ وَلُوطٍ ﴿عَنْمَا مِنْ اللَّهِ﴾ مِنْ عَذَابِهِ ﴿وَشَيْئًا وَقِيلَ﴾ لَهُمَا: ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ﴾ مِنْ كُفَارِ قَوْمِ نُوحٍ وَقَوْمِ لُوطٍ.

[١١] ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ﴾ أَمْنَتْ بِمُوسَى، وَاسْمُهَا (أَسِيَّة)، فَعَذَّبَهَا فِرْعَوْنُ، بِأَنْ أَوْتَدَ يَدَيْهَا وَرَجْلَيْهَا، وَأَلْقَىٰ عَلَىٰ صَدْرِهَا رَحِيَّ عَظِيمَةً، وَاسْتَقْبَلَ بِهَا الشَّمْسُ، فَكَانَتْ إِذَا تَفَرَّقَ عَنْهَا مِنْ وَكُلِّ بَها ظِلُّهَا الْمَلَأَتْكَ ﴿إِذْ قَالَتْ﴾ فِي حَالِ التَّعَذِيبِ: ﴿رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ﴾ فَكُثِّفَ لَهَا فِرَاتُهُ، فَشَهَّلَ عَلَيْهَا التَّعَذِيبَ ﴿وَنَجَّيْنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ﴾ وَتَعَذَّبَنِي مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ أَهْلَ دِينِهِ، فَقَبِضَ اللَّهُ رُوحَهَا، وَقَالَ ابْنُ كَيْسَانَ: رَفَعَتْ إِلَى الْجَنَّةِ حَيَّةً، فَهِيَ تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ^(٢).

[١٢] ﴿وَمَرْيَمَ﴾ عَطَفَ عَنِ: «أَمْرَةٍ فِرْعَوْنَ» ﴿أَبْنَتْ عِمْرَانَ﴾ أَلْقَىٰ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا حَفِظَتْهُ ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ أَي: جَبْرِيلَ، حَيْثُ نَفَخَ فِي جَنْبِ دَرْعِهَا، بِخَلْقِ اللَّهِ - تَعَالَى^(٣) - فَعَلَهُ الْوَاصِلُ إِلَى فَرْجِهَا، فَحَمَلَتْ بَعِيسَى ﴿وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا﴾ شَرَائِعِهِ ﴿وَكُتِبَ﴾ الْمَنْزِلَةُ ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْآفَتَيْنِ﴾ مِنَ الْقَوْمِ الْمُطِيعِينَ.

(١) بالضم قراءة شعبة.

(٢) هذا من الأمور الغيبية التي يحتاج إثباتها إلى دليل صحيح ثابت.

(٣) قوله: «يخلق الله تعالى»: متعلق بـ «فننفخنا»، وكان المقام للإضمار بأن يقول: «يخلقنا»، وفعله: أي: فعل جبريل، وهو: النفخ. ومعنى: خلقه: إيصال أثره، وهو: الريح، والهواء الحاصل به إلى فرجها.

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا نُورًا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ جَنَّاتٍ جَرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزَىٰ اللَّهُ النَّارِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيِّنَاتٍ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَنِيهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا آتِنَا لَنَا نُورَكَ إِنَّا نُورَكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ

يَتَأْتِيَ الَّذِينَ أَهْلُ الْكُفَارِ وَالْمُتَّقِينَ بِاللِّسَانِ وَالْحِجَةِ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ بِالْإِنْتِهَارِ وَالْمَقْتِ وَمَا أُوتِيتُمْ بِهِمْ وَيُسُّ الْمَصِيدُ هِيَ

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَمْرَاتٍ نُوحٍ وَأَمْرَاتٍ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا

مِنْ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ

وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَمْرَاتٍ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنَ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوَمِ الظَّالِمِينَ

وَمَرْيَمَ ابْنَتْ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ فِيهَا وَكَانَتْ مِنَ الْآفَتَيْنِ

سورة الملك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَنَزَلَ الَّذِي يَدُهُ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝^(١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ۝^(٢) الَّذِي خَلَقَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَاتَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَقْوَىٰ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ۝^(٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ۝^(٤) وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبِيحٍ وَجَعَلْنَا دُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ۝^(٥) وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَمُّونَ الْمَصِيرُ ۝^(٦) إِذَا الْقُلُوبُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ۝^(٧) تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ۝^(٨) قَالُوا بَلَىٰ فَرَجَاءَ نَذِيرٍ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ۝^(٩) وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝^(١٠) فَأَعْرِضُوا بَذَنِيهِمْ فَسَحَقًا لَأَصْحَابِ السَّعِيرِ ۝^(١١) الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝^(١٢)

سورة الملك

[مكية، ثلاثون آية] (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿بَنَزَلَ﴾ تنزله عن صفات المحدثين^(١) ﴿الَّذِي يَدُهُ الْمُلْكُ﴾ الذي بيده^(٢) في تصرفه^(٣) ﴿الْمُلْكُ﴾ السلطان والقدرة ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

(١) هائدة: أخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «سورة من القرآن ثلاثون آية تشفع لصاحبها حتى يغفر له: ﴿بَنَزَلَ الَّذِي يَدُهُ الْمُلْكُ﴾. أبو داود - كتاب الصلاة (٢) في عدد الآي. وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١٢٤٧).

(١) هذه العبارة مرهقة، ويستخدمها البعض لنفي الصفات الثابتة لله - عز وجل - كالسمع والبصر وغيرها من الصفات؛ التي يؤولها البعض بزعم تنزيه الله عز وجل عن مشابهة خلقه، وتباركه؛ على وزن تفاعل؛ من البركة والنماء والزيادة وكثرة الخير ودوامه. وقال الطبري: تعاضم وتعالى.

(٢) وهذا تعطيل بصفة اليد وعدول عن ظاهر اللفظ، وحلاف ما فهمه السلف منها؛ كما قال ابن جرير: ﴿الَّذِي يَدُهُ الْمُلْكُ﴾ بيده ملك الدنيا والآخرة وسلطتهما نافذ فيما أمره وقضاهه كما أن تقدير الكلام على تفسيره: «بيده أي»: «في تصرفه» يكون مضطرباً كما قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي، وتكون العبارة غير مستقيمة؛ ويكون المعنى: «تنزه عن صفات المحدثين الذي في تصرفه السلطان والقدرة، وهما يسا في التصرف. فتؤس بهذه الصفة لله ﷻ وتنبها له على الوجه اللائق به.

(٣) يشير المصنف إلى اختلاف المتكلمين في الموت؛ حيث ذهب بعضهم إلى أنه أمر وجودي؛ أي: شيء يوحد، وهو ضد الحياة، وذهب آخرون إلى أنه أمر عدمي؛ أي ليس شيئاً يخلق وإنما هو عدم الحياة؛ وعلى هذا القول يكون «خلق الموت» بمعنى قدر الموت. والأول هو الصحيح أن الموت أمر وجودي كالحق؛ يخقه الله عند نهاية الحياة. وهو ظاهر الآية.

(٤) أي: شذوذاً.

(٥) بضمها قراءة الكسائي.

[٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ﴾ في الدنيا ﴿وَالْحَيَاةَ﴾ في الآخرة، أو هما في الدنيا؛ فالنطفة تعرض لها الحياة؛ وهي: ما به الإحساس، والموت؛ ضدها، أو: عدمها^(١)؛ قولان، والخلق على الثاني بمعنى التقدير ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾ ليختبركم في الحياة ﴿أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ أطوع لله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ في انتقامه ممن عصاه ﴿الْعَلِيمُ﴾ لمن تاب إليه.

[٣] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَمْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾ بعضها فوق بعض، من غير مماسة ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ﴾ لهن: أو: لغيرهن ﴿مِنْ تَقْوَىٰ﴾ تباين وعدم تناسب ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾ أعده إلى السماء ﴿هَلْ تَرَىٰ﴾ فيها ﴿مِنْ فُطُورٍ﴾ صدوع وشقوق؟ [٤] ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ كرة بعد كرة ﴿يَنْقَلِبْ﴾ يرجع ﴿إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ ذليلاً؛ لعدم إدراك خلل ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ منقطع عن رؤية خلل.

[٥] ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا﴾ القربى إلى الأرض ﴿بِمَصْبِيحٍ﴾ بنجوم ﴿وَجَعَلْنَا دُجُومًا﴾ مراجم ﴿لِلشَّيَاطِينِ﴾ إذا استرقوا السمع، بأن يفصل شهاب عن الكوكب، كالقيس يؤخذ من النار، فيقتل الجني أو يخيله، لا أن الكوكب يزول عن مكانه ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ النار الموقدة.

[٦] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ ويسمى المصير؛ هي.

[٧] ﴿إِذَا الْقُلُوبُ فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا﴾ صوتاً منكراً كصوت الحمار ﴿وَهِيَ تَفُورُ﴾ تغلي.

[٨] ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ﴾ وقرئ: «تَتَمَيَّزُ» على الأصل تنقطع ﴿مِنَ الْغَيْظِ﴾ غضباً على الكافر ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ جماعة منهم ﴿سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ سؤال توبيخ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ رسول ينذركم عذاب الله - تعالى؟.

[٩] ﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ يحتمل أن يكون من كلام الملائكة للكفار حين أخبروا بالكذب، وأن يكون من كلام الكفار للثائر.

[١٠] ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ﴾ أي: سماع تفهم ﴿أَوْ نَعْقِلُ﴾ أي: عقل تفكر ﴿مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.

[١١] ﴿فَاعْرِضْهُمْ﴾ حيث لا ينفع الاعتراف ﴿بَذَنِيهِمْ﴾ وهو تكذيب النذر ﴿فَسَحَقًا﴾ بسكون الحاء وضمها^(١) ﴿لَأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ فبعداً لهم عن رحمة الله.

[١٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَحْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ يخافونه ﴿بِالْغَيْبِ﴾ في غيبته عن أعين الناس؛ فيطيعونه سراً، فيكون علانية أولى ﴿لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ أي: الجنة.

[١٣] ﴿وَأَسِرُّوا﴾ أيها الناس ﴿فَوَلَّكُمُوهَا أَوْ أَسِرُّوا بِهَا إِنَّكُمْ تَعَالَى﴾ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿بِمَا فِيهَا﴾ فكيف بما نطقتم به؟ وسبب نزول ذلك: أن المشركين قال بعضهم لبعض: أسروا قولكم لا يسمعكم إله محمد^(١).

[١٤] ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ ما تسرون، أي: أيتني علمه بذلك ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ في علمه ﴿الْخَبِيرُ﴾ فيه لا.

[١٥] ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ سهلة للشيء فيها ﴿فَاتَشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ جوانبها ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ المخلوق لأجلكم ﴿وَرِثُوا الشُّرُورَ﴾ من القبور للجزء.

[١٦] ﴿وَأَمِنُوا﴾ بتحقيق الهزئين وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينها وبين الأخرى، وتركه، وإبدالها ألفاً^(٢) ﴿مَنْ فِي السَّمَاءِ﴾ سلطانه وقدرته^(٣) ﴿أَنْ يَخْفِيَ﴾ بدل من «مَنْ» ﴿بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ تنحرك بكم وترتفع فوقكم.

[١٧] ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ﴾ بدل من «مَنْ» ﴿عَلَيْكُمْ حَاصِبًا﴾ ريحاً ترميكم بالحصىاء ﴿فَسَتَعْلَمُونَ﴾ عند معابنة العذاب ﴿كَيْفَ نَذِيرِ﴾ إنذارى بالعذاب؛ أي: إنه حق.

[١٨] ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرِ﴾ إنكارى عليهم بالكذب عند إهلاكهم؛ أي: إنه حق.

[١٩] ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ ينظروا ﴿إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ﴾ في الهواء ﴿صَفَّتْ﴾ باسطات أجنحتهن ﴿وَيَفْقِصْنَ﴾ أجنحتهن بعد البسط؛ أي: وقابضات ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾ عن الوقوع في حال البسط والقبض ﴿إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ بقدرته ﴿إِنَّهُ يَكِلُ شَيْئًا بَصِيرًا﴾ المعنى: ألم يستدلوا بثبوت الطير في الهواء، على قدرتنا أن نفعل بهم ما تقدم، وغيره من العذاب؟.

[٢٠] ﴿أَنْتُمْ﴾ مبتدأ ﴿هَذَا﴾ خبره ﴿الَّذِي﴾ بدل من «هذا» ﴿هُوَ جُنْدٌ﴾ أعوان ﴿لَكُمْ﴾ صلة «الذي» ﴿يَضْرِبُكُمْ﴾ صفة الجند ﴿مَنْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ﴾ أي: غيره، يدفع عنكم عذابه؟ أي: لا ناصر لكم ﴿إِنْ﴾ ما ﴿الْكَاذِبُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم.

[٢١] ﴿أَنْتُمْ هَذَا الَّذِي يَرْفُقُونَ إِنْ أَمْسَكَ﴾ الرحمن ﴿رِزْقَهُ﴾ أي: المطر عنكم، وجواب الشرط محذوف دل عليه ما قبله؛ أي: فمن يرزقكم؟ أي: لا رازق لكم غيره ﴿وَبَلَّ لُجُوجًا﴾ تهادوا ﴿فِي غُرٍّ﴾ تكبر ﴿وَيَقُورُ﴾ تباعد عن الحق.

[٢٢] ﴿أَفَنْ يَتَّبِعُوا مِثْلًا﴾ واقفا ﴿عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَتَّبِعُوا سَوَاءً﴾ معتدلاً ﴿عَلَى صِرَاطٍ﴾ طريق ﴿مُسْتَقِيمٍ﴾ وخبر «مَنْ» الثانية محذوف دل عليه خبر الأولى؛ أي: أهدى، والمثقل في المؤمن والكافر، أيهما على هدى.

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول. وعراه في زاد المسير لابن عباس.

(٢) راجع التعليق على الآية رقم (٦) من سورة البقرة.

(٣) وهذا تعطيل لصفة العو، وعدول عن ظاهر اللفظ، وخلاف ما دلت عليه النصوص المتواترة من علوه. شبحاته وتعالى. على خلقه بذاته المقدسة واستوائه على عرشه.

وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ وَأَوَّجَهُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ وهو اللطيف الخبير ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا﴾ فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴿أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَذِيرِ﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَّتْ وَيَفْقِصْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴿أَمْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَضْرِبُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنْ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ﴾ أَمْ هَذَا الَّذِي يَرْفُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُورٍ ﴿أَفَنْ يَتَّبِعُوا مِثْلًا﴾ عَنِ الرَّحْمَنِ أَمْ هُوَ أَهْدَى أَمَّنْ يَتَّبِعُوا سَوَاءً عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿

[٢٣] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ القلوب ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ «ما» مزيدة، والجملة مستأنفة مخبرة بقلة شكرهم جدًا على هذه النعم.

[٢٤] ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ﴾ خلقكم ﴿فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ للحساب.

[٢٥] ﴿وَيَقُولُونَ﴾ للمؤمنين: ﴿مَتَى هَذَا الْوَعْدُ﴾ وعد الحشر ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ فيه.

[٢٦] ﴿قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ﴾ بمجيئه ﴿عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ بين الإنذار.

بعض المتجربين فقال: تأتي به الفؤوس والمعاول! فذهب ماء عينه وعمي، نعوذ بالله من الحراة على الله وعلى آياته.

سُورَةُ الْقَائِرَةِ

[مكية، ثنتان وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿ت﴾ أحد حروف الهجاء، الله أعلم بمراده به ﴿وَالْقَائِرَةِ﴾ الذي كتب به الكائنات في اللوح المحفوظ ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أي: الملائكة من الخير والصلاح.

[٢] ﴿مَا أَنْتَ﴾ يا محمد ﴿بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾ أي: انتفى الجنون عنك، بسبب إنعام ربك عليك بالنبوة وغيرها، وهذا رد لقولهم: إنه مجنون.

[٣] ﴿وَأَنْتَ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ مقطوع.

[٤] ﴿وَأَنْتَ لَمَلَىٰ خَلْقٍ﴾ دين ﴿عَظِيمٍ﴾.

[٥] ﴿فَسْتَصْرِ وَيَصْرُونَ﴾.

[٦] ﴿يَأْتِيَكُمُ الْمَقْتُولُ﴾ مصدر؛ كالمعقول؛ أي: الفتون؛ بمعنى: الجنون؛ أي: أهلك أم بهم؟

[٧] ﴿وَأَنْتَ رَبُّكَ هُوَ أَظْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ له، «وأعلم» بمعنى عالم.

[٨] ﴿فَلَا تُطِيعُ الشَّاكِرِينَ﴾.

[٩] ﴿وَدَّوَّا﴾ تنووا ﴿لَوْ﴾ مصدرية ﴿تُدْهِنُ﴾ تلين لهم ﴿فَيُدْهِنُونَ﴾ يلينون لك، وهو معطوف على ﴿تُدْهِنُ﴾ وإن جعل جواب التمني المفهوم من «ودوا» قُدر قبله بعد الفاء: «هم».

[١٠] ﴿وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف بالباطل ﴿مُتَّهِينَ﴾ حقيرون ﴿هَمَّازٍ﴾ عتاب؛ أي: مغتاب ﴿مُتَّسِمِينَ بِمِصْرٍ﴾ ساج بالكلام بين الناس، على وجه الإفساد بينهم.

[١٢] ﴿مَنْعًا لِلنَّهْرِ﴾ بخيل بالمال عن الحقوق ﴿مُتَّخِرٍ﴾ ظالم ﴿أَيُّمٍ﴾ آثم. [١٣] ﴿عُتْلٌ﴾ غليظ جاف ﴿بَعْدَ ذَلِكَ رِزِيمٌ﴾ ذبيح في قريش، وهو الوليد بن المغيرة ادعاه أبوه بعد ثمانين عشرة سنة، قال ابن عباس^(٤): لا نعلم أن الله وصف أحدا بما وصفه به من العيوب فألحق به عارًا لا يفارقه أبدًا، وتعلق بـ«زريم» الظرف قبله.

[١٤] ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبِينٍ﴾ أي: لأن، وهو متعلق بما دل عليه. [١٥] ﴿إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ أَهْلُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ﴾: هي ﴿أَسْطِطُ الْأَوَّلِينَ﴾ أي: كُذِّبَ بها لإنعامنا عليه بما ذكر، وفي قراءة^(٥): ﴿أَنَّ﴾ بهمزتين مفتوحتين.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٨﴾ قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَّا تَدْعُونَ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَغْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيَكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الْقَائِرَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ت وَالْقَائِرَةِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١٧﴾ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿١٨﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿١٩﴾ وَإِنَّكَ لَمَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴿٢٠﴾ فَمَنْ يَصْرِ وَيَصْرُونَ ﴿٢١﴾ بِأَيِّكُمْ الْمَقْتُولُ ﴿٢٢﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٢٣﴾ فَلَا تُطِيعُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ وَدَّوَّا لَوْ تَدْعُهُمْ فَيُدْهِنُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿٢٦﴾ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِمِصْرٍ ﴿٢٧﴾ مَنَّاعٌ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿٢٨﴾ عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رِزِيمٌ ﴿٢٩﴾ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبِينٍ ﴿٣٠﴾ إِذَا تَنَلَّ عَلَيْهِ عَابِدُنَا قَالَ أَسْطِطُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخِطُومِ ﴿٣٢﴾

[٢٧] ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ﴾ أي: العذاب بعد الحشر ﴿زُلْفَةً﴾ قريبًا ﴿سَيِّئَتْ﴾ اسودت ﴿وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ﴾ أي: قال الحزنة لهم: ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ﴾ بإنذاره ﴿تَدْعُونَ﴾ أنكم لا تبعثون، وهذه حكاية حال تأتي، عبر عنها بطريق المضي؛ لتحقيق وقوعها.

[٢٨] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ﴾ من المؤمنين بعذابه، كما تقصدون ﴿أَوْ رَحِمَنَا﴾ فلم يعذبنا ﴿فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ أي: لا مجير لهم منه.

[٢٩] ﴿قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ عَمَّا تَدْعُونَ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَغْلَمُونَ﴾ بالباء والياء^(١)، عند معاينة العذاب ﴿مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ بين، أنحن، أم أنتم، أم هم؟ [٣٠] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا﴾ غائرا في الأرض ﴿فَمَنْ يَأْتِيَكُم بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ جارا؛ تناله^(٢) الأيدي والدلاء كما أنكم؛ أي: لا يأتي به إلا الله - تعالى - فكيف تنكرون أن يبعثكم؟! ويستحب أن يقول القارئ عقب «معين»: الله رب العالمين، كما ورد في الحديث^(٣)، وتليت هذه الآية عند

(١) بالياء قراءة الكسائي.

(٢) في نسخة القاضي: «لا تناله» وهو خطأ بين.

(٣) وهذا الحكم يحتاج إلى دليل من المصوم ﷺ ولم يرد حديث بذلك.

(٤) وأخرج البخاري (٤٩١٧) عنه قال: ﴿عُتْلٌ بَعْدَ ذَلِكَ رِزِيمٌ﴾، قال: رجل من قريش، له زعة مثل زعة الشاة. والزعة: ما يقطع من أذن الشاة. وقيل: المعنى: أنه الذي يعرف بالشو كما تعرف الشاة برنمها.

(٥) لحزمة وشعة، وكذلك ابن عامر لكن مع تسهيل الهزلة الثانية.

[١٦] ﴿سَيَسْمِعُ عَلَى الثَّرَاتِ﴾ سنجعل على أنفه علامة، يُعَيِّرُ بها ما عاش، فحُطِّمَ أنفه بالسيف يوم بدر.

[١٧] ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ﴾ امتحنا أهل مكة بالهط والجوع ﴿كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْبَيْتَانِ﴾ البستان ﴿إِذْ أَقْبَتُوا لِحَصْرِئِهَا﴾ يقطعون ثمرتها ﴿مُضْجِبِينَ﴾ وقت الصباح؛ كي لا يشعر بهم المساكين؛ فلا يعطوهم منها ما كان أبوهم يتصدق به عليهم منها.

[١٨] ﴿وَلَا يَسْتَنْوُونَ﴾ في يمينهم بشيعة الله - تعالى -، والجملة مستأنفة؛ أي: وشأنهم ذلك.

[١٩] ﴿فَطَافَ عَلَيْهِ طَافِئٌ مِّن رَّبِّكَ﴾ نار أحرقتها ليلاً ﴿وَهُمْ نَائِمُونَ﴾.

[٢٠] ﴿فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ﴾ كالليل الشديد الظلمة؛ أي: سوداء.

[٢١] ﴿فَنَادَا مُصِيبِينَ﴾.

[٢٢] ﴿أَنِ اعْبُدُوا عَلَى حَرْبٍ﴾ عَلَيْكُمْ، تفسير لـ «نادوا» أو «أن» مصدرية؛ أي: بأن ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ مریدين القطع، وجواب الشرط دل عليه ما قبله.

[٢٣] ﴿فَانْطَلَقُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ﴾ يتساورون.

[٢٤] ﴿أَن لَّا يَخْلُتَهُمُ الْيَوْمَ عَلَيْكَ نَسِيبٌ﴾ تفسير لما قبله، أو «أن» مصدرية؛ أي: بأن.

[٢٥] ﴿وَعَدَا عَلَى حَرْبٍ﴾ منع للفقاء ﴿قَدِيرِينَ﴾ عليه في ظنهم.

[٢٦] ﴿فَقَالُوا كَذِبًا﴾ سوداء محترقة ﴿فَالْوَايَا لَصَالُوا﴾ عنها؛ أي: ليست هذه.

[٢٧] ثم قالوا لمعلموها: ﴿يَلَّ نَحْنُ نَحْمُومُونَ﴾ نمرتها، بمنعنا لفقراء منها.

[٢٨] ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ﴾ خيرهم: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَّكَ لَوْلَا هَٰذَا﴾ هَلَا ﴿تَسْبُحُونَ﴾ الله تائبين.

[٢٩] ﴿قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ بمنع الفقراء حقهم.

[٣٠] ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلَامِؤْنَ﴾.

[٣١] ﴿قَالُوا يَا لَلنَّبِيِّ﴾ وتلنا ﴿هَلَا كُنَّا﴾ إِنَّا كُنَّا طَائِفِينَ.

[٣٢] ﴿عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَكْبِتَنَا﴾ بالتشديد والتخفيف ^(١) ﴿خَرَجْنَا بِهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ﴾ ليقبل توبتنا، ويرد علينا خيراً من جنتنا، روي أنهم أبدلوا خيراً منها.

[٣٣] ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: مثل العذاب لهؤلاء ﴿الْقَائِلَاتُ﴾ لمن خالف أمرنا، من كفر مكة وغيرهم ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ عذابها، ما خالفوا أمرنا.

[٣٤] ﴿وَنَزَلَ مَا قَالُوا﴾ إن بُعِثْنَا نُعْطَىٰ أَفْضَلَ مِنْكُمْ: ﴿إِن لِّلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ﴾.

[٣٥] ﴿فَتَجْمَعُ الْكُلُوبُ﴾ كَلْبَرُونَ: أي: تابعين لهم في العطاء.

[٣٦] ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ هذا الحكم الفاسد؟.

[٣٧] ﴿أَمْ﴾ أي: بل أ ﴿لَّكَ كِتَابٌ﴾ منزل ﴿فِيهِ تَذَرُوسُونَ﴾ أي: تقرأون؟.

[٣٨] ﴿إِن لَّكَ فِيهِ مَا تَخْتَارُونَ﴾ تختارون.

[٣٩] ﴿أَمْ لَّكَ آيَاتٌ﴾ عهود ﴿عَلَيْكَ بَلَاغَةٌ﴾ واقفة ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾

(١) بالتشديد قراءة نافع وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

(٢) هذا أحد قولي العلماء في تفسير الآية، وأنها ليست من آيات الصفات، وأصحاب هذا القول من السلف لا ينفون عن الله - تعالى - صفة الساق التي ثبتت بالسنّة الصحيحة، وإنما يثبتونها له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

والقول الثاني: أن المراد في الآية هنا أن الله يكشف عن ساقه - سبحانه -، ويدل على هذا القول ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ قال: «يكشف ربنا عن ساقه فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة...» الحديث. رواه البخاري (٤٩١٩).

إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٦﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٧﴾ فَطَافَ عَلَيْهِ طَافِئٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٨﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿١٩﴾ فَنَادَا مُصِيبِينَ ﴿٢٠﴾ أَنِ اعْبُدُوا عَلَىٰ حَرْبٍ كُنْ كُنْ صَادِقِينَ ﴿٢١﴾ فَنَاطَلُوا وَهُمْ يَخْفَوْنَ ﴿٢٢﴾ أَن لَّا يَخْلُتَهُمُ الْيَوْمَ عَلَيْكُم مَّرْصُومٌ ﴿٢٣﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَامِؤْنَ ﴿٢٤﴾ قَالُوا يَبْنَؤُنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٥﴾ عَسَىٰ رَبِّنَا أَنْ يَبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٢٦﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ إِن لِّلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ﴿٢٨﴾ أَفَتَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٢٩﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٠﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣١﴾ إِن لَّكُمْ فِيهِ لَمَذَاحٌ وَقَدْ كُنَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ بَلَاغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِن لَّكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٣﴾ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٣٤﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فُلْيَاؤُا۟ بِشْرِكَايِهِمْ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٥﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٣٦﴾ طَبَقًا وَاحِدًا.

متعلق معنى بـ «علينا»، وفي هذا الكلام معنى القسم؛ أي: أقسمنا لكم، وجوابه: [٤٠] ﴿إِن لَّكَ لَمَّا تَحْكُمُونَ﴾ به لأنفسكم.

[٤١] ﴿سَنَسْأَلُهُمْ أَيُّهُمْ بِذَٰلِكَ﴾ الحكم الذي يحكمون به لأنفسهم، من أنهم يعطون في الآخرة أفضل من المؤمنين ﴿زَعِيمٌ﴾ كفييل لهم؟ ﴿أَمْ هُمْ﴾ أي: عندهم ﴿شُرَكَاءُ﴾ موافقون لهم في هذا القول، يكفلون به لهم؟ فإن كان كذلك ﴿فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ﴾ الكافلين لهم به ﴿إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾.

[٤٢] اذكر ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ هو عبارة عن شدة الأمر يوم القيامة للحساب والجزاء ^(٢)؛ يقال: كشفت الحرب عن ساق: إذا اشتد الأمر فيها ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ﴾ امتحاناً لإيمانهم ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ تصوير ظهورهم طبقاً واحداً.

[٥٠] ﴿فَاجْنِبْهُ رَبِّهِ﴾ بالنبوة ﴿فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ الأنبياء.
 [٥١] ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَرْفُقُونَكَ﴾ بضم الياء وفتحها ^(١) ﴿بِأَصْرِهِ﴾ ينظرون إليك نظراً شديداً، يكاد أن يصرعك، ويسقطك من مكانك ﴿لَنَا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ القرآن ﴿وَيَقُولُونَ﴾ حسداً: ﴿إِنَّمَا كُنْتُمْ﴾ بسبب القرآن الذي جاء به.
 [٥٢] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿إِلَّا ذِكْرٌ﴾ موعظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الجن والإنس، لا يحدث بسبب جنون.

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

[مكية، إحدى، أو: اثنتان وخمسون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْحَاقَّةُ﴾ القيامة، التي يحق فيها ما أتت من البعث والحساب والجزاء، أو: المظهرة لذلك.
 [٢] ﴿مَا الْهَاقَّةُ﴾ تعظيم لشأنها، وهما: مبتدأ وخبر، خبر: «الهاقة» ^(٢).
 [٣] ﴿وَمَا أَذْرَكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْهَاقَّةُ﴾ زيادة تعظيم لشأنها، ف«ما» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لدأدرى.
 [٤] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ﴾ القيامة؛ لأنها تفرع القلوب بأهوالها.
 [٥] ﴿فَأَنَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالْقَارِعَةِ﴾ بالصيغة المجاوزة للحد في الشدة.
 [٦] ﴿وَأَنَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ﴾ شديد الصوت ﴿عَاصِفَةٍ﴾ قوية شديدة على عاد، مع قوتهم وشدتهم.
 [٧] ﴿سَخَّرَهَا﴾ أرسها بالقهقير ﴿عَلَيْهِمْ سَنَعُ لَيْلٍ وَنَكِيَّةَ نِجَامٍ﴾ أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال، وكانت في عجز الشتاء ^(٣) ﴿حُسُومًا﴾ متتابعات، شُبَّهت بتتابع فِعْلِ الحاسم، في إعادة الكي على الداء كَرَّةً بعد أخرى، حتى ينحسم.
 ﴿فَنَزَلَ الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى﴾ مطروحين هالكين ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْمَارُ﴾ أصول ﴿فَعَلَّ حَاوِيَةَ﴾ ساقطة فارعة.
 [٨] ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ صفة «نفس» مقدرة ^(٤)، أو التاء للمبالغة؛ أي: باقية؟ لا.

خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴿١٣﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ مُثْقَلُونَ ﴿١٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿١٨﴾ لَوْلَا أَنْ تَدَارَكْهُ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿١٩﴾ فَاجْتَنِبْ رِبَّهُ فَجَنَّاهُ مِنَ الصَّلَاحِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيَرْفُقُونَكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٢١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾

سُورَةُ الْحَاقَّةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْهَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَذْرَكَ مَا الْهَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاصِفَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَنَعٌ لَيْلٍ وَنَكِيَّةٌ نِجَامٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

[٤٣] ﴿خَشِيعَةً﴾ حال من ضمير «يدعون»؛ أي: ذليلة ﴿أَبْصَرُهُمْ﴾ لا يرفعونها ﴿تَرْهَقُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ﴾ في الدنيا ﴿إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ﴾ فلا يأتون به، بأن لا يصلوا. [٤٤] ﴿فَذَرْنِي﴾ دعني ﴿وَمَنْ يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ القرآن ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُمْ﴾ نأخذهم قليلاً قليلاً ﴿وَمِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾. [٤٥] ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ﴾ أمهلهم ﴿إِنِّي كَيْدِي مَتِينٌ﴾ شديد لا يطاق. [٤٦] ﴿أَمْ﴾ بل أ﴿تَسْأَلُهُمْ﴾ على تبليغ الرسالة ﴿أَجْرًا﴾ فهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ ﴿مَّا يعطونكه﴾ مُثْقَلُونَ؟ فلا يؤمنون لذلك؟ [٤٧] ﴿أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ﴾ أي: اللوح المحفوظ، الذي فيه الغيب ﴿فَعَمَّ يَكْتُوبُونَ﴾ منه ما يقولون؟ [٤٨] ﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ فيهم بما يشاء ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ في الضجر والعجلة، وهو يونس ^(١) ﴿إِذْ نَادَى﴾ دعا ربه ﴿وَهُوَ مَكْظُومٌ﴾ مملوء غمًا في بطن الحوت.

[٤٩] ﴿لَوْلَا أَنْ تَدَارَكْهُ رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ أدركه ﴿رَحْمَةً﴾ من ربه ﴿لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ﴾ بالأرض الفضاء ﴿وَهُوَ مَذْمُومٌ﴾ لكنه رُجِمَ فليذ غير مذموم.

(١) بالفتح قراءة نافع.

(٢) أي: وجملة المبتدأ والحبر: خبر «الهاقة».

(٣) الأولى عدم تعيين هذه الأيام، على هذا النحو، من غير دليل صحيح يشار إليه. ويكفي إطلاق القرآن أنها «سبع ليال وثمانية أيام».

(٤) أي: «من نفس باقية».

[٩] ﴿وَبِمَا قَسَمَ لَلَّهِ لَمَّا كَانَ عَلَى الْحُودِ﴾ أي: أتباعه، وفي قراءة بفتح القاف وسكون الباء أي: مَنْ تقدمه من الأمم الكافرة ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي: أهلها، وهي قرى قوم لوط ﴿بِالْقَابِلِينَ﴾ بالفعلات ذات الخطأ.
[١٠] ﴿فَمَقَامُ رَسُولٍ رَجِمُوا﴾ أي: لوطاً وغيره ﴿فَلَمَّا كَانَتْ رَابِعَةً زَائِدَةً فِي الشَّدَةِ عَلَى غَيْرِهَا﴾.

[١١] ﴿إِنَّا لَنَّا نَلْقَى الْآلَمَةَ﴾ علا فوق كل شيء، من الجبال وغيرها، زمن الطوفان ﴿حَمَلَكُمُ﴾ يعني آباءكم؛ إذ أنتم في أصلابهم ﴿فِي الْبَارِيَةِ﴾ السفينة التي عملها نوح، ونجا هو ومن كان معه فيها، وغرق الباقون.

[١٢] ﴿لَنَذْكُرَنَّهَا﴾ أي: هذه القلعة وهي نجاة المؤمنين، وإهلاك الكافرين ﴿لَنَذْكُرَنَّهَا﴾ عظة ﴿وَنُنَبِّئُهَا﴾ ولتحفظها ﴿أَذُنٌ وَدِعَةٌ﴾ حافظه لما تسمع.
[١٣] ﴿فَإِذَا نَبِغَ فِي الصُّورِ نَفْثَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ للفصل بين الخلائق، وهي الثانية.
[١٤] ﴿وَحُمِلَتِ﴾ رفعت ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكُّهُمَا﴾ ذكاهما ﴿وَحِدَةٌ﴾.

[١٥] ﴿يَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ قامت القيامة.
[١٦] ﴿وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكُيُومِزُ وَاهِيَةٌ﴾ ضعيفة.

[١٧] ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾ يعني الملائكة ﴿عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ جوانب السماء ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾ أي: الملائكة المذكورين ﴿يَوْمَئِذٍ مُّتَنِيَةً﴾ من الملائكة، أو من صفوفهم.

[١٨] ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لِلْحَسَابِ﴾ لَا تَحْفَظُ ﴿بِالنَّاءِ وَالْبَاءِ﴾ ﴿يَسْكُرُ حَافِيَةً﴾ من السرار.

[١٩] ﴿فَأَذِّنْ مِنْ أَوْفَىٰ ذِكْرِهِمْ يَسْمِئِهِ﴾ يَقُولُ ﴿خطاباً لجماعته لما شر به: «هاؤم» خذوا «أَفْرَدُوا كِتَابَهُ» تنازع فيه «هاؤم» و«أفردوا»^(٣).

[٢٠] ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ﴾ تَقْنُتُ ﴿أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِيَّةٌ﴾.
[٢١] ﴿فَهَرُ فِي عِشْرَةِ رَأْسِيَةٍ﴾ مرضية.

[٢٢] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾.

[٢٣] ﴿فَقُطِفَهَا﴾ ثمارها ﴿وَأَيَّاتُهُ﴾ قريبة، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.

[٢٤] يُقَالُ لَهُمْ: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا حَيْثَا﴾ حال؛ أي: متعنين ﴿بِمَا أَتْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الماضية في الدنيا.

[٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ يَقُولُ يَا ﴿للتنبه﴾ ﴿لَتَنبِي لَرَأَوْتُ كِتَابِيَّةً﴾.

[٢٦] ﴿وَلَرَأَوْتُ مَا حَسْبِيَّةً﴾.

[٢٧] ﴿وَلَتَنبِيَّ﴾ أي: الموتة في الدنيا ﴿كَانَتْ أَلْقَابِيَّةً﴾ القاطعة لحياتي، بآن لا أبعث.

[٢٨] ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾.

[٢٩] ﴿هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ فوتي وحجتي، وهاء «كتابه» و«حسابيه» و«ماليه» و«سلطانيته» للسكرت ثبت وقتاً ووصلاً؛ اتباعاً للمصحف الإمام

(١) وهي قراءة الكسائي وأبي عمرو، وقراءة بقية السبعة: ﴿قَبْلَهُ﴾ بفتح القاف وسكون الباء.

(٢) بالياء قراءة حمزة والكسائي.

(٣) التنازع هو: توجه عاملين إلى معمول واحد. والعاملان هنا هما: «هاؤم» و«أفردوا»، والمعمول هو: «كتابه»؛ فأيهما أعلمت، فيقدر للآخر مفعوله، وقد أعمل الثاني عند البصريين، والأول عند الكوفيين، وأضمر في الآخر، وحذف لأنه فضلة.

(٤) أي عن النبي ﷺ.

(٥) أي السبعة، وهو حمزة، والمشرقة، وهو يعقوب.

وَجَاءَ فِرْعَوْنُ وَمَنْ قَبْلَهُ، وَالْمُؤَيَّنَاتُ بِالْحَاطَةِ ﴿نَعَصُوا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَاذْكُرْنَاهُمْ أَحَدَةً رَّابِعَةً﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ حَمَلْنَاكِ فِي الْجَارِيَةِ ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكُرَةً وَتَعِبَهَا أَذُنٌ وَدِعَةٌ﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْثَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَذُكُّهُمَا وَاحِدَةً﴾ ﴿فِيَوْمِئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ وَأَنشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكُيُومِزُ وَاهِيَةٌ ﴿وَالْمَلَائِكَةُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّتَنِيَةً﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ يَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُ وَأَكْبَرُ ﴿إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلْكٌ حَسْبِيَّةٌ﴾ ﴿فَهَرُ فِي عِشْرَةِ رَأْسِيَةٍ﴾ فِي حَتَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿فَقُطِفَهَا دَائِيَةً﴾ ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَتْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ يَقُولُ لَتَنبِيَّ لَرَأَوْتُ كِتَابِيَّةً ﴿وَلَرَأَوْتُ مَا حَسْبِيَّةٌ﴾ ﴿لَتَنبِيَّهَا كَانَتْ أَلْقَابِيَّةً﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿هَلَاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ﴿وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾ ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هُنَا حَمِيمٌ﴾

والنقل^(٤)، ومنهم^(٥) من حذفها وصلاً.

[٣٠] ﴿خُذْرُهُ﴾ خطاب لخرنة جهنم ﴿فَعُغِّلُوهُ﴾ اجتمعوا يديه إلى عنقه في الغُل.

[٣١] ﴿قُرُ الْمَجِيمِ﴾ النار المحرقة ﴿سَلُّوهُ﴾ أدخلوه.

[٣٢] ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ بذراع الضِّلَك ﴿فَاسْلُكُوهُ﴾ أدخلوه فيها بعد إدخاله النار، ولم تمنع الفاء من تعلق الفعل بالظرف المتقدم.

[٣٣] ﴿إِنَّهُمْ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾.

[٣٤] ﴿وَلَا يَحِضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾.

[١١] ﴿يُصْرَوْنَهُمْ﴾ أي: يبصر الأجناء بعضهم بعضاً، ويتعارفون ولا يتكلمون، والجملة مستأنفة ﴿يُؤَذِّنُ الْمَكْفَرُ﴾ بمعنى الكافر ﴿لَوْ﴾ بمعنى «أن» ﴿يَقْتَدِي بَيْنَ عَذَابٍ يُؤَمِّدُ﴾ بكسر الميم وفتحها^(١) ﴿يَنْبِيهِ﴾.

[١٢] ﴿وَصَحْبِيَّتِهِ﴾ زوجته ﴿وَأَلِيَّتِهِ﴾.

[١٣] ﴿وَفَصِيلَتِهِ﴾ عشيرته؛ لفصله منها ﴿أَلَى تَوْبَةٍ﴾ تضمه.

[١٤] ﴿وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ﴾ ذلك الافتداء، عطف على «يفندي».

[١٥] ﴿كَلَّا﴾ ردٌّ لما يؤذنه ﴿إِنَّمَا﴾ أي: النار ﴿لَطْفِي﴾ اسم لجهنم؛ لأنها تنلطي؛ أي: تتهلب على الكفار.

[١٦] ﴿نَزَاعَةُ لِلنَّشْوَى﴾ جمع «نشوة»، وهي جلدة الرأس.

[١٧] ﴿تَقْوَا مَنْ أَدْرَكَ وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان؛ بأن تقول: إلى إليّ.

[١٨] ﴿وَجَمَعَ﴾ المال ﴿فَأَرَعَنَ﴾ أمسكه في وعائه، ولم يؤد حق الله منه.

[١٩] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ حال مقدره، وتفسيره:

[٢٠] ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ وقت مَسَّ الشرِّ.

[٢١] ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ وقت مَسَّ الخير؛ أي: المال، لحق الله منه.

[٢٢] ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ أي: المؤمنين.

[٢٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ مواظبون.

[٢٤] ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ﴾ هو الزكاة.

[٢٥] ﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَرْغُومِ﴾ المتعفف عن السؤال؛ فيحرم.

[٢٦] ﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتٍ﴾ الجزاء.

[٢٧] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابٍ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ خائفون.

[٢٨] ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا تُوعَدُونَ﴾ نزوله.

[٢٩] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِرُجُوعِهِمْ حَافِظُونَ﴾.

[٣٠] ﴿إِلَّا عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾ من الإمام ﴿فَلَا تَنْهَوْنَهُمْ﴾.

[٣١] ﴿وَمَنْ أَتَّبَعْنِ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

[٣٢] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ﴾ وفي قراءة^(٢) بالإفراد؛ ما اتتمنوا عليه من أمر الدين والدنيا ﴿وَعَهْدِهِمْ﴾ المأخوذ عليهم في ذلك ﴿رُغُوعُونَ﴾ حافظون.

[٣٣] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِشَهَادَتِهِمْ﴾^(٣) وفي قراءة بالجمع ﴿قَائِمُونَ﴾ يقيمونها ولا يكتمونها.

[٣٤] ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ بأدائها في أوقاتها.

[٣٥] ﴿وَأُولَٰئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ﴾.

يُصْرَوْنَهُمْ يُؤَذِّنُ الْمَكْفَرُ لَوْ يَقْتَدِي بَيْنَ عَذَابٍ يُؤَمِّدُ بَيْنَهُ

وَصَحْبِيَّتِهِ وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ أَلَى تَوْبَةٍ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا

ثُمَّ يُنْجِيهِ كَلَّا إِنَّهَا لَطْفِي نَزَاعَةُ لِلنَّشْوَى تَدْعُو مَنْ أَدْرَكَ

وَتَوَلَّى وَجَمَعَ فَأَرَعَنَ إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ

جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا إِلَّا الْمُصَلِّينَ وَالَّذِينَ هُمْ

عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلسَّائِلِ

وَالْمَرْغُومِ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتٍ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابٍ

رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَا تُوعَدُونَ وَالَّذِينَ هُمْ

لِرُجُوعِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَرْجُلِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ

فَلَا تَنْهَوْنَهُمْ عَنِ اعْتَدَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رُغُوعُونَ وَالَّذِينَ هُمْ لِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ

فَالَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ

عَزِينَ يُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةً نَّعِيمًا كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ

مِمَّا يَعْمَلُونَ فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ

[٣٦] ﴿فَالَّذِينَ هُمْ لِرُجُوعِهِمْ حَافِظُونَ﴾ نحوك ﴿مُطْعِمِينَ﴾ حال؛ أي: مديني النظر.

[٣٧] ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ منك ﴿عَزِينَ﴾ حال - أيضًا؛ أي: جماعات جلقاً جلقاً، يقولون استهزاء بالمؤمنين: لمن دخل هؤلاء الجنة لندخلها قبلهم.

[٣٨] قال - تعالى: - ﴿يُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةً نَّعِيمًا﴾.

[٣٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن طمعهم في الجنة ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ﴾ كغيرهم ﴿مِمَّا يَعْمَلُونَ﴾ من نطف، فلا يُطْمَعُ بذلك في الجنة، وإنما يُطْمَعُ فيها بالقوى.

(١) بالفتح قراءة نافع والكسائي.

(٢) لاين كثير.

(٣) وهي قراءة السبعة عدا حفص، وقرأ حفص بالجمع: ﴿بشهاداتهم﴾.

سُورَةُ نُوحٍ

[مكية، ثمان، أو: تسع وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْهُمْ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إن لم يؤمنوا ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ مؤلم في الدنيا والآخرة.
- [٢] ﴿قَالَ يَفْقَهُوا إِنِّي لَكُم دَائِرٌ مِّمَّنْ﴾ بين الإنذار.
- [٣] ﴿أَنْ﴾ أي: بأن أقول لكم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ﴾.
- [٤] ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾ «من» زائدة، فإن الإسلام يغفر به ما قبله، أو: تبعيضية؛ لإخراج حقوق العباد ﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ﴾ بلا عذاب ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أجل الموت ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ﴾ بعدابكم إن لم تؤمنوا ﴿إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ذلك لآمتنم.
- [٥] ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾ أي: دائماً متصلاً.
- [٦] ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا﴾ عن الإيمان.
- [٧] ﴿وَإِنِّي كُنْتُ مَدْعُوهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغَعُمْ﴾ «عَآذَاهُمْ» لئلا يسمعوا كلامي ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا بِآيَاتِهِ﴾ غطوا رؤوسهم بها؛ لئلا ينظروني ﴿وَأَصْرُوا﴾ على كفرهم ﴿وَأَسْتَغْفِرُوا﴾ تكبروا عن الإيمان ﴿أَسْتَغْفِرُوا﴾.
- [٨] ﴿فَدَعَا إِلَىٰ دَعْوَتِهِمْ جَهَارًا﴾ أي: بأعلى صوتي.
- [٩] ﴿ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ﴾ صوتي ﴿وَأَسْرَرْتُ﴾ الكلام ﴿لَهُمْ إِسْرَارًا﴾.
- [١٠] ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا ذُنُوبَكُمْ﴾ من الشرك ﴿إِنَّهُ كَانَ عَفُوًّا﴾.

عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿١﴾ فَذَرَهُمْ يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ ﴿٢﴾ يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِصُونَ ﴿٣﴾ خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤﴾

سُورَةُ نُوحٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَتَقَوَّمُ إِنِّي لَكُم نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِدْجَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَايَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُنْتُ مَدْعُوهُمْ لِيُغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْغَعُمْ فِي عَآذَانِهِمْ وَأَسْتَغْفِرُوا بِآيَاتِهِمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَغْفِرُوا اسْتَغْفِرُوا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا ذُنُوبَكُمْ إِنَّهُ كَانَ عَفُوًّا ﴿١٠﴾

[٤٠] ﴿فَلَا﴾ «لا» زائدة ﴿أَقِيمْ رَبِّكَ الْغَرْبَ وَالْمَغْرِبَ﴾ للشمس والقمر وسائر الكواكب ﴿إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾.

[٤١] ﴿عَلَىٰ أَنْ يُبَدِّلَ﴾ تأتي بدلهم ﴿خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ بعاجزين عن ذلك.

[٤٢] ﴿فَذَرَهُمْ﴾ اتركهم ﴿يَحْضُوا وَيَلْعَبُوا﴾ في باطلهم ﴿وَيُلَاقُوا﴾ في دنياهم ﴿حَتَّىٰ يُلَاقُوا﴾ يلقوا ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ﴾ فيه العذاب.

[٤٣] ﴿يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ القبور ﴿سِرَاعًا﴾ إلى المحشر ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ﴾^(١) وفي قراءة بضم الحرفين؛ شيء منصوب؛ كعلم أو راية ﴿يُوفِصُونَ﴾ يسرعون.

[٤٤] ﴿خَشِيعَةً﴾ ذليلة ﴿أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ﴾ تغشاهم ﴿ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ «ذلك» مبتدأ، وما بعدها الخبر، ومعناه: يوم القيامة.

(١) وهي قراءة السبعة عدا حفص وابن عامر، وقرأ حفص وابن عامر: ﴿نُصُبٍ﴾ بضم النون والصاد.

(٢) في نسخة القاضي: «يصرون».

[١١] ﴿يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ وكانوا قد مُنِغَوْهُ ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا﴾ كثير الدور.

[١٢] ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِتْ لَكُمْ جَنَّتٍ﴾ بساتين ﴿وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ جارية.

[١٣] ﴿هَٰذَا لَكُمْ لَا تُجُونَ اللَّهَ وَقَارًا﴾ أي: تأمّنون وقار الله إياكم بأن تؤمّنوا؟!.

[١٤] ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾ جمع طَوْر، وهو الحال، فَطَوْرًا: نطفة، وطَوْرًا: علقه، إلى تمام خلق الإنسان، والنظر في خلقه يوجب الإيمان بخالقه.

[١٥] ﴿وَالَّذِينَ تَرَوُا تَنْظُرُوا﴾ كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمَكِ سَمَكَاتٍ طِبَاقًا بعضها فوق بعض؟.

[١٦] ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ﴾ أي: في مجموعهن؛ الصادق بالسماء الدنيا ﴿نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ مصباحًا مضيئًا، وهو أقوى من نور القمر.

[١٧] ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ﴾ خلقكم ﴿مِنَ الْأَرْضِ﴾ إذ خلق أبائكم آدم منها ﴿تِبَاقًا﴾.

[١٨] ﴿ثُمَّ يُبْعِدُكُمُ فِيهَا﴾ مقبورين ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ للبعث ﴿إِخْرَاجًا﴾.

[١٩] ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا﴾ مبسطة.

[٢٠] ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا﴾ طرقًا ﴿فِي جَبَالٍ﴾ واسعة.

[٢١] ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْني وَأَتَّبَعُوا﴾ أي: السفلة والفقراء ﴿مَنْ لَرَّ رِزْدَهُ مَالَهُ﴾ وَوَلَدَهُ^(١) وهم الرؤساء، المتعم عليهم بذلك، و«ولد» بضم الواو وسكون اللام وبفتحهما، والأول، قيل: جمع «ولد» بفتحهما ك«خشب»، و«خشب»، وقيل: بمعناه ك«بخل»، و«بخل» ﴿إِلَّا خَسَارًا﴾ طغيانًا وكفرا.

[٢٢] ﴿وَمَكَرُوا﴾ أي: الرؤساء ﴿مَكْرًا كِبَارًا﴾ عظيمًا جدًّا، بأن كذبوا نوحًا وأذوه ومن اتبعه.

[٢٣] ﴿وَقَالُوا﴾ للسفلة: ﴿لَا تَدْرُنَّ الْهَيْكَلُ﴾ وَلَا تَدْرُنَّ وَدًّا ﴿بِفَتْحِ الْوَاوِ وَضْمِهَا^(٢)﴾ وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ هي أسماء أصنامهم.

[٢٤] ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا﴾ بها ﴿كِبِيرًا﴾ من الناس، بأن أمرهم بعبادتهم ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ عطفًا على «قد أضلوا» دعا عليهم لما أوحى إليه: ﴿أَنْتُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ^(٣)﴾.

[٢٥] ﴿مِمَّا﴾ «ما» صلة ﴿[خَطَايَاهُمْ]^(٤)﴾ وفي قراءة: ﴿خَطِيئَتِهِمْ﴾ بالهمز ﴿أَغْرَقُوا﴾ بالطوفان ﴿فَأَدْخَلُوا نَارًا﴾ عوقبوا بها عقب الإغراق تحت الماء^(٥).

﴿فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ﴾ أي: غير ﴿اللَّهِ أَنْصَارًا﴾ يمتنعون عنهم العذاب. [٢٦] ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾ أي: نازل دار،

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَنْبِتْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ مَا لَكُمْ لَا تُجُونَ اللَّهَ وَقَارًا ﴿وَقَدْ خَلَقْنَا أَطْوَارًا﴾ الْتَرَوُا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَمَكِ سَمَكَاتٍ طِبَاقًا ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا﴾ وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ تِبَاقًا ﴿ثُمَّ يُبْعِدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَالًا﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْني وَأَتَّبَعُوا مَنْ لَرَّ رِزْدَهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ كِبَارًا﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرْنِ الْهَيْكَلُ وَلَا تَذَرْنِ وَدًّا وَلَا سَوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿وَقَدْ أَضَلُّوا كِبِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ مِمَّا خَطِيئَتُهُمْ أَغْرَقُوا فَأَدْخَلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْنِي بَصُلًا عَبْدًا وَلَا يَصِلُوا إِلَّا فَا جَرًا كَفَارًا ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾

والمعنى: أحذرا.

[٢٧] ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرْنِي بَصُلًا عَبْدًا وَلَا يَصِلُوا إِلَّا فَا جَرًا كَفَارًا﴾ من يفجر ويكفر، قال ذلك لما تقدم من الإيعاء إليه.

[٢٨] ﴿رَبِّ أَعْفِرْ لِي وَلِوَلَدِي﴾ وكانا مؤمنين ﴿وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا﴾ منزلي، أو: مسجدي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ إلى يوم القيامة ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ هلاكًا، فأهلكوا.

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: «وَلَدَ» بفتح الواو واللام.

(٢) بالضم قراءة نافع.

(٣) هود: ٣٦.

(٤) وهي قراءة أبي عمرو. وقرأ بقية السبعة: «خَطِيئَتِهِمْ» بالهمز.

(٥) أي في الدنيا؛ وهذا قول الضحاك؛ وذلك أنهم كانوا يغرقون من جانب، ويحترقون في الماء من الجانب. وقال ابن السائب: سيدخلون في الآخرة نازًا، فجاء لفظ الماضي بمعنى الاستقبال؛ لأن الوعد حق. وهذا قول الأكثرين. وقال آخرون: هي نار البرزخ، والمراد: عذاب القبر.

سورة الجين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۖ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَمْ نُشْرِك بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝
وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ
وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ
مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَن لَّنْ يَبْعَثَ
اللَّهُ أَحَدًا ۝ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَنَاجِدُهَا مُلْتَصِقًا حَرَسًا
شَدِيدًا وَشُهَبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ فَمَن
يَسْمِعُ أَلاَّنْ يُحَدِّثْهُ، شَهَابًا رَّصَدًا ۝ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ
بِنَا فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ۝ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ
وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كَمَا طَرَفَ الْفَقْدَا ۝ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُّعْجِزَ
اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ۝ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى
آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِهِ فَلَاحِقَافٌ يَّجْسَؤُنَّ وَلَا رَهَقًا ۝

سورة الجين

[مكية، ثمان وعشرون آية]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ﴾ يا محمد للناس: ﴿أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ أي: أنخبرت بالوحي من الله - تعالى - ﴿أَنَّهُ﴾ الضمير للشأن ﴿اسْتَمَعَ﴾ لقراءتي ﴿نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ جن نصيبين، وذلك في صلاة الصبح بطن نخل^(١) (موضع بين مكة والطائف)،

وهم الذين ذكروا في قوله - تعالى -: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ﴾ الآية^(٢) ﴿فَقَالُوا﴾ لقومهم لما رجعوا إليهم: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾ يتعجب منه؛ في فصاحته وغزارة معانيه، وغير ذلك.

[٢] ﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ﴾ الإيمان والصواب ﴿فَآمَنَّا بِهِ﴾ وقامنا يؤيِّدُ وَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ بعد اليوم ﴿رَبِّنَا أَسْمًا﴾.

[٣] ﴿وَأَنَّهُ﴾ الضمير للشأن، فيه وفي الموضعين بعده ﴿تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا﴾ تنزه جلاله وعظمته، عما نسب إليه ﴿مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً﴾ زوجة ﴿وَلَا وَلَدًا﴾.

[٤] ﴿وَأَنَّهُ كَانَ يَفُولُ سَفِيهًا﴾ جاهلنا ﴿عَلَى اللَّهِ شَطَطًا﴾ غلوا في الكذب؛ بوصفه بالصاحبة والولد.

[٥] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نَقُولَ الْإِنسَ وَالْجِنَّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ بوصفه بذلك، حتى تبينا كذبهم بذلك.

[٦] قال - تعالى -: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يُؤْذُونَ﴾ يستعذون ﴿بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ حين ينزلون في سفرهم بمخوف، فيقول كل رجل: أعوذ بسيد هذا المكان من شر سفهائه ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ بعدوهم بهم ﴿رَهَقًا﴾ فقالوا: شذنا الجن والإنس.

[٧] ﴿وَأَنَّهُمْ﴾ أي: الجن ﴿ظَنُّوا كَمَا ظَنَنْتُمْ﴾ يا إنس ﴿وَأَن﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿لَّنْ يَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا﴾ بعد موته.

[٨] قال الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ﴾ رُفْنَا استراق السمع ﴿فَوَجَدْنَاهَا مُلْتَصِقًا حَرَسًا﴾ من الملائكة ﴿شَدِيدًا وَشُهَبًا﴾ نجومًا مخرقة، وذلك لما بعث النبي ﷺ.

[٩] ﴿وَأَنَّا كُنَّا﴾ أي: قبل بعثته ﴿نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدًا لِّلسَّمْعِ﴾ أي: نستسمع ﴿فَمَن يَسْمِعُ أَلاَّنْ يُحَدِّثْ لَمْ شَيْئًا رَّصَدًا﴾ أُرْصِدْ له ليرى به.

[١٠] ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ﴾ بعد استراق السمع ﴿بِنَا فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ خيرًا.

[١١] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ﴾ بعد استماع القرآن ﴿وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ﴾ أي: قوم غير صالحين ﴿كَمَا طَرَفَ الْفَقْدَا﴾ فرقًا مختلفين؛ مسلمين وكافرين.

[١٢] ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُّعْجِزَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا﴾ لا نفوته كائنين في الأرض، أو: هارين منها في السماء.

[١٣] ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَى﴾ القرآن ﴿آمَنَّا بِهِ﴾ فَمَنْ يُؤْمِنْ بِهِ، فَلَا يَخَافُ؛ بتقدير: ﴿هُوَ﴾ بعد الفاء ﴿بِجَسَا﴾ نقصًا من حسناته ﴿وَلَا رَهَقًا﴾ ظلمًا؛ بالزيادة في سيئاته.

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرجه البخاري عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حين بين الشياطين وخبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا: ما بكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب. قال: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاريبها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث، فانطلقوا فاضربوا مشارق الأرض ومغاريبها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء. قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن سمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهناك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا إنا سمعنا قرآنًا عجبت يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدًا، وأنزل الله ﷻ على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ وإنما أوحى إليه قول الجن. البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ (٧٢) باب (١).

(١) الصواب: «بطن نخلة» كما تقدم في تفسير سورة الأحقاف الآية (٢٩)، و«بطن نخلة»: موضع بين مكة والطائف. أما «بطن نخل»: فهو موضع في نجد على بعد ليشتين من المدينة.

(٢) الأحقاف: ٢٩.

[١٤] ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ﴾ الجائرُونَ بكفرهم ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾ قصدوا هداية.

[١٥] ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ وقوداً، وأَنَّهُم ﴿وَأَنَّهُ﴾ في اثني عشر موضعاً هي: ﴿وَأَنَّهُ عَذَابُ﴾ ﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ﴾ وما بينهما، بكسر الهمزة: استنفاً، وبفتحها^(١) بما يورج به.

[١٦] قال - تعالى - في كفر مكة: ﴿وَأَنَّهُ﴾ ن مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: وأنهم، وهو معطوف على «أَنَّهُ استمع» ﴿لَوْ أَسْتَفْتَمُوا عَلَى الطَّرِيقِ﴾ أي: طريقة الإسلام ﴿لَأَسْفَيْنَهُمْ مَدَّةَ عَقْدًا﴾ كثيراً من السماء، وذلك بعد ما رفع المطر عنهم سبع سنين.

[١٧] ﴿لِنُفْيِنَهُمْ﴾ لنختبرهم ﴿فِيهِ﴾ فنعلم كيف شكرهم، علم ظهور ﴿وَمَنْ يُعْرِضْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِ﴾ القرآن ﴿تَنَسَّلْهُ﴾ بالنون والياء^(٢)؛ ندخله ﴿عَذَابًا صَعَدًا﴾ شاقاً.

[١٨] ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ﴾ مواضع الصلاة ﴿لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا﴾ فيها ﴿مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ بأن تشركوا، كما كانت اليهود والنصارى، إذا دخلوا كنائسهم وبمعهم أشركوا.

[١٩] ﴿وَأَنَّهُ﴾ بالفتح، والكسر^(٣) استنفاً، والضمير للشأن ﴿لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ﴾ محمد النبي ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يعبده بيطن نخل^(٤) ﴿كَأَدْوَاهُ﴾ أي: الجن المستمعون لقراءته ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ بكسر اللام وضمها^(٥)؛ جمع لبدة؛ كاللبد في ركوب بعضهم بعضاً ازدحاماً، حرصاً على سماع القرآن.

[٢٠] ﴿إِنَّا﴾^(٦) مجيباً للكفار في قولهم: ارجع عما أنت فيه، وفي قراءة: ﴿قُلْ﴾: ﴿إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي إِلَهاً﴾ ﴿وَلَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾.

[٢١] ﴿قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ صَرًّا﴾ غيًّا ﴿وَلَا رَشَدًا﴾ خيراً.

[٢٢] ﴿قُلْ إِنِّي لَنْ يُخْرِجَنِي مِنَ اللَّهِ﴾ من عذابه إن عصيته ﴿أَمَدًا وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ﴾ أي: غيره ﴿مُنْتَصِدًا﴾ ملتجئاً.

[٢٣] ﴿وَلَا بَلَاغًا﴾ استثناء من مفعول «أَمْلِكُ»؛ أي: لا أملك لكم إلا البلاغ إليكم ﴿مِنْ اللَّهِ﴾ أي: عنه ﴿وَرَسُولِي﴾ عطف على «بَلَاغًا»، وما بين المستثنى منه والاستثناء اعتراض؛ لتأكيد نفي الاستطاعة ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في التوحيد، فلم يؤمن ﴿وَكُنْ تَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ﴾ حال من ضمير «مَنْ» في: «له»؛ رعاية لمنها، وهي حال مقدرة، والمعنى: يدخلونها مُقَدَّرًا خلودهم ﴿فِيهَا أَبَدًا﴾.

[٢٤] ﴿حَقًّا﴾ إذا رَأَوْا فيها معنى الغاية لمقدَّر قبلها؛ أي: لا يزالون على كفرهم، إلى أن يروا ﴿مَّا يُوعَدُونَ﴾ به من العذاب ﴿فَنَسْتَعْلَمُونَ﴾ عند حلوله بهم يوم بدر، أو: يوم القيامة ﴿مَنْ أضعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا﴾ أعواناً، أهم أم المؤمنون؟ على القول الأول، أو: أنا أم هم؟ على الثاني.

[٢٥] فقال بعضهم: متى هذا الوعد؟ فنزل: ﴿قُلْ إِنِّي﴾ أي: ما أَدْرِي ﴿أَقْرَبُ مَّا تُوعَدُونَ﴾ من العذاب ﴿أَمْ يَجْعَلُ لَمْ رَبِّي أَمَدًا﴾ غاية وأجلاً لا

يعلمه إلا هو؟

[٢٦] ﴿عَلَّمَ الْغَيْبِ﴾ ما غاب به^(٧) عن العباد ﴿فَلَا يَظْهَرُ﴾ يطلع ﴿عَلَّ غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ من الناس.

[٢٧] ﴿إِلَّا مَنْ أَرْضَىٰ مِنْ رَسُولٍ قَائِمٌ﴾ مع اطلاعه على ما شاء منه معجزة له ﴿يَسْلُكُ﴾ يجعل ويسير ﴿مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: الرسول ﴿وَمَنْ خَلْفَهُ رَصَدًا﴾ ملائكة يحفظونه، حتى يبلغه في جملة الوحي.

[٢٨] ﴿يَعْلَمُ﴾ الله علم ظهور ﴿أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿قَدْ أَبْلَغُوا﴾ أي: الرسل ﴿وَسَلَّتْ رَبَّهُمْ﴾ روعي بجمع الضمير معنى «مَنْ» ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ عطف على مقدَّر؛ أي: فعلم ذلك ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ تمييز، وهو محمول عن المفعول، والأصل: أحصى عدد كل شيء.

(١) بالكسر قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٢) بالنون قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٣) بالكسر قراءة نافع وشعبة.

(٤) الصواب: «تَنَسَّلَ» كما تقدم.

(٥) بالضم قراءة هشام بخلاف عنه.

(٦) وهي قراءة السبعة عدا حمزة وعاصم، وقرأ حمزة وعاصم: ﴿قُلْ﴾.

(٧) كذا بالأصل، والمناسِب حذف «به».

التكاليف.

[٦] ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ القيام بعد النوم ﴿هِيَ أَسَدٌ﴾ [وطاءة^(١)] موافقة السمع للقلب على تفهم القرآن ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أبين قولاً.

[٧] ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا شَوَكًا﴾ تصرفاً في أشغالك لا تنفرغ فيه لتلاوة القرآن.

[٨] ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: قل: بسم الله الرحمن الرحيم في ابتداء قراءتك^(٢) ﴿وَتَبَتَّلْ﴾ انقطع ﴿إِلَيْهِ تَبَيَّلًا﴾ مصدر «تبَّتل» جيء به رعاية للفاصل، وهو ملزوم التبتل.

[٩] ﴿هُوَ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ موكلًا له أمورك.

[١٠] ﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ أي: كفار مكة، من أذاهم ﴿وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا﴾ لا جرح فيه، وهذا قبل الأمر بقتالهم.

[١١] ﴿وَذَرْنِي﴾ اتركني ﴿وَالْمُكَذِّبِينَ﴾ عطف على المفعول، أو: مفعول معه، والمعنى: أنا كافيكهم، وهم صناديد قريش ﴿أُولَى النَّعْمَةِ﴾ التمتع ﴿وَمَهْلِكُ قِيلًا﴾ من الزمن؛ فقتلوا بعد يسير منه بيد.

[١٢] ﴿إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا﴾ قيودًا ثقلاً؛ جمع «نكل» بكسر النون ﴿وَجَحِيمًا﴾ نارًا محرقة.

[١٣] ﴿وَكَلِمًا نَا غُصَّةً﴾ يُعَصُّ به في الخلق، وهو: الرُّقْم، أو: الضَّرِيع، أو: الغسيل، أو: شوك من نار لا يخرج ولا ينزل ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾ مؤلماً، زيادة على ما ذكر لمن كذب النبي ﷺ.

[١٤] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ﴾ تزلزل ﴿الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَغِيًّا﴾ رملاً مجتمعاً ﴿مَهِيًّا﴾ سائلاً بعد اجتماعه، وهو من: هال يهيل، وأصله: تهَيُّول؛ استقبلت الضمة على الياء فقلت إلى الهاء، وحذفت الواو ثاني الساكنين لزيادتها، وقلت الضمة كسرة لمجانسة الياء.

[١٥] ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولًا﴾ هو محمد ﷺ ﴿شَاهِدًا عَلَيْكَ﴾ يوم القيامة، بما يصدر منكم من العصيان ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا﴾ هو موسى - عليه الصلاة والسلام -.

[١٦] ﴿فَقَصَّ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذَنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا﴾ شديدًا.

[١٧] ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ﴾ في الدنيا ﴿يَوْمًا﴾ مفعول «تتقون»؛ أي: عذابه؛ أي: بأي حصن تحصنون من عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا﴾ جمع أشيب؛ لشدة هوله، وهو يوم القيامة، والأصل في شين «شيبًا» الضم، وكسرت لمجانسة الياء، ويقال في اليوم الشديد: يوم يُشَيِّبُ نواصي الأطفال، وهو مجاز، ويجوز أن يكون المراد في الآية الحقيقة.

[١٨] ﴿الْأَسْمَاءُ مُنْقَطِرٌ﴾ ذات انقطاع؛ أي: انشقاق ﴿بِوَاءٍ﴾ بذلك اليرم لشدة ﴿كَانَ وَعْدُهُ﴾ - تعالى - مجيء ذلك ﴿مَفْعُولًا﴾ أي: هو كائن لا محالة.

[١٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ الآيات الخوفية ﴿تَذَكُّرٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالآيمان والطاعة.

سُورَةُ الْمُرْجَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُرْجِلُ ﴿١﴾ فَرِ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نَضْفُهُ، أَوْ أَنْفَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَبُّنَا الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْعًا شَوَكًا ﴿٧﴾ وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبَيَّلًا ﴿٨﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَبِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ وَمَهْلِكُ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذُعَصَةً وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَغِيًّا مَهِيًّا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكَ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَقصَّ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذَنَاهُ أَخَذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا ﴿١٧﴾ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٨﴾ الْأَسْمَاءُ مُنْقَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٩﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الْمُرْجَاتِ

[مكية: أو: إلا قوله: ﴿إِنْ رَبِّكَ يَعْلَمُ...﴾ إلى آخرها؛ فمدني، تسع عشرة، أو: عشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الْمُرْجِلُ﴾ النبي، وأصله: «المرزمل»، أدغمت التاء في الزاي؛ أي: المتلطف بشباهه حين مجيء الوحي له؛ خوفاً منه لهيبته.

[٢] ﴿فَرِ اللَّيْلِ﴾ صل ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾.

[٣] ﴿نَضْفُهُ﴾ بدل من «قليلًا»، وقتته بالنظر إلى الكل ﴿أَوْ أَنْفَضَ مِنْهُ﴾ من النصف ﴿قَلِيلًا﴾ إلى الثلث.

[٤] ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ إلى الثالث، وأو: لتخير ﴿وَرَبُّنَا الْقُرْآنَ﴾ ثبتت في تلاوته ﴿تَرْتِيلًا﴾.

[٥] ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا﴾ قرأنا ﴿ثَقِيلًا﴾ مهيباً، أو: شديداً؛ لما فيه من

(١) هذه قراءة أبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة: (ووطئ) يفتح الواو وسكون الطاء؛ أي أثبت قراءة وقائماً.

(٢) ذكر اسم الرب في الآية أعم من قصره على ذكر البسملة في ابتداء القراءة، وإنما المعنى: دم على ذكره تعالى ليلاً ونهاراً، بالتوحيد والتعظيم، على أي وجه كان من تسبيح وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن وغير ذلك.

[٢٠] ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ أَقْلٍ ﴿١﴾ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَيُبْضِيهِ وَلَيْثًا﴾ بالجر عطف على «ثلاثي»، والنصب (١) على «أدنى»، وقامه كذلك، نحو ما أُمِرَ به أول السورة ﴿وَمَا ظَنُّكَ مِنَ الَّذِينَ مَكَكَ﴾ عطف على ضمير: «تقوم»، وجاز من غير تأكيد للفصل، وقام طائفة من أصحابه كذلك، للتأسي به، ومنهم من كان لا يدرى كم صلى من الليل، وكم بقي منه؛ فكان يقوم الليل كله احتياطًا، فقاموا حتى انتفخت أقدامهم سنة أو أكثر؛ فخفف عنهم قال - تعالى -: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْذُرُ﴾ يحصي ﴿الْبَلَّ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿أَنَّ ثُخْصُوهُ﴾ أي: الليل؛ لتقوموا فيما يجب القيام فيه، إلا بقيام جميعه، وذلك يشق عليكم ﴿فَقَابَ عَلَيْكُمْ﴾ رجع بكم إلى التخفيف ﴿فَقَرُّوا مَا بَيَّنَّ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ في الصلاة، بأن تصلوا ما تيسر ﴿عَلِمَ أَنْ﴾ مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه ﴿سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُوٌّ وَمَاخِرُونَ يُضْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ يسافرون ﴿يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ يطلبون من رزقه؛ بالتجارة وغيرها ﴿وَمَاخِرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ وكل من الفرق الثلاثة يشق عليهم ما ذكر في قيام الليل، فخفف عنهم بقيام ما تيسر منه، ثم نسخ ذلك بالصلوات الخمس (٢) ﴿فَقَرُّوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ كما تقدم ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ المفروضة ﴿وَأَتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ﴾ بأن تنفقوا ما سوى المفروض من المال في سبيل الخير ﴿قَرِضًا حَسَنًا﴾ عن طيب قلب ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ﴾ مما خلفتم، وهو «فصل، وما بعده» (٣) وإن لم يكن معرفة؛ يشبهها؛ لامتناعه من التعريف ﴿وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ للمؤمنين.

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

[مكية، خمس (٤) وخمسون آية] (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ، وَأَصْلِهِ الْمَدِينَةُ، أَدْعَمَتْ لَنَا فِي الْبَنَاءِ، أَي: المتلف بشيابه، عند نزول الوحي عليه. [٢] ﴿وَأَذِّنْ﴾ خوف أهل مكة النار، إن لم يؤموا. [٣] ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ عظم عن إشراك المشركين. [٤] ﴿وَرَبَّكَ فَطَعِّرْ﴾ عن النجاسة، أو قصرها خلاف جر العرب ثيابهم بخلاء؛ فرما أصابها نجاسة. [٥] ﴿وَأَرْجِزْ﴾ فسر النبي ﷺ بالأوثان (٥). ﴿فَاهْجِزْ﴾ أي: دم على هجره. [٦] ﴿وَلَا تَسْأَلْ عَنْ شَيْءٍ﴾ بالرفع حال؛ أي: لا تعط شيئاً لتطلب أكثر منه، وهذا خاص به ﷺ؛ لأنه مأمور بأحمل الأخلاق وأشرف الآداب. [٧] ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ على الأوامر ولنوحي. [٨] ﴿فَإِذَا يُقْرَأْ﴾ النَّافُونَ نفع في الصور، وهو: القرن، النسخة الثانية. [٩] ﴿فَذَلِكْ﴾ أي:

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرجه البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرففت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فذرني، فأقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَرْجِزْ فَاهْجِزْ﴾ قبل أن تفرض الصلاة. وهي الأوثان البخاري - كتاب بدء الوحي (١) باب (٣).

(١) بالجر؛ قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالنصب فيهما: «نصفه وثلثه».

(٢) أخرجه مسلم (٧٤٦) عن سعد بن هشام بن عامر أنه قال لعائشة: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ، فقالت: أليست تقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؟ قلت: بلى. قالت: فإن الله ﷻ افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقدم النبي ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها التي عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة.

(٣) وهو قول تعالى: (خير)، والمعنى: أن ضمير الفصل «هو» إما جار الإتيان به هنا بين معرفة وكرة، وهو لا يقع إلا بين معرفتين. إلا أنه جاز الإتيان به هنا؛ لأن أقمل التفضيل «خير» يشبه المعرفة.

(٤) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي بعضها: ست وخمسون آية. وهو صحيح.

(٥) أخرجه الحاكم (٢٧٥/٢) وصححه على شرطهما. وتفسير الرجز بالأوثان عند مسلم (١٦١) وأحمد (١٤٦١٧) من قول أبي سلمة بن عبد الرحمن.

(٦) أي: إلى مؤنن توين عوض عن الجملة، وهو: «إذ» في: «يومئذ» أي: يوم إذ نُقِرَ في النافور.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِنْ ثُلَاثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ، وَثُلَاثِيَّةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُخْصَوْهُ فَتَأْتِي عَلَيْكُمْ فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْجُوٌّ وَمَاخِرُونَ يُضْرَبُونَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَعَآخِرُونَ يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

سُورَةُ الْمَائِدَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَدِينَةُ ﴿١﴾ فَرَّانِذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَرَبَّكَ فَطَعِّرْ ﴿٤﴾ وَالرَّجَزَ فَاهْجِزْ ﴿٥﴾ وَلَا تَسْأَلْ عَنْ شَيْءٍ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ وَإِذَا يُقْرَأْ ﴿٨﴾ فِي النَّافُورِ ﴿٩﴾ فَذَلِكِ يَوْمَئِذٍ نَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿١٠﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ عَزِيزٌ ﴿١١﴾ ذَرِي وَمَنْ خَلَقْتَ وَحِيدًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْتَ لَهُ مَا لَا مَمْدُودَ ﴿١٣﴾ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴿١٤﴾ وَمَهْدَتْ لَهُ تَهْمِيدًا ﴿١٥﴾ فَمُزِجْهُمْ أَنْ أَرِيدَ ﴿١٦﴾ كَلَامَهُ ﴿١٧﴾ كَانَ لَا يَلْتَنِعُ عَيْنِدَا ﴿١٨﴾ سَأَرْهَقَهُ صَعُودًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿٢٠﴾

وقت النقر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل مما قبله؛ المبتدأ، ويأتي لإضافته إلى غير متمكن (٢)، وخبر المبتدأ: ﴿يَوْمَ عَسِيرٍ﴾ والعامل في «إذا» ما دلت عليه الجملة؛ أي: اشتد الأمر. [١٠] ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ عَزِيزٌ﴾ فيه دلالة على أنه يسير على المؤمنين؛ أي: في عسره. [١١] ﴿ذَرِي﴾ اتركني ﴿وَمَنْ خَلَقْتَ﴾ عطف على المفعول، أو: مفعول معه ﴿وَحِيدًا﴾ حال من «مَنْ»، أو: من ضميره المحذوف، من «خلقت»؛ أي منفردًا بلا أهل ولا مال، هو: الوليد بن المخيرة المخزومي. [١٢] ﴿وَجَعَلْتَ لَهُ مَا لَا مَمْدُودَ﴾ واسعًا متصلًا من الزروع والضروع والتجارة. [١٣] ﴿وَبَيْنَ شُهُودًا﴾ عشرة أو أكثر ﴿شُهُودًا﴾ يشهدون المحفل، وتسمع شهاداتهم. [١٤] ﴿وَمَهْدَتْ﴾ بسطت ﴿لَهُ﴾ في العيش والعمر

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرجه البخاري عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «فبينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرففت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فذرني، فأقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلى قوله: ﴿وَأَرْجِزْ فَاهْجِزْ﴾ قبل أن تفرض الصلاة. وهي الأوثان البخاري - كتاب بدء الوحي (١) باب (٣).

(١) بالجر؛ قراءة نافع، وأبي عمرو، وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالنصب فيهما: «نصفه وثلثه».

(٢) أخرجه مسلم (٧٤٦) عن سعد بن هشام بن عامر أنه قال لعائشة: أنبئيني عن قيام رسول الله ﷺ، فقالت: أليست تقرأ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾؟ قلت: بلى. قالت: فإن الله ﷻ افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقدم النبي ﷺ وأصحابه حولاً، وأمسك الله خاتمتها التي عشر شهراً في السماء، حتى أنزل الله في آخر هذه السورة التخفيف، فصار قيام الليل تطوعاً بعد فريضة.

(٣) وهو قول تعالى: (خير)، والمعنى: أن ضمير الفصل «هو» إما جار الإتيان به هنا بين معرفة وكرة، وهو لا يقع إلا بين معرفتين. إلا أنه جاز الإتيان به هنا؛ لأن أقمل التفضيل «خير» يشبه المعرفة.

(٤) كذا في أكثر النسخ المطبوعة، وفي بعضها: ست وخمسون آية. وهو صحيح.

(٥) أخرجه الحاكم (٢٧٥/٢) وصححه على شرطهما. وتفسير الرجز بالأوثان عند مسلم (١٦١) وأحمد (١٤٦١٧) من قول أبي سلمة بن عبد الرحمن.

(٦) أي: إلى مؤنن توين عوض عن الجملة، وهو: «إذ» في: «يومئذ» أي: يوم إذ نُقِرَ في النافور.

فَقِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ۖ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ۖ ثُمَّ نَظَرَ ۖ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۖ
 ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ۖ فَقَالَ إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُؤْتَرٌ ۖ إِنَّ هَذَا
 إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ سَأَصْلِيهِ سَقَرٌ ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۖ
 لَا يَقْنِى وَلَا تَنْزَرُ ۖ لَوَاحٍ لِلْبَشَرِ ۖ عَلَيْهِ تِسْعَةُ عَشْرَ ۖ وَمَا جَعَلْنَا
 أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۖ وَمَا جَعَلْنَا عَنْدهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا
 لِيَسْتَفِيقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَرْذُرَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيَّانَا وَلَا يَزَنَابَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَقْرَضٌ
 وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا ۖ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
 وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۖ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى
 لِلْبَشَرِ ۖ كَذَلِكَ الْقَمِرِ ۖ وَإِلَّا أَذْبَرَ ۖ وَالصَّبْحُ إِذَا اسْفَرَفَتْ ۖ إِنَّهَا
 لَإِحْدَى الْكُبَرِ ۖ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ ۖ لَمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ
 ۖ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ۖ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۖ فِي جَنَّاتٍ
 يَسْتَبَاشُونَ ۖ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ۖ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ۖ قَالُوا لَوْلَا
 مِنَّا الْمَصْلُوبُونَ ۖ وَلَوْلَا تَنُوعُ الْمَسْكِينِ ۖ وَكُنَّا تَحَوُّصَ مَعَ
 الْحَافِظِينَ ۖ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۖ حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ ۖ

والولد ۖ وَهَيْجًا ۖ [١٥١] ۖ ثُمَّ يَطْعَمُ أَنْ أَزِيدَ ۖ [١٦] ۖ كَلَّا ۖ لَا أَزِيدُهُ
 عَلَى ذَلِكَ ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا الْقُرْآنَ عِندَنَا ۖ [١٧] ۖ سَأُرْهِقُهُمْ
 أَكْلَهُ ۖ صَعِيدًا ۖ مشقة من العذاب، أو: جبلًا من نار، يصعد فيه ثم يهوي
 أبدًا.

[١٨] ۖ إِنَّهُمْ فَكَّرُوا ۖ فيما يقول في القرآن، الذي سمعه من النبي ﷺ
 ۖ وَفَدَّرُوا ۖ في نفسه ذلك. [١٩] ۖ فَقِيلَ لَعَنَ وَعَذِبَ ۖ كَيْفَ قَدَرٌ ۖ على
 أي حال كان تقديره. [٢٠] ۖ ثُمَّ قِيلَ كَيْفَ قَدَرٌ ۖ [٢١] ۖ ثُمَّ نَظَرَ ۖ في
 وجهه قومه، أو فيما يقدح به فيه. [٢٢] ۖ ثُمَّ عَبَسَ ۖ قبض وجهه وكلحه؛
 ضيقًا بما يقول ۖ وَبَسَرَ ۖ زاد في القبض والكلوح. [٢٣] ۖ ثُمَّ أَدْبَرَ ۖ عن

الإيمان ۖ وَاسْتَكْبَرَ ۖ تكبر عن اتباع النبي ﷺ. [٢٤] ۖ فَقَالَ ۖ فيما جاء به:
 «إِنْ ۖ مَا ۖ هَذَا ۖ لَا يَغُرُّ بَيْنَهُ ۖ» ينقل عن السحرة. [٢٥] ۖ «إِنْ ۖ مَا ۖ هَذَا ۖ
 إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ۖ» كما قالوا: «إِنَّمَا يَمْلِكُهُمُ الشَّرُّ ۖ» [٢٦] ۖ سَأَصْلِيهِ ۖ
 أدخله ۖ سَقَرٌ ۖ جهنم. [٢٧] ۖ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ ۖ تعظيم لشأنها. [٢٨]
 ۖ لَا يَقْنِي وَلَا تَنْزُرُ ۖ شيقًا من لحم ولا عصب إلا أهلكته، ثم يعود كما كان.
 [٢٩] ۖ لَوَاحٍ لِلْبَشَرِ ۖ مُحَرَّقة لظاهر الجلد. [٣٠] ۖ عَلَيْهِ تِسْعَةُ عَشْرَ ۖ ملكًا
 خزنونها؛ قال بعض الكفار وكان قويًا شديد البأس: أنا أكفيكم سبعة عشر،
 واكفوني أتم اثنين^(١).

[٣١] قال - تعالى -: «وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً ۖ أَي: فلا يطاقون
 كما يتوهمون ۖ وَمَا جَعَلْنَا عَنْدهُمْ ۖ ذلك ۖ إِلَّا فِتْنَةً ۖ ضلالًا ۖ لِلَّذِينَ
 كَفَرُوا ۖ» بأن يقولوا: لِمَ كانوا تسعة عشر؟ ۖ «لِيَسْتَفِيقَ ۖ لِيَسْتَفِيقَ ۖ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْكِتَابَ ۖ أَي: اليهود صدق النبي ﷺ في كونهم تسعة عشر، الموافق لما في
 كتابهم ۖ وَرَذُرَ الَّذِينَ آمَنُوا ۖ من أهل الكتاب ۖ إِيَّانَا ۖ تصديقًا؛ لموافقته ما
 أتى به النبي ﷺ لما في كتابهم ۖ وَلَا يَزَنَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ من
 غيرهم، في عدد الملائكة ۖ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَقْرَضٌ ۖ شك بالمدينة
 ۖ وَالْكَافِرُونَ ۖ بمكة: «مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا ۖ العدد ۖ مَثَلًا ۖ سموه لغرابته
 بذلك، وأعرب حالًا ۖ كَذَلِكَ ۖ أَي: مثل إضلال منكبر هذا العدد، وهدي
 مُصَدِّقُهُ ۖ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ ۖ أَي: الملائكة؛
 في قوتهم وأعمالهم ۖ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ ۖ أَي: سقر ۖ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ ۖ.

[٣٢] ۖ كَلَّا ۖ استفتاح بمعنى: ألا ۖ وَالْقَمَرِ ۖ [٣٣] ۖ وَاللَّيْلِ [إِذَا] ۖ
 بفتح الدال ۖ [ذِكْرًا] ۖ جاء بعد النهار، وفي قراءة: «إِذَا أَذْبَرَ ۖ» بسكون
 الدال بعدها همزة، أي: مضى. [٣٤] ۖ وَالصَّبْحُ إِذَا اسْفَرَفَتْ ۖ ظهر.

[٣٥] ۖ إِنَّهَا ۖ أَي: سقر ۖ لِإِحْدَى الْكُبَرِ ۖ البلايا العظام. [٣٦] ۖ نَذِيرًا ۖ
 حال من «إحدى»، وذكر لأنها بمعنى العذاب ۖ لِلْبَشَرِ ۖ [٣٧] ۖ لَمَن شَاءَ
 مِنْكُمْ ۖ بدل من «البشر» ۖ أَنْ يَتَقَدَّمَ ۖ إلى الخير، أو: الجنة، بالإيمان ۖ أَوْ
 يَتَأَخَّرَ ۖ إلى الشر، أو: النار، بالكفر. [٣٨] ۖ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ۖ
 مرهونة مأخوذة بعملها في النار. [٣٩] ۖ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ۖ وهم المؤمنون،
 فنانجون منها. [٤٠] ۖ كَانْتُونَ ۖ فِي جَنَّاتٍ يَسْتَبَاشُونَ ۖ بينهم. [٤١] ۖ عَنِ
 الْمُجْرِمِينَ ۖ وحالهم. [٤٢] ۖ وَيَقُولُونَ لَهُمْ بعد إخراج الموحدين من النار: «مَا
 سَلَكَكُمْ ۖ ما أدخلكم ۖ فِي سَقَرٍ ۖ» [٤٣] ۖ قَالُوا لَوْلَا تَنُوعُ الْمَصْلُوبِينَ ۖ.
 [٤٤] ۖ وَلَوْلَا تَنُوعُ الْمَسْكِينِ ۖ. [٤٥] ۖ وَكُنَّا تَحَوُّصَ ۖ في الباطل ۖ مَعَ
 الْخَافِضِينَ ۖ. [٤٦] ۖ وَكُنَّا نَكْذِبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ۖ البعث والجزاء [٤٧] ۖ حَتَّى أَتَانَا
 الْيَقِينُ ۖ الموت.

وأخرج البخاري عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سمة: أي اقتران أنزل أول؟ فقال: «يَتَأْتِي النَّازِعَاتُ ۖ» فقلت: أنبت أنه «أَفَرَأَيْتُمْ يَأْتِي رَبَّكَ أَلَيْسَ تَلَوُّهُ ۖ»، فقال أبو سمة: سألت حابر بن عبد
 الله: أي القرآن أول؟ فقال: «يَتَأْتِي النَّازِعَاتُ ۖ» فقلت: أنبت أنه «أَفَرَأَيْتُمْ يَأْتِي رَبَّكَ أَلَيْسَ تَلَوُّهُ ۖ». فقال: لا أجرك إلا بما قال رسول الله ﷺ. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الم نشر (٧٤) باب
 (١). قال الحافظ: «المراد بالأولية في قوله: «أول ما نزل سورة الم نشر» الأولية مخصوصة بما بعد فرة الوحي، أو مخصوصة بالآمر والإندار، لا أن المراد أنها أولية مطلقة». [الفتح ٥٤٨/٨].
 وقال النووي: الصواب أن أول ما نزل على الإطلاق: «أَفَرَأَيْتُمْ يَأْتِي رَبَّكَ ۖ». كما صرح به في حديث عائشة.

(١) المحل. ١٠٣.

(٢) ذلك عن رجل يقال له: أبو الأشد أسيد بن كلبه بن خلف الجمحي. كما في تفسير البغوي وغيره، وروي غير ذلك، ولم يثبت منه شيء صحيح تقوم به الحجة.

(٣) وهي قرينة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ نقة السبعة: «(إِذَا أَذْبَرَ) ۖ» بسكون الدال بعدها همزة.

[٤٨] ﴿فَمَا تَعْمَهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ من الملائكة والأنبياء والصالحين، والمعنى: لا شفاعة لهم.

[٤٩] ﴿فَمَا﴾ مبتدأ ﴿لَهُمْ﴾ خبره، متعلق بمحذوف انتقل ضميره إليه^(١) ﴿عَنِ التَّذِكُّرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ حال من الضمير، والمعنى: أي شيء حصل لهم في إعراضهم عن التذكرة؟ [٥٠] ﴿كَانَهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ﴾ وحشية. [٥١] ﴿فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ﴾ أسد؛ أي: هربت منه أشد الهرب. [٥٢] ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّثَنَّرَةً﴾ أي: من الله - تعالى - باتباع النبي؛ كما قالوا: ﴿وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّقْرُؤُهُ﴾^(٢).

[٥٣] ﴿كَلَّا﴾ ردع عما أرادوه ﴿بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ﴾ أي: عذابها. [٥٤] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: القرآن ﴿تَذَكَّرُوا﴾ عظة. [٥٥] ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ قرأه فاتعظ به. [٥٦] ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ﴾ بالباء والتاء^(٣) ﴿إِلَّا أَنْ يَنْشَأَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ﴾ بأن يتقى وأهل التَّغَفُّرِ ﴿بأن يغفر لمن اتقاه.

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

[مكية، أربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا﴾ زائدة في الموضعين ﴿أَقِيمِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾. [٢] ﴿وَلَا أَقِيمِ بِالْقَيْسِ أَلْوَامَةً﴾ التي تلوم نفسها وإن اجتهدت في الإحسان، وجواب القسم محذوف؛ أي: ليتعن، دل عليه: [٣] ﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَكْفَرًا﴾ أي: الكافر ﴿أَلَّنْ تَجْعَ عِظَامُهُ﴾ للبعث والإحياء؟ [٤] ﴿بَلْ كَلَّا﴾ نفيها ﴿فَدِيرُ﴾ مع جمعها ﴿عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ﴾ وهو: الأصابع؛ أي: نعيد عظامها كما كانت مع صغرها، فكيف بالكبيرة؟ [٥] ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ﴾ اللام زائدة، ونصبه به ﴿أَنْ﴾ مقدرة؛ أي: أن يكذب ﴿أَمَانَتُهُ﴾ أي: يوم القيامة، دل عليه: [٦] ﴿يَسْتَلْ أَتَىٰ﴾ متى ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ سؤال استهزاء وتكذيب. [٧] ﴿فَإِنَّا يَرَىٰ الْقَهْرُ﴾ بكسر الراء وفتحها^(٤)؛ ذهش وتغير، لما رأى مما كان يكذبه. [٨] ﴿وَحَسَفَ الْقَهْرُ﴾ أظلم وذهب ضوؤه. [٩] ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ فطلعا من المغرب، أو: ذهب ضؤوهما، وذلك في يوم القيامة.

[١٠] ﴿يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ الفرار؟ [١١] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن طلب الفرار ﴿لَا وَرَرْ﴾ لا ملجأ ينجصن به. [١٢] ﴿إِنِّي رَأَيْتُ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرَّ﴾ المستقر الخلاق؛ فيحاسبون ويجازون. [١٣] ﴿يَبْئُتُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ يَمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ بأول عمله وآخره. [١٤] ﴿بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ شاهد؛ تنطلق جوارحه بعمله، والهال للمبالغة، فلا بد من جزائه. [١٥] ﴿وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَادِيرُهُ﴾ جمع

فَمَا تَعْمَهُمْ شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ قَالَ لَهُمْ عَنِ التَّذِكُّرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَانَهُمْ حُمْرٌ مُّسْتَنْفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّثَنَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿٥٣﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ﴿٥٤﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٥﴾

سُورَةُ الْقِيَامَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقِيمِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالْقَيْسِ أَلْوَامَةً ﴿٢﴾ أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ تَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلْ قَدِيرٌ عَلَىٰ أَنْ تُسَوَّىٰ بَنَانُهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ سَعَلَ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرَأَ أَبْصَرُ ﴿٧﴾ وَحَسَفَ الْقَهْرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَرَرْ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يَبْئُتُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ يَمَّا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلْ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْفَىٰ مَعَادِيرُهُ ﴿١٥﴾ لَا تَحْزَنُ بِهِ لِسَانُكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنْ عَلَيْنَا جَمْعُهُ رُفُوءُهُ أَنَّهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَعَ بِقُرْآنِهِ أَنَّهُ ﴿١٨﴾ فَوَيْلٌ عَلَيْنَا بَيَانُهُ ﴿١٩﴾

«معذرة»، على غير قياس؛ أي: لو جاء بكل معذرة ما قبلت منه.

[١٦] قال - تعالى - لنبية: ﴿لَا تَحْزَنِي بِهِ﴾ بالقرآن قبل فراغ جبريل منه ﴿لِسَانُكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ﴾ خوف أن ينفلت منك. [١٧] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ في صدرك ﴿وَقُرْآنُهُ﴾ قراءتك إياه؛ أي: جريانه على لسانك. [١٨] ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ﴾ عليك بقراءة جبريل ﴿فَأَتَعَ قُرْآنُهُ﴾ استمع قراءته، فكان يستمع ثم يقرؤه. [١٩] ﴿فَوَيْلٌ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ بالتفهيم لك، والمناسبة بين هذه الآية وما قبلها أن تلك تضمنت الإعراض عن آيات الله، وهذه تضمنت المبادرة إليها بحفظها^(٥).

(٥) ما جاء في نزول الآيات: (١٦ - ١٩): أخرج البخاري عن ابن عباس في قوله: ﴿لَا تَحْزَنِي بِهِ لِسَانُكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل عليه الوحي، وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يعرف منه، فأقول الله الآلة التي في ﴿لَا أَقِيمِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾: ﴿لَا تَحْزَنِي بِهِ لِسَانُكَ لَتَعَجَّلَ بِهِ﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنُهُ قال: علينا أن نجعله في صدرك وقراءته أن تقرأه ﴿فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَأَتَعَ قُرْآنُهُ﴾ فإذا أنزله فاستمع ﴿فَوَيْلٌ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ علي أن نبيه بلسانك، قال: فكأن أنه جبريل أطرق، فإذا ذهب قرأ ما وعده الله. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) باب (٢) سورة القيامة (٧٦).

(١) لأن القاعدة: أن الجار والمجرور إذا وقع خبراً، حذف متعلقه وجواباً، وانتقل ضميره إليه.

(٢) الإسراء: ٩٣.

(٣) نالتاء قراءة نافع.

(٤) بالفتح قراءة نافع.

أي: الشوق، وهذا يدل على العامل في «إذا»، والمعنى: إذا بلغت النفس الحلقوم تساق إلى حكم ربها. [٣١] ﴿فَلَا صَدَقَ﴾ الإنسان ﴿وَلَا صَلَّى﴾ أي: لم يصدق ولم يصل. [٣٢] ﴿وَلَكِنْ كَذَّبَ﴾ بالقرآن ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان. [٣٣] ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى آفِلَاءٍ يَمْتَطِينَ﴾ يمتطون في مشيته إعجاباً. [٣٤] ﴿أُولَئِكَ﴾ فيه الصفات عن الغيبة، والكلمة اسم فعل، واللام للبيان؛ أي: وليك ما تكره ﴿فَأُولَئِكَ﴾ أي: فهو أولى بك من غيرك. [٣٥] ﴿ثُمَّ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ﴾ تأكيد. [٣٦] ﴿أَيَحْسَبُ﴾ يظن ﴿الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ هملًا، لا يكلف بالشرائع؟ أي: لا يحسب ذلك. [٣٧] ﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ عِلْفٌ﴾ كان ﴿ظَنَّهُ بَيْنَ يَمِينٍ﴾ بالياء والناء^(١)؛ نُصِبَ في الرحم؟ [٣٨] ﴿شَرٌّ كَانَ﴾ المنى ﴿عَلَقَةً﴾ فَمَلَأَ الله منها الإنسان ﴿فَسَوَّاهُ﴾ عدل أعضائه؟ [٣٩] ﴿فَخَلَقَ مِنْهُ﴾ من المنى الذي صار علقه، أي: قطعة دم ثم مضغته؛ أي: قطعة لحم ﴿الزَّوْجَيْنِ﴾ النوعين ﴿الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ يجتمعان تارة، وينفرد كل منهما عن الآخر تارة. [٤٠] ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ﴾ الفعّال لهذه الأشياء ﴿يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ الْكُلَّ﴾ قال ﴿بَلَى﴾^(٢).

سورة الانشراح

[مكية أو مدنية، وآياتها إحدى وثلاثون]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿هَلْ عَلَيَّ الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَ الْيَوْمِ مَذْكُورًا﴾ أي: هل عليّ الإنسان آدم ﴿حِينَ مَنَ الْيَوْمِ﴾ أربعون سنة^(٥) ﴿أَمْ يَكُنْ﴾ فيه ﴿شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ كان فيه مصورا من طين لا يذكر، أو: المراد بالإنسان الجنس، وبالحين: مدة الحمل. [٢] ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ الجنس ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ﴾ أخلط؛ أي: من ماء الرجل وماء المرأة، المختلطين المتترجين ﴿بِتَبْيِيلِهِ﴾ نخبته بالتكليف، والجملة مستأنفة، أو: حال مقدرة؛ أي: يريدون ابتلاء حين تأمله ﴿بِتَبْيِيلِهِ﴾ بسبب ذلك ﴿سَيِّعًا بَصِيرًا﴾. [٣] ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ﴾ بيّنا له طريق الهدى، بيعت الرسل ﴿إِنَّمَا شَاكَرَّا﴾ أي: مؤمنا ﴿وَأَمَّا كُفُورًا﴾ حالان من المفعول؛ أي: بيّنا له في حال شكره أو كفره، المقدرة، و«إما» لتفصيل الأحوال. [٤] ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا﴾ هينا ﴿لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا﴾ يسحبون بها في النار ﴿وَأَعْتَدْنَا﴾ في أعناقهم، تُشد فيها السلاسل ﴿وَسِعِيرًا﴾ نارا مسعرة؛ أي: مهيجّة، يعذبون بها. [٥] ﴿إِنَّا الْكَافِرِينَ﴾ جمع «كافر» أو «بار»، وهم: المطيعون ﴿يَتَّبِعُونَ﴾ كافرين، هو إزاء شرب الخمر وهي فيه، والمراد: من خمر؛ تسمية للحال باسم المحض، و«من» للتعبير ﴿كَانَ مِرْاجِعًا﴾ ما ترج به ﴿كَافُورًا﴾.

كَذَلِكَ نَحْجُبُ الْعَالَمَةَ ﴿١﴾ وَنَذَرُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ﴿٣﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٤﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٥﴾ تَنْظُرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٦﴾ كَذَلِكَ إِذَا بَلَغَتِ الرَّاقِيَّةُ ﴿٧﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٨﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٩﴾ وَالْتَفَتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ ﴿١٠﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿١١﴾ فَلَا صَدَقَ وَلَا صَلَّى ﴿١٢﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٣﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِ بِسَاطِرٍ ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ أُولَئِكَ فَأُولَئِكَ ﴿١٦﴾ أَيْحَسِبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿١٧﴾ أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنَىٰ يَمِينٍ ﴿١٨﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَهَوَىٰ ﴿١٩﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ الْكُلَّ ﴿٢١﴾

سورة الانشراح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ عَلَيَّ الْإِنْسَانِ حِينَ مَنَ الْيَوْمِ مَذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَاكُورًا ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا وَاعْتَدْنَا وَسْعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَكِينًا وَاعْتَدْنَا وَسْعِيرًا ﴿٥﴾

[٢٠] ﴿كَلَّا﴾ استفتاح بمعنى: ألا ﴿بَلْ لَّيْحُونُ﴾ الفاجلة ﴿الدنيا بالياء والناء في الفعلين^(١)﴾. [٢١] ﴿وَيَذَرُونَ﴾ الآخرة ﴿فلا يحملون لها﴾. [٢٢] ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ أي: في يوم القيامة ﴿بَاسِرَةٌ﴾ حسنة مضيفة. [٢٣] ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ أي: يرون الله - سبحانه وتعالى - في الآخرة. [٢٤] ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ كالحة شديدة العبوس. [٢٥] ﴿تَنْظُرُ﴾ توفن ﴿أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ داهية عظيمة، تكسر فقار الظهر. [٢٦] ﴿كَلَّا﴾ بمعنى: ألا ﴿إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ الرَّاقِيَّةُ﴾ عظام الحلق. [٢٧] ﴿وَقِيلَ﴾ قال من حوله: ﴿مَنْ رَاقٍ﴾ يرقيه ليشفي؟

[٢٨] ﴿وَلَنْ﴾ أيقن من بلغت نفسه ذلك ﴿أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ فراق الدنيا. [٢٩] ﴿وَالْتَفَتِ السَّاقِ بِالسَّاقِ﴾ أي: إحدى ساقيه بالآخرى عند الموت، أو: التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة. [٣٠] ﴿إِنِّي رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾

(١) أي: «يجبون» و«يذرون»، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) بالناء قراءة السبعة عدا حفص.

(٣) أخرج نحوه أبو داود (٧٥٣) وأحمد (٧٠٨٦) من حديث أبي هريرة، وأخرج الطبري (٨٢/٢٤) عن قتادة: ذكر لنا أن نبي الله ﷺ كان إذا قرأها قال: «سبحانك يلى». وأخرج أبو داود (٧٥٠) عن موسى بن أبي عائشة قال: كان رجل يصلي فوق بينه وكان إذا قرأ ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَدِيرٍ﴾ قال: سبحانك يلى، فسأله عن ذلك. فقال: سمعته من رسول الله ﷺ.

وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٧٨٦).

(٤) أي: فليست هل للاستفهام. وقيل: إنها للاستفهام التقريري. والمقصود إزام الحصم المكر للبعث؛ لأن القادر على إيجاد الإنسان من عدم قادر على إعادته.

(٥) قيل: مرت عليه أربعون سنة، وكان مصورا من طين لم ينفخ فيه الروح.

[٦] ﴿عَيْنَا﴾ بدل من: ﴿كَأَنَّهُمَا﴾ فيها راحته ﴿يَتَرَبَّ بِهَا﴾ منها ﴿عَيْنَا اللَّهُ﴾ أولياؤه ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ يفقدونها حيث شاءوا من منازلهم.
[٧] ﴿يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ﴾ في طاعة الله ﴿وَيُخَالِفُونَ بِوَمَا كَانُوا مِنْهُمْ مَشْطُورًا﴾ منتشروا.
[٨] ﴿وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حَيْثُ﴾ أي: لطعام وشهوتهم هـ ﴿وَمُسْكِنًا﴾ فقيرًا ﴿وَيُنِيكًا﴾ لا أب له ﴿وَأَيُّهَا﴾ يعني: المحبوس بحق. [٩] ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكَ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ لطلب ثوابه^(١) ﴿لَا نُزِيدُ بِكَ جَزَاءً وَلَا نُكْثِرُكَ﴾ شكرًا، فيه علة الإطعام، وهل تكلموا بذلك، أو: علمه الله منهم، فأثنى عليهم به؟ قولان.
[١٠] ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُيُوبًا﴾ تكلح الوجوه فيه، أي: كرية النظر لشدة ﴿فَطَرِيرًا﴾ شديدًا في ذلك.

[١١] ﴿فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ سَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ﴾ أعطاهم ﴿فَضْرَةً﴾ حُشْنًا وإضاعة في وجوههم ﴿وَسَرُّرًا﴾ [١٢] ﴿وَنَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ بصبرهم عن المعصية ﴿جَنَّةً﴾ أدخلوها ﴿وَحَرِيرًا﴾ أليسه.
[١٣] ﴿مُتَّكِنِينَ﴾ حال من مرفوع: «أدخلوها» المقدَّر ﴿فِيهَا عَلَى الْأَرْيَافِ﴾ الشرقي في الجبال ﴿لَا يَزُونَ﴾ لا يجدون، حال ثانية ﴿فِيهَا مَسَا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ لا حرًا ولا بردًا، وقيل: الزمهرير: القمر، فهي مضيق من غير شمس ولا قمر.
[١٤] ﴿وَدَائِيَّةً﴾ قرية، عطف على محض: «لا يرون»، أي: غير رائيين ﴿عَلَيْهِمْ﴾ منهم ﴿يَلْبَسُهَا﴾ شجرها ﴿وَوَلَّتْ فُطُوفُهَا لَدَلِيلًا﴾ أدنيت ثمارها؛ فينالها القائم والقاعد والمضطجع. [١٥] ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ﴾ فيها ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا﴾ وأكوابٌ أفداح بلا عرى ﴿كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾^(٢) [١٦] ﴿قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ﴾ أي: إنها من فضة، يرى باطنها من ظاهرها كالزجاج ﴿فَذَرَبُهَا﴾ أي: الطاقون ﴿تَقْدِيرًا﴾ على قدر رأي الشارين، من غير زيادة ولا نقص، وذلك ألد الشراب. [١٧] ﴿وَيُتَّقُونَ فِيهَا كَأَنَّهُمْ خُمَرَاءٌ﴾ كان مزاجها ما تفرج به ﴿رَجِيلاً﴾. [١٨] ﴿عَيْنَا﴾ بدل من: ﴿رَجِيلاً﴾ ﴿فِيهَا سَقَى سَلْسَبِيلًا﴾ يعني أن مائها كالزنجبيل الذي تستلذ به العرب، سهل المساق في الحلق.

[١٩] ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ﴾ بصفة الولدان، لا يشيبون ﴿إِذَا رَأَوْهُمْ خَبَّرْتَهُمْ﴾ لحسنهم وانتشارهم في الخدمة ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ شَتَرُوا بِسِلَاحِهِمْ أَوْ: من صُدِّقَهُ، وهو أحسن منه في غير ذلك^(٣)﴾.

[٢٠] ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرَهُمْ﴾ أي: وجدت الرؤية منك في الجنة ﴿رَأَيْتَ﴾ جواب «إذا» ﴿رَجِيلاً﴾ لا يوصف ﴿وَمِنْهَا كِيرًا﴾ واسعًا لا غاية له. [٢١] ﴿عَلَيْهِمْ﴾ فوقهم، فنصبه على الظرفية، وهو خبر مبتدأ بعده، وفي قراءة: بسكون الباء^(٤)؛ مبتدأ، وما بعده خبر، والضمير المتصل به للمطوف^(٥) عليهم ﴿ثِيَابٌ سُتُنِي﴾ حرير ﴿خَضْرَاءُ﴾ بالرفع ﴿وَأَسْتَبْرَقُ﴾ بالجر^(٦) ما غلظ من الديباج، فهو البطائن، والسندس الظهائر، وفي قراءة عكس ما ذكر فيها^(٧)، وفي أخرى برفعها^(٨)، وفي أخرى^(٩) بجرهما ﴿وَحُلُوعًا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ﴾ وفي موضع ﴿مِنْ ذَهَبٍ﴾^(١٠) للإيذان بأنهم يحلون من النوعين؛ معًا ومفرقًا ﴿وَسَقَقَهُمْ﴾

(١) وفيها إثبات صفة الوجه لله ﷻ حقيقة على الوجه اللاتني به، وقد أفاض ابن القيم - رحمه الله - في الرد على من قال إن لفظ الوجه مجاز، ويثبت بطلان هذا القول من ستة وعشرين وجهًا في الصواعق المرسلة.

(٢) قرأ نافع والكسائي وشعبة بالنون في الموضعين، وقرأ ابن كثير بالنون في الأول وبغير النون في الثاني، والباقون يعربون فيهما، وكلهم وقف على الأول بألف، إلا حمزة فوقف بغير ألف. ووقف نافع والكسائي وشعبة وهشام على الثاني بألف.

(٣) هذا جواب عما يقال: ما الحكمة في تشبيههم بالولود النور دون المطوف؟ فأجاب بذلك.

(٤) في بعض النسخ المطبوعة: «للمطوف» بدلًا من «المطوف»، والصواب مثبت.

(٥) أي وهو جرٌّ «خَضْرَاءُ» و«أَسْتَبْرَقُ» وهي قراءة ابن كثير وشعبة. (٨) نافع وحفص.

(٩) حمزة والكسائي، وحاصل ما ذكره المصنف من القراءات أربع وكلها سبعة، رفع «خَضْرَاءُ»، و«أَسْتَبْرَقُ»، وجرهما، ورفع الأول وجر الثاني، وعكسه.

(١٠) كما في قوله - تعالى -: ﴿يَحُلُّونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [إفاطر: ١٣٣].

عَيْنَا تَبَرَّبَ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يَفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿يُؤْتُونَ بِالْذِّكْرِ﴾ يَخَالِفُونَ بِمَا كَانُوا مِنْهُمْ مَشْطُورًا ﴿يُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَى حَيْثُ﴾ مَسْكِنًا وَيُنِيكًا وَأَيُّهَا ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكَ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُزِيدُ بِكَ جَزَاءً وَلَا نُكْثِرُكَ﴾ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا غُيُوبًا﴾ فَوَقَّعَهُمُ اللَّهُ سَرَ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّعَهُمْ فَضْرَةً وَسَرُّرًا ﴿وَنَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا﴾ وَحَرِيرًا ﴿مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرْيَافِ لَا يَزُونَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ وَدَائِيَّةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذَلِكَ فُطُوفُهَا تَذِيلًا ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ ثِيَابًا مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابُ كَانَتْ قَوَارِيرًا﴾ قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُهَا تَقْدِيرًا ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَتْ مِنْ أَلْجَافِ نُجُجِيلًا﴾ عَيْنَا فِيهَا سَقَى سَلْسَبِيلًا ﴿وَيُطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَوْهُمْ خَبَّرْتَهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ شَتَرُوا بِسِلَاحِهِمْ أَوْ: من صُدِّقَهُ، وهو أحسن منه في غير ذلك﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرَهُمْ رَأَيْتَ رَجِيلاً وَغُلُوعًا مُلْكًا كَبِيرًا ﴿عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سُتُنِي خَضْرَاءُ وَأَسْتَبْرَقُ وَحُلُوعًا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَقَهُمُ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا ﴿إِنَّا نَحْنُ رَبُّكَ عَلَيْنَا لَأَقْرَعَنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ﴾ قَاصِبِرًا لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَطْعَمَ مِنْهُمْ أَثْمًا أَوْ كَفُورًا ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾

رَبُّهُمْ سَرَابًا طَهُورًا ﴿مبالغة في طهارته ونظافته، بخلاف خمر الدنيا.﴾ [٢٢] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ النعيم ﴿كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا﴾. [٢٣] ﴿إِنَّا نَحْنُ﴾ تأكيد لاسم «إن»، أو: فصل ﴿نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ خبر «إن»؛ أي: فصلناه ولم ننزله جملة واحدة. [٢٤] ﴿قَاصِبِرًا لِحُكْمِ رَبِّكَ﴾ عليك تبليغ رسالته ﴿وَلَا تَطْعَمَ مِنْهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿أَثْمًا أَوْ كَفُورًا﴾ أي: عتبه بن ربيعة، والوليد بن المغيرة؛ فلا للنبي ﷺ أرجع عن هذا الأمر، ويجوز أن يراد كل أثم وكافر؛ أي: لا تطعم أحدهما أثمًا كان، فيما دعاك إليه من إثم أو كفر. [٢٥] ﴿وَأَذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ في الصلاة ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ يعني الفجر والظهر والعصر.

[٣١] ﴿يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَةٍ﴾ جنته^(٣)، وهم المؤمنون ﴿وَالظَّالِمِينَ﴾ ناصبه فعل مقدر؛ أي: «أوعد»، بفسره: «أعد لهم عذاباً أليماً» مؤلماً، وهم الكافرون.

سورة المرسلات

[مكية، خمسون آية]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا﴾ أي: الرياح متتابعة؛ كعُرف الفرس، يتلو بعضها بعضاً، ونصبه على الحال.

[٢] ﴿فَالْمُصَفِّتُ عَصْفًا﴾ الرياح الشديدة.

[٣] ﴿وَالْمُنْزِلَاتُ نَزْلًا﴾ الرياح تنشر المطر.

[٤] ﴿فَالْفَرْقَتُ فَرَقًا﴾ أي: آيات القرآن، تفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام.

[٥] ﴿فَالْمُنْيَتُ ذِكْرًا﴾ أي: الملائكة تنزل بالوحي إلى الأنبياء، والرسول يلقون الوحي إلى الأمم.

[٦] ﴿عَذْرًا أَوْ تَذْرًا﴾ أي: للإعذار والإنذار من الله - تعالى -، وفي قراءة^(٤): بضم ذال «تذراً»، وقرئ^(٥): بضم ذال «عذراً».

[٧] ﴿إِنَّمَا تُعْذِرُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ من البعث والعذاب لا تقع؛ كائن لا محالة.

[٨] ﴿فَإِذَا الْتَجُّمٌ طُمِسَتْ﴾ محي نورها.

[٩] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فَجَتْ شُقَّتْ﴾.

[١٠] ﴿وَإِذَا الْكِبَالُ سُفِّتْ﴾ فُتَّتْ وَشُيِّرَتْ.

[١١] ﴿وَإِذَا ارْتُفِلْ وَوُتَّتْ﴾ بالواو، وبالهمزة^(٦) بدلاً منها؛ أي: جمعت لوقت.

[١٢] ﴿يَا أَيُّهَا يَوْمَ﴾ ليوم عظيم ﴿أُجِلَّتْ﴾ للشهادة على أمهم بالتبليغ.

[١٣] ﴿يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ بين الخلق، ويؤخذ منه جواب «إذا»؛ أي: وقع الفصل بين الخلائق.

[١٤] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ﴾ تهويل لشأنه.

[١٥] ﴿وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ هذا وعيد لهم.

[١٦] ﴿أَلَمْ تَنْهَيْكَ الْأَوَّلِينَ﴾ بتكذيبهم؛ أي: أهلكتناهم.

[١٧] ﴿وَتُمْنِمُ تَبِعَهُمُ الْآخِرِينَ﴾ من كذبوا ككفار مكة؛ فنهلكهم.

[١٨] ﴿كَذَلِكَ﴾ مثل ما فعلنا بالمكذبين ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ بكل من أجرم فيما يستقبل؛ فنهلكهم.

[١٩] ﴿وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ تأكيد.

وَمَنْ أَلِيلٌ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿١٠﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿١١﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أُمُرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿١٢﴾ إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٣﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٤﴾ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٥﴾

سورة المرسلات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْمُرْسَلَاتُ عُرْفًا ﴿١﴾ فَالْمُصَفِّتُ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَالْمُنْزِلَاتُ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَالْفَرْقَتُ فَرَقًا ﴿٤﴾ فَالْمُنْيَتُ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عَذْرًا أَوْ تَذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَفٍّ ﴿٧﴾ فَإِذَا الْتَجُّمٌ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ فَجَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الْكِبَالُ سُفِّتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا الرُّسُلُ أَقْنَتْ ﴿١١﴾ لَا يَوْمَ أُجِلَّتْ ﴿١٢﴾ يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَنْهَيْكَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ تَبِعَهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

[٢٦] ﴿وَيَوْمَ أَلِيلٌ فَاسْجُدْ لَهُ﴾ يعني المغرب والعشاء ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ صل التطوع فيه؛ كما تقدم من: ثلثيه أو نصفه أو ثلثه.

[٢٧] ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ الدنيا ﴿وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ شديدًا؛ أي: يوم القيامة لا يعملون له.

[٢٨] ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا قُوَّةَهُمْ﴾ قوتنا ﴿أَمْرَهُمْ﴾ أعضائهم ومفاصلهم ﴿وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا جَعَلْنَا أَمْثَلَهُمْ﴾ في الخلقة بدلاً منهم، بأن نهلكهم ﴿تَبْدِيلًا﴾ تأكيد، ووقعت «إذا» موقع «إن» نحو: «إن يَشَأْ يُدْهِبْكُمْ»^(١)، لأنه تعالى لم يشأ ذلك، وإذا لما يقع.

[٢٩] ﴿إِنَّ هَذِهِ﴾ السورة ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ عظة للخلق ﴿فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ طريقاً بالطاعة.

[٣٠] ﴿وَمَا تَشَاءُونَ﴾ بالتاء والياء^(٢)، اتخاذ السبيل بالطاعة ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ ذلك ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بخلقهم ﴿حَكِيمًا﴾ في فعله.

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في غار إذ نزلت عليه: ﴿وَالْمُرْسَلَاتُ﴾ فإنه ليتلوها واني لأتلهاها من فيه، وإن فاه لرطب بها، إذ وثبت علينا حية، فقال النبي ﷺ: «أكلوها» فابتلناها فذهبت، فقال النبي ﷺ: «وقيت شركم كما وقيت شرها». البخاري - كتاب التفسير (٦٥) سورة المرسلات (٧٧) باب (٤).

(٢) بالياء قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر بخلاف عنه.

(١) فاطر: ١٦.

(٣) الجنة من آثار رحمة الله ﷻ، وليست هي، وفي الآية إثبات صفة الرحمة لله ﷻ، فثبتها له - سبحانه - على الوجه اللائق به.

(٤) لدافع وابن كثير وابن عامر وشعبة.

(٦) بالواو قراءة أبي عمرو، وقرأ بغيره السبعة: «أقنت» بالهمزة.

- [٢٠] ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ جَعَلَهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١١﴾ إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿١٢﴾ فَقَدَرْنَا فَعَرَّا الْقَدْرُونَ ﴿١٣﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَحْمِلْ الْأَرْضَ كَمَا هِيَ ﴿١٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشِي شَجَمَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا ﴿١٧﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٨﴾ أَظْلَقُوا إِلَى مَا كُتِبَ بِهِ تُكْذِبُونَ ﴿١٩﴾ أَظْلَقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تِلْكَ شُعْبٍ ﴿٢٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٢١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَاصِرِ ﴿٢٢﴾ كَأَنَّهُ رَجُلٌ ضَعَفٌ ﴿٢٣﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُؤْذِنُ لَهُمْ فَعِيعَةٌ رِزُونَ ﴿٢٦﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٢٩﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٠﴾ إِنْ الْمُنْتَفِقِينَ فِي ظُلُلٍ وَعُيُونٍ ﴿٣١﴾ وَفُورِكَ مِمَّا يَبْتَهِمُونَ ﴿٣٢﴾ كُؤُوفٌ وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ كُؤُوفٌ وَتَتَعَوَّأُ قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْعِلُونَهُمْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٨﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾
- [٢١] ﴿أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ ضَعِيفٌ، وَهُوَ الْمَيِّ. [٢٢] ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ خَرِيرٌ، وَهُوَ الرَّحِمُ. [٢٣] ﴿إِنْ قَدَرْنَا مَعْلُومٌ﴾ وَهُوَ وَقْتُ الْوَلَادَةِ. [٢٤] ﴿فَقَدَرْنَا﴾ عَلَى ذَلِكَ ﴿فَنِعْمَ الْقَدْرُونَ﴾ نَحْنُ. [٢٥] ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾. [٢٦] ﴿أَلَمْ تَحْمِلْ الْأَرْضَ كَمَا هِيَ﴾ مَصْدَرٌ «كَفَّتْ» بِمَعْنَى ضَمًّا؛ أَيْ: ضَامَةٌ. [٢٧] ﴿أَحْيَاءً﴾ عَلَى ظَهْرِهَا ﴿وَأَمْوَاتًا﴾ فِي بَطْنِهَا. [٢٨] ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشِي شَجَمَاتٍ﴾ جَبَالًا مَرْتَفَعَاتٍ ﴿وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا﴾ عَذْبًا. [٢٩] ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾. [٣٠] وَيُقَالُ لِلْمُكَذِّبِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿أَظْلَقُوا إِلَى مَا كُتِبَ بِهِ﴾ مِنَ الْعَذَابِ ﴿تُكْذِبُونَ﴾. [٣١] ﴿أَظْلَقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تِلْكَ شُعْبٍ﴾ هُوَ دُخَانُ جَهَنَّمَ، إِذَا ارْتَفَعَ افْتَرَقَ ثَلَاثَ فُرُقٍ لِعِظَمِهِ. [٣٢] ﴿لَا ظَلِيلٍ﴾ كَتَبَنَ يَظْلَهُمْ مِنْ حَرِّ ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴿وَلَا يُغْنِي﴾ يَرُدُّ عَنْهُمْ شَيْئًا ﴿وَاللَّهَبِ﴾ النَّارِ. [٣٣] ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ أَيْ: النَّارِ ﴿تَجْزِي بِشَرِّهَا﴾ هُوَ مَا تَطَارَى مِنْهَا ﴿كَالْقَاصِرِ﴾ مِنَ الْبِنَاءِ، فِي عِظَمِهِ وَارْتِفَاعِهِ [٣٤] ﴿كَأَنَّهُ﴾ [جَمَلَاتُ] (١) ﴿جَمْعُ: «جَمَالَةٌ» جَمْعُ: «جَمَل»، وَفِي قِرَاءَةٍ: «جَمَلَتُ» «ضَفَرْتُ» فِي هَيْئَتِهَا وَلَوْنِهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «شَرَارُ النَّارِ أَسْوَدُ كَالْقَافِرِ» (٢)، وَالْعَرَبُ تُسَمِّي سُودَ الْإِبِلِ: ضَفَرًا؛ لِشُوبِ سَوَادِهَا بِصَفَرَةٍ، فَقِيلَ: «صَفَر» فِي الْآيَةِ بِمَعْنَى سُودٍ؛ لِأَنَّ ذِكْرَ: وَقِيلَ: لَا، وَالْأَوَّلِينَ جَمْعُ: «شُرَّة»، وَالْأَوَّلِينَ جَمْعُ «شُرَّة»، وَالْقَارِ: الْقَارِ (٣). [٣٥] ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾. [٣٦] ﴿هَذَا﴾ أَيْ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ﴾ فِيهِ بَشْيٌ. [٣٧] ﴿وَلَا يُؤْذِنُ لَهُمْ﴾ فِي الْعَذْرِ ﴿فَعِيعَةٌ رِزُونَ﴾ عَطَفَ عَلَى «يُؤْذِنُ»، مِنْ غَيْرِ تَسْبِيبٍ عَنْهُ (٤)، فَهُوَ دَاخِلٌ فِي حِيزِ النَّفْيِ؛ أَيْ: لَا إِذْنٌ فَلَا اعْتِدَارٌ. [٣٨] ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾. [٣٩] ﴿هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتَكُمْ﴾ أَيْهَا الْمُكَذِّبُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ ﴿وَالْأَوَّلِينَ﴾ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ قَبْلَكُمْ، فَتَحَاسِبُونَ وَتُعَذِّبُونَ جَمِيعًا. [٤٠] ﴿فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ حِيلَةٌ فِي دَفْعِ الْعَذَابِ عَنْكُمْ ﴿فَكِيدُوا﴾ فَافْعَلُوا. [٤١] ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾. [٤٢] ﴿إِنْ الْمُنْتَفِقِينَ فِي ظُلُلٍ﴾ أَيْ: تَكَاثَفَ أَشْجَارٌ، إِذْ لَا شَمْسٌ يُظِلُّ مِنْ حَرِّهَا ﴿وَيُؤْمِنُونَ﴾ نَابِعَةٌ مِنَ الْمَاءِ. [٤٣] ﴿وَفُورِكَ مِمَّا يَبْتَهِمُونَ﴾ فِيهِ إِعْلَامٌ بِأَنَّ الْمَأْكُلَ وَالْمَشْرَبَ فِي الْجَنَّةِ بِحَسَبِ شَهَوَاتِهِمْ، بِخِلَافِ الدُّنْيَا فَيَحْسَبُ مَا يَجِدُ النَّاسُ فِي الْأَغْلَبِ. [٤٤] وَيُقَالُ لَهُمْ: ﴿كُؤُوفٌ وَاشْرَبُوا هَنِيئًا﴾ حَالٌ؛ أَيْ: مَتْنَعِثِينَ ﴿بِمَا كُنتُمْ

أَلَمْ تَخْلُقْهُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ ﴿١١﴾ جَعَلَهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٢﴾ إِلَى قَدْرِ مَعْلُومٍ ﴿١٣﴾ فَقَدَرْنَا فَعَرَّا الْقَدْرُونَ ﴿١٤﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَحْمِلْ الْأَرْضَ كَمَا هِيَ ﴿١٦﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوْشِي شَجَمَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا ﴿١٨﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَظْلَقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي تِلْكَ شُعْبٍ ﴿٢٠﴾ لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ﴿٢١﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرِّ كَالْقَاصِرِ ﴿٢٢﴾ كَأَنَّهُ رَجُلٌ ضَعَفٌ ﴿٢٣﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُؤْذِنُ لَهُمْ فَعِيعَةٌ رِزُونَ ﴿٢٦﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٧﴾ هَذَا يَوْمُ الْقَصَلِ جَمَعْتَكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٢٨﴾ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٢٩﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٠﴾ إِنْ الْمُنْتَفِقِينَ فِي ظُلُلٍ وَعُيُونٍ ﴿٣١﴾ وَفُورِكَ مِمَّا يَبْتَهِمُونَ ﴿٣٢﴾ كُؤُوفٌ وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّكَ كَذَلِكَ تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾ كُؤُوفٌ وَتَتَعَوَّأُ قَلِيلًا إِنَّكُمْ تَجْعِلُونَهُمْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٨﴾ وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٩﴾ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٠﴾

تَعْمَلُونَ» مِنَ الطَّاعَةِ.

[٤٤] ﴿إِنَّا كَذَلِكَ﴾ كَمَا جَزَيْنَا الْمُتَّقِينَ ﴿تَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

[٤٥] ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٤٦] ﴿كُؤُوفٌ وَتَتَعَوَّأُ﴾ خِطَابٌ لِلْكَافِرِ فِي الدُّنْيَا ﴿قَلِيلًا﴾ مِنَ الزَّمَانِ، وَغَايَتُهُ إِلَى الْمَوْتِ، وَفِي هَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ ﴿إِنَّكُمْ تُجْزَوْنَ﴾.

[٤٧] ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٤٨] ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ارْكَعُوا﴾ صَلُّوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ لَا يَصَلُّونَ.

[٤٩] ﴿وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾.

[٥٠] ﴿فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَهُ﴾ أَيْ: الْقُرْآنُ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ أَيْ: لَا يُمْكِنُ إِيمَانُهُمْ بِغَيْرِهِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ بَعْدَ تَكْذِيبِهِمْ بِهِ؛ لِأَسْتِمَالِهِ عَلَى الْإِعْجَازِ الَّذِي لَمْ يَشْتَمَلْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ.

(١) وَهِيَ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ كَثِيرٍ وَأَبِي عَمْرٍو وَابْنُ عَامِرٍ وَشُعْبَةُ، وَقَرَأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ: «جَمَلَاتُ». (٢) ذَكَرَ الْبُخَارِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ أَنَّهُ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّ شَرَّ بَارِ جَهَنَّمَ أَسْوَدُ كَالْقَافِرِ (٣٠٧/٨)، وَلَمْ أَقِفْ عَلَيْهِ بِهَذَا الْفَلْظِ. (٣) وَهُوَ الزَّفْتُ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْوُوعًا: عِنْدَ مَالِكٍ وَابْنِ أَبِي شَيْبَةَ فِي الشَّعْبِ مُخْتَصَرًا: «أَتَرُونَهَا حَرَاءً كَنَارِكُمْ هَذِهِ؟!» لَهَا أَشَدُّ سَوَادًا مِنَ الْقَارِ وَالْقَارِ: الزَّفْتُ. وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهيبِ (٣٦٧٠). (٤) أَيْ: لَيْسَتْ الْغَاةُ فِي «فَيَحْذَرُونَ» غَاةَ السَّبَبَةِ؛ لِقُدْرَةِ بَعْدِهَا «وَأَل»، وَيَنْصَبُ بِهَا الْفِعْلُ الْمَضَارِعُ؛ نَحْوُ: ﴿لَا يَقْضَى عَلَيْهِمْ فِيمَوْثُوا﴾ [فَاطِرُ: ٣٦].

سُورَةُ النَّبَاِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ بَسَّاسَةٌ لَّنْ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مَخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾
 كَلَّا سَيَعْمُونَ ﴿٤﴾ ثُوْكَلَا سَيَعْمُونَ ﴿٥﴾ اَلَمْ نَجْعَلِ اَلْاَرْضَ مَهْدًا ﴿٦﴾
 وَالجِبَالَ اُوتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَا كُرْ اُزُوجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا تَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾
 وَجَعَلْنَا اَلَيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَدَيْنَا
 فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ
 الْمُعْصِرِ مَاءً ثَمَجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا
 اَلْاَفَااقَ ﴿١٦﴾ اِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّوْرِ
 فَتَأْتُونَ اَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ
 الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ اِنْ جِهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلظَّالِمِيْنَ
 مَعَابًا ﴿٢٢﴾ لَّيْسَ فِيهَا اَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَا يَدْخُلُوْنَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾
 اِلَّا اَلْحَمِيمَ وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَاءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ اِنَّهُمْ كَانُوْا
 لَا يَرْجُوْنَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ
 اَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾ فَذُقُوْا فَلَئِنْ تَزِيدَكُمْ اِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

سُورَةُ النَّاسِ

[مكية، إحدى وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿١﴾ عَمَّ عَنْ أَي شَيْءٍ ﴿بَسَّاسَةٌ لَّنْ﴾ يسأل بعض قريش بعضاً.
 ﴿٢﴾ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ بيان لذلك الشيء، والاستفهام لتفخيمه، وهو ما جاء به النبي ﷺ من القرآن، المشتمل على البعث وغيره. ﴿٣﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مَخْتَلِفُونَ فالْمُؤْمِنُونَ يثبتونه، والكافرون ينكرونه. ﴿٤﴾ كَلَّا ردع ﴿سَيَعْمُونَ﴾ ما يحل بهم على إنكارهم له. ﴿٥﴾ ثُوْكَلَا سَيَعْمُونَ تأكيد، وجيء فيه بـ«ثم» للإيذان بأن الوعيد الثاني أشد من الأول. ﴿٦﴾ ثُمَّ أَوَمَّا - تَعَالَى - إلى القدرة على البعث فقال: ﴿اَلَمْ نَجْعَلِ اَلْاَرْضَ مَهْدًا﴾ فراعياً كالمهد.
 ﴿٧﴾ وَالجِبَالَ اُوتَادًا تثبت بها الأرض، كما تثبت الخيام بالأوتاد؟

والاستفهام للتقرير.

﴿٨﴾ وَخَلَقْنَا كُرْ اُزُوجًا ذكرُوا وإناثًا.
 ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا تَوْمَكُمْ سُبَاتًا راحة لأبدانكم.
 ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا اَلَيْلَ لِبَاسًا ساتراً بسواده.
 ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وقتاً للعمايش.
 ﴿١٢﴾ وَبَدَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا سبع سموات ﴿شِدَادًا﴾ جمع «شديدة» أي: قوية محكمة، لا يؤثر فيها مرور الزمان.
 ﴿١٣﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا منيراً ﴿وَهَّاجًا﴾ وقادًا، يعني: الشمس.
 ﴿١٤﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرِ السحابات التي حان لها أن تمطر؛ كالمُعْصِرِ: الحارية التي دنت من الحيض ﴿مَاءً ثَمَجًا﴾ صاباً.
 ﴿١٥﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا كالحنطة ﴿وَنَبَاتًا﴾ كالنخيل.
 ﴿١٦﴾ وَجَعَلْنَا بَسَاتِينَ ﴿اَلْاَفَااقَ﴾ ملتفة؛ جمع: «الفيف»؛ كـ«شريف» و«أشرف».

﴿١٧﴾ اِنْ يَوْمَ الْفَصْلِ بين الخلائق ﴿كَانَ مِيقَتًا﴾ وقتاً للنواب والعقاب.
 ﴿١٨﴾ يَوْمَ يُفْعُخُ فِي الصُّوْرِ القرون، بدل من «يوم الفصل»؛ أو: بيان له، والنافع إسرافيل ﴿فَتَأْتُونَ اَفْوَاجًا﴾ من قبوركم إلى الموقف ﴿اَفْوَاجًا﴾ جماعات مختلفة.

﴿١٩﴾ وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ بالتشديد والتخفيف^(١)، شققت؛ لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ ذات أبواب.
 ﴿٢٠﴾ وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ دُهِب بها عن أماكنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ هباءً؛ أي: ينثله في خفة سيرها.

﴿٢١﴾ اِنْ جِهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا راصدة؛ أو: مرصدة.
 ﴿٢٢﴾ لِّلظَّالِمِيْنَ الكافرين فلا يتجاوزونها ﴿مَعَابًا﴾ مرجعاً لهم فيدخلونها.

﴿٢٣﴾ لَّيْسَ فِيهَا اَحْقَابًا حال مقدرة؛ أي: مقدراً لبعثهم ﴿يَبَا اَحْقَابًا﴾ دهوراً لا نهاية لها، جمع: «خُفْب» بضم أوله.
 ﴿٢٤﴾ لَا يَدْخُلُوْنَ فِيهَا بَرْدًا نومًا^(٢)، فإنهم لا يدقونونه ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ ما يشرب تلذذاً.

﴿٢٥﴾ اِلَّا حَمِيمًا لكن ﴿حَمِيمًا﴾ ماء حارّاً غاية الحرارة ﴿وَعَسَّاقًا﴾ بالتخفيف والتشديد^(٣)؛ ما يسيل عن صديد أهل النار، فإنهم يدقونونه.

﴿٢٦﴾ جَزَاءً وَفَاقًا مجوزوا بذلك ﴿جَزَاءً﴾ موافقاً لعملهم، فلا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار.

﴿٢٧﴾ اِنَّهُمْ كَانُوْا لَا يَرْجُوْنَ يخافون ﴿حِسَابًا﴾ لإنكارهم البعث.
 ﴿٢٨﴾ وَكَذَّبُوْا بِآيَاتِنَا القرآن ﴿كِذَابًا﴾ تكذيباً. ﴿٢٩﴾ وَكُلُّ شَيْءٍ من الأعمال ﴿اَحْصَيْنَاهُ﴾ ضبطناه ﴿كِتَابًا﴾ كُتِبَ في اللوح المحفوظ؛ لنجازي عليه، ومن ذلك تكذيبهم بالقرآن.

﴿٣٠﴾ فَذُقُوْا أَي: فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب: ذوقوا جزاءكم ﴿فَلَئِنْ تَزِيدَكُمْ اِلَّا عَذَابًا﴾ فوق عذابكم.

(١) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر، وقرأ بقية السبعة بالتخفيف.

(٢) وتسمى سورة الشُّبُلِ.

(٣) شُعْبُ النِّوَمِ برداً؛ لأنه يبرد صاحبه. وهي لغة هذيل. وقال ابن عباس: البرد: برد الشراب. وقال الزجاج: لا يدقون فيها برد ربيع، ولا ظل نَوْمٍ. فجعل البرد: برد كل شيء له راحة.

(٤) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالتشديد.

[٣١] ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ مكان فوز في الجنة. [٣٢] ﴿حَدَائِقَ﴾ بساتين، بدل من: «مَفَازًا»، أو: بيان له ﴿وَأَعْنَابًا﴾ عطف على «مَفَازًا». [٣٣] ﴿وَوَاعِصَ﴾ جوارى تكعبت ثدييهن، جمع «كاعب» ﴿أَرْبَابًا﴾ على سن واحد، جمع «ترب» بكسر التاء وسكون الراء. [٣٤] ﴿وَكُنُوسًا﴾ خمرًا مائلة محالها، وفي سورة «الفتح»: ﴿وَأَكْثَرُ مِنْ حَرِّ﴾. [٣٥] ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ أي: الجنة، عند شرب الخمر، وغيرها من الأحوال ﴿لَقَوْمًا﴾ باطلا من القول ﴿وَلَا [يَكْذِبُونَ]﴾^(١) بالتخفيف؛ أي: كذبا، وبالتشديد؛ أي: تكذيبا من واحد لغيره، بخلاف ما يقع في الدنيا عند شرب الخمر. [٣٦] ﴿جَزَاءَ مَن رَّبَّيَ﴾ أي: جزاهم الله بذلك جزاء ﴿عَطَلَهُ﴾ بدل من «جزاء» ﴿جَسَابًا﴾ أي: كثيرًا، من قولهم: أعطاني فأحسبني؛ أي: أكثر علي حتى قلت: خشي. [٣٧] ﴿رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ بالجر والرفع^(٢) ﴿وَمَا يَلْمِزُهَا الرِّحْمَى﴾ كذلك^(٣)، ويرفعه مع جر «رب»^(٤) ﴿لَا يَدَّكُونُ﴾ أي: الخلق ومنه تعالى ﴿خَطَابًا﴾ أي: لا يقدر أحد أن يخاطبه، خوفا منه.

[٣٨] ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ «لا يملكون» ﴿يَوْمَ الرُّوحِ﴾ جبريل، أو: جند الله ﴿وَالْمَلَكُ صَفًا﴾ حال؛ أي: مصطفين ﴿لَا يَتَكَلَّمُونَ﴾ أي: الخلق ﴿لَا مَن أَدْنَى لَهُ الرِّحْمَى﴾ في الكلام ﴿وَقَالَ﴾ قولاً ﴿صَوَابًا﴾ من المؤمنين والملائكة كأن يشفعوا لمن ارتضى. [٣٩] ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ لَحُوقُ﴾ الثابت وقوعه، وهو يوم القيامة ﴿فَمَنْ شَاءَ أَخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا﴾ مرجعًا؛ أي: رجع إلى الله بطاعته؛ ليسلم من العذاب فيه. [٤٠] ﴿إِنَّا أُنْذِرُكُمْ﴾ يا كفار مكة ﴿عَذَابًا قَرِيبًا﴾ عذاب يوم القيامة الآتي، وكل آت قريب ﴿يَوْمَ﴾ ظرف لـ «عذابًا» بصفته ﴿يَنْظُرُ الْمَرْءُ﴾ كل امرئ ﴿مَا قَدَّمَتْ يَدَهُ﴾ من خير وشر ﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا﴾ حرف تنبيه ﴿يَلْبِثِي كُنْتُ نُرَبَّا﴾ يعني: فلا أعذب، يقول ذلك عندما يقول الله تعالى: للبهائم بعد الانقراض من بعضها البعض: كوني ترابًا^(٥).

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا ۝ وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطُعًا ۝ وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا ۝ فَالْمُتَسَبِّحَاتِ سَبْحًا ۝ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ۝ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصُرُهَا خَشِيعَةٌ ۝ يَقُولُونَ إِنَّا لَا مَرْدُونَ فِي الْخَافِرَةِ ۝ إِنَّا كَذَبْنَا نَجْرَهُ ۝ قَالُوا بَلْ أَكْثَرُكُمْ حَاسِرَةٌ ۝ فإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ۝ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ۝ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۝ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۝

والجملة حال من «الراجفة»، فالיום واسع للنفختين وغيرهما، فصح ظرفيته للبعث الواقع عقب النائية. [٨] ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ خائفة قلقة. [٩] ﴿أَبْصُرُهَا خَشِيعَةٌ﴾ ذليلة؛ لهول ما ترى. [١٠] ﴿يَقُولُونَ﴾ أي: أرباب القلوب والأبصار استهزاء وإنكارًا للبعث: ﴿أَوَلَمْ نَأْتِ﴾ بتحقيق الهمزتين، وتسهيل الثانية، وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين^(١) ﴿لَمْ تَرَوْهُنَّ فِي الْخَافِرَةِ﴾ أي: أنرد بعد الموت إلى الحياة؟! والخافرة: اسم لأول الأمر، ومنه رجع فلان في حافرته: إذا رجع من حيث جاء. [١١] ﴿إِنَّا كُنَّا عِظَمًا نَجْرَهُ﴾ وفي قراءة^(٢): ﴿نَاجِرَةً﴾ بالية متفتتة نحيا؟ [١٢] ﴿قَالُوا يَا﴾ رجعتنا إلى الحياة ﴿إِذَا﴾ إن صَحَّتْ ﴿كِرَّةٌ﴾ رجعة ﴿حَاسِرَةٌ﴾ ذات خسار. [١٣] قال - تعالى -: ﴿فَأَنَّمَا هِيَ﴾ أي: الرادفة التي يعقبها البعث ﴿زَجْرَةٌ﴾ نفخة ﴿وَاحِدَةٌ﴾ فإذا نفخت. [١٤] ﴿فَإِذَا هُمْ﴾ أي: كل الخلائق ﴿بِالسَّاهِرَةِ﴾ بوجه الأرض أحياء، بعدما كانوا يبطنها أمواتًا. [١٥] ﴿هَلْ أَتَاكَ﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ مُوسَى﴾ عامل في:

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مكية، ست وأربعون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالنَّازِعَاتِ﴾ الملائكة تنزع أرواح الكفار ﴿غَرْقًا﴾ نزعًا بشدة. [٢] ﴿وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطُعًا﴾ الملائكة تَشَاطُعُ أرواح المؤمنين؛ أي: تُشَلِّهُا برفق. [٣] ﴿وَالسَّيِّحَاتِ سَبْحًا﴾ الملائكة تسبح من السماء بأمره - تعالى -: أي: تنزل. [٤] ﴿وَالْمُتَسَبِّحَاتِ سَبْحًا﴾ الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين إلى الجنة. [٥] ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ الملائكة تدبر أمر الدنيا؛ أي: تنزل بتدبيره، وجواب هذه الأقسام محذوف؛ أي: لتبعن يا كفار مكة، وهو عامل في: [٦] ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ النفخة الأولى بها يرجف كل شيء؛ أي: يتزلزل، فوصفت بما يحدث منها. [٧] ﴿تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ النفخة الثانية، وبينهما أربعون سنة^(٣).

(١) محمد: ١٥.

(٢) بالتخفيف قراءة الكسائي.

(٣) بالرفع قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٤) أي: بالجر والرفع، والرفع قراءة السبعة عدا ابن عامر وعاصم.

(٥) وهي قراءة ثالثة سبعة. حمزة والكسائي.

(٦) كما في حديث أبي هريرة مرفوعًا إلى النبي ﷺ قال: «يقضي الله بين خلقه: الجن والإنس والبهائم، وأنه يُقَيِّدُ يومئذٍ الجماء من الفرائد، حتى إذا لم يبق نعمة عند واحدة لأخرى، قال الله: كونوا ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا». أخرجه ابن جرير في تفسيره (١٧/٣٠، ١٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٦٦) (٦٠٦/٤).

(٧) الأولى عدم التنصيص؛ وإنما يقال: «أربعون» فقط كما في الحديث.

(٨) أي: وتركه، وقرأ نافع والكسائي وابن عامر بالاستفهام في الأول والإخبار في الثاني. وراجع التعليق على الآية (٨١) من سورة الأعراف.

(٩) حمزة والكسائي وشعبة.

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴿٧﴾ فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبَ ﴿٨﴾ وَلَهْدِيكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَحْشَى ﴿٩﴾ فَأَرْسَلْنَا الْآيَةَ الْكُبْرَى ﴿١٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَى ﴿١١﴾ ثُمَّ أَذْبَرَ نَجْوَى ﴿١٢﴾ فِخْرَفَادَى ﴿١٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿١٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿١٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴿١٦﴾ أَأَنُتِمَّ شَدِيدُ خَلْقِ الْأَوَّلِ ﴿١٧﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّيْنَاهَا ﴿١٨﴾ وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا ﴿١٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴿٢٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٢١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٢٢﴾ مَتَاعًا لَّكُم وَلَآئِعِكُمْ ﴿٢٣﴾ فَإِذَا جَاءَتْ الطَّامَةُ الْكُبْرَى ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى ﴿٢٥﴾ وَبُزْزِيتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا مَنَ طَغَى ﴿٢٧﴾ وَءَاثَرَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ﴿٢٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٢٩﴾ وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴿٣١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ فِيمَا أَنتَ مِن ذِكْرِنَا ﴿٣٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُتَهِنًا ﴿٣٤﴾ إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَى ﴿٣٥﴾ كَآلَهُمْ يَوْمَ تَمُوتُ رُوحُهَا لَمْ يَلْمُوهَا إِلَّا عَشيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٣٦﴾

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[١٦] ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْأَيْمَنِ طُورٍ﴾ اسم الوادي، بالتثنية وتركة^(١)، فقال: [١٧] ﴿أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ تجاوز الحد في الكفر. [١٨] ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْكِبَ﴾ وفي قراءة^(٢) بتشديد الزاي بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها؛ تتطهر من الشرك بأن تشهد أن لا إله إلا الله. [١٩] ﴿وَأَعْيَدِكَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أدلك على معرفته بيهان ﴿فَتَحْشَى﴾ فتخافه. [٢٠] ﴿فَأَرْسَلْنَا الْآيَةَ الْكُبْرَى﴾ من آياته التسع، وهي اليد أو العصا. [٢١] ﴿فَكَذَّبَ﴾ فرعون موسى ﴿وَعَصَى﴾ الله - تعالى. [٢٢] ﴿ثُمَّ أَذْبَرَ﴾ عن الإيمان ﴿يَسْعَى﴾ في الأرض بالفساد. [٢٣] ﴿فَحَشَرَ﴾ جمع السحرة وجنده ﴿فَكَادَى﴾. [٢٤] ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ لا رب فوقى. [٢٥] ﴿فَأَنذَرَهُ اللَّهُ﴾ أهلكه بالقرع ﴿نَكَالَ﴾ عقوبة ﴿الْآخِرَةِ﴾ أي: هذه الكلمة ﴿وَالْأُولَى﴾ أي: قوله قبلها: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِي﴾^(٣)، وكان بينهما أربعون سنة.

[٢٦] ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ﴾ المذكور ﴿لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى﴾ الله - تعالى .. [٢٧] ﴿أَنُتِمَّ﴾ بتحقيق الهمزتين، وإبدال الثانية ألفاً، وتسهيلاً، وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى، وتركة^(٤)؛ أي: منكمو البعث ﴿أَنُتِمَّ خَلْقًا أَوَّالْتَنَاهُ﴾ أشد خلقاً؟ ﴿بَنَيْنَاهَا﴾ بيان لكيفية خلقها. [٢٨] ﴿رَفَعَ سَمَكُهَا﴾ تفسير لكيفية البناء؛ أي: جعل سمتها في جهة العلو رفيعاً، وقيل: سَمَكُهَا: سقفها ﴿فَسَوَّيْنَاهَا﴾ جعلها مستوية بلا عيب. [٢٩] ﴿وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا﴾ أظلمه ﴿وَأَخْرَجَ صُحُفَهَا﴾ أبرز نور شمسها، وأضيف إليها الليل؛ لأنه ظلها، والشمس؛ لأنها سراجها. [٣٠] ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ بسطها، وكانت مخلوقة قبل السماء من غير دحوي. [٣١] ﴿أَخْرَجَ﴾ حال بإضمار «قد»؛ أي: مُخْرِجًا ﴿مِنَهَا مَاءَهَا﴾ بتفجير عيونها ﴿وَمَرْعَاهَا﴾ ما ترعاه النعم من الشجر والعشب، وما يأكله الناس من الأقوات والثمار، وإطلاق المرعى عليه استعارة. [٣٢] ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا﴾ أثبتها على وجه الأرض لتسكن. [٣٣] ﴿مَتَاعًا﴾ مفعول له لمقدار؛ أي: فعل ذلك متعة، أو: مصدر؛ أي: تمتيعاً ﴿لَّكُم وَلَآئِعِكُمْ﴾ جمع نعم، وهي الإبل والبقر والغنم. [٣٤] ﴿فَإِذَا جَاءَتْ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ الفجأة الثانية. [٣٥] ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ﴾ بدل من «إذا» ﴿مَا سَعَى﴾ في الدنيا من خير وشر. [٣٦] ﴿وَبُزْزِيتِ﴾ أظهرت ﴿الْجَحِيمَ﴾ النار المحرقة ﴿لِمَن يَرَى﴾ لكل راء. وجواب «إذا»: [٣٧] ﴿فَلَمَّا مَنَ طَغَى﴾ كفر. [٣٨] ﴿وَأَثَرَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا﴾ باتباع الشهوات. [٣٩] ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ مأواه. [٤٠] ﴿وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ قيامه بين يديه ﴿وَنَهَى النَّفْسَ﴾ الأمانة ﴿عَنِ الْهَوَى﴾ المؤدي باتباع الشهوات. [٤١] ﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾ وحاصل الجواب: فالعاصي في النار، والمطيع في الجنة. [٤٢] ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ أي: كفار مكة ﴿عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾ متى وقوعها وقيامها؟ [٤٣] ﴿فِيمَا﴾ في أي شيء ﴿أَنتَ مِن ذِكْرِنَا﴾ أي: ليس عندك علمها حتى تذكرها. [٤٤] ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُتَهِنًا﴾ منتهى علمها، لا يعلمه غيره. [٤٥] ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ إنما ينفع إنذارك ﴿مَن يَخْشَى﴾ يخافها. [٤٦] ﴿كَآلَهُمْ يَوْمَ تَمُوتُ رُوحُهَا لَمْ يَلْمُوهَا﴾ في قبورهم ﴿وَلَا عِيبَ أَوْ ضُحَاهَا﴾ عشية يوم أو بكرته، وصح إضافة الضحى إلى العشية؛ لما بينهما من الملاسة؛ إذ هما طرفا النهار، وحسَّن الإضافة وقوع الكلمة فاصلة.

(١) بترك التثنية قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو.

(٢) لنافع وابن كثير.

(٣) القصص: ٣٨.

(٤) فالقراءات خمس كلها سبعة. راجع التعليق على الآية رقم (١٧) من سورة الفرقان.

سُورَةُ عَبَسَ

[مكية، اثنان وأربعون آية*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] عَبَسَ النَّبِيُّ: كَلَجَ وَجْهَهُ ﴿وَتَوَلَّى﴾: أَعْرَضَ، لِأَجْلِ [٢] «أَنْ جَاءَهُ الْإِنْسَانُ». عبد الله بن أم مكتوم، فقطعه عما هو مشغول به، ممن يرجو إسلامه من أشرف قريش الذي^(١) هو حريص على إسلامهم، ولم يدرك الأعمى أنه مشغول بذلك فناداه: علمني مما علمك الله. فانصرف النبي ﷺ إلى بيته؛ فَعَوَّتَبَ في ذلك بما نزل في هذه السورة؛ فكان بعد ذلك يقول له إذا جاء: «مَرْحَبًا بِمَنْ عَاتَيْنِي فِيهِ رَبِّي»^(٢) ويسلط له رداءه. [٣] «وَمَا يَذْكُرُكَ» يعلمك ﴿لَعَلَّكَ يَرْكُ﴾ فيه إدغام التاء في الأصل في الزاي؛ أي: يتطهر من الذنوب، بما يسمع منك. [٤] «أَوْ يَذْكُرُكَ» فيه إدغام التاء في الأصل في الذال؛ أي: يتعظ ﴿فَتَنْفَعُهُ﴾ الذِّكْرُ: العظة المسموعة منك، وفي قراءة^(٣) نصب «تَنْفَعُهُ» جواب الترجي. [٥] «أَنَا مَنِ اسْتَعْتَقَ» بالمال [٦] «فَأَنْتَ لَمْ تَصْنَعْ» وفي قراءة^(٤) بتشديد الصاد؛ بإدغام التاء الثانية في الأصل فيها؛ ثَقِيلٌ وَتَمْرُضُ. [٧] «وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكُ» يؤمن.

[٨] «وَأَنَا مِنْ جَاءِكَ يَسْعَى» حال من فاعل «جاءه». [٩] «وَهُوَ يَخْتَلَى» الله، حال من فاعل «يسعى»، وهو الأعمى. [١٠] «فَأَنْتَ عَنْتَ لِلَّهِ» فيه حذف التاء الأخرى في الأصل؛ أي: تتشاغل؟ [١١] «كَلَّا» لا تفعل مثل ذلك ﴿إِنَّمَا﴾ أي: السورة أو الآيات ﴿يَذْكُرُكَ﴾ عظة للخلق. [١٢] «فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْكَ» حفظ ذلك، فاتعظ به. [١٣] «فِي صُحُوفٍ» خبر ثانٍ لـ«إنها»^(٥)، وما قبله اعتراض ﴿مُكْرَمَةٍ﴾ عند الله. [١٤] «تُرْفَعُهُ» في السماء ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ منزهة عن مس الشياطين. [١٥] «بِأَيْدِي سَفَرَةٍ» كتبه ينسخونها من اللوح المحفوظ. [١٦] «كِرَامٍ بَرَرَةٍ» مطيعين لله تعالى، وهم الملائكة. [١٧] «فَقِيلَ لِلْإِنْسَانِ: لِمَنِ الْكَافِرُ؟» لِمَنِ الْكَافِرُ؟ استفهام توبيخ؛ أي: ما حملته على الكفر؟ [١٨] «بَيْنَ أَيْ تَتَوَخَّاهُ خَلْقُهُ» استفهام تقرير. [١٩] ثم بينه فقال: «مَنْ تَلْفُظُ خَلْقَهُ مُقَدَّرٌ» علة ثم مضغة، إلى آخر خلقه. [٢٠] «ثُمَّ السَّبِيلَ» أي: طريق خروجه من بطن أمه ﴿يَسْرُرُ﴾. [٢١] «ثُمَّ أَمَانَهُ فَاقْرَأْ» جعله في قبر يستره. [٢٢] «ثُمَّ إِنْ شَاءَ أَنْشَرُهُ» للبعث. [٢٣] «كَلَّا» حقًا ﴿لَمَّا بَقِضَ﴾ لم يفعل ﴿مَا أَمَرُكَ﴾ به ربه. [٢٤] «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ» نظر اعتبار ﴿إِلَى طَمَاضِهِ﴾ كيف قَدَّرَ وَدَّعَ له. [٢٥] «أَنَا صَبَّيْنَاكَ مِنَ السَّمَاءِ» من السحاب ﴿صَبَّيْنَاكَ﴾. [٢٦] «ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ» بالنبات ﴿شَفَقًا﴾. [٢٧] «فَأَنْبَأْنَا بِمَا كُنَّا كَالْخِطَّةِ وَالشَّعِيرِ» [٢٨] «وَعَبَّأْنَا وَقَبَّأْنَا» هو القشُّ الرَّطْبُ. [٢٩] «وَوَيَّوْنَا وَفَخَّلَا» [٣٠] «وَحَدَّيْنَا عُلْبًا» بسايتين كثيرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
عَبَسَ وَتَوَلَّى ۖ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۚ
أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَتَهُ الذِّكْرَى ۚ
أَتَمَنَّاسْتَعْتَقَنِي ۚ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۚ
وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِيكَ ۚ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۚ
وَهُوَ يَخْتَلَى ۚ فَأَنْتَ عَنْتَ لَللَّهِ ۚ
كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۚ فَمِنْ شَاءَ ذَكَرْهُ ۚ
فِي صُحُوفٍ مُكْرَمَةٍ ۚ تَرْفَعُهُ مُطَهَّرَةً ۚ
بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۚ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۚ
فَقِيلَ لِلْإِنْسَانِ مَا أَكْفَرُهُ ۚ
مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقْتَهُ ۚ مِنْ تَلْفَظَةٍ ۚ
خَلَقْتَهُ فَقَدَّرَهُ ۚ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسْرُرُهُ ۚ
ثُمَّ أَمَانَهُ فَاقْرَأْهُ ۚ ثُمَّ أَنْشَرُهُ ۚ
كَلَّا لَمَّا بَقِضَ مَا أَمَرُهُ ۚ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ۚ
أَنَا صَبَّيْنَاكَ الْمَاءَ صَبًّا ۚ
ثُمَّ شَفَقْنَا الْأَرْضَ شَفَقًا ۚ فَأَنْبَأْنَا بِهَا
حَبًّا ۚ وَعَبَّأْنَا وَقَبَّأْنَا ۚ
وَوَيَّوْنَا وَفَخَّلَا ۚ وَحَدَّيْنَا عُلْبًا ۚ وَفَخَّلَا ۚ
وَأَنَّا ۚ مَتَعَالِكُمْ وَلَا تَعْمَلُكُمْ ۚ
فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ۚ يَوْمَ يَفِرُّ
الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۚ وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ ۚ
وَصَدِيقَتُهُ وَبَنِيهِ ۚ لِكُلِّ أُمْرٍ
مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ يُؤْمِدُ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۚ
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ۚ
صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ۚ
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَاسِقَةٌ ۚ

الأشجار. [٣١] «وَفَكَكْتُ وَأَنَا» ما ترعاه البهائم، وقيل: الثَّيْنُ. [٣٢] «وَتَنَاقَا» متعة، أو: تمنيًا، كما تقدم في السورة قبلها ﴿لَكُرُ﴾ وَلا تَعْمَلُكُمْ تقدم فيها أيضًا. [٣٣] «وَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ» النفخة الثانية. [٣٤] «يَوْمَ يَفِرُّ الْكُفْرُ مِنْ أَخِيهِ» [٣٥] «وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ» [٣٦] «وَصَدِيقَتُهُ» زوجته ﴿وَبَنِيهِ﴾ «يوم» بدل من «إذا»، وجوابها دل عليه: [٣٧] «لِكُلِّ أُمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ» حال يشغله عن شأن غيره؛ أي: اشتغل كل واحد بنفسه. [٣٨] «وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ» مضيق. [٣٩] «صَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ» فرحة، وهم المؤمنون. [٤٠] «وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ غَاسِقَةٌ» غبار. [٤١] «تَرْغَبُهَا» تغشاها ﴿فَذَرَّتْ﴾ ظلمة وسواد. [٤٢] «وَأُولَئِكَ» أهل هذه الحالة ﴿هُمْ الْكَافِرُ الْقَاسِرُ﴾ أي: الجامعون بين الكفر والفجور.

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرجه الترمذي عن عائشة قالت: أنزل ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ في ابن أم مكتوم الأعمى؛ أتى رسول الله ﷺ فجعل يقول: يا رسول الله أرشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقول على الآخر ويقول: «أتري بما أقول بأشأ؟ فيقول: لا»، ففي هذا أنزل. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧٣) ومن سورة عبس. (صحيح الإسناد، صحيح سنن الترمذي (٢٦٥١).

(١) كذا في أكثر المطبوع، وفي حاشية الصاري قال: «نعت لأشرف قريش، وكان المناسب التعبير بالذين». وفي حاشية الجمل قال: «... فكانه جاء على الاستعمال القليل من استعمال «الذي» في الجمع؛ على حد: «وَتَشْتَمُّ كَالْوَيْ حَسَاوَرًا» [الوثة: ٦٩].

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٣٨٥، وقال ابن حجر في الكافي الشاف ص (١٨١): ذكره الطلبي بلا إسناد. وأخرجه الديلمي في الفردوس (٦٨٠٥) من حديث أنس، من غير إسناد. وهو في مسند أبي يعلى (٤٣١/٤) رقم (٣١٢٣) عن أنس بإسناد ظاهره الصحة بلفظ: «... فكان النبي ﷺ بعد ذلك يكرمه».

(٣) بالغ قراءة السبعة عدا عاصم، وقرأ عاصم بالنصب.

(٤) للانعق وابن كثير.

(٥) والخبر الأول: «تذكرو».

فُرت بأجسادها. [٨] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ الجارية تدفن حية، خوف العار والحاجة ﴿سُيِّلَتْ﴾ تبيكت لغالتها. [٩] ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ وقرئ (٣) بكسر التاء حكاية لما تخاطب به، وجوابها أن تقول: قُتِلَتْ بلا ذنب. [١٠] ﴿وَإِذَا الْصُّحُفُ انشُفَّتْ﴾ صف الأعمال ﴿نُشِرتْ﴾ بالتخفيف والتشديد (٤)؛ فُتحت وبُسطت. [١١] ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ نُزعت عن أماكنها، كما ينزع الجند عن الشاة. [١٢] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ النار [سُيِّرَتْ] بالتخفيف والتشديد (٥)؛ أُججحت. [١٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ أَزْلَفَتْ﴾ قُربت لأهلها ليدخلوها. وجواب «إذا» أول السورة، وما عطف عليها: [١٤] ﴿عَلِمْتَ نَفْسٌ﴾ كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة ﴿مَّا أَحْضَرْتَ﴾ من خير وشر. [١٥] ﴿فَلَا أَفْسِسُ﴾ «لا» زائدة ﴿بِالْحَنِينِ﴾. [١٦] ﴿الْجَوَارِ الْكُنُوسِ﴾ هي النجوم الخمسة: زحل، والمشتري، والمريخ، والزهرة، وعطارد تُخس. بضم النون؛ أي: ترجع في مجراها وراءها، بينما نرى النجم في آخر البرج إذ كُوراجعاً إلى أوله، وتكيس بكسر النون: تدخل في كتابها؛ أي: تغيب في المواضع التي تغيب فيها. [١٧] ﴿وَالْأَيْلِ إِذَا عَسَّعَتْ﴾ أقبل بظلامه، أو: أدير. [١٨] ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَتْ﴾ امتد حتى يصير نهراً يتأ. [١٩] ﴿إِنَّهُ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٌ رُّسُولٍ كَرِيمٍ﴾ على الله. تعالى، وهو جبريل، أُضيف إليه لنزوله به. [٢٠] ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي: شديد القوى ﴿عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ﴾ أي: الله. تعالى - ﴿مَكِينٍ﴾ ذي مكانة، متعلق به عند. [٢١] ﴿شُعَاعٌ ثَمَّ﴾ تطيعه الملائكة في السماوات ﴿أَيُّنَ﴾ على الوحي. [٢٢] ﴿وَمَا سَاجِدٌ﴾ محمد ﷺ عطف على «إنه»، إلى آخر المقسم عليه ﴿يَسْجُدُ﴾ كما زعمتم. [٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ رأى محمد ﷺ جبريل على صورته التي خلق عليها ﴿بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ﴾ البين، وهو الأعلى بناحية المشرق. [٢٤] ﴿وَمَا هُوَ﴾ محمد ﷺ ﴿عَلَى الْغَيْبِ﴾ ما غاب من الوحي وخبر السماء [بِطِينٍ] (٦)؛ أي: بمشهم، وفي قراءة بالضاد؛ أي: ببخيل، فينقص شيئاً منه. [٢٥] ﴿وَمَا هُوَ﴾ أي: القرآن ﴿يَقُولُ شَيْطَانٍ﴾ مسترق السمع ﴿رَجِيمٍ﴾ مرجوم. [٢٦] ﴿فَإِنَّ تَذْهَبُونَ﴾ فبأي طريق تسلكون في إنكاركم القرآن وإعراضكم عنه؟ [٢٧] ﴿إِنْ﴾ ما ﴿هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ عظة ﴿لِلْعَالَمِينَ﴾ الإنس والجن. [٢٨] ﴿لَسَنَّا يَكْفُرُ﴾ بدل من العالمين بإعادة الجار ﴿وَأَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ باتباع الحق. [٢٩] ﴿وَمَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ الاستقامة على الحق ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الخلائق، استقامتكم عليه (٧).

تَرَاهُمَا قَتَرَةً ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ ۝

سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا الْمَوْءَدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلَفَتْ ۝ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرْتَ ۝ فَلَا أَفْسِسُ بِالْحَنِينِ ۝ الْجَوَارِ الْكُنُوسِ ۝ وَالْأَيْلِ إِذَا عَسَّعَسَ ۝ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلٌ رُّسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُطَاعٌ ثَوَّامِينَ ۝ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَحْجُونٍ ۝ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأَفْقِ الْمُبِينِ ۝ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝ وَمَا هُوَ يَقُولُ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ۝ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝ لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيرَ ۝ وَمَا تَشَاءُونَ ۝ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۝

سورة التكاثر

[مكية، تسع وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ لُفَّت وذهب بنورها. [٢] ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ انقضت وتساقطت على الأرض (١). [٣] ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ ذهب بها عن وجه الأرض؛ فصارت هباءً منبثاً. [٤] ﴿وَإِذَا الْعِشَارُ﴾ النوق الحوامل ﴿عُطِّلَتْ﴾ تُركت بلا راع، أو: بلا حلب؛ لما دهاهم من الأمر، ولم يكن مال أعجب إليهم منها. [٥] ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ جمعت بعد البعث؛ ليقص لبعض من بعض، ثم تصير تراباً. [٦] ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ بالتخفيف والتشديد (٢)؛ أوقدت فصارت نازاً. [٧] ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾

(١) النجوم لا تساقط على الأرض، وإنما تفتت وتتأثر. فالأولى: عدم ذكر الأرض.

(٢) بالتخفيف قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

(٣) أي: شذوذاً ﴿قُتِلَتْ﴾.

(٤) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٥) بالتخفيف قراءة السبعة عدا نافع وابن ذكوان وحفص.

(٦) وهي قراءة الكسائي وابن كثير وأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة بالضاد؛ ﴿بُضْنِينَ﴾.

(٧) قال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تعليقه على الخلاين ص (٢٦١): «التعظيم في متعلق المشيئة أولى؛ لحذف المفعول. والتقدير: وما تشاءون شيئاً من خير أو شر؛ إلا أن يشاء الله ذلك. ويدخل في ذلك الاستقامة دخولاً أولياً للآية السابقة، وبذلك تدل الآية على مشيئة الله التكوينية خلافاً للمعتزلة».

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

[مكية، تسع عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ انشقت.
- [٢] ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ﴾ انقضت ونساقطت.
- [٣] ﴿وَلِذَا الْيَمَامُ فُجِّرَتْ﴾ فُجِح بعضها في بعض، فصارت بحرًا واحدًا، واختلط العذب بالمالح.
- [٤] ﴿وَإِذَا الْآبُقُورُ بُعِثَتْ﴾ قُلِب ترابها، وبُعث موتاها.
- [٥] وجواب «إذا» وما عطف عليها: «عَلِمَتْ نَفْسٌ أَي: كل نفس وقت هذه المذكورات، وهو يوم القيامة، مِمَّا قَدَّمَتْ مِنَ الْأَعْمَالِ ﴿وَمَا أَخْرَتْ﴾ منها، فلم تعمله.
- [٦] ﴿يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ الْكَافِرُ مِمَّا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ حتى عصيته.
- [٧] ﴿الَّذِي خَلَقَكَ﴾ بعد أن لم تكن ﴿فَسَوَّيَكَ﴾ جعلك مستوي الخلقة، سالم الأعضاء ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ بالتخفيف والتشديد (١)، جعلك معتدل الخلق، متناسب الأعضاء؛ ليست يد أو رجل أطول من الأخرى.
- [٨] ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا﴾ صلة ﴿شَاءَ رَبُّكَ﴾.
- [٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع عن الاعتزاز بكرم الله - تعالى (٢) - ﴿بَلْ تَكَذِّبُونَ﴾ أي: كفار مكة ﴿بِالَّذِينَ﴾ بالجزاء على الأعمال.
- [١٠] ﴿وَأَنْ عَلَيْكُمْ لَحُفَظِينَ﴾ من الملائكة لأعمالكم.
- [١١] ﴿كَرَامًا﴾ على الله ﴿كَبِيرِينَ﴾ لها.
- [١٢] ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ جميعه.
- [١٣] ﴿إِنَّ الْأَذْيَارَ﴾ المؤمنين الصادقين في إيمانهم ﴿لَنِي نَعِيمٍ﴾ جنة.
- [١٤] ﴿وَأَنَّ الْفَجَارَ﴾ الكفار ﴿لَنِي نَجِيمٍ﴾ نار محرقة.
- [١٥] ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾ يدخلونها ويقاضون عَزَاهَا ﴿يَوْمَ الْبَازِغِ﴾ الجزاء.
- [١٦] ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ بمخرجين.
- [١٧] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا يَوْمَ الْبَازِغِ﴾.
- [١٨] ﴿ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْبَازِغِ﴾ تعظيم لشأنه.
- [١٩] ﴿[يَوْمَ]﴾ بالرفع (٣)، أي: هو يوم ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا﴾ من المنفعة ﴿وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ لا أمر لغيره فيه؛ أي: لم يمكن أحدًا من التوسط فيه، بخلاف الدنيا.

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْآبُقُورُ بُعِثَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخْرَتْ ﴿٥﴾ يَأْتِيهَا الْإِنْسَنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّيَكَ فَعَدَّلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَبُّكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ ﴿٩﴾ وَإِنْ عَلَيْكُمْ لَحُفَظِينَ ﴿١٠﴾ كَرَامًا كَتَبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْأَذْيَارَ لَنِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَالْفَجَارَ لَنِي نَجِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الْبَازِغِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْبَازِغِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْبَازِغِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ﴿١٩﴾ وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿٢٠﴾

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِلْمُصْطَفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ لَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾

سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ

[مكية، أو: مدنية، ست وثلاثون آية*]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو: واد في جهنم ﴿لِلْمُصْطَفِينَ﴾.
- [٢] ﴿الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾ الكيل.
- [٣] ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ أي: كالوا لهم ﴿أَوْ وَزَنُوهُمْ﴾ أي: وزنوا لهم ﴿يُخْسِرُونَ﴾ ينقصون الكيل أو الوزن.
- [٤] ﴿الَّذِينَ﴾ استفهام توبيخ ﴿يَظُنُّ﴾ يتيقن ﴿أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾.
- [٥] ﴿يَوْمَ عَظِيمٍ﴾ أي: فيه، وهو يوم القيامة.
- [٦] ﴿يَوْمَ﴾ بدل من محل «اليوم»؛ فناصبه: «مَبْعُوثُونَ» ﴿يَقُومُ النَّاسُ﴾ من قبورهم ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الخلائق؛ لأجل أمره وحسابه وجزائه.

(١) ما جاء في نزول السورة: أخرج ابن ماجه عن ابن عباس، قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أحب الناس كبرًا، فأمر الله . شيعته: . ﴿وَيْلٌ لِلْمُصْطَفِينَ﴾ فأحسوا الكيل بعد ذلك. ابن ماجه - كتاب الصلوات (١٢) باب (٣٥) التوفي في الكيل والوزن. (حس) صحيح سنن ابن ماجه (١٨٠٨).

(١) بالتشديد قراءة نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر.

(٢) قول الخليلي: «ردع عن الاعتزاز بكرم الله تعالى» بغيد أنه ذهب إلى أن جواب الإنسان الكافر على سؤال: ﴿مِمَّا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾ في الآية السادسة هو: غره كرم الله. وهذا قول ضعيف مردود، والكافر إنما غره جهله بربه وبصفاته. وقد يتوجه هذا الجواب ويقلل من تحمل على أن السؤال موجه إلى المؤمن العاصي، لكن الخطأ في الآية للكافر.

(٣) وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو، وقرأ بقية السبعة: ﴿يَوْمَ﴾ بالفتح.

لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ
الْفَجَارِ لَفِي سِجِّينَ ﴿٧﴾ وَمَا أَذْرُوكَ مَا سِجِّينَ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٩﴾
وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿١١﴾ وَمَا كَذَّبَ
بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾
كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ
يَوْمَذٍ لَمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا
الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾
وَمَا أَذْرُوكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُفَرِّقُونَ ﴿٢١﴾
إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي
وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْمُومٍ ﴿٢٥﴾ خِشْمُهُ
مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِنْ رَاحَتِهِمْ
تَسْنِيمٌ ﴿٢٧﴾ عَيْنَايَا يَشْرَبُ بِهَا الْمُفَرِّقُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا
مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِضَحْكَوْنٍ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾
وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا
إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾

[٧] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْفَجَارِ﴾ أي: كتاب أعمال الكفار ﴿لَفِي سِجِّينَ﴾
سجين: قيل: هو كتاب جامع لأعمال الشياطين والكفرة، وقيل: هو مكان
أسفل الأرض السابعة، وهو محل إبليس وجنوده.
[٨] ﴿وَمَا أَذْرُوكَ مَا سِجِّينَ﴾ ما كتاب سجين.
[٩] ﴿كِتَابٌ مَرْفُومٌ﴾ مختم.
[١٠] ﴿وَيْلٌ يَوْمَذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾
[١١] ﴿الَّذِينَ يَكْذِبُونَ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ بيان «اللمكذبين».
[١٢] ﴿وَمَا كَذَّبَ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾ متجاوز الحد «أثيم» صيغة مبالغة.
[١٣] ﴿إِذَا نُتِلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا﴾ القرآن ﴿قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ الحكايات
التي سطرت قديماً، جمع: «أسطورة» بالضم أو: «إسطارة» بالكسر.
[١٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع وزجر لقولهم ذلك ﴿بَلْ رَانَ﴾ غلب ﴿عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾

نفسيها ﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ من المعاصي، فهو كالصدأ.
[١٥] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ فلا
يرونه.
[١٦] ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ﴾ لدخول النار المحرقة.
[١٧] ﴿ثُمَّ يُقَالُ﴾ لهم: ﴿هَذَا﴾ أي: العذاب ﴿الَّذِي كُنتُمْ بِهِ﴾
تَكْذِبُونَ.
[١٨] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ﴾ أي: كتاب أعمال المؤمنين،
الصادقين في إيمانهم ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ قيل: هو كتاب جامع لأعمال الخير من
الملائكة ومؤمني الثقلين، وقيل: هو مكان في السماء السابعة تحت العرش.
[١٩] ﴿وَمَا أَذْرُوكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾ أعلمكم ﴿مَا عِلِّيُّونَ﴾ ما كتاب عليين؟
[٢٠] ﴿هُوَ﴾ كِتَابٌ مَرْفُومٌ ﴿مَخْمُومٌ﴾.
[٢١] ﴿يَشْهَدُهُ الْمُفَرِّقُونَ﴾ من الملائكة.
[٢٢] ﴿إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ جنة.
[٢٣] ﴿عَلَى الْأَرَائِكِ﴾ الشرر في الحجال^(١) ﴿يَنْظُرُونَ﴾ ما أعطوا من
النعيم.
[٢٤] ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ بهجة النعم وحشنة.
[٢٥] ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ﴾ خمر خالصة من الدنس ﴿مَخْمُومٌ﴾ على
إنائها، لا يَفُكُ خَشْمُهُ إِلَّا هُمْ.
[٢٦] ﴿خِشْمُهُ مِسْكٌ﴾ أي: آخر شربه، تفوح منه رائحة المسك ﴿وَفِي
ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ فليرغبوا بالمبادرة إلى طاعة الله.
[٢٧] ﴿وَمِنْ رَاحَتِهِمْ﴾ أي: ما يخرج به ﴿مِنْ تَسْنِيمٍ﴾، فُسِّرَ بقوله:
[٢٨] ﴿عَيْنَا﴾ فنصبه بـ«أمدح» مقدراً ﴿يَشْرَبُ بِهَا الْمُفَرِّقُونَ﴾ منها، أو:
ضَعْنٌ «بشرب» معنى: يلتذ.
[٢٩] ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا﴾ كأني جهل ونحوه ﴿كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
كعقار وبلال ونحوهما ﴿يَضْحَكُونَ﴾ استهزاء بهم.
[٣٠] ﴿وَإِذَا مَرُّوا﴾ أي: المؤمنون ﴿بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ يشير الجرمون إلى
المؤمنين، بالحنن والحاجب استهزاء.
[٣١] ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا﴾ رجعوا ﴿إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا﴾ فَاكِهِينَ ﴿وَفِي
قِرَاءَةِ﴾^(٢) ﴿فَاكِهِينَ﴾ معجبين بذكرهم المؤمنين.
[٣٢] ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ أي: المؤمنون ﴿قَالُوا إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَضَالُّونَ﴾ لإيمانهم
بمحمد ﷺ.
[٣٣] قال - تعالى -: ﴿وَمَا أُرْسِلُوا﴾ أي: الكفار ﴿عَلَيْهِمْ﴾ على المؤمنين
﴿حَافِظِينَ﴾ لهم، أو: لأعمالهم؛ حتى يردوهم إلى مصالحهم.
[٣٤] ﴿فَالْيَوْمَ﴾ أي: يوم القيامة ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾.

(١) جمع: «خجلة»، وهي: القبة فوق السرى.

(٢) للبيعة عدا خصص وابن عامر بخلاف عنه.

[٣٥] ﴿عَلَى الْأَرْيَافِ﴾ في الحجة ﴿يَنْظُرُونَ﴾ من منازلهم إلى الكفار وهم يعبدون، فيضحكون منهم، كما ضحك الكفار منهم في الدنيا.
[٣٦] ﴿هَلْ تُؤْتِي﴾ جوزي ﴿الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَنْفَعُونَ﴾؟ نعم.

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

[مكية، ثلاث، أو: خمس وعشرون آية]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾. [٢] ﴿وَأُذُنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في الانشقاق ﴿لِرَبِّهَا وَخُقَّتْ﴾ أي: وحق لها أن تسمع وتطيع.
[٣] ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ زيد في سمعتها، كما تمدُّ الأديم، ولم يبق عليها بناء ولا جبل.

[٤] ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾ من الموتى إلى ظاهرها ﴿وَنُفِثَتْ﴾ عنه.
[٥] ﴿وَأُذُنَتْ﴾ سمعت وأطاعت في ذلك ﴿لِرَبِّهَا وَخُقَّتْ﴾ وذلك كله يكون يوم القيامة، وجواب «إذا» وما عطف عليها محذوف، دل عليه ما بعده؛ تقديره: لقي الإنسان عمله.

[٦] ﴿يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ جاهد في عملك ﴿إِلَى﴾ لقاء ﴿رَبِّكَ﴾ وهو الموت ﴿كَذَٰكَ فَلْيَقِ﴾ أي: ملاق عملك المذكور، من خير أو شر يوم القيامة.

[٧] ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ﴾ كتاب عمله ﴿بِيسْرَةٍ﴾ هو المؤمن.
[٨] ﴿فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ هو عرض عمله عليه كما في حديث الصحيحين، وفيه: «مَنْ تَوَقَّشَ الْحِسَابَ هَلَكَ»^(١) وبعد العرض يُجاوز عنه.

[٩] ﴿وَيُنْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ في الجنة ﴿مَسْرُورًا﴾ بذلك.
[١٠] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ هو الكافر، تُغلُّ مِثْله إلى عنقه وتُجعل يساره وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه.

[١١] ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا﴾ عند رؤيته ما فيه ﴿ثُبُورًا﴾ ينادي هلاكه بقوله: يا ثبوراه.

[١٢] ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ يدخل النار الشديدة، وفي قراءة^(٢) بضم الباء وفتح الصاد واللام المشددة.

[١٣] ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ﴾ عشيرته في الدنيا ﴿مَسْرُورًا﴾ بطرا باتباعه هواه.
[١٤] ﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ مَخْفَفٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ﴾ واسمها محذوف؛ أي: أنه ظنَّ يُجوزُ ﴿يُرجع إلى ربه﴾.

[١٥] ﴿يَلَنُ﴾ يرجع إليه ﴿إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ عالما برجوعه إليه^(٣).
[١٦] ﴿فَلَا أَقْسِمُ﴾ لا زائدة ﴿بِالسَّفْقِ﴾ هو الحمرة في الأفق، بعد غروب الشمس.

[١٧] ﴿وَالْأَيْلَ وَمَا وَسَقَ﴾ جَمَعَ ما دخل عليه، من الدواب وغيرها.
[١٨] ﴿وَالْقَمَرَ إِذَا انشَقَّتْ﴾ اجتمع وتم نوره، وذلك في الليالي البيض.

[١٩] ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ أيها الناس، أصله: «تركبون» حذف نون الرفع؛ لتوالي الأمثال، والواو؛ للالتقاء الساكنين ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ حالا بعد حال، وهو

فَالْيَوْمَ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٥﴾ عَلَى
الْأَرْيَافِ يَنْظُرُونَ ﴿٣٦﴾ هَلْ تُؤْتِي الْكُفَّارَ مَا كَانُوا يَنْفَعُونَ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأُذُنَتْ لِرَبِّهَا وَخُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَخُفَّتْ ﴿٤﴾ وَأُذُنَتْ لِرَبِّهَا وَخُقَّتْ ﴿٥﴾ يَتَأَيَّهَا الْإِنْسَنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ بِيسْرَةٍ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيُنْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوْرِكَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّنْ يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أَقْسِمُ بِالسَّفْقِ ﴿١٦﴾ وَالْأَيْلَ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرَ إِذَا انشَقَّتْ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾

الموت ثم الحياة وما بعدها من أحوال القيامة.

[٢٠] ﴿فَمَا لَهُمْ﴾؛ أي: الكفار ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: أي مانع من الإيمان، أو: أي حجة لهم في تركه مع وجود براهينه؟
[٢١] ﴿وَلَهُمْ﴾ مالهـم ﴿إِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْءَانُ لَا يَسْمَعُونَ﴾ يخضعون؛ بأن يؤمنوا به لإعجازه.

[٢٢] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَكْذِبُونَ﴾ بالبعث وغيره.
[٢٣] ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ يجمعون في صفهم، من الكفر والتكذيب وأعمال السوء.

[٢٤] ﴿فَبَشِّرْهُمْ﴾ أخبرهم ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ مؤلم.
[٢٥] ﴿إِلَّا﴾ لكن ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ غير مقطوع ولا منقوص ولا يُمنَّ به عليهم.

(ه) فائدة: أخرج الترمذي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ رَأَى عَيْنَ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا الْفُتُشُ كُورَتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾ و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾. الترمذي. كتاب تفسير القرآن (٤٨) باب (٧٤) سورة ﴿إِذَا الْفُتُشُ كُورَتْ﴾، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٥٣).

(١) البخاري (٤٩٣٩)، مسلم (٢٨٧٦) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٢) لنافع وابن كثير وابن عامر والكساوي؛ «يُصَلَّى».

(٣) البصر غير العلم، فالواجب إثبات ما أثبت الله لنفسه أو أثبت له رسوله ﷺ على الوجه اللائق بجلاله - سبحانه -.

[٤] ﴿قِيلَ﴾ ﴿لَعَنَ﴾ ﴿أَصْحَابُ الْأَخْضَدِ﴾ ﴿الشَّقْ فِي الْأَرْضِ﴾.

[۵] ﴿النَّارِ﴾ بدل اشتمال منه ﴿ذَاتِ الْاُقُودِ﴾ ما توقد به.

[٦] ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا﴾ حولها على جانب الأخدود على الكراسي ﴿قُعُودٌ﴾.

[٧] ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ بالله، من تعذيبهم بالإلقاء في النار، إن لم يرجعوا عن إيمانهم ﴿شُودٌ﴾ حضور، روي أن الله أنجى المؤمنين الملقين في النار بقض أرواحهم قبل وقوعهم فيها، وخرجت النار إلى من نَمَّ فأحرقهم^(٣).

[٨] ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ﴾ في ملكه ﴿الْحَمِيدِ﴾

المحمود.

[٩] ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: ما

أُنْكَرَ الْكُفَّارَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا إِيْمَانَهُمْ.

[١٠] ﴿إِنَّ الَّذِينَ نَسُوا الْمَوْتَ وَالْمُؤْتَىٰ﴾ بالإحراق ﴿ثُمَّ لَوْ هَبُوا فُتُوحًا﴾ عَذَابُ جَهَنَّمَ ﴿بَكَفَرِهِمْ﴾ وَلَكُمُ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿أَيُّ عَذَابٍ إِحْرَاقِهِمُ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَقِيلَ فِي الدُّنْيَا بَأْسٌ أَخْرَجْتَ النَّارَ فَأَحْرَقْتَهُمْ، كَمَا تَقْدُمُ.

[١١] إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ.

[۱۲] ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ﴾ بالكفار ﴿لَشَدِيدٌ﴾ بحسب إرادته.

[۱۳] ﴿إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ﴾ ﴿الْخَلْقِ﴾ ﴿وَعِيدُ﴾ ﴿فَلَا يَعْجَزُ﴾ مَا يَرِيدُ.

[١٤] ﴿وَهُوَ الْعَفْوَ﴾ للمؤمنين المؤمنين ﴿الَّذِينَ﴾ المتوَدُّ إلى أوليائه الكرامة.

[١٥] ﴿ذُو الْعَرْشِ﴾ خالقه ومالكة^(١) ﴿الْحَيُّ﴾ بالرفع؛ المستحق
لكمال صفات العلو^(٢).

[١٦] ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ لا يعجزه شيء.

[۱۷] ﴿هَذَا أَنَا﴾ يا محمد ﴿حَدِيثُ الْجَنُودِ﴾.

[١٨] ﴿فَرِيعُونَ وَنُودٌ﴾ بدل من «الجنود»، واستغني بذكر فرعون عن اتباعه، وحديثهم أنهم أهلكتوا بكفرهم، وهذا تنبيه لمن كفر بالنبي ﷺ والقرآن؛ ليتعظوا.

[۱۹] ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ﴾ بما ذكر.

[۲۰] ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُخِيطٌ﴾ لا عاصم لهم منه.

[۲۱] ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ عظیم۔

[٢٢] ﴿فِي لَوَجٍ﴾ هو في الهواء، فوق السماء السابعة ﴿مُحْفَظٌ﴾ بالجر^(٦)، من الشياطين، ومن تغيير شيء منه، طوله ما بين السماء والأرض، وعرضه ما بين المشرق والمغرب، وهو من درة بيضاء؛ قاله ابن عباس رضي الله عنهما^(٧).

* * *

سُورَةُ الْبُرُوجِ

[مكية ، اثنتان وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْبُرُوجِ﴾ الكواكب اثنا عشر برجاً تقدمت في الفرقان^(١).

[٢] ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ﴾ يوم القيامة.

[٣] ﴿وَشَآهِدْ﴾ يوم الجمعة ﴿وَمَسْهُودٌ﴾ يوم عرفة، كذا فسرت الثلاثة في الحديث ^(١)؛ فالأول: موعود به، والثاني: شاهد بالعمل فيه، والثالث: تشهده الناس والملائكة، وجواب القسم محذوف صُدْرُهُ، تقديره: لقد.

(١) الفرقان: ٦١.

(٢) يشير إلى ما أخرجه الترمذي في سننه (٣٢٦٢) عن أبي هريرة مرفوعاً، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٢٠١).

(٣) روي ذلك عن الربيع بن أنس، وحكاه الفراء، وأكثر المفسرين أن هذا العذاب في جهنم.

(٤) **اللَّهُ وَكَانَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ**، والإضافة هنا لأمر اختص به العرش دون سائر المخلوقات، وهو استواؤه سبحانه عليه بنفسه المقدسة استواء بليق بجلاله.

(٥) وكذا بالجزم في قراءة حمرة والكسائي.

(٧) تحديد اللوح بما ذكر من الأمور الغيبية التي يحتاج الجازم بها إلى دليل صحيح عن المعصوم عليه السلام.

سُورَةُ الطَّارِقِ

[مكية، سبع عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالَّذِي أَدْرَأَكَ وَالطَّارِقَ﴾ أصله: كل آتٍ ليلاً، ومنه النجوم لطلوعها ليلاً.

[٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الطَّارِقُ﴾ مبتدا وخبر، في محل المفعول الثاني لـ «أدرك»، وما بعد «ما» الأولى خبرها، وفيه تعظيم لشأن الطارق المفسر بما بعده. [٣] هو ﴿الَّذِي﴾ أي: الثريا، أو: كل نجم ﴿الَّذِي﴾ الماضي، لقبه الظلام بضوئه. وجواب القسم: [٤] ﴿إِنْ كُلُّ نَجْمٍ﴾ [الما] عَلَيْنَا حَافِظٌ يتخفيف «ما» فهي مزيدة، و«إن» مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: إنه، واللام فارقة، وتشديدها^(١) فـ«إن» نافية، و«لما» بمعنى «إلا»، والحافظ من الملائكة، يحفظ عملها من خير وشر. [٥] ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ﴾ نظر اعتبار ﴿مِمَّ خُلِقَ﴾ من أي شيء؟ جوابه: [٦] ﴿خُلِقَ مِنْ شَاءِ ذَاقٍ﴾ ذي الذِّقَاقِ من الرُّجُلِ وَالْمَرَاةِ، في رجمها. [٧] ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ﴾ للرجل ﴿وَالْأَرْبَابِ﴾ للمرأة؛ وهي: عظام الصدر. [٨] ﴿إِنَّهُ﴾ - تعالى - ﴿عَلَى رَجِيمٍ﴾ بعث الإنسان بعد موته ﴿تَقَادِرُ﴾ فإذا اعتبر أصله عليم أن القادر على ذلك قادر على بعثه. [٩] ﴿يَوْمَ يُبْلَى﴾ تختبر وتُكشَفُ ﴿الْأَسْبَابُ﴾ ضمائر القلوب في العقائد والنيات. [١٠] ﴿مَا لَمْ﴾ لمنكر البعث ﴿مِنْ قُوَّةٍ﴾ يتمتع بها من العذاب ولا ناصر يدفعه عنه.

[١١] ﴿وَالَّذِي ذَاتَ الرَّجْعِ﴾ المطر؛ لعوده كل حين. [١٢] ﴿وَالَّذِينَ ذَاتَ أَمْنَةٍ﴾ الشق عن النبات. [١٣] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: القرآن ﴿لَقَوْلٍ فَصْلٍ﴾ يفصل بين الحق والباطل. [١٤] ﴿وَمَا هُوَ بِالْعَزَّةِ﴾ باللب والباطل. [١٥] ﴿إِنَّهُمْ﴾ أي: الكفار ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾ يعملون المكائد للنبي ﷺ. [١٦] ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾ أستردهم من حيث لا يعلمون. [١٧] ﴿فَهَلْ﴾ يا محمد ﴿الْكَاذِبِينَ أَمْهُمْ﴾ تأكيد، حشنة مخالفة اللفظ؛ أي: أنظروهم ﴿رَوْدًا﴾ قليلاً، وهو مصدر مؤكد لمعنى العامل، مصغر: «رودا»، أو: «روداد» على الترخيم، وقد أخذهم الله تعالى - بيدر، ونسخ الإمهال بآية السيف؛ أي: الأمر بالقتال والجهاد.

سُورَةُ الْأَعْلَى

[مكية، تسع عشرة آية^(*)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: نزه ربك عما لا يليق به، و«اسم» زائد^(٢) ﴿الْأَعْلَى﴾ صفة لـ«ربك»^(٣). [٢] ﴿الَّذِي خَلَقَ سَوْنٌ﴾ مخلوقه؛ جعله متناسب الأجزاء، غير متفاوت. [٣] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ﴾ ما شاء ﴿فَهَدَى﴾ إلى ما قدره من خير وشر. [٤] ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى﴾ أنبت العشب. [٥] ﴿فَجَعَلَهُ﴾ بعد الخضرة ﴿عُتَاةً﴾ جافاً هشياً ﴿أَحْوَى﴾ أسود يابسا. [٦] ﴿سَنَفَرْنَاكَ﴾ القرن ﴿فَلَا تَنْسَى﴾ ما تقرأه. [٧] ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ ن نساها بنسخ تلاوته وحكمه، وكان ﷺ يجهر بالقراءة مع قراءة جبريل خوف النسيان، فكانه قيل

(*) فائدة: أخرج النسائي عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ يوتر بـ «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى»، و«قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»، و«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ». النسائي - كتاب قيام الليل (٢٠) باب (٤٦) القراءة في الوتر. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٦٣٣).

(٢) بل يجب تنزيه الاسم كذلك، كما يجب تنزيه ذاته المقدسة سبحانه.

(٣) بالتخفيف قراءة نافع وابن كثير والكسائي وأبي عمرو.

(٤) الأعلى اسم من أسماء الله ﷻ، وهو يشتغل على إثبات صفة العلو لله - تعالى - ومعناه: الأعلى من كل شيء؛ ذاتاً وقهراً وشأناً.

(٤) ق: ٤٥.

سُورَةُ الطَّارِقِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ ذَاقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ بُنِيَ السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَهَلْهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهْلُ الْكَافِرِينَ أَمْهَلُهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

سُورَةُ الْأَعْلَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ سَوْنٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ عُتَاةً أَحْوَى ﴿٥﴾ سَنَفَرْنَاكَ ﴿٦﴾ فَلَا تَنْسَى ﴿٧﴾ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى ﴿٨﴾ وَيُسِّرُكَ لِلْيُسْرَى ﴿٩﴾ فَذِكْرُنَا لِقَعَتِ الذِّكْرَى ﴿١٠﴾ سَيَذَكِّرُنَا لِيُنْذِرَ ﴿١١﴾

له: لا تعجل بها، إنك لا تنسى ولا تُعْبِثُ نفسك بالجهر بها. ﴿إِنَّهُ﴾ تعالى ﴿يَعْلَمُ الْجَهْرَ﴾ من القول والفعل ﴿وَمَا يَخْفَى﴾ منها. [٨] ﴿وَيُسِّرُكَ لِلْيُسْرَى﴾ للشرعية السهلة، وهي الإسلام. [٩] ﴿فَذَكِّرْ﴾ عِظْ بالقرآن ﴿إِنْ نَقَعَتِ الذُّكْرَى﴾ مَنْ ذَكَرَهُ، المذكور في: «سيدرك»؛ يعني: وإن لم تنفع، ونفعها لبعض، وعدم النفع لبعض آخر. [١٠] ﴿سَيَذَكِّرْ﴾ بها ﴿مَنْ يَخْفَى﴾ يخاف الله - تعالى - كآية ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾^(٤). [١١] ﴿وَبَلِّغْهُمْ﴾ أي: الذكري؛ أي: يتركها جانباً لا يلتفت إليها ﴿الْأَثْقَى﴾ بمعنى الشقي؛ أي: الكافر. [١٢] ﴿الَّذِي يَصَلُّ النَّارَ الْكِبْرَى﴾ هي نار الآخرة، والصغرى نار الدنيا. [١٣] ﴿مَنْ لَا يَبُوءُ فِيهَا﴾ فيستريح ﴿وَلَا يَخْشَى﴾ حياة هنيئة. [١٤] ﴿فَقَدْ أَفْلَحَ﴾ فاز ﴿مَنْ تَرَكَّى﴾ تَطَهَّرَ بالإيمان. [١٥] ﴿وَوَدَّكَ اسْمُ رَبِّكَ﴾ مكبراً ﴿فَصَلِّ﴾ الصلوات الخمس. وذلك من أمور الآخرة، وكفار مكة مُعْرَضُونَ عنها.

(٥) فائدة: أخرج النسائي عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ يوتر بـ «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى»، و«قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»، و«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ». النسائي - كتاب قيام الليل (٢٠) باب (٤٦) القراءة في الوتر. وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي (١٦٣٣).

بأهلها.

- [٢] ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ الْيَوْمِزُّ﴾ عبر بها عن الذوات في الموضعين ﴿خَشِيعَةً﴾ ذليلة.
 [٣] ﴿عَالِيَةً نَّاصِبَةً﴾ ذات نصيب وتعب، بالسلاسل والأغلال.
 [٤] ﴿تَصَلَّى﴾ بفتح التاء وضعتها^(١) ﴿نَارًا حَامِيَةً﴾.
 [٥] ﴿تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَالِيَةٍ﴾ شديدة الحرارة.
 [٦] ﴿لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ﴾ هو نوع من الشوك، لا ترعاه دابة؛ لحيتها.
 [٧] ﴿لَا يَسْمُونَ وَلَا يُنَبِّئُونَ﴾ لا يتبينون ولا يتنبئون من جوع.
 [٨] ﴿وَجُوهُهُمْ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ حسنة.

- [٩] ﴿لَيْسَ فِيهَا﴾ في الدنيا بالطاعة ﴿رَاضِيَةً﴾ في الآخرة لما رأت ثوابه.
 [١٠] ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ جِدَا وَمَعْنَى﴾.
 [١١] ﴿لَا يُسْمَعُ﴾ بالياء والتاء^(٢) ﴿فِيهَا﴾ لا غنية؛ أي: نفس ذات لغو، أي: هذيان من الكلام.

- [١٢] ﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾ بالماء، بمعنى: عيون.
 [١٣] ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ﴾ ذاتا وقدرا ومحلا.
 [١٤] ﴿وَأَكْوَابُهَا﴾ أقداح لا غرى لها ﴿مَوْضُوعَةٌ﴾ على حافات العيون، معدة لشربهم.

- [١٥] ﴿وَنَارًا﴾ وسائل ﴿مَصْفُوفَةٌ﴾ بعضها بجانب بعض، يستند إليها.
 [١٦] ﴿وَرِزْقًا﴾ بسطط طافس لها غسل^(٣) ﴿مَبْنُوتَةً﴾ مبسوطة.
 [١٧] ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ﴾ أي: كفار مكة؛ نظر اعتبار ﴿إِلَى الْإِبِلِ﴾ كيف خلقت.

- [١٨] ﴿وَالِى السَّمَاءِ﴾ كيف رفعت. [١٩] ﴿وَالِى الْجِبَالِ﴾ كيف نصبت.
 [٢٠] ﴿وَالِى الْأَرْضِ﴾ كيف سطحت. أي: بسطط، فيستدلون بها على قدرة الله - تعالى - ووجدانيته، وضدَّت بالإبل؛ لأنهم أشد ملاسة لها من غيرها، وقوله: ﴿سَطَّحَتْ﴾ ظاهر في أن الأرض سطوح؛ وعليه علماء الشرع، لا كره؛ كما قاله أهل الهيئة وإن لم ينقض ركنًا من أركان الشرع^(٤).

- [٢١] ﴿فَذَكِّرْ﴾ لهم نعم الله ودلائل توبيخه ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾.
 [٢٢] ﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ﴾ وفي قراءة بالصاد بدل السين؛ أي: بمسلط، وهذا قبل الأمر بالجهاد.

- [٢٣] ﴿وَالَا﴾ لكن ﴿مَنْ تَوَلَّى﴾ أعرض عن الإيمان ﴿وَكُفِّرْ﴾ بالقرآن.
 [٢٤] ﴿فَيَقْدِرُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ﴾ عذاب الآخرة، والأصغر عذاب الدنيا بالقتل والأسر.

- [٢٥] ﴿إِنَّا إِنَّا يَا أَيُّهَا﴾ رجوعهم بعد الموت.
 [٢٦] ﴿ثُمَّ إِنَّ عَيْنَنَا جَسَدَهُمْ﴾ جزاءهم لا نتركه أبدًا.

وَتَجَبَّهٖمَا أَلْأَشَقَى ۖ الَّذِى يَصَلِى النَّارَ الْكُبْرَى ۖ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى ۖ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ۖ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ۝
 بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا ۖ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ وَأَنْتَبَى ۖ إِنْ هَذَا إِلَّا الصُّخْفُ الْأَوَّلَى ۖ صُحُفٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ۝

سورة العنكبوت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْكَبُوتِ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ ۖ عَالِمَةٌ نَاصِبَةٌ ۖ تَصَلَّى نَارًا حَامِيَةً ۖ تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ عَالِيَةٍ ۖ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ ۖ لَا يُسْمُونَ وَلَا يُنَبِّئُونَ مِنْ جُوعٍ ۖ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ۖ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ۖ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۖ لَا تَسْمَعُ فِيهَا الْغِيَّةَ ۖ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ۖ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ۖ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ۖ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۖ وَزُرُرًا مَبْنُوتَةٌ ۖ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۖ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۖ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۖ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ۖ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ۖ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ۝

- [١٦] ﴿بَلْ يُؤْثِرُونَ﴾ بالتحنات والفوقانية^(١) ﴿الْحَيَوَةَ الدُّنْيَا﴾ على الآخرة. [١٧] ﴿وَالْآخِرَةَ﴾ المشتملة على الجنة ﴿خَيْرٌ وَأَنْتَبَى﴾.
 [١٨] ﴿إِنَّ هَذَا﴾ أي: إفلاح من تزكى، وكون الآخرة خيرا ﴿لَفِي الصُّخْفِ الْأَوَّلَى﴾ أي: المنزلة قبل القرآن.
 [١٩] ﴿صُحُفٌ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى﴾ وهي: عشر صحف لإبراهيم، والتوراة لموسى.

سورة العنكبوت

[مكية، ست وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿هَلْ﴾ قد ﴿أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْكَبُوتِ﴾ القيامة؛ لأنها تغشى الخلائق

(٥) فائدة: أخرج مسلم عن النعمان بن بشير قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في العيدين وفي الجمعة بـ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَكْبَرُ﴾، و﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعُنْكَبُوتِ﴾ قال: وإذا اجتمع العيد والجمعة في يوم واحد يقرأ بهما أيضًا في الصلواتين. مسلم - كتاب الجمعة (٧) باب (١٦) ما يقرأ في صلاة الجمعة.

(١) بالياء لأبي عمرو.
 (٢) بالياء لابن كثير وأبي عمرو، وقرأ نافع بالتاء مع ضمها؛ مبيهاً لمجهول، ﴿تُسْمَعُ﴾، وقرأ بقية السبعة: ﴿تَسْمَعُ﴾ فيها لغة؛ للعالم مع نصب ﴿لَاغِيَةً﴾.
 (٣) ﴿وَرِزْقًا﴾؛ جمع: ﴿رُزْقَةٌ﴾ تظليل الزاي. و﴿طَافَسَ﴾؛ جمع: ﴿طَافَسَةٌ﴾ بتظليل الفاء والطاء، وتسمى أيضًا: سجدة. وال (تخل): لا (دهذب).
 (٤) بل الصحيح أنها كروية كما ثبت بالعلم الحديث وبينه ثقت من علماء المسلمين من قبل، وأما بسطها وتسطيحها فلا يتنافى مع كرويتها في نفسها وذلك لابعاد أطرافها، فكل قطعة منها على حدة ممدودة مسطحة، والكروية كائنة لجللتها، كما قال - تعالى -: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَسَمَةٌ﴾.
 (٦) لهشام، وقرأ حمزة بخلف عن خلاد: بإشمام الصاد الزاي، وقرأ بقية السبعة بالصاد، وهو الوجه الثاني خلاد.

سُورَةُ الْفَجْرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاثون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْفَجْرِ﴾ أي: فجر كل يوم.

[٢] ﴿وَلَيْلٍ عَشْرٍ﴾ أي: عشر ذي الحجة.

[٣] ﴿وَالشَّفْعِ الرَّوْحِ﴾ و﴿وَالْوَتْرِ﴾ يفتح الواو وكسرها^(١)؛ لغتان: الفرد.

[٤] ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَنسَرُ﴾ مقيلاً ومدبراً.

[٥] ﴿هَلْ فِي ذَلِكَ الْقِسْمِ﴾ وقسمٌ يُرَى جَمْرٌ عقل؟ وجواب القسم محذوف؛ أي: لتُعَذِّبُوا يا كفار مكة.

[٦] ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ تعلم يا محمد ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾.

[٧] ﴿إِنَّمَا﴾ هي عاد الأولى، فدارم عطف بيان، أو: بدل، ومنع الصرف؛ للعلمية والتأنيث ﴿ذَاتِ الْإِيمَادِ﴾ أي: الطول، كان طول الطويل منهم أربعمائة ذراع^(٢).

[٨] ﴿أَلَيْسَ لَمْ يَخْلُقْ يَتْلُهَا فِي الْيَلْدِ﴾ في بطشهم وقوتهم.

[٩] ﴿وَتَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا﴾ قطعوا ﴿الصَّخْرَ﴾ جمع «صخرة»، واتخذوها بيوتاً ﴿بِالْوَادِ﴾ وادي القرى.

[١٠] ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْدَادِ﴾ كان يتخذ أربعة أوتاد، يشد إليها يدي ورجلي من يعذبه.

[١١] ﴿الَّذِينَ طَغَوْا﴾ تجبروا ﴿فِي الْيَلْدِ﴾.

[١٢] ﴿فَأَنكَبُوا فِيهَا الْفَسَادَ﴾ القتل وغيره.

[١٣] ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ﴾ نوع ﴿عَذَابٍ﴾.

[١٤] ﴿إِنَّا رَبُّكَ لِكَاِلْمُرْصَادٍ﴾ يرصد أعمال العباد، فلا يفوته منها شيء؛ ليجازيهم عليها.

[١٥] ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَنُ الْكَافِرُ﴾ إذا ما ابتلته ﴿رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ﴾ بالمال وغيره ﴿وَنَعَمَ﴾ فيقول رَبِّي أَكْرَمَنِي.

[١٦] ﴿وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ﴾ ضيق ﴿عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ فيقول رَبِّي أَهْنَنِي.

[١٧] ﴿كَلَّا﴾ ردع؛ أي: ليس الإكرام بالغنى، والإهانة بالفقر، وإنما هو بالطاعة والمعصية، وكفار مكة لا ينتبهون لذلك ﴿بَلْ لَا تُكْرِمُونَ الْآلِيَةَ﴾ لا يحسنون إليه مع غناهم، أو: لا يعطونه حقه من الميراث.

[١٨] ﴿وَلَا يَتَمَحَّصُونَ﴾ أنفسهم أو غيرهم ﴿عَلَى طَعَاوِرِ﴾ أي: إطلام ﴿الْأَيْسَنِ﴾.

[١٩] ﴿وَيَأْكُلُونَ﴾ الْثَرَاتِ الميراث ﴿أَكْلاً لَّمًّا﴾ أي: شديداً، لِلْمُهِمِ نصيب النساء والصبيان من الميراث، مع نصيبهم منه أو: مع ما لهم.

[٢٠] ﴿وَيُجِبُونَ﴾ أَلَمَالُ حُبًّا جَمًّا أي: كثيراً فلا ينفقونه، وفي قراءة

(١) بالكسر حمزة والكسائي.

(٢) هذان الإسرائيليات التي لا تصح، وتتأني مع ما صح عنه ﷺ من تناقض الخلق من لدن آدم ﷺ والذي كان طوله ستون ذراعاً فقط، ومعنى ﴿ذَاتِ الْإِيمَادِ﴾ أي: ذات الأبنية المرفوعة على العتد، أو: البناء المرتفع، وقال مجاهد وقادة: كانوا أهل عمود لا يقيمون؛ أي لحياهم، واختاره ابن جرير، ووافقه ابن كثير.

(٣) والقراءة المذكورة أولاً بالياء في الأربعة لأبي عمرو. وقرأ بقية السبعة بالياء، إلا أنه قرأ نافع وابن كثير وابن عامر ﴿تَحْصُونَ﴾. وقرأ بقتيهم: ﴿تَحْصُونَ﴾.

(٤) تأويل الجيء بأمر الله خلاف ظاهر النص، وعدول عما فهمه السلف من الآية، والجيء صفة من صفات الفعل الثانية لله ﷻ على ما يليق به.

(٥) كما جاء في حديث ابن مسعود عند مسلم (٢٨٤٢) مرفوعاً إلى النبي ﷺ: «يؤتى بهن يومئذ، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها». والزمام: هو: الحطام الذي يقاد به البعير.

إِلَّا مَن تَوَلَّى وَكَفَرَ ۚ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ ۚ

إِنَّ الْإِنْسَانَ آيَاتٍ بِهِمْ ۚ ثُمَّ إِنَّا عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ ۚ

سُورَةُ الْفَجْرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ۝ لَيْلٍ عَشْرٍ ۝ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِيرُ ۝

هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرِ ۝ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝

إِرمَ ذَاتِ الْإِيعَادِ ۝ الَّتِي لَمْ يَخْلُقْ مِثْلَهَا فِي الْإِلَادِ ۝ وَتَمُودَ الَّذِينَ

جَاءُوا الصَّخَرَ ۝ بِالْوَادِ ۝ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝ الَّذِينَ طَغَوْا فِي

الْيَلْدِ ۝ فَأَنكَبُوا فِيهَا الْفَسَادَ ۝ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ

عَذَابٍ ۝ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ ۝ فَأَمَّا الْإِنْسَنُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ

رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ ۚ وَنَعَمَهُ ۚ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ

فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ ۚ فَيَقُولُ رَبِّي أَهْنَنِ ۝ كَلَّا بَلْ لَا تُكْرِمُونَ

الْآلِيَةَ ۝ وَلَا تَحْصُونَ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝ وَتَأْكُلُونَ

الْثَرَاتِ أَكْلاً لَمًّا ۝ وَتُجِبُونَ أَلَمَالِ حُبًّا جَمًّا ۝ كَلَّا إِذَا

دُكِّيَ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝

بالفوقانية في الأفعال الأربعة^(٣).

[٢١] ﴿كَلَّا﴾ ردع لهم عن ذلك ﴿إِذَا دُكِّيَ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ زلزلت، حتى ينهدم كل بناء عليها وينعدم.

[٢٢] ﴿وَسَاءَ رَبُّكَ﴾ أي: أمره^(٤) ﴿وَالْمَلَكُ﴾ أي: الملائكة ﴿صَفًّا صَفًّا﴾ حال؛ أي: مصطفين، أو: ذوي صفوف كثيرة.[٢٣] ﴿وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ تقاد بسبعين ألف زمام، كل زمام بأيدي سبعين ألف ملك^(٥) لها زفير وتغيظ. ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من «إذا»، وجوابها:

﴿يَذْكُرُ الْإِنْسَنُ﴾ أي: الكافر ما فرط فيه ﴿وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾ استفهام بمعنى النفي؛ أي: لا ينفعه تذكره ذلك.

سورة البقرة

[مكية، عشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ أَحْسَنُ بِمَا يُدْعَىٰ إِلَيْهِ﴾ مكية.
 [٢] ﴿وَأَنذَرْتُ﴾ يا محمد ﴿حِلَّالٌ﴾ حلال ﴿بِئْسَ الْبَلَدُ﴾ بأن يُخل لك
 فنقاتل فيه، وقد أنجز الله له هذا الوعد يوم الفتح، فالجملة اعتراض بين القسم
 به وما عطف عليه.

[٣] ﴿وَوَالِدٌ﴾ أي: آدم ﴿وَمَا وَلَدٌ﴾ أي: ذريته، و«ما» بمعنى «من».
 [٤] ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ﴾ أي: الجنس ﴿فِي كَبَدٍ﴾ نصب وشدة؛ بكابد
 مصائب الدنيا وشدائد الآخرة.

[٥] ﴿أَيَحْسَبُ﴾ أيظن الإنسان؛ قوي قريش، وهو أبو الأشد ابن كندة،
 بقوته. ﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلة، واسمها محذوف؛ أي: أنه ﴿أَن يَقْدِرَ عَلَيْهِ﴾
 أحدٌ. والله قادر عليه.

[٦] ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ﴾ على عداوة محمد ﴿مَا لَا لُبَاقٍ﴾ كثيرًا بعضه على
 بعض. [٧] ﴿أَيَحْسَبُ أَن﴾ أي: أنه ﴿لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾ فيما أنفقه، فيعلم قدره؟
 والله عالم^(١) بقدره، وأنه ليس بما يُكثِّر به، ومجازه به فعله السيئ.

[٨] ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ﴾ استفهام تقرير؛ أي: جعلنا ﴿لَهُ عَيْنَيْنِ﴾.
 [٩] ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾.

[١٠] ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ بيِّنًا له طريق الخير والشر.

[١١] ﴿فَلَا فَهْلًا﴾ فهلاً ﴿أَقْنَحَ الْعُقَبَةَ﴾ جاوزها.

[١٢] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْعُقَبَةُ﴾ التي يقتحمها؛ تعظيمًا لشأنها،
 والجملة اعتراض.

[١٣] وَيَبَيِّنُ سبب جوازها بقوله: ﴿فَكُ رَقِيَّةٌ﴾^(٢) من الرق بأن أعتقها.

[١٤] ﴿أَوْ أَطْعَمُ﴾^(٣) في يومٍ ذِي مَسْغَرٍ جماعة.

[١٥] ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ قرابة.

[١٦] ﴿أَوْ يَشْكُرُ﴾ مَرْبِيًّا لَصُوبٍ بالتراب؛ لفقره، وفي قراءة بدل
 الفعلين^(٤) مصدران مرفوعان مضاف الأول لرقبة^(٥)، وينون الثاني^(٦)، فيقدر
 قبل العقبة: اقتحام^(٧)، والقراءة المذكورة^(٨) بيانه.

[١٧] ﴿ثُمَّ كَانَ﴾ عطف على «اقتحم»، و«ثم» للترتيب الذكري،
 والمعنى: كان وقت الاقتحام ﴿مِنَ الَّذِينَ ءَامَسُوا وَتَوَاصَوْا﴾ أوصى بعضهم بعضًا
 ﴿بِالْقَسْرِ﴾ على الطاعة، وعن المعصية ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ الرحمة عسى
 الخلق. [١٨] ﴿أُولَئِكَ﴾ الموصوفون بهذه الصفات ﴿أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾ اليمين.

[١٩] ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمِ﴾ الشمال.

[٢٠] ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ بالهمزة والواو بدله^(٩)، مُطَبَّقَةٌ.

وَجَاءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى
 لَهُ الذِّكْرَى يَقُولُ يَلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢١﴾ فَيَوْمَئِذٍ
 لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدٌ ﴿٢٢﴾ وَلَا يُؤْتِي وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٣﴾ يَأْتِيهَا
 النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ ﴿٢٤﴾ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَُّرْضِيَةً ﴿٢٥﴾
 فَأَدْخِلِي فِي عَبْدِي ﴿٢٦﴾ وَأَدْخِلِي جَنَّتِي ﴿٢٧﴾

سورة البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ﴿٢٨﴾ وَأَنْتَ حَلُّهُ الْبَلَدِ ﴿٢٩﴾ وَالْوَلَدُ وَمَا وَلَدَ
 ﴿٣٠﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٣١﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ
 أَحَدٌ ﴿٣٢﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لُبَاقٍ ﴿٣٣﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ
 ﴿٣٤﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٣٥﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٣٦﴾ وَهَدَيْنَاهُ
 النَّجْدَيْنِ ﴿٣٧﴾ فَلَا أَقْتَحِمُ الْعُقَبَةَ ﴿٣٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعُقَبَةُ ﴿٣٩﴾
 فَكُ رَقِيَّةٌ ﴿٤٠﴾ أَوْ أَطْعَمُ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿٤١﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ
 ﴿٤٢﴾ أَوْ مَسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَسُوا وَتَوَاصَوْا
 بِالصُّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ﴿٤٤﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٤٥﴾

[٢٤] ﴿يَقُولُ﴾ مع تذكره: ﴿يَا﴾ للتنبيه ﴿لَيْتَنِي قَدَّمْتُ﴾ الخير والإيمان
 ﴿لِحَيَاتِي﴾ الطيبة في الآخرة، أو: وقت حياتي في الدنيا. [٢٥] ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا
 يُعَذِّبُ﴾ بكسر الذال ﴿عَذَابُهُ﴾ أي: الله ﴿أَحَدٌ﴾ أي: لا يكله إلى غيره.
 [٢٦] ﴿وَوَ﴾ كذا ﴿لَا يُؤْتِي﴾ بكسر اللام ﴿وَتَاقَهُ أَحَدٌ﴾ وفي قراءة^(١) بفتح
 الذال والياء، فضمير «عذابه» و«وثاقه» للكافر، والمعنى: لا يُعَذِّبُ أحدٌ مثل
 تعذيبه، ولا يُؤْتِي مثل إيتائه. [٢٧] ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُظْمِئَةُ﴾ الآمنة، وهي
 المؤمنة. [٢٨] ﴿أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ يقال لها ذلك عند الموت؛ أي: أرجعي إلى
 أمره وإرادته^(٢) ﴿رَاضِيَةً﴾ بالثواب ﴿مَرْضِيَةً﴾ عند الله بعملك؛ أي: جامعة
 بين الوصفين، وهما حالان، ويقال لها في القيامة: [٢٩] ﴿فَادْخُلِي فِي﴾ جملة
 ﴿عِبَادِي﴾ الصالحين [٣٠] ﴿وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ معهم.

(١) للكسائي.

(٢) وهذه طريقة نفاة الصفات يزعم تنزيه الله ﷻ عن مشابهة خلقه، والصواب أن الرجوع إلى الله: نقاؤه. شبهة. يوم القيامة، والوقوف بين يديه للحساب والجزاء، على ما يليق بجلاله، أو يكون المراد بالنفس: الروح، ولقاؤها ربها حين خروجها من الجسد ساعة الموت.

(٣) العلم غير الرؤية وإن كان من لوازمها؛ وصحيح المفسر جرياً على طريقته في تأويل الصفات كما هي طريقة أهل التأويل.

(٤) (٥) للكسائي وابن كثير وأبي عمرو.

(٦) أي: قوله: «فك» وأطعم.

(٧) أي: «وما أدراك ما اقتحام العقبة».

(٨) أي: بالمصدرين المرفوعين: «فك»، و«إطعم». وقوله: «بيانه» أي هذه القراءة بيان معنى الاقتحام المقدر؛ أي: اقتحام العقبة هو: فك رقية أو إطعام.

(٩) بالواو قراءة السبعة عدا حمزة وحفص وأبي عمرو.

سُورَةُ الْبُقْعَةِ

[مكية، خمس عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] وَالشَّمْسُ وَنَجْمُهَا ﴿١﴾ وَنَجْمُهَا ﴿٢﴾ وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ﴿٣﴾ تَبَعَهَا طَالِعًا عِنْدَ غُرُوبِهَا ﴿٤﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ﴿٥﴾ بَارْتِفَاعَهُ ﴿٦﴾ وَاللَّيْلُ إِذَا بَسَّهَا ﴿٧﴾ يَغْطِيهَا بِظِلْمَتِهِ، وَإِذَا فِي الثَّلَاثَةِ جُجْرُ الظَّرْفَةِ (١)، وَالْعَامِلُ فِيهَا فَعَلَ الْقِسْمَ. [٥] وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ﴿٦﴾ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ﴿٧﴾ بَسَطَهَا. [٧] وَتَقْسِي ﴿٨﴾ بِمَعْنَى نَفُوسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٩﴾ فِي الْخَلْقَةِ، وَمَا فِي الثَّلَاثَةِ مُصَدِّرَةٌ، أَوْ بِمَعْنَى «مَنْ». [٨] فَالْهَمْزُ مُجَوَّرٌ وَتَقْوُونَهَا ﴿٩﴾ يَتَرَنَّ لَهَا طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَأَحْزَرَ التَّقْوَى؛ رَعَايَةً لِرُؤُوسِ الْآيِ. [٩] وَجَوَابُ الْقِسْمِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ﴾ حَذَفَتْ مِنْهُ اللَّامُ طُولُ الْكَلَامِ ﴿مَنْ رَزَقْنَاهَا﴾ طَهَّرَهَا مِنَ الذُّنُوبِ. [١٠] ﴿قَدْ حَاطَ﴾ خَسِرَ ﴿مَنْ دَسَّهَا﴾ أَخْفَاهَا بِالْمَعْصِيَةِ، وَأَصْلُهُ: دَسَّسَهَا، أَبْدَلَتْ السِّينَ الثَّانِيَةَ أَلْفًا تَخْفِيفًا. [١١] ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾ رَسَلَهَا صَالِحًا ﴿يَطْعُونَهَا﴾ بِسَبَبِ طَغْيَانِهَا. [١٢] ﴿إِذْ أُنْبِئَتْ﴾ أَسْرَعَ ﴿أَشْقَيْنَاهَا﴾ وَاسْمُهُ قُدَّارٌ، إِلَى عَقْرِ النَّاقَةِ بِرِضَاهِمُ. [١٣] ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾ صَالِحٌ: ﴿نَاقَةُ اللَّهِ﴾ أَيُّ: ذُرْوَاهَا ﴿وَسَقَيْنَاهَا﴾ شَرَبَهَا فِي يَوْمِهَا، وَكَانَ لَهَا يَوْمٌ وَلَهُمْ يَوْمٌ. [١٤] ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ فِي قَوْلِهِ ذَلِكَ عَنِ اللَّهِ، الرَّثْبُ عَلَيْهِ نَزُولُ الْعَذَابِ بِهِمْ، إِنْ خَالَفُوهُ ﴿فَقَرَّوْهَا﴾ قَتَلُوهَا لِيَسْلَمَ لَهُمْ مَاءُ شَرِبَهَا. [١٥] ﴿فَقَدِمَتْ﴾ أَطْبَقَ ﴿عَلَيْهِمْ رِثْمُهُمُ﴾ الْعَذَابُ ﴿يَدْنِيهِمْ فَسَوَّنَاهَا﴾ أَيُّ: الدَّمْدَمَةُ عَلَيْهِمْ؛ أَيُّ: عَشَّاهُمْ بِهَا، فَلَمْ يَفْلِتْ مِنْهُمْ أَحَدٌ. [١٦] ﴿وَلَا بِالْوَاوِ وَالْفَاءِ﴾ (٢) ﴿يَخَافُ عَقْبَاهَا﴾ تَبَعْتَهَا.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مكية، إحدى وعشرون آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَى ﴿١﴾ وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴿٦﴾ فَسَنِيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ كَبَلَ وَالْجَبْنَ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيْسِرُهُ لِلْيُسْرَى ﴿١٠﴾ وَنَهَيْتُهُ لِلْيُسْرَى ﴿١١﴾ لِلنَّارِ. [١٢] ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ لَتَبَيِّنَ طَرِيقَ الْهُدَى مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ؛ لِيُمْتَكِنَ أَمْرُنَا بِسُلُوكِ الْأَوَّلِ، وَنَهْيُنَا عَنْ ارْتِكَابِ الثَّانِي. [١٣] ﴿وَلَا لَنَا الْخَيْرُ وَالْأَذْرُ﴾ أَيُّ: الدُّنْيَا؛ فَمَنْ طَلَبَهُمَا مِنْ غَيْرِنَا فَقَدْ أَخْطَأَ. [١٤] ﴿فَأَذَرْنَاهُ﴾ خَوْفَتِكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ ﴿نَارًا تَلْفَلْ﴾ بِحَذْفِ إِحْدَى الثَّانِيَيْنِ مِنَ الْأَصْلِ، وَفَرَى (٢) بِبَيُوتِهَا؛ أَيُّ: تَتَوَقَّدُ.

(١) أَيُّ: فَلَا تَفِيدُ الشَّرْطِيَّةَ.

(٢) بِالْفَاءِ قِرَاءَةُ نَافِعٍ وَابْنِ عَسَرَ، وَقُرْأَ بَقِيَّةُ السَّبْعَةِ بِالْوَاوِ.

(٣) أَيُّ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَالْآيَةُ الثَّامِنَةُ مِنْ نَفْسِ السُّورَةِ.

(٤) أَيُّ: شَذَوْدًا.

﴿وَنَقُورُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ نَشَاءُ﴾^(١) فيكون المراد الضحى المؤبد. [١٧]
 ﴿وَسَيَجْزِيهَا﴾ يعيد عنها ﴿الْأَلْفَى﴾ بمعنى التفي. [١٨] ﴿الَّذِي يُؤَقِّ مَالَهُ
 يَرْزُقُ﴾ من كتابه به عند الله - تعالى - بأن يخرج له - تعالى - لا رياء ولا سمعة؛
 فيكون زاكياً عند الله، وهذا نزل في الصديق عليه السلام لما اشترى بلالاً المذنب
 على إيمانه وأعتقه، فقال الكفار: إنما فعل ذلك ليد كان له عنده فنزلت:
 [١٩] ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى﴾. [٢٠] ﴿إِلَّا﴾ لكن فعل ذلك
 ﴿أَتَيْعَةً وَتَوْبَةً لِّأَنْفُسِهِمْ﴾ أي: طلب ثواب الله^(٢). [٢١] ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ بما
 يعطاه من الثواب في الجنة^(٣)، والآية تشمل من فعل مثل فعله رضي الله -
 تعالى - عنه، فيبعد عن النار ويثاب.

سُورَةُ الضُّحَى

[مكية، إحدى عشرة آية]

ولما نزلت كبر ﷺ آخرها فسُنَّ التكبير آخرها^(٤). وروي^(٥)
 الأمر به خاتمتها وخاتمة كل سورة بعدها، وهو: الله أكبر، أو:
 لا إله إلا الله والله أكبر.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالضُّحَى﴾ أي: أول النهار أو كله. [٢] ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى﴾ غطي
 بظلامه أو سكن. [٣] ﴿وَمَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾ ترك يا محمد ﴿رَبَّكَ وَمَا قَلَّ﴾
 أبغضك، نزل هذا لما قال الكفار عند تأخر الوحي عنه خمسة عشر يوماً: إن
 ربه ودعه وقلاه^(٦). [٤] ﴿وَالْآخِرَةَ حَبَرٌ لَّكَ﴾ لما فيها من الكرامات لك
 ﴿مِنَ الْأُولَى﴾ الدنيا. [٥] ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ﴾ في الآخرة من
 الخيرات عطاء جزيلاً ﴿فَرَحَتْنِي﴾ به، فقال ﷺ: [إذن لا أرضى وواحد من
 أمتي في النار]^(٧) إلى هنا تم جواب القسم بمشتتين بعد متفيتين. [٦] ﴿أَلَمْ
 يَجِدْكَ﴾ استفهام تقرير؛ أي: وجدك ﴿يَتِيمًا﴾ بفقد أبيك قبل ولادتك، أو:
 بعدها ﴿فَتَّوَيْنَ﴾ بأن ضمك إلى عمك أبي طالب. [٧] ﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا﴾
 عما أنت عليه من الشريعة ﴿فَهَدَى﴾ أي: هداك إليها. [٨] ﴿وَوَجَدَكَ

سُورَةُ الضُّحَى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ۝ وَاللَّيْلَ إِذَا سَجَى ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ۝
 وَالْآخِرَةُ حَبَرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۝ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
 فَتَرْضَى ۝ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَى ۝
 وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَى ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝
 وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝

سُورَةُ الشَّحْجِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنَّا وَزْرَكَ ۝

[١٥] ﴿لَا يَصْلَهُهَا﴾ يدخلها ﴿إِلَّا الْآتَنَى﴾ بمعنى الشقي. [١٦] ﴿الَّذِي
 كَذَّبَ﴾ النبي ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان، وهذا الحصر موزون لقوله - تعالى -:

(٥) ما جاء في برول الآيات (٣١): أخرجه البخاري عن جندب بن سفيان قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يبق ليدين أو ثلاثاً، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد
 تركك؛ لم أره قريبا منذ ليلتين أو ثلاثاً، فأقول الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَى﴾ و﴿اللَّيْلَ إِذَا سَجَى﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى. البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة الضحى (٩٣) باب (١) كيف
 نزل الوحي وأول ما نزل.

(١) النساء: ٤٨.

(٢) في الآية إنبات صفة الوجه لله ﷻ، وسبق الإشارة إلى كلام ابن القيم في الرد على من قال: إن لفظ الوجه مجاز، وبيان بطلان هذا القول. وقال ابن كثير في تفسير الآية: أي طمأن في أن يحصل
 له رؤيته في الدار الآخرة في روضات الجنات.

(٣) أخرجه نحوه الواحد في أسباب النزول ص (٣٩٢) عن ابن عباس، وأخرجه نحوه أيضاً الآجري في الشريعة (٣/ ٥٤ رقم ١٣٥١)، وإنساده ضعيف لاقطاعه كما في الاستيعاب (٥١٨/٣)،
 ٥١٩. وفي الطبري (١٤٦/٣٠)، والطبراني في الكبير (٣/ ٢٠) عن عبد الله بن الربيع رضي الله عنهما قال: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق عليه السلام. دون ذكر قصة بلال وإعناقه له، ولا
 قول الكفار عن ذلك. وقال البيهقي في المجموع (١٣٨/٧): فروه البرار، وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه جماعة، وشيخ البزار لم يسمعه. وأخرجه الحاكم (٥٢٥/٢) وصححه
 على شرط مسلم ووافقه الذهبي فهو حسن بمجموع طرقه؛ وانظر الاستيعاب (٥١٧/٣).

(٤) قال الشيخ ابن باز رحمه الله في مجموع فتاوى ومقالات الجزء الأول عندما سئل: هل ثبت التكبير من سورة الضحى إلى آخر القرآن؟ قال: لم يثبت ذلك عن النبي ﷺ كما صرح بذلك الحافظ ابن
 كثير رحمه الله في أول تفسير سورة الضحى، ولكن ذلك عادة جرى عليها بعض القراء لحديث ضعيف ورد في ذلك، فالأولى ترك ذلك لأن العبادات لا تثبت بالأحاديث الضعيفة والله الموفق.
 (٥) أخرجه الحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في الشعب من طريق أبي الحسن البرقي المقرئ عن أبي بن كعب مرفوعاً [الدر المنثور (٦٠٨/٦)]، ورواه الحافظ الذهبي في ميزان الاعتدال (١/ ١٤٥)
 (٦) ثم قال: (هذا حديث غريب، وهو مما أنكر على البرقي، قال أبو حاتم: منكره)، وانظر أول تفسير سورة الضحى لابن كثير حيث ذكر عن الشافعي ما يدل على تصحيحه لهذا الحديث.

(٦) متفق عليه من حديث جندب بن سفيان عن النبي ﷺ؛ البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧).

(٧) لم أجده بهذا اللفظ، وأخرج البيهقي في شعبه عن ابن عباس قال: رضاه أن يدخل أمة كلهم الجنة. شعب الإيمان (١٦٤/٢). وقال ابن القيم في الجواب الكافي ص (٢١) في معرض الرد على
 من يحتج ويتكلم مثل ذلك؛ قال: «وهمهم من يعتز بفهم فاسد، فهمه هو وأضرابه من نصوص القرآن والسنة؛ فأتكلوا عليه؛ كاتكلوا بعضهم على قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾
 قالوا: وهو لا يرضى أن يكون في النار أحد من أمة، وهذا من أفبح الجهل، وأبين الكذب عليه؛ فإنه يرضى بما يرضى به ربه ﷻ، والله تعالى يرضيه تعذيب الظلمة والفسقة والخونة والمسرئين =

عَالِيًّا ۖ فَقِيرًا ۖ فَأَعْفَنَ ۖ أَغْنَاكَ بِمَا قَعَمَكَ بِهِ مِنَ الْغَنِيمَةِ وَغَيْرَهَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «لَيْسَ الْغَنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ وَلَكِنْ الْغَنَى غِنَى النَّفْسِ» (١). [٩] «فَأَمَّا آلِيَّةٌ فَلَا تَقْهَرُ ۖ بِأَخْذِ مَالِهِ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ. [١٠] «وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَنْهَرُ ۖ تَزْجِرُهُ لِفَقْرِهِ. [١١] «وَأَمَّا يَتَعَوَّذُ بِرَبِّكَ ۖ عَلَيْكَ بِالْبُيُوتَةِ وَغَيْرِهِ ۖ فَحَلَوْتُ ۖ أَخْغِيرُ، وَحَدَفَ ضَمِيرُهُ ۖ فِي بَعْضِ الْأَعْمَالِ رَعَايَةً لِلْفَوَاضِلِ.

سُورَةُ الشُّرَحِ

[مكية، ثمان آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «أَلَمْ تَشْرَحْ ۖ اسْتِفْهَامُ تَقْرِيرٍ؛ أَي: شَرَحْنَا ۖ لَكَ ۖ يَا مُحَمَّدٌ ۖ صَدْرَكَ ۖ بِالْبُيُوتَةِ وَغَيْرِهَا. [٢] «وَوَضَعْنَا ۖ حِطْطُنَا ۖ عَنَّا ۖ وَزَرَكْ. [٣] «الَّذِي أَضْضَ ۖ أَثْقَلَ ۖ ظَهْرَكَ ۖ وَهَذَا كَقَوْلِهِ - تَعَالَى -: «يَغْفِرُ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ» (٢). [٤] «وَوَضَعْنَا لَكَ ۖ وَزَكَّ ۖ بَانَ تُذَكِّرُكَ ۖ مَعَ ذِكْرِي، فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ، وَالشَّهَادَةِ وَالْحُطْبَةِ، وَغَيْرِهَا. [٥] «فَإِنَّ مَعَ الْفَتْرِ ۖ الشَّدَّةَ ۖ سَهْلَةً. [٦] «إِنَّ مَعَ الْفَتْرِ ۖ سَهْلَةً ۖ وَالْبَيْتَ ۖ قَاتَسَى مِنَ الْكُفَارِ شَدَّةً، ثُمَّ حَصَلَ لَهُ الْبَسْرُ بِبَصَرِهِ عَلَيْهِمْ. [٧] «فَإِذَا فَرَّقْتَ ۖ مِنَ الصَّلَاةِ ۖ فَأَنْصَبَ ۖ اتَّعَبَ فِي الدَّعَاءِ. [٨] «وَلَيْكَ رَبُّكَ فَارْتَبْ ۖ تَضَرَّعُ.

سُورَةُ التِّينِ

[مكية، أو: مدنية، ثمان آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ۖ؛ أَي: الْمَاكُولِينَ، أَوْ: جَبَلَيْنِ بِالشَّامِ، يُبْنِيَانِ الْمَاكُولِينَ. [٢] «وَطُورِ سَيْنِينَ ۖ الْجَبَلِ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ - تَعَالَى - عَلَيْهِ مُوسَى، وَمَعْنَى: «سَيْنِينَ»: الْمُبَارَكِ، أَوْ: الْحَسَنِ بِالشَّجَارِ الْمُشْمَرَةِ. [٣] «وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ ۖ مَكَّةُ؛ لِأَمْنِ النَّاسِ فِيهَا جَاهِلِيَّةً وَإِسْلَامًا. [٤] «لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ۖ الْجِنْسَ ۖ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۖ تَعْدِيلٍ لَصُورَتِهِ. [٥] «ثُمَّ رَدَدْنَاهُ ۖ فِي بَعْضِ أَفْرَادِهِ ۖ أَسْفَلَ سَفَلَيْنِ ۖ كَنَاءَةٌ عَنِ الْهَرَمِ وَالضَّعْفِ، فَيَنْقُصُ عَمَلُ الْمُؤْمِنِ عَنْ زَمَنِ الشَّبَابِ وَيَكُونُ لَهُ أَجْرُهُ؛ لِقَوْلِهِ - تَعَالَى -: [٦] «إِلَّا ۖ لَكِنَّ الْآلِينَ ۖ أَمَلُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۖ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۖ وَمَقْطُوعٌ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا بَلَغَ الْمُؤْمِنُ مِنَ الْكِبَرِ مَا يُعْجِزُهُ عَنِ الْعَمَلِ، كُتِبَ لَهُ مَا كَانَ يُعْمَلُ» (٣). [٧] «فَمَا يَكْذِبُكَ ۖ أَيُّهَا الْكَافِرُ ۖ بَعْدَ مَا ذُكِرَ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، ثُمَّ رُدَّ إِلَى أَرْضِ الْعَمْرِ، الدَّالُّ عَلَى الْقُدْرَةِ عَلَى الْبَيْعِ ۖ بِالذَّيْبِ ۖ بِالْجِزَاءِ الْمَسْبُوقِ بِالْبَيْعِ وَالْحَسَابِ؛ أَي: مَا يَجْعَلُكَ مَكْذُوبًا بِذَلِكَ، وَلَا جَاعِلٌ لَهُ! [٨] «أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ لَتَكْفِيكَ ۖ أَي: هُوَ أَفْضَى الْقَاضِينَ، وَحُكْمُهُ بِالْجِزَاءِ مِنْ ذَلِكَ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ قَرَأَ وَالتِّينَ إِلَى آخِرِهَا فَلْيَقُلْ: بَلَى وَأَنَا عَلَى

الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۖ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۖ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۖ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْجَبْ ۖ

سُورَةُ التِّينِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ ۖ وَطُورِ سَيْنِينَ ۖ وَهَذَا الْبَلَدُ الْأَمِينُ ۖ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۖ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَفَلَيْنِ ۖ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۖ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۖ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدَ بِالذِّينِ ۖ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعَزَّ لَتَكْفِيكَ ۖ

سُورَةُ الْعَنَّاكِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۖ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۖ اقْرَأْ ۖ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۖ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۖ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۖ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَإِطْعَىٰ ۖ أَن رَّاهُ اسْتَعْصَىٰ ۖ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ۖ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَدْعُو ۖ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ۖ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ۖ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ۖ

ذلك من الشاهدين» (٤).

سُورَةُ الْعَجَلِيقِ

[مكية، تسع عشرة آية. صدرها إلى: «مَا لَمْ يَنْهَ ۖ أَوَّلُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، وَذَلِكَ بَغَارُ حَرَاءٍ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ» (٥).]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «أَقْرَأْ ۖ أَوْجَدَ الْقِرَاءَةَ، مَبْدَأًا ۖ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۖ الْخَلَائِقَ. [٢] «خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۖ الْجِنْسَ ۖ مِنْ عَلَقٍ ۖ جَمْعُ عِلْقَةٍ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ الْمُسِيرَةُ مِنَ الدَّمِ الْغَلِيظِ. [٣] «أَقْرَأْ ۖ تَأْكِيدٌ لِلأَوَّلِ ۖ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۖ الَّذِي لَا يُوَاظِبُهُ كَرِيمٌ، حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي «أَقْرَأْ». [٤] «الَّذِي عَلَّمَ ۖ الْخَطَّ ۖ بِالْقَلَمِ ۖ وَأَوَّلُ مِنْ خَطِّهِ بِهِ إِدْرِيسُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٦). [٥] «عَلَّمَ الْإِنْسَانَ ۖ الْجِنْسَ ۖ مَا لَمْ يَنْهَ ۖ قَبْلَ تَعْلِيمِهِ، مِنَ الْهُدَى وَالْكِتَابَةِ وَالصَّنَاعَةِ وَغَيْرِهَا. [٦] «كَلَّا ۖ حَقًّا ۖ إِنَّ الْإِنْسَانَ

(٥) فائدة: أخرج البخاري عن يحيى بن أبي كبير قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّذِيرُ». فقلت: أنبت أنه «أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»؛ فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أول؟ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّذِيرُ». فقلت: أنبت أنه «أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»؛ فقال: لا أحرك إلا بما قال رسول الله ﷺ. سبق تحريجه والتعليق عليه في أول سورة المدثر.

- على الكبا، فحاشا رسول له أن يرضى بما يرضى به ربه تبارك وتعالى. (١) أخرجه البخاري (٦٤٤٦) ومسلم (١٠٥١) عن أبي هريرة مرفوعا. (٢) الفتح: ٢. (٣) أخرجه الطبري عن إبراهيم بن موله (٥١١/٢٤)، وأخرج البخاري (٢٩٩٦) عن أبي موسى الأشعري مرفوعا: «إذا مرض العبد أو سافر، كُتِبَ له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا». (٤) أخرجه الترمذي (٣٣٤٧) وأبو داود (٨٨٧) وأحمد (٧٣٤٤) عن أبي هريرة مرفوعا، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٧٨٤). (٥) البخاري (٤٩٥٣). (٦) قاله الضحاك. وقيل: بل آدم عليه السلام.

يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ يَرَى مَا صَدَرَ مِنْهُ أَي: يعلمه^(٣) فيجازيه عليه أَي: اعجب منه يا مخاطب؛ مِنْ حيث نهيهِ عن الصلاة، ومن حيث إن المنهي على الهدى أمر بالتقوى، ومن حيث إن الناهي مكذب متولٍ عن الإيمان. [١٥] ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَيْنَ﴾ لام قسم ﴿لَوْ بَنَتْهُ﴾ عما هو عليه من الكفر ﴿وَلَنَسْفَعْنَا بِالنَّاصِيَةِ﴾ لنجرن بناصيته إلى النار. [١٦] ﴿نَّاصِيَةٍ﴾ بدل نكرة من معرفة ﴿كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ وَضَفَّهَا بذلك مجاز، والمراد صاحبها. [١٧] ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ أَي: أهل ناديه، وهو المجلس يُتَنَادَى، يتحدث فيه القوم، وكان قال للنبي ﷺ لما انتهره حيث نهاه عن الصلاة: لقد علمت ما بها رجل أكثر نادياً مني؛ لأملأن عليك هذا الوادي إن شئت خيلاً مجرداً ورجالاً مُرَدًّا. [١٨] ﴿سَنَنْتُكَ الزَّيْنَةَ﴾ الملائكة الغلاظ الشداد لإهلاكه، كما في الحديث: «لو دعا ناديه لأخذته الزبانية عياناً»^(٤). [١٩] ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تَطْلُعَنَّ﴾ يا محمد في ترك الصلاة ﴿وَأَسْجُدْ﴾ صل لله ﴿وَاقْتَرِبْ﴾ منه بطاعته^(٥).

سُورَةُ الْقَدَرِ

[مكية، أو: مدنية، خمس، أو: ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ أَي: القرآن، جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ﴿فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ أَي: الشرف العظيم. [٢] ﴿وَمَا أَذْرَقْكَ﴾ أعلمتك يا محمد ﴿مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ تعظيم لشأنها، وتعجب منه. [٣] ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ ليس فيها ليلة القدر، فالعمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليست فيها. [٤] ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ الْكَلِمَةَ﴾ بحذف إحدى التاءين من الأصل ﴿وَالرُّوحُ﴾ أَي: جبريل ﴿ذُهِبًا﴾ في الليلة ﴿يَاذِنْ رَبِّهِمْ﴾ بأمره ﴿وَمَنْ كُلِّي آمَرَ﴾ قضاه الله فيها، لتلك السنة إلى قابل، و«مِنْ» سببية بمعنى الباء. [٥] ﴿سَلَّمَ مِنْ حَيْثُ خَبِرَ مُقَدِّمٌ وَمُبْتَدَأٌ﴾^(٦) ﴿حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ بفتح اللام وكسرها^(٧)، إلى وقت طلوعه، جعلت سلاماً؛ لكثرة السلام فيها من الملائكة، لا تشعروا بمؤمن ولا بمؤمنة إلا سلمت عليه.

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

[مكية، أو: مدنية، تسع آيات]**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿لَا يَكْفُرُ الْإِنْسَانُ بِمَا كَفَرُوا مِنْ﴾ للبيان ﴿أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ﴾ أَي:

أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ﴿١٧﴾ أَرَأَيْتُمْ يَأْتِيَنَّكُمْ اللَّهُ بِدَلِيلٍ ﴿١٨﴾ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٩﴾ نَّاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿٢٠﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿٢١﴾ سَنَنْتُكَ الزَّيْنَةَ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَا تَطْلُعَنَّ ﴿٢٣﴾ وَلَا تَسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿٢٤﴾

سُورَةُ الْقَدَرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ نَزَّلَ الْمَلَكُ الْكَلِمَةَ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَّمَ مِنْ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴿٥﴾

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا يَكْفُرُ الْإِنْسَانُ بِمَا كَفَرَ وَأَمْشَرُكَ مِنْ مَفْكَرٍ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمْ الْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴿٥﴾

لَيْتَنِي^(١). [٧] ﴿أَنْ رَأَاهُ﴾ أَي: نفسه ﴿اسْتَشْفَى﴾ بالمال، نزل في أبي جهل، و«رَأَى» علمية^(٢)، و«استغنى»: مفعول ثان، و«أَنْ رَأَاهُ» مفعول له. [٨] ﴿إِنْ يَكُ رَيْكَ﴾ يا إنسان ﴿الْجَنَّةِ﴾ أَي: الرجوع، تخويف له فيجازي الطاعني بما يستحقه. [٩] ﴿أَرَأَيْتَ﴾ في مواضعها الثلاثة للتعجب ﴿الَّذِي يَتَّبِعُ﴾ هو أبو جهل. [١٠] ﴿عَبْدًا﴾ هو النبي ﷺ ﴿إِذَا سَأَلَ﴾ [١١] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ﴾ المنهي ﴿عَنِ الْمُنَافِقَةِ﴾. [١٢] ﴿أَوْ﴾ للتقسيم^(٣) ﴿أَمْزَ بِالْفَتْوَى﴾. [١٣] ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ﴾ أي: الناهي النبي ﷺ ﴿وَتَوَلَّى﴾ عن الإيمان. [١٤] ﴿أَرَأَيْتَ﴾

(٥) ما جاء في نزول الآيات (١٩، ٦): أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعرف محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: فقبل: نعم. فقال: واللوات والعزى لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته أو لأعفرن وجهه في التراب. قال: فأتى رسول الله ﷺ وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبته. قال: فما فجعهم منه إلا وهو ينكسر على عقبه ويثني يديه. قال: فقبل له: مالك؟ فقال: إن بيني وبينه خندقاً من نار وهو لا وأجنحة فقال رسول الله ﷺ: «لو دنا مني لأخطفه للملائكة عضواً عضواً» قال: فأقول الله ﷻ لا ندري في حديث أبي هريرة أو شيء بلغه: ﴿كَلَّا إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَسْفَعٌ﴾ إلى قوله: ﴿كَلَّا لَا تَطْلُعَنَّ﴾ زاد عبد الله في حديثه قال: وأمره بما أمره به. وزاد ابن عبد الأعلى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ يعني قومه. وأخرج أحمد عن ابن عباس قال: جاء أبو جهل إلى النبي ﷺ وهو يصلي فنهاه، فنهده النبي ﷺ فقال: أتهدني، أما والله إني لأكثر أهل الوادي نادياً. فأقول الله ﷻ ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَتَّبِعُ﴾ عبداً إِذَا سَأَلَ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمُنَافِقَةِ﴾ ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾. قال ابن عباس: والذي نفسي بيده، لو دعا ناديه لأخذته الزبانية. أحمد - المسند (١/ ٣٢٩). وأخرجه الترمذي، وفيه: «فأقول الله: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ﴿سَنَنْتُكَ الزَّيْنَةَ﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردع له ﴿لَا تَطْلُعَنَّ﴾ يا محمد، إن ربك يأمر أن تقرأ هذه السورة أي بن كعب، فقال النبي ﷺ: «يا أي، إن ربي ﷻ أمرني أن أقرأك هذه السورة فبكي وقال: ذكرت ثمة؟ قال: فنعيم. أحمد - المسند (٣/ ٤٨٩)، وصححه الأرنؤوط في تخريجها على المسند (٣٨١/٢٥) رقم (١٦٠٠٠).

(٢) قال الصاوي في حاشيته: «الأولى أن يقول: بمعنى الواو». فهو ﷺ على الهدى وأمر بالتقوى.

(٣) العلم غير الرؤية وإن كان من لوازمها، وسبق التنبيه على ذلك مراعاة. (٤) أخرج نحوه الترمذي (٢٣٤٩) وأحمد (٢٣١٧) موفقاً، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ٥٥٧).

(٥) أي: مبتدأ مؤخر.

(٦) بالكسر قراءة الكسائي.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۖ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۖ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ ۝

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۖ وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۚ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۚ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۚ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۚ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۚ

سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۚ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۚ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۚ فَأَنْزَلَ بِهِنَّ نَعْفًا ۚ فَوسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۚ

سُورَةُ الْجَلَالِينِ

[مكية، أو: مدنية، إحدى عشرة آية]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «وَالْعَادِيَّاتِ» الخيل تعدو في الغزو، وتضبح «ضَبْحًا» هو صوت أحوافها إذا عدت. [٢] «وَالْمُورِيَّاتِ» الخيل، توري النار «قَدْحًا» بحوافرها؛ إذا سارت في الأرض ذات الحجارة بالليل. [٣] «وَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا» الخيل، تغير على العدو وقت الصبح، بإغارة أصحابها. [٤] «فَأَنْزَلَ» هَيَّجَنَ «يَدَ» بمكان غديره؛ أو: بذلك الوقت «نَعْفًا» غبارًا، بشدة حركتهن. [٥] «فوسَطْنَ» يدَ» بالنقع «جَمْعًا» من الغدو؛ أي: صرن وسطه، وغطف الفعل على الاسم؛ لأنه في تأويل الفعل؛ أي: واللاتي غدوْنَ فأوزنن فأغوزن. [٦] «وَأَنزَلَ الْإِنْسَانَ الْكَافِرَ» لِرَبِّهِ لَكُونُودٌ لكسوره؛ يمجده نعمته - تعالى.. [٧] «وَأَنزَلَ عَلَىٰ ذَٰلِكَ» أي: كنوده «لَتَشِيدُ» يشهد على نفسه بصنعه. [٨] «وَأَنزَلَ لِحَبِّ الْحَيْرِ» أي: المال «لَتَشِيدُ» الحب له، فيسخر به. [٩] «فَأَنزَلَ يَلْعَنُ» إذا بغض وأخرج «مَا فِي الْقُبُورِ» من الموتى؛ أي:

عَبْدَةُ الْأَصْنَامِ، عطف على «أهل» «مُنْفَكِينَ» خبر «يكن»؛ أي: زائلين عما هم عليه «حَقٌّ تَأْيِيدُهُمْ» أي: أتتهم «أَلْبِينُهُ» أي: الحجة الواضحة، وهي محمد ﷺ. [٢] «رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ» بدل من «الينة»، وهو النبي ﷺ «يَتْلُوا صُحُفًا مُّطَهَّرَةً» من الباطل. [٣] «وَبِهَا كُتِبَ» أحكام مكتوبة «قِيَمَةٌ» مستقيمة؛ أي: يتلو مضمون ذلك، وهو القرآن، فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر. [٤] «وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ» في الإيمان به ﷺ «إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ» أي: هو ﷺ، أو: القرآن الجائي به معجزة له، وقبل مجيئه ﷺ كانوا مجتمعين على الإيمان به إذا جاءه، فحسده من كفر به منهم. [٥] «وَمَا أَسْرَوْا» في كتابهم التوراة والإنجيل «إِلَّا لِيُعَذِّبُوا اللَّهَ» أي: أن يعبدوه، فحذفت «أَن» وزيدت اللام «وَلِيُصْلِحَ لَكُمُ الْإِيمَانُ» من الشرك «حُفَاءَ» مستقيمين على دين إبراهيم، ودين محمد إذا جاء، فكيف كفروا به! «وَيُتِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ اللَّهِ» القِيَمَةُ المستقيمة. [٦] «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا» حال مقدرة؛ أي: مقدراً خلودهم فيها من الله - تعالى - «أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ». [٧] «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ» الخليفة. [٨] «جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ عَدْنٌ» إقامة «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ «بَطَاعَتِهِ» «وَرَضُوا عَنْهُ» بثوابه «ذَٰلِكَ لِمَنْ حَشِيَ رَبَّهُ» خاف عقابه فانتهى عن معصيته - تعالى.

سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

[مكية، أو: مدنية، تسع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] «إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ» حُرُوت لقيام الساعة «زِلْزَالَهَا» تحريكها الشديد المناسب لعظمتها. [٢] «وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا» كنوزها وموتاهها، فألقتها على ظهرها. [٢] «وَقَالَ الْإِنْسَانُ» الكافر بالبعث: «مَا لَهَا» إنكاراً لتلك الحالة. [٤] «يَوْمَئِذٍ» بدل من «إذا»، وجوابها: «تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا» تخبر بما عمل عليها من خير وشر. [٥] «يَاذُ» بسبب أن «رَبِّكَ أَوْحَىٰ لَهَا» أي: أمرها بذلك، وفي الحديث: «تشهد على كل عبد أو أمة بكل ما عمل على ظهرها»^(١). [٦] «يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ» ينصرفون من موقف الحساب «أَشْتَاتًا» متفرقين؛ فأخذ ذات اليمين إلى الجنة، وأخذ ذات الشمال إلى النار «يُسْرَوْا أَعْمَالُهُمْ» أي: جزاءها؛ من الجنة أو النار. [٧] «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» رَءُوه «يَرَهُ» يَرَهُ. [٨] «وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» يَرَهُ جزاءه^(٢).

(١) فائدة: سمي الرسول ﷺ هذه الآية: «الجامعة الفأدة» كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ؓ عندما شغل عن زكاة الحمر فقال: «ما أنزل عليّ فيها إلا هذه الآية الجامعة الفأدة» «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ. ومعنى «الفأدة»: الوحيدة الفريدة في أحكامها. البخاري (٢٣٧١)، ومسلم (٩٨٧).

(٢) إن كان مراد المفسر أن أرضا حصل لهم بسبب طاعتهم لله - سبحانه - فهذا حق، وإن كان يقصد تفسير الرضا بالتوفيق إلى الطاعة فيكون من تأويل صفة الرضا لله ﷻ ببعض لوزمها، ومذهب السلف إلتانها لله ﷻ على الوجه اللائق به - سبحانه - (٢) أخرجه الترمذي (٣٣٥٣) وأحمد (٨٦٥٠) عن أبي هريرة مرفوعاً، وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٤٨٣٤).

[٣] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ أعلمك ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ زيادة تهويل لها، و«ما» الأولى مبتدأ، وما بعدها خبره، و«ما» الثانية وخبرها في محل المفعول الثاني لأدري». [٤] ﴿يَوْمَ﴾ ناصبه دل عليه «القارعة» أي: تقرر ﴿يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ كغوغاء الجراد المنتشر، يوح بعضهم في بعض للخيرة، إلى أن يدعوا للحساب.

[٥] ﴿وَيَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ كالصوف المندوف، في خفة سيرها حتى تستوي مع الأرض.

[٦] ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾ في الجنة؛ أي: ذات رضى؛ بأن يرضاها؛ أي: مرضية له.

[٧] ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته.

[٨] ﴿فَأَمَّهُمْ﴾ فمسكه ﴿هَاسِيَةً﴾ [٩] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾

أي: ما هاربة؟ هي: [١٠] ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ شديدة الحرارة، وهاء «هيه» للسكت تثبت وصلاً ووقفاً، وفي قراءة (٢) تحذف وصلاً.

سورة التكاثر

[مكية، ثمان آيات] (*)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ شغلهم عن طاعة الله ﴿التَّكَاثُرُ﴾ التفاخر بالأموال والأولاد والرجال.

[٢] ﴿حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ﴾ بأن متم فدفنتم فيها، أو: عددتم الموتى تكاثراً.

[٣] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [٤] ﴿ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ سوء عاقبة تفاخركم، عند النزاع، ثم في القبر.

[٥] ﴿كَلَّا﴾ حقاً ﴿لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ علماً يقيناً، عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به.

[٦] ﴿لَتَرْوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ النار؛ جواب قسم محذوف، وخذف منه لام الفعل وعينه وألقيت حركتها على الراء (٣).

[٧] ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا﴾ تأكيد ﴿عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ مصدر؛ لأن «رأى» و«عين» بمعنى واحد.

[٨] ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ﴾ خذف منه نون الرفع لتوالي النونات، وواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ﴾ يوم رؤيتها ﴿عَنِ الْيُسُوبِ﴾ ما يلتذ به في الدنيا، من الصحة والفراغ والأمن والمطعم والمشرب، وغير ذلك.

(١) فائدة: أخرج أحمد عن محمود بن لبيد قال: لما نزلت: ﴿الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ﴾ فقرأها حتى بلغ: ﴿لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَ يُنْفَخُ عَنِ الْيُسُوبِ﴾ قالوا: يا رسول الله، عن أي نعيم نسأل وإنما هما الأسودان: الماء والنمر، وسبوا على رقابنا والعدو حاضر، مع أي نعيم نسأل؟ قال: «إن ذلك سيكون». أحمد - المسند (٥/ ٤٢٩). وأخرجه الترمذي عن الزبير بن العوام وعن أبي هريرة، وفيه لما نزلت: ﴿ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَ يُنْفَخُ عَنِ الْيُسُوبِ﴾. (حسن الإسناد) صحيح سنن الترمذي (٢٦٧٢، ٢٦٧٣).

(٢) كذا في النسخ المطبوعة، وفي نسخة القاضي إشارة إلى الاختلاف في عدد آياتها؛ فقيل: عشر آيات، أو: إحدى عشرة آية.

(٣) وهي قراءة حمزة.

(٤) أي من: «النرون»، وأصله: «ترعون» بوزن: «تفعلون»؛ فحذفت لام الفعل وعينه؛ أي: الهزرة والباء من أصل الفعل: «رأى»، ثم أُلقيت حركة الهزرة، وهي الفتحة، على لراء قبلها، فسقطت الهزرة، وتحركت الباء وانفتح ما قبلها؛ فقلبت ألفاً؛ فالتقى ساكنان، فحذفت الألف، ثم دخلت نون التوكيد الثقيلة؛ فحذفت نون الرفع لتوالي الأفعال، وحركت الواو بالضم؛ فصارت «لترؤن».

إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿١﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٢﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٣﴾ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ مَا فِي الْقُبُورِ ﴿٤﴾ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ﴿٥﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿٦﴾

سورة القارعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ

يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ

كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي

عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأَمَّهُ هَاسِيَةً ﴿٩﴾

سورة التكاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْهَنَكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾

لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتَسْتَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾

بُعثوا. [١٠] ﴿وَحُصِّلَ﴾ يُنَّ وأُفرز ﴿مَا فِي الصُّدُورِ﴾ القلوب من الكفر والإيمان. [١١] ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ لعالم؛ فيجازيهم على كفرهم، أعيد الضمير جمعاً نظراً لمعنى الإنسان، وهذه الجملة دلت على مفعول «يعلم» أي: إنا نجازيه وقت ما ذكر، وتعلق «خبير» بـ«يومئذ» وهو - تعالى - خبير دائماً؛ لأنه يوم المجازة.

سورة القنطرة

[مكية، ثمان آيات] (١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الْقَارِعَةُ﴾ القيامة التي تقرر القلوب بأهوالها.

[٢] ﴿مَا الْقَارِعَةُ﴾ تهويل لشأنها، وهما مبتدأ وخبر: خبر القارعة.

سُورَةُ الْغَصَةِ

[مكية: أو: مدنية، ثلاث آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَالْعَصْرِ﴾ الدهر، أو: ما بعد الزوال إلى الغروب، أو: صلاة العصر.

[٢] ﴿إِذَا الْإِنْسَانُ﴾ الجنس ﴿لَنِي خُسْرٍ﴾ في تجارته^(١).

[٣] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ فليسوا في خسران ﴿وَتَوَصَّوْا﴾ أوصى بعضهم بعضاً ﴿بِالْحَقِّ﴾ الإيمان ﴿وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ﴾ على الطاعة وعن المعصية.

سُورَةُ الْهُمَزِ

[مكية، أو: مدنية، وأبانتها تسع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿وَيْلٌ﴾ كلمة عذاب، أو: واد في جهنم ﴿لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ أي: كثير الهمز واللمز؛ أي: الغيبة، نزلت فيمن كان يغتاب النبي ﷺ والمؤمنين؛ كأمية بن خلف والوليد بن المغيرة وغيرهما.

[٢] ﴿الَّذِي جَمَعَ﴾ بالتخفيف والتشديد^(٢) ﴿مَا لَا وَعَدَدُ﴾ أحصاه وجعله عدَّة حوادث الدهر^(٣).

[٣] ﴿يَحْسَبُ﴾ لجهله ﴿أَنَّ مَالَهُ أَخَذَ﴾ جعله خالداً لا يموت.

[٤] ﴿كَلَّا﴾ ردع ﴿لَيُبَدِّلَنَّهُ﴾ جواب قسم محذوف؛ أي: ليطرحنَّ في الحطمة التي تحطم كل ما ألقى فيها.

[٥] ﴿وَمَا أَزِيدُ﴾ أعلمك ﴿مَا لُحْمَةٌ﴾.

[٦] ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ﴾ المسفرة.

[٧] ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ﴾ تشرف ﴿عَلَى الْأَفْقِدَةِ﴾ القلوب فتحرِّقها، وألمها أشدُّ من ألم غيرها للطفها.

[٨] ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ﴾ جمع الضمير رعاية معنى «كل» ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾ بالهمز وبالواو بدله^(٤): مطبقة.[٩] ﴿فِي [عُنْدِ]﴾ بضم الحرفين، وبفتحهما^(٥) ﴿مُؤَمَّدَةٌ﴾ صفة لما قبله، فتكون النار داخل العقد.

سُورَةُ الْفِيلِ

[مكية، خمس آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿الَّتِي تَرَى﴾ استفهام تعجب؛ أي: اعجب ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحَبِّ الْأَفِيلِ﴾ هو: «محمود» وأصحابه: أبرهة ملك اليمن وجيشه؛ بنى بصنعاء كنيسة؛ ليضربَ إليها الحاج عن مكة؛ فأحدث رجل من كنانة فيها

سُورَةُ الْغَصَةِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَصَّوْا بِالْحَقِّ وَتَوَصَّوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

سُورَةُ الْهُمَزِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِي جَمَعَ مَا لَا وَعَدَدَ لَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخَذَ لَهُ ﴿٣﴾ كَلَّا لَيُبَدِّلَنَّهُ فِي الْحَطْمَةِ ﴿٤﴾ وَمَا أَزِيدُ مَا الْحَطْمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْقِدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ ﴿٨﴾ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ﴿٩﴾

سُورَةُ الْفِيلِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّتِي تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحَبِّ الْأَفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَعُدَّهِمْ فِي تَضَلُّلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَصَفِّ مَأْكُولٍ ﴿٥﴾

وطلَّعَ قِيَافَتَهَا بالغزاة احتقاراً بها؛ فحلف أبرهة ليهدم الكعبة، فجاء مكة بجيشه على أفيال اليمن مقدمها «محمود»، فحين توجهوا لهدم الكعبة أرسل الله عليهم ما قصه في قوله: [٢] ﴿الَّتِي تَرَى كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَحَبِّ الْأَفِيلِ﴾ أي: جعل ﴿كَعُدَّهِمْ﴾ في هدم الكعبة ﴿فِي تَضَلُّلٍ﴾ خسارة وهلاك. [٣] ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ جماعات جماعات؛ قيل: لا واحد له؛ كأساطير. وقيل: واحده «أبؤل»، أو: «إبأل»، أو: «أبيل»؛ كعُجُول ومفتاح وسكين. [٤] ﴿تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ﴾ طين مطبوخ. [٥] ﴿فَجَعَلَهُمْ كَصَفِّ مَأْكُولٍ﴾ كورق زرع أكلته الدواب وداسته وأفتته؛ أي: أهلكهم الله - تعالى - كل واحد بحجره المكتوب عليه اسمه، وهو أكبر من العدة، وأصغر من الحبيضة، يخرق البيضة والرجل والفيل، ويصل إلى الأرض^(٦)، وكان هذا عام مولد النبي ﷺ.

(١) أي في مناجرتهم ومسايعهم وصرف أعمارهم في أمور لا تنفعهم في الآخرة. والخسران: ذهب رأس مال الإنسان، في هلاك نفسه وعمره بالمعاصي.

(٢) بالتشديد قراءة حمزة والكسائي وابن عامر.

(٣) هذا قول عكرمة. وقال غيره: المعنى: أي عدّه مرة بعد أخرى حتّى له وشقّاً به. وقيل: جعله أصنافاً وأنواعاً؛ كعقار، ومناخ، ونقود.

(٤) بالواو قراءة السبعة عدا حمزة وحفص وأبي عمرو.

(٥) بالضم قراءة حمزة والكسائي وشعبة، وقرأ بقية السبعة بالفتح.

(٦) ما ذكره المفسر من أوصاف ودقائق يحتاج إلى دليل صحيح ثابت عن المعصوم ﷺ.

سُورَةُ الْمُاعُونَ

[مكية، أو: مدنية، أو: نصفها، ونصفها، ست، أو: سبع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ﴾ بالجزء والحساب؛ أي: هل عرفته؟ وإن لم تعرفه [٢] ﴿فَذَلِكِ﴾ بتقدير «هو» بعد الفاء ﴿الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ﴾ أي: يدفعه بعنف عن حقه.
[٣] ﴿وَلَا يَحْضُ﴾ نفسه ولا غيره ﴿عَلَى طَعَامِ الْيَتِيمِ﴾ أي: إطعامه، نزلت في العاصي بن وائل، أو: الوليد بن المغيرة.
[٤] ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾. [٥] ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ غافلون، يؤخرونها عن وقتها.
[٦] ﴿الَّذِينَ هُمْ يُرَءُونَ﴾ في الصلاة وغيرها. ﴿وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ﴾ كالإبرة والفأس والقدر والقشعة.

سُورَةُ الْكَوثرِ

[مكية، أو: مدنية، ثلاث آيات]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ﴾ يا محمد ﴿الْكَوثرَ﴾ هو نهر في الجنة، هو حوضه ترد عليه أمته، أو: الكوثر: الخير الكثير؛ من النبوة والقرآن والشفاعة ونحوها.
[٢] ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ صلاة عيد النحر ﴿وَأَنْحَرْ﴾ نسكك.
[٣] ﴿إِنَّا شَانِئَكَ﴾ أي: مبغضك ﴿هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ المنقطع عن كل خير، أو المنقطع العقب، نزلت في العاصي بن وائل^(١)؛ سَمَّى النبي ﷺ أبتر عند موت ابنه القاسم.

سُورَةُ قُرَيْشٍ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ ۝ إِلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ۝ وَءَامَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝

سُورَةُ الْمُاعُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ۝ فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۝ وَلَا يَحْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ ۝ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُمْ يُرَءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝

سُورَةُ الْكَوثرِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوثرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ ۝ إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝

سُورَةُ قُرَيْشٍ

[مكية، أو: مدنية، أربع آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- [١] ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا قُرَيْشٌ﴾ [٢] ﴿إِلَافِهِمْ﴾ تأكيد، وهو مصدر «آلف» بالمد. [٣] ﴿رِحْلَةَ الشِّتَاءِ﴾ إلى اليمن ﴿وَالصَّيْفِ﴾ إلى الشام في كل عام، يستعينون بالرحلتين للتجارة على المقام بمكة لخدمة البيت الذي هو فخرهم، وهم: ولد النضر بن كنانة. [٤] ﴿فَلْيَعْبُدُوا﴾ تعلق به لـ «إيلاف»، والفاء زائدة ﴿رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ﴾. [٥] ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ﴾ أي: من أجله ﴿وَأَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ أي: من أجله، وكان يصيهم الجوع لعدم الزرع بمكة، وخافوا جيش الفيل.

(٥) فائدة: أخرجه مسلم عن أنس قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغشى إغشاة ثم رفع رأسه مبتسماً، قلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «أنزلت عليّ سورة»، فقرأ: «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّا أَنْعَمْنَاكَ الْكَوثرَ﴾ ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾ ﴿إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾». مسلم. كتاب الصلاة (٤) باب (١٤) حجة من قال: بالبسملة آية من أول كل سورة.

(١) أخرجه الواحدى بنحوه في أسباب النزول عن يزيد بن رومان ص (٤٠٤)، وهو مرسل. وأخرج البراز عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة، فقالت له قريش: أنت سيدهم؛ ألا ترى إلى هذا الصنوبر المنبت من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السداة، وأهل السقاية؟ فقال: أنتم خير منه، قال: فنزلت: ﴿إِنَّا شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾. وهو في الصحيح المسند من أسباب النزول لميل الوادعي ص (٢٣٧). والآية تعم كل من أبغض النبي ﷺ.

سُورَةُ الْكَافُرُونَ

[مكية أو مدنية، ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾. [٢] ﴿لَا أَعْبُدُ فِي الْحَالِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ من الأصنام. [٣] ﴿وَلَا أَشْرَعُ عِبِيدُونَ﴾ في الحال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ وهو الله - تعالى - وحده. [٤] ﴿وَلَا أَنَا عَابِدٌ﴾ في الاستقبال ﴿مَا عَبَدْتُمْ﴾. [٥] ﴿وَلَا أَشْرَعُ عِبِيدُونَ﴾ في الاستقبال ﴿مَا أَعْبُدُ﴾ علم الله منهم أنهم لا يؤمنون، وإطلاق «ما» على الله على وجه المقابلة. [٦] ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ الإسلام، وهذا قبل أن يؤمر بالحرب، وحذف ياء الإضافة القراء السبعة وفقاً ووصلاً، وأثبتها يعقوب^(١) في الحالين.

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

[مدنية، ثلاث آيات]*

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَبَنُو إِسْرَءِيلَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ﴾ وَأَلْفَتْحٌ ﴿فَتَحْ مَكَّةَ﴾. [٢] ﴿وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ﴾ أي: الإسلام ﴿أَفْوَاجًا﴾ جماعات، بعدما كان يدخل فيه واحد وواحد، وذلك بعد فتح مكة، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين. [٣] ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ﴾ أي: متلبساً بحمده ﴿وَأَسْتَغْفِرْ لَهُ﴾ كَانَتْ نَوَائِبُ ﴿وَكَانَ﴾ بعد نزول هذه السورة بكثر من قول: سبحان الله وبحمده أستغفر الله وأتوب إليه^(٢)، وعلم بها أنه قد اقترب أجله، وكان فتح مكة في رمضان سنة ثمان، وتوفي ﷺ في ربيع الأول سنة عشر.

سُورَةُ الْمُنَافِقِينَ

[مكية، خمس آيات]**

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] لما دعا النبي ﷺ قومه وقال: ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا يَدِيرُ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾^(٣). فقال عمه أبو لهب: تبا لك ألهذا دعوتنا؟^(٤) نزل: ﴿تَبَّتْ﴾ خسرت ﴿يَدَايَ أَبِي لَهَبٍ﴾ أي: جملته، وعبر عنها باليدين مجازاً؛ لأن أكثر الأفعال تراول بهما، وهذه الجملة دعاء ﴿وَتَبَّتْ﴾ خسرت هو، وهذه خبر كقولهم: أهلكه الله وقد هلك. [٢] ﴿وَلَا يَخْوَفُهُ﴾ النبي بالعذاب فقال: إن كان

(ه) فائدة: أخرج مسلم عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعها؟ قلت: نعم؛ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. قال: صدقت. مسلم. كتاب التفسير (٥٤) رقم (٢١). وأخرج أحمد عن أبي هريرة قال: لما نزلت: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ قال النبي ﷺ: «أناكم أهل البين هم أرق قلوباً، والإيمان يان، والفقه يان، الحكمة يمانية». أحمد. المسند (٢٧٧/٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر: إسناده صحيح (٧٧٠٩). وأخرج أيضاً عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لما نزلت هذه السورة: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا» وقال: «أنا وأصحابي خير»، وقال: «لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية». أحمد. المسند (٢٢/٣)، (١٨٧). وأخرج البخاري عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾. إلا يقول فيها: «سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي». البخاري. كتاب التفسير (٦٥) سورة (إذا جاء) (١١٠) باب (١).

(هه) ما جاء في نزول السورة: أخرج البخاري عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: «لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عِبِيرَتَكَ الْأَوَّلِينَ﴾. صدق النبي ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، =

(١) وهو من العشرة.

(٢) أخرجه مسلم (٤٨٤) عن عائشة، وهو في البخاري (٤٩٦٧) بلفظ: «ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه إذا جاء نصر الله والفتح إلا يقول فيها: سبحانك ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي».

(٣) سبأ: ٤٦. (٤) البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

(٥) بالرفع قراءة السبعة عدا عاصم.

المقصود في الحوائج على الدوام. [٣] ﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ كَفُورٌ أَحَدٌ﴾ ولَمْ يَكُنْ لَكَ كَفُورٌ أَحَدٌ: أي: مكافئًا ومماثلًا، والله متعلق بـ «كفؤًا» وقَدْ عَلِمَ: لأنه محط القصد بالنفي، وأخر «أحد» وهو اسم «يكن» عن خبرها؛ رعاية للفاصلة.

سُورَةُ الْفَاتِحَةِ

[مكية، أو: مدنية، خمس آيات] (**)

نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد اليهودي النبي ﷺ في وتر به إحدى عشرة عقدة، فأعلمه الله بذلك وبمحملة^(١)، فأحضر بين يديه ﷺ وأمر بالتعوذ بالسورتين؛ فكان كلما قرأ آية منها انحلت عقدة ووجد خبطة، حتى انحلت العقد كلها، وقام كأنما تُثبِط من عقال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾. الصبح. [٢] ﴿وَمِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من حيوان مكلف وغير مكلف وجماد كالسم وغير ذلك. [٣] ﴿وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي: الليل إذا أظلم، والقمر إذا غاب. [٤] ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ﴾ السواحر تنفث ﴿فِي الْعُقَدِ﴾ التي تعقدها في الخيط، تنفخ فيها بشيء تقولونه من غير ريق، وقال الزمخشري معه^(٢) كينات لبيد المذكور. [٥] ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ أظهر حسده وعمل بمقتضاه؛ كلبيد المذكور من اليهود الحاسدين للنبي ﷺ، وذكر الثلاثة الشامل لها «ما خلق» بعده؛ لشدة شرها.

سُورَةُ النَّاسِ

[مكية، ست آيات]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ خلقهم وملكهم، خُصُّوا بالذكر تشريفًا لهم، ومناسبة للاستفادة من شرِّ الموشوس في صدورهم. [٢] ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾. [٣] ﴿إِلَهِ النَّاسِ﴾ بدلان، أو: صفتان، أو: عطفًا بيان، وأظهر المضاف إليه فيهما زيادةً للبيان.

سُورَةُ الْإِنشَاءِ

[مكية، أو: مدنية، أربع، أو: خمس آيات] (**)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[١] سئل النبي ﷺ عن ربه؛ فنزل: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ فإلهه خبره هو، و«أحد» بدل منه، أو: خبر ثاب. [٢] ﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ مبتدأ وخبر؛ أي:

= لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «رأيكم لو أخرجتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما حربنا عليك إلا صدقًا. قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعنا؟ فنزل: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ^(٣). البخاري - كتاب التفسير (٦٥) باب (٢).

(٥) ما جاء في نزول السورة: أخرج الترمذي عن أبي بن كعب^(٤) أن المشركين قالوا رسول الله ﷺ: انسب لنا ربك؛ فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾. الترمذي، كتاب تفسير القرآن (٤٨)، باب ومن سورة الإنشلاء. وأخرجه أيضًا الإمام أحمد في المسند (١٣٤/٥)، وحسن الألباني هذا الجزء من الحديث في ضعيف سنن الترمذي (٢٦٦)، وحسنه في الاستيعاب (٥٨٠/٣).

(٥٥) فائدة: أخرج الترمذي عن عقة بن عامر الجهني عن النبي ﷺ قال: قد أنزل الله عليّ آيات لم يُرَ مثلهن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ إلى آخر السورة، وإلى آخر السورة. الترمذي - كتاب فضائل القرآن (٤٦) باب (١٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٦٨٢)، وأخرجه مسلم (٨١٤) أيضًا مختصراً. وأخرج الترمذي أيضًا عن أبي سعيد قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الحان وعين الإنسان حتى نزلت الموعودتان، فلما نزلت أخذ بهما وترك ما سواهما. الترمذي - كتاب الطب (٢٩) باب (١٦) ما جاء في الرقية بالمعوذتين. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (١٦٨١).

(١) جاء نحو هذا عن زيد بن أرقم؛ قال: سحر النبي ﷺ رجل من اليهود؛ قال فاشتكى؛ فأثاء جبريل فنزل عليه بالمعوذتين، وقال: «إن رجلاً من اليهود سحر، والسحر في يقر فلان»، قال: فأرسل عليًّا فجاءه به. قال: فأمره أن يحس العقد ويقرأ آية، فجعل يقرأ ويحل حتى قام النبي ﷺ كأنما أنشط من عقال... أخرجه عبد بن حميد في مسنده (٢٤٧/١)، رقم (٢٧١)، وأخرجه بنحوه - دون ذكر النزول بالمعوذتين - النسائي في المجتبى (٤٠٨٠)، وأحمد في المسند (٣٦٧/٤)، وصححه في الاستيعاب (٥٨٩/٣). وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي في تعليقه على الجلالين ص (٣١٥): «... وإذا ثبت أن السورتين مكيّتان؛ يُعَدُّ أن يكون سحر الرسول ﷺ سبب نزولهما؛ إلا أن يقال بجواز تكرار النزول لآية. أو السورة، أو السور» اهـ.

(٢) أي: الريق؛ ففي النفث قولان.

[٤] ﴿مِنْ شَرِّ أَلْوَسَاسٍ﴾ الشيطان، سُمي بالحدث^(١) لكثرة ملاسته له ﴿الْخَنَاسِ﴾ لأنه يَخْنُسُ ويتأخر عن القلب، كلما ذُكر الله.

[٥] ﴿الَّذِي يُوسِّسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ﴾ قلوبهم، إذا غَفَلُوا عن ذكر الله.

[٦] ﴿مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ بيان للشيطان الموسوس أنه جني وإنسي؛ كقوله - تَعَالَى -: ﴿شَيطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ﴾^(٢)، أو: «من الجنة» بيان له، و«الناس» عطف على «الوسواس»، وعلى كل يشمل شَرُّ لبيد وبناته المذكورين. واعترض الأول بأن الناس لا يوسوس في صدورهم الناس؛ إنما يوسوس في صدورهم الجن، وأجيب بأن الناس يوسوسون أيضًا بمعنى يليق بهم في الظاهر، ثم تصل وسوستهم إلى القلب وتثبت فيه، بالطريق المؤدي إلى ذلك. واللَّهُ - تَعَالَى - أعلم.

[واللَّهُ أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب، وصلى اللَّهُ على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه، وسلَّم تسليمًا كثيرًا، دائمًا أبدًا، وحسبنا اللَّهُ ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بِاللَّهِ العلي العظيم]^(٣).



خاتمة

(نسأل الله حسنها)

يقول مُراجعُه وجامع حواشيه

الفقير إلى عفو مولاه ورضاه وجبيل ستره وحسن لقاءه

أبو عبد الرحمن هُشَيْرُ الْحَمْدِ سَعِيدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ

كان الفراغ من مراجعة تفسير الجلالين وجمع حواشيه ليلة الجمعة غرة جمادى الأولى ١٤٢٨ هـ،

وكان البدء في هذا العمل قبل قرابة عشر سنوات، واللَّهُ أسأل أن يتقبله بقبول حسن، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

(١) أي: المصدر، وقوله: «لكثرة ملاسته له» أي ملازمته للوسوسة، كما تقول: زيد عدل. وما ذكره المفسر ليس بتعين؛ فإن الوسواس - كما يستعمل في المصدر - يطلق كذلك على نفس الشيطان، وعلى ما يخطر بالقلب من شر.

(٢) الأنعام: ١١٢.

(٣) ما بين المعقوفين موجود في نهاية تفسير الفاتحة، وأثبتته هنا للمناسبة. وقال في حاشية الجمل: كأن هذه العبارة من وضع تلامذة المحلي، أو من وضع السيوطي، قصد بها ختم تفسير المحلي، والإشارة إلى فراغه وانقضائه، ويبدو جدًا أنها من كلام المحلي؛ لما عرفت سابقًا أنه كان قد شرع في تفسير النصف الأول، وأنه ابتداءً بالفاتحة، وأنه اختتمته المنية بعد الفراغ منها، وقبل الشروع في البقرة وما بعدها، وإذا كان كذلك فيبعد منه أن يأتي بعبارة تشعُر بالانتهاء والاختتام أثناء تفسير النصف الأول. فتأمل. وآخر هذه العبارة هو قوله: «وإليه المآب»... ثم قال: «...فعلى هذا يكون ما في هذه النسخة من قوله: وصلى اللَّهُ على سيدنا محمد... إلى آخره» ليس من نسخة المحلي، وإنما هو من وضع بعض الناس، وبدل عليه ثبوته في بعض النسخ دون بعض.

فهرس الكتاب

٢٨٥	سُورَةُ الْقَصَصِ	(ا)	تقرير فضيلة الشيخ الدكتور/ احمد عيسى المعصراوي
٣٩٦	سُورَةُ التَّكْوِيْنِ	(ج)	مقدمة الشيخ وحدي الغزاوي
٤٠٤	سُورَةُ الرُّومِ	(هـ)	مقدمة المحقق
٤١١	سُورَةُ لُقْمَانَ	(ز)	التعريف بالتفسير والمفسرين
٤١٥	سُورَةُ الشُّجْرَةِ	(ح)	مكانة هذا التفسير بين العلماء وعنايتهم به
٤١٨	سُورَةُ الْأَخْرَافِ	(ي)	منهج العمل في الكتاب
٤٢٨	سُورَةُ سَبَأٍ	١	سُورَةُ الْفَاتِحَةِ
٤٣٤	سُورَةُ هَاجِرٍ	٢	سُورَةُ الْبَقَرَةِ
٤٤٠	سُورَةُ يَسٍ	٥٠٠	سورة آل عمران
٤٤٦	سُورَةُ الصَّافَّاتِ	٧٧	سُورَةُ النَّسَاءِ
٤٥٣	سُورَةُ ص	١٠٦	سورة المائدة
٤٥٨	سُورَةُ الزُّمَرِ	١٢٨	سورة الانعام
٤٦٧	سُورَةُ غَافِرٍ أَوْ الْمُؤْمِنِ	١٥١	سُورَةُ الْأَنْعَامِ
٤٧٧	سُورَةُ حَمِ الشُّجْرَةِ	١٧٧	سُورَةُ الْأَنْفَالِ
٤٨٣	سُورَةُ الشُّورَى	١٨٧	سُورَةُ التَّوْبَةِ
٤٨٩	سُورَةُ الزُّخْرِفِ	٢٠٨	سُورَةُ يُوسُفَ
٤٩٦	سُورَةُ الدُّخَانِ	٢٢١	سُورَةُ هُودٍ
٤٩٩	سُورَةُ الْجَاثِيَةِ	٢٢٥	سُورَةُ يُوسُفَ
٥٠٢	سُورَةُ الْأَعْقَابِ	٢٤٩	سُورَةُ الرَّعْدِ
٥٠٧	سُورَةُ الْبَقَرَةِ (مُحَمَّد)	٢٥٥	سُورَةُ إِبرَاهِيمَ
٥١١	سُورَةُ الْفَتْحِ	٢٦٢	سُورَةُ الْحَجَرِ
٥١٥	سُورَةُ الْحَجَرَاتِ	٢٦٧	سُورَةُ النَّحْلِ
٥١٨	سُورَةُ ق	٢٨٢	سُورَةُ الْإِسْرَاءِ
٥٢٠	سُورَةُ الدَّارِيَاتِ	٢٩٣	سُورَةُ الْكَهْفِ
٥٢٣	سُورَةُ الطُّورِ	٣٠٥	سُورَةُ مَرْيَمَ
٥٢٦	سُورَةُ النَّجْمِ	٣١٢	سُورَةُ طه
٥٢٨	سُورَةُ الْقَمَرِ	٣٢٢	سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ
٥٣١	سُورَةُ الرَّحْمَنِ	٣٣٢	سُورَةُ الْحَجِّ
٥٣٤	سُورَةُ الْوَاقِعَةِ	٣٤٢	سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ
٥٣٧	سُورَةُ الْخَبِيدِ	٣٥٠	سُورَةُ النَّوْرِ
٥٤٢	سُورَةُ الْمُجَادِلَةِ	٣٥٩	سُورَةُ الْفُرْقَانِ
٥٤٥	سُورَةُ الْحَشْرِ	٣٦٧	سُورَةُ الشُّعَرَاءِ
٥٤٩	سُورَةُ الْمُؤْتَحِنَةِ	٣٧٧	سُورَةُ النَّحْلِ

٥٩٢ .	سُورَةُ الْغَاشِيَةِ	٥٥١ .	سُورَةُ الصَّفِّ
٥٩٣ .	سُورَةُ الْفَجْرِ	٥٥٢ .	سُورَةُ الْجُمُعَةِ
٥٩٤ .	سُورَةُ الْبَلَدِ	٥٥٤ .	سُورَةُ الْمُتَفِقُونَ
٥٩٥ .	سُورَةُ الشَّمْسِ	٥٥٦ .	سُورَةُ النَّجْمِ
٥٩٥ .	سُورَةُ اللَّيْلِ	٥٥٨ .	سُورَةُ الطَّلَاقِ
٥٩٦ .	سُورَةُ الضُّحَى	٥٦٠ .	سُورَةُ النَّحْرِ
٥٩٧ .	سُورَةُ الشَّرْحِ	٥٦٢ .	سُورَةُ الْمُثَنِّ
٥٩٧ .	سُورَةُ التِّينِ	٥٦٤ .	سُورَةُ الْحَقِّ
٥٩٧ .	سُورَةُ الْعَلَقِ	٥٦٦ .	سُورَةُ الْحَاقَّةِ
٥٩٨ .	سُورَةُ الْقَدْرِ	٥٦٨ .	سُورَةُ الْمَعَارِجِ
٥٩٨ .	سُورَةُ الْبَيِّنَةِ	٥٧٠ .	سُورَةُ نُوحٍ
٥٩٩ .	سُورَةُ الزُّزُرَةِ	٥٧٢ .	سُورَةُ الْجِنِّ
٥٩٩ .	سُورَةُ الْغَايَاتِ	٥٧٤ .	سُورَةُ الْمُرْمَلِ
٦٠٠ .	سُورَةُ الْقَارِعَةِ	٥٧٥ .	سُورَةُ الْمُذَنَّبِ
٦٠٠ .	سُورَةُ التَّكْوِينِ	٥٧٧ .	سُورَةُ الْقِيَامَةِ
٦٠١ .	سُورَةُ الْقَصْرِ	٥٧٨ .	سُورَةُ الْإِنشَانِ
٦٠١ .	سُورَةُ الْهُمَزَةِ	٥٨٠ .	سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ
٦٠١ .	سُورَةُ الْفِيلِ	٥٨٢ .	سُورَةُ النَّبَاِ (النَّاسُؤْلِ)
٦٠٢ .	سُورَةُ هُرَيْشٍ	٥٨٢ .	سُورَةُ النَّازِعَاتِ
٦٠٢ .	سُورَةُ الْمَاعُونِ	٥٨٥ .	سُورَةُ عَبَسَ
٦٠٢ .	سُورَةُ الْكَوْثَرِ	٥٨٦ .	سُورَةُ التَّكْوِينِ
٦٠٣ .	سُورَةُ الْكَافِرُونَ	٥٨٧ .	سُورَةُ الْإِنْشِقَاطِ
٦٠٣ .	سُورَةُ النَّصْرِ	٥٨٧ .	سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ
٦٠٣ .	سُورَةُ الْمَسَدِ	٥٨٩ .	سُورَةُ الْإِنْشِقَاقِ
٦٠٤ .	سُورَةُ الْإِخْلَاصِ	٥٩٠ .	سُورَةُ الْبُرُوجِ
٦٠٤ .	سُورَةُ الْفَلَقِ	٥٩١ .	سُورَةُ الطَّارِقِ
٦٠٤ .	سُورَةُ النَّاسِ	٥٩١ .	سُورَةُ الْأَعْلَى

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي

أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com